مكتبة الجاحظ
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

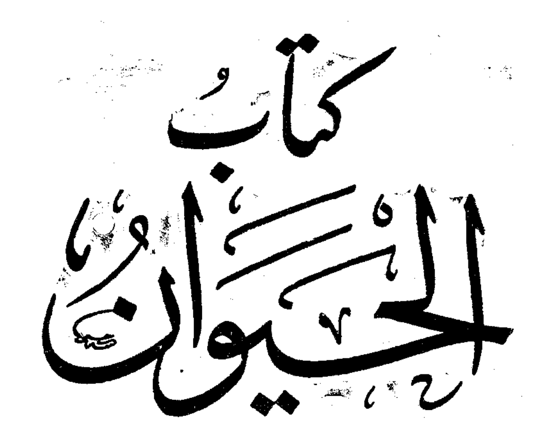
الكتاب الأول

الحيوان

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر
والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى
نظمها المجمع اللغوى ١٩٤٩ – ١٩٥٠]

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
عباس ومحمد محمود الحلبى وشركاهم خلفاء



كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الأول

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتى

جَنَّبَكَ اللهُ الشُّبْهة ، وعَصَمك من الحيرة ، وجَعَل بينك وبين المعرفة نسباً ، وبين الصدق سَبَباً ، وحبَّب إليك التثبُّت ، وزيَّن فى عينك الإنصاف ، وأذاقك حلاوةَ التقوى ، وأشعرَ قلبك عِزَّ الحقّ ، وأودَعَ صدرَك بَرْدَ اليقين[1] وطرد عنك ذلَّ اليأس ، وعرَّفك مافى الباطل من الذلَّة ، وما فى الجهل من القِلَّة . ٢

ولعمرى لقد كان غيرُ هذا الدعاء أصوبَ فى أمرك ، وأدلَّ عَلَى مقدارِ وزنك ، وعلى الحال التى وضعْتَ نفسك فيها ، ووَسمت عرضَك بها ، ورضيتها لدينِك حظًّا[2] ، ولمروءتك شِكْلا ؛ [فقد انتهى إلىَّ مَيلُكَ على أبى إسحاق ، وحَمْلُك عليه ، وطعنُك على مَعْبَدٍ ، وتنقّصك له فى الذى كان جَرَى بينَهما فى مساوى الديكِ ومحاسِنه ، وفى ذكرِ منافع الكلب ومضارِّه ، والذى خرجَا إليه من استقصاءِ ذلك وجمْعِه ، ومن تتبُّعِه ونظمِه ، ومن الموازَنَة بينَهما ، والْحُكمِ فيهما . ثم عبتَنى بكتاب حيل اللصوص ، وكتاب غِشِّ الصناعات ، وعبتَنى بكتاب المُلَح والطُّرَف ، وما حَرَّ من النوادر وبَرُد ، وما عاد بارده[3] حارًّا لفَرْط برده حتى

(١) فى ط : « البر واليقين » . وما أثبته فى ل ، ١٠ س وهو الصواب .
(٢) كذا فى ل ، ١٠ س وهو تصحيح مافى ط « ورضيتها لعرضك حظا » .
(٣) فى ل : « وعاد باردها » وما هنا عن م .

أمتعَ بأكثرَ من إمتاع الحارّ ، وعبتنى بكتاب احتجاجات البخلاء ، ومناقضَتِهم للسُّمَحاء ، والقولِ فى الفرق بين الصدق[1]] إذا كان ضارًّا فى العاجل ، والكذب إذا كان نافعاً فى الآجِل ، ولِمَ جُعل الصدقُ أبداً محموداً ، والكذبُ أبداً مذموماً ، والفرق بين الغَيرة وإضاعة الُحرْمة ، وبين الإفراط فى الحميّة والأنَفَة ، وبين التقصير فى حفظ حقِّ الحرمة ، وقلّة الاكتراثِ لِسوء[2] القالَة ؛ وهل الغيرة اكتساب وعادة ، أم بعض مايعرض من جهة الديانة ، ولبعض التزيُّد فيه والتحسن به ، أو يكون ذلك فى طباع الحريّة ، وحقيقة الجوهريّة ، ما كانت العقولُ سليمة ، والآفات منفيَّة[3] والأخلاطُ معتدلة .

وعبتَنى بكتاب الصُّرَحاء والُهجَناء ، ومفاخرة السُّودان والحمران ، وموازنةِ مابين حقِّ الخئولة والعمومة ؛ وعبتَنى بكتاب الزرع والنخل والزيتون والأعناب ، وأقسام فضول الصناعات ، ومراتب التجارات ؛ وبكتاب فضل مابين الرجال والنساء ، وفرقِ مابين الذكور والإناث ، وفى أيِّ موضع يَغلبن ويفضُلْن ، وفى أى موضع يكنَّ المغلوباتِ والمفضولات ، ونصيب أيِّهما فى الولد أوفَر ، وفى أيِّ موضع يكون حقُّهنّ أوجب ، وأيّ عملٍ هو بهنَّ أليق ، وأيّ صناعةٍ هنّ فيها أبلغ .

وعبتَنى بكتاب القحطانيّة و [كتاب] العدنانيّة فى الردّ على

---

(١) سقطت هذه العبارة من جميع النسخ الخطية أيضا ماعدا ل و م .

(٢) فى ط : « بسوء » وتصحيحه من ل . قال فى القاموس « ما أكترث له : ماأبالى به » وقال الزبيدى : الأصل فيه ألا يستعمل إلا فى النفى وشذ، استعماله فى الإثبات .

(٣) هذا مافى ل . وفى ط : « منيفة » وبذلك يفسد المعنى .

القحطانية ، وزعمتَ أنِّى تجاوزتُ فيه حدَّ الحميَّة إلى حدِّ العصبيَّة ،
وأنِّى لم أصل[١] إلى تفضيل العدنانيّة إلا بِتنقُّص[٢] القحطانيّة . وعبتَنى ٣
بكتاب العرب والموالى ، وزعمتَ أنِّى بخَسْت الموالىَ حقوقَهم ، كما أنِّى أعطيتُ
العربَ ما ليس لهم . وعبتَنى بكتاب العرب والعجم ، وزعمت أنّ القولَ
فى فرقِ مابين العرب والعجم ، هو القولُ فى فرقِ مابين الموالى والعرب ؛
ونسبتَنى إلى التكرار والتردادِ ، وإلى التكثير ، والجهل بما فى المُعاد من
الخَطَل ، وحَمْلِ الناسِ المؤن .

وعبتَنى بكتاب الأصنام ، وبذكر اعتلالات الهند لها ، وسبب عبادة
العرب إيّاها ، وكيف اختلفا فى جهة العِلَّة[٣] مع اتّفاقهما على جملة الديانة ،
وكيف صار عُبَّاد البِدَدَة[٤] والمتمسكون بعبادة الأوثان المنحوتة ، والأصنام
المنجورة ، أشدَّ الديّانين إلْفاً لما دانوا به[٥] ، وشغفاً بِمَا تعبَّدوا له[٦] ،
وأظهَرَهم جِدًّا ، وأشدَّهم على من خالفهم ضِغنا ، وبما دانوا ضِنًّا[٧] ،
وما الفرق بين البُدِّ والوثَن ، وما الفَرق بين الوثَن والصنم ، وما الفرق بين

---

(١) فى ل : « أصر » ومؤداهما واحد .
(٢) فى ط : « بتنقيص » والمثبت هنا فى ل . وفى القاموس « وهو يتنقصه : يقع فيه ويذمه » .
(٣) فى ط : « العلسة » وتصحيحه من ل .
(٤) فى ط : « عبادة البدرة » وهو تصحيف صوابه مافى ل . والبددة : جمع بد – بضم الباء – وهو الصنم ، معرب « بت » ، وجمعه بددة وأبداد .
(٥) فى ل : « أشد الناس إلفا لما دانوا به » .
(٦) فى ط : « وشغفا لما » وصوابه ماأثبته عن ل . يقال شغف بالشىء إذا علق قلبه به .
(٧) فى ل : « صبابة وعجبا » .

الدُّمية والجثَّة ، ولِمَ صوَّروا فى محاريبهم وبيوت عباداتهم ، صوَرَ عظمائهم ورجالِ دعوتهم ، ولم تأنَّقوا فى التصوير ، وتجوَّدوا[١] فى إقامة التركيب ، وبالغوا فى التحسين والتفخيم ، وكيف كانت أوَّليَّة تلك العبادات ، وكيف اقترفت تلك النِّحل ، ومن أىّ شكل كانت خُدَع تلك السدنة ، وكيف لم يزالوا أكثرَ الأصنافِ عدداً ، وكيف شمل ذلك المذهب الأجناسَ المختلفة .

وعبتَنى بكتاب المعادن ، والقولِ فى جواهر الأرض ، وفى اختلاف أجناس الفِلِزِّ والإخبار عن ذائبها وجامدها ، ومخلوقها ومصنوعها ، وكيف يسرع الانقلاب إلى بعضها ، ويُبطىء عن بعضها ؛ وكيف صار بعضُ الألوان يَصبُغ ولا ينصبغ ، وبعضها يَنْصَبِغُ ولا يصْبُغ ، وبعضها يصبُغ وينصبغ ، وما القولُ فى الإكسير والتلطيف .

وعبتَنى بكتاب فرق ما بين هاشمٍ وعبد شمس ، وكتاب فرق ما بين الجنّ والإنس ، وفرق ما بين الملائكة والجنّ ، وكيف القولُ فى معرفة الهدهد واستطاعة العفريت[٢] ، وفى الذى كان عنده عِلْمٌ من الكتاب ، وما ذلك العلم[٣] ، وما تأويل قولهم : كان [عنده اسم الله الأعظم]

---

(١) فى ط : « تجردوا » بالراء . وصوابه مافى ل . وتجود : فعل الجيد .

(٢) فى ط : « وكيف القول فى استيلاء العفريت على سليمان وفى الهدهد » ، وهو كلام مشوه محرف وضعت بدله مافى ل . ومعرفة الهدهد هى التى يشير إليها القرآن الكريم بآية « وجئتك من سبأ بنبأ يقين » . وأما استطاعة العفريت فهو مافى قوله تعالى « قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك » . يعنى عرش بلقيس .

(٣) فى ط : « وما الذى هو ذلك العلم » وهو تحريف صوابه فى ل .

وعبتَنى بكتاب الأوفاق والرياضات ، وما القولُ فى الأرزاق والإنفاقات [وكيف أسباب التثمير والترقيح[١]] ،وكيف يَجتلب[٢] التجار الحُرَفاء ، وكيف الاحتيال للودائع ، [وكيف التسبُّب إلى الوصايا ، وما الذى يوجب لهم حسن التعديل ، ويصرف إليهم باب حسن الظن ؛ وكيف ذكرنا غشّ الصناعات والتجارات ، وكيف التسبُّب إلى تعرف ما قد ستروا وكشف ما موَّهوا ؛ وكيف الاحتراس منه والسلامة من أهله . وعبتنى برسائلى] وبكلّ ما كتبت [به] إلى إخوانى وخُلَطائى ، من مَزْح وجِدٍّ ، ومن إفصاح وتعريض ، ومن تغافُل وتوقيف ، ومن هجاء لايزال مِيسَمه باقياً، ومديح لا يزال أثَرُه نامياً ؛ ومن مُلَح تُضحِك ، ومواعظَ تُبكى .

٤

وعبتَنى برسائلى الهاشميّات ، واحتجاجى فيها ، واستقصائى معانيَها ، وتصويرى لها فى أحسَن صورة ، وإظهارى لها فى أتمٍّ حلية . وزعمتَ أنّى قد خرجتُ بذلك من حدِّ المعتزلة إلى حدِّ الزيديّة ، ومن حدّ الاعتدال فى التشيُّع والاقتصاد فيه ، إلى حدِّ السرف والإفراط فيه . وزعمتَ أنّ مقالة الزيدية خطبة مقالةِ الرافضَة[٣] ، وأنّ مقالة الرافضة خطبة مقالة الغاليَة[٤] . وزعمتَ أنّ فى أصل القضيّة والذى جَرَتْ عليه العادة ، أن كلّ كبير فأوَّلُه صغير ، وأنَّ كلّ كثير فإنما هو قليل جُمع [مِنْ] قليل ، وأنشدت قول الراجز[٥] :

---

(١) ترقيح المال : إصلاحه والقيام عليه .

(٢) فى ط : « تجرد » وصوابه فى ل .

(٣) فى ط : « خطيئة مقالة الرافضية » وتصحيحه من ل .

(٤) فى ط : « خطيئة مقالة الغالية » وصوابه مافى ل .

(٥) أنشد الجاحظ هذا الرجز فى المحاسن والأضداد ٤٤ .

قد يَلحَق الصغيرُ بالجليلِ وإنّما القَرْمُ من الأَفِيلِ
وسُحُقُ النخلِ من الفَسيلِ

وأنشدتَ قول الشاعر[1] :

ربَّ كبير هاجَه صغيرُ وفى البُحور تَغرَق البحورُ

وقلتَ : وقال يزيدُ بن الحكم[2] :

فاعلم بُنَىَّ فإنّه بالعلم يَنتفِع العليم
إنّ الأمورَ دقيقُها مما يَهيج له العظيم

وقلتَ : وقال الآخر :

صار جِدًّا ما مزحتَ به ربَّ جِدٍّ ساقه اللعبُ

وأنشدت قول الآخر[3] :

ما تَنْظُرون بحقِّ وَردةَ فيكمُ تُقضَى الأمورُ ورَهطُ وَردةَ غُيَّبُ[4]
قد يبعثُ الأمْرَ الكبيرَ صغيرُه حتَّى تظلَّ له الدماءُ تَصَبَّبُ

وقالت كَبْشة بنت مَعْدِ يكَرِب :

---

(١) البيت فى المحاسن والأضداد ص ٤٤ .

(٢) يزيد هذا ، شاعر إسلامى عاصر جريرا والفرزدق . مر الفرزدق به يوما فقال : من هذا الذى ينشد شعرا كأنه من أشعارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم ، فقال : نعم أشهد أن عمّى ولدته ! والبيتان من أبيات له اختارها أبو تمام فى الحماسة ٢ : ٤٥ وهو يخاطب بهذه الأبيات ولده بدرا .

(٣) فى ط : « قول الآخر وهو قول عنترة » ، وعبارة « وهو قول عنترة » دخيلة على الكتاب بدليل أنها فى ل مثبتة بخط مخالف . كما أن البيتين لطرفة بن العبد مثبتان فى ديوانه طبع ١٩٠٩ ص ٣٧ ، والشعر والشعراء ٢٧ ، وخزانة الأدب ١ : ٤١٧ ، ومعاهد التنصيص ١ : ١٢٣ .

(٤) وردة : هى أمه ، وكان أبو طرفة قد مات وهو غلام ، فلما اقتسم أعمامه المال ظلموا أمه . ماتنظرون : أى تنتظرون .

جَدعتمْ بعبد الله آنُفَ[١] قومِه بنى مازن أَنْ سَبَّ راعى المحَزَّم[٢]

وقال الآخر[٣] :

أيّةَ نارٍ قَدَحَ القـادحُ وأىّ جِـدٍّ بَلَغَ المازحُ

وتقول [العرب]: « العَصَا من العُصَيَّة ، ولا تلد الحيَّةَ إلا حَيَّةٌ[٤] » .

وعبتَ كتابى فى خلْق القرآن ، كما عبتَ كتابى فى الردِّ على المشبِّهة وعِبْتَ [كتابى] فى القول فى أصول الفتيا والأحكام ، كما عبتَ كتابى فى الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديعِ تركيبه . وعبتَ معارضَتى للزيديّة وتفضيلى[٥] الاعتزالَ على كلِّ نِحْلة ، كما عبتَ كتابى فى الوعد والوعيد ، وكتابى على النصارى واليهود[٦] ثمَّ عبتَ جملةَ كتبى فى المعرفة والتمست تهجينَها بكلِّ حيلة ، وصغَّرت من شأنها ، وحطَطت من قدرها ، واعترضت على ناسخيها والمنتفعين بها ، فعبتَ كتاب الجوابات ، وكتاب المسائل ، وكتابَ أصحابِ الإلهام ، وكتابَ الحجَّة فى تَثْبِيت النبوّة ، وكتابَ الأخبار ، ثمّ عبتَ إنكارى بصيرةَ غنام المرتدّ ، وبصيرةَ كلِّ جاحد وملحد ، وتفريقى بين اعتراض الغُمْر[٧] ، وبين استبصار المحقّ ، وعبتَ

---

(١) فى ط : « آناف » وأثبت ما فى ل ، س ، ١٠ س . وأنف يجمع على أنوف وآنف وآناف .

(٢) فى ط ، ل س ، ١٠ س : « المخزم » بالخاء ، وتصحيحه من الخزانة بضبط البغدادى ٣ : ٧٧ . والبيت من أبيات ستة رواها البغدادى وذكر لها قصة طويلة طريفة .

(٣) هو أبو نواس الحسن بن هانئ كما فى البيان والتبيين ٣ : ١٩٨ .

(٤) فى ط : « حيية » ويغلب أن يكون تصحيف طبع .

(٥) فى ط : « تفضيل » والوجه ما فى ل .

(٦) فى ط : « النصرانى واليهودى » وأثبت ما فى ل .

(٧) هذا ما فى ل ، س ، ١٠ س . وفى ط « القمر » وهو تحريف . والغمر : الجاهل الذى لم يجرب الأمور .

كتابَ الردِّ على الجَهْمِيّة فى الإدراك ، وفى قولهم فى الجَهالات[١] ، وكتاب الفرقِ ما بينَ النبيِّ والمتنبى ، والفرقِ ما بينَ الحِيَل والمخاريق[٢] ، وبينَ الحقائقِ الظاهرة والأعلام الباهِرة[٣] . ثمّ قصدتَ إلى كتابى هذا بالتصغير لقدره والتهجين لنظمه ، والاعتراض[٤] على لفظه ، والتحقير لمعانيه ، فزَرَيت على نحْتِهِ وسَبكه ، كما زرَيت على معناهُ ولفظِه ، ثمّ طعنتَ فى الغرض الذى إليه نزعْنا ، والغاية التى إليها قَصَدنا[٥] . على أنّه كتابٌ معناهُ أنبَهُ من اسمِهِ ، وحقيقتهُ آنَقُ من لفظه ، وهو كتابٌ يحتاجُ إليه المتوسِّط العامى ، كما يحتاجُ إليه العالم الخاصى[٦] ، ويحتاج إليه الرَّيِّض كما يحتاج إليه الحاذق : أما الرّيض فللتعلُّم والدرْبة ، وللترتيب والرياضة ، وللتمرينِ وتمْكين العادة ؛ إذْ كان جليلُه يتقدم دقيقه ، وإذ كانت مقدِّماته مرتبةً وطبقاتُ معانيه منزّلة . وأما الحاذقُ فلكفايةِ المؤونة ؛ لأن كلَّ من التقط كتابا جامعاً ، وباباً من أمَّهات العلم مجموعا ، كان له غُنْمه ، وعلى مؤلّفه غُرمُه ، وكانَ له نفعُه ، وعلى صاحِبِهِ كَدُّه ، معَ تعرُّضِهِ لمطاعِن البُغَاة ، ولاعتراض المنافِسين ، ومع عرْضِهِ عقلَه المكدودَ على العقولِ الفارغة ، ومعانيه على الجهابِذة ، وتحكيمِه فيه المتأوِّلين والحسَدَة . ومتى ظَفِر بمثله صاحبُ علم ، أو هجَمَ عليه طالبُ فقه ، وهو وادعٌ رافِه ، ونَشِيط جَامٌّ ،

---

(١) ماعدا ل : « الجهات » تحريف . وانظر ٢ : ١٣٩ و ٤ : ٢٨٨ .

(٢) فى ط : « المخارق » .

(٣) فى ل : « القاهرة » وفى ط « الباصرة » » وصوابهما مافى س ، ١٠ س .

(٤) فى ط : « والاغماض » .

(٥) فى ل : « أجرينا » .

(٦) هذا مافى ل . وفى ط : « كما يحتاج إليه الخاص » .

ومؤلِّفه مُتعَبٌ مكدود ، فقد كُفِى مؤُونَة جمعه وخزنِه ، وطلبِهِ وتتبُّعِه ، وأغناه ذلك عن طول التفكير ، واستنفادِ العمر وفَلِّ الحدّ ، وأدرَك أقصى حاجتِه وهو مجتمعُ القُوَّة . وعلى أنّ له عند ذلك أن يجعَلَ هُجومَه عليه من التوفيق ، وظفَره به باباً من التسديد .

وهذا كتابٌ تستوى فيه رغبةُ الأُمم ، وتتشابَه فيه العُرْبُ والعَجَم ، لأنه وإن كانَ عَرَبيًّا أعرابيًّا ، وإسلاميًّا جَماعيًّا ، فقد أخَذَ من طُرَفِ الفلسفة ، وجمع بين معرفةِ السماعِ وعلْمِ التجرِبة ، وأشرَكَ بين علمِ الكتاب والسنة ، وبينَ وِجْدان الحاسَّة ، وإحساس الغريزة . ويشتهيه الفِتيان كما تشتهيه الشيُوخ ، ويشتهيه الفاتِكُ كما يشتهيه الناسِك ، ويشتهيه اللاعبُ ذو اللَّهوِ كما يشتهيه المجِدّ[1] ذو الحَزْم ، ويشتهيه الغُفْلُ كما يشتهيه الأريب ، ويشتهيه الغبىُّ كما يشتهيه الفَطِن .

وعبتَنى بحكاية قولِ العثْمانِيَّة[2] والضِّرَارية ، وأنت تسمعنى[3] أقول فى أوَّل كتابى : وقالت العثمانية والضراريَّة ، كما سمعتَنى أقول : قالت الرافضة والزيدية ، فحكمتَ علىَّ بالنصْب لحكايتى [قول العثمانية] ، فهلاَّ حكمتَ على بالتشيُّع لحكايتى [قول الرافضة] !! وهلا كنتُ عندَك من الغالِيَة لحكايتى حجج الغالية ، كما كنتُ عندك من الناصِبَة لحكايتى قولَ الناصِبة ! ! وقد حكينا فى كتابنا قولَ الإباضيَّة والصُّفْرية ، كما حكينا قولَ الأزارِقة والزيدية . وعلى

(١) فى ل : « الجدى » نسبة إلى الجد ضد الهزل .

(٢) فى ط : « بحكاية سر قول العثمانية » ، وكلمة « سر » هذه لاوجود لها فى جميع النسخ المخطوطة .

(٣) كذا فى ل . وفى ط : « كما سمعنى » .

هذه الأركان الأربعة بُنِيَت الخارجية ، وكلُّ اسمٍ سواها فإنما هو فرعٌ ونتيجةٌ ، واشتقاقٌ منها ، ومحمولٌ عليها . وألاَّ كنَّا عندَك من الخارجية ، كما صرنا عندَك من الضِّراريَّة والناصِبَة . فكيف رضيتَ بأن تكون أسرَعَ من الشيعة ، أسرع إلى أعراض الناس من الخارجية[1] ، اللهم إلاَّ أن تكون وجدتَ حكايتى عن العثمانيَّة والضِّراريَّة أشبعَ وأجمعَ ، وأتمَّ [وأحكمَ]، وأجود [صنعة ، وأبعد غاية . ورأيتنى قد وهَّنت حقَّ أوليائك ، بقدر ما قوَّيتُ باطل أعدائك ؛ ! ولو كان ذلك كذلك ، لكان شاهدك من الكتاب حاضراً ، وبرهانك على ماادعيت واضحا] .

وعبتَنى بكتاب العباسية ، فهلاَّ عبتَنى بحكايةِ مقالةِ مَن أبى وجوبَ الإمامة ، ومَنْ يرى الامتناع من طاعة الأئمة الذين زعموا أنّ تَرْكَ النَّاس سُدًى بلا قيِّم أردُّ عليهم ، وهملاً بلا راع أربحُ لهم ، وأجدَرُ أنْ يجمع لهم ذلك بين سلامَةِ العاجل ، وغنيمة الآجل ، وأنَّ تركَهم نَشَراً لا نظامَ لهم ، أبعدُ من المَفاسِد ، وأجمعُ لهم عَلَى المراشد ! ! بل ليس ذلك بك ، ولكنَّه بهرَك ما سمعتَ ، وملأَ صدرَك الذى قرأت ، وأبعَلكَ وأبْطَرَك ، فلم تتّجه للحجّة وهى لك معرضة ، ولم تعرف المقاتل وهى لك بادية[2] ، ولم تَعرِف بابَ المخرج إذ جهلتَ بابَ المدخَل ، ولم تعرِفِ المصادر إذ جهلتَ الموارد .

رأيتَ أنَّ سبَّ الأولياء أشفى لدائك ، وأبلغَ فى شفاء سَقَمك ؛ ورأيتَ أن إرسالَ اللسان أحضَرُ لَذَّةً ، وأبعدُ من النَّصَب ، ومِن إطالة الفكرة ، ومن الاختلافِ إلى أرباب هذه الصناعة .

---

(١) فى ل : « فكيف رضيت بأن تكون الشيعة إلى أعراض الناس أسرع من المارقة » .
(٢) فى ط : « وهى لك معوضة ، ولم تعرف المقابل وهى لا بادية » .

ولو كنتَ فطِنت لعجْزك ، [و(١)] وصَلْتَ نقصَك بتمامِ غيرِك ،
واستكفَيْتَ من هو موقوفٌ على كفايةِ مثلك ، وحَبيسٌ على تقويم أشباهك 7
كان ذلك أزينَ فى العاجِل ، وأحقَّ بالمثُوبة فى الآجل ، وكنتَ إنْ
أخطأَتكَ الغنيمةُ لم تُخْطِك السلامة ، وقد سَلِم عليك المخالفُ بقدر ما ابتُلِى
[به] منكَ الموافِق . وعلى أنَّه لم يُبتَل منك إلا بقدْرِ ما ألزمتَه من مُؤْنَةِ
تثقيفك ، والتشاغُلِ بتقويمك . وهل كنتُ فى ذلك إلاّ كما قال العربىُّ :
« هَلْ يَضُرُّ السَّحابَ نَبْحُ الكلابِ » .

وإلاّ كما قال الشاعر :

هل يَضُرُّ البحرَ أمسى زَاخِراً أَنْ رَمَى فيهِ غُلامٌ بحَجَرْ(٢)

وهل حالُنا فى ذلك إلاّ كما قال الشاعر(٣) :

ماضرَّ تغلِبَ وائلٍ أَهجَوْتَها أمبُلْتَ حَيْثُ تَناطَحَ البَحْرَانِ

وكما قال حسَّانُ بنُ ثابت(٤) :

ما أُبالِى أَنَبَّ بالحَزْنِ تَيسٌ أم لَحانِى بظهْرِ غَيْبٍ لَئِيمُ

وما أشكُّ أنَّكَ قد جعلت طول إعراضنا عنك مَطِيَّةً لك ، ووجَّهتَ حِلمَنا
عنك إلى الخوف منك ، وقد قال زُفَر بنُ الحارث لبعضِ مَنْ لم يرحقَّ
الصفح ، فجعل العفوَ سبباً إلى سوء القول :

---

(١) زيادة ضرورية لاستقامة الكلام .

(٢) البيت رواه الجاحظ فى البيان ٣ : ٢٤٨ . والرواية هناك « مايضير » .

(٣) هو الفرزدق ديوانه ٨٨٢ والبيان ٣ : ٢٤٨ والخزانة ٢ : ٥٠١ .

(٤) ديوانه ٣٧٨ .

فإنْ عدتَ وَاللهِ الذى فوقَ عَرْشِهِ مَنَحْتُكَ مسنون[١] الغِرَارَينِ أزْرَقا
فإنَّ دواءَ الجهل أن تُضْرَبَ الطُّلَى وأن يُغْمس العِرِّيض حتى يغرَّقا[٢]

وقال الأوّل :

وضَغائنٍ داوَيتُها بضغائنٍ حتَّى شَفَيتُ وبالحُقودِ حُقُودا

وقال الآخر :

وما نَفى عنك قوماً أنت خائفُهم كَمِثل وَقمك جُهَّالاً بجُهّالِ[٣]
فاقْعَسْ إذا حَدِبوا واحدَبْ إذا قعسوا وَوَازِنِ الشَّرَّ مثقالاً بمثقالِ

فإنّا وإن لم يكن عندنا سِنَانَ زُفَرَ بنِ الحارث ، ولا معارضةُ هؤلاء الشرَّ بالشرّ ، والجهلَ بالجهل ، والحِقد بالحِقد ، فإن عندى ما قال المسعوديُّ[٤] :

فمُسَّا ترابَ الأرضِ منه خُلِقتُما وفيه المعادُ والمصيرُ إلى الحشر
ولا تأنفا أن تَرْجِعا فتسلِّما فما كسيَ الأفواهَ شَرًّا من الكِبْرِ[٥]

---

(١) فى ط : « مصقول » . وغرار السيف أى حده لايوصف بالصقل ، وإنما يوصف بالحدة . فالوجه (مسنون) كما فى ل وكما فى البيان ٤ : ٥٦ .

(٢) فان من الجهل أن تضرب الطلى وأن تلمس العريض حتى يغرقا
هكذا ورد البيت فى ط وهو تحريف أصلحته من ل ومن البيان للجاحظ . والطلى : الأعناق أو أصولها، جمع طلية أو طلاة، بضم الطاء فى كل منهما . والعريض كسكيت : الذى يتعرض للناس بالشر .

(٣) جاء البيت فى ط على هذه الصورة :
وما تمى عنك قوما أنت خائفهم كثل رقمك جهالا بجهال
وصححناه من البيان ٣ : ٣٣٤ ومن ل ، س والروض الأنف ١ : ١٧٠ ومجالس ثعلب ٤٩١ . والوقم : القهر والإذلال والكبح .

(٤) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . وهذه الأبيات من عشرة أبيات رواها المرتضى فى أماليه ٢ : ٦٠ ، ٦١ وذكر قصة لها، انظر لها أيضا جمع الجواهر ص ٣ .

(٥) فى الأمالى: « فما حشى الأقوام » وفى جمع الجواهر: « فما حشى الإنسان » . وفى ل ، س « ولا تعجبا أن ترجعا » . يخاطب عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو بن عثمان ، كما فى المحبر ٢٩٧ .

فلو شئتُ أدْلَى(١) فيكما غير واحد علانيةً أو قالَ عندى فى السِّرِّ

فإنْ أنا لم آمُرْ ولم أنْهَ عنكُما ضَحِكْتُ له كيما يَلِجَّ ويَسْتَشْرِى(٢) ٨

وقال النَّمِر بن تَولَب :

جزَى اللهُ عنِّى جَمْرَةَ ابنةَ نوفلٍ جَزَاءَ مُغِلٍّ بالأمانةِ كاذِبِ(٣)

بما خَبَّرَتْ عنِّى الوُشاةَ ليكذِبوا علىَّ وقد أوليتُها فى النوائِبِ

يقول : أخرجتْ خبرَها ، فخرج [إلى(٤)] من أحبُّ أن يعابَ عندها .

ولو شئتَ أن نعارضَك لعارضناك فى القول بما هو أقبحُ أثراً وأبقى وَسْما ، وأصدقُ قِيلاً ، وأعدلُ شاهداً . وليس كلٌّ مَن تَرَكَ المعارَضَة فقد صفح ، كما أنّه ليس من عارَضَ فقد انتصرَ ، وقد قال الشاعر قولاً ، إن فهمتَه فقد كفَيتَنا مَئُونَةَ المُعارَضة ، وكفيتَ نفسَك لزومَ العارِ ، وهو قوله(٥) :

إن كنتَ لاترهَبُ ذمِّى لِماَ تَعْرِفُ مِنْ صَفْحِى عن الجاهِلِ

فاخشَ سُكُوتى إذ أنا منصت فيكَ لمسموعِ خَنَا القائلِ(٦)

فالسامعُ الذمِّ شريكٌ لهُ ومُطعِمُ المأكولِ كالآكِلِ

(١) فى ط : «أولى» ، وصوابه مافى ل ، س ، ١٠ س والأمالى . وفسرها المرتضى بقوله : معناه لو شئت اغتابكما عندى غير واحد .

(٢) فى ط « يلح » بالحاء، وأثبت ماهو فى أمالى المرتضى و ل ، ١٠ س والبيان .

(٣) كذا فى ل ، ١٠ س . . وغل وأغل بمعنى خان . . وفى ط « مقل » وتحريفه ظاهر . وفى س : « مخل » . وجمرة بالجيم اسم زوجته ، كما فى الأغانى ١٩ : ١٥٨ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق . والمعنى أنها أظهرت سر الحب ، فذاع حتى وصل إلى الوشاة الذين يتمنى هو أن يعابوا عندها .

(٥) نسب إلى العتابى فى الأغانى ١٢ : ١٠ ولباب الآداب ٣٦٠ ورسالة فصل مابين العداوة والحسد . ونسب إلى كعب بن زهير فى الخزانة ٤ : ١٢ .

(٦) كذا فى الخزانة وجمع الجواهر ٣ وشرح بانت سعاد ٣ والشريشى ٢ : ١٥٠ . وفى ل ، س « فاخش سكوتى آذنا منصتا ». وآذنا : مصغياً .

مقالةُ السُّوء إلى أهلها أسرَعُ من مُنْحَدر سائلِ
ومن دعا الناسَ إلى ذمِّه ذمُّوه بالحقِّ وبالباطل
فلا تَهِجْ إنْ كنتَ ذا إربَةٍ حرْبَ أخى التجربةِ العاقل
فإنَّ ذا العَقل إذا هِجْتَه هجتَ به ذا خَبَلٍ خابل
تُبْصرُ فى عاجلِ شَدَّاته عليك غِبَّ الضرَر الآجلِ

وقد يقال : إنّ العفوَ يُفسد من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم ، وقد قال الشاعر :

والعَفوُ عندَ لبيبِ القومِ موعِظةٌ وبعضهُ لسَفيهِ القومِ تدريبُ

فإنْ كنَّا[1] أسأنا فى هذا التقريعِ والتوقيفِ ، فالذى لم يأخُذ فينا بحُكم القرآنِ ولا بأدَب الرسول عليه الصلاة والسلام، ولم يَفزَع إلى مافى الفِطَن الصحيحة ، وإلى ما توجبهُ المقاييسُ المطَّردةُ ، والأمثالُ المضرُوبة، والأشعار السائرة ، أولَى بالإساءَة وأحقُّ باللائمة ، قال الله عزَّ وجل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ . وقد قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام : «لا تَجْنِ يمِينُكَ عَلَى شِمَالك» .

وهذا حكمُ الله تعالى وآدابُ رسوله والذى أُنْزِلَ به الكتابُ ودلَّ عليه من حُجَج العقول .

فأمَّا ما قالوا فى المثل المضروب [«رَمَتْنِي بِدَائها وانسَلَّتْ» ، وأمّا] قولُ الشعراءِ ، وذمُّ الخطباءِ لِمنْ أخَذَ إنساناً بذنْب غيره، وما ضَرَبُوا فى ذلك من الأمثال ، كقول النابغة حيث يقول فى شعره :

وكَلَّفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وتركْتَه كذِى العُرِّ يُكوَى غيرُه وهو رَاتِعُ

(١) فى ط : « فانا كنا » وتصحيحه من ل ، س ، ١٠ س .

وكانوا إذا أصابَ إبلَهُم العرّ كَوَوُا السليمَ ليدفعَه عن السقيم ، فأسقمُوا الصحيحَ من غير أن يُبْرِئوا السقيم .

وكانوا إذا كَثُرتْ إبلُ أحدِهم فبَلَغَتِ الألف ، فقَئُوا عَيْنَ الفحْل ، فإنْ زادَت الإبلُ على الألْف فقئوا العينَ الأخرى ، وذلك المفقَّأُ والمعمَّى اللذان سمعتَ فى أشعارِهم .

قال الفرزدق :

غلبتك بالمفقئ والمعنَّى وبيتِ المُحْتَبِى والخافقاتِ [1]

[وكانوا يزعمون أن المفقأ يطرد عنها العين والسواف [2] والغارة ، فقال الأوّل :

فقأتُ لها عَيْنَ الفَحِيل عِيافَةً وفيهنّ رَعْلاءُ المسامِع والحامى [3]

---

(١) هذا البيت دخيل على الكتاب ، ويبعد من مثل الجاحظ أن يفكر فى الاستشهاد به فى هذا الموضع إذ لا علاقة له به ، وإنما يشير الفرزدق بكلمة « المفقئ » إلى قصيدته التى يقول فيها مهاجيا لجرير :

ولست وإن فقأت عينك واجدا أبا لك إن عد المساعى كدارم

وبكلمة « المعنى » إلى قوله :

وإنك إذ تسعى لتدرك دارما لأنت المعنى ياجرير المكلف

و « بيت المحتبى » إشارة إلى قوله :

بيتاً زرارة محتب بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

و « الخافقات » يريد قوله :

وأين تقضى المالكان أمورها بحق وأين الخافقات اللوامع

انظر ابن سلام ٣٢٩ — ٣٣٠ والنقائض ٧٦٨ ليدن ولسان العرب (عنى) .

وقد ورد البيت مصحفاً على الوجه الآتى :

غلبتك (بالمفقأ والمعمى) وبيت (المجتبى) والخافقات

(٢) السواف : الموتان يقع فى الإبل ، يقال بالفتح وبالضم .

(٣) البيت فى البيان ٣ : ٥٤ . والفحيل : المنجب فى ضرابه ، وعنى بالعيافة التفاؤل .

الرعلاء : التى تشقّ أذنها وتترك مدلّاة ، لكرمها] .

وكانوا يقولون فى موضع الكفّارة والأُمْنِيَّة، كقول الرجل: إذا بلغتْ إبلى كذا وكذا وكذلك غنَمى ، ذَبحْتُ عند الأوثان كذا وكذا عتيرة . والعتيرة من نُسُك الرَّجبيّة والجمع عتائر — والعتائر من الظباء — فإذا بلغتْ إبلُ أحدِهم أو غنمُه ذلك العددَ ، استعملَ التأويلَ وقال : إنّما قلتُ إنّى أذبحُ كذا وكذا شاة ، والظباء شاء كما أنّ الغنم شاء ، فيجعل ذلك القربانَ شاءً كلَّه ممّا يَصيد من الظباء ، فلذلك يقول الحارثُ بن حِلِّزَةَ اليشكُرىُّ :

عَنَتاً باطلاً وظُلْماً كما تُعْـــتَرُ عَنْ حَجْرَةِ الرَّبِيضِ الظِّباءُ

بعد أن قال :

أمْ عَلَينا جُناحُ كِنْدَةَ أن يَغْـــنَمَ غَازِيهُمْ ومِنَّا الجزاءُ

وكانوا إذا أوردُوا البقرَ فلم تشربْ ، إمّا لكدَر الماء ، أو لقلّةِ العطَش ، ضرَبوا الثورَ ليقتحِم الماء ، لأنّ البقرَ تتْبَعه كما تتْبع الشَّوْلُ الفحل ، وكما تتبع أُتُنُ الوحشِ الحِمار . فقال فى ذلك عَوْفُ بن الخرِع[1] :

تَمنَّتْ طيٌّ جَهْلاً وجُبْناً وقد خاليتُهم فأَبَوْا خِلائى[2]

هَجَوْنى أنْ هَجَوْتُ جِبَال سَلْمى كضَرْبِ الثَّورِ للبقرِ الظِّماء

وقال فى ذلك أَنَس بن مُدْرِك فى قتله سُلَيك بنَ السُّلَكَة :

إنّى وقَتْلى سُلَيْكًا ثمَّ أعْقِلَهُ كالثَّورِ يُضرَب لمَّا عافتِ البَقَرُ[3]

١٠ أنِفْتُ لِلْمَرءِ إذْ نِيكتْ حَليلتُه وأن يُشَدَّ على وجعائها الثَّفَرُ[4]

(١) فى ط : « عوض بن اجزع » ، وهو على الصواب الذى أثبته ، فى ل ، س ١٠ س .

(٢) خاليتهم : تركتهم .

(٣) عافت : امتنعت عن شرب الماء .

(٤) الوجعاء : الاست . والثفر بالتحريك : السير فى مؤخر السرج .

وقال الهَيَّبانُ الفهميّ (١) :

كما ضُرِبَ الْيَعْسُوب أَنْ عافَ بَاقِرٌ   وما ذَنْبُهُ أَن عافَتِ المــاءَ بَاقِرُ

ولمّـا كان الثورُ أميرَ البقر ، وهى تطيعُه كطاعة إناث النحل لليعسوب ، سمَّاه باسم أميرِ النحْلِ .

وكانوا يزعمون أنَّ الجنَّ هى التى تصُدُّ الثِّيرانَ عن الماءِ حتى تُمْسِكَ البقرُ عن الشرب حتى تهلِك ، وقال فى ذلك الأعشى :

فإنِّى وما كلَّفتُمونى — وربِّـكم —   لأعلَمُ مَنْ أمْسَى أعقَّ وأَحوبا (٢)

لَـكالثَّور والجنّىُّ يَضرِبُ ظَهرَه   وما ذنْبُه أن عافَتِ الماءَ مَشرَبا

وما ذنْبُه أَنْ عافَتِ المــاءَ باقِرٌ   وما إن تَعَافُ الماءَ إلاَّ ليُضْرَبا (٣)

كأنّهقال : إذا كان يُضْرَبأبداً لأنهاعافتالماء، فكأنّها إنما عافَتِالماءَ ليُضْرَب .

وقال يحيى بن منصور الذُّهْلىّ فى ذلك :

لَـكالثَّور والجنّىّ يَضْرِبُ وَجْهَه   وما ذَنْبُه إن كانَتِ الجنُّ ظالِمه

وقال نَهْشَلُ بنُ حَرِّيٍّ (٤) :

أتُتْرَكُ عارضٌ وبنو عَــدِىٍّ   وتَغْــرَمَ دارِمٌ وهُم بَرَاءُ

كدأبِ الثَّوْرِ يُضْرَبُ بالهَراوَى   إذا ما عَافَتِ البَقَرُ الظِّمَاءُ (٥)

وكيف تـكلّفُ الشِّعرَى سُهيلاً   وبينَهما الـكواكبُ والسَّماءُ

---

(١) فى الأصل : « الهيتان ». وانظر الإصابة ج ٢ ص٩ والقاموس « هيب » . وفى ط، س : « الفقمى » صوابه فى ل .

(٢) فى ط ، س ، ١٠ س : « أحربا » بالراء . . وما أثبته عن ل .. يقال حاب بكذا : أثم ، والمصدر الحوب بفتح الحاء وتضم . وفى القرآن الكريم « إنه كان حوبا كبيرا » .

(٣) باقر : اسم جمع للبقر . ومثله بقير وبيقور وباقور وباقورة .

(٤) له ترجمة فى خزانة البغدادى ١ : ٢٨٤ بولاق .

(٥) فى الأصل : « بالبرارى » ، صوابه من حماسة البحترى ٣٥٣ .

وقال أبو نُوَيرة بن الحصين ، حين أخذه الحكم بن أيُّوب بذَنْب العَطَرَّق[1] :

أبا يُوسُفٍ لو كنتَ تَعلَمُ طاعَتِى ... ونُصْحِى إذَنْ ما بِعتَنى بالمحلَّق[2]

ولا ساقَ سَرّاقَ العِرافة صالحٌ[3] ... بَنِىَّ ولا كُلِّفْتُ ذَنْبَ العطرق[1]

وقال خِداش[4] بن زُهير حين أُخِذ بِدماء بنى محارب[5] :

أُكلفُ قَتْلَى مَعْشر لستُ مِنهمُ ... ولادارُهُمْ دارِى ولا نصرُهُم نَصْرِى

أُكَلَّفُ قَتلَى العِيصِ عِيصِ شُواحِط ... وذلك أمرٌ لم تُثَفّ لَهُ قِدْرِى[6]

وقال الآخر :

١١ إذا عَرَكت عِجْلٌ بنا ذَنْبَ طَيِّئٍ ... عَرَكْنا بتَيمِ اللاتِ ذنبَ بَنِى عِجْلِ

ولما وَجَدَ اليهودِىُّ أخا حنبض[7] الضبابىّ فى منزله فَخصَاه فمات ، وأخَذَ حنبض بنى عَبْسٍ بِجنايَة اليهودىّ ، قال قيسُ بن زُهَيْر : أتأخذُنا بذنْبِ غيرِنا ، وتسألنا العَقلَ والقاتلُ يهودىٌّ من أهل تيماء ؟ فقال : واللهِ أنْ لو قتلَتْه الريح ، لودَيْتُمُوه ! فقال قيس لبنى عَبْس : الموتُ فى بنى ذُبيانَ خَيْرٌ من الحياةِ فى بَنِى عامر ! ثم أنشأ يقول :

أكلَّفُ ذا الُحصَيْنِ إن كانَ ظَالِماً

وإن كنتُ مظلوماً وإن كنتُ شاطنا[8]

---

(١) فى ط « العطرف » بالفاء ، وصوابه فى ل ، س ، ١٠ س .

(٢) ماعدا ل و ١٠ س « إذن هاديتنى » . تحريف . وانظر الخزانة ٣ : ٢١٥ . وفى الخزانة : « والمحلق الضبى ولاه الحكم بن أيوب سفوان » .

(٣) فى ط : « سراف العرافة » وتصحيحه من ل ، س ، ١٠ س.

(٤) فى ط : « خراش » وما هنا عن ل . وخداش شاعر جاهلى ، من أشراف بنى عامر

(٥) فى ط : « بذنب ابن محارب » وتصحيحه من ل وكما يتضح من الشعر .

(٦) فى ط : « عيص شواهد » وهو تحريف مافى ل ، س ، ١٠ س . وفيها كذلك « لم يكلف له » وصوابه مافى ل ، س ، ١٠ س . وثفى القدر : وضع لها الأثافى وانظر معجم البكرى ٨١٥ وجمهرة أشعار العرب ١٠٩ .

(٧) ماعدا ل « أبا حنبض » ، صوابه فى ل والميدانى ٢ : ٥٩

(٨) شاطنا : بعيدا نائيا .

خصاه امرؤٌ من آلِ تيماءَ طائر
ولا يَعْدمُ الإنسيُّ والجنُّ كائنا[١]
فَهَلاَّ بنى ذُبيانَ – أمُّكَ هابِلٌ –
رَهَنْتَ بفَيفِ الرِّيحِ إن كُنْتَ رَاهِنا[٢]
إذا قلتُ قد أفلتُّ من شَرِّ حنبض
أتانى بأُخْرَى شرّه مُتَباطِنـــــا
فقد جَعَلَتْ أكبادُنا تجتويكُمُ
كما تجتَوِى سُوقُ العِضاهِ الكرازِنا[٣]

(قتل لقمان بن عاد لنسائه وابنته)

ولما قَتَل لُقمانُ بنُ عادٍ ابنتَه – وهى صُحْر أختُ لُقَيم – قال حين قَتَلها: أَلَسْتِ امرأة! وذلك أنّه قد كان تزوج عِدَّةَ نساء، كلُّهنَّ خُنَّهُ فى أنفُسهنّ، فلمَّا قَتَلَ أُخراهنَّ ونزل من الجبل، كان أوَّلَ من تلقّاه صُحْر ابنته، فوثَبَ عليها فقتلها وقال: وأنت أيضاً امرأة! وكان قد ابْتُلِي بأنَّ أختَه كانت مُحْمِقة[٤] وكذلك كان زوجُها، فقالتْ لإحدَى نساءِ لُقْمان: هذه ليلةُ طُهْرِى وهى ليلتُك، فدَعِينى أنامُ فى مَضجَعِك، فإنَّ لقمانَ رجلٌ مُنْجِب،

(١) فى ل: «من آل يتماء طابن» وفيها «طابنا» موضع «كائنا».
(٢) فى الأصل: «بهيف الريح» تحريف. وانظر خبر يوم فيف الريح فى الأغانى ١٥: ٧٠ وأمثال الميدانى ٢: ٣٥٨ والكامل لابن الأثير ١: ٣٨٧.
(٣) الكرزن وقد يكسر والكرزين: الفأس الكبير.
(٤) المحمقة والمحمق أيضا: المرأة تلد الحمق. قال السيوطى فى شرح شواهد المغنى ٦٧: وكانت تحت رجل أحمق.

فعسَى أن يقَع علىَّ فأُ نجِبَ . فوَقَعَ على أُختِه فحَمَلَتْ بلُقَيْم . فهو قولُ النَّمرِ بن تَولَب(١) :

لُقيمُ بنُ لُقمانَ من أُختِهِ فكانَ ابنَ أُختٍ لهُ وابنَما

ليالِيَ حمّقَ فاستحصَنَتْ عليه فغُرَّ بها مُظْلِما(٢)

فأحبَلَها رَجُلٌ مُحكِمٌ فجاءت به رجلاً مُحْكِماً(٣)

فضربت العربُ فى ذلك المثلَ بقتل لقمانَ ابنتَه صُحرًا ، فقال خُفافُ ابن نَدْبة فى ذلك :

وعَيّاش يُدِبُّ لى المنايا وما أذنَبْتُ إلّأذنَبَ صُحْر(٤)

وقال فى ذلك ابن أُذَيْنَة(٥) :

١٢ أتجمَع تَهيَاماً بليلَى إذا نأَتْ وهِجْرانَهاظُلماً كماظُلِمَتْ صُحْرُ

وقال الحارثُ بن عُبَاد :

قَرِّبا مربطَ النعامةِ مِنّى لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عَنْ حِيالِ(٦)

لم أكنْ من جُنَاتِها عَلِمَ اللّـ ـهُ وإنّى بحَرِّها اليومَ صالِي

وقال الشاعر ، وأظنّه ابنَ المقفَّع :

---

(١) شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ووفد إلى النبى صلى الله عليه وسلم وكتب له كتابا ، وروى عنه حديثا ، وكان أحد أجواد العرب المذكورين وفرسانهم .

(٢) فى ط « فعربه » . وغربها : خدع بها . ومظلما : فى الظلام .

(٣) المحكم : المنجب الذى يلد حكيما ، ويقابله المحمق : الذى يلد الحمق .

(٤) فى ثمار القلوب ٢٤٥ « وعباس يمهد لى المنايا » وفى ل « وعياش يدب إلى » . وأدبها : جعلها تدب .

(٥) هوعروة بن أذينة ، وأذينة لقب لأبيه ، واسم أبيه يحيى . شاعر مقدم من أهل المدينة ويعد فى الفقهاء والمحدثين أيضا ، ولكن غلب عليه الشعر ، وله ترجمة مستفيضة فى الأغانى ٢١ : ١٠٥ — ١١١ .

(٦) النعامة : فرس الحارث . وعن حيال : أى بعد انقطاع عن الحمل . والمعنى أنه قد جد الجد .

فلا تَلُمِ المرءَ فى شأنِهِ   فربَّ ملومٍ ولَمْ يُذْنِبِ

وقال آخر :

لعلَّ لَهُ عُذْراً وأَنتَ تَلُومُ   وكم لائمٍ قد لَامَ وهْوَ مُليم[١]

(حديث سِنِّمار)

وقال بعض العرب ، فى قتل بعضِ الملوكِ[٢] لِسِنِّمار الرومى ؛ فإنه لما علا الخَوَرْنَق ورأى بُنْياناً لم يرَ مثله ، ورأى فى ذلك المستشرف ، وخاف إن هو استبقاه أن يموت فيبنى مثلَ ذلك البنيانَ لرجُلٍ آخرَ من الملوك ، رمَى به من فوق القصر ، فقال فى ذلك الكلبىّ[٣] فى شىءٍ كان بينَه وبين بعضِ الملوك :

جَزَانى جَزَاهُ اللّهُ شَرَّ جزائهِ   جَزَاءَ سِنِمَّارٍ وما كان ذَا ذنبِ

سِوَى رَصِّه البنيانَ سَبعين حِجَّةً   يُعَلَّى عليه بالقَراميدِ والسَّكْبِ[٤]

فلما رأى البُنْيانَ تمَّ سُحُوقُه

وآضَ كمِثْلِ الطَّوْدِ ذِى الباذِخ الصَّعْبِ[٥]

وظنَّ سِنِمَّارٌ به كُلَّ حبوة   وفازَ لَدَيْهِ بالمودَّةِ والقُربِ[٦]

---

(١) كذا ، وحفظى أن الشعر الأول عجز ، صدره كما فى الميدانى ٢ : ١٢٦ :
تأن ولا تعجل بلومك صاحباً

(٢) قال الهيثم بن على : إنه النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن على. وقال ابن الكلبى : هو بهرام جور بن يزدجرد .

(٣) فى ثمار القلوب ص ١٠٩ أنه شراحيل الكلبى . وفى أمالى ابن الشجرى ١ : ١٠٢ أنه عبد العزى بن امرئ القيس .

(٤) القراميد : مفرده قرمد كجعفر وهو الآجر. والسكب: النحاس أوالرصاص ، ويحرك . وفى ثمار القلوب « عشرين حجة » وفى معجم البلدان « ستين حجة » .

(٥) فى معجم البلدان « كمثل الطود والشامخ الصعب » .

(٦) فى ل : «حبرة » بمعنى المرور .

فقال اقذِفُوا بالعِلْجِ مِنْ رأسِ شاهقٍ   فذاكَ لعَمْرُ اللهِ مِنْ أعظَمِ الخَطْب

وجاء المسلمونَ ، يروى خَلَفٌ عن سَلَف ، وتابعٌ عن سابِق ، وآخَرُ عنْ أوّل ، أنَّهمْ لم يختلِفُوا فى عيبِ قول زِياد[1] : « لآخُذَنَّ الوَلِيَّ بالوَلِيِّ ، والسَّمِي بالسَّمِيِّ ، والجارَ بالجارِ » ، ولم يختلفُوا فى لَعْن شاعِرِهم حيث يقول :

إذا أُخِذَ البَرِىءُ بِغَيْرِ ذَنْبٍ   تجَنَّبَ ما يُحاذِرُه السَّقِيمُ

قال : وقِيل لِعَمْرو بن عُبَيد : إنّ فلاناً لما قدَّم رجلاً ليُضْرَبَ عُنُقه ، فقيل له : إنَّه مجنون ! فقال : لولا أنَّ المجنونَ يَلِدُ عاقلا لخلَّيت سبيلَه . قال :

١٣ فقال عَمْرو : ماخَلَقَ اللهُ النَّارَ إلاّ بالحقّ !

ولمّا قالت التغلَبِيَّةُ للجَحَّاف ، فى وَقْعَة البِشْر[2] : فضَّ اللهُ فاكَ وأعماك ، وأطالَ سُهادَك ، وأَقَلَّ رُقادَك ، فوَالله إنْ قَتَلْتَ إلاّ نساءً أعالِيهنَّ ثُدِىٌّ ، وأسافِلُهُنَّ دُمًى ! ! فقال لِمنْ حَولَه : لولا أن تَلِدَ هذِه مثلَها لَخلَّيتُ سَبِيلَها ! فبلغ ذلك الحسنَ فقال : أمَّا الجَحَّاف فجَذْوةٌ من نارِ جهنَّم .

قال : وذمَّ رجلٌ عند الأحنفِ بنِ قيس الكَمْأةَ بالسَّمْنِ ، فقال عند ذلك الأحنَف : « رُبَّ مَذْمُومٍ لاذَنْبَ لَه[3] » .

فبهذِه السيرةِ سرتَ فينا .

وما أحسنَ ما قال سعيدُ بنُ عبدِ الرحمن[4] :

وإنّ امرأً أمْسَى وأصْبَحَ سالمًا   مِنَ النَّاسِ إلاَّ ما جَنَى لَسَعِيدُ

---

(١) هو ابن أبيه . والكلام فى خطبته البتراء المعروفة . انظر البيان ٢ : ٦٣ .

(٢) فى ط : « البسر » وهو تصحيف ، والبشر : جبل يمتد من الشام إلى الفرات . وانظر المعجم والأغانى ١٩ : ١٣٠ .

(٣) الخبر فى البيان والتبيين ٢ : ٣٤٤ ، ٣٧٤ .

(٤) هو سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

(عناية العلماء بالملح والفكاهات)

وقلتَ : وما بالُ أهلِ العلمِ والنظرِ، وأصحابِ الفكرِ والعِبَر، وأربابِ النِّحَلِ ، والعلماءِ وأهلِ البصر بمخارجِ المِلَل ، وورثةِ الأنبياء ، وأعوانِ الخلفاء ، يكتُبُون كتبَ الظُّرَفاءِ والمُلَحَاء ، وكُتب الفُرَّاغِ والخُلَعاء ، وكتبَ الملاهى والفُكَاهات ، وكتبَ أصحابِ الخصوماتِ ، وكتبَ أصحابِ المِراءِ ، وكتبَ أصحاب العصبيَّةِ وحَمِيَّةِ الجاهليّة ! ! ألِأَنَّهُمْ لايحاسِبون أنفسهم ، ولا يُوازِنون بينَ ما عليهم ولهم ، ولا يخَافُون تصفُّحَ العلماءِ ، ولا لائمة الأربَاءِ[1] ، وشنف الأَكْفَاء ، ومَشْنأة[2] الجُلَساء ! ؟

فهلاّ أمسكتَ - يَرْحَمُكَ الله - عَنْ عَيْبِها والطَّعْنِ عليها ، وعن المَشُورَةِ والموعِظة ، وعن تخويفِ مافى[3] سوء العاقبةِ ، إلى أنْ تبلغَ حالَ العلماء ، ومراتبَ الأَكْفاء ؟ !

فأمَّا كتابُنا هذا، فسنذكرُ جُمْلَةَ المذاهب[4] فيه، وسَنَأْتِى [بعد ذلك] على التفسير ، ولَعلَّ رأيَك عند ذلك أنْ يتحوَّل ، وقولَك أن يتبدل ، فتُثْبِتَ أو تكونَ قد أخذتَ من التوقُّفِ بنصيب، [إن شاء الله] .

---

(١) كذا فى ل . وفى ط « ولائمة الأدباء » .

(٢) فى ط : « شنأة » وصوابه شناءة، وأثبت مافى ١٠ س وأما فى ل فهى « مساءة » . والشنف بالتحريك وكذا المشنأة بمعنى، هو البغض .

(٣) فى ل : « مافيه » .

(٤) فى ط : « المذاهب » والوجه ماأثبته من ل، س .

(أقسام الكائنات)

وأقول : إنّ العالَمَ بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء : متَّفق ، ومختلف ، ومتضادٌّ ؛ وكلُّها فى جملةِ القول جمادٌ ونامٍ . وكان حقيقةُ القولِ فى الأجسام من هذه القِسْمة ، أن يقال : نامٍ وغيرُ نام . ولو أنَّ الحكماءَ وضعُوا لكلِّ ما ليس بنامٍ اسماً ، كما وضعُوا للنامى اسماً ، لاتبّعنا أَثَرَهُمْ ؛ وإنما ننتهى إلى حيثُ انتهوا . وما أكثَرَ ما تكونُ دلالةُ قولِهِمْ جماد ، كدَلالةِ قولهم مَوَات . وقد يَفترِقان فى مواضِعَ بعضَ الافتراق . وإذا أخرجت[1] من العالَمِ الأفلاكَ والبروجَ والنجومَ والشمسَ والقمر ، وجدتَها غيرَ نامية ، ولم تجدْهم يسمُّون شيئاً منها بجَماد ولا مَوات ، وليس لأنَّها تتحرَّكُ من تِلقاءِ أنفُسِها لم تُسَمَّ مواتاً ولا جماداً .

وناسٌ يجعلونها مدبِّرة غير مدبَّرة ، ويجعلونها مسخِّرة غير مسَخَّرَة[2] ، ويجعلونها أحْيَا من الحيوان ؛ إذْ كان الحيوانُ إنَّمَا يَحْيا بإحيائها لَه ، وبما تُعطيه وتُعيره . وإنما هذا منهم رأى ، والأُمَمُ فى هذا كلِّه على خلافِهم ، ونحنُ فى هذا الموضعِ إنَّما نعبِّر عن لُغَتنا ، وليس فى لُغتنا إلاّ ما ذكرنا .

والناسُ يسمُّون الأرضَ جماداً ، وربّما يَجعلونها مَوَاتاً إذا كانتْ لم

(١) فى ط : « خرجت » .

(٢) ماعدا ل و س : « مدبرة وناس غير مدبرة ويجعلونها مسخرة وغير مسخرة » وما هنا صوابه .

تُنْبِتْ قديماً ، وهى مَوَات الأرض ، وذلك كقولهم : مَنْ أحيَا أرضاً مواتاً فهى له .

وهم لايجعلون الماءَ والنارَ والهواءَ ، جماداً ولا مَوَاتاً ، ولا يسمُّونَها حيوان‍اً ما دامت كذلك ، وإن كانت لاتضاف إلى النَّماء والحسّ .

والأرضُ هى أحدُ الأركانِ الأربعة ، التى هى الماءُ والأرضُ والهواءُ والنار ، والاسمانِ لايتعاوَرَانِ عندَهم إلاّ الأرض .

(تقسيم النامي)

ثمَّ النامِى على قسمين : حيوان ونبات ، والحيوانُ على أربعة أقسام : شىءٌ يمشى ، وشىء يطير ، وشىء يسْبَحُ ، وشىءٌ يَنْسَاح[١] . إلاّ أنّ كلَّ طائرٍ يمشى، وليس الذى يَمْشى ولا يَطِير يسمى طائراً . والنوعُ الذى يَمشى على أربعةِ أقسام : ناس ، وبهائم ، وسباع ، وحشرات . على أنّ الحشَرَاتِ راجعةٌ فى المعنى إلى مشاكلةِ طباع البهائمِ والسباع . إلاّ أنّنا فى هذا كلِّه نتبع الأسماءَ القائمة[٢] المعروفة ، البائِنات بأنفُسِها، المتميِّزاتِ عند سامعيها، مِنْ أهلِ هذه اللغةِ وأصحاب هذا اللسان ، وإنّما نُفرِد ما أفْرَدوا ، ونَجْمَع ما جَمَعوا[٣] .

---

(١) ينساح : يمشى على بطنه .

(٢) فى ط « الفارقة » .

(٣) فى ط « وإنما يفرد ماأفردوا ويجمع ماجمعوا » .

(تقسيم الطير)

والطيرُ كلٌّ سَبُعٍ وبَهيمة وهَمَج . والسباعُ من الطير على ضَربَيْن : فمنها العِتاقُ والأحرارُ والجوارحَ ، ومنها البغاث[١] وهو كلُّ ماعظمَ من الطير : سبعاً كان أو بهيمة ، إذا لم يكنْ من ذواتِ السلاحِ والمخالبِ المعقَّفة ، كالنُّسورِ والرَّخَم والغِربان ، وما أشبهها مِنْ لئامِ السباع .

ثم الخَشاش ، وهو ما لطُف جِرمُه وصَغُر شخصه ، وكان عديمَ السلاح [ولا يكون[٢]] كالزُّرَّقِ[٣] واليُؤيُؤ[٤] والبادنْجار[٥] .

فأما الهَمَج فليس من الطير ، ولـكنَّه مَّما يطير . والهمَجَ فيما يطيرُ ، كالحشراتِ فيما يمشى .

والحيّاتُ من الحشرات ، وأىُّ سبعٍ أَدخَلُ فى معنى السَّبُعيَّة مِنَ الأفاعى والثعابين ؟ ولـكن ليس ذلك من أسمائها ، وإن كانتْ من ذوات الأنيابِ وأكَّالة اللُّحوم وأعداءِ الإنسِ وجَميعِ البهائم ، ولذلك تأكلُها الأوعَال[٦] والخنازيرُ والقَنافِذُ والعِقبان[٧] والشاهْمُرك[٨] والسنانير ، وغير ذلك من البهائم والسباع . فمَنْ جَعَلَ الحيَّاتِ سِباعاً ، وسمَّاها بذلك عندَ بعضِ القولِ والسببِ فقدْ أصابَ ، ومن جَعلَ ذلك لها كالاسمِ الذىهو العلامةُ

---

(١) فى القاموس ، البغاث مثلثة : طائر أغبر جمعه كغزلان ، وشرار الطير .

(٢) كلمة يفتقر إليها الكلام .

(٣) الزرق : طائر يصاد به ، بين البازى والباشق ، وفيه ختل وخبث .

(٤) اليؤيو : من جوارح الطير يشبه الباشق .

(٥) كذا فى ط وس و ١٠ س . وفى ل « الباذنجان» . وأراها محرفة عن « الباشق ». انظر الحيوان ٢ : ١٨٨ .

(٦) فى ط « الأوغال » وتصحيحه من ل ومن الحيوان للجاحظ ٢ : ٥٢ و ٦ : ٥٥ .

(٧) فى ط « الغربان» .

(٨) الشاهمرك : الفتى من الدجاج قبل أن يبيض بأيام قلائل، وهو معرب شاه مرغ ، ومعناه ملك الطير . الدميرى .

كالكَلْبِ والذئب والأسَد فقد أخطأ :

ومن سِباعِ الطيرِ شكلٌ يكون سِلاحُه المخالبَ كالعُقابِ وما أشبهها ، ١٥
وشيءٌ يكونُ سِلاحُه المناقيرَ كالنُّسُورِ والرَّخَمِ والغِرْبان ، وإنَّما جعلْناها سباعاً
لأنّها أكَّالةُ لحوم .

ومِنْ بهائم الطير ما يكون سلاحُه المناقيرَ كالكَرَاكِيِّ وما أشبهها ، ومنه
ما يكونُ سلاحُه الأسنانَ كالبُومِ والوَطْوَاطِ وما أشبهها ، ومنه ما يكون
سلاحُه الصياصى كالدِّيَكَة ، ومنه ما يكون سلاحه السَّلْح[1] كالحُبارى[2]
والثعلب أيضا كذلك .

والسَّبع من الطير : ما أكل اللحمَ خالصاً ، والبهيمةُ : ما أكلت الحبَّ
خالصاً . وفى الفنِّ الذى يجمعها من الخلْقِ المركَّبِ والطبع المشترَك ، كلامٌ
سنأتى عليه فى موضعه إن شاء الله تعالى .

والمشترَك عندهم كالعصفور ؛ فإنَّه ليس بذى مِخْلَبٍ معقَّف ولامِنْسَر[3]
وهو يلقط الحبَّ ، وهو مع هذا يصيد النَّمْل[4] إذا طار ، ويَصيد الجرادَ ،
ويأْكُلُ اللحم ، ولا يَزُقُّ فِرَاخَه كما تزقُّ الحمامُ ، بل يُلْقِمها كما تُلْقِمُ
السباعُ من الطير فراخَها . وأشباهُ العصافيرِ من المشترَك كثيرٌ ، وسنذكُر
ذلكَ فى موضِعه إن شاء الله تعالى .

---

(١) السلح والسلاح كغراب : النجو .

(٢) فى ط « كالجارى » والصواب « كالحبارى » كما فى ل . وهى من الطيور التى سلاحها سلاحها .

(٣) المنسر كمجلس ومنبر : منقار الطير الجارح .

(٤) فى ط « النحل » والصواب « النمل » كما فى ل فان النحل طائر بطبعه ، وأما النمل فيعرض له الطيران حين الكبر ، قال أبو العتاهية :

وإذا استوت للنمل أجنحة   حتى يطير فقد دنا عطبه

وليس كلُّ ما طار بجَناحينِ فهو من الطير ؛ قد يطير الجِعْلانُ والجَحْلُ واليَعاسِيبُ والذّبابُ والزّنابِيرُ والجَرادُ والنمْل والفَراشُ والبَعوضُ والأَرضَة والنحلُ وغيرُ ذلك، ولا يسمَّى بالطير . وقد يقال ذلك لها عند [بعض] الذكرِ والسبب . وقد يسمُّون الدجاجَ طيراً ولا يسمُّون بذلك الجراد ، والجرادُ أَطْيَر (١) ، والمثلُ المضروبُ به أشهر ، والملائكةُ تَطِيرُ ، ولها أجنحةٌ وليستْ من الطير . وجَعفر بن أبى طالب ذو جناحين يَطِير بهما فى الجنَّة حيثُ شاء ، وليس جعفرٌ من الطير .

واسم طائرٍ يقَع على ثلاثة أشياء : صورة ، وطبيعة ، وجَناح . وليس بالريشِ والقَوادِمِ (٢) والأباهِرِ (٣) والخوافى (٤) ، يسمَّى طائراً ، ولا بعدمه يسْقط ذلك عنه . ألا ترى أنَّ الخفَّاشَ والوَطواطَ من الطير ، وإن كانا أمْرَطَينِ ليس لهما رِيشٌ ولا زَغَبٌ ولا شَكِيرُ ولا قَصَب (٥) وهما مشهورانِ بالحمل والولادة ، وبالرَّضاع ، وبظهور حَجْم الآذان ، وبكثرة الأسنان . والنعامة ذاتُ ريشٍ ومِنقارٍ وبَيضٍ وجَناحين ، وليست من الطير .

وليس أيضاً كلُّ عائمٍ سمكة ، وإن كان مناسباً للسمك فى كثير من معانيه . ألا تَرَى أنّ فى المــاء كَلْبَ الماء ، وعنْزَ المــاء ، وخِنزيرَ الماء ؛ وفيه الرِّقُّ (٦) والسُّلَحْفاة ، وفيه الضِّفْدَع وفيه السرطان ، والبَيْنيبُ (٧) ،

(١) فى ط « طير » والصواب ما فى ل . وأطير : أشد طيرانا .

(٢) القوادم والقدامى — كحبارى — أربع أو عشر ريشات فى مقدم الجناح . الواحدة قادمة.

(٣) الأبهر : الجانب الأقصر من الريش ، جمعه أباهر .

(٤) الخوافى : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .

(٥) الزغب : الريش القصير . والشكير : صغار الريش بين كبارها . والقصب : ضرب من صغار الريش .

(٦) قال الدميرى : بكسر الراء وبالقاف : ضرب من دواب المــاء يشبه التمساح . والرق أيضاً : العظيم من السلاحف ، وجمعه رقوق .

(٧) ورد هذا الاسم محرفا فى جميع النسخ فهو فى ط « التبتل » وفى ل « البنيل » وفى س « الثبتل» وصوابه فى الدميرى قال : « على وزن فيعيل سمك بحرى معروف عند أهل البحر » . وانظر معجم المعلوف ٢٥١ .

والتِّمساح والدُّخس والدُّلْفين واللَّخْمُ والبنبك[١] ، وغيرُ ذلك من الأصناف .
والكَوسَج والد اللُّخم ، وليس للكوسج أبٌ يُعرَف . وعامَّةُ ذا يَعيش فى الماء ، ١٦
ويبيت خارجاً من الماء ، ويَبِيضُ فى الشطِّ ، ويَبيض بيضاً له صُفْرَةٌ ، وقَيْضٌ
وغِرْقِئٌ ، وهو مع ذلك ممّا يكون فى الماء مع السمك .

(تقسيم الحيوان إلى فصيح وأعجم)

ثمَّ لا يخرج الحيوان بعد ذلك فى لغة العرب من فصيح وأعجم ، كذلك يقال فى الجملة ، كما يقال الصامت لما لا يَصْنَع صمتاً قطُّ ولا يجوز عليه خلافه ، والناطق لِمَا لَمْ يتكلَّمْ قطُّ ، فيحملون ما يرغو ، ويَثغو ، ويَنهَق ، ويَصْهِل ، ويَشْحَج ، ويَخُور ، ويَبْغَم ، ويَعوِى ، ويَنبَح ، ويَزْقُو ، ويَضْغُو ، ويَهْدِر ، ويَصْفِر ، ويُصَوْصِى ، ويُقَوْقِى ، ويَنْعَبُ ، ويَزْأَر ، ويَنْزِبُ[٢] ، ويكِشُّ ، ويَعِجُّ[٣] ، على نطقِ الإنسان إذا جمع بعضه على بعض . ولذلك أشباهٌ ، كالذكور والإناث إذا اجتمعا ، وكالعِيرِ التى تسمَّى لَطِيمة ،

---

(١) فى الأصل : « البلبل » والصواب ما كتبته عن القاموس وعن معجم المعلوف ٢٢٥ قال الفيروزبادى « والبنبك ، كقنفذ وجندل : دابة كالدلفين ، أو سمك يقطع الرجل نصفين فيبلعه » .

(٢) فى ط « يترب » وفى ل « ينبر » وهو تحريف ماأثبت .

(٣) الرغاء للإبل ، والثغاء للشاء ، والنهيق للحمير ، والصهيل للخيل ، والشحيج للبغال ، والخوار للثيران ، والبغام للظباء ، والعواء للذئاب ، والنباح للكلاب ، والزقاء للديكة ، والضغاء للسنانير ، والهدير للفحول ، والصفير للنسور ، والصوصأة للجراء ، والقوقأة للدجاج ، والنعيب للغربان والبوم ، والزئير للأسد ، والنزيب للظباء أو ذكورها خاصة ، والكشيش للأفاعى تحدثه بجلودها . والعجيج : الصياح ، وأحسب هذه الكلمة « يفح » والفحيح صوت الأفاعى تحدثه بأفواهها .

وكالطَّعْن ؛ فإنَّ هذه الأشياءَ إذا وجد بعضُها إلى بعض ، أو أَخَذ بعضُها من بعض ، سُمِّيَتْ بأنبه النوعَين ذِكْرًا ، وبأقْواهما . والفصيحُ هو الإنسان ، والأعجم كلُّ ذى صوتٍ لا يفهَمُ إرادتَه إلاّ ما كان من جنسه . ولعمرى إنا نفهم[١] عَن الفرَس والحمارِ والكلبِ والسِّنَّور والبعير ، كثيراً من إرادته وحوائجه وقصوده[٢] ، كما نفهم إرادةَ الصبىِّ فى مَهْده ونعلم[٣] — وهو من جليل العلم — أنَّ بكاءَه يدلُّ على خلافِ ما يدُلُّ عليه ضَحِكُه . وحَمْحَمَةُ الفرَس عند رؤية المخلاة[٤] ، على خلاف ما يدلُّ عليه حَمحمتُه عند رؤية الحِجْر ، ودُعاء الهِرَّةِ الهرَّ خلافُ دعائِها لولدها ، وهذا كثير .

والإنسانُ فصيح ، وإنْ عبَّرَ عن نفسِه بالفارسيّة أو بالهنديّة أو بالروميّة ، وليس العربىُّ أسوأ فهماً لِطَمْطَمَةِ الرومىِّ [من الرومى] لبيانِ لسان العربىّ . فكلُّ إنسانٍ من هذا الوجه يقال له فصيح ، فإذا قالوا : فصيح وأعجَم ، فهذا هو التأويل فى قولهم أعجم ، وإذا قالوا العرب والعجم ولم يلفظوا بفصيح وأعجم ، فليس هذا المعنى يريدون ، إنَّما يَعنُون أنَّه لايتكلَّم بالعربيَّة ، وأنَّ العربَ لا تفهم عنه . وقال كُثَيِّر :

فبُورِكَ ما أعطَى ابنُ لَيلَى بِنِيَّةٍ   وصامتُ ما أعطَى ابنُ ليلى وناطقُه

---

(١) كذا على الصواب فى ل . . وفى ط « إن التعميم » .

(٢) فى الأصول « وقصوره » بالراء ولم يظهر معناه ، فكتبت مكانه « قصوده » جمع قصد .

(٣) فى ط : « ونفهمه » . وانظر البيان ١ : ١٦٢ .

(٤) فى ط « الفحل » وليس بالوجه . والوجه مافى ل ، وورد فى ط زيادة « من » قبل « حمحمة » وإثباتها يفسد التركيب .

ويقال « جاء بما صَأى[1] وصمت » . فالصامت مثل الذهب والفضّة ، وقوله صَأى[1] يعني الحيوانَ كلَّه ، ومعناه نطق وسكت ؛ فالصامت في كلِّ شيءٍ سوَى الحيوان .

ووجدْنا كونَ العالَم بما فيه حكمةً ، ووجدْنا الحِكمةَ على ضربَين : شيءٌ جُعِلَ حكمةً وهو لا يَعقِل الحِكمةَ ولا عاقبةَ الحِكمة ، وشيءٌ جُعِل حكمةً وهو يَعْقِل الحِكمة وعاقبةَ الحِكمة . فاستوى بذاكَ الشيء العاقلُ وغير العاقل في جهةِ الدَّلالةِ على أنَّهُ حكمة ، واختلفا من جهةِ أنَّ أحدهما دَليلٌ لا يَسْتَدِلّ ، والآخر دليل يستدل ، فكلُّ مُسْتَدِلٍّ دليل وليس كلُّ دليل مستدلا ، فشارك كل حيوانٍ سوى الإنسان ، جميعَ الجمادِ في الدَّلالة ، وفي عدم الاستدلال[2] ، واجْتَمَع للإنسان أنْ كان دليلاً مستَدِلاًّ . ١٧

ثُمَّ جُعِل للمستدِلِّ سببٌ يدلُّ به على وجوهِ استدلاله ، ووُجوهِ ما نتج له الاستدلال ، وسمَّوا ذلك بياناً .

(وسائل البيان)

وجُعِل البيانُ على أربعة أقسام : لفظ ، وخطّ ، وعَقْد[3] ، وإشارة ،

(١) في ط « ضأى » بالضاد ، وهو تصحيف صوابه ما في ل ، س .

(٢) في ط « وفي عدم الاستدلال وسموا ذلك بيانا » . و « وسموا ذلك بيانا » عبارة إضافية لامعنى لها .

(٣) تحدث الجاحظ عن العقد في البيان ١ : ٢٧ ، ٧٦ ، وقال : إنه الحساب دون اللفظ والخط ، وقد علق الجاحظ عليه أهمية كبرى إذ يقول « وفي عدم اللفظ وفساد الخط ، والجهل بالعقد فساد جل النعم ، وفقدان جمهور المنافع » . فيظهر أن ذلك الضرب من الحساب كان شائعا في عصره . ووجدت للبغدادي كلاماً في (العقد) ٣ : ١٤٧ بولاق ، قال « واعلم أن العقود والعقد نوع من الحساب يكون بأصابع اليدين يقال له : حساب اليد ، وقد ورد منه في الحديث : وعقد عقد تسعين . وقد ألفوا فيه كتبا وأراجيز » . وانظر الخزانة .

وجُعِل بيانُ ٱلدليل ٱلذى لا يستدِلُّ تَمْكِينَهُ المستدِلَّ من نفسه ، واقتيادَه كلَّ من[1] فكَّر فيه إلى معرفةِ ما استُخْزِنَ من البرهان ، وَحُشِىَ[2] من ٱلدَّلَالة ، وأُودِع مِن عَجيب الحكمة . فالأجسامُ الخُرْسُ الصامتة ، ناطقةٌ مِن جهة ٱلدَّلالة ، ومُعْرِبةٌ من جهة صحَّة الشهادة ، على أنَّ ٱلذى فيها من التدبير والحكمة ، مخبرٌ لمن استخبَرَه ، وناطقٌ لِمَنْ استنطقه ، كما خبَّر الهُزَالُ وكُسُوف اللونِ ، عن سُوءِ الحال ، وكما ينطق السِّمَنُ وحُسْنُ النَّضْرَة ، عن حسن الحال . وقد قال الشاعر [وهو نصيب] :

فعاجُوا فأثنَوا بالذى أَنْتَ أَهلُه ... ولو سكتوا أثنتْ عليكَ الحقائبُ

وقال آخر :

مَتى تَكُ فى عدوٍّ أو صديقٍ ... تُخَبِّرْكَ العيونُ عن القلوبِ

وقد قال العُكْلِىُّ[3] فى صِدق شمِّ ٱلذئب وفى شدّةِ حسِّه واسترواحه :

يَستخبِرُ الريحَ إذا لم يَسْمَعِ ... بمثل مقراعِ الصَّفا الموقَّعِ[4]

وقال عنترة ، وهو يصف نَعِيبَ غُراب :

حَرِقُ الجَناحِ كأنّ لَحْيَىْ رأسه ... جَلَمانِ بالأخبار هَشٌّ مُولَع[5]

---

(١) فى ط « واقتياده فكل » وأصلحت العبارة من ل .

(٢) فى ط « وحتى » وهو تصحيف ظاهر توجيهه فى ل .

(٣) هو أبو الردينى العكلى ، كما فى البيان ١ : ٨٢ . وانظر اللسان (مخر) .

(٤) قال الجاحظ فى البيان : المقراع : الفأس التى يكسر بها الصخر . والموقع : المحدد .

(٥) فى ط « خرق » بالخاء وهو تصحيف ، صوابه فى ل وفى البيان . قال الجاحظ فى البيان ١ : ٨٢ : « الحرق : الأسود ، شبه لحييه بالجلمين لأن الغراب يخبر بالغربة والفرقة ، ويقطع كما يقطع الجلمان » . وقد ذكر ابن رشيق هذا البيت فى العمدة ١ : ٢٠٢ وجعله من التشبيهات العقم ، التى لم يسبق أصحابها إليها ولا تعدى أحد بعدهم عليها .

وقال الفضل بن عيسى بن أبان فى قصصه[١] : سَل الأَرْضَ ، فقلْ : مَنْ شقَّ أنهارَكِ ، وغَرَسَ أشجارَكِ ، وجَنَى ثِمارَكِ ؛ فإنْ لم تُجبكَ حِواراً ، أجابتْكَ اعتبارا .

فموضوعُ الجسم ونَصْبته ، دليلٌ على مافيه وداعيةٌ إليه ، ومنبهة[٢] عليه . فالجمادُ الأبكمُ الأخرسُ من هذا الوجه ، قد شارَكَ فى البيان الإنسانَ الحىَّ الناطق. فمَنْ جَعَل أقسام البيان خمسة ، فقد ذهَبَ أيضاً مذهباً له جوازٌ فى اللغة ، وشاهدٌ فى العقل . فهذا أحدُ قِسمَى الحكمة ، وأحَدُ مَعْنَيَىْ[٣] ما استخزنها[٤] الله تعالى من الوديعة . ١٨

(ما يعجز عنه الإنسان مما قدر عليه الحيوان)

والقسمة الأُخرى ما أودَعَ صدورَ صنوفِ سائرِ الحيوان ، مِنْ ضُرُوبِ[٥] المعارف ، وفَطَرها عليه من غريب[٦] الهدايات ، وسخَّر حناجِرَها لَهُ من ضروبِ النَّغَم الموزونة ، والأَصواتِ الملحَّنة ، والمخارِجِ الشجيَّة ، والأَغانى المطربة ؛ فقد يقال إنَّ جميعَ أصواتها معدَّلة ، وموزونة موَّقعة ، ثمَّ الذى سهَّل لها من الرفق العجيبِ فى الصنعة ، مما ذَلَّله الله تعالى لمناقيرها وأكُفِّها ، وكيف فَتَحَ لها من باب المعرفةِ على قدر ما هَيَّأَ لها من الآلة ، وكيفَ أَعطَى كثيراً مِنها مِنَ الحسِّ اللطيفِ ، والصنْعةِ البديعة ، من غير تأديبٍ وتثقيف ، ومن غيرِ تقويمٍ وتلقين ، ومن غير تدريج وتمرين ، فبَلَغَتْ بعَفوها وبمقدار قوى فِطرتها ، من البَديهةِ

---

(١) انظر البيان ١ : ٨١ .

(٢) فى ط « ومهيمنة » والوجه مافى ل .

(٣) فى الأصل « معنى » والصواب التثنية .

(٤) فى الأصل « استخزنهما » والضمير راجع إلى « الحكمة » .

(٥) فى ط « ضرب » وصوابه فى ل .

(٦) فى ط « غيريب » وهو تصحيف ظاهر .

والارتجال ، ومن الابتداءِ والاقتضاب ، ما لا يَقْدرُ عليه حُذّاقُ رجالِ الرأى ، وفلاسفةُ علماءِ البشر ، بِيَدٍ ولا آلة . بل لا يبلغ ذلك من الناسِ أكملُهُمْ خصالا وأَتمُّهُمْ خلالاً ، لا مِن جهة الاقتضاب والارتجال ، ولا من جِهة التعسُّف والاقتدار ، ولا من جهة التقدُّم فيه ، والتأنِّى فيه ، والتأتِّى له . والترتيبِ لمقدِّماته ، وتمكين الأَسباب المُعِينةِ عليه . فصار جهد[1] الإِنسا ن الثاقبِ الحسِّ ، الجامعِ القُوى ، المتصرِّفِ فى الوجوه ، المقدَّم فى الأُمور ، يَعجِز عن عَفْوِ كَثيرٍ منها ؛ وهو ينظرُ إلى ضروب ما يجىء منها ، كما أعطيت العنكبوتُ ، وكما أعطِيَت السُّرْفَة ، وكما عُلِّم النحْل ، بل[2] وعُرِّفَ التُّنَوِّطُ مِن بديعِ المعرفة ، ومِن غَرِيبِ الصنعة ، فى غير ذلك مِن أصناف الخلق . ثم لم يوجب لهم[3] العجزَ فى أَنْفُسِهِمْ فى أكثر ذلك ، إلاّ بما قوى عليه الهَمَجُ والْخشَاشُ وصِغارُ الحشرات ، ثم جعل الإِنسان ذا العقلِ والتمكينِ[4] ، والاستطاعة والتصريف ، وذا التكلُّفِ والتجرِبَة ، وذا التأنِّى والمنافَسَة ، وصاحبَ الفهْمِ والمسابَقَة[5] ، والمتبصِّرَ شأنَ العاقبة ، متى أحسَنَ شيئا كان كلُّ شيءٍ دونَه فى الغُمُوض عليه أَسهلَ ، وَجَعَل سائِرَ الحيوانِ ، وإن كان يحسنُ أحدُها ما لا يحسنُ أحذَقُ الناس متى أحسنَ شيئاً عجيبا ، لم يمكنْهُ أن يُحسِن ما هو أقربُ منه فى الظنّ ، وأسهلُ منه فى الرأى ، بل لا يحسِنُ ما هو أقرب منه فى الحقيقة . فلا الإِنسانُ جَعَلَ

(١) فى ط « جملة » وصوابه فى ل .
(٢) هذا الحرف ليس فى ل .
(٣) فى ط ، ل « يوجدهم » موضع « يوجب لهم » وما أثبته هو الوجه .
(٤) فى ط « ليعلم الإنسان أن ذا العقل والتمكين » ووجهه ما فى ل لتتم المقارنة بقوله بعد : « وجعل سائر الحيوان . . الخ » .
(٥) فى الأصل « السابقة » وكتبت ما هو أشبه بالكلام .

نفسه كذلك ، ولا شيءٌ من الحيوان اختارَ ذلك ، فأحسَنَتْ هذه الأجناسُ بلا تعلُّم ، ما يمتَنِع على الإنسان وإن تعلَّم ، فصار لا يحاوله ؛ إذْ كان ١٩ لاَ يطمع فيه ، ولا يحسُدُها ؛ إذ لا يؤمِّل اللَّحاقَ بها . ثمّ جعل تعالى وعزَّ ، هاتين الحكمتين بإزاء عُيونِ الناظِرين ، وتُجاهَ أسماعِ المعتَبِرين ، ثمَّ حثَّ على التفكير والاعتبار ، وعلى الاتّعاظ والازدِجار ، وعلى التعرُّفِ والتبيُّنِ ، وعلى التوقُّفِ والتذكُّر ، فَجَعَلَها مذكِّرةً منبِّهة ، وجَعَلَ الفِطر تُنْشِئ(١) الخواطرَ ، وتجُولُ بأهلها فى المذاهب. ذَلِكَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ ، ﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾ .

(مزج الهزل بالجدّ فى الكتاب)

وهذا كتابُ موعظةٍ وتعريفٍ وتفقُّهٍ وتنبيه . وأراكَ قد عِبتَه قبل أن تقفَ على حُدودِه ، وتتفكَّرَ فى فصوله ، وتَعتبِرَ(٢) آخرَه بأوله ، ومَصَادِرَه بمَوارده ، وقد غلّطَك فيه بعضُ ما رأيتَ [فى أثنائه] من مزحٍ لم تعرف معناه ، ومن بَطالةٍ لم تطّلِعْ على غَورها ؛ ولم تدرِ لمَ اجتُلِبت ، ولا لأيِّ علّةٍ تُكُلِّفت ، وأيّ شيءٍ أُرِيغَ بها ، ولأيِّ جِدٍّ احتُمِل ذلك الهزل ، ولأيِّ رياضةٍ تُجُشِّمتْ تلك البَطالة ؛ ولم تَدْرِ أَنَّ المزاحَ جِدٌّ إذا اجتُلِب ليكون علّةً للجِدِّ ، وَأَنَّ البَطالة وَقارٌ ورَزانة ، إذا تُكُلِّفت لتلك العاقبة . ولمّا قال الخليلُ بن أحمد : لا يصل أحدٌ من علم النحو إلى ما يحتاجُ إليه .

---

(١) هذا ما فى ل . وفى ط « وجعل الفكر ينشئ » .
(٢) فى الأصل « تتفكر » والوجه : « تعتبر » .

حتَّى يتعلَّم ما لا يحتاج إليه ، قال أَبو شمر : إذا كان لا يُتوصَّل إلى ما يحتاج إليه إلاّ بما لا يحتاج إليه ، فقد صار ما لا يُحتاج إليه يُحتاج إليه . وذلك مثل كتابنا هذا ؛ لأنّه إن حَمَلْنَا جميعَ من يتكلَّف قراءةَ هذا الكتابِ على مُرِّ الحق ، وصُعوبة الجِدّ ، وثِقل المئونة ، وحِلية الوقار ، لم يصبر عليه مع طوله إلاّ من تجرَّدَ للعلم ، وفهم معناه ، وذاق من ثمرته ، واستشعر قلبه من عزِّه ، ونال سروره على حسب ما يُورث الطولُ من الكَدّ ، والكثرةُ من السآمة . وما أكثر مَن يُقَاد إلى حظِّه بالسواجير[1] ، وبالسوق العنيف ، وبالإخافة الشديدة .

(نعت الكتاب)

ثم لم أرَكَ رضِيتَ بالطعن على كلِّ كتاب لى بعينه ، حتَّى تجاوزتَ ذلك إلى أنْ عبت وضْعَ الكتبِ كيفما دارت بها الحالُ ، وكيفَ تصرفَتْ[2] بها الوجوه . وقد كنتُ أعجَب من عيبك البعضَ بلا علم ، حتَّى عِبتَ الكلَّ بلا علْم ، ثم تجاوزْت ذلك إلى التشنيع ، ثم تجاوزتَ ذلك إلى نصب الحربِ فعبتَ الكِتَابَ ؛ ونعم الذخر والعقدة[3] هو ، ونعم الجليس والعُدَّة ، ونعم النشرة والنزهة ، ونعم المشتغل والحرفة ، ونعم الأنيس لساعة الوحدة ، ونعم المعرفةُ ببلاد الغربة ، ونعم القرين والدخيل ، ونعم الوزير والنزيل .

٢٠ والكتاب وعاءٌ مُلِئَ علماً ، وَظَرْفٌ حُشِي ظَرْفاً ، وإناءٌ شُحِن مُزَاحاً وجِدًّا ؛

(١) الساجور : خشبة تعلق فى عنق الكلب . وسجره : شده به كسوجره . وانظر البيان ٣ : ٥٠ .

(٢) فى الأصل : « تصرف » .

(٣) العقدة ، بضم العين : مافيه بلاغ الرجل وكفايته .

إنْ شئتَ كان أبينَ من سَحْبانِ وائل ، وإن شئت كان أعيا من باقِل ، وإن شئتَ ضَحِكْتَ مِنْ نوادِرِه ، وإن شئتَ عَجِبتَ من غرائبِ فرائِده ، وإن شئتَ ألهتْك طرائِفُه ، وإن شئتَ أشجَتْك مواعِظُه . وَمَنْ لكَ بِواعِظٍ مُلْهٍ ، وبزاجرٍ مُغرٍ ، وبناسكٍ فاتِك ، وبناطقٍ أخرسَ ، وببارِدٍ حارّ . وفى البارد الحارِّ يقولُ الحسنُ بن هانئ[1] :

قُلْ لزُهيرٍ إذا انتحَى وشدا أَقْلِلْ أَوَ اكْثِر فأَنْتَ مِهْذَارُ[2]

سَخُنْتَ مِنْ شِدَّةِ البُرُودَةِ حَـ ـتَّى صِرْتَ عِنْدِى كأَنَّكَ النارُ[3]

لَايَعْجَبِ السامعُون مِنْ صِفَتِي كذلك الثلجُ بارِدٌ حارُ[4]

ومَنْ لَكَ بطبيب[5] أعرابىّ ، وَمَنْ لَكَ بِرُومىٍّ هِنْدِىّ ، وبفارسى[6] يُونَانىّ ، وبقَديمٍ مولَّد ، وبميِّتٍ ممتَّع[7] ، وَمَنْ لَكَ بشىءٍ يَجْمَعُ لكَ الأَوَّلَ والآخِر ، والناقص والوافر ، والخفىَّ والظاهر ، والشاهدَ والغائبَ ، والرفيعَ والوضيع ، والغَثَّ والسمين ، والشَّكْلَ وخِلافَه ، والجنسَ وضدَّه .

وبعد : فمتى رأيتَ بستاناً يُحَمل فى رُدْن[8] ، وروضةً تُقَلُّ[9]

---

(١) الأبيات فى الديوان ١٨١ وعيون الأخبار كذلك ٢ : ٧ والعقد ٦ : ٧٥ .

(٢) فى ط « إذا انتحى لشدا » وتصحيحه من ل والديوان ، وعيون الأخبار . وفى ط « مهدار » بالدال .

(٣) فى أخبار أبى نواس لابن منظور ١٤ : « هذا شىء أخذه أبو نواس من مذاهب حكماء الهند ، فإنهم يقولون : إن الشىء إذا أفرط فى البرودة انقلب حارا . وقالوا : إن الصندل يحك منه اليسير فيبرد ، فإذا أكثر منه سخن » .

(٤) خفف راء (حار) لضرورة الوزن .

(٥) فى ط « بطيب » وأصلحته من ل ومن المحاسن ٤ .

(٦) فى ط «بفارس» وصوابه فى ل والمحاسن ٤ .

(٧) فى ط « ممتنع » وفى المحاسن : « ونجيب ممتع » .

(٨) الردن : أصل الكم . ويظهر أنهم يستعملونه كذلك فى الكم نفسه .

(٩) فى ط « تقلب » ، والوجه « تقل » لتتلاءم مع « يحمل » إذ هما بمعنى . وفى المحاسن « تنقل » .

فى حِجْرٍ ، وناطقاً ينطِق عن الموتَى ، ويُترجمُ عن الأحياء ! ! وَمَنْ لك بمؤنس لاينام إلاّ بنومِك ، ولا ينطق إلاّ بما تهوَى ؛ آمَنُ مِنَ الأرض ، وأكتَمُ للسرِّ من صاحب السرِّ ، وأحفَظُ للوديعةِ من أرباب الوديعة ، وأحفَظ لما استُحْفِظَ من الآدميِّين ، ومن الأعْرَابِ المعربين[1] ، بل مِنَ الصِّبيانِ قبلَ اعتراضِ الاشتغال ، ومن العُميانِ قبلَ التمتُّع بتمييز الأشخاص ، حينَ العنايةُ تامَّةٌ لم تَنْقُص ، والأذهانُ فارغةٌ لم تنقَسِم ، والإرادَةُ وافرةٌ لم تتشعَّب ، والطِّينَةُ ليِّنة ، فهى أقبلُ ماتكون للطبائعِ ، والقضيبُ رطبٌ ، فهو أقربُ مايكون من العُلوق ، حينَ هذه الخصالُ لم يَخْلَق جديدُها ، ولم يُوهَنْ غَرْبُهَا ، ولم تتفرَّق قُواها ، وكانت كما قال الشاعر[2] :

أتانى هواها قبل أنْ أعرِفَ الهَوى ... فصادفَ قلباً خالياً فتمكّنا

وقال عَبْدة بن الطَّبيب[3] :

لاتأمَنوا قوماً يَشِبُّ صبيُّهم ... بَيْنَ القوابِلِ بالعَداوةِ يُنْشَعُ[4]

ومن كلامهم : التعلُّمُ فى الصِّغَر كالنقشِ فى الحجر. وقد قال جِرَانُ العَودِ[5] :

[تُرِكْنَ برجلة الروحاء حتَّى ... تنكّرتِ الديارُ على البَصير]

٢١ كَوَحْيٍ فى الحِجارةِ أو وُشُومٍ ... بأَيْدِى الرُّومِ بَاقِيَةِ النَّئُور

وقال آخر ، وهو صالحُ بن عبد القُدُّوس :

وإنّ مَن أدَّبتَه فى الصِّبَى ... كالعُود يُسْقَى الماءَ فى غَرْسِهِ

---

(١) فى ط « المتعربين » وإنما يتعرب الأعاجم . وهو تحريف صوابه فى ل .

(٢) هو مجنون بنى عامر كما فى بيان الجاحظ ٢ : ٤٢ .

(٣) البيت ساقط من ل . وفى ط « نميرة بن الطبيب » والتصحيح من س .

(٤) نشع الصبى وأنشعه : أوجره . والنشوع : الوجور .

(٥) شاعر نمرى اسمه عامر بن الحارث ، لقب بذلك لقوله يخاطب امرأتيه :

خذا حذرا ياجارتى فإننى ... رأيت جران العود قد كاد يصلح

وله ديوان طبعته دار الكتب .

حَتَّى تَرَاهُ مُورِقاً ناضِرًا بعدَ الذى قد كان فى يُبْسِهِ[١]

وقال آخر :

يُقَوِّمُ مِنْ مَيلِ الغُلامِ المؤدِّبُ ولايَنْفَعُ التأديبُ والرأسُ أشيَبُ

وقال آخر :

وَتَلُومُ عِرْسَكَ بَعْدَ ما هَرِمَتْ وَمِنَ العَنَاءِ رِياضَةُ الهَرِمِ

وقد قالَ ذو الرُّمَّةِ[٢] لعيسى بن عمر[٣] : اُكتبْ شِعرى ؛ فالكتابُ أحبُّ إلىَّ من الحفظ . لأنَّ الأعرابىَّ ينسى الكلمةَ وقد سِهر فى طلبها ليلَته ، فيضَعُ فى موضعها كلمةً فى وزنها ، ثم يُنشِدُها الناسَ ، والكتاب لايَنْسى ولا يُبدِّلُ كلاماً بكلام .

وعبتَ الكتابَ ، ولا أعلَمُ جاراً أبرَّ ، ولا خَليطاً أنصف ، ولا رفيقاً أطوعَ ، ولا معلِّماً أخضعَ ، ولا صاحباً أظهرَ كفايةً ، ولا أقلَّ جِنايَةً ، ولا أقلَّ إمْلالاً وإبراما ، ولا أحفَلَ أخلاقاً ، ولا أقلَّ خِلافاً وإجراماً ، ولا أقلَّ غِيبةً ، ولا أبعدَ من عَضِيهة[٤] ، ولا أكثرَ أعجوبةً وتصرُّفاً ، ولا أقلَّ

---

(١) المحفوظ « من يبسه » .

(٢) فى ط « ذو الرومة » وواضح تحريفه .

(٣) عيسى بن عمر الثقفى ، أبو عمر ، مولى خالد بن الوليد ، نزل فى ثقيف فنسب إليهم ، إمام فى النحو والعربية ، أخذ عن أبى عمرو وعبد الله بن أبى إسحق ، وروى عن الحسن البصرى والعجاج ورؤبة ، وعنه الأصمعى ، ويقال إنه له نيفا وسبعين مصنفا ذهبت كلها ، وكان يتقعر فى كلامه . حكى عنه الجوهرى فى الصحاح وغيره ، أنه سقط عن حمار فاجتمع إليه الناس فقال : « مالى أراكم تكأكأتم على كتكأكئكم على ذى جنة ؟ ! افرنقعوا عنى » . واتهمه عمر بن هبيرة بوديعة ، فضربه نحو ألف سوط ، فجعل يقول : « والله إن كانت إلا أثيابا فى أسيفاط قبضها عشاروك ! » . وانظر بغية الوعاة ٢٧٠ .

(٤) العضيهة : الكذب والإفك والبهتان .

تصلُّفاً وتكلُّفاً، ولا أبعَدَ مِن مِراءٍ ، ولا أتْرَكَ لشَغَب، ولا أزهَدَ فى جدالٍ ، ولا أكفَّ عن قتالٍ ، من كتاب . ولا أعلمُ قريناً أحسنَ مُوَافاةً ، ولا أعجَل مكافأة ، ولا أحضَرَ مَعُونةً ، ولا أخفَّ مَئُونَة، ولا شجرةً أطولَ عمراً، ولا أجمعَ أمراً ، ولا أطيَبَ ثمرةً ، ولا أقرَبَ مُجتَنى ، ولا أسرَعَ إدراكاً ، ولا أوجَدَ فى كلِ إبَّانٍ ، من كتاب . ولا أعلمُ نِتاجاً فى حَدَاثةِ سنِّه وقُرْب ميلادِه ، ورُخْص ثمنه ، وإمكانِ وُجوده ، يجمَعُ من التدابيرِ العجيبَة والعلومِ الغريبة ، ومن آثارِ العقولِ الصحيحة ، ومحمودِ الأذهانِ اللطيفة ، ومِنَ الحِكَم الرفيعة ، والمذاهب القويمة[1] ، والتجارِبِ الحكيمة ، ومِنَ الإخبارِ عن القرون الماضية ، والبلادِ المتنازِحة ، والأمثالِ السائرة ، والأمم البائدة ، مايجمَعُ لك الكتابُ . قال الله عزّ وجلّ لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿ إقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . ٱلَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ فوَصَفَ نَفْسَهُ ، تبارك وتعالى ، بأنْ علَّمَ بالقَلم ، كما وصف نفسَه بالكرَم ، واعتدَّ بذلك فى نِعَمه العِظام، وفى أياديه الجسام . وقد قالوا : القَلَمُ أحدُ اللسانَين، وقالوا : كلُّ مَنْ عرَف النِّعمةَ فى بَيان اللسانِ ، كان بفضل النِّعمة فى بيانِ القلم أعرَف . ثمَّ جعَلَ هذا الأمرَ قرآناً ، ثمَّ جعلَه فى أوَّل التنزيل ومستَفْتَح الكتاب .

٢٣

(كون الاجتماع ضروريا)

ثمَّ اعلمْ ، رحِمَك الله تعالى ، أنّ حاجةَ بعضِ الناس إلى بعضٍ ، صفةٌ لازمةٌ فى طبائِعهم ، وخِلقةٌ قائمةٌ فى جواهِرِهم، وثابتةٌ لاتُزايلُهم، ومُحيطةٌ بجماعتِهم ، ومشتملةٌ على أدناهم وأقصاهم ، وحاجتُهُمْ إلى ما غاب عنهم —

(١) فى الأصل « القديمة » بالدال .

مما يُعيشُهم ويُحْييهم ، ويُمسِك بأرْماقِهم ، ويُصلِحُ بالهم ، ويَجْمَع شملَهم ، وإلى التعاوُنِ فى دَرْكِ ذلك ، والتوازُرِ عليه — كَحَاجَتِهم إلى التعاون على معرفة ما يضرُّهم ، والتوازرِ على ما يحتاجون من الارتفاق بأمورهم التى لم تَغِبْ عنهم ، فحاجَةُ الغائبِ مَوصُولةٌ بحاجةِ الشاهد، لاحتياج الأدنَى إلى معرِفة الأقصى ، واحتياجِ الأقصى إلى معرفَةِ الأدنى ، معانٍ متضمَّنةٌ ، وأسبابٌ متَّصلة ، وحبالٌ منعقدة . وجعل حاجتَنا إلى معرفة أخبارِ مَنْ كان قبلَنا ، كحاجةِ [من كان قبلنا إلى أخبار مَنْ كان قبلهم ، وحاجةِ] من يَكُونُ بعدَنا إلى أخبارِنا ؛ ولذلك تقدَّمت فى كتب الله البِشارات بالرُّسل ، ولم يسخِّر لهم جميعَ خلْقه ، إلاّ وهم يحتاجُون إلى الارتفاق بجميع خلْقه . وجعلَ الحاجَةَ حاجَتَين : إحداهما قِوامٌ وقُوت ، والأخرى لذَّةٌ وإمْتاعٌ وازديادٌ فى الآلَة ، وفى كلٍّ ما أجذَلَ النفوس ، وجمع لهم العَتاد[1] . وذلكَ المقدارُ مِنْ جميع الصِّنْفَين وفقٌ لكثْرةِ حاجاتِهم وشهَوَاتهم ، وعلى قدْر اتّساعِ معرفتهم وبُعْدِ غَوْرهم ، وعلى قَدْرِ احتمال[2] طبع البشريَّة وفِطرةِ الإنسانيَّة . ثم لم يقطعِ الزيادةَ إلا لعجْزِ خلقِهم عن احتمالها ، ولم يجز أن يفرق بينهم وبين العجْز ، إلاّ بعدَم الأعيان ، إذ كان[3] العجزُ صفةً من صفاتِ الخلق ، ونعتاً من نُعوتِ العبيد .

لم يخلق الله تعالى أحداً يستطيعُ بلوغَ حاجتِه بنفسه[4] دونَ الاستعانة

---

(١) فى ط : « المعتاد » وصوابه فى ل .

(٢) فى ط : « اعتبار » وتصحيحه من ل .

(٣) فى ط : « إذا » وهو تحريف يقع كثيرا فى مواضع تشبه هذا .

(٤) فى ط : « بنسفه » والوجه ما أثبت عن ل .

ببعضٍ من سخَّرَ له ، فأدناهم مسخَّرٌ لأقصاهم ، وأجلُّهم ميسَّر لأدقِّهم .
وعلى ذلك أحوَجَ الملوكَ إلى السُّوقة فى بابٍ ، وأحوَجَ السُّوقَةَ إلى الملوك
فى باب ، وكذلك الغنىُّ والفقير ، والعبدُ وسيِّدُه . ثُمَّ جَعلَ الله تعالى كلَّ
شيءٍ للإنسان خَوَلاً ، وفى يَدِه مُذَلَّلاً مُيَسَّرًا[1] إمّا بالاحتِيالِ له والتلطُّفِ
فى إراغَتِه واستِمالتِه ، وإمّا بالصَّوْلةِ عليه ، والفتكِ به ، وإمّا أَنْ يأْتِيَهُ
سهواً ورهواً . على أَنَّ الإنسانَ لولا حاجَتُهُ إليها ، لما احتالَ لها ، ولا صَالَ
٢٣ عليها . إلاّ أَنَّ الحاجةَ تفترِق فى الجنس والجهةِ والجِبِلَّة ، وفى الحظِّ والتقدير .

ثُمَّ تعبَّدَ الإنسانَ بالتفكُّرِ فيها ، والنظرِ فى أُمورِها ، والاعتبارِ
بما يَرَى ، ووَصَلَ بينَ عُقولهم وبَيْنَ معرفةِ تلك الحكَم الشريفة ، وتلك
الحاجاتِ اللازمة ، بالنظرِ والتفكير ، وبالتنقيب[2] والتنْقير ، والتثبت[3]
والتوقُّف ؛ ووَصَلَ معارفَهم بمواقعِ حاجاتِهم إليها ، وتشاعُرِهم بمواضع
الحكم فيها بالبيانِ عنها .

(البيان ضرورى للاجتماع)

وهو البيانُ الذى جعلَه الله تعالى سبباً فيما بينَهم ، ومعبِّراً عن حقائق
حاجاتِهم ، ومعرِّفاً لمواضع سدِّ الخلَّة ورفْع الشبهة ، ومداواةِ الحيرة ، ولأنَّ
أكثرَ الناسِ عن الناس أفهمُ منهم عن الأَشباحِ الماثلة ، والأجسامِ
الجامدة ، والأجرامِ الساكنة ، التى لايُتَعَرَّفُ ما فيها من دَقائق الحكمةِ

---

(١) فى ط : « مذ ، إلا ميسرا » والوجه مافى ل .
(٢) كذا فى ل : وهو الصواب . وفى ط : « والتنقب » .
(٣) كذا فى ل وهو الوجه . والذى فى ط : والتشبث » .

وكُنوزِ الآداب ، وينابيعِ العلم ، إلاّ بالعقلِ الثاقب اللطيف ، وبالنظرِ التامِّ النافذ ، وبالأداةِ الكاملة ، وبالأسبابِ الوافرة ، والصبرِ على مكروه الفكر ، والاحتراسِ من وُجوه الخُدَع ، والتحفُّظِ مِن دواعي الهوى ؛ ولأنَّ الشِّكْلَ أفهَمُ عن شِكله ، وأسكَنُ إليه وأصَبُّ به . وذلك موجودٌ فى أجناسِ البهائم ، وضُروبِ السباع . والصبيُّ عن الصبيِّ أفهمُ له ، وله آلفُ وإليه أنزَع ، وكذلك العالِمُ والعالم ، والجاهل والجاهل ، وقال الله عزّ وجلّ لنبيِّه عليه الصلاة والسلام ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً ﴾ لأنَّ الإنسان عن الإنسان أفهم ، وطباعَه بطِباعه آنس ؛ وعلى قدْر ذلك يكونُ موقعُ ما يسمع منه .

ثمَّ لم يرضَ لهم من البنيان بصِنفٍ واحد ، بل جمع ذلك ولم يفرِّق ، وكثَّر ولم يقلِّل ، وأظهَرَ ولم يُخْفِ ، وجعَل آلة البيانِ التى بها يتعارَفُون معانِيَهُم ، والتَّرْجُمانَ الذى إليه يرجِعون عند اختلافِهم ؛ فى أربعة أشياء ؛ وفى خَصْلةٍ خامسة ؛ وإن نقصت عن بلوغ هذه الأربعة فى جهاتها ، فقد تُبدَّل بجنسها الذى وُضِعت له وصُرِفتْ إليه ، وهذه الخصال هى : اللفظ ، والخطّ ، والإشارة ، والعَقْد ؛ والخصلة الخامسة ما أوجَدَ من صحَّة الدَّلالةِ ، وصدقِ الشهادة ووُضوحِ البرهان ، فى الأَجْرَامِ الجامدة والصامتة ، والساكنة التى لاتَتَبيَّن (١) ولا تحسُّ ، ولا تَفهَم ولا تتحرَّك إلّا بداخلٍ يدخل عليها ، أو عندَ مُمْسِكٍ خلِّى عنها ، بعد [أَنْ] كان تقييده لها .

ثمَّ قسّم الأقسامَ ورتّب المحسوسات ، وحصَّل الموجوداتِ ، فجعل اللفظَ للسامع ، وجعل الإشارةَ للناظر ، وأشرَك الناظرَ واللامس فى معرفة

---

(١) فى ل : « لاتتنبس » ، أى تنطق . والتبين هنا معناه التفهم .

٢٤ العَقْد ، إلّا بما فضّل الله به نصيبَ الناظرِ فى ذلك على قدْرِ نصيبهِ اللامس . وجَعَلَ الخطَّ دليلاً على ما غابَ من حوائجه عنه، وسبباً موصُولاً بينه وبين أعوانه ؛ وجعله خازناً لما لا يأمَن نسيانَه ، ممَّا قد أحصاه وحفِظه ، وأتقنه وجَمعه ، وتكلف الإحاطة به ؛ ولم يجعل للشامِّ والذائِق نصيبا .

(خطوط الهند)

ولولا خطوطُ الهِندِ لضاع من الحساب الكثيرُ والبسيط ، ولبطلت[1] مَعرِفةُ التضاعيف ، ولعَدِموا الإحاطةَ بالباورات وباورات الباورات[2] ، ولو أدرَكوا ذلك لَمَا أدْرَكُوه[3] إلّا بعد [أَنْ] تغلُظَ المَئُونة ، وتنتَقِضَ المُنّةُ ، ولصارُوا فى حالِ مَعْجَزَةٍ وحسور ، وإلى حالِ مَضيعَةٍ وكَلالِ حدّ ، مع التشاغُلِ بأمورٍ لولا فقدُ هذه الدَّلالةِ لكان أربحَ لهم ، وأرَدَّ عليهم ، أن يُصرَف ذلك الشغلُ فى أبوابِ منافع الدين والدنيا .

(نفع الحساب)

ونفع الحساب معلوم، والخَلَّةُ فى موضعِ فقدِه معروفة . قال الله تعالى: ﴿ الرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ . ثم قال: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ . وبالبَيانِ عرَفَ الناسُ القرآنَ . وقال الله تباركَ وتعالى

---

(١) فى ط : « ولبلطت » .

(٢) رسمت هذه الكلمات باثبات ألفات بعد واواتها فى ط : ورسمت فى ل بحذفها .

(٣) فى ط : « ولو أدكروا ذلك لما أدكروه » وهو تحريف أصلحته من ل .

﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ، وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ فأجْرَى الحسابَ مُجرَى البيان بالقرآن . وبحُسْبان منازلِ القمر ، عرَفنا حالاتِ المدِّ والجزْر ، وكيف تكونُ الزيادةُ فى الأهِلَّة وأنصافِ الشهور[1] ، وكيف يكونُ النقصانُ فى خلال ذلك ، وكيف تلك المراتبُ وتلك الأقدار .

(فضل الكتابة)

ولولا الكتبُ المدوَّنَة والأخبار المخلَّدة ، والحكم المخطوطة التى تُحصِّنُ الحسابَ وغيرَ الحساب ، لبَطَل أكثر العلم ، ولغلَب سُلطانُ النِّسيانِ سلطانَ الذكْر ، ولَمَا كان للناس مفزعٌ إلى موضعِ استذكار . ولو تمَّ ذلك لَحرِمْنا أكثرَ النفع ؛ إذ كنَّا قد علمْنا أنَّ مقدار حفْظ الناسِ لعواجل حاجاتهم وأوائلها ، لايَبلغ من ذلك مبلغًا مذكوراً ولا يُغْنِى فيه غَنَاء[2] محمودا . ولو كُلِّفَ عامّةُ مَن يطلب العلمَ ويصطَنِع الكتب ، ألاّ يزال حافظا لفهرست كتبه لأَعجزه ذلك ، ولكلِّفَ شططاً ، ولَشَغله ذلك عن كثيرٍ ممّا هو أولى به . وفهمُك لمعانى كلامِ الناس ، ينقطع قبل انقطاعِ فهْمِ عين الصوتِ مجرَّدا ، وأَبعَدُ فهمِك لصوتِ صاحبك ومُعامِلك والمعاونِ لك ، ما كان صياحًا صرفا ، وصوتًا مصمتًا ونداءً خالصا ، ولا يكون ذلك إلاّ وهو بعيدٌ من المفاهمة ، وعُطْلٌ من الدّلالة . فجعل اللفظَ

---

(١) انظر الحيوان ٧ : ٤١ .

(٢) فى ط : « غنا » وصوابه المدكما فى ل .

لأقرَبِ الحاجاتِ ، والصوتَ لأنفَسَ من ذلك قليلا ، والـكتابُ للنازح
٢٥ من الحاجاتِ . فأمّا الإشارة فأقربُ المفهومِ منها : رَفْعُ الحواجبِ ، وكسرُ
الأجفان ، وليُّ الشِّفاهِ وتحريك الأعناق ، وقبْض جلدةِ الوجه ؛ وأبعدُها
أن تلوى بثوبٍ على مقطع جبل ، تُجاهَ عينِ الناظر ، ثمَّ ينقطع عملُها ويدرُس
أثرها ، ويموت ذكرها ، ويصير بعدُ كلُّ شيءٍ فضَل عن انتهاء مدَى الصوت
ومنتهى الطرف ، إلى الحاجة وإلى التفاهم بالخطوطِ والكتب . فأيُّ نفعٍ أعظمُ ،
وأيُّ مِرْفَقٍ أعوَنُ من الخطِّ ، والحالُ فيه كما ذكرنا ! ! وليس للعَقْد حظُّ
الإشارةِ فى بُعد الغاية .

(فضل القلم)

فلذلك وضع الله عزّ وجلّ القلم فى المكان الرفيع ، ونوّه بذِكره
فى المَنْصِب الشريف حين قال ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ فأقسَمَ بالقَلَم
كما أقسمَ بما يُخَطُّ بالقلم ؛ إذ كان اللسانُ لا يتعاطى شأوَه ، ولا يشُقُّ
غبارَه ولا يجرى فى حلبته ، ولا يتكلف [بُعْدَ] غايتِه . لكنْ لما أنْ
كانت حاجات الناسِ بالحَضْرة[1] أكثرَ مِنْ حاجاتهم فى سائر الأماكن ،
وكانت الحاجَةُ إلى بيانِ اللسانِ حاجةً دائمة واكدة ، وراهِنةً ثابِتة ،
وكانت الحاجةُ إلى بَيانِ القلم أمراً يكونُ فى الغَيبة وعند النائبة ، إلاَّ
ما خُصَّت به الدواوين ؛ فإنّ لسانَ القلم هناك أبسَطُ ، وأثرَهُ أعَمُّ ، فلذلك

---

(١) الحضر بالتحريك والحضرة والحاضرة والحضارة بالكسر ويفتح : خلاف البادية .

قدَّموا اللسانَ على القلم . فاللسانُ الآنَ إنَّما هو فى منافع اليدِ[١] والمرافق التى فيها ، والحاجاتِ التى تبلُغها .

(فضل اليد)

فمن ذلك حظُّها وقِسْطُها من منافع الإشارة ، ثم نَصيبُها فى تقويم القلم ، ثم حَظُّها[٢] فى التصوير ، ثم حَظُّها فى الصناعات ، ثم حَظُّها فى العَقْد ، ثم حَظُّها فى الدَّفْع عن النفس ، ثمَّ حَظُّها فى إيصال الطعام والشراب إلى الفم ، ثم التوضُّؤ والامتساح[٣] ، ثم انتقادِ الدنانيرِ والدراهمِ ولُبسِ الثِّياب ، وفى الدفع عن النفس ، وأَصْنافِ الرَّمْى ، وأصنافِ الضرْب ، وأصناف الطعْن ، ثم النَّقْرِ بالعُود وتحريكِ الوتر ؛ ولولا ذلك لبَطَل الضرْبُ كلُّه أو عامَّتُه . وكيف لا يكون ذلك كذلك ولها ضَرْبُ الطبْل والدُّفّ ، وتحريكُ الصفَّاقَتين[٤] ، وتحريك مخارِق خروق المزامير ، وما فى ذلك من الإطلاق والحبس . ولو لم يكنْ فى اليدِ إلاَّ إمساكُ العِنان والزِّمام والخِطام ، لكانَ من أعظمِ الحظوظ .

وقد اضطرَبوا فى الحكْم بين العَقْد والإشارة ، ولولا أنّ مغْزانا فى هذا الكتابِ سوى هذا الباب ، لقد كانَ هذا ممّا أُحِبُّ أن يعرفَه إخوانُنَا

(١) فى ل « إنما يوفى منافع اليد » .

(٢) هذه الكلمة ومكرراتها هى فى ط : « خطها » وهو تصحيف أصلح من ل .

(٣) فى ط : « والتمسح » .

(٤) الظاهر أنها آلة موسيقية تشبه تلك التى يستعملها أصحاب الموسيقى النحاسية : قرصين نحاسيين يضرب أحدهما بالآخر .

وخلطاؤنا . فلا ينبغي لنا أيضاً أن نأخذ في هذا الباب من الكلام ، إلاّ بعدَ
الفَراغ ممَّا هو أولى بنا منه ، إذ كنتَ لم تنازِعْني ، ولم تَعِبْ كتبي ، من طريقِ ٢٦
فضل[1] ما بين العَقْد والإشارة ، ولا في تمييز ما بين اللفظ وبينهما ، وإنَّما
قَصَدْنا بكلامنا إلى الإخبار عن فضيلة الكتاب .

(فضل الكتاب)

والكتابُ هو الذي يؤدِّي إلى الناس كتبَ الدين[2] ، وحسابَ الدواوين
مع خفَّة نقلِه ، وصِغَر حجمه ؛ صامتٌ ما أسكتَّه ، وبليغٌ ما استنطقته. ومَن
لك بمسامر لا يبتديك في حالِ شُغْلك ، ويدعُوك في أوقاتِ نشاطِك ،
ولا يُحوجك إلى التجمُّل له والتذمُّم منه . ومَن لكَ بزائرٍ إن شئتَ جعل
زيارتَه غِبًّا ، ووُروده خِمْسا ، وإن شئت لَزِمَك لزومَ ظلِّك ، وكان منك
مكانَ بعضِك .

والقلمُ مكتفٍ بنفْسه ، لا يحتاج إلى ما عندَ غيرِه ؛ ولا بدَّ لبيان اللسانِ
من أمور : منها إشارة اليد ، ولولا الإشارةُ لَمَا فهموا عنك[3] خاصَّ الخاصِّ
إذا كان أخصُّ الخاصِّ قد يدخل في باب العامّ ، إلاّ أنّه أدنى طبقاته ؛ وليس
يكتفي خاصُّ [الخاصّ] باللفظ عمَّا أدّاه ، كما اكتفى عامُّ العامّ والطبقاتُ
التي بينه وبين أخصِّ الخاصّ .

والكتابُ هو الجليس الذي لا يُطريك ، والصديق الذي لا يغْريك ،

---

(١) كذا . ولعلها « فصل » .
(٢) في ل : « كتب علم الدين » .
(٣) في ط « عن » وتصحيحه من ل .

والرفيقَ الذى لا يَمَلُّكَ ، والمستَميح الذى لا يستَريثُك[1] ، والجارُ الذى لا يَسْتَبْطِيك ، والصاحبُ الذى لا يريد استخراجَ ما عندَك بالملَق ، ولايعامِلُك بالمَكر ، ولا يخدَعك بالنِّفاق ، ولا يحتالُ لك بالكَذِب . والكتابُ هو الذى إنْ نظرتَ فيه أطالَ إمتاعَك ، وشحَذَ طباعَك ، وبسَط لسانَك ، وجوَّدَ بَنانك ، وفخَّم ألفاظَك ، وبجَّح[2] نفسَك ، وعَمَّر صدرك ، ومنحكَ تعظيمَ العوامِّ وصَداقةَ الملوك ، وعَرفتَ به فى شهر ، ما لا تعرفُه من أفواهِ الرجال فى دهْر ، مع السلامةِ من الغُرم ، ومن كدِّ الطلب ، ومن الوقوفِ بباب المكتسِب بالتعليم ، ومِن الجُلوس بين يدَىْ مَن أنت أفضلُ منه خُلُقاً ، وأكرمُ منه عِرْقا ، ومع السلامةِ من مجالَسَة الْبُغَضاء ومقارنَةِ الأغبياء . والكتابُ هو الذى يُطِيعُك بالليل كطاعتِه بالنهار ، ويطيعُك فى السفر كطاعته فى الحضر ، ولا يعتلُّ بنومٍ ، ولا يعتَريه كَلالُ السهرِ . وهو المعلِّمُ الذى إن افتقرتَ إليه لم يُخفِرْك ، وإن قطعتَ عنه المادَّة لم يقطعْ عنك الفائدة ، وإن عُزِلتَ لم يدَعْ طاعتَك ، وإن هبَّتْ ريحُ أعاديك لم ينقلبْ عليك ، ومتى كنتَ منه متعلِّقاً بسبب أو معتصِما بأدْنى حبْل ، كان لك فيه غنًى من غيره ، ولم تَضْطَرَّك [معه] وحشةُ الوَحدةِ إلى جليس السوء . ولو لم يكن مِن فضْله عليك ، وإحسانِه إليك ، إلاّ منعُه لكَ من الجلوس على بابك ، والنظرِ إلى المارَّةِ بك ، مع ما فى ذلك من التعرُّض للحقوقِ التى تَلزَم ، ومن فُضولِ ٢٧

---

(١) المستميح : طالب العرف . واستراثه : استبطأه . وفى ط : « يشتريك » . وفى ل : « يستزيدك » وهما تحريف ماأثبت .

(٢) البجح محركة : الفرح ، وبجح به كفرح ، وبجحته تبجيحا فتبجح : أى أفرحته ففرح .

النظَر ، ومن عادةِ الخوض فيما لا يعنيك[١] ، ومِن ملابسةِ صغارِ الناس ، وحضورِ ألفاظهم الساقطة ، ومعانيهم الفاسدة ، وأخلاقهم الرديَّة ، وجَهالاتهم المذمومة ، لكان فى ذلك السلامة ، ثم الغنيمةُ ، وإحرازُ الأصل ، مع استفادةِ الفرع . ولو لم يكن فى ذلك إلاّ أنّه يشغَلُك عن سُخْف المُنَى وعن اعتياد الراحة ، وعن اللعب ، وكلِّ ما أشبهَ اللعب ، لقدكان على صاحبه أسبَغَ النعمةَ وأعظَمَ المِنَّة .

وقد علمنا أنَّ أفضلَ ما يقطع به الفُرَّاغ نهارَهم ، وأصحابُ الفُكاهات ساعاتِ ليلِهم ، الكتاب . وهو الشيء الذى لا يرى لهم فيه مع النيل أثرٌ فى ازدِياد تجربةٍ ولا عقلٍ ولا مروءة ، ولا فى صونِ عرض ، ولا فى إصلاحِ دِين ، ولا فى تثمير مال ، ولا فى رَبِّ صنيعة[٢] ولا فى ابتداء إنعام .

(أقوال لبعض العلماء فى فضل الكتاب)

وقال أبو عبيدة ، قال المهلَّب لبنيه فى وصيَّتِه : يا بَنِيَّ لا تقوموا فى الأسواقِ إلاّ على زَرَّادٍ أو وَرَّاق[٣] .

وحدَّثنى صديقٌ لى قال : قرأتُ على شيخٍ شامىٍّ كتاباً فيه مِن مآثر غطفان فقال : ذهبَ المكارمُ إلاّ من الكتب .

وسمعتُ الحسن اللؤلؤى[٤] يقول : غَبَرت أربعين عاما ما قِلْتُ

(١) بدل هذه الجملة فى ط « ومن عادة الحرص » .

(٢) رب الصنيعة : تعهدها .

(٣) الزراد : صانع الدروع . والمهلب يوصى بنيه باستكمال أسباب الفروسية والعلم .

(٤) فى ط « أبا الحسن اللؤلؤى » والصواب ماأثبته . والحسن هذا هو ابن =

ولا بِتُّ] ولا اتكأت] إلاّ والكتابُ موضوعٌ على صدرى(١) .

وقال ابن الجهْم : إذا غشِيَنى النعاس فى غير وقتِ نوم — وبئس الشىءُ النومُ الفاضِلُ(٢) عن الحاجة — قال : فإذا اعترانى ذلك تناولتُ كتاباً من كُتب الحِكَم ، فأجدُ اهتزازى للفوائِد ، والأريحيَّة(٣) التى تعترينى عند الظفَر ببعض الحاجة ، والذى يغشَى قلْبى من سرور الاستبانة وعزِّ التبيين(٤) أشدَّ إيقاظاً مِن نَهيق الحمير وهَدَّةِ الهدْم .

وقال ابن الجهم : إذا استحسنتُ الكتابَ واستجدتُه ، ورجوتُ منه الفائدة ورأيتُ ذلك فيه — فلو ترانى وأنا ساعةً بعدَ ساعةٍ أنظرُ كم بقى من ورقِهِ مخافةَ استنفاده ، وانقطاعِ المادَّة من قَلْبِه ، وإن كان المصحفُ عظيمَ الحجم كثير الورق ، كثير العدد — فقد تمَّ عيشى و كَمُلَ سرورى .

وذكر العتبى(٥) كتاباً لبعض القدماء فقال : لولا طولُه وكثرةُ ورقه

= زياد اللؤلؤى الكوفى ، قاض فقيه من أصحاب أبى حنيفة ، أخذ عنه وسمع منه ، وكان عالما بمذهبه بالرأى . وله عدة كتب فى الفقه . عن معجم الأعلام للزركلى . . وقد روى الجاحظ فى البيان ٢ : ٣٣٠ ، ٣ : ٣٧٨ أن الحسن اللؤلؤى كان فى بعض الليالى بالرقة يحدث المأمون ، والمأمون يومئذ أمير ، إذ نعس المأمون ، فقال له اللؤلؤى : نمت أيها الأمير ؟ ففتح المأمون عينه وقال : سوقى والله ! خذ ياغلام بيده ! !

(١) إشارة إلى التزامه القراءة وعدم هجرها إلا وقت النعاس . وغبرت : مكثت . وقال يقيل : نام وقت الظهيرة .

(٢) فى ط : « الفاصل » والصواب مافى ل .

(٣) فى الأصل « الأريحة » والوجه ماأثبت .

(٤) كذا . ولعلها » التبين » .

(٥) فى ل : « القينى » وهو تصحيف مافى ط . وقد اشتهر بهذا اللقب ثلاثة رجال أحدهم محمد بن أحمد بن عبد العزيز الأموى القرطبى الأندلسى وكان قاضيا وتوفى سنة ٢٥٤ هـ . . وثانيهم محمد بن عبد الجبار العتبى أبو نصر ، مؤرخ من الكتاب الشعراء ، أصله من الرى ونشأ فى خراسان ثم استوطن نيسابور وانتهت إليه رياسة الإنشاء فى خراسان والعراق وتوفى سنة ٤٢٧ . وثالثهم هذا الذى يعنيه الجاحظ =

لنسختُه . فقال ابن الجهم : لكنّي ما رغّبني فيه إلاّ الذى زهّدك فيه ؛ وما قرأتُ قطُّ كتاباً كبيراً فأخْلاني من فائدة ، وما أُحصِى كم قرأتُ من صغارِ الكتب فخرجتُ منها كما دخلت .

٢٨ وقال العتبي ذاتَ يومٍ لابن الجهم : ألا تتعجَّبُ من فلانٍ ! نَظَر فى كتابِ الإقليدس مع جارية سَلْمَويه[1] فى يومٍ واحد ، وساعة واحدة ، فقد فرغتِ الجاريةُ من الكتابِ وهو بعدُ لم يُحكِم مقالةً واحدة ، على أنّه حُرٌّ مخيَّر ، وتلك أَمَةٌ مقصورة ، وهو أحرصُ على قراءةِ الكتاب مِن سَلْمَوَيه على تعليمِ جارية . قال ابن الجهم : قد كنت أظنُّ أنّه لم يفهم منه شكلاً واحداً ، وأُرَاك تزعم أنّه قد فرغ من مقالة ! ! قال العتبي : وكيف ظننتَ به هذا الظنَّ ، وهو رجلٌ ذو لسانٍ وأدب ؟ قال : لأنّي سمعتُه يقول لابنِه : كم أنفقتَ على كتابِ كذا ؟ قال : أنفقت عليه كذا ، [قال[2]] : إنّما رَغَّبَنى[3] فى العلم أنّى ظننتُ أنّى أنفق عليه قليلاً وأكتسِب كثيراً ، فأمّا إذ صرتُ أنفِق الكثيرَ ، وليس فى يدى إلاّ المواعيدُ ، فإنّى لا أريد العلمَ بشيء ! !

= وهو محمد بن عبد الله من بنى عتبة بن أبي سفيان . أديب كثير الأخبار ، له شعر حسن من أهل البصرة ووفاته فيها . وله تصانيف حسان منها « أشعار النساء اللاتى أحببن ثم أبغضن » و « الأخلاق » و « الخيل » . قال ابن النديم ١٧٦ : «كان العتبى وأبوه سيدين أديبين فصيحين » وانظر حواشي البيان ٢ : ١٨٢

(١) هو سلمويه بن بنان طبيب فاضل، خدم المعتصم واختص به حتى إن المعتصم لما مات سلمويه قال « سألحق به ، لأنه كان يمسك حياتى ويدبر جسمى » وكان سلمويه قد اكتسب من خدمة الخلفاء سياسة اقترنت بعقله ، فحدث له منها حسن الرأى والنظر فى العواقب لنفسه ولغيره ممن يستنصحه ، وتوفى سنة ٢٢٥ انظر القفطى ١٤١ وابن أبي أصيبعة ١ : ١٦٤ والزركلي ١ : ٣٨٠ .

(٢) حرف يستقيم به الكلام

(٣) فى الأصل « رغبتنى »

(السماع والكتابة)

فالإنسان لا يعلمُ حتى يكثُرَ سماعُه ، ولا بُدَّ من أن تكون كتبُه أكثرَ من سَمَاعِه ؛ ولا يعلمُ ، ولا يجمع العلم ، ولا يُختَلَف [إليه][1] ، حتى يكون الإنفاقُ عليه من ماله ، ألذَّ عندَه من الإنفاق من مال عدوِّه . ومَن لم تكن نفقتُه التى تخرج فى الكتب ، ألذَّ عنده مِن إنفاق عُشّاق القيان ، والمستهتَرين بالبنيان[2] ، لم يبلغ فى العلم مبلغاً رضيًّا . وليس يَنتفِع بإنفاقه ، حتَّى يؤْثِر اتِّخاذَ الكتبِ إيثارَ الأعرابى فرسَه باللبن على عياله ، وحتَّى يؤَمِّل فى العلم ما يؤَمِّل الأعرابى فى فرسه .

(حرص الزنادقة على تحسين كتبهم)

وقال إبراهيم بن السندىّ مرة : ودِدْتُ أنَّ الزنادقة لم يكونوا حرصاء على المغالاة[3] بالورق النقىِّ الأبيض ، وعلى تخيُّر[4] الحبرِ الأسودِ المشرِق البرّاق ، وعلى استجادةِ الخطِّ والإرغاب لمن يخطّ ، فإنِّى لم أرَ كورَق كتبِهم ورقاً ، ولا كالخطوط التى فيها خطًّا . وإذا غرِمتُ مالاً عظيماً — مع حبِّى للمال وبُغْضِ الغُرْم — كان سخاءُ النفس بالإنفاق على الكتب ، دليلاً على تعظيمِ العلمِ ،

(١) ليست بالأصل ، وزدتها ليظهر المعنى . والمراد أن يختلف إليه تلاميذه .

(٢) المستهتر : المولع بالشىء المنهمك فيه . وفى ط : « ألذ عنده من عشق القيان وإنفاق المستهزئين بالبيان » ، وهى عبارة مضطربة أبدلتها بما فى ل لتصح .

(٣) فى ط « حرصى على المقالات » وصوابه ما فى ل . وحريص إنما يجمع على حراص — كرمان ، وحراص ، بكسر الحاء ، وحرصاء .

(٤) فى ط : « تحلل » والتصحيح من ل .

وتعظيمُ العلم دليلٌ على شرف النفس ، وعلى السلامَة من سُكْر الآفات .
قلت لإبراهيم : إنّ إنفاقَ الزنادقةِ على تحصيل الكتب ، كإنفاق النصارى على البِيَع ، ولو كانت كتبُ الزنادقةِ كتبَ حكمٍ وكتبَ فلسفة ، وكتبَ مقاييسَ وسُنَنٍ [و] تبيُّنٍ وتبيين [1] ، أو لو كانت كتُبهم كتباً تُعرِّف الناسَ أبوابَ الصِّناعات ، أو سُبُلَ التكسُّب والتجارات ، أو كتبَ ارتفاقاتٍ ورياضاتٍ ، أو بعض ما يتعاطاه الناسُ من الفطن والآداب – وإنْ كان ذلك لا يقرِّب من غِنًى ولا يُبْعِد من مأثَم – لكانوا ممّن قد يجوز أن يُظَنَّ بهم تعظيمُ البيان ، والرغبةُ في التبيُّن [2] ، ولكنَّهم ذهبوا فيها مذهبَ الدِّيانة ، [و] على طريقِ تعظيمِ المِلّة ، فإنّما إنفاقهم في ذلك ، كإنفاق المجوس على بيت النار ، وكإنفاقِ النصارَى على صُلْبان الذهب ، أو كإنفاق الهند على سَدَنةِ البِدَدَة. ولو كانوا أرادوا العلمَ لكان العلمُ لهم مُعرضاً ، وكتبُ الحكمةِ لهم مبذولةً ، والطرقُ إليها سهْلةً معروفة . فما بالُهُم لا يصنعون ذلك إلاّ بكتُب دياناتهم ، كما يزخرفُ النصارى بيوتَ عباداتهم ! ولو كان هذا المعنى مستحسَناً عند المسلمين ، أو كانوا يرون أنّ ذلك داعيةٌ إلى العبادة ، وباعثةٌ على الخشوع ، لبلَغُوا في ذلك بعَفْوهم ، ما لا تبلُغُه النصارى بغاية الجهْد .

٢٩

(مسجد دمشق)

وقد رأيتُ مسجدَ دِمَشْق ، حين استجاز هذا السبيل ملِكٌ من ملوكها ، ومَنْ رآه فقد علم أنّ أحداً لا يرومه ، وأنَّ الرومَ لا تسخوا أنفُسهم

---

(١) في الأصل « نبيين وتبيين » وصححته بما ترى .
(٢) في ط : « التبيين » .

به ، فلمّا قام عمرُ بنُ عبد العزيز ، جَلَّله بالجِلال ، وغَطَّاه بالكرابيس[١] ، وطبَخَ سلاسلَ القناديلِ حتَّى ذهب عنها ذلك التلألؤُ والبريق ؛ وذهب إلى أنّ ذلك الصنيعَ مجانِبٌ لسنَّة الإسلام ، وأنَّ ذلك الحُسنَ الرائعَ والمحاسنَ الدِّقاق ، مَذهَلةٌ للقلوب ، وَمشغَلةٌ دونَ الخشوع ، وأنّ البالَ لايكون مجتمِعاً وهناك شيء يفرِّقه ويعترض عليه .

(صفة كتب الزنادقة)

والذى يدلُّ على ما قلنا ، أنّه ليس فى كتبهم مثلٌ سائر ، ولا خبرٌ طَريف، ولا صنعةُ أدبٍ ، ولا حكمةٌ غريبة، ولا فلسفةٌ ،ولا مسألةٌ كلاميَّة، ولا تعريفُ صِناعة ، ولا استخراجُ آلة ، ولا تعليمُ فِلاحةٍ ، ولا تدبير[٢] حرب ، ولا مقارَعة[٣] عن دِين ، ولا مناضَلة عن نِحْلة ، وجُلُّ ما فيها ذِكر النور والظلمة ، وتناكُحُ الشياطين ، وتسافُدُ العفاريت ، وذكر الصنديد ، والتهويل بعمود السنخ[٤] ، والإخبار عن شقلون ، وعن الهامة [والهامة] . و [كلُّه] هَذْرٌ وعِيٌّ وخُرافة ، وسُخْريَة وتكذُّب ، لاترى فيه موعظةً حسنة ، ولا حديثاً مُونِقا ، ولا تدبيرَ مَعاشٍ ، ولا سياسةَ عامة ، ولا ترتيبَ خاصَّة[٥] . فأىُّ كتابٍ أجهلُ ، وأىُّ تدبيرٍ أفسدُ من كتابِ

(١) الكرباس بالكسر : ثوب من القطن الأبيض ، معرب فارسيته بالفتح ، غيروه لعزة فعلال . والنسبة كرابيسى ، كأنه شبه بالأنصارى .
(٢) فى ط : « تدبر » والوجه مافى ل .
(٣) ماعدا ل : « منازعة » .
(٤) فى ط « الصبح » .
(٥) فى ط « ولا سياسة عاملة ولا ترتيب خاصية » والعبارة مشوهة أصلحتها من ل .

يوجِب على الناس الإطاعة ، والبخوع[1] بالديانة ، [لا[2]] على جهة الاستبصار والمحبَّة ، وليس فيه صلاحُ مَعاشٍ ولا تصحيحُ دين ! ؟ والناسُ لايحبُّون إلا ديناً أو دنيا : فأمَّا الدنيا فإقامةُ سوقِها [وإحضار نفعها . وأما الدِّين فأقلُّ مايُطمع فى استجابة العامة] ، واستمالة الخاصَّة ، أنْ يصوَّر فى صورةٍ مغلِّطة ، ويموَّهَ تمويهَ الدِّينارِ الْبَهْرَج ، والدرهمِ [الزائف] الذى لايغلط فيه الكثير ، ويعرفُ حقيقته القليل[3] . فليس إنفاقُهم عليها من حيثُ ظننت . وكلُّ دين يكون أظهر [آختلافاً وأكثرَ] فساداً ، يحتاج من الترقيع والتمويه[4] ، ومن الاحتشاد له والتغليظ[5] فيه إلى أكثر . وقد علمْنا أنَّ النصرانيَّةَ أشدُّ انتشاراً من اليهوديَّة تعبداً ، فعلى حسب ذلك يكون تزيُّدُهم فى توكيده ، واحتفالُهم فى إظهار تعليمه . ٣٠

(فضل التعلم)

وقال بعضهم : كنتُ عندَ بعضِ العلماء ، فكنتُ أكتب عنه بعضاً وأدَعُ بعضاً ، فقال لى : اكتبْ كلَّ ماتسمعُ ، فإن أخسَّ ماتسمعُ خيرٌ من مكانه أبيض[6] .

---

(١) فى ط : « والتخرج » .

(٢) زيادة يقتضيها الكلام .

(٣) فى ط : « ويموه تمويه (الدنيا والبهرج) والدرهم الذى (لا) يغلط فيه الكثير ويعرف (حقيقة) القليل » . ووجهت العبارة من ل ، بعد أن حذفت (لا) .

(٤) فى ط : « احتاج من الترقيع والتمويه » وتصحيحه من ل .

(٥) ماعدا ل « والتغليط » بالطاء المهملة .

(٦) هذا مافى ل . ويطابقه مافى المحاسن والمساوى ١ : ٩ وانظر الحيوان ٥ : ٢٤٨ . وفى سائر النسخ « فإن مكان ماتسمع أسود خير منمكانه أبيض » لكن فى ط : «من مكان » .

وقال الخليل بن أحمد : تَكثَّرْ من العلم لتعرِف ، وتقلَّلْ منه لتحفَظ .

وقال أبو إسحاق : القليل والكثير للكتب ، والقليلُ وحدَه للصدر .

وأنشَدَ قول ابن يَسِير[1] :

أما لو أعِي كلَّ ما أسمَعُ وأحفَظُ من ذاكَ ما أجمعُ

ولم أستَفِدْ غيْرَ ماقد جمعتُ لَقيلَ هوالعالِمُ المِصقَعُ[2]

ولكنَّ نفسي إلى كلّ نوعٍ من العلم تسمعُه تنزِعُ

فلا أنا أحفظُ ما قد جمعتُ ولا أنا مِن جمعه أشبعُ

وأَحصَرُ بالعِيِّ في مجلسي وعِلمِيَ في الكُتْبِ مستودَعُ

فمن يكُ في علمِه هكذا يكنْ دهرَهُ القهقَرَى يرجِعُ

إذا لم تكنْ حافظاً واعياً فجمعُك للكتبِ لاينفع

(التخصص بضروب من العلم)

وقال أبو إسحاق : كلَّفَ ابنُ يسيرٍ الكتبَ ما ليس عليها . إن الكتبَ لا تحيِي الموتَى ، ولا تحوِّل الأحمقَ عاقلا ، ولا البليد ذكيًّا ، ولكنَّ الطبيعةَ إذا كان فيها أدنى قَبُول ، فالكتبُ تشحَذُ وتفتِق ، وتُرهِف وتَشفي . ومن أرادَ أن يعلمَ كلَّ شيء ، فينبغي لأهلهِ أن يداووه !

---

(١) هو محمد بن يسير الرياشي ، يقال إنه مولى لبني رياش الذين منهم العباس بن الفرج الرياشي الأخباري الأديب . وكان شاعرا ظريفا من شعراء المحدثين ، متقللا ، لم يفارق البصرة ، ولا وفد إلى خليفة ولا شريف منتجعا ، ولا تجاوز بلده . وكان ماجنا هجاء خبيثا ، وكان من بخلاء الناس . انظر الأغاني ١٢ : ١٢٤ - ١٣٦ . والشعر نسبه الجاحظ في المحاسن ص ٨ إلى الأصمعي ولكنه هنا يؤكد - بتعقيبه الشعر - أنه لابن يسير . وهو بدون نسبة في المحاسن والمساوى ١ : ٩ .

(٢) في الأصول « خبر ماقد جمعت » والصواب ماأثبته .

فإنّ ذلك إنما تصوَّرَ له بشيءٍ اعتراه ! ! فمَنْ كان ذكيًّا حافظاً فليقصِد إلى شيئين ، وإلى ثلاثة أشياء ، ولا ينزِع عن الدرس والمطارَحَة ، ولا يدعُ أن يمرَّ على سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه ، ما قدَر عليه من سائر الأصناف ، فيكون عالماً بخواصّ ، ويكون غيرَ غفلٍ من سائرِ ما يجرى فيه الناسُ ويخوضون فيه . ومن كان مع الدرس لايحفظ شيئاً ، إلّا نسيَ ما هو أكثرُ منه ، فهو من الحفظ من أفواه الرجال أبعد .

(جمع الكتب)

وحدَّثنى موسى بنُ يحيى قال : ما كان فى خِزانةِ كتبِ يحيى ، وفى بيت مدارسه[1] كتابٌ إلّا وله ثلاثُ نسخ .

وقال أبو عمرو بنُ العَلاء : ما دخلتُ على رجل قطُّ ولا مررتُ ببابه ، فرأيتُه ينظرُ فى دفترٍ وجليسُه فارغُ اليد ، إلّا اعتقدتُ أنَّه أفضلُ منه وأعقل . ٣١

وقال أبو عمرو بن العلاء : قِيل لنا يوماً : إنّ فى دار فلانٍ ناساً قد اجتمعوا على سَوءة ، وهم جُلوسٌ على خُيرة لهم[2] ، وعندهم طُنبُورٌ . فتسوَّرنا عليهمْ[3] فى جماعةٍ من رجالِ الحىِّ ، فإذا فتًى جالسٌ فى وسط

---

(١) فى ل : « مدراسه » وهو تحريف صوابه فى ط . والمدارس : جمع مدرس كمنبر ، وهو الكتاب . وأما المدراس فهو الموضع الذى يقرأ فيه القرآن، ومنه قالوا : مدراس اليهود . فالوجه ماأثبته عن ط .

(٢) فى ط : « على خيرة » وما هنا عن ل و س . فإن ضبطت بضم الخاء كان معناها الخمر (بعد تصغيرها) وإن ضبطت بفتح الخاء كان المراد بها الحصيرة الصغيرة من السعف . ولكل وجه . وانظر ثمار القلوب ٤٧ والأغانى ٧ : ١٧٥ .

(٣) فى ل : « فذمرنا عليهم » . صواب هذه « فدمرنا » بالدال المهملة ، أى دخلنا بغير إذن . انظر اللسان (دمر) وما سيأتى فى ص ٢٩٦ .

الدار ، وأصحابُه حوله ، وإذا همْ بِيضُ اللِّحَى ، وإذا هو يقرأ عليهم دفتراً فيه شعر . فقال الذى سعى بهم : السَّوءة فى ذلك البيت ، وإنْ دخلتموه عثَرتم عليها ! فقلت : والله لا أكشفُ فتىً أصحابُه شيوخ ، وفى يده دفترُ علم ، ولو كان فى ثوبه دمُ يحيى بنِ زكريَّاء ! !

وأنشد رجلٌ يُونُسَ النحويَّ :

استودَعَ العلمَ قرطاساً فضيّعَه فَبِئْسَ مستودَعُ العلمِ القراطيسُ

قال ، فقال يونس : قاتَلَه الله ، ما أشدَّ ضَنانَتَه بالعلم ، وأحسنَ صِيانته له ، إنَّ علمَك مِن روحِك ، ومالَكَ مِن بدنك ، فضعْه منكَ بمكان الرُّوح ، وضعْ مالَكَ بمكان البدن ! !

وقيل لابن داحة — وأخرجَ كتابَ أبى الشمقمق ، وإذا هو فى جلود كوفيَّة ، ودَفَّتَين طائفيّتَين [1] ، بخطٍّ عجيب — فقيل له : لقد أُضيع من تجوَّدَ بشعر [2] أبى الشمَقْمق ! فقال : لاجرم والله ! ! إنَّ العلمَ ليُعطيكم على حسابِ ما تعطونه ، ولو استطعتُ أن أودِعَه سُويداءَ قلبى ، أو أجعلَه محفوظاً على ناظرى ، لفعلت .

ولقد دخلت على إسحاقَ بن سليمان فى إمْرته ، فرأيتُ السِّماطَين والرجالَ مُثُولًا كأنَّ على رءوسهم الطير ، ورأيتُ فِرْشَتَه وبِزَّته ؛ ثم دخلتُ عليه وهو معزول ، وإذا هو فى بيتِ كتبه ، وحوالَيه الأسفاطُ والرُّقوق ، والقماطِرُ والدفاتِر والمَساطر والمحابر ، فما رأيتُه قطُّ أفخمَ ولا أنبلَ ، ولا أهيبَ

---

(١) فى ط : « طائفيين » والصواب ما فى ل ، نسبة إلى الطائف .
(٢) فى ل : « لشعر » باللام بدل الباء .

ولا أجزَل منهُ في ذلك اليوم ؛ لأنَّه جمعَ مع المهابَة المحبَّة ، ومع الفَخامة الحَلاوة ، ومع السُّوْدَد الحِكْمة .

وقال ابن داحة : كان عبدُ الله بنُ عبدِ العزيز بنِ عبد اللهِ بن عمر ابن الخطَّاب ، لايجالِسُ الناسَ ، وينزلُ مَقْبُرَةً من المقابر ، وكان لايكادُ يُرى إلَّا وفي يده كتابٌ يقرؤه . فسُئِل عن ذلك ، وعن نزولِه المقبُرة فقال : لم أرَ أَوْعظَ من قبر ، ولا أمنَع [1] من كتاب ، ولا أسلَمَ من الوَحدة . فقيل له : قد جاء في الوَحدة ما جاء ! فقال : ما أفسَدَها للجاهِل [وأصلحها للعاقل !] .

(ضروب من الخطوط)

وضروبٌ من الخطوطِ بعد ذلك ، تدلُّ على قدرِ منفَعَة الخطِّ . قال الله تبارَك وتعالى ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وقال الله عزّ وجلّ ﴿ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ . مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ . بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾ وقال ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ وقال ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ وقال ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ . ٣٢

ولو لم تكتب أعمالُهم لكانت محفوظةً لا يدخلُ ذلك الحفظَ نسيانٌ ، ولكنَّه تعالى وعزَّ ، علم أنّ كتابَ المحفوظِ ونسخَه ، أوكَدُ وأبلغُ في الإنذار والتحذير ، وأهيبُ في الصدور .

(١) كذا في ط : وفي المحاسن ص ٤ « ولا آنس » فلعل صحة ماهنا « أمتع » من الإمتاع .

وخط آخر، وهو خطُّ الحازى والعرَّاف[1] والزَّاجِر . وكان فيهم حليس[2] الخطَّاط الأسدىّ ، ولذلك قال شاعرهم فى هجائهم :

فأنتم عضاريط الخميسِ إذا غزَوْا   غَناؤكم تِلْكَ الأخاطيطُ فى التُّرْبِ[3]

وخُطوطٌ أخر، تكون مستراحًا للأسيرِ والمهموم والمفكِّر ، كما يعترى المفكِّرَ من قَرْع السنِّ ، والغضبانَ من تصفيقِ اليد وتجحيظِ العين . وقال تأبَّطَ شرًّا :

لتَقْرَعَنَّ عَلَيَّ السنَّ مِنْ نَدَمٍ   إذا تذكَّرتَ يومًا بعضَ أخلاقى

وفى خطِّ الحزينِ فى الأرض يقول ذو الرُّمَّة[4] :

عَشِيَّةَ مالِى حِيلةٌ غيرَ أَنَّنِي   بِلَقْطِ الحَصَى والخطِّ فى الدارِ مُولَعُ[5]

أخطُّ وأمحو الخطَّ ثم أُعِيدُهُ   بكفِّيَ والغِرْبانُ فى الدارِ وُقَّعُ

وذكر النابغةُ صنيعَ النساءِ ، وفزَعَهنَّ إلى ذلك ، إذا سُبِين واغترَبن وفكَّرن ، فقال :

---

(١) فى ط : « الحادى والقراف » وتحقيقه من ل . والحازى : صاحب الكهانة فى العرب . والعراف : الكاهن أو الطبيب . قال عروة بن حزام :

جعلت لعراف اليمامة حكمه   وعراف حجر إن هما شفيانى

(٢) كذا فى س : ورسائل الجاحظ طبع الساسى ص ١٣٠ . وورد فى ل برسم « حليس » وفى ط برسم « جلس » .

(٣) العضاريط : جمع عضرط كقنفذ ، وعضارط كعلابط ، وعضروط كعصفور ، قال فى القاموس : «هو الخادم على طعام بطنه ، والأجير ، واللئيم» . والشعر لأبى نواس فى ديوانه ١٥٩ يهجو به تميما وأسدا .

(٤) قال الثعالبى فى الثمار ٢١٤ « ابناعيان ضرب من الزجر ، وهو أن يخط الناظر فى أمر بأصبعه ، ثم بأصبع أخرى ويقول : ابنا عيان ! أسرعا البيان ! ! ثم يخبر بما يرى. وهو مشتق من قولك : أريانى ماأريد عيانا . وهذا معنى قول ذى الرمة :

عشية مالى حيلة غير أننى   بلقط الحصى والخط فى الدار مولع »

وانظر العقد ٦ : ١٤٩ .

(٥) فى الثمار كما كتبت « بلقط » بالقاف بدل الفاء ، وفى الأصل : « بلفظ » وانظر تفسير الجاحظ الآتى .

ويخطَطْنَ بالعِيدانِ فى كلِّ منزلٍ ويَخبأنَ رُمَّانَ الثُّدِىِّ النواهدِ

وقد يفزع إلى ذلك الخجِلُ والمتعلِّل، كما يفزع إليه المهمومُ وهو قولُ القاسم ابن أميَّةَ بنِ أبى الصَّلْت :

لاينقرون الأرضَ عند سُؤالِهم لتلمُّسِ العِلَّاتِ بالعِيدانِ (١)

بل يبسُطُون وجوهَهم فترَى لها عندَ اللقاء كأحسَنِ الألوانِ

وقال الحارث بن الكِنْدىّ ، وذكرَ رجلًا سأله حاجةً فاعتراه العبثُ بأسنانه ، فقال :

وآضَ بكَفِّهِ يحتَــكُّ ضِرساً يُرِينَا أنَّهُ وَجِــعٌ بضِرْسِ

وربما اعترَى هؤلاء عدُّ الحصى ، إذا كانوا فى موضعِ حصى ، ولم يكونوا فى موضع تراب ، وهو قول امرئ القيس :

ظِلْتُ رِدَائِى فوقَ رَأْسِىَ قاعداً أعدُّ الحصَى ما تَنْقَضِى حَسَرَاتِى

٣٣ وقال أميَّةُ بنُ أبى الصَّلْت :

نَهرًا جَارِيًا وبيتاً عَلِيًّا يعتَرِى المعتَفِين فضلُ نداكا

فى تراخ من المكارمِ جَزْلٍ لم تعلِّلهمُ بلَقْطِ حَصا كا (٢)

وقال الآخر ، وهو يصِف امرأةً قُتِل زوجُها ، فهى محزونةٌ تلقُط الحصى :

وبيضاءَ مكسال كأنَّ وشاحَها على أمِّ أحوى المُقْلَتَين خَذُولِ (٣)

---

(١) فى ط : « ينكثون » ، وهو تصحيف ، وفى س « ينكتون » ، وفى ل وكذلك عيون الأخبار ٣ : ١٥٢ ومعجم المرزبانى ٣٣٢ « لاينقرون » كما أثبت . وانظر مجالس ثعلب ١٧٣ والعمدة ٢ : ٢٣٦ ولباب الآداب ٢٥٧ .

(٢) « تراخ » لعلها « براح » كسحاب ، وأصل معناه الفسيح من الأرض . و « تعللهم » هى فى ط : « تعلقهم » وليس بشىء . وفى ل « تعلل لهم » وهو خطأ كتابى .

(٣) فى ط : « المقتلين » وهو تصحيف عجيب . وأحوى المقلتين يعنى به الظبى . والخذول من وصف أمه ، وهى التى خذلت أصحابها فانفردت عنهم قائمة على ولدها ، فهى فزعة ولهة على خشفها ، وهى تمد عنقها وترتاع ، وذلك أحسن لها .

عَقَلتَ لهـا مِنْ زَوجِهَا عَدَدَ الحصى
مع الصُّبح ، أو فى جُنح ِ كلِّ أصيلِ

يقول : لم أُعْطِهَا عقْلاً عن زوجها ، ولم أُورثْهَا إلّا الهمَّ الذى دعاها إلى لقط الحصى . يخبر أنَّه لمنعَتِه ، لا يُوصَل منه إلى عقلٍ ولا قَوَد .

(أقوال الشعراء فى الخط)

وممَّا قالوا فى الخطّ ، ما أنشدنا هشامُ بن محمد بن السائب الكلبى قال : قال المقنَّع الكندىّ فى قصيدةٍ له ، مدح فيها الوليدَ بنَ يزيد :

كالخطِّ فى كُتُبِ الغلام أجادَه[1] بِمداده ، وأسَدَّ من أقلامه[2]
قلمٌ كخُرطوم الحمامةِ مائلٌ مُستَحفِظٌ للعـلم من علّامه
يَسِم الحروفَ إذا يشاءُ بناءها لبيانِها بالنَّقْط من أرسامه
مِن صُوفةٍ نَفث المداد سُخامه حتى تغـيَّرَ لونُها بسُخامه
يَحْفَى فيُقْصَمُ من شَعيرة أنفِه[3] كقُلَامة الأُظْفُورِ من قلّامه
وبأنفه شَقٌّ تلاءَم فاستوَى سُقِيَ المـدادَ ، فزاد فى تلآمه
مُسْتعجِمٌ وهو الفصيحُ بكلِّ ما[4] نطق اللسانُ به على استعجامه

---

(١) فى ط : « كتف » وفى ل « كف » والوجه ما كتبته من س .

(٢) فى ط : « بمراده » وهو تصحيف ظاهر .

(٣) فى ط : « يخفى » وإنما هو « يحفى » بالحاء كما فى ل ، أى يرق سنه ، فيتعثر فى الكتابة . وهو مأخوذ من حفا القدم والخف والحافر .

(٤) فى ط : « متعجم » وأثبت مافى ل ؛ لأنه الوجه . واستعجم : سكت ، ومنه قول النابغة :

فاستعجمت دار نعم ماتكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار

ولهُ تراجمةٌ بألسـنةٍ لهمْ ... تبيانُ ما يَتلُونَ من تَرجَامِه

ما خـطَّ من شيء به كتَّابه ... ما إن يبوحُ به على استكتامِه

وهجاؤه قاف ولام بعـدها ... ميم معلَّقةٌ بأسـفلِ لامِه

ثم قال :

قالتْ لجارتها الغزَيِّلُ إذ رأت ... وجهَ المقنَّع من وراءِ لِثامِه

قد كان أبيضَ فاعتراه أُدْمَةٌ ... فالعينُ تُنكره من ادْهِيامِه

كم من بُويزِل عامِها مهرّية ... سُرُحِ اليدينِ ومن بُويزِل عامِه

٣٤ وَهَبَ الوليدُ برَحْلها وزمامها[1] ... وكذاكَ ذاكَ برَحلِهِ ، وزمامِه

وقويرحٍ عتَـد أُعِدَّ لِنيِّهِ ... لبنُ اللَّقُوحِ فعادَ مِلءَ حِزامِه[2]

وهبَ الوليدُ بسَرْجها ولجامها ... وكذاك ذاك بسَرجه ، ولجَامِه

أهدَى المقنّع للوَليدِ قصيدةً ... كالسيفِ أُرهِف حدُّه بحُسامِه

وله المآثرُ فى قريشٍ كلِّها ... وله الخلافةُ بعد موتِ هشامِه

وقال الحسن بن جَماعة الجُذَامِىّ[3] فى الخطِّ :

---

(١) فى ط : « وزماعها » والصواب ما كتبت من ل .

(٢) النى بالكسر : الشحم . القويرح : مصغر قارح ، وهو من ذى الحافر ، بمنزلة البازل من الإبل . العتد محركة وككتف : المعد للجرى ، أو الشديد التام الخلق . اللقوح : الناقة قد لقحت . . وكان العرب يسقون كرائم الخيل ألبان الإبل . قال الأعرج المعنى (الحماسة ١ : ١٣٠) :

أرى أم سهل ماتزال تفجع ... تلوم وما أدرى علام توجع

تلوم على أن أمنح الورد لقحة ... وما تستوى والورد ساعة تفزع

إذا هى قامت حاسرا مشمعلة ... نخيب الفؤاد رأسها مايقنع

وقمت إليه باللجام ميسرا ... هنالك يجزينى بما كنت أصنع

وقال قبيصة بن النصرانى الجرمى (الحماسة ١ : ٢٤٦) :

هاجرتى يابنت آل سعد ... أأن حلبت لقحة للورد

جهـلت من عنانه المتـد ... ونظرى فى عطفـه الألـد

(٣) كذا فى ل و س . . وقد ورد « جماعة » بالخاء فى ط .

إليكَ بِسِرِّى باتَ يُرقِلُ عالمٌ

أصمُّ الصدى مُحرورِفُ السِّنِّ طائع [١]

بَصيرٌ بمـا يُوحَى إليه ومالَهُ لسانٌ ولا أُذْنٌ بها هُوَ سامعُ

كأَنَّ ضميرَ القلبِ باح بِسِرِّه لديه ، إذا ماحَشْحَشْتهُ الأصابع

له رِيقةٌ من غـير فرثٍ تمدُّه ولا مِنْ ضُلوعٍ صِدِّقتها الأضالِعُ [٢]

وقال الطائىُّ ، يمدح محمَّدَ بن عبدِ الملك الزَّيات :

وما بِرِحَتْ صُوراً إليكَ نَوازعاً أعنَّتُها مُذْ راسلَتْك الرسائلُ

لكَ القلمُ الأعلى الذى بشباته يُصَابُ من الأمرِ الكُلَى والمفاصلُ [٣]

لك الخلَواتُ اللاءِ لولا نجيُّها لما احتفلت للمُلْكِ تلك المحافلُ [٤]

لُعابُ الأفاعى القاتلاتِ لُعابهُ وأَرْىُ الجَنى اشتارَتْه أيدٍ عَواسِلُ

له رِيقَةٌ طَلٌّ ولـكنَّ وقعَها بآثارِها فى الشرقِ والغرب وابلُ

فصيحٌ إذا استنطقْتَه وهو راكبٌ وأعجمُ إن خاطبتَه وهو راجِلُ

إذاما امتطى الخمسَ اللِّطافَ وأُفرغت عليه شِعابُ الفكرِ وهى حَوافِلُ

أطاعَتْه أطرافُ القَنا وتقوَّضَتْ لنَجواه تقويضَ الخيامِ الجَحافلُ

إذا استغزر الذهن الجلىّ وأقبلتْ أعاليه فى القِرطاس وهى أسافلُ [٥]

---

(١) فى ط : « إليك سرى » وتصحيحه من س . الصدى : جسد الآدمى بعد موته . فهو بذلك يعنى أن القلم عجيب فى وعيه للسر مع صممه . والصدى كذلك : رجع الصوت ، فـكأن القلم ينطق فى القرطاس ، دون أن يبين صدى صوته .

(٢) فى ل و س : « ضمنتها » . وفى البيت تحريف كما ترى .

(٣) فى ط : « بثباته » موضع بشباته ، وهو تحريف صوابه فى ل والديوان .

(٤) فى ط : « لولا تجيئها لما اختلفت » وتصحيحه من ل والديوان .

(٥) فى ط : « إذا استشعر الذهن المجلى » وأثبت ما فى ل .

وقد رفدته الخِنْصَرانِ وسدَّدت ثلاثَ نواحِيه الثلاثُ الأناملُ[1]

رأيتَ جليلاً شأنُهُ وهو مُرْهَفٌ ضنى وسميناً خَطْبُه وهو ناحلُ[2]

أرى ابنَ أبي مروانَ أمَّا لِقاؤُه فدانٍ وأمَّا الحكمُ فيه فعادلُ

٣٥ وقد ذكر البُحتُريُّ فى كلمةٍ له ، بعضَ كهولِ العسكر[3] ، ومن أَنْبَلِ أبناء كتّابهم[4] الجلّة فقال :

وإذا دجَتْ أقلامُه ثم انتحَتْ برقَت مصابيحُ ٱلدُّجَى فى كتبه

(الكتابات القديمة)

وكانوا يجعلون الكتاب حفراً فى الصخور ، ونقشاً فى الحجارة ، وخِلْقة مُرَكَّبةً فى البُنْيان ؛ فربَّما كان الكتابُ هو الناتِئ ، وربَّما كان الكتابُ هو الحفر ، إذا كان تاريخاً لأمرٍ جَسيم ، أو عهداً لأمرٍ عظيم ، أو مَوعظةً يُرتَجى نفعُها ، أو إحياءَ شرفٍ يريدون تخليد ذكره ، [أو تطويل مدته] ، كما كتبوا على قُبَّة غُمْدَان[5] ، وعلى باب القَيرُوان[6] ،

---

(١) فى ط : « وقد رمزته الخنصران وشددت » وهو تحريف ماأثبته من ل والديوان .

(٢) فى ط : « نضى » وصوابه من الديوان و ل .

(٣) هو الحسن بن وهب ، وليت شعرى لم لم يصرح الجاحظ باسمه ، مع أن الجاحظ له رسالة إلى الحسن بن وهب ، فى مدح النبيذ وصفة أصحابه ، ذكر صدرا منها عبيد الله ابن حسان ، فى كتابه « الفصول المختارة » انظر هامش الكامل ١ : ٩٧ . والبيت المذكور من قصيدة فى ديوان البحترى ٦٧ مطلعها :

من سائل لمعذل عن خطبه أو صافح لمقصر عن ذنبه

(٤) فى ط : « أنيل ابنا كتابهم » وتصحيحه من ل .

(٥) غمدان : قصر بين صنعاء وطيوة ، واختلف فى اسم بانيه ، وله صفة عجيبة فى معجم البلدان .

(٦) هى المدينة المعروفة فى إفريقية ، مصرت فى الإسلام فى أيام معاوية .

وعلى باب سَمَرْقَند[١] ، وعلى عمود مأرِب[٢] ، وعلى ركن المشقَّر[٣] ، وعلى الأبلَق الفَرْد[٤] ، وعلى باب الرها[٥] ؛ يعمِدُون إلى الأماكن المشهورةِ ، والمواضع المذكورة ، فيضعون الخطَّ فى أبعدِ المواضع من الدُّثور ، وأمنَعِها من الدروس ، وأجدرَ أنْ يراها من مرَّ بها ، ولا تُنسى على وجه الدهر .

(فضل الكتابة وتسجيل المعاهدات والمحالفات)

وأقول : لولا الخطوطُ لبَطَلت العهودُ والشروطُ والسِّجلاَّتُ والصِّكاك ، وكلُّ إقطاعٍ ، وكلُّ إنفاق ، وكلُّ أمان ، وكلُّ عهدٍ وعَقْدٍ ، وكلُّ جِوارٍ وحِلف . ولِتعظيمِ ذلك ، والثقةِ به والاستنادِ إليه ، كانوا يَدْعُونَ فى الجاهليَّةِ مَنْ يكتبُ لهم ذكرَ الحِلْف والهُدْنة ؛ تعظيماً للأمر ، وتبعيداً من النسيان ، ولذلك قال الحارثُ بن حِلِّزة ، فى شأنِ بكرٍ وتغلب[٦] :

واذكرُوا حِلْفَ ذِى المَجَاز وما قُـ ـدِّمَ فيه العهودُ والكفلاءُ

---

(١) بلدة عظيمة فى التركستان ، والأصمعى يروى أنه كتب على بابها بالحميرية . انظر المعجم .

(٢) مأرب : بين صنعاء وحضرموت من بلاد اليمن .

(٣) المشقر : حصن كان بالبحرين . وفى ط : « الركن المشقر » ، وأصلحته من ل والمحاسن ٣ .

(٤) قال ياقوت : هو حصن السموءل بن عادياء اليهودى ، مشرف على تيماء ، بين الحجاز والشام ، على رابية من تراب ، فيه آثار أبنية من لبن ، لاتدل على مايحكى عنها من العظمة والحصانة ، وهو خراب .

(٥) مدينة بالجزيرة .

(٦) البيتان من معلقة الحارث المشهورة ، التى مطلعها :

آذنتنا ببينها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء

وقد رواهما الجاحظ فى البيان ٣ : ٧ وقال فى البيت الثانى : « الخون : الخيانة . ويروى : الجور » .

حَذَرَ الجورِ والتَّعدِّى ، وهلْ يَنْـ ـقُض ما فى المَهارِقِ الأهواءُ !

والمهارق ، ليس يراد بها الصُّحُفُ والكتب ؛ ولا يقال للكتب مَهارقُ حتَّى تكونَ كتبَ دِينٍ ، أو كتبَ عهودٍ ، ومِيثاقٍ ، وأمان .

(الرقوم والخطوط)

وليس بين الرُّقومِ والخطوط فَرق ، ولولا الرقوم لهلكَ أصحابُ البَزِّ والغُزول ، وأصحابُ الساجِ وعامَّةِ المتاجر ، وليسَ بينَ الوُسومِ[1] التى تكون على الحافر كلِّه والخفِّ كلِّه والظِّلفِ كلِّه ، وبين الرقومِ فرق ، ولا بينَ العقودِ والرقوم فرق ، ولا بين الخطوط والرقوم كلِّها فرق ، وكلُّها خطوط ، وكلها كتابٌ ، أو فى معنى الخطِّ والكتاب ، ولا بين الحروف المجموعةِ والمصوَّرَةِ من الصوت المقطَّع فى الهواء ، ومن الحروف المجموعة المصوَّرة من السواد فى القرطاس فرق .

٣٦ واللسان : يصنَع فى جَوبة[2] الفمِ [وهوائه الذى فى جوفِ الفمِ] وفى خارجه ، وفى لَهاته ، وباطنِ أسنانه ، مثلَ ما يصنع القلمُ فى المدادِ واللِّيقةِ والهواءِ والقرطاسِ ، وكلُّها صورٌ وعلاماتٌ وخَلْقٌ مواثل ، ودَلالات ، فيعرف منها ما كانَ فى تلك الصُّوَر لكثرةِ تَردادها على الأسماع[3] ، ويعرف منها ما كان مصوَّراً من تلك الألوان لطول تكرارها على الأبصار ، كما استدلُّوا بالضَّحك على السرور ، وبالبكاءِ على الألم . وعلى مثلِ ذلكَ عرفوا معانىَ الصوتِ ، وضروبَ صورِ الإشارات ، وصورِ جميع الهيئآت ،

---

(١) فى الأصل « الرسوم » بالراء وإنما هى « الوسوم » جمع وسم .

(٢) ماعدا ل : « جوية » .

(٣) كذا فى ل . ووردت محرفة فى ط برسم « الأسماء » .

وكما عرف المجنون لقَبه ، والكلبُ اسمَه . وعلى مثل ذلك فهِم الصبيُّ الزجرَ والإغراء ، ووعى المجنون الوعيد والتهدُّد[١] ، وبمثل ذلك اشتدَّ حُضْرُ الدابّة مع رفع الصوت ، حتّى إذا رأى سائسَه حمحم . وإذا رأى الحمامُ القيِّمَ عليه انحطَّ للقطِ الحبّ ، قبل أن يُلقِيَ له مايلقطه . ولولا الوسومُ[٢] ونُقُوش الخواتم ، لدخل على الأموالِ الخللُ الكثير ، وعلى خزائنِ الناس الضررُ الشديد .

(الخط والحضارة)

وليس فى الأرض أمّةٌ بها طِرْق[٣] أَوْ لها مُسْكَة ، ولا جيلٌ لهم قبضٌ وبسْط ، إلاّ ولهم خطّ . فأمّا أصحاب الملك والمملكة ، والسلطانِ والجِباية ، والدِّيانة والعبادة ، فهناك الكتابُ المتقَن ، والحساب المحكَم : ولا يخرج الخطُّ من الجزْم والمسنَد المنمنم والسمون[٤] كيف كان ، قال [ذلك] الهيثمُ [ابن عدى]، وابنُ الكلبى .

(تخليد الأمم لمآثرها)

[قال] : فكلُّ أمّةٍ تعتمدُ فى استبقاءِ مآثِرها ، وتحصين مناقبها ، على ضربٍ من الضروب ، وشكل من الأشكال .

---

(١) فى ل : « وودع المخنوق الوعيد والتهدد » وفى ط : « وردع المجنون الوعيد والتهدد » أما كلمة « المخنوق » . فواضحة التحريف وكذلك « ودع » . وكتبت « وعى » موضع « ردع » لتتناسب مع « فهم » فى الفقرة السابقة .

(٢) فى الأصل « الرسوم » وصوابه « الوسوم » .

(٣) الطرق بالكسر : معناه هنا القوة .

(٤) بدله فى ط ، س : « كذا » ويبدو أنها من النساخ . وانظر رسائل الجاحظ ١٣٨ ساسى .

(تخليد العرب لمآثرها)

وكانت العربُ في جاهليّتها تحتال في تخليدها ، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون ، والكلام المقفّى ، وكان ذلك هو ديوانها . وعلى أنّ الشعرَ يُفيد فضيلةَ البيانِ ، على الشاعر الراغبِ ، والمادح ، وفضيلةَ المأثُرة ، على السيّد المرغوبِ إليه ، والممدوحِ به . وذهبت العجَم عَلَى أن تقيّد مآثرَها بالبُنيان ، فبنوا مثلَ كرد بيداد[١] ، وبنى أرْدشير بيضاء إصطَخْر ، وبيضاء المدائن ، والحَضْر ، والمدن والحصون ، والقناطر والجسور ، والنواويس . قال : ثمَّ إنّ العربَ أحبَّتْ أن تشاركَ العجمَ في البناءِ ، وتنفردَ بالشعر ، فبنوا غُمدان ، وكعبةَ نَجْرَان[٢] ، وقصرَ مارد ، وقصر مأرِب ، وقصر شعوب[٣] والأبلق الفرد ؛ و [فيه وفي[٤]] مارد ، قالوا « تمرَّدَ ماردٌ وعزَّ الأبلق » وغيرَ ذلك من البُنيان . قال : ولذلك لم تكن الفرسُ تبيح شريفَ البُنيان ، كما لا تبيح شريف الأسماء ، إلاّ لأهل البيوتات ، كصنيعهم في النواويس والحمّامات والقِباب الخضر ، والشُّرَف على حيطان الدار ، وكالعَقْد على الدِّهليز وما أشبهَ ذلك ، فقال بعض من ٣٧

---

(١) كذا في ط . ومكانه في ل « كرد بنداذ » .

(٢) كعبة نجران : بيعة بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثي ، على بناء الكعبة ، وعظموها مضاهاة للكعبة ، وكان فيها أساقفة معتمون ، وهم الذين جاءوا إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى المباهلة . انظر ياقوت .

(٣) شعوب : قصر باليمن معروف بالارتفاع . كذا قال ياقوت .

(٤) زيادة ضرورية لاستقامة الكلام ، وصاحب هذا القول هو الزباء ، فيما روى ياقوت في رسم (مارد) قال في مارد : « حصن بدومة الجندل ، وفيه وفي الأبلق قالت الزباء ، وقد غزتهما ، فامتنعا عليها : تمرد مارد وعز الأبلق . . فصارت مثلا لكل عزيز ممتنع .

حضر « كُتُبُ الحكماءِ وَما دَوَّنت العلماءُ من صنوف البلاغات والصِّناعات، والآداب والأرفاق[١] ، من القرون السابقة والأمم الخالية ، ومن له بقيَّة ومن لا بقيّة له ، أبقى ذكراً وأرفعُ قدراً وأكثر ردًّا ، لأنَّ الحكمةَ أنفعُ لمن ورثها ، من جهة الانتفاع بها ، وأحسنُ فى الأحدوثة ، لمن أحبَّ الذكر الجميل » .

(طمس الملوك والأمراء آثار من سبقهم)

والكتبُ بذلك أولَى من بُنيان الحجارة وحِيطان المَدَر ؛ لأنَّ من شأن الملوك أنْ يطمِسوا على آثارِ مَن قبلَهُم ، وأن يُميتوا ذكرَ أعدائِهم ، فقد هدَموا بذلك السببِ [أكثرَ] المدنِ وأكثرَ الحصون ، كذلك كانوا أيَّامَ العجَم وأيَّامَ الجاهليّة ، وعلى ذلك همْ فى أيّام الإسلام ؛ كما هدم عُثمانُ صومعةَ غُمدان ، وكما هدمَ الآطامَ[٢] التى كانت بالمدينة ، وكما هدم زيادٌ كلَّ قصر ومصنَع كان لابن عامر[٣] ، وكما هدم أصحابُنا بناءَ مدن الشامات[٤] لبنى مروان .

---

(١) الأرفاق : جمع رفق بالكسر ، وهو مايستعان به .

(٢) الآطام : جمع أطم بضمة وبضمتين وهو القصر ، أو الحصن المبنى بالحجارة ، أو كل بيت مربع مسطح .

(٣) هو عبد الله بن عامر بن كرز بن حبيب بن ربيعة ، أمير فاتح ، ولد بمكة وولى البصرة فى أيام عثمان . وافتتح سجستان صلحا ومدنا كثيرة فى الشرق . وكان شجاعا سخيا ، وصولا لقومه ، رحيما محبا للعمران . وتوفى سنة ٥٩ هـ . ولما بلغ نبأ وفاته معاوية ، قال : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، بمن نفاخر ونباهى ؟ وانظر الجهشيارى ١٤٨ .

(٤) الشامات ، فسرها ابن عبد ربه فى العقد ٦ : ٢٥١ — ٢٥٢ بأنها خمس : فلسطين ومدينتها بيت المقدس ، والأردن ومدينتها طبرية ، والغوطة ومدينتها دمشق ، وحمص ، وقنسرين ومدينتها حلب .

(تاريخ الشعر العربى)

وأما الشعرُ فحديثُ الميلاد ، صغيرُ السنِّ ، أوّلُ من نَهَجَ سبيلَه ، وسهّل الطريقَ إليه : امرؤُ القيس بن حُجْر ، ومُهَلْهِل بنُ ربيعة . وكُتُبُ أرِسطاطاليسَ ، ومعلِّمِه أفلاطون ، ثم بَطْلَيموس ، وديمقراطس[١] ، وفلان وفلان ، قبلَ بدءِ الشعر بالدهور قبلَ الدهور[٢] ، والأحقاب قبلَ الأحقاب .

ويدلُّ على حداثةِ الشعر ، قولُ امرئ القيس بن حُجْر :

إنَّ بنى عوفٍ ابتَنَوا حسناً ضيَّعه الدُّخلُلُون إذ غَدَرُوا[٣]

أدَّوا إلى جارهم خـفارته ولم يَضِعْ بالمَغيب مَنْ نَصَرُوا[٤]

لا حِمْـيَرِىٌّ وَفَى ولا عُدَسٌ ولا است عَيرٍ يحكها الثَّفر[٥]

لكنْ عُوَيرٌ وَفَى بذمَّتِه لا قِصَر عابَهُ ولا عَوَرُ[٦]

فانظُرْ ، كم كان عمرُ زُرارةَ ! وكم كان بين موت زُرارة ومولدِ النبى عليه الصلاة والسلام ؟ ! فإذا استظهرنا الشعرَ ، وجدنا له — إلى أن جاء اللهُ بالإسلام — خمسين ومائةَ عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتى عام[٧] .

قال : وفضيلة الشعر مقصورةٌ على العرب ، وعلى من تكلَّم بلسان

---

(١) فى ط : « ذى بقراط » ، وما أثبته فى ل . . وانظر القفطى (حرف الدال المهملة ثم حرف الذال المعجمة) .

(٢) فى الأصل : « وقبل الدهور » .

(٣) جاءت (حسنا) بالنون فى الأصل ، ويظهر أنه تصحيح مافى الديوان ١٥٩ . والمراد به المعروف والجميل . والدخلل ، كما قال أبو بكر : الذى يداخل الرجل فى أمره ويصاحبه عليه .

(٤) الخفارة : الذمة والعهد ، والخاء مثلثة .

(٥) حميرى وعدس : رجلان من بنى حنظلة .

(٦) أبو بكر شارح الديوان : كان عوير قد أجار هندا بنت حجر أخت امرئ القيس ، فوفى لها حتى أتى بها نجران ، فدحه بوفاء الذمة ، ونزهه من كل عيب يشين غيره .

(٧) انظر لتوضيح هذا ماأثبت فى الاستدراكات .

العرب ، والشعر لايُستطاع أن يترجَم ، ولا يجوز عليه النقل ؛ ومتى حوِّل تقطَّع نظمُه وبطلَ وزنُه ، وذهب حسنُه وسقطَ موضعُ التعجب ، [لا] كالكلامِ المنثور . والكلامُ المنثور المبتدأُ على ذلك أحسنُ وأوقعُ من المنثور [الذى تحوّل من] موزون الشعر .

٣٨

قال : وجميع الأمم يحتاجون إلى الحكم فى الدين ، والحكم فى الصناعات ، وإلى كلٍّ ما أقام لهم المعاشَ وبوَّب لهم أبوابَ الفِطَن ، وعرَّفهم وجوهَ المرَافق ؛ حديثُهم كقديمِهم ، وأسودُهم كأحمرِهم ، وبعيدُهم كقريبهم ؛ والحاجة إلى ذلك شاملةٌ لهم .

(صعوبة ترجمة الشعر العربى)

وقد نُقلَتْ كتبُ الهند ، وتُرجمت حكمُ اليونانيّة ، وحُوِّلت آدابُ الفرس ؛ فبعضُها ازدادَ حُسنا ، وبعضها ما انتقص شيئاً ، ولو حوّلت حكمة العرب ، لبطل ذلك المعجزُ الذى هو الوزن ؛ مع أنَّهم لو حوَّلوها لم يجدوا فى معانيها شيئاً لم تذكرْه العجم فى كتبهم ، التى وضعت لمعاشهم وفِطَنهم وحِكَمهم . وقد نُقِلَتْ هذه الكتبُ من أمَّةٍ إلى أمّة ، ومن قَرن إلى قرن ، ومِن لسانٍ إلى لسان ، حتى انتهت إلينا ، وكنَّا آخرَ مَنْ ورِثها ونظَر فيها . فقد صحَّ أنَّ الكتبَ أبلغُ فى تقييدِ المآثِر ، من البُنيان والشعر .

(قيمة الترجمة)

ثم قال بعضُ مَنْ ينصر الشـــعر ويحوطُه ويحتجُّ له : إنَّ التَّرجُمانَ لايؤدِّى أبداً ما قال الحكيمُ ، على خصائِص معانيه ، وحقائق مذاهِبه ،

ودقائِق اختصاراته ، وخفيَّاتِ حدوده ، ولا يقدِر أَنْ يوفيَها حقوقَها ، ويؤدِّىَ الأمانة فيها ، ويقومَ بما يلزمُ الوكيلَ ويجبُ على الجَرِىّ[1] ، وكيف يقدِر على أدائِها وتسليمِ معانيها ، والإخبار عنها على حقِّها وصدقها ، إلّا أَنْ يكونَ فى العلم بمعانيها ، واستعمالِ تصاريفِ ألفاظِها ، وتأويلاتِ مخارجِها ، مثلَ مؤلِّف الكتاب وواضـــعِه . فمتى كان رحمه الله تعالى ، ٱبنُ البِطرِيق ، وٱبن ناعمة ، وابن قرَّة ، وٱبن فِهريز ، وثيفيل[2] ، وٱبن وهيلى ، وٱبن المقفَّع ، مثلَ أرِسطاطاليس ؟ ! ومتى كان خالدٌ[3] مثلَ أفلاطون ؟ !

(شرائط الترجمان)

ولا بدَّ للتَّرجُمان من أن يكون بيانهُ فى نفس الترجمة ، فى وزْن علمه فى نفسِ المعرفة ، وينبغى أن يكون أعلمَ الناس باللغة المنقولة والمنقولِ إليها ، حتَّى يكون فيهما سواءً وغاية . ومتى وجدناه أيضاً قد تكلَّم بلسانين ، علمنا أنَّه قد أدخلَ الضيمَ عليهما ؛ لأنَّ كل واحدةٍ من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذُ منها ، وتعترضُ عليها . وكيف يكونُ تمكُّنُ اللسان منهما مجتمعين فيه ، كتمكُّنِه إذا انفرد بالواحدة ، وإنَّما له قوَّةٌ واحدة ، فإنْ تكلَّمَ

---

(١) فى الأصل « المجرى » وإنما هو « الجرى » وهو فى معنى الوكيل ، كما فى القاموس.

(٢) ابن فهريز هو حبيب ، أو عبد يشوع بن فهريز . ابن النديم ٢٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ . وأما ثيفيل : فهو تيوفيل بن توما أحد المترجمين لأرسطو . مجلة الثقافة العدد ٢٨ .

(٣) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، ولى الخلافة ثلاثة أشهر . . وقد قام بأول نقل فى الإسلام ، قال الجاحظ فى البيان ١ : ٣٢٨ : « وكان خالد بن يزيد بن معاوية خطيبا شاعرا ، وفصيحا جامعا ، وجيد الرأى كثير الأدب ، وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء » . توفى خالد سنة ٨٥ هـ .

بلغةٍ واحدة استُفْرِغَتْ تلك القوَّةُ عليهما ، وكذلك إنْ تكلَّم بأكثرَ مِنْ لغتين ، على حساب ذلك تكون الترجمةُ لجميع اللغات . وكلَّما كانَ البابُ من العلم أعسرَ وأضيق ، والعلماءُ به أقلَّ ، كان أشدَّ على المترجِم ، وأجدرَ أن يخطئ فيه . ولن تجد ألبتَّةَ مترجماً يفِي بواحدٍ من هؤلاء العلماء .

٣٩

(ترجمة كتب الدين)

هذا قولُنا فى كتب الهندسة ، والتنجيم ، والحسابِ ، واللحون ؛ فكيف لو كانت هذه الكتبُ كتبَ دِينٍ وإخبار عن الله ــ عزَّ وجلَّ ــ بما يجوز عليه ممَّا لايجوز عليه ، حتَّى يريد أَنْ يتكلَّم على تصحيح المعانى فى الطبائع ، ويكون ذلك معقوداً بالتوحيد ، ويتكلَّمَ فى وجوهِ الإخبار واحتمالاته للوُجوه ، ويكونَ ذلك متضمِّنا بما يجوز على الله تعالى ، ممَّا لايجوز ، وبما يجوزُ على الناس مما لايجوز ، وحتَّى يعلمَ مستقرَّ العامِّ والخاصّ ، والمقابلاتِ التى تَلقَى الأخبارَ العامِّيةَ المخرَج فيجعلَها خاصيَّة ؛ وحتَّى يعرفَ من الخبر ما يخصُّه الخبر الذى هو أثر ، ممَّا يخصُّه الخبر الذى هو قرآن ، وما يخصُّه العقل مما تخصُّه العادة أو الحال الرادَّةُ له عن العموم ؛ وحتَّى يعرفَ ما يكونُ من الخبر صِدقًا أو كذبا ، وما لايجوز أن يسمَّى بصدقٍ ولا كذب ؛ وحتَّى يعرفَ اسمَ الصدق والكذب ، وعلى كم معنًى يشتمل ويجتمع ، وعند فقد أىِّ معنًى ينقلب ذلك الاسم ؛ وكذلك معرفة المُحالِ من الصحيح ، وأىّ شىءٍ تأويلُ المحال ؛ وهل يسمَّى المحال كذبا أم لايجوز ذلك ، وأىّ القولين أفحشُ : المُحال أم الكذب ، وفى أىِّ موضع يكون المحالُ أفْظَع [1] ، والكذب أشنع ؛ وحتَّى يعرف المثلَ والبديع ، والوحى

(١) فى الأصل « أقطع » .

والكناية ، وفصْل ما بين الخطَلِ والهَذْر ، والمقصورِ والمبسوط والاختصار ، وحتّى يعرف أبنيةَ الكلام ، وعاداتِ القوم ، وأسبابَ تفاهمِهم ، والذى ذكرنا قليلٌ من كثير . ومتى لم يعرفْ ذلك المترجمُ أخطأَ فى تأويل كلامِ الدين . والخطأُ فى الدين أضرُّ من الخطأ فى الرياضة والصناعة ، والفلسفةِ والكَيْمِياء ، وفى بعض المعيشة التى يعيش بها بنو آدم .

وإذا كان المترجِم الذى قد ترجَم لايكمل لذلك ، أخطأ على قدْرِ نقصانه من الكمال . وما عِلْمُ المترجِم بالدليل عن شبه الدليل ؟ وما علْمه بالأخبار النجوميّة ؟ وما علمه بالحدود الخفيّة ؟ وما علمه بإصلاح سقطات الكلام ، وأسقاط الناسخين للكتب ؟ وما علمُه ببعض الخطرفة لبعض المقدَّمات ؟ وقد علمنا أنَّ المقدَّمات لابدَّ أنْ تكون اضطراريّة ، ولا بدَّ أن تكون مرتَّبةً ، وكالخيط الممدود[1] . وابنُ البِطريق وابن قرّة[2] لايفهمان هذا موصوفاً منزَّلا ، ومرتَّباً مفصَّلا ، من معلِّمٍ رفيقٍ ، ومن حاذقٍ طَبٍّ ؛ فكيف بكتابٍ قد تداولتْـــه اللغاتُ واختلافُ الأقلام ، وأجناسُ خطوطِ المِلل والأمم ؟ !

ولو كان الحاذقُ بلسان اليونانيِّين يرمى إلى الحاذق بلسان العربيّة ، ثم كان العربيُّ مقصِّرًا عن مقدار بلاغة اليونانىّ ، لم يجد المعنى والناقل التقصير ، ولم يَجِد اليونانيُّ الذى لم يرضَ بمقدار بلاغته فى لسان العربيّة بُدًّا من الاغتفار والتجاوز ، ثمّ يصير إلى ما يعرض من الآفات لأصناف الناسخين ؛ وذلك أن نسختَه لا يَعدَمها الخطأ ، ثمَّ ينسخُ له من تلك النسخة

(١) فى ط : «كالخط المنثور» وقد كتبت بدله مافى ل .
(٢) فى الأصل : «وأبو قرة» .

مَن يزيده من الخطأ الذى يجده فى النسخة ، ثمّ لاينقص منه ، ثم يعارِض بذلك مَن يترك ذلك المقدار من الخطأ على حاله ، إذا كان ليس من طاقته إصلاحُ السَّقَط الذى لايجدُه فى نسخته .

(مشقة تصحيح الكتب)

ولربّما أراد مؤلِّف الكتاب أن يصلِح تصحيفاً ، أوكلمةً ساقطة ، فيكون إنشاء عشرِ ورقاتٍ [1] من حرِّ اللفظ وشريفِ المعانى ؛ أيسَرَ عليه من إتمام ذلك النقص ، حتى يردَّه إلى موضعه من اتِّصال الكلام ؛ فكيف يُطيق ذلك المعارض المستأجَر ، والحكيمُ نفسهُ قد أعجزه هذا الباب ! وأعجب من ذلك أنّه يأخذ بأمرَين : قد أصلحَ الفاسدَ وزاد الصالحَ صَلاحا . ثم يصير هذا الكتاب بعد ذلك نسخةً لإنسانٍ آخَر ، فيسير فيه الورَّاقُ الثانى سيرةَ الورَّاق الأوّل ؛ ولا يزال الكتابُ تتداوله الأيدى الجانية ، والأعْرَاض المفسِدة [2] ، حتَّى يصير غَلَطًا صِرفاً ، وكذِبا مصَمتا ، فما ظنُّكم بكتابٍ تتعاقبه المترجمون بالإفساد ، وتتعاوره الخطَّاط بشرٍّ من ذلك أو بمثله ، كتابٍ متقادِمِ الميلاد ، دُهْرِىّ الصنعة !

(بين أنصار الكتب وأنصار الشعر)

قالوا : فكيف تكون هذه الكتبُ أنفعَ لأهلها من الشعر المقفَّى ؟ قال الآخر : إذا كان الأمرُ على ما قلتم ، والشأنُ على مانزَّلتم ، أليس

---

(١) فى ط : « أنشأ عشر ورقات » وتصحيحه من ل .

(٢) فى ط : « الأغراض المفسدة » وتوجيهه من ل .

معلوماً أَنَّ شيئاً هذه بقيَّتُهُ وفضلتُه وسُؤْرُه وصُبَابته ، وهذا مظهرُ حاله على شدَّة الضيم ، وثبات قوته على ذلك الفسادِ وتداوُلِ النقص ، حرىٌّ بالتعظيم ، وحقيقٌ بالتفضيلِ على البنيان[1] ، والتقديمِ على شعرٍ إن هو حُوِّل تهافَتَ ، ونفعُه مقصورُ على أهله ، وهو يُعدُّ من الأدب المقصور ، وليسَ بالمبسوط ؛ ومن المنافع الاصطلاحيَّة وليست بحقيقة بيِّنة[2] : وكلُّ شيءٍ فى العالم من الصناعات والأرفاق والآلات ، فهى موجودات[3] فى هذه الكتبِ دونَ الأشعار ، وهاهنا كتبٌ هى بينَنَا وبينكم ، مثل كتاب أُقليدِس ، ومثل كتاب جالينوس، ومثل المجسْطى[4] ، ممّا تولّاه الحَجَّاج[5] ، ٤١ وكتبٌ كثيرةٌ لا تحصى فيها بلاغٌ للناس ، وإن كانت مختلفة ومنقوصة مظلومة ومغَيَّرة[6] ، فالباقى كافٍ شاف ، والغائب منها كان تكميلاً لتسلُّط الطبائع الكاملة .

فأما فضيلة الشعر فعلى ما حكينا ، ومنتهى نفعِه إلى حيث انتهى بنا القول[7] .

---

(١) فى ط : « على البيان » وإنما هو « البنيان » كما يفهم من سياق الكلام وكما فى ل .
(٢) فى ط : « وليست بحقيقته بينة » وصوابه فى ل .
(٣) فى ط : « فهى جودات » وأصلحت تشويه العبارة من ل .
(٤) فى ط : « المجشطى » بالشين، وإنما هو « المجسطى » كتاب بطليموس ، وقد قام بترجمته كثير من النقلة قالوا : وصحح المأمون كثيرا من حسابه وأقيسته لمحيط الأرض والدرجة الأرضية ، فكان أرصاد علمائه أول أرصاد فى الإسلام ، وسموا مجموع أرصادهم « الرصد المأمونى » .
(٥) هو الحجاج بن يوسف بن مطر الكوفى ، كما فى إخبار العلماء للقفطى ٤٦ — ٤٧ .
(٦) فى الأصل : « ومفسرة » .
(٧) فى ط « بناء القول » وصحته فى ل .

وحسْبُك ما فى أيدى الناس من كتب الحساب، والطبّ ، والمنطق ، والهندسة ، ومعرفةِ اللُّحون ، والفِلاحة ، والتِّجارة ، وأبواب الأصباغ ، والعِطر ، والأطعمة ، والآلات . وهم أتوكم بالحكمة ، وبالمنفعة التى فى الحمَّامات وفى الأصطرلابات ، والقَرِسطونات [١] وآلات معرفة الساعات ، وصنعة الزجاج والفُسَيفِساء [٢] ، والأسرنج [٣] والزنجفور [٤] واللازَوَرد [٥] والأشربة ، والأنبَجَات [٦] ، والأيارجات [٧] ولكم المينا ، والنشادر

(١) هذا اللفظ وجدته فى رسالة الجاحظ إلى الفتح بن خاقان فى مناقب الترك (هامش الكامل ١ : ٢٦٢) قال : « وصاغوا من المنافع كالقرسطونات والقبانات . . » الخ ووجدته فى كتاب التربيع والتدوير له أيضا ص ١٣٨ طبع الساسى قال : « وخبرنى عن القرسطون كيف أخرج أحد رأسيه ثلاثمائة رطل زاد ذلك أم نقص ووزن جميعه ثلاثون رطلا زاد ذلك أو نقص » ويفهم من قرنه بكلمة (القبان) وهى الميزان ومن وصفه فى العبارة الثانية ، أنه ضرب من الموازين ، وهو الذى يسميه العامة عندنا فى مصر (القبانى) . وانظر النزهة المبهجة لداود ١ : ١٥ .

(٢) الفسيفساء : ألوان من الخرز تركب فى حيطان البيوت من داخل .

(٣) قال الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ١٤٩ : الأسرنج : أسرب يحرق ، ويشب عليه النار حتى يحمر .

(٤) رسمت هذه الكلمة فى القاموس وفى مفاتيح العلوم برسم « الزنجفر » جاء فى الأول : صبغ معروف . وجاء فى الثانى : أنه يتخذ من الزئبق والكبريت ، يجمعان فى قوارير ، ويوقد عليها ، فيصير زنجفرا . . قال الخوارزمى : والوزن أن تأخذ واحدا من زئبق ، وواحدا من كبريت .

(٥) الخوارزمى ١٤٨ : هو حجر فيه عيون براقة يتخذ منها خرز .

(٦) الأنبجات : جمع أنبج ، قال الخليل : حمل شجرة بالهند، يربب بالعسل على خلقة الخوخ ، محرف الرأس ، فى جوفه نواة كنواة الخوخ. وقال الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ١٠٤ : فمن هنا تسمى الانبجات ، وهى التى ربيت بالعسل من الأترج والإهليلج ، ونحو ذلك . ا هـ وهى فى ط « الأنبجاث » بالثاء وهو تصحيف .

(٧) فى الأصل « الافشارجات » وإنما هى « الأيارجات » قال فى القاموس : والأيارجة بالكسر وفتح الراء ، معجون مسهل معروف ، جمعه أيارج معرب إياره، وتفسيره الدواء الإلهى . وانظر مفاتيح العلوم للخوارزمى ١٠٤ س ٤.

والشَّبَه[١] وتعليق الحيطان والأساطين ، وردُّ ما مال منها إلى التقويم . وهم صبُّ الزردج ، واستخراج النَّشَا سْتَج[٢] ، وتعليق الخَيش ، واتِّخاذ الجمَّازات[٣] ، وعمل الحَرَّاقات[٤] ، واستخراج شراب الداذِيّ[٥] وعمل الدّبابات[٦] .

(ما ابتدعه الحجاج من السفن والمحامل)

وكان الحجَّاجُ أوّلَ مَن أجرى فى البحر السفن المقيَّرة المسمَّرة غيرَ المخرَّزة ، والمدهونة والمسطّحة ، وغيرَ ذواتِ الجؤجؤ ؛ وكان أوَّلَ مَن عمِل المحامل ، ولذا قال بعضُ رُجَّاز الأكرياء[٧] :

أوّل خَلْقٍ عَمِلَ المحامِلا أخزَاهُ ربِّى عاجلاً وآجِلا

وقال آخر :

شَيَّبَ أصداغِى فهُنَّ بيضُ مَحَامِلٌ لِقدِّها نَقِيضُ[٨]

وقال آخر[٩] :

---

(١) فى ط : « الشب » وتصحيحه من ل . والشبه والشبهان محركتين : النحاس الأصفر . هذا قول الفيروزبادى . وانظر التفسير الآتى .

(٢) فى ط : « النستاستج » وهو تحريف مافى ل . قال فى القاموس « والنشا وقد يمد: النشاستج معرب حذف شطره » والنشا معروف .

(٣) سيفسرها الجاحظ قريبا .

(٤) الحراقات : سفن فيها مرامى نيران ، يرمى بها العدو .

(٥) قال الفيروزبادى ، الداذى : شراب للفساق .

(٦) فى ل « الزرياب » وهو الذهب أوماؤه معرب . وأما الدبابات فجمع دبابة ، قالوا إنها آلة تتخذ للحرب ، فتدفع فى أصل الحصن فينقبونه وهم فى جوفها .

(٧) مثل هذا الكلام فى البيان ٢ : ٣٠٣ .

(٨) الرجز وسابقه فى البيان ٢ : ٣٠٤ .

(٩) هو رجل من فقيم ، كما فى اللسان (فرض) .

شيَّب أصداغِي فهن بيَّضُ مَحَامِلٌ فيها رجال قبَّضُ

لو يتكون سنة لم يغرضوا

وقال القوم : لولا ما عرَّفوكم من أبواب الُحمْلانات[1] لم تعرفوا صنعة الشَبَه ، ولولا غَضارُ الصين على وجه الأرض لم تعرفوا الغَضار . على أَنَّ ٱلذى عَمِلْتُم[2] ظاهرٌ فيه التوليد، منقوصُ المنفعة عن تمام الصِّينىّ . وعلى أن الشَّبَهَ لم تستخرجوه ، وإنَّما ذلك من الأُمور التى وقعت اتّفاقاً ، لسقوط الناطف[3] من يد الأجير فى الصُّفْر ٱلذائب ، فَخِفتم إفساده ، فَلَمَّا رأيتم ما أعطاه من اللون عَمِلْتم[4] فى الزيادة والنقصان ، وكذلك جميعُ ما تهيَّأ لكم ، ولستم تخرُجون فى ذلك من أحدِ أمرَين : إمَّا أن تكونوا استعملتم الاشتقاق من علمٍ ما أورثوكم ، وإمّا أن يكون ذلك تهيَّأ لكم من طريق الاتِّفاق ! !

(الجمازات)

وقد علمتم أَنَّ أَوَّلَ شأن الجَمَّازَاتِ ، أَنَّ أُمَّ جعفر أمرت الرحَّالِينَ أن يَزيدُوا فى سيرِ النجيبة[5] التى كانت عليها ، وخافت فوتَ الرشيد ، ٤٢ فلما حُرِّكت مشَت ضروباً من المشى ، وصنوفا من السير[6] ، فجَمزت فى

---

(١) فى القاموس : الحملان فى اصطلاح الصاغة : مايحمل على الدراهم من الغش .

(٢) فى ط : « علمتم » وهو تحريف .

(٣) الناطف : ضرب من الحلوى. انظر حواشى ٣ : ٣٧٦ .

(٤) فى ط : « علمتم » .

(٥) فى ل : « البختية » .

(٦) فى ل : « وضروبا من المرفوع » .

خلال ذلك ، ووافقت امرأةً تحسن الاختيار ، وتفهم الأمور ، فوجدت لذلك الجمزِ راحةً ، ومع الراحة لذَّة ، فأمرتْهم أن يسيروا بها فى تلك السِّيرة ، فما زالوا يقرِّبون ويبعِّدون ، ويخطئون ويصيبون ، وهى فى كلِّ ذلك تصوِّبهم وتخطِّئُهم على قدر ما عرفَتْ ، حتى شَدَوا من معرفة ذلك ما شَدَوا ، ثمَّ إنّها فرّغتهم لإتمام ذلك حتى تمَّ واستوى . وكذلك لا يخلو جميعُ أمركم ، من أن يكون اتِّفاقاً ، أو اتِّباعَ أثر .

(الترغيب فى اصطناع الكتاب)

ثم رجع بنا القولُ إلى الترغيب فى اصطناع الكتاب ، والاحتجاجِ على مَنْ زَرَى[1] على واضِع الكتب ، فأقول : إنّ من شكر النعمة فى معرفة مغاوى الناس ومَرَاشدِهم ، ومضارِّهم ومنافِعهم ، أن يُحْتَمَلَ ثِقْلُ مئونتهم فى تقويمهم ، وأن يُتَوَخَّى إرشادُهم وإن جهِلوا فضلَ ما يُسْدَى إليهم ؛ فلن يُصَانَ العلمُ بمثلِ بذْله ، ولن تُستَبقى النعمةُ فيه بمثل نشره . على أَنَّ قراءةَ الكتبِ أبلغُ فى إرشادهم من تلاقيهم ؛ إذ كان مع التّلاقى يشتدُّ التصنُّع ، ويكثُر التظالُم ، وتُفرط العصبيّة ، وتقوَى الحَميَّة ؛ وعند المواجَهةِ والمقابلَة ، يشتدُّ حبُّ الغلَبة ، وشهوةُ المباهاةِ والرياسة ، مع الاستحياء من الرجوع ، والأنفةِ من الخضوع ؛ وعن جميعِ ذلك تحدُث الضغائن ، ويظهرُ التباين . وإذا كانت القلوبُ على هذه الصِّفةِ وعلى هذه

---

(١) أثبت ما فى ل ، وهى فى ط : « ذرى » مصحفة . وزرى عليه كأزرى : عابه ، والأول أكثر .

الهيئة ، امتنعتْ من التعرُّف ، وعمِيت عن مواضع الدلالة ، وليست فى الكتب عِلَّةٌ تمنع من دَرْك البُغْية ، وإصابة الحجَّة ؛ لأنَّ المتوحِّد بِدَرْسها[1] ، والمنفرد بفهم معانيها ، لا يباهى نفسَه ولا يغالب عقلَه ، وقد عَدِم مَنْ له يُباهى وَمِنْ أجله يغالب .

(الكتاب قد يفضل صاحبه)

والكتابُ قد يفضُل صاحبَه ، ويتقدَّم مؤلِّفَه ، ويرجِّح قلمَه على لسانِه بأمور : منها أنَّ الكتابَ يُقرأ بكلِّ مكان ، ويظهرُ ما فيه على كلِّ لسان ، ويُوجَد مع كلِّ زمان ، على تفاوُتِ ما بينَ الأعصار ، وتباعُدِ ما بين الأمصار ؛ وذلك أمرٌ يستحيل فى واضع الكتاب ، والمنازع[2] فى المسألة والجواب . ومناقلةُ اللسان وهدايته لا تجوزان[3] مجلسَ صاحبه ، ومبلغَ صوتِه . وقد يذهب الحكيمُ وتبقى كتبُه ، ويذهب العقلُ ويبقى أثره . ولولا ما أودعت لنا الأوائلُ فى كتبها ، وخلَّدت من عجيبِ حكمتها ، ودوَّنت من أنواعِ سِيَرِها ، حتَّى شاهدنا بها ما غاب عنَّا ، وفتحنا بها كلَّ مستغلق كان علينا ، فجمَعنا إلى قليلِنا كثيرَهم ، وأدركْنا ما لم نكن ٤٣ ندركُه إلاّ بهم ، لقد خسَّ[4] حظنا من الحكمة ، ولضعف سببُنَا إلى المعرفة . ولو لجأنا إلى قدر قوَّتنا ، ومبلغ خواطرِنا ، ومنتهى تجارِبنا

---

(١) فى ط : « يدرسها » و « يفهم » والوجه ما كتبت من ل .
(٢) فى ط : « والمتنازع » .
(٣) فى ط : « لايجوزان » .
(٤) فى ط : « لما حسن » والعبارتان صحيحتان ، ولعل أفضلهما ماأثبته من ل .

لمـا تدركه حواسُّنا ، وتشاهدُه نفوسنا ، لقلَّت المعرفةُ ، وسَقَطت الهِمّة ، وارتفعت العزيمة ، وعاد الرأيُ عقيماً ، والخاطِر فاسـدا ؛ ولَـكلَّ الحدُّ وتبلَّد العقل .

(أفضل الـكتب)

وأكثرُ مِنْ كتبٍ م نفعاً ، وأشرف منها خَطَرا ، وأحسنُ موقعا ، كتُبُ ٱللهِ تعالى ، فيها الهُدَى والرحمة ، والإخبارُ عن كلِّ حكمة ، وتعرِيفُ كلِّ سيِّئةٍ وحسَنة . وما زالت كتبُ ٱللهِ تعالى فى الألواحِ والصُّحُف ، والمهارِق[1] والمصاحِف . وقال ٱللهُ عزَّ وجلَّ ﴿ الم ذٰلِكَ الْـكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ . وقال ﴿ مَا فَرَّطْنَا فى الْـكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ﴾ . ويقال لأَهل التَّوراةِ والإنْجيل : أهلُ الـكِتاب .

(مواصلة السير فى خدمة العلم)

وينبغى أن يكونَ سبيلُنا لِمَنْ بعدَنا ، كسبيلِ مَن كان قبلنا فينا . على أنَّا وقد وجدْنا من العبرة أكثرَ مِمَّا وجدوا ، كما أنَّ مَن بعدَنا يجدُ من العِبرة أكثرَ مِمَّا وجدْنا . فما ينتظر العالمُ بإظهار ما عندَه ، وما يمنَع الناصرَ للحقِّ من القيامِ بما يلزمُه ، وقد أمكن القولُ وصلَح الدهرُ وخَوى نجم التَّقِيَّة[2] ،

---

(١) فى ط : « المحار » وهو تحريف صوابه فى ل .

(٢) فى ل : « حوى نجم التقية » وفى ط « حوى نجم التقيد » وقد أصلحت العبارتين بما ترى. وخوى النجم : اختفى وذهب ، وأصله من خوت الدار : تهدمت . والتقية : الحذر والخوف .

وهَبَّتْ رِيحُ العلماء ، وكَسَدَ العِيُّ والجهل ، وقامت سوقُ البيان والعلم ؟ !

وليس يجدُ الإنسانُ فى كل حينٍ إنساناً يدَرِّبه ، ومقوِّما يثقِّفه .
والصبرُ على إفهام الرَّيِّض شديد ، وصرفُ النفسِ عن مغالبة العالم أشدُّ منه ، والمتعلِّم يجدُ فى كلِّ مكانٍ الكتابَ عتيداً ، وبما يحتاج إليه قائما
وما أكثرَ مَن فرَّط فى التعليم أيَّام خُمولِ ذكره ، وأيَّام حَداثةِ سنِّه ! !
ولولا جِيادُ الكتبِ وحسَنُها ، ومُبَيَّنُها ومختَصَرها ، لَمَا تحرَّكت همُ هؤلاءِ لطلب العلم ، ونزعت إلى حبِّ الأَدب ، وأَنِفَتْ من حالِ الجهل ، وأَن تكون فى غِمار الحَشْو ، ولَدخل على هؤلاء من الخللِ والمضرَّة ، ومن الجهل وسوء الحال ، ما عسى ألا يمكن الإخبارُ عن مقداره ، إلّا بالكلام الكثير ،
ولذلك قال عمرُ رضى الله تَعالى عنه : « تفقَّهوا قبلَ أن تسودوا » .

(كتب أبى حنيفة)

وقد تجدُ الرجلَ يطلبُ الآثارَ وتأويلَ القرآن ، ويجالس الفقهاءَ خمسين عاماً ، وهو لايُعدُّ فقيهاً ، ولا يُجعَل قاضيا ، فما هو إلّا أن ينظرَ فى كتبِ أبى حنيفة ، وأشباه أبى حنيفة ، ويحفَظَ كتبَ الشروط فى مقدارِ سنةٍ أو سنتين ، حتى تمرَّ ببابه فتظنَّ أنَّه من بعضِ العُمَّال[1] ، وبالحَرا[2] ألّا يمرَّ عليه من الأيّام إلّا اليسير ، حتَّى يصير حاكماً على مصرٍ من الأمصار ، أو بلدٍ من البلدان .   ٤٤

---

(١) فى ل : « باب بعض العمال » والعبارتان سليمتان .

(٢) وسمت هذه الكلمة بالياء المشددة فى المطبوعة وهو خطأ . . وإنما هى « الحرا » بالألف . قال صاحب القاموس « والحرا : الخليق. ومنه بالحرا أن يكون ذاك ، وإنه لحرى بكذا وحرى كغنى وحر ، والأولى لاتثنى ولا تجمع » .

(وجوب العناية بتنقيح المؤلفات)

وينبغى لمن كتَبَ كتاباً ألا يكتُبَه إلّا على أَنَّ النَّاس كلَّهم له أعداء ، وكلُّهم عالمٌ بالأمور ، وكلُّهم متفرِّغ له ؛ ثمَّ لايرضى بذلك حتى يدع كتابه غُفْلا ، ولا يرضى بالرأى الفطير ؛ فإنَّ لابتداءِ الكتابِ فتنةً وعُجْباً ، فإذا سكنت الطبيعةُ وهدأت الحركة ، وتراجَعَتِ الأَخلاطُ ، وعادت النفسُ وافرة ، أعاد النَّظرَ فيه ، فيَتَوَقَّفُ عند فصوله توقُّفَ من يكونُ وزنُ طمَعُه[1] فى السلامة أنقَصَ من وزنِ خوفِه من العيب ، ويتفهَّم معنى قولِ الشاعرِ [2] :

إنَّ الحديثَ تَغُرُّ القومَ خلوتُه   حتَّى يَلِجَّ بهم عِيٌّ وإكثارُ

ويقفُ عند قولهم فى المثل : « كلُّ مُجْرٍ فى الخلاءِ يُسَرُّ[3] » فيخاف أن يعترَيه ما اعترى مَنْ أجرى فرسَه وحدَه ، أو خلا بعلمه عند فقدِ خصومه ، وأهلِ المنزلةِ من أهل صناعته .

(تداعى المعانى فى التأليف)

وليعلم أنَّ صاحبَ القلمِ يعتريه ما يعترى المؤدِّبَ عند ضربه وعقابه ،

---

(١) فى الأصل : « طبعه » .

(٢) هو ابن هرمة كما فى رسالة الوكلاء للجاحظ ١٧١ ساسى والبيت كذلك فى البيان ١ : ٢٠٣ وأدب الكتاب للصولى ١٥٧ . وقد رواه الصولى برواية أخرى فانظره .

(٣) جاء فى البيان ١ : ٢٠٣ « وفى المثل المضروب كل مجر فى الخلاء مسر ، ولم يقولوا مسرور . وكل صواب » . والوجه فى المثل« يسر » كما هو هنا وكما فى الميدانى ٢ : ٧٣ وانظر أصل المثل فيه .

فما أكثر من يَعزِم على خمسةِ أسواط فيضرب مائة ؟ ! لأنّه ابتدأ الضربَ وهو ساكنُ الطباع ، فأراه السكونُ أنَّ الصواب فى الإقلال ، فلما ضرب تحرَّك دمُه ، فأشاع فيه الحرارةَ فزادَ فى غضبه ، فأراه الغضبُ أنّ الرأى فى الإكثار . وكذلك صاحب القلم ؛ فما أكثرَ من يبتدئ الكتابَ وهو يُريد مقدارَ سطرين ، فيكتب عشرة ! والحفظُ مع الإقلال أمكَن ، وهو مع الإكثار أبعَد .

(مقايسة بين الولد والكتاب)

واعلم أَنَّ العاقلَ إنْ لم يكن بالمتتبِّع ، فكثيراً مايعتريه ما يعتريه من ولده ، أَنْ يحسُنَ فى عينه منه المقبَّحُ فى عين غيره ، فليعلمْ أَنَّ لفظَه أقربُ نسباً منه مِن ابنه ، وحركَتَه أمسُّ به رِحْماً من ولَده ؛ لأَنَّ حركتَه شىءٌ أحدثَه من نفسه وبذاتِه ، ومن عين جوهرِه فَصَلت[1] ، ومن نفسِه كانت ؛ وَإِنَّما الولدُ كالمَخْطَةِ يتمخَّطها ، والنُّخَامةِ يقذفها ، ولا سواءٌ إخراجُك مِنْ جزئك شيئا لم يكن منك ، وإظهارُك حركةً لم تكن حتَّى كانت منك . ولذلك تجدُ فتنةَ الرجُل بشِعرِه ، وفتنتَه بكلامِه وكتبِه ، فوقَ فتنته بجميعِ نعمته .

(ما ينبغى أن تكون عليه لغة الكتب)

وليس الكتابُ إلى شىءٍ أحوجَ منه إلى إفهام معانيه ، حتَّى لايحتاج

(١) فى ط : « وبداءته من عين جوهره فصلت ». وإصلاح العبارة وإتمامها من ل .

السامع لما فيه من الرويَّة ، ويحتاجُ مِنَ اللفظ إلى مقدارٍ يرتفع به عَنْ
٤٥ ألفاظ السِّفْلَةِ والحَشْوِ(١) ، ويحطُّه من غريب الأعراب ووَحْشِيِّ الكلام ،
وليس له أَنْ يهذِّبَه جدًّا ، وينقِّحَه ويصفِّيه ويروِّقه ، حتى لاينطِقَ
إلّا بِلُبِّ اللُّبِّ ، وباللفظ الذى قد حذف فُضُولَه ، وأسقَطَ زوائِدَه(٢) ،
حتَّى عاد خالصاً لاشَوْب فيه ؛ فإنَّه إنْ فعل ذلك ، لَمْ يُفْهَمْ عنه إلّا بأن
يجدِّد لهم إفهاماً مِرَارا وتَكراراً ، لأنَّ النَّاسَ كلَّهم قد تعوَّدُوا المبسوطَ من
الكلام ، وصارت أفهامُهم لاتزيد على عاداتهم إلّا بأن يعكس عليها
ويؤخذ بها . ألا تَرَى أَنَّ كتاب المنطق الذى قد وُسم بهذا الاسم ،
لو قرأتَه على جميعِ خطباء الأمصار وبلغاءِ الأعراب ، لما فهِموا أكثَرَه ،
وفى كتاب أُقليدِسَ كلامٌ يدور ، وهو عربيٌّ وقد صفِّى ، ولو سمِعه بعضُ
الخطباء لما فهِمه ، ولا يمكن أن يفهِّمه من يريد تعليمه ، لأنَّه يحتاج إلى
أن يكون قد عرَف جهةَ الأمر ، وتعودَّ اللفظ المنطقيَّ(٣) الذى استُخرِج
من جميع الكلام .

(قول صحار العبدى فى الإيجاز ، ونقده)

قال معاويةُ بن أبى سفيان ، رضى الله تعالى عنهما ، لصُحَارٍ العبدى(٤) :

---

(١) فى ط : « الحشوة » وكلاهما صحيح ومعناها : صغار الناس وأسقاطهم .
(٢) فى ل : « وتعرف زوائده » .
(٣) فى ط : « وتعود للفظ المنطق » وهو تحريف .
(٤) هو صحار بن عياش — وقيل ابن عباس — بن شراحيل بن منقذ العبدى من بنى عبد القيس . خطيب مفوه كان من شيعة عثمان ، له صحبة وأخبار حسنة ، وكان نسابة ، توفى نحو سنة ٤٠ هـ . الإصابة ٤٠٣٦ والاشتقاق ٢٠١ .

ما الإيجاز ؟ قال : أَنْ تجيبَ فلا تبطئ ، وتقولَ فلا تخطئ . قال معاوية : أوكذلك تقول ! ! قال صحار : أقِلْنِي يا أميرَ المؤمنين ! لا تخطئ ولا تبطئ .

فلو أَنَّ سائلاً سأَلك عن الإيجاز ، فقلت : لا تخطئ ولا تبطئ ، وبحضرتك خالدُ بنُ صفوان[١] ، لماَ عرَف بالبديهة وعندَ أَوَّلِ وهلة ، أَنَّ قولَك « لا تخطئ » متضمِّنٌ بالقول ، وقولَك « لا تبطئ » متضمِّن بالجواب . وهذا حديثٌ كما ترى آثروه ورَضُوه ، ولو أن قائلاً قال لبعضنا : ما الإيجاز ؟ لظننتُ أنّه يقول : الاختصار .

(حقيقة الإيجاز)

والإيجاز ليس يُعنَى به قلَّةُ عددِ الحروفِ واللفظِ ، وقد يكونُ البابُ من الكلام مَنْ أتى عليه فيما يسع بطن طُومارٍ[٢] فقد أوجز ، وكذلك الإطالة ، وإنَّمَا ينبغى له أن يحذف بقدرِ مالا يكون سبباً لإغلاقه ، ولا يردِّد وهو يَكتَفِى فى الإفهام بشِطره[٣] ، فما فضَل عن المقدار فهو الخطل .

(استغلاق كتب أبى الحسن الأخفش)

وقلتُ لأَبى الحسن الأَخفش : أنت أعلمُ الناسِ بالنَّحو ، فلم لا تجعَلُ

(١) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التيمى المنقرى ، كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، نشأ بالبصرة ، وكان أكثر أهلها مالا ، ولم يتزوج ، توفى نحو سنة ١١٥ هـ .

(٢) الطومار والطامور : الصحيفة ، جمعه طوامير .

(٣) فى ط : « ولا لترداده وهو يكتفى من الإفهام بشطاره » وعدلت القول من ل .

كتبَك مفهومة كلَّها ، وما بالُنا نفهمُ بعضَها ولا نفهم أكثرها ، وما بالُك تقدِّم بعضَ العويصِ وتؤخِّر بعض المفهوم ؟ ! قال : أنا رجلٌ لم أضَعْ كتبى هذه لله ، وليست هى من كتبِ الدين ، ولو وضعتُها هذا الوضع [1] الذى تدعُونى إليه ، قلَّت حاجاتُهم إلىَّ فيها ، وإنَّما كانت غايتى المَنَالة ، فأنا أضعُ بعضَها هذا الوضع [1] المفهومَ ، لتدعوَهم حلاوةُ ما فهِموا إلى التماس فهْمِ مالم يفهموا ، وإنَّما قد كسَبتُ فى هذا التدبير ، إذ كنتُ إلى التكسُّب ذهبت ، ولكنْ ما بالُ إبراهيمَ النظَّامِ ، وفلانٍ وفلان ، يكتبون الكتبَ لله بزعْمِهم ، ثم يأخذُها مثلى فى مواقفته [2] ، وحُسْنِ نظَره ، وشدَّةِ عنايته ، ولا يفهمُ أكثرَها ؟ ! ٤٦

وأقول : لو أنَّ يوسفَ السَّمْتىَّ ، كتب هذه الشروطَ ، أيَّامَ جلسَ سَلمان ابن رَبيعة [3] شهرينِ للقضاء ، فلم يتقدَّم إليه رجُلان ، والقلوب سليمةٌ والحقوقُ على أهلِها موفَّرة ، لكان ذلك خطلاً ولغوًا ؛ ولو كتبَ فى دهره شروطَ سَلمان ، لكان ذلك غَرارةً ونقصاً ، وجهلاً بالسياسة ، وبما يصلحُ فى كلِّ دهر .

(مواضع الإسهاب)

ووجدنا الناسَ إذا خطبُوا فى صلحٍ بين العشائر أطالوا ، وإذا أنشدوا

---

(١) بدلها فى ط : « الموضع » والوجه ماأثبت من ل .

(٢) فى ط : « موافقته » والوجه مافى ل . والمواقفة : الخصومة والجدال .

(٣) هو سلمان بن ربيعة بن يزيد الباهلى الصحابى ، من القادة القضاة ، استقضاه عمر على الكوفة ، ثم ولى غزو أرمينية فى زمن عثمان ، وقتل فيها سنة ٣٠ ه .

الشعر بين السِّماطين فى مديح الملوك أطالوا . وللإطالة موضعٌ وليس ذلك بخطَل ، وللإقلال موضعٌ وليس ذلك من عَجْز .

ولولا أنِّى أتّـكل على أنَّك لا تملُّ بابَ القولِ فى البعير حتَّى تخرجَ إلى الفيل ، وفى الذَّرَّة[١] حتَّى تخرجَ إلى البعوضة ، وفى العقربِ حتَّى تخرج إلى الحيَّة ، وفى الرجل حتَّى تخرجَ إلى المرأة ، وفى الذِّبان والنحل[٢] حتى تخرج إلى الغِرْبان والعِقْبان ، وفى الـكلبِ حتَّى تخرجَ إلى الديك ، وفى الذئب حتَّى تخرجَ إلى السبُع ، وفى الظِّلفِ حتَّى تخرجَ إلى الحافر ، وفى الحافر حتَّى تخرجَ إلى الخُفّ ، وفى الخفِّ حتَّى تخرجَ إلى البُرْثُنِ ، وَفى البرْثُنِ حتَّى تخرجَ إلى المِخلَب ، وكذلك القول فى الطيرِ وعامَّةِ الأَصناف ، لَرأيتُ أنَّ جملة الـكتاب[٣] ، وإنْ كثُر عددُ ورقه ، أَنَّ ذلك ليس مما يُمِـلُّ ، ويُعتَدُّ علىَّ فيه بالإطالة ، لأَنَّه وإن كان كتاباً واحداً فإنَّه كتبٌ كثيرة ، وكلُّ مُصحَفٍ منها فهو أمٌّ على حِدَة ، فإنْ أرادَ قراءةَ الجميع لم يَطُل عليه الباب الأَوَّلُ حتَّى يهجمَ على الثانى ، ولا الثانى حتَّى يهجمَ على الثالث ؛ فهو أبداً مستفِيدٌ ومستَطْرِف ، وبعضُه يكون جَامًا لبعض ، ولا يزالُ نشاطُه زائداً . ومتى خرج مِنْ آى القرآن صارَ إلى الأَثر ، ومتى خرج من أثر صار إلى خبر ، ثم يخرج من الخبر إلى شعر ، ومن الشعرِ إلى نوادر ، ومن النوادر إلى حكمٍ عقليّة ، ومقاييس سِداد[٤] ، ثم لا يترك هذا البابَ ؛ ولعلَّه

---

(١) فى ط : « الدرة » بالدال وإنما هى « الذرة » بالذال كما فى ل . والذر : ضرب من النمل صغار .

(٢) كذا فى ل . . وفى ط : « وفى الذباب » فقط .

(٣) فى ط : « فرأيت أن جملة الـكتاب » .

(٤) فى الأصل : « شداد » والمقياس ينعت بالسداد لا بالشدة .

أن يكون أثقلَ ، والملالُ إليه أسرع ، حتّى يفضِىَ به إلى مزحٍ وفكاهة ، وإلى سُخْفٍ وخُرافة ، ولستُ أراه سُخفا ، إذ كنتُ إنما استعملتُ سِيرة الحكماء ، وآدابَ العلماء .

(مخاطبة العرب و بنى إسرائيل فى القرآن الكريم)

ورأينا الله تبارك وتعالى ، إذا خاطب العربَ والْأَعْرَابَ ، أخرجَ الكلامَ مُخْرَجَ الإشارة والوحى والحذف ، وإذا خاطَبَ بنى إسرائيل أو حكَى عنهم ، جعلَه مبسوطا ، وزاد فى الكلام . فأصوبُ العمل اتّباعُ آثار العلمَاء ، والاحتذاءُ على مثالِ القدماء ، والأَخذُ بما عليه الجماعة . ٤٧

(أقوال لبعض الشعراء فى الكتب)

قال ابن يسير [١] فى صفةِ الكتب ، فى كلمةٍ له :

أقبلْتُ أهرُب لا آلو مُباعدةً فى الأَرض منهمْ فلم يُحْصِنِّىَ الهربُ
بقصر أوسٍ فَما والت خنادقُه ولا النواويسُ فالماخورُ فالخَرب [٢]
فأَيَّمَا موئلٍ منها اعتصمتُ به فمِن ورائى حثيثاً منهمُ الطلبُ
لمَّا رأيتُ بأنى لستُ معجزَهم فوتاً ولا هَرَبًا ، قرَّبت أحتجِبُ

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٥٩ .

(٢) يبتدىء البيت فى ط بكلمة : « فقصر » وينتهى بكلمة « فالخرب » وقد أبدلتهما بما فى ل . وقصر أوس ، كان بالبصرة ، منسوب إلى أوس بن ثعلبة ، أحد الولاة الأمويين .

فصرتُ فى البيت مسروراً بهم جَذِلا جَارَ البراءة لا شكوَى ولا شَغَبُ[١]

فرداً يحدِّثنى الموتى وتنطِقُ لى عن علمِ ما غاب عنِّى منهمُ الكتبُ

هم مُؤْنِسون وأُلَّاف غَنِيتُ بهمْ فليس لى فى أنيسٍ غيرهم أَرَبُ

لِلّهِ من جُلَسَاءٍ لا جَليسهمُ ولا عشيرهُمُ للسُّوءِ مرتقِبُ

لا بادراتِ الأَذَى يخشَى رفيقُهمُ ولا يُلاقيه منهمْ مَنْطِقٌ ذَرِبُ[٢]

أبقَوا لنَا حِكماً تبقى منافعُهَا أُخرَى اللياليِ على الأيَّام وانشعبوا[٣]

فأيّما آدبٍ منهم مددتُ يدى إليه فهو قريبٌ من يَدِى كَثَبُ[٤]

إن شئتُ من مُحكَم الآثارِ يرفعُها إلى النبىِّ ثِقَاتٌ خِيرةٌ نُجُبُ

أو شئتُ من عَرَبٍ علماً بأوَّلِهم فى الجاهليَّةِ أنبتْنى به العرب[٥]

أو شئتُ مِنْ سِيَرِ الأَملاكِ مِنْ عَجَمٍ تُنْبِى وتُخْبِرُ كيف الرأىُ والأَدبُ

حتَّى كأنِّىَ قد شاهدتُ عصرَهُمُ وقد مضَتْ دونهم من دَهرِهم حِقَبُ

يا قائلاً قصُرَت فى العلم نُهْيَتُهُ[٦] أمسى إلى الجهل فيما قال ينتسِبُ

إنَّ الأَوائلَ قد بانوا بعلمهم خلافَ قولِك قد بانوا وَقدْ ذهبوا[٧]

---

(١) فى الأصول « به جذلا » والصواب « بهم » . وابن يسير هنا قد جعل للكتب ضمير جماعة العقلاء كما فى الأبيات الأول . وأما « جار البراءة » فهى ماصح لى من مقارنة مافى الأصول فهى فى ط : « جار البوأة » وفى س « جار البواءة » وفى ل « حاز البراءة » .

(٢) منطق ذرب : كلام حاد مزعج .

(٣) فى ط « والشعب » وصوابه فى ل .

(٤) فى ط «كتب » وهو تصحيف مافى ل . وكثب : قريب .

(٥) فى ط : « بها العرب » والضمير عائد إلى العلم .

(٦) النهية والنهى : العقل . وقد تستعمل النهى جمعا للنهية .

(٧) كذا فى ل . وفى ط :

إن الأوائل قد بانوا بعلمهم خلاف قولك مابانوا وما ذهبوا

وهذا البيت مقول القول فى البيت السابق ، والبيت الآتى رد على قول هذا القائل .

ما مات منا امرؤ أبقَى لنا أدباً نـكونُ منه إذا ما مات نَـكتسِبُ[١]

وقال أبو وَجْزة[٢] وهو يصف صحيفةً كُتب له فيها بستِّينَ وَسْقًا :

راحَتْ بِستِّينَ وَسْقًا فى حقيبتِها ما حُمِّلَتْ حِمْلَها الأَدنى ولا السِّدَدا

ما إنْ رأيتُ قلوصاً قبلَها حَمَلَتْ ستِّينَ وَسقاً وما جابت به بلدَا[٣]

وقال الراجز :

٤٨ تَعَلَّمَنْ أَنَّ ٱلدواة والقـلَمْ تبقَى ويُفْنِي حادثُ ٱلدَّهر الغَنَمْ[٤]

يقول : كتابُك ٱلذى تـكتبُه علىَّ يبقى فتأخذنى به ، وتذهب غنَمى فيما يذهب .

(نشر الأخبار فى العراق)

وممَّـا يدلُّ على نفع الـكتاب ، أنَّه لولا الـكتابُ لم يَجُزْ أن يعلمَ أهل الرَّقَّةِ والموصِلِ وَبغدادَ ووَاسط ، ما كان بالبصرة ، وما يحدث بالـكوفةِ

---

(١) فى ط : « مامات مثل امرئ » والوجه مافى ل .

(٢) فى ط : « أبو وجرة » بالراء وإنما هو بالزاى ، واسمه يزيد بن عبيد ، من بنى سعد بن بكر بن هوازن ، أظـآر النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان شاعرا مجيدا ، وهو أول من شبب بعجوز . كذا قال ابن قتيبة فى ترجمته فى الشعراء ٦٨٤ . توفى أبو وجزة بالمدينة سنة ١٣٠ هـ .

(٣) فى ط : « جاءت » وصـواب الرواية ما أثبته من ل ، س ومن الـكامل ١٠٧ ليبسك ، وقد زاد المبرد بيتاً قبل الأول ، وآخر بعد الثانى . . قال المبرد فى شرح البيت الأول : « إنما أراد مايوجب ستين وسقا ، لا أن الناقة حملت ستين وسقا » . وحديث الشعر فى الـكامل ، ويفهم منه أن أبا وجزة امتدح آل الزبير ، فـكتبوا إليه بستين وسقا من تمر وقالوا : هى لك عندنا فى كل سنة .

(٤) فى ط : « تعلمى أن » وصوابه فى ل .

فى بياضِ يوم ، حتَّى تكونَ الحادثةُ بالكوفةِ غُدوة ، فتعلمُ بها أهلُ البَصرة قبلَ المَساء .

[وذلك مشهورٌ فى الحمام الهدَى، إذا جُعِلت بُرُدا(١) ، قال الله جلّ وعزّ — وذكر سليمانَ وملكَه الذى لم يؤتِ أحداً مثلَه — فقال ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ ﴾ إلى قوله ﴿ أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ فلمْ يلبثْ أن قال الهُدْهُدُ ﴿ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ، وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ قال سليمان ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾ وقد كان عندَه مَن يبلِّغ الرسالةَ على تمامها ، مِن عِفريت ، ومِن بعض مَن عنده علمٌ من الكتاب ، فرأى أنَّ الكتابَ أبهى وأنبَلُ ، وأكرمُ وأفخَمُ من الرسالة عن ظهر لسان ، وإن أحاطَ بجميعِ مافى الكتاب . وقالت مَلكةُ سَبَأ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ . فهذا مما يدلّ على قدْر اختيار الكتب .

(استخدام الكتابة فى أمور الدين والدنيا)

وقد يريد بعضُ الجِلَّةِ الكبارِ ، وبعضُ الأُدباءِ والحكماءِ ، أن يدعو بعضَ مَن يجرى مَجْراه فى سلطانٍ أوْ أدبٍ ، إلى مأدُبةٍ أو نِدام(٢) ، أو خُروجٍ إلى متنزَّه ، أو بعض ما يشبهُ ذلك ، فلو شاءَ أن يبلِّغهُ الرسولُ

(١) جمع بريد . والكلام من مبدأ هذه الفقرة إلى ص ١٠٦ ساقط من جميع النسخ ، وأثبته من ل .

(٢) مصدر نادمه ، بمعنى جالسه على الشراب . والندام أيضا ، جمع النديم . ولكنه ليس مرادا هنا .

(وراثة الكتب)

ووراثة الكتب الشريفة، والأبواب الرفيعة ، منبهة للمورِّث ، وكنز عند الوارث ، إلا أنه كنز لا تجب فيه الزكاة ، ولا حقُّ السلطان . وإذا كانت الكنوز جامدة ، ينقصها ما أخذ منها ، كان ذلك الكنز مائعا يزيده ما أخذ منه ، ولا يزال بها المورِّث مذكوراً فى الحكماء ومنوَّها باسمه فى الأسماء ، وإماماً متبوعاً وعَلَمًا منصوبا ، فلا يزال الوارث محفوظاً، ومن أجله محبوبا ممنوعا ، ولا تزال تلك المحبَّة نامية ، ما كانت تلك الفوائد قائمة ؛ ولن تزال فوائدها موجودةً ماكانت الدار دار حاجة ، ولن يزال من تعظيمها فى القلوب أثر ، ماكان من فوائدها على الناس أثر .

وقالوا : من[1] ورَّثته كتابا ، وأودعته علما ، فقد ورثته ما يُغِل ولا يَستَغِلّ ، وقد ورثته الضيعة التى لا تحتاج إلى إثارة[2] ، ولا إلى سقى ، ولا إلى إسجال بإيغار[3] ، ولا إلى شرط ، ولا تحتاج إلى أكّار[4] ، ولا إلى أن تُثار[5] ، وليس عليها عُشر ، ولا للسلطان عليها خَرْج . وسواء أفدته علما أو ورثته آلة علم ، وسواءٌ دفْعُك إليه الكفايةَ ، أو ما يجلب الكفاية . وإنما تجرى الأمور وتتصرف الأفعال على قدر الإمكان ، فمن لم يقدر إلاّ على دفع السبب ، لم يجب عليه إحضار المسبَّب . فكتُب الآباء ، تحبيب للأحياء ، ومحى لذكر الموتى .

---

(١) فى الأصل : « متى » والوجه ماأثبت .

(٢) الإثارة هنا بمعنى الحرث .

(٣) أسجل له الأمر : أطلقه . وأوغر الملك الرجل الأرض : جعلها له من غير خراج .

(٤) الأكار هنا بمعنى الخبير من المخابرة (والمخابرة أن يزرع الرجل أرض غيره ، على أن يكون له النصف ونحوه مما تغل الأرض) .

(٥) قد سبق قوله « لاتحتاج إلى إثارة » فهو تكرار ، أو فى الكلام تحريف .

وقالوا : ومتى كان الأديب[1] جامعاً بارعا ، وكانت مواريثه كتبا بارعة وآدابا جامعة ، كان الولد أجدر أن يرى التعلُّم حظا ، وأجدر أن يسرع التعليمُ إليه ، ويرى تركه خطأ ، وأجدرَ أن يجرى من الأدب على طريق قد أُنهج له ، ومنهاج قد وطئ له ، وأجدرَ أن يسرى إليه عِرقُ مَن نَجلَه ، وسقى من غرسه ، وأجدر أن يجعل بدل الطلب للكسْب[2] ، النظر فى الكتب ، فلا يأتى عليه من الأيَّام مقدارُ الشغل بجمع الكتب ، والاختلاف فى سماع العلم ، إلا وقد بلغ بالكفاية وغاية الحاجة . وإنَّما تُفسد الكفاية من [له][3] تمت آلاته[4] ، وتوافت إليه أسبابه . فأما الحدَث الغرير ، والمنقوص الفقير ، فخير مواريثه الكفاية إلى أن يبلغ التمام ، ويكمل الطلب . فخير ميراثٍ وُرِّث كتبٌ وعلم ، وخير المورِّثين من أورث ما يجمع ولا يفرِّق ، ويبصِّر ولا يُعمى ، ويُعطى ولا يأخذ ، ويجود بالكلِّ دون البعض ، ويدع لك الكنزَ الذى ليس للسلطان فيه حقّ ، والرِّكازَ[5] الذى ليس للفقراء فيه نصيب ، والنِّعمةَ التى ليس للحاسد فيها حيلة ، ولا لِلُّصُوصِ فيها رغبة ، وليس للخصم عليك فيه حجَّة ، ولا على الجار فيه مَئونة .

(قول ديمقراط فى تأليف كتب العلم)

وأما ديمقراط فإنه قال : ينبغى أن يعرَف أنه لابدَّ من أن يكون لكلِّ كتاب علمٍ وضعَه أحدٌ من الحكماء ، ثمانيةُ أوجه : منها الهمَّة ، والمنفعة ، والنسبةُ ، والصحَّة ، والصِّنف ، والتأليف ، والإسناد ، والتدبير ، فأوَّلها أن

(١) فى الأصل : « الأدب » .
(٢) فى الأصل : « الكتب » .
(٣) زيدت هذه الكلمة فى الأصل بخط مخالف .
(٤) فى الأصل « آدابه » وإنما هى « آلاته » بمعنى أسبابه .
(٥) الركاز بمعنى الكنز .

تكون لصاحبه هِمَّة ، وأن يكون فيما وضع منفعة ، وأن يكون له نسبة يُنْسَب إليها ، وأن يكون صحيحاً ، وأن يكون على صِنف من أصناف الكتب معروفا به ، وأن يكون مؤتلفاً من أجزاء خمسة ، وأن يكون مسندا إلى وجه من وجوه الحكمة ، وأن يكون له تدبير موصوف .

فذُكِر أن أبقراط قد جمع هذه الثمانية الأوجه فى هذا الكتاب ، وهو كتابه الذى يسمى (أفوريسموا) ، تفسيره كتاب الفصول.

(مقاولة فى شأن الكلب)

وقولك: وما بلَغ من قدر الكلب مع لؤم أصله ، وخُبث طبعه ، وسقوط قدره ، ومهانة نفسه ، ومع قلَّةِ خيره وكثرة شره ، واجتماع الأمم كلِّها على استسقاطه ، واستسفاله ، ومع ضربهم المثل فى ذلك كلِّه به ، ومع حالة التى يعرف بها ، من العجز عنْ صولة السِّباع واقتدارها ، وعَن[1] تمنُّعها وتشرُّفها ، وتوحُّشها وقلة إسماحها ، وعن مسالمة البهائم وموادعتها ، والتمكين من إقامة مصلحتها والانتفاع بها ، إذ لم يكن فى طبعها دفع السباع عن أنفسها ، ولا الاحتيال لمعاشها ، ولا المعرفة بالمواضع الحريزة من المواضع المخُوفة ، ولأنَّ الكلب ليس بسبع تام ، ولا بهيمة تامة ، حتّى كأنه من الخلْق المركَّب والطبائع الملفَّقة ، والأخلاط المجتلبة ، كالبغل المتلوِّن فى أخلاقه ، الكثير العيوب المتولِّدة عن مزاجه .

وشرّ الطبائع ما تجاذبته الأعراق المتضادَّة ، والأخلاق المتفاوتة[2] ، والعناصر المتباعدة ، كالراعبىِّ من الحمام ، الذى ذهبت عنه هداية الحمام ،

---

(١) فى الأصل: « ومن » .
(٢) فى الأصل: « المتفاوة » .

وشكل هديره وسرعة طيرانه ، وبطل عنه عمر الوَرَشان ، وقوّة جناحه وشدة عصبه ، وحسنُ صوته ، وشَحْوُ[١] حلقه ، وشكل لحونه ، وشدّة إطرابه ، واحتماله لوقع البنادق وجرح المخالب . وفى الراعبى أنّه مُسرْوَل مثقل ، وحدث له عِظَمُ بدن ، وثقل وزن لم يكن لأبيه ولا لأمّه .

وكذلك البغل ، خرج من بين حيوانين يلدان حيوانا مثلهما ، ويعيش نتاجُهما ويبقى بقاءهما ، وهو لايعيش له ولد وليس بعقيم ، ولا يبقى للبغلة ولد وليست بعاقر ، فلو كان البغل عقيما ، والبغلة عاقراً ، لكان ذلك أزيَدَ فى قوتهما ، وأتمَّ لشدتهما ؛ فمع البغل من الشَّبَق والنَّعظ ما ليس مع أبيه ، ومع البغلة من السَّوَس[٢] ، وطلب السفاد ، ما ليس مع أمّها . وذلك كلُّهُ قدح فى القوّة ، ونقص فى البنية[٣] . وخرج غرموله أعظم من غراميل أعمامه وأخواله ، فترك شبههما ، ونزع إلى شىء ليس له فى الأرض أصل ، وخرج أطول عمراً من أبويه ، وأصبرَ على الأثقال من أبويه .

أو كابن المذكَّرة من النساء ، والمؤنث من الرجال ، فإنه يكون أخبث نتاجا من البغل ، وأفسد أعراقاً من السِّمع ، وأكثر عيوبا من العِسبار ، ومِنْ كلّ خلقٍ خلق إذا تركب من ضِدّ ، ومن كل شجرة مُطَعَّمَةٍ بخلاف .

وليس يعترِى مثلُ ذلك الخِلاسىّ من الدجاج ، ولا الورداني[٤] من الحمام .

---

(١) الشحو : الاتساع . وفى الأصل « وشجى » وليس له وجه .

(٢) يقال سوست الدابة سوسا ، بمعنى اغتلمت ، كما فى كتاب البغال للجاحظ ص ٣٢٠ .
وفى الأصل : « الشوس » تصحيف .

(٣) فى الأصل « فى للبنية » .

(٤) الدميرى : طائر متولد بين الورشان والحمام ، وله غرابة لون .

وكلٌّ ضعف دخل على الخلقة ، وكل رقَّة عرضت للحيوان ، فعلى قدر جنسه . وعلى وزن مقداره وتمكنه ، يظهر العجزُ والعيب .

وزعم الأصمعىُّ ، أنَّه لم يسبق الحلبةَ فرسٌ أهضم قط .

وقال محمد بن سلاّم : لم يسبق الحلبة أبلق قط ولا بلقاء[١] .

والهداية فى الحمام ، والقوَّة على بعد الغاية[٢] ، إنما هى للمصْمَتَة من الخضر[٣] .

(الشيات فى الحيوان ضعف ونقص)

وزعموا أنَّ الشِّياتِ كلَّها ضعف ونقص — والشِّيَة : كلٌّ لون دخل على لون — وقال الله جلّ وعزّ ﴿إنَّهُ يَقُولُ إنَّهَا بَقَرَةٌ لَاذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَاشِيَةَ فِيهَا﴾ .

(ابن المذكرة من المؤنث)

وزعم عثمان بن الحكم[٤] أنَّ ابن المذكرة من المؤنث ، يأخذ أسوأ خصال أبيه ، وأردأ خصال أمه ، فتجتمع فيه عظامُ الدواهى ، وأعيان المساوى ، وأنَّه إذا خرج كذلك ، لم ينجع فيه أدب ، ولا يَطمع فى علاجه طبيب ، وأنَّه رأى فى دور ثقيف ، فتىً اجتمعتْ فيه هذه الخصال ، فما كان فى الأرض يومٌ ، إلَّا وهم يتحدثون عنه بشىءٍ ، يصغُر فى جنْبِه أكبَرُ ذنبٍ كان يُنسَب إليه !

---

(١) انظر الحيوان ٥ : ١٦٦ .
(٢) الغاية : المدى الذى يرسل إليه حمام الزاجل .
(٣) المصمتة : التى لايخالط لونها لون آخر .
(٤) هو عثمان بن الحكم بن صخر الثقفى ، له خبران فى الأغانى (٩ : ٢٣ ، ١٧ : ١٧)

وزَعَمْتَ أنَّ الكلب في ذلك كالخنثى ، الذى هو لا ذكر ولا أنثى ، أو كالخصى الذى لمَّا قُطِع منه ما صار به الذَّكَر فحلا ، خرجَ من حدِّ كمال الذكَر بفقدان الذكَر ، ولم يكملْ لأن يصير أنثى ، للغريزة الأصلية ، وبقيَّةِ الجوهريّة .

وزَعَمْتَ أنَّه يصير كالنبيذ الذى يفسده إفراطُ الحرّ ، فيخرجه من حدِّ الخل ، ولا يدخلُه فى حدِّ النبيذ .

وقال مرداس بن خذام[1] :

سَقَينا عِقالاً بالثَّوِيَّةِ[2] شَرْبةً ... فمالت بلُبِّ الكاهلِيِّ عِقالِ

فقُلْتُ اصطبِحْها يا عِقالُ فإنَّما ... هى الخمرُ خيَّلْنا لها بخَيالِ

رَمَيْتُ بأُمِّ الخلِّ حبَّةَ قلبِه ... فلم ينتعش منها ثلاثَ ليالِ

فجعل الخمر أُمَّ الخلّ قد يتولد عنها . وقد يتولّد عن الخل — إذ كان خمراً مرة — الخمرُ .

وقال سعيد بن وهب[3] :

هَلاَّ وأنت بماءِ وجهِك تُشْتَهَى ... رَوْدَ الشَّبابِ قليلَ شَعْرِ العارض!

فالآن حين بدَتْ بخدِّك لِحية ... ذهَبَتْ بملحك مثل كفِّ القابضِ

مثل السلافة عادَ خمرُ عصيرها ... بعدَ اللَّذاذة خَلَّ خمرٍ حامضٍ

ويصير أيضاً كالشعر الوسط ، والغناء الوسط ، والنادرة الفاترة ، التى لم

---

(١) فى الأغانى (١٠ : ٨٧) جذام . وفى ثمار القلوب ٢٠٧ : « جزام » وانظرقصة الشعر فى المخصص ١٣ : ١٨٩ والمؤتلف والمختلف ١٠٩ ومعجم المرزبانى ٣٧٠ .

(٢) الثوية : موضع بالكوفة أو قريب منها . وانظر نسبة البيت فى معجم البلدان .

(٣) سعيد بن وهب ، هو أبو عثمان مولى بنى سامة بن لؤى ، شاعر مطبوع ، أكثر شعره فى الغزل والتشبيب بالمذكر ، وكان من كتاب البرامكة ، متقدما عندهم ، قالوا : وكان ذا فجور ومجون ، ثم تاب وأقلع ، وكانت وفاته فى أيام المأمون . انظر الأغانى ٢١ : ٦٩ — ٧٢ وفهرس ابن النديم ١٧٨ ، ٢٣٦ مصر .

تخرج من الحرِّ إلى البرد فتضحك السِّن ، ولم تخرُج من البرد إلى الحر فتضحك السِّن[١]] .

باب
ذكر ما يعترى الإنسان بعد الخصاء وكيف ما كان قبل الخصاء

قالوا : كلُّ ذى ريحٍ مُنتِنةٍ ، وكُلُّ ذى دَفْرٍ وصُنَانٍ كريهِ المشَمَّةِ[٢] ، كالنَّسر وما أشبهه ، فإنَّه متى خُصى نقَص نتنُه وذهبَ صُنانه ، غيرَ الإنسان ، فإنَّ الخصىَّ يكون أنتنَ ، وصنانُه أحدَّ ، ويعمُّ أيضاً خبْثُ العرقِ سائرَ جسَده ، حتى لَتُوجَد لأجسادهمْ رائحةٌ لا تكون لغيرهم . فهذا هذا .

وكلُّ شيءٍ من الحيوان يُخصَى فإنَّ عظمَه يدِقُّ ، فإذا دقَّ عظمُه استرخَى لحمه ، وتبرَّأ من عظمه ، وعاد رَخْصًا رطْبا، بعد أن كان عَضِلا[٣] صُلْباً ، والإنسان إذا خُصِىَ طال عظمُه وعرُض ، فخالف أيضا جميعَ الحيوان من هذا الوجه .

وتعرض للخصيان أيضا طول أقدامٍ ، واعوجاج فى أصابع اليد ، والتواءٌ فى أصابع الرِّجْل ، وذلك مِن أوَّلِ طعْنِهم فى السنِّ . وتعرِض لهم سرعة التغيُّر والتبدُّل ، وانقلاب من حدِّ الرطوبة[٤] والبضاضة ومَلاسة الجلد ، وصفاءِ اللون ورقَّته ، وكثرةِ الماء وبريقه ، إلى التكرُّش والكمود ،

---

(١) هذه نهاية السقط الذى ابتدأ من ص ٩٧ .

(٢) فى ط : « وقيل ذى ذفر وصنان وكريه المشمة » وهو كلام محرف .

(٣) فى ل : « عضلا » والوجه ما كتبت من ط .

(٤) فى ل : « والانقلاب من حد الرطوبة » .

وإلى التقبُّض والتخَدُّد(١) ، وإلى الهُزال ، وسوء الحال ، فهذا الباب يعرِض للخصيان ، ويعرض أيضاً لمعالجى النبات من الأكرة(٢) مِن أهل الزرع والنخل ، لأنَّكَ ترى الخصىَّ وكأنَّ السيوفَ تلمع فى لونه(٣) ، وكأنَّه مِرْآةٌ صينيَّة ، وكأنه وَذيلة مجلوَّة ، وكأنه جُمَّارَة رَطْبة ، وكأنه قضيبُ فِضَّةٍ قد مسَّهُ ذهب ، وكأن فى وجناته الورد ، ثم لا يلبثُ كذلك إلا نُسَيْئاتٍ(٤) يسيرةً ، حتى يذهبَ ذلك ذَهابا لا يعود ، وإن كان ذا خِصبٍ ، وفى عيش رَغَد ، وفى فراغ بالٍ ، وقلَّةِ نصَب .

(من طرائف عبد الأعلى القاصّ)

وكان من طرائف ما يأتى به عبد الأعلى القاصّ ، قوله فى الخصى ، وكان لغلبة السلامة عليه يُتوهَّم عليه الغفلة ، وهو الذى ذكر الفقيرَ مرة فى قصصه فقال : الفقير مرقته سُلْفة ، ورداؤه عِلْقة ، وجَرْدَقته فِلْقة ، وسمكته شلَقَة(٥) ، [وإزاره خرقة] .

قالوا : ثمَّ ذكر الخصىَّ فقال : إذا قُطِعت خُصيته ، قَوِيت شَهوتُه وسخُنت مَعِدته ، ولانَتْ جِلدتُه ، وانجردت شَعْرته ، واتَّسعت فَقْحته ، وكَثُرتْ دمعته ! ! ٤٩

---

(١) فى الأصل : « التحدد » وإنما هو « التخدد » بمعنى التقبض .

(٢) فى ط : « ويعرض أيضا لبنات الأكرة » وتصحيحه من ل .

(٣) فى مفاخرة الجوارى والغلمان : « تلمع فى وجهه » .

(٤) النسأة بالضم والنسيئة بمعنى النظرة — بكسر الظاء — وتصغر النسأة وتجمع ، فتكون نسيئات ، والمراد بها الوقت القليل .

(٥) (السلفة) : ما يتعلل به قبل الغداء . ويسميها العامة اليوم « تصبيرة » . . وأما (العلقة) فهو قميص بلا كمين ، أو ثوب يجاب ولايخاط جانباه ، تلبسه الجارية وهو إلى الحجزة . . وأما (الفلقة) فبمعنى النصف . والجردقة : الرغيف ، معرب كرده . وأما (الشلقة) بالكسر أو بفتح الأول وكسر الثانى فهى واحدة الشلق : ضرب من صغار السمك .

وقالوا ، الخصىُّ لا يصلَع كما لا تصلَع المرأة ، وإذا قطع العضوُ الذى كان به فحلاً تامًّا ، أخرجه ذلك من أكثرِ معانى الفحول وصفاتهم ، وإذا أخرجه من ذلك الكمال ، صيَّره كالبغل الذى ليس هوحماراً ولا فرساً ، وتصيرُ طباعُه مقسومةً على طباعِ الذكر والأنثى ، وربما لم يَخْلُص له الخلقُ ولم يَصْفُ ، حتّى يصير كالخلق من أخلاق الرجال ، أو يلحق بمثله من أخلاق النساء ، ولكنَّه يقع ممزوجا مركبا ، فيخرج إلى أن يكون مذبذبا ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . وربما خرجت النتيجة وما يولّده التركيب ، عن مقدار معانى الأبوين ، كما يجوزُ عمرُ البغْل عمرَ أبويه ، وكذلك ما عددنا فى صدر هذا الكلام[1] .

(طلب النسل)

وقالوا[2] : وللإنسان قوًى معروفةُ المقدارِ ، وشهواتٌ مصروفةٌ فى وجوهِ حاجاتِ النفوس ، مقسومةٌ عليها ، لا يجوزُ تعطيلُها وتركُ استعمالِها ، ماكانت النفوسُ قائمةً بطبائعها ومِزاجاتها وحاجاتها . وبابُ المنكَح مِن أكبرِ ها ، وأقواها ، وأعمِّها :

ويدخل فى باب المنكَح ما فى طبائِعهم من طلبِ الولد ، وهو بابٌ من أبوابهم عظيم ؛ فمنهم من يطلبه للكثرة والنُّصرة ، وللحاجة إلى العدد والقوَّة ، ولذلك استلاطت العربُ الرجالَ ، وأغضتْ[3] على نسب المولود

(١) فى ط : « الكتاب » وهو تحريف .

(٢) فى ط : « قال » والوجه ما فى ل .

(٣) أغضى على الشىء : سكت . وفى ط : « وأغضبت » والوجه ما كتبته من ل .

على فراش [أبيه][1] ، وقد أحاط علمُه بأنَّه من الزوج الأوَّل. قال الأشهب ابن رُمَيلة[2] :

قال الأقاربُ لا تغرُرْكَ كثرتُنا ... وأَغْنِ نفسَكَ عنَّا أيها الرجُلُ

علَّ بَنِيَّ يشدُّ اللهُ كثرتَهم ... والنَّبْعُ يَنْبُتُ قُضْباناً فيكتهل[3]

وقال الآخر[4] :

إنَّ بَنِيَّ صِبْيَةٌ صَيْفِيُّونْ ... أَفْلَحَ مَنْ كان لَهُ رِبْعِيُّونْ

يشكو كما ترى صِغَر البنين ، وضعف الأسر[5] .

وما أكثر ما يطلب الرجل الوَلَدَ نفاسةً بماله على بنى عمِّه ، ولإشفاقِه من أن تليه القضاةُ وترتع فيه الأمناء ، فيصيرَ مِلكًا للأولياء ، ويقضىَ به القاضى الذِّمامَ ويصطنع به الرجال .

وربما همَّ الرجلُ بطلب الولد لبقاء الذكْر ، وللرغبة فى العقب ، أو على جهة طلَبِ الثواب[6] فى مباهاة المشركين ، والزيادةِ فى عدد المسلمين ، أو للكسب والكفاية ، وللمدافعة والنُّصْرة ، وللامتناع ، وبقاء نوع الإنسان ، ولما طبع الله تعالى بنى آدم عليه ، من حبِّ الذُّرِّيَّةِ وكثرةِ النسل ، كما طبع ٥٠

(١) فى الأصل : « على فراشه » وبذلك لا يكون للضمير فى كلمة (علمه) الآتية مرجع . وعلى الأصل أيضا لا نجد لضمير (فراشه) مرجعا مناسبا .

(٢) وقيل الشعر لنهشل بن حرى كما فى البيان ، والبيتان فيه ٣ : ٩٦ .

(٣) فى البيان : « أعظمهم » بدل « كثرتهم » . وفى ط « النبغ » بالغين ، والصواب ما أثبت من ل والبيان . والنبع : شجر تعمل منه القسى والسهام .

(٤) هو أكثم بن صيفى ، كما فى نوادر أبى زيد ٨٧ قال أبو زيد « يقال أصاف الرجل إذا ترك النساء شابا لم يتزوج ، ثم تزوج بعد ماأسن ، ويقال لولده صيفيون . . . والربعيون : الذين ولدوا وآباؤهم شباب فهم رجال » . و « إن » هى فى ط « عسى » وتصحيحه من ل : والنوادر .

(٥) فى ط : « السن » .

(٦) فى ط : « الصواب » وهو تحريف ظاهر .

الله تعالى الحمام والسنانير على ذلك ، وإن كان إذا جاءه الولد زاد فى همّه ونصبه ، وفى جُبْنِه وبخله ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الْوَلَد مَجْبَنَةٌ مَبْخَلَةٌ مَجْهَلَةٌ » فيحتمل فى الولد المُؤَن المعروفة ، والهموم الموجودة لغير شيء قصَد له ، وليس فى ذلك أكثرُ من طلب الطباع ، ونزوعِ النفس إلى ذلك .

وذكر أبو الأخزَر الحِمَّانى عَير العانة[1] بخلاف ما عَليه أصحابُ الزّواج من الحيوان ، فقال عند ذكر سِفاده :

لا مُبتَغِى الذرْء ولا بالعازِلِ[2]

لأنَّ الإنسانَ من بين الحيوان المُزَاوِج ، إذا كرِهَ الولدَ عزَل ، والمزاوج من أصناف الحيوانات إنّما غايتُها طلبُ الذرْء[3] والولد . لذلك سُخِّرت ، وله هُيِّئت ، لِمَا أراد اللهُ تعالى من إتمامِ حوائِج الإنسانِ . والحمارُ لا يطلبُ الولدَ ، فيكون إفراغه فى الأتان لذلك ، ولا إذا كان لا يريد الولد عزَل كما يعزل الإنسان ، غير أنّ غايتَه قضاءُ الشهوة فقط ، ليس يَخْطُر[4] على باله أنّ ذلك الماءَ يُخلَق منه شيء .

[وروى ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال « ليس فى البهائم شيء يعمل عمل قوم لوط إلا الحمار »] .

وعامَّة اكتساب الرجال وإنفاقهم ، وهمِّهم وتصنُّعهم ، وتحسينهم لما يملكون ، إنّما هو مصروفٌ إلى النساء والأسباب المتعلقة بالنساء ، ولو لم يكن إلاّ التنمُّص[5] والتطيُّب والتطوُّس[6] [والتعَرُّس[7]] والتخضُّب ،

---

(١) فى ط : « وذكر أبو الأخزر الحمام غير العافة » وهو مثل من أمثلة التحريف الشنيع .
(٢) فى ط : « لامبتغى الذر ولا بالعازل . وفى ل : « الذرء ولاالعازل » والوجه ما أثبت .
(٣) فى ط : « الذر » .
(٤) فى الأصل : « يذكر » .
(٥) النمص : نتف الشعر . والتنمص : التزين بذلك الأسلوب .
(٦) التطوس : التزين . وبدل « التطوس » فى ط : « التطرز » وليس بشيء .
(٧) التعرس : التحبب .

والذى يُعَدُّ لها من الطيب والصِّبغ ، والحَلْي ، والكِساء ، والفُرُش ، والآنية ، لكان فى ذلك ما كفى . ولو لم يكن له إلاّ الاهتمامُ بحفظها وحراستها ، وخوفُ العارِ من جنايتها والجناية عليها ، لكان فى ذلك المؤْنةُ العظيمة ، والمشقة الشديدة .

(قول فى الغرائز وبيان سبب شره الخصى)

فإذا بَطل العضوُ الذى من أجله يكون اشتغالُ النفس بالأصناف الكثيرة ، من اللذّة والألَم ، فباضطرارٍ أنْ تعلَمَ أنّ تلك القُوَى لم تَبطل من التركيب ، ولم تَعدَمْها الخلقة ، وإنّما سُدَّ دونَها بسدٍّ ، وأدخل عليها حجاب ، فلا بدَّ لها إذا كانت موجودةً من عمل ، لأنَّ عملَ كلِّ جوهرٍ لا يُعدَم إلاّ بعدَم ذاته ، فإذا صُرِفَتْ من وجهٍ فاضَتْ[1] من وجه ، ولا سيما إذا جمَّت ونازعتْ ، ولا بُدَّ إذا زخَرت وغَزُرت ، وطغت[2] وطَمَتْ ، من أن تفيضَ أو تفتح لنفسها باباً ، وليس بعد المنكح بابٌ له موقعٌ كموقعِ المطعم ، فاجتمت تلك القوى التى كانت للمنكَح وما يشتمل عليه باب المنكح ، إلى القوّة التى عنده للمطعم ، فإذا اجتمعت القوّتان فى بابٍ واحد كان أبلغ فى حكمِهِ ، وأبعدَ غايةً فى سبيله ، ولذلك صارَ الخَصىُّ آكَلَ من أخيه لأمّه وأبيه ، وعلى قدر الاستمراء يكون هضمه ، وعلى قدر حاجةِ طبعه [وحركة نفسه و][3] الحرارةِ المتولّدةِ عن الحركة يكونُ ٥١

(١) كذا على الصواب فى ط . . وفى ل : «غاضت » .

(٢) فى ط : « طفت » وتصحيحه من ل .

(٣) فى ط : « على قدر حاجة طبعه وحاجة الحرارة المتولدة عن الحركة » وأصلحت الكلام من ل .

الاستمراء ، لأن الشهوة من أمتن[١] أبواب الاستمراء ، والحركةَ من أعظم [أبواب] الحرارة .

(تفوق رغبة الإناث على الذكور فى الطعام)

ودوامُ الأكل فى الإناثِ أعمُّ منه فى الذكور ، وكذلك الحِجْرُ دون الفَرَس ، وكذلك الرَّمَكة دونَ البِرذَون ، وكذلك النعجة[٢] دونَ الكبش ، وكذلك النساءُ فى البيوت دونَ الرجال . وما أشكُّ أنَّ الرجلَ يأكلُ فى المجلسِ الواحدِ ما لا تأكل المرأة ، ولكنَّها تستوفِى ذلك المقدارَ وتُربِى عليه مقطَّعاً غيرَ منظوم ، وهى بدوامِ ذلك منها ، يكون حاصلُ طعامِها أكثرَ . وهنَّ يُناسِبْن الصبيانَ فى هذا الوجه ، لأنَّ طبعَ الصبيِّ سريعُ الهضم ، سريعُ الكلَب ، قصيرُ مدَّةِ الأكل ، قليلُ مقدارِ الطُّعْم ، فللمرأةِ كثرةُ معاودتها ، ثمَّ تَبِينُ بكثرةِ مقدارِ المأكول . فيصير للخَصىِّ نصيبان : نصيبُه من شِبْه النساء ، ثم اجتماعُ قوى شهوتيه فى بابٍ واحد ، أعنى شهوةَ المنكَح التى تحولت ، وشهوةَ المطعم .

قال ، وقيل لبعض الأعراب : أىُّ شىء آكَلُ ؟ قال : بِرْذَونَةٌ رَغُوث[٣] .

ولشدَّةِ نَهَمِ الإناثِ ، صارت اللبؤة أشدَّ عُرَاماً وأنزقَ ، إذا طلبت الإنسانَ لتأكله ، وكَذلك[٤] صارت إناثُ الأَجناس الصائدة [أصيَدَ] ،

---

(١) فى الأصل : « أنتن » وهو تحريف ما كتبت .

(٢) فى ط : « الرمكة » والوجه ماأثبت من ل .

(٣) رغوث : مرضعة . والخبر فى البيان ٣ : ٢١٢ .

(٤) فى الأصل : « ولذلك » .

كالإناثِ من الكلاب [والبُزاةِ] وما أشبهَ ذلك ، وأحرصَ ما تكون عندَ ارتضاع جِرائها [من أطبائها] ، حتّى صار ذلك منها سبباً للحرص والنَّهم فى ذلك .

(صوت الخصى)

ويعرض له عند قطع ذلك العضوِ تغيُّرُ الصوت ، حتى لايخفى على من سمِعه من غير أن يرى صاحبَه أنَّه خَصِىٌّ ، وإن كان الذى يخاطبه ويناقله الكلام أخاه أو ابنَ عمِّه ، أو بعضَ أترابه مِن فُحولة جنسه ، وهذا المعنى يعرض لخِصيان الصقالِبَة أكثر ممَّا يعرِض للخراسانية ، وللسودان من السِّنْد والحُبْشان . وما أقلَّ مَن تجده ناقصا عن هذا المقدار ، إلّا وله بيضة أو عِرْق ، فليس يُحتاج فى صِحَّةِ تمييزِ ذلك ، ولا فى دقة[1] الحسِّ فيه ، إلى حِذقٍ بقيافة ، بل تجد ذلك شائعا فى طباع السِّفلة والغَثْراءِ[2] ، وفى أجناس الصِّبيان والنساء .

(شَعر الخصى)

ومتى خُصى قبلَ الإنباتِ لم يُنْبِتْ ، وإذا خُصِى بعد استحكام نباتِ الشعر فى مواضعه ، تساقط كله إلَّا شعرَ العانة ، فإنه وإن نقَص من غَلَظه ومقدارِ عَدده فإنَّ الباقىَ كثير . ولا يعرِضُ ذلك لشعر الرأس ، فإنَّ شعرَ

---

(١) فى ط : « رقة » وما كتبت من ل أشبه بكلام الجاحظ .

(٢) كذا فى ط ، وهو الصواب . وفى ل : «العتر» . وفى القاموس : « الغثرة محركة ، والغثراء والغثر بالضم ، والغيثرة : سفلة الناس » .

الرأس والحاجبين وأشفار العينين يكون مع الولادة ، وإنما يعرض لما يتولد من فضول البدن .

وقد زعم ناسٌ أنَّ حكمَ شَعرِ الرأس خلافُ حكم أشفار العينين ، وقد ذكرنا ذلك في موضعه من باب القول في الشعر ، وهذه الخصال من أماكن شَعر النساء ، والخصيان والفحولة فيه سواء ، وإنما يعرض لسوى ٥٢ ذلك من الشعر الحادثِ الأصول ، الزائدِ في النبات . ألا ترى أن المرأة لاتصلَعُ ، فناسبها [الخصيُّ] من هذا الوجه ، فإنْ عرضَ له عارضٌ فإنما هو من القرَع ، لامن جهة النَّزَع والجَلَح ، [والجَلَه] والصَّلَع [1] وكذلك النساء في جميع ذلك .

والمرأة ربَّما كان في قُصَاص مقاديم شعرِ رأسها ارتفاع ، وليس ذلك بنزَعٍ ولا جلَح ، إذا لم يكن ذلك حادثا يُحدثه الطعنُ في السنّ .

وتكون مقاطعُ شعر رأسه ومنتهى حدود قُصاصه ، كمقاطع شعر المرأة ومنتهى قُصاصها ، وليس شعرُها كلما دنا من موضع الملاسَة والانجراد يكون أرقَّ حتى يقلَّ ويضمحلَّ ، ولكنه ينبُت في مقدارِ ذلك الجلد على نبات واحد ، ثم ينقطع عند منتهاه انقطاعا واحداً . والمرأة ربَّما كانت سبلاء ، وتكون لها شَعَراتٌ رقيقة زَغَبِيَّةٌ كالعِذار موصولا بأصداغها ، ولا يعرض ذلك للخَصى إلا من علة في الخصاء ، ولا يرى أبداً بعد مقطَع من صُدْغَيه شيءٌ من الشَّعر ، لا من رقيقه ولا من كثيفه .

---

(١) النزع : انحسار الشعر من جانبى الجبهة . والجلح : انحساره عن جانبى الرأس . والجله والصلع : انحسار شعر مقدم الرأس .

(ذوات اللحى والشوارب)

وقد توجد المرأة ذات لحية . وقد رأيت ذلك ، وأكثرُ ما رأيته في عجائز الدَّهاقين ، وكذلك الغَبَب والشارب ، وقد رأيت ذلك أيضاً . وهي ليست في رأى العين مُخَنَّثى ، بل [تجدها] أنثى تامَّة ، إلا أن تكون لم تضرب في ذلك بالسبب الذى يقوَى، حتى يظهر في غير ذلك المكان . [ولا تعرض اللحى للنساء ، إلا عند ارتفاع الحيض]، وليس يعرض ذلك للخَصى .

وقد ذكر أهلُ بَغداد ، أنَّه كان لابنةٍ من بنات محمَّدِ بنِ راشدٍ الخنَّاق ، لحيةٌ وافرة ، وأنّها دخلت مع نساءٍ متنقِّباتٍ إلى بعض الأعراس لتَرَى العُرس وجَلْوَةَ العَرُوس ، ففطِنت لها امرأة فصاحت : رجلٌ والله ! وأحال[1] الخدم والنساءُ عليها بالضرب ، فلم تكن لها حيلةٌ إلا الكشفَ عن فرْجِها ، فنزَعن عنها[2] وقد كادت تموت .

ويفضل أيضاً الخصيُّ المرأةَ في الانجراد والزَّعَر ، بأن تجدَ المرأة زَبَّاءَ الذراعين والساقين ، وتجد رَكَب[3] المرأة في الشعْر كأنَّه عانةُ الرجل ، ويعرض لها الشعر في إبطيها وغير ذلك .

ولا يعرِض للخصيِّ ما يعرض للديك إذا خُصى : أن يذبُلَ غُصروفُ عُرْفِه ولحيته .

والخصاءُ ينقُص من شدَّة الأسر ، وينقُض[4] مُبْرَمَ القُوَى ، ويُرْخِي مَعاقِدَ العَصَب ، ويقرِّب من الهرَم والبِلى .

---

(١) في ل : « فأقبل » .
(٢) في ل : « فكففن » .
(٣) الركب بالتحريك : العانة أو منبتها أو الفرج أو ظاهره .
(٤) في ط : « وينقص » بالصاد . وصوابه في ل .

(مشى الخصى)

ويعرِض للخصىِّ أن يشتدَّ وقعُ رجله على أرض السَّطح ، حتى لو تفقَّدتَ وقعَ قدمه وقدَم أخيه الفحل [الذى هو أعبلُ[١] منه] لوجدتَ لوقْعِه ووطْئه شيئاً لاتجده لصاحبه . وكأنَّ العضوَ الذى كان يشدُّ

٥٣ توتير النَّسَا[٢] ، ومَعاقد الوركين[٣] ومعاليق العصب ، لَمَّا بطل وذهب الذى كان يمسكُه ويرفعه ، فيخفّ لذلك وقْعُ رجلِه ، صار كالذى لايتماسَكُ ولا يحمل بعضه بعضا .

(أثر الخصاء فى الذكاء)

ويعرض له أنَّ أخوين صَقْلَبِيَّيْنِ مِن أمّ وأبٍ ، لو كان أحدهُما توأمَ أخيه ، أنَّه متى خُصِيَ أحدُهما خرَج الخصىُّ منهما أجوَدَ خِدمةً ، وأفطن لأبواب المعاطاة والمُنَاولةِ ، وهو لها أتقَنُ وبها أليق ، وتجده أيضاً أذكى عقلا عند المخاطبة ، فيُخصُّ بذلك كلِّه ، ويبقى أخوه على غثارة[٤] فطرته ، وعلى غباوة غريزته ، وعلى بلاهة[٥] الصَّقْلَبيَّة ، وعلى سوءِ فهم العجَميّة .

ويدُ الإنسان لاتكون [أبداً] إلا خرْقاء ، ولا تصير صَناعا مالم تكنْ

---

(١) أعبل منه : أضخم منه .

(٢) فى ط : « وكان العضو الذى به يشتد يشد توتير النسا » وفى ل : « وكأن العضو الذى كان يشد توتير عرق النساء » وقد أصلحت العبارة بما ترى . ولا يقال عرق « النسا » وإنما هو « النسا » بدون إضافة . قال الزجاج : لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه .

(٣) فى ط : « ومعاليق الوركين » وليس بشىء .

(٤) فى ط : « غشاوة » وفى ل : « عثارة » بالعين ولعل صوابهما ماأثبت . والأغثر : الأحمق الجاهل .

(٥) فى ط : « بلاهته » وأبدلتها بما فى ل ؛ ليتم تساوق الكلام .

المعرفةُ ثِقافاً لها . واللسان لا يكون أبرأَ ، ذاهباً فى طريق البيان ، متصرفاً فى الألفاظ ، إلا بعد أن تـكونَ المعرفةُ متخلِّلَةً به ، منقّلة له ، واضعةً له فى مواضع حقوقِه ، وعلى أماكن حظوظِه ، وهو علّةٌ له فى الأماكن العميقة ، ومصرِّفةٌ له فى المواضع المختلفة .

فأوّلُ ماصنع الخِصاءُ بالصَّقْلَبِىِّ تزكيةُ عقلهِ ، وإرهافُ حدِّه ، وشحْذُ طبعِهِ ، وتحريكُ نفسه . فلما عرَف كانت حركته تابعةً لمعرفته ، وقوّته على قدر ما هيّجه[1] .

فأمّا نساءُ الصقالبة وصبيانهم ، فليس إلى تحويل طبائعهم ، ونقْلِ خَلْقهم إلى الفطنة الثاقبة ، وإلى الحرَكة الموزونة ، وإلى الخدمة الثابتـة الواقعة بالموافقة ، سبيلٌ . وعلى حسَب الجهْل يكون الخُـرْق ، وعلى حسب المعرفة يكون الِحذق . وهذا جملةُ القول فى نسائهم ، وعلى أنّهنّ لا حظوظَ لهنّ عند الخلوة ، ولا نفاذَ لهنّ فى صِـناعة ؛ إذ كنّ قد مُنِعن فهمَ المعاطاة ومعرفةَ المناولة .

والخِصيانُ معَ جـودة آلاتهم ووَفارة طبائعهم فى معرفـةِ أبوابِ الخِدْمة ، وفى استواءِ حالهم فى باب المعاطاة ، لم تر أحداً منهم قطُّ نفَذَ فى صناعةٍ تُنسَب إلى بعضِ المشقّة ، وتضافُ إلى شىءٍ من الحكمة ، ممّا يُعرَف ببُعْد الرَّوِيّةِ ، والغوصِ بإدامة الفكرة ، إلا ما ذكرُوا من نفَاذ ثقف[2] فى التحريك للأوتار ، فإنّه كانَ فى ذلك مقدَّماً ، وبه مذكورا .

---

(١) فى ط : « ماىجه » وأثبت ما فى ل .

(٢) كذا فى ل وفى ط : « دامة » وفى س : « نقف » .

إلاّ أنَّ الخصيَّ من صباه ، يُحسِن صنعة الدَّبُّوق[١] ، ويُجِيد دُعاءَ الحمام الطوُّريِّ[٢] ، وما شئتَ من صغار الصناعات .

وقد زعم البصريُّون أَن حَديجاً[٣] الخصيّ ، خادمَ مُثَنَّى بن زُهَير ، كان يُجارى[٤] مُثَنًّى فى البصَر بالحمام ، وفى صحّـة الفِراسة ، وإتقان المعرفة ، وجودة الرياضة . وسنذكُر حالَه فى باب القول فى الحمام إن شاء الله تعالى .

٥٤ هذا قولهم فيمن خُصى من الصقالبة . وملوكُنا لعقول خِصيان خُراسانَ أحمد ، وهم قليل ، ولذلك لم نأتِ من أمرهم بشيءٍ مشهور ، وأمر مذكور .

(خصيان السند)

وأما السِّند ، فلم يكن فيهم أيضاً من الخِصيان إلاّ النَّفرُ الذين كان خصاهم موسى بنُ كعب ، وقد رأيت أنا بعضَهم ، وزعم لى أنَّه خَصَى أربعةً هو أحدهم ، ورأيتُ الخِصاء ، قد جذبَه إلى حبِّ الحمام ، وعمل التكك[٥] ، والهراش بالديوك ، وهذا شيءٌ لم يُجْرِ منه على عِرق ، وإنما قاده إليه قطعُ ذلك العضو .

---

(١) الدبوق ، هنا : جمع دبق بالكسر ، وهو والدابوق والدابوقاء : غراء يصاد به الطير . والدبوق كتنور قال فى القاموس : لعبة معروفة . . وليست مرادة فى هذا الكلام .

(٢) فى ط : « الضوارى » وفى ل : « الصوار » وصوابهما « الطورى » وهو الوحشى .

(٣) فى ط : « خديجا » بالخاء . وقد كتبت ما فى ل و س .

(٤) فى ط : « يجرى » .

(٥) التكة : رباط السراويل والجمع تكك ، ويبدو لى أنها معربة ، كما صرح بذلك الخفاجى فى شفاء الغليل ، ولم يتعرض صاحب القاموس لذلك .

(خصيان الحبشة والنوبة والسودان)

فأمّا الخصيان من الحُبْشان والنُّوبة وأصناف السودان ، فإنّ الخصاء يأخذُ منهم ولا يعطيهم ، وينقُصهم ولا يزيدهم ، ويحطُّهم عن مقادير إخوانهم ، كما يزيد الصقالبةَ عن مقادير إخوتهم ، لأن الحبشيَّ متى خُصِي سقطَتْ نفسه ، وثقُلت حركته ، وذهب نشاطه ، ولا بدَّ أن يعرض له فساد ، لأنه متى استُقْصى جِبابُه لم يتماسك بوله[١] ، وسلُس مخرجه ، واسترخى الممسك له ، فإن هم لم يستقصوا جِبابه ، فإنما يُدخل الرجل منزله مَن له نصفُ ذلك العضو[٢] . وعلى أنك لاتجد منهم خَصِيا أبداً ، إلاّ وبِسُرَّته بُجْرَةٌ ، ونفخة[٣] شنيعة ، وذلك عيبٌ شديد ، وهو ضرب من الفتق ، مع قُبحِه فى العَين ، وشُنْعَته فى الذِّكْر . وكلُّ ماقَبُح فى العين فهو مؤلم ، وكل ماشنُع فى النفس فهو مؤذٍ . وما أكثَرَ ماتجد فيهم الألطَع[٤] ، وذلك فاشٍ فى باطن شفاههم . ومتى كانت الشفاه هُدْلا ، وكانت المشافرُ منقلبة ، كانت أظهر لِّلطَع ، وهو ضرب من البرص . والبياض الذى يعرض لغَراميل الخيل وخُصَاها[٥] ، ضربٌ أيضاً من البرص ، وربما عَرَض مثل ذلك لحشفةِ قضيب المختون ، إمّا لطَبَع الحديد ، وإمّا لقرب[٦] عهده بالإحداد وسقْيِ الماء ، إلاّ أنَّ ذلك لا يعدُو مكانه .

---

(١) فى ط : « ولم يتماسك بوله » والوجه حذف الواو كما فى ل .

(٢) فى الكلام نقص وتحريف ولعل صواب العبارة : « فأما من لم يستقص جبابه فقلما يدخل الرجل منزله منهم ... الخ » .

(٣) فى ط : « وبخة » وليس بشئ . وقد أبدلتها بما فى ل . والبجرة : العقدة فى البطن والوجه والعنق .

(٤) اللطع : بياض فى باطن الشفة . وأكثر مايعترى ذلك السودان .

(٥) فى ط : « وخصاؤها » وليست مرادة . وما هنا جمع خصية .

(٦) فى ط و س : « لقدم » وهو خطأ صوابه فى ل . ويؤيده ماكتبه الجاحظ فى الحيوان ٧ : ٢٦ . « ومن أن تكون الموسى حديثة العهد بالإحداد » . وطبع الحديد : وداءته .

وكلما عظُمت الحشفةُ انبسَطَ ذلك البياضُ على قدر الزيادة فيها ، وإنّما ذلك كالبياض الذى يعرِض من حَرْق النــار وتشييطها[١] ، وكالذى يعرض للصقالِبَة من التّعالُج بالكىِّ . وربّما اشــتدَّ بياضُه حتى يفحُشَ ويُردِيه[٢] ، إلا أنّه لا يفشو ولا ينتشر ، إلاّ بقدر ما ينبسط مكانه ، ويتحوَّل صاحبه رجُلاً ، بعد أن كان صبيًّا[٣] . وليس كالذى يعرِض من البلغم ومن المِـرَّة . وبعضُ البرص يذهب حتى كأنه لم يكن ، وبعضُــه لا يذهب ولا يقف ، بل لا يزال يتفشّى ويتّسع حتى ربّما سلخه ، ولا يذهب إلاّ بأنْ يذهب به نبى[٤] ، فيكون ذلك علامةً له . ومن البهق الأبيض مايكاد يلحق بالبَرَص[٥] ، ولكن الذى هوَّن أمره الذى ترونَ من كثرةِ بُرءِ الناس منه .

٥٥ ثمَّ الخصاءُ يكونُ على ضروبٍ ، ويكون فى ضروب ، فمن ذلك ما يعرِض بعدَ الكِبَر للأحرار ، كما يعرض للعبيد ، وللعرب كما يعرض للعجم ، كما خَصَى بعضُ عَبَاهلةِ اليمن[٦] علقمةَ بنَ سهلٍ الخصىّ .

(علقمة الفحل وعلقمة الخصى)

وإنما قيل لعلقمةَ بن عَبَدَةَ الفحلُ ، حين وقعَ على هذا اسمُ الخصى .

---

(١) فى ط : « وتشييطه » .

(٢) هو تسهيل « يردئه » أى يجعله رديئا ويفسده .

(٣) كذا . ولعل صوابه « رجلا » بكسر الجيم من الرجلة بضم الراء : بياض فى إحدى رجلى الدابة . أما « صبيا » فلعلها « مصمتا » . والمصمت : الذى لا يخالط لونه لون آخر .

(٤) فى ط : « شىء » وقد أبدلته بما فى ل . وكان عيسى عليه السلام يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله .

(٥) فى ط : « مايكون ملحقا بالبرص » .

(٦) عباهلة اليمن : أقيالهم .

وكان عبداً صالحا ، وهو كان جَنَبَ الجديل[1] وداعراً ، الفحلين الكريمين ، إلى عمان ، وكان من نازليها . وهو كان أحدَ الشهودِ على قُدامة ابنِ مَظْعونٍ فى شرب الخمر ، وهو الذى قال لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : أتقبَلُ شهادةَ الخصىِّ ؟ قال : أما شهادتك فأقبَلُ .

وهو عَلقمةُ بن سهْلِ بن عمارة ، فلمَّا سمّوه الخصىّ ، قالوا لعلقمةَ بن عبَدة : الفحل . وعلقمةُ الخصىّ الذى يقول :

فلن يَعْدَمَ الباقون قبراً لجثَّتى[2] ولن يعدَم الميراثَ منِّى المواليا
حِراصٌ على ما كنت أجمعُ قبْلَهم هَنِيئاً لهمْ جَمْعِى وما كنتُ والِيا
ودُلِّيتُ فى زَوْراءَ ثُمَّتَ أعنَقوا لشأنهِمُ قَدْ أَفْرَدُونِى وشَانِيا
فأصبح مالى من طريفٍ وتالدٍ لغيرى ، وكانَ المالُ بالأمس ماليا

وكما عرَض للدّلال ونَومَةِ الضُّحى ، مِن خصاءِ عُثمانَ بن حيَّان [المرّىّ] والى المدينة لهما ، بكتابِ هشام بن عبد الملك[3] .

(أثر تحريف كتاب هشام بن عبد الملك)

فمِنْ بنى مرْوان من يدَّعى أنَّ عاملَ المدينةِ صحَّف ، لأنه رأى فى الكتاب : «أَحصِ مَنْ قِبلَك مِنَ المخنَّثين » فقرأها : « اخصِ مَنْ قِبلَك من

---

(١) فى ط : « الجزيل » وصوابه « الجديل » كما فى ل والقاموس ، قال : فحل للنعمان ابن المنذر . وأما داعر فهو فحل منجب . وجنب البعير : قاده إلى جنبه .

(٢) تختلف الروايات اختلافا كثيرا فى هذا الشطر . انظر الخزانة ٢ : ١٧٦ - ١٨٠ وذيل أمالى القالى ١٣٥ والعقد ٣ : ٣٥٧ حيث توجد قصيدة هذه الأبيات ، منسوبة إلى مالك بن الريب .

(٣) عند الجهشيارى ٥٤ أنه كتاب عمر بن عبد العزيز إلى أبى بكر محمد بن عمرو بن حزم .

وخلاصته ، لا يحتاج فيه إلى مجزِّز المُدْلجى[1] ، ولا إلى ابن كريز[2] الخزَاعى .

(خصاء الروم)

ومن أهل الملل من يَخْصى ابنَه ويقفُه على بيت العبادَة ، ويجعله سادناً ، كصنيع الرُّوم ، إلا أنهم لا يُحدثون فى القضيب حدثاً ، ولا يتعرضون إلا للأنثيين ، كأنهم إنما كرهوا لأولادهم إحبالَ نسائهم ورواهبهم[3] فقط ! ! فأما قضاءُ الوَطَر وبلوغُ اللذة ، فقد زعموا أنهم يبلُغون من ذلك مبلغا لا يبلُغه الفحل ، كأنهم يزعُمون أنه يستقصى جميعَ ما عِندها ويستَجْلبه ، لفَرْط قوَّته على المطاولة .

(الروم أول من ابتدع الخصاء)

وكلُّ خصاءٍ فى الدنيا فإنما أصلُه من قِبَل الروم ، ومن العجب أنهم نصارى ، وهم يدَّعون مِن الرأفة والرحمة ، ورقَّة القلبِ والكَبِد ، ما لا يدَّعيه أحد من جميع الأصناف ، وحسبك بالخِصاء مُثْلةً ! وحسبك بصنيع الخاصى قسوة ! ولا جَرَم أنهم بعثوا على أنفسهم من الخِصيان ، من طَلَب الطوائل وتذكُّر الأحقاد ، مالم يظنُّوه عندهم ، ولا خافوه من قِبَلِهم ،

---

(١) فى ط : « محرز » وإنما هو « مجزز » كما فى ل ، والقاموس والإصابة . وهو صحابى له ذكر فى الصحيحين . وكان الرجل قائفا .

(٢) فى ل : « كرز » .

(٣) فى ط : « ودواهيهم » وتصحيحه من ل . والرواهب : جمع راهبة .

فلا هم ينزِعون ، ولا الخِصيانُ يَنْكِلون ، لأنَّ الرِّمايةَ فيهم فاشية ، وإن كان الخصىُّ أسواراً بلغَ منهم[١] ، وإن كان جمع معَ الرماية الثَّرْوة ، واتخذ بطَرَسُوس ، وأذَنَة ، الضِّياعَ واصطنعَ الرجال ، واتخذ العُقَد المُغِلَّة[٢] فمضرَّةُ كلِّ واحدٍ منهم عليهم ، تَفِي بمَضَرَّةِ قائدٍ ضخم . ولم ترَ عَداوةً قطُّ تجوز مقدارَ عداوتهم لهم ، وهذا يدلُّ على مقدار فرطِ الرغبة فى النساء ، وعلى شهوةٍ شديدةٍ للمباضَعة ، وعلى أنهم قد عرفوا مقدار ما فقدوا ، وهذه خصلةٌ كريمة مع طلب المثوبة ، وحسن الأحدوثة . ٥٧

(خصاء الصابئة)

فأما الصابئون ، فإنَّ العابدَ منهم ربَّما خصى نفْسَه ، فهو فى هذا الموضع قد تقدم الرومىَّ ، فيما أظهرَ من حُسْنِ النيَّة ، وانتحل من الديانةِ والعبادة ، بخصاء الولد التامِّ[٣] ، وبإدخاله النقصَ على النَّسلِ ، كما فعَل ذلك أبو المبارك الصابى . وما زال خلفاؤنا وملوكنا يبعثون إليه ، ويسمعون منه ، ويَسمَر عندَهم ، للَّذى يجدونه عنده من الفهم والإفهام ، وطُرَف الأخبار ، ونوادر الكتب ، وكان قد أربى على المائة ، ولم أسمعْ قطُّ بأغزَلَ منه ، وإنْ كان يصدُق عن نفسه فما فى الأرض أزنى منه .

---

(١) ط : « وإن كان الخصى أسود أبلغ منهم » وتصحيحه من ل . والأسوار بالضم وبالكسر : قائد الفرس والجيد الرمى بالسهام .

(٢) فى ط : « واتخذ العقد والعبيد المغلة » . والعقد : جمع عقدة ، وهى الضيعة .

(٣) فى ط : « بخصلة الولد التام » .

(حديث أبي المبارك الصابي)

حدَّثني محمد بن عباد قال : سمعتُه يقول — وجرى ذكرُ النساءِ ومحلِّهن من قلوب الرجال ، حتَّى زعموا أنَّ الرجلَ كلما كانَ عليهن أحرصَ كان ذلك أدلَّ على تمامِ الفُحولة فيه ، وكان أذهبَ له في الناحيــة التي هي في خلقتِه ومعناهُ وطبعهِ ، إذ كان قد جُعِل رجلاً ولم يُجعل امرأة — قال ابن عبّاد ، فقال لنا : ألستمْ تعلمون أنِّي قد أربَيتُ على المائة ، فينبغي لمن كان كذلك أن يكون وهْنُ الكِبَرِ ، ونفادُ الذِّكْرِ(١) ، وموتُ الشهوة ، وانقطاعُ ينبُوع النطْفة ، قد أماتَ حنينه إلى النساء وتفكيرَه في الغزَل ؟! قال : قلنا : صَدقتَ . قال : وينبغي أن يكون مَن عوَّد نفسه تركَهنَّ مُدداً ، وتخلي عنهن سنينَ ودَهراً(٢) ، أن تكون العادة وتمرينُ الطبيعة ، وتوطينُ النفسِ ، قد حطَّ من ثقل منازعة الشهوة ، ودواعي الباءة ، وقد علمتمْ أنَّ العادَة [التي] هي الطبيعة الثانية ، قد تستحكم ببعض عمــدِ هَجْرٍ لملامسةِ النساء(٣) . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكونَ مَن لم يذُقْ طعمَ الخَلوة بهنَّ ولم يجالسهنَّ متبذلات ، ولم يسمَعْ حديثَهنَّ وخِلاَبتهنَّ للقلوب ، واستمالتهن للأهواء ، ولم يَرَهُنَّ منكشفاتٍ عارياتٍ ، إذا تقدم له ذلك معَ طولِ التَّرك ، ألا يكون بقي معه من دواعيهن شيء ؟ ! قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكون لِمَنْ قد علِم أنه مجبوبٌ ، وأنَّ سببه إلى خِلاطهنَّ محسوم ، أن يكون اليأسُ من أمتن أسبابه إلى الزهد

---

(١) الذكر هنا في معنى التذكار .

(٢) في ل : « زهدا » بدل « مددا » وفي ط « منهن » موضع « عنهن » .

(٣) في ل : « عمر » موضع « عمد » و « هجراني » موضع « هجر » .

والسلوة ، وإلى موت الخواطر . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكونَ من دعاةُ الزُّهــدُ فى الدنيا ، وفيما يحتويه النساءُ مع جمالهنَّ وفتنةِ النُّسَّاكِ بهنّ ، واتخاذِ الأنبياء لهنّ ، إلى أن خَصَى نفسه ، ولم يُكْرِهْه عليه أبٌ ولا عدوٌّ ، ولا سَباه سابٍ ، أن يكون مقدارُ ذلك الزهدِ هو المقدار الذى يُميت الذِّكْرَ لهنَّ ، ويُسَرِّى عنــه ألم فقد وُجودِهنَّ[1] ، وينبغى لمن كان فى إمكانه أن ينشئ العزم[2] ويختارَ الإرادة التى يصير بها[3] إلى قطع ذلك العضوِ الجامع لكبار اللذَّات ، وإلى ما فيه من الألم ، ومع ما فيه من الخطر ، وإلى ما فيه من الْمُثلة والنَّقصِ الداخل على الخلقة ، أن تكون الوساوس فى هذا الباب لا تعرُوه ، والدواعى لا تقْروه[4] . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغى لِمَنْ سَخَتْ نفسه عن السَّكَن وعن الوَلد ، وعن أن يكون مذكوراً بالعقب الصالح ، أن يكون قد نسيَ هذا البابَ ، إنه كان قد مرَّ منه على ذُكْر . هذا وأنتم تعلمونَ أنِّى سَمَلْتُ عينى يومَ خصَيت نفسى ، فقد نسيتُ كيفية الصُّوَرِ وكيف تَرُوع ، وجَهِلت المراد منها ، وكيف تُراد ، أفمــا كان[5] [مَنْ كان كذلك] حَرِيًّا أن تكون نفسُه ساهيةً لاهيةً مشغولةً بالبابِ الذى احتمل له هــذه المكاره ؟! قال : قلنا : صدقت . قال : أوَ لوْ لم أكنْ هَرِماً[6] ، ولم يكن ها هنا طولُ اجتنابٍ ، وكانت الآلةُ قائمةً أليس فى[7] أنِّى لم أذُقْ حيواناً منذُ ثمانينَ

٨ ه

(١) فى ل : « ويستوى عندهن فقدهن ووجودهن » .
(٢) فى ط : « وينبغى لمن كان فى مكانه ألا ينمى العزم » .
(٣) فى ط : « يصيب بها » .
(٤) قراه يقروه : قصده . وفى الأصل « تطروه » .
(٥) فى ط : « فما كان ذلك » وتصحيحه من ل .
(٦) فى الأصل : « أوليس لولم أكن هرما » .
(٧) فى الأصل : « ألا » .

سنة ولم تمتلِ عُروقى[1] من الشرابِ مخافةَ الزيادة فى الشهوة ، والنقصانِ من العزم — أليسَ[2] فى ذلك ما يقطع الدواعى ، ويُسْكِن الحركة إن هاجت ؟ ! قال : قلنا : صدقت . قال : فإنّى بعدَ جميعِ ما وصفتُ لكم ، لأَسْمَعُ نغْمةَ المرأةِ فأظنُّ مرَّةً أنّ كَبِدى قد ذابت ، وأظنُّ مرّةً أنّها قد انصدعت ، وأظنُّ مرّةً أنّ عقلى قد اختُلِس ، وربّما اضطرَب فُؤادِى عند ضَحِك إحداهُنّ ، حتّى أظنَّ أنّه قد خرجَ من فمى ، فكيف ألومُ عليهنّ غيرى ؟ !

فإن كان — حفظك الله تعالى — قد صدَق على نفسه فى تلك الحال ، بعد أن اجتمعت فيه هذه الخصال ، فما ظنُّك بهذا قبل هذا الوقت بنحو ستّين سنة أوْ سبعين سنةً ؟ ! وما ظنُّك به قبلَ الخصاء بساعة ؟ ! وليس فى الاستطاعةِ ولا فى صفةِ الإمكان ، أن يحتَجز عن إرادة النساء ، ومعَه من الحاجةِ إليهنَّ والشهوةِ لهنَّ هذا المقدارُ ! الله تعالى أرحمُ بخلقِه ، وأعدَلُ على عباده ، من أن يكلِّفَهم هِجرانَ شىءٍ ، قد وصلَه بقلوبهم هذا الوصلَ ، وأكّدَه هذا التأكيد .

وقد خصى نفسَه من الصابئين رجالٌ ، قد عرَفناهم بأسمائهم وأنسابهم ، وصفاتهم وأحاديثهم . وفى الذى ذكرنا كفايةٌ إن شاء الله تعالى .

(استئذان عثمان بن مظعون فى الخصاء)

وقد ذُكِر أَنَّ عثمانَ بن مَظْعونٍ ، ٱسْتَأْذَنَ النبيَّ صلى ٱللهُ عليه وسلم فى السياحة فقال : « سِيَاحَةُ أُمَّتِي الجَمَاعَة » . واستأْذَنَه فى ٱلخصاءِ فقال :

---

(١) فى ط : « تشمل » وماأثبته من ل .

(٢) فى الأصل : « لكان » .

« خِصاء أمّتى الصوم ، والصوم وِجاء » . فهذا خِصاءُ الديانة .

(خصاء الجلب وقسوته) ٥٩

فأمَّا من خصى الجَلَب[(١)] على جهة التجارة ، فإنه يَجُبُّ القضيبَ ، ويمتلخ الأنثيين ، إلاّ إن تقلّصت إحداهما من فَرْط الفَزَع[(٢)] ، فتصيرُ إلى موضعٍ لايمكن ردُّها إلاّ بعلاج طويل ، فللخاصى عند ذلك ظلمٌ لا يفى به ظُلم ، وظلم يُربى على كلِّ ظلم[(٣)] ، لأنّه عندَ ذلك لا يحفِل بفوت المتقلِّص[(٤)] ، ويقطع ما ظهر له ؛ فإن برئ مجبوبَ القضيب أو ذَا بيضةٍ واحدة ، فقد تركه لا امرأةً ولا رجُلا ولا خَصِيًّا ، وهو حينئذٍ مِمَّن تخرُج لحيتُه ، ومِمَّن لا يدعه الناسُ فى دُورهم ومواضعِ الخصوص من بيوتهم ، فلا يكونُ مع الخصيان مقرَّباً ومكرَّما ، وخَصِيبَ العَيْش منعَّما ، ولا هو إذا رُمِى به فى الفحول ، كان له ما للفحول من لَذَّةِ غِشيان النساء ، ومِن لذّةِ النسل والتمتُّعِ بشم الأولاد ؛ فلم يزَل عندَ الفحولِ مستضعَفاً محتقراً ، وعند الخصيان مجرَّحا مطرحا[(٥)] ، فهو أسوأُ حالا من السَّدِمِ المعنَّى[(٦)] فلا أعلم قتْلَهُ — إذا كان

(١) الجلب : ماجلب من خيل وغيرها .
(٢) ط : « القرع » والصواب مافى ل .
(٣) ل : « وظلم يربى على الظلم الأول وعلى كل ظلم » .
(٤) ط : « بموت المقلص » وصوابه فى ل .
(٥) ل : « محرجا مطردا » .
(٦) اللسان : السدم : الذى يرغب عن فحلته ، فيحال بينه وبين ألافه ، ويقيد إذا هاج ، فيرعى حوالى الدار ، وإن صال جعل له حجام يمنعه عن فتح فه . قال الوليد بن عقبة :
قطعت الدهر كالسدم المعنى ... تهدر فى دمشق وما تريم

القتلُ قِتلةً صريحة[1] مُرِيحة — إلاّ أصغرَ عند الله تعالى ، وأسهلَ على هذا المظلوم من طول التعذيب . والله تعالى بالمرصاد .

(خصاء البهائم)

وأمّا خصاءُ البهائم ، فمنه الوِجاءُ ، وهو أن يشدَّ عصَبُ مجامع الُخصيةِ من أصل القضيب ، حتَّى إذا نَدَرت البيضة ، وجَحَظت الُخصية ، وجأَها حتى يرضَّها ، فهى عند ذلك تذبُل وتنخسف ، وتنوِى وتستَدِقّ ، حتى تذهبَ قُواها ، وتنسدَّ المجارى إليها ، ويسرىَ ذلك الفسادُ إلى موضع تربيةِ النُّطْفة ، فيمنَعها من أن تكثُر أو تعذب أو تخثُر .

ومنها ما يكون بالشدِّ والعصْب ، وشدَّةِ التحزيق ، والعَقْدِ بالخيط الشديد الوَتير الشديد الفتل ، فإذا تركه على ذلك عمِل فيه وحزَّ ، أو أَكلَّ ومنعَه من أن يجرىَ إليه الغذاءُ ، فلا يلبثُ أن ينقطعَ ويسقط .

ومنه الامتلاخ ، وهو امتلاخ البيضتين .

(خصاء الناس)

فأمّا خصاءُ الناس ، فإنّ للخاصى حديدةً مرهَفَةً مُحْماة ، وهى الحاسمة ، وهى القاطعة . قال أبو زيد : [يقال] خصَيت الدابة أَخصِيها خِصاءً ، ووجأتها أجَؤُها وِجاءً . ويقال : برئتُ إليك من الخصاء أو الوجاء ، ولا يقال ذلك إلاّ لمـا كان قريبَ العهد لم يبرأ منه ، فإذا برئ لم يُقَل له[2] .

---

(١) ل : « سريحة » .
(٢) فى الأصل : « لم يقله » وهو خطأ فى الرسم أوجبه تكرار اللام ، والوجه ما كتبت .

وأما الخِصاءُ فهو أنْ يسلَّ الُخصيتين ، والوجاء أن توجَأ العروقُ والخصيتان على حالها . والمعصوب من التيوس الذى تُعصَب خُصيتاه حتى تسقطا . والواحد من الخصيان خَصِىٌّ ومخصىّ . ويقال ملست الخصيتَين أملُسهما ملْسا ، ومتَنْتُهما أمتنهما متْنا ، وذلك أن تشقّ عنهما الصَّفَن فتسلَّهُما بعروقهما . والصَّفَن : جلدة الُخصيتين . ٦٠

(خصاء البهائم والدِّيكة)

والخِصاءُ فى أَحداثِ البهائم ، وفى الغنم خاصةً ، يدع اللَّحمَ رَخْصاً ونديًّا عذبا ؛ فإنْ خَصاه بعد الكبر ،لم يقو خِصاؤُه — بعدَ استحكامِ القوَّة — على قلْب طباعه . وأجود الخِصاء ما كانَ فى الصِّغَر ، وهو يسمَّى بالفارسية ثربخت[١] يُعنَى بذلك أنّه خُصِىَ رطبا . والَخصىُّ من فحولها أحمَلُ للشحم ، لعدم الهيْج والنَّعْظ ، وخروج قواه مع ماء الفِحْلة[٢] . وكثرةُ السِّفاد تورث الضَّعْفَ والهُزالَ فى جميعِ الحيوان . وقد ذُكِر لُمعاوية كثرة الجماع فقال : ما استُهتِرَ به أحدٌ إلّا رأيت ذلك فى مُنَّته[٣] .

والديك يُخصى ليَرطب لحمُه ويطيب ويحمِل الشحم .

(خصاء العرب لفحولة الإبل)

وكانت العربُ تَخصِى فُحولَةَ الإبل لئلَّا يأكلَ بعضُها بعضاً ، وتستبقى ما كان أجودَ ضِراباً ، وأكثرَ نَسْلا ، وكلَّ ما كان مئناثا[٤]

---

(١) ط : « بربخت » .
(٢) ط : « عما يجامع الفحلة » وهو تحريف .
(٣) ط : « متنه » . والمنة : القوة . والخبر فى البيان ٢ : ٨١ وكتاب البغال ٣٠٤ .
(٤) ط : « ماسا » وهو تحريف صوابه فى ل .

وكان شابًّا ولم يكن مِذكارا ، وهم يسمُّون الإذكار المحْقَ الخفِىّ[١] ، وما كان منها عَيَاياءَ طَبَاقاءَ ، فمنها ما يجعل السَّدِمَ المعنَّى . وإذا كان الفحلُ لايُتَّخذ للضِّراب ، شدُّوا ثِيلَه شدًّا شديداً ، وتركوه يهدِر ويُقَبقِب فى الهَجْمة ، ولا يصل إليهنَّ وإن أردنَه ، فإذا طلبْنَ الفحلَ جِيءَ لهنَّ بفحلٍ قَعْسرىٍّ[٢] ويقولون: « لَقْوَةٌ لاقَتْ قَبِيسا ! » . والقَبيس من الجِمال : السريع الإلقاح ، واللَّقوة : السريعة القَبولِ لماءِ الفحلِ .

وشكت آمرأةٌ زوجَها ، وأخبرتْ عن جهلِه بإتيانالنساء، وعِيِّه وعجزِه، وأنَّه إذا سقط عليها أطبَقَ صدرَه — والنساءُ يكرهْنَ وقُوعَ صدورِ الرجال على صدورهنَّ — فقالت : زَوْجِى عَيَاياءُ طَباقاء ، وكلُّ داءٍ لَهُ داءٌ !!

وقال الشاعر :

طَباقَاءُ لم يَشْهدْ خُصوماً ولم يَقُدْ   رِكاباً إلى أكوارِها حينَ تعكف[٣]

(خصاء العرب للخيل)

وكانوا يَخْصُون الخيل لشبيه بذلك[٤] ، ولعلَّة[٥] صهيلها ليلةَ البَيَات ، وإذا أكمنوا الكُمَناء أوْ كانوا هُرَّابا .

---

(١) ط : « وهم يسمون المذكار المحق الخفى » وهو تحريف مافى ل .

(٢) القعسرى : الضخم الشديد . وفى الأمبروزيانا : « نحى وجىء لهن بفحل قبيس » .

(٣) ط : « لم يكن » و « حين تعلف » وفى ل والامبروزيانا « لم ينخ » و « حين تعكف » وأصلحت البيت كما ترى من ل والبيان ١ : ١١٠ .

(٤) ط : « للتشبه بذلك » .

(٥) ل : « ولقلة » .

(القول فى كلمة خنذيذ)

ويزعم من لاعلم له ، أنَّ الخنذيذ[١] فى الخيل هو الخصىُّ . وكيف يكون ذلك كما قال ، مع قول خُفَاف بن نَدْبة :

وخناذيذ خصيةً وفُحولا[٢]

وقال بشرُ بنُ أبى خَازم :

وخنذيذٍ تَرَى الغُرْمُولَ منهُ   كَطىِّ البُرْدِ يَطويه التِّجَارُ[٣]

وليس هذا أرادَ بِشر ، وإنَّما أراد زمانَ الغزو ، والحالَ التى يعترى الخيلَ فيها هذا المعنى ، كما قال جد الأحيمر[٤] :

لا لا أعقُّ ولا أحُو   ب ولا أُغِيرُ على مُضَرْ

لـكنَّما غزوِى إذا   ضجَّ المطىُّ من الدَّبَرْ

٦١

وإنَّما فخَر بالغزْوِ فى ذلك الزمان .

وأما الخنذيذ فهو الكريم التامُّ ، وربَّما وصفوا به الرجل . وقال كثير :

على كل خنذيذ الضُّحَى متمطِّرٍ   وخَيْفانةٍ قد هذَّب الجرى آلَهَا[٥]

وقال القطامى :

---

(١) يتكرر فى ط رسم هذه الكلمة ومشابهاتها برسم « خنزير » و « خنازير » وهو تصحيف أصلحته من ل ، ومن اللسان ، ومن البيان ٢ : ١١ - ١٢ وأدب الكاتب ١٦٣ والاقتضاب ٣٦٢ وصحاح الجوهرى .

(٢) البيت منسوب فى البيان ٢ : ١١ إلى البرجمى ، وهو فى اللسان خفاف بن عبد قيس من البراجم ، وفى الصحاح خفاف بن قيس ، فيكون غير خفاف بن ندبة ، إذ أن ابن ندبة من بنى الشريد ، وهو ابن عم الخنساء ، وليس بنو الشريد من البراجم . وصدر البيت المذكور هو كما فى اللسان : وبراذين كابيات وأتنا .

(٣) البيت فى البيان ٢ : ١١ .

(٤) فى الأصل « جد الأحيمز » وتصحيحه من بيان الجاحظ ٣ : ٢٠٠ والأحيمر السعدى شاعر كان من لصوص العرب مثل عبيد بن أيوب العنبرى . وله ترجمة فى الشعراء لابن قتيبة . وأما جده فهو الحارث بن يزيد كما فى البيان .

(٥) المتمطر : السريع . وهى فى الأصل « متمطرا » وليس بشىء . وآلها : شخصها .

[على] كلِّ خنذيذ السَّراة مُقلِّصٍ تخنَّثَ منــــه لحمُه المتكاوِسُ[1]

ومن الدليل على أنَّهم ربما جعَلوا الرجلَ إذا ما مدحوه خنذيذا ، قولُ بعضِ القيسيين[2] ، مِن قيسِ بنِ ثعلَبة :

دعوتُ بنى سعدٍ إلىَّ فشمَّرتْ خناذيذُ مِن سعدٍ طِوالُ السواعدِ

(عبد الله بن الحارث وعبد الملك بن مروان)

وقال عبدُ الله بن الحارث ، وكتب بها إلى عبدِ الملكِ بن مرْوان ، حين فارقَ مُصعَبا :

بأىِّ بلاءٍ أم بأيَّةِ علَّـــةٍ يُقدَّم قبلى مُســـلِمٌ والمهلَّبُ

وَيُدعَى ابنُ منجوف أمامى كأنَّه خَصِىٌّ دنا للماءِ من غير مَشْرَبِ[3]

فقلت ليونس : أقوى ! فقال : الإقواءُ أحسَنُ من هذا ! قال : فلمَّا أخذتْه قيسٌ نصبُوه، فجَعلوا يرمُونه بالنبل ويقولون: أذاتَ مغازل[4] ترَى؟! [يريدون بيت ابن الحرّ[5]] :

ألم تر قيساً –قيسَ عَيلانَ– برقعت لِحاهَا وباعت نبلهـــا بالمغازل

فلما أُتى مُصعبٌ برأسِه ، قال لسُويد : يأبا المنهال ! كيف ترى ؟ قال : أيُّهَا الأمير ! هو واللهِ الذى أتَى المـاءَ من غير مَشْرَب .

---

(١) الزيادة من ل .

(٢) ط : « القسيسين » وهو تحريف . والبيت فى البيان ٢ : ١٢ منسوبا إلى العبسى ، فصوابه القيسى .

(٣) ط : « ويدعى ابن منجوت » والصواب « ابن منجوف » واسمه سويد ، وله أخبار فى البيان والأغانى .

(٤) ط : « منازل » بالنون .

(٥) هو عبيد الله بن الحر الجعفى ، قائد من قواد العرب ، كان من أصحاب عثمان ، وبعد مقتله انحاز إلى معاوية ، وشهد صفين . وكان له منازعات مع مصعب بن الزبير ، ولما خاف من الأسر ، ألقى بنفسه فى الفرات ، فمات غريقا سنة ٦٨ .

وقال أعشى هَمْدان :

وأبو بُريذِعةَ الذى حُدِّثْتَهُ فينا أذَلُّ مِن الخصىِّ الدَّيزجِ [١]

وتعرِض للخصىِّ سُرعةُ الدَّمعة ، وذلك مِن عادةِ طبائـع الصبيان ثم النِّساءِ ، فإنَّه ليس بعدَ الصبيان أغزَر دَمعةً من النســاء ، وكفاك بالشيوخ الهرمين .

(أخلاق الخصى)

ويعرض للخصىِّ العبثُ واللَّعِبُ بالطير ، وما أشبهَ ذلك من أخلاق النساء ، وهو من أخلاق الصبيان أيضاً .

ويعرض له الشَّرَه عندَ الطعام ، والبخلُ عليه ، والشحُّ العامُّ فى كلِّ شىء ، وذلك مِن أخلاق الصِّبيانِ [ثم النِّساء [٢]] .

وقال الشاعر :

كأنَّ أبا رُومان قيساً إذا غدَا خَصِىٌّ بَراذينٍ يُقَاد رَهيصُ

له مِعْدَةٌ لايشتكى الدهرَ ضَعْفَها وحَنجرةٌ بالدورقين قَموصُ

٦٢ ويعرض للخصىِّ سرعةُ الغضبِ والرضا ، وذلك من أخلاق الصِّبْيان والنِّساء . ويعرض له حبُّ النميمة ، وضيقُ الصدر بما أُودِع من السرّ ، وذلك من أخلاق الصبيان والنساء . ويعرض له دون أخيه لأُمِّه وأبيه ، ودون ابنِ عمِّه وجميعِ رهطِه ، البصَرُ بالرَّفْع والوضْع ، والكنسِ والرشِّ ، والطَّرحِ والبسْطِ ، والصبرُ على الخدمة ، وذلك يعرِض للنساء .

---

(١) ط : « الريذج » والصواب ما أثبت من ل . والديزج : قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب ١٠٥ : « الأخضر هو فى كلام العجم الديزج » . وقال الإسكافى فى مبادئ اللغة ١٢٣ : « والأخضر الأطخم المسمى بالفارسية الديزج » .

(٢) التكملة من نسخة الأمبروزيانا .

ويعرض له الصبرُ على الرُّكوب ، والقوَّة على كثرةِ الركْض حتَّى يجاوز فى ذلك رجالَ الأتراكِ وفرسانَ الخوارِج . ومتى دفَع إليه مَولاه دابَّتَه ودخل إلى الصلاة ، أو ليغتسل فى الحمام ، أو ليعودَ مريضاً ، لم يترُكْ أن يُجرِىَ تلك الدابَّةَ ذاهباً وجائياً ، إلى رجوعِ مولاه إليه .

ويعرض له حبُّ الرمى بالنُّشَّاب، لِلَّذِى يدور فى نفسِه من حبِّ غزوِ الرُّوم.

ويعرض له حبٌّ أن تَمْلكَه الملوك ، على ألَّا تقيمَ له إلَّا القوتَ ، ويكونُ ذلك أحبَّ إليه من أنْ تملكَه السُّوقةُ ، وإن ألحقتْه بعيشِ الملوك ! !

ومن العجب أنَّهم مع خروجِهم من شَطْر طبائع الرجال ، إلى طبائع النساء ، لا يعرِض لهم التخنيث . وقد رأيت غيرَ واحدٍ من الأعرابِ مخنَّثاً متفكِّكا ، ومؤنثا يَسِيلُ سيلاً ، ورأيتُ عدّةَ مجانينَ مخنَّثين ، ورأيتُ ذلك فى الزِّنج الأقْحاح . وقد خبَّرنى من رأى كُردِيًّا مخنثاً ، ولم أَر خَصيًّا قط مخنَّثاً[١] ، ولا سمعتُ به ؛ ولا أدرى كيف ذلك ولا أعرف المانعَ منه . ولو كان الأمرُ فى ذلك إلى ظاهِر الرأى ، لَقَدْ كان ينبغى لهم أن يكونَ ذلك فيهم عامًّا[٢] !

ومما يَزيدنى فى التعجُّب من هذا الباب ، كثرةُ ما يعرِض لهم من الُحلاَق[٣] ، مع قلّةِ ما يعرِض لهم من التخنيث ، مع مفارقتِهم لشطرِ معانى الرجال إلى شبه النساء .

ويزعم كثير من الشيوخ المعمَّرين ؛ وأهلِ التجرِبة المميِّزين ، أنّهم اختبروا أعمارَ ضُروبِ الناس ، فوجدوا طُولَ[٤] الأعمارِ فى الخصيان أعمَّ

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .
(٢) فى الأصل : « ولكن كان الأمر . . . ولقد . . . الخ » وقد قومت العبارة بما ترى .
(٣) الحلاق ، كغراب : أن يفسد متاعه ، فينعكس ميله الجنسى .
(٤) ط : « أطول » وتصحيحه من ل . وانظر مفاخرة الجوارى والغلمان ١٢٤ .

منه فى مثلِ أعدادهم[١] من جميع أجناس الرجال ، وأنّهم تفقدوا أعمارَهم وأعمارَ إخوتِهم وبنى أعمامهم الذين لم يُخصَوْا ، فوجَدُوا طول العُمُر فى الخِصيان أعمَّ ؛ ولم يجدوا فى عمومِ طوال العمر فيهم واحداً نادراً ؛ كفلانٍ وفلانٍ من الفحول .

وزعموا أنّهم لم يجدوا لطول أعمارِهمْ علّةً إلّا عدَمَ النِّكاح ، وَقلّة استفراغِ النُّطَف لقُوى أصلابهم .

قالوا : وكذلك لم نجدْ فيما يعايشُ الناسَ فى دُورهم ، من الخيل والإبل ، والحمير ، والبقر ، والغنم ، والكِلابِ ، والدَّجاج ، والحمام ، والدِّيَكة ، والعصافير ؛ أطول أعماراً من البغال . ٦٣

وكذلك قالوا : وجدْنا أقلّها أعماراً العصافيرَ . وليس ذلك إلّا لكثْرةِ سفادِ العصافير وقلّةِ سِفادِ البغال .

وجعل هؤلاء القومُ زيادةَ عمر البغلِ على عمرِ أبوَيه دليلا على أنّ قول الناسِ : لا يعيشُ أحدٌ فوق عمر أبويه خطأ . وأولئك إنما عنوا الناسَ دونَ جميع الحيوان .

(النتاج المركب)

وقالوا : قد وجدنا غُرمولَ البغل أطولَ من غرمول الحمار والفرس والبرذون ؛ وهؤلاء أعمامُه وأخواله ؛ فقد وجدْنا بعض النِّتاجِ المركَّبِ ، وبعضَ الفروعِ المستخرجة ، أعظمَ من الأصل ؛ ووجدنا الحمام الرَّاعِبى[٢] أعظمَ من الوَرَشان الذى هو أبوه ، ومن الحمامةِ التى هى أمُّه ؛ ولم نجدْه أخذَ من عمر الوَرَشان شيئا ؛ وخرج صَوْتُه من تقديرِ أصواتهما ؛ كما خرج شَحِيج البغْل مِن نهيق الحمار وصهيل الفرَس . وخرَج الرَّاعِبى مُسروَلاً ؛

---

(١) الأعداد : جمع عد بمعنى الند وزنته ، فالأعداد : الأنداد .

(٢) ط : « الزاغبى » ، والصواب ما فى ل . قال فى المجمل : الحمامة الراعبية : ترعب فى صوتها ترعيبا ، وذلك قوة صوتها . تاج العروس .

ولم يكن ذلك فى أبويه ؛ وخرج مُثْقَلاً سيِّئ الهداية . وللوَرَشان هداية ، وإن كان دونَ الحمام ؛ وجاء أعظمَ جُثَّة من أبويه ؛ ومقدارُ النَّفَس مِن ابتداءِ هَديله إلى منقطَعه ، أضعافُ مقدارِ هديل أبويه .

وفَوالجُ البُخْتِ إذا ضرَبت فى إناث البُخْت ؛ لم يخرُج الحُوَارُ إلاّ أدَنّ(١) قصيرَ العُنق ؛ لا ينال كلأً ولا ماءً إلَّا بأنْ يُرْفَعا إليه ؛ فيصيرُ — لمكانِ نُقْصان خلقه — جَزورَ لحم ؛ ولا يكون من اليعمَلات ولا من السابقة ؛ ولو عالُوه وكفَوه مُؤْنة تكلف(٢) المأكولِ والمشروب ، ثم بلغَ إلى أنْ يَصيرَ جملاً يمكنُه الضِّراب . وكذلك [الأنثى التى هى] الحائل إلى أن تصيرَ ناقة ؛ فلو ألقحها الفحلُ لجاء ولدُها أقصرَ عنقا من الفيل ، الذى لو لم يجعل اللهُ تعالى له خُرطوما يتناولُ به طعامَه وشرابه ، لمات جُوعا وهُزالا ؛ وليس كذلك العِرَاب . وإذا ضربت الفوالجُ فى العراب جاءت هذه الجوامز(٣) والبُخْت الكريمة التى تجمع عامَّة خصال العراب وخصالِ البُخْت ؛ فيكونُ ما يُخرِج التركيبُ من هذين الجنسين أكرمَ وأفخمَ وأنفس وأثمن . ومتى ضربت فحولُ العرَاب فى إناث البُخْت جاءت هذه الإبل البَهْوَنيَّة(٤) [والصَّرصرانية(٥)] فتخرج أقبح منظراً من أبويها ، وأشدَّ أسْراً من أبويها . [وقال الراجز : ولا بهونى من الأباعر]

---

(١) ط : « أتانا » وهو تصحيف عجيب ، أبدلته بما فى ل . والدنن ، محركة : انحناء فى الظهر ، ودنو وتطامن فى الصدر والعنق . وهو أدن ، وهى دناء .

(٢) ط : « تكليف » . (٣) ط : « الجواميز » .

(٤) ط : « اليهوتية » . ل : « اليهونية » وكلاهما تحريف ، وقد جاء فى القاموس « والبهونية من الإبل مابين الكرمانية والعربية » . وجاء فى المخصص ٧ : ١٣٥ واللسان « والبهنوى — بتقديم النون — من الإبل : مابين الكرمانية والعربية ، وهو دخيل فى العربية » .

(٥) فى القاموس والمخصص : « الصرصرانيات : بين البخاتى والعراب ؛ أو الفوالج » وفى الأصل : «وهى الصرصرانية » ، وإنما هما ضربان .

وبعد ؛ فإنّ هذه الشّهريَّة الُخراسانية ؛ يخرج لها أبدانٌ فوقَ أبدانِ أمّهاتِها وآبائها من الخيل والبراذين ؛ وتأخذ من عِتق الخيل ، ومن وثاجة[١] البراذين ؛ وليس نِتاجها كنتاج البِرذَونِ خالصاً والفرس خالصا .

وما أشبهَ قرابةَ الحمارِ بالرَّمكة والحِجْرِ ؛ من قرابةِ الجمل الفالج البُخْتيِّ بقرابةِ القَلوص الأعرابيَّة . ٦٤

(الحمر الوحشية)

ويقال إن الحمرَ الوحشيَّة ؛ وبخاصَّةٍ الأخدريَّة ؛ أطولُ الحمير أعماراً وإنما هى من نِتَاج الأخدَر ؛ فرس كانَ لأَرْدَشير بن بابَك صار وحشيًّا[٢] فحمَى عِدَّةَ عانات فضرب فيها ، فجاء أولادُه منها أعظمَ مِن سائر الحمر وأحسنَ ، وخرجَتْ أعمارُها عن أعمارِ الخيل وسائر الحُمُر — أعنى حمر الوحش — فإنَّ أعمارَها تزيد على الأهليَّة مِراراً عدَّة .

(عير أبى سيارة)

ولا يعرفون حماراً وحشيًّا عاشَ أكثر وعُمِّر أطول من عير أبى سيَّارَة عُمَيلة بن أعزل[٣] ؛ فإنهم لايشكُّون أنّه دَفَع عليه بأهلِ الموسم أربعين عاما ! !

قال الأصمعيُّ : لم يكن عيراً وإنما كان أتانا .

---

(١) ط : « وشاجة » وإنما هى « وثاجة » كما فى ل . والوثاجة : الاكتناز .

(٢) ط : « صار حمارا وحشيا » والصواب ما أبدلت من ل و س .

(٣) ط : « غميلة بن أعزل » وإنما هو « عميلة » بالعين كما فى ل والبيان ١ : ٣٠٧ وفيه قال عيسى بن حاضر : لو أراد أبو سيارة عميلة بن أعزل أن يدفع بالموسم =

(لهج ملوك فارس بالصيد)

وزعموا — وكذلك هو فى كتبهم — أنَّ ملوكَ فارسَ ؛ كانت لهجة بالصيد ؛ إلا أنَّ بهرام [جور] هو المشهورُ بذلك فى العوامّ .

وهم يزعمون أنَّ فيروز بن قباذ[١] الملك الفارسىّ ؛ ألحَّ فى طلبِ حمار أخدرى ؛ وقد ذُكِر له ووُصف ؛ فطاوَله عند طلبه والتماسه ؛ وجدَّ فى ذلك فلجَّ به عند طلبه الاغترام ؛ وأخرجته الحفيظةُ إلى أن آلى ألَّا يأخذَه إلا أسراً ؛ ولا يطاردَه إلا فرداً ؛ فحمل فرَسه عليه[٢] ؛ فحطَّه فى خَبَار[٣] فجمع جَراميزه وهو على فرسه ووثَب ؛ فإذا هو على ظهره ؛ فقمَص به ، فضم فخذيه فحطّم بعض أضلاعه ؛ ثم أقبل به إلى معظم الناس ؛ وهم وقوف ينظرون إليه وهو راكبه .

قالوا : وكان الملك منهم إذا أخذ عَيراً أخدريًّا وغيرَ ذلك ؛ فإذا وجدَه فتيا[٤] وسَمَه باسمه[٥] وأرَّخ فى وسمِه يومَ صيده وخلَّى سبيله ؛ وكان كثيراً إذا ما صاده الملكُ الذى يقوم به بعدَه ؛ سار فيه مثلَه تلك السِّيرةَ وخلَّى سبيله ؛ فعرَف آخرُهم صنيعَ أوّلِهم ؛ وعرفوا مقدارَ مقاديرِ أعمارها .

= على فرس عربى أو جمل مهرى لفعل ، ولكنه ركب عيرا أربعين عاما ، لأنه كان يتأله اه . وقد أفاض الثعالبى فى ثمار القلوب فى الحديث عنه ص ٢٩٥ .

(١) ط : « فيروز بن قبار » وتصويبه من ل .

(٢) ط : « إلا فردا (اقتداراً لخيار الأرض الرخوة) فحمل عليه » بإقحام الجملة الموضوعة بين قوسين كبيرين ، وواضح أنها تعليق لأحد الكتاب ، حيث فسر الخبار بأنه الأرض الرخوة ، وصحفها آخر فجعلها « لخيار » .

(٣) ط : « خيار » وصوابه فى ل .

(٤) ط : « متينا » .

(٥) ط : « وسمه باسم » .

(الحكمة فى تخالف النزعات والميول)

ولولا أنَّ ناساً من كلِّ جيل ، وخصائصَ من كلِّ أمَّة ، يلهجون ويَكْلَفون بتعرُّف معانى آخرين لدرستْ ، ولعلَّ كثيراً من هؤلاء يُزْرى على أولئك ، ويعجِّب الناسَ من تفرُّغهم لما لايجدى ، وتركهم التشاغلَ بما يُجْدِى .

فالذى حبَّب لهذا أن يرصُدَ عمر حِمار أو وَرَشان أو حيَّة أو ضبٍّ ، هو الذى حبَّب إلى الآخَر أن يكون صيَّاداً للأفاعى والحيَّات ، يتتبَّعُها ويطلُبها فى كلِّ وادٍ وموضِع وجَبَلٍ للترياقات . وسخَّرَ هذا ليكون سائسَ الأُسْدِ والفُهود والنُّمُور والببور [1] ، وترك من تِلقاء نفسه أن يكونَ راعىَ غنم ! !

والذى فرَّق هذه الأقسامَ ، وسخَّر هذه النفوسَ ، وصَرف هذه العقول لاستخراجِ هذه العلوم من مدافِنها ، وهذه المعانى من مخابِئِها ، هو الذى سخَّر ٦٥ بَطْليمُوسَ مع مُلْكِه [2] ، وفلاناً وفلاناً للتفرُّغِ للأمور السماويَّة ، ولِرعايةِ النجوم واختلافِ مَسير الكواكب . وكلٌّ ميسَّرٌ لِمَا خُلِق له ، لتَتِمَّ النعمة [3] ولتكمُل المعرفة ، وإنما تأبَّى التيسير للمعاصى [4] .

فأمَّا الصناعاتُ فقد تقصُر الأسبابُ بعضَ الناس على أن يصير حائكا ، وتقصُر بعضَهم على أن يكون صَيْرَفيًّا ، فهى وإن قصَرتْه على الحِياكةِ ، فلم تقصُرْه على خُلْف المواعيد وعلى إبدال الغُزُول ؛ وعلى تشقيق العملِ دونَ الإحكام والصدق وأداءِ الأمانة ؛ ولم تقصر الصيرفىَّ على التطفيف [5] فى الوزنِ والتغليط

---

(١) فى الأصل : « البيور » وإنما هى « الببور » جمع ببر ، وللفريق المعلوف كلام جيد فى التعريف بهذا الحيوان ص ٢٤٨ من معجمه .

(٢) يرى الجاحظ – كما يرى بعض المؤرخين – أن بطليموس كان ملكا من ملوك البطالسة اليونانيين ، وللقفطى تحقيق دقيق فى هذا الوهم فى كتابه ص ٦٨ .

(٣) ط : « لتتم النعمة » .

(٤) ل : « وإنما نأبى التيسير للعاصى » . والمعتزلة يربئون به تعالى عن نسبة الشر أصلا

(٥) ل : « التقطيف » .

فى الحساب ؛ وعلى دسِّ المموَّه ؛ تعالى الله عزَّ وجلَّ عن ذلك علواً كبيراً .

(خضوع النتاج المركب للطبيعة)

ولو كان أمرُ النِّتاج وما يحدث بالتراكيب ويخرج من التزاويج ؛ إلى تقدير الرأى وما هو أقربُ إلى الظنِّ ؛ لكانت الأظْلاف(١) تجرى مَجْرَى الحوافر والأخفاف . ألا ترى أنَّ قرابة الضأن من الماعز ؛ كقرابة البُخْت من العراب ؛ والخيل من الحمير ! !

وسبيل نتائج الظِّلْف على خلافِ ذلك ؛ لأنَّ التيسَ — على شدَّة غُلمته — لا يعرض للنعجة [إلاَّ بالقليل الذى لا يُذكر . وكذلك ما يحدث بينهما من الولد كذلك : إمَّا ألاَّ يتمّ خَلقُه ، وإما ألاَّ يعيش(٢)] ؛ وكذلك الكبشُ والعنز فضلا عن أن يكون بينهما نتاج(٣) لأنه قد يضرِب الجنسُ فى الجنس الذى لا يُلْقحه ؛ ولا يكون اللِّقاح إلا بعد ضراب .

وطَلَب التيسِ للنعجة قليل(٤) وأقلُّ من القليل ؛ وكذلك الكبش للعنز ؛ وأقلُّ من ذلك أنْ تتلاقح(٥) ولا يبقى ذلك الولد ألبتة(٦) .

وقد تجاسَرَ ناسٌ على توليدِ أبوابٍ من هذا الشكل ؛ فادَّعوا أموراً ؛ ولم يحفِلوا بالتقريع والتكذيبِ عند مسألة البرهان ! !

(زعم فى الزرافة)

زعموا أنَّ الزرافة خلقٌ مركب من بين الناقة الوحشية وبين البقرة الوحشية

---

(١) ط : « الأخفاف » .
(٢) التكملة من الأمبروزيانا .
(٣) ط : « فيهما نتائج » .
(٤) ماعدا الأمبروزيانا : « ويطلب التيس للنعجة قليلا » .
(٥) فى معظم النسخ : « ألا تتلاقح » صوابه من الأمبروزيانا .
(٦) الكلام من « وطلب » الخ ساقط من ل . ما عدا الأمبروزيانا : « ولا يمنع ذلك » تحريف .

وبين الذِّيخ وهو ذكر الضباع ؛ وذلك أنهم لمَّا رأَوا أنَّ اسمها[١] بالفارسية (أشتر كاو بلنك[٢]) ؛ وتأويل « أشتر » بعير ، وتأويل « كاو » بقرة ، وتأويل « بلنك »[٣] الضبع ؛ لأن الضباعَ عُرْج ؛ كذلك الذكر والأنثى يكون بهما خُمَاع ؛ كما عرض للذئب القزَل — وكلُّ ذئبٍ أقزَل — وكما أنَّ كلَّ غرابٍ يحجِل كما يحجِل المقيَّد من الناس ؛ وكما أنَّ العصفورَ لا يمشى ؛ ومشيُه أن يجمَع رجليه أبداً معاً فى كلِّ حركةٍ وسكون . وقولهم للزرافة أشتر كاو بلنك[٢] اسم فارسىٌّ ؛ والفُرس تسمِّى الأشياءَ بالاشتقاقات ؛ كما تقول للنعامة : اشتر مرغ ؛ وكأنَّهم فى التقدير قالوا : هو طائر وجمل ؛ فلم نجد هذا الاسمَ أوجبَ أن تكون النعامةُ نِتاجَ ما بين الإبل والطير ؛ ولكن القوم لما ٦٦ شبهوها بشيئين متقاربين ؛ سمَّوها بذينك الشيئين . وهم يسمون الشىء المرَّ الحلو « تَرْش شِيرِين » وهو فى التفسير حلوٌ حامض . فجسَر القومُ فوضعوا لتفسير اسم الزرافة حديثاً[٤] ؛ وجعلوا الخلِقَة ضرْباً من التراكيب ؛ فقالوا : قد يعرض الذيخ فى تلك البلاد للناقة الوحشية فيسفدها ، فتلقَح بولدٍ يجىء خَلقُه ما بين خلْق الناقةِ والضبع ؛ فإن كان أنثى فقد يعرض[٥] لها الثور الوَحشى فيضربها ؛ فيصير الولد زرافة ؛ وإن كان ولدُ الناقة ذكراً عرَض للمهاة فألقحها فتلد زرافة . فمنهم من حجر ألبتَّةَ أن تكون الزرافة الأنثى تلقَح من الزرافة الذكر ؛ وزعموا أنَّ كلَّ زرافةٍ فى الأرض ، فإنّما[٦] هى

(١) ط : « أسماءها » وهو تحريف ظاهر .
(٢) ط : « اشتركا ويلنك » .
(٣) ط : « يلنك » .
(٤) ط : « فوضعوا التفسير اسما للزرافة حديثا » .
(٥) ط : « فيعرض لها » .
(٦) ط : « إنما » .

من النِّتاج الذى ركَّبوا ؛ وزعموا أنَّ ذلك مشهورٌ فى بلاد الحَبَشة ، وأَقاصى اليمن . وقال آخرون : ليس كلُّ خلقٍ مركَّب لا ينسِل ولا يبقَى نجلُه ولا يتلاقَح نسله ؛ على ما حكينا من شأن الوَرشــان والرّاعبى [١] . وهؤلاء وما أشبههم يُفسدون العلم ، ويتَّهمون الـكتب ، وتغرُّهم كثرةُ أتباعهم ممَّن تجدُه مستهتَراً بسماع الغريب ، ومُغرَماً بالطرائف والبدائع . ولو أُعطُوا معَ هذا الاستهتارِ [٢] نصيباً من التثبُّتِ ، وحظًّا من التوقى ؛ لسَلِمت الـكتبُ من كثير من الفساد .

(النتاج المركب فى الطيور)

وأنا رأيتُ طائراً له صوتٌ غير حسن ؛ فقال لى صاحب الطيور : إنّه من نِتاج ما بين القُمْرىِّ [٣] والفاختة [٤] .

وقُنَّاص الطيرِ ، وَمن يأتى كلَّ أُوقة [٥] وغيضةٍ فى التماس الصيد ؛ يزعمون أنّ أجناساً من الطير الأوابد والقواطعِ ، تلتقى على المياه فتتسافد ؛ وأنَّهم لا يزالون يرون أشـكالاً لم يروها قطُّ ؛ فيقدِّرون أنَّها من تلاقح تلك المختلفة .

---

(١) ط ، ل : « الوردانى والزاغبى » وهو تحريف صوابه ما كتبت كما فى ص ١٣٧ من هذا الجزء .

(٢) ط : « ولو أعطوا بدلا من هذا الاستهتار » .

(٣) ابن سيده : « القمرى : طائر صغير من الحمام » .

(٤) الدميرى : « الفاختة : واحدة الفواخت من ذوات الأطواق » . ابن سيده : « ضرب من الحمام المطوق ، واشتقاق الفاختة من الفخت وهو القمر أول ما يبدو للونها » .

(٥) ط : « أودية » وهو تحريف صوابه فى ل . والأوقة بالضم : محضن الطير على رءوس الجبال .

(زعم بعض الأعراب فى الحرباء)

وقال أَبو زيدٍ النحوىّ ، وذكر عمّن لقى من الأعراب أَنَّهم زعموا أَنَّ ذكرَ أمِّ حُبَيْن هو الحرباء . قال : وسمعت أَعرابيًّا من قيسٍ يقول لأمِّ حُبين حُبينة ، والحُبينة هو اسمها . قال : وقيسٌ تسمِّى ذكر العَظاءة العَضْرفوط .

وقال يحيى الأغرّ : سمعتُ أعرابيا يقول : لا خيرَ فى العَظاءة ، وإنْ كان ضبًّا مَكُونا . قال : فإذاً سامٌّ أبرَص ، والوَرَل ، والوَحَر ، والضَّبُّ والحَلَكاء ، كلُّها عندَه عَظاءة .

(ولد الثعلب من الهرّة الوحشية)

وزعم يحيى بن نُجَيم(١) أنَّ الثعلب يسفد الهرة الوحشية ، فيخرج بينهما ولدٌ . وأنشد قول حسان بنِ ثابت رضى ٱلله تعالى عنه :

أبوك أبوك وأنتَ ٱبنُه   فبئس البُنَىُّ وَبئس الأبُ   ٦٦

وأُمُّكَ سَوْدَاءُ نُوبِيَّةٌ   كأنَّ أناملها العنظب(٢)

يبيتُ أبوكَ بها مُغْدِفا(٣)   كما ساورَ الهرَّةَ الثعلبُ

---

(١) ط و س : « عليم » .

(٢) العنظب : الذكر من الجراد . ويروى « الحنظب » كما فى الدميرى ٢ : ٣٩٦ والديوان ٦١ . والحنظب : الذكر من الجراد ، أو الخنفساء ، أو ضرب آخر من الخلق المركب . وفى الأصول « سوداء ما دونه » وتصحيحه من الدميرى والديوان .

(٣) ل : « مغدقا » وفى الدميرى : « سافدا » وصواب أولاهما بالفاء كما أثبت فتكون بذلك مساوية للثانية فى المعنى . وفى ط : « معرسا » كما فى الديوان ، أى سافدا .

وأنشد أبو عبيدة قولَ عبد الرحمن بن الحكَم :

ألا أبلغْ مُعاوية بنَ حربٍ   مُغلغَلةً عن الرجُل اليمانى
أتغضَبُ أنْ يقال أبوك عَفٌّ   وترضى أن يُقالَ أبوك زانى
فأشهد أنّ رِحْمَكَ مِن قُرَيشٍ   كَرِحْم الفيل مِنْ وَلَدِ الأَتَانِ (١)

قال كَيسان : ولأى شى قال :

كرحم الفيل من ولد الأَتان

إنما كان ينبغى أن يقول : كرِحْم الفِيل من الخنزير . قال أبو عبيدة : أَراد هو التبعيدَ بعينه ، وأَنت تُريد ما هو أَقرب .

(زعم بعض المفسرين والأخباريين فى حيوان سفينة نوح)

وزعم بعض المفسِّرين وأصحابِ الأخبار ، أنَّ أهلَ سفينةِ نوحٍ كانُوا تأذَّوا بالفأْر ، فعَطَس الأسدُ عَطْسةً فرمى من مِنْخَريه بزوجِ سنانير ؛ فلذلك السِّنَّوْرُ أشبهُ شىءٍ بالأسدِ . وسلَح الفيلُ زوجَ خنازير ؛ فلذلك الخنزيرُ أشبهُ شىءٍ بالفيل . قال كيسان : فينبغى أن يكون ذلك السِّنَّورُ آدَمَ السنانير ، وتلك السِّنَّورَة حَوَّاءَها . [قال أبو عبيدة لكيسان : أولم تعلمْ أنت أنّ لكل جنس من الحيوان آدم وحواء ؟ !] وضحك [فضحك] القوم .

---

(١) فى ط « فأشهد أن آ لك » و « آلك » محرف « إلك » ، والرواية المشهورة : « من زياد » وأثبت ما فى ل ... والأبيات فى الحيوان ٧ : ٧٣ والخزانة ٢ : ٥١٨ بولاق منسوبة كذلك إلى عبد الرحمن بن الحكم أخى مروان بن الحكم . وهى فى الشعراء لابن قتيبة ٧٩ والموشح ٢٧٣ منسوبة إلى يزيد بن مفرغ . وفى الأغانى ١٢ : ٧١ « والناس ينسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه لزياد . وذلك غلط » .

(شره سعد القرقرة)

ولمَّا رأى أبو قُرْدُودةَ سعدَ القرقرة ، أكلَ عنـد النُّعمان مسلوخاً بعظامه قال :

بين النعامِ وبينَ الـكلبِ مَنْبِتُه وفى الذئاب له ظئر وأخْوالُ[1]

يقول : إنَّ سعداً ضرب فى أعراقه نجر النعام[2] الذى يلتهم الجمر ، ويلتقم الحجارة ، فيطفئ الجمرَ ويُميع الصخْر[3] ، وضرب فى أعراقه [نَجْرُ[4]] الـكلبِ الذى يرضُّ كلَّ عظم ، ولا يقبِض عليه بكفِّه إلاّ هو واثق بفتِّه ، ولا يسيغه إلاّ وهو على ثقةٍ من استمرائه[5] . فأمَّا الذئب فإنَّه لا يروم بفكَّيه شيئاً إلاّ ابتلعَه بغير معاناةٍ ، عظماً كان أو غيرَه ، مصـمتاً كان أو أجْوفَ . ولذلك قال الراجز[6] :

أَطلَسُ يُخْفِى شخصَه غُبَارُه فى فِـيهِ شَـفْرتُه ونارُه

فأبو قُردُودةَ لم يُردْ أنَّ الذئب والـكلبَ خالاه ، وأنَّ النعام نَجَلَه ، وإنما قال ذلك على المثَل والتشبيه ، ولم يردْ أنَّ له ظئراً من الـكلاب ، وخالا من الذئاب . وشَبيهُ ذلك[7] قول أمير المؤمنين المأمون لبعض الناس : يا نُطَفَ ٦٨

(١) ط : « وفى الذئاب ظئيرات وأخوال » .

(٢) فى الأصول : « نجل » باللام ، وإنما هو « نجر » بالراء بمعنى الطبع .

(٣) ط : « يميغ » وإنما هى « يميع » بمعنى يسيل كما فى ل .

(٤) زيادة يفتقر إليها الـكلام .

(٥) فى ل زيادة بعد هذا الـكلام لم أر إثباتها فى الصلب لانبهامها وهى : « ما كانه يمكنه أن يأكل فى مقعد ما أكل » .

(٦) البيتان فى البيان ١ : ١١٤ مضافا إليهما بيتان آخران هما :

هو الخبيث عينه فراره بهم بنى محارب مزداره

وقد تـكلم كثير من العلماء فى هذا الشعر . انظر الأمالى (٣ : ١٢٩) والـكامل ٢٠٨ والعمدة (١ : ١٦٨) وديوان المعانى (٢ : ١٣٤) .

(٧) فى الأصل : « وليس ذلك على » وهو تحريف .

الحمَّارين[١] ، ونزائع الظُّؤورة ، وأشباه الخُؤولة .

وعلى شبيهٍ بذلك قال سلم بن قُتَيبة[٢] لبعض من ذَكره ، وهو عند سليمان بن علىٍّ : أيُّها الأمير ، إنَّ آلَ فلانٍ أعلاجُ خلقِ الله وأوباشُه ، لئامٌ غُدُر ، شرَّابون بأَنْقُع[٣] ، ثمَّ هذا بعدُ فى نفْسه ، نُطفَةُ خَمَّار فى رَحِم صَنَّاجة .

(زواج الأجناس المتباينة من الناس)

وقال لى أبو إسحاق : قال لى أبوالعباس — وأبو العباس هذا كانَ ختَنَ إبراهيمَ على أخته ، وكان رجلاً يَدِين بالنجوم ، ولا يقرُّ بشىءٍ من الحوادث إلاَّ بما يجرى على الطباع . قال أبو إسحاق : وقال لى مرَّة : أتعرفُ موضِع الحُظْوةِ من خَلْوة النساء ؟ . قُلْتُ : لا واللهِ لاأعرفُه . قال : بل اَعلمْ أن لايكونُ الحظُّ إلاَّ فى نِتاج شِكلين متباينين ، فالتقاؤهما هو الإكسير المؤدِّى إلى الخلاص : وهو أن تُزاوِج بينَ هِنديَّةٍ وخُراسانىٍّ ، فإنها لا تلد إلاَّ الذهبَ الإبريز . ولكن احرُس ولدَها ؛ إن كان الولدُ أنثى فاحذَر عليها من شدَّة لِواطِ رِجال خُراسانَ وزِناء نساءِ الهند ، واعلمْ أن شهوتَها للرجال على قدرِ حُظْوتِها عندَهم ، واعلمْ أنَّها ستساحق النساءَ على أعراقِ الخراسانيَّة ، وتَزْنى بالرجال على أعراق الهند ، واعلمْ أنّه ممّا يزيد فى زِناها ومساحَقتها معرفتُها بالحُظوة عند الزُّناة ، وبالحظِّ عند السحاقات[٤] .

---

(١) فى الأصول « الخمار » والوجه الجمع .

(٢) ط : « سلام بن قتيبة » وإنما هو « سلم » كما فى ل . وله أخبار فى الأغانى .

(٣) ط : « شرابون ما نقع ثم » والصواب ما فى ل . والكلام مثل . والنقع بالفتح الماء المستنقع ، جمعه أنقع ، فيقال فى المثل : إنه لشراب بأنقع . يضرب لمن جرب الأمور أو للداهى المنكر ، لأن الدليل إذا عرف الفلوات حذق سلوك الطرق إلى الأنقع .

(٤) ل : « عند النساء » .

(مما زعموا فى الخلق المركب)

وقالوا فى الخلق المركَّب ضُروباً[١] من الحقِّ والباطل ، ومن الصدق والكذب . فمن الباطِل زعْمُهم أنَّ الشَّبُّوط ولد الزَّجْر[٢] من البُنِّيِّ ، وأنَّ الشَّبُّوط لا يُخْلَق من الشَّبُّوط ،وأنَّه كالبغلِ فى[٣] تركيبِه وإنسالِه . ورووا ذلك عن أبى واثِلة إياسِ بنِ معاوية [بن قرّة] .

وزعموا أنّ أمَّ جعفر بنت جعفر بن المنصور ، حصَرت[٤] فى حوضٍ لهـا ضخمٍ أو بركةٍ كبيرةٍ عددا كثيراً من الزجر والبُنِّيِّ ، وأنَّها لم تخلِطْ بهما غيرَهما ، فمات أكثرُه وبقيتْ بقيـةٌ كانت الصميمَ فى القوَّة ، وفى احتمال تغيُّر المكان فلم تحمل البيضَ حِيناً ، ثمَّ إنّها[٥] حملت بالشبابيط .

(مطر الضفادع والشبابيط)

وزعم حُريثٌ أنّه كان بأيذَج[٦] ، فإذا سحابة [دهماء] طخياء[٧] تكاد تمسُّ الأرض ، وتكاد تمسُّ قِمَمَ رُءُوسهم ، وأنَّهم سمعوا فيها كأصواتِ المجانيق[٨] ، وكَهدير الفحول فى الأشوال ؛ ثم إنَّها دفعَت بأشدِّ مطر رُئى أو سُمِع به ، حتى استسلَموا للغرق ؛ ثمَّ آندفعتْ بالضفادع العظام[٩] ، ثم

---

(١) الأمبروزيانا : « بضروب » .

(٢) ط : « الزخر » بالخاء وإنما هو الزجر كما فى ل . قال الفيروزبادى : سمك عظام .

(٣) ما عدا الأمبروزيانا : « وتركيبه » .

(٤) ط : « حضرت » .

(٥) ط : « فلم تحمل البيض حمائم إنما » وتصحيحه من ل .

(٦) فى القاموس « أيذج كأحمد بلدة من كور الأهواز ، وقرية بسمرقند » .

(٧) ط : « ضحياء » وصوابه ما فى ل . والطخياء : الشديدة السواد .

(٨) ل : « المجاش » وهى جمع مجش أو مجشة ، وهى الرحى .

(٩) انظر الاستدراكات .

اندفعت بالشبابيط السِّمان الخِدال[1] فطبخوا واشتَوَوا ، وملَّحوا وادَّخَروا .

(غرور أبى واثلة والخليل بن أحمد)

ورووا عن أبى واثلة أنَّه زعمَ أنَّ من الدليلِ على أنَّ الشَّبُّوط كالبغل ،

٦٩ أنَّ الناسَ لم يجدوا فى طولِ ما أكلوا الشبابيطَ فى جوفِها بَيْضاً قطُّ . فإن كان هذا الخبرُ عن هذا الرجُلِ المَذكُورِ بشدَّةِ العقل ، المنعوتِ بثُقُوب الفِراسة ودِقَّةِ الفطنة صحيحاً ، فما أعظَمَ المصيبةَ علينا فيه ، وما أخلَقَ الخبرَ أن يكون صحيحاً ؛ وذلك أنِّى سمعتُ له كلاماً كثيراً من تصنيف الحيوانِ وأقسامِ الأجناس ، يدلُّ على أنَّ الرجلَ حينَ أحسَنَ فى أشياء وَهمه العُجْبُ بنفسِه أنَّه لا يَروم شيئاً فيمتنعُ عليه ، وغرَّه مِن نفسِه الذى غرَّ الخليل ابنَ أحمد ، حينَ أحسَنَ فى النحوِ والعَرُوض ، فظنَّ أنَّه يُحسِن الكلامَ وتأليفَ اللُّحون ، فكتبَ فيهما كتابَينِ لا يُشِير بهما ولا يُدلُّ عليهما إلاَّ المِرَّةُ المحترقة ، ولا يؤدِّى إلى مثل ذلك إلاّ خِذلانٌ من الله تعالى ؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يُعجزه شىء .

(بيض الشبوط وتناسله)

والشَّبُّوط — حفظك الله تعالى — جِنسٌ كثيرُ الذكور قليلُ الإناث ، فلا يكون إناثه أيضاً يجمعْن البيض ، وإذا جمعنَ فلو جمعتَ بيضَ عشرٍ منهنَّ

---

[1] ط : « الخزال » والصواب « الخدال » كما فى ل . والخدال : جمع خدلة ، وهى الممتلئة الأعضاء لحما فى رقة عظام .

لَمَا كان كشَطْر بَيضٍ بُنِّيَّةٍ واحدة . وقد رأيتُ بَيْضَ[1] الشَّبُّوط وذقتُه للتعرُّف فوجدته غيرَ طائل ، ولا مُعجِبٍ . وكلُّ صيَّادٍ تسألُه فهو يُنْبيك أنّ له بيضاً ، ولكنَّه إذا كانَ يكونُ ضئيلاً قليلا ، لأنَّ الشبابيطَ فى أصلِ العدد من أقلِّ السمك ، وكذلك الجنس منه إذا كانت الأنثى منه مِذكارا .

(موطن الشبوط)

على أنَّه رُبَّ نهرٍ يكونُ أكثرُ سمَكه الشَّبُّوط ، وذلك قليل ، كنهر رَامَهُرْمز . والشَّبُّوط لا يتربَّى فى البحار ، ولا يسكن إلاّ فى الأوديةِ والأنهار ؛ ويكره الماءَ الملحَ ويطلبُ الأَعذبَ فالأَعذب ؛ ويكون فى الماء الجارى ، ولا يكون فى الساكن . وسنذكر شأنَه فى موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

(رد على ما زعموا فى الزرافة)

ولم يصب أبو واثلة ، وكذَبوا على أمِّ جعفر . فإذا[2] قالوا فى الزَّرافةِ ما قالوا[3] فلا تأمَنْهم على ماهو دُونَه . وإن كان مَن كَذَب على الموتى واستشهد الغُيَّبَ أحذَق ، فصاحبُ الزرافة قد استعمل بعض هذه الحيلة ، وصاحبُ الشَّبُّوط يكذِب على الأحياء ، ويستشهد الحضور . وإن كان الذى دعا إلى القول فى الزرافة أنهم جعلوا تركيب اسمه دليلا على تركيب

---

(١) فى الأصل : « فقد » والوجه ماأثبت . ماعدا ل « بعض » .

(٢) ل : « وإذ » .

(٣) انظر ص ١٤٢ .

الخلق . فالجاموس بالفارسية كاوماش ، وتأويله ضأنىّ بقرىّ ؛ لأنهم وجدوا فيه مشابهةَ الكبش وكثيراً من مشابهة الثور ، وليس أنّ الكِباشَ ضربت فى البقر فجاءت بالجواميس .

(رأى للفرس فى تقسيم الحيوان)

وزعم الفرسُ أنّ الحيوان كلَّه الذى يلد حيوانا مثلَه ممَّا يمشى على أربع قوائم ، لا تخلو أجناسها من المعز والضأن ، والجواميسُ عندهم ضأن البقر ، والبُخْت عندهم ضأن الإبل ، والبَراذين عندهم ضأن الخيل . ٧٠

(زعم فى الإبل)

والناس يقولون فى الإبل أقاويلَ عجيبةً : فمنهم مَن يزعمُ أن فيها عِرقاً من سِفاد الجنّ ، وذهبوا إلى الحديث : أنهم إنما كرهوا الصلاة فى أعطان الإبل لأنها خُلِقَتْ من أعنان الشياطين[1] فجعلوا المثلَ والمجاز على غير جهته . وقال ابن ميّادة :

فلما أتانى ما تقول مُحارِبٌ تغنَّتْ شياطينٌ وجُنَّ جُنونُها

(١) ط : « أعناق » وهو تحريف صوابه فى ل واللسان وابن الأثير . ذكر ابن منظور أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الإبل فقال : « أعنان الشياطين لاتقبل إلا مولية ولا تدبر إلا مولية » . قال ابن منظور : فإنه أراد أنها على أخلاق الشياطين ، وحقيقة الأعنان النواحى . قال ابن الأثير : كأنه قال كأنها لكثرة آفاتها من نواحى الشيطان فى أخلاقها وطبائعها . وفى حديث آخر : « لاتصلوا فى أعطان الإبل لأنها خلقت من أعنان الشياطين » .

قال الأصمعى : المأثور من السيوف الذى يقال : إنّ الجنَّ عمِلته .

وهم يسمُّون الكِبر والخُنزُوانةَ والنَّعَرة التى تضاف إلى أنف المتكبِّر شيطانا ، قال عمر : حتى أنزِعَ شيطانَه ، كما قال : حتى أنزِع النَّعَرة التى فى أنفه[1] . ويسمُّون الحيَّةَ إذا كانت داهية منها شيطانا ، وهو قولهم : شيطان الحَماطة[2] . قال الشاعر :

تعــالج مَثْنَى حَضْرميٍّ كأنه تَعَمُّجُ شَيْطانٍ بذى خِروعٍ قَفْرِ[3]

شبَّه الزِّمامَ بالحيَّة . وعلى مثل ذلك قال الشاعر :

شــناحية فيهــا شــناح كأنها حباب بكف الشأو من أسطع حشر[4]

والحباب : الحية الذكر ، وكذلك الأيم[5] . وقد نُهى عن الصلاةِ عند غيبوبة الشمس ، وعند طلوع القرص إلى أن يتتامّ ذلك . وفى الحديث : « إنّها تطلُع بين قَرْنَى شيطان » .

(ضرورة حذق اللغة للعالم والمتكلم)

فللعرب أمثالٌ واشتقاقاتٌ وأبنِية ، وموضعُ كلام يدُلُّ عندهم على

---

(١) ابن الأثير : النعرة بالتحريك : ذباب أزرق له إبرة يلسع بها ويتولع بالبعير ويدخل أنفه فيركب رأسه . سميت بذلك لنعيرها . ثم استعيرت للنخوة والكبر . وصاحب القاموس يضبط الكلمة إذا كانت بمعنى الكبر كهمزة وبالتحريك ، وإذا كانت بمعنى الذباب كهمزة فقط .

(٢) الحماطة : شجر شبيه بالتين أحب شجر إلى الحيات ، أو التين الجبلى أو الأسود الصغير أو الجميز . عن القاموس .

(٣) ط : « تعامج متنا » والصواب ماأثبت من ل ومن المخصص ولسان العرب (شطن) . ونسبه الجاحظ فى ٤ : ١٣٣ إلى طرفة .

(٤) الشناحية : الطويلة . وفى ل : « أسطح جسر » ولعل فى البيت تحريفا .

(٥) الأيم كـكيس والإيم بالـكسر : الحية الأبيض اللطيف ، أو عام ، جمعه أيوم . وانظر معجم المعلوف ٢٦٩ .

معانيهم وإرادتهم ، ولتلك الألفاظ مواضعُ أُخَرُ ، ولها حينئذ دَلالات أخر ؛ فمن لم يعرفها جَهِل تأويلَ الكتابِ والسُّنّة ، والشاهدِ والمثلِ ؛ فإذا نظَر فى الكلام وفى ضروب من العلم ، وليس هو من أهل هذا الشأن ، هلك وأهلك .

(الإبل الوحشية)

وزعم ناسٌ أنَّ من الإبل وحشيًّا وكذلك الخيل ، وقاسوا ذلك على الحمير والسَّنانير والحمام وغيرِ ذلك[1] ، فزعموا أنَّ تلك الإبلَ تسكنُ أرض وَبَارِ ؛ لأنَّها غيرُ مسكونة ، ولأنَّ الحيوانَ كلَّما اشتدَّت وحشيَّتُه كان للخَلاء أطلب . قالوا : وربَّما خرجَ الجملُ منها لبعضِ ما يعرِض ، فيضرب فى أدنى هَجْمةٍ من الإبل الأهلية . قالوا : فالمَهْرِيَّةُ من ذلك النِّتاج .

وقال آخرون : هذه الإبلُ الوحشيَّة هى الحُوش ، وهى التى مِن بقايا إبل وَبَار ، فلمَّا أهلكهم الله تعالى كما أهلك الأمَم مثلَ عادٍ وثمودَ والعمالقة وطَسْمٍ وجَدِيسَ وجاسم ، بقيَتْ إبلُهم فى أماكنهم التى لا يَطُورها إنْسِىٌّ[2] فإن سقَطَ إلى تلك الجِيزة بعض الخلعاء[3] ، أَوْ بَعْضُ من أضلَّ الطريق حثَت[4]

٧١

(١) ط : « وقاسوا ذلك على الحمير والسنانير وما سوى ذلك من الحمير والسنانير والحمام وغير ذلك » . وفى ل : « وقاسوا ذلك على الحمير ، والسنانير وغير ذلك » . وقد سردت القول كما ترى .

(٢) كذا فى ل . وطار المكان يطوره طوراً وطورانا : حام حوله . وفى ط : « لايطردها أحد » . قال فى القاموس : « وطردتهم : أتيتهم وجزتهم » فالعبارتان سليمتان .

(٣) ط : « الجزيرة » موضع « الجيزة » و « الخلفاء » موضع « الخلعاء » . وما فى ط : تصحيف . والجيزة : الناحية .

(٤) ط : « حثا » .

الجنُّ فى وجهه ؛ فإنْ ألحَّ خبَلته ، فضَربَتْ هذه الحوش[1] فى العُمَانيّة ؛ فجاءت هذه المَهْرِيَّة ؛ وهذه العسجديَّة التى تسمى الذهبيَّة .

وأنشدنى سعدان المكفُوف[2] عن أبى العميثل قول الراجز[3] :

ما ذمَّ إبْلِي عَجَمٌ ولا عَرَبْ   جُلودُها مِثلُ طَواويسِ الذَّهَبْ

وقال الآخر[4] :

إذا اصطكَّتْ بضيق حَجْرَتاها   تَلاقَى العَسجديَّةُ واللَّطِيمُ

والعسجد من أسماء الذهب .

قالوا : وإنَّما سُمِّيتْ صاحبةُ يزيد بن الطَّثَريَّة حُوشِيَّةً على هذا المعنى[5] .

وقال رؤبة :

جرت رحانا من بلاد الُحوش[6]

---

(١) ط : « الوحوش » .

(٢) ط : « وأنشد ابن سعدان المكفوف » وكتبت مافى ل و س . . وسعدان هذا هو ابن المبارك أبو عثمان الضرير النحوى . له ترجمة فى البغية للسيوطى ٤ : ٢ وتاريخ بغداد ٤٧٨١ ، ونزهة الألباء ٢٠٦ ، وهم يذكرونه فى رواة العلم والأدب ويقولون : إنه روى عن أبى عبيدة . وأما ابن سعدان ، فهو أبو جعفر محمد بن سعدان الضرير النحوى ، كان من أكابر القراء وله كتاب مصنف فى النحو ، وتوفى سنة ٢٣١ ، وله ترجمة فى البغية ٤٥ ، وتاريخ بغداد ٢٨٤٦ ، والنزهة ٢١٢ . ورواية الجاحظ عن كل منهما محتملة .

(٣) ل : « عن أبى العميثل الراجز » ولم ينعته واحد ممن ترجموا له بهذا الوصف انظر فهرس ابن النديم ٤٨ ليبسك و ٧٢ مصر وابن خلكان ١ : ٢٦٢ ومعجم الزركلى ٢ : ٥٥٥ . وأبو العميثل هو عبد الله بن خليد الأعرابى الشاعر ، وتوفى سنة ٢٤٠ .

(٤) هو عاهان بن كعب بن عمرو بن سعد كما فى اللسان (لطم) قال : العسجدية إبل منسوبة إلى سوق يكون فيها العسجد ، وقال ابن برى : العسجدية التى تحمل الذهب . وقال : اللطيم جمع لطيمة وهى العير التى تحمل المسك .

(٥) فى الأصل : « على المعنى هذا » .

(٦) كذا فى س و ل وهو الصواب . والرحى : جماعة الإبل . وفى ط والعمدة ٢ : ٢٠٥ « رجالا » . ورواية اللسان : إليك سارت من بلاد الحوش

(رد على ما زعموا من مطر الضفادع والشبابيط)

وأما الذى زعم أنَّهم مُطِروا الشَّبوط ، فإنه لما ظنّ أنَّ الضفادعَ التى تُصابُ بعَقِبِ المطر ؛ بحيثُ لا ماءٌ ولا وحلٌ ولا عينٌ ولا شريعة — فإنهم ربَّما رأوها وسط الدَّوِّ والدَّهناء والصَّمَّان[1] — ولم يشُكَّ أنَّها كانت فى السحاب وعلم أنَّها تكون فى الأنهار ومنابع المياه ، وليس ذلك من الذكر والأنثى ؛ قاسَ على ذلك الظنِّ السمك ؛ ثم جسَرَ فجعلَ السمكَ شَبُّوطا . وتلك الضفادعُ إنما هى شىءٌ يُخلَق تلك الساعة ، من طباع الماء والهواء والزمانِ وتلك التُّرْبة ؛ على مقاديرَ ومقابلات ، وعلى ما أجرى الله تعالى عليه نشأة الخلق .

(امتناع التلاقح بين بعض الأجناس المتقاربة)

وقد تُعرف القرابةُ التى تكون فى رأى العين بين الشكلين من الحيوان فلا يكون بينهما تسافُدٌ ولا تلاقُح ؛ كالضأن والمعز ، وكالفأر والجُرْذان ، فليس بالعجَب فى البقر والجواميس أن تكون كذلك . وقد رأينا الخِلاسىَّ من الدجاج والدِّيَكة ؛ وهو الذى تخلَّقَ من بين المولَّدات والهِنديَّات ؛ وهى تحمل اللحم والشحم .

وزعم لى مسعود بن عثمان ، أنه أهدى إلى عمرو بن مَسْعَدة ؛ دجاجة ووُزنَ فيها سبعة عشرَ رِطلا بعد طرح الأسقاط وإخراج الحشوة .

(١) ط : « اللور » موضع « الدو » ، « السنان » موضع « الصمان » والصواب ما كتبت من ل . والدو : الفلاة . والدهناء : الفلاة أيضا . والصمان : كل أرض صلبة ذات حجارة إلى جنب رمل .

(أثر زواج الأجناس المتباينة من الناس)

ورأينا الخِلاسيَّ من الناس ، وهو الذى يتخلَّق بين الحبشيِّ والبيضاء ، والعادةُ من هذا التركيب أنّه يخرج أعظمَ من أبوَيه وأقوى من أصلَيه ومشْمِرَيه . ورأينا البَيْسَرىَّ[1] من الناس ، وهو الذى يُخلَق من بين البيض والهند ؛ لا يخرج ذلك النِّتاجُ على مقدار ضخم الأبوين وقوّتهما ، ولكنه يجىءُ أَحسنَ وأملح . وهم يسمُّونَ[2] الماءَ إذا خالطته الملوحة بيسراً[3] قياساً على هذا التركيب الذى حكَينا عن البيض والهنديّات . ورأينا الخِلاسىَّ من الكلاب ؛ وهو الذى يُخْلَق بين السَّلُوقىِّ وكلب الراعى ؛ ولا يكون ذلك من الزِّئنى والقلطى[4] ، ومن كلاب الدُّور والحرَّاس . وسنقول فى السِّمْع[5] والعِسبار ؛ وفى غيرِهما من الخلْقِ المركَّب إن شاء الله تعالى . ٧٢

(أطول الناس أعماراً)

وذكروا أنَّهم وجدوا أطولَ أعمار الناس فى ثلاثة مواضع : أوَّلُها سَرْوحمير ، ثم فَرغانة ، ثم اليمامة ، وإنّ فى الأعراب لأَعماراً أطول ، على أنَّ لهم فى ذلك كِذْباً كثيراً ، والهندُ تُربى[6] عليهم فى هذا المعنى . هكذا يقول علماء العرب .

---

(١) البياسرة : جيل بالسند تستأجرهم النواخذة لمحاربة العدو ، والواحد بيسرى .

(٢) ط : « يسمونه » .

(٣) كذا فى ل ، ولعل صوابه « بيسريا » وفى ط : « يسرا » .

(٤) الزئنى : القصير القوائم ، وقد تحدث عنه الجاحظ فى الحيوان ٢ : ١٧٩ . والقلطى : القصير جداً .

(٥) ط : « السملع » وهو تحريف مافى ل .

(٦) ط : « تزرى » .

(أثر النبيذ فى عمر الإنسان)

وكان عثمانُ ماش ويزال وجذعان[١] ، يذكرون أنّهم عدُّوا أربعينَ فتًى مِنْ فتيانِ قريش وثَقيف أعذارَ عامٍ واحد فأحصَوْا عشرينَ من قريش ، وعشرين من ثقيف ، وتوخَّوا المتجاوِرين فى المحلّة والمتقارِبين فى الدُّور من الموفَّرين على النبيذ ، والمقصورين على التنادُم ، وأنّهم أحصَوا مثلَ ذلك العدد وأشباهَ أولئك فى السِّن ممَّن لا يذوق النبيذَ ولا يعرفُ شراباً إلا المَاءَ ، فذكَرُوا أَنَّهُمْ وجدُوا بعدَ مرورِ دهرٍ عامَّةَ من كان يشربُ النبيذَ حيًّا ، ومن لا يشربه قد مات عامّتُهم ، وكانوا قد بلغوا فى السنِّ . أما عثمان ويزال[٢] فكانا من المعمَّرين ، وقد رأيتهما جميعاً ولم أَسمع هذا منهما ، وسنأتى على هذا البابِ فى موضعه من ذكر المعمَّرين ، ونميِّز الصدقَ فيه من الكذب ، وما يجوز وما لا يجوز إن شاءَ اللهُ تعالى .

(بعض ما يعرض للخصيان)

وما أَكثر ما يعرض للخصيان البولُ فى الفراش وغيرِ ذلك ، ولا سيَّما إذا بات أحدُهم ممتلئا من النبيذ .

ويعرض لهم أيضاً حبُّ الشراب والإفراط فى شهوته وشدَّة النَّهم .

ويعرض لهمْ أيضاً إيثار المُخْفِس[٣] وحبُّ الصِّرْفِ ، وذلك أيضاً

---

(١) ل : « وبذال وجدعان » .

(٢) ل : « وبذال » .

(٣) ط : « المحبس » وليس بشىء . وفى ل : « المخفش » وهما تحريف ما كتبت . والمخفس : الشراب السريع الإسكار .

مِمّا يعرض للنساء ، والإفراط فى شهوتهنَّ وشدَّة الهمَّة لهُنَّ والغيرة عليهنَّ ، ويحتلمون ، ويَجنُبون ويغتسلون ، ويرون الماءَ غيرَ الرائق ولا الغليظ ، الذى له ريح طلع الفُحَّال[١] .

ويعرض للخصىِّ شدَّةُ الاستخفاف بمن لم يكن ذا سلطان عظيم أو مالٍ كثيرٍ أو جاهٍ عريض ، حتَّى ربمَّا كان عند مولاه بعضُ من عسى أن يتقدَّم هؤلاء المذكورين الذين يكون الخصىُّ كلِفاً بهم وبتعظيمهم ، ومُغرَماً بخدمتهم ، فى الأدبِ والحسب ، وفى بُعْدِ الهمَّة وكرم الشِّيمة ، فيعمِد عندَ دخولِ ذلك الرجلِ الذى له السلطانُ والجاهُ والمالُ إلى متَّكإ هذا الأديبِ الكريم ، والحسيبِ الشريف ، فينزِعه من تحت مِرْفَقِهِ ، غيرَ محتفل بذلك ولا مكترثٍ لما فيه ، ويضعُه له من غير أنْ يكونَ موضع المرافق بعيداً ، أوْ[٢] كان ذلك ممَّا يفُوت بعضَ الفوت ، ويفعل ذلك وإن كان يعاشر هذا الأديب الكريم مولاه وهو على يقين أنه لا يرى ذلك الموسِرَ وصاحبَ الجاهِ أبداً[٣] . ٧٣

(أقوال فى منع خصاء الخيل وإباحته)

وقد حرَّم بعضهم خِصاءَ الخيل خاصَّة ، وبعضُهُم زاد على ذلك حتَّى حَرَّم خِصاء البهائم . وقال بَعْضُهُمْ : إذا كان الخِصاءُ إنَّما اجتلبه فاعله أَوْ تَكلَّفهُ صاحبُهُ على جهة التماسِ المنفعَة ، أَو على طريقِ التجارة ،

---

(١) ط : « النخل » .

(٢) ط : « إذا » .

(٣) ط : « وهو على يقين أنه ليس من حكم الخصاء أن يرى . . . الخ » وهذبت القولة من ل .

فذلك جائز ، وسبيلُه سبيل المِيسَم ، فَإِنّ المِيسمِ نار ، وألمه يجوزُ كلَّ ألم . وقد رأينا إبلَ الصدَقة موسُومة ، ووسَمَت العربُ الخيلَ وجميعَ أصنافِ النَّعَم فى الإسلام ، على مِثل صنيعِها فى الجاهليَّة . وقد كانت القَصواءُ ناقة النبى صلى ٱلله عليه وسلم موسومة ، وكذلك العضْباءُ .

(أقوال فى وسم الحيوان)

وقال آخرون : الخصاء غيرُ شبيه بالمِيسم ؛ لأنَّ فى الخصاء من شدَّة الألمِ ، ومن المُثْلة ، ومن قطْع النَّسْل ، ومن إدخال النقصِ على الأعضاء ، والنقصِ لموادِّ القوى ، ما ليسَ فى المِيسم وغيرِه ، وهو بقطع الأَلية أشبَه ، والسِّمَةُ إنَّمَا هى لَذْعة ، والخصاءُ مجاوِزٌ لكلِّ شديدة[1] .

قال القوم : ولا بأسَ بقطع الأَليةِ إذا مَنعت بِثِقلِهَا أو عِظَمها الشاةَ من اللَّحاقِ بالقطيع وخِيف عليها من ٱلذئب . وقطعُ الألية فى جواز العقول[2] أشبهُ من الميسم ؛ لأنَّ المِيسمَ ليس للبعير فيه حظٌّ ، وإنَّمَا الحظُّ فيه لربِّ المال ، وقطعُ الأليةِ من شكل الختان ، ومن شكل الْبَطِّ[3] والفصْد ، ومن جنس الوَجُور والبيطرة ، ومن جنس اللَّدُود[4] والحِجامة ، ومن جنس الكىِّ عند الحاجة ، وقطعِ الجارحة إذا خِيف عليها الأَكِلَة .

(١) ط : « شلة » .

(٢) ط : « القول » .

(٣) البط : الجرح . والمبطة : المبضع .

(٤) اللدود كصبور : مايصب بالمسعط من الدواء فى أحد شق الفم .

(وسم الابل)

قال الأوَّلون : بل[1] لعمرى إنَّ للإبل فى السِّمات لأعظمَ المنافع ؛ لأنَّها قد تشْرَب بِسماتها ولا تُذَاد عن الحوض إكراماً لأربابها ؛ وقد تضِلُّ فتُؤْوَى ؛ وتُصاب فى الهُوَاشات[2] فترَدّ .

قالوا : فإنا لانسألكم إلّا عن سماتِ الخيل والبغالِ والحمير والغنم . وبعدُ فكيف نستجيز أنْ نَعمَّها بالإحراق بالنار ؛ لأمر عسى ألَّا يحتاج إليه من ألفِ بعيرٍ بعيرٌ واحد ؛ ثم عسى ألَّا يحتاج [من جميعَ] ذلك فى جميع عمره [إلّا] إلى شَرْبةٍ واحدة .

وقال القوم : إنَّمـا المياسم فى النَّعَم السائمة كالرُّقوم فى ثياب البَزَّاز ؛ ومتى ارتفعت الرقومُ ومُنِعت المياسم ، اختلَطَت الأموال ، وإذا اختلطت أمكَنَ فيها الظلم ، والمظلومُ باذلٌ نفسَه دونَ المعيشة[3] والهَضيمة . ٧٤

وقالوا : ليس قطعُ الأليةِ كالمجثَّمة وكالشيء المصبور ، وقد نُهينا عن إحراق الهوامِّ ، وقيل لنا : لاتعذِّبوا بعذاب الله تعالى ، والميسمُ نار ، وقطعُ الأَلية من شكل قَطْعِ العروق ، وصاحبُ المجثَّمة يقدِر أن يرمِيَ – إن كان به تعلُّم الرماية – شيئاً لا يألم ولم يُنْهَ عن تعذيبه ، فَمَا[4] يَردُّ الشيء المصبور من العذاب مَرَدًّا بوجه من الوجوه .

---

(١) ط : « قل » وهو تحريف مافى ل .

(٢) الهواشات بالضم : الجماعات من الناس والإبل .

(٣) كذا ولعلها « النكيثة» بمعنى الخطة الصعبة .

(٤) فى الأصل : « فيما » .

(القول فى نقص بعض أجزاء الحيوان أو نقضها أو إيلامها)

وقال آخرون : ليس لك أن تُحدِث فى جميع الحيوانِ حدَثاً من نقْضٍ أو نقص أو إيلام ، لأنك لاتملك النشأة [١] ، ولا يمكنك التعويضُ له ؛ فإذا أذِن لك مالك العين ، بل مخترعه ومنشئ ذاته والقادر على تعويضه ، وهو الله عزَّ وجلَّ ، حلَّ لك من ذلك ما كان لايحلّ . وليس لك فى حُجَّة العقل أن تصنعَ بها إلّا ما كان به مصلحةٌ ، كعلاج الدَّبَر [٢] وكالبيطرة .

وقال آخرون : لنا أن نصنعَ كلَّ ما كان يُصنَع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعدَه ، ممّا لم يكن مدفوعا [٣] عندَ بعضِهم ، إلّا أن يكون نَهْىُ ذلك البعضِ من جماعتهم [٤] ، فى طريق الخلافِ والردِّ والمفارقَة ولا يكونَ عندهم قولًا من الأقاويل ؛ فإنَّ ذلك فى سبيل العلاج بعد أن كان المتكلِّف يَعْرِفُ وجهَ الملام . والمذهب فى ذلكَ معروف [٥] ، وإن كان خارجا من ذلك الحدِّ ، فقد علمنا أنَّه أُبيح من طريق التعبُّد والمحنة ، كما جعل الله تعالى لنا ما أحلَّ ذبحَه من البهائم ، وكما جعَل لنا أن نقتُل القملَ والبراغيثَ والبعوض ، وإن لم يكن منها إلّا مقدارُ الأذى فقط . والقتل لايكون قصاصا من الأذى ، ولكن لمَّا أباح لنا خالقُ الشىء

---

(١) ل : « الشىء » .

(٢) ط : « كصلاح الدين » وهو تحريف عجيب صوابه فى ل .

(٣) ط : « مرفوعا » وتصحيحه من ل .

(٤) فى الأصل : « عن جماعتهم » .

(٥) ل : « يعرف وجه العلاج فالمذهب ... الخ » .

والقادرُ على تعويضه قتلَه ، كان قتلُه أسوغَ فى العقل مع الأذى ، مِنْ ذبح البهيمة مع السلامة من الأذى .

قال : وليس كل مؤذٍ ولا كل [ذى] أذى[1] حكم الله تعالى فيه بإباحة القتل ، والله عزَّ وجلَّ ، بمقادير الأمورِ وبحكم المختلِف والمتَّفِق ، والقليلِ من ذلك والكثير ، أحكَمُ وأعلم .

وقد أمرَ الله تعالى إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام ، بذبح إسحاق أو إسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، فأطاع الوالدُ وطاوع الولد .

والجواب الماضى إنما هو[2] قول من قال بالتعويض ، [و] هو قول النظّام . وأكثرُ المتكلِّمين يعترِضون عليه فيه .

(منع خصاء الإنسان وإباحته)

ولا يزال — يرحُمك الله تعالى — بعضُ الملحِدين من المعاندين ، أو بَعْضُ الموحِّدين من الأغبياء المنقوصين ، قد طعَن فى مِلْكِ الخصىِّ وبيعِه وابتياعه ، ويذكرون الخصىَّ[3] الذى كان المقوقِس عظيمُ القِبط أهداه إلى النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، مع ماريةَ القِبطيَّة أمِّ إبراهيم عليه السلام . قالوا : فقد ملك عليه الصلاة والسلام خَصِيًّا بعد أن عرَفه وأحاط علمُهُ بأنَّه خصىٌّ ، وأنتم تزعمون أنَّ الخِصاءَ حرام ، وأنَّ من اشترى من الخاصى خَصِيًّا ثم زاد على قيمته وهو فحل ، فقد أعان على الخصاءِ وحثَّ عليه ، ورغَّب فيه ، وأنَّه من أفحش الظلم وأشدِّ القسوة ، وزعمتم أنَّ من فعَل ذلك ٧٥

---

(١) ط : « وليس كل ضرر ولا كل أذى » .

(٢) ط : « على » موضع « إنما هو » .

(٣) ذكر فى كتاب البغال ٣٥٦ أنه أخو مارية القبطية .

فهو شريكُ الخاصى فى الإثم ، وأنَّ حالَه كحال المعروفين بالابتياع من اللصوص . وقلتم : وكذلك من شهد القِمار[١] وهِراشَ الكلاب ، ونِطاحَ الكِباش وقتالَ الديوك ، وأصحاب المجارحات[٢] وحرب الفئتين الضالَّتين . وقلتم : لأنَّ هذه المواضعَ لو لم تحضرها النَّظَّارةُ لما عمِلوا تلك الأعمال ، ولو فعلوها ما بَلغوا مقدارَ الشَّطر ، لغلَبة الرياءِ والسُّمعة على قلوبِ الناس ، فكذلك الخاصى ، والمشترى ، والمبتاع من المشترى ، شركاءُ متعاونون ، وخُلَطاءُ مترادفون . وإذا كان المبتاع يَزيد فى السِّلْعة لهذه العلَّة ، والبائع يزيد فى السَّوْم لهذا السبب ، وقد أقررتم بأنَّ النبى صلى الله عليه وسلم قد قَبِل له من المقوقس ، كما قبلَ مارية ، واستخدمه ، وجرى عليه ملكُه وأمرُه ، فافهمْ ــ فهّمك الله تعالى ــ ما أنا مجيبٌ به فى هذه المسألة . والله الموفِّقُ ، وعلى الله قَصْدُ السبيل .

أقول : قبلَ كلِّ شيء لايخلو هذا الحديث الذى رويتموه من أنْ يكون مرضىَّ الإسناد ، صحيحَ المخرج ، أو يكونَ مسخوط الإسناد ، فاسدَ المخرج . فإن كان مسخوطاً ، فقد بطلت المسألة ، وإن كان مرضيًّا ، فقد علمنا أنّه ليس فى الحديث أنَّه قَبِله منه بعد أنْ علِم أنَّه خصىٌّ ، وعلى أنَّ قبولَ الهديّة خلافُ الابتياع ؛ لأَنَّ بائعَ الخصىِّ إنَّما يحرُم عليه التماسُ الزيادة ، وكذلك المبتاعُ إنَّما يحرم عليه دفعُ الزيادة إذا كان لو سلم إليه بذلك الثمن فحلاً أجملَ منه وأشبَّ وأخدمَ منه لم يزدْه ، والبائع أيضاً لا يَستام بالفحل سَومَه بالخصى . وقبول الهديَّة ، وقبول الهِبَة ، وسبيلُ البيع والابتياع

---

(١) ل : « السعايين » .
(٢) ط : « المخارجات » .

لا بأس به إذا كان على ما وصفنا ؛ وإنّما هديَّة الخصىِّ كهديَّة الثوب والعِطر ، والدابَّةِ والفاكهة . ولأَنَّ الخصىَّ لايحرم مِلكُه ولا استخدامُه ، بل لايحلُّ طرده ونفيُه ، وعتقُه جائز ، وجوازُ العِتق يوجب الملك . ولو باعه المالك على غير طلبِ الزيادة ، أو لو تاب من الخِصاء أو استحلَّه مما أتى ٧٦ إليه ، لَمَا حرم على الخاصى نفسِه استخدامه . والخصىُّ مالٌ وملك ، واستخدامه حسَنٌ جميل ؛ ولأَنَّ خِصاءه إيّاه لايَعتِقه عليه ، ولا يُزيل عنه ملكه إلا بمثل ما وَجَبِ به مِلكُه[١] .

وأخرى : أنَّ فى قَبول هديَّةِ ذلك الملِكِ ، وتلقِّى كرامتِه بالإكرام تدبيراً وحكمة . فقد بطلت المسْألة ، والحمدُ لله كما هو أهله .

وقد رووا مع ذلك أيضا : أنَّ زِنباعاً الُجذَامىّ ، خصَى عبداً له ، وأنَّ النبى صلى الله عليه وسلم أعتقَه عليه فيما بلغنا. والله أعلم .

وربّما سألوا عن الشيء وليس القولُ فيــه يقَع فى نسق القول فى الخصىّ ، وفى الخلْق المركَّب ، ولكنْ إذ قد أجبْنا فى مسألةٍ كلاميَّة من مسائل الطعْن فى النبوَّة ، فلا بأسَ أن نُضيف إليها أخرى ، ولا سيَّما إذا لم تَطُلْ فتَزِيدَ فى طُولِ الكتاب .

وقد لايزال الطاعنُ يقول : قد علمْنا أنَّ العربَ لم يَسِمُوا حروب أيّام الفِجار بالفجور[٢] وقريش خاصّة ، إلّا أنّ القتال فى البلدِ الحرام ، فى الشهر الحرام كان عندهم فجورا ، وتلك حروبٌ قد شهدها النبىُّ صلى الله عليه وسلم

---

(١) ل : « إلا مثل مايوجب له به ملكه » .
(٢) ط : « بالعجور » .

وعلى آله ، وهو ابن أربعَ عشرةَ سنةً ، وابن أربعَ عشرة سنة يكونُ بالغا ، وقال : « شَهِدْتُ الفِجارَ فكنْتُ أنبُلُ على عمومتى » .

وجوابنا فى ذلك : أنَّ بنى عامر بن صعصعة ، طالبوا أهلَ الحرَم من قريشٍ وكِنانة ، بجريرة البرّاض بن قيس ، فى قتله عروة الرحّال ، وقد علموا أنَّهم يُطالِبون مَنْ لم يجنِ ومن لم يعاونْ ، وأنَّ البرّاض بنَ قيس كان قبلَ ذلك خليعاً مطرودا ، فأتوَهم إلى حَرَمهم يُلزِمونهم ذنبَ غيرهم ، فدافعوا عن أنفسِهم ، وعن أموالهم ، وعن ذراريهم ، والفاجر لايكون المسْعِيَّ عليه ، ولذلك أشهدَ الله تبارك وتعالى نبيَّه عليه الصلاة والسلام ذلك الموقف ، وبه نُصروا كما نُصِرت العربُ على فارسَ يومَ ذى قارٍ ، به عليه الصلاة والسلام وبمخرجه . وهذان جوابان واضحان قريبان ، والله الموفِّق للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

(محاسن الخصى ومساويه)

ثم رجَعَ بنا القولُ إلى ذكرِ محاسِن الخصىّ ومساويه[1] .

الخصىُّ يَنْكِحُ ويتّخذ الجوراىَ ويشتدُّ شغفه بالنساء ، وشغفُهنَّ به ، وهو وإن كان مجبوبَ العضو فإنّه قد بقى له ما عسى أن يكون فيه من ذلك ما هو أعجبُ إليهنّ . وقد يحتلم ويَخرجُ منه عند الوطء ماءٌ ، ولكنَّه قليلٌ ، متغيِّر الريح ، رقيقٌ ضعيف . وهو يباشِرُ بمشقّة ، ثم لايمنعه من المعاوَدة الماءُ الذى يخرج منه إذْ كان قليل المقدار[2] لايخرجه من القوّة إلى الضعف ، ٧٧

---

(١) انظر المحاسن والمساوى للبيهق ٢ : ٢٠٧ - ٢١٣ .
(٢) فى الأصول : « إذا كان قليل المقدار » .

مثل الذى يعترى من يخرج منه شيء يكون من إنسان، وهو أخثرُ ، وأكثر، وأحدُّ ريحا ، وأصحُّ جوهراً .

والخصىُّ يجتمع فيه أُمنيَّةُ المرأة، وذلك أنّها تبغض كلَّ سريعِ الإراقة، بطيءِ الإفاقة ، كما تكره كلَّ ثقيلِ الصدر ، وخفيف العَجُز ، والخصىُّ هو السريع الإفاقة ، البطيء الإراقة، المأمونُ الإلقاح، فتقيمُ المرأةُ معَه،وهى آمِنة العار الأكبر ، فهذا أشدُّ لتوفير لذَّتها وشهوتها . وإذا ابتذلن الخِصيان ، وحَقَرن العبيد ، وذهبت الهيبةُ من قلوبهنّ ، وتعظيمُ البعول، والتصنُّع لذوى الأقدار باجتلاب الحياء وتكلُّفِ الخجل ، ظهَر كلُّ شيءٍ فى قوى طبائِعهنّ وشَهوَاتهنّ ، فأمكنَهَا النَّخير[١] والصِّياح ، وأن تكون مَرَّةً من فوقُ ، ومرَّةً من أسفل ، وسمحت النفسُ بمكنونِها ، وأظهرَت أقصى ما عِندها .

وقد تجد فى النساء مَنْ تؤْثِر النساءَ ، وتجدُ فيهنَّ من تُؤثِر الرجال ، وتجد فيهنَّ مَنْ تؤْثِرُ الخِصيان ، وتجد فيهنَّ من تجمَعُ ولا تفرِّق ، وتعمُّ ولا تخصُّ ، وكذلك شأنُ الرجال فى الرجال ، وفى النساء والخصيان . فالمرأة تنازِع إلى الخصىِّ لأنَّ أمرَه أسترُ وعاقبتَه أسلم ، وتحرِص عليه لأنَّه ممنوعٌ منها ، ولأنَّ ذلك حرام عليها ، فلها جاذبان : جاذبُ حرصٍ كما يُحْرَص على الممنوع ،وجاذبُ أَمْنٍ كما يُرغَب فى السلامة . وقال الأصمَعى : قال يونس ابن عُبَيد[٢] : لو أُخِذْنا بالْجزَعِ لصبَرنا[٣] . قال الشاعر :

---

(١) ط : « الشخير » .

(٢) يونس بن عبيد من أصحاب ابن سيرين ، وكان بينهما مداعبة . روى فى عيون الأخبار ٣ : ٤١ أن يونس بن عبيد قال : أتيت ابن سيرين فدعوت الجارية فسمعته يقول : قولوا له إنى نائم – يريد سأنام – فقلت : معى خبيص . فقال : مكانك حتى أخرج إليك ! .

(٣) انظر البيان ٣ : ١٣١ وعيون الأخبار ٢ : ٢ .

وزادها كَلَفاً بالحبِّ أَنْ منعَتْ وحَبُّ شيءٍ إلى الإنسان مامُنِعا[١]

والحرصُ على الممنوعِ بابٌ لايَقْدِر على الاحتجاز منه ، والاحتراسِ من خُدَعه ، إلّا كلُّ مبرِّز في الفطنة ومتمهِّل [في] العزيمة ، طويلِ التجارب ، فاضِل العقل على قُوَى الشهوات . وبئس الشيءُ القرينُ السوء . وقالوا : صاحب السُّوءِ قِطعةٌ من النار .

وبابٌ من هذا الشكل ، فَبِكم أعظُم حاجةٍ إلى أن تعرفوه وتقِفُوا عندَه ، وهو مايصنع[٢] الخبَرُ السابق إلى السمع ، ولا سيَّما إذا صادفَ من السامع قلَّةَ تجرِبة ، فإنْ قرَن بين قلَّة التجربةِ وقلَّةِ التحفُّظِ ، دخل ذلك الخبر السابقُ إلى مستقرِّه دُخولاً سهلاً ، وصادفَ موضعاً وطيئا ، وطبيعة قابلة ، ونفسا ساكنة ؛ ومتى صادفَ القلبَ كذلك ، رسَخَ رسوخاً لاحيلة في إزالته . ومتى أُلقِيَ إلى الفِتيان شيءٌ من أمور الفَتيات ، في وقت الغَرَارةِ ، وعند غلَبةِ الطبيعة ، وشبَابِ الشهوَةِ ، وقلَّة التشاغُل ؛ وكذلك ٧٨ متى أُلقِيَ إلى الفِتيان شيءٌ من أمورهنَّ وأُمُورِ الغِلْمان ، وهناك سُكْر الشَّباب ، فكذلك تكون حالهم . وإنَّ الشُّطَّار لَيخلُو أحدُهم بالغلام الغرير فيقول له : لايكون الغلامُ فتًى أبداً حتَّى يصادِقَ فتًى [وإلّا فهو تِكش ، والتكش عندهم الذى لم يؤدِّبه فتًى ولم يخرِّجه] ، فما الماءُ العذْبُ البارد ، بأسرعَ في طباع العطشان ، من كلمته ، إذا كان للغُلام أدنى هوًى في

---

(١) ط : « أحب » . ومشهور الرواية وما فى ل هو ماأثبت . وفى عيون الأخبار ٢ : ٣ : « وزاده » موضع « وزادها » وصواب الرواية « وزادنى » ؛ فإن البيت للأحوص كما فى الأغانى ١١ : ٢٢ . وقبله :

كم من دنى لها قد صرت أتبعه ولو صحا القلب عنها كان لى تبعا

(٢) ط : « يضع » .

الفتوّة(١) ، وأدنَى داعيـةٍ إلى المنالة(٢) . وكذلك إذا خلَت العجوز المدربة(٣) بالجارية الحَـدَثة [كيف تخلبها . وأنشدنا :

فأتتهـا طَبَّــةٌ عالمـةٌ تخلط الجِـدَّ بأصنافِ اللعبْ

ترفعُ الصوتَ إذا لانت لها وتَنَاهى عند سَورات الغَضَب]

وقال الشاعر(٤) فيما يشبهُ وقوعَ الْخَبَرِ السابق إلى القلب :

نقِّلْ فؤادَك حيثُ شئْتَ من الهوى ما الحبُّ إلاَّ للحبيبِ الأَوَّلِ

كم منزلٍ فى الأرضِ يألَفُه الفتَى وحنينُه أبدا لأوَّلِ مَنْزِلِ

وقال مجنون بنى عامر :

أتانى هَواهَا قَبْلَ أنْ أعرِفَ الهوَى فصـادفَ قلباً خالياً فتمكَّنَا

(أثر التكرار فى خلق الإنسان)

وبابٌ آخر ممَّـا يدعو إلى الفساد ، وهو طولُ وقوعِ البصرِ على الإنسان الذى فى طبعه أدنى قابلٍ ، وأدنى حركةٍ عند مثله . وطولُ التدانى ، وكثرةُ الرؤيةِ هما أصلُ البلاء ، كما قيل لابنة الُخسّ : لم زَنيتِ بعبْدِك ولم تزنى بحرٍّ(٥) ، وما أغْرَاك به ؟ قالت : طُولُ السِّوَاد ، وقُرْبُ الوِساد .

ولو أنَّ أقبحَ الناسِ وجهاً ، وأنتنَهم ريحاً ، وأظهرَهم فقراً ، وأسقطَهم

(١) ط : « الفتنة » .

(٢) ط : « الشطارة » .

(٣) ط : « المذربة » .

(٤) هو أبو تمام كما فى الأغانى ١٧ : ١٤٦ . والبيتان فى ديوانه ٤٥٧ .

(٥) فى الأصل « ولم تزن بحر » والوجه ما كتبته . . وابنة الخس هى هند . ولها أخبار كثيرة فى البيان .

نفساً، وأوضعَهم حسَباً، قال لامرأةٍ قد تمكَّنَ من كلامِها، ومكَّنته من سَمْعِها :
وٱللهِ يامولاتى وسيِّدتى ، لقد أسهَـرْتِ ليلى ، وأرَّقْتِ عَينى ، وشغلْتِنِى عن
مُهِمِّ أمرى ، فما أعقِلُ أهلاً ، ولا مالاً ، ولا ولداً ؛ لنَقَضِ طِباعَها ، ولفسَخ
عَقْدَها ، ولو كانتْ أبرعَ الخلْقِ جمالاً ، وأكملَهم كمالاً ، وأملحهم مِلحا .
فإنْ تهيَّأَ مع ذلك مِن هذا المتعشِّق ، أَنْ تدمَع عينهُ ، احتاجت هـذه المرأة
أن يكون معها وَرَعُ أمِّ ٱلدرداء ، ومُعاذة العدويّة ، ورابعةَ القيسيَّة ،
والشجَّاء[1] الخارجيَّة .

(زهد الناس فيما يملكونه ورغبتهم فيما ليس يملكونه)

وإنَّمَا قال عمر بن الخطَّاب رضى ٱلله تعالى عنـهُ : « اضربُوهنَّ
بالعُرْى » لأَنَّ الثيابَ هى المدعاةُ إلى الخُروج فى الأَعراس ، والقيامِ فى
المَناحات ، والظهورِ فى الأَعياد ، ومتَى كثر خروجُها لم يعدَمها أن ترى من
هو من شكل طبعها . ولو كان بعلُها أتمَّ حسنا ، وٱلذى رأتْ أنقصَ حسنا ،
لكان مالا تملكه ، أطرفَ ممَّـا تملكُه ، ولكان مالم تنلْه ، ولم تَستكثِر
منهُ ، أشدَّ لها اشتغالا وأشد لها اجتذابا . ولذلك قال الشاعر :

٧٩ ولِلعين مَلْهًى بالتِّلادِ ولم يقُدْ هوى النفسِ شىءٌ كاقتيادِ الطرائِف[2]

وقال سعيد بن مسلم : لأَن[3] يرى حرمتى ألفُ رجل على حالٍ تكشَف

---

(١) ل : « الثبجاء » وصوابه « الشجاء » كما فى ط . ولها حديث مع زياد فى الأمالى ٣ : ١٧٤ .

(٢) ط : « ولم يقد » بدل « لم يقد » و « كافتياد » موضع « كاقتياد » .

(٣) ط : « لئن » .

منها وهى لا تراهم ، أحبُّ إلىّ من أن ترى حُرْمتِى رجلاً واحداً غيرَ منكشف .

وقال الأوّل : لا يضرُّك حُسْنُ من لم تعرف ؛ لأنَّك إذا أتبعتها بصَرك ، وقد نقضت طبعك ، فعلمْتَ أنَّك لا تصل إليها بنفسك ولا بكتابك ولا برسولك ، كان ٱلذى رأيت منها كالحلم ، وكما يتصور للمتمنِّى ، فإذا انقضى ما هو فيهِ مِنَ المنى[١] ، ورجعت نفسُه إلى مكانها الأوّل ، لم يكن عليه من [فقدها إلاّ مثلُ] فقد ما رآه فى النوم ، أو مثَّلته له الأمانىّ[٢] .

(عقيل بن علفة وبناته)

وقيل لعَقِيل بن عُلَّفة[٣] : لو زوَّجْتَ بناتِك ! فإنَّ النساءَ لحمٌ على وَضَمٍ إذا لم يكنَّ غانيات ! ! قال : كلا ، إنِّى أُجِيعُهنَّ فلا يأشَرْنَ ، وأُعْرِيهنَّ فلا يظهرْن[٤] ! ! فوافقت إحدى كلمتيه قولَ النبى صلى ٱللّٰه عليه وسلَّم [ووافقت الأخرى قول عمر بن الخطاب ؛ لأن النبى صلى ٱللّٰه عليه وسلّم قال] : « الصَّوْمُ وِجَاء » . وقال عمر : استعينُوا عليهنّ بالعُرْى . وقد جاء [فى الحديث : « وفِّروا أشعارهن فإنَّ] ترك الشعر مَجْفَرة[٥] .

(١) ط : « . . . كالخلسة إذ كان ذلك يقضى مافيه من المنى » وهو تحريف .

(٢) ط : « الأمانى مؤنسة » .

(٣) ط : « علقمة » وهى على الصواب فى ل . ولعقيل أخبار طريفة فى الأغانى ١١ : ٨١ - ٨٩ .

(٤) ط : « يأثرن » موضع « يأشرن » و « يظهرهن » بدل « يظهرن » وما فيها تحريف .

(٥) مجفرة : قال أبو عبيد : يعنى مقطعة للنكاح ونقصا للماء . وانظر اللسان (جفر)

وقد أتينا على هذا الباب فى الموضع الذى ذكرنا فيــه شأن الغَيرة ، وأوَّلَ الفسادِ ، وكيف ينبُت ، وكيف يُحصَد .

(بعض ميول الخصيان)

وقد رأيتُ غيرَ خَصىٍّ يتلوَّط ، ويطلب الغلمان [فى المواضع ، ويخلو بهم ويأخذهم] على جِهة الصــداقة ، ويحمل فى ذلك الحديد ، ويقاتل دون السخول(١) ، ويتمشى مع الشطَّار .

وقد كانَ فى قطيعةِ الربيعِ خصىٌّ أثيرٌ عنــدَ مولاه ، عظيم المنزلة عنده ؛ وكان يثِق به فى مِلْكِ يمينِه ، وفى حُرَمه من بنتٍ وزوجَةٍ وأختٍ ، لا يخصُّ شيئاً دونَ شىء ، فأشرَفَ ذاتَ يومٍ على مِرْبَدٍ له ، وفى المربد غنمٌ صفايا ، وقد شدَّ يدَى شاةٍ وركبها من مؤخَّرها يكُومُها ، فلمَّا أبصره بَرِقَ وبَعِلَ(٢) وسُقِطَ فى يديه ، وهجم عليه أمرٌ لو يكون رآه من خصىٍّ لعدوٍّ لَهُ(٣) لَمَا فارقَ ذلك الهولُ أبداً قلبَه ، فكيف وإنّما عاينَ الذى عاين فيمَن كان يخلُفُه فى نسائه مِن حُرَمه ومِلْكِ يمينه . فبينا الرجلُ وهو واجم [حزين(٤)] ، وهو ينظر(٥) إليه [وقد تحرَّق عليه غيظاً] إذْ رَفَع الخصىُّ رأسَه ، فلمَّا أثبَتَ مولاهُ مَرَّ مُسرِعا نحوَ باب الدار ليركَبَ رأسَــه ، وكان المولى أقربَ إلى الباب منه ، فسبقه إليه ، وكان الموضعُ الذى رآه منــه

---

(١) ط : «السجون» .

(٢) كذا فى ل . وفى ط « بعد » ولا وجه له . . وأما (بعل) فهى بمعنى دهش وفرقه فلم يدر مايصنع .

(٣) ط : « لعدوه » .

(٤) موضع هذه الكلمة فى ط : « قد برق » .

(٥) ط : « ينتظر » وهو تحريف .

موضعاً لا يُصعَد [إليه]، فحدَثَ لشقائِه أمرٌ لم يجد مولاه [معه][1] بُدًّا من صُعودِه ، فلبثَ الخصيُّ ساعةً ينتفِض من حُمَّى كِبتْه ثم فاظ ، ولم يُمسِ إلاَّ وهو فى القبر .

ولفرْط إرادتِهم النساء ، وبالحسرة التى نالَتهم ، وبالأسف الذى دخلَهم ، أبغَضُوا الفحولَ بأشدَّ مِنْ تباغُضِ الأعداءِ فيما بينهم ، حتَّى ليس بين الحاسدِ الباغى وبينَ أصحابِ النِّعَم المتظاهرة ، ولا بين المَاشى المعنَّى وبينَ راكب الهِمْلاجِ الفارِه ، ولا بين ملوكٍ صاروا سُوقةً ، وبينَ سُوقَةٍ صاروا ملوكا ، ولا بينَ بنى الأعمام مع وقوع التنافسِ، أو وقوعِ الحربِ، ولا بين الجِيرانِ والمتشاكلين فى الصناعات ، من الشنف والبغضاء ، بقدرِ ما يلتحف عليه الخِصيانُ للفحول[2] . ٨٠

وبُغضُ الخصيِّ للفَحل من شِكل بُغض الحاسِدِ لذِى النعمة ، وليس مِنْ شكل ما يولِّده التنافسُ وتُلحِقُه الجنايات .

(نسك طوائف من الناس)

ولرجالِ كلِّ فَنٍّ وضربٍ من الناس ، ضربٌ من النسك ، إذْ لابدَّ لأحدِهم من النزوع ، ومن تركِ طريقته الأولى : فنسك الخصيِّ غزْو الروم ، لِمَا أَنْ كانوا هم الذين خَصَوهم ، ولُزُومُ أَذَنة والرِّباطُ بطَرَسُوسَ وأَشباهِها . فظَنَّ عند ذلك أهلُ الفِراسة أَنَّ سببَ ذلك إنّمــا كان لأنَّ الرُّومَ لِمَا كانوا هم الذين خَصَوهم ، كانوا مغتاظين عليهم[3] ، وكانت

---

(١) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٢) ط : « المتشاكسين » موضع « والمتشاكلين » و « التنفير » موضع « الشنف » و « يلتحق » موضع « يلتحف » وما فيها محرف .

(٣) ط : « متغايظين عليهم » .

متطلِّبةً إلى التشفِّى منهم ، فأخرج لهم حبُّ التشفِّى شدَّةَ الاعتزامِ على قتلهم ، وعلى الإنفاقِ فى كلِّ شىء يَبلُغ منهم . ونُسكُ الخراسانىِّ أن يُحجَّ : ونسكُ البنوى[1] أن يَدَع الديوان . ونسكُ المغنِّى : أن يُكثر التسبيحَ وهو يشربُ النبيذ ، والصلاةَ على النبى صلى الله عليه وسلم ، والصلاة فى جماعة . ونسك الرافضىِّ : إظهارُ ترْك النبيذ . ونسك السَّوادىِّ ترْكُ شرب المطبوخ فقط . ونسكُ اليهودىِّ : إقامة السبت . ونسك المتكلِّم : التسرُّع إلى إكفارِ أهل المعاصى ، وأنْ يرمَى الناسَ بالجبْر ، أو بالتعطيلِ ، أو بالزندقة ، يريد أن يوهم أموراً :

منها أنَّ ذلك ليس إلاَّ من تعظيمه للدِّين ، والإغراق فيه ، ومنها أن يقال : لو كان نَطِفا ، أو مرتابا ، أو مجتنحا على بليَّة[2] ، لما رمى الناسَ ، ولرضى منهم بالسلامة ، وما كان ليرميَهم إلاَّ للعزِّ الذى فى قلبه ، ولو كان هناك من ذُلِّ الرِّيبة شىء لقطَعَه ذلك [عن][3] التعرُّض لهم ، أو التنبيه على ما عسى إنْ حرَّكهم له أنْ يتحرَّكوا . ولم نجدْ فى المتكلِّمين أنْطفَ ولا أكثرَ عيوبا ، ممَّن يرمى خصومَه بالكفر .

(أبو عبد الله الجماز وجارية آل جعفر)

وكان أبو عبد الله الجمَّاز ، وهو محمد بن عمرو[4] ، يتعشَّق جاريةً

---

(١) فى القاموس : « الأبناء قوم من العجم سكنوا اليمن والنسبة أبناوى وبنوى محركة » . وفى رسائل الجاحظ ١٥ ساسى مايفيد أنهم من خراسان . . وهى فى ط : « الجندى » تحريف . وانظر حواشى البيان ٣ : ١١٤ وفيها تفصيل .

(٢) « النطف » : الرجل المريب . . وفى ل : « محتجنا » بدل « مجتنحا » .

(٣) زيادة يقتضيها الكلام .

(٤) من أهل البصرة شاعر أديب ، كان ماجنا خبيث اللسان ، دخل بغداد أيام الرشيد =

لآلِ جعفر يقال لها طُغْيان ، وكان لهم خصِيٌّ يحفظُها إذا أرادتْ بيوتَ المغنِّين ،
وكان الخصيُّ أشدَّ عشقاً لها من الجمَّاز ، وكان قد حال بينَه وبينَ كلامِها ، ٨١
والدنوِّ منها ، فقال الجماز [وكان اسم الخادم سنانا] :

ما للمَقِيتِ سِنانٍ وللظِّباءِ المِلاح
لَبِئْسَ زانٍ خَصِيٌّ غازٍ بغير سلاح[1]

وقال أيضاً فيه وفيها :

نَفْسِي الفداءُ لظبيٍ يحبُّنى وأُحبُّهْ
من أجلِ ذاكَ سِنانٌ إذا رآنى يَسُبُّهْ
هَبْهُ أجابَ سِناناً يَنيكهُ أين زُبُّه

وقال أيضاً فيهما :

ظبيٌ سنانُ شريكى فيه فبئسَ الشريكُ
فلا يَنِيكُ سِنانٌ ولا يَدَعْنا نَنيكُ

(ما قيل من الشعر فى الخصاء)

وقال الباخَرزىّ[2] يذكرُ محاسنَ خِصال الخصيان :

ونساء لمطمئنٍّ مُقيمٍ ورجال إن كانت الأسفار

= وفى أيام المتوكل . وأعجب به المتوكل وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأخذها وانحدر فمات فرحا بها . تاريخ بغداد ١١٤٣ .

(١) ط : « ليس خصى بزان » وفى ل : « أليس زان خصى » ورأيت الصواب فيما كتبت . وانظر المحاسن والمساوى ٢ : ٢٠٩ .

(٢) ماعدا ل والأمبروزيانا : « الماخورى » .

[وقال حميد بن ثور يهجو امرأته :

جُلُبَّانةٌ ورهاء تَخصى حمارها بفِى من بغَى خيراً إليها الجلامدُ(١)]

وقال مزرِّد بن ضِرار :

[فجاءتْ كخاصى العَيرِ لم تَحْلَ عَاجةً ولا جَاجَةٌ منها تلُوحُ على وَشْمِ (٢)

وقال عمرو الخارَكى(٣)] :

إذا لامَ على المرد نصيحٌ زادَنى حرصا

ولا والله ما أقْلِــع ما عمِّرت أو أُخْصىَ

وقال آخر(٤) :

رَمَاكَ اللهُ من أيْرٍ بأفعَى ولا عافاكَ من جَهْد البَلاءِ

جَزَاكَ اللهُ شَرًّا من رفيقٍ إذا بلغت بى رَكَبَ النساء

أجُبْناً فى الكريهة حين نلقى وما تنفكُّ تُنعِظ فى الخلاَءِ

فلا والله ما أمسَى رفيقى ولولا البولُ عُوجِل بالخصاء

---

(١) الجلبانة : الصخابة السيئة الخلق . والورهاء : الحمقاء .

(٢) فى اللسان : « أبو زيد : الجاجة الخرزة التى لا قيمة لها . غيره : مارأيت عليه عاجة ولا جاجة . وأنشد لأبى خراش الهذلى يذكر امرأته وأنه عاتبها فاستحيت وجاءت إليه مستحيية » . وأنشد البيت ثم قال : « يقال جاء فلان كخاصى العير : إذا جاء مستحييا وخائبا أيضا . والعاجة : الوقف من العاج تجعله المرأة فى يدها » . والبيت فى ديوان الهذليين ٢ : ١٢٩ . وجاء فى الأصل هكذا :

فجاءت كخاصى العير لم تحل حاجة ولا حاجة منها تلوح على وشم

وتصحيحه من اللسان فى مادتى (جوج) و (عوج) ومن الصحاح (جوج) ، ومن أمثال الميدانى (١ : ١٥٠) مع نسبته إلى أبى خراش الهذلى ، كما فى اللسان .

(٣) ياقوت فى (خارك) : « منهم الخاركى الشاعر فى أيام المأمون أو مايقاربها » . والشعر فى معجم المرزبانى ٢١٩ برواية محرفة .

(٤) الأبيات فى المحاسن للجاحظ ١٧٥ .

وقال بعض عبد القيس :

ماكان قَحذَمُ ٱبنُ واهِصَة الْخُصى   يرجو المناكحَ فى بنى الجارودِ (١)

ومِن انتكاس ٱلدهرِ أن زُوِّجتَها   ولـكلِّ دهرٍ عَـثْرةٌ بجُدُود (٢)

لو كان منذرُ إذ خطبت إليهم   حيًّا لـكان خَصَـاك بالمغمود   ٨٢

وقال أبو عبيدة : حدَّثنى أبو الخطاب قال : كان عندنا رجلٌ أحدبُ فسقَط فى بئرٍ فذهبت حَدَبته وصار (٣) آدَر فقيل له : كيف تجِدك (٤) ؟ [فقال] : ٱلذى جاءَ شرٌّ من ٱلَّذِى ذهب !

وأبو الحسن عن بعض رجاله (٥) قال : خرج معاويةُ ذاتَ يومٍ يمشى ومَعه خَصِىٌّ له ، إذ دخلَ على ميسونَ ٱبنة بحدل (٦) وهى أمُّ يزيد ، فاستترت منـه فقال : أتستترين منه ، وإنَّما هو مثلُ المرأة ؟ قالت : أتُرَى أنَّ المثلة به تُحِلُّ ما حرَّم ٱلله تعالى ؟ !

ذكر ما جاء فى خصاء الدوابّ

ذكر آدمُ بن سليمان عن الشعبىّ قال : قرأت كتابَ عمر رضى ٱلله

(١) ط : « مخدم » وهما تحريف ماأثبت من ل . و « واهصة » تصحيح مافى ل ، وهو « وابصة » . وجاءت هذه الـكلمة فى ط : « راضخة » والوهص والرضخ بمعنى ، وهو الدق . وانظر اللسان (وهص) .

(٢) ل : « وجدود » ط : « بهجود » والصواب ماأثبت . والجد : الحظ .

(٣) ط : « صاد » وصوابه من ل .

(٤) ط : « نجدك » وهو تحريف مافى ل .

(٥) ط : « رجال الأدب » .

(٦) ط : « بجدل » وإنما هو « بحدل » بالحاء كما فى ل والأغانى والخزانة (٣ : ٥٩٣ بولاق) .

تعالى عنــه إلى سعد ، يَنْهَى عن حذْف أذناب الخيل وأعرافها ، وعن خصائها ، ويأمره أن يُجْرِىَ من رأس المائتين . وهو أربعة فراسخ .

وسُفيان الثَّورى عن عاصم بن عبد ٱلله بن عمر[1] أنَّ عمر رضى ٱلله تعالى عنه كان ينهى عن خِصَاء البهائم ويقول : هل الإنمــاء إلاّ فى ٱلذكور .

وشَريك بن عبد ٱلله ، قال : أخبرنى إبراهيم بن المهاجر ، عن إبراهيم النَّخَعى أنّ عمرَ رضى الله تعالى عنه نَهَى عن خصاءِ الخيل .

وسفيان الثورى عن إبراهيم بن المهاجر قال : كتب عمرُ بن الخطاب رضى الله تعالى عنــه لبعض عماله : لا تُجرِيَنَّ فرساً إلاَّ من المائتين ، ولا تَخْصِينَّ فرسا .

قال : وسمعتُ نافعاً يقول : كان عبد الله بن عمر يكرَه خِصاءَ الذكورِ من الإبل ، والبقر ، والغنم .

وعبيد الله بن عمر عن نافع : أنَّ ٱبن عمر رضى الله تعالى عنهما كان يكره الخصاء ويقول : لا تقطعوا نامية خَلْقِ اللهِ تعالى .

وعبد الله وأبو بكر ٱبنا نافع عن نافع قال : نهى رسول الله صلى الله عليهِ وسلم عن أن تُخصَى ذكورُ الخيلِ ، والإبلِ ، والبقر ، والغنم ، ويقول : فيها نشأة الخلق ، ولا تصلح الإناث إلاَّ بالذكور .

---

(١) فى ل : « عن عاصم بن عبيد الله بن عاصم ، عن سالم بن عبد الله ، عن عبد الله ابن عمر » . وعاصم الذى يروى عنه الثورى هو عاصم بن سليمان الأحول البصرى المتوفى سنة اثنتين — أو ثلاث — وأربعين ومائة . كما فى تاريخ بغداد ٩ : ١٥٢ ، ١١ : ٢٤٣ . ففى الإسناد نظر .

ومحمد بن أبى ذئب[1] قال : سألت الزُّهرىَّ : هل بخِصاء البهائم بأس ؟ قال : أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين ، نهى عن صَبْرِ الروح . قالَ الزُّهرىُّ : والخِصاءُ صبرٌ شديد .

وأبو جعفَر الرَّازىّ قال : حدَّثنا الرَّبيعُ بن أنس ، عن أنس بن مالك فى قوله تعالى : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ قال : هو الخِصاء .

٨٣

وأبو جرير عن قتادة عن عِكرِمة عن ابن عبَّاس نحوه .

أبو بكر الهذلىّ قال : سألتُ الحسنَ عن خِصاء الدواب فقال : تسألنى عَن هذا ؟ لعن الله من خَصَى الرجال .

أبو بكر الهذلىُّ عن عِكرِمة فى قوله تعالى : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ قال : خصاء الدواب . قال : وقال سعيد بن جبير : أخطأ [عكرمة] ، هو دين الله .

نَصر بن طريف قال : حدَّثنا قَتادة عن عِكرمة فى قوله تعالى : ﴿ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللهِ ﴾ قال : خصاء البهائم . فبلغ مجاهداً فقال : كذَبَ هو دين الله .

فمن العجب أن الذى قال عكرمة هو الصواب ، ولو كان هو الخطأ لما جاز لأحد أن يقول [له : كذبت . والناسُ لا يضعون هذه الكلمة

---

(١) ط : « ذؤيب » موضع « ذئب » ، وهو تحريف ماأثبت من ل . ومحمد هو ابن عبد الرحمن بن أبى ذئب . وأبو ذئب هو هشام بن شعبة . وترجمة محمد فى تاريخ بغداد ٢ : ٢٩٦ — ٣٠٥ والمعارف لابن قتيبة ٢١٣ . وانظر تأويل مختلف الحديث ص ١١ .

فى موضِع خطأ الرأى ممَّن يُظَنُّ به الاجتهاد ، وكان ممَّن له أن يقول] .

ولو أنَّ إنساناً سمِع قولَ الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ قال : إنَّما يعنى الخِصاء ، لم يقبل ذلك منه ؛ لأنَّ اللفظ ليست فيه دلالةٌ على شيءٍ دونَ شيء ، وإذا كان اللفظُ عامًّا لم يكن لأحدٍ أن يقصِد به إلى شيءٍ بعينه[1] إلاَّ أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك مع تلاوةِ الآية ، أو يكونَ جبريلُ عليهِ السلام قال ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى لا يضمر[2] ولا ينوى ، ولا يخصُّ ولا يعمُّ بالقصد ؛ وإنَّما الدلالةُ [فى] بِنيةِ الكلام نفسِه ، فصورة[3] الكلام هو الإرادة وهو القصد ، وليس بينه وبين الله تعالى عملٌ آخر كالذى يكون من الناس ، تعالى اللهُ عن قول المشبِّهة علوًّا كبيراً .

أبو جرير[4] عن عمار بن أبى عمار[5] أَنَّ ٱبنَ عباسٍ قَالَ فى قوله تعالى : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ قَالَ : هو الخصاء .

وأبو جرير عن قَتادة عن عِكرمة عن ابن عبَّاسٍ مثله .

أبو داود النَّخَعِىّ ، عن محمَّدِ بن سعيدٍ عن عبادة بن نسىّ ، عن إبراهيم بن محيريز قال : كان أحبَّ الخيلِ إلى سَلَفِ المسلمين ، فى عهد عمر ، وعثمان ، ومعاوية ، رضى الله تعالى عنهم ، الخِصْيان ؛ فإنَّها أخفى للكَمين والطلائع ، وأبقَى على الجَهْدِ .

---

(١) ط : « بعيد » والوجه مافى ل .

(٢) ط : « لايصر » .

(٣) ط : « فصار » .

(٤) ط : « جزء » فى كل موضع يذكر فيه « جرير » .

(٥) ل : « عن عمار بن عمار » .

أبو جرير قال : أخبرنى ابن جُريج عن عطاء أنَّه لم يرَ بأساً بخصاء الدواب .

وأبو جرير عن أيُّوبَ عن ابن سيرين ، أنَّه لم يكن يرى بأساً بالخصاء ، ويقول : لو تُرِكت الفحولةُ لأكل بعضُها بعضاً .

وعمر ويونس عن الحسن : أنّه لم يكن يرى بأساً بخصاءِ الدواب .

سفيان بن عُيينة عن ابن طاوس عن أبيه : أنّه خَصى بعيراً .

[وسفيان بن عيينة عن مالك بن مِغوَل عن عطاء ، أنه سئل عن خصاء البغل فقال : إذا خفت عِضاضه] .

(أقوال فى النتاج المركب)

٨٤

ولْنَصِلْ هذا الكلام بالكلام الذى قبل هـذا فى الخلق المركب [وفى تلاقح الأجناس المختلفة . زعموا أن العِسبارَ ولد الضبع من الذئب ، وجمعه عسابر و] . قال الكميت :

وتجمَّـــع المتـــــفرِّقُو نَ من الفَراعِلِ والعَسابِر (١)

يرميهم بأنَّهم أخلاطٌ وَمُعَلْهَجُونَ .

(السمع ولد الذئب من الضبع)

وزعموا أنّ السِّمع ولد الذئب من الضبع ، ويزعمون أنّ السِّـمع

(١) روى صاحب اللسان هذا البيت وقال : « فقد يكون – يعنى العسابر – جمع العسبر (كقنفذ) وقد يكون جمع عسبار وحذفت الياء للضرورة . والفرعل : ولد الضبع من الضبعان » يعنى الذكر من الضباع .

كالحيَّةِ لا تعرف العِلَل ، ولا تموتُ حَتْفَ أنفِها ، ولا تموت إلاّ بِعَرَض يَعْرِض لها . ويَزْعمون أنّه لا يَعدو شيءٌ كعدو السِّمع ، وأنّه أسرعُ مِنَ الريح والطَّير .

وقال سهم بن حنظلة يصف فرسه :

فاعْصِ العواذل وارْمِ اللَّيلَ فى عرض

بذى شـــبيب يُقاسِى لَيْلَهُ خَبَبَا

كالسِّمع لم يَنقب البَيْطَار سرّته ولم يَدِجْه ولم يَغمِز له عَصَبَا[1]

وقَالَ ابن كُناسة[2] يصف فرسا :

كالعقاب الطلوب يَضْرِبُها الطْـ لُّ وقد صَوَّبَتْ على عِسبار[3]

وقال سؤر الذئب[4] :

هو سِمْعٌ إذا تمطَّرَ شيئاً وعُقابٌ يحثُّها عِسْـــبارُ

يقول : إذا اشتدَّ هربُ المطلوبِ الهاربِ من الطالب الجادّ ، فهو أحثُّ للطالب ؛ وإذا صار كذلك صار المطلوبُ حينئذٍ فى معنى من يحثُّ الطلب ، إذ صار إفراط سرعَتِه سببا لإفراط طلبِ العُقاب .

وقال تأبط شرًّا[5] ، [أو أبو محرز خلف بن حيَّان الأحمر] :

---

(١) ط : « ولم يرجه » موضع « ولم يدجه » والودج : قطع الودج : عرق فى العنق . وانظر معجم المرزبانى ٣٤١ .

(٢) ط : « أبو كناسة » وصوابه فى ل . وله ترجمة فى فهرست ابن النديم ٧١ ليبسك ، ١٠٥ مصر . توفى سنة ٢٠٧ .

(٣) ط : « والعقاب » .

(٤) البيت ساقط من ل .

(٥) ط : « ابن أخت تأبط شرا » . . والقصيدة فى حماسة أبى تمام (١ : ٣٤١ - ٣٤٧) .

مُسْبِلٌ بالحيِّ أحوى رِفَلٌّ وإذا يَغْدُو فسِمْعٌ أَزَلُّ

وإنّما قال أَزَلّ وجعَلَه عاديا ووصفهُ بذلك ، لأنّه ابن الذئب .

وقال الأصمعى :

يدير عينى لمظةٍ عِسبارَه[1]

وقال فى موضع آخر :

كأن منها طرفه استعارَه[2]

وقال آخر :

تَلقى[3] بها السِّمْعَ الأَزَلَّ الأطلَسَا

(الديسم ولد الذئب من الكلبة)

وزعموا أَنَّ ولدَ الذئب من الكلبة الدَّيْسَم ، ورووا لبشَّارِ بنِ بُرْد فى دَيْسَمٍ العَنزِىّ أنّه قال :

أَدَيْسَمُ يا ابنَ الذئبِ مِنْ نسلِ زارعٍ
أَتَرْوِى هِجائى سادراً غيْرَ مُقْصِرِ

وزارع : اسم الكلب ، يقال للكلاب أولاد زارعٍ .

(زعم لأرسطو فى النتاج المركب)

وزعم صاحب المنطق أنّ أصنافاً أُخَـرَ من السبــاع المتزاوِجات

---

(١) ط : « لاطة » موضع « لمظة » ولعل صوابهما « لظة » بمعنى ملحة ، كما يظهر أن هناك كلاما ساقطا بعد « قال الأصمعى » ، تقديره « يقال عسبار وعسبارة . وأنشد » وأن عبارة « وقال فى موضع آخر » مقحمة على الكتاب .

(٢) ل : « شباة » موضع « منها » .

(٣) ط : « يلقى » .

٨٥ المتلاقِحات مع اختلاف الجنس والصورة ، معروفة النتاج مثل الذئاب التى تسفَد الكلابَ فى أرض رُومِيَة . قال : وتتولَّد أَيضا كلابٌ سَلوقيةٌ من ثعالبَ وكلاب . قال : وبين الحيوان الذى يسمَّى باليونانيَّة طاغريس[1] وبين الكلب ، تحدث هذه الكلابُ الهندية . قال : وليس يكون ذلك من الولادة الأولى .

[قال أبو عثمان : عن بعض البصريين عن أصحابه قال : وزعموا] أَنَّ نِتاجَ الأُولَى يخرُج صعباً وحشيًّا لايلقَّن[2] ولا يؤلَّف .

(تلاقح السبع والكلبة)

وزعم [لى بعضهم عن رجلٍ من أهل الكوفة من بنى تميم] أنَّ الكلبةَ تعرِض لهذا السبع حتَّى تلقَح ، ثم تعرض لمثله مراراً حتى يكون جرو البطن الثالث قليلَ الصعوبة يقبلُ التلقين ، وأنَّهم يأخذون إناثَ الكلاب ، ويربِطونها فى تلك البرارىّ ، فتجىءُ هذه السباعُ وتسفَدُها ، وليس فى الأرض أنثى يُجتَمَع على حبِّ سفادها ، ولا ذكرٌ يجتمع له من النزوع إلى سفاد الأجناسِ المختلفة ، أكثرَ فى ذلك من الكلب والكلبة .

قال : وإذا رَبَطوا هذه الكلابَ الإناثَ فى تلك البرارى ، فإن كانت هذه السباع هائجةً سفِدَتها ، وإن لم يكن السبع هائجاً فالكلبة مأكولة . وقال أبو عدنان[3] :

---

(١) كذا فى نهاية الأرب ٩ : ٢٥٦ و ل . وفى ط : « طاعويس » .

(٢) كذا فى ل ونهاية الأرب . وفى ط « يألف » .

(٣) قال الجاحظ فى شأنه : « وما كان عندنا بالبصرة رجلان أدرى بصنوف العلم ، ولا أحسن بيانا من أبى الوزير ، وأبى عدنان المعلمين ، وحالهما من أول ماأذكر =

أيا باكىَ الأطلالِ فى رَسْمِ دمنةٍ
تَرُودُ بها عِينُ المَهَا والجآذرُ
وعانات جَوَّال وهَيْق سَفَنَّجٌ وسنداوة فضفاضة وحَضَاجِرُ[1]
وسِمْعٌ خَفِىُّ الرِّزِّ ثِلْبٌ ودَوْبَلٌ
وتَرْمَلَةٌ تعتادها وعَسابِرُ[2]

وقد سمعنا ما قال صاحبُ المنطق من قبل ، وما نظنُّ بمثله أن يخلِّد على نفسه فى الكتب شهاداتٍ لايحقِّقُها الامتحان ، ولا يعرِف صدقَها أشباهُه من العلماء ، وما عندَنا فى معرفةِ ما ادَّعى إلّا هذا القول .

وأمّا الذين ذَكروا فى أشعارهم السِّمْع والعِسبار ، فليس فى ظاهر كلامهم دليلٌ على ما ادَّعى عليهم الناسُ من هذا التركيب المختلف ، فأدَّينا الذى قالوا وأمسكْنا عن الشهادة ، إذ لم نجد عليها بُرهانا .

(أولاد السعلاة)

وللنَّاس فى هذا الضَّرْب ضروبٌ من الدعوى ، وعلماءُ السوء يُظهرون تجويزَها وتحقيقَها ، كالذى يدَّعون من أولاد السَّعَالِى من الناس ، كما ذكروا عن عمرو بن يربوع ، وكما يروى أبو زيدٍ النحوىُّ عن السِّعلاة

= من أيام الصبا » البيان ١ : ٢٥٢ ، وقد عده ابن النديم ممن صنف فى غريب الحديث . الفهرست ٨٧ ليبسك ، ١٢٩ مصر .

(١) السنداوة : الذئبة ، كما فى الدميرى . والفضفاضة : اللحيمة الجسيمة . وبدلها فى ط : « تصبى به » . وحضاجر : اسم للضبع أو لولدها ، معرفة لا ينصرف لأنه اسم لواحد على بنية الجمع .

(٢) ط : « ثبت » مكان « ثلب » . وفى القاموس : الثلب بالكسر وككتف : المعيب .

التى أقامت فى بنى تميم حتى وَلَدت فيهم ، فلمَّا رأتْ برقاً يلمعُ من شقِّ بلاد السَّعالِى ، حنَّت وطارت إليهم ، فقال شاعرهم[(١)] :

رأى بَرْقاً فأوْضَعَ فَوْقَ بَكْرٍ فَلَا بِكِ ما أسَالَ وما أغاما[(٢)]

٨٦ وأنشدنى أن الجنَّ طرقوا بعضَهم فقال[(٣)] :

أتَوا نارى فَقُلْتُ مَنُونَ أنتمْ فقالوا الجنُّ قلتُ عِمُوا ظَلامَا

فقلتُ إلى الطَّعام فقال منهم زعيمٌ نَحْسُدُ الإنسَ الطَّعاما

ولم أعِبِ الرواية ، وإنَّما عبتُ الإيمانَ بها ، والتوكيدَ لمعانيها . فما أكثَرَ من يَروِى هذا الضربَ على التعجُّبِ منه ، وعلى أن يجعَلَ الرواية [له] سبباً لتعريفِ النَّاس حقَّ ذلك من باطِلِه ، وأبو زيدٍ وأشباهُه مأمونون على النَّاس ؛ إلّا أنَّ كلَّ من لم يكن متكلِّما حاذقاً ، وكان عند العلماء قدوةً وإماما ، فما أقربَ إفسادَه لهم من إفسادِ المتعمِّد لإفسادهم !

وأنشدوا فى تثبيتِ أولاد السعلاة :

تقول جمع من بُوان ووَتِدْ وحَسَنٌ أنْ كَلَّفْتنِى مَا أجِدْ[(٤)]

وَلَمْ تقل جِىء بأبَانٍ أو أُحُدْ[(٥)] أو ولدِ السِّعلاةِ أو جِروِ الأسَدْ

أو ملكِ الأعجام مأسوراً بقِدّْ[(٦)]

---

(١) هو عمرو بن يربوع بن حنظلة ، كما فى نوادر أبى زيد ١٤٦ .

(٢) ط : « فلأيا » موضع « فلا بلك » وماأثبته من ل ومن النوادر .

(٣) الشعر لشمير (أو سمير) بن الحارث الضبى كما فى النوادر ١٢٣ وخزانة الأدب ٣ : ٣ بولاق . وانظر الخزانة ٣ : ٦ .

(٤) ط : « أقول » مكان « تقول » وفى ل : « وحسن كلفتنى . . . » ، وفى كلتيهما « مالم أجد » وهو تحريف .

(٥) ط : « مالم تقل » موضع « ولم تقل » .

(٦) ل : « الأعجم » . ابن منظور : رجل أعجم وقوم أعجم ، قال :

سلوم لو أصبحت وسط الأعجم فى الروم أو فى فارس أو فى الديلم

إذا لزرناك ولو بسلم

وقال آخر (١) :

يا قاتَلَ اللهُ بَنِي السِّعلاةِ عمراً وقابوساً شِرَارَ النَّاتِ

(ما زعموا فى جرهم)

وذكروا أنَّ جُرْهُماً كان من نِتاج ما بين الملائكة وبنات آدم ، وكان المَلَكُ من الملائكة إذا عصى ربَّه فى السماء أهبَطَه إلى الأرضِ فى صورةِ رجل ، وفى طبيعته ، كما صنع بهاروت وماروت حين كان من شأنهما وشأنِ الزُّهَرة ، وهى أناهيد (٢) ما كان ، فلمَّا عصى اللهَ تعالى بعضُ الملائكة وأهبطَه إلى الأرض فى صورةِ رجل ، تزوَّج أمَّ جُرهمٍ فولدتْ له جُرهما ، ولذلك قال شاعرهم (٣) :

لاهُمَّ إنَّ جُرهُما عِبادُكا الناس طِرْفٌ وهُمُ تِلادُكا (٤)

(ما زعموا فى بلقيس وذى القرنين)

ومن هذا النسل ومن هذا التركيب والنجل (٥) كانت بِلْقِيسُ ملكةُ

---

(١) هو علباء بن أرقم كما فى النوادر ١٠٤ .. والبيت الثانى يروى بدله فى الأمالى ٢ : ٦٨ :

عمرو بن يربوع شرار النات

(٢) هذه الكلمة وماقبلها ساقطتان من ل . وقد ذكر الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ١٢٢ أسماء الكواكب بالفارسية ، فقال : « كيوان ، هرمز ، بهرام ، خور ، ناهيد ، تير ، ماه » ، بمعنى زحل ، المشترى ، المريخ ، الشمس ، الزهرة ، عطارد ، القمر .

(٣) هو عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى ، كما فى شرح الأنبارى للقصائد السبع ص ٢٥٥ .

(٤) ماعدا ل والأمبروزيانا : « طارف » .

(٥) ط : « النحل » وصوابه « النجل » كما فى ل .

سبَأ ، وكذلك كان ذو القرنين كانت أمُّه فيرى آدميَّة وأبوه عبرى[١] من الملائكة . ولذلك[٢] لما سمِع عمرُ بن الخطَّاب رضى الله تعالى عنه رجلاً ينادى : ياذا القرنين ، فقال : أفَرَغْتُمْ من أسماءِ الأنبياء فارتفعتم إلى أسماءِ الملائكة ؟ .

وروى المختارُ[٣] بن أبى عبيد أنَّ عليًّا كان إذا ذَكَر ذا القرنين قال : ذلك الَملكُ الأمرط .

٨٧

(ما زعموا فى تلاقح الجن والإنس)

وزعموا أنَّ التناكُح والتلاقُح قد يقع بين الجنِّ والإنس ، لقوله تعالى: ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِى الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ . وذلك أن الجِنِّيَّاتِ إنَّما تعرض لصَرْع رجالِ الإنس على جهة التعشُّق وطلبِ السِّفاد[٤] ، وكذلك رجال الجنِّ لنساء بنى آدم ، ولولا ذلك لعرض الرِّجالُ للرِّجال ، والنساءُ للنساء ، ونساؤهم للرجال والنساء .

ومن زعَم أن الصَّرْعَ من المِرَّة ، ردَّ قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ وقال تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ . فلو كان الجانُّ لا يفتضُّ

(١) فى ل : « قبرى » بدل « فيرى » وهى فى رسائل الجاحظ ٩٧ ساسى « قيرى » . و « عبرى » بدلها فى الرسائل : « عيرى » .
(٢) ط والأمبروزيانا « وكذلك » .
(٣) هو المختار الثقفى من زعماء الثائرين على بنى أمية ، وكان يقال له كيسان ، وإليه تنسب الطائفة الكيسانية . توفى سنة ٦٧ .
(٤) ل : « الفساد » وليس بشىء .

الآدَميّاتِ ، ولم يكنْ ذلك قطُّ ، وليس ذلك فى تركيبه ، لمَا قال الله تعالى هذا القَول .

(ما زعموا فى النسناس وغيره)

وزعموا أنّ النَّسْنَاسَ تركيبُ ما بين الشِّق والإنسان . ويزعمون أنَّ خلقاً من وراء السدِّ تركيبٌ من النَّسْنَاسِ ، والناس ، والشقِّ ، ويأجوج ومأجوج . وذكروا عن الوَاق واق والدوَال باى[1] أنهُمْ نِتاجُ ما بين بعض النَّباتِ والحيوان . وذكروا أنَّ أمَّةً كانت فى الأرض ، فأمرَ الله تعالى الملائكة فأجلوَهم ؛ وإيَّاهم عَنَوا بقولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . ولذلك قال الله عزَّ وجلَّ لآدم وحواء : ﴿ وَلاَ تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . فهذا يدلُّ على أن ظالما وظُلماً قد كان فى الأرض .

قال الأصمعىُّ — أو خلفٌ — فى أرجوزة مشهورة ، ذكرَ فيها طُولَ عمر الحيَّة :

أرْقَشُ إنْ أسبطَ أو تَثَنَّى حَسِبْتَ وَرْساً خالَطَ اليرَنَّا[2]
خالَطَهُ مِنْ هَاهُنَا وَهَنَّا إذا تراءاهُ الحواةُ آستَنَّا[3]

قال : وكان يقال لتلك الأمَّة مهنا[4] .

---

(١) ط : « الدوال » ل : « الدوال بأى » وانظر حواشى البغال ص ٣٧٤ .

(٢) الورس : نبت أصفر يزرع باليمن ويصبغ به . وقيل : صنف من الكركم . كذا فى المصباح . واليرنأ : الحناء .

(٣) ط : « إذا أتى إد الحداة استنا » . واستن : أسرع .

(٤) ط : « يهنا » ، وفى رسائل الجاحظ ٩٩ « بهيا » .

(قول المجوس فى بدء الخلق)

وزعم المجوس أنَّ الناسَ من ولد مهنة ومهنينة ، وأنَّهما تولدا فيما بينَ أرحام الأَرَضين ، ونطفتين ابتدرتا[١] من عينَى ابن هُرمُز حين قتله هرمز . وحماقات أصحابِ الاثنَين كثيرةٌ فِى هذا الباب . ولولا أنِّى أحببْتُ أن تسمَعَ نوعا من الكلام ، ومبلغَ الرأى ، لتُحدِثَ لله تعالى شكراً على السلامة ، لما ذكرتُ كثيراً من هذا الجنس .

(عبد الله بن هلال صديق إبليس وختنه)

وزعم ابن هيثم أنَّه رأى بالكوفة فتًى من ولد عبد الله بن هلال الحميرى[٢] ، صديق إبليس وختَنِه ، وأنَّهم كانوا لا يشكُّون أنَّ إبليسَ جَدُّه من قِبَل أمَّهاتِه . وسنقولُ فى ذلك بالذى يجبُ إن شاء الله تعالى . وصِلَةَ هذا الكلام تجيءُ بعد هذا إن شاء الله تعالى .

(حوار فى الكلب والديك)

٨٨ وقلت : ولو تمَّ للكلب معنى السبع وطباعه ، لما ألف الإنسانَ ، واستوحش من السبع ، وكرِه الغياض ، وألِف الدُّور ، واستوحَشَ من البرارِى وجانب القفار ، وألِفَ المجالسَ والدِّيار . ولو تمَّ له معنى البهيمة

(١) ط : « انتدرتا » .

(٢) كان فى زمن الحجاج ، وكان صاحب شعبذة ونيرنجات ، يدعى أن إبليس يتراءى له ويصادقه ويكاتبه ويطلعه على أسراره . ثمار القلوب ٥٧ .

فى الطبع والخلق والغذاء ، لما أكل الحيوانَ ، وكَلِب على النّاس . نعمْ حتّى رُبّما كَلِب وَوَثَبَ على صاحبِه وكَلِبَ على أهله . وقد ذكر ذلك طرفةُ فقال :

كُنْتَ لَنَا والدُّهورَ آونةً تَقْتُلُ حالَ النَّعيم بالبُؤْسِ
كَكَلْبِ طَسْمٍ وقد تَرَبَّبه[1] يَعُلُّه بالحليبِ فى الغَلَسِ
ظلَّ عليه يوما يُفَرْفِرُه إلاَّ يَلَغْ فى الدماءِ يَنْتَهِسِ

وقال حاجب بن دينار[2] المازنىُّ فى مثل ذلك :

وكم من عدُوٍّ قد أعنتمْ عليكمُ بمالٍ وسُلطانٍ إذا سَلِم الحَبْلُ
كذِى الكلبِ لمَّا أسمَنَ الكَلْبَ رابَهُ
بإحدى الدَّواهى حينَ فارَقَه الجهلُ

وقال عوف بن الأحوص[3] :

فإنِّى وقيساً كالمسمِّنِ كَلْبَه تُخَدِّشُه أَنْيابُه وأظَافِرُه

وأنشد ابن الأعرابى لبعضهم[4] :

وهُمْ سَمَّنُوا كلباً ليأكُلَ بعضَهمْ ولو ظَفِرُوا بالحزْمِ مَا سُمِّنَ الكَلْبُ

وفى المثل[5] : « سَمِّن كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ » .

---

(١) ط : « يربيه » . والأبيات ليست فى ديوان طرفة . والبيت الثانى والثالث فى ثمار القلوب ٣١٤ وفيه حديث عن كلب طسم . وانظر أيضا السهيلى ٢ : ٦٣ .

(٢) ط : « ذبيان » وإنما هو « دينار » كما فى ل والبيان ٢ : ١٨٣ .

(٣) انظر يوم الفروق فى مجمع الأمثال ٢ : ٥٧ . وقيس المذكور فى البيت هو قيس بن زهير . والرواية فى مجمع الأمثال ، وفى ثمار القلوب ٣١٥ « فخدشه أنيابه وأظافره » .

(٤) هو مالك بن أسماء ، كما فى الثمار ٣١٥ .

(٥) ط : « الأثر » .

وكان رجلٌ من أهل الشام مع الحجّاج بن يوسف ، وكان يحضُر طعامَه ، فكتب إلى أهله يخبرُهم بما هو فيه من الخصْب ، وأنه قد سَمِن فكتبت إليه امرأته[1] :

أتُهدِى لىَ القِرطاسَ والخبزُ حاجَتِي   وأنتَ على بابِ الأميرِ بَطِينُ

إذا غِبْتَ لم تَذْكُرْ صَدِيقاً وإن تقمْ   فأنتَ على ما فى يَدَيك ضَنِينُ

فأنت ككَلْبِ السَّوْءِ فى جُوعِ أهلِه   فيُهْزَلُ أهلُ الكلب وهو سَمِينُ

وفى المثل : « سمن كلب فى جوعِ أهلِه » ، وذلك أنه عند السُّواف[2] يصيب المال ، والإخداجِ[3] يعرض للنُّوق ، [يأكُلُ الجيفَ فيسمَن[4]] . وعلى أنه حارِسٌ مُحترَسٌ منه ، ومؤنسٌ شديد الإيحاش من نفسه ، وأليفٌ كثير الخيانةِ على إلفِه . وإنما اقتنوه على أنْ ينذِرَهم بموضع السارق ، وتركوا طَرده لينبهُهم[5] على مكان المبيِّت . [وهو أسرقُ من كل سارق ، ٨٩ وأدومُ جِنايةً من ذلك المبيِّت] . ويدلُّ على أنَّه سروقٌ عندَهم ، قولُ الشاعر :

أَفِى أَنْ سرَى كلبٌ فبيَّت جُلَّةً   وجَبْجَبةً للوَطب لَيْلَى تُطلَقُ[6]

---

(١) الخبر والأبيات فى أمالى القالى ٢ : ١٣٦ مع اختلاف فى الرواية .

(٢) ط : « الصواف » وإنما هو « السواف » كما فى ل . والسواف كغراب : الموتان فى الإبل .

(٣) أخدجت الناقة : أتت بولد ناقص .

(٤) زدتها ليتم الكلام ، اعتمادا على مافى نوادر أبى زيد ٢٤٨ ، وأمثال الميدانى (٢ : ٢٦٣) .

(٥) فى الأصل : « لينبئهم » ولم يعهد تعدية هذا الفعل بعلى . وأثبت مافى نهاية الأرب ٩ : ٢٥٧ .

(٦) ط : « أخى » بدل « أفى » ، و « حلة » مكان « جلة » . وتصحيح البيت من ل واللسان (جبب) . وفيه « سلمى » موضع « ليلى » . والجلة ، بالضم : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر ويكنز . والجبجبة ، بفتح الجيمين أو ضمهما : الكرش يجعل فيه اللحم المقطع يتزود به فى الأسفار . وقال ابن الأعرابى : هو جلد جنب البعير يقور ويجعل فيه اللحم الذى يدعى الوشيقة . والوشيقة : لحم يغلى إغلاءة ثم يقدد ، فهو أبقى مايكون .

فهو سَرَّاق ، وصاحب بَيات ، وهو نَبَّاشٌ ، وآكلُ لحوم النَّاس . ألا إنّه يجمعُ سِرقة الليل مع سرقة النّهار ، ثم لا تجده أبداً يمشى فى خِزانةٍ ، أو مطبَخ ، أو عَرْصةِ دار ، أو فى طريقٍ ، أو فى بَرارىٍّ ، أو فى ظهرِ جَبل ، أو فى بَطْن وادٍ ، إلاَّ وخطمُه فى الأرض يتشمَّم ويستروح ، وإنْ كانت الأرضُ بيضاءَ حَصَّاءَ[1] ودَوِّيَّة ملساءَ ، أو صخرةً خلقاءَ ؛ حرصاً وجشعاً، وشرها وطمعا . نعم حتَّى لا تجده أيضا يرى كلبا إلاَّ اشتمَّ استَه ، ولا يتشمَّم غيرهَا منهُ ، ولا تراه يُرمَى بحجر أيضاً أبداً إلاَّ رجَع إليه فعضَّ عليه ؛ لأنَّه لَمَّا كان لا يكاد يأكلُ إلاَّ شيئا رمَوا به [إليه] صار ينسَى لِفَرْط شرَهِه وغلَبة الجشعِ على طبعه ، أنَّ الرامىَ إنَّما أراد عقْره أو قتلَه ، فيظنّ لذلك أنَّه إنَّما أراد إطعامه والإحسانَ إليه . كذلك يخيِّل إليه فرْطُ النَّهم وتُوهِمُه غلبَةُ الشَّرَه ، ولكنَّه رمَى بنفسِه على الناس عجزاً ولؤماً ، وفُسولةً ونقصاً ، وخافَ السباعَ واستوحش من الصَّحارى .

ولَمَّا سمِعوا بعضَ المفسرِّين يقول فى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ. لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ إنَّ المحروم هو الكلب؛ وسمِعوا فى المثل: « اصنَعُوا المعروفَ ولو إلى الكلب » عَطفُوا عليه واتَّخذُوه فى الدُّور . وعلى أنَّ ذلك لا يكون إلاَّ من سِفْلتهم وأغبيائهم ، ومن قلَّ تقزُّزُه[2] وكثُر جهلُه، وردَّ الآثارَ إمَّا جهلاً وإمَّا معانَدة .

وأما الديك فمِن بهائم الطير وبغاثها ، ومن كَلولِها والعِيال على

---

(١) ط : « وحصباء » والوجه ماأثبت من ل ، كما فى نهاية الأرب ٩ : ٢٥٧ نقلا عن الحيوان . والحصاء : الجرداء .

(٢) ط : « تقذره » .

أربابها ، وليس مِنْ أحرارها ولا مِنْ عِتاقِها وجوارحها ، ولا ممَّا [١] يطرب بصوته ويُشجِي بلحنه ، كالقَماريّ وٱلدَّباسيّ والشَّفَانين [٢] والوراشين والبلابل والفواخت ، ولا ممَّا يُونِق بمنظره ويمتع الأبصارَ حسنُه ، كالطواويس والتَّدارِج ، ولا مما يعجِب بهدايته ويُعقَد الذمام بإلْفه ونِزاعه ، وشدَّةِ أُنسه وحنينه ، وتُريده بإرادته لك ، وتَعطِف عليهِ لحبِّه إياك ، كالحمام ، ولا هو أيضاً من ذوات [٣] الطيران منها ، فهو طائرٌ لايطير ، وبهيمةٌ لا يَصيد ، ولا هو أيضاً ممـا يكون صيداً فيمْتِع من هذه الجهة ويُراد لهذه اللَّذة .

والخفَّاش أمرَطُ ، وهو جيِّدُ الطيران ، والدِّيكُ كاسٍ وهو لا يطير . وأيُّ شيءٍ أعجبُ من ذى ريشٍ أرضيٍّ ، ومن ذى جلدةٍ هوائيّ .

٩٠ وأجمعُ الخلق لخصال الخير الإنسان ، وليس الزِّواجُ إلاّ فى الإنسان وفى الطير ، فلو كان الديك من غير الطير ثمَّ كان ممن لا يزاوج ، لقد كان قد مُنِـع هذه الفضيلة وعَدِم هذه المشاكَلَة الغريبة ، وحُرِم هذا السَّببَ الكريم والشِّبْه المحمود . فكيف وهو لا يزاوج ، وهو من الطيرِ الذى ليس الزواجُ والإلْف وثباتُ العهْد ، وطلَبُ الذرء وحبُّ النَّسل ، والرجوعُ إلى السكن والحنين إلى الوطن — إلاَّ له وللإنسان . وكلُّ شيء لا يزاوج فإنَّما دخله النقصُ وخسِر هذه الفضيلَة من جهةٍ واحدة، وقد دخل الديكَ النقص

(١) ط : « ممن » وكذلك يتكرر هذا الخطأ فى كل موضع أتت فيه « مما » . وقد جاء على الصواب الذى أثبته ، فى ل .

(٢) ط : « الشغانين » وصوابه بالفاء كما فى ل . وهو جمع شفنين بالكسر ، وقد تحدث عنه الجاحظ فى ٣ : ١٤٦ ، ٥١٦ و ٧ : ٦٩ ، ١٨٧ من الحيوان وكذلك الدميرى .

(٣) فى الأصل : « ذوى » ولا يكون ذلك إلا للعاقلين ، والوجه ما أثبت .

مِنْ جهتين . ووصف أبو الأخزَر الحِمَّانىُّ الحمارَ وعَيْر العانةِ خاصَّة[١] ، فإنَّه أمثلُ فى باب المعرفة من الأهْلىّ ، فذكر كيف يضرِب فى الأُتُن ، ووصَفَ استبهامَه عن طلب الولد ، وجهلَه بموْضِع الذَّرْء ، وأنَّ الولدَ لم يجئْ منه عن طلبٍ له ، ولكن النُّطفة البريئة من الأسقام ، إذا لاقت الأرحام البريئةَ مِن الأسقام حَدَث النِّتاج على الخلقة ، وعلى ما سوِّيت عليه البِنية[٢] . وذكر أنّ نزوَه على الأتان ، من شكل نَزْوه على العير ، وإنَّما ذلك على قدْر ما يحضُره من الشّبَق ، ثمَّ لا يلتفِت إلى دُبرٍ من قُبُل ، وإلى ما يَلقَحُ [من مثلِه ممَّا لا يُلقِحُ] فقال :

* لا مُبْتَغِى الضِّنْءِ ولا بالعازلِ[٣] *

يقول : هو لا يريد الولَد ولا يعزل .

والأشياء التى تألفُ الناسَ ولا تريدُ سِواهم ، ولا تحنُّ إلى غيرهم ، كالعصفور والخُطّاف والكلْب والسِّنَّور . والدِّيك لا يألَفُ منزِلَه ولا رَبْعه ولا يُنازع[٤] إلى دجاجته ولا طَرُوقته ، ولا يحنُّ إلى ولده ، بل لم يَدرِ قطُّ أنّ له ولداً ؛ ولو درَى لكان على دِرَايتهِ دليل ، فإذ قد وجدناه لبيضِه[٥] وفراريجِه الكائنةِ منه ، كما نجدُه لما لم يلدْه ولِماَ ليسَ من شَكلهِ ولا يرجِع إلى نسبه ، فكيف تُعرَف الأمور إلاَّ بهذا وشبهه . وهو مع ذلك

(١) ط : « وغير العانة خاصة » وصوابه فى ل . وانظر ص ٥٠ .

(٢) ط : « عن » بدل « على » .

(٣) ط : « لضنء » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط : « يحن » فتضعف العبارة بالتكرار .

(٥) ط : « فإذا وجدناه لبيضه » والوجه مافى ل .

أبلَهُ لا يعرِف أهلَ دارِه ، ومبهوتٌ لا يُثْبِتُ وَجهَ صَاحِبه ، وهو لم يُخْلَق إلاَّ عندَه وفى ظلِّه ، وفى طعامِه وشرابِه ، وتَحْتَ جناحه .

والـكلْبُ على ما فيه يعرف صاحبَهُ ، وهو والسِّنَّور يعرِفان أسماءهما ، ويألَفَان موضعَهما ، وإن طُردا رَجعا ، وإن أُجِيعا صَـبَرَا ، وإن أُهِينا احتملا .

والديك يكون فى ٱلدار من لَدُنْ كانَ فَرُّوجاً صغيراً إلى أن صار ديكاً كبيراً ، وهو إن خرَج من باب ٱلدار ، أوسقط على حائط من حيطان الجيران ، أو على موضعٍ من المواضع ، لم يعرِفْ كيف الرُّجوعُ ، وإن كان يُرَى منزلُه قريباً ، وسهل[1] المطلبِ يسيراً ، ولا يَذ كُر ولا يتذَكَّر ، ولا يهتدى ولا يتصوَّر لَه كيف يكونُ الِاهتداء ، ولو حنَّ لَطَلَبَ ، ولو احتاج لالتمس . ولو كان هذا الُخبْرُ فى طباعه لظَهَر ، ولـكنَّهَا طبيعةٌ بلهاءُ مستبهمة ، طامحة[2] وذاهلة ، ثمَّ يسفَدُ الدَّجاجةَ ولا يعرفُها ، هذا مع شدَّةِ حاجته إليهنَّ وحِرصِه على السِّفاد ، والحاجةُ تفتِقُ الِحيلَة ، وتَدُلُّ على المعرفة ، إلاَّ ما عليه ٱلديك ؛ فإنَّه مع حِرصِه على السِّفاد ، لايعرفُ التى يسفَد ، ولا يقصِد إلى ولدٍ ، ولا يحضُن بيضاً ولا يعطِفُه رَحِمٌ ، فهو من هاهنا أحمقُ من الُحبارَى وأعقُّ من الضبِّ .

٩١

وقال عثمان بن عفَّان رضى ٱلله تعالى عنه : « كلُّ شيءٍ يحبُّ ولدَه حتى الُحبَارى » . فضرَب[3] بها المثلَ كما ترى فى الُموقِ والغفْلة ، وفى الجهل والبَلَه . وتقول العرب : « أعَقُّ من الضَّبِّ » ؛ لأنَّه يأكلُ حُسُولَه .

---

(١) ط : « وسبيل » .

(٢) لعلها « جامحة » .

(٣) الأمبروزيانا : « يضرب » .

(أكل الهرة أولادها)

وكرُمَ عند العرَب حظُّ الهِرَّة ، لقولهم : « أَبَرُّ مِنْ هِرَّة ، وأعقُّ مِنْ ضَبٍّ » فوَجَّهوا أكلَ الهِرَّةِ أولادَها على شدَّة الحبِّ لها ، ووجَّهوا أَكْلَ الضبِّ لها على شدَّةِ البغْض لها ، وليس ينجو مِنْهُ شيءٌ منها إلاّ بشُغْلِه بِأَكْل إخْوته عنه ، وليس يحرُسُها ممَّا يأكلُها إلاَّ ليأكلَها . ولذلك قال العَمَلَّسُ ابن عَقيل ، لأبيه[1] عقيل بن عُلَّفَة :

أكلْتَ بَنِيك أَكْلَ الضَّبِّ حتَّى ... وَجدتَ مَرارةَ الكَلَإِ الوبيلِ

فلو أَنّ الأُلَى كانوا شهوداً ... منعْتَ فِناءَ بيتك من بَجيلِ

وقال أيضاً[2] :

أكلْت بَنِيك أَكل الضَّبِّ حتَّى ... ترَكت بَنِيك لَيْسَ لَهُمْ عديدُ

وشبَّه السَّيِّدُ بن محمَّد الحميريُّ ، عائشةَ رضى الله تعالى عنها فى نصْبِها الحربَ يوم الجملِ لقتال بنيها ، بالهِرَّةِ حين تأكلُ أولادَها ، فقال :

جَاءَتْ معَ الأَشْقَينَ فى هَوْدَجٍ ... تُزْجِى إلى البَصْرَةِ أجْنَادَها

كأنَّها فى فِعلِها هِرَّةٌ ... تُريدُ أن تأكُلَ أولادَهَا

(رعاية الذئبة لولد الضبع)

وتقول العرب أيضاً : « أحمَقُ مِنْ جَهِيزَة » ، وهى عِرس الذئب ؛ لأنَّها تدعُ ولدها وترضع ولد الضبع .

قال : وهذا معنى قولِ ابن جِذْل الطِّعَان[3] .

كَمُرْضِعَةٍ أولادَ أُخرَى وضيَّعَتْ ... بَنِيهَا فلم تَرْقَع بذلك مَرْقَعا ٩٢

---

(١) ل : « لابنه » والصواب مافى ط . وفى الأغانى ١١ : ٨٩ أن الشعر لأرطاة ابن سهية .

(٢) هذه الجملة والبيت بعدها ، ليسا فى ل . وانظر العقد ٦ : ٤٩ .

(٣) ط : « ابن جزل الطعان » وتصحيحه من ل . والبيت فى الثمار ٣١٣ والرواية فيه : « فلم تحسن بما فعلت صنعاً » . وانظر حماسةالبحترى ١٧٠ .

(رعاية الذئب لولد الضبع)

ويقولون : إنَّ الضبعَ إذا صِيدَت أو قُتلت ، فإنَّ الذئب يأتى أولادَها باللحم . وأنشد الكُميت :

كما خَامَرَتْ فى حِضْنِها أمُّ عامرٍ لِذِى الحبل حتى عَالَ أوسٌ عِيالَها [١]

وأوس هو الذئب . وقال فى ذلك :

فى كلِّ يومٍ من ذُؤَالَه ضِغْثٌ يَزيد على إبَالَه

فلأَحْشَأَنَّك مِشْقَصاً أوساً أُويسُ من الهباله [٢]

الأوس : الإعطاء ، وأويس هو الذئب . وقال فى ذلك الهذلىّ [٣] :

يا ليتَ شعرى عنك والأَمْرُ أَمَمْ ما فَعَلَ اليومَ أُويسٌ فى الغنمْ

وقال أميَّةُ بنُ أبى الصَّلْت :

وأبو اليتامى كانَ يُحسِنُ أوسهم ويَحُوطُهم فى كلِّ عامٍ جامدِ [٤]

(حمق النعامة)

ويقولون : « أَحْمَقُ مِنْ نَعَامة » كما يقولون : « أَشْرَدُ مِنْ نعامة » قالوا ذلك لأنّها تدعُ الحضْن على بيضِها ساعةَ الحاجة إلى الطُّعم ، فإن هى

---

(١) ل : « لذى الحبل » وهى رواية ابن قتيبة فى عيون الأخبار ٢ : ٧٩ . وبرواية ابن منظور للبيت فى مادة (أوس) « غال أوس » ، وتفسيرها بقوله : « أكل جراءها» بذلك لايصح الاستشهاد لما استشهد له الجاحظ .

(٢) ط : « فلأحشونك » والصواب مافى ل . انظر أدب الكاتب ٥٧ والاقتضاب . وحشأه : رماه . والمشقص : سهم طويل أو عريض . والبيتان لأسماء بن خارجة كما فى اللسان (أبل) .

(٣) الشعر فى اللسان (رخم) منسوب إلى عمرو ذى الكلب . وهو هذلى كما فى الأغانى .

(٤) ط : « جاحد » . والعام الجامد : عام الجدب والقحط وامتناع الغيث .

فى خروجِها ذلك رأتْ بيضَ أخرى قد خرجت للطُّعم، حضَنَت بيضَها ونسِيت بيضَ نفسها ، ولعلَّ تلك أن تُصادَ فلا ترجعُ إلى بيضها بالعَرَاء حتَّى تهلِك .
قالوا : ولذلك قال ٱبن هَرْمة[1] :

فإنِّى وترْكى نَدَى الأكرمِينَ وقَدْحِى بكَفِّىَ زَنْدًا شَحَاحا
كتاركةٍ بيضَها بالعَرَاء ومُلبِسةٍ بَيضَ أُخْرَى جناحا

وقد تحضُن الحمامُ على بيض الدَّجاج ، وتحضُن الدَّجاجةُ بيضَ الطاوُس ، فأمَّا أن يَدَعَ بَيضَه ويحضُنَ بيضَ الدَّجاجة ، أو تدَعَ ٱلدجاجةُ بيضَها وتحضُن بيضَ الطاوس فلا . فأمَّا فرُّوجُ ٱلدَّجاجة إذا خرج من تحت الحمامة؛ فإنَّهُ يكونُ أكيسَ . وأمَّا الطاوُس ٱلذى يخرج من تحت الدَّجاجة فيكون أقلَّ حسناً وأبْغَضَ صوتاً .

(الفرخ والفروج)

وكلُّ بيضةٍ فى الأرض فإنَّ ٱسمَ ٱلذى فيها وٱلذى يخرُج منها فرخ ، إلاَّ بيضَ ٱلدَّجاج فإنَّه يسمى فرُّوجا ، ولا يسمَّى فرخا ، إلاَّ أنَّ الشعراءَ يجعلون الفَرُّوج فَرخاً على التوسُّع فى الكلام ، ويجوِّزون فى الشعر أشياءَ لايجوِّزونها فى غير الشعر ، قال الشاعر :

لَعَمْرِى لَأَصْواتُ المَكَاكِىِّ بالضُّحَى وسَودٌ تَدَاعى بالعشىِّ نَواعِبُه[2] ٩٣
أحبُّ إلينا من فِراخِ دَجاجةٍ ومِنْ دِيكِ أنباطٍ تَنُوسُ غباغِبُه[3]

---

(١) تكلم فى هذا الشعر الثعالبى فى الثمار ٣٥٣ والدميرى ٢ : ٥٠٢ . ولابن طباطبا كلام جيد فيه انظر له الموشح ٢٣٧ .
(٢) السود ، بالفتح : سفح مستو كثير الحجارة السود . وفى ط : « وسوء » وتصحيحه من ل .
(٣) ل وكذا فى المخصص ١٦٧ : « صغار ومن ديك تنوس عباغبه » .

وقال الشمَّاخ بن ضِرار [1] :

ألا مَنْ مُبلغٌ خاقانَ عنِّى تأمَّلْ حِينَ يَضرِبُك الشِّتاءُ

فتجعل فى جنابك من صغير [2] ومن شيخٍ أضرَّ به الفَناءُ

فراخ دَجاجةٍ يَتْبَعْنَ دِيكاً يَلُذْنَ به إذا حَمِس الوَغاءُ

[فإنْ] قلت : وأىُّ شىء بلَغَ من قدْر الكلبِ وفضيلةِ الديك ، حتَّى يتفرَّغ لذكر محاسِنهما ومساويهما ، والموازنةِ بينهما والتنويه بذكرهما ، شيخان من عِلْيةِ المتكلِّمين ، ومن الجلة [3] المتقدِّمين . وعلى أنَّهما متى أبرما هذا [4] الحكمَ وأفصحا بهذه القضيَّة ، صار بهذا التدبير بهما حظٌّ وحكمة وفضيلة وديانة ، وقلدَهما كلُّ مَن هو دونَهما ؛ وسيعودُ ذلك عذراً لهما إذا رأيتهما يوازيان بين الذِّبَّان [5] وبناتِ وَرْدانَ ، وبين الخنافس والجِعْلان ، وبين جميع أجناس الهمَج وأصناف الحشراتِ ، والخشاش ، حتَّى البعوض والفَراش والديدان والقِردان [6] فإن جاز هذا فى الرأى وتمَّ عليه العمل ، صار هذا الضَّربُ من النظر عِوضاً من النَّظَر فى التوحيد ، وصار هذا الشكلُ من التمييز خَلَفا من التعديل والتجوير ، وسقَط القولُ فى الوعد والوعيد ، ونُسى القياسُ والحكم فى الاسم ، وبطَلَ الردُّ على أهلِ الملل ، والموازنةُ بين جميع النِّحَل ، والنظرُ فى مراشد الناس ومصالحهم ، وفى منافِعهم ومَرافقهم ؛ لأنَّ قلوبَهم لا تتَّسع للجميع ، وألسنَتهم لا تنطلِق بالكلِّ . وإنَّما الرأىُ أن تَبدأ من الفتق بالأعظم ، والأخوف فالأخوف .

---

(١) فى (٧ : ٨٥) أنه شماخ بن أبى شداد .
(٢) ل : « حبالك » موضع « جنابك » .
(٣) ل : « جلة » .
(٤) ط : « مدعا » .
(٥) ل : « رأيناهم يوازنون .. الخ » . ط : « الذباب » موضع « الذبان » .
(٦) القردان : جمع قراد ، وهو دويبة تنتشر فى أعطان الإبل .

وقلتَ : [و] هــذا بابٌ من أبوابِ الفراغ وشكل من أشكالِ التطرُّف(١) وطريق من طرق المزاح ، وسَبيلٌ من سُبُلِ المضاحك . ورجالُ الجِدِّ غير رجالِ الهزْل ، وقد يحسُن الشيءُ بالشَّبَابِ ويقبُح مثلُه من الشيوخ ، ولولا التحصيلُ والموازَنة ، والإبقاء على الأدب ، والدِّيانة بشدَّة المحاسبة ، لما قالوا : لـكلِّ مقامٍ مَقال ، ولـكلِّ زمانٍ رجالٌ ، ولـكلِّ ساقطةٍ لاقطة ، ولـكلِّ طعامٍ أكلة(٢) .

(تنوع الملـكات وقوتها وضرورة ظهورها)

قد زعم أناسٌ أنَّ كلَّ إنسانٍ فيــه آلة لِـمَرْفِقٍ من المرافق ، وأداةٌ لمنفعةٍ(٣) من المنافع ، ولا بدَّ لتلك الطبيعة من حركةٍ وإنْ أبطأَت ، ولا بدَّ لذلك الـكامنِ من ظهور ؛ فإنْ أمكنَهُ ذلك بعثَه ، وإلاَّ سَرَى إليه كما يسرى السمُّ فى البدن ، و [نمَى] كما يَنْمِي العرق ؛ كما أنَّ البُزور البرِّيَّةَ ، والحبَّةَ الوحشيَّةَ الـكامنةَ فى أرحام الأَرَضِين ، لا بدَّ لهــا من حركةٍ عندَ زمانِ الحركة ، ومن التفتُّق والانتشار فى إبَّانِ الانتشار . وإذا صارت الأمطارُ لتلك الأرحامِ كالنُّطفة ، وكان بعضُ الأرض كالأُمِّ الغاذية(٤) فلا بدَّ لـكلِّ ثدىٍ قوىٍّ أن يُظهِر قُوَّتَه ، كما قال الأوَّلُ : ٩٤

* ولا بدَّ للمصدورِ يوما من النَّفْث(٤) *

---

(١) ط : « التطرق » .

(٢) ل : « آكل » .

(٣) ط : « آلة المرفق من المرافق وأداة المنفعة» وهو تحريف ما فى ل .

(٤) ل : « ولا بد للمصدور من النفث » .

[وقال(١)] :

* ولا بدَّ من شَكوَى إذا لم يكنْ صَبر *

ولذلك صارَ طلبُ الحسابِ أخفَّ على بعضهم ، وطابُ الطِّبِّ أحبَّ إلى بعضهم . وكذلك النِّزاع إلى الهندسة ، وشغَفُ أهلِ النُّجوم بالنُّجوم . وكذلك أيضاً ربَّما تحرَّك له بعد الكِبْرَة ، وصَرَف(٢) رغبتَه إليه بعد الكهولة ، على قدر قوَّة العِرْق في بدنه ، وعلى قدْر الشَّواغلِ له وما يعترضُ عليه ، فتجد واحداً يَلهج بطلب الغِناء واللحون ، وآخر يلهج بشهوة القتال ، حتى يَكْتَتِبَ مع(٣) الجُند ، وآخر يختار [أن يكون] ورّاقا ، وآخر يختارُ طلبَ الملك ، وتجِدُ حرصَهم على قدر العلل الباطِنة المحرِّكة لهم ، ثمَّ لا تَدْرِى كيف عرضَ لهذا هذا السّببُ دونَ الآخَرِ إلاَّ بجملة من القول ، ولا تجِدُ المختارَ لبعض هذه الصناعات على بعضٍ يعلَمُ لم(٤) اختارَ ذلك في جملةٍ ولا تفسير ، إذْ كان لم يَجْرِ منه عَلَى عِرْق ، ولا اختارَه على إرْث .

(من سار على غير طبعه)

وليس العجبُ من رجلٍ في طباعه سببٌ يَصِل بينه وبينَ بعض الأمور ويحرِّكه في بعض الجهات ، ولكنَّ العجبَ ممَّن يموت مغنِّيا وهو لا طبعَ

---

(١) جعل هذا الشطر والكلام الذى قبله بيتا واحدا ، وذلك لا يستقيم . والزيادة رأيتها ضرورية لاستقامة الكلام . والآتى عجز بيت صدره كما فى البيان ٣ : ٢٢٠ و٤ : ٦٣ :

* وما كثرة الشكوى بأمر حزامة *

(٢) ط : « وأصرف » .

(٣) ل : « يكتب » وصوابه ما أثبت من ط . واكتتب : كتب نفسه فى ديوان السلطان .

(٤) ط : « لما » .

له فى معرفة الوزن، وليس له جِرمٌ حسَن[1] ، فيكون إن فاته أن يكون معلِّما ومغنِّيَ خاصَّة أنْ يكون مُطرباً ومُغَنِّيَ عامّة . وآخر قد ماتَ عَلَى أن يُذكَر بالجود ، وأن يسخَّى على الطعام ، وهو أبخلُ الخلق طبعاً ، فتراه كلفاً باتِّخاذ الطيِّبات ومستهتَراً بالتكثير منها ، ثمّ هو أبداً مفتَضِحٌ وأبداً منتقِض الطباع ، ظاهرُ الخطإِ ، سيِّئُ الجزع عندَ مؤاكلةِ من كان هو الداعيَ له ، والمرسِلَ إليه ، والعارفَ مقْدارَ لَقْمِه ونهايةَ أكله .

فإنْ زعمتم أنَّ كلَّ واحدٍ من هؤلاء إنَّما هو رهنٌ بأسبابه ، وأسيرٌ فى أيدى عِلَله ، عذَرتم جميعَ اللئام وجميع المقصِّرين ، وجميعَ الفاسقين والضالِّين . وإن كان الأمر [إلى] التمكينِ دونَ التسخير ، أفَليس من أعجبِ العجَب ومن أسوإِ التقدير التمثيل[2] بين الدِّيَكة والكِلاب . ٩٥

قَدْ عرَفنا قولَك ، وفهِمْنا مذهبَك .

فأمَّا قولُك : « وما بلَغ من خَطَر الديك وقدر الكلب » فإنَّ هذا ونحوَه كلامُ عبدٍ لم يفهَمْ عن ربِّه ، ولم يَعقِل عن سيِّده ، إلاَّ بقدْر فهمِ العامَّةِ أو الطبقةِ التى تلى العامَّة . كأنَّكَ ، فهَّمك الله تعالى ، تظنُّ أنَّ خَلْقَ الحيَّةِ والعقرَب ، والتدبيرَ فى خلقِ الفَراش والذباب ، والحكمةَ فى خلْق الذئاب والأسدِ وكلِّ مبغَّضٍ إليك أو محقَّر عندك ، أو مسخَّرٍ لك أو واثبٍ عليك ، أنَّ التدبير فيه مختلِفٌ أو ناقص ، وأنَّ الحكمةَ فيه صغيرةٌ أو ممزوجة .

---

(١) الجرم ، بالكسر : الصوت ، والحلق .
(٢) ط « والتمثيل » والواو هنا لاموضع لها .

(مصلحة الكون ، فى امتزاج الخير بالشر)

اعلم أنَّ المصلحةَ فى أمرِ ٱبتداء ٱلدنيا إلى انقضاءِ مُدَّتها امتزاجُ الخيرِ بالشرِّ ، والضارِّ بالنافع ، والمكروهِ بالسارِّ ، والضَّعَةِ بالرِّفعة ، والكَثْرة بالقِلَّة . ولو كان الشرُّ صِرْفاً هلَكَ الخلقُ ، أو كان الخيرُ مَحْضاً سقَطت المِحْنة وتقطَّعَتْ أسبابُ الفِكرة ، ومع عَدَمِ الفِكرةِ يكون عَدَمُ الحكمة ، ومتى ذهب التخيير ذهب التميز ، ولم يكن للعالِمِ تثبُّتٌ وتوقُّف وتعلُّم ، ولم يكن علم ، ولا يُعرف بابُ التبيُّن ، ولا دفعُ مضرةٍ ، ولا اجتلابُ منفعة[1] ، ولا صَبْر على مكروهٍ ولا شكْرٌ على محبوب ، ولا تفاضُلٌ فى بيانٍ ، ولا تَنَافس فى درجةٍ ، وبطلَت فَرحةُ الظَّفَر وعزُّ الغلبة ، ولم يكن على ظهرها مُحِقٌّ يجد[2] عزَّ الحق ، ومُبْطِلٌ يجد ذِلَّة[3] الباطل ، وموقنٌ يجد[4] بَرْدَ اليقين ، وشاكٌّ يجد[2] نقصَ الحَيرةِ وكَرْبَ الوُجوم ؛ ولم تكن للنفوس آمالٌ ولم تتشعَّبْهَا الأطماع . ومَن لم يعرف كيف الطَّمعُ لم يعرِفِ اليأس ، ومن جَهِل اليأسَ جهِلَ الأمن ، وعادت الحالُ من الملائكة ٱلذين هم صفوة الخلق ، ومن الإنس الذين فيهم الأنبياءُ والأولياءُ ، إلى حالِ السبُعِ والبهيمة ، وإلى [حال] الغباوةِ والبلادة ، وإلى حال النجوم فى السُّخْرة ؛ فإنها أنقص من حالِ البهائم فى الرَّتْعَةِ . ومَنْ هذا الذى يسرُّه أن يكون

---

(١) ط : « التدبير » موضع « التبين » ، و « المضرة » موضع « مضرة » ، و « المنفعة » موضع « منفعة » .

(٢) ط : « بجد » وهو تصحيف .

(٣) ط : « بجد ذل » وهو تحريف كذلك .

(٤) ط : « وموفق بجد » وهو تحريف .

الشمسَ والقمرَ والنَّارَ والثلج ، أو برجًا من البروج أو قطعةً من الغيم ؛ أو يكونَ المجرَّةَ بأسْرها ، أو مكيالًا من الماء أو مقداراً من الهواء ؟! وكلُّ شيءٍ فى العالم فإنما هو للإنسان ولكلِّ مختَبَرٍ ومُختَار ، ولأهل العقول والاستطاعة ، ولأهل التبيُّن[1] والرويَّة .

وأين تقعُ لَذَّة البهيمة بالعَلُوفة ، ولذَّة السبع بلَطْع الدَّمِ وأكل اللحم — مِن سرورِ الظَّفَر بالأعداء ؛ ومِنِ انفتاحِ بابِ العلم بعد إدْمان القَرْع ؟ وأين ذلك من سرورِ السُّودَد ومن عزِّ الرياسة ؟ وأين ذلك من حال النُّبوَّةِ والخِلافة ، ومِن عزِّهما وساطعِ نورهما . وأينَ تقعُ لذَّةُ درْك الحواسِّ الذى هو ملاقاةُ المطعَم والمشرب ، وملاقاةُ الصوتِ المُطرِبِ واللّونِ المونق ، والملمسة[2] الليِّنة — مِن السرور بنَفاذ الأمرِ والنَّهى ، وبجواز التوقيع ، وبما يُوجب الخاتَمُ من الطاعة ويُلزِم من الحجَّة ؟ ! .

٩٦

ولو استَوت الأمور بطَلَ التمييزُ ، وإذا لم تكن كلفةٌ لم تكن مَثوبة ، ولو كان ذلك لبطلتْ ثمرةُ التوكُّلِ على الله تعالى ، واليقينِ بأنَّه الوَزَرُ والحافظ ، والكالئُ والدافع[3] ، وأنَّ الذى يحاسِبُك أَجْوَدُ الأَجْوَدِين ، وأرحَمُ الراحمين ، وأنه [الذى] يقبلُ اليسيرَ ويَهَبُ الكثير ، ولا يهلِك عليه إلّا هالك . ولو كان الأمرُ على ما يشتهيه الغَرِير والجاهلُ بعواقبِ الأمور ، لبطلَ النَّظَرُ وما يشحذ عليه[4] ، وما يدعو إليه ، ولتعطَّلت

(١) ط : « التبين » .
(٢) ط : « واللبسة » .
(٣) ط : « والكافى والرافع » .
(٤) الشحذ : السوق العنيف .

الأرواحُ من معانيهـا ، والعقولُ من ثِمارها ، ولعَدِمت الأشـياءُ حظوظَها وحقوقَها .

فسبْحَان من جعل منافعَها نعمةً ، ومضارَّها ترجع إلى أعظم المنافع ، وقسّمها بين مُلِذٍّ ومُؤلم ، وبين مؤنِسٍ ومُوحش ، وبين صَغيرٍ حقير وجليل كبير ، وبين عدوٍّ يرصُدُك وبين عقلٍ يحرسك ، وبين مُسَالمٍ يَمْنَعُكَ ، وبين مُعينٍ يعضُدك ، وجعَل فى الجميع تمامَ المصلحة ، وباجتماعها تمَّ النعمة ، وفى بطلانِ واحدٍ منها بُطلانَ الجميع ، قياساً قائماً وبرهاناً واضحاً . فإنّ الجميع[1] إنّما هو واحدٌ ضُمّ إلى واحدٍ وواحدٌ ضُمَّ إليهما ، ولأنّ الـكلَّ أبعاضٌ ، ولأنّ كلَّ جُثَّةٍ فمن أجزاء ، فإذا جوَّزتَ رفْعَ واحدٍ والآخرُ مثلُه فى الوزن وله مثلُ علَّتِه وحظِّه ونصيبِه ، فقد جوَّزْتَ رفعَ الجميع ؛ لأنّه ليس الأوّلُ بأحقَّ من الثانى فى الوقت[2] الذى رجوتَ فيه إبطالَ الأوّل ، والثانى كذلك والثالث والرابع ، حتّى تأتىَ على الـكلِّ وتستفرِغ الجميع . كذلك الأمورُ المضمَّنة والأسباب المقيَّدة[3] ؛ ألا ترى أنَّ الجبلَ ليس بأدلَّ على الله تعالى مِنْ الحصاة ، وليس الطاوسُ المستحسَنُ بأدَلَّ على الله تعالى مِنْ الخِنزير المستقبح . والنارُ والثلج وإنْ اختلفا فى جِهَة البرودة والسُّخونة ، فإنّهما لم يختلفا فى جهة البرهان والدّلالة .

وأظنُّك ممَّن يرى أنَّ الطاوسَ أكرمُ على الله تعالى من الغراب ، وأن

---

(١) من كلمة « قياسا » سقط الـكلام فى ل إلى هنا .

(٢) ط : « فالحق » وهو تحريف .

(٣) ط : « المطمئنة » مكان « المضمنة » ، و « المفيـدة » مكان « المقيـدة » وهو تحريف .

التُّدْرُجَ[١] أعزُّ على الله تعالى من الحِدَأةِ ، وأنّ الغزالَ أحبُّ إلى الله تعالى من الذئب . فإنّما هذه أمور فرّقها الله تعالى فى عيون الناس ، وميَّزها فى طبائع العباد ، فجعَلَ بعضها بهم أقربَ شبها ، وجعل بعضَها إنسيًّا ، وجعل بعضَها وحشيًّا ، وبعضها غاذِياً ، وبعضها قاتلا . وكذلك الدُّرَّة وَالْخرَزة والتمرة[٢] والجمرة .

٩٧

فلا تَذْهَبْ إلى ما تريك العينُ واذهَبْ إلى ما يريك العقل .

(الاعتماد على العقل دون الحواس)

وللأُمور حكمان : حكم ظاهرٌ للحواس ، وحكم باطنٌ للعقول . والعقل هو الحجَّة . وقد علمْنا أنَّ خزَنَة النارِ من الملائكة ، ليسوا بدون خزَنَةِ الجنَّة ؛ وأنَّ ملك الموت ليس بدُونِ ملَكِ السَّحاب ، وإن أتانا بالغَيث وجلب الحيَاء[٣] ؛ وجبريلُ الذى يَنْزِل بالعذاب ، ليسَ بدونِ ميكائيل الذى ينزِل بالرحمة ؛ وإنَّما الاختلاف فى المطيع والعاصى ، وفى طبقاتِ ذلك ومواضعه . والاختلاف بين أصحابنا أنّهم إذا استووا فى المعاصى استَووا فى العقاب ، وإذا استَووا فى الطاعة استووا فى الثواب ، وإذا استووا فى عدم الطاعة والمعصية استووا فى التفضل . هذا هو أصل المقالة ، والقُطْب الذى تدورُ عليه الرحى .

---

(١) للفريق أمين المعلوف بحث طيب فى التعريف بهـذا الحيـوان ص ٩٨٧ من معجمه .

(٢) فى الأصل : « الثمرة » والوجه ما كتبت .

(٣) ط : « احياة » وهو تصحيف ما فى ل . والحيا : الخصب والمطر ، ويمد .

(التين والزيتون)

وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ فزعم زَيدُ بنُ أسلم أنَّ التِّين دمشق ، والزيتون فِلَسطين . وللغاليةِ فى هذا تأويلٌ أرغبُ بالعِتْرة عنه(١) وذكرِه . وقد أخرجَ الله تبارك وتعالى الكلامَ مُخرَجَ القسم . وما تُعرَف دِمَشق إلّا بدِمَشق ، ولا فِلَسطين إلّا بفلسطين . فإن كنتَ إنَّما تقف من ذكرِ التين على مقدار طعمِ يابسِه ورَطْبه ، وعلى الإكتنانِ بورَقِه وأغصانه ، والوَقود بعِيدانه ، وأنّه نافعٌ لأصحاب السُّلِّ ، وهو غذاءٌ قويٌّ ويصلُح فى مواضعَ من الدواء ، وفى الأضْمدةِ ، وأنّه ليس شىءٌ حلو إلّا وهو ضارٌّ بالأسنانِ غيره ، وأنَّه عند أهلِ الكتاب الشَّجرةُ التى أكلَ منها آدمُ عليه السلام ، وبورقها سترَ السَّوءة عند نزولِ العقوبة ، وأنّ صاحبَ البواسيرِ يأكله ليزْلِقَ عنه الثفل ، ويسهلَ عليه مخرج الزِّبل(٢) ؛ وتقف من الزيتون على زيتِه والاصطباح به ، وعلى التأدُّم بهما والوَقود بشجرهما ، وما أشبه ذلك من أمرهما ــ فقَدْ أسأتَ ظَنًّا بالقرآن ، وجهِلتَ فضلَ التأويل . وليس لهذا المقدارِ عظّمهما الله عزَّ وجلَّ ، وأقسَمَ بهما ونوّه بذكرهما .

(التأمل فى جناح البعوضة)

ولو وقفْتَ على جَناحِ بَعوضةٍ وُقوفَ معتبِرٍ ، وتأمَّلتَه تأمُّلَ متفكِّرٍ بعد

---

(١) ط : « أرغب عن التعبير عنه » .
(٢) ط : « الثقل » موضع « الثفل » ، و « البول » بدل « الزبل » وأثبت ما فى ل .

أن تكونَ ثاقبَ النَّظرِ سليمَ الآلة ، غوَّاصاً على المعانى ، لايعتريك من الخواطر إلّا على حسب صحَّةِ عقلك ، ولا من الشواغل إلّا مازادَ فى نشاطِك ، لملأت ممَّا تُوجِدك العِبرةُ من غرائب الطوامير الطِّوال ، والجلود الواسعةِ الكِبار ، ولرَأَيتَ أنَّ له من كثرة التصرُّف فى الأعاجيب ، ومن تقلُّبه فى طبقات الحكمة ، ولرأيتَ له من الغُزْر والرَّيع ، ومن الحلَب والدَّرِّ واتبَجَّسَ عليك[1] من كوامِنِ المعانى ودفائِنها ، ومن خَفيَّاتِ الحكم وينابيعِ العلم ، مالا يشتدُّ معه تعجُّبُك ممَّن وقَفَ على مافى الدِّيك من الخصالِ العجيبة ، وفى الكلبِ من الأمور الغريبة ، ومن أصنافِ المنافع ، وفنون المرافق ؛ وما فيهما[2] من المِحَن الشِّداد ، ومع ما أودِعا من المعرفة ، التى متى تجلَّت لك تصاغرَ عندك كَبِيرُ ما تستعظم ، وقلَّ فى عينك كثير ما تستكثر . كأنَّك تظنُّ أنَّ شيئاً وإنْ حسُن عندك فى ثمنِه ومنظره ، أنَّ الحكمةَ التى هى فى خلْقه إنَّما هى على مقدارِ ثمنه ومنظَره . ٩٨

(كلمات الله)

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِى الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ ﴾ والكلماتُ فى هذا الموضع ، ليس يُريد بها القولَ والكلامَ المؤلَّفَ من الحروف ، وإنَّما يريد النِّعَم والأعاجيب ، والصفات[3] وما أشبه ذلك ، فإنَّ كلًّا من هذه الفنون

---

(١) ط : « ولا ينحبس » .

(٢) ط : « فيها » .

(٣) ط : « الصلاة » ، وليس بشىء .

لو وقَف عليه رجلٌ رقيقُ اللسان صافى الذهن ، صحيحُ الفِكْر تامُّ الأَدَاة ، لما بَرِح أن تحسره[1] المعانى وتَغْمرَه الحِكَمَ .

وقد قال المتكلمون والرؤساء والجِلَّةُ العُظماءُ فى التمثيل بين الملائكةِ والمؤمنين ، وفى فرقِ ما بين الجنِّ والإنس . وطباعُ الجنِّ أبعدُ من طباع الإنس ، ومن طباعِ الديك ، ومن طباع الكلب . وإنَّما ذهبوا إلى الطاعة والمعصية . ويخيَّل إلىَّ أنك لو [كنت] سمعتَهما يمثِّلان مابين التُّدْرُج والطاوُس ، لَمَا اشتدَّ تعجُّبُك . ونحن نرى أنَّ تمثيلَ ما بينَ خصالِ الذَّرَّة والحمامة ، والفيل والبعير ، والثَّعلبِ والذيب أعجَب . ولسنا نعنى أنَّ للذَّرَّة ما للطاوس من حسنِ ذلك الريش وتلاوينه وتعاريجه[2] ، ولا أنَّ لها غَناءَ الفرَس فى الحرب والدَّفْعِ عن الحريم ؛ لكنَّا إذا أردنا مواضعَ التدبير العجيبِ من الخلْق الخسيس ، والحسِّ اللطيفِ من الشىء السخيف[3] ، والنَّظرِ فى العواقب من الخلق الخارج من حدود الإنس والجنِّ والملائكة ، لم[4] نذهب إلى ضِخَم البدَن وعِظَم الحجم ، ولا إلى المنظر الحسَن ولا إلى كثرة الثمن . وفى القرد أعاجيبُ وفى الدُّبِّ أعاجيب ، وليس فيهما كبير مَرْفِقٍ إلّا بقدْرِ ما تتكسَّب به [أصحاب[5]] القردة ، وإنما قصدنا إلى شيئين يَشِيعُ القولُ فيهما ، ويكثُرُ الاعتبار ممَّا يستخرِج العلماءُ من خفِىّ أمرهما . ولو جمعْنا بين الدِّيك وبين بعضِ

(١) ط : « تحشره » ، ويكون صوابها « تحشر له المعانى » . وأثبت ما فى ل . يقال : حسر البعير : ساقه حتى أعياه .
(٢) يقال ثوب معرج : أى مخطط فى التواء . وفى ل : « تقاريجه » . وانظر ٥ : ١٥٠ .
(٣) ط : « والحسن اللطيف فى الشىء السخيف » ، وهى عبارة مشوهة .
(٤) فى الأصل : « ولم » .
(٥) زدتها ليستقيم الكلام .

ما ذكرت ، وبين الكلب وبين بعض ماوصفت ، لانقطع القولُ قبل أن يبلغَ حدَّ الموازنةِ والمقابلة .

وقد ذكرتَ أنَّ بعضَ مادعاك إلى الإنكار عليهما والتعجُّبِ من أمرهما ، سقوطُ قدرِ الكلب ونذالتُه ، وبَلَهُ الدِّيكِ وغباوتُه ، وأنَّ الكلبَ لابهيمةٌ تامَّة ولا سبعٌ تامٌّ ، وما كان ليخرِجَه من شيءٍ من حدود الكلاب إلى حدود الناس ، مقدارُ ماهو عليه من الأُنس بهم ، فقد يكون فى الشيء بعضُ الشبه مِنْ شيء ولا يكون ذلك مُخرِجًا لها من أحكامِهما وحدودِهما . ٩٩

(تشبيه الإنسان بالقمر والشمس ونحوهما)

وقد يشبِّه الشعراءُ والعلماءُ والبلغاءُ الإنسانَ بالقمر والشمس ، والغيثِ والبحر ، وبالأسد والسيف ، وبالحيَّة وبالنَّجم ، ولا يخرجونه بهذه المعانى إلى حدِّ الإنسان . وإذا ذمُّوا قالوا : هو الكلب والخنزير ، وهو القِرد والحمار ، وهو الثور ، وهو التَّيس ، وهو الذيب ، وهو العقرب ، وهو الجُعَل ، وهو القرنْبَى ؛ ثم لايُدخِلون هذه الأشياءَ فى حدود الناس ولا أسمائِهم ، ولا يُخرجون بذلك[1] الإنسانَ إلى هذه الحدودِ وهذه الأسماء . وسمَّوا الجاريةَ غزالا ، وسمَّوها أيضاً خِشْفاً ، ومُهْرةً ، وفاختِةً ، وحمامةً ، وزهرةً ، وقضيباً ، وخيزرانا ، على ذلك المعنى . وصنَعوا مثلَ ذلك بالبروج والكواكب ، فذكَروا الأسدَ والثور ، والحَمَل والجدى ، والعقربَ والحُوت ، وسمَّوها بالقوس والسُّنبلة والميزان ، وغيرها . وقال فى ذلك ابن عَسَلة الشيبانىّ[2] :

(١) ط : « ذلك » .

(٢) هو عبدالمسيح ، شاعر جاهلى ، روى له صاحب المفضليات ثلاث قصائد برقم ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٣ . والبيت روايته فى البيان ١ : ٢٢٩ مطابقة لهذه . والرواية فى المفضليات : « لصحوت » وقبله : =

فصَحَوتَ والنَّمَرِىُّ يحسَبُها عَمَّ السِّماكِ وخالةَ النَّجْمِ (١)

ويُروى عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال : « نِعْمَتِ العَمة لَكُم النَّخلة [خُلقت مِنْ فضلة طينةِ آدم] » . وهذا الكلام صحيحُ المعنى ، لايَعيبه إلّا مَن لايعرِف مجاز الكلام . وليس هذا مِمَّا يطَّرِد لنا أن نقيسَه ، وإنَّما نُقدِم على ما أقدَموا ، ونُحجم عما أحجموا ، وننتهى إلى حيثُ انتهوْا .

ونراهم يسمُّون الرجلَ جملًا ولا يسمُّونه بعيراً ، ولا يسمُّون المرأةَ ناقة ؛ ويسمُّون الرجلَ ثوراً ولا يسمُّون المرأةَ بقرةً ، ويُسَمُّونَ الرجل حمارا ولا يسمون المرأة أتاناً ؛ ويسمُّون المرأة نعجةً ولا يسمُّونها شاة . وهم لايضعون نعجةً اسماً مقطوعا ، ولا يجعلون [ذلك (٢)] علامةً مثلَ زيد وعمرو ، ويسمُّون المرأة عنْزا .

(تسمية الإنسان بالعالم الأصغر)

أوَ ما علمتَ أنّ الإنسان الذى خُلقت السموات والأرضُ وَمَا بينَهما مِن أجْله (٣) كما قال عزَّ وجلَّ : ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَافى السَّمَوَاتِ وَمَا فى الْأَرْضِ جَميعاً مِنْهُ﴾ إنَّما سمَّوه العالَم الصغير سليلَ العالَم الكبير ، لِمَا وجَدوا فيه من جَمع أشكالِ مافى العالم الكبير ، ووجدْنا له الحواسَّ الخمسَ ووجدُوا فيه المحسوساتِ الخمس ، ووجدُوه يأكل اللَّحمَ والحبَّ ، ويجمعُ

= يا كعب إنك لو قصرت على حسن الندام وقلة الجرم
وسماع مدجنة تعللنا حتى ننام تناوم العجم

(١) صوابه « لصحوت » كما فى المفضليات ٢٧٩ .

(٢) زيادة يتطلبها الكلام .

(٣) فى الأصل : « والأرض من أجله وما بينهما » ، وسويت القول كما ترى .

بينَ ما تقتاته البهيمةُ والسبع ، ووجَدوا فيه صَولةَ الجمل ووُثوبَ الأسد ، وغدْرَ الذئب ، ورَوَغان الثعلب ، وجُبْن الصِّفْرِد ، وجَمْعَ الذَّرَّةِ ، وصنْعةَ ١٠٠ السُّرْفة[١] وجُودَ الدِّيكِ ، وإلفَ الـكلب ، واهتداءَ الحمام . وربَّمـا وجدوا فيه ممَّـا فى البهائم والسباع خُلُقَيْن[٢] أو ثلاثة ، ولا يبلغُ أن يكون جمـلاً بأن يكون فيه اهتداؤه وغَيرته ، وصَولته وحِقدُه ، وصبرُه على حَمْل الثِّقْل ، ولا يلزَم شبهُ الذئبِ بقدْر ما يَتَهَيَّأُ فيه من مِثل غدْرِه ومكْرِه ، واسترواحِه وتوحُّشه ، وشدَّة نُكْره . كما أن الرجلَ يصيبُ الرأيَ الغامضَ المرّةَ والمرَّتين والثَّلاثَ ، ولا يبلغُ ذلك المقدارُ أن يقال له داهيةٌ وذو نَكراء أو صاحبُ بَزْلاء[٣] ، وكما يخطئُ الرجل فيفحُش خَطَاؤُه[٤] فى المرَّة والمرَّتين والثلاث ، فلا يبلغ الأمرُ به أن يقال له غبىٌّ وأبلهُ ومنقوص .

وسمَّوه العالَمَ الصغيرَ لأنَّهم وجدُوه يصوِّر كلَّ شىءٍ بيده ، ويحكى كلَّ صـوتٍ بِفَمه[٥] . وقالوا : ولأنَّ أعضـاءه مقسومةٌ على البروج الاثنى عشر والنجومِ السبعة ، وفيه الصفراء وهى من نِتاج النار ، وفيه السوداء وهى من نِتاج الأرض ، وفيه الدَّمُ وهو من نِتاج الهواء ، وفيه البلغَمُ وهو من نِتاج المـاء . وعلى طبائعه الأربع وضعت الأوتاد الأربعة[٦] .

---

(١) ط : « وصفة السرفة » وصوابه فى ل . ويقال فى المثل : « أصنع من سرفة » . الدميرى : دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتا مربعا من دقائق العيدان تضم بعضها إلى بعض بلعابها على مثال الناوس ثم تدخل فيه وتموت .

(٢) فى ثمار القلوب ٢٨٠ حيث نقل هـذا الكلام : « خلتين » وهو الأشبه بكلام الجاحظ .

(٣) ط : « نكر » بدل « نكراء » وكلاهما صحيح . والنكراء ، والنكر بالضم : الدهاء والفطنة . والبزلاء : الرأى الجيد والشدائد .

(٤) الخطاء : الخطأ . والجاحظ يميل إلى استعمال الكلمة الأولى .

(٥) ط : « يعيه » والوجه ما فى ل .

(٦) ل : « وجدت الأوتار الأربعة » .

فجعَلوه العالَمَ الصغير ، إذ كانَ فيــه جميعُ أجزائِه وأخلاطِهِ وطبائعه .
ألا تَرَى أنّ فيه طبائعَ الغضبِ والرضَا ، وآلة اليقين والشكّ ، والاعتقاد والوقف[1] وفيه طبائعُ الفِطنةِ والغَباوة ، والسلامة والمكر[2] ، والنصيحةِ والغِشِّ ، والوَفاء والغدر ، والرياء والإخلاص ، والحبِّ والبُغْض ، والجِدّ والهزْل ، والبخْل والجُود ، والاقتصادِ والسّرَف ، والتواضع والكبر ، والأُنسِ والوحشة ، والفكرة[3] والإمهال ، والتميــيز والخبْط ، والجبْن والشجاعة ، والحزم والإضاعة ، [والتبذير والتقتير] ، والتبذل والتعزز[4] ، والادِّخار والتوكُّل ، والقَناعة والحِرْصِ ، والرغبة والزُّهْد ، والسُّخْط والرِّضا ، والصــبر والجزَع ، والذِّكر والنسيان ، والخوفِ والرجاء ، والطَّمَعِ واليأس ، والتنزُّه والطَّبَع ، والشكّ واليقين ، والحياء والقِحَة ، والكِتْمانِ والإشاعة ، والإقرار والإنكار ، والعلم والجهل ، والظلم والإنصاف ، والطلب والهَرب ، والحِقْد وسرْعة الرضا ، والحِــدَّةِ وبُعْدِ الغَضب ، والسُّرور والهمّ ، واللَّذَّةِ والألَمَ[5] والتأميلِ والتمنِّي ، والإصرارِ والنَّدَم ، والجِمَاحِ والبَدَوات[6] ، والعيّ والبلاغَة ، والنُّطْق والخرَس ، والتصميمِ والتوقف[7] والتغافُلِ والتفاطُن ، والعفــوِ والمكافأة ، والاستطاعةِ والطبيعة[8] وما لا يحصى عدده[9] ، ولا يُعرَف حَدُّه .

---

(١) ط : « والتمنى » .
(٢) ط : « والنكر » .
(٣) لعلها « الطفرة » ليصح قرنها بالإمهال .
(٤) ط : « والتبذل والتعزز » وهو تحريف ما فى ل .
(٥) ط : « والآلام » والوجه ما فى ل .
(٦) كذا فى ل . وفى ط : « البذات » .
(٧) ل : « والتكفى » .
(٨) كذا .
(٩) ط : « عده » .

فالكلبُ سبع وإن كانَ بالناس أنيساً ، ولا تخرِجُه الخصلة والخَصلتان ١٠١
ممَّا قاربَ بعضَ طبائِع الناس ، إلى أن يخرجَه من الكَلْبيَّة . قال : وكذلك
الجميع . وقد عرَفت شبَه باطنِ الكلب[1] بباطن الإنسان ، وشبَه ظاهِر
القرد بظاهر الإنسان : ترى ذلك فى طَرْفِه وتغميضِ عينه ، وفى ضِحْكه
وفى حكايته ، وفى كفِّه وأصابِعه ، وفى رفعِها ووضعِها ، وكيف يتناولُ بها ،
وكيف يجهز اللُّقمة إلى فيه وكيف يكسِر الجَوْزَ ويستخرج لبَّه[2] وكيف
يَلْقَنُ كل مَا أُخِذَ به[3] وأُعِيدَ عليه ، وأنَّه من بينِ جميعِ الحيوان إذا سقط
فى الماء غرِق مثلَ الإنسان ، ومع اجتماعِ أسبابِ المعرفة فيه يغرق ، إلاّ[4]
أن يكتسب معرفةَ السباحة ، وإن كان طبعُه أوفى وأكمل فهو من هاهنا
أنقص وأكلُّ . وكلُّ شيءٍ فهو يسبَح من جميع الحيوانات ، ممَّا يوصف بالمعرفة
والفِطنة ، وممَّا يوصَفُ بالغَباوة والبَلادة ؛ وليس يصير القردُ بذلك المقدار
من المقارَبَة إلى أن يخرُج من بعض حدود القرود إلى حدود الإنسان .

(عود إلى الحوار فى شأن الكلب والديك)

وزعمتَ أنَّ ممَّا يمنعُ من التمثيل بين الديك والكلب أنّه حارسٌ
محترسٌ منه . وكلُّ حارسٍ من الناس فهو حارسٌ غيرُ مأمونٍ تَبدُّلُه .

ولقد سأل زيادٌ ليلةً من الليالى : مَنْ على شُرطتكم ؟ قالوا : بَلْج بنُ نُشْبَة
الجُشَمىّ . فقال :

وساعٍ مع السلطانِ يَسعى عليهمُ ... ومحترَسٍ مِن مثلِه وهو حارس

(١) ط : « باطن شبه الكلب » .
(٢) ل : « سره » وهما بمعنى .
(٣) ط : « يلقى كلما أخذ به » وهو تحريف . وفى ثمار القلوب ٣٢٤ « يتقن » .
(٤) ط : « إلى » .

ويقال : إن الشاعر[١] قال هذا الشعرَ فى الفلافس النَّهشَلىّ[٢] ، حين وَلِىَ شُرطةَ الحارث بن عبد الله [فقال] :

أقِلّى علىَّ اللومَ يا ابنةَ مالكٍ   وذُمِّى زماناً سادَ فيه الفُلافسُ
وساعٍ مع السلطان يَسعَى عليهمُ   ومُحتَرِسٍ من مثلِه وهو حارسُ

وليس يُحكَمَ لِصغار المضارِّ على كبارها[٣] بل الحكمُ للغامر على المغمور[٤] والقاهِر على المقهور . ولو قد حكَينا ما ذكر هذا الشَّيخُ من خِصال الكلب وذكَرَ صاحبُه من خصالِ الديك ، أيقنتَ أنَّ العجَلةَ من عمل الشيطان ، وأنَّ العُجْبَ بئس الصاحب .

وقلتَ : وما يبلغُ من قدْر الكلب ومِن مقدارِ الديك ، أن يتفرَّغ لهما شيخان من جِلَّة المعتزِلة ، وهم أشراف[٥] أهلِ الحكمة ؛ فأىُّ شىءٍ بلغ ، غفر الله تعالى لك ، من قدْرِ جزءٍ لايتجزَّأ من رمْل عالج ، والجزءِ الأقلِّ من أوَّل قطْع الذَّرَّة للمكان السحيق ، والصحيفة التى لا عمقَ لها ، ولأىِّ شىء يُعنَوْن بذلك ، وما يبلغ من ثمنِه وقدْرِ حجْمه ، حتَّى يتفرَّغَ للجدالِ فيه الشُّيوخ الجِلَّة ، والكهولُ العِلْية ، وحتَّى يختاروا النَّظرَ فيه على التسبيح والتهليل ، وقراءةِ القرآن وطولِ الانتصابِ فى الصلاة ؛ وحتَّى يزعم أهلُه ١٠٢

---

(١) هو عبد الله بن همام السلولى . ترجم له ابن قتيبة فى الشعراء ٦٣٣ . وانظر عيون الأخبار ١ : ٥٧ والمحاسن والمساوى للبيهقى ١ : ١٢٦ .

(٢) قال ابن قتيبة : كان الفلافس هذا على شرطة الكوفة من قبل الحارث بن عبد الله ابن أبى ربيعة المخزومى أخى عمر بن أبى ربيعة . . وخرج الفلافس مع ابن الأشعث فقتله الحجاج .

(٣) ل : « على كبار المنافع » .

(٤) ل : « للعامر على المعمور » وما أثبته من ط أشبه .

(٥) ل : « شراف » .

أنَّه فوقَ الحجِّ والجهاد ، وفوقَ كلِّ برٍّ واجتهاد[1] . فإنْ زعمتَ أنَّ ذلك كلَّه سواءٌ ، طالت الخُصومةُ معَك ، وشغلْتنا [بهما] عمَّا هو أولى بِنا فيك . على أنَّك إذا عمَمْتَ ذلك كلَّه بالذمِّ ، وجَلَّلته بالعيب ، صــارت المصيبةُ فيك أجلَّ ، والعزاءُ عنها أعسر . وإن زعمتَ أنَّ ذلك إنَّمـا جاز لأنَّهم لم يذهبُوا إلى أثمـان الأعيان فى الأسواق ، وإلى عظم الحجم ، وإلى ما يروقُ العينَ ويلائمُ النفس ، وأنَّهم إنَّمـا ذهبوا إلى عاقبة الأمر فيــه ، وإلى نتيجتِه ، وما يتولَّد عنه من علم النِّهايات ، ومن باب الـكلِّ والبعْض ، وكان ويكون ، ومن باب ما يحيط به العلم أو ما يفضل عنه ، ومن فَرقِ [ما[2]] بين مذاهب الدُّهريَّة ومذاهب الموحِّدين . فإن كان هــذا العذْرُ مقبولاً ، وهذا الحكم صحيحاً ، فكذلك نقول[3] فى الـكلب ، لأنَّ الـكلبَ ليس له خطرٌ ثمين ولا قَدْر فى الصدرِ جليل ؛ لأنَّه إن كان كلبَ صيد فديتُه أربعون دِرهما ، وإن كان كلب ضَرْعٍ فديتُه شاة ، وإن كان كلبَ دارٍ فديتُه زِنبيلٌ من ترابٍ ، حُقَّ على القاتل أَن يؤدِّيَه ، وحُقَّ على صاحبِ الدار أن يقبلَه ، فهذا مقدارُ ظاهِر حاله [ومُفتَّشِه] . وكوامِنُ خِصاله ، ودفائنُ الحِـكمةِ فيه ، والبرهاناتُ على عجيب تدبير الربِّ تعالى ذكرُه فيه ، على خلاف ذلك ؛ فلذلك استجازُوا النَّظَر فى شأنه ، والتمثيلَ بينَه وبين نظيره .

وتعلم أيضاً مع ذلك أنَّ الـكلبَ إذا كانَ فيه ، مع خُمُوله وسقوطِه ، مِن عجيبِ التدبير والنِّعمةِ السابغةِ والحِـكمةِ البالغة ، مثلُ هــذا الإنسان

---

(١) ل : « كل أثرة وإجهاد » وليس بشىء .

(٢) زيادة يقتضيها الـكلام .

(٣) ط : « يقول » وهو تحريف .

الذى له خلق الله السموات والأرض وما بينهما ، أحقُّ بأنْ يُفكرا فيه ، ويُحْمَدَ اللهُ تعالى على ما أودَعَه من الحكمةِ العجيبةِ ، والنِّعمة السابغة .

وقلت : ولو كان بدلُ النظرِ فيهما النظرَ فى التوحيدِ ، وفى نفى التشبيه ، وفى الوعد والوعيد ، وفى التعديل والتجوير ، وفى تصحيح الأخبار ، والتفضيلِ بين علم الطبائع والاختيار ، لكان أصوبَ .

(دفاع عن المتكلمين)

والعجبُ أنَّك عَمَدْتَ إلى رجالٍ لا صناعةَ لهم ولا تجارةَ إلاَّ الدعاءُ إلى ما ذكرت ، والاحتجاجُ لما[1] وصفت ، وإلاَّ وضْعُ الكتبِ فيه والولايةُ والعداوةُ فيه ، ولا لهمْ لَذّةٌ ولا هَمٌّ ولا مذهبٌ ولا مجازٌ إلا عليهِ وإليه ؛

١٠٣ فحين أَرادُوا أن يُقَسِّطُوا بينَ الجميعِ بالحِصص ، ويَعْدِلوا بينَ الكلِّ بإعطاء كلِّ شيء نصيبه ، حتَّى يقعَ التعديلُ شاملاً ، والتقسيطُ جامعًا ، ويظهرَ بذلك الخفىُّ من الحِكمَ ، والمستورُ من التدبير ، اعترضْتَ بالتعنُّتِ والتعجُّب ، وسطّرت الكلامَ ، وأطلتَ الخطب ، من غير أنْ يكون صوَّبَ رأيَكَ أديبٌ ، وشايَعَك حكيم .

(نسك طوائف من الناس)

وسأضرب لك مثلاً قد استوجبتَ أغاظَ منه ، وتعرَّضتَ لأشدَّ منه ولكنَّا نستأنِى بك وننتظِرُ أوْبَتَك . وَجَدْنَا لجميعِ أهلِ النَّقص ، ولأهلِ كلِّ صِنفٍ منهم نُسُكاً يعتمِدون عليه فى الجَمَال ، ويحتسِبون به فى الطاعة وطلَب المثُوبة ، ويفزَعون إليه ، على قدْرِ فسادِ الطِّباع ، وضعفِ الأصل ،

(١) فى الأصل : « بما » .

واضطرابِ الفزْع ، مع خبْث المنشإ ، وقلّةِ التثبُّتِ والتوقُّفِ ، ومع كثرة التقلُّب والإقدام مَعَ أوّلِ خاطر : فنُساك المريبِ المرتابِ من المتكلّمين أنْ يتحلَّى برمْى الناسِ بالرِّيبة ، ويتزيَّنَ بإضافةِ ما يجدُ فى نفسه إلى خَصمه ، خوفاً من أن يكونَ قد فطِن له ، فهو يستُرُ ذلك الداءَ برمْيِ الناس به .

ونُسكُ الخارجيِّ الذى يتحلَّى به ويتزيّا بجماله ، إظهارُ استعظامِ المعاصى ، ثم لايَلتفِت إلى مجاوزَة المقدارِ وإلى ظُلْمِ العباد ، ولا يقِف على أنَّ الله تعالى لايحبُّ أن يَظْلِمَ أظلمَ الظَّالمين ، وأنَّ فى الحقِّ ما وسِعَ الجميع .

ونسْك الُخراسانيِّ أن يُحُجَّ ويَنَام على قفاه ، ويعقد[1] الرِّياسة ، ويتهيَّأ للشَّهادة ، ويبسُطَ لسانَه بالحِسْبة . وقد قالوا : إذا نَسَك الشَّريفُ تواضَعَ ، وإذا نسَكَ الوضيعُ تكبَّر . وتفسيرُه قريبٌ واضح .

ونُسْك البَنَوى[2] والجندىِّ طرحُ الديوانِ ، والزِّرايةُ على السُّلطان[3] . ونسك دَهاقِين السَّوادِ تركُ شُرْب المطبوخ[4] . ونُسْك الخصِيِّ لُزُومطَرَسُوس وإظهارُ مجاهَدَةِ الروم . ونُسك الرافضىِّ تركَ النبيذ . ونسك البستانىِّ تركُ سَرِقة الثَّمر . ونُسْك المغنِّى الصَّلاةُ فى الجماعة وكثرةُ التسبيح ، والصلاةُ على النبىِّ صلى الله عليه وسلم .

ونسك اليهودِىِّ التشدُّدُ فى السَّبْت وإقامته .

والصوفىُّ المظهِرُ النُّسكَ من المسلمين ، إذا كان نسلًا يبغض العمل

(١) ط : « يفقد » وليس بشىء .

(٢) ط : « الكوفى » .

(٣) ط : « والزيارة للسلطان » ل : « والزيارة على السلطان » وقد جعلت القول كما ترى .

(٤) فى القاموس : « الطبيخ ضرب من المنصف » . وفى مادة نصف « وكمعظم : الشراب طبخ حتى ذهب نصفه » .

تطرف[1] وأظهر تحريمَ المكاسب، وعاد سائلاً ، وجعل مسألتَه وسيلة إلى تعظيم الناسِ له .

وإذا كان النَّصرانيُّ فسلاً نذْلا مبغِضاً للعمَل، ترهَّب ولَبِس الصُّوف؛ لأنَّه واثقٌ أنَّه متى لبِس وتزيَّا بذلك الزِّيِّ وتحلَّى بذلك اللِّباس ، وأظهر تلك السِّيما ، أنَّه قد وجَبَ على أهل اليُسرِ والثَّروة منهم أن يعُولُوه ويَكْفُوه ، ثمَّ لايرضى بأنْ رَبحَ الكِفايةَ باطلاً حتّى استطال بالمرتبة .

١٠٤ فإذا رمى المتكلِّمُ المريبُ أهلَ البراءة ، ظنَّ أنَّه قد حوَّل ريبتَه إلى خَصمه ، وحوَّل براءةَ خصمِه إليه . وإذا صار كلٌّ واحدٍ من هذه الأصناف إلى ما ذكرنا ، فقد بلغ الأمنيَّة ، ووقَفَ على النِّهاية . فاحذَر أن تكونَ منهم واعلَمْ أنَّك قد أشبهتهم فى هذا الوجه ، وضارعتَهم فى هذا المذهب .

باب

ممّا قدَّمْنا ذكرَه ، وبينَه وبينَ ما ذكرنا بعضُ الفرْق .

يقال : أجرأ من الليث ، وأجبَنُ من الصِّفْرِد ، وأسخَى مِنْ لافِظة ، وأصبرُ على الهُونِ[2] من كَلب ، وأحذر من عَقْعَق ، وأَزهى مِن غراب ، وأصنَع من سُرفَة[3] وأظلم من حيَّة ، وأغدَر من الذئب ، وأخبَث من ذئبِ خَمرَ[4] وأشدُّ عداوةً من عقرب ، وأروغُ من ثعلب ، وأحمقُ من حُبارى ، وأهدى من قطاة ، وأكذَبُ مِن فاختة ، وألأمُ من كلبٍ على جيفة ،

---

(١) ط : « بين » بدل « من » ، و « ببعض » موضع « يبغض » . وفى ل : « تصوف » موضع « تطرف » .

(٢) ل : « الهوان » وهما بمعنى .

(٣) ط : « واضع من شرفة » . وانظر الحاشية رقم (١) ص ١٠٠ .

(٤) ط : « ضمر » وهو تحريف . والخمر ، بالتحريك : ماواراك من شجر وغيره .

وأجمَعُ من ذَرّة ، وأضلُّ من حِمار أهلى[1] ، وأعقُّ من ضَبٍّ ، وأبرُّ من هِرَّة ، وأنْفَر من الظليم ، وأضَلّ من وَرَل[2] وأضلُّ من ضبٍّ ، وأضلُّ من الحيَّة .

فيعبِّرون عن هذه الأشياء بعبارةٍ كالعبارة عن الناس ، فى مواضع الإحسان والإساءة ، حتَّى كأنَّهم من الملومِين والمشكورين ، ثم يعبِّرون فى هذا البابِ الآخَر بدونِ هذا التعبير ، ويجعلونَ خبَرهم[3] مقصوراً على مافى الخِلقة من الغريزة والقُوى فيقولون : أبصرُ من عُقاب ، وأسمعُ من فرَس ، وأطولُ ذماءً من ضبٍّ ، وأصحُّ من الظليم .

والثانى يشْبِه العبارةَ عن الحمد والذمِّ ، والأوَّل يُشبِه العبارةَ عن اللائمةِ والشكر[4] . وإنَّما قلنا ذلك ، لأنَّ كلّ مشكورٍ محمود ، وليس كلُّ محمودٍ مشكورا ؛ وكلَّ ملومٍ مذموم وليس كلُّ مذمومٍ ملوما . وقد يحمدون البَلدَةَ ويذمُّون الأخرى ، وكذلك الطعام والشراب ، وليس ذلك على جهة اللّوم ولا على جهة الشكر ؛ لأنَّ الأجْر[5] لايقع إلَّا على جهة التخيُّر والتكلُّف ، وإلَّا على مالا يُنال إلّا بالاستطاعة[6] والأوَّلُ إنَّما يُنالُ بالخِلقة وبمقدارٍ من المعرفة ، ولا يبلغ أنْ يسمَّى عقْلا ، كما أنّه ليس كلُّ قُوَّةٍ تسمَّى استطاعة . والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) ل : « أهله » .

(٢) ل : « أشرد من ورل » .

(٣) ط : « خيرهم » والصواب مافى ل .

(٤) ط : « السلامة والشكر » والوجه مافى ل .

(٥) ط : « الأخر » وهو تصحيف .

(٦) ط : « مالا يقال التمنى بالاستطاعة » وهى عبارة مشوهة .

باب

ما ذكر صاحبُ الديك من ذمِّ الكلابِ وتعدادِ أصنافِ معايبها[١] ومثالبها ، مِن لؤمها وجبنها[٢] وضعْفها وشرَهها ، وغدْرِها وبَذَائها ، وجهْلها وتسرُّعِها ، ونتْنها وقذَرها ، وما جاء فى الآثار من النَّهْى عن اتخاذها وإمساكها ، ومن الأَمْر بقتْلِها وطردها ، ومن كثرةِ جناياتها وقلَّة رَدِّها[٣] ومِن ضرب المثَل بلؤمها ونذالتها ، وقبحِها وقبْحِ معاظلتِها[٤] وَمِن سماجة نُباحِها وكثرة أذاها ، وتقذُّر المسلمين من دنوِّها[٥] [وأنّها تأكل لحومَ الناسِ] ، وأنَّها كالخلْق المركّبِ والحيوان الملفّق : كالبغْل فى الدوابِّ وكالراعِبِىِّ فى الحمام[٦] ، وأنّهــا لاسبعٌ ولا بهيمة ، ولا إنســيَّةٌ ولا جِنِّيَّة ، وأنَّها من الحِنِّ[٧] دون الجِنّ ، وأنّها مطايا الجِنِّ ونوعٌ من المِسْخ ، وأنَّها تنبُش القبورَ وتأكُلُ الموتى ، وأنَّها يعتريها الكَلَبُ مِن أكل لحوم الناس .

فإذا حكَيْنَا ذلكَ حكَينا قولَ من عدَّد محاسنَها ، وصنّف مناقبها ، وأخذْنا مِنْ ذكر أسمائِها وأنسابها وأعراقها ، وتفدية الرجال إيَّاها[٨]

(١) ط : « معائبها » بالهمز وهو خطأ صوابه فى ل ، إذ المعايب جمع معاب أو معابة بمعنى العيب ، فياؤه فى الجمع أصيلة غير زائدة فلا يصح قلبها همزة ، مثلها فى ذلك مثل معيشة ومعايش .

(٢) ط : « وخبثها » والكلب يوصف بالجبن .

(٣) الرد : النفع . ماعدا ل : « ودها » ، تحريف .

(٤) ط : « معاطاتها » وهو تحريف . والعظال : الملازمة فى السفاد من الكلب ونحوه .

(٥) ط : « درنها » .

(٦) ط : « والزاغبى من الحمام » وهو تصحيف نبهت على صوابه فيما سبق .

(٧) ط : « الجن » وصوابه فى ل .

(٨) ط : « وتغذية الرجال إياها » وهو تحريف .

واستهتارهم بها ، وذكر كسْبِها وحراستها ، ووفائها وإلْفها وجميع منافعها ، والمرافقِ التى فيها ، وما أُودِعت من المعرِفة الصحيحةِ والفِطَن العجيبة والحسِّ اللطيف[1] والأدب المحمود . وذلك سِوى صِدق الاسترواح وجَودَةِ الشمِّ ، وذِكْر حفظها ونَفَاذها واهتدائها ، وإثباتها لصُوَر أربابها وجيرانها ، وصبرها ، ومعرفتِها بحُقوق الكرام ، وإهانتها اللئام ، وذكر صبْرها على الجفا ، واحتمالها للجوع ، وذكر ذِمامها وشدَّةِ مَنْعِها مَعَاقِدَ الذِّمَار منها[2] ، وذكر يَقَظَتِها وقِلَّة غفلتها[3] وبُعْدِ أصواتها ، وكثرة نسْلها وسرعة قَبولها وإلقاحها وتصرُّفِ أرحامِها فى ذلك ، مع اختلاف طبائِع ذكورها والذكور من غير جنسها ، وكثرةِ أعمامِها وأخوالها ، وتردُّدها فى أصناف السِّباع ، وسلامتها من أعراق البهائم ، وذكر لَقَنِها وحكايتها ، وجودة ثقافتِها ومَهْنِها[4] وخِدمتها ، وجِدِّها ولِعْبها وجميعِ أمورها ؛ بالأشعارِ المشهورةِ والأحاديث المأثورة ، وبالكتُبِ المنزَّلة والأمثالِ السائرة ، وعن تجربةِ النَّاس لها وفِراستِهم فيها ، وما عايَنوا منها ؛ وكيف قال أصحابُ الفأل فيها ، وبإخبار المتطيِّرين عنها ، وعن أسنانها[5] ومنتهى أعمارها وعدد جرائها ، ومدَّةِ حملها ، وعن أسمائها وألقابِها ، وسِماتِها وشِياتها ، وعن دوائها وأدوائها

---

(١) ط : « والحسن اللطيف » وليس بشىء .

(٢) ل : « منتها » موضع « منعها » . ط : « الذمام » مكان « الذمار » . والذمار : مايلزمك حفظه وحمايته ، وأما الذمام فهو الحق .

(٣) ل : « وكثرة غفلتها » وبذلك يفسد المعنى .

(٤) ط : « ثقافها » موضع « ثقافتها » والوجه فى الثانى . إذ الثقاف : هو الجلاد والخصام وماتسوى به الرماح . ولا وجه له هنا . وأما الثقافة فهى من ثقف ككرم وفرح صار حاذقا خفيفا فطنا . . . وفى ل : « وفهمها » بدل « مهنها » .

(٥) ط : « أسنادها » وليس بشىء .

وسياستها ، وعن اللاتى لا تلقَنُ منها[١] وعن أعراقِها والخارجىِّ منها[٢] وعن أصول مواليدها ومخارج بلدانها .

وذكر صاحبُ الديك ما يحفظ من أكلِ الكلابِ لحُوم النَّاس فقال :

قال الجَارود بن أبى سَبْرَة[٣] فى ذلك :

ألم تر أنَّ اللهَ ربِّى بحَوْلِه وقوَّتِه أخزى ابنَ عَمْرَةَ مالـكا

١٠٦ فَمَنْ كانَ عنه بالمغيَّبِ سائلاً فقد صارَ فى أرض الرُّصافةِ هالكا

تظلُّ الـكلابُ العادياتُ يَنُشْنَه إذا اجتَبْنَ مُسْوَدًّا مِنَ الليلِ حالكا[٤]

وقال نُفَيع بن صفَّار المحاربى[٥] من ولد مُحارِب بن خُصَفة[٦] فى حرب قيسٍ وتغلِب :

أفنَتْ بَنِى جُشَم بن بكرٍ حَرْبُنا حتى تعادَلَ مَيلُ تَغلِب فاستوَى

أ كَلَ الـكلابُ أنوفَهم وخُصَاهُمُ فلتَبْكِ تَغْلِبُ للأُنوفِ وللخُصى

وقال أبو يعقوب الُخرَيْمى ، وهو إسحاق بن حسَّان بن قوهى[٧] فى قتلَى حربٍ ببغداد :

---

(١) ط : «لاتلق منها» وهو تحريف .

(٢) الجاحظ يجعل « الخارجى » مقابل «العريق » كما فى البيان ١ : ٣٠، ٩٠ .

(٣) ط : « سمرة » وهو تحريف . قال الجاحـظ فى البيان ١ : ٣٢٩ . « وكان الجارود بن أبى سبرة — ويكنى أبا نوفل — من أبين الناس وأحسنهم حديثا . وكان راوية علامـة شاعرا مفلقا . وكان من رجال الشيعة ولما استنطقه الحجاج قال : ماظننت أنبالعراق مثل هذا ! ! » . توفى سنة ١٢٠ كما فى تقريب التهذيب ص ٢٨ .

(٤) ل : « ينبنه » مكان «ينشنه » ط : « إذا اجتن مستورا » .

(٥) ط : « نقيع بن الصفار المحاربى » وأثبت ما فى ل .

(٦) ط : « خضعة » والصواب « خصفة » كما فى نهاية الأرب ١ : ٣٣٤ .

(٧) ط : « ابن يعقوب الخزيمى . وهو إسحاق بن حسان بن موسى » والصواب ماأثبت من ل ومن تاريخ بغداد ٣٣٦٩ . قال الخطيب : « وأصله من خراسان من بلاد السغد ، وكان متصلا بخريم بن عامر المرى وآ له فنسب إليه . وقيل كان اتصاله بعثمان بن خريم =

وهَل رأيتَ الفتيانَ فى باحة المَعْـــرَكِ مَعفورةً مَنَاخِـرُها[1]
كلّ فــتًى مانعٍ حقيقَتَه يشقَى به فى الوَغَى مَساعِرُها
باتَتْ عليه الكلابُ تنهَشُه مخضوبةً من دمٍ أظافِرُها

وقال أبو الشمقمق (وهو مَرْوان بن محمد ، مولى مرْوان بنِ محمَّد ، ويكنى أبا محمَّد)[2] :

يُوسفُ الشاعرُ فَرْخُ وجَــدُوه بالأُبُلَّه
حَلَقِيٌّ قَــدْ تُلقِّى كامناً فى جَوف جُلَّه[3]
خيَّطوها خشْيَةَ الكلــبِ عليْهِ بِمِسَلَّه

وذُكر لى عن أبى بَكر الهُذَلىّ ، قال : كنَّا عندَ الحسن إذ أقبل وكيع ابن أبى سُود فجلس ، فقال يا أبا سعيد : ما تقولُ فى دم البراغيث يُصيب الثوب : أيصلَّى فيه ؟ فقال : يا عجبا ممَّن يلَغ فى دماءِ المسلمين كأنَّه كلبٌ ، ثم يسألُ عن دم البراغيث !! فقام وكيعٌ يتخلَّج فى مِشيتِه كتخلُّج المجنون ، فقال الحسن : إنَّ لله فى كلِّ عضوٍ منه نعمةً فيستعين بها على المعصية ، اللَّهمَّ لا تجعلْنا ممَّن يتقوَّى بنعمتِك على معصيتك ! !

= وأبوه خريم الموصوف بالناعم » ، ثم قال : « وله مدائح فى محمد بن منصور ابن زياد ويحيى بن خالد وغيرهما . ه . السجستانى : الخريمى أشعر المولدين » . وانظر لخريم الناعم قاموس الزركلى ١ : ٢٩٠ ، وأمثال الميــدانى ٢ : ٢٨١ . والقصيدة فى تاريخ الطبرى ١٠ : ١٧٦ — ١٨٠ .

(١) ط : « ساعة » — ولعلها « ساحة » — موضع « باحة » .

(٢) ترجمتــه فى تاريخ بغــداد ٧١٢٨ وابن خلــكان ، فى تضاعيف ترجمة يزيد ابن مزيد ، ولم يفرد له ترجمة . وأبو الشمقمق اجتمع ببشار وأبى نواس ، ودخل بغداد فى أيام الرشيد ، وهو بصرى .

(٣) ط « حلق بلق » . وانظر شفاء الغليل للخفاجى فى تفســير الحلق . والبلق لعله منسوب إلى البلق بالتحريك بمعنى الحمق ، و« كامنا » هى فى الأصل « كامن » والوجه النصب .

(ما أضيف من الحيوان إلى خبث الرائحة)

وقال صاحب الديك : أشياءُ مِنَ الحيوانِ تُضافُ إلى نتْنِ الجُلُود وخُبث الرائحة ، كريح أبْدان الحيَّات ، وكنتْن التُّيوس وصُنانِ عرَقها ، وكنتن جلدِ الكلب إذا أصابه مطر . وضروبٌ من النَّتن فى سوى ذلك ، نحنُ ذاكروها إن شاء الله تعالى .

وقال رَوح بن زنباع الجُذَامىّ فى امرأته ، وضرب بالكلب المثل :

رِيحُ الكرائمِ معروفٌ لَهُ أَرَجٌ وريحُها ريحُ كلْبٍ مَسَّهُ مَطَرُ

قال : وكانت امرأةُ رَوح بن زِنباع أمَّ جعفر بنتَ النُّعمان بن بشير ، ١٠٧ وكان عبدُ الملك زوَّجه إيّاها ، وقال : إنَّها جاريةٌ حسناء ، فاصبرْ على بَذَاءِ لسانِها .

وقال الآخر :

وريحُ مَجْروبٍ وريح جُلَّه وريح كلبٍ فى غَدَاةٍ طَلَّهْ[1]

وأنشد أبو زيد فى ذلك :

كأنَّ ريحَهُمُ من خُبْثِ طُعْمَتِهِمْ ريحُ الكلاب إذا ما بلّها المطر[2]

ومما ذُكر به الكلبُ فى أكله العَذِرة ، قولُ الراجز :

* أَحرَصُ من كلبٍ على عِقْىِ صَبِى[3] *

وقال مثل ذلك حَنْظَلة بن عَرَادة [فى ذكره] لابنهِ السَّرَنْدَى :

---

(١) ط : « كلة » وتصحيحه من ل .

(٢) ط : « إذا مامسها مطر » . والبيت لحسان بن ثابت فى ديوانه ص ٢٢٧ .

(٣) ط : « عقى » والصـواب بالقاف كما فى ل . والعقى بالكسر : ما يخرج من بطن الولد حين يولد .

ماللسَّرَنْدَى أطالَ اللهُ أَيْمتَهُ خَلَّى أباه بقفر البِيد وادَّلجا[1]
مِجْعٌ خبيثٌ يُعاطِي الـكَلْبَ طُعْمَتَه وإن رأى غفلةً منجارِهِ ولجا[2]
رَبَّيْتـه وهو مثـلُ الفَرْخ أَصْرُبُهُ
والـكلبُ يلحَسُ من تحتِ استِهِ الرَّدَجا[3]

يقال للذى يخرُج من بطن الصبىِّ حين يخرُج من بطن أمه عِقى بكسر العين ، ويقال عقَى الصبى يعـقِى عَقْياً ، فإذا شُدَّ بطنُه للسِّمن قيل قد صُرِبَ ليسمَن[4] . والعِقى وهو العَقْية الغيبة ، وإيَّاه عنَى ابنُ عمر حين قيل له : هلاً بايعت أخاك ابن الزُّبير ؟ فقال : إنَّ أخى وضَعَ يده فى عَقْيَةٍ[5] ودعا إلى البَيعة . إنِّى لا أنزَع يَدِى مِن جماعةٍ وأَضعُها فى فُرقة[6] .

وفى الحديث المرفوع : « الراجعُ فى هِبَتِه كالرَّاجِع فى قَيئِه » . وهـذا المثلُ فى الـكلب .

ويقالُ : « أبخَلُ من كلبٍ على جِيفة » . وقال بعضُهم فى الـكلب : الجِيفة أحبُّ إليـه من اللّحم الغريض ، ويأكل العَذِرة ويرجِـع فى قيئه ، ويشغَر ببَوله فيصير فى جوفِ فيه وأنفه ، ويحذفه تِلقاءَ[7] خَيشومه .

---

(١) ط : « بغبر البيد » .
(٢) ط : « ريح خبيث » وهو تحريف . والمجـع بالكسر : الأحمق ، إذا جلس لم يكد يبرح من مكانه ، والجاهل ، وفيها « جارة » وهو تصحيف .
(٣) ط : « أعظمه » موضع « أصربه» وفى ل « أطعمه » وأثبت مايقتضيه كلام الجاحظ الآتى .
(٤) فى الأصل« اشتد » موضع« شد»،وهو تحريف . وفى ط : « ضرب » مكان « قدصرب » وتصحيحه من ل .
(٥) ط : « قيئة » وبذلك يفوت الاستشهاد . والصواب فى ل .
(٦) ط : « واضعا فى فرقة » .
(٧) ل : « ويسدده » .

وقال صاحب الكلب : إنْ كنتُم إنَّما تستسقطون الكلب[1] وتستسفلونه بهذا وأشباهه ، فالجيفةُ أنتنُ من العذرة ، والعَذرة شرٌّ من القيء ، والجيفة أحبُّ إلى أشراف السباع ورؤسائها من اللحم العبيط الغريض الغضِّ .

(مأكل السبع)

والأسَد سَيِّد السباع ، وهو يأكل الجِيفــةَ ، ولا يعرِض لشرائع الوحش وافتراس البهائم ، ولا للسابلة من الناس ، ما وَجَدَ فى فريسته فَضْلة . ويبدأ بعدَ شُرْب الدَّم فيبقُر بطنَه ويأكل ما فيــه من الغثيثة والثفل[2] والحَشْوة والزِّبل ، وهو يرجع فى قيئه ، وعنه[3] ورِث السِّنَّور ذلك .

(ما قيل فى السبع من الأمثال)

وهو المضروبُ به المثلُ فى النَّجدة والبسالة ، وفى شِــدَّة الإقدام[4] والصَّولة ، فيقال : « ما هو إلاّ الأسد على براثنه » و «هو أشدُّ من الأسد» و « هو أجرَأ من الليث العادى » و « فلان أســدُ البلاد » و « هو الأسد الأسود[5] » . وقيل لحمزة بن عبد المطَّلب أسدُ الله . فكفَاك من نُبْل الأسد أنَّه اشتُقَّ لحمزةَ بن عبد المطَّلب من اسمه . ويقال للملك أَصْيَد إذا أرادوا ١٠٨

(١) ط : « تستسفطون » وهو تصحيف .
(٢) ط : « القيئة » والتفل » وهو تحريف مافى ل .
(٣) ط : « وعند » وتصحيحه من ل .
(٤) ط : « وهو فى شدة الاقدام » وكلمة « هو » مقحمة .
(٥) ط : « الأسور » ولعله « وهو أسد الأسود » .

أن يصفوه بالكِبْر وبقلّةِ الالتفات ، وبأنَّ أنفَه فيه أسلوب[1] ولأنَّ الأسد يلتفت معاً لأنَّ عنقه من عظم واحد . وقال حاتم[2] :

هَلاَّ إذا مَطَرَ السماءُ عليكُمُ[3] ورفعتَ رأسَك مثلَ رأسِ الأصْيَدِ

وقال الآخر :

يَذُودونَ كلباً بالرِّماحِ وطَيِّئاً وتَغلِبَ والصِّيدَ النواظرِ من بَكر

وقال الآخر :

وكم لى بها من أبٍ أصْيَدٍ نَمَاه أب ماجدٌ أصيَدُ[4]

وبعدُ فإنّ الذى يأكل الجيفةَ لم يبعُد من طبعِ كثيرٍ من الناس ؛ لأنَّ من الناس من يشتهى اللحمَ الغابَّ ، ومنهم من يشتهى النَّمَكْسُود[5] . وَلَيْسَ بَيْنَ النَّمَكْسُودِ وبين المصلوب اليابس كبيرُ فرق ، وإنَّما يذبحون الدِّيَكَةَ والْبَطَّ والدَّجاجَ والدُّرّاج من أوّلِ الليل ، ليسترخىَ لحمُها ، وذلك أول التَّجييف[6] .

فالأسد أجمعُ لهذه الخصال من الكلب ، فهلاَّ ذكرتمْ بذلك الأسد وهو أنبهُ ذِكراً وأبعدُ صيتا .

وأمَّا ما ذكرتم من نَتْن الجِلد ومن استنشاق البول ، فإنَّ للتيسِ فى ذلك ما ليس للكلب ، وقد شاركه فى الحذْفِ ببوله تِلقاءَ أنفــه ، وباينَه بشدَّةِ الصُّنان ؛ فإنَّ الأمثالَ لَه أكثرُ ذِكراً . وفى العنز أيضاً عيوب .

---

(١) ل : « وبأن أنفه أسلوب » ط : « . . . فى أسلوب » وسويت العبارة كما ترى . والأسلوب : الشموخ فى الأنف .

(٢) فى الأصل « أبو حاتم » وإنما هو حاتم الطائى ، والبيت من أبيات ستة لها خــبر فى آخر ديوانه بخمسة دواوين العرب ١٢٨ .

(٣) ط : « مطرت سماؤكم بها » ، وفى الديوان :

* ها إنما مطرت سماؤكم دما *

(٤) ط : « نماه لمجد أب أصيد » .

(٥) انظر للنمكسود ماورد فى تذكرة داود .

(٦) ماعدا ل والأمبروزيانا « التجيف » .

وفى توجيـه التيس ببوله إلى حاقِّ خَيشومه قال الشاعرُ لبعض من يهجُوه :

دُعِيتَ يَزِيدَ كَى تَزِيدَ فلم تَزِدْ فعادَ لك المُسْمِى فأَسْمَاك بالقحر[1]

وما القَحْرُ إلاَّ التيسُ يَعْتِك بولُه عَلَيْهِ فيمذى فى لَبَانٍ وفى نحر[2]

وقال آخر فى مثل ذلك[3] :

أَعثمانُ بنُ حَيَّانَ بن لؤم عَتُودٌ فى مفارِقِه يَبولُ

ولو أَنِّى أشافِهُه لشالت نَعامَتُه ويفهـم ما يقول

١٠٩ وبعد فما يُعلَم من صنيع العنز[4] فى لبنها وفى الارتضاع من خلفها إلاَّ أقبحَ .

وقال ابن أحْمَرَ الباهلىُّ فى ذلك :

إنّا وجَدْنا بَنِى سَهْمٍ وجاملهم كالعنز تعطِفُ روْقَيها وتَرْتَضِعُ[5]

وقلتم : هَجَا ابْنُ غادية السلمى[6] بعضَ الكِرام ، حينَ عُزِل عن يَنْبُع ، فقال لمن ظنَّ أنَّه إنَّما عُزِل لمكانه :

رَكِبوك مُرتَحَلاً فظهرُك منهمُ دَبِرُ الحراقفِ والفَقَارِ مُوقَّعُ

كالكلبِ يَتْبَعُ خانِقِيهِ وينتحى نحوَ الذين بهـم يَعِزُّ ويمنعُ

---

(١) ط : « بالفجر » وهو تصحيف مافى ل ، والقحر أصل معناه البعير المسن .

(٢) ط : « الفجر » موضع « القحر » و « يعتل » مكان « يعتك » . يقال عتك عليه يضربه أى لم ينهنهه عنه شىء . . . وفى ل : « ويمذى فى اللبان وفى النحر » .

(٣) هو المرار الفقعسى . انظر حواشى ٥ : ٤٦٤ .

(٤) ل : « فانعلم صنيع » .

(٥) ط : « وجاهلهم » ل : « وحاملهم » وتصحيحه مما سيأتى فى هـذا الجزء ص ٣٥٤ و من عيون الأخبار ٢ : ٧٥ . والجامل : قطيع الإبل معه رعيانه وأربابه .

(٦) ط : « السلمحا » وفى ل : « عادية » بالعـين . وأثبت ما فى س و م .

وقال ابن هَوْمة الفِهرىّ :

فما عادَت لذِى يمنٍ رءوسا ولا ضَرَّت بفُرْقتها نِزارَا
كعَنْزِ السَّوْءِ تَنْطَحَ مَنْ خَلَاهَا وتَرْأَمُ مَنْ يُحِدُّ لها الشِّفارَا

وما نعلم الرُّجوعَ فى الجِرَّة ، وإعادةَ الفرثِ إلى الفم ليُستقصَى مضغُه إلَّا أسمجَ[1] وأقذَرَ من الرُّجوعِ فى القَىْء . وقد اختار الله عَزَّ وجلَّ تلك الطبيعةَ للأنعام ، وجعل الناسَ ليسوا لشيءٍ من اللُّحمان أشدَّ أكلًا ولا أشدَّ عَجباً بِهِ منكم[2] ، ولا أصلحَ لأبدانهم ولا أغْذَى لهم من لُحُومِ هذه الأنعام أفتائِهَا ومَسَانِّهَا .

وقال صاحبُ الديك : ما يشبه عَوْدُ الماشيةِ فى الجِرَّة ، ورجوعُها فى الفرث تطحَنُه وتُسيغه ، الرجُوعَ فى القىء . وقد زعمتم أنَّ جِرَّةَ البعيرِ أنتنُ مِن قَىءِ الكلاب لطول غُبُوبها[3] فى الجوف ، وانقلابها إلى طباع الزِّبل ، وأنَّها[4] أنتن من الثلط . وإنَّما مثل الجِرَّة مثل الرِّيق الذى ذكره ابنُ أحمر فقال :

هذا الثناءُ وأجْدِرْ أن أُصاحبه وقَدْ يدوِّمُ رِيقَ الطَّامِعِ الْأَمَلُ[5]

فإنَّمَا مَثَلُ القَىءِ مَثَلُ العَذِرَة ؛ لأنَّ الرِّيق الذى زعمتم ، مادامَ فى فمِ

(١) ط : « إلى السمع » وهو تحريف مافى ل .
(٢) وضعت كلمة (به) فى ط بعد أكلا . وتصحيحه من ل .
(٣) ط : « غيوبها » والغيوب صحيحة ، والأشبه « غبوبها » بالباء كما مضى قريبا وكما فى ل .
(٤) فى ط : « وأنه » وفى ل : « وأنهما » والوجه ما أثبت لأن الضمير راجع إلى الجرة .
(٥) ط : « يصاحبه » و « يداوم » وتصحيحه من ل ومن البيان ١ : ١٨٠ .

صاحبه ، ألذُّ من السلوى ، وأمتعُ من النسيم ، وأحسنُ موقعاً من الماء البارد من العطشان المسهوم . والريقُ كذلك مالم يزايِل موضعَه ، ومتى زايل فَمَ صاحبِه إلى بعض جِلْده اشتدّ نتْنه وعادَ فى سبيل القَىء .

١١٠ فالرِّيق والجِرَّةُ فى سبيلٍ واحد ، كما أنَّ القَىء والعَذِرة فى سبيل واحد . ولو أن الكلبَ قَلَسَ حتَّى يمتلئُ منه فمه ، ثم رجع فيه من غيرمباينةٍ له ، لكان فى ذلك أحقَّ بالنظافة من الأنعام فى جِرَّتِها ، وحشيِّها وأهليِّها ، وإنَّ الأرانبَ لَتَحيضُ حيضاً نَتِناً ، فما عاف لحمَهَا أصحابُ التَّقَذُّرِ[١] لمشاركَتِهاَ الأنعامَ فى الجِرَّة .

فقال صاحب الكلب : أمَّا ماعبتموه من أكْلِ العَذِرة ، فإنَّ ذلك عامٌّ فى الماشيةِ المتخيَّرِ لحمُها على اللُّحْمان ؛ لأنَّ الإبل والشياه[٢] كلّها جلّالة وهُنَّ على يابسِ ما يخرُجُ من الناسِ أحرَصُ ؛ وعلى أنّها إذَا تعوَّدت أكلَ ما قد جفَّ ظاهرُه وداخلُه رطبٌ ، رَجَع أمرُها إلى ما عليه الكلب . ثم الدَّجاج لا تَرْضَى بالعَذِرة ، وبما يَبْقَى من الحبوبِ التى لم يأتِ عليها الاستمراء والهضْم ، حتَّى تلتمِس الديدانَ التى فيها ، فتجمع نوعين من العذرة[٣] لأنها إذا أكلت ديدان العَذِرَةِ فقد أتتْ على النَّوْعين جميعاً . ولذلك قال عبد الرحمن بن الحكَمَ[٤] فى هجائِه الأنصار بخبيث الطعام ،

---

(١) ط والأمبروزيانا : « التقزز » وهو الاشمئزاز . والتقذر من تقذر الشيء : عده قذرا .

(٢) فى الأصل : « الشاة » والوجه الجمع كما صنعت .

(٣) ط : « فيجتمع نوعان » .

(٤) ط : « ابن أم الحكم » والصواب ما أثبت من ل . وعبد الرحمن بن الحكم هذا شاعر إسلامى متوسط الحال فى شعراء زمانه . وكان يهاجى عبد الرحمن ابن حسان بن ثابت الأنصارى فيقاومه ، وينتصف كل واحد منهما من صاحبه . له ترجمة فى الأغانى ١٢ : ٦٩ - ٧٣ . وأما عبد الرحمن بن أم الحكم فهو ممن ولى الكوفة وأساء بها السيرة ، وولاه خاله معاوية عدة أعمال فذمه أهلها ، وتظلموا منه فعزله واطرحه . الأغانى ١٣ : ٣٢ .

فضرب المثلَ بالدَّجاج من بين جميع الحيوان ، وتركَ ذِكر الكلاب وهى له مُعْرِضة فقال :

وللأَنْصارُ آكَلُ في قُرَاها   لخبْثِ الأَطْعِمَاتِ مِنَ الدَّجاجِ [1]

ولو قال :

وللأَنْصَارُ آكَلُ في قُرَاها   لخبْثِ الأَطْعِمَاتِ مِنَ الْكِلَابِ

لكانَ الشِّعْر صحيحاً مُرضياً .

وعلى أنَّ الكلابَ متى شبِعت ، لم تعرض للعَذِرة . والأنعامُ الجَلَّالةُ وكذلك الحافِر ، قد جعلت ذلك كالحَمْضِ إذا كانت لها خَلَّةٌ ؛ فهى مَرَّةً تتغذَّى به ومرة تتحمَّض . وقد جاء فى لُحوم الجَلَّالة ماجاء .

(رغبة الملوك والأشراف فى الدجاج)

وملوكُنا وأهلُ العيشِ مِنَّا ، لايرغبون فى شىءٍ من اللُّحمان رغبَتَهم فى الدَّجاج ، وهم يقدِّمونها على البطِّ والنواهض ، والقَبَجِ والدُّرَّاج . نعم وعلى الجِداء والأَعْنُقِ الحُمْرِ من بَنَاتِ الصَّفَايا . وهم يعرفُون طبعها وسوء قُوتِها [2] ، وهم مع ذلك يأكلون الرَّواعِيَ كما يأكُلون المسمَّنات .

(الشبوط أجود السمك)

وأطيبُ مافى الأنهار من السمك ، وأحسنُها قُدوداً وخَرْطاً ، وأسبطُها سُبُوطا [3] ، وأرفعُها ثمنا وأكثرُها تصرُّفا فى المالح والطرىّ ، وفى

(١) ل : « كخبث » وهو تحريف .
(٢) ط : « وشهوتها » .
(٣) ل : « سباطة » يقال سبط سباطة وسبوطة وسبوطا .

القَرِيسِ والنَّشوطِ الشَّبُّوطُ[1] ، وليس فى الماء سمكةٌ رفيعةُ الذكر ولا ذاتَ خمول ، إلَّا وهى أحرصُ على أكْل العَذِرة منها ، وإنّها [فى ذلك[2]] لأَشدُّ طلباً لها من الخنزير فى البرِّ ، والجِرِّىِّ فى البحر .

(لحم الخنزير)

وقد عَلِم الناسُ كيفَ استطابةُ أكلِ لُحومِ الخنازير ، وأكلُ الخنازيرِ لها ، وكيف كانت الأَكاسرة والقياصرةُ يقدِّمونها ويفضِّلونها . ١١٢

ولولا التعبُّدُ لَجَرى عندنا مَجْرَاه عندَ غيرِنا .

وقد علم النَّاسُ كيف استطابةُ أكل الجِرِّىِّ لأذنابها[3] .

(ما قيل فى الجرى)

وفى الجِرِّىِّ قال أبو كَلْدة : هو أُدْم العُميان ، وجيِّدٌ فى الكَوْشَان[4] ودواءٌ للكليتين[5] ، وصالحٌ لوجَع الظهر وعَجْبِ الذَّنب ، وخِلافٌ على اليهود ، وغيظٌ على الروافض ؛ وفى أكله إحياءٌ لبعض السُّنن ، وإماتةُ بعضِ البِدَع ، ولم يُفْلَجْ عليهِ مُكثِرٌ منه قطُّ ، وهو محنةٌ بين المبتدِع

(١) فى القاموس : سمك قريس : طبخ وعمل فيه صباغ وترك حتى جمد . وفى مبادئ اللغة ٧٤ : « والقريس : لحم يطبخ بخل ثم يبرد » . وهى فى ط « القريش » وفى ل : « القريص » وهما كلمتان محرفتان . . وأما النشوط فهى كلمة ساقطة من ط . والنشوط : سمك يمقر فى ماء وملح .

(٢) التكملة من الأمبروزيانا .

(٣) فى ط : « لأذنابها محشوا » وفى ل : « لأذنابها محسيا » ومحسيا ومحشوا كلمتان مقحمتان فأسقطتهما . واللام فى « لأذنابها » بمعنى إلى .

(٤) الكوشان : طعام لأهل عمان من الأرز والسمك .

(٥) ط : « فى الكليتين » وهو تحريف .

والسُّنِّى ، هلك فيه فِئَتَانِ[1] مذ كانت الدنيا : محلِّلٌ ومحرِّم .

وقال أبو إسحاق : هو قبيح المنظر ، عارى الجلدِ ، ناقصُ الدّماغِ ، يلتهم العَذِرة ويأكل الجرذان[2] [صحاحاً والفأرَ] ، وزَهِمٌ لا يُستَطاعُ أكلُه إلّا محسيًّا[3] ولا يتصرَّفُ تصرُّفَ السمك ، وقد وقع عليه اسم المِسْخ ، لا يَطِيب مملوحاً ولا ممقوراً ، [ولا يؤكل] كباباً ، ولا يُختارُ مطبوخاً ، ويُرمَى كلُّه إلّا ذنَبه[4] .

والأصناف التى تَعرض للعَذِرة كثيرة ، وقد ذكرنا الجَلّالاتِ من الأنعامِ والجِرِّىِّ والشَّبُّوطِ من السمك . ويعرِض لها من الطير الدَّجاجُ والرَّخَمُ والهَداهِد .

(الأنوق وما سمى بهذا الاسم)

وقد بلغ من شَهوة الرَّخَمَة لذلك ، أنْ سمَّوها الأنوق ، حتى سمَّوا كلَّ شىْءٍ من الحيوان يعرِض للعذِرة بأنوق ، وهو قول الشاعر :

حتَّى إذَا أضحى تَدَرَّى واكتحل   بجارتَيـــه ثم ولَّى فنثلْ

* رِزقَ الأُنُوقَينِ القَرَنْبَى والُجعَل[5] *

(١) ط : « فتيان » وليس بشىء .

(٢) ط : « يلتقم العذرة ويبتلع الجرذان » .

(٣) هذا مافى ل . وانظر ماسيأتى فى ٥ : ٤٥٢ و ٦ : ٣٥٩ ، وكتاب الطبيخ للبغدادى ٦٤ حيث ذكر صفة المحسى . وفى سائر النسخ « محسوا »

(٤) ل : « بكله إلا ذنيبه » .

(٥) فى الأصل : « ذرق » صوابه من ٣ : ٥٠٣ .

(ما قيل من الشعر فى الُجعَل)

ولشدَّة طلب الجعل لذلك قال الشاعر :

يبِيت فى مجلس الأقوام يَربَؤُهم كَأَنَّه شُرَطىٌّ بَاتَ فى حَرَس

وكذلك قال الآخر[1] :

إذا أتَوه بطعامٍ وأَكَلْ[2] بَاتَ يعشِّى وَحْدَه ألفَىْ جُعَل

هذا البيتُ يدلُّ على عِظَم مقدار النَّجْو ، فهجاه بذلك ، وعلى أنَّ الُجعَل يقتات البَراز .

وفى مثل ذلك يقول ابن عَبْدَل — إن كان قاله — وإنما قلت هذا لأنَّ الشعر يَرتفِع عنه .

والشعر قوله :

نِعْم جارُ الخنزيرةِ المرضعُ الغر ثى إذا ما غدا أبو كلثومِ[3]

ثاوياً قد أصابَ عند صديقٍ من ثَريدٍ ملبَّقٍ مأدُوم[4]

ثم أنحى بجعره حاجبَ الشمـ سِ فألقَى كالمِعْلَفِ المهْدُوم[5]

بضَريطٍ ترى الخنازير منه عامداتٍ لتلِّهِ المركوم

١١٢ وقال الراجز [فى مثل ذلك] :

قد دقَّهُ ثَارِدُهُ وصَوْمَعَا[6] ثُمَّتَ أَلبَانَ البَخاتِى جَعْجَعَا

(١) ط : « ولذلك قال الشاعر » وهو تحريف .

(٢) هذا البيت ساقط من ل .

(٣) ط : « نعم جاز الخنزيرة المرضع الفرثى » ، وتصحيحه من ل ومن البيان ٣ : ٣١١ .

(٤) ثريد ملبق : ملين بالدسم .

(٥) ط : « ثم أنحى بجمده » وهو على الصواب فى ل والبيان .

(٦) ط : « فردقة ثاردة » وهو تصحيف ما فى ل . فى القاموس : ثريدة مصومعة : مدققة الرأس .

جَعْجَعَةَ العَوْدِ ابْتَغَى أنْ يَنْجَعا(١)   ثُمَّتَ خوّى بارِكاً واسْتَرْجَعا

* عَن جاثِمٍ يُحْسَبُ كلباً أبقعا(٢) *

وفى طلب الجُعَل للزِّبْلِ قال الراجز (وهو أبو العُصْن الأسَدى) :

ما ذا تلاقى طَلَحاتُ الحرجه   من كل ذات بُخنقٍ غمَلَّجه(٣)

ظَلّ لها بَيْنَ الحلال أَرَجَه(٤)   مِنَ الضُّرَاطِ والفُسَاءِ السمجه(٥)

فجئتُها قاعِدَةً منشجه(٦)   تعطيه عنها جُعَلاً مُدحرجَه

وقال يحيى الأغرّ : تقول العرب « سَدِكَ به جُعَلُه(٧) ». وقال الشاعر :

إذا أتيتُ سُليمَى شَبَّ لى جُعَلٌ   إنَّ الشقيَّ الذى يُغْرَى به الجُعَلُ(٨)

يضرب هذا المثلُ للرَّجل إذا لَصِقَ به من يكره ، وإذا كان لايزال يراه [وهو] يهرُب منه .

قال يحيى : وكان أصلُه ملازمةَ الجُعَل لمن بات فى الصحراء ، فكلَّما قام لحاجةٍ تبِعه ؛ لأنَّه عنده أنَّه يريد الغائط .

(القرنبى)

وفى القَرَنْبَى يقول ابنُ مقبل :

---

(١) ط : « جعجعة العواء تبغى تنجعا » وهو كلام مشوه تصحيحه من ل .

(٢) فى القاموس : « البقع محركة فى الطير والكلاب كالبلق فى الدواب » وفيه : « البلق : سواد وبياض » وفى ل : « كبشا أبقعا » والوجه ماأثبت من ط .

(٣) ط : « نجنق » ولا معنى له وصوابه فى ل . والبخنق : خرقة تتقنع بها الجارية .

(٤) ل : « بين الحجال »

(٥) ل : السمهجة » .

(٦) ل : « مفسحة » .

(٧) ط : « سرك به جعله » وإنما هى سدك - بمعنى لزم - كما فى ل . وفى الأمثال : « ألصق من جعل » .

(٨) شب ، أى أتيح . وعنى بالجعل الواشى . أمثال الميدانى ٢ : ١٨٠ .

ولا أطرُق الجارات بِاللّيل قابعاً قبُوعَ القَرَنْبَى أخلَفَتْه مجاعره[١]

والقبوع: الاجتماع والتقبض. والقَرَنْبى: دويْبّةٌ فوق الخُنْفَساء ودونَ الجعل، وهو والجعل يتْبعان الرَّجلَ إلى الغائط.

(الهدهد وخبث ريحه)

ومن الطَّير الذى يُضارِع الرَّخمة فى ذلك الهدهدُ، منتنُ البَدَن وإن لم تجدْه ملطخاً بشىءٍ من العَذِرة؛ لأنَّهُ يبنى بيته ويصنع أُفحوصَه من الزِّبل، وليس اقتياتُه منه إلاّ على قدْر رغبتِه وحاجته فى ألاّ يتَّخذ بيتاً ولا أُفحوصاً إلاّ منه، فخامَرَه [ذلك] النَّتنُ فعَلِق ببدنه وجرى فى أعراق أبويه؛ إذ كان هذا الصنيع عامًّا فى جنسه[٢].

وتعترى هذه الشَّهْوةُ الذِّبان، حتَّى إنَّها لو رأتْ عسلاً وقذَرا، لكانت إلى القذَر أسرعَ. وقال الشاعر[٣]:

قَفاً خَلْفَ وَجْهٍ قَدْ أُطِيلَ كأنَّه قفامالِكٍ يُقْصِى الهُمومَ عَلَى بَثْقِ[٤]

وأعظمُ زهوًا من ذُبابٍ على خِرًا[٥] وأبخَلُ من كَلْبٍ عَقُورعلى عَرْقِ[٦]

ويزعمون أَنَّ الزُّنبورَ لهِجٌ بصيد الذِّبان، ولا يكاد يصيده[٧] إلاَّ وهو

(١) ط وأمثال الميدانى ٢: ١٨٠. « محاجره » وأثبت مافى ل.

(٢) ط: « إذ كان هذا التضيع عاما فى جنبه » وهو تحريف مافى ل.

(٣) هو أبو نواس الحسن بن هانئ كما سيأتى وكما فى البيان ٣: ٣٥٤ وعيون الأخبار ١: ٢٧٣ والشعراء ٧٦٠. والشعر فى هجاء جعفر بن يحيى البرمكى.

(٤) البثق: منبعث الماء. ماعدا ل: « ثبق ».

(٥) ل: « خر ».

(٦) العرق بالفتح: العظم بلحمه. فإذا أكل لحمه فعراق - كغراب - أو كلاهما لكليهما.

(٧) ط: « يصيد » والوجه مافى ل.

ساقطٌ على عذرة لفَرْط شَهْوتِه لها [ولا ستفراغها]، فيعرِف الزُّنبور ذلك ، ٩١٣
فيجعل غَفلتَه فُرصة ونُهْزة . قالوا : وإنَّما قلنا ذلك لأنَّا لم نجِدْه يرومُ صيدَه
وهو ساقِطٌ على ثمرةٍ ، فما دونها فى الحلاوة .

(شعر فى الهجاء)

وقال أبو الشَّمقمق فى ذلك :

الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ جاءكمُ الأحـــمقُ رأس الأَنتانِ والقَذِره
وابْنُ عمٍّ الحمارِ فى صورةِ الفِيـــلِ وخالُ الجاموسِ والبقَره
يمشى رُويداً يريد حَلْقتكم كمشى خِنزيرةٍ إلى عَذِره[1]

وقال حَمَّادُ عَجْرَد فى بشَّارِ بْنِ بُرْدٍ العُقَيليّ :

ما صَوَّرَ الله شِبْهاً لَه مِنْ كلٍّ مَنْ مِنْ خَلْقِه صَوَّرا
أَشبَهَ بِالخِنزيرِ وجهاً ولا بالكلب أعراقاً ولا مَكْسِرا[2]
ولا رأينا أحداً مثله أنجسَ أو أطْفَسَ أو أقذرا[3]
لو طُلِيتْ جِلدتُه عنبراً لنتَّنت جِلْدتُه العَنْبرا[4]
أو طُلِيت مِسكاً ذَكيًّا إذَنْ تَحوَّلَ المِسْكُ عليه خِرَا

وقال أبو نُواس فى هِجاء جَعْفرِ بْنِ يحيى بن خالد البرمَكىّ :

إذا ما مدحتُ فتًى من خِرَا أَليس جزائى أن أعطَى الخرَا[5]

وقال أعرابىٌّ يهجو رجلاً يقال له جُلمود بن أوس ، كان مُنتِنَ العرق :

---

(١) ط : « يريد خلعتكم مشى » والوجه مافى ل .
(٢) المكسر — كمنزل — : الأصل والمخبر .
(٣) الطفس بالتحريك : قذر الإنسان إذا لم يتعهد نفسه . وطفس كقذر وزنا ومعنى .
(٤) فى شرح المقامات للشريشى ٢ : ١١٤ : « لأفسدت » .
(٥) ط : « من خرى » ل « من خر » . وفى ط : « أعطى الخرا » .

إنّى إذا ما عارضى تألَّقا[١] ورَعَدت حافته وبَرَقا
أهلكتُ جُلمودَ بنَ أَوس غرَقا كانَ لحمقاءَ فصارَ أَحمَقا
* أخبث شيءٍ عَرَقاً وخِرَقاً[٢] *

وقال حمَّادُ عَجْرَدٍ فى بَشَّار :

يا ابنَ بُرْدٍ اخْسَأْ إليك فمثلُ الـ كلب فِى الخلْق أَنْتَ لا الإنْسَان[٣]
بَلْ لعَمْرى لأَنْتَ شَرٌّ من الكلـب وأولَى مِنْه بكلِّ هَوَانِ
ولَريحُ الخِنْزِيرِ أطيَبُ مِنْ ريـحِكَ يا ابْنَ الطَّيان ذى التُّبَّانِ

وقال بعض الشعراء فى عبد الله بن عُمير :

١١٤ غزَا ابنُ عُميرٍ غَزْوةً تركَتْ له ثَناءً كَريحِ الجَوْرَبِ المتخرقِ

وقال حمَّادُ عَجْرَدٍ فى بشَّار[٤] :

قُلْ لشَقِىِّ الجَدِّ فى رَمْسِه ومَن يفِرُّ الناسُ من رِجْسِه[٥]
لِلقردِ بَشَّارِ بْنِ بُردٍ ولا تَحْفِل برغم القرد أو تَعسه[٦]
للقِرْدِ باللَّيْثِ اغترارٌ به فَما الَّذى أدناك من مَسِّه[٧]
يا ابنَ استِها فاصبِرْ على ضَغْمةٍ بنابِهِ يا قِردُ أَوْ ضِرْسِهِ
نهارُه أخبثُ من ليلِه ويومُه أخبثُ من أمسِهِ

---

(١) ط : « إذا عارضنى تألقا » .
(٢) ط : « أحرقا وعرقا » .
(٣) فى ط نقصان كلمة (إليك) وبذلك يختل البيت . والشعر من الخفيف لحقه التشعيث فى البيت الأول والثالث . وانظر الأغانى ٣ : ٢١ .
(٤) الشعر فى أمالى المرتضى ١ : ٩٣ ومعاهد التنصيص ١ : ١٠٠ .
(٥) ل : « . . . فى رمسه وأمه الشلافة الرجسة » وهو تحريف .
(٦) ط : « نخسه » ولعلها « نحسه » وأثبت ما فى ل .
(٧) ل : « ماالذى أدناك » .

وليس بالمُقْلِع عن غَيِّه[1] حتى يُدلَّى القِردُ فى رَمْسِه

ما خَلقَ اللهُ شبيهاً له من جِنِّه طُرًّا ومن إنْسِهِ

واللهِ ما الخنزيرُ فى نَتْنِه من رُبْعه بالعُشْر أو خُمْسِهِ

بل ريحُه أطيبُ من ريحِهِ ومسُّه ألينُ مِن مسِّهِ

ووجهُه أحسنُ من وَجهِه ونفسُه أنبَلُ من نفسهِ

وعودُه أكرمُ من عُودِه[2] وجِنسُه أكرمُ من جِنسهِ

وأنا حفظك الله تعالى أستظرِف وضعَه الخنزيرَ بهذا المكان وفى هذا الموضع ، حين يقول : وعُودُه أكْرَمُ من عُودِه .

وأىُّ عودٍ للخنزير[3] ؟ ! قَبَحه الله تعالى ، [وقبح من يشتهى أكله] .

وقال حمَّادُ عجرد فى بشَّار بن بُرد :

إنَّ ابنَ بُردٍ رأى رُؤيَا فأوَّلَها[4] بلا مَشُورةِ إنسانٍ ولا أَثَرِ

رأى العَمَى نِعمةً لله سابغة عليه ، إذ كانَ مكفوفاً عن النَّظرِ

وقال : لولَمْ أكُنْ أعمَى لكنتُ كما قد كانَ بُرْدٌ أَبِى فىالضِّيقِ والعُسُرِ

أكدُّ نفسىَ بالتطيين مجتهِداً إمَّا أجيراً وإمَّا غيرَ مُؤتَجِرِ

أو كنتُ إنْ أنا لم أقنَعْ بفعلِ أبى قَصَّابَ شاءٍ شَقِىَّ الجَدِّ أو بَقَرِ

كإخوتى دائباً أشقَى شقاءَهُمُ فى الحرِّ والبردِ والإدلاج وَالْبُكَرِ

فقد كفانى العَمَى من كلِّ مَكْسَبَةٍ والرِّزقُ يأتى بأسبابٍ من القَدَرِ[5]

---

(١) كذا فى معاهد التنصيص . وفى ط : « غيله » و ل : « فعله » .

(٢) ط : « أحسن » وارتضيت مافى ل ومعاهد التنصيص .

(٣) ط : وعوده أكرم من عوده أين عود الخنزير من الكرم » . ووضع الكلام بهذه الصورة من تلاعب النساخ . وقد رددت الأمر إلى نصابه ، معتمدا مافى ل .

(٤) ل : « فقال بها » .

(٥) ط : « بأنواع من القدر » .

١١٥ فصرتُ ذا نَشَبٍ من غير ماطلب ... إلاَّ بمَسْألتى إذ كنت فى صِغَرِى[١]

أضمُّ شيئاً إلى شئٍ فأذخره[٢] ... ممَّا أجمِّع من تمر ومن كِسَرِ

مَن كان يعرفُنى لو لم أكن زَمِناً ... أو كان يبذُل لى شيئاً سِوى الحَجَر ؟!

فقُل له لا هَداه اللهُ مِن رجُلٍ ... فإنَّها عُرَّةٌ تُربِى على العُرَر[٣]

لقد فطِنتَ إلى شئٍ تعيش به ... ياابنَ الخبيثة قد أدقَقْتَ فى النظر[٤]

ياابنَ التى نَشَزَت عن شيخ صِبْيَتها ... لأَير ثوبانَ ذى الهامات والعُجَر[٥]

أما يكفُّكَ عن شَتْمى ومنقَصَتى ... ما فى حِرامِّك من نَتْنٍ ومن دَفَرِ[٦]

نفَتْكَ عنها عُقَيلٌ وهى صادقة ... فسل أسيداً وسل عنها أبا زُفَرِ[٧]

ياعبدَ أمِّ الظباء المستطبٍّ بها ... من اللَّوَى، لستَ مولى الغُرِّ من مُضَر

بل أنتَ كالكلب ذُلاًّ أو أذلُّ وفى ... نَذَالةِ النفس كالخنزيرِ واليَعَر[٨]

وأنتَ كالقردِ فى تشويه منظرِه ... بل صورةُ القرد أبهى منك فى الصُّوَرِ

ووصف ابنُ أبى كريمة حُشًّا له ، كان هو وأصحابه يتأذَّون بريحه فقال :

ولى كَنيفٌ بحَمْدِ اللهِ يطرقنى ... أرواح وادى خبال غير فَتَّار[٩]

---

(١) ط : « إلا بمسئلتى إن كنت فى صفر » وهو تحريف .

(٢) ط : « فأحرزه » .

(٣) العرر : المساوى والمثالب . فى ط : « لاهداك الله » .

(٤) ط : « لاقد » وهو تحريف ، وفيها « قد وفقت فى النظر » .

(٥) ط : « عن شيخ مبيتها لايرميان يذى » وهو تحريف .

(٦) كذا فى ل . وفى ط : « ذفر » بالذال . وهما بمعنى . فى أدب الكاتب ١٥٧ : « الذفر : شدة ريح الشىء الطيب والشىء الخبيث » .

(٧) ط : « فسل أسيد أو فاسأل» .

(٨) اليعر ، ساكنة العين : الشاة أو الجدى يشد عند زبية الذئب أو الأسد . ومن أمثالهم : « هو أذل من اليعر » . وقد جاء محركا فى هذا الشعر . وفى ط : «وفى نذالة النفس والخنزير والنقر ».

(٩) كذا فى ل . وفى ط : « وارى خيال » ، وفى س : « وادى خيال » وفى م : « واد خبال » .

له بدائعُ نَتْنٍ ليس يَعرفها[1] من البَرِيَّةِ إلاَّ خَازِنَ النَّـارِ
إذا أتانى دَخِيلٌ[2] زَادَنِى بِدَعاً كَأَنَّهُ لَهِجٌ عَمْـداً بإِضْرَارِى
قد اجتوانِى له الخُلاَّنُ كلُّهُم وباعَ مَسْـكَنَه مِن قُرْبه جارى
فمن أرادَ من البِرْسَـامِ أقتلَهُ أو الصُّدَاعِ فمُرْه يدخُلَنْ دارى
استـكْثَفَ النَّتنُ فى أنفى لـكثرتِه فليس يوجِدُنيه غيرُ إضمارى[3]

(ثروة المحلول من الشعر)

وقيل للمحلول[4] : ويلكَ ، ما حفظتَ بيتَ شعرٍ قط ؟ فقال : بيتاً واحداً اشتهيته فحفظتُه . فقيل له : فهاته . فقال : أمَا إنِّى[5] لا أحفَظُ إلاَّ بيتاً واحداً . قيل : فكيف رزق منك هذا البيت ؟ فَأَنْشِدْهُ ، فَأَنْشَدَهم :

كأَنَّمـا نَـكْهَتُهَا مِدَّةٌ تَسِيلُ من مَخْـطَةِ مَجْذُومِ

وزعم أصحابنا أنّ رجُلاً من بنى سعد — وكان أنتنَ الناس إبطاً — بلَغه أن ناساً من عبد القيس يتحدَّثونَه برجلٍ منهم ، فمضى إليهم شدًّا ، فوافاهم ١١٦ وقد أَزْبَدَ[6] إبطاه ، وهو يقول :

أقبلتُ مِنْ جَلْهَةِ ناعتينا[7] بِذِى حُطاطٍ يُعطِسُ المخْنُونا[8]

---

(١) كذا فى ط . وفى ل : « يعجزها » وليس بشئ .
(٢) ط : « بخيل » موضع « دخيل » .
(٣) يوجدنيه : يجعلنى أشعر بوجوده . وفى ط : « يوجد فيه » وهو تحريف .
(٤) روى الجاحظ خبرا له فى البيان ٣ : ٢٢٦ . وفى البخلاء ٩٩ مايفيد أن المحلول مولى لتمام بن جعفر .
(٥) فى الأصل : « أما أنا » .
(٦) ط : « زيد » .
(٧) فى معجم البلدان والقاموس أن « ناعتين » موضع ؛ ولم يعينه واحد منهما .. وفى ط : « باعثينا » محرفة .
(٨) الحطاط بالضم : الرائحة الخبيثة . والمخنون : المزكوم ، وأصله من الخنان فى الإبل وهو لها كالزكام للناس . . وفى ط : « بـذى حضيض يعطش المجنونا » وهو تحريف .

يَزْوِى له من نَتْنِه[1] الجَبينا   حتَّى تَرَى لوجهِهِ غُضُونا

* نُبِّئْتَ عبدَ القيس يَأبِطونا *

قال : ومتَح أعرابىٌّ على بئرٍ وهو يقول :

يارِيَّها إذا بَدا صُنَانِى   كأنَّنِى جانى عُبَيْثُرَانِ[2]

وقال آخر :

كأنَّ إبطىَّ وقد طالَ المدى   نَفْحَةُ خُرْءٍ مِنْ كَوَامِيخِ القرى[3]

ويقال إنَّهُ ليس فى الأرض رائحةٌ أنتنُ ، ولا أشَدُّ على النفس ، من بَخَرِ فمٍ أو نَتْنِ حِرٍ ، ولا فى الأرض رائحةٌ أعصمُ لرُوحٍ من رائحة التفاح .

وقال صاحب الكلب : فما نرى النَّاسَ يَعافُون تسميدَ بُقولِهم قبل نُجومِها وتفتُّقِ بزورها[4] ولا بعد انتشارِ ورقها وظهورِ موضع اللُّبِّ منها حتَّى ربَّمَا ذَرُّوا عليها السَّمادَ ذَرًّا ، ثُمَّ يُرسَل عليها الماءُ حتى يَشْرَبَ اللُّبُّ[5] قُوى العذرة ، بل مَن لهمْ بالعَذِرة ؟! وعلى أنَّهُم ما يصيبونها إلاّ مغشوشةً مُفْسَدَة . وكذلك صنيعُهم فى الريحان . فأمَّا النَّخْلُ فلو استطاعوا[6] أن يَطْلُوا بها الأجذاعَ طلياً[7] لفعلوا . وإنَّهم لَيُوقدون بها

---

(١) ط : « من شمه » .

(٢) العبيثران . قال ابن سيده : « هو من ريحان البر طيب الريح ، قريب الشبه من القيصوم ونوره مثل نورده وهو أطيب منه . . . وقيل هو أغبر شبيه بالقيصوم إلا أن له شمراخا مدلى ، عليته نور أصفر شبيه بالذى يكون فى وسط الأقحوان . ويوضع فى المجالس مع الفاغية فلا يفوقه ريحان » . وهى فى ط : « عبيثرانى » محرفة .

(٣) النفحة : الدفعة . . وهى فى ط : « لقحة » . وانظر عيون الأخبار ٣ : ٦٣ .

(٤) ل : « بذورها » بالذال ، وهما بمعنى .

(٥) ط : « يشرب موضع اللب » و « موضع » مقحمة .

(٦) ط : « استطالوا » وهو تحريف مافى ل .

(٧) ط : « طلبا » وهو تحريف ظاهر .

الحَمَّامات وأَتاتينَ المِلاَل[١] ، وتنانير الخبز . ومن أكرم سَمادهم الأبعارُ كلُّهَا والأخثاءُ إذا جفَّت . وما بينَ الثَّلط جَافا والخثاء يابساً ، وبين العَذِرة جافَّةً ويابسةً فرق . وعلى أنَّهم يعالِجون بالعَذِرة وبخُرْءِ الكلب ، من الذُّبحة والخانُوق[٢] فى أقصى مواضِع التقزُّز[٣] وهو أقصى الحلق ، ومواضع اللهاة[٤] ، ويضعونَها على مواضع الشَّوكة ، ويعالجون بها عُيونَ الدَّوابّ .

(أقوالٌ لمسبِّحٍ الكناس)

وقال مسبّح[٥] الكناس: إنَّما اشتُقَّ الخير من الخُرْءِ . والخرء فى النوم خير . وسَلْحَةٌ مُدرِكَةٌ ألذُّ مِن كَوْمِ العَروس ليلةَ العُرس . ولقد دخلتُ على بَعْضِ الملوك لبعض الأسباب ، وإذا به قُعاصٌ وزُكام وثِقَلُ رأس ، وإذا ذلك قد طاولَه ، وقد كان بلغنى أنَّه كان هجَر الجلوس على المقعدة وإتيانَ الخلاء ، فأمرتُه بالعَود إلى عادته ، فما مَرَّت به أيامٌ حتى ذهب ذلك[٦] عنه .

وزعم أنَّ الدنيا مُنتِنة الحِيطان والتُّرْبةِ ، والأنهار والأودية ، إلاّ أنَّ النَّاسَ قد غمرهم ذلك لنتْن المحيط بهم ، وقد مَحَقَ حِسَّهم له طولُ مُكثِه فى خياشيمهم . قال : فمن ارتابَ بخبرى ، فليقِفْ فى الرَّدِّ إلى أن يمتحنَ ذلك فى أوَّل ما يخرجُ إلى الدنيا ، عَنْ بيتٍ مطيَّب ؛ وليتشَمَّمْ[٧] تشمُّمَ ١١٧

(١) المليل : الخبز واللحم وضعته فى الملة . والملة : الرماد الحار . وفى ل : « القلال » .
(٢) الذبحة : وجع فى الحلق أو دم يخنق فيقتل . وفى ط : « الخاثوق » موضع الخانوق .
(٣) ط : « التفزر » وهو تصحيف مافى ل .
(٤) ط : « ومواضع اللهات » وهو تحريف .
(٥) ط : « مسيح » .
(٦) ط : « حتى ذهبت عنه » .
(٧) ط : « ليشم » .

المتشبِّث . عَلَى أنّ البقاعَ تتفاوت في النتن . فهذا قولُ مسبّح[١] الكنّاس .

(عصبية سلمويه وابن ماسويه)

وزعم لى سَلْمَوَيه وابن ماسَوَيه مُتطبِّبا الخلفاء[٢] ، أنَّه ليس على الأرض جِيفةٌ أنتنُ نَتْناً ولا أَثْقَبُ ثُقوباً مِن جيفةِ بعير ، فظننتُ أنّ الذى وهّمهما ذلك عَصَبِيَّتُهُمَا عليه ، وبغضُهما لأربابه ، ولأنّ النّبىّ صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، هو المذكورُ فى الكتب براكب[٣] البعير . [ويقال إن الحجّاج قال لهم : أىُّ الجيَفِ أنتن؟ فقيل : جِيَف الكلاب . فامتحنَتْ فقيل له : أنتن منها جيف السنانير ، وأنتن جيفها الذكورُ منها . فصلب ابن الزُّبير بين جِيفتَىْ سنَّورين ذكرين[٤]] .

(أطيب الأشياء رائحة وأخبثها)

وأنا أقول فى النتن والطِّيب شيئاً ، لعلّك إن تفقّدتَه أن توافقَنى عليه وترضى قولى . أمَّا النتن فإنِّى لم أشمّ شيئاً أنتنَ من ريحِ حُشٍّ مقيَّر ، يبول فيه الخِصيان ولا يُصَبُّ عليه الماء ؛ فإنّ لأبوالهم المترادفة المتراكبة[٥] ولريح القار وريح هواءِ الحشِّ[٦] وما ينفصل إليه من ريح

---

(١) ط : « مسيح » .

(٢) سلمويه هو ابن بنان ، خدم المعتصم . ترجم له القفطى ١٤٣ ، وابن النديم ٢٩٦ ليبسك ، ٤١٢ مصر . . وأما ابن ماسويه فهو أبو زكريا يحيى أو يوحنا . خدم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، كما فى الفهرست ٢٩٥ ليبسك ، ٤١١ مصر . وفى ط : « مطيب الخلفاء » وصحته فى ل .

(٣) ط : « بركوب » .

(٤) فى المعارف ٩٩ أنه صلب حيث أصيب .

(٥) ط : « لأبوالهم المتراكة » .

(٦) ط : « ولريح الغار وريح هوائه » وهو كلام محرف .

البالوعة — جِهةً من النَّتْن ومذهباً فى المكروه ، ليس بينه وبين الأبدان عمل ، وإنَّما يقصِد إلى عين الرُّوح وصميم القلب ، ولا سيَّما إذا كان الخلاءُ غيرَ مكشوف ، وكان مغموماً غيرَ مفتوح . فأمَّا الطِّيب فإنى لم أشْمَمْ رائحةً قطُّ أحيا للنفس ولا أعصَمَ للرُّوح ، ولا أفتَقَ ولا أغنج ، ولا أطيب خِمرة من ريحِ عَروس[1] ، إذا أُحكِمت تلك الأخلاط ، وكان عَرْف [بدَنها] ورأسِها وشعرها سليماً . وإن كانت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنَّك ستجد ريحاً تعلَمُ أنَّهُ ليس فوقَها إلاّ ريحُ الجنة .

(ما قيل فى الظربان)

ومما قالوا فى النَّتْن ، وفى ريح جُحْرِ الظَّرِبان خاصَّة ، قول الحكم ابن عَبْدَل :

ألقيتَ نفسَكَ فى عَرُوضِ مَشَقّةٍ	ولَحَصْدُ أنفِكَ بالمَناجِل أَهْوَنُ[2]
أنت امرؤٌ فى أرضِ أمِّكَ فُلفلٌ	جَمٌّ وفُلفُلنا هُناك الدِّنْدِنُ[3]
فبحقِّ أمِّك وهى منك حقيقةٌ	بالبرِّ واللَّطَفَ الذى لا يُخْزَنُ
لا تُدْنِ فاكَ من الأَميرِ ونحِّه	حتَّى يُداوِىَ مابأنْفِكَ أَهْرَنُ[4]
إن كان للظَّرِبانِ جُحْرٌ مُنتِنٌ	فلَجُحْر أنفك يا محمَّدُ أنتَنُ

---

(١) ل : « مشطة امرأة » .

(٢) العروض : الناحية ، والطريق فى عرض الجبل فى مضيق .

(٣) الدندن : ماا سود من نبات أو شجر ، وأصل الصليان .

(٤) هو أهرن القس بن أعين . الفهرست ٢٩٧ ليبسك ، ٤١٣ مصر ، والقفطى ٥٧ وفى ط : « أهون » والصواب فى ل وفيما سيأتى قريبا ، وفى عيون الأخبار ٤ : ٦٢ . وانظر الأغانى ٢ : ٤٢٤ دار الكتب ، والشعر فيه محرف .

وقال الربيع بن أبى الحَقيق — وذكر الظَّرِبان — حينَ رمى قوماً بأنّهم يَفسُون فى مجالسهم ، لأنّ الظَّرِبان أنتنُ خلقِ الله تعالى فَسْوةً . وقد عَرَف الظّرِبانُ ذلك فجعَلَه من أشدّ[1] سِلاَحِهِ ، كما عرَفَتِ الحُبارَى مَافى ١١٨ سُلاَحِها من الآلة ، إذا قرب الصقر منها . والظّرِبانُ يدخل على الضبّ جُحرَه وفيه حُسوله أو بيضُه ، فيأتِى أضيقَ موضعٍ فى الجُحر فيسدّه بيديه ، ويحوِّل استَه فلا يفسو ثلاثَ فَسَوَاتٍ حتى يُدَارَ بالضبّ فيخِرّ[2] سكرانَ مغشيًّا عليه ، فيأكله ، ثم يقيم فى جُحره حتّى يأتِىَ على آخِرِ حُسوله .

وتقول العرب : إنّه ربّمَا دخَل فى خِلال الهَجْمة فيفسو ، فلا تتمّ له ثلاثُ فَسَواتٍ حتى تتفرّق الإبل عن المبْرَك، تتركه وفيه قِرْدان فلا يردُّها الراعى ، إلاّ بالجَهْدِ الشديد .

فقال الربيع ، وهجاهم [أيضا] بريح التُّيوس :

قَليلٌ غَناؤُهُمُ فِى الهِياجِ ... إذَا مَا تَنَادَوْا لأمرٍ شديدِ
وأنتمْ كِلاَبٌ لَدَى دُورِكم ... تهِرُّ هريرَ العَقورِ الرَّصُودِ[3]
وأنتم ظَرَابىُّ إذ تجلسونَ ... وما إنْ لنا فيكمُ من نَدِيدِ[4]
وأنتم تيوسٌ وقد تُعْرَفونَ ... بريحِ التُّيوسِ وقُبْحِ الحدودِ[5]

قال : ويقال : « أفسى من الظّرِبان » ويسمّى مفرِّقَ النَّعَمِ ، يريدون من نتْنِ ريحِ فُسَائه . ويقال فى المثل — إذا وقعَ بين الرجُلين

---

(١) ط : « أحد » .
(٢) ط : « فيحز » وصوابه فى ل وثمار القلوب ٣٣٣ .
(٣) ط : « الصرود » .
(٤) نديد : مثيل ، وفى ط : « مزيد » وهو تحريف مافى ل وثمار القلوب .
(٥) ط : « الجدود » وفى الثمار : « ونتن الجلود » .

شرٌّ فتباينا وتقاطَعَا — : « فسَا بَيْنَهُمَا ظَرِبَان » . ويقال : « أنتَن مِنْ ظربان » لأنَّ الضبّ إنَّما يخدع[١] فى جُحْره ويُوغِل فى سِرْبه لشدَّة طلب الظَّرِبان له . وقال الفرزدق فى ذلك :

ولو كنتُ فى نارِ الجحيم لأصبَحَتْ ظَرَابِىُّ من حِمَّانَ عنِّى تثيرها[٢]

وكان أبو عُبيدة يُسمِّى الحِمَّانِىَّ صاحِبَ الأصَمِّ : الظَّرِبان[٣] ، يريد هذا المعنى ، كما يسمى كل حِمَّانِىٍّ[٤] ظَرِبَانا .

وقال ابن عَبدَلٍ :

لا تُدْنِ فاكَ من الأميرِ ونحِّه ... حتَّى يداوِىَ ما بأنفِك أهْرَنُ

إن كانَ للظَّرِبان جُحرٌ مُنتِنٌ ... فلَجُحر أنفِك يا محمَّدُ أنتن

فى شعره الذى يقول :

ليتَ الأميرَ أطاعَنِى فشفيتُه ... من كلِّ مَن يُكْفِى القصيدَ ويَلْحَنُ

متُكَوِّرٌ يَحْثُو الكلام كأنَّما ... باتَتْ مناخِرُهُ بدُهْنٍ تُعْرَنُ[٥]

وبَنَى لهم سِجناً فكنتُ أميرَهم ... زَمناً فأضربُ مَنْ أشَاءُ وأسجُنُ

قل لابنِ آكِلة العِفَاصِ محمَّدٍ ... إن كنتَ من حبِّ التقرُّب تجبُنُ[٦]

ألقيْتَ نفسَك فى عَروضٍ مَشَقَّةٍ ... ولَحَصْدُ أنفِك بالمناجِلِ أهْوَنُ

أنتَ امرؤٌ فى أرضِ أمِّك فلفلٌ ... جَمٌّ وفلفلنا هناك الدِّنْدِن

٩١١٩

(١) خدع الضب فى جحره : دخل . وفى ط : « ينخذع » وهما بمعنى .

(٢) البيت فى النوادر لأبى زيد ٢١١ . وفى ط : « تشير » فقط بدل « تثيرها » وليس بشىء .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « يسمى الحمانى صاحب الأحم » فقط.

(٤) فى الأصل « حمان » والوجه ماأثبت .

(٥) كوره فتكور : صرعه فصرع؛ أو هو من تكور : سقط . ويحثو : يلقى . وفى ط : « متكورا » محرفة . وفى ط : « يحسو » محرفة .

(٦) ل : « قد كدت من حب التعزب تختن » وهو تحريف مافى ط وما فى م .

فبحقِّ أمِّكَ وهى منك حقيقةٌ ... بالبرِّ واللَّطَفِ الذى لا يُحْزَنُ[1]

لا تُدْنِ فاكَ من الأميرِ ونحِّهِ ... حتَّى يُداوِىَ ما بأنفك أهْرَنُ

إنْ كانَ للظِّربانِ جُحْرٌ منتنٌ ... فلَجُحْر أنفِك يا محمَّدُ أنتَنُ[2]

فسَلِ الأميرَ وأنْتَ غيرُ موفَّقٍ ... وبَنُو أبِيهِ للفصاحة مَعْدِنُ

وسَلِ ابْنَ ذَكْوانٍ تَجِدْهُ عالِماً ... بسَلِيقةِ العُرْبِ التى لا تحزُن[3]

إذْ أنتَ تجعَلُ كلَّ يومٍ عفصةً[4] ... فتجيدُ ما عمِلت يَداك وتحسِنُ

أشبهتَ أمَّكَ غيرَ بابٍ واحدٍ ... أنْ قد خُتِنْتَ وأنَّها لا تُخْتَنُ

فلَئِن أصبتَ دراهماً فدفنتَها ... وفُتِنت فيها ، وابنُ آدمَ يُفتَنُ

فبما[5] أراك وأنتَ غيرُ مُدَرْهِمٍ ... إذْ ذاك تَقْصِف فى القِيان وتَزْفِنُ

إذ رأسُ مَالِكَ لُعْبَةٌ بصريَّةٌ ... بَيْضَاءُ مُغْرِبَةٌ[6] عليها السَّوْسَنُ

وقال ابن عبدل أيضاً :

نَجَوت[7] محمداً ودخانُ فيه ... كريح الجَعْر فوقَ عَطِينِ جِلْدِ

ركبتُ إليه فى رَجُلٍ أتانى ... كريمٍ يطلبُ المعروفَ عِندى

فقلتُ له ولم أعجَل عليه ، ... وذلكَ بعدَ تقريظى وحَمْدى

فأعْرَضَ مُكْمَحًا عنِّى كأنِّى ... أكَلِّمُ صَخْرَةً فى رَأْس صمْدِ[8]

---

(١) ط : « لايحزن » وهو تحريف .

(٢) محمد هذا هو ابن حسان بن سعد كما فى الأغانى ٢ : ٤١٢ طبع دار الكتب وعيون الأخبار ٤ : ٦٢ .

(٣) من الحزونة وهى الصعوبة . وفى الأصل : « تخزن » .

(٤) ط : « غمصة » .

(٥) ل : « لبما » وهما سيان .

(٦) المغربة : الشديدة البياض . ط : « معربة » بالعين .

(٧) ل : « فقدت » محرف ، يقال نجوت فلانا ، إذا استنكهته . والبيت فى اللسان (نجا) بدون نسبة . والقصيدة فى معجم الأدباء ١٠ : ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٨) المكمح : من يرفع رأسه من الزهو . وفى ط : « مكفحا » وتصحيحه من ل . والصمد : المكان المرتفع الغليظ . وفى ط : « همد » وفى ل : « ضمد » بالضاد ولايتجه أحدهما .

أقرِّبُ كل آصِرَةٍ[1] ليدنو ... فما يزْداد منِّى غيرَ بُعْدِ
فأقسِمُ غيرَ مستثنٍ يميناً ... أبا بَخَرٍ[2] لتتَّخِمَنَّ ردِّى
فلو كنتَ المهذّبَ من تميم ... لخفتَ ملامَتِى ورجوتَ حَمدى
نَجَوتُ[3] محمداً فوجدتُ ريحاً ... كريح الكلبِ ماتَ قريبَ عَهْدِ
وقد ألْذَعتَنِى[4] ثعبانَ نَتْنٍ ... سيبلغ إنْ سلِمْنا أهلَ نَجْدِ
وأدنَى خَطْمَه فودِدتُ أنِّى ... قَرَنْتُ[5] دنوَّه منى ببُعْدِ
كما افتَدَتِ المعاذةُ من جَواهُ[6] ... بخِلْعَتها ولم تَرجِع بزَنْدِ
وفارقَها جواه فاستراحَتْ ... وكانتْ عندَه كأسيرِ قِدٍّ[7]
وقد أدنيتُ فاه إلىَّ حتَّى ... قتلتُ بذاك نفسى غيرَ عَمْدِ
وما يدنُو إلى فيه ذُبابٌ ... ولو طُلِيت مَشافِرُه بقَنْدِ[8]
يَذُقن حلاوةً ويَخفْن موتاً ... زعافا إنْ همَمْنَ له بوِردِ[9]
فلما فاحَ فُوه علىّ فَوْحًا ... بمثل غَثيثَةِ الدَّبِرِ المُغِدِّ[10]
فقلت له : تنحَّ بفيك عنِّى ... فما هذا بريحِ قُتارِ رَنْدِ[11] ١٢٠

---

(١) الآصرة : الرحم والقرابة . وفى ل : « ذى صر » وليس بشىء .

(٢) البخر ، بالتحريك : نتن الفم . وفى ل : « بحر » والوجه مافى ط .

(٣) ماعدا ل : « نحوت » بالحاء ، وهو تحريف . وانظر ماسبق وكذا المخصص ١١ : ٢٠٩ واللسان (جلد ، نجا) .

(٤) ط : « لذعتنى » .

(٥) كذا فى ط . وفى ل : « فديت » .

(٦) ط : « كما افتدت المعادن من حواه » .

(٧) هذا البيت فى الأصول متأخر عن البيت الذى بعده ، وقد قدمت موضعه ليستقيم الشعر .

(٨) القند : عسل قصب السكر إذا جمد . معرب .

(٩) الزعاف والذعاف : السم القاتل . وفى ل: « ذعافا » وفيها كذلك « يرين حلاوة » .

(١٠) الغثيثة : القيح . والمغد : المصاب بالطاعون . وفى ط : « المفد » وهو تحريف .

(١١) الرند : نبت طيب الرائحة . وفى ل : « وقلت له » ، وفى ط : « بعيد عنى » وتصحيحه من ل .

وما هذا بريح طِلاً ولـكنْ ... يفوحُ خِرَاكَ منه غير سَرْدِ[١]

فحدِّثْنى فإنَّ الصِّدقَ أدنى ... لبابِ الحقِّ من كذِب وجَحْدِ

أباتَ يجولُ فى عَفَجٍ طحور ... فأعلم أمْ أتاكَ به مُغَدِّى[٢]

[نـكِهتَ علىَّ نـكهةَ أخدَرىٍّ ... شتيمٍ أعصلِ الأنياب وَرْدِ]

فإن أهديتَ لى من فيكَ حتْفى ... فإنِّى كالذى أهديتَ أهدى[٣]

لـكم شُرُداً يَسرِن مغنِّياتٍ ... تـكونُ فنونُها من كل فِندِ[٤]

أما تخزَى خزِيت لهـا إذا ما ... رَوَاها النَّاسُ من شِيبٍ ومُرْدِ[٥]

لَأَرجُو إن نجوت ولم يُصبْنى ... جَوًى إنِّى إذن لَسعيد جَدِّ

وقلتُ له : متى استطْرفْتَ هذا ... فقال أصابنى من جَوفِ مَهْدِى

فقلت له : أما دَاويتَ هذا ... فتعذر فيه آمالا بجَهْدِ[٦]

فقال : أمَا علمت له رِقَاءً ... فتسديَه لنا فيما ستُسْدى[٧]

فقلت له : ولا آلوه عيا ... له فيما أسرُّ له وأُبدى[٨]

عليكَ بقيئةٍ وبجَعْرِ كَلْبٍ ... ومثلْ ذاك من نونٍ كَنَعْدِ[٩]

وحِلتيتٍ وكُرَّاثٍ وثُومٍ ... وعُودَى حَرْمَلٍ ودِماغِ فَهْدِ[١٠]

وحَنْجَرَةِ ابنِ آوى وابنِ عِرسٍ ... ووزنِ شَعيرةٍ من بَزْر فَقْدِ[١١]

---

(١) الطلاء، بالـكسر : الخمر . وفى ط : « فيه غير سرد » .

(٢) العفج : ماينتقل إليه الطعام بعد المعدة . والطحور : السريع . وفى ط :

أبت تجـول فى عفج طحون ... فاعـلم إذا أتاك به معدى (كذا)

(٣) ل : « مهد » .

(٤) الفند، بالـكسر : النوع . وفى ط : « قند » ولا وجه له .

(٥) ط « خزيت له إذاما » والوجه مافى ل . ل : « رآها الناس » والوجه مافى ط .

(٦) كذا .

(٧) فى الأصل : «تسدى » ولايستقيم بها القول .

(٨) هذا البيت والأبيات الأربعة السابقة له، ساقطة من ل . وفى البيت كلمة « عيا »وهى محرفة .

(٩) كذا فى ل . وفى ط : « من لون كعمدى » .

(١٠) ط : « وحنتيت » والصواب باللام كما فى ل .

(١١) فى القاموس : « الفقد نبات » ولم يفسره . وفى ل : « قفد » بتقديم القاف وهو تصحيف . وفى ط : « وحنجرة ابن آوى ثم دفلى » .

وكَفِّ ذُرُحْرُحٍ[١] ولسانِ صَقر ومثقالين من صوّان رَقْدِ[٢]
يُدَقُّ ويُعجَن المنخول منه ببولٍ آجِن وبجَعْرِ قِرد
وتدفِنُه زماناً فى شعـــيرٍ وترقبه فلا يَبدُو لبَرْدِ[٣] ١٢١
فدخِّن فاكَ ما عتَّقت منـه ولا يعجن بأظفار ونَدِّ[٤]
فإنْ حضَرَ الشتاءُ وأنتَ حىٌّ ، أراك اللهُ غَيَّكَ أمرَ رشدِ[٥]
فدَحْرِجْها بنـادِقَ وازدرِدْها متَى رُمْتَ التكلُّمَ أىَّ زَرْدِ
فتقذف بالمِصَلِّ على مِصَلٍّ ببلعومٍ وشِدْقٍ مُسْمَعِدِّ[٦]
ووَيْلَكَ ما لِبَطْنِك مذْ قعَدْنا كأنّ دوِيَّهُ إرزام رَعد[٧]
فإنَّ لِحكَّةِ الناسور عندى دواءً إن صبرتَ له سيُجدِى
يُميت الدُّودَ عنكَ وتشتهيه إن أنتَ سَنَنْتَهُ سنَّ المقَدِّى[٨]
به ، وطليتَه بأصولِ دِفْلَى وشىءٍ من جَنَى لَصَفٍ ورَنْدِ[٩]
أَظُنِّى ميِّتًا مِنْ نَتْنِ فيهِ أهانَ اللهُ من ناجاهُ بَعْدِى

---

(١) الذرحرح : دويبة حمراء منقطة بسواد ، تطير ، وهى من السموم . وهى فى ط : « زرحرح » و ل : « ذرائح » محرفتان . وفى ط : « ومثالين » محرف « ومثقالين » .
(٢) رقد : جبل تنحت منه الأرحية ، كما فى القاموس . وفى معجم البلدان اختلاف فيه وفى ط : « رفد » محرفة .
(٣) فى الأصل : « وترميه فلا يبدو لبرد » وكتبت بدلها « ترقبه » ليتجه القول .
(٤) ل : « ولا تعجن بأظفار وسعد » صوابه فى ط . والأظفار والند : ضربان من الطيب .
(٥) كذا فى ل . وفى ط : « أزال الله عنك أمور رشد » .
(٦) مصل : له صليل كثير . والمسمعد : المنتفخ ورما ، ومثله المصمغد والمسمغد . وفى ل : « مصمغد » .
(٧) ط : « كأن رويه » وهو تحريف .
(٨) السن : الصب فى سهولة . والمقدى : ضرب من الشراب غليظ ، وفى ل : « المعد » وفى ط « المقد » محرفتان .
(٩) الدفلى : نبت مر قتال زهره كالورد الأحمر وحمله كالخرنوب . واللصف : نبت ورقه كورق لسان الحمل أوأدق . والرند : نبت طيب الرائحة . وفى ط « سعدى » موضع « دفلى » وهو تحريف ، و « نصف » موضع « لصف » وهو تحريف أيضا . وفى ل : « زبد » وليس بشىء .

(أشعار العرب فى هجاء الكلب)

وقال صاحب الديك : سنذكُر أشعار العرب فى هجاء الكلب مجرَّدا على وجهه ، ثمَّ نذكُر ما ذمُّوا من خلالهِ وأصنافِ أعماله ، وأموراً من صفاته ، ونبدأ بذكرِ هجائه فى الجملة . قال بشَّار بن بُرْد :

عددتَ سويداً إذ فخرتَ وتَوْلَبًا ولَلكَلْبُ خيْرٌ من سُويدٍ وتَولبِ

وقال بشَّارٌ أو غيرُه :

أتَذْكُرُ إذ تَرْعَى على الحىِّ شاءَهُمْ وأنتَ شريكُ الكلب فى كلِّ مَطْعَمِ
وتلحَسُ مافى القَعْبِ من فَضْلِ سُؤْرِهِ وقد عاثَ فيه باليدَين وبالفمِ

[وقال ابن الذئبة :

من يجمع المال ولا يَثُبْ به[1] ويترك المالَ لِعَامِ جِذْبِه
* يهُنْ عَلَى النَّاسِ هَوانَ كلبِه] *

وقال آخر :

إنَّ شَرِيبى لَا يغبُّ بوجهه كُلُومى كأنْ كلباً يُهارِش أ كْلُباً[2]
ولا أَقْسِمُ الأعطان[3] بينى وبينَه ولا أتوقَّاه وإن كان مُجْرِبا

وهجا [أبو] الأحوص[3] ابناً له فشبَّهه بجروِ كَلْبٍ فقال :

أقبِحْ به من ولدٍ وأَشْقِحْ مثل جُرَىِّ[4] الكلب لم يُفَقِّحْ

---

(١) كذا فى عيون الأخبار ١ : ٢٤٣ : وفى ل : « يثبه » وهو تحريف إملائى . وفى البخلاء ١٥٥ : « يثبته » وليس بشىء . وانظرهما .

(٢) ط : « إن شرابى لاتغيب بوجهه كلوم » وهو قول محرف صوابه فى ل .

(٣) كذا فى ل وهو الصواب ، وفى ط : «الأعكان» .

(٤) جرى : مصغر جرو . وفى ل : «جرىُ» .

إن يَرَ سُوءًا مَا يَقُمْ فينَبِحْ[1] بالبابِ عند حاجةِ المستفتِحِ[2]

وقال أبو حُزَابة[3] : ١٢٢

يا ابنَ عليٍّ بَرِحَ الخفاءُ أنتَ لغَيْرِ طَلْحَةَ الْفِدَاءُ[4]

قد علِمَ الأشرافُ والأكفاءُ أنَّك أنت النَّاقصُ اللَّفَاءُ[5]

حَبلَّقَ جَدَّعه الرِّعاءُ[6] يغُمُّه المِئزَرُ والرِّدَاءُ

بنو عليٍّ كلُّهمْ سواءُ كأنَّهم زِينِيَّةٌ جِراءُ[7]

وقال عبدُ بنى الحسْحاس ، وذكر قُبْحَ وجهه [فقال] :

أتيتُ نِساءَ الحارثِيِّينَ غُدْوَةً بوجهٍ بَرَاهُ اللهُ غيرِ جميلِ[8]

فشبَّهنَنى كلباً ولسْتُ بفَوقِه ولا دونَه إن كان غيرَ قليلِ

---

(١) ط : « إن يرسوءا لم يقم فينبح » .

(٢) ط : « خلقة المستقبح » .

(٣) كذا فى ل وهو الصواب ، وفى ط : « أبو خدانة » . وأبو حزابة هو الوليد ابن حنيفة ، أحد بنى ربيعة بن حنظلة ، شاعر من شعراء الدولة الأموية . بدوى حضر وسكن البصرة ثم اكتتب فى الديوان وضرب عليه البعث إلى سجستان فكان بها مدة وعاد إلى البصرة وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك . قال أبو الفرج : وأظنه قتل معه . وكان شاعرا راجزا فصيحاً خبيث اللسان هجاء . انظر الأغانى ١٠ : ١٥٢ — ١٥٦ والمشتبه للذهبى ١٦٠ ليدن وتاج العروس (حزب) .

(٤) الفداء هنا بمعنى البدل . وفى ل : « أنت لقبر طلحة الفداء » وفى الأغانى ١٩ : ١٥٣ : « أنت لعين طلحة القذاء » . وابن على هذا هو عبد الله بن على بن عدى ولى سجستان بعد طلحة . وطلحة هذا هو ابن عبد الله بن خلف ، الذى يقال له طلحة الطلحات ، وكان واليا على سجستان قبل عبد الله بن على . وكان طلحة يحبو ابن حزابة ، وكان عبد الله شحيحا ممسكا .

(٥) اللفاء ، كسحاب : الخسيس الحقير . وفى ل : « اللقاء » وهو تحريف .

(٦) الحبلق : غنم صغار لاتكبر أو قصار المعز ودمامها . وفى ط « الدعاء » موضع « الرعاء » وهو تحريف .

(٧) الزينية : كلاب قصيرة القوائم . وفى الأغانى « بنو على » . . . الخ .

(٨) كذا فى ل وعيون الأخبار ٤ : ٣٥ بمعنى خلقه غير جميل . وفى ط : « يراه الله » .

وقال أبو ذُبَابٍ السَّعْدىّ(١) فى هَوَان الكلب :

لِكِسْرَى كانَ أعقلَ من تميمٍ ليالىَ فرَّ من أرْضِ الضِّبابِ
وأسكنَ أهلَه ببلاد رِيفٍ وأَشجارٍ وأنهارٍ عِذَابِ
فصار بنُو بَنيه لها مُلوكاً وصرنا نحنُ أمثالَ الكِلَابِ
فلا رَحمَ الإلهُ صدَى تميم فقد أزْرَى بنا فى كلّ بابِ

وأراد اللّعين(٢) هجاءَ جريرٍ — وجَريرٌ من بنى كُليب — فاشتقّ هجاءَه من نسبه فقال :

سأقْضِى بين كلبِ بنى كُليبٍ وبين القَينِ قَينِ بنى عِقالِ
فإنَّ الكلبَ مَطعَمُه خبيثٌ وإنَّ القينَ يَعمَل فى سَفالِ
كِلَا العَبدين — قد علمتْ مَعَدٌّ لئيمُ الأصلِ من عمٍّ وخالِ
فما بُقيا علىَّ تركتُمانى ولكنْ خِفتُما صَرَدَ النبالِ

وقال رجلٌ من هَمْدان ، يقال له الضَّحَّاك بن سعد(٣) ، يهجو مَرْوان بن محمد ابن مروان بن الحكم، واشتقّ له اسماً من الكلب فجعلَه كلبا فقال :

لجَّ الفِرَارُ بمَرْوانٍ فقلتُ له عادَ الظلوم ظليماً همُّهُ الهربُ(٤)
أينَ الفِرارُ وتركُ المُلْك إن قبلت منك الهُوَينَى فلا دينٌ ولا أدبُ(٥)

---

(١) أبو ذباب السعدى : صحابى شاعر ، من سعد العشيرة . له فى إسلامه خبر طريف ، وهو ممن عرف بكنيته فقط ، ترجم له ابن حجر فى الإصابة أول قسم الذال من باب الكنى وهو فى ط : « ابن دب » وفى ل : « ابن دواب» . ولعل صوابهما ما أثبت . والأبيات أعادها الجاحظ فى الحيوان ٦ : ١٠١ ونسبها فى الحنين إلى الأوطان إلى الفرزدق.

(٢) هو منازل بن زمعة المنقرى ، من بنى منقر . وكان ممن قضى بين جرير والفرزدق فأصابه الشر . قال ابن قتيبة : وكان اللعين هجاء للأضياف قال :

وليس أبغض مابى جل مأكله إلا تنفجه عندى إذا قعدا
ما زال ينفج كتفيه وحبوته حتى أقول لعل الضيف قد ولدا

(٣) نسبه العسكرى فى ديوان المعانى ١ : ١٩٦ إلى سعيد بن العاصى .

(٤) ط : « عاد الظليم ظلما » . والظليم : الذكر من النعام .

(٥) ديوان المعانى : « إذ كشفت عنك » . الطبرى ٩ : ١٣١ : « إذ ذهبت عنك » .

فَرَاشَةَ الحلمِ فِرعونَ العذابِ ، وإن يُطلَب نَدَاهُ فكلبٌ دونَه كَلبُ

وقال آخر وجعل الكلبَ مثلًا فى اللُّؤم :

١٢٣

سَرَتْ ماسَرَتْ من ليلِها ثمّ عرّسَتْ على رجلٍ بالعَرْجِ أَلْأَمَ مِنْ كَلْبِ

وكذلك قول الأسود بن المنذر[١] ، فإنّه قال :

فإنّ امرأً أنتمُ حولَه تَحُفّون قُبَّتَه بالقِبابِ[٢]

يُهِينُ سَرَاتَكُمُ جاهداً ويقتُلكم مثلَ قتْلِ الكلابِ

وقال سحيمة بن نعيم :

ألستَ كليبيًّا لكَلْبٍ وكلبةٍ لها عندَ أطْنَابِ البُيوتِ هَرِيرُ

وقال النَّجْرانىُّ فى ذلك :

مِن منْزِلى قد أخرجَتْنِى زوجتى تَهِرُّ فى وجهى هَرِيرَ الكَلبةِ

زُوِّجتُها فقيرةً من حِرْفَتى قلت لها لمّا أراقتْ جَرّتى

أُمَّ هِلالٍ أبْشِرِى بالحسرةِ وأَبشِرِى منك بقُربِ الضَّرَّةِ

(الفلحس والأرشم)

ويقال للكلب « فلحَس » ، وهو من صفات الحِرْص والإلحاح . ويقال : « فلان أسألُ مِنْ فَلْحَس » . وفَلْحَسٌ : رجلٌ من بنى شيبان[٣] كان حريصاً رغيبا ، ومُلحِفا مُلِحًّا . وكلُّ طُفَيلىٍّ فهو عندهم فَلْحَسٌ .

والأرشَم :[٤] الكلب والذئب ، وقد اشتقّ منه للإنسان إذا كان يتشمَّم الطعام ويتْبع مواضعه . قال جريرٌ فى بعضهم :

---

(١) فى الأغانى ١٩ : ١٣٠ نسبة البيتين إلى لقيط بن زرارة يعير بنى مالك بن حنظلة فى أخذ عمرو بن هند لهم وقتله كثيرا منهم .

(٢) فى عيون الأخبار ١ : ١٩٢ « بأن » ، وقبله :

فأبلغ لديك أبا مالك * على نأيها وسراة الرباب

(٣) ط : « من ابنى شيبان » . وانظر أمثال الميدانى (١ : ٣١٧) .

(٤) ل : « الأرسم » وهو تصحيف . والأرشم : الذى يتشمم الطعام ويحرص عليه .

لَقًى حَمَلتْهُ أُمُّه وهى ضَيفة فجاءَتْ بيَتْنٍ للضِّيافةِ أرْشَما[١]

وقال جريرٌ فى استرواح الطعام[٢] :

وبنو الهُجَيم سَخيفةٌ أحلامُهم ثُطٌّ اللِّحَى مُتشابِهو الألوانِ

لو يَسمَعون بأكلةٍ أو شَرْبةٍ بعُمَانَ أضحى جمْعُهم بعُمانِ

متأبِّطين بنيهمُ وبناتِهمْ صُعرَ الخدودِ لريحِ كلِّ دُخانِ[٣]

وقال سَهمُ بن حنْظَلَةَ الغَنَوىُّ فى ذلك :

وأمّا كلابٌ فمثلُ الكِلا ب لا يُحسِنُ الكلبُ إلّا هريرَا

وأمّا نُميرٌ فمثلُ البِغا ل أشبَهْنَ آباءهُنَّ الحَميرا[٤]

١٢٤ وأمّا هِـــلالٌ فعَطَّارَةٌ تَبيع كِباءً وعِطْرًا كثيرا[٥]

(بين جرير والراعى)

ومرَّ جريرٌ يوماً بالمِرْبَد ، فوقف عليه الراعى وابنه جنْدَل ، فقال له ابنه جندل : إنَّه قد طال وقوفُك على هذا الكلب الكُلَيبىّ ، فإلى متى ؟ ! وضرب بغلَته، فمضى الراعى وابنه جندل ، فقال جرير : والله لأُثْقِلنَّ

---

(١) ل : « أرسما » مصحف . وفى ط : « فتى » محرفا . والبيت على الصواب فى اللسان (ضيف، رشم، يتن) وأدب الكاتب لابن قتيبة ١٢٧ والاقتضاب ٣٤٦ . وقد نسب فى كل تلك إلى البعيث . ابن منظور (رشم) : قال ابن سيده : وأنشد أبو عبيد هذا البيت لجرير . قال : وهو غلط .

(٢) الأبيات فى البيان ٣ : ٣٢٠ وعيون الأخبار ٣ : ٢٢٥ .

(٣) البيت ساقط من ل .

(٤) يبتدئ هـــذا البيت والذى قبله فى ل ، بكلمة « فأما » مع الفصل بين البيتين بكلمة « وقال » وفى ط : « وأما تميم فمثل البغال » .

(٥) الكباء ككتاب : عود البخور أو ضرب منه . وبدله فى ل « ملابا » وهو كسحاب عطر أو الزعفران . والشعر فى كتاب البغال ٣٤٣ .

رواحلَك ! فلما أمسى أخذَ فى هجائهِ ، فلم يأته ما يريد ، فلما كان معَ الصبح انفتَح له القولُ فقال :

فغُضَّ الطَّرْفَ إنّكَ من نُميرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كِلابا

ولو جُعِلت فِقاحُ بنى نُميرٍ على خَبَثِ الحديدِ إذاً لذَابا

ثم وقف فى موقفه ، فلمَّا مرَّ به جندلٌ قبض على عِنان فرسِه ، فأنشده قوله ، حتى إذا بلغ إلى هذا البيت :

أَجنــدلُ ما تقول بنو نميرٍ إذا ما الأَيرُ فى استِ أبيك غابا

قال : فأدبَرَ وهو يقول : يقولون والله شرًّا[1] .

وقال الشاعر — وضرب بالكلب المثلَ فى قُبْح الوجه — :

سَفَرتْ فقلتُ لها هَجٍ فَتبرقَعَتْ فذكرتُ حين تبرقعت ضَبَّارا[2]

وضَبَّار : اسم كلب له[3] .

(أمثال فى الكلاب)

وقال كعب الأحبارِ لرجل وأراد سفراً : إنّ لكلّ رُفقةٍ كلباً ، فلا تكنْ كلبَ أصحابِك .

وتقول العرب : « أحبُّ أهلى إلىّ كلبهم الظاعن[4] » . ومن الأمثال « وقَع الكلبُ على الذِّئب ليأخذَ منه [مثل] ما أخَذ » . ومن أمثالهم :

---

(١) سقط الكلام فى ل من « ثم وقف » إلى هنا .

(٢) فى الصحاح : « هج مخفف زجر للكلب ، يسكن وينون » وأنشد البيت فى (هجج وهبر) برواية « هبارا » ، وكذلك فى اللسان (هبر) ولكن فى (هجج وضبر) : « ضبارا » كما فى ٢ : ٢١ من الحيوان .

(٣) ل : « لهم » .

(٤) فى عيون الأخبار ٢ : ٨١ : « الكلب أحب أهله إليه الظاعن » . وانظر أمثال الميدانى ١ : ١٨٣ والتمثيل والمحاضرة ٣٥٥ .

« الـكلابَ على البَقَر[١] » . ومن أمثالهم فى الشؤم قولهم : « على أهْلِها دلَّتْ بَرَاقِشُ » . وبراقش : كلبةُ قومٍ نبحَت على جيشٍ مرُّوا ليلا وهمْ لايشعُرون بالحىِّ ، فاستباحوهم واستدلُّوا على مواضعهم بنباحها . قال الشاعر :

ألم تَرَ أنَّ سيِّد آلِ ثورٍ نُباتة عضَّهُ كلبٌ فماتا[٢]

(قتيل الـكبش وقتيل العنز)

وقال صاحب الـكلب : قد يموت الناسُ بكلِّ شىء ، وقد قال عبد الملك بن مروان : ألا تتعجبون من الضحَّاك بن قيس يطلب الخلافة ونطح أباه كبش فوُجِد ليس به حَبَضٌ ولا نَبَض[٣] . وقال عَرفجة بن شريك يهجو أسلَمَ بن زُرْعة — ووطئتْ أباه عنزٌ بالمِربد فمات — فقال :

١٢٥ ولم أستطع إذْ بانَ[٤] منِّىَ معشرى مكانَ قتيلِ العنز أنْ أتـكلَّما

فيا ابنَ قتيلِ العنزْ هل أنت ثائرٌ بزُرعةَ تيساً فى الزَّرِيبةِ أزنما[٥]

وقال أبو الهول يهجو جعفر بن يحيى[٦] :

أصبحتُ محتاجاً إلى الضَّرْبِ فى طلَب العُرْف إلى الـكلْبِ

(١) فى الأصل : « الـكلاب كل البقر » والمثل معروف . ولصاحب القاموس ، وكذلك للدميرى فى حياة الحيوان كلام كثير فيه. وانظر المزهر ١ : ٦٥ .

(٢) ط : ألم تر أن سيد آل شور بنابه عضه كلب فماتا

(٣) فى القاموس : مابه حبض ولا نبض : حراك .

(٤) ط : « بات » وهو تحريف مافى ل .

(٥) الأزنم : ذو الزنمة ، وهى هنة معلقة فى حلقه تحت اللحية . وفى ط « أزرما » .

(٦) أبو الهول الحميرى شاعر مقل لـه شـعر يبلغ خمسين ورقة . ابن النـديم فى الفهرست ١٦٣ ليبسك و ٢٣٢ مصر . وفى ط « أبو الغول » محرفا . والشعر فى العمدة ١ : ٤٠ والبيان ٣ : ٣٥١ واسمه عامر بن عبد الرحمن. تاريخ بغداد ٦٦٨٢ والشعر منسوب لإسماعيـل بن بشر اللاحق فى الأوراق للصولى أخبار الشعراء ص ٧٣ .

قد وقَّح السَّبُّ له وجهَه   فصــار لا ينحاش للسَّــبِّ

إذا شَــكَا صبٌّ إليه الهوَى   قال لهُ مــالى وللصبِّ

أعْنِى فتًى يُطعَن فى دينــهِ   يشِبُّ مَعَهُ خَشَبُ الصُّلْبِ (١)

قال : وقلتُ لأبى عبيدة : أليس بُقْعُ الـكلاب أمثلَها ؟ قال : لا .
قلت : ولم قال :

وخِفْتُ هجاءهم لـمـا تَوَاصَـــوْا

كخَوْفِ الذِّئبِ من بُقْعِ الـكِلابِ (٢) ؟

قال : ليس هكذا قال ، إنما قال :

* كَخَوْفِ الذِّئب من سُودِ الـكِلابِ *

ألا ترى أنّه حين أراد الهجاء قال :

كأنَّك بالمبَارَكِ بعدَ شهرٍ   تخُوضُ غُمورَه بُقْعُ الـكِلابِ (٣)

ويدل على ذلك قول الجَدَلىِّ (٤) :

لَعَمرِى لَجَوٌّ مِنْ جواء سُويقَةٍ   أسافلُه مَيْثٌ وأعلاه أجْرَعُ

أحبُّ إلينا أن نجاورَ أهلَه   ويصبحَ منَّا وهو مرأًى ومسمعُ

مِن الجوْسَقِ الملعونِ بالرَّىِّ لا يَنِى   على رأسه داعى المنيَّةِ يلمَعُ

يقولون لى صبراً فقلتُ لَطَالَمَا   صَبَرتُ ولكنْ لا أرى الصَّبرَ ينفعُ

---

(١) ل : « . . دبره يشب منه » وهو تحريف .
(٢) ل : « وخفت هجيهم » .
(٣) المبارك : اسم نهر بالبصرة احتفره خالد بن عبد الله القسرى لهشام بن عبد الملك .
وفى ط : « بالمنازل » وهو تحريف . والغمور : جمع غمر ، وهو الماء الكثير .
وفى ط : « غمورة » وفى ل : « عموره » وصوابهما ما أثبت . وانظر معجم البلدان رسم (المبارك). والبيت فيه للفرزدق ، وقد أعاده الجاحظ فى ٢ : ٧٨ .
(٤) نسبه ياقوت إلى الغطمش الضبى فى رسم (الجوسق) .

فليتَ عطائى كانَ قُسِّمَ بَيْنَهُمْ وكان لى الصِّمَّان والحزْنُ أجمعُ[١]

وكان لهم أجْرى هنيئاً وأصبحَتْ بىَ البازلُ الكَوماءُ بالرمل تَضْبَع

أأجعَلُ نفسى عِدْلَ علجٍ كأنَّما يموتُ به كلبٌ إذا ماتَ أبقعَ

قال : فقد بيَّن كما ترى أنَّ الأبقعَ شرُّها .

قال : وقلت : فلِمَ قال الشاعر :

أرسلْتَ أُسداً على بُقْعِ الكلاب فقد

أمسى شَرِيدُهم فى الأرض فُلاَّلاَ[٢]

قال : فكيف يقول ذلك وهو يمدحهم ؟ وإذَا صغَّر شأنَ من هَزَموا

١٢٦ فقد صغَّر شأنَ الممدوح . بل إنَّما قال « أرسلتَ أسداً على سود الكلاب » .

قال : وإنَّما جاء الحديثُ فى قتل سُود الكلاب ، لأنَّ عُقُرَها أكثرُ ما تكون سوداً ، وذلك من غلَبة أنفسها .

وليس فى الأرض حيوانٌ من بقرةٍ وثورٍ وحِمارٍ وفرس وكلبٍ وإنسان ، إلاّ والسُّودُ أشدُّها أَسْرًا وعَصَبا[٣] ، وأظهرُها قُوَّةً وصبْرًا .

وقال أبو سعد المخزومى[٤] فى هجائه دِعبلا :

---

(١) ط : « وكان لى الكِتّان » .

(٢) فى اللسان : وهم قوم فل : منهزمون ، والجمع فلول وفلال . وللأخفش فى هذه الكلمة بحث جيد فى اللسان .

(٣) فى لأصل : « شرا وعصيا » . وانظر ٢ : ٧٩ .

(٤) أبو سعد المخزومى ممن عرف بكنيته ، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية . وقد عاصر دعبلا وله معه مهاجاة وإقذاع . وقد نعته الجاحظ فى البيان ٣ : ١٤٧ بأنه دعى بنى مخزوم . وفى ط : « أبو سعيد » والصواب مافى ل . ويؤيد ذلك قول ابن أبى الشيص فيه (الأغانى ١٨ : ٥٤) :

أنا بشرت أبا سعد فأعطانى البشاره

وقول دعبل :

إن أبا سعد فتى شاعر يعرف بالكنية لا الوالد

يا ثابِتَ بن أبى سـعيدٍ إنَّها دُوَلٌ وأَحْرِ بها بأَنْ تتنقَّلا
هلاّ جعلتَ لها كحُرْمَةِ دِعْبِلٍ فى است [امِّ] كلبٍ لايساوى دِعبلا

[وقال ابن نوفل] :

وجئتَ على قَصْواءَ تنقلُ سَوءةً إلينا وكم من سوءةٍ لا تَهابُها (١)
وتزعمُ أَنْ لم تخز سَلْمُ بنُ جنْدَلٍ وقدخَزِيت بعدَ الرِّجال كلابُها (٢)

وقال الحسن بن هانئ يهجو جعفرَ بنَ يحيى :

قفاً خلف وجه قد أطيل كأنَّه قفا مالك يقضى الهموم على بثق (٣)
وأعظم زهواً من ذباب على خِرًا (٤) وأَبخَلُ من كَلْبٍ عَقُورٍ على عَرْق

وقال أبو الشَّمقمق :

أهلُ جودٍ ونائلٍ وفَعالٍ غلَبُوا الناسَ بالنَّدى والعطيَّهْ
جئتُه زائراً فأدنَى مكانى وتلقَّى بِمرْحَبٍ وتحيَّهْ
لا كَمِثْلِ الأَصَمِّ حارثةِ اللؤ مِ شبيهِ الكُلَيبة القَلَطيَّهْ
جئتُه زائراً فأعرضَ عنِّى مثلَ إعراض قحبةٍ سُوسيَّهْ (٥)
وتولَّى كأنَّه أير بغلٍ غابَ فى دُبْر بَغلةٍ مِصريَّهْ

وقال أيضاً :

ألا قُولا لسرّان المخازى ووجهِ الكلب والتَّيْسِ الضروطِ (٦)

---

(١) ط : « جنبت على قصواء » وهو تحريف .
(٢) ل : « سلمى بن جندل » وهو تحريف .
(٣) ط : « تثق » . وانظر الشعراء ٧٩٠ وما سبق فى ص ٢٣٨ .
(٤) ل : « خر » .
(٥) ط : « سرسية » .
(٦) ط : « ألا قولا لشران » .

له بطنٌ يَضلُّ الفيلُ فيه ودُبرٌ مثلُ رَاقود النَّشوط[1]

وأَيْرٌ عارمٌ لا خيرَ فيه كدَوْرِ سفينةٍ فى بَثْق رُوط[2]

ولحيَةُ حائكٍ من باب قلب[3] مُوَصَّلَةِ الجوانبِ بالخيوطِ

له وجهٌ عليه الفقرُ بادٍ مُرقَّعة جوانبُه بِقوطِ[4]

إِذَا نَهَضَ الْكِرَامُ إِلَى المَعَالِى تَرَى سَرَّانَ يَسْفُلُ فِى هَبُوط

١٢٧ وقال أيضاً فى ذلك :

يا رازقَ الكلبِ والخنزيرِ فى سعةٍ والطيرِ والوحش فى يهماءَ دوِّيَّهْ[5]

لو شئتَ صيَّرتَه فى حالِ فاقته حتى تُقِرَّ بتلك الحالِ عينيَّه[6]

وقال جرير بن عطية ، يهجو الصَّلَتان العبدىّ[7] :

أقول لها والدَّمعُ يغسِل كُحلَها متى كان حكمُ اللهِ فى كَرَبِ النخلِ

فأجابه الصَّلَتانُ فقال :

تُعيِّرنا أن كانت النَّخْلُ مالَنا ووَدَّ أبوك الكلبُ لوكان ذا نَخْلِ

يعيِّره جريرُ بأنَّه كان هو وأبوه من أصحاب النَّخْل[8] .

---

(١) الراقود : دن كبير أو طويل الأسفل يسيع داخله بالقار . والنشوط : سمك يمقر فى ماء وملح .

(٢) عارم ، من يوم عارم : نهاية فى البرد . والروط بالضم : النهر ، معرب . وبثق النهر : كسر شطه لينبثق الماء . وفى ل : « زوط » وليس بشىء .

(٣) ل : « قلبا » .

(٤) ط : « بغوط » وقد كتب هذا البيت تاليا للذى بعده فى ط ، ورددته إلى موضعه سابقا له كما فى ل .

(٥) ط : « فى يهما روية »، وهو تصحيف . وفى ل : « من سعة » .

(٦) ل : « حتى يقر » .

(٧) ل : « قال الصلتان العبدى يهجو جريرا » وهو خطأ صوابه فى ط ، وفى الخزانة ٢ : ١٥٥ ، والشعراء لابن قتيبة ٤٧٨ .

(٨) ل : « يعير جريرا وأباه بأنهما كانا أصحاب نخل » ، وهو خطأ انظر له المراجع السابقة .

وقال وضّاحُ اليمن :

وأكتم السِّرَّ غضباناً وفى سكرى ... حتى يكون له وجهٌ ومستمِعُ

وأتْرُكُ القولَ عن علمٍ ومَقْدِرَةٍ ... حتى يكون لذاك النَّجْدِ مُطَّلَع [١]

لاقُوّتى قُوّة الراعى ركائبَه ... يبيتُ يأوى إليه الكلبُ والرُّبَع [٢]

ولا العَسيفِ الذى تشتدُّ عُقْبَتُهُ ... حتّى يَئُوبَ وباقى نعْلِه قِطَع [٣]

وقال محمَّد بن عبّاد الكاتب مولى بجيلة ، وأبوه[٤] من سبى دابق وكاتب زهير ، وصديق ثُمامة ، يهجو أبا سعد[٥] دعىَّ بنى مخزوم ، وبعد أن لقى منه ما لَقى :

فعلَتْ نزارُ بك الذى اســـتأهَلْتَه نفياً وضَرْبَا

فهجوتَ قحطانا لأهـ ... جُوَهم مكايَدةً وإرْبا [٦]

وأردتَ كيما تشتَفِى ... بهجاءِ منهم فتَرْبَا

ووثقت أنَّك ما سببـ ... ـتَ حَماكَ لؤمُك أن تُسَبَّا

كالكلب إن ينبح فليـ ... ـس جوابه إلَّا اَخْسَ كَلْبَا [٧]

خفِّض عليك وقَرْ مكا ... نَك لاتطفْ شرقاً وغربا

واكشِفْ قِناعَ أبيك فالـ ... آباءُ ليس تُنال غَصْبا

---

(١) ط : « حتى يكون بذاك » .

(٢) الربع : ولد الناقة فى الربيع ، وفى ط : « الولع » وصوابه فى ل ، وفى الحماسة ١ : ٢٦١ . والشعر فى الحماسة غير منسوب .

(٣) العسيف : العبد أو الأجير . وعقبته : مرفوع على الفاعل ، أو منصوب على الظرف (برواية : يشتد) أى وقت عقبته ، والعقبة من المعاقبة وهى النوبة . وفى ط : « وباقى فعله » وتصحيحه من ل ، ومن الحماسة . وانظر التبريزى (٢ : ٩٧) .

(٤) كلمة « وأبوه » ساقطة من ل : والصواب إثباتها كما فى الأغانى ٦ : ١٤ . وانظر البيان ١ : ٤٤ . وفى ط : « من سبى وابق » وتصحيحه من ل ، ومن البيان .

(٥) ط : « أبو سعيد » وهو تحريف نبهت عليه ص ٢٦٢

(٦) ل : « لأهجوكم » . ط : « مكابرة وإربا » .

(٧) ل : « كالكلب » .

١٢٨ وقال آخر يصف كلباً :

ولَذٍّ كطَعْم الصَّرْخَدِىِّ تركتُه بأرض العِدَا من خَشْية الحَدَثَانِ
ومُبْدٍ لىَ الشَّحناءَ بينى وبينه دعوتُ وقد طال السُّرى فدعانى

فوصفه كما ترى أنَّه يبدى له البغضاء .

وقال آخر :

سَرَتْ ماسَرَتْ من ليلها ثم عرَّست عَلَى رجُلٍ بالعَرْج ألأمَ من كلْبِ

وقال راشِد بن شِهاب اليشكُرىُّ :

فلستُ إذا هبَّتْ شَمالٌ عَرِيَّةٌ بكَلْبٍ على لحم الجزورِ ولا بَرَمْ

وقال كُثَيِّر بن عبد الرحمن ، وهو يصف نعلاً من نِعال الكرام[1] :

إذا طُرِحَتْ لم يَطَّبِ الكلبَ ريحُها وإن وُضِعت فى مجلس القَوم شُمَّتِ

وقال اللّعين فى بعض أضيافه[2] ، يخبر أنّه قراه لحمَ كلب . وقد قال ابنُ الأعرابى : إنَّما وصف تيساً :

فقلتُ لعَبْدَىَّ اقْتُلا داءَ بطنِه وأعفاجِه اللائى لهنَّ زوائدُ[3]
فجاءَا بخِرشاوَى شَعير عليهما كَرَادِيسُ من أوصالِ أعقَدَ سافِدِ

وقال خُلَيد عَيْنَين[4] وهو يهجو جرير بن عطية ويردّ عليه :

وعيَّرتَنا بالنخل أن كان مالَنا ووَدَّ أبوك الكلب لو كان ذا نخل

(١) للبغدادى كلام فى البيت الآتى . الخزانة ٤ : ١٤٧ بولاق . وهو مع بيتين سابقين له فى البيان ٣ : ١٠٩. ولبشار مثل هذا المعنى إذ يقول :
إذا وضعت فى مجلس القوم نعلها تضوع مسكا ماأصابت وعنبرا
وروايته فى اللسان (نعل) : « له نعل »، وقال : « حرك الحلق لانفتاح ماقبله ».

(٢) انظر ترجمة اللعين ص ٢٥٦ .

(٣) فى هذا البيت إقواء . وقد روى ياقوت فى معجم البلدان برسم (حلامات) سبعة أبيات من قصيدة اللعين هذه ، اثنان منها مضموما القافية يليهما خمسة مكسورات القوافى . وهذا البيت هو الرابع فى روايته . وقد روى عجزه هكذا :
* وأعفاجه العظمى ذوات الزوائد *

(٤) هو من ولد عبد الله بن دارم ، وكان ينزل أرضا بالبحرين يقال لها « عينين » فنسب إليها . وقد أجازه زياد لمناسبة طريفة . الشعراء ٤٣٤ .

وقال دِعبل بن عليّ :

ولو يُرزَق الناسُ عن حيلة لما نال كفًّا من التُّرْبهْ
ولو يشربُ الماءَ أهلُ العفا ف لما نال من مائهم شَرْبَهْ
ولكنَّه رزقُ مَنْ رِزْقُه يعمُّ به الكلبَ والكلبهْ

باب

(ذكر من هُجِيَ بأكلِ لحوم الكلاب ولحومِ الناس)

قال سالم بن دَارة الغطَفانيّ[1] :

يافَقْعَسِيُّ لِمْ أكلته لِمَهْ لو خافَكَ اللهُ عليه حرَّمه
* فما أكلتَ لحمَه ولا دَمه *

وقال الفرزدق فى ذلك :

إذا أسديٌّ جاعَ يوماً ببلدةٍ وكان سميناً كلبُه فهو آكلُه

١٢٩

وقال مساور بن هند :

إذا أسدِيَّةٌ ولدَتْ غُلَاماً فبشِّرها بلؤمٍ فى الغلامِ
يخرِّسها نساءُ بنى دُبَير بأخبثِ مايجدن من الطَّعام[2]
ترى أظفارَ أعقَدَ مُلقيَاتٍ براثنُها على وَضَم الثُّمَامِ[3]

فهذا الشعر وما أشبهَه يدلُّ على أنَّ اللعين إنَّما قراهم كلباً ولم يَقْرِهم تيساً ، وأنَّ الصوابَ خلافُ ما قال ابْنُ الأعرابيّ .

وقال مُساوِر بن هند أيضاً :

بنى أسدٍ أن تُمحل العامَ فَقْعسٌ فهذا إذنْ دهْرُ الكلابِ وعامُها

---

(١) هو سالم بن مسافع . ودارة أمه ، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان رجلا هجاء ، وله ترجمة مسهبة فى الخزانة ٢ : ١٢٥ - ١٣٠. والشعر فى البخلاء ١٩٧ وانظر الحيوان ٢ : ٥٨ ، ٤ : ١٤ .

(٢) ط : « مايكون من الطعام » وأثبت مافى ل والبخلاء ١٩٧

(٣) وضم الثمام : مثل للقلة والهون . وفى ط : « الشمام » وصوابه فى ل والبخلاء ١٩٧ .

وقال شَرَيح بن أوس يهجو أبا المهوّش الأسدى[١] :

وعيَّرْتنا تمرَ العراق وبُرَّه ... وزادُك أير الكَلْب شيَّطه الجمْرُ

(أكل لحوم الناس وما قيل فى ذلك من الشعر)

وقال معروفٌ الدُّبيرىّ[٢] فى أكلِهم لحومَ الناس :

إذا ماضِفْتَ يوماً فقعسيًّا ... فلا تَطعَمْ له أبدا طعاما

فإنَّ اللحم إنسانٌ فدَعْهُ ... وخيرُ الزَّادِ مَا مَنَع الحراما

وقد هُجِيت هذيلٌ وأسد وبَلَعَنْبَر وباهلة بأكلِ لحوم الناس ، قال حسَّان بن ثابت يذكر هذيلا :

إنْ سرَّك الغَدْرُ صِرفاً لامِزَاجَ له ... فأت الرجيع وسل عن دارِ لِحْيانِ

قومٌ تواصَوا بأكل الجار بينهم ... فالكلبُ والشَّاةُ والإنسانُ سِيَّانِ

وقال الشاعر فى مثل ذلك فى هذيل :

وأنتمْ أكلتُمْ شحمة بن مخدَّم ... زباب فلا يأمنْكمُ أحدٌ بعدُ[٣]

تداعَوا له من بين خَمسٍ وأربعٍ ... وقدنصل الأظفارُوانسبأ الجِلْدُ[٤]

---

(١) أبو المهوش الأسدى : هو حوط بن رئاب ؛ أو ربيعة بن وثاب، من المخضرمين الذين أدركوا النبى صلى الله عليه وسلم ولم يروه . وانظر الخزانة ٣ : ٨٦ بولاق والإصابة ٢٠١٥ . وفى ط : « المهوس » وصوابه فى الخزانة و ل ، والبخلاء ١٩٨ .

(٢) ط : « الأسدى » وأثبت ما فى ل والبخلاء ١٩٩ .

(٣) ل : « شخفة بن مخدم » . وفى البخلاء ١٩٨ : « سخفة بن محدم » وفى ط : « زمانا » موضع « زباب » . والزباب : ضرب من الفأر ، وهو مما يهجى به . قال :

وهم زباب حائر لا تسمع الآذان رعدا

(٤) ط : « نسل » وليس بشىء وصوابه فى ل والبخلاء .

ورَفَعتم جُرِدَانَه لرئيسكم مُعاوية الفلحاء يالكَ ما شُكِدْ[1]

وقال الشاعر فى ذلك فى باهلة :

إنَّ غفاقاً أكلَتْه باهله تمشَّشوا عظامَه وكاهلَه

* وأصبحتْ أم غفاق ثاكِلَه[2] *

وهجا شاعر آخر بَلْعَنبر، وهو يريد ثَوْبَ بن شَحْمَة[3]، وكان شريفاً وكان ١٣٠ يقال له مجير الطير. فأمّا مجير الجراد فهو مدلج بن سويد بن مرشد بن خيبرى[4] فعيَّر الشاعرُ ثوب بنَ شحمة[3] بأكل الرجلِ العنبريِّ[5] لحمَ المرأة إلى أن أتى ثوبٌ[6] من الجبَل فقال :

عجِلتمُ ما صادَكم عِلاجْ من العُنُوق ومن النِّعاجْ

* حتى أكلتمْ طَفْلَةً كالعاجْ *

فلما عيَّره قال ثوب[7] :

يا بنتَ عمِّىَ ما أدراكِ ما حسبى إذ لا تجنُّ خبيثَ الزاد أضلاعى[8]

إنِّى لذو مِرَّةٍ تُخْشَى بوادِرُه عِنْدَ الصِّياحِ بِنَصْلِ السَّيْفِ قَرَّاعِ

ومن ظريف الشعر قول أبى عدنان[9] :

---

(١) ط : ودفعتم جيرانه لرئيسكم معاوية الفساء يالك ماشكد والصواب فى ل والبخلاء . و « يالك ما » كذا وردت والوجه « يالك من ».

(٢) ط : « عفاقا » و « أم عفاق » بالعين، وأثبت ما فى ل والبخلاء .

(٣) كذا فى القاموس والبخلاء ١٩٨. وفى ط: « ثور بن شحمة » وفى ل : « ثوب ابن سحمة » وكلاهما محرف . وكان ثوب سيداً شريفاً قد أجار الطير فكان لايثار ولا يصاد بأرضه ، فسمى مجير الطير. ثمار القلوب ٣٥٥ .

(٤) ط : « جبير » . وانظر خبر مجير الجراد فى أمثال الميدانى (١ : ٢٠٢) وبلوغ الأرب (١ : ١٤٤) .

(٥) ل : « القينى »، وفى البخلاء « بأكل الفتى » .

(٦) ط : « ثورا » وصوابه فى ل .

(٧) ط : « ثور » .

(٨) ط « ما يدريك » وهما سيان ، ط : « لاتجر » ل : « لايجز » وتصحيحه من البخلاء .

(٩) سبقت ترجمته ص ١٨٤ .

فما كلبة سوداءُ تفرى بنابِها عُراقاً من الموتى مِرَاراً وتَكدِمُ[1]
أُتِيح لها كلبٌ فضنَّتْ بعَرْقِها فهارشَها وهى على العَرْق تَعْذِمُ[2]

فقفْ على هذا الشعر فإنّه من أعاجيب الدنيا .

وقال سُنَيح بن رباح شار الزِّنجى[3] :

مَا بالُ كلبِ بنى كُليبٍ سبَّنا أن لم يُوازِنْ حَاجِبا وعِقالا

(قتيل الكلاب)

وتنازع مالك بن مِسْمَع وشقيق بن ثور ، فقال له مالِك : إنَّما رفعك قَبْرٌ بتُسْتَرَ[4] فقال شقيق : حينَ وضعَك قبرٌ بالمشقَّر ، يا ابن قتيلِ النساء وقتيل الكلاب !! .

قال : وكان يقال لمسمع بن شيبان قتيلُ[5] الكلاب ، وذلك أنَّه لجأ فى الردة إلى قومٍ من عبد القيس ، فكان كلبُهم ينبحُ عليه فخاف أن يدلَّ على مكانه فقتَلَه فقُتِلَ به .

(أمثال أخرى فى الكلب)

قال : والعرب تقول : « أسرَعُ من لَحَسَةِ كلبٍ أنفه » . ويقال :

---

(١) ط : « تغرى بنابها » وهو تحريف . وفيها « مراداً وتكدم » وصوابهما فى ل.

(٢) تعذم : تعض أو تأكل بجفاء .

(٣) ط : « وقال الشاذيرجى » ل « وقال السارزنجى » وهذا تحريف كتبت بدله ما فى رسائل الجاحظ ٦١ ساسى . وفى الكامل ٤١٥ ليبسك « رياح بن سنيح الزنجى » ، وانظر الرسائل ٦٢ وكامل ابن الأثير ٤ : ١٦١ .

(٤) ط : « بتشير » .

(٥) فى ثمار القلوب ٣١٨ : « مسمع بن سنان » .

« أحرصُ من لَغْوة » وهى الكلبة ، وجمعها لِعاء[١] . وفى المثل : « ألأم من كلبٍ على عَرْق » ، و « نَعِم كلبٌ فى بؤس أهله » . وفى المثل : « اصنع المعروف ولو مَعَ الكلب » .

(رؤيا الكلب وتأويلها)

وقال ابن سِيرِين : الكلبُ فى النوم رجلٌ فاحش ، فإن كان أسودَ فهو عربىٌّ ، وإن كان أبقَعَ فهو عجَمىّ .

وقال الأصمعىّ عن حمّاد بن سلمة عن ابنِ أخْتِ أبى بلال مِرْدَاسِ ابن أُدَيَّة[٢] قال : رأيتُ أبا بلالٍ فى النوم كلباً تذرِف عيناه ؛ وقال : إنّا حُوِّلنا بعدَكم كلاباً من كلاب النار .

قال : ولمّا خرج شَمِر بن ذى الجَوشَن [الضِّبابى] لقتال الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما ، فرأى الحسينُ فيما يرى النائم أنَّ كلباً أبقعَ يلغُ فى دمائهم ، فأوَّلَ ذلك أن يقْتُلهم[٣] شمِر [بن ذى الجوشن] . وكان مُنْسلخاً بَرَصاً[٤] . ٩٣١

قال : والمسلمون كلُّهم يسمُّون الخوارجَ : كلابَ النار[٥] .

---

(١) فى ط : « لقوة » و « لقاء » وصوابهما فى ل .

(٢) ط : « أبى بلال بن مرادس بن أدية » . وأبو بلال كنية مرداس نفسه كما فى الأغانى وجمهرة ابن حزم ٢١١ .

(٣) ط : « فأول ذلك بقتلهم شمر » .

(٤) ل : « متسلخا برصا » .

(٥) ل : « أهل النار » والصواب مافى ط وثمار القلوب ٣١٥ .

(شعر فى تشبيه الفرس بضروب من الحيوان ليس بينها الكلب)

وقال صاحب الديك : صاحب الكلب[1] يصِفُه بالسُّرعةِ فى الُحضْر ، وبالصّبر على طول العَدْو ، وبسَعة الإهاب ، وأنّه إذا عدا ضَبَع وبسَط يديهِ ورجليه حتى يمسَّ قَصَصُهُ الأرْض ، وحتى يشرط أذنيه بشَبَا[2] أظفاره ، وأنّه لا يحتشِى ريحاً مع ما[3] يصيب الكلاب من اللَّهَث . فإن كان كما تقولون فلِم وصفت الشعراءُ الفرسَ وشبّهته بضروب من الخلق ، وكذلك الأعضاءُ وغير ذلك من أمره ، وتركوا الكلب فى المنْسَأ[4] لا يلتفت أحَدٌ لِفْتَهُ[5] ؟ !

وقال أبو دُواد الإيادِىُّ فى ذلك :

عن لسانٍ كجثّة الوَرَل الأحـــمر مجَّ النَّدى عليه العَرارُ[6]

ولم يذكره فى شىء . وقال خالد بن عجرة الكلابى[7] :

كأن لسانَه وَرَلٌ عليه بدار مضية مج العرار

وقال امرؤ القيس :

وخدٌّ أسِيلٌ كالِمسَنِّ وبِرْكَةٌ كجُؤجؤ هَيقٍ دَفُّه قد تموَّرا

---

(١) ط : « لصاحب الكلب » وصوابه فى ل .

(٢) شبا : جمع شباة : وهى الحد . وفى ط : « بسباء » محرفا .

(٣) ل : « لايحتسى ريحا مع ما » و ط : « لايحتشى ريحا ما » وسويت القول كما ترى .

(٤) المنسأ : المزجر . وفى ل : « المنسى » وفى ط : « المنسا » .

(٥) لفته : جهته . وفى ط : «لايلتفت إليه أحد » .

(٦) الورل : ضرب من الوزغ . قال ابن منظور : « ولون الورل إلى الصحمة ، وهى غبرة مشربة سواداً وإذا سمن اصفر صدره » ، وروى البيت برواية : « كجثة الورل الأصفر » ونسب البيت إلى عدى بن الرقاع .

(٧) ط : « حماد عجرد الكلابى » . والبيت فى النوادر لأبى زيد ١١٦ غير منسوب وبهذه الرواية :

كأن لسانه ورل عليه بدار مضنة مج العرارا

وفى ل : « ندى رمصيه » .

ولم يذكره فى شىءٍ. وقال عُقْبة بن سابق :

عريض الخدِّ والجبهَـــــةِ والصَّهوةِ والجنبِ

ولم يذكره فى شىء . وقال امرؤ القيس :

وسامعتان تعرِف العتقَ فيهما كسامعتَى مذعورة وسطَ ربرب

ولم يذكره فى شىءٍ من ذلك . وقال عقبة بن سابق :

ولهـا بِركةٌ كجؤجؤ هَيقٍ ولَبَانٌ مضرّجٌ بالخضَابِ

ولم يذكره فى شىء . وقال خُفاف بن نَدبة :

عَبل الذِّراعين سليم الشَّظا كالسِّيدِ يَومَ القِرَّةِ الصاردِ[1]

[ولم يذكره فى شىء من ذلك] . وقال امرؤ القيس :

سليم الشَّظا عبْل الشَّوى شَنِـجِ النَّسا أقبَّ كتَيسِ الحُلَّبِ الغَذَوانِ[2]

ولم يذكره فى شىءٍ من ذلك . وقال عقبة بن سابق .

وأرساغ كأعناقِ ظِباءٍ أربع غُلْبِ ١٣٢

ولم يذكره فى شىءٍ من ذلك . وقال الجَعْدىُّ :

كأن تماثيلَ أرساغهِ رِقابُ وُعُولٍ لَدَى مَشْرَبِ

ولم يذكره فى شىء من ذلك . وقال امرؤ القيس :

لهـا متْنَتَانِ خَظَاتَا كما أكبَّ عَلَى ساعديه النَّمِرْ

ولم يذكره فى شىء من ذلك . وقال أبو دُواد :

---

(١) ط : « يوم نفرة الصادر » وهو تحريف مافى ل . وفى ل : « أمين الشظا » .

(٢) الحلب : نبت تعتاده الظباء ، يخرج منه شىء شبيه باللبن إذا قطع . والغذوان : النشيط المسرع ، وفى ط : « العدوان » من العدو ، وهو الجرى . وهما روايتان . الديوان ١٢٣ .

يمشى كمشى نعامتَين تُتابِعان أشقَّ شاخِصْ

ولم يذكره فى شيء من ذلك . وقال ابن الصَّعِق[1] :

بمحنَّبٍ مثلِ العُقا بِ تخالُه للضُّمرِ قِدْحا[2]

ولم يذكره فى شيءٍ من ذلك .

وقال رَبيعة بن جُشم [النمرى]، ويروى لامرئ القيس[3] :

وساقانِ كعباهما أصمَعَا نِ لحمُ حَمَاتَيهما منبتِرْ

ولم يذكره فى شيء من ذلك .

وقال عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصارى :

كأنَّ حَمَاتَيْهِما أَرنبانِ تقبَّضتا خيفةَ الأجدلِ[4]

ولم يذكره فى شيء من ذلك .

وقال خالد بن عبد الرحمن فى مثل ذلك[5] :

كأنَّ حَماتَها كردوس فحْلٍ مقلَّصةٌ على ساقَى ظليمِ

ولم يذكره فى شيء من ذلك .

وقال الأعشى :

أمَّا إذا استقبلتَه فكأنَّه جِذْعٌ سَمَا فوقَ النَّخيلِ مشذَّبُ

وإذا تصفَّحَه الفوارسُ معرضاً فتقولُ سِرحانُ الغَضَا المتصوِّبُ[6]

أما إذا استدبرته فتسوقُه ساقٌ يقمِّصها وظيفٌ أحدَبُ

---

(١) هو يزيد بن عمرو بن خويلد . له ترجمة فى الخزانة ١ : ٣٨٨ .

(٢) المحنب : المعوج الساقين . وفى : ط « بمجنب » وليس بشئ .

(٣) جملة « ويروى لامرئ القيس » ساقطة من ل . وانظر ديوان امرئ القيس أول قصيدة منه .

(٤) الحماة : عضلة الساق . وفى ط : « كأن حمايتها » وهو تحريف . والأجدل : الصقر .

(٥) جملة « خالد بن عبد الرحمن فى مثل ذلك » ساقطة من ل .

(٦) ط : « وإذا تصفحه الفوارس مغضبا » .

منـــهُ وجاعرة كأنّ حماتها لما كشفت الجُلَّ عنه أرنبُ(١)

ولم يذكره فى شىءٍ من ذلك . وقال الأسعر الُجعْفى(٢) :

أما إذا اســـتقبلْتَه فـكأنّه بازٍ يكفكِفُ أن يطيرَ وقد رأى

أما إذا استعرضتَه متمطِّرا فتقول هذا مثلُ سِرحان الغَضا

أمَّا إذا اســـتدبرته فتَسُوقه ساقٌ قُموصُ الوَقْعِ عاريةُ النَّسَا ١٣٣

ولم يذكره فى شىءٍ . وقال أبو دواد :

كالسِّيد ما استقبلتَه وإذا ولَّى تقول مُلَمْلَمٌ ضَرْبُ(٣)

لأمٌ إذا استعرضتَه ومشَى متتابعاً ما خانَه عَقْبُ

يمشِى كمشىِ نعامةٍ تبِعتْ أُخرى إذا هى راعَها خطْبُ

[ولم يذكره فى شى من ذلك] . وقال امرؤ القيس :

له أيطلاَ ظَبى وساقَا نعامةٍ وإرخاءُ سِرحانٍ وتقريبُ تَتْفُلِ

[ولم يذكره فى شىءٍ من ذلك] . وقال ابن سِنانٍ العبْدىّ :

أما إذا ما أَقبلت قُطارةٌ كالجِذع شذَّبهُ نفىُّ المِنْجَلِ

أما إذا ما أعرضَتْ فنبيلة ضخمٌمكانُحزامِهاوالمِرْكَلِ(٤)

أما إذا تشتدُّ فهى نعامةٌ تنفىسنابكُها صِلابَ الجَنْدَلِ(٥)

(قول أبى عبيدة فى تشبيه الفرس بضروب من الحيوان)

قال أبو عبيدة : ومما يشبِه خلْقُه من خَلْق النعامة طولُ وظيفِها وقصرَ

(١) الجل : غطاء الفرس . وفى ط : « الحبل » محرفا . وفى ل : « هنة وجاعرة » .
(٢) الأبيات فى الخزانة ٤ : ٢٢ بولاق بتقديم الثالث على الثانى .
(٣) الضرب : الخفيف اللحم . وفى ل : « صرب » .
(٤) ط : « فقليلة » .
(٥) ل : « أما إذا ماأدبرت فنعامة »

ساقيها وعُرى نَسَيِها[١] . وممَّا يشبه من خلقه خلْقَ الأرنب صِغَر كعبَيها .
وممَّا يشبه من خلْقه خلْق الحمار الوحشىِّ غِلظ لحمه ، وظمأ فصوصِه
وسَراتِه ، وتمحص عصَبِه[٢] ، وتمكُّن أرساغه ، وعَرض صهوته .

قال صاحب الكلب : قد قال أبو عبيدة : إنّ مما يشبه من خلقه
خلْقَ الكلب هَرَت شدقِه ، وطول لسانه ، وكثرة ريقه ، وانحدار
قصِّه[٣] ، وسبوغ ضُلوعِه ، وطول ذراعيه ، ورُحْب جلده ، ولحوق بطنه .

وقال طُفيل الغَنَوىّ ، يصف الخيل :

تبارِى مَراخِيها الزِّجاج كأنّها ضِرَاءٌ أحسَّتْ نبأةً من مكلِّبِ[٤]

وقال طُفَيل أيضاً :

كَأَنَّ عَلَى أعطافِهِ ثوبَ مائِحٍ وإن يلق كلب بين لحييه يَذْهَبِ[٥]

وقال صاحب الديك : وأين يقع البيتُ والبيتان والثلاثة ، من جميع
أشعار العرب ؟ !

وقال صاحب الكلب : لعلّنا إن تتبَّعنا ذلك وجدناه كثيراً ،
ولكنك تقدَّمت فى أمر ولم تُشْعِر بالذى تعنى ، فَنَلتقط[٦] من الجميع
١٣٤ أكثرَ مما التقطت . والإنسان شريف الأعضاء وقد تشبه مواضعُ منه مواضع
من الفرس العتيق . وما حضرنا من الأشعار إلّا قوله :

---

(١) ط : « نسيها » وليس بشىء .

(٢) تمحص العصب : شدته . وفى ط : « تمحيص » .

(٣) القص والقصص : الصدر . ل : « قصبه » ط : « قصه » محرفتان .

(٤) يقول : إن هذه الخيل المراخى - وهن المسرعات واحدها مرخاء - تبارى الزجاج : جمع زج . أى تكاد تسبق مايحمله أربابها من سلاح . مثله قول لبيد :

يطرد الزج يبارى ظله بأسيل كالسنان المنتخل

وفى ط ، ل : « تبادى » . وفى ط « مراحيها » . وذلك تحريف . انظر الحيوان (٢ : ٨١) .

(٥) المائح : الذى ينزل البئر فيملأ الدلو ، والماتح : الذى يجذب الدلو ليخرجها . وفى ل « كأن على أعطافها ثوب ماتح » وفى ط : « كأن على أعطافه ثوب مائج » . وانظر أدب الكاتب ٨٧ والاقتضاب ٢٢٧ .

(٦) فى الأصل : « فتلتقط » .

وترى الكميتَ أمامَه وكأنّه رجلٌ مُغاضِبْ ١٣٤

وقال الشاعر فى ذلك :

خُوصٌ تَرَاحَ إلى الصراخ إذا غدت فِعْلَ الضِّرَاءِ تَرَاحُ للكَلّابِ (١)

وقد شبهوا بالكلب كلَّ شيء .

وكان اسم فرس عامر بن الطفيل ، الكلب ، والمزنوق ، والوَرد .

(شعر فى وصف الناقة ونشاطها)

قال صاحب الديك : قد قال أوس بن حجر ، ووصف الناقةَ ونشاطها والذى يَهيجها فقال :

كَأَنَّ هرًّا جَنيباً عند مَغْرِضها والتفَّ ديكٌ برجليها وخِنْزِيرُ (٢)

فهلّا قال : والتف كلبٌ كما قال : والتفَّ ديك ! ! وقال أبو حيَّة :

[و] تزاورَتْ عنه كأن بدفِّها هِرًّا ينشِّبُ ضَبْعَها بالأظفر (٣)

وقال الأعشى :

بُجلالةٍ سُرُحٍ كَأَنّ بدَفِّها (٤) هرًّا إذا انتعل المطىُّ ظلالَهَا

وقال عنترة بن شدَّاد العَبْسى :

وكأنَّما ينأى بجانب دَفِّها الـــوحْشِىِّ من هَزِج العشىِّ مؤوَّمِ (٥)

---

(١) ل : « إلى الصياح » وكذلك فى اللسان مادة (روح) .

(٢) لابن طباطبا نقد فى هذا البيت ذكره المرزبانى فى الموشح ٨٦ ، ولابن رشيق كلام فيه فى العمدة ٢ : ٢٢٥ ، وانظر معاهد التنصيص ١ : ٤٧ .

(٣) ينشب : يعلق به . وفى ط : « تنشب » .

(٤) ل : « بغرزها » . والغرز : ركاب من جلد . والدف : الجانب .

(٥) فى الأصل : « دفها الوحشى فى هزج . . » . وانظر التبريزى ١٨٧ .

هِرٌّ جَنِيبٌ كلّما عطَفَتْ له غَضْبَى اتقاها باليدين وبالفمِ[1]

وقال المثقِّب العَبْدىّ :

فسلِّ الهمَّ عنك بذاتِ لَوْثٍ عُذَافِرةٍ كَمِطْرَقةِ القُيُون

وبِصادقةِ الوَجِيفِ كأنّ هرًّا يُبارِيها ويأخُذُ بالوَضِين[2]

قال صاحب الكلب : إنما يذكرون فى هذا الباب السِّباعَ المنعوتة بالمخالب وطولِ الأظفار ، كما ذكر الهرَّ وابن آوى . والكلبُ ليس يوصف بالمخالب ، وليس أَنَّ الهر أقوى منه . ألا ترى أنّ أوسَ بن حجرٍ قال فى ذلك :

* كأنّ هرًّا جَنِيباً عِنْدَ مغْرِضِها *

فذكر الموضع الذى يوصف بالخلْبِ والخدْش والخمش والتظفير ، فلما أراد أن يفزِّعها ويثوِّرَها حتى تذهبَ جافلة فى وجْهِها[3] ، أو نادَّة ، ١٣٥ أو كأنّها مجنونة من حاقِّ المرح والنشاط[4] قال :

* والتفَّ دِيكٌ برجلَيها وخِنزِير[5] *

وقال أبو النجم :

لو جُرَّشَنَّ وسطها لمْ تُجْفِلِ[6] من شهوةِ الماءِ ورِزٍّ معضل[7]

[ويروى: تحفل] . ولو قال أوس :

---

(١) ط : « التقاها » .

(٢) ط : « وصادقة الوجيف » وانظر المفضليات ٢٩٠ .

(٣) ل : « وجهه » وهو تحريف .

(٤) حاق المرح : صادقه . وفى ط : « حال المرح » .

(٥) البيت لأوس بن حجر كما سبق قريباً . وصدره :

* كأن هرا جنيبا عند مغرضها *

(٦) ط : « لو جرشن خلفها لم يحفل » .

(٧) البيت ساقط من ل . والرز : الصوت ، وعنى به الوجع ، كما فى اللسان (رزز) عند إنشاد الرجز . وفى الأصول : « رزه » ، تحريف .

* والتفّ شَنٌّ برِجليها وخِنزير *

لكان جائزاً ، لولا يُبْس الشنّ وقحُوله ، وأنّه ليس ممّا يلتوى على رجليها . وقال آخر :

كأنَّ ابنَ آوى مُوثَقٌ تحت غرْزِها إذا هو لم يَكْلِمْ بنابَيهِ ظَفّرا

وقال صاحب الديك : حديث عمرو بن شُعيب عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحِلُّ لرجلٍ [أَنْ](1) يُعطِيَ عَطِيَّةً ويرجِع فيها ، إلاّ الوالد فيما يعطى ولده . ومثل الذى يُعطى العطيَّةَ ثم يرجِعُ فيها كمثل الكلب يأكل ، حتى إذا شَبِع قاءَ ثم عاد فى قيئه »(2) .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يرجع فى هِبَته إلاّ الوالد من ولده . والعائِدُ فى هبتِه كالعائد فى قيئه » .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر ، أنّ أبا بكرٍ أمر بقتل الكلاب . قال عبد الله بن جعفر : وكانت أُمِّى تحتَ أبى بكر ، وكان جروٌ لى تحت سريره(3) فقلت له : يا أبتِ ، وكلبى أيضاً ؟ فقال : لا تقتلوا كلبَ ابنى ، ثمّ أشار بإصبعه إلى الكلب — أى خذوه من تحت السرير — وأنا لا أدرى ، فقتل .

وإسماعيل بن أُميَّة قال : أُمّتان من الجنّ مُسِختا ، وهما الكلاب والحيَّات .

ابن المبارك قال : إذا عرف الرجلُ قدْرَ نفسه صار عِند نفسه أذلَّ من الكلب .

---

(1) ليست بالأصل .
(2) ل : « قاءه ثم عاد فى قيه » .
(3) ط : « تحت السرير » .

(لؤم الكلب)

قال صاحب الديك — وذَكَرَ الكلب فقال —: من لؤمه أنَّه إذا أسمنْتَه أكلك ، وإن أجعْتَه أنكرك . ومن لؤمه اتّبَاعه لمن أهانه ، وإلفُه لمن أجاعَه ؛ لأنه أجهلُ من أن يأنس بما يؤنس به[١] وأشره وأنهَمُ وأحرصُ وألجُّ من أن يذهب بمطمعته[٢] ما يذْهَب بمطامع السباع .

ومن جهله أيضا أنّا لم نجدْه يحرُس المحسنين إليه بنباحه ، وأربابَهُ الذين ربّوه وتبنّوه[٣] إلا كحراسته لمن عَرفه ساعةً واحدة ، بل لمن أذلّه وأَجاعَه وأَعطشه . بل ليس ذلك منه حراسةً ، وإنَّما هو فيه من فضل البَذَاء أَو التُحْش ، وشدَّة التحرُّش والتسرُّع . وقد قال الشاعر فى ذلك :

١٣٦ إذا تخازَرْتُ وما بى من خَزَرْ ثم كسَرت العينَ من غير عَوَر[٤]

أَبْذَى إذا بُوذِيت من كلبٍ ذَكَرْ[٥] أَسودَ قَزَّاحٍ يُعوِّى فى السَّحَر[٦]

وإنَّما ذلك شكل من شكل الجبن ، وكالذى[٧] يعترى نِسَاءَ السِّفْلة من الصخَب .

(جبن الكلب)

والكلب جبانٌ وفيه جرأة ولؤم . ولو كان شجاعاً وفيه بعض التهيُّب

---

(١) ل : « منه » .

(٢) مطمعته : طمعه . وفى ط : « بمطمعه » .

(٣) ط : « وواسوه » والوجه ما فى ل .

(٤) ل : « الطرف » موضع « العين » .

(٥) أبذى ، من البذاء . ط : « أبزى إذا بوزيت » صوابه فى ل . وانظر الأمالى (١ : ٩٦) وأمثال الميدانى (٢ : ١٢٧) . والرجز منسوب إلى عمرو بن العاص عند الدميرى (١ : ٤١٠) .

(٦) القزاح : الذى يدفع ببوله دفعا . وفى ط : « فراع » . وفى ط : « تعوى فى السحر » وفى ل : « يغضى فى السحر » .

(٧) ط : « ولاالذى » وهو تحريف .

كان أمثل . ومن فرط الجبن أنّه يفزَع من كلِّ شيء وينبحَه .

والبرذون ربَّما رمَح البرذونَ مبتدئا ، وقلق وصهل صَهِيلا فى اختلاط ، وليس ذلك من فضْل قوَّةٍ يجدُها فى نفسه على المرموح ، ولكنَّه يكون جبانا ، فإذا رأى البرذون الذى يظنُّ أنَّه يعجِز عنه أراه الجبنُ أنَّه واقعٌ به ، فعندها يقلَق وإذا قلِق رمَح . وهذه العلَّة تعرض للمجنون ؛ فإنَّ المجنونَ الذى تستولى عليه السَّوداء ، ربما وثَب على من لايعرفه . وليس ذلك إلاّ لأنَّ المِرَّة أوهمتْه أنّه يريده بسوء ، وأنّ الرأى أن يبدأه[1] بالضرب . وعلى مثل ذلك يرمى بنفسه فى الماءِ والنار .

(مما حدث للنظام)

فأمَّا الذى شهدت أنا من أبى إسحاق بن سيَّار النظّام ، فإنّا خرجنا ليلةً فى بعض طرقات الأبُلَّة ، وتقدَّمتُه شيئاً ، وألح عليه كلبٌ من شكل كلاب الرِّعاء ، وكره أن يعدوَ فيغريَه ويُضَرِّيه[2] ، وأنف أيضاً من ذلك — وكانَ أنِفاً شديدَ الشَّكيمةِ أبَّاء للهَضيمة — وكره أن يجلسَ مخافةَ أن يشغَر عليه[3] أو لعلَّه أن يعضَّه فيَهْرِتَ ثوبَه ، وألحَّ عليه فلم ينله بسوءٍ[4] . فلمَّا جُزْنا حدَّه وتخلّصنا منه ، قال إبراهيم فى كلامٍ له كثير ، يعدِّد خصالَه المذمومة ، فكان آخر كلامه أن قال : إن كنت سَبْعْ فاذهبْ مع السِّباع ، وعليك بالبرارِى والغِياض ، وإن كنت بَهيمة فاسكتْ عنَّا سكوت البهائم !

---

(١) ط : « أنه يبدأه » .

(٢) يضريه : يغريه . وفى الأصل : « ويضربه » .

(٣) فى ط : « يشر عليه ببوله » وهو تحريف .

(٤) ل : « أن يأكله فهرت ثوبه وألح عليه ولم يرد سواه » .

التى فى الأسواق مأواها ومنازلها .

وبعد فمن أخطأُ وأظلمُ ممَّن يكلِّف السباعَ أَخلاقَ الناس وعادات البهائم ! ! وقد علمْنا أنّ سباعَ الأرض عن آخرها إنَّما تَهيج وتَسرح وتلتَمس المعيشةَ وتتلاقى على السفاد والعظال ليلاً ؛ لأنها تبصر بالليل .

(سبب اختيار الليل للنوم)

وإنما نام الناسُ بالليل عن حوائجِهم ، لأنّ التَّميز والتفصيل والتبيُّن[1] لايمكنهم إلاّ نهارا ، وليس للمتعَب المتحرِّك بدٌّ من سكون يكون جَماماً له . ولولا صرفُهم[2] التماسَ الجمام إلى الوقت الذى لو لم يناموا فيه والوقتُ مانع ١٣٨ من التَّميز والتبيُّن[3] ، لكانت الطبائعُ تنتقض . فجعلوا النَّوم بالليل لضربين : أحدهما لأنّ الليلَ إذ كان من طبعه البرد والرُّكود والخُثورة ، كان ذلك أنزَعَ إلى النوم وما دعا إليه ، لأنّه من شكله . و [أمّا][4] الوجه الآخر فلأنّ الليلَ موحِشٌ مَخُوف الجوانب من الهوامِّ والسباع ، ولأنّ الأشياء المبتاعةَ والحاجات إلى تمييز الدنانير ، والدراهم ، والحبوب ، والبزور ، والجواهر ، وأخلاط العطر ، والبَرْبَهار[5] وما لا يحصى عدده . فقادتهم طبائعُهم وساقتهم غرائزهم إلى وضعِ النوم فى موضعه ، والانتشار

(١) ط : « والتفصيل والتبيين » والوجه ما فى ل .

(٢) ل : « فصرفهم » .

(٣) ط : « التبيين » .

(٤) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٥) البربهار : الأدوية التى تجلب من الهند من الحشيش والعقاقير ونحوها ، يقول البحرية وأهل البصرة لها : البربهار . أنساب السمعانى ٧١ . وانظر ماسيأتى فى حواشى ٣ : ٤٣٥

والتصرف[١] فى موضعه على ماقدَّر الله تعالى من ذلك وأحبَّه . وأمَّا السباع فإنها تتصرَّف وتبصر بالليل ، ولهـا أيضاً عللٌ أخرى يطول ذكرُها .

(نوم الملوك)

وأمَّا ماذكرتموه من نوم الملوك بالنّهار وسهرهم بالليل، فإنّ[٢] الملوكَ لم تجهلْ فضلَ النوم بالليل والحركةِ بالنهار ، ولكنَّ الملوك لكثرة أشغالها فضلَت حوائجها عن[٣] مقدار النهار ولم يتّسع لها ، فلما استعانَت بالليل ولم يكن لها بدٌّ من الخلوة بالتدبير المكتوم والسرِّ المخزون ، وجمعت المقدارَ الفاضلَ عن اتِّسَاع النهار إلى المقدارِ الذى لابدَّ للخلوة بالأسرار منه ؛ أخذتْ من الليل صـدراً صالحاً . فلمَّا طال ذلك عليها أعانها المِران[٤] ، وخفَّ ذلك عليها بالدُّربة .

وناسٌ منهم ذهبوا إلى التناول من الشراب وإلى أن سَماع الصوت الحسن مما يزيد فى المُنّة ، ويكون مادَّةً للقوة . وعلموا أنّ العوامَّ إذا كانت لاتتناول الشّرابَ ولا تتكلّف السماع على هذا المعنى ، أن ظنّها سيسوءُ[٥] ، وقولَها سيكـثُر ؛ فرأوا أنّ الليل أستَرُ وأجدرُ أن يتمَّ به التدبير[٦] ، وقال الراجز :

* ٱللَّيـلُ أخـفَى والنهارُ أفْضَحُ *

وقالوا فى المثل : « ٱللَّيـلُ أخـفَى[٧] للويل » .

---

(١) ط : « والانتشار بالتصرف » وهو تحريف .
(٢) فى الأصل : « وإن » والوجه ما أثبت .
(٣) ط : « على » موضع « عن »
(٤) ط : « المرات » وهو تحريف .
(٥) ط : «متيسر » وهو تحريف مافى ل .
(٦) ط : « به باقى التدبير »
(٧) ط : « أنفى للويل » . وانظر أمثال الميدانى (٢ : ١٢٧) .

(تلهى المحزون بالسماع)

وما زالت ملوكُ العجَم تلهِّى المحزون بالسماع ، وتعلِّل المريض، وتَشغله عن التفكير ، حتَّى أخذت ذلك ملوكُ العرب عن ملوك العجم . ولذلك قال ابن عَسَلة الشيبانى (١) :

وسماع مُدْجنةٍ تعلِّلُنا حتَّى نَنَامَ تناوُمَ العُجْمِ
فصحوت والنَّمَرِىُّ يحسَبُها عَمَّ السِّماكِ وخالةَ النَّجْم (٢)

النجم : واحد وجمع ، وإنَّما يعنى فى البيت الثريَّا . ومدجنة : يعنى سحابةً دائمة .

(قول أم تأبط شرا فى ولدها)

وفيما يحكى عن امرأةٍ من عقلاء نساءِ العرب — وإذا كان نساءُ العرب فى الجملة أعقلَ من رجال العجَم ، فما ظنُّكَ بالمرأةِ منهم إذا كانت مقدَّمة فيهم (٣) — فروَوا جميعاً أنَّ أمَّ تأبَّط شرًّا قالت : «والله ماولَدْتُه يَتْناً ، ولاسقَيته غَيْلاً ولا أبتُّه على مَأْقة » . ١٣٩

فأمَّا اليتن فخروج رِجل المولود قبلَ رأسِه ، وذلك علامة سُوءٍ ، ودليلٌ على الفساد . وأما سَقى الغَيْل ، فارتضاع لبن الحبلى ، وذلك فسادٌ شديد .

---

(١) سبق هذا الشعر ص ٢١٢ كما سبقت ترجمة ابن عسلة .
(٢) صواب روايته : « لصحوت » كما سبق فى حواشى ٢١٢ .
(٣) ل : « عندهم » .

(ماينبغى للأم فى سياسة رضيعها حين بكائه)

وأما قولها فى المأقة ، فإنَّ الصبىَّ يبكى بكاءً شديداً متعِباً موجِعاً ، فإذا كانت الأمُّ جاهلةً حرّكته فى المهد حركةً تورثه الدُّوار ، أو نوّمته بأن تضرب يدَها على جنبه . ومتى نام الصبىُّ وتلك الفزْعةُ أو اللَّوعة أو المكروه قائمٌ فى جوفه ، ولم يعلَّلْ ببعضِ مايلهيه ويُضحكه ويسرُّه ، حتى يكون نومه على سرورٍ ، فيسْرِى فيه ويعمَل فى طباعه ، ولا يكون نومه على فزعٍ أو غيظ أو غمٍّ ؛ فإنَّ ذلك ممَّا يعمل فى الفساد . والأمُّ الجاهلةَ والمرقِّصة الخرقاء ، إذا لم تعرف فرقَ مابين هاتين الحالتين ، كَثُر منها ذلك الفساد ، وترادَفَ ، وأعان الثانى الأوّلَ والثالثُ الثانىَ حتَّى يخرجَ الصبىُّ مائقا . وفى المثل : « صاحبى مَئِق وأنا تئقٌ » ، يضرب هذا المثل للمسافر الأحمق الرَّفيقِ والزَّميل ، وقد استفرغه الضَّجر لطول السفر[1] فقلبُه ملآن ، فأوَّلُ شيءٍ يكون فى ذلك المئق من المكروه لم يحتمله[2] بل يَفيض ضجره عليه ، لامتلائه من طول ماقاسى من مكروه السفر .

(مايحتاج إليه الملوك)

فاحتاج حُذَّاق الملوكِ وأصحابُ العنايات التامَّةِ ، أن يداووا أنفسَهم بالسماع الحسن ، ويشدُّوا من متْنِهم بالشراب ، الذى إذا وقعَ فى الجَوف حرَّك الدَّم ، وإذا حرك الدَّم حرَّك طباعَ السرور ، ثمَّ لايزالُ زائداً

---

(١) ل : « بطول السفر »

(٢) ط : « ولم يحتمله » ، والواو مقحمة .

فى مِكيالِ الدم ، زائداً فى الحركة المولِّدة للسرور . هذه صفةُ الملوك . وعليه بنوا أمرَهم ، جهل ذلك مَنْ جهله ، وعَلِمه من علمه .

وقال صاحب الكلب : أمَّا تركُه الاعتراضَ على اللِّصِّ الذى أطعمه أيّامًا وأحسنَ إليه مِراراً ، فإنّما وجب عليه حفظُ أهله لإحسانهم إليه ، وتعاهدهم[1] له . فإذا كان عهده ببرِّ اللص أحدَثَ من عهده ببرِّ أهله[2] ، لم يكلَّف الكلبُ النظرَ فى العواقب ، وموازنة الأمور[3] . والذى أضمر اللصُّ من البَيات غَيْبٌ قد سُتِر عنه ؛ وهو لايَدرى أجاء ليأخذَ أم جاء ليعطىَ ، أوهم أمروه أو هو المتكلِّف لذلك ؛ ولعلَّ أهله أيضاً [أن] يكونوا قد استحقُّوا ذلك منه بالضَّرب والإجاعة ، وبالسبِّ والإهانة .

وأمَّا سماجة الصَّوت فالبغل أسمجُ صوتاً منه ، كذلك الطاووس على أنَّهم يتشاءمون به . وليس الصَّوت الحسنُ إلاّ لأصناف الحمام من القَمارىِّ والدَّبَاسىّ ، وأصناف الشَّفانين[4] والوَراشين . فأمّا الأسد والذئب ؛ وابن آوى والخنزير ، وجميعُ الطيرِ والسباع والبهائم فكذلك . وإنَّما لك أن تذمَّ الكلبَ فى الشىء الذى لايعمّ . والناس يقولون : ليس فى الناس شىءٌ أقلَّ من ثلاثةِ أصناف : البيان الحسن ، والصوت الحسن ، والصورة الحسنة ؛ ثمّ النَّاس بعدُ مختلِطون ممتزجون . وربّما كان مِنَ الناسِ بل كثيراً ماتجِدُه وصوته أقبحُ من صوت الكلب ، فلم تخصُّون الكلبَ بشىءٍ عامَّةُ الخلق فيه أسوأ حالاً من الكلب ؟ ! ١٤٠

وأما عُواؤه مِن وَطْء الدَّابّة وسوءُ جزَعه من ضرب الصِّبيان ، فجزعُ

---

(١) ل : « وتعهدهم له » وهما بمعنى .

(٢) ط : « فإذا كان عهده بين اللص وبينه أحدث من عهده بينه وبين أهله » وأثبت مافى ل ، مع إبدال « بينه وبين » بكلمة « ببر ».

(٣) ط : « وموازنة الأمور » .

(٤) ط : « الشغانين» وهو تحريف سبق التنبيه عليه ص١٩٤ .

الفرَس من وقْع عذَبة السَّوط ، أسوأ من جزَعه من وقع حافر بِرذون ؛ وهو فى هذا الموضع للفرس أشدُّ[١] مناسبةً منه للحمار .

على أنَّ الدِّيكَ لايُذكَر بصبرٍ ولا جزَع .

(نوادر ديسيموس اليونانى)

قال صاحب الديك : حدَّثنى العُتْبى[٢] قال : كان فى اليونانيِّين ممرورٌ له نوادرُ عجيبة ، وكان يسمَّى ديسيموس[٣] ، قال : والحكماء يروون له أكثرَ من ثمانين نادرة [مامنها] إلاّ وهى غُرَّةٌ وعينٌ من عُيون النوادر : فمنها أنَّه كان كلَّما خرجَ من بيته مع الفجر إلى شاطئ الفرات للغائط والطهور ، ألقَى فى أصل باب دارِه وفى دُوَّارته حجراً ، كى لاينصفق الباب ، فيحتاج إلى معالجة فتحه ، وإلى دفعه[٤] كلَّما رجَع من حاجته ، فكان كلَّما رجع[٥] لم يجد الحجرَ فى موضعه ، ووجد البابَ منصفقاً . فكَمَن له فى بعضِ الأيَّام[٦] ليرى هذا الذى يصنع[٧] مايصنع . فبينا هو فى انتظاره إذْ أقبَل رجلٌ حتَّى تناوَلَ الحجر ، فلمَّا نحَّاه عن مكانه انصفق

---

(١) ل : « إلى الفرس » وفى الأصل : « أشد منه » . وكلمة « منه » مقحمة .

(٢) ل : « القينى » وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة العتبى ص ٥٤ .

(٣) كتابة هذا العلم بالدال هى الصواب كما فى ل ، ورسائل الجاحظ ١٤٣ . وهو علم يونانى متداول ؛ وحرف بالراء فى ط والبخلاء ١٥٨ ، والبيان ٢ : ٢٢٥ : ٢٢٦ .

(٤) ط : « رفعه » والوجه مافى ل .

(٥) ل : « إذا رجع » .

(٦) ط : « فى بعض الأمكنة فى بعض الأيام » .

(٧) ط : « الباب يصنع » وهو تحريف .

البابُ ، فقال له : مالَك ولهذا الحجر ؟ ومالك تأخذه ؟ فقال : لم أعلمْ أنَّه لك . قال : فقد علمتَ أنَّه ليس لك !

قال : وقال بعضهم : مابالُ ديسيموس يعلِّم الناسَ الشِّعرَ ولا يقول الشعر ؟ قال : ديسيموس كالمِسَنِّ الذى يشحَذ ولا يقطع .

ورآه رجلٌ يأكل فى السُّوق فقال : أتأكل فى السوق ؟ فقال : إذا جاع ديسيموس فى السُّوق أكلَ من السوق .

قال : وأسمعه رجلٌ كلاما غليظا وسطاَ عليه ، وفحش فى القول ، وتحلَّم عنه فلم يجبه ، فقيل له : مامنعك من مكافأته وهو لك مُعرِض ؟ قال : أرأيتَ لو رمَحك حِمارٌ أكنتَ ترمحُه ؟ قال : لا . قال : فإن ينبح عليك كلب تنبح[1] عليه ؟ قال : لا ، قال : فإنَّ السفيهَ إمّا أن يكون حماراً ، وإما أن يكون كلبا ؛ لأنَّه لايخلو من شَرارَةٍ تكون فيه أو جهل ، وما أكثر مايجتمعان فيه[2] . ١٤١

(أمثال أخرى فى الكلب)

وقال صاحب الديك : يقال للسفيه إنَّما هو كلب ، وإنَّما أنتَ كلبٌ نبَّاح ، وما زال ينبَح علينا منذُ اليوم ، وكلبُ مَن هذا ؟ ويا كلب ابن الكلب ، واَخسَأْ كلباً[3] .

وقالوا فى المثل : « احتاج إلى الصُّوف مَنْ جَزَّ كلبَه » ، و « أَجِعْ كلبَك يتبَعْك » ، و « أحبُّ شىء إلى الكلبِ خانقهُ » ، و « سمِّن كلبَك يأكلْك »

(١) ل : « فإن نبح عليك الكلب » الخ . . .

(٢) ط : « من يجتمعان فيه » والوجه ما فى ل .

(٣) ل : « ويا كلب ابن الكلبة واخس كلبا » .

و « أجوَعَ من كَلْبة حَومَل »[١] ، و « كالكلب يربِض فى الآرِىِّ فلا هو يأكل ولا يدَعُ الدابَّة تعتلف » .

(براقش)

وفى أمثالهم فى الشؤم : « على أهلها دلَّتْ بَراقِشُ » .

وبَراقش : كلبة نبحتْ على جيشٍ مرُّوا فى جوف الليل وهم لايشعُرون بموضع الحىِّ ، فاستدلُّوا عليهم بنُباح الكلبة فاستباحوهم[٢] .

(الجن والحن)

وقال صاحب الدِّيك : روى إسماعيلُ المكىّ عن أبى عَطاءٍ العُطارِدى قال : سمعت ابن عبَّاس يقول : السُّود من الكلاب الجِنّ ، والبُقْع منها الحِنّ . ويقال إنَّ الحِنَّ ضَعفة الجنِّ ، كما أنَّ الجنىَّ إذا كفر وظَلَم وتعدَّى وأفسد ، قيل شيطان ؛ وإن قوى على البنيان والحمل الثقيل ، وعلى استراق السمع قيل مارد ، فإنْ زاد فهو عِفريت ، فإن زاد فهو عبقرىّ . كما أنّ الرجلَ إذا قاتل فى الحرب وأقدم ولم يحجم فهو الشجاع[٣] ، فإن زاد فهو البطل ، فإن زاد قالوا : بُهْمة ، فإن زاد قالوا : أَلْيَس[٤] . فهذا قول أبى عبيدة .

وبعض النَّاس يزعم أنَّ الحِنّ و الجنَّ صِنفان مختلفان ، وذهبوا إلى قول الأعرابى حينَ أتى بعضَ أبواب الملوك ليكتتَب فى الزَّمْنَى ، فقال فى ذلك :

إن تكتُبوا الزَّمْنَى فإنِّى لَزَمِنْ ... مِن ظاهر الدَّاءِ وداءٍ مُستَكِنّْ

---

(١) انظر ثمار القلوب ٣١٥ والتمثيل والمحاضرة ٣٥٥ والميدانى ١ : ١٦٩ — ١٧٠ .

(٢) انظر تحقيقا طريفا للمثل فى إكليل الهمدانى ٨ : ١٢٦ .

(٣) ل : « ولم يخم . . » وهما بمعنى .

(٤) الأليس من الليس بمعنى الشجاعة . وفى ط : « ليث » وهو تحريف » .

أبيتُ أهوِى فى شياطينَ تُرِنّْ   مختلفٍ نجارُهمْ حِنٌّ وجنّْ

(ماورد من الحديث والخبر فى قتل الكلاب)

وعن أبى عَنبسة[١] عن أبى الزُّبير عن جابر :[٢] قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، حتى أن المرأة لتقدم بكلبها من البادية فنقتله ، ثم نهانا عن قتلها وقال : « عليكم بالأسود البهيم ذى النكتتين على عينيه ؛ فإنه شيطان » .

وعن أبى الزبير عن جابر قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، فكنا نقتلها كلها حتى قال : « إنها أمة من الأمم ؛ فاقتلوا البهيم الأسود ذا النكتتين على عينيه ؛ فإنه شيطان » .

١٤٢ وعبدالله وأبو بكر ابنا نافع[٣] عن ابن عمر ، ونافع عن أبى رافع قال : أمرَنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ أقتلَ الكلاب ، فكُنَّا نقتلُها ؛ فانتهيت إلى ظاهر بنى عامر ، وإذا عجوزٌ مسكينة معها كلب وليس قربها إنسان[٤] فقالت : ارجعْ إلى النبىِّ صلى الله عليه وسلم فأخبِرْه أنَّ هذا الكلبَ يُؤنِسنى ، وليس قربى أحد . فرجع إليه فأخبره ، فأمر أن يقتلَ كلبها فقتله . وقال فى حديث آخر[٥] : إنَّه لَمَّا فرَغ من قتل كلاب المدينة وقتلِ كلْب المرأة قال : الآنَ استرحْت . قالوا : فقد صحَّ الخبرُ عن قتل جميع الكلاب ، ثمّ صحَّ الخبر بنسخ بعضه وقتل الأسود البهيم منها ، مع الخبر بأنَّها من الجنّ والحنّ ، وأنَّ أمَّتين مُسِختا ، وهما الحيَّات والكلاب .

---

(١) ل : « ويحيى بن أبى أنيسة » .

(٢) فى ل بعد هذا زيادة : « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم . وعن أبى الزبير عن جابر » . كما أن الحديث الآتى فى ل روى بعد الذى يليه هنا .

(٣) ماعدا ل : « أنبانا نافع » . (٤) ط : « يقربها إنسان » .

(٥) ل : « قال وفى حديث » .

ثم روى الأشعث عن الحسن قال : ما خطَب عثمانَ خُطبةً إلاّ أمرَ بقتْل الكلاب وذبح الحمام .

وعن الحسن قال : سمعت عثمانَ بن عفَّانَ يقول : اقتلوا الكلابَ واذبحوا الحمام .

قال : وقال عطاءٌ : فى قتل كَلْب الصيد إذا كان صائداً أربعُون درهما ، وفى كلب الزرع شاة .

(ما ورد من الحديث والخبر فى دية الكلب)

والحسن بن عمارة عن يعلى بن عطاءٍ عن إسماعيل بن حسان عن عبد الله بن عمر[1] قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كلب الصَّيدِ بأربعين درهما ، وفى كلب الغنم بشاة ، وفى كلب الزرع بفَرَق من طعام[2] ، وفى كلب الدار بفَرَق من تراب ، حَقٌّ على القاتل أن يؤدِّيَه ، وحُقَّ على صاحب الدار أن يقبِضه .

قالوا : والتراب لا يكون عقلا إذا كان فى مقدار الفَرَق .

وفى قوله : وحُقَّ على صاحب الدار أن يقبضه ، دليلٌ على أنّه عقوبة على اتخاذه[3] وأن ذلك على التصغير لأمر الكلب وتحقيره ، [و] على وجه الإرغام لمالكه . ولو كان عوضاً أو ثوابا ، أو كان فى طريق الأموال المحروص عليها ، لما أُكْرِه على قبضه أحد ، ولكان العفو أفضل .

---

(١) فى الأصل : « حسان بن عبد الله بن عمر » .
(٢) الفرق ، بالفتح ، وبالتحريك : مكيال ضخم لأهل المدينة يقال إنه يسع ستة عشر رطلا . وفى ل : « من الزرع » .
(٣) ط : « على النهى عن اتخاذه » ، وتصحيحه من ل .

(ما ورد من الحديث والخبر فى شأن الكلب)

قال : وسئل عن الكلب يكون فى الدار وفى الدار مَن هو له كاره .

ابن أبى عَروبة عن قَتادة عن أبى الحكم : أنّ ابنَ عمر سئل عن ذلك فقال : المأثَمُ على ربِّ الدّار الذى يملكها .

وعن ابن عُمر قال : من اتَّخذ كلباً ليس بكلب زَرْع ولاضَرْع ولاصَيد نَقَص من أجره كلَّ يوم قيراط . فقال رجل : فإن اتخذه رجلٌ وهو كاره ؟ قال : إنّما إثمه على صاحب الدار .

وصَدَقة بن طَيْسَلة[١] المازنىّ قال : سألت الحسن قلت : إنَّ دورَنا فى الجبّان[٢] وهى مُعْوِرة وليس عليها أبواب ، أفترى أن نتَّخذ فيها كلابا ؟ قال : لا لا .

١٤٣ وعن ابن أبى أُنيسة[٣] عن سالم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اقتَنَى كلباً إلاَّ كلب صيدٍ أو كلب ماشية ، نقص من أجره كلَّ يوم قيراطان » .

وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من اقتنى كلبا[٤] فإنَّه ينقص من عمله كلَّ يوم قيراط » .

ويونس عن أبيه عن إسحاق[٥] قال : حدثنا هُنَيدَةُ بن خالد[٦] الخزاعى قال : انطلقت مع نفرٍ من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، نعودُ رجلاً من

---

(١) ط : « طيلسة » وأثبت ما فى ل .

(٢) الجبان والجبانة : المقبرة والصحراء . وفى ط : « الجنان » وهو تحريف .

(٣) اسمه يحيى . ماعدا ل : « ابن أبى شيبة » تحريف .

(٤) ل : « من أمسك كلبا » .

(٥) ل « ويونس عن أبى إسحاق وإسرائيل بن يونس عن أبى إسحاق قال : حدثنا أبو إسحاق قال : حدثنا هبيرة » .

(٦) ط : « هنيرة » ، وهو تحريف صوابه فى ل والإصابة ٩٠١٠ .

الأنصار ، فلمَّا انتهوا إلى باب الدار ثارت أكلُبٌ فى وجوه القوم ، فقال بعضهم لبعض : ما يُبقى هؤلاءِ من عمل فلانٍ شيئا ، كلُّ كلبٍ منها ينقُص قيراطاً فى كل يومٍ .

هشام بن حسان عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من اتخذ كلباً ليسَ بكلبِ صيدٍ ولا زرْع ولا ضَرْع ، فإنه ينقُص من أجره كلَّ يوم قيراطٌ ، والقيراطُ[١] مثلُ جبل أُحُد » .

يونس عن أبى إسحاق[٢] عن مجاهد[٣] قال : أقبل عبد الله بن عمرو بن العاص حتَّى نزل ناحية مكَّة ، وكانت امرأةُ عمٍّ له تهاديه ، فلما كانت ذاتَ يوم قالت له : لو أرسلتَ إلىَّ الغنمَ فاستأنستُ برعائها وكلابها فقد نزلتُ قاصية ! فقال : لولا كلابُها لفعلتُ ؛ إنَّ الملائكةَ لا تدخلُ داراً فيها كلب .

الثورىُّ عن سماك بن حرب ، أنَّ ابنَ عباس قال على مِنبر البصرة : إنَّ الكلاب من الحِنّ[٤] وإنّ الحِنّ من ضَعفة الجن ، فإذا غشيكم منها شىءٌ فألقُوا إليها شيئاً أو اطردوه[٥] ، فإنَّ لها أَنفُسَ سوء .

وهُشيم عن المغيرة عن إبراهيم قالوا : لم يكونوا ينهَونَنا عن شىء من اللعب ونحنُ غلمان[٦] إلاَّ الكلاب .

قال صاحب الديك : روى إبراهيم بن أبى يحيى الأسلمىّ ، عن محمّد ابن المنكدِر ، عن ربيعة بن أبى عبد الرحمٰن قال : تقامر رجُلان على عهد

---

(١) ل : « وقيراط » .
(٢) ل : « يونس بن أبى إسحاق » .
(٣) ل : « عن أبيه عن مجاهد » .
(٤) ط : « الجن » بالجيم ، والصواب بالحاء كما فى ل .
(٥) كذا جاء فى الأصل بتغاير الضميرين .
(٦) ط : « وعن غلمان » وليس بشىء وانظر الجزء الثانى ص ٢٩٢ .

عُمر بديكين ، فأمر عمر بالديكة أن تُقتَل[١] فأتاه رجلٌ من الأنصار فقال : أمرتَ بقتل أمّةٍ من الأمم تسبّح الله تعالى ؟ ! فأمر بتركها .

وعن قَتادة أنّ أبا موسى قال : لا تتّخذوا الدّجاج فى الدُّور فتكونوا أهل قرية ، وقد سمعتم ماقال الله تعالى فى أهل القرى : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ .

وهذا عندى من أبى موسى ليس على ما يظنّه الناس ، لأنّ تأويله هذا ليس على وجه ، ولكنّه كرِه للفُرسان ورجالِ الحرب[٢] اتخاذَ ما يتّخذه الفلاّح وأصحابُ التعيُّش ، مع حاجته يومئذ إلى تفرُّغِهم لحروب العجم ، وأخْذهم فى تأهُّب الفُرسان وفى دُرْبة رجال الحرب . فإن كان ذهب إلى الذى يظهَرُ فى اللفظ فهذا تأويلٌ مرغوب عنه .

١٤٤ وقال صاحب الكلب لصاحب الديك : فقد أمر عُمَر بقتل الدِّيَكة ولم يستثنِ منها شيئاً دون شىء ، ونهى أبو موسى عن اتخاذ الدجاج ولم يستثن منها شيئاً دون شىء ، والدِّيكةُ تدخل فى هذا الاسم ، واسم الدَّجاج يجمعها جميعا . ورويتم فى قتل الحمام مثلَ روايتكم فى قتل الكلاب ، ولم أركم رويتم أنّ الحمام مِسْخ ، ولا أنّ بعضَه من الجن وبعضه من الِجن ، ولا أنّ أمتين مسختا وكان أحدهما الحمام . وزعمتم أنّ عمر إنّما[٣] أمر بقتل الدِّيَكة حين كره الِهراش بها والقمار بها . فلعلّ كلابَ المدينة فى تلك الأيّام كثُر فيها العَقُور[٤] وأكثر أهلُها من الِهراش بها والقمار فيها . وقد علمتم أنّ ولاة المدينة ربّما دَمَروا على صاحب الحمام[٥] إذا خيف قِبَلَه

(١) ط : « نقل » ، وهو تحريف .
(٢) ل : « وللرجال » .
(٣) فى الأصل « لما » والوجه ما كتبت .
(٤) ل : « العقر » وهو جمع عقور .
(٥) دمروا عليه : دخلوا عليه وهجموا فجأة .

القِمار[1] وظنُّوا أنه الشَّرَف[2] ؛ وذكروا عنه الرَّمْىَ بالبُندق وخديعةَ أولادهم بالفراخ . فما بالكم لم تُخرِّجوا للكلابِ من التأويل والعذْر ، مثلَ الذى خرَّجتم للحمام والديكة .

(المسخ من الحيوان)

ورويتم فى الجِرِّىِّ[3] والضِّباب أنهما كانتا أمَّتين مُسختا . وروى بعضهم فى الإرْبيانة أنَّها كانت خيَّاطة تسرِق السُّلوك ، وأنَّها مُسِخت وترك عليها بعضُ خيوطها لتكون علامةً لها ودليلا على جِنْس سرقتها . ورويتم فى الفأرة أنَّها كانت طحّانة ، وفى سُهيل أنّه كان عشّارًا باليمن[4] وفى الحيَّة أنّها كانت فى صورة جَمَل ، وأنَّ الله تعالى عاقبها حتّى لا طَها بالأرض ، وقسم عقابَها على عشرة أقسام ، حين احتملت دخولَ إبليس فى جوفها حتَّى وَسوَس إلى آدم مِنْ فِيها . وقلتم فى الوَزَغة وفى الحِكأة[5] ما قلتم . وزعمتم أنّ الإبل خُلِقَت من أعنان الشياطين[6] وتأوّلتم فى ذلك أقبحَ التأويل . وزعمتم أنَّ الكلابَ أمّةٌ من الجنّ مُسخت . والذئبُ أحقُّ بأن يكون شيطاناً من الكلب ، لأنّه وحشىٌّ وصاحبُ قِفار ، وبه يُضرَب

---

(١) ط : « من قبل القمار » والصواب ما فى ل .

(٢) الشرف : الإشفاء على خطر من خير أو شر . وفى ل : « به التشرف » ، وفى ط : « أنه السرف » .

(٣) الجرى : ضرب من السمك . وفى ط : « الجدى » وهو تحريف .

(٤) العشار : من يأخذ العشر .

(٥) الحكأة : عظاءة مخططة بخمسة خطوط سود ، تعرف فى مصر بالسحلية الخضارى . معجم المعلوف ١٥٥ . وفى ط : « الحدأة » وهو تحريف .

(٦) الأعنان : النواحى والجوانب . وفى الأصل : «أعناق» وهو تصحيف نبهت عليه ص ١٥٢ . وانظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٦٣ .

المثل فى التعدِّى ، والكلب ألوفٌ وصاحبُ دِيار ، وبه يُضرَبُ المثل . والذئب خَتُور غدّار ، والكلب وفىٌّ مناصح . وقد أقام الناسُ فى الدِّيار الكلابَ مُقامَ السَّنانير للفأر[1] . والذئب مضرَّةٌ كلُّه ، والكلبُ منافعُه فاضلةٌ على مضارِّه ، بل هى غالبةٌ عليها وغامرةٌ لها ، وهذه صفة جميعِ هذه الأشياء النافعة .

والناس لم يُطبِقوا على اتِّخاذها عبَثاً ولاجهْلا ، والقضاة والفقهاءُ والعُبَّاد والوُلاة والنُّسَّاك ، الذين يأمرون بالمعروف وينهَون عن المنكر ، والمحتَسِبة وأصحاب التكلُّف والتسليم جميعاً ، لم يطبقوا على ترك النَّكير على[2] ١٤٥ ما يشاهدونه منها فى دورِ مَنْ لا يعصيهم ولا يمتنِع عليهمْ إلاّ وقد عَلِموا أنَّه قدْ كان لقتلِ الكلابِ بأعيانها فى ذلك الدَّهر ، معنى . وإلاَّ فالنَّاسُ فى جميع أقطارِ الأرض لا يُجمِعون على مسالمةِ أصحاب المعاصى ، الذين قد خلعوا عُذُرَهم وأبرزوا صَفحتَهم[3] . بل ما ترى خصماً يطعن على شاهدٍ عندَ قاض بأنَّ فى داره كلباً ، ولا ترَى حَكَمًا يردُّ بذلك شهادة . بل لو كان اتِّخاذُ الكلاب مأموراً به ، لَما كان إلاّ كذلك .

ولو أنَّكم حملتم حكم جميع الهَداهد على حكم هدهد سليمان ، وجميعَ الغربان على حكم غُراب نوح ، وجميعَ الحمام على حكم حمامة السفينة[4] ، وجميعَ الذئاب على حكم ذئب أُهبان بن أوس ، وجميعَ الحميرِ على حكم حمار عُزَير — لكان ذلك حكماً مردودا .

---

(١) ل : « من الفأر » .

(٢) فى الأصل : « وعلى » والواو مقحمة .

(٣) ط : « ضجتهم » وهو تحريف .

(٤) فى الأصل « حمام السفينة » ، وهو تحريف . انظر الحيوان ٢ : ٣٢١ والثمار ٣٦٧ .

(ما لا يحدث إلا فى دهر الأنبياء ونزول الوحى)

وقد تعرِض لخصائص الأمور أسبابٌ فى دهر الأنبياء ونزول الوحى ، لا يعرض مثلُها فى غير زمانهم : قد كان جبريل عليه السلام يمشى فى الأرض على صورة دِحيةَ الكَلبىّ ، وكان إبليس يتراءى فى السِّكك[1] فى صورة سُراقة المُدْلِجى ، وظهر فى صورة الشيخ النَّجْدى . ومثل هذا كثير .

(ما يسمى شيطانا وليس به)

فإنْ زعمتم أنّ النبى صلى الله عليه وسلم نظَر إلى رجلٍ يتبع حماماً طيَّارا فقال : « شيطانٌ يتبع شَيطاناً » ، فخبِّرونا عمن يتخذ الحمام[2] من بين جميع سكان الآفاق ونازلةِ البُلدان من الحرميِّين والبصريِّين[3] ومن بنى هاشم إلى من دونَهم ، أتزعمون أنَّهم شياطينُ على الحقيقة ، وأنَّهم من نجل الشياطين ؛ أو تزعمون أنَّهم كانوا إنساً فمُسِخوا بعدُ جِنًّا ؛ أم يكون قوله لذلك الرجل شيطان ، على مثل قوله ﴿شَيَاطِينَ الجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ وعلى قول عمر : لأنزِعنَّ شيطانَه من نُخرتِه[4] ، وعلى قول منظور بن رواحة[5] :

فلما أتانى ما تقولُ ترَقَّصَتْ شياطينُ رأْسِى وانتشَيْنَ من الخمْرِ

---

(١) ل : « يتخرق السكك » .

(٢) ط : « يتبع الحمام » .

(٣) ل : « الحرمين والمصرين » .

(٤) النخرة ، بالضم وكهمزة : مقدم الأنف . ط : « نعرته » تصحيف . وانظر ٦ : ١٩٣ .

(٥) ط : « منصور بن رواحة » . وانظر ص ٣٠١ .

وقد قال مَرَّةً أبو الوجيه العُكْلى : « وكان ذلك حين ركبنى شيطانى » قيل له : وأىَّ الشياطينِ تعنى ؟ قال : الغضب .

والعرب تسمِّى كلَّ حيّةٍ شيطانا . وأنشد الأصمعى :

تُلاعب مثنى حَضْرَمىٍّ كأنَّهُ   تعمُّج شَيطانٍ بذى خِرْوَعٍ قَفْرِ (١)

وقالت العرب : ما هو إلاَّ شيطانالحَماطة . ويقولون : «ماهو إلاَّشيطان» يريدون القبح ؛ و « ما هو إلاَّ شيطان » ، يريدون الفِطنة وشدَّة العارضة . وروى عن بعض الأعراب فى وقعة كانت : والله ما قتلْنا إلاَّ شَيطَانَ بَرِصاً (٢) ١٤٦ لأنَّ الرجل الذى قاتلهم كان اسمه شيطان ، وكان به برص .

وفى بنى سعد بنو شيطان . قال طفيلٌ الغنوى :

* وشيطان إذ يدعوهم ويُثوِّب (٣) *

وقال ابن مَيّادة :

فلمـا أتانى ما تَقُول محاربٌ   تغنَّت شياطينى (٤) وجُنَّ جُنونُها

وقال الراجز :

إنِّى وإن كنتُ حديثَ السِّنِّ   وكانَ فى العين نُبوٌّ عنِّى

فإنَّ شيطانى كبيرُ الجنِّ

وقال أبو النَّجم :

إنِّى وكلَّ شاعرٍ من البَشَرْ   شَيطانُه أُنثى وشَيطانِى ذَكَرْ

وهذا كلُّه [منهم] على وجه المثل ، وعلى قول منظور بن رَوَاحَة :

أتانى وأهلى بالدِّماخ فغَمْرَةٍ   مسبُّ عُوَيفِ اللؤمِ حىَّ بنى بَدْرِ (٤)

(١) تعمج : تلوى . وفى ط : « تنعج » وهو تحريف ، وانظر ص ١٥٣ .

(٢) ل : « شياطينا برصا » والوجه مافى ط .

(٣) شيطان هو ابن الحكم ، فارس الخذواء . وصدرالبيت كما فى اللسان(شطن ، شيط ، خذا) :

* وقد منت الخذواء منا عليهم *

(٤) ط : « شياطين » وصوابه فى ل . وانظر ص ١٥٢ وثمار القلوب ٥٧ .

(٥) ط : «بالرماح » ل : «بالدماح» . وانظر ياقوت (دماخ ، غمرة) . ل : « خى بنى بدر » .

فلمــا أتانى ما يقولُ ترقَّصتْ شياطينُ رأسى وانتشَيْنَ من الخمْر

(خرافةُ العذرىّ)

وقد رويتم عن عبد الله بن فايد بإسنادٍ له يرفعه قال : خرافة رجل من بَنى عذرة استهوته الشياطين ، فتحدَّث رسول الله صلى الله عليه وسلم [يوما] بحديث فقالت امرأةٌ من نسائِه : هذا من حديثِ خُرافة قال : « لا وَخُرَافَة حقٌّ » .

(حديث عمر مع الذى استهوته الجن)

ورويتم أنَّ شريك بن خُناسة دخَلَ الجنَّة وخرجَ منها ومعه ورقةٌ من وَرَقِهَا ، [1] وأنَّ عمر سأل الرجل المفقود الذى استهوته الجنُّ فقال : ما كان طعامهم [2] ؟ قال : الفول والرِّمَّة . [3] وسأل عن شرابهم فقال : الجدَف [4] .

وقال الأعشى :

وإنى ومَا [5] كلفتمونى وربِّكم لأعلمُ من أمسَى أعقَّ وأحْوَبا

لكالثَّورِ والجِنىّ يضرِب ظَهْرهُ [6] وما ذنبه أنْ عَافت الماءَ مَشْرَبا

---

(١) « من ورقها » ساقطة من ل .

(٢) ط : « طعامكم » .

(٣) ط : « البعر والبول والرمة » .

(٤) الجدف بالتحريك : نبات يكون باليمن لايحتاج آكله معه إلى شرب ماء . ابن الأثير . وفى ط : « الجدق » وهو تحريف .

(٥) ط ، س : « وإن » وتصحيحه من ل وهذا الجزء ص ١٩ .

(٦) ط : « ظهرة » وهو تحريف .

(من خنقته الجن ، ثم عود إلى الحوار)

وزعمتم أنَّ الجنَّ خنقت حرْبَ بن أمية ، وخنقت مِرداسَ بن أبي عامر ، وخنقت الغَريض المغنِّي ، وأنَّها قتلت سعد بن عبادة ، واستهوت عمرو بن عدى واستهوت عمارة بن الوليد ؛ فأنتم أمْلياءُ بالخرافات[1] أقوياءُ على ردِّ الصحيح وتصحيح السقيم ، وردِّ تأويل الحديث[2] المشهورِ إلى أهوائكم . وقد عارضْنا كم وقابلنا كم وقارضْنا كم .

١٤٧

وقالوا : فى الحديث أنّه « من اقتنى كلباً ليسَ بكلْب زرْعٍ ولا ضرْع ولا قَنص فقد أثِم[3] » . فهاتوا شيئاً من جميع الحيوان يصلح للزرْع والضَّرْع والقنص . وبعد فهل اتخذوا كلبَ الضَّرْع إلاّ ليحرسَ الماشيةَ وأولادَها من السباع ؟ وهل عند الكلبِ عند طُروق الأسد والنمر والذئاب وجميع ما يقتات اللُّحمانَ من رؤساء السباع ، إلاَّ صياحَه ونباحَه وإنذاره ودلالته ، وأنْ يشغلَها بعضَ الشُّغْل ، ويُهجهِج بها بعض الهجهجة ، إلى أن يلحق بها من يحميها ، ويتوافى إليها[4] من يذود عنها ، إذ ليس فى هذا القياس أنا متى وجدنا دهراً تكثُر فيه اللصوص ويفشو فيه السُّرَّاق ، وتظهر فيه النُّقوب ، ويشيع فيه التسلُّق ، ممَّن إذا أفضى إلى منزلِ القوم لم يرضَ إلا بالحريبة[5] ليس دونها شىء ، أو يأتى على الأنفس ، وهو لا يصل إلى ما يريدُ حتى يمرَّ على النساء مكشَّفات ، ومَن عسى إذا أخذ المرأةَ أخذَ يدٍ ألاَّ يرضى أن يتوعَّد بذبح الأولاد [و] أن يُتَّقى بالمال ،[6] حتَّى يذبح ،

(١) ل : « ملآء بالخرافات » وهما بمعنى .
(٢) ط : « ورد بأن التنزيل والحديث » والصواب فى ل .
(٣) ط : « فهو أثم » .
(٤) ل : « إليه » .
(٥) الحريبة : المال الذى يعيش به الإنسان ، أو المال الذى يسلب منه . وفى ط : «بالحربية» .
(٦) ل : « وإن لم يتق بالمال » والوجه ما فى ط .

ومن عسى إن تمكّن شيئاً أو أمِنَ قليلا ، أن يركب الحُرَم بالسَّوءة العظمى وبالتى لاشَوَى لها[1] . فهذا الحال أحقُّ بالحِراسة من تلك الأحوال .

وبعد فلِمَ صار نساءُ الحرمَين يتزاوَرْنَ ليلا ، ونساء المصرَين[2] يتزاورن نهاراً ، ونساء الحرمين لايرين نهاراً ، ونساء المصرَين[2] لا يُرَيْنَ ليلا ؛ إلّا للمكابرات ولمكانِ كثرةِ من يستقفى ويتحوّب[3] للنقب والتسلُّق . وإذا كان الأمر كذلك فأيُّ الأمورِ أحقُّ بالتحصين[4] والحياطة ، وأيُّهما أشبه بالتغرير والإضاعة : اتّخاذ الكلاب التى لاتنام عند نوم من قد دأب نهاره ، أو ترك اتّخاذها ؟ ويقَظة السُّرّاق على قدر نوم المسروقين .

وعلى أنّا لو حُلنا[5] بين حَرس الأسواق وما تشتمل عليه من حرائب الناس[6] ، وبين اتّخاذ الكلاب ، لامتنعوا من ضَمان الحراسة ، ولامتنع كلُّ محروس من إعطائهم[7] تلك الأجرة ، ولوجَد اللصوصُ ذلك من أعظم الغُنْم وأجود الفُرص[8] .أوما تعلمون أنَّ هذا الحريم ،وهذه الحرمات[9] وهذه العقائل من الأموال ، أحقُّ بالمنْع والحِراسة والدَّفع عنها بكلِّ حيلة ، منْ حفظ الغنم وحريمِ الراعى وحُرمة الأجيرِ ؟ !

وبعد فإنَّ الذئابَ لاتجتمع على قطيعٍ واحد ، والذى يُخاف من الذئب السَّلَّة والخطفة[10] ، والاستلابُ والاختلاس . والأموالُ التى فى حوانيت

---

(١) يريد بالإصابة التى لاتخطئ .

(٢) ط : « المصريين » وهو تحريف .

(٣) ط : « ومن يتخوف » .

(٤) ط : « بالتحصيل » وهو تحريف .

(٥) ط : « جعلنا » وهو تحريف .

(٦) ط : « جراءة الناس » وهو تحريف .وسبق قريباً تفسير الحريبة .

(٧) فى الأصل : « إعطائه » والضمير ضمير الحرس . فالصواب ما كتبت .

(٨) فى الأصل : « الغرض » .

(٩) ط : « الحريمات » .

(١٠) ل : « والخطف » وهما بمعنى .

١٤٨ التجار وفى منازل أهلِ اليسار يأتيها من العدد والعُدَّة ، ومن نُجب أصحاب النجدة ، من يحتملها بحذافيرها ، مع ثقل وزنها وعظم حجمها ، ثمّ يجالدون دون ذلك[1] بسيوف الهند وبالأذرع الطوال . وهم من بين جميع الخليقة لَولَا[2] أنّهم قد أحسُّوا من أنفسهم الجراءة وثباتَ العزيمة ، بما ليس من غيرهم ، لكانوا كغيرهم ، ولولا أنَّ قلوبَهم أشدُّ من قلوب الأسْد لما خرَجوا ، على أنّ جميع الخلق يطالبونهم ، وعلى أنّ السلطانَ لم يُوَلِّ[3] إلَّا لمكانهم . و[الـكلابَ لم تُتَّخَذْ إلا لِـ]لإِنْذَارِ بهم ، وعلى أنَّهم إن أُنذرَ بهم قاتلوا قتالَ من لاينجيه إلَّا القِتال ، وعلى أنَّهم إذا أُخذوا ماتوا كراما .

ولعلَّ المدينةَ قد كانت [فى] ذلك الدهر مأموناً عليها من أهل الفساد[4] وكان أكثرُ كلابها عَقورا ، وأكثرُ فِتيانها من بين مُهارشٍ أو مقامرٍ . والـكلبُ العَقورُ والـكلْب الـكلبُ أشدُّ مضرَّةً من الذئب المأمورِ بقتله .

وقد يعرض للـكلاب الـكلَب والجنون لأُمور : منها أن تأكلَ لحوم الناس ، ومنها كالجنون الذى يعرِض لسائر الحيوان .

(قتل العامة للوزغ)

وجُهَّالُ النَّاسِ [اليوم] يقتلون الوَزَغ ، على أنَّ آباءها وأمهاتها[5] كانت تنفُخ على نار إبراهيم ، وتنقُل إليها الحطب . فأحسَب أنَّ آباءها

(١) ط : « على ذلك » .
(٢) ل : « أولى » والصواب فى ط .
(٣) ط : « يولهم » .
(٤) ل : « مأمونة من أهل الفساد » وأثبت ما فى ط .
(٥) ط : « أباها وأمهاتها » والوجه ما فى ل .

وأمّهاتِها قد كنَّ يعرفن فصْل(١) مابين النبيِّ والمتنبِّي ، وأنَّهن اعتقدْن عداوةَ إبراهيم ، على تقصيرٍ في أصل النظر ، أو عن معاندةٍ بعد الاستبانة حتَّى فعلنَ ذلك ـ كيف جاز لنا أن تَزِر وازرةٌ وِزْرَ أخرى ؟ ! إلّا أن تدَّعوا أنَّ هذه التى نقتلها هى تلك الجاحدةُ للنبوّة ، والكافرةُ بالربوبيّة ، وأنَّها لاتتناكح ولا تتوالد .

وقد يستقيم فى بعض الأمرِ(٢) أن تقتلَ أكثر هذه الأجناس ، إمَّا من طريق المحنة والتعبُّد(٣) وإمّا إذ(٤) كان الله عزّ وجلّ قد قضى على جماعتها الموتَ ، أن يجرىَ ذلك المجرى على أيدى الناس ، كما أجرى موت جميع الناس على يد ملك واحد ، وهو ملك الموت .

وبعد فلعلّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قال هذا القول [إن] كان قاله ، على الحكاية لأقاويل قوم . ولعلّ ذلك كان على معنًى كان يومئذٍ معلوما فترَك النَّاسُ العِلَّة ورووا الخبر(٥) سالماً من العِلل ، مجرَّداً غير مضمَّن(٦) . ولعلَّ مَن سمع هذا الحديث شهد آخرَ الكلام ولم يشهد أوَّله ، ولعلَّه عليه الصلاة والسلام قصَد بهذا الكلام إلى ناسٍ من أصحابه قد كان دار بينهم وبينه فيه شىء . وكلُّ ذلك ممكنٌ سائغٌ(٧) غير مستنكَر ولا مدفوع .

---

(١) فصل : فرق . وفى الأصل : « فضل » .
(٢) ل : « فى البدى الأمر » .
(٣) ط : « المحبة والتعبد » ووجهه فى ل .
(٤) ط : « وإما إذا » .
(٥) ط : « وردوا الخبر » وهو تحريف .
(٦) ط : « غير مميز » .
(٧) ل : « شائع » وهو تحريف مافى ط .

وقد رويتم [فى الفواسق ما قد رويتم فى[1] الحيَّة والحدأة والعقربِ والفأرة والغراب ، ورويتم] فى الكلب العقور ، وكيف يُقتلنَ[2] فى الحِلِ والحرَم . فإنْ كنتم فُقهاءَ فقد علمتم أنَّ تسميةَ الغراب بالفِسق ، والفأرة بالفُويسِقة ؛ أنّ ذلك ليس من شكل تسمية الفاسق[3] ، ولا من شكل تسمية إبليس .

١٤٩

وقد قالوا : مافجرها إلّا فاجر ، ولم يجعلوا الفاجر اسماً له لايفارقه . وقد يقال للفاسق من الرجال : خبيث . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من أكَلَ من هذه الشَّجَرَةِ الخَبِيثَةِ[4] فلاَ يَقْرَبَنَّ مُصَلَّانَا » وهو على غير قوله عزّ وجلّ ﴿ الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ . وقد قال بعضُ الرُّجّاز وذكر ذئباً :

أما أتاكَ عَنِّىَ الحدِيثُ إذْ أنَا بالغائِطِ أَسْتَغِيثُ
والذئبُ وَسْطَ غَنَمِى يَعِيثُ وصِحْتُ بِالْغَائِطِ ياخَبِيثُ

وهذا الباب كثير ، وليس هذا موضعه ، وقد ذكرناه فى كتاب الاسم والحكم .

وقد يشبه الاسمُ الاسمَ فى صورةِ تقطيع الصوت ، وفى الخطِّ فى القرطاس ، وإن اختلفت أماكنُه ودلائله . فإذا كان كذلك فإنَّما يعرف فضلُه بالمتكلِّمين به ، وبالحالات والمقالات ، وبالذين عُنُوا بالكلام . وهذه جملةٌ ، وتفسيرها يطول .

---

(١) فى الأصل : « من » .
(٢) ط : « يقتل » والوجه ما فى ل .
(٣) ط : « القاذق » . ل : « القاذف » والوجه ما أثبت .
(٤) قال ابن الأثير : يريد الثوم والبصل والكراث .

(القتل والقصاص)

وقالوا : قد أُمِرْنا بقتل الحيَّة والعقرب ، والذئب والأسد ، على معْنًى ينتظم معنَيْين[1] : أحدهما الامتحان والتعبُّد بفكر القلب وعمل الجارحة ، لا على وجه الانتقام والعقوبة . وأُمرنا بضرب الباغى بالسيف إذا كانت العَصَى لاتُغنى فيه على جهة الدَّفْع وعلى جهة العقاب ، ولم نُؤمَرْ بالقصد إلى قتله ، وإنَّما الغاية فى دفع بأسِه عنا ، فإن أتى إلى ذلك المقدار عليه ، كان كسارقٍ ماتَ من قطع يده ، وقاذفٍ ماتَ عن جَلد ظهره[2] . وقد أُمِرْنا بالقصد إلى قتْل الحيَّات والعقارب وإن لم تعرض لنا فى ذلك الوقت ؛ لأنَّ جنسَها الجنسُ المتلف متَى همَّ بذلك . وليس لنا أن نضربَ الباغىَ بالسَّيف إلَّا وهو مقبلٌ غيرُ مدبر ، ولنا أن نقتل الحيَّة مقبِلةً ومدبرة ، كما يُقتل الكافرُ مقبِلا ومدبراً ؛ إلَّا أنَّ قتلَ الكافر يجمع الامتحان[3] والعقوبة ، وليس فى قتل الحيَّة إلَّا الامتحان . وقد كان يجوز أن تمتَحَن بحبسها[4] والاحتيالِ لمنعها ، دونَ قتلها . وإذا ولَّى الباغِى من غير أن يكون يريد الرجوع إلى فئة ، فحكمه الأسر والحبس [أبداً] إلى أن يُؤْنَسَ منه النُّزوعُ . وسبيل الأحناشِ والسِّباع وذواتِ السموم من الهمَج والحشرات ، القتلُ مقبلةً ومدبرة . وقد أبيح لنا قتلُ ضروبٍ من الحيوان عند مايبلُغ

---

(١) فى الأصل : « بمعنيين » ، وهو تحريف .
(٢) ط : « من جلد ظهره » .
(٣) ط : « الانتقام » .
(٤) ط : « يمتحن لجنسها » وهو تحريف .

من جناياتها علينا الخدش ، فضلًا عن الجرح والقتل ، كالبعوض والنمل ، والبراغيث والقمل .

١٥٠ والبعيرُ قتلهُ فسادٌ ، فإن صال على الناس كان قتلُه صلاحًا . والإنْسان قتلُه حرام ، فإن خيفَ منه كان قتلُه حلالا .

(طائفة من المسائل)

والحديث عن مسخ الضَّبِّ والجِرِّيِّ ، وعن مسخ الكلاب والُحكَأَةِ وأنَّ الحمامَ شيطان ، من جنس الُمزاح الذى كنَّا كتبنا به إلى بعض إخواننا[١] ممَّن يدَّعى علمَ كلِّ شىء ، فجعلنا هذه الخرافاتِ وهذه الفِطَنَ الصغارَ ، من باب المسائل .

فقلنا له : ما الشِّنِقْناقُ والشَّيْصَبانُ[٢] وتنكوير[٣] ودركاذاب[٤] ومَن قاتل امرأة ابنِ مقبل ؟ ومن خانق الغَريض[٥] ؟ ومن هاتف سعد[٦] ؟

---

(١) هو أحمد بن عبد الوهاب الذى صنع فيه الجاحظ رسالة « التربيع والتدوير » .

(٢) الشنقناق والشيصبان - زعموا - : رئيسان عظيمان من الجن . وسيتحدث عنهما الجاحظ فى الجزء السادس. وانظر الثمار ص ٥٥ . وفى ل : « الشيصهان » محرفا .

(٣) ل : « تنكوير » وفى رسائل الجاحظ ١٠٦ : « بركوير » .

(٤) ل : « ركازات » وفى الرسائل : « دركاداب » .

(٥) الغريض هو عبد الملك ، كان مولدا من مولدى البربر ، وولاؤه للثريا صاحبة عمر ابن أبى ربيعة ، وكان من رؤساء الغناء أخذ عن ابن سريج . وانظر حديث قتل الجن له فى الأغانى ٢ : ١٤٣ .

(٦) هو سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الخزرجى ، صحابى كان سيد الخزرج ، وكان يلقب فى الجاهلية بالكامل ، لمعرفته الكتابة والرمى والسباحة . توفى سنة ١٥ وزعموا أن الجن قتلته ، وسمع هاتفهم يقول :

قد قتلنا سيد الخزر ج سعد بن عباده
ورميناه بسهمين فلم نخط فؤاده

وخبِّرنا عن بنى أُقيش[1] وعن بنى لبنى ، ومَن زَوْجُها ؟ وعن بنى غَزْوان ومَن امرأته ؟ وعن سملقة وزَوبعة[2] ، والميدعان[3] ، وعن النقار ذى الرقبة[4] وعن آصف ، ومن منهم أشار بأصفر سليم[5] ، وعن أطيقس اسم كلب أصحاب الكهف ، وكيف صارت الكلابُ لاتنبح من سمَّاه[6] ؟ وأين بلغ كتَابُ شَرطهم ؟ وكيف حدَّثوا عن ابن عباسٍ فى الفأر والقرد والخنزير والفيل والأرنب والعنكبوت والجِرِّىّ ، أنَّهنَّ كلَّهنّ مِسخ [وكيف خُصَّت هذه بالمسخ ؟] وهل يحلُّ لنا أن نُصدِّق بهذا الحديث عن ابن عبَّاس ؟ وكيف صارت الظباءُ ماشيةَ الجنّ ؟ وكيف صارت الغِيلان تُغيِّر كلَّ شىء إلَّا حوافرَها ؟ ولم ماتت من ضربةٍ وعاشتْ من ضربتين[7] ؟ ولم صارت الأرانب والكِلاب والنَّعامُ مراكبَ الغيلان ؟ ولم صارت الرواقيد مطايا السَّواحر ؟ وبأى شىء زوَّج أهلُ السّعلاة ابن يربوع ؟ وما فرق مابينه وبين عبد الله بن هلال ؟ وما فعلت الفتاة التى كانت سميت بصبر على يد حرمى

---

(١) ط : « ابن أقييش » ! وبنو أقيش : حى من الجن .

(٢) زوبعة ، هو الجنى الذى صنع لسليمان صرحا ممردا من قوارير . التيجان ١٦١ . وانظر ٦ : ٢٣١ .

(٣) ط : « والميدعات » .

(٤) ل : « النقاد ذى الرقبة » .

(٥) أصفر سليم . قال الثعالبى فى ثمار القلوب ١١٩ : « كان سليم صيدلانيا بالبصرة ، وقد عجن دواء أصفر لكل ماشرب له ، فكان يستشفى به كل مبرود ومحرور ، فصار مثلا فى البركة وحسن الموقع » اهـ . وقال ابن قتيبة فى المعارف ٢٦٥ : « كان لعبيد الله بن أبى بكرة ثلاثة وكلاء : يقال لهم سليم الناصح ، وسليم الغاش ، وسليم الساحر ، وهذا هو الذى عمل أصفر سليم » . فى ط : « أشعار بأصغر سليم » وهو تحريف صوابه فى ل ، س و م .

(٦) ط : «أطيغش» . وفى ل : « من سماها » وهو تحريف . وانظر قول الدميرى فى كلب أصحاب الكهف ٢ : ٤٢٨ .

(٧) سيتحدث الجاحظ عن هذا فى الجزء السادس ص ٢٣٣ — ٢٣٥ .

وأبى منصور[١] ؟ ولم غضِب من ذلك المذهب ؟ ولم مضى على وجهه شفشف[٢] ؟ وما الفرق بين الغِيلان والسّعالى ، وبين شيطان الخضراء[٣] وشيطان الحَماطة ؟ ولم عُلِّق السمك المالح بأذنابه [والطرىّ بآذانه][٤] وما بالُ الفراخِ تُحمَل بأجنحتها والفراريج بأرجلها ؟ وما بال كلِّ شيء أصلُ لسانه ممّا يلى الحلق[٥] وطرفه ممَّا يلى الهواء ، إلّا لسان الفيل ؟ ولم قالت الهند : لولا أنَّ لسانه مقلوب لتكلَّم ؟ ولم صار كلُّ ماضغٍ وآكلٍ يُحرِّك فكَّه الأسفل ، إلا التمساح [فإنه[٦]] يحرِّك فكَّه الأعلى ؟ ولم صار لأجفان الإنسان الأشفار ، وليس ذلك للدواب إلّا فى الأجفان العالية ؟ وما بالُ عين الجَرادة وعين الأفعى لاتدوران ؟ وما بيضة العُقْر[٧] وما بيضة الديك ؟ ولم امتنع بيض الأنوق ؟ وهل يكون الأبلق العقوق[٨] وما بال لسانِ سمكِ البحر [عديما] ؟ وما بال الغريقِ من الرِّجال يطفو على قفاه ، ومن النساء على وجهه[٩] ؟ ولم صار القتيل إذا قُتل يسقط على وجهه ثم يقلبه ذكَرُه ؛ ١٥٤

(١) ل : « سمية نصير على يد جرمى . . الخ » .

(٢) ل : « سفسف » .

(٣) ط : « الحصر » .

(٤) ط : « المليح بأذنابه » . وتعليق السمك الطرى بآذانه عبارة تهكمية ، فليس للسمك أذن ظاهرة .

(٥) ط : « مما يلى الفم » ل : « مما يلى داخل » .

(٦) حرف يحتاج إليه الكلام .

(٧) ل : « العصفور » وهو تحريف . وبيضة العقرقيل هى التى تمتحن بها المرأة عند الافتضاض أو أول بيضة للدجاجة ، أو آخرها ، أو بيضة الديك يبيضها فى السنة مرة .

(٨) الأبلق : الفرس فيه سواد وبياض ، وهو ذكر . والعقوق : الحامل أو الحائل ، وهى أنثى . ولايكون الذكر أنثى .

(٩) ل : « يظهر على قفاه » . ط : «ومن النساء على وجهها » .

وأين تذهب[١] شِقشِقة البعير وغُرمول الحمار [والبغْل] وكبِدُ الكوسج بالنهار ، ودَمُ الميت ؟ [ولم انتصب خَلْق الإنسان من بين سائر الحيوان]؟ وخبِّرنى عن الضفادع ، لم صارت تنقُّ بالليل[٢] وإذا أُوقدت النارُ أمسَكَت[٣] ؟ .

وقالوا : قد عارضناكم بما يجرى مجرى الفساد والُخرافة . لنردَّكم إلى الاحتجاج بالخبَر الصحيح المخرج للظاهر[٤] .

فإن أعجبتك هذه المسائلُ ، واستطْرَفتَ هذا المذهب ، فاقرأ رسالتى[٥] إلى أحمد بن عبد الوهاب الكاتب ، [فهى مجموعةٌ هناك] .

(أصناف الكلاب)

والكلاب أصنافٌ لايحيط بها[٦] إلّا من أطالَ الكلام . وجملة ذلك أنَّ ما كان منها للصيد فهى الضِّراء ، وواحدها ضِروة[٧] ، وهى الجوارح والكواسب ، ونحن لانعرفها إلَّا السَّلُوقيّة ؛ وهى من أحرار الكلاب وعتاقها[٨] ، والخِلاسية[٩] هجنها ومقاريفها . وكلابُ الرعاءِ من زينيّها

---

(١) ط : « وما بال » .

(٢) النقيق : صوت الضفدع . وفى ط : « تنعق » ، والنعيق إنما هو للبوم والغربان .

(٣) ل : « إذا أبصرت النهار أمسكت » وهو تحريف ، صوابه فى ط وفى الحيوان ٤ : ٤٨٦ .

(٤) هذه الفقرة دخيلة وليس هذا موضعها .

(٥) فى الأصل : « فاقدر رسالتى » والوجه « فاقرأ » .

(٦) ل : «لايحصيها » .

(٧) ط : « ضار » وهو تحريف .

(٨) فى الأصل : « وهى فى أحرار الكلاب وعتاقها » وصححته كما ترى .

(٩) ط : « الجلاسية » وهو تصحيف .

وكرديها فهى كرادتها[١] .

وقد تَصيد الكلابُ غيرُ السَّلوقيّة ، ولكنَّها تقصِّر عن السَّلوقيّة بعيداً . وسَلوق من أرض اليمن كان لها حديدٌ جيِّد الطبع ، كريم العنصر حرُّ الجوهر . وقد قال النابغة[٢] :

تَقُدُّ السَّلوقىَّ المضاعَفَ نسجُه ... وتوقِد بالصُّفَّاح نارَ الُحباحِبِ

وقال الأصمعىّ : سَمعتُ بعضَ الملوك وهو يركض خلفَ كلْبٍ وقد دنا خَطمه من عَجْب ذنب الظبى[٣] وهو يقول : إيه فدتكَ[٤] نفسى ! !

وأنشد لبعض الرجاز[٥] :

* مفدَّيات وملعَّنات[٦] *

قال صاحب الديك : فلمَّا صار الكلبُ عندهم يجمع خصالَ اللؤم والنَّذالة ، والحرصِ والشَّره[٧] ، والبَذاء والتسرُّع وأشباه ذلك ، صاروا يشتقُّون من اسمه لمن هجَوه بهذه الخصال . وقال بشّار :

واستَغْنِ بالوجَبات عن ذَهبٍ ... لم يَبقَ قبلَك لامرئٍ ذَهبُهْ[٨]

يرِدُ الحريص على متالفه ... والليثُ يبعثُ حَيْنَه كَلَبُهْ

---

(١) كذا وفى ل : « حوادبها ومحامرها » .

(٢) ط : « الشاعر » . والبيت من قصيدة النابغة الذبيانى التى مطلعها :

كلينى لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطىء الكواكب

(٣) ط : « الظباء » وهو تحريف .

(٤) ل : « إيها » .

(٥) ط : « الرجال » .

(٦) ط : « مفديات ومحميات » .

(٧) فى الأصل : « الشده » ، وإنما هو الشره قرين الحرص .

(٨) المرتضى فى أماليه ٢ : ٢٩ قبل ذكر هذا البيت : « قال ابن السكيت : يقال فلان يأكل الوجبة إذا كان يأكل فى اليوم والليلة وجبة » . وفى ل : « الوجنات » وهو تحريف .

(ما اشتق من اسم الكلب)

قال صاحب الكلب : لما[1] اشتقوا من اسمه للأشياء المحمودة أكثر .
قال عامر بن الطفيل[2] :

ومدَّجِجٍ يسعَى بشِكَّتِهِ محمرَّةٍ عيناهُ كالكلْبِ[3]

ومن ولد ربيعة بن نزار كلب[4] بن ربيعة ، وكلاب بن ربيعة ، ومكالب بن ربيعة ، ومكلبة بنو ربيعة [بن نزار] . وفيهم من السباع أسَد ، وضُبيعة ، وذئب ، وذؤيب ، وهم خمسة عشر رجلا ثمانية من جميع السباع ، ومن الثمانية أربعة مشتقَّة من اسم الكلب . ومن هذا الباب كليب[5] بن يربوع ، وكلاب بن ربيعة ، وكلب بن وَبرة . ومنه بنو الكلبة ، قال الشاعر :

سَيَكْفِيك من ابنى نزارٍ لراغبٍ بنو الكلبةِ الشمُّ الطوالُ الأشاجعِ[6]   ١٥٢

والكلبة لقب ميَّة بنت عِلاج بن شَحْمة العنبرىّ . وبنوها بنو الكلبة الذين سمعتَ بهم — تزوَّجها خُزيمة بن [النعمان] من بنى ضُبَيعة بن ربيعة بن نزار ، فهى أمُّهم . وفيها يقول شُبَيل بن عَزْرة[7] الضُّبَعى

---

(١) فى الأغانى (١٢ : ٥٠) أن الشعر للحارث بن الطفيل .
(٢) فى الأصل : « كلما » والوجه ماأثبت .
(٣) المدجج عنى به القنفذ ، للشوك الذى عليه . اللسان (دجج) والمخصص ٨ : ٩٥ .
(٤) ل : « أكلب »
(٥) ل : « كلب » .
(٦) ماعدال : « لواغب » . وانظر الاشتقاق ١٩٣ .
(٧) هذا العلم كثيرا مايقع فيه التحريف والتصحيف ؛ فقد ورد فى خزانة الأدب (انظر ١ : ٩٢) برسم (شبل بن عمرو) ، وفى الأمالى (١ : ٤٨) (شبيل بن عروة) وفى فهرست ابن النديم ٦٨ مصر (شبيل بن عرعرة) وفى القاموس (شبيل ابن عروة) وفى ط من الحيوان (شبيل بن غزرة) ، وصواب هذا كله ماأثبته من ل ، ومانبه عليه الزبيدى فى تاج العروس ، وكما ضبطه ابن دريد فى الاشتقاق ١٩٣ جوتنجن . وقد نبهت على ذلك فى تصحيحى للخزانة . =

صاحب الغريب — وكان شِيعيًّا من الغالية [1] ، فصار خارجيًّا من الصُّفرية — :

بنو كلبةٍ هرَّارة وأبُوهُمُ خُزَيمةُ عبدٌ خاملُ الأصل أوكَسُ

وفى مَيَّة [الكلبة] يقول أبوها، وهو عِلاج بن شحمة [2] :

إنْ تكُ قد بانت بميَّةَ غربة فقد كان مِمّا لا يُمَلُّ مَزارُها [3]

دعتْها رجالٌ من ضُبَيعة كَلْبةً وما كان يُشكى فى الحول جِوارُها [4]

ومما اشتقَّ له من اسم الكلب من القُرى والبُلدان والناس وغير ذلك ، قولهم فى الوقْعة التى كانت بإرم الكلبة [5] . ومن ذلك قولهم : حين نزلنا من السَّراة صرنا إلى نجد الكلبة .

وكان سبب خروج مالك بن فَهم بن غَنْم بن دَوس إلى أزد شنوءة من السراة [6] أنّ بنى أخته قتلوا كلبةً لجاره ، وكانوا أعَدَّ منه [7] فغضب ومضى ، فسمِّى ذلك النجد الذى هَبط منه نَجْد الكَلْبة .

[وبطَسُّوج بادُوريا نهر يقال له : نهر الكلبة] .

ويقولون : كان ذلك عند طلوع كوكب الكلب . ومن ذلك قولهم :

= وشبيل هذا من خطباء الخوارج وعلمائهم ، وله قصيدة فى الغريب ؛ وكان أولا رافضيا ثم انتقل إلى الشراة وبرئ من الروافض ، ومات بالبصرة . هذه ترجمة ابن النديم له ، وهى تشبه ترجمة الجاحظ .

(١) ط : « من كبار الشيعة » ومثله فى س .

(٢) ل : « سحمة » .

(٣) ط : « ميالا يمل » وهو تحريف .

(٤) ل : « فى الحل » .

(٥) إرم الكلبة : موضع قريب من النباج بين البصرة والحجاز ، وللعرب فيه يوم قتل فيه بجير بن عبد الله بن سلمة ، قتله قعنب الرياحى . معجم البلدان .

(٦) ل : « من أزد شنوءة بالسراة » .

(٧) أعد منه : أكثر عددا . وفى ل : « أنجد » . وفى ط : « لجارهم » موضع « لجاره » .

عبَّاد بن أنْف الكلب . ومن ذلك أبو عُمَرَ الكلبُ الجَرمىّ النحوى[1] ، وكان رجلا من العِلية عالماً، عَروضيًّا [نحويًّا] فرضيًّا . وعَلُّويه[2] كلب المطبخ ، وكان أشربَ الناس للنبيذ ، وقد راهنوا بينه وبين محمَّد بن علىّ .

والكلب : كلب الماء ، وكلب الرحى[3] والضبة التى يقال لها الكلب . وكذلك الكُلْبة والكَلْبتان ، والكُلَّاب والكَلُّوب .

وقال راشد بن شِهابٍ فى ذلك المعنى :

أُمكِّن كُلَّاب القنا من ثغورها ... وأخضِب مايبدومنَ استاهها بِدَمْ[4]

[وقال] :

فسوفَ يرى الأقوامُ دينى ودينَكم ... إذا كلْبتا قَينٍ ومِقْرَاضُهُ أَزَمْ[5]

وقال الراجز :

مازالَ مذْكَانَ غُلامًا يستتر[6] ... له على العَيرِ إكافٌ وثَفَرْ

* والكَلْبَتَانِ والعَلاةُ والوَتَرْ *

وقال أشهب بن رُميلة ، وكان أوَّلَ من رمى بنى مجاشع بأنَّهم قُيون : ١٥٣

ياعجبًا هل يركبُ القَيْنُ الفَرَسْ ... وعَرَقُ القَينِ على الخَيلِ نَجَسْ[7]

وإنَّمــا أداتُه إذا جَلَسْ ... الكلبتان والعَــلاةُ والقَبَسْ

وكان اسم المزنوق فَرَسِ عامر بن الطفيل : الكلب .

---

(١) هو صالح بن إسحاق الجرمى، مولى جرم بن ربان ، أخذ عن الأخفش ويونس وأبى عبيدة ، وحدث عنه المبرد ومات سنة ٢٢٥ . وفى الأصل : « أبو عمرو » وهو تحريف . انظر نزهة الألباء ١٩٨ وبغية الوعاة ٢٦٨ ووفيات الأعيان ١ : ٢٢٨ .

(٢) ط : « علموية » . محرف . وانظر الحيوان ٢ : ٢٢٨ .

(٣) ط : « الرحاء » وهو تحريف .

(٤) ط : « من نحوره » .

(٥) ط : « كلبت قين » وهو تحريف . وفى ل : « بدم » بدل « أزم » وهو تحريف .

(٦) ل : « تستبر » .

(٧) ل : « لحس » وهو تحريف ، وأشهب يهجو بهذا الشعر الفرزدق . وانظر خبر الشعر فى خزانة الأدب ٢ : ٥١٠ بولاق .

وقد زعمت العلماء أنَّ حرب أيَّام هَراميت[1] إنَّما كان سببه كلب .

قال صاحب الديك : قد قيل للخوارج : كلاب النار ، وللنوائح : كلاب النار .

وقد قال جَندلُ بن الراعى [لأبيه] فى وقوفِه على جرير : مالكَ تُطيل الوقوفَ على كلبِ بنى كليب ؟ !

وقال زفر بن الحارث :

يا كلبُ قد كَلِبَ الزَّمانُ عليكُمُ ... وأصابكمْ مِنَّا عذابٌ مُرسَلُ

إنَّ السَّماوة لاسماوةَ فالحقى ... بمَنابِتِ الزَّيتونِ وابْنِي بَحْدلُ[2]

وبأرض علكٍّ فى السواحلِ إنَّها ... أرضٌ تذوبُ بها اللِّقاحُ وتُهزَلُ

وقال حُصين بن القعقاع[3] يرثى عُتيبة بن الحارث :

بكَرَ النّعىُّ بخيرِ خِنْدِفَ كلِّها ... بعُتيبةَ بنِ الحارثِ بن شِهابِ

قتلُوا ذُؤَاباً بعد مقتلِ سَبْعةٍ ... فشفَى الغليلَ وريبةَ المرتابِ

يوم الحليس بذى الفَقَارِ كأنَّه ... كَلِبٌ بِضرب جماجِم ورِقابِ

وقال آخر[4] :

لله درُّ بنى الحَدّاءِ مِنْ نَفَرٍ ... وكلُّ جارٍ على جيرانه كَلِبُ

إذا غَدوْا وعِصِىُّ الطَّلْحِ أرجُلُهم ... كما تَنَصَّبُ وسَطَ البِيعة الصُّلُبُ

وإذا كان العُود سريع العُلوق فى كلِّ زمانٍ أوْكلِّ أرض[5] ، أو

---

(١) يوم الهراميت كان بين الضباب وجعفر بن كلاب ، وهو من أيام العرب فى الإسلام . وكان فى زمن عبد الملك بن مروان . معجم البلدان (هراميت) والعمدة لابن رشيق ٢ : ١٦٧ . والحرب مؤنثة ، وقد تذكر . القاموس.

(٢) ط : « جحدل » وكذلك فى ل . وأثبت مافى س والأغانى ١٧ : ١١٣ .

(٣) ط : « حصين بن القا » .

(٤) هو بشر بن أبى خازم كما فى البيان ٣ : ٧٥ . وانظر كلام الجاحظ فى هذا الشعر .

(٥) فى الأصل : « وكل أرض » والوجه ماأثبت .

فى عامّة ذلك قالوا : ما هو إلاّ كلب .

وقالوا : قال النبى صلى الله عليه وسلم [فى وزَرِ بنْ] جابر [١] حين خرجَ من عنـدِه واستأذنه إلى أهله : « نعم إن لم تدركْه أمُّ كلْبـة » يعنى الحمَّى .

ومِمَّا ذكروا به العضو من أعضاء الكلب والكلبة والخلق منهما أو الصفة الواحدة من صفاتهما ، أو الفعل الواحد من أفعالهما ، قال رؤبة :

* لاقيت مَطْلاً كَنُعَاسِ الْكَلْبِ [٢] *

يقول : مطلا مُقَرْمَطاً [٣] دائما . وقال الشاعر فى ذلك :

يكون بها دليـلَ القومِ نَجمٌ ... كَعينِ الكلب فى هُبًّى قِبَاعِ [٤]

قال : هذه أرضٌ ذات غبرة من الجدب [٥] لا يبصر القوم فيها النجم ١٥٤ الذى يُهتَدى به إلاّ وهو كأنّه عين الكلب ، لأنّ الكلب أبداً مُغمِضٌ غير مطبق الجفون ولا مفتوحها . والهُبىّ : الظلمة واحدها هابٍ ، والجمع هُبًّى مثل غازٍ وغُزًّى . والقِباع : التى قَبعت فى القتام ، واحدها قابع ، كما يقبَع القنفذ وما أشبهه فى جُحره . وأنشد لابن مقبل :

ولا أطرقُ الجاراتِ باللّيل قابعاً ... قُبُوعَ القَرنْبى أخلفته مجاعره [٦]

والقبوع : الاجتماع والتقبُّض . والقَرنْبَى : دُوَيْبَّة أعظم من الخُنَفساء .

---

(١) كان ممن وفد مع زيد الخيل إلى الرسول . وانظر الحيوان ٢ : ٣٠٨ .

(٢) للثعالبى قول فى هـذا البيت بثمار القلوب ٣١٦ ، وانظر أمثال الميدانى (أنوم من كلب) ٢ : ٢٨٠ .

(٣) فى ط : « مقرطقا » وليس له معنى يصح . وأصل القرمطة : مقاربة الخطو .

(٤) ط : « هبا » والصواب فى ل. وانظر الميدانى (كعين الكلب الناعس) .

(٥) ط : « الحر » .

(٦) فى الأصل : « أسلمته مجاحره » وانظر ص ٢٣٨ من هذا الجزء .

(شعر فى الهجاء له سبب بالكلب)

وقال الآخر فى صفة بعض ما يعرض له من العيوب :

ما ضَر تغلبَ وائلٍ أهجوتَها أم بُلتَ حيثُ تناطَحَ البحرانِ
إنّ الأَراقم لا ينالُ قديمَها كلبٌ عَوَى متهتِّم الأسْنانِ (١)

وقال الشاعر فى منظور بن زبَّان :

لبئس ما خَلَّفَ الآباءُ بعدَهُمُ فى الأُمَّهاتِ عِجَانُ الكَلْبِ مَنْظورُ

ومن هذا الضرب قول الأعرابىّ (٢) :

لقد شَانَ صغرى والياها وزَيَّنَا لصغرى فتًى من أهلها لا يَزينها
كلاب لعاب الكلب (٣) إن ساق هَجْمة
يعـذِّب فيها نفسَه ويُهينُها

وقال عمرو بن معديكرب (٤) :

لحا اللهُ جَرْمًا كلَّما ذرَّ شارِق وجوهَ كِلابٍ هارشَتْ فازبأرَّتِ

وقال أبو سفيان بن حرب :

ولو شئتُ نجَّتنى كُميتٌ طِمِرَّةٌ ولم أجْعَل النَّعماءَ لابن شَعوب
ومازال مُهرى مَزْجَرَ الكلبِ منهمُ لدنْ غدوةً حتّى دنَتْ لِغُروبِ

وقال عبد الرحمن بن زياد :

---

(١) ل : « لن ينال قديمها » . والشعر للفرزدق كما فى البيان ٣ : ٢٤٨ . وقد سبق البيت الأول ص ١٣ .

(٢) من هنا يبتدئ سقط كبير فى ل ، وسأنبه على نهايته .

(٣) كذا

(٤) له ترجمة فى الخزانة ٢ : ٣٨٨ - ٣٩٠ والبيت من أبيات فيها . وانظر تنبيه البكرى ٤٢ وحماسة أبى تمام ١ : ٤٣ ومعجم البكرى ٢٨ - ٢٩ .

دعتْه بمسرُوق الحديث وظالعٍ من الطرف حتى خاف بَصبصةَ الكَلبِ

وقال شريح بن أوس[١] :

وعيَّرْتَنا تمْرَ العراقِ ونخْلَه وزادُك أير الكَلْبِ شيَّطه الجمرُ

١٥٥

وقال آخر[٢] وهو يهجو قوما :

فجاءا بخرشاوَى شعيرٍ عَلَيْهما كراديسُ من أوصالِ أعقَدَ سافدِ

وقال الحارث بن الوليد :

ذهب الذين إذا رأونى مُقبلاً هَشُّوا وقالُوا : مَرحباً بالمقْبِلِ

وبقيتُ فى خَلْفٍ كأنَّ حديثَهم وَلْغُ الكلاب تهارَشَتْ فى مَنْهَل

وقال سَبْرة بن عمرو الفقعسىّ ، حين ارتشى ضَمْرة النهشلى ، ونفر عليه عباد بن أنف الكلب الصيداوىّ[٣] فقال سبرة :

يا ضَمْرُ كيف حَكمتَ أُمُّك هابلٌ والحكْمُ مَسئول به المتعمَّدُ

أحفِظتَ عهداً أم رَعيت أمانةً أم هل سمعتَ بمثلها لا يُنشدُ

شَنعاءَ فاقِرة تجلِّلُ نهشلاً دَنَساً تَغُور به الرفاق وتُنْجِد

إنَّ الرِّفاقَ أمال حكمك حبُّها فلك اللقاء وراكبٌ متجرِّد

فضح العشيرةَ واستمرَّ كأنّه كلبٌ يبصبِص للعِظال ويَطْرُدُ

لا شىءَ يعدِلُها ولكنْ دونَها خَرْطُ القَتادِ تَهابُ شوكتَها اليدُ

جوْعانُ يلحَس أَسكَتَا زيفيَّة غَلِمٌ يثورُ على البراثن أَعْقَدُ

وقال مزرِّدُ بن ضرار :

وإنَّ كناز اللَّحْمِ من بَكَراتِكم تَهِرُّ عليها أُمُّكمْ وتُكالِبُ

---

(١) الشعر فى هجاء أبى المهوش الأسدى . وقد سبق القول فيه ص ٢٦٨ .

(٢) هو اللعين المنقرى كما فى ص ٢٦٢ .

(٣) ط : « عبادة » . وفى أمالى المرتضى ٣ : ٤٠ « عباد بن أنف الكلبى » ، محرفة . وفى الأصل : « الصيدانى » ، وإنما هو منسوب إلى بنى الصيداء . المعمرين ٤٣ .

وليتَ الذى ألقى فناؤك رحلَه لتَقريَه بالتْ عليـه الثَّعالبُ

وهذان البيتان من باب الاشتقاق لامن باب الصفات وذِكْرِ الأعضاء .

وقال :

ياسـبْرُ ياعبدَ بنى كِلابِ يا أيرَ كلبٍ مُوثَقٍ بِبابِ

أكان هـذا أوّلَ الثَّوابِ يا وَرَلاً رَقْرَقَ فى سرابِ

* لا يَعْلِقَنْـكُمْ ظُفرى ونَابِى *

وقال الآخر (١) :

كأنَّ بنى طُهَيَّةَ رهطَ سَلْمَى حجارةُ خارىءٍ يَرمى الـكِلابَا

١٥٦ وقال صاحب الـكلب : وممـا اشتقَّ من اسم الـكلب فى موضع النباهة ، كليب بن ربيعة ، هو كليب وائلٍ . ويقال إنّه قِيل فى رجلين من بنى ربيعة مالم يُقَلْ فى أحدٍ من العرب ، حتَّى ضُرب بهما المثل ، وهو قولهم : « أعزُّ من كليبِ وائل » ، والآخر : « لا حرَّ بوادِى عَوْف » .

قالوا : وكانت ربيعة إذا انتجعت معه لم توقد ناراً ولم تحوِّضْ حوضاً ، وكان يحمى الـكلأ ولا يُتَـكَلَّمُ عندَهُ إلاَّ خفضا ، ويجير الصـيد ويقول : صيدُ أرضِ كذا وكذا فى جوارى لايباح . وكان له جرو كلب قد كَتَعه (٢) فربما قذَف به فى الروضة تعجبُه ، فيحميها إلى منتهى عوائه ، ويلْقيه بحريم الحوض فلا يرِدُه بعير حتَّى تصدُرَ إبله .

---

(١) هو جرير كما فى البيان ٢ : ٢٥٠ . وللبيت حديث فيه . وانظر ثمار القلوب ٣٩٩ .
(٢) كتعه بمعنى شد قوائمه . وانظر أمثال الميدانى ١ : ٤٤٦ والثمار ٧٧ .

(ما قيل من الشعر فى كليب)

وفى ذلك يقول معبَد بن شعبة التميمى[(١)] :

أظنَّ ضِرارٌ أنَّنى سأُطيعه ... وأنِّى سأُعطيه الذى كنتُ أمنعُ

إذِ اغرورقت عيناه واحمرّ وجهُه ... وقد كادَ غيظاً وجهُه يتبضَّع[(٢)]

تقدَّم فى الظلم المُبيِّن عامِداً ... ذراعاً إذا ماقُدِّمَتْ لك إصبع[(٣)]

كفعلِ كُليبٍ كنت أنبئت أنَّه ... يخلط أكلاءَ المِياه ويَمنَعُ[(٤)]

يُجير على أفناءِ بكرِ بن وائل ... أرانب ضاح والظباءَ فترتَعُ

وقال دريد بن الصمة :

لعمرُكَ ما كُليبٌ حين دلّى ... بحبلٍ كلبَه فيمن يميحُ[(٥)]

بأعظمَ من بنى سفيان بَغْياً ... وكلٌّ عدوِّهم منهم مريح[(٦)]

وقال العبَّاس بن مرداس :

كما كان يبغيها كليبٌ بظلمِه ... من العزِّ حتى طاح وهو قَتيلُها

على وائل إذْ يُنزِل الكلب مائحا ... وإذ يُمنَع الأكلاءَ منها حلولُها[(٧)]

وقال عباس أيضاً لكُليب بن عهمة الظفرىّ[(٨)] :

---

(١) هنا ينتهى السقط فى ل .

(٢) ط : « يتبتع » .

(٣) ل : « إذا ماأرخيت لك إصبع » .

(٤) (يخلط) لعلها (يحلئ) .

(٥) ط : « كليبة فيمن يميح » .

(٦) ط : « منه » .

(٧) ط : « يبرك الكلب » وتصحيحه من ل . وفى ل : « فيها حلولها » .

(٨) كذا فى ل . وفى ط : « عيمة » وفى الإصابة ٧٤٤٨ : « عميمة » .

أ كُليبُ إنَّكَ كلَّ يوم ظالمٌ　　والظلمُ أنكدُ وجْهُه ملعونُ
تبغِى بقَومك ما أرادَ بوائل　　يومَ الغديرِ سَمِيُّكَ المطعونُ
وإخالُ أنَّك سوفَ تَلْقَى مثلَها　　فى صَفْحَتَيك سنانُه المسنونُ[1]

١٥٧ وقال النابغة الجعدى :

كليبٌ لَعمرى كان أكثرَ ناصِراً　　وأيسرَ ذنباً منك ضُرِّجَ بالدَّمِ
رمَى ضَرْع نابٍ فاستمر بطَعْنةٍ　　كحاشيةِ البُرد اليمانى المسهَّم

وقال قَطِران العبشَمىُّ ، [ويقال العبشى[2]] :

ألم تر جسَّاسَ بن مُرَّة لم يَرِدْ　　حِمَى وائلٍ حَتَّى احتداه جَهولُها[3]
أجرَّ كليباً إذ رمى النابَ طعنةً　　جدَت وائلا حتَّى استخفَّت عقولها[4]
بأهون مما قلت إذ أنت سادِرٌ　　وللدَّهرِ والأيَّامِ والٍ يُديلها[5]

وقال رجل من بنى هلال بن عامر بن صعصعة[6] :

نحن أَبَسْنَا تغلبَ ابنةَ وائلٍ　　بقتل كُليبٍ إذ طغى وتَخيَّلا[7]
أبأناه بالنَّابِ التى شقَّ ضَرعها　　فأصبحَ موطوءَ الحِمى متذلِّلا[8]

وقال رجل من بنى سَدوس :

وأنت كليبىٌّ لِكلبٍ وكلبةٍ　　لها حولَ أطنابِ البيوتِ هَريرُ

---

(١) ل : « سنانها مسنون » .
(٢) كذا . ولعله « العبسى » .
(٣) ط : « اعتداه » .
(٤) ط : « حدت وائلا » .
(٥) ط : « دال » .
(٦) فى الأغانى ١٤ : ١٤١ : « وقال رجل من بنى بكر بن وائل فى الإسلام ، وهى تنسب للأعشى » .
(٧) أبسنا : قهرنا وأذللنا . وفى ط : « تحوز النساء » وهو تحريف .
(٨) أبأناه : جعلناه عدلا فقتلناه بها . وفى ط : « أثابته بالناب » وليس بشىء .

وقال ابن مقبل العَجلانى :

بكتْ أمُّ بكرٍ إذْ تبدَّدَ رهطُها ... وأَنْ أصبحوا منهم شَريد وهالك

وإنَّ كلا حيَّيكِ فيهم بقية ... لوَ ٱنَّ المنايا حالهُـا متماسك[١]

كلاب وكعب لايبيت أخوهم ... ذليلاً ولا تَعيِى عليه المسالك[٢]

وقال رجل من بنى كلاب من الخوارج[٣] ، لمعاوية بن أبى سفيان :

قد سِرتَ سَيْرَ كُليبٍ فى عشيرتِه ... لوكان فيهم غلامٌ مثلُ جسَّاسِ

الطاعن الطعنة النجلاء عانِدُها ... كطرّةالبرد، أعيافتقُها الآسى[٤]

(أهون من تبالة على الحجاج)

وقال أبو اليقظان فى مثل هذا الاشتقاق : كان أوّل عمل وليه الحجّاج بن يوسف تَبالة ، فلما سار إليها وقرُب منها قال للدليل : أين هى ، وعلى أىّ سمت هى ؟ قال : تسترك عنها هذه الأكمة . قال : لا أُرانى أميراً إلاَّ على موضعٍ تسترنى منه أكمة ، أهوِنْ بها علىّ ؟ ! وكرَّ راجعا ، فقيل فى المثل : « أهْوَنُ مِنْ تَبَالَةَ عَلَى ٱلحجاج » .

والعامة تقول : لهو أهونُ عَلَىَّ من الاعراب على عركوك[٥] . ١٥٨

---

(١) ل : « وإن كلى حييك منهم » وهو تحريف .

(٢) ل : « ولا تعيا عليه المسالك » .

(٣) فى نوادر أبى زيد ١٥١ أن قائل الشعر هو بشير بن أبى العبسى .

(٤) العاند : العرق يسيل فلا يرقأ . وفى ط : « عائذها » وهو تحريف ، وفى ل : « عن عرض » . وفى النوادر : « يعيا فتقها » بنصب « فتقها » ، قال : أراد يعيا بفتقها . بهذا ينتهى الجزء الأول من النسخة التى رمزت إليها بحرف ل ، وتستمر المقابلة على النسخة س .

(٥) كذا .

(الحجاج والمنجّم حينما حضرته الوفاة)

قال : ولمّا حضرت الحجاجَ الوفاةُ وقد ولىَ قبل ذلك ما ولىَ ، وافتتح ما افتتح ، وقتل من قتل ، قال للمنجِّم : هل ترى مِلكًا يموت ؟ قال : نعم ولستَ به ، أرى مِلكا يموتُ اسمه كُليب ، وأنتَ اسمُك الحجَّاج. قال : فأنا والله كليبٌ ، أمِّى سمَّتْنى به وأنا صبىّ . فمات ، و [كان] استخْلَفَ على الخراج(١) يزيد بن أبى مسلم ، وعلى الحرب يزيد بن أبى كبشة .

(ما كان العرب يسمُّون به أولادهم)

قال : والعرب إنَّما كانت تسمِّى بكلب ، وحمار ، وحجر ، وجُعَل ، وحنظلة ، وقرد ، على التفاؤل بذلك . وكان الرجل إذا وُلد له ذكر خرج يتعرّض لزجر الطير والفأل ، فإن سمع إنساناً يقول حجراً ، أو رأى(٢) حجراً سمَّى ابنَه به وتفاءل فيه الشدَّة(٣) والصلابة، والبقاء والصبر ، وأنَّه يحطم ما لقى . وكذلك إن سمع إنساناً يقول ذئباً أو رأى ذئبا ، تأوَّل فيه الفطنة والِخبَّ والمكرَ والكسب . وإن كان حماراً تأوَّل فيه طولَ العُمر والوقاحة والقوَّة والَجلَد . وإن كان كلباً تأوَّل فيه الِحراسة واليَقَظة وبُعْدَ الصوت ، والكسبَ وغير ذلك .

---

(١) فى الأصل : « الخوارج » وهو تحريف . انظر المعارف لابن قتيبة ١٧٤ . وقد زدت كلمة كان ليستقيم الكلام .

(٢) فى الأصل : « ورأى » .

(٣) لعلها « بالشدة » فإن الفعل يتعدى بالباء . وانظر الاشتقاق ٤ — ٦

ولذلك صوَّر عبيد الله بن زياد فى دِهليزه كلباً وكبشاً وأسداً، وقال : كلب نابح ، وكبش ناطح ، وأسد كالح . فتطيَّر إلى ذلك فطارت عليه .

وقال آخر : لو كان الرجل منهم إنَّما كان يسمِّى ابنَه بحجر وجبل ، وكلب ، وحمار ، وثور ، وخنزير ، وجُعَل ، على هذا المعنى فهلاَّ سَمَّى ببِرْذون[1] ، وبغل ، وعُقاب ، وأشباه ذلك ؛ وهذه الأسماء من لغتهم .

قال الأوّل : إنَّما لم يكن ذلك ، لأنَّه لا يكاد يرى بغلا وبِرذونا ، ولعلَّه لا يكون رآهما قط ، وإن كانت الأسماء عندهم عتيدة لأمورٍ لعلّهم يحتاجون إليها يوما ما .

قالوا : فقد كان يسمع بفرس وبعير ، كما كان يسمع بحمار وثور ، وقد كان يستقيم أن يشتقَّ منهما اشتقاقات محمودة . بل كيف صار ذلك كذلك ونحن نجده يسمِّى بنجم ولا يسمِّى بكوكب ! إلاَّ أنَّ بعضَهم قد سَمَّى بذلك عبداً له ، وفيه يقول :

كَوْكَبُ إنْ مُتُّ فَهْىَ مِيتَتِى   لا مُتّ إلاَّ هَرِماً يا كَوْكَبُ

ووجدناهم يسمون بجبل وسَنَد ، وطَود[2] ، ولا يسمُّونَ بأُحُد ولا بثَبير وأجإٍ وسلمى ورَضوى ، وصِنْدِد وحميم[3] ، وهو تلقاء عيونهم متى أطلَعوا رءُوسَهم من خيامهم . ويسمونَ ببُرْج ولا يسمون بفَلَك ، ويسمون بقَمر وشمس عَلَى جهة اللقب أو على جهة المديح، ولم يسمُّوا بأرض وسماء ، وهواءٍ وماء ، إلاَّ على ما وصفنا . وهذه الأصول فى الزجر أبلغ ، كما أنَّ جبلاً أبلغُ ١٥٩

(١) فى الأصل : « سمى برذون » والوجه ما أثبت .
(٢) فى ط : « طور » وهما بمعنى .
(٣) لعله « حنين » وجبال حنين يقول فيها القائل :
سقونى وقالوا لاتغن ولو سقوا   (جبال حنين) ماسقيت لغنت

من حجر ، وطودا[١] أجمع من صخر . وتركوا أسماءَ جبالهم المعروفة .

وقد سمّوا بأسد وليث وأُسامةَ وضِرغامة[٢] . وتركوا أن يسمُّوا بسبع وسبعة . [وسبع][٣] هو الاسم الجامع لكلٍّ ذى ناب ومخلب .

قال الأوّل : قد تسمَّوا أيضاً بأسماء الجبال ، فتسمَّوْا بأبَان وسَلْمَى .

قال آخرون : إنّما هذه أسماء ناسٍ سَمَّوا بها هذه الجبال ، وقد كانت لها أسماءٌ تركت لثقلها ، أو لعلَّة من العلل ؛ وإلاَّ فكيف سمَّوا[٤] بسلمى وتركوا أجأ ورَضوى .

وقال بعضهم : قد كانوا ربَّما فعلوا ذلك على أن يتَّفق لواحدٍ وَلودٍ ولمعظَّمٍ جليل ، أن يسمع أو يرى حمارا ، فيسمِّى ابنه بذلك ؛ وكذلك الكلب والذئب ، ولن يتفق فى ذلك الوقت أن يسمع بذِكر فرس ولا حِجْر أو هواء أو ماء ؛ فإذا صار حمار ، أو ثور ، أو كلب اسمَ رجل معظَّم ، تتابعت عليه العرب تَطِيرُ إليه ، ثم يكثر ذلك فى ولده خَاصَّةً بعده . وعلى ذلك سمَّت[٥] الرعية بنيها وبناتِها بأسماء رجال الملوك ونسائهم ، وعلى ذلك صار كلُّ علىٍّ يكنى بأبى الحسن ، وكل عُمَر يكنى بأبى حفص ، وأشباه ذلك. فالأسماء ضروب ، منها شىء أصلىٌّ كالسَّماء والأرض والهواء والماء والنار ، وأسماءٌ أخَرُ مشتقَّاتٌ منها على جهة الفأل ، وعلى شكل اسم الأب ، كالرجل

---

(١) فى ط : « وطور » وهما بمعنى .

(٢) الضرغام والضرغامة والضرغم كجعفر : الأسد .

(٣) زيادة يقتضيها الكلام .

(٤) ط : « بسموا » وصوابه فى س .

(٥) فى الأصل : « سميت » وهو تحريف ما أثبته .

يكون اسمه عمر فيسمى ابنَه عميرا ، ويسمِّى عميرٌ ابنَه عِمران ، ويسمِّى عمرانُ ابنَه مَعْمَرًا. وربَّما كانت الأسماءبإسماء الله عزَّ وجلّ مثل ما سمى الله عز وجل أبا إبراهيم آزر، وسمَّى إبليس بفاسق ، وربّما كانت الأسماء مأخوذةً من أمورٍ تحدثُ فى الأسماء ؛ مثل يوم العَرُوبة سمِّيت فى الإسلام يوم الجمعة ، واشتُقَّ له ذلك من صلاة يوم الجمعة .

(ما ترك الناس من ألفاظِ الجاهلية)

وسنقول فى المتروك من هذا الجنس ومن غيره ، ثم نعودُ إلى موضعِنا الأوّلِ إن شاء الله تعالى .

ترك النّاسُ مما كان مستعملاً فى الجاهلية أموراً كثيرة ، فمن ذلك تسميتُهم للخَراج إتاوة ، وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السُّلطان : الُحملان والَمكْس .

وقال جابر بن حُنَىّ[١] :

أفى كلِّ أسواقِ العِراقِ إتاوةٌ وفى كلِّ ما باع امرؤٌ مَكْسُ دِرهَمِ

وكما قال العبدىُّ فى الجارود[٢] :

أيا ابن المعلَّى خِلتَنا أم حسبتَنا صَرَارِىَّ نُعطِى الماكسِين مُكوسا[٣]

---

(١) فى الأصل: « خارجى » وهو تحريف عجيب . والبيت فى اللسان (مكس) ، وقصيدته فى المفضليات ٢٠٩ — ٢١٢ .

(٢) العبدى هو يزيد بن خذاق : كما فى المفضليات ٢٩٨ . والجارود هو ابن المعلى ، صحابى كان سيد عبد القيس ، قدم على الرسول فى وفد عبد القيس الأخير سنة عشر وأسلم وحسن إسلامه ، وابنه المنذر بن الجارود ، وحفيده الحكم بن المنذر بن الجارود الذى يقول فيه الأعشى :

ياحكم بن المنذر بن الجارود سرادق المجد عليك ممدود

قتل الجارود سنة إحدى وعشرين فى خلافة عمر . الإصابة ١٠٣٨ .

(٣) ط : « أكابر » ، س : « أكابن » . وانظر المفضليات .

١٦٠ وكما تركوا انْعَمْ صباحاً، وانْعَمْ ظلاما، وصاروا يقولون: كيف أصبحتم؟ وكيف أمسيتم ؟

وقال قيس بن زُهير بن جذيمة، ليزيد بن سنان بن أبي حارثة: انعَمْ ظَلاماً أبا ضَمْرة! قال: نعمتَ فمن أنت؟ قال: قيس بن زهير.

وعلى ذلك قال امرؤ القيس:

ألا عِمْ صَباحاً أيُّها الطَّلَلُ البالِي ... وهَلْ يَعِمَنْ مَن كان فى العُصُر الخالِي

وعلى ذلك قال الأوَّل[1] :

أتوْا نَارِى فقلتُ مَنُونَ قالوا ... سَرَاة الجنِّ قلتُ عِمُوا ظَلَامَا

وكما تركوا أن يقولوا للملك أو السَّيِّد المطاع: أبيت اللعن، كما قيل[2] :

* مَهْلاً أبيتَ اللّعنَ لا تأكُلْ مَعَهْ *

وقد زعموا أن حُذَيفةَ بنِ بدرٍ كان يُحَيَّا بتحيَّة الملوك ويقال له: أبيت اللّعن. وتركوا ذلك فى الإسلام من غير أن يكون كفراً.

وقد ترك العبْد أنْ يقول لسيده ربِّى، كما يقال ربُّ الدار، وربُّ البيت. وكذلك حاشية السيِّد والمِلك تركوا أن يقولوا ربّنا. كما قال الحارث بن حلّزة:

ربُّنا وابننا وأفضَلُ مَنْ يمـ ... ـشِى ومَن دُونَ مَا لدَيهِ الثَّناءُ

---

(١) البيت لشمير (أو سمير) بن الحارث الضبى كما فى النوادر ١٢٣ وخزانة الأدب ٣ : ٣ بولاق.
(٢) البيت للبيد من أبيات لهـا خبر فى الأغانى (١٤ : ٩١ - ٩٢).

وكما قال لبيد حين ذكر حُذَيفة بن بدر :

وأهلكْنَ يوماً ربَّ كِنْدَةَ وابنَه وربَّ معَدٍّ بين خَبْت وعَرْعَرِ

وكما عيّر زيدُ الخيل حاتماً الطائىّ فى خروجه من طيِّئ ومن حرب الفساد ، إلى بنى بدر ، حيث يقول[1] :

وفرَّ من الحرْبِ العَوانِ ولم يكُنْ بها حاتم طَبًّا ولا متطبِّبا

وريب حصنا بعْدَ أن كان آبياً أبُوّة حِصْنٍ فاستقالَ وأعتَبَا

أقِمْ فى بنى بدر ولا ما يهمنا إذا ماتقضَّت حربُنا أنْ تطربا

وقال عوف بن محلَّم[2] ، حين رأى الملك : إنّه ربى وربّ الكعبة .

وزوجُه أمُّ أناس بنت عَوف .

وكما تركوا أن يقولوا لقُوّام الملوك السَّدَنة وقالوا الحَجَبَة[3] .

وقال أبو عُبيدة مَعْمر بن المثنَّى عن أبى عبد الرحمن يونس[4] بن حبيب النحوى حين أنشدَه شعر الأسدىّ :

ومركضة صريحى أبوها تُهان لها الغلامة والغلامُ[5] ٩٦١

---

(١) حرب الفساد كانت فى الجاهلية بين جديلة والغوث . وانظر خمسة دواوين العرب ١٠٧ والأغانى (١١ : ١٢٧) وأمثال الميدانى (٢ : ٣٥٨) .

(٢) هو الذى يقال فيه : « لاحر بوادى عوف » . أمثال الميدانى ٢ : ١٦٧ . وهو من بنى ذهل بن شيبان ، ومن أشراف العرب فى الجاهلية توفى نحو ٤٥ ق . ه . قاموس الأعلام ٧٤٧ . وهو غير عوف بن محلم الخزاعى ، فإن هذا إسلامى كان ينادم طاهر بن الحسين وابنه عبد الله ، وفارقه بقصيدته المشهورة التى فيها :

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

(٣) فى الأصل : « بالسدنة وقالوا لجحية » وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : «عن أبى عبد الرحمن بن يونس» وكلمة « ابن » مقحمة ، فإن أبا عبد الرحمن كنية يونس بن حبيب كما فى بغية الوعاة ٩٣٥ والمعارف ٢٣٥ وقد أخذ عنه أبو عبيدة كما فى البغية ٣٩٥ . توفى يونس سنة ١٨٢ عن ثمان وثمانين سنة .

(٥) الجوهرى : صريح : اسم فحل منجب . وأنشد هذا البيت .

قال: فقلت له : فتقول : للجارية غلامة ؟ قال : لا ، هذا من الكلام المتروك، وأسماؤُه زالت مع زوال معانيها، كالمِربَاعِ والنَّشيطة وبقى[1] الصَّفايا ؛ فالمرباع : رُبع جميع الغنيمة الذى كان خالصاً للرئيس ، وصار فى الإسلام الخمس ، على ماسنَّه الله تعالى . وأما النَّشيطة فإنَّه كان للرئيس أن ينشِط عند قِسمة المتاع العِلْقَ النفيسَ يراه إذا استحلاه . وبقى[1] الصَّفِىّ وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كل مَغْنم ، وهو كالسيف اللَّهذَم[2] والفرسِ العتيق ، والدرع الحصينة ، والشيء النادر .

وقال ابن عَنَمة الضبّى[3] حليف بنى شَيبان ، فى مرثيته بِسطام ابن قيس :

لك المِرباعُ منها والصَّفايا وحُكْمُك والنَّشِيطَةُ والفُضولُ

والفُضول : فضول المقاسم ، كالشىء إذا قسم وفضَلت فَضلةٌ استهلكت ، كاللؤلؤة ، والسيف ، والدِّرْع ، والبيضة ، والجارية ، وغير ذلك .

(كلمات إسلامية محدثة)

وأسماءٌ حدثت ولم تكن ، وإنَّما اشتقَّت لهم من أسماءٍ متقدِّمة ، على التشبيه ، مثل قولهم لمن أدرَكَ الجاهليَّة والإسلام مُخَضرم كأبى رجاءٍ العُطاردىِّ[4] ، بن سالمة[1] ، وشقيق بن سالمة ؛ ومن الشعراء النابغة الجعدىُّ

---

(١) كذا ولعلها «نفى» .

(٢) س : « الهذام » وهما بمعنى .

(٣) ط : « ابن غنمة » وصوابه فى س . وابن عنمة هذا هو عبد الله ، وهو ممن شهد القادسية ، والبيت من أبيات ثمانية رواها أبو تمام فى الحماسة ١ : ٤٢٠ .

(٤) لأبى رجاء ترجمة فى الإصابة ج ٧ : ٧٢ واسمه عمران بن ملحان أو ابن تيم .

وابن مقبل ، وأشباههم من الفقهاء والشعراء . ويدلُّ على أنَّ هذا الاسم أحدث فى الإسلام ، أنَّهم فى الجاهليَّة لم يكونوا يعلمون أنَّ ناساً يسلمون وقد أدركوا الجاهليَّة ، ولا كانوا يعلمون أنَّ الإسلام يكون .

ويقال إنَّ أوَّلَ من سمَّى الأرضَ التى لم تُحفَر قطُّ ولم تحرثْ إذا فعل بها ذلك مظلومة ، النابغةُ حيث يقول :

إلّا الأواريَّ لَأْيًا ما أبيِّنُها والنؤىَ كالحوضِ بالمظلومَةِ الجَلَدِ

ومنه قيل سِقاءٌ مظلوم إذا أعجل عليه قبل إدراكه . وقال الحادرة :

ظلَمَ البِطاحَ له انهلالُ حَرِيصةٍ فصفَا النِّطافُ له بُعيْدَ المَقْلَعِ

وقال الآخر :

قالتْ له مىٌّ بأعلَى ذِى سَلَمْ لو ما تَزُورُنا إذا الشعْبُ أَلَمّْ

* ألا بلَى يامىّ واليومُ ظلَمْ[1] *

يقول ظلم حين وضعَ الشىءَ فى غير موضعه . وقال الآخر : ١٦٢

* أنا أبو زينب واليومُ ظلَمْ[2] *

وقال ابن مقبل :

عادَ الأذلَّةُ فى دارٍ وكان بها هرُتُ الشَّقاشِق ظَلّامُونَ للجزُرِ

وقال آخر :

وصاحبِ صدقٍ لم تَنلنى أذاته ظلَمْتُ رفى ظُلْمِى له عامدًا أجْرُ

وقال آخر :

لايَظلِمون إذا ضِيفوا وِطابَهُمُ وهم لجودهمُ فى جُزْرِهم ظلمُ

---

(١) اليوم ظلم : أى حقا كما تقول لاجرم أى حقا . وانظر اللسان (ظلم) والرجز فيه .
(٢) فى الأصل : « والنوم ظلم » ، وانظر التنبيه السابق .

وظلم الجزور: أن يعرقبوها ، وكان فى الحقِّ أن تُنحر نحراً . وظلمهم الجُزُر[1] أيضا أن ينحروها صِحاحا سماناً لاعلَّة بها .

قال : ومن ذلك قولهم: الحرب غَشوم ؛ وإنَّما سمِّيت بهذا لأنَّها تنال غير الجانى .

قال : ومن ذلك قولهم : « مَنْ أَشْبَهَ أباه فما ظَلَم » ، يقول : قد وضع الشبه فى موضعه .

ومن المحدَثِ المشتقِّ ، اسم منافق لمن رَاءَى بالإسلام واستسرَّ بالكفر أُخذ ذلك من النافقاء والقاصعاء والدامَّاء[2] ، ومثل المشرك والكافر ، ومثل التيمُّم . قال الله تعالى : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ أى تحرَّوْا ذلك وتوخَّوْه . وقال : ﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ فكثُر هذا فى الكلام حتَّى صار التيمُّم هو المسح نفسُه . وكذلك عادتهم وصنيعهم فى الشيء إذا طالتْ صُحبتهم وملابستهم له[3] .

وكما سمَّوا رَجيع الإنسان الغائط ، وإنَّما الغيطان البطون التى كانوا ينحدرون فيها إذا أرادوا قضاءَ الحاجة للستر .

ومنه العَذِرة ، وإنَّما العذِرة الفناءُ ، والأفنية هى العَذِرات ، ولكن لما طال إلقاؤهم النَّجْو والزِّبل فى أفنيتهم ، سمِّيت تلك الأشياء التى رَموا بها ، باسم المكان الذى رميت به . وفى الحديث : « أَنْقُوا عَذِرَاتكم » . وقال ابن الرقيَّات :

رَحِمَ اللهُ أَعْظُمًا دَفَنُوها بِسِجِسْتَان طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ[4]

---

(١) فى الأصل : « الجزور » والوجه الجمع .

(٢) هى من أسماء جحرة اليربوع السبع . انظر اللسان (دمم) .

(٣) فى الأصل : « صحبته وملابسته له » .

(٤) طلحة الطلحات ، هو طلحة بن عبد الله الخزاعى ، أحد أجواد العرب توفى سنة ٦٥ . وانظر ص ٢٥٥ .

كان لايحجُبُ الصديقَ ولا يع تَلُّ بالبخلِ طيِّبَ العَذِرَاتِ

ولكنَّهم لكثرةِ ما كانوا يُلقون نجوَهم فى أفنيتهم سموها باسمها .

ومنه النّجو : وذلك أنّ الرجل كان إذا أراد قضاءَ الحاجةِ تستَّر بنجوة. ١٦٣

والنّجو : الارتفاع من الأرض، قالوا من ذلك : ذهب يَنْجُو، كما قالوا ذهب يتغوّط إذا ذهب إلى الغائط لذلك الأمر ، ثمَّ اشتقوا منه فقالوا إذا غسل موضع النجو قد استنجى .

وقالوا : ذهب إلى المخرَج ، وإلى المتوضَّأ ، وإلى المذهب، وإلى الَخلاء ، وإلى الُحشّ ، وإنَّما الحشّ القطعةُ من النَّخل وهى الحِشّان . وكانوا بالمدينة إذا أرادوا قضاءَ الحاجة دخلوا النخل ؛ لأنَّ ذلك أستر ، فسموا المتوضأ الحشّ ، وإن كان بعيداً من النخل ؛ كلّ ذلك هربا من أن يقولوا ذهب للخَرْءِ، لأنَّ الاسم الخرءُ، وكل شيءٍ سواه من[1] ورجيع وبراز وزِبل وغائط فكله كناية .

ومن هذا الباب الملّةُ ، والمَلَّة موضع الُخبْزة ، فسموا الُخبْزة باسم موضعها . وهذا عند الأصمعىّ خطأ .

ومن هذا الشكل الراوية ، والراوية هو الجمل نفسه ، وهو حامل المزادة فسمِّيت المزادة باسم حامل المزادة . ولهذا المعنى سمَّوا حاملَ الشعر والحديث راوية .

ومنه قولهم : ساق إلى المرأة صَداقها . قالوا : وإنَّما كان يقال ذلك

---

(١) فى الأصل فراغ يتسع لكلمة واحدة .

حين كانوا يدفعون فى الصَّدَاق إبلا ، وتلك الإبل يقال لها النافجة.
وقال شاعرهم :

وليس تِلادى من وِراثةِ والدى　　ولا شادَ مالِى مُستَفاد النوافِجِ

وكانوا يقولون : تَهنِيك النافجة . قال : فإذا كانوا يدفعون الصَّدَاقَ عينا ووَرقا فلا يقال ساق إليها الصَّداق .

ومن ذلك أنَّهم كانوا يضربون على العروس البناءَ ، كالقبَّة والخيمة والخيام[1] ، على قدر الإمكان ، فيقال بنى عليها ، اشتقاقاً من البناءِ ، ولا يقال ذلك اليومَ . والعروس إمَّا أن تكون مقيمةً فى مكانها أَوْ تتحوّل إلى مكان أقدم من بنائها .

قال : ومن ذلك قولهم فى البَغِىّ المكتسبة بالفُجور : قَحْبة ، وإنَّما القُحَاب السعال . وكانوا إذا أرادوا الكناية عن من زنَتْ وتكسَّبت بالزنى ، قالوا قحبت أى سعلت ، كناية . وقال الشاعر :

* إنَّ السُّعَالَ هُوَ القُحَاب *

[وقال[2]] :

وإذا　ما قحَبت　واحـــدةٌ　　جاوبَ المبعِدُ منها[3] فَخَضَفْ

وكذلك كان كنايتهم فى انكشاف عورة الرجل ، يقال كشف علينا متاعَه وعَورته وشواره . والشّوار : المتاع[4] . وكذلك الفرج وإنَّما [يعنون[5]] الأَير والحِرَ والاسْت .

---

(١) كذا فى ط ، س ، م .
(٢) زيادة يقتضيها الكلام .
(٣) ط : « فقحب » وأثبت ما فى س و م . ومعنى خضف ضرط .
(٤) فى القاموس : « والشوار مثلثة : متاع البيت » .
(٥) زيادة يقتضيها الكلام .

(كلمات للنبى صلى الله عليه وسلم ، لم يتقدمه فيهن أحد)

وكلمات النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، لم يتقدَّمْه فيهنَّ أحد[١] : من ذلك ١٦٤ قوله : « إذاً لاينتَطِح فيها عَنْزان » . ومن ذلك قوله : «ماتَ حتْف أنفه » . ومن ذلك قوله : « ياخيلَ الله اركَبى » ومن ذلك قوله : «كلُّ الصيَّدِ فى جَوفِ الفَرا » ، وقوله : « لايُلسَعُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرتين » .

(شنشنة أعرفها من أخزم)

وقال عُمر رضى الله تعالى عنه : « شِنْشِنَةٌ أعرِفها من أخزمَ » ، يعنى شبه ابن العبَّاس بالعبَّاس . وأخزَم : فحل معروف بالكرم .

(مايكره من الكلام)

وأما الكلام الذى جاءت به كرَاهيةٌ من طريق الروايات ، فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « لايقولَنَّ أحدُ كم خَبثت نَفسى ولكن ليقلْ لَقِسَت نفسى » ، كأنه كره صلى الله عليه وسلم أن يضيف المؤمنُ الطاهرُ إلى نفسه الخُبث والفساد بوجهٍ من الوجوه .

وجاء عن عمر ومجاهد وغيرهما النهىُ عن قول القائل : استأثَر اللهُ بفُلان ، بل يقال مات فلان . ويقال[٢] استأثرَ الله بعلم الغيب واستأثر الله بكذا وكذا .

---

(١) انظر البيان ٢ : ١٥ — ١٦ وكتاب البغال ٢٢٣.

(٢) ط : « ولا يقال » وصوابه فى ل .

قال النَّخَعِيّ : كانوا يكرهون أن يقال : قراءة عبد الله، وقراءة سالم وقراءة أُبَيّ ، وقراءة زيد . وكانوا يكرهون أن يقولوا سنَّة أبي بكر وعمر ، بل يقال سنَّة الله وسنَّة رسوله ، ويقال فلان يقرأ بوجْه كذا ، وفلان يقرأ بوجه كذا .

وكره مجاهد أن يقولوا مُسيجِد ومُصيحِف ، للمسجد القليل الذَّرْع ، والمصحف القليل الورق . ويقول : هم وإن لم يريدوا التصغير فإنَّه بذلك شبيه .

(وجوه تصغير الكلام)

وربَّما صغَّروا الشيء من طريق الشَّفَقة والرِّقَّة ، كقول عمر : أخافُ على هذا العُريب . وليس التصغير بهم يريد . وقد يقول الرجل : إنَّما فلانٌ أُخَيِّ وصُدَيِّقي ؛ وليس التصغير له يريد . وذكر عمرُ ابنَ مسعود فقال كُنَيْفٌ مُلِئ علما[1] . وقال الحباب بن المنذر[2] يوم السَّقِيفة : أنا جُذَيْلها المحكك ، وعُذَيقُها المرجَّب . وهذا كقول النبيّ صلى الله عليه وسلم لعائشة : الحُميراء ، وكقولهم لأبي قابوسَ الملك : أبو قُبيس . وكقولهم : دبَّت إليه دوَيْهِيَة الدهر ، وذلك حين أرادوا لطافة المدخل ودقَّة المسلك .

---

(١) كنيف : تصغير كنف ، بالكسر ، بمعنى الوعاء .

(٢) فى الأصل : « سلمة بن سلامة بن وقش » وقائل القول الآتى هو الحباب بن المنذر كما هو معروف ، وكما كتبه الجاحظ فى البيان ٣ : ٢٩٦ فى حديث يوم السقيفة . وانظر تاريخ الخضرى ١ : ٢٥٣ .

ويقال إنّ كلّ فُعيل فى أسماء العرب فإنّما هو على هذا المعنى ، كقولهم الُمعَيْدِيّ ، وكنحو سُليم ، وضُمَير ، وكليب ، وعُقير ، وجُعيل ، وحُميد ، وسُعيد ، وجُبير ؛ وكنحو عُبيد ، وعُبيد الله ، وعُبيد الرماح[1] . وطريق التحقير والتصغير إنّما هو كقولهم : نُجيل ونُذيل . قالوا : ورُبَّ اسمٍ إذا صغَّرْته كان أملأَ للصَّدْر ، مثل قولك أبو عبيد الله ، هو أكبر فى السماع من أبى عبد الله ، وكعب بن جُعَيل ، هو أفخم من كعب بن جعل . وربَّما كان التصغير خِلقة وبنية ، لايتغيَّر ، كنحو الحُمَيَّا والسُّكَيْتِ ، وجُنَيدة ، والقطيعا ، والمريطاء ، والسُّميراء ، والمليساء — وليس هو كقولهم القُصَيْرى ، وفى كبيدات السماء والثرّيا . ١٦٥

وقال علىٌّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : دققت البابَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من هذا ؟ فقلت : أنا . فقال : أنا ! كأنَّه كرِه قولى أنا .

وحدّثنى أبو علىٍّ الأنصارى ، وعبد الكَريم الغِفَارىّ قالا : حدَّثنا عيسى بن حاضر قال : كان عمرو بن عُبيد[2] يجلس فى دَاره ، وكان لايَدَع بابَه مفتوحا ، فإذا قرعَه إنسان قامَ بنفسه حتَّى يفتحه له . فأتيتُ الباب يومًا فقرعتُه فقال : من هذا ؟ فقلت : أنا . فقال : ماأعرف أحداً يسمَّى أنا . فلم أَقُلْ شيئا وقمتُ خلفَ الباب ، إذ جاءَ رجلٌ من أهل

---

(١) كذا .

(٢) ط : « عبيدة » وصوابه فى س . وعمرو هذا من شيوخ المعتزلة ، وأحد الزهاد المشهورين وله أخبار مع المنصور ، توفى بمران سنة ١٤٤ ، ورثاه المنصور . قالوا ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه . تاريخ بغداد ٦٦٥٢ والمعارف ٢١٢ .

خراسان فقرَع الباب ، فقال عمرو : مَن هذا ؟ فقال : رجلٌ غريبٌ قدِم عليك ، يلتمس العلم . فقام له ففتح له الباب . فلمَّا وجدْتَ فرجةً أردت أن ألجَ الباب ، فدفَع البابَ فى وجهى بعنُف ، فأقمتُ عنده أيَّاما[1] ثم قلت فى نفسى : والله إنِّى يومَ أتغضَّب على عمرو بن عُبيد ، لَغَيرُ رشيدِ الرأى . فأتيتُ البابَ فقرعته عليه فقال : من هذا ؟ فقلت : عيسى بن حاضر . فقام ففتح لى الباب .

وقال رجل عند الشَّعبىّ : أليس الله قال كذا وكذا ! قال : وما عَلَّمَك ؟ وقال الربيع بن خُثَيم : اتَّقُوا تكذيب الله ، ليتَّق أحدكم أن يقولَ قال الله فى كتابه كذا وكذا ، فيقول الله كذبتَ لم أقلْه .

وقال عمر بن الخطَّاب رضى الله تعالى عنه : لايقل أحدُكم أهرِيقُ الماء ولـكن يقول أبول .

وسأل عمرُ رجلا عن شيء، فقال : الله أعلم . فقال عمر : قد خَزِينا إن كُنَّا لانعلم أنَّ الله أعلم ؛ إذا سُئِلَ أحَدُكم عن شيءٍ فإن كان يعلمه قاله ، وإن كان لايعلمه قال : لاعلم لى بذلك .

وسمعَ عمر رجلاً يدعو ويقول ؛ اللهمَّ اجعلْنى من الأقلِّين ! قال : ماهذا الدعاءُ ؟ قال : إنِّى سمعت الله عزّ وجلّ يقول : ﴿وقليلٌ مِنْ عِبادِىَ الشَّـكُور﴾ وقال : ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ﴾ . قال عمر : عليك من الدعاءِ بما يُعرَف .

وكره عمر بن عبدالعزيز قولَ الرجل لصاحبه : ضعْه تحت إبطِك ، وقال :

---

(١) كذا .

هلاَّ قلتَ تحت يدِك وتحت مَنكِبك ! وقال مرَّةً — وراثَ فرسٌ بحضْرة سليمان —[1] فقال : ارفَعوا ذلك النَّثِيل . ولم يقل ذلك الرَّوث .

وقال الحجَّاج لأمِّ عبد الرحمن بن الأشعَث[2] : عَمَدْتِ إلى مَالِ الله فوَضَعْتِه تَحْتَ . كأنَّه كره أن يقول على عادة النـاس : تحت استك ، ١٦٦ فتلجلج خوفاً من أن يقول قَذَعاً أو رَفَثا ، ثمّ قال : تحتَ ذيلِك .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لايقولَنَّ أحدُكم لمملوكه عَبْدِى وأَمَتِى ، ولـكنْ يقول : فتَاىَ وفتاتى ، ولا يقول المملوكُ ربِّى وربَّتى ، ولـكن يقول سيِّدى وسيِّدتى » .

وكره مُطرِّف بن عبد الله ، قولَ القائل للـكاذب : اللّهُمَّ أخْزِه .

وكره عِمران بن الحُصين ، أن يقولَ الرَّجلُ لصاحبه : «أنعَمَ اللهُ بك عيناً» ؛ و«لا أنعَمَ اللهُ بك عيناً » .

وقد كرهوا أشياءَ مِمَّـا جاءت فى الروايات لا تُعرَف وجوهها ، فرأىُ أصحابنا : لايكرهونها . ولا نستطيع الردَّ عليهم ، ولم نسمع لهم فى ذلك أكثرَ من الـكراهة . ولو كانوا يروون الأمورَ مع عللها وبرهاناتها خفَّت المؤنة ، ولـكنّ أكثر الروايات مجرّدة ، وقد اقتصروا على ظاهر اللفظ دونَ حكاية العلة ، ودون الإخبار عن البرهان . وإن كانوا قد شاهدوا النوعين مشاهدةً واحدة .

---

(١) هو سليمان بن عبد الملك ، وكان سليمان استوزر عمر ، وولى عمر الخلافة بعده بعهد منه .

(٢) فى الأصل : « الأشعب » وهو تحريف . وكان لعبد الرحمن حروب قاوم فيها الحجاج وانتهت بقتل عبد الرحمن سنة ٨٥ هـ كان أهمها وقعة دير الجماجم التى دامت مائة وثلاثة أيام .

قال ابن مسعود وأبو هريرة : « لا تسمُّوا العِنَبَ الكَرْم ؛ فإنَّ الكَرمَ هو الرجلُ المسلم » .

وقد رفعوا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

وأمَّا قوله : « لا تسبُّوا الدَّهرَ فإنَّ الدهر هو الله » فما أحسن ما فسَّر ذلك عبد الرحمن بن مهدىّ[1] قال : وجهُ هذا عندَنا ، أنَّ القوم قالوا : ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ فلما قال القوم ذلك ، قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : «ذلك الله». يعنى أنَّ الذى أهلك القرونَ هو الله عزَّ وجلَّ ، فتوهم منه المتوهِّم أنَّه إنَّما أوقع الكلام على الدهر .

وقال يونس : وكما غلطوا فى قول النبى صلى الله عليه وسلم لحسَّان : « قُلْ ومَعَك رُوح القُدُس » فقالوا : قال النبى صلى الله عليه وسلم لحسَّان : قُلْ ومَعَك جِبريل ؛ لأنَّ روح القدس أيضاً من أسماءِ جبريل . ألا ترى أنّ موسى قال : «ليتَ أنّ رُوحَ الله مع كلّ أحد»، وهو يريد العصمة والتوفيق . والنصارى تقول للمتنبِّى : معه روح دكالا[2] ، ومعه روح سيفرت[3] . وتقول اليهود : معه روح بَعلزَبول[4] ، يريدون شيطانا . فإذا كان نبيا قالوا : روحه روح القدس ، وروحه روح الله ، وقال الله عزَّ وجلّ : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ ، يعنى القرآن .

---

(١) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدى بن حسان العنبرى البصرى، من أئمة حفاظ الحديث . قال الشافعى : لاأعرف له نظيراً فى الدنيا . توفى بالبصرة ١٩٨ .

(٢) فى رسائل الجاحظ ١٠٤ : « دلالا » .

(٣) فى الرسائل : « شيقرة » .

(٤) فى الأصل : « بلعربوث » وصوابه من إنجيل متى ١٠ : ٢٥ و ١٢ : ٢٤ ومرقس ٣ : ٢٢ ولوقا ١١ : ١٥ . وهو رئيس الشياطين . وفى الرسائل : « بلعد بوث » .

وسمع الحسن رجلاً يقول : طلع سُهيل وبَرُد الليل . فكره ذلك وقال : إنّ سهيلاً لم يأتِ بحرٍّ ولا ببردٍ قطُّ . ولهذا الكلام مجازٌ ومذهب ، وقد كره الحسنُ كما ترى .

وكره مالك بن أنس أن يقولَ الرجُلُ للغيم والسحابة : ما أخلقها للمطر ! وهذا كلام مجازه قائم ، وقد كرهه ابن أنس . كأنّهم من خوفهم عليهم العودَ فى شيءٍ من أمر الجاهليّة ، احتاطوا فى أمورهم ، فمنعوهم من الكلام الذى فيه أدنى متعلّق . ١٦٧

ورووا أنّ ابنَ عبّاسٍ قال : لا تقولوا والذى خاَتَمه على فمى ، فإنّما يختِم الله عز وجل على فم الكافر . وكره قولهم : قوس قُزَح . وقال : قزح شيطان ، وإنّما ذهبوا إلى التعرِيج والتلوين ، كأنّه كره ما كانوا عليه من عادات الجاهليَّة . وكان أحَبَّ أن يقال قوس الله ، فيرفع من قدره ، كما يقال بيت الله ، وزُوَّار الله ، وأرض الله ، وسماء الله ، وأسد الله[1] .

وقالت عائشة رضى الله عنها : «قولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاتَم النبيين ، ولا تقولوا : لا نَبيَّ بعده » . فإلاّ تكنْ ذهبتْ إلى نزول المسيح فما أعرف له وجهاً إلاّ أن تكُون قالت لا تغيّروا ماسمعتم ، وقولوا كما قيل لكم ، والفِظوا بمثله سواء .

وكره ابن عمر رضى الله عنهما قول القائل : أسلمت فى كذا وكذا ، وقال : ليس الإسلام إلاّ لِلّهِ[2] عزّ وجلَّ . وهذا الكلام مجازُه عند الناس سهل ، وقد كرهه ابنُ عمر ، وهو أعلم بذلك .

---

(١) انظر مثل هذا الكلام فى الحيوان ٢ : ١٨١ وكذا ثمار القلوب ٨ — ٢٨ حيث فسر الثعالبى ماأضيف إلى لفظ الجلالة .

(٢) فى الأصل : « الله » .

وكره ابنُ عبَّاسٍ رضى الله عنهما قولَ القائل : أنا كسلان .

وقال عمر : لا تسمُّوا الطريق السِّكَّةَ .

وكره أبو العالية قول القائل : كنت فى جِنازة ، وقال : قل تبِعت جنازة. كأنّهُ ذهب إلى أنّه عنى أنّه كان فى جوفها ، وقال قل تبعت جنازة . والناس لا يريدون هذا ، ومجاز هذا الكلام قائم ، وقد كرهه أبو العالية ، وهى عندى شبيهٌ بقول من كره أن يقول : أعطانى فلان نصف درهم . وقال : إذا قلت : كيف تكيل الدقيق ؟ فليس جوابه أن تقول : القَفِيز بدُنَينير ، ولكن يتناول القفيز ثم يكيل به الدقيق ، ويقول : هكذا الكيلة . وهذا من القول مسخوط !

وكره ابن عبَّاس قول القائل : الناس قد انصرفوا ، يريد من الصلاة ، قال بل قولوا : قد قَضَوُا الصلاة ، وقد فرَغوا من الصلاة ، وقد صلَّوْا ؛ لقوله : ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ قال : وكلام الناس : كان ذاك حين انصرفنا من الجنازة ، وقد انصرفوا من السُّوق ، وانصرف الخليفة ، وصرف الخليفةُ الناسَ من الدار اليومَ بخير ، وكنت فى أوَّل المنصرفين . وقد كرهه ابن عبّاس . ولو أخبرونا بعلّتِه انتفعنا بذلك .

وكره حَبيب بن أبى ثابت ، أن يقال للحائض طامِث ، وكره مجاهد قول القائل : دخل رمضان ، وذهب رمضان ، وقال : قولوا شهر رمضان ، فلعلّ رمضان اسم من أسماء الله تعالى .

قال أبو إسحاق : إنما أُتى من قِبل قوله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى

أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ فقد قال النــاس يوم التَّروية ، ويوم عَرَفة ولم ١٦٨ يقولوا عرفة .

(رأى النظَّام فى طائفة من المفسرين وصور من تكلُّفهم فى التأويل)

كان أبو إسحاق يقول : لاتسترسلوا إلى كثير من المفسِّرين ، وإن نصَبوا أنفسَهم للعامَّة ، وأجابوا فى كلِّ مسألة ؛ فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية على غير أساس ، وكلَّما كان المفسِّر أغربَ عندَهم كان أحبَّ إليهم ، وليكن عندكم عِكْرِمةُ ، والكلبىُّ ، والسُّدّى ، والضَّحاك ، ومقاتل بن سليمان ، وأبو بكر الأصمّ ، فى سبيلٍ واحدة . فكيف أثق بتفسيرهم[1] وأسكن إلى صوابهم ، وقد قالوا فى قوله عزَّ وجلّ : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلهِ ﴾ : إنّ الله عزَّ وجلَّ لم يعن بهذا الكلام مساجدَنا التى نصلِّى فيها ، بل إنَّما عنَى الجبَاهَ وكل ما سجد الناس عليه : من يدٍ ورجلٍ ، وَجَبْهَةٍ وأنفٍ وثَفِنَة .

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ : إنَّه ليس يَعنى الجمال والنُّوقَ ، وإنَّما يَعنى السحاب .

وإذا سُئلوا عن قوله : ﴿ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴾ قالوا : الطلح هو الموز .

وجعلوا الدليلَ على أنَّ شهر رمضانَ قد كان فرضاً على جميع الأمم وأنّ الناس غيَّروه ، قولَهُ تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ .

---

(١) فى الأصل : « بتفسير » .

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً ﴾ قالوا : يعنى أنّه حَشَرَهُ بِلاَ حجَّة .

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ : الويل وادٍ فى جهنم . ثم قَعَدُوا يصِفون ذلك الوادى . ومعنى الويل فى كلام العرب معروف ، وكيف كان فى الجاهليّة قبل الإسلام ، وهو من أشهر كلامهم !

وسئلوا عن قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ قالوا : الفلَق : وادٍ فى جهنم ، ثمَّ قعدوا يصِفونه . وقال آخرون : الفلق : المِقْطَرة[1] بلغة اليمن .

وقال آخرون فى قوله تعالى : ﴿ عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً ﴾ قالوا : أخطأ من وصَلَ بعض هذه الكلمة ببعض . قالوا : وإنّما هى : سَلْ سبيلاً إليها يا محمد . فإن كان كما قالوا فأين معنى تسمَّى ، وعلى أىِّ شىءٍ وقع قوله تسمَّى فتسمّى ماذا ، وما ذلك الشىء ؟

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ قالوا الجلود كناية عن الفروج . كأنه كان لا يَرَى أنّ كلام الجِلد من أعجب العجب !

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ ﴾ : إنّ هذا إنّما كان كنايةً عن الغائط . كأنه لا يرى أنّ فى الجوع وما ينال أهلَه من الذِّلّة والعجزِ والفاقة ، وأنّه ليس فى الحاجة إلى الغذاء — ما يُكتفَى به فى الدّلالة على أنّهما مخلوقان ، حتّى يدَّعىَ على الكلام ويدّعى له شيئاً قد أغناه الله تعالى عنه .

---

(١) فى القاموس : المقطرة : المجمرة ، وخشبة فيها خروق على قدر سعة رجل المحبوسين .

١٦٩ وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ : إنّه إنما عنَى قلبه .

ومن أعجب التأويل قول اللِّحيانى : (الجبّار) من الرجال يكون على وجوه : يكون جبّاراً فى الضِّخَم والقوّة ، فتأوّل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ ﴾ قال : ويكون جبَّاراً على معنى قتّالا ، وتأوّل فى ذلك : ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ ، وقولَه لموسى صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِى الْأَرْضِ ﴾ أى قتّالاً بغير حقّ . والجبارُ : المتكبِّر عن عبادة الله تعالى ، وتأوّل قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيًّا[1] ﴾ ، وتأوّلَ فى ذلكَ قول عيسى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ أى لم يجعلنى متكبِّراً عن عبادته ، قال الجبَّار : المسلَّط القاهر ، وقال : وهو قوله ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ أى مسلّط فتقهرهم على الإسلام . و الجبَّار : الله .

وتأوّل أيضاً (الخوف) على وجوهٍ ، ولو وجدَه فى ألفِ مكانٍ لقال : والخوفُ على ألف وجه ، وكذلك الجبَّار . وهذا كله يرجع إلى معنًى واحد ؛ إلاّ أنّه لا يجوز أن يوصَف به إلاّ الله عزَّ وجلَّ .

(تكلف بعض القضاة فى أحكامهم)

وقال رجل لعُبيد الله بن الحسن القاضى[2] : إنّ أبى أوصى بثُلث مالِه فى الحصون . قال : اذهبْ فاشترِ به خيلاً ، فقال الرجل : إنّه إنّما ذَكَر الحصون ! قال : أما سمعتَ قول الأسعَر الجُعْفِىّ :

---

(١) فى الأصل : « ولم أك » وليس فى الكتاب آية بهذا الرسم . مريم ١٤ .

(٢) هو عبيد الله بن الحسن بن حصين العنبرى ، قاض من الفقهاء العلماء بالحديث ، من أهل البصرة ، وتوفى بها سنة ١٦٨ .

ولقد علمتُ على تجنُّبيَ الرَّدى[1]   أنّ الحصونَ الخيلُ لا مَدَرُ القُرَى

فينبغى فى مثل هذا القياس على هــذا التأويل ، أنّه ما قيل للمدن والحصون حصون إلاّ على التشبيه بالخيل .

وخبَّرنى النُّوشِروانىّ قال : قلت للحسن القاضى : أوصى جدِّى بثلث ماله لأولاده ، وأنا من أولاده . قال : ليس لك شىء . قلت : ولم ؟ قال : أو ما سمعت قول الشاعر[2] :

بنُــونا بنو أبنائِنا وبنــاتُنا   بنُوهُنَّ أبناءُ الرِّجالِ الأباعِدِ

قال : فشكوت ذلك إلى فلان فزادنى شرًّا .

وقالوا فى قوله : مَاسَاءَكَ ونَاءَك : [ناءك] : أبعدك . قالوا : وساءك[3] أبرصك . قال : لقوله تعالى : ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ . وبئس التكلُّف .

وقال ابن قميئة[4] :

وحمَّال أثقال إذا هى أعْرَضت   على الأصل لا يَسطِيعُها المتكلِّفُ

وقال الله وهو يخبر عن نبيِّه صلى الله عليه وسلم : ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ .

وليس يُؤْتَى القوم إلاَّ من الطمع ، ومن شدَّةِ إعجابهم بالغريب من التأويل .

---

(١) فى ط : « الورى » وهو تحريف ما فى س .

(٢) هذا البيت الآتى مع كثرة الاستشهاد به فى كتب العربية وفى كتب الفروض ، لم يعرف له قائل ، كما صرح بذلك العينى ، والسيوطى فى شرح شواهد المغنى ٢٨٧ . لكن وجدت البغدادى فى الخزانة ١ : ٤٠٢ قد نقل عن الكرمانى أن قائله هو الفرزدق .

(٣) ط : « ماساءك وثاءك » وتصحيحه من س . وقد زدت الكلمة التى بين معكفين ليستقيم الكلام . وفى ط : « برصك » وصوابه فى س .

(٤) ط : « ابن قمئة » وصوابه : « ابن قميئة » والبيت فى البيان ٢ : ١٨ .

(رأى فى أبى حنيفة)

وسئل حَفص بن غِياث ، عن فقه أبى حنيفة ، فقال : أعلم الناس بما لم يكنْ ، وأجهلُ الناس بما كان[1] !

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ قالوا : النعيم : الماءُ الحارُّ فى الشتاء ، والبارد فى الصيف . ١٧٠

(الصَّرورة)

ومن الأسماء المحدَثة التى قامت مقامَ الأسماء الجاهليَّة ، قولهم فى الإسلام لمنْ لم يحجّ : صَرورة .

وأنتَ إذا قرأتَ أشعارَ الجاهليَّة وجدتَهم قد وضعوا هذا الاسمَ على خلافِ هذا الموضع . قال ابن مَقرومٍ الضَّبّىّ[2] :

لو أنَّها عَرَضَتْ لأَشْمَطَ رَاهبٍ عَبَدَ الإلٰه صَرُورةٍ مُتَبَتِّلِ
لدنا[3] لبَهْجَتِها وحُسْنِ حَديثِها ولَهَمَّ من تَامُورِه بتنزُّلِ

والصرورة عندهم إذا كانَ أرفعَ الناسِ فى مراتب العبادة ، وهو اليومَ اسمٌ للذى لم يَحجَّ إمَّا لعجزٍ ، وإمَّا لتضييعٍ ، وإمَّا لإنكار[4] . فهما مختلفان كما ترى .

---

(١) انظر ٣ : ١٩ .
(٢) هو : ربيعة بن مقروم بن قيس الضبى ، من مخضرمى الجاهلية والإسلام ، وهو من شعراء الحماسة ، وشهد وقعة القادسية سنة ١٦ وتوفى نحو سنة ٢٠ .
(٣) هى فى شعر شبيه بهذا للنابغة « لرنا » .
(٤) فى الأصل : « وأما الإنكار » .

(ألفاظ القرآن الكريم)

فإذا كانت العرب يشتقُّون كلاماً من كلامهم وأسماءً من أسمائهم ، واللغة عاريّة فى أيديهم ممَّن خلقَهم ومكَّنهم وألهمهم وعلَّمهم ، وكان ذلك منهم صواباً عند جميع الناس ؛ فالذى أعارهمْ هــذه النِّعمةَ أحقُّ بالاشتقاق وأوجبُ طاعةً . وكما أنَّ له أن يبتدئَ الأسماءَ ؛ فكذلك له أن يبتدئها ممَّا أَحَبَّ . قد سمَّى كتابَه المنزلَ قرآناً ، وهذا الاسم لم يكنْ حتى كان ، وجعل السجودَ للشمس كفراً ، فلا يجوز أن يكون السجود لها كفراً إلاّ وترك ذلك السجود بعينه يكون إيماناً ، والترك للشيء لا يكون إلاّ بالجارحة التى [1] كان بها الشيء ، وفى مقداره من الزمان ، وتكون بدلاً منه وعَقِبا . فواحدةٌ أن يسمَّى السجود كفراً ، وإذا كان كفراً كان جحوداً وإذا كان جحودا كان شركاً ، والسجود ليس بجَحْد ، والجحد ليس بإشراك إلاّ أن تصرفه إلى الوجه الذى يصير [به [2]] إشراكا .

(ما اشتق من نباح الكلابِ وما قيل من الشعر فيه)

وقال طُفيل الغَنَوِىّ [3] :

عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مقامةٍ ولم تَرَ نَاراً تِمَّ حَولٍ مجرَّمِ

وإنَّما أُخذ ذلك للجميع من نباح الكلاب .

---

(١) فى الأصل : « حتى » .

(٢) كلمة يحتاج إليها القول .

(٣) البيت فى الشعراء لابن قتيبة ٢٨٨ منسوب إلى ابن مقبل. وفى ثمار القلوب ٤٦٢ :

* عوازب لم تسمع بنوح حمامة *

وذكروا أن الظّبيَ إذا أسنَّ ونبتَتْ لقرونه شُعَبٌ نَبَجِ ، وهو قول أبي دُوَاد(١) :

وقصرَى شَنِجِ الأَنْسَا ء نبَّاح من الشعب

يعنى من جهة الشعب ؛ وأنشد بعضهم :

وينبَحُ بينَ الشعبِ نبحًا كأنّه نُبَاحُ سَلُوقِ أَبصَرَتْ مَايُرِيبُها

وبَيَّضها الهُزْل المسوِّدُ غيْرَها كماابيضَّ عن حَمْضِ المراحم نِيبُها(٢) ١٧١

لأن الظّبيَ إذا هُزل ابيضّ ، والبعير يَشِيب وجهُه من أكل الحَمْض .

وكذلك قال ابن لجَأ(٣) :

* شابَتْ ولمَّا تَدْنُ منذَ كَائها(٤) *

كما قال الآخر :

أَكلْن حمضاً فالوُجُوه شِيبُ شَرِبن حتّى نزح القَلِيبُ

وقد تصير النّاقة الحمراء إذا أتمَّت حبشيّة . ولذلك قال الشاعر :

* حمراء لاحَبَشيّة الإتمام *

وما أشبه ذلك بقول العَبدىّ(٥) :

وداويتُها حتَّى شتَتْ حَبَشِيَّةً كأنَّ عليها سُنْدُسا وسَدُوسا

---

(١) فى الأصل : « ابن داود » وإنما هو أبو دواد كما فى اللسان (نبح) . والقصرى : أول الأضلاع أو آخرها . وكان البيت محرفا على الوجه الآتى فصححته منه :

وقصرى سح الأتشا نباح من الشعب

(٢) انظر رواية البيتين فى المعانى الكبير ص ٦٩٥ .

(٣) هو عمر بن لجأ من بنى تيم بن عبد مناة بن أد بن طابخة ، وكان قد لج الهجاء بينه وبين جرير لتنافس حدث بينهما فى الشعر ، فكانت خصومتهما أدبية فى أول الأمر ثم استحالت إلى خصومة الفخر بالنسب ، والقبيلة . ابن سلام ٣٦٢ وابن قتيبة ٢٦٢ .

(٤) الذكاء : علو السن . وفى الأصل : « من ركابها » . وانظر المعانى الكبير .

(٥) هو يزيد بن خذاق . الاقتضاب . ٤ . والمفضليات ١٤٣ وانظر أدب الكاتب ٣١٧

والدَّواء : اللبن ، فلذلك تصير الفرس إذا ألقت شعرها وطرّت ، تستديل هذا اللون .

وقال خالد بن الصَّقْعب النَّهدىّ [1] :

هَبَطْنَا بعدَ عهدِك بَطْنَ خَبْتٍ ... تَظَلُّ حمامُه مثلَ الخُصُومِ

كأنَّ عرينَ أيكتِه تلاَقَى ... به جَمْعَانِ من نَبَطٍ ورُومِ [2]

نُباحُ الهُدْهدِ الحَوْلِيِّ فيه ... كَنَبْحِ الكَلْبِ فى الأَنَسِ المُقيمِ [3]

ويقال إنَّ الهدهد ينبَحُ . وربّما جعلوا الهُدْهُدَ ، (الذى ينبح) ، الحمامَ الذكر . قال الشاعر — وهو يصف الحمام الذَّكَرَ كيف يصنع فيها — :

وإذا استترن أَرَنَّ فيها هُدْهُدٌ ... مِثْلُ المَدَاكِ خَضَبْتَهُ بِجِسادِ [4]

وقال طُفيلٌ فى النُّبوح والمجاعات [5] :

وأشْعَثَ تَزْهَاه النُّبوح مُدَفَّعٍ ... عن الزّاد ممَّا جَلّفَ الدهرُ مُحْثَلِ [6]

وقال الجعدىّ [7] :

فلما دَنونا لصَوتِ النُّباح ... وَلا نُبْصِرُ الحىَّ إلاّ التمَاسَا

وقال ابن عبدل :

آليتُ إذ آليتُ مجتهِـداً ... ورفعتُ صوتاً مابه بَحَحُ

لايُدْرِكُ الشـعراءُ منزلَتى ... فى الشعر إنْ سكَتوا وإنْ نَبَحُوا

١٧٢ وقال عمرو بن كلثوم :

---

(١) قصيدة هذا الشعر رواها ابن الشجرى فى حماسته وفسرها (٢٨٩ — ٢٩١) .

(٢) فى الأصل : « عريك » و « تلاع » و « قبط » وتصحيحه من الحماسة .

(٣) هذه فى ط . وليست فى س .

(٤) ط : « وإذا استترن » . والمداك : حجر يسحق عليه الطيب . والجساد : الزعفران .

(٥) فى الأصل : « الجماعات » .

(٦) المحثل : السيئ الحال ، ورواية اللسان : « ممن حرف الدهر » . وفى الأصل : « خلف الدهر » ، صوابه بالجيم كما فى المخصص ٢ : ١٣٦ .

(٧) هو النابغة الجعدى . وانظر الأغانى (٤ : ١١٩) .

وَقَدْ هرَّتْ كلابُ الحَىِّ مِنَّا ... وشَذَّبْنا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا

وقال بعض العلماء : كلاب الحىّ شعراؤهم ، وهم الذين ينبحون دونَهم ، ويحمون أعراضَهم . وقال آخرون : إن كلابَ الحَىِّ كلُّ عقورٍ ، وكلُّ ذى عُيون أربع [1] .

وأما قوله [2] :

لَعَمْرُكَ ماخَشِيتُ على أُبَىٍّ ... رِماحَ بنى مقيِّدةِ الحمارِ [3]

ولـكنِّى خَشِيت على أُبَىٍّ ... رِمَاحَ الجنّ أو إيَّاكَ حارِ [4]

فالطَّواعين [5] هى عند العرب رماح الجن . وفى الحديث : « إنَّ الطاعونَ وَخز مِنَ الشيطان » .

وقال أبو سلمى [6] :

لابدَّ للسُّودَد من أرماحِ ... ومن سفيهٍ دائمِ النُّباحِ

ومن عَدِيدٍ يُتَّـقَى بالرَّاحِ

وقال الأعشى :

مِثْـلُ أيَّامٍ لَنَا نعْرِفُهَا ... هَرَّ كلبُ النَّاسِ فيها ونَبَحْ

رُزُنُ الأحْلَامِ فى مجلسِهِمْ ... كلّما كَلْبٌ من الناسِ نَبَحْ

---

(١) كذا .

(٢) الشعر فى الحيوان (٦ : ٢١٩) منسوب إلى « الأسدى » يقوله للحارث الغسانى وفى آكام المرجان ١٦ إلى « الأزدى » وفى ثمار القلوب ٥٣ إلى امرأة .

(٣) بنو مقيدة الحمار : العقارب ، لأنها أكثر ما تكون فى الحرة . اللسان (رمح ، حمر) .

(٤) ط : « رماح الحى » . وتصحيحه من س ، والمراجع المتقدمة فى التنبيه السابق .

(٥) فى الأصل : « والطواعين » .

(٦) الرجز فى البيان ٣ : ٣٣٥ وسيعاد فى ٣ : ٧٩ .

وقال :

سيَنْبَحُ كلبي جاهدًا مِن ورائكم   وأغنى غَنَائى عنكمُ أن أُؤنَّبا

وقال أبو ذؤيب :

ولا هَرَّها كَلبِي ليبعد تعْرها[1]   ولو نَبَحَتْنِى بالشَّكاةِ كلابُها

كلابها : شعراؤها ، وهو قول بشر بن أبى خازم :

وإنِّى والشَّكاةَ لآلِ لأمٍ   كذاتِ الضِّغْنِ تَمشى فى الرِّفاقِ

وقالِ أبو زُبَيْد[2] :

ألم تَرَنى سكَّنْتُ لأيًا كلابَهُمْ   وكفكفت عنكم أكلُبِى وَهى عُقَّرُ

(هجاء ضروب من الحيوان)

١٧٣ قال صاحب الكلب : قد علمنا أنكم تتبَّعتم على الكلب كلَّ شيءٍ هُجِى به ، وجعلتم ذلك دليلا على سقوط قدْره وعلى لؤم طبعه ؛ وقد رأينا الشعراءَ قد هَجَوا الأصنافَ كلَّها ، فلَمْ يُفلت منهم إنسان ولا سبع ، ولا بهيمةٌ ولا طائر ولا هَمَج ولا حشَرة ، ولا رفيع من الناس ولا وضيع ،

---

(١) تعر ، كنع : صاح . وفى ط : « ثعرها » محرفة .

(٢) هو أبو زبيد الطائى ، واسمه حرملة بن المنذر ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وكان لسنا فصيحا بليغ الوصف : وصف الأسد بحضرة عثمان وصفاً بلغ فيه الغاية . الأغانى ١١ : ٢٣ - ٢٥ وقد ترجم له البغدادى فى الخزانة ٤ : ١٤٣ والسجستانى فى المعمرين ٩٨ ليدن ، وابن حجر فى الإصابة ٤٨٠ قسم الكنى وزبيد بهيئة التصغير .

إلاّ أن يَسلم بعضُ ذلك عليهم بالخمول ، فكفاك بالخمول دِقّةً ولُؤماً وقِلّة ونَذالة . وقال أميّة بن أبي عائذ لإياس بن سهم :

فأبْلِغْ إياساً أَنَّ عِرضَ ابنِ أُختِكُمْ
رِداؤُك فاصطَنْ حسنه أو تبذَّلِ (١)
فإن تكُ ذا طَوْلٍ فإِنى ابنُ أُختكم
وكلُّ ابنِ أختٍ من نَدَى الخالِ مغتلِي (٢)
فكنْ أسداً أو ثعلباً أو شبيَهه
فهما تكنْ أُنسَبْ إليك وأُشكل
فما ثعلبٌ إلاّ ابن أختِ ثُعالةٍ (٣)
وإنَّ ابنَ أختِ اللّيثِ رِيبالُ أشبُلِ
ولن تجد الآسادَ أخوالَ ثعلبٍ إذا كانت الهيجا تَلوذُ بمدخلِ

فهذا من الثعلب . وقال مزرّد بن ضرار (٤) :

وإنّ كناز اللّحمِ من بَكَراتِكمْ تهرُّ عليها (٥) أمُّكُمْ وتكالب
وليتَ الذى ألقى فناؤُك رحله لتَقرِيَه بالتْ عليه الثعالبُ

فقد وضع الثعلب كما ترى بهذا الموضع الذى كفاك به نذالة . قال ابن هرمة :

فما عادت بذى يَمَن رُءُوساً ولا ضَرَّت لفرقتها نِزارَا

(١) فى الأصل : فاصبر خشية و تبدل » ، وتصحيحه من عيون الأخبار ٣ : ٨٩ .
(٢) فى الأصل : « مغتل » والصواب « مغتلى » كما فى أشعار الهذليين أو « معتلى » كما فى عيون الأخبار . واعتلى واغتلى : ارتفع.
(٣) فى عيون الأخبار : « ثعالب » .
(٤) فى ط : « مزر بن ضرار » وإنما هو « مزرد بن ضرار » أخو الشماخ .
(٥) فى الأصل : « علينا » .

كعنْزِ السَّوءِ تنطَحُ من خلاها[1] وتَرْأَمُ من يُحِدُّ لهـا الشِّفَارا

وهذا قول الشاعر فى العنز . وقال ابن أحمر :

إنا وجدْنَا بنى سهْمٍ وجامِلَهم كالعنْزِ تَعْطِف رَوقيها فترتضِـع

وقال الفرزدق :

على حينَ لمأترك على الأرضِ حَيَّة ولا نابحاً إلا استقرَّ عَقُورها

وكان نُفَيع إذ هجانى لأهْلِهِ كباحثةٍ عن مُدْيةٍ تستثيرُها

فهذا قولهم فى العنز . ولا نعلم فى الأرض أقلَّ شرًّا ولا أكثر خيراً من شاة .

وقال الُخرَيمىُّ[2] :

يا لَلرجال لقومٍ قد مَلِلتُهم أرى جِوارَهُم إحدى البليَّات

١٧٤ ذئبٌ رضيع وخِنزير تُعارِضُها عَقارِبٌ وُجِنَتْ وَجْنًا بِحَيَّاتِ[3]

ما ظنُّكم بأناس خَيْرُ كسبهمُ مُصَرَّح السُّحتِ سَمَّوه الأَمَانات

فهذا قولهم فى العقارب والحيَّاتِ والضِّباع والخنازير .

وقال حماد عَجْردٍ فى بَشَّار :

قد كان فى حيِّ غزالةَ شاغِلٌ للقرد عن شَتْمى وفى ثوْبَانِ

أو فى سميعةَ أُختِها وشِرادِها لمجونها مع سِـفْلة الُمجّانِ

أو بيت ضيق عرسه وركوبها شرّ البِغاءِ بأوكَسِ الأثمانِ[4]

---

(١) ط : « فلاها » وتصحيحه من س . والشعر سبق فى ص ٢٣١ .

(٢) فى الأصل : « الخزيمى » وهو « الخريمى » كما سبق التنبيه فى ص ٢٢٤ .

(٣) أصـل الوجن : الدق ، ومنه ميجنة القصار ، وجعله الشاعر هنا للخلط .

(٤) فى الشعر تحريف .

هذا قول حماد فى القرد . وقال حمَّاد فى بشَّار بن بُرد أيضاً :

ولكنْ مَعاذَ الله لستُ بقاذِفٍ بَريئاً لسوَّاق لِقَومٍ نوائحِ
وما قلتُ فى الأعمى لِجَهل وأمّه ولكِنْ بأمرٍ بيِّنٍ لىَ واضحِ
سأُعرِضُ صفحاً عن حُصينٍ لأمِّه ولست عن القِرد ابن برْدٍ بصافِحِ

وقال الآخر :

لمـا أتيت ابنَى يزيدَ بْن خَثْعَمٍ أرى القردَ والخنْزِيرَ مُحْتَبِيانِ
أمَامَ بُيوتِ القومِ من آل خَثْعَم وراءَ قَبيحاتِ الوجوه بطانِ

وقال العتَّابى :

اسْجدْ لقِرْد السَّوءِ فى زَمانِه وإن تَلقَّاكَ بِخَنْزَوانِه[1]
* لا سيَّما ما دام فى سلطانه *

وقال أبو الشمقمق :

إن رِياحَ اللُّؤمِ من شحِّه[2] لا يَطمَع الخنزير فى سَلْحِهِ
كفّاه قُفل ضلّ مِفتاحهُ قد يَئِس الحدَّاد مِن فَتْحِهِ

وقال خلف بن خليفة[3] :

فسبحانَ من رِزقُه واسـع يَعُمُّ به القِرْدَ والقِرْدَهْ

---

(١) الخنزوان بفتح الخاء : القرد ، وذكر الخنازير ؛ وبضمها : الكبر . وانظر اللسان (قرا ص ٣٦) والمعرب للجواليقى ٢٢٧ .

(٢) فى ط : « شمه » وهو تحريف صوابه فى س .

(٣) شاعر إسلامى مجيد محسن مقل ، كان فى زمن جرير والفرزدق ، وكان يقال له الأقطع لأنه قطعت يده فى سرقة ، وهو من شعراء الحماسة .

وهذا كثير . ولعمرى لو جُمع كلُّه لكان مثلَ هجاء الناس للكلب ، وكذلك لو جمع جميعُ ما مُدِح به الأسدُ فما دُونه ، والأمثالُ السائرةُ التى وقعت فى حَمد هذه الأشياء ، لَمَا كانت كلُّها فى مقدارِ مديح الكلب . فهذه حُجَّتُنا فى مَرتبةِ الكلب على جميع السباع والبهائم .

١٧٥ ولما قال معبدٌ فى قتل الكلب ، وتلا قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آياتِنا فانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنا فاقْصُصِ الْقَصَصَ ﴾ قال أبو إسحاق : وإن كنتَ إنَّما جعلتَ الكلب شرَّ الخلق بهذه العلَّة ، فقد قال على نسق هذا الكلام : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ فالذى قال فى الإبل والبقَر والغنَم أعظم ، فَأَسْقِطْ من أقدارها بقدر معنى الكلام . وأدنى ذلك أن تُشرِك بين الجميع فى الذمّ فإنَّك متى أنصفتَ فى هذا الوجه ، دعاك ذلك إلى أن تُنْصِفها فى تتبُّع مالها من الأشعار والأمثال والأخبار والآيات ، كما تتبَّعت ما عليها .

(الشرف والخمول فى قبائل العرب)

وقال صاحب الكلب : سنضرب مثلا بيننا يكون عَدلا : إذا استوى القبيلان فى تقادم الميلاد ثم كان أحد الأبوين كثير الذرء[1] والفُرسان والحكماءِ والأجواد والشعراء ، وكثيرَ السادات فى العشائر ، وكثيرَ الرؤساء [فى] الأرحَاء[2] وكان الآخر قليل الذَّرء[1] والعدد ، ولم يكن فيهم خير كثيرٌ ولا شر كثير ، خملوا أو دخلوا فى غمار العرب ، وغَرِقُوا فى معظم الناس[3] ، وكانوا من المغمورين ومن المنسيِّينَ ، فسَلموا من ضروب الهجاء ومن أكثرِ ذلك ، وسلموا من أنْ يُضرَبَ بهم المثل فى قِلَّةٍ ونذالة إذا لم يكن شرٌّ ، وكان محلُّهم من القلوب محلّ من لايَغْبِط الشعراءُ[4] ، ولا يحسدهم الأكفاءُ ؛ وكانوا كما قال حُميد بن ثور :

وقُولا إذا جَاوزتما أرْضَ عامرٍ وجاوزتُما الحيَّينِ نَهْدًا وَخَثْعَمَا
نَزيعانِ من جَرْمِ بن رَبَّان إنَّهم أَبَوْا أن يُريقوا فى الهَزاهِزِ مِحْجما[5]

وإذا تقادم الميلاد ولم يكن الذّرْءُ[1] وكان فيهم خيرٌ كثيرٌ وشرٌّ كثير ، ومثالِب ومناقب ، لم يَسلَموا من أن يُهجَوا ويُضْرَبَ بهم المثل ، ولعلَّ أيضا أن تتفق لهم أشعار تتصل بمحبة الرواة ، وأمثال تسير على ألسنة

---

(١) الذرء : النسل . وفى الأصل : « الدرء » محرفة .

(٢) الأرحاء : جمع رحى ، وهى القبيلة المستقلة . وفى الأصل « وكثير الرؤساء والأرجاء » .
وقد صححت المصحف : واجتلبت الكلمة التى بين معكفين ليستقيم الكلام .

(٣) فى ط : « غرفوا » وفى م: « عرقوا » ، وصوابهما ماأثبت من س.

(٤) أى يغبطهم الشعراء . وفى الأصل : « من لايغيظ الشعراء » .

(٥) ط : « نزيعان من جرم بن رياق » س : « تريعان من جرم بن ربان » .

العلماء ، فيصيرُ حينئذٍ من لاخير فيه ولا شرّ ، أمْثلَ حالاً فى العامَّة ، مِمَّن فيه الفضلُ الكثيرُ وبعضُ النقص ، ولا سيَّما إذا جاوَروا من يأكُلهم وحالَفوا من لاينصفهم ، كما لقيت غنِيّ أو باهلة . ١٧٦

ولو أنَّ عبْسًا أقامت فى بنى عامر ضِعفَ ما أقامت ، لذهب شَطْرُ شرفها ؛ ولكنَّ قيسَ بن زُهير لَمَّا رأى دلائل الشرِّ قال لأصحابه : الذلُّ فى بنى غَطفَان خير من العزِّ فى بنى عامر !

وقد يكون القوم حُلولًا مع بنى أعمامهم ، فإذا رأوا فضْلهم عليهم حَسدوهم وإن تركوا شيئا من إنصافهم اشتدَّ ذلك عليهم وتعاظَمَهم ، بأكثر من قدره ، فَدَعاهم ذلك إلى الخروج منهم إلى أعدائهم . فإذا صاروا إلى آخرين نهكوهم وحملوا عليهم ، فوقَ الذى كانوا فيه من بنى أعمامهم ، حتى يدْعُوَهم ذلك إلى النَّدم على مفارقتهم ، فلا يستطيعون الرُّجوع ، حميةً واتقاء[1] ، ومخافَة أن يعودوا لهم إلى شيء مما كانوا عليه ، وإلى المقام[2] فى حلفائهم الذين يرون من احتقارهم ، ومِن شدَّة الصَّولة عليهم .

(بكلِ وادٍ بنو سعد)

وقد خرج الأضبَط بن قُريع السَّعْدِىُّ من بنى سعد ، فجاوَرَ ناساً ، فلما رأى مذْهَبهم وظُلمهم ونَهْكهم[3] ، قال : « بكلِّ وادٍ بَنُو سعد ! » فأرسلها مثلا .

(١) لعلها : « حمية وإبقاء » .
(٢) فى الأصل : « ولا المقام » .
(٣) فى الأصل : « وتهكمهم » وهو تحريف .

وقد كان عبَّاس بن ريطة الرِّعلى سيِّد بنى سُليم ، وقد ناله ضيم فى بعض الأمر ، فأبى الضَّيم ، فلما حاولَ مفارقتَهم [إلى] بنى غَنْم عزَّ عليْهِ[١] فقال فى كلمة له :

وأمُّكم تُزْجِى التؤام لبَعْلِها وأمُّ أخيكم كزَّةُ الرِّحْم عاقِرُ

وزعموا أنَّ أبا عمرو أنشد هذا الشعر[٢] ، وخبَّر عن هذه القصّة فى يومٍ من أيامه ، فدمعت عينُه ، فحلف شُبَيل بن عَزرة[٣] بالطلاق : إنَّه لَعَرَبىٌّ فى الحقيقة لغيَّةٍ أو لرِشْدة !

(قبائل فى شطرها خير كثير
وفى الشطر الآخر شرف وضعة)

فمن القبائل المتقادمة الميلاد التى فى شِطرها خير كثير ، وفى الشطر الآخر شرف وضَعة ، مثل قبائل غطفان وقيس عيلان ، ومثل فزارة ومرَّة وثعلبة. ومثل عبس وعبد الله بن غطفان ، ثم غَنِىّ[٤] وباهلة ، واليعسوب والطفاوة فالشرف والخطر فى عَبس وذبيان ، والمبتلى والملقّى والمحروم والمظلوم ، مثل[٥] باهلة وغنىّ ، ممّا لقيت من صوائب سهام الشعراء ، وحتّى كأنّهم آلة[٦] لمدارج الأقدام ، ينكب فيها كلُّ ساعٍ ، ويعثُر بها كلُّ ماش .

---

(١) فى الأصل : « فلما حاول منافرتهم بنى غنم أعز منه » .
(٢) فى الأصل : « وزعم أن أبا عمرو أنشده هذا الشعر » وليس بشىء .
(٣) فى ط : « عروة » وتصحيحه من س : وانظر التنبيه رقم ٦ ص ٣١٣ .
(٤) فى الأصل : « يحيى » وإنما هو « غنى » وسيتكرر الحديث عن غنى وباهلة.
(٥) فى الأصل : « ومثل » والوجه حذف الواو .
(٦) كذا .

وربّما ذكروا اليَعسوب والطفاوة ، وهاربة البقعاء[١] وأَشجَع الخنثى ببعض الذِّكر . وذلك مشهور فى خصائص العلماء ولا يجوز ذلك صدورَهم . وجلُّ معظم البلاء لم يقع [إلّا][٢] بغنىٍّ وباهلة ، وهم أرفع من هؤلاء وأكثر فضولًا ومناقب ، حتى صار من لاخير فيه ولا شرَّ عنده أحسنَ حالا ممَّن فيه الخير الكثير وبعض الشرّ ، وصار مثلهم كما قال الشاعر[٣] :

١٧٧ اضرب نَدَى طَلْحَةِ الطَّلْحَات مبتدئا
بِبُخْل أَشْعثَ واستَثْبِتْ وكُنْ حكما[٤]
تخرج خُزاعة من لؤم ومن كرمٍ
ولا تعُدَّ لها لؤمًا ولا كرمًا[٥]

وقد ظرف فى شعره فظلم خُزاعةَ ظُلما عبقريًّا .

وقال فى مثل ذلك الأشعر الرَّقَبان[٦] الأسدىّ :

---

(١) هاربة البقعاء هى هاربة بن ذبيان ، انظر القاموس (هرب) ومعجم البلدان (الهاربية) مع المعارف لابن قتيبة (نسب ذبيان بن بغيض) ص ٣٧ .

(٢) حرف يصلح به الكلام .

(٣) هو دعبل بن على الخزاعى كما فى الأغانى ١٨ : ٤٤ ، ٤٨ ، وزهر الآداب ٤ : ٢٠٦ .

(٤) فى ط : « بذى طلحة » ، وتصحيحه من س ، ومن الأغانى . والرواية فيها :

* بلؤم (مطلب) فينا وكن حكما *

والمطلب الذى يعنيه هو ابن عبد الله بن مالك ، كان واليا على مصر . وقد كان ولى دعبلا على أسوان ، فلما سمعه يهجوه بهذا الشعر المتقدم عزله عنها .

(٥) فى الأصل : « ولا تغركها » وليس بشىء وصوابه فى الأغانى .

(٦) فى ط : « وقال فى ذلك الشعر الرقيان » وفى س : « وقال فى مثل ذلك الشعر الرقبان » والوجه ما أثبت . والأشعر لقب للرقبان ، وهو شاعر جاهلى . والشعر فى نوادر أبى زيد ٧٣ وعيون الأخبار ٢ : ١٩٥ ، ٣ : ٢٦٨ وأمالى القالى ٢ : ٢١١ . وانظر اللسان وتاج العروس (ضرر ، مسخ) .

بحسْبِك فى القوْمِ أن يعْلموا   بأنّك   فيهم   غنىٌّ   مُضِر
وأنت مليخ كلحْم الُحوَارِ   فلا أنت حُلْوٌ ولا أنت مُرٌّ

وكما قال الشاعر فى علباء بن حبيب حيث يقول :

أرى العِلباء كالْعِلْبَاءِ لا حـــلوٌ ولا مُرٌّ
شُيَيْخٌ من بنى الجــارو دِ لا خـــير ولا شرٌّ

فهذا ونحوه من أشدِّ الهجاءِ .

والخمول اسمٌ لجميع أصناف النَّقْصِ كلِّها أو عامَّتها ، ولـكنَّه كالسَّرْو عند العلماء . وليس ينفعك العامَّةُ إذا ضرّتك الخاصَّة .

ومن هذا الضرب تميم بن مرّ ، وثور وعُكل ، وتيم ومزينة . ففى عُكل وتَيم ومزَينة من الشرف والفضل ، ما ليس فى ثور ، وقد سلِم ثور إلّا من الشى اليسير ، مما لايرويه إلّا العلماء ، ثم حلّت البليَّةُ وركَدَ الشرُّ ، والتحف الهجاء على عُكْل وتيم ، وقد شعّثوا بين مزينة شيئاً ، ولـكنَّهم حبّبهم إلى المسلمين قاطبةً ما تهيأ لهم من الإسلام ، حين قلّ حظٌّ تيم فيه . وقد نالوا من ضبَّة ، مع مافى ضبَّة من الخصال الشريفة ؛ لأنَّ الأبَ متى نقص ولَدُه فى العدد عن ولد أخيه[1] فقد ركبهم الآخَرون بكلِّ عظيمة ، حتى يروا تسليمَ المرباع إليهم حظًّا ، والسير تحت اللواء ، والحمل على أموالهم فى النوائب ؛ وحتَّى ربّما كانوا كالعضاريط والعُسَفاء ، والأتباع ، وفى الأتباع والدخلاء ، ثم لايجدون من ذلك بدًّا ؛ كأنهم متى امتنعوا خذَلوهم ، فاستباحوهم ، فرأوا أن النِّعمة أربحُ لهم .

---

(١) فى الأصل : « متى نصر ولده فى العدد على ولد أخيه » ، وأصلحته كما ترى .

وقد أعان غيلان[1] على الأحنف بكلمة ، فقال الأحنف : عبيدٌ في الجاهليَّة ، أتباعٌ في الإسلام .

فإن هربوا تفرّقوا فصاروا أشلاءً في البلاد ، فصار حكمُهم حكم من درج ، وحكمُ أبيهم كحكم من لم يُعقِب . وإن هم حالفوا القرباء فذلك حيث لا يرفعون رءُوسهم من الذلّ والغرم .

(الحلف عند العرب)

والحِلْف[2] ضربان : فأحدهما كانضمام عبس وضبَّة ، وأسد وغطفان فإنَّ هؤلاءِ أقوياءُ لم يُنْهكوا كما نُهكت باهلة وغنىّ ، لحاجةِ القوم إليهم ، ولخشونة مسِّهم إن تذكّروا[3] على حال ؛ فقد لقِيت ضبَّةُ من سعدٍ ، وعَبسٌ ١٧٨ من عامر ، وأسدٌ من عيينة بن حصن ما[4] لقُوا .

وقد رأيت مشقَّةَ ذلك على النابغة ، وكيف كرِه خروج أسد من بنى ذبيان .

وعيينةُ بن حصن وإن كان أسود من النابغة وأشرف ، فإنَّ النابغةَ كان أحزم وأعقل .

---

(١) لعلها : « عال غيلان » بمعنى جار وجاوز الحد . فإن غيلان هذا هو غيلان بن خرشة . انظر حديثه مع الأحنف فى البيان ٢ : ٨٨ و ٣ : ٩٨ .

(٢) ط : « الخلف » وصوابه فى س .

(٣) كذا .

(٤) فى الأصل : « مما » .

وقد سلمت ثور وابتُليت عُكل وتيم ، ولولا الربيع بن خُثَيم [1] وسُفيان الثَّورى ، لما علمت العامَّةُ أنَّ فى العرب قبيلةً يقال لها ثور . ولَشَريفٌ واحدٌ ممَّن قَبَلَت [2] تيم أكثرُ من ثور وما ولد .

وكذلك بَلْعَنبر ، قد ٱبتُليت وظلمت وبُخست ، مع ما فيها من الفُرسان والشُّعراء ، ومن الزُّهاد ، ومن الفقهاء ، ومن القضاة والوُلاة ، ومن نوادر الرِّجال إسلاميِّين وجاهليِّين .

وقد سلمت كعب بن عمرو ؛ فإنه لم ينلها من الهجاء إلَّا الخمش [3] والنُّتف .

وربَّ قومٍ قد رضُوا بخُمولهم مع السلامة على العامَّة ، فلا يشعرون حتَّى يصبَّ الله تعالى على قِمِ رءوسهم حجارةَ القذف ، بأبياتٍ يسيِّرها شاعر ، وسوطَ عذابٍ يسير به الراكبُ والمثل ، كما قال الشاعر :

إن مَنَافاً فَقْحَةٌ لدارِمٍ [4] ... كما الظليمُ فَقْحَةُ البراجِمِ

وقال الشاعر [5] :

وجَدْنَا الحُمْرَ مِنْ شَرِّ المطَايَا ... كما الحَبِطاتُ شرُّ بنى تَميمِ

فما الميسم فى جِلد البعير ، بأعلق من بعض الشعر .

---

(1) فى الأصل : « خيثم » . وانظر الاشتقاق ١١٢ ، ١١٣ وتقريب التهذيب .

(2) فى الأصل : « قتلت » ، وجعلتها « قبلت » من قبلت القابلة الولد : أخرجته .

(3) الخمش بمعنى الخدش . وفى الأصل : « الخمس » .

(4) فى الأصل : « إن منا فقحة لدارم » .

(5) البيت من أبيات ثلاثة لزياد الأعجم أوردها العينى ، ونقلها عنه البغدادى فى خزانة الأدب ٤ : ٢٨٠ ، وهى – وفى البيت الأوسط إقواء :

وأعلم أننى وأبا حميد ... كما النشوان والرجل الحليم

أريد حباءه ويريد قتلى ... وأعلم أنه الرجل اللئيم

فإن الحمر من شر المطايا ... كما الحبطات شر بنى تميم

(أثر الشعر فى نباهة القبيلة)

وإذا كان بيت واحد يربطه الشاعر فى قوم لهم النباهة والعَدد والفَعال ، مثل نُمير ، يصير أهلُه إلى ما صارت إليه نُمير وغير نمير ، فما ظنُّك بالظُّلَيم وبمناف وبالحَبِطات ، وقد بلغ مضرَّةُ جرير عليهم حيثُ قال :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِن نُمير فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

إلى أن قال شاعر آخر وهو يهجو قَوْمًا آخَرين :

وسَوفَ يزيدُكم ضَعةً هِجَائِى كما وضعَ الهِجاءُ بَنِى نُمَيْرِ

وحتّى قال أبو الرُّدَيْنِىّ :

أَتُوعِدُنِى لِتَقْتُلَنِى نُمَيْرٌ مَتى قَتَلَتْ نُمَيْرٌ مَنْ هَجَاهَا

(بكاء العرب من الهجاء وذكر بعض من بكى منهم لذلك)

ولأمرٍ مّا بكت العربُ بالدموع الغِزار من وقعِ الهجاءِ ، وهذا من أوَّل كرمها ، كما بكى مخارقُ بن شِهاب[1] ، وكما بكى عَلقمة بن عُلاثة ، ١٧٩ وكما بكى عبد الله بن جُدعان من بيتٍ لخداش[2] بن زهير . وما زال يهجوه من غير أن يكون [رآه ، ولو][3] كان رآه ورأى جماله وبهاءه ونبله [و][4] الذى يقع فى النفوس من تفضيله ومحبته [و[4]] من إجلاله والرقة عليه — أمسك . ألا

(١) الذى أبكاه هو محرز بن المكعبر العنبرى ، وانظر الحديث فى البيان ٤ : ٤١ — ٤٢ .
(٢) فى الأصل : « لخراش » .
(٣) زيادة يتطلبها الكلام وليست بالأصل .
(٤) ليس بالأصل .

ترى أن النَّبيت وغسَّان بن مالك بن عمرو بن تميم[١] ، ليس يعرفهم بالعجز والقلَّة إلاَّ دَغفل بن حنظلة[٢] ، وإلاَّ النخَّار العُذرىّ وإلا الكيِّس النمرىّ[٣] ، وإلاَّ صُحار العبدى ، وإلاَّ ابن شَرِيَّة وأبو السَّطَّاح[٤] وأشباههم ومن شابه طريقهم والاقتباس من مواريثهم ، وقد سلموا على العامة وحصلوا نسب العرب فالرجل منهم عربى تميمى ، فهو يعطى حقّ القوم فى الجملة ولا يقتضى ماعليه وعلى رهطه فى الخاصّة . والحرمان أسوأ حالا فى العامة من هذه القبائل الخاملة وهم أعدّ وأجلد .

(ماتبتلى به القبائل فيصيبها بالخمول)

وبليَّة أخرى : أنْ يكون القبيلُ متقادِم الميلاد ، قليل الذلة قليل السيادة ، وتهيَّأ أن يصير فى ولدِ إخوتهم الشرف الكامل والعدد التامّ ، فيستبين لمكانهم منهم من قلتهم وضعفهم لكلٍّ من رآهم أو سمع بهم ، أضعافُ الذى هم عليه لو لم يكونوا ابتُلوا بشرف إخوتهم .

ومِنْ شؤم الإخوة أنّ شرفهم ضعةُ إخوتهم ، ومن يُمن الأولاد أنّ شرفهم شرفُ من قَبْلهم من آبائهم ومن بعدهم من أولادهم : كعبد الله بن دارم وجرير بن دارم . فلو أنَّ الفقُيم لم يناسب عبد الله بن دارم وكان جارًا ، كان خيرًا له .

---

(١) فى الأصل : « نمير » . وانظر الاشتقاق ١٢٤ .

(٢) فى الأصل : « من حنظلة » وقد جمع ابن النديم تراجم النسابين فى فهرسته ١٣١ .

(٣) فى الأصل : « النميرى » وتصحيحه من المعارف لابن قتيبة ٢٣٣ والفهرست ١٣٢ .

(٤) فى الأصل : « ابن أبى السطاح » وانظر البيان (١ : ٣٦٢) وما سيأتى فى ٣ : ٢٠٩ .

ولقد ضعضعتْ قُريش — لما جاءتْ به من الخصال الشريفة التامّة ؛ مِنْ أركان كنانة — سَنامَ الأرض وجبلها[1] وعينَها التى تبصر بها ، وأنفَها التى بها تعطس ، فما ظنُّك بمن أبصر بنى زيد بن عبد الله بن دارم ، وبنى نهشل بن دارم ، وبنى مجاشع بن دارم ، ثمَّ رأى بنى فقيم بن جرير ابن دارم ؟ !

وكذلك كلُّ أخوَين إذا برَع أحدُهما وسبق وعلا الرِّجال ؛ فى الجود والإفضال ، أو فى الفُرُوسة[2] أو فى البيان ، فإن كان الآخر وسَطاً من الرجال ، قصدُوا بحسن مآثره فى الطبقة السفلى لتَبِين البراعةُ فى أخيه ، فصارت قرابُته التى كانت مفخرةً هى التى بلغت به أسفَل السافلين . وكذلك عَنَزَة بن أسد فى ربيعة . ولو كان سودد ربيعة مرَّةً فى عَنَزَة ومرّة فى ضُبَيعة أضْجَمَ ، لـكان خيرًا لهم اليوم ، ولودَّ كثير من هؤلاءِ القبائل التى سامت على الشعراءِ أو على العوامِّ أن يكون فيهم شَطْرُ ماللعنزيِّين من الشرف ، ولو أنَّ الناس وازنوا بين خصال [هذه[3]] القبائل خيرها وشرِّها لـكانوا سَوَاءً[4] .

١٨٠ وقال صاحب الـكلب : ذكرتَ عيوبَ الـكلب فقلتَ : الـكلب إذا كان فى الدار مَحَق أُجُور أهل الدَّار حتى يأتىَ على أقصاها ، لأنَّ الأجور إذ أُخِذ منها كلَّ يوم وزنَ قيراط ، والقيراط مثل أحد ، لم يلبث على ذلك أن يأتىَ على آخرها . وقلتَ : فى الـكلب أشدُّ الأذى على الجار والضيف

(١) كذا .
(٢) الفروسة والفروسية : الحذق بركوب الخيل .
(٣) ليست بالأصل .
(٤) فى الأصل : « سعداء » وليس بشىء .

والدخيل ، يمنعه النَّومَ ليلاً والقائلَة نهاراً ، وأن يسمَعَ الحديث . ثمّ الذى على سامع النُّباح من المؤنة من الصوت الشديد .

ولو لم يكن فى الكلب ما يؤذى بشدَّة صوتِه إلاَّ بإدامة مجاوبة الكلاب لكانَ فى ذلك ممّا ينغِّص العيش ، ويمنع من الكلام والحديث .

(شعر فى النباح والاستنباح)

وقال أرطاة بن سُهَيّة فى بعض افتخاره :

وإنِّى لَقَوَّام إلى الضَّيف موهنا ... إذا أغدف السِّترَ البخيلُ المواكلُ[1]
دعَا فأجابَتْهُ كلاب كَثِيرَةٌ ... على ثقةٍ منِّى بما أنا فاعلُ
وما دونَ ضيفى ، من تلادٍ تحوزُه ... يدُ الضيف ، إلَّا أنْ تُصانَ الحَلائِلُ

وقال ابن هَرْمة :

ومستنبحٍ نبَّهتُ كلبى لصوتِهِ ... وقلتُ له قُمْ فى اليَفاَع فجاَوِبِ
فجاءَ خَفِيّ الصوتِ قد مسَّهُ الضَّوى ... بضرْبَةِ مسنونِ الغِرارَيْن قاضِبِ
فرحَّبت واستبشرت حتَّى بسطته[2] ... وتلك التى ألقَى بها كلَّ آئبِ

وقال آخر :

هجمناَ عليــــه وهو يَــكْعمُ كلبَهُ
دعِ الكلب يَنْبحْ إنَّما الكلبُ نابحُ[3]

---

(١) ط : « إلى الضعيف » ، « إذا أغدق » . وتصحيح البيت من س . وعيون الأخبار (٣ : ٢٣٩) .
(٢) ط : « بسطه » وصوابه فى س .
(٣) قال المرتضى فى أماليه : ٣ : ١١٤ : « يكعم كلبه : يشد فاه خوفا من أن ينبح ، فيدل عليه » . والبيت للراعى كما فى العمدة ٢ : ١٥١ يهجو به الحطيئة ، وانظر ماسيأتى فى نهاية هذا الجزء من الحيوان .

وقال مزرِّد بن ضرار :

نشأتُ غلاما أتَّقى الذمَّ بالقِرى إذا ضاف ضيفٌ من فَزارةَ راغبُ

فإن آبَ سارٍ أسمعَ الكلبَ صوتَه

أتى دون نَبْحِ الكلبِ ، والكلب دائبُ

وقال بشَّار بنُ برْد :

سقَى الله القِباب بتلِّ عبدى وبالشرقين أيَّامَ القِبابِ[1]

وأياماً لنا قَصُرَتْ وطالتْ على فُرعان نائمةَ الكلابِ

١٨٤ وقال رجل من بنى عبد الله بن غَطفان[2] :

إذ أنتَ لم تستَبْقِ وُدَّ صحابةٍ على دَخن أكثرت بثَّ المعاتِبِ[3]

وإنِّى لأستبقى امرأ السَّوءِ عُدَّةً لعدْوَة عِرِّيضٍ من الناس جانبِ[4]

أخاف كلابَ الأبعدين ونبحهاَ إذا لم تجاوبْها كلابُ الأقارِب

وقال أُحيحة بن الجُلاح[5] :

ما أحْسَنَ الجيدَ من مُليكةَ واللَّـ بَّاتِ إذ زانها ترائبُها

يا ليتنى ليلة إذا هجع الـ نَّاسُ ونامَ الكلابُ صاحبُها

وقلتَ : وفى الكلب قذارةٌ[6] فى نفسه، وإقذاره أهله لكثرة سُلاحه وبوله ، على أنَّهُ لا يرضى بالسُّلاح على السطوح ، حتّى يحفر ببراثنه وينقب بأظافره ، وفى ذلك التخريب .

(١) فى الأصل : « أثار القباب » ، صوابه من ديوان بشار ١ : ٢٤٩ .
(٢) نسب فى حماسة البحترى ٣٩٤ إلى النعمان بن حنظلة العبدى .
(٣) الدخن : الحقد وسوء الخلق ، ومعناه قريب من الدخل .
(٤) العريض، كسكيت : الذى يتعرض للناس بالشر .
(٥) انظر الشعر فى الخزانة ٣ : ٣٢١.
(٦) فى الأصل : « قذرة » .

ولو لم يكن إلاّ أنّهُ يكون سبب الوكف ، وفى الوكف من منع النَّوم ومن إفساد حُرِّ المتاع ، ما لا يخفى مكانه ، مع ما فيه من عضِّ الصبيان وتفزيع الوِلدان ، وشقِّ الثياب ، والتعرُّض للزوّار ؛ ومع ما فى خلقه أيضاً من الطبع المستدعى للصبيان إلى ضربه ورجْمه وتهييجه بالعبث ، ويكون سبباً لعقْرهم والوثوبِ عليهم[1] .

وقلت : وبئس الشىء هو فى الدار ، وفيها الُحرَم والأزواج ، والسَّرارىُّ والحظِيَّات المعشوقات ؛ وذلك أن ذَكَره أَيَرُّ ظاهر الحجم ، وهو إما مُقْبَع وإمّا قائم ، وليس معه ما يواريه ، وربما أَشَظَّ[2] وأنعَظ بحضرتهنَّ ، ولعلّهنَّ يكنَّ مُغيبات[3] أو محتاجاتٍ إلى ما يحتاج إليه النساءُ عند غيبة فحلهنّ ، وإذا عجزَ عن أن يَعُمَّهن .

(وفد قرحان)

وقد رمى ضابئُ بن الحرث البُرجُمىُّ أمّ أناس من العرب ، أنّ الكلب الذى كان يسمَّى قُرْحان[4] ، كان يأتى أمَّهم ، حتّى استعدَوا عليه ، وحبسه فى ذلك عثمان بنُ عفّان رضى الله تعالى عنه . ولولا أنّ المعنى الذى رماهم به

---

(١) جواب لو محذوف ، وذلك من دأب الجاحظ .

(٢) أشظ الرجل : أنعظ . وفى الأصل : « انتشط » .

(٣) مغيبات : غاب عنهن أزواجهن .

(٤) انظر قصة « قرحان » فى الخزانة ٤ : ٨٠ بولاق والنقائض ٢١٩ ليدن ومعاهد التنصيص ١ : ٦٦ والشعراء ٣٠٩ .

كان مما يكون ويجوز ويُخافُ مثلُه ، لَما بلغ منه عثمانُ ما بلغ ، حتّى مات في حبسه[1] . وفي ذلك يقول ضابئ بن الحارث :

تجشَّم نَحوى وَفْدُ قُرحانَ شُقَّةً   تَظَلُّ بها الوَجناءُ وهى حَسِيرُ

١٨٢ فزوَّدتُهم كلباً فراحوا كأنما   حَباهم بتاجِ الهرمزان أميرُ[2]

فأمَّكم لا تتركوها وكلبَكم   فإنَّ عقوقَ الوالداتِ كبيرُ

إذا عَتَّنَتْ من آخر الليل دُخْنة   يبيت له فوقَ السريرِ هَرِيرُ[3]

(قصص تتعلق بالكلاب)

وزعم اليقطرىُّ أنّهُ أبصرَ رجلاً يكُومُ كلبةً من كِلاب الرعاء ، ومرَّ بذلك الزُّبِّ العظيمِ في ثفرها — والثَّفرُ منها ومن السبع ، كالحِرِ من المرأة والظَّبْية من الأتان والحِجر ، والحياء من الناقة والشاة — فزعم أنّها لم تعقِد عليه ، ولا ندرى أمكّنته أم اغتصبَها نفسَها .

وأما النَّاس ففي مُلح أحاديثهم : أَنّ رجلاً أشرفَ على رجل وقد ناك كلبةً فعقَدت عليه ، فبقىَ أسيرا مستخْزِيا[4] يدورمعهاحيثدارت . قال : فصاح به الرجل : اضربْ جَنبَيها . فأطلقته ، فرفَعَ رأسه إليه ، فقال : أَخزاه الله أىُّ نيَّاكِ كلْباتٍ هو !

---

(١) كتب مصحح الطبعة الأولى من الحيوان : « اتفق أهل الأخبار أن ضابئاً كسر ضلع عثمان يوم الدار وأن الحجاج قتل ضابئاً لما ولى العراق » .

(٢) في الخزانة والنقائض: « بتاج الهرمزان » ، وفي الأصل : « بتاج المرزبان » ، والتاج لايكون إلا للملك وما المرزبان إلا رئيس من الرؤساء . وفي الطبرى ٥ : ١٣٧ : « ببيت المرزبان » .

(٣) عثنت : دخنت ، وفي الأصل : « عاينت » وصوابه في الخزانة والنقائض .

(٤) ط : « مستحذيا » وصوابه في س .

وخبّرنى من لا أردُّ خبره ، أنّه أشرفَ من سطحٍ له قصير الحائط ، فإذا هو بسَوادٍ فى ظِلِّ القمر فى أصل حائط ، وإذا أنينُ كلبة ، فرأى رأسَ إنسان يدخل فى القمر ، ثم يرجع إلى موضعه من ظِلِّ[1] القمر ، فتأمّل فى ذلك[2] فإذا هو بحارس ينيك كلبة . قال: فرجمتُه وأعلمته أنّى قد رأيتُه ، فصبَّحنى من الغد يقرَع الباب علىّ ، فقلت له : ما حاجتك ؟ وما جاء بك ؟ فلقد ظننتُ أنّك ستركب البحر أو تمضى على وجهك إلى البرارى . قال : جُعِلتُ فِداك ، أسألك أن تستُر علىّ ، ستَرَ الله عليك ، وأنا أتوب على يديك ! قال : قلت ويلَك ، فما اشتهيتَ مِن كلبة ؟ ! قال : جُعلت فداك ، كلُّ رجلٍ حارسٍ ليس له زوجةٌ ولا نجل[3] ، فهو ينيك إناثَ الكلاب[4] إذْ كنَّ عِظامَ الأجسام . قال : فقلت : فما يخاف أن تعضّه ؟ قال : لو رَامَ ذلك منها غيرُ الحارس التى هى له وقد باتتْ معه فأدخلها فى كِسائه فى ليالى البرد والمطر ، لما تركته . وعلى أنّه إن أراد [أن][5] يوعبه كلَّه لم تستقرّ له . قال : ونسيتُ أنْ أسألَه : فهل تعقِد على أيور النّاسِ كما تعقِد على أيور الكلاب ؟ فلقيته بعدَ ثلاثين سنة ، فقال : لا أدرى لعلّها لا تعقد عليه ، لأنّهُ لايُدْخِلُهُ فيها إلى أصله ، ولعلّ ذلك أيضاً إنّما هو شىءٌ يحدث بين الكلب والكلبة ، فإذا اختلفا لم يقع الالتحام . قال : فقلتُ : فَطَيِّبٌ هو ؟ قال : قد نكْت عامَّة إناثِ الحيوانات فوجدتُهُنّ كلَّهنّ أطيَبَ من النساء . قلتُ : وكيف ذلك ؟ قال :

---

(١) فى الأصل : « ظلمة » والوجه ماأثبت .

(٢) فى الأصل : « فتأمل إنسان فى ذلك » .

(٣) كذا .

(٤) ط : « إناثا الكلاب » .

(٥) الزيادة من س .

ما ذاك إلاّ لشدّة الحرارة . قال : فطال الحديث حتى أَنِس فقلتُ له : فإذا دار الماء فى صُلْبك وقرُبَ الفراغ ؟ قال : فربّما التزمتُ الكلبةَ وأهوَيتَ إلى تقبيلها . ثم قال : أمَا إنَّ الكلابَ أطيبُ شىءٍ أفواهاً ، وأعذَبُ شىءٍ رِيقا ؛ ولكن لايمكن أنْ أنيكها من قُدّامٍ ، ولو ذهبتُ أن أنيكها من خلف وثَنيتُ رأسَها إلى أنْ أقبِّلها ، لم آمَنْ أنْ تظنَّ بى أنى أريدُ غيرَ ذلك فتُكدِّم فمى ووجهى . قال : فقلت : فإنِّى أسألُك بالذى يستُرُ عليك ، هل نَزَعت عن هذا العمل مُنْذُ أعطيتَنى صفقةَ يدِك بالتَّوبة ؟ قال : ربّما حنَنتُ إلى ذلك فَأَحتبسُ[1] بعهدك . قال : وقلتُ : وإنَّك لتحنُّ إليها ؟ قال : والله إنى لأَحِنُّ إليها ، ولقد تزَوَّجتُ بعدَك امرأتين ، ولى منهما رجالٌ ونساء ، ومن تعوّد شيئاً لم يكد يصبرُ عنه ! قال : فقلت له : هل تَعرف اليومَ فى الحُرّاس مَن ينيك الكلبات ؟ قال : نعم ، خذ محموَيه الأحمر ، وخذ يشجب الحارس ، وخذ قفا الشاة ، وخذ فارسا الحَمّامىّ فإنّ فارساً كان حارساً وكان قيِّم حَمّام ، وكان حَلَقيًّا ، فزعم أنَّه ناكَ الكلابَ خمسين سنة ، وشاخ وهُزِلَ وقبُح وتشنَّج ، حتّى كان لا يُنيكه أحد . قال : فلم يزَلْ يحتالُ لكلب عندَه حتى ناكه . قال : وكان معه بخير حتَّى قتله اللصوص، ثمَّ أشرفَ على فارسٍ[2] ، هذا المحتسِبُ الأحدبُ ، وهو ينيك كلبةً فرماه بحجر فدمَغَه[3] .

قال : فالكلاب كما ترى تُتَّهم بالنساء ، وينيكها الرجال ، وتنيك الرجال ، وليس شىءٌ أحقّ بالنفى والإغراب والإطراد وبالقتل منها . ونحن

---

(١) لعلها : « فأخيس » .

(٢) فى الأصل : « فاس » وصوابه ماأثبت .

(٣) دمغه : أصاب دماغه .

من السباع العادِيَة الوحشيَّة فى راحة ، إلاّ فى الفَرْط[1] فإنّ لها عُرامًا على بعض الماشية ، وجناية على شرار العامَّة[2] وكذلك البهائم . وما عسى أن يبلغ من وطْءِ بعير ونطح كبش ، أو خمش سِنّورٍ أو رَمْح حمار ، ولعلّ ذلك يكون فى الدهر المرّةَ والمرّتين ، ولعلّ ذلك أيضاً لا ينال إلاّ عبداً أو خادماً أو سائسا ، وذلك محتَمل . فالكلاب مع هذه الآفات شركاءُ الناس فى دورهم وأهاليهم ! !

قال صاحب الكلب : إنْ كنتم إلى الأذى بالسُّلاح تذهبون ، وإلى قَشرِطِين السطوح بالبراثن تميلون ، وإلى نتن السُّلاح وقذَر المأكول والمشروب تقصدون ، فالسِّنَّورُ أكثر فى ذلك . وقد رويتم عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك أنّه قال : « هُنَّ مِنَ الطَّوَّافاتِ عليكم ». فإذا كان ذلك فى السنانير مغتفراً ، لانتفاعهم بها فى أكل الفأر ، فمنافع الكلاب أكثرُ ، وهى بالاعتقاد أحقّ . وفى إطلاق ذلك فى السنّور دليلٌ على أنّه فى الكلاب أجْوَز .

وأمَّا ما ذكرتم من إنعاظه ، فلعمرى إنّه ما ينبغى للغَيورِ أن يُقيم الفرسَ ولا البِرذونَ والبغلَ والحمارَ والتَّيس فى المواضع التى تراها النساءُ . والكلبُ فى ذلك أحسنُ حالا . وقد كرِه ناسٌ إدخال منازلهم الحمامَ والدِّيكةَ والدجاج والبطّ خاصة ؛ لأنّ له عند السفاد قضيبا يظهر ، وكذلك التيس من الظباءِ ، فضلا عن تُيوس الصفايا . فهذا المعنى الذى ذكرتمْ يجرى فى وجوهٍ كثيرة

١٨٤

---

(١) الفرط : الندرة . وفى ط : « الفرق » .

(٢) كذا .

وعلى أنّ للحمام[١] خاصّةً من الاستشارة[٢] ، والكَسْم بالذنب ، والتقبيل الذى ليس للناس[٣] مثلُه ، ثمّ التقبيل والتغزّل والتنَفُّش[٤] ، والابتهاج بما يكون منه بعدَ الفراغ ، وركوب الأنثى للذكر و [عدم][٥] إمكانها لغير ذكرها ، ما يكونُ أهيجَ للنساء ممّا ذكرتم[٦] . فلم أفردتم الكلب بالذِّكر دونَ هذه الأمورِ ، التى إذا عاينت المرأة غُرمُولَ وَاحِدٍ منها ، حقَرت بعلَها أو سيِّدَها ، ولم يزل ظلُّ ذلك الغرمول يعارضها فى النوم ، وينبِّهها ساعةَ الغفلة ، ويُحدِث لها التمنِّيَ لما لا تقدر عليه ، والاحتقارَ لما تقدر عليه ، وتركتم ذكر ما هو أجلُّ وأعظمُ إلى ما هو أخسُّ وأصغر ؟!

فإنْ كنتم تذهَبون فى التشنيع عليه إلى ما يعقر من الصبيان[٧] عند العَبث والتعرُّض ، والتَّحَكك والتهييج[٨] والتحريش ، فلو أنّ الذى يأتى صبيانُكم إلى الكلب ، من الإلحاح بأصنَاف العَبَث — والصِّبيان أقسى الخلْقِ وأقَلهم رحمةً — أنْزَلُوهُ بالأحنف بن قيس ، وقيس بن عاصم ، بل بحاجب بن زُرارة وحِصن بن حُذَيفة ، لَخرَجُوا[٩] إلى أقبَحَ ممَّا يخرج إليه الكلب . ومَن ترك منهم الأخذَ فوق يدِ ابنه ، فهو أحقُّ باللائمة .

---

(١) ط : « الحمام » وصوابه فى س .

(٢) الاستشارة : إظهار الحسن . من استشارت الإبل : سمت وحسنت .

(٣) فى الأصل : « الناس » .

(٤) فى الأصل : « والتنفس » .

(٥) زيادة يقتضيها الكلام وليست فى الأصل .

(٦) ط : « ماذكرتم » وصوابه فى س .

(٧) س : « يعقره الصبيان » ط : « يعقرن الصبيان » والوجه ماأثبت .

(٨) فى الأصل : « والتهيج » والوجه : « التهييج » .

(٩) ط : « يخرجوا » وصوابه فى س .

وبعدَ فما وجدْنا كلباً وثبَ على صبيٍّ فعقَره مِنْ تلقاءِ نفسه ، وإنّه ليتردّد عليه وهو فى المهد ، وهو لحمٌ على وضَم ، فلا يشَمُّه ولايدنو منه . وهو أكثرُ خلقِ الله تعالى تشمُّماً واسترواحا ؛ وما فى الأرضِ كلبٌ يلقى كلباً غريباً إلاّ شمّ كلُّ واحدٍ منهما استَ صاحبِه ، ولا فى الأرضِ مجوسىٌّ يموت فيُحْزَن على موتِه ويحمل إلى الناوُوس إلاّ بعد أن يُدنى منـه كلبٌ يشَمُّه ، فإنّه لا يخفى عليه فى شمّه عندَهم ، أحىٌّ هو أم ميّتٌ ؛ للطافَةِ حِسّه ، وأنّه لا يأكل الأحياءَ[1] . فأمّا اليهود فإنّهم يتعرّفون ذلك من الميّت ، بأن يدهُنوا استَه. ولذلك قال الشاعر[2] وهو يرمى ناساً بدين اليهودية :

إذا مات منهم ميّتٌ مَسَحُوا اَسْتَهُ ... بدُهنٍ وحَفُّوا حَوْلَه بقرَامِ

(جنايات الديك)

وقالوا : فإذا ذكرتم جناياتِ الكلاب ، فواحدٌ من جنايات الدِّيَكة أعظمُ من جنايات الكلاب ؛ لأنّ عبد الله بن عثمان بن عفّان ، ابنَ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنّما مات من نقْرِ ديكٍ فى دار عثمان ، نقر عينه فكان سبَبَ موته . فقتْلُ الديك لعِتْرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعظمُ من كثيرٍ ممّا تستعظمونَه من جنايات الكلاب .

١٨٥

وقد نقر ديكٌ عينَ ابن حَسَكة بن عَتّاب[3] ، أو عين ابن أخته .

---

(١) ط : « الأحيا » .

(٢) هو سالم بن دارة يهجو طريف بن عمرو ، كما فى اللسان (حمم) . وقبل البيت :

إنى وإن خوفت بالسجن ذاكر ... لشتم بنى الطماح أهـل حمام

(٣) فى الأصل : « عباد » صوابه فى الاشتقاق ٣٢٩ والبيان ٤ : ٣٦ .

عَوى فى سوادِ الليل بعدَ اعتسافِه لينبَحَ كلبٌ أو ليفزَعَ نُوَّمُ

فجاوبَهُ مستسمِعُ الصوتِ للقِرَى له مع إتيان المُهبِّينَ مَطْعَمُ

يَكَادُ إذا ماأبصر الضيفَ مُقْبِلاً يكلِّمهُ من حبِّهِ وَهوَ أعجَمُ

وقال ذو الرُّمَّة :

به الذئبَ محزوناً كأنَّ عواءَه عواءُ فصيل آخرَ الليلِ مُحْثَلِ

وقال آخر :

ومنهلٍ طامسة أعلامُـــه يَعوِى به الذئبُ وتَزقُو هامُه

وقال عَقيل بن عُلّفة يهجو زبَّان بن منظور .

لا باركَ اللهُ فى قومٍ يسودهمُ ذئبٌ عَوى وهومشدود على كُورِ

لم يبقَ من مازنٍ إلاّ شرارُهُم فوقَ الحصَىحولَ زبّان بنِ منظورِ

وقال غَيلان بن سلمة[1] :

ومعرِّس حين العشاء به الحبس فالأنواء فالعقل[2]

قد بتُّه وهنــاً وأرّقنى ذئب الفلاةِ كأنّه جِذلُ

فتركته يعوِى بقَفرته ولكلِّ صاحِب قفرةٍ شكلُ

بتَنُوفةٍ جــرداءَ يجزعها لِحَب يلوحُ كأنّه سَحْل[3]

وقال مغلّس بن لقيط[4] :

عوى منهُمُ ذئبٌ فطرَّب عادياً على فعليات مُسْتَشارٍ سخيمها[5]

---

(١) كان من حكماء العرب فى الجاهلية وحكامهم . انظر الإصابة ٦٩١٨ والأغانى ١٢ : ٤٣-٤٧ .

(٢) كذا فى الأصول .

(٣) يجزعها : يقطعها ، وفى ط : « لجب » وصوابه بالحاء كما فى س و م .

(٤) مغلس بن لقيط : شاعر من شعراء الجاهلية ، له ترجمة فى الخزانة ٢ : ٤١٩ بولاق .

(٥) ط : « مستشار » .

إذا هُنَّ لم يلحَسْنَ من ذى قرابةٍ دماً هُلِستْ أجسادُها ولحومُها[(١)]

١٨٧

وقال الأحيمِرُ السعديُّ[(٢)] :

عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئبِ إذ عوى
وصوَّتَ إنسان فكِدتُ أطيرُ

وقال آخر[(٣)] :

وعاوٍ عوَى واللّيلُ مستحلس الندى
وقد زَحَفَتْ للغور تالية النَّجِم[(٤)]

وذلك أنَّ الرجلَ إذا كانَ باغياً أو زائرا ، أو ممَّن يلتمِس القرَى ، ولم يرِ بالليل نارًا ، عوى ونبح ، لتجيبَه الكلاب ، فيهتدى بذلك إلى موضع الناس .

وقال الشاعر :

ومُستَنبِحٍ أهلَ الثَّرى يَلمَس القِرى
إلينا ومَمساه من الأَرض نازح

وقال عمرو بن الأهتم :

ومستنبحٍ بعدَ الهُدُوِّ دعوتُه وقد حانَ من سارِى الشِّتاء طُروق

فهذا من عواء الفصيل والذئب والكلب .

---

(١) فى معجم المرزبانى ٣٩١ :
إذا هن لم يولغن من ذى قرابة دما هاست أبدانها ولحومها

(٢) ط : « الأحمر » وصوابه فى س . وهو شاعر من لصوص العرب .

(٣) البيت لحميد الأرقط كما فى البخلاء ٢٠٠ .

(٤) ط : « للفور » وصوابه فى س . وفى الأصل : « مستجلس الندى » وصوابه فى البخلاء ٢٠٠ . استحلس الندى : تراكم .

(ما قالوا فى أنس الكلب وإلفه)

وقال صاحب الكلب : ومما قالوا فى أنس الكلب وإلفه ، وحبه لأهله ولمن أحسنَ إليه قول ابن الطثرية (١) :

يا أُمَّ عمرٍو أنجِزِى الموعودا وارعَىْ بذاكِ أمانةً وعُهُودا
ولقد طرقْتُ كلابَ أهلِكِ بالضُّحَى حتَّى تركتُ عَقُورَهُنَّ رُقُودا
يضرِبْنَ بالأذنابِ مِن فرحٍ بنا متوسِّداتٍ أذرُعاً وخدودا

وقال الآخر (٢) :

لو كُنْتُ أحمِلُ خمرًا يومَ زرتُكم لم يُنكِرِ الكلبُ أنِّى صاحب الدَّارِ
لكنْ أتيتُ وريحُ المِسْكِ يفعمنى والعنبرُ الوَرْدُ أُذكيه على النار (٣)
فأنكر الكلب ريحى حين أبصرنى وكان يعرف ريح الزِّقِّ والقار

وقال أبو الطَّمَحان القينىّ فى الإلف ، وهو يمدح مالك بن حمار الشَّمْخى (٤) :

سأمدَحُ مالكاً فى كلِّ رَكب لقيتُهمُ وأتركُ كلَّ رَذْلِ

---

(١) فى الأصل : « وقال ابن الطثرية » والوجه ماأثبت . والشعر فى البخلاء ٢٠٣ .

(٢) الشعر فى البيان ٣ : ٣١١ منسوب إلى بعض الحجازيين ، وانظر البخلاء ٢٠٢. وهو فى الحماسة ٢ : ٢٣٣ منسوب إلى مالك بن أسماء الفزارى ، وهو شاعر إسلامى غزل ، وأخته هند بنت أسماء زوج الحجاج ، وهو ممن عرف بالجمال فى العرب . ترجم له أبو الفرج فى أغانيه ١٦ : ٤٠ — ٤٦ .

(٣) فعمه الطيب وفغمه : ملأ خياشيمه . وفى الأصل : « ينعمنى » ، وصوابه فى البخلاء ٢٠٢. وفى الحماسة ٢ : ٢٣٣ : « يفغمنى » بالغين ، وفيها « وعنبر الهند أذكيه » .

(٤) هو قتيل خفاف بن ندبة ، وله أخبار فى الأغانى والاشتقاق ١٧٢ .

فما أنا والبكارَةُ من مخاضٍ عِظامٍ جِلَّةٍ سُدُسٍ وبُزْلِ
وقد عرَفَتْ كلابُهمُ ثيابى كأنِّى منهمُ ونسيتُ أهلى
نمَتْ بك من بنى شَمْخٍ زِنَادٌ لها ما شئتَ مِن فرعٍ وأصلِ

١٨٨ وقال الشاعر فى أَنَس الكلاب وإلفها ، يذكر رجلا :

عنيف بتَسْواقِ العِشارِ ورَعْيِها ولكنْ بتَلْقَامِ الثَّرِيدِ رفيقُ
سَنِيد يظَلُّ الكلب يمضَغُ ثوبَه له فى ديارِ الغانيات طرِيق

وقال الآخر :

بات الحويرثُ والكلاب تَشَمُّه وسَرت بأبيضَ كالهلال على الطَّوَى

وقال ذو الرمة :

رأتنى كلابُ الحى حتَّى ألِفَننى ومُدَّت نُسوجُ العنكبوت على رحلى [١]

وقال حسَّان بن ثابت :

أولاد جَفْنَةَ حولَ قبرِ أبيهمُ قبرِ ابْنِ ماريةَ الكريم المُفْضِلِ
بِيض الوجوهِ نقيَّةٌ حُجزاتُهمْ شمُّ الأنُوفِ من الطِّرازِ الأَوَّلِ [٢]
يُغشَوْنَ حتَّى ما تَهِرُّ كلابهم لا يَسأَلونَ عن السَّوادِ المقبِلِ

وفى هذا المعنى قال الشاعر :

وبوَّأت [٣] بيتك فى مَعلمٍ رَحِيب المَباءَةِ والمسْرحِ
كفيتَ العُفاةَ طِلابَ القِرَى ونَبْحَ الكلاب لمستَنْبِحِ [٤]

---

(١) فى الأصل : « رأيت » والوجه « رأتنى » كما فى البخلاء ٢٠٢ . وفى الديوان ٤٩١ : « أتتنى » . وفى ط : « على رحل » وصوابه فى س والديوان .
(٢) الحجزة : معقد الإزار . وفى الأصل : « حجراتهم » وليس بشىء .
(٣) فى الأصل : « وبوات » تحريفه ، وأصله من بوأته فى المنزل : أنزلته به .
(٤) فى الأصل : كلاب الضرام « وقبح » ، صوابه فى الحيوان ٥ : ١٣٥ . وانظر اللسان ٢ : ٢١٩ س ٨ .

تَرَى دَعْس آثَارِ تلك المطىِّ أخادِيدَ كاللَّقم الأفيَحِ
ولو كُنْتَ فى نفق زائغٍ لـكُنْتَ على الشرك الأوضَح(١)

وفى مثل ذلك ، وليس فى ذكر إلف الـكلاب ، ولـكِنَّه مما ينبغى أن يكون مجموعاً إلى هذه الأشعار ، وبك إلى ذلك حاجة شديدة ، قال أميَّةُ بنُ أبى الصَّلْت :

لا الغيَايَاتُ مُنتَــواكَ ولـكنْ فى ذُرَى مُشْرِفِ القُصورِ ذرَاكا

وقال البزَّار الحِلِّىّ ، فى المعنى الأول :

ألِفَ الناسَ فما ينبَحُهُمْ مِنْ أسيف يبتغى الخيرَ وحُرّْ(٢)

وقال عِمران بن عصام :

١٨٩ لِعَبْدِ العزيزِ على قَوْمِه وغَــيرهِمُ مِنَنٌ غَامِرَهْ(٣)
فبابك ألينُ أبوابهــم ودارُك آهــلَةٌ عامــرهْ
وكلبُك آنس بالمعتفِين من الأُمِّ بابنتها الزَّائرهْ
وكفُّك حين ترى السائلِيـن أندَى من اللَّيلةِ الماطرهْ
فِمنك العَطاءُ ومنَّا الثَّنَاءُ بكلِّ محــبَّرةٍ سائرهْ

وقال هلال بن خثعم(٤) :

إنِّى لَعَفٌّ عن زيارة جارَتى وإنِّى لَمشْنوءٌ إلىّ اغتيابُها

---

(١) ط : « ولو كنت فى نفع » والوجه مافى س و م .

(٢) فى الأصل : « فيما » ولا يستقيم بذلك معنى الوزن ووزنه ، صوابه فى البخلاء ٢٠٢ مع نسبة الشعر فيه إلى المرار الحمانى .

(٣) الشعر فى الأغانى ١ : ١٢٩ منسوب إلى نصيب . وعبد العزيز هذا هو ابن مروان.

(٤) كذا نسب الشعر فى البخلاء ٢٠٢ . ويروى لقيس بن الخطيم . وقد رواه ابن قتيبة فى عيون الأخبار ٣ : ١٨٣ وكذا ابن الشجرى فى الحماسة ١٣٥ لبشار بن بشر .

إذا غابَ عنها بعلها لم أكنْ لها زَءُوراً ولم تأنَسْ إلىَّ كلابُها

وما أنَا بالدَّارِى أَحاديثَ سِرِّها ولا عالِمٍ مِنْ أىِّ حوكٍ ثِيابُها[1]

وإنَّ قِرابَ البطنِ يكفيك ملؤهُ ويكفيك سوءاتِ الأمورِ اجتنابُها

وقال حاتم الطائى ، وهو حاتم بن عبد الله ، ويكنى أبا سَفَّانة ، وكان أسره ثوب بن شَحمة العنبرىّ مُجير الطير[2] :

إذا ما بَخيلُ النَّاس هَرَّتْ كلابُه وشَقَّ على الضَّيفِ الغريبِ عَقُورُها

فإنِّى جبانُ الكلب بيتى موطَّأٌ جَواد إذا ما النَّفسُ شَحَّ ضميرُها

ولكن كلابى قد أُقِرَّت وعُوِّدت قليل على مَن يعتريها هَريرُها

(هجو الناس بهجو كلابهم)

وقال صاحب الكلب : إنَّ كثيراً من هجاءِ الكلب ، ليس يراد به الكلب ، وإنَّما يراد به هِجَاءُ رجلٍ ، فيجعل الكلب وُصلةً فى الكلام ليبلغ ما يريدُ من شتمه . وهذا أيضاً ممـا يرتفق الناسُ به من أسباب الكلاب . ولذلك قال الشاعر[3] :

مِن دونِ سَيبك لونُ ليل مظلمٍ وحَفيف نافجةٍ وكلب مُوسَدُ[4]

وأخوكَ محتمِل عليك ضغينة ومُسِيفُ قومِك لائم لا يَحْمَدُ

---

(١) فى الأصل : « حول » وأثبت ما فى عيون الأخبار .

(٢) فى الأصل : « ثور » وانظر التنبيه رقم (٣) ص ٢٦٩ .

(٣) هو حسيل بن عرفطة ، شاعر جاهلى . النوادر لأبى زيد ٧٥ . وانظر الحيوان ٤ : ٨٢ وديوان المعانى ٢ : ١٠٦ .

(٤) النافجة : الريح تجىء بقوة . وفى الأصل : « نافخة » وإنما الحفيف للريح . وتصحيحها من النوادر لأبى زيد . ويقال أوسد كلبه : أغراه بالصيد ، فهو موسد .

والضّيفُ عِنْدَكَ مثلُ أسودَ سالخ لا بلْ أحبُّهما إليك الأَسودُ

فهذا قول الشاعر . وقال الآخر :

وما يكُ فىَّ مِن عيبٍ فإنِّى جَبَانُ الـكلبِ مَهْزولُ الفصيلِ

١٩٠ فهو لم يردْ مدحَ الـكلب بالجبن ، وإنَّما أراد نفسه حين قال :

* وحفيف نافجة وكلب موسد[1] *

فإن كان الـكلبُ إنما أسرَه أهلُه ، فإنَّما اللوْم على من أسرَه . وإنما هذا الضّرب كقوله[2] :

قوم إذا استنبَحَ الأَضيافُ كلبهمُ قالوا لأُمِّهمُ بُولى على النَّارِ

ومعلوم أنَّ هذا لا يكون ، ولـكن حقَّر أمرهم وصغَّرهم .

وقال ابن هَرْمة :

وإذا تنوَّرَ طارِق مستنبِـح نبحَتْ فَدَلَّتْهُ علىّ كلابى[3]

وقال ابن مهية :

جَلَبنا الخيلَ من شُعَبَى تَشَـكَّى حوافِرَها الدوابرَ والنُّسورا
فلما أنْ طَلَعن بعين جعدى وأهل الجوف ان قتلوا غرورا
ولم يكُ كلبُهم ليفيق حتَّى يُهارِشَ كلبُهم كلبا عَقورا

ومعلوم أنَّ هذا لا يكون ، إنما هو مثل . وقال أعرابىّ :

---

(١) فى الأصل : « نافخة » ، وانظر التنبيه السابق .
(٢) البيت للأخطل يهجو به جريرا . وفيه قالت بنو تميم : « ماهجينا بشعر هو أشد علينا من هذا البيت ! » . ديوان المعانى ١ : ١٧٥ .
(٣) فى الأصل : « كلاب » .

أخو ثقةٍ قَدْ يحسبُ المجدَ فُرصةً إلى أهله أو ذِمَّةً لا تُخفَّرُ
حبيبٌ إلى كلبِ الكريمِ نباحُه كريهٌ إلى الكوماءِ والكلبُ أبصَرُ

وقال ابن هَرْمة :

وفرحة من كلابِ الحيِّ يتبَعُها شَحمٌ يَزِفُّ به الداعِي وتَرعِيبُ

فهذا قول هؤلاء . وقال الآخر :

هَجَمْنَا عليــه وهو يَكعَمُ كلبَه
دَعِ الكلبَ يَنْبَحْ إنَّما الكلبُ نابحُ[1]

وقال الآخر :

وتَكْعَم كلبَ الحيِّ مِن خَشيةِ القِرى
ونارُكَ كالعَذْراءِ مِنْ دُونِها سِتْرُ[2]

وقال أعشى بنى تغلب :

إذا احتلَّت معاوِيَة بن عمرو على الأطواء خَنَّقتِ الكلابا

فالكلاب مرَّةً مكعوم[3] ، ومرّة مخنوق ، ومرّة مُوسَد ومحرَّش ، ومرةً يجعله جبانا ، ومرّةً وثّابا ، كما قال الراعى فى الحطيئة :

ألاَ قبَّحَ اللهُ الحطيئةَ إنَّه على كلِّ ضيفٍ ضافَه فهو سالحُ
وقعنا إليه وهو يخنُقُ كلبَه دَع الكلبَ ينبَحْ إنَّما الكلبُ نابحُ

وقال أعشى بنى تغلب :

---

(١) ط ، س : « يطعم » وصوابه فى م . وانظر التنبيه رقم ٣ ص ٣٦٧

(٢) فى الأصل : « وتطعم » صوابه فى اللسان (كعم) .

(٣) فى الأصل : « مطعوم » ، والوجه ماأثبت .

بكَيْتَ على زادٍ خبيثٍ قَرِيتَه ألا كلُّ عَبْسىٍّ على الزادِ نابحُ[1]

وقال الفرزدق :

ولا تنزع الأضياف إلّا إلى فتىً إذا ما أبَى أن ينبَحَ الكلبُ أوقدا

(وقال الآخر :

* دَع الكلبَ ينبَحْ إنّما الكلبُ نابحُ *

وقال الآخر :

* ألا كلُّ كلبٍ لا أبالَكَ نابحُ *

وقال الفرزدق :

* إذا ما أبى أن ينبَحَ الكلبُ أوقَدَا[2]) *

ومتى صار الكلب يأبى النباح ؟ ! فهذَا يدُلُّ على أنّهم يتشفّون بذكر الكلب ، ويرتَفِقُونَ به ، لا على أنّ هذا الأمرَ الذى ذكروه قد كانَ على الحقيقة :

وقال الآخر ، وهو جرير[3] :

ولوكنت فى نَجْرَانَ أو بِعَمَايةٍ إذن لأَتانى من رَبيعة راكبُ[4]

---

(١) البيت فى العمدة ٢ : ١٥١ منسوب إلى الراعى . وقد رواه تاليا للبيت السابق ، برواية :

* ألا كل عبسى على الزاد نائح *

وانظر البخلاء ٢٠٣ .

(٢) ماوضع بين قوسين هو تكرار لأعجاز أبيات سابقة، ولست أدرى لم أعيدت .

(٣) « وهو جرير » ، الأرجح أن تكون مثل هذه الزيادة من أقلام الناسخين أو القارئين . والأبيات فى ديوان جرير ص ٤٢ طبع ١٣٤٥ .

(٤) نجران : مخلاف باليمن . وعماية : جبل بالبحرين . وزواية الديوان : « ولو كنت فى غمدان » .

يُثير الـكلابَ آخرَ اللّيلِ وَطؤُه كضَبِّ العرَادِ خَطْوُه متقارِبُ[1]

فباتَ يُمَنِّينَا الربيعَ وصَوْبَه ويَنْظُرُ من لُقَّاعةٍ وهو كاذب[2]

فذكر تقارُبَ خطوه ، وإخفاءَ حركته ، وأنَّه مع ذلك قد أثار[3] الـكلاب من آخر الليل ، وذلك وقت نومها وراحتها ، وهذا يدلُّ على تيقُّظها ودِقَّة حسِّها .

وفيما ذكروا مِن حالة الـكلاب لسبب القرى من البرد ، والذى يلقى ، وكيف الشأن فى ذلك ، قال أعشى باهلة :

وأجْحَرَ الـكلبَ مُبْيَضُّ الصَّقِيعِ بهِ

وأَلجأَ الحىَّ من تنفاحه الُحجَرُ[4]

---

(١) العراد : شجر صلب العود منتشر الأغصان . والعرب تقول : قيل للضب وردا وردا ، فقال :

أصبح قلبى صردا لايشتهى أن يردا

إلا عرادا عردا وصليانا بردا

وعنكثا ملتبدا

وفى الأصل : « كضب العرار » وهو تحريف ، جاء على الصواب الذى أثبت فى الديوان .

(٢) اللقاعة : الـكثير الـكلام . ورواية الديوان : « يسطر من لقاعة »، وفى تاج العروس : « وتنظر من لقاعة » .

(٣) ط : « آثر » وصوابه فى س .

(٤) يقول: إنه لاينقطع عن إطعام الطعام فى شدة البرد ، حينما يضطر الـكلب مايتلبد على شعره من الجليد الأبيض إلى الدخول فى الجحر ، وحينما تـكون الحجر ملجأ للحى يتقون بها تنفاح الصقيع أى ضربه . . وقصيدة الأعشى هذه مشروحة فى الخزانة ٢ : ١٧٨ - ١٨٦ ، وشرحها كذلك الشيخ حمزة فتح الله فى المواهب .

وقال الحطيئة :

إذا أَجْحر الكلبَ الصَّقِيعُ اتَّقَيْنَه

بأثباجِ لا خُورٍ ولا قَفِراتِ[١]

وقال ابن هَرْمة :

وسلِ الجارَ والمعصِّب والأضـ ياف وَهْناً إذا تحيَّوْا لديّا[٢]

كَيف يَلْقوْنَنى إذا نبَحَ الكلـ بُ وراءَ الكُسُورِ نَبْحاً خَفِيّا

ومَشَى الحالبُ المُبِسُّ إلى النَّا بِ فلم يَقر أصفر الحىّ ريّا

لم تَكُنْ خارجيَّةً من تراثٍ حادثٍ ، بل وَرِثتُ ذاكَ عَليّا

وقال الأعشى :

وتَبْرُد بَرْدَ رِداءِ العَرو

سِ فى الصَّيْفِ رَقرقتَ فيه العبيرا[٣]

وتسخن ليلةَ لا يستَطيـ ـعُ نُباحاً بها الكلب إلا هريراً

وقال الهذلى[٤] :

وليلةٍ يَصطَلى بالفَرثِ جازِرُها يختصُّ بالنَّقَرى المُثْرِينَ داعيها

لا ينبَحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ من الشِّتاءِ ولا تَسرِى أفاعيها

---

(١) أجحره وجحره : أدخله فى الجحر . وفى ط : « أحجر » وصوابه فى س ، والبيت من قصيدة فى ديوان الحطيئة ٥٦ .

(٢) فى ط : « أصل الجار » ، وصوابه فى س و م ، والحيوان ٢ : ٧٢ . المعصب : الذى يتعصب بالخرق جوعا ، والرجل الفقير . وفى الأصل : « الجار المعصب » وتصحيحه من الحيوان (٢ : ٧٢) . وفى الأصل : « تحبوا » بباء موحدة وهى على الصواب فى الجزء الثانى

(٣) ط : « فيها البعيرا » وصوابه فى س و م .

(٤) انظر ماسيأتى من تعليق فى ٣ : ٧٥

وقال الفرزدق(١) :

إذا احمرَّ آفاقُ السَّماءِ وهتّكَتْ
كُسُورَ بُيوتِ الحىِّ نَكْباءُ حرْجَفُ

وجَاءَ قريعُ الشَّولِ قبلَ إفالَها ... يَزِفُّ وجاءَتْ خَلفَهُ وهى زُحَّفُ(٢)

وهتَّكتِ الأطنابَ كلُّ ذِفرَّةٍ ... لها تامِكٌ من عاتق النَّىِّ أعرَفُ(٣)

وباشَرَ راعيها الصَّلَى بلبانه ... وكَفَّ لحرِّ النار ما يتحرَّفُ

وقاتلَ كلبُ الحىِّ عن نارِ أهلِه ... ليربِضَ فِيها، والصِّلا متكنَّفُ(٤)

وأصبحَ مبيَضٌّ الصَّقيعِ كأنّه ... على سَرَواتِ النِّيبِ قُطْن مُندَّفُ(٥)

تمّ الجزءُ الأول

ويليه الجزءُ الثانى(٦)

وأوله : باب احتجاج صاحب الكلب بالأشعار المعروفة

---

(١) من قصيدته الفائية المشهورة ، التى مطلعها :

عزفت بأعشاش وماكدت تعزف ... وأنكرت من حدراء ماكنت تعرف

(٢) فى الأصول : « قبله » وتصحيحه من الديوان ٥٥٩ . وفى ديوان جرير (والقصيدة فيه) : « بعده » .

(٣) الذفرة : الناقة النجيبة . والتامك : السنام العظيم . والأعرف : المرتفع .

(٤) يقول : صار كلب الحى لشدة البرد يدافع أهله عن النار ، ليقع فى موضع يدفئه ، وقد أحاط القوم بالنار وتكنفوها ليظفروا بالدفء . وفى الأصل :

« ليربض منها والصلا متكشف » وليس بشىء ، وتصحيحه من الديوان .

(٥) يقول : قد وقع الثلج على أسنمة هذه الإبل المسان فأضحى كأنه القطن قد ندف . ويروى : « موضوع الصقيع » كما فى الديوان .

(٦) فى نهاية س « تم المصحف الأول ويتلوه المصحف الثانى من كتاب الحيوان » .



معارضات على نسخة الأمبروزيانا

ص	س	
٢٠	١٨	: « وإن كان شاطنا » ، وهو الوجه .
٢١	١ ـ ٢	: « طابن ولا يعدم الإنسى والجن طابنا » . وهى توافق رواية ل ، وهى الصواب . والطابن : الخدّاع الخِبّ .
	٨	: « شوك العضاه » .
	١٣	: « قد ابتلى أيضا بأنّ أخته » .
٢٢	٨	: « وعبّاس » .
٢٣	٨	: « فأمر به فرمى به من فوق القصر » .
	١٤	: « وظن سمار به كل خيرة » .
٢٤	٥	: « بغير جرم » . (١٠) : « وأقلّ رَمادك » .
	١٧	: « يمسى ويصبح سالما » .
٢٥	٨	: « ومساءة الجلساء » .
٢٦	١١ـ١٢	: « ويجعلونها متخيّرة غير مسخَّرة » .
٢٧	٤	: « لاتضاف إلى النمو والحسن » .
٢٨	٧	: « والباذنجان » كما فى ل . وجاء فى لسان العرب [حرر ٢٥٦) : « الأزهرى عن شمر ، يقال لهذا الطائر الذى يقال له بالعراق باذنجان ، لأصغر مايكون : جُمَيِّل حُرّ » .
٢٩	١	: « كالكلب والفهد] والذئب والأسد » .
	٧	: « مايكون سِلاحه سُلاحَه » ، كما فى ل .

ص	س	
٣٠	٢	: « واليعاسيب والذبان والعقارب والجراد »
	١١	: « مشهوران بالحبَل » .
	١٦	: « والبنبذ » بدل « البينيب » .
٣١	١	: « والبلبل » ، وقد نبّهت على خطئه فى الحاشية .
	١٠	: « ويصرصر » بدل « ويصوصى » ، وهو الصواب .
	١٠	: « ويزئر » بدل « ويزأر » ، وهما لغتان .
	١١	: « وينبر » بدل « وينزب » ، كما فى ل .
	١١	: « ويفحّ » بدل « ويعجّ » كما اقترحت فى الحواشى .
٣٢	١ ، ٢	: « إذا وجد بعضها مع بعض سمّيت بأنبه النوعين ذكرا » .
	٨	: « خلاف دعائها [عند المائدة] لولدها » .
٣٤	٥ ــ ٦	: « والحكمة يلوحان لمن استخبرهما وينطقان لمن استنطقهما كما يخبر الهُزال وكمود اللون عن سوء الحال ، وكما ينطق السمن والنضرة » .
٣٦	٦	: « المتقدم فى الأمور » .
	١٠	: « ثم لم يوجدهم » ، كما فى ط ، ل .
	١٢	: « وصاحب الحسد والمشانفة ، والمتفقّد لشأن العاقبة » .
٣٧	٥	: « وعلى الاتعاظ والانزجار » .
	٦	: « وجعل الفكر تنشىء » .
	١٢	: « مارأيت فى أثنائه من مزح » .
	١٦	: « لأن يكون علّةً للجِدّ ، وأن البطالة وقار وزمانة » .

ص	س	
٣٨	١	: « إلا بما لايحتاج إليه ، قال أبو شمر : إذا كان لايصل » .
	٥ ــ ٦	: « إلا من قد تجرّد للعلم وفهم معناه على حسب مايورث . الطول من الكد » ، مع إسقاط مافى أثناء الكلام .
	١٤	: « ونعم الجليس والقعدة » .
٣٩	٢ ــ ٣	: « من غرائب فوائده ، وإن شئت ألهتك بوادره » .
	١٣	: « أو روضة تتقلّب » .
٤٠	١	: « ويترجم كلام الأحياء » .
	٦	: « حين العناية تامة لم تنتقص ، والأذهان فارغة لم تقتسم » .
	٧	: « فهى أقبل ماتكون للطابع » ، وهو الوجه .
	٨ ــ ٩	: « حين هذه الخصال لم يُلبَس جديدها ، ولم يفل غربها » . ولُبِس ، فى معنى أخْلَقَ . وفى اللسان : « وثوب لبيس ، إذا كثر لبسه ، وقيل قد لُبِس فأخلق » .
٤١	١	: « بعد الذى أبصرتَ من يبسه » .
	٥	: « أدّبت عرسى » .
	٨	: « فى طلبها ليلةً » .
	١٢	: « ولا أحفل أخلاقا » ، سقطت من النسخة .
٤٢	٢	: « أحسن مواتاة » .
	٨	: « والمذاهب القديمة » .
	١٩	: « لازمة لطبائعهم » .
٤٣	١	: « ويأخذ بأرماقهم أو يصلح بالهم » .

ص	س	
	٣	: « معرفة مايحضرتهم ، والتوازر على مايحتاجون [إليه] من الارتفاق » .
	٤ ـ ٦	: « واختلال الأدنى إلى معونة الأقصى ، معان متضمّنة ، وأسباب متصلة ، وحبال متقيدة » .
		والتكملة التى فى س٧ لم ترد فى النسخة :
٤٤	٤	: « مذالاً ميسرا » ، وهـذا يوجِّه مافى ط . والمذال : المهان الممتهن .
	١٠-١١	: « وبالتقليب والتنقيب ، وبالتوقيف وبالتثبت » .
	١٥	: « ومعرفا لمواقع سد الخلة ودفع الشبهة » .
	١٦	: « الأشباح المثول » .
٤٥	٤	: « وأسكن إليه وأضبُّ به » ، بالضاد المعجمة .
	١٤	: « تـكمل بجنسه الذى » .
	١٧	: « والساكنة الثابتة التى لاتنبس ولا تفهم ، ولا تحس ولا تتحرك » .
٤٦	٤	: « والذائق [فى ذلك] نصيبا » .
	١٠	: « هذه الآلة لـكان » .
٤٧	٢	: « مجرى البيان ؛ [وألحق البيان] بالقرآن » .
	١٠-١١	: « لعواجل حاجاتهم وأواجلها » ، وهو الوجه .
٤٨	٥	: « فضل على انتهاء » .
	٦	: « إلى الحاجة بالتفاهم بالخطوط » .

ص	س	
٤٩	١	: « فالشأن الآن فى منافع اليد » ، فقط .
	٩	: « لبطلَ الطَّرَب كلّه » .
	١٢	: « لكان [ذلك] من أعظم الحظوط » .
٥٠	٣	: « فصل » ، بالصاد المهملة كما نبهت فى الحاشية .
	٦	: « والكتاب هو الذى قيد على الناس » .
	٧	: « خفة ثقله » .
٥١	١	: « والمستميح الذى لايستزيدك » .
	١١-١٢	: « إن افتقرت لم يَحقِرك » ، وبإسقاط « إليه » .
٥٢	٧	: « وأصحاب الكفايات » ، بدل « الفكاهات » .
	٨ ـ ٩	: « ليلهم هو الشيء الذى لايرى له فيهم مع الليل أثر فى ازدياد ولا فى تجربة ولا فى عقل ولا فى مروءة » .
	١٥	: « ذهبت المكارم » ، موضع « ذهب » .
٥٣	١	: « ولا اتكأت » ساقطة من النسخة .
	٩	: « وانقطاع المادة من قِبَله » ، وهو الوجه .
	١٠	: « وكان الورق كثير العدد » ، ومع إسقاط باقى السطر .
	١١	: « القينى » بدل « العتبى » فى كل موضع ورد فيه هذا العلم ، كما هو الشأن فى نسخة ل .
٥٤	١	: « إلا [الشيء] الذى زهّدك فيه » .
	١٠	: « به هذا الظن [كله] » .
	١١	: « كذا [وكذا] » ، فى الموضعين .

ص	س	
	٤	: « كما يعترى النادم من قرع السن » .
	٦	: « إذا تذكرت منى » .
	٧	: « الحزين فى الأرض » .
٦٤	١	: « يخطِّطن » .
	٥	: هذا البيت الثانى ساقط من النسخة .
	٦	: « وقال الحزين الكندى » .
	١١	: « ماتنقضى عبراتى » .
	١٤	: « فى نواح »، و « لم تَعَلَّلْ لهم» ،أى لم تتعلَّل بعلّة .
	١٥	: « تتلقّط الحصى » .
٦٥	٧	: « يمتدح فيها » .
	١٠	: « إذا تشابَه آيُها » ، وهو الوجه .
٦٦	١	: « من ترشامه» ، لعل صوابها « من ترسامه » تفعال من الرسم .
	٢	: عجزه فى النسخة : « فهو الصواب به على استبهامه » .
	٨	: لم يرد هذا البيت فى النسخة فى هــذا الموضع ، وإنما ورد بعد البيت التالى بالرواية المثبتة بعد ذلك البيت .
	١١	: « حده لحسامه » .
	١٣	: « فى الخط [والقلم] : » .
٦٧	١	: « يرقل عامدا » .
	٢	: « مخلولف السن » .
	١١	: « بآثاره » بدل « بآثارها » ، وهى رواية الديوان ٢٥٧ .

ص	س	
	١٥	: « إذا استغزرت ذهن الجلى » ، وهو تحريف سمعى مخالف لمـا فى ل والديوان . انظر للتحريفات السمعية تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون ص ٦٢
٦٨	٤ـ٦	: ساقط من النسخة . ويبدو أنه نص دخيل ، فإنه الموضع الوحيد ، الذى ذكر فيه الجاحظ البحترى فى كل من الحيوان والبيان ، وإن كان قد ورد ذكر البحترى فى رسائل الجاحظ ٢ : ٥٠ بتحقيق عبد السلام هارون .
	٨	: « نقراً » بدل « حفراً » .
	٩	: « هو الحفر » مكان « هو الناتئ » .
	١٠	: « هو الناتئ » مكان « هو الحفر » .
	١٢	: هذه التكملة ليست فى النسخة .
٦٩	٣ ـ ٤	: « وأمنعها للدروس ، وأجدر أن يراها من مر » .
	٧	: « وكل إيغار » بدل « وكل إنفاق » . والإيغار : أن يوغر الملكُ لرجلٍ الأرضَ يجعلها له من غير خراج .
	٩	: « ذكر [حق] الحلف والهُدنة ، تعظيما للأمر ، وتبعيداً [له] من النسيان » .
٧٠	٦ ـ ٧	: « ولا بين العقود و [بين] الرقوم والخطوط فرق » .
	١٠	: « وبين الحروف المجموعة [و] المصورة من » .
	١٨	: « عرفوا معانى ضروب صور الإشارات » .
٧١	٢	: « وردع المجنون الوعيد والتهديد » .

ص	س	
	٨	: « أو بها مُسكة » .
	١١	: « والمسند والسيمون كيف كان ، كذلك قال الهيثم » .
	١٤	: « وقال أبو عبيدة : كل أمة تعتمد فى استبقاء مآثرها ، وحصر مناقبها » .
	٤ ــ ٥	: « يقيد فضيلة اللسان ، على الشاعر الراغب ، والمادح ، وفضيلة السيد المرغوب إليه الممدوح به . قال : وذهبت العجم » .
	٦	: « مثل كردينذاذ وبناء أردشير وبيضاء إصطخر » .
	١٠	: « والأبلق الفرد ، وفى الأبلق الفرد ومارد » .
٧٣	٢	: « من القرون السابقة ، والأمم البائدة » .
	١٢	: « كل قصر وصنيع كان لابن عامر ، وكما هدم أصحابنا مدن » .
٧٤	١٢-١٣	: « فإذا استظهرنا للشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام ، إذا استظهرنا له بغاية الاستظهار » مع سقوط « فمائتى عام » بعدها .
٧٥	٢ ــ ٣	: « موضع التعجب [منه] ، وصار كالكلام المنثور » مع سقوط « والكلام المنثور » بعده .
	٤	: « المنثور الذى حول عن موزون » مع سقوط كلمة « الشعر »
	١٢	: « لبطل ذلك المفخر » ، وهو الوجه .
	١٣	: « لمعايشهم » بدل « لمعاشهم » .
٧٦	٦ ــ ٧	: « وابن بهريز ووهيلى » مع سقوط مابين ذلك من كلمات :

ص	س	
٧٧	١	: « بلغة واحدة استفرغت تلك [اللغة] القوة ، [وإن تكلم بلغتين انقسمت القوة] عليهما » .
٧٨	٤ ــ ٥	: « أضر من الخطأ فى [بعض] الصناعة والرياضة والفلسفة ، وفى بعض المعيشة » ، مع سقوط سائر ألفاظ النص .
	١٦ــ١٧	: « لم يجد المعين والرافد [بدًّا من] التقصير » .
٧٩	١ ــ ٢	: « من الخطأ ، ولا ينقص منه ، ثم يعارض به له من يترك »
٨٢	١٢	: ساقط من النسخة .
٨٣	١ ــ ٢	: ساقطان كذلك من النسخة .
	٤	: « وجه الدهر » ، وهو الوجه .
	١٤	: « فى سير البُخْتية » ، كما فى ل .
	١٥	: « وضروبا من المرفوع » ، كما فى ل .
٨٤	٢٢	: « فأمرتهم أن يسيروها تلك السيرة » .
	٤	: « حتى شدَوْا من معرفة ذلك شَدْواً » .
	٥	: « وكذلك جميع أمركم لا يخلو » .
	٩	: « على من أزْرى على واضع الكتب » .
	١١	: « مئونتهم فى تعريفهم » .
٨٥	٦	: « ويرتجح قلمه » .
	١١	: « ويفنى العقل ويبقى أثره » .
	١٢	: « ولولا مارسمت لنا الأوائل »
	١٦	: « ولو ألجئنا »

ص	س	
٨٦	١ — ٢	: « لقد قلت المعرفة ، وقصرت الهمة ، وانتقضت المُنّة » .
	٦	: « الله التى فيها الهدى والرحمة ، والإخبار عن كل عبرة » .
	١٢	: « فينبغى أن يكون سبيلنا فيمن بعدنا » .
٨٧	٢	: « وليس يجد الإنسان فى كل حال إنسانا يدرِّسه » . صواب ضبطه « يَدْرسه » ، يقال درسَه الكتاب وأدرسه إياه ، كما فى اللسان(درس ٣٨٢) ،وانظر رسائل الجاحظ ١ : ٧٧ بتحقيقنا ففيه : « ويَدرُسهم مناقبهم » .
	٧	: « ونازعت إلى حب الأدب ، وأنفت من حالة الجهل» .
	١٥	: « فتظن أنه باب بعض العمال » ، كما فى ل .
٨٨	٤	: « يدع كتابه يغبّ ويختمر ، ولا يثق بالرأى بالفطير » .
	٦	: « وتوقّف عند فصوله» .
٩٣	٩	: « فرأيت » بدل « لرأيت » ، وقبله فى النسخة عبارة لايدرى صلتها ، وهى : « الفترة المانعة من البلوغ فى الفهم وتعرف مايحتاج إلى التعرف منه » .
٩٤	٣	: « ودربة العلماء »
	١٢	: « إلى النواويس فالماخور » .
٩٥	٩	: « علما بأولها» . وس ١٢ : « فى العلم همته » .
	١٣	: « خلاف قولك ماماتوا ولا ذهبوا » .
٩٦	١	: « يكون منه إذا مامات يُكتَسَب » .
٩٧	١	: « فيعلمها أهل البصرة » .

ص	س	
	٣	: « التكملة التى تبدأ هنا من ل تشاركها فيها نسخة الأمبروزيانا إلى نهاية س ٧ عند « ولها عرش عظيم » ، ثم تنفرد نسخة ل بالتكملة إلى ص ٩٩ س ٣ عند « وليرى أنه » ، ثم يتفقان فى مقدار التكملة إلى كلمة « يسرى » فى ص ١٠١ س ٤ ، ثم يسقط الكلام من نسخة الأمبروزيانا إلى نهاية س ٦ من صفحة ١٢١
٩٩	٨	: « وصاحب المال بعرض فساد » .
	١٦	: « تسكن النفس ويثلج الصدر »
	١٧	: « والأمل فسيحا » ، وهو تصحيح لما أثبت من نسخة ل .
١٠٠	١٠	: « وقالوا : ومتى ورثته كتابا »
١٠١	١	: « مابعد كلمة « حظًّا » إلى كلمة « خطأ » ساقط من النسخة .
	٤	: « طريق قد نهج له » .
١٢١	٧	: « لن يعدم البانون » ، وهى رواية جيدة وإن كان فيها الخرم .
	١١	: كلمة « المرى » ليست فى النسخة .
١٢٢	١	: كلمة « المخنثين » ساقطة من النسخة .
	٢ ـ ٣	: « كأنها تمرة فقال اليقطرى » ، مع إسقاط مابين هذا الكلام .
	٤ ـ ٥	: « إلا بالحصاء دون الإحصاء » .
	١٣	: « وسمى بالسنوط » بدل « ولقب » .
١٢٣	١	: « وقال يوما » .
	٢ ـ ٣	: « لايحمل إلا التمر ، وبعضه لايحمل إلا المنصف ، وبعضه لايحمل إلا الخلال » .

ص	س	
	٦	: « والخصى » بدل « والخصيتين » .
	١١	: « وقد زعم لنا ناس » .
	١٢	: « إنما ولدوا له بعد أن نزعت بيضته اليسرى » ، وهو الوجه .
	١٨	: « مجالسة الأعراب » بالحاء المهملة .
١٢٤	١	: « ونضاضته » ، بدل : « وخلاصته » ، وفى اللسان : ونضاضة الرجل : آخر ولده . وفى السطر نفسه « محزز » بالحاء المهملة ، و « ابن كرز » كما فى ل .
	٧	: « فقد يزعمون أنهم »
	٨	: « كأنهم يذهبون إلى أنه يستقصى » .
	٩	: « بفرط قوته » .
	١٢	: « و [من] رقة الكبد والقلب » .
١٢٥	٢	: « وإن كان الخصى أسوأ وأبلغ منهم ، وإن جمع » .
	٣	: « بطرسوس وبادية » ، تحريف
١٢٦	٦	: « قد أرميت على المائة » ، وأربى وأرمى بمعنى .
	٧	: « وهى الكبرة »
	٩ ــ ١٠	: « تركهن زهدا ، وتخلى منهن سنين ودهرا »
	١٢	: « هجرانى لملابسة النساء »
	١٥	: « ولم يرهن متكشفات عاريات أن يكون إذا تقدم » .
١٢٧	١	: « موت الخاطر »
	٢	: « وفيما تحويه من النساء »

ص	س	
	٨	: « من الخطار »
	٩	: « والدواعى لاتطوره » .
١٢٨	١	: « ولم تمتلئ عروق »
	٥	: « ولربما نزا فؤادى عند ضحك إحداهن » .
	١٨	: « وقد كان عثمان بن مظعون »
١٢٩	٣	: « فأما خصاء الجلب على وجه التجارة » .
	٤	: « ويمتلخ البيضتين إلا أن تقلص إحداهما من إفراط الفزع » .
	٥	: « لايمكن ردها [إلى مكانها] إلاّ بعلاج طويل » .
	٦	: « وظلم يربى [على الظلم الأول و] على كل ظلم » .
	٧	: « فإذا برأ وهو مجبوب القضيب ذو بيضة واحدة » .
	٩	: « موضع الخاص من بيوتهم » .
	١٠	: « مقربا [ومن لذة الإنسال والتمتُّع] وخصب العيش منعما » .
	١١	: « ومن لذة الإنسال والتمتُّع بشم » .
	١٢ــ١٣	: « فلا يزال عند الفحول محقرا ، وعند الخصيان مخرجا مطردا » .
١٣٠	١	: « قتلة سريحة » ، كما فى ل
	٤	: « مجامع [جلد] الخصية » .
	٦	: « وتتحشّف » بدل « تنخسف » ، وهو الوجه .
	٩ ــ ١٠	: « وبشدة التحزيق والعقد بالخيط الشديد التوتير الشديد الفتل » .
	١٥ ــ ١٦	: « [و] قال أبو زيد: خصيت الدابة أخصيه خصاء، ووجأته أجؤه وجاء » والدابة . يذكر ويؤنث .

ص	س	
١٣١	١	: « أما الخصاء فهوسل الحصيتين . والوجاء : أن توجأ العروق والخُصيانِ ». يقال خُصْىٌ كما يقال خُصية.
	٢ ــ ٣	: «حتى تسقط الحصيتان والخُصْيان . الواحد خصية . ويقال ملست الحصيتين أملسهما » .
	٨	: « وقَدِيًّا غَذِيًّا » . القدِىٌّ : الطيب الطعم والرائحة .
	١١ـ١٢	: « وأكثر السفاد يورث الضعف والهزال » .
١٣٤	٧	: « وخبرت عن جهله بإتيان النساء وعجزه » .
	١٤	: « وإذا كمنوا الكمائن »
١٣٥	٣	: « عادات » بدل « عادة »
	٥	: « الهرمَى » موضع « الهرمين » .
١٣٦	١	: « على طول الركوب » .
	١٨ـ١٩	: « من أهل التجربة المميزين ، أنهم اعتبروا أعمار ضروب الناس »
١٣٧	٣	: « ولم يجدوا مع طول العمر فيهم »
	٦ ــ ٧	: « قالوا : ولذلك لم نجد فيما يعايش الناس فى دورهم [وضياعهم] من الخيل والحمير والإبل والبقر والغنم والدجاج والكلاب والحمام والديكة » .
١٣٨	٥	: « إلا رديا قصير العنق » .
	٧ ــ ٨	: « تكلف المأكل والمشرب ، ثم بلغ إلى أن يصير جملا [لم] يمكنه الضِّراب »
	١١	: « وهُزْلا » بدل « وهزالا »

ص	س	
	١٥	: « [وهى الصرصرانية] » بزيادة كلمة « هى » على ما فى ل :
١٣٩	٧	: « [أنها] أطول الحمير أعماراً » .
	٩ ــ ١٠	: « فجاءت أولاده منها أعظم من سائر الحمير وأحسن ، وخرجت أعمارها على أعمار الخيل وسائر الحمير » .
	١٣	: « ولا يعرفون حمارا أهليا » . فلعلها « أهليا أو وحشيا » .
١٤٠	٤ ــ ٦	: « وهم يزعمون أن فيروز بن قباذ طلب حماراً أخدريا فطاوله ، فلجّ به الاعتزام » مع سقوط مابين ذلك من ألفاظ ، وكلمة « الاعتزام » هى الوجه فى « الاغترام » .
١٤١	١	: سقطت كلمة « لدرست » .
	٤	: « و [من] تركهم التشاغل » .
	٥	: « حبب إلى هذا »
	٦ ــ ٧	: « صياد أفاعى يبيعها للترياقات ، وسخّر هذا لأن يكون من سواس الأسد » ، مع سقوط مابين ذلك من كلام وسقوط كلمة « والفهود » ، وإظهار (أن) بعد لام التعليل كثيرا مايستعمله الجاحظ انظر ص ٣٩٢
	١٣	: « وإنما نأبى التيسير للمعاصى » كما فى ل
١٤٢	٧	: « وسبيل تناتج الظلف على خلاف ذلك ؛ لأن التيس مع شدة غلمته »
	١٠	: « فضلا على أن يكون بينهما تنائج »
١٤٣	٢	: « يلنذ » موضع « بلنك » فى كل موضع ، وهو تحريف .

ص	س	
	٩	: « اشتر مزك »
	١٠	: « بشيئين متفاوتين » ، وهو الصواب .
	١٣	: « للناقة من الحوش فيسفدها »
	١٦	: « فمنهم من جحد البتة أن تكون الزُّرافة » . ومما لحظته أن « الزرافة » حيثما وردت فى النسخة ضبطت بضم الزاى ، وهى إحدى لغات فيها ، وفى اللسان : « وهى الزَّرافة والزَّرافَّة ، والفتح والتخفيف أفصحهما » . ثم قال : « وقيل هى بفتح الزاى وضمها مخففة الفاء »
١٤٤	٣	: « من شأن الوردانى والراعبى »
	٥	: « بسماع الغرائب »
	٥ ـ ٦	: « ولو أعطوا مع هذا الاستهتار من التثبت نصيبا والتوخى حظا سلمت الكتب »
١٤٥	٩	: « يحيى بن لجيم » ، و « فيخرج [من بينهما] ولد » .
١٤٦	١	: « عبد الرحمن بن [أم] الحكم » . وهو خطأ انظر له حواشى ٢٣٢ وكذا ص ٤٢٤
	٨	: « أراد هو التعبد به » بدل « بعينه »
	١٤	: « [هو] آدم السنانير وتلك السنورة [أن تكون] حواء السنانير ، قال أبو عبيدة لكيسان [وضحك منه] : أو لم تعلم » .

ص	س	
١٤٧	٧	: « ولا يتقبض عليه بفكه » ، بدل « بكفه »، وهو الصواب .
	٩	: « عظما كان أم غيره ، [و] مصمتا كان أم أجوف » .
	١١	: « فى شدقه شفرته وناره » .
	١٤	: « وليس على ذلك [تأويل] قول أمير المؤمنين المأمون » ، تحريف .
١٤٨	١	: « الحمار » بدل «الحمارين » .
	٢	: « لبعض من [نكره] ذكره » .
	٤	: « بعده فى النسخة « يعنى عبد الرحمن بن يزيد » !
	٩	: « من خلوة النساء [من جميع الأجناس ، قال] : قلت لاوالله لاأعرفه ، قال : بلى اعلم أنه لايكون» .
	١٥	: « زناها وسحقها » .
١٤٩	٢	: « بضروب » موضع « ضروبا » .
	٤	: « فى تركيبه و [فى] إنساله » .
	٧	: « لها عظيم » .
	١٣	: « المجانّ » موضع « المجانيق » ، كما فى ل .
١٥٠	١	: « دفعت » بدل « اندفعت » و « فاطَّبَخوا واشتووا و[مَلُّوا ، و] ملَّحوا وادَّخروا » .
	١٤-١٥	: « قليل الإناث ، ولا يكَدنَ أيضا يجمعن البيض » .
١٥١	١٢-١٣	: « وإذْ قالوا فى الزُّرافة ماقالوا فلا نأمنهم » .
	١٦	: « الذى دعا إلى القول فى الزُّرافة تركيب اسمه ، [فجعلوا تركيب الاسم] دليلا على تركيب » .

ص	س	
١٥٢	١	: « كاوماش ، كأنه قال : ضأن بقرى » .
	٢	: « فيه شبه الكبش وكثيراً من مشابه الثور ، ليس أنّ ».
	١١	: « من أعناق الشياطين ، فجهلوا المثل والمجاز ، [وحملوا الكلام] على غير » .
	١٣	: « تغنت شياطيني وجن جنونها » .
١٥٣	٤	: « إذا كانت داهية شيطانا » .
	٨	: « من أسطع جسر » . وانظر ٤ : ١٣٤ .
١٥٤	١٤	: « إلى تلك الجزيرة » بدل « الجيزة » .
١٥٥	١	: « فإن لجّ خبلته »
	٢	: « وأما الذين زعموا »
	٥	: « وعلم أنها [كانت] تكون فى الأنهار ومناقع المياه ، من الذكر والأنثى » ، وكلمة « مناقع » ، هى الصواب فى « منابع »
	٧	: « إنما هو شيء يخلق تلك الساعة من طباع المطر والهواء والزمان » .
١٥٧	٢	: « وهو الذى يخلق » بدل « يتخلق »
	١٢	: « وجدوا طول أعمار الناس »
	١٣	: « وإن فى الأعراب لأعماراً » بإسقاط كلمة « أطول » بعدها .
١٥٨	٢ ، ٨	: « وبذال » بدل « ويزال » .
	٥	: « الموقوفين على النبيذ »

ص	س	
	٧ ـ ٨	: « من كان يشرب النبيذ حيا ، وعامة من كان لايشرب النبيذ قد مات » ، وبإسقاط كلمة « عامتهم » .
	٩	: « فقد كانا من المعمَّرين »
	١٠	: « ونميّز الصدق فيه من الكذب »
	١٦	: « إيثار المُخْفِس » ، مطابقاً لما أثبت من تصحيح .
١٥٩	١	: « مابعد كلمة « للنساء » إلى نهاية السطر ساقط من النسخة .
	٢	: « ويرون الماء غير الدافق ولا الغليظ » ، و « الدافق » تصحيح « الرائق ».
	٩	: « والحيى الشريف » .
	١٢	: « وإن كان يقايس هذا الأديب الكريم » .
١٦٠	٢	: « وقد كانت إبل الصدقة موسومة»
	٨	: « والنقض لمرائر القوى » ، وهو الصواب . والمرائر : جمع مريرة ، وهى القوة من قوى الحبل ، تُمرّ وتُفتَل .
	١٣	: « ومن جنس البط »
١٦١	٤	: « فتؤدَّى ، وتصاب فى الهُواشة فترد » .
	٦	: « أن نعمَّها بالحرق بالنار » .
	٧ ـ ٨	: « من ألف بعير بعير ، ثم عسى أن يحتاج إلى ذلك فى جميع عمره إلى شربة واحدة » .
	١٥ ـ ١٦	: « فيما يرد على الشيء المصبور من العذاب مردا بوجه من الوجوه »

ص	س	
١٦٢	٣	: « لاتملك الشيء »، كما فى ل .
	١١ــ١٢	: « فإن [كان] ذلك فى سبيل العلاج بعد أن يكون ذلك المتكلف يعرف وجه العلاج، فالمذهب فى ذلك معروف ». وهو الصواب
١٦٣	٣	: « وليس كل مؤذ ولا كل أذى »
	١٧	: « ثم زاده على قيمته » .
١٦٤	١ ــ ٢	: « المعرُوفين بابتياع متاع اللصوص» .
	٢	: « من شهد السعانين » ، وهو تصحيح ماورد فى ل : « السعايين» . والسعانين : عيد من أعياد النصارى .
	٣	: « وأصحاب المخارجات » كما فى ط .
	٧	: « وخلطاء مترافدون » ، وهو الوجه .
	٩	: « قد قبل من المقوقس [الخصى] كما قبِل مارية، و [أنه] استخدمه » .
	١٨	: « أجمل منه وأشفّ وأخدم لم يزده » .
١٦٥	٣	: « لايحل اطراده ونفيه » .
	٦ ــ ٧	: « ولا يزيل عنه ملكه إلا مثل ماوجب به له ملكه » .
	٩	: « تدبيراً أو حكمة » .
١٦٦	٦	: « مطردا » مكان « مطروداً » .
	٧ ــ ٨	: « فالفاجر لايكون المبغىّ عليه » ؛ وهو الوجه .
	٢١	: بدل عبارة « وهو يباشر بمشقة » : « ولكن ذلك الماء لايخرج منه إلاّ بعد جهد شديد وعلاج طويل » .

ص	س	
ص	س	
١٦٧	١	: « شيء يكون منه إنسان » ، وهو الوجه .
	٧	: « وتعظيم البعولة »
	٩	: « مرة فوق ومرة أسفل ، وأسمحت النفس بمكنونها ، وأظهرت النفس ماعندها »
١٦٨	٥	: « الصاحب السوء »
	١١	: « ومتى ألقى إلى الفتيات شيء من أمور النساء » ، وهو الوجه .
	١٢ـ١٣	: « و [عند] قلة التشاغل ، وكذلك متى ألقى إلى الفتيان شيء من أمور الغلمان » .
	١٥ ـ ١٦	: « التكملة المقتبسة من ل ليست فى النسخة » .
١٦٩	١	: «داعية إلى الميراثية» !!
	٢ ـ ٤	: سقطت هذه التكملة ، وجاء بدلها : « وقال الشاعر فيما يشبه هذا المعنى :

لاتحقرنَّ من الأشرار ذاصغر　　　فالذئب ليس بمأمون على الغنم

ولاعجوزا على أهل فتفسدها　　　ولا خصيًّا على مال ولا حَرَمِ

	٩	: « فصادف قلبى فارغا فتمكنا » .
١٧٠	١ ـ ٢	: « لامرأة [و] قد تمكن من كلامها ومكنته من سمعها ثم قال : قد والله يامولاتى وسيدتى ، أسهرتِ ليلى » .
	١٤	: « أشد لها إشغالا » .
	١٥	: « ملهى فى النساء » .
	١٦	: « وقال سعيد بن سلم » ، وهو الصواب كما فى ٥ : ١٦١ .

ص	س	
١٧١	١	: « غير متكشّف »
	٦ ــ ٧	: « لم يكن عليه من فقد مارآه فى النوم أو مثلته له الأمانى مؤونة » .
١٧٢	٤	: « ولقد رأيت » ، مع سقوط التكملة التى بعدهذا الكلام ، وسقوط قوله « ويتمشى مع الشطار » .
	١٠ - ١١	: « فلما أبصر ذلك بزق وثفل وسقط فى يده ، وهجم عليه أمرٌ لو كان رآه » .
	١٣	: « ممن كان يخلفه »
	١٤	: « قد حرق » بدل « [حزين] » ، مع سقوط التكملة الثانية فى هذا السطر .
١٧٣	١	: سقطت التكملتان من النسخة .
	٦	: « الماشى المعْيِى » .
	٩	: « من الشنو والبغضة »
	١٢	: « وتلقِحه الجنايات » ، وهو الأوفق .
	١٤ــ١٥	: « إذا بدا لأحدهم فى النزوع وفى ترك الطريقة الأولى » ، وهو الوجه .
١٧٤	١	: « فخرج لهم حب التشفى شدة الاعتزام على قتالهم » .
	٢	: « أن يحج [البيت] » .
	٩	: « من تعظيمه للدين ، و [من] الاحتراق فيه » .
	١١	: « ولرضى منهم بالمسالمة » .
١٧٥	١	: « لآل جعفر » موضع « لآل سليمان » .

ص	س	
	٣	: التكملة ساقطة من النسخة .
	٥	: « أليس زان خصىّ » .
	١٢	: « فلا سنان ينيك ولا يدعنى أنيك »
١٧٦	١	: « يهجو امرأته » ساقطة من النسخة .
	٧	: « ولا والله لا والله لا أقلع أو أُخصَى
	١٠	: « بلّغتنى رَكَبَ النساءِ » ، وهو الوجه .
	١١	: « حين تلقى » .
	١٢	: « عجِّل بالخصاء » .
١٧٧	٣	: « عثرة وجدودُ » .
	١١	: « أترى أن المثلة تحل له ما حرم الله » .
١٧٨	٣	: الذى فى النسخة يوافق ما أثبت فى الحاشية عن نسخة ل .
	١٤	: « عن نافع [بن عمر] » ، صوابه : « [مولى ابن عمر] » .
١٨٠	٧	: « ولا يخص ويعم بالقصود »
	١١، ١٣	: « أبو جزى » بدل « أبو جرير » .
١٨١	١، ٣	: « أبو جزى » بدل « أبو جرير » .
	٥	: « وعمرو ويونس عن الحسن » .
١٨٢	١، ٢	: « إلاّ بعرض لها ، ويزعمون أنه ليس شيء له عدْو كعدو السِّمع » .
	٥، ٦	: « عن عُرَضٍ بذى سبيبٍ » ، وهو الوجه . والسبيب : شعر الذنب والعرف والناصية» . ويقال خرجوا يضربون الناس عن عُرض ، أى عن شق وناصية لا يبالون من ضربوا . اللسان (عرض ٣٨ ــ ٣٩) .

ص	س	
	٨	: « وقال ابن كنانة [وهو] يصف فرسا » .
	١٥	: « التكملة كذلك فى النسخة ، مع إسقاط « خلف بن حيان الأحمر » .
١٨٣	٦	: « كأن شبا طرفه » .
	١١	: « فى ديسم الغيرى » ، تحريف . وانظر الأغانى ٣ : ٢٧ حيث روى البيت برواية « من نجل زارع » .
١٨٤	٦	سقط الكلام من أول السطر إلا كلمة « وزعموا » فإن بدلها «وزعم» .
	٧	: « لايَلقَن ولا يألف » ، وهو الوجه .
١٨٥	٣	: « وسنداوة تصأى به وحضاجر » . تصأى : تصيح . ويقال أيضاصأى يَصئِى . وهذا يوجه رواية ط «تصبى به » ،إذ صوابها « تَصئِى به » .
	١٥	: « ذكروا [ذلك] عن عمرو بن يربوع ، وكما روى أبو زيد » .
١٨٦	٤	: « وأنشد » فقط ، أى بإسقاط باقى العبارة .
	٥	: « منون قالوا سراة الجن » .
	١٤	: « ولم تقل جىء » .
	١٥	: « أو ملك الأعجَم » .
١٨٧	٢	: « عمرا وقابوس » .
	٤	: « جرهما من نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم ، [قالوا] : وكان » .

ص	س	
	١٢	: « ومن هذا النسل ومن هذا الضرب من النجل »
١٨٨	١	: « وأبوه غيرى » .
	٣	: « ينادى [رجلاً ويقول]: ياذا القرنين، فقال: فرغتم » .
	١٠	: « على جهة العشق » .
١٨٩	٥	: « تركّب من الناس والنسناس » .
	٦	: « والدوال » بإسقاط « باى » كما فى ط .
	١٦	: « يَهَنَّا » بدل « مهنا » .
١٩٠	١	: « من ولد مَهَنَّة ومُهَيْنَنَة » .
	٦	: « ذكرت [لك] كثيرا » .
	٨	: « وزعم ابن مِيثم » .
١٩١	٢	: حتى « [إنه] ربما وثب على صاحبه » .
	٧	: « حاجب بن ذبيان » .
	٨	: « إذا أُسلِمَ الحبلَ » .
	١٠	: « حين فارقه الهزْل » ، وهو الصواب ، والهزل بالضم ، الهُزال .
١٩٢	٦	« فيهزل أهل البيت » .
	٧	: « وذلك عند السواف » باسقاط « أنه » .
	٨	: التكملة التى فى آخر السطر ليست فى النسخة .
	١٠	: « كثير الجناية على إلفه ، وإنما قبلوه حِين قبلوه على أن ينذرهم موضع السارق » .

ص س

١١ : « وتركوا طراده » .

١٩٣ ٤ : « إلا وخطمه فى الأرض [أبداً] يتشمم » .

١٣ : « وفى أموالهم » . وهذا تحريف قرآنى . انظر تحقيق النصوص ونشرها من تأليف عبدالسلام هارون ص٤٥ . وهى الآية ٢٤ من المعارج. وفى الآية ١٩ من الذاريات : « وفى أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم » . فمن هنا وقع اللبس .

١٩٤ ١ : « وليس من أحرارها [وكواسبها] ، ولا من عتاقها وجوارحها » .

١٢ : « ثم كان مما لا يزاوج » .

١٣ : « وحرم هذا النسب »

١٩٥ ١٣ : « ولا ينازع إلى دجاجِهِ وطروقته »

١٩٦ ١ : « ولو لم يُخلَق » .

٧ـ٨ : « أو سقط على حائط الدار لم يعرف كيف الرجوع » .

٩ : « يسيراً ، ولا يتذكر ولا يهتدى » .

١٢ : « وذاهلة طامحة » ، موضع « طامحة وذاهلة » .

١٤و١٥ : « لا يعرف التى سفد ، ولا يقصد إلى ولد ، ولا يحضن بيضه » .

١٩٧ ٩ـ١٠ ساقط من النسخة .

١٩٨ ٢ : « إذا اصطيدت أو قتلت » .

ص	س	
	٣	: « وأنشدوا قول الكميت » .
	٤	: « لدَى الحبل » .
	١١	: « عام جاحد » .
١٩٩	٤	: « وقدحى بكفّىَّ » .
	١٨	: « صغار ومن ديكٍ تنوسُ غبا غبه » كما فى ل .
٢٠٠	١	: « وقال شماخ بن أبى شداد » كما فى ٧ : ٨٥ .
	٣	: « فتجعل فى حبالك » كما فى ل .
	٥	: « سقطت كلمة « فإن » .
	١١	: « والأجناس » بدل « والخشاش » .
	١٧	: « وألسنتهم لا تنطق » .
	١٨	: « من الفتق بالأعظم [فالأعظم] » ، وهو الوجه
٢٠١	١	: « وقلتُ وهذا باب » .
	٢	: « من طرق المراء » .
	٦	: « ولكل طعام آكل » .
	٨	: « [و] قد زعم ناس أن كل إنسان ففيه » .
	١١	: « فى البدن ، وكما ينمى العرق » .
	١٢	: « من الحركة » .
	١٤و١٥	: « ولابد لكل ذى قوى من أن تظهر قوته » ، وهو الوجه .
	١٦	: « لا بد للمصدور من النفث » ، وبإسقاط الواو من أوله .
٢٠٢	٤	، « وشغف بعض النفوس بالتنجيم » .

ص	س	
	٦—٧	: « فنجد واحداً يلهج بشهوة القتال حتى يكتتب مع الجند ، وآخر يختار أن يكون خبازا أو مَرَّاقا ، وآخر يطلب الملك » .
٢٠٣	٣	: « وأن يسخو على الطعام » . يقال سخِيَ يَسخَى ، وسَخُو يسخُو ، وسَخَا يَسخُو ، لغات ثلاث .
٢٠٤	٤	: « والمكروه بالمحبوب » .
	٦	« ومتى بطل التخيُّر ذهب التّميز » .
	١٣	: « ومن جهل اليأس جهل الأمر » .
	١٥	: « وإلى الغباوة والبلادة أو حال النجوم » .
٢٠٥	١	: « الشمس أو القمر أو النار أو الثلج » .
	٤	: « ولأهل التّميز والروية » .
	٥	« والسبع من لطع الدم » .
	١٠	: « والملمس اللين » .
٢٠٦	٣	: « منافعها هنيئة » .
	١١	: « بأحق من الثانى فى الحق الذى جوزت فيه » .
	١٣	: « والأسباب المتقيدة » .
	١٥	: « بأدل عليه من الخنزير » . «وإن اختلفا من جهة » .
	١٦	: « لم يختلفا من جهة البرهان والدلالة » .
٢٠٧	١	: « أعز عليه من الحدأة ، وأن الغزال أحب إليه » .
	٣—٤	: « فجعل بعضها إنسيا وبعضها وحشيا » .
	١٠و١١	: « وإن أتى بالغيث » .

ص	س	
	١٣	: « ولا اختلاف بين أصحابنا » ، وهو الصواب .
٢٠٨	٥	: « وما نعرِف »
	٧	: « وأنه صالح لصاحب السِّلّ »
	٩	: « شيء من الحلواء إلا وهو ضار بالأسنان غيره » .
	١١	: « وليسهل مخرج »
	١٢	: « ومن الزيتون على زيته والاصطباغ به »، أى الائتدام به ، والصِّبغ والصِّباغ : مايصطبغ به من الإدام ، وفى قوله تعالى « وصِبْغ للآكلين »
	١٣	: « والوقود بشجرتهما و [على] ماأشبه ذلك » .
٢٢٢	٥	: « بقتلها وإطرادها »
	٧	: « وتقزز المسلمين من دنوها » ، مع سقوط التكملة التى بعدها
	١٤	: « وأخذنا فى ذكر أسمائها وأنسابها وأعراقها ، وتفدية الرجال لها »
٢٢٣	٤	: « حفظها وإتقانها » .
	٥	: « وإهانة اللئام »
	٦	: « وذكر [طول] ذَمائها » ، وهو الوجه .
	٦	: « وشدة مُنتها ومعاقد الذمار » !
	٨ ـ ٩	: « ذكورتها والذكورة من غير جنسها »
	١١	: « وفهمها وخدمتها » :

ص	س	
	١٤	: « وإخبار المتطيرين عنها ، وعن أسبابها ومنتهى أعمارها وعدد أجزائها » ، و « أسبابها » تحريف ، و « أجزائها » صوابها « أجرائها » بالراء المهملة
٢٢٤	١	: « وسياستها ، والتى لاتلقن منها »
	٦	: « فمن يك عنه » .
	٧	: « تظل الكلاب العاويات »
	٨	: « من ولد محارب بن خصفة » ساقط من النسخة .
	١٢ـ١٣	: « وقال الخريمى ، وهو إسحاق بن قوهى فى قتلى حرب بغداد» .
٢٢٥	٥	: «ويكنى أبا محمد [فى يوسف الشاعر] » .
	٧	: « حلقىّ بلقىّ كاهن »
	١١	: « فقال الحسن : أيا عجبى ممن يلغ » .
	١٢ـ١٣	: « فقام وكيع فجعل يتخلج فى مشيته كما يتخلج المجنون ، فقال الحسن : لله فى كل عضو منه نعمة ، اللهم » .
٢٢٦	٣	: « وكصنان عرقها »
	٦	: « وضرب بالكلب فى ذلك مثلا فقال » .
	٩	: « إنها امرأة حسناء »
	١٠	: « بذىّ لسانها»
	١٧	: «وقال [فى] مثل ذلك » .
٢٢٧	١	: « بغَبر البيد » .
	٣	: « مثل الفرخ أعظمه »

ص	س	
	٦	: « فإذا اشتد بطنه ليسمن قيل : قد ضرب بطنه » .
	٧	: « والعِقْى هو القَقَّة » مع إسقاط كلمة « الغيبة » بعدها ، وقد أورد الخبر فى اللسان (قفق) وقال : « القَقَّة : العِقْى الذى يخرج من بطن الصبىّ حين يولد »
	٨ ــ ٩	: « إن أخى وضع يده فى قَقَّةٍ ، إنى لاأنزع يدى من جماعة وأضعها فى فرقة » ، مع إسقاط مابين ذلك من كلام
	١٤	: « ويشغر ببوله فى جوف أنفه ، ويسدِّده تلقاء خيشومه » .
٢٢٨	٢	: « وتستقلونه بهذا وأشباهه » .
	٣ ــ ٤	: « من اللحم الغض الغريض »
	١١ــ١٢	: « لهو أشد من الأسد ، ولهو أجرى من الليث الغادى » .
٢٢٩	١	: « وبأن أنفه فى أسلوب »
	٧	: « نماه لمجد أبٌ أصيد»
	٨	: « لم يبعد من طبائع كثير من الناس»
	١٠	: « وليس بين [مسلوخ] النمكسود وبين المصلوب اليابس كبير فرق » ، وكلمة « مسلوخ » صوابها « مملوح » . وفى معجم استينجاس ١٤٢٧ أن النمكسود هو المملح
٢٣٠	٣	: « فسمّاك بالقحر » .
	٤	: « ويَمذى فى لبان »
	٧	: « ولو أنى أشاء قد ارفأنت نعامته ويفهم ماأقول » ، وهو الوجه ، ارفأنت : سكنت

ص	س	
	٨	: « فما نعلم صنيع العنز » .
	٩	: « وقال ابن أحمر » فقط .
٢٣١	١	: « ابن هرمة » مع إسقاط « الفهرى » .
٢٣٢	٦	: « وحشيها وإنسيّها » .
	٧	: « حيضا بيِّنا » ، وهو الوجه .
	١٠	: « لأن الإبل والشاء » ، وهو الأولى مما اقترحته من تصحيح .
	١٢	: « ما قد قَبَّ ظاهُره » . وقبَّ بمعنى يبس .
	١٤	: « الاستمراء والقضم ، حتى تتلمس الديدان » .
	١٥	: « القذر » بدل « العذرة » .
	١٦	: « قال عبد الرحمن بن الحكم » مطابقا لما أثبته من ل على الصواب . وانظر ص ٤٠٨ .
٢٣٣	١٣	: « والعُنق الحمر » ، والأعنُق والعُنُق كلاهما جمع للعَناق ، وهى الأنثى من المعز ، ومثلهما « العُنوق » .
	١٣-١٤	: « طبعها وشهوتها » ، مع إسقاط « قوتها » ، والمعنى شهوة الدجاج لخبث الأطعمات .
	١٧	: « سباطة » بدل «سبوطاً» .
٢٣٤	١	: « القريس النشوط والشبوط » .
	٨	: « لأذنابها [محسيا] » كما فى ل .
	١٠	: « قال أبو كلدة : أدم العميان » بإسقاط صدر الكلام وكلمة « هو » .

ص	س	
	١٣	: « لبعض البدع » .
٢٣٥	١	: « هلك فيه فتيان منذ كانت الدنيا » .
	٣	: « يلتقم العذرة ، وزهما لايستطاع أكله » ، وفيه تحريف ونقص .
	٥	: « لايطيب مالحاً ولا ممقوراً » .
	١١	: « وقد بلغ من شُهرة الرخمة بذلك ــ واسمها الأنوق ــ حتى سمّوا كل شيء يعرض من الحيوان للعذرة بأنوق » . وهو الوجه ، فإن الرخمة إنما سميت بالأنوق لأنها تختار أوكارها فى رءوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة ؛ ولم تسمَّ بالأنوق لشهوتها للعذرة .
	١٤	: « رزق الأنوقين قرنبا وجُعَل » .

وهذه نهاية المقابلة على ماوجد فى مخطوطة الأمبروزيانا من الجزء الأول من كتاب الحيوان .

صواب أخطاء الطبع

ص	س	الخطأ	الصواب
٤٥	١٠	من البنيان	من البيان
١٦٥	٦	لا يَعتقه	لا يعتِقه
١٧٣	٢	من حمى كبته	من حمى ركبته
٢٣٤	١	ولا ذاتَ	ولا ذاتُ
٢٥٤	١٣	أكلباً	أكلبًا
٢٧٧	٣	تَراحَ	تَرَاحُ
٣٣٥	٢	النبيِّ	للنبيِّ
٣٦٠	٩	ولا كرماً	ولا كرمًا
٣٦١	١	مُضر	مُضرْ

استدراك وتذييل

ص	س	
٧٤	١١	فى العبارة شىء من الغموض لوجازة ألفاظها ، فلتوضيحها يقال : إن امرأ القيس ، وهو من أقدم شعراء العرب ، قد ذكر « عدسا » ، و « عدس » هو والد « زرارة » ، وزرارة كان قريب العهد من مولد الرسول ؛ إذ أنه مات يوم أُوارة الثانى ، وكان ذلك فى أيام عمرو بن هند اللخمى ، الذى ولد الرسول فى أيامه . فنخلص مما تقدم إلى أن أقدم شعر عربى لايبعد عهده عن الإسلام كثيراً . انظر مجمع الأمثال ٢ : ٣٥٨ وكامل ابن الأثير ١ : ٣٥٥ والعمدة ٢ : ١٦٨ ومعجم البلدان (أوارة) .
١٤٩	١١	(مطر الضفادع) . تصديقاً لما أورده الجاحظ منذ أكثر من ألف سنة . عثرت فى صحيفة (الأخبار) العدد ٢١٨٩ بتاريخ الأربعاء ٩ من محرم سنة ١٣٧٩ و ١٥ من يولية سنة ١٩٥٩ مانصه :

« دهش السكان فى ضواحى أنقرة عندما تساقطت عليهم الضفادع خلال نزول المطر . فسَّر إخصائيو الأرصاد الجوية هذه الظاهرة بأنه يحدث فى بعض الأحيان أن تقترب السحب إلى درجة كبيرة من الأرض ويصاحبها رياح قادرة على رفع بعض الحيوانات إلى ارتفاع قد يبلغ خمسة آلاف متر » .

كتبه

عبد السلام محمد هارون

أبواب الكتاب

صفحة

مكتبة الجاحظ

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول

الحيوان

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى نظمها المجمع اللغوى ١٩٤٩ — ١٩٥٠]

الجزء الأول

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

عباس ومحمد محمود الحلبى وشركاهم - خلفاء

تقديم مكتبة الجاحظ

عمر الله باليَقين قلبَك ، وأفاض عليك مِنَ الخير ، وعقَد بيننا وبينك سبباً من الرِّضا ، وحبَّب إلينا كما حبَّب إليك الحقَّ ، وأمتعَ عينَك وقلبَك ، بما سيطالعك من عَجَب الجاحظ ، وما افتنّ فيه وأبدع ؛ وأضفى عليك البشاشة وأسبغَ ظلَّ العافية (١) .

١ — بيان الجاحظ

وبعد فالجاحظُ إمامٌ فذٌّ من أئمة البيان فى العربيَّة ، وليس من الإسراف والمغالاة أن نعـدَّه زعيمَ البيانِ العربىّ ، نطلق القولَ فى ذلك إطلاقا .

هو زعيمٌ للبيان العربىّ فى قوَّته وأسره ، وفى دقَّته وصحَّته ، وحلاوته وجمالِه وفنِّه .

كان الجاحظ زعيماً للبيان العربىّ ، وهو كذلك أحد زعماء المـكتبة العربيَّة ، التى كانت فى الصدر المقدَّم من مكتبات الدنيا ، فيما أسدتْ للإنسانية والفـكر العربىّ واللِّسان العربىِّ من خَير ، وما بسطتْه على ظلام المدنيات المتهافتة من نور .

٢ — عصر الجاحظ

كان الجاحظ فى العصر الذهبىّ للأمة العربية : عصر هارون والمأمون ؛ والعلومُ والآدابُ والفنون يومئذٍ تزخر بها معاهد البَصرة وبغدادَ والـكوفة

(١) للجاحظ مذهب فى البيان ، من سار فى أوله دفعه الإعجاب إلى أن يحاول السلوك إلى غايته . وقد أبى على فضله ، إلا أن أجعل صدر تقديمى له فى مثل صورة بيانه .

وقُرطبةَ ، وسائر عواصم الإسلام ، وكان المعين فيّاضا مُترَعاً ، والعقولُ فى نشاط وفَورة ، والتّأليفُ والتّرجمةُ لها دَوىّ النّحل فى كلّ صُقع . الدِّينُ يدعو إلى العلم والنُّور ، والمالُ تلمع وجوهُه فى عيون أهل الفضل ، فيُذكى العزائمَ ، ويُبرِم العَقْد . والعلمُ وَلودٌ ، وصاحبُه كلّما ارتوى منه عادَ به فى سبيل الظّمأ ، وحيثُما شبِع منه رجع به فى سبيل الجوع .

٣ ــ التآليف فى عصر الجاحظ

عاصر الجاحظُ ثلاثةً ممّن ضربوا بسهمٍ كبيرٍ فى وفارَةِ الإنتاج الفكرى والتّأليف ، واستَوَوْا على غايةٍ قصَّر عنها من عداهم :

أحدهم : أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنَّى (١١٠ــ ٢٠٩) ، وكان من أهل البصرة ، وُلد وتوفِّى بها[١] . قال صاحب الوفيات : « وتصانيفه ، تقارب مائتى مصنف[٢] » . وقد سرد منها ابن النديم فى فهرسه مائة وخمسة[٣] ، وقال فيه الجاحظ : « لم يكن فى الأرض خارجىٌّ ولا جَماعىٌّ أعلمُ بجميعِ العلم منه[٤] » .

والثانى : أبو الحسن علىٌّ بن محمَّد المدائنىٌّ (١٣٥ــ٢٢٥) له نحو مائتين وأربعين مصنفاً ، على ما أحصيت فى فهرس ابن النديم ، وقد روى الجاحظُ عنه فى البيان وفى الحيوانِ رواياتٍ كثيرة .

وثالث هذه الجماعة : هشام بن محمد الكلبى الكوفى (٠٠٠ ــ ٢٠٦) عددت كتبَه فى الفهرس فألفيتُها نحو مائة وتسعةٍ وثلاثين مؤلفاً[٥] .

---

(١) جلس إليه الجاحظ كما فى البيان (٣ : ٢٦٥) .
(٢) الوفيات (٢ : ١٠٦) .
(٣) الفهرس ٧٩ مصر ، ٥٣ ليبسك .
(٤) البيان للجاحظ (١ : ٣٤٧) .
(٥) ١٤٧ مصر ، ١٠١ ليبسك . ولم يمكنى تحديد العدد فى هذا الموضع والذى قبله لمرونة عبارة ابن النديم .

كان للجاحظ فى هؤلاء الرَّهط أُسوةٌ ، وحافز فى المسابقة والمنافسة ؛ إلى ماوهبه الله من لَسَنٍ واقتدار ، ومن ذكاءٍخارق ونَفاذ ، وذاكرة ــ فى العلم ــ قوية[1] ، واستهتار بالمعرفة والتبيُّن .

حدَّث أبو هفَّان[2] قال : « لم أر قطُّ ولا سمعتُ مَن أحبّ الكتبَ والعلومَ أكثرَ مِنَ الجاحظ ، فإنَّه لم يقع بيده كتابٌ قطُّ ، إلا استوفى قراءتَه ، كائناً ماكان ، حتى إنه كان يكترى دكاكين الورَّاقين ، ويثبت[3] فيها للنَّظر » .

وللجاحظ فى صدر الجزء الأول من الحيوان ، نعتٌ للكتب ، يقع منه الدَّليلُ على ما ملأ الله به صدرَ هذا الرَّجل من إيمانٍ بما للعلم والكتاب من شرفٍ وجاه ، وما للتفهُّمِ والقراءة من مكانٍ عالٍ ، ومنزل كريم .

والعجَبُ أنَّ تلك الأسفارَ التى عُنى بها صاحبُنا ، لم تبرَّ به ولم تبادلْه الوفاء ، فَغَدرتْ به ، « وكان موته بسقوط مجلَّدات العلم عليه[4] ! ! » .

٤ ــ مؤلفات الجاحظ

خرج الجاحظَ عن زُهاءِ ثلاثمائة وستِّينمؤلَّفاً فى ألوانٍ شتَّى من المعرفة ، رأى أكثرها فى مشهد أبى حنيفة النعمان ببغداد ، سبطُ ابن الجوزىّ[5] المتوفَّى سنة ٦٥٤ .

---

(١) ذكر الجاحظ ، كما فى تاريخ بغداد (١٢ : ٢١٤) ومعجم الأدباء (٦ : ٥٦) مرجليوث ، أنه نسى كنيته ثلاثة أيام ثم ذهب إلى أهله فقال : بمن أكنى ؟ فقالوا : بأبى عثمان ! ! وهكذا طغت ذاكرته فى العلم على ذاكرته فى غيره .

(٢) كان أخباريا راوية مصنفا . الفهرست ٢٠٧ مصر ، ١٤٤ ليبسك .

(٣) فى الأصل : « يبيت » .

(٤) شذرات الذهب (٢ : ١٢٢) .

(٥) مرآة الزمان الورقة ٥٨ من المجلد الثالث من الجزء العاشر (مصورة دار الكتب =

ذاك أقصى تقدير وصلت إليه كتب الجاحظ ، الذى يقول فيه المسعودىّ[1] : « ولا يعلم أحدٌ من الرواة وأهل العلم أكثر كتباً منه » . على أنّ أدْنى ماتنزلُ إليه فى التقدير ، أن تكونَ مائةً ونيّفاً وسبعين كتاباً . قال ابن حجر فى لسان الميزان[2] : « وسرد ابنُ النَّديم كتبه ، وهى مائة ونيِّف وسبعون كتابا » .

وياقوت فى معجم الأدباء[3] قد ذكر فهرست كتبه ورسائله ، فأثبت منها مائةً وثمانية وعشرين مصنفاً .

وليس بنا أن نحقق مبلغَ عددِ هذه الكتب ، ولكنَّ ما نريد أن نقول ، أنَّ الجاحظ فى الرّعيلِ الأول من مؤلفى عصرِه وكتّابه .

والآن نَسْأل : أين ذهبت هذه الكتبُ جميعاً ، وفى أيّ مطْرح طوّح بها الزّمان ! ! لقد ضرب الدَّهرُ على كثيرها ، فعادت فى مثل صنعة الساحر ، لمعتْ حيناً ثم انكفأت .

أفنقول : إنّ أعاصيرَ الخلافِ المذهبيِّ عَصَفَتْ بها ، فلم ضاعتْ آثارُ غيرِه من أهل السنّة والجماعة ؟ !

الحقُّ أنّ الجمودَ الذهنيَّ وهبوط الهمم ، كان لهما معظم الأثر فى ضياع هذه النفائس وفقدِها ، والحقُّ أنَّ الفوضى السياسيَّةَ التى مُنيت بها الأممُ الإسلاميةُ فى مَسائها الأول ، والتى كانت قائمةً ــ فى أكثر ما تقوم ــ على التدمير والتخريب والانتقام ــ جعلت تهدم فى هذا الصَّرح الفكرى ، حتى أتت على كثير من قواعده ، ولم تُبق إلا وشلاً من محيط ! !

= المصرية) . والنص فيها : «أما مصنفاته فثلثمائة وستون مصنفا ، ووقفت على أكثرها فى مشهد الإمام أبى حنيفة » .

(١) فى مروج الذهب ٤ : ١٣٥ .

(٢) لسان الميزان (٤ : ٣٥٧) .

(٣) معجم الأدباء (٦ : ٧٥ – ٧٨) مرجليوث .

ومهما أحزننا فقدُ كثيرٍ من آثار الجاحظ ، فإنَّ ممّا يجلب إلينا العزاء ، أن تبقَى الأيّامُ منها قدراً لايستهان به ولا بنفاسته ، قد سار بعضُه بين الأدباء فكان له فضلٌ كبير فى تقويم ألسنتهم ، وتأدُّبهم ، وحمتْ بعضَه الآخرَ خزائن متناثرةٌ فى أرجاءِ المعمورة ، سأعمل جهدى على إخراج مايمكن منها ، بعون الله ، مامُدَّ لى فى الحياة .

٥ — ابن النديم والجاحظ

والعجَب أن الناظر فى فهرس ابن النديم لايكاد يرى فيه شيئاً عن الجاحظ ، إلا عرَضاً واستطراداً ، مع أن ابنَ النّديم كان من أساطين الوراقة ، وأبرعَ مختصٍّ بفن الكتب والمكتبات .

لقد عجبت ، ووجدت شيخ العروبة وفقيدها « أحمد زكى باشا » قد سبقنى بهذا فى أثناء تحقيقه لكتاب التاج ، وكشف السرَّ عن ذلك ، بما أقام من دليل قاطع ، أن النسخة المطبوعة من الفهرس مبتورة ناقصة[١] . وقد أسلفتُ قريباً[٢] نصًّا من لسان الميزان ، يؤيد ماذهب إليه شيخ العروبة .

٦ — منحى الجاحظ فى التأليف

صنع الجاحظ هذه الكتبَ جميعاً . ولم يكن همُّه همَّ غيره من المؤلِّفين ، فى الجمع والرِّواية والحفظ ، وإنَّما كان وُكدُه أن يبتكرَ وأن يُطرف ، وأن يخلُق للنَّاس بديعاً ، يمسح على جميعها بالدُّعابة والهزْل ، ويُشيع الفكاهةَ

(١) مقدمة التاج ٤٣ — ٤٤ .
(٢) انظر ص ٦ من هذا التقديم .

فى أثناء الكلام . فجمع بذلك قلوبَ القارئين إليه ، واستولى منهم بذلك على شتَّى ميولهم إلى مايكتب ، فصَبَوْا إليه وأغرموا بهغَراما !

وطرق الجاحظُ فى كتابته أبواباً عجيبية ، وتقرَّب إلى العامّة[1] وحَرَص أشدّ الحرْص على استرضائهم . ولم ينسَ فى ذلك أن يستميل إعجاب الخاصة فى المعارف العالية ، والسياسات الرفيعة .

٧ — قيمة كتب الجاحظ

قال أبو حيّان[2] : « ومن عجيب الحديث فى كتبه ، ماحدَّثنا به علىُّ ابن‌عيسى النحوىُّ الشيخ الصالح ، قال : سمعتُ ابن الأخشاد شيخَنا أبا بكر يقول : ذكر أبو عثمان فى أول كتاب الحيوان أسماء كتبه ، ليكون ذلك كالفهرست . ومرّ بى فى جملتها : الفرق بين النبى والمتنبى ، وكتاب دلائل النبوة ، وقد ذكرهما هكذا على التفرقة ، وأعاد ذكر الفرق فى الجزء الرابع[3] لشىءٍ دعاه إليه فأحببتُ أن أرى الكتابين ، ولم أقدرْ على واحدٍ منهما . وهو كتاب دلائل النبوة ، وربما لُقِّب بالفَرْق خطأ . فهمَّنى ذلك وساءنى ، فى سوء ظفرى به . فلمَّا شخَصت من مصرَ ودخلتُ مكَّة —

---

(١) قال الجاحظ فى البيان ١ : ١٣٧ : « وإذا سمعتمونى أذكر العوام فإنى لست أعنى الفلاحين والحشوة ، والصناع والباعة ، ولست أعنى الأكراد فى الجبال ، وسكان الجزائر فى البحار ، ولست أعنى من الأمم مثل الببر والطيلسان ، ومثل موقان وجيلان ، ومثل الزنج وأمثال الزنج . وإنما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع : العرب وفارس ، والهند ، والروم ، والباقون همج وأشباه الهمج .

وأما العوام من أهــل ملتنا ودعوتنا ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا فالطبقة التى عقولهــا وأخلاقها فوق تلك الأمم ، ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا » . فهذا مايعنى الجاحظ بهذه الكلمة .

(٢) انظر معجم الأدباء (٦ : ٧٢ — ٧٣) مرجليوث .

(٣) الحيوان (٤ : ٣٧٨) س ٩ .

ـ حرسها الله تعالى ـ حاجًّا، أقمت منادياً بعرفاتٍ ينادى ـ والناسُ حضورٌ من الآفاقِ على اختلاف بُلدانهم وتنازُح أوطانهم، وتبايُنُ قبائلهم وأجناسهم، من المشرق إلى المغرب، ومن مهبِّ الشّمال إلى مهبِّ الجنوب، وهو المنظر الذى لايشابهُه منظر ـ : رحم الله من دلّنا على كتاب الفرق بين النبى والمتنبى لأبى عثمان الجاحظ، على أى وجه كان!

قال: فطاف المنادى فى ترابيع عرفات وعاد بالخيبة وقال: حجّت الناس مِنّى ولم يعرفوا هذا الكتاب، ولا اعترفوا به!

قال ابن الأخشاد: وإنما أردت بهذا أن أُبْلغ نفسى عذرَها».

قال ياقوت: «وحسبك بها فضيلةً لأبى عثمانَ، أن يكون مثلُ ابن الأخشاد ـ وهو من هُو، فى معرفة عُلوم الحكمة، وهو رأسٌ عظيم من رءوس المعتزِلة ـ يُستهام بكتب الجاحظ حتى ينادى عليها بعرفات والبيت الحرام. وهذا الكتاب موجودٌ فى أيدى النَّاس اليوم لاتكاد تخلو خزانةٌ منه. ولقد رأيت أنا منه نحو مائةِ نسخةٍ أو أكثر».

والمسعودىُّ، وهوممن يُعدُّ فىخصوم الجاحظ، يقول فىمروج الذهب[1] فى نعت كتب الجاحظ: «وكتب الجاحظ مع انحرافه المشهور[2]، تجلو صدأ الأذهان، وتكشف واضح البرهان؛ لأنّه نظَمَها أحسن نظْم، ورصَفها أحسنَ رصْف، وكساها من كلامه أجزَلَ لفظ. وكان إذا تخوَّفَ ملَلَ القارئ، وسآمةَ السَّامع، خرج من جِدٍّ إلى هزْل، ومن حكمةٍ بليغةٍ إلى نادرة طريفة. وله كُتُب حِسان، منها كتاب البيان والتبيين، وهو أشرفها؛ لأنه جمع فيه بين المنثور والمنظوم، وغُرر الأشعار، ومستحسن الأخبار، وبليغ الخطب؛

(١) مروج الذهب (٤ : ٤٧).
(٢) يريد ما كان عليه من الاعتزال وعداوة الشيعة. وكان المسعودى شيعيا.

مالو اقتصر عليه مقتصرٌ لاكتفى به ، وكتاب الحيوان ، وكتاب الطفيليين والبخلاء . وسائر كتبه فى نهاية الكمال ، مالم يقصد منها إلى نصب ، ولا (صوابها أو) إلى دفع حقّ » .

وهذا حديث آخر ، تعرف به مكانة كتب الجاحظ ، وما أدركت من شأو وغاية :

قال أبو القاسم السيرافى(١) : « حضرْنا مجلسَ الأستاذ أبى الفضل ابن العَميد ، فجرى ذكرُ الجاحظ ، فغضَّ منه بعضُ الحاضرين، وأزرى به ، وسكت الوزيرُ عنه . فلمَّا خرج الرّجلُ قلت له: سكتَّ أيُّها الأستاذُ عن هذا الرَّجل فى قوله ، مع عادتك فى الردِّ على أمثاله ! فقال : لم أجدْ فى مقابلته أبلغَ من تَركه على جَهله . ولو واقفتُه وبيَّنْتُ له ، لنظر فى كتبه وصار بذلك (إنساناً) ياأبا القاسم . فكتُب الجاحظِ تعلِّم العقلَ أوّلاً ، والأدبَ ثانياً ! ! ولم أستصلحه لذلك » .

والخليفة المأمون العباسى ، كان من قُرَّاءِ الجاحظ ، ومن المقدِّرين لعلمه وفضْله فى كتبه .

قال الجاحظ ــ وهو يسرد طائفة من بلاغات المأمون(٢) : « ولما قرأ المأمون كتبى فى الإمامة ، فوجدها على ما أمر به ، وصرتُ إليه ــ وكان قد أمر اليزيدى بالنَّظر فيها ليخبره عنها . قال لى : قدكان بعضُ مَن نرتضى عقله ، ونصدِّق خبره ، خبَّرنا عن هذه الكتب بإحكام الصنعة وكثْرةالفائدة فقلت : قد تُربى الصِّفةُ علىالعِيان، فلما رأيتهارأيت العِيان قد أربَى على الصِّفة ، فلما فَليتها أربَى الفلى على العيان كما أربى العِيان على الصِّفة ! ! » .

---

(١) الحديث فى وفيات الأعيان (١ : ٣٨٩) .
(٢) البيان (٣ : ٣٧٤) .

٨ — ذَيع كتب الجاحظ

وكانت كتب الجاحظ تذيع وتنتشر ، وتطير إلى الآفاق ، فى حياته ، للرَّغبة الملحة فيها ، ولحرص الناس على ما فيها من خير كثير .

وإليك صورةً تُنبيك عن مبلغِ هذا الذَّيع ، وتَقِفُكَ على مقداره :

روى الخطيب البغداديُّ فى كتابه(١) عن يحيى بن علىّ ، أنه قال : حدثنى أبى قال : قلت للجاحظ : إنى قرأت فى فصل من كتابك المسمَّى كتاب البيان والتبيين(٢) : إن ممّا يستحسن من النِّساءِ اللحنَ فى الكلام ، واستشهدتَ ببيتى مالك بن أسماء — يعنى قوله(٣) :

وحديث ألذُّه هو ممّا يَنْعَتُ النَّاعِتونَ يُوزَنُ وَزْنا

منطق صائب وتلحَن أحيا نًا وخير الحديث ماكانَ لحنا

قال : هو كذاك . قلت : أفما سمعتَ بخبر هندٍ بنت أسماءَ بنِ خارجة مع الحجاج ، حين لحنت فى كلامها ، فعاب ذلك عليها فاحتجّت ببيت أخيها ، فقال لها : إن أخاك أراد أن المرأة فَطِنة ، فهى تلحن بالكلام إلى غير المعنى فى الظَّاهر ، لتستر معناه وتورِّىَ عنه ، وتُفهِمه من أرادت بالتَّعريض ، كما قال الله تعالى : ﴿ ولتعْرِفَنَّهُمْ فى لَحْنِ القَوْلِ ﴾ ولم يُرد الخطأ من الكلام . والخطأ لايُستحسَن من أحد ؟ ! فوجَم الجاحظ ساعة ثم قال : لو سقط إلىَّ هذا الخبرُ لما قلت ما تقدم ! فقلت له : فأصلحه . فقال : الآن وقد سار الكتاب فى الآفاق ! ! هذا لايصلح ! » .

---

(١) تاريخ بغداد (١٢ : ٢١٤) . وانظره كذلك فى معجم الأدباء (٦ : ٦٥) مرجليوث .

(٢) انظر البيان (١ : ١٤٧) .

(٣) فى استملاح اللحن من بعض نسائه .

وصورةً أخرى[1] : قيل لأبى هفّان وقد طال ذكر الجاحظ لأبى هفان — : لم لاتهجو الجاحظ ، وقد ندّد بك ، وأخذ بمخنَّقِك ؟! فقال : أمثلى يُخدَع عن عقله ؟! والله لو وَضَع رسالةً فى أَرنبة أنْفى ، لما أمْسَت إلا بالصِّين شهرة !

على مثل ذلك كانت كتبُه تغزو الآفاق ، وتطيرُ فى الدُّنيا ، إلى أن كُتب لها ما كُتب .

٩ — ورّاقو الجاحظ

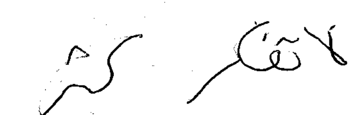
لم يكن بُدٌّ للجاحظ ، وقدمنحه الله فى القراءة والتأليف ، اقتداراً نادراً وصبراً عجيباً ، من أن يستعين بمن يأنس فيه العون ، ليتمكَّن من تحقيق مطمحه ، فكان له ورّاقون[2] ، يكتبون له ويكتبون عنه .

عثرت على اسم أحد هؤلاء الورّاقين فى موضعين : أحدهما أمالى القالى[3] حيث نجد هذا النص : وقرأت على أبى بكر بن دُريد ، لليلى الأخيلية — وقال لى : كان الأصمعىُّ يروِيها لحميد بن ثور الهلالى — قال أبو على : فكذا وجدته بخط ابن زكريا « ورّاق الجاحظ » فى شعر حميد :

يأيها السَّدِم الملوِّى رأســه ليقود من أهل الحجاز بريما »

والموضع الثانى : معجم الأدباء[4] ، حيث ذكر ياقوتُ كتابى « النساء »

(١) معجم الأدباء (٦ : ٧١) مرجليوث .
(٢) ما كان أجدربكلمة الوراق أن تستعمل فى معنى « السكرتير » التى حيرت اللغويين .
(٣) أمالى القالى ١ : ٢٤٨ .
(٤) معجم الأدباء (٦ : ٧٥) مرجليوث .



و « النعل » وقال : « قال ابن النّديم : ورأيت أنا هذين الكتابين بخطّ زكرّياء بن يحيى ، ويكنى أبا يحيى ، ورّاق الجاحظ » .

وقد عرّف ابن النّـــديم باسم ذلك الوراق فذكر والده وكنيته ، على حين ذكره القالىُّ غُفلاً ، ممّا يرجّح لدينا أنْ يكون الصواب فى اسم هذا الورّاق ، مانقل ياقوتٌ عن ابن النّديم .

وللجاحظ وراق آخر ، هو عبد الوهاب بن عيسى بن أبى حيّة الورّاق . وقد ينسب إلى جدّه . رَوى عن إسحاق بن إسرائيل ويعقوب بن أبى شيبةَ . قال الزبيدى[1] نقلا عن الحافظ : « وكان وراقا للجاحظ ، وعاش إلى رأس الثلاثمائة » .

وفى تاريخ بغداد [2] أنه عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الوهاب ابن أبى حيّة . وكنيته أبو القاسم . سمع إسحاق بن أبى إسرائيل ، ومحمد بن معاوية ابن مالج ، ويعقوب بن إبراهيم الدّورقى ، ومحمد بن شجاع الثّلجىّ ، ويعقوب بن شيبة السدوسى . روى عنه أبو عمرو بن حيويه ، والدارقطنى ، وابن شاهين ، وأبو حفص الكنانىّ ، وكان صَدوقاً فى روايته ، ويذهب إلى الوقف فى القرآن . أخبرنا الأزهرىّ أخبرنا أبو الحسن الدارقطنى قال : عبد الوهاب بن عيسى بن أبى حيّة ثقة يُرمى بالوقف . أخبرنا السِّمسار أخبرنا الصفّار ، حدثنا ابن قانع ، أن أبا القاسم بن أبى حيَّة مات فى شعبان من سنة تسع عشرة وثلثمائة .

---

(١) تاج العروس ١٠ : ١٠٨ س ٣ — ٤ .
(٢) تاريخ بغداد ٥٦٩٥ .

تقديم كتاب الحيوان

١ - كتب الحيوان

سبق اليونانيُّون أسلافَنا العَرب ، إلى التَّأليف فى علم الحيوان . قال صاحب كشف الظنون فى حديثه عن علم الحيوان [١] : « وفيه كتبٌ قديمة وإسلامية : منها كتاب الحيوان لديمقراطيس ، ذكر فيه طبائعه ومنافعه . وكتاب الحيوان لأرسططاليس ، تسع عشرة مقالة ، نقله ابن البطريق من اليونانى إلى العربى . وقد يوجد سريانيًّا نقلاً قديماً ، أجود من العربى . ولأرسطو أيضاً كتاب فى نعت الحيوان الغير الناطق ، وما فيه من المنافع والمضارّ » . وذكر بعد ذلك كتاب الحيوان للجاحظ ، ومختصره لأبى القاسم هبة الله بن القاضى الرشيد جعفر [٢] المتوفى سنة ٨٠٦ ، وللموفق البغدادى أيضاً .

ونستطيع أن نقول : إنّ الجاحظَ أوّلُ واضعٍ لكتاب عربىٍّ جامعٍ فى علم الحيوان . وقد كان قبلَه وفى عصره محاولاتٌ شتَّى لطائفةٍ من العلماء ، يتحدَّثون فيها عن الحيوان ، نذكر منها :

كتب الإبل

لأبى حاتم السِّجستانى (٠٠٠ ــ ٢٤٨) ، وللأصمعىّ (١٢٢ــ٢١٦) ، ولأبى عُبيدة (١١٠ ــ ٢٠٩) ، وللنَّضر بن شُميل (١٢٢ ــ ٢٠٣) ،

(١) كشف الظنون ١ : ٤٥٦ .

(٢) وسماه روح الحيوان . ابن خلكان ٢ : ١٨٨ .

ولأبى زيادٍ الكلابىّ[1] ، ولأحمد بن حاتم الباهلىّ (··· — ٢٣١).

كتب الخيل

لابن قُتيبة (٢١٣ — ٢٧٦) ، وابن الأعرابى (١٥٠ — ٢٣١) ، وأبى عُبيدة ، وأبى جعفر محمَّد بن حبيب البغدادىّ (··· — ٢٤٥) وأبى محلّم محمّد بن هشام الشيبانىّ (··· — ٢٤٥) ، ولأحمد بن حاتم .

كتب الغنم والشاء

لأبى الحسن الأخفش (··· — ٢١٥) ، وللنَّضر بن شميل ، وللأصمعىّ .

كتب الوحوش

للأصمعى ، ولأبى زيد أستاذ الجاحظ (١١٩ — ٢١٥) ، ولأبى حاتم السِّجستانى .

كتب الطير

لأبى حاتم السجستانىّ ، والنَّضر بن شميل ، وأحمد بن حاتم الباهلىّ .

كتب البازى والحمام والحيات والعقارب

لأبى عبيدة .

---

(١) اسمه يزيد بن عبد الله بن الحر ، أعرابى بدوى . قال دعبل : قدم بغداد أيام المهدى حين أصابت الناس المجاعة ، ونزل قطيعة العباس بن محمد فأقام بها أربعين سنة ، وبها مات . وكان شاعرا من بنى كلاب . ابن النديم ٦٧ مصر ، ٤٤ ليبسك .

كتاب الفرس

للأصمعي .

كتابا النحل والحشرات

لأبي حاتم السجستاني . وللأصمعيّ كتاب فى النَّحل والعسل[1] .

* * *

وهذه الكتب لم تؤلَّفْ للقصد العلميّ الخالص ، وإنما أريد بها أن تكون باحثةً فى اللُّغة أوّلاً ، فهى بمثابة مُعجمات لغويَّة خاصّة بما أُلِّفت له ، فهى لاتبحث فى طبع الحيوان وخصائصه بحثاً ، ولا تعنى بدقائقه وغرائزه وأحواله وعادِه، وإنّما تجعل همَّها الأوّلَ والثانىَ هو اللغة ،وقد يكون منها أن تبحث البحثَ العلمى ، ولكن على سبيل الاستطراد ومشايعة القول .

وأسوق إليك نموذجاً من نصوص تلك الكتب ، لتنكشف أمامك صورةُ ماأسلفت .

فهذا أوّلُ كتاب الابل للأصمعى[2] :

« قال أبوسعيد عبد الملك بن قُرَيبٍ الأصمعيّ : أجودُ وقتٍ يُحمل فيه على النَّاقة أن تَجَمَّ سنةً ويحملَ عليها . فيقال : قد أُضربت الفحلَ ، وأضْرَبَها الفحلُ . فإذا حمل عليها فى كلِّ عام فذلك الكِشاف . يقال ناقة كَشُوفٌ ، وقد أَكشَفَ بنو فلان العام فهم مُكشِفون : إذا لقحتْ إبلُهم على هذا الوجه . قال رؤبة :

(١) اعتمدت فى استخراج هذه الكتب على وفيات الأعيان ، وبغية الوعاة ، ونزهة الألباء ، وفهرس ابن النديم ، وكشف الظنون ، ومعجم الأدباء .

(٢) ص ٦٦ — ٦٧ من مجموعة الكنز اللغوى المطبوع فى بيروت ١٣٢٢ .

* حربٌ كشافٌ لقحت إعثاراً *

وإليك نصًّا آخر من خلاله[1] :

« وممّا يذكر من ألوان الإبل ، يقال بعير أحمر وناقة حمراء ، وإذا بُولغ فى نعت حُمرته قيل : كأنه عِرْق أرطاة . ويقال أجلَدُ الإبلِ وأصبرُها الُحمْر . فإذا خَلَط الحمرةَ قُنوءٌ فهو كُمبت . فإذا خلطَ الحمرةَ صفرةٌ قيل : أحمر مدَمًّى . قال حُميد بن ثَور :

وصار مدمَّاها كُميتاً وشُــبّهت   قروحُ الـكُلى منها الوِجَار المهدَّما »

وهذا آخر كتاب الإبل للأصمعى[2] :

« أسماء عدد الإبل : الذَّود : ما بين الثّلاثة إلى العشرة . والصِّرمة : القطعة التى ليست بالـكثيرة . والصُّبَّة : فوق ذلك إلى العشرين إلى الثلاثين ، إلى الأربعين .

والعكَرة : إلى الخمسين ، إلى السِّتِّين إلى السَّبعين .

والهجْمة : المائة وما داناها . والهُنيدة : مائة . والعرْج : الإبل إذا كثرت فبلغت مائتين قيل عرج . والبَرْك : إبل القوم جميعاً ، التى تروح عليهم . قال متمِّم :

ولا شارف حبشاء ريعت فرجّعتْ   حنيناً ، فأبكى شجوُها البركَ أجمعا

٢ ــ كتاب الحيوان للجاحظ

هذه صورة من صور كتب القوم فى الحيوان . أمّا الجاحظ فأمامك

---

(١) ص ١٢٧ من الـكتاب السابق .

(٢) ص ١٥٧ . وكتاب الوحوش للأصمعى طبع فى فينا سنة ١٨٨٨ ، والخيل له فى فينا ١٨٩٥ ، والشاء له فى بيروت ١٨٩٦ .

كتابُه ، ينطقُ بين يديك بالقصد العلمى التفصيلى للحيوان جميعاً ، ولكلِّ مملكةٍ من ممالكه ، ولكلِّ جنسٍ من أجناسه . وهو فضلٌ للجاحظ على جميع من سبقه أو عاصره ممّن كتب فى الحيوان . وإن أعوزه بعضُ الترتيب والتهذيب فهو شأنُ كلِّ كتابةٍ جديدة ، فى أمرٍ متشعِّبِ الأطراف ، ممدودِ النواحى .

٣ – مرجع الجاحظ فى تأليف الحيوان

والآن نسأل : ماذا كان مرجع الجاحظ فى هذه الموسوعة العظيمة ، وأين أصاب هذا الفيض المتدافع ؟

لقد استفتيت كتاب الحيوان نفْسَه ، بإدمان قراءته ، وتقليب صفحاته فوضح لى أنّ صاحبَه اعتمد فى تأليفه على أمور خمسة رئيسة :

أولها : الينبوع الذى لاينضب من القرآن وحديث الرسول .

والثانى : وعليه كان أكثر اعتماده ــ : (الشعر العربى) فالشعر العربىُّ وبخاصةٍ البدوىُّ منه ، قد تحدَّث عن الحيوان حديثاً طويلا ، تحدّث عن الأنيس منه ولم يهمل الوحشىّ ، بل أشرك بين هذا وذاك .

فالعرب تحدَّثوا عن الإبل فى شعرهم وأطالوا الكلام ، تحدَّثوا فى نعتها فلم يذَرُوا دقيقةً من دقائقها ، وتكلَّموا فى حملها ونتاجها ، ورأْمها وحنينها ، وحلْبها وألبانها ، وألوانها ونِجارها ونسبها ، وأصواتها ودُعائها ، ورعيها وشربها وسَيرها وسُراها[1] .

وكان لهم فى الخيل نعتٌ مفصَّل ، وعنايةٌ بمثل مااعتَنوا به فى الإبل .

---

(١) مما أقوم به الآن إعداد كتاب يبحث فى أثر الإبل فى حياة العرب وأدبهم ولغتهم ، أرجو الله العون فى إتمامه .

ووفوا كذلك لكلابهم وشائهم . ولا تكاد تجد قصيدة معدودةً للعرب إلاَّ وللحيوان الأنيس فيها شأن .

أما الوحشيّات — وفلواتُهم مواطنُ غنيّةٌ بها — فلم يُغفلوها ، ونطق شعرهم بالأسد[1] ، والنَّمر ، والذئب[2] ، والثعلب ، والضبّ ، وغيرها .

وذكروا من الطيور النُّسورَ والعِقبان والرَّخَم ، والحِدأ والقطا والحَجَل .

ولو أردتُ أن أستقصىَ سائرَ مانعتوا من الحيوان ، فى شعرهم وحَديثهم وأسمارهم — مااستطعتُ . ولو استطَعْتُ لامتدَّ القول وفاض .

والجاحظ يرى أنَّ العرب — والأعراب منهم خاصة — قد ثَقِفوا معرفة الحيوان ، وبرعوا فى ذلك البراعَةَ ، واستوعبُوا حالَه وعادَه . وهو يقول فى ذلك[3] :

« وقلَّ معنًى سمعنَاه فى باب معرفة الحيوان من الفلاسفة وقرأناه فى كتب الأطباء (والمتكلّمين) إلا ونحن قد وجدناهُ أَو قريباً منه فى أشعار العرب والأعراب » .

وقال فى الكلام على السِّباع المشتركة الخلْق[4] : « وقد ذكرنا منها ما كان مثل الضَّبع والسِّمع والعسبار ؛ إذ كانت معروفةً عند الأعراب ، مشهورة فى الأخبار ، منوَّها بها فى الأشعار » .

---

(١) أشهر عربى وصف الأسد هو أبو زبيد الطائى . انظر خبره فى الأغانى وطبقات ابن سلام ومعجم الأدباء .

(٢) كانوا يفخرون أحيانا بإشراكهم الذئب فيما يطعمونه . وممن عرف بذلك الفرزدق . وله خبر مع الذئب فى إطعامه لحم شاة له . خمسة دواوين العرب ١٦٠ .

(٣) الحيوان (٣ : ٢٦٨) .

(٤) الحيوان (٦ : ٢٨) .

وهو يُظهر السَّببَ فى جَودةِ معرفةِ الأَعرابِ للحيوان ، بقوله[1] :

« وربّما ، بل كثيراً مايُبْتلَوْن بالنّاب والمخلب ، واللّدْغ واللَّسع ، والعضِّ والأكل . فخرجت بهم الحالُ إلى تعرُّفِ حالِ الجانى والجارح والقاتل ، وحالِ المجنىِّ عليه والمجروح والمقتول ، وكيف الطّلبَ والهرب ، وكيف الدّاءُ والدّواء ؛ لطول الحاجة ، ولطول وقوعِ البصر . مع مايتوارثون من المعرفة بالدَّاء والدَّواء » .

والكتابُ مفصَّل بكثير من الشعر العربى ، موشَّع بعيون مانظم العرب والأعراب فى الحيوان من شعر .

وللجاحظ ثقة تامة فى الشِّعر العربى ، فهو يصدِّره فى الردِّ على أرسطو ، ويحتجُّ به عليه . قال بعد أن سرد قول أرسطو فى عقوق العُقاب[2] : « هذا قول صاحب المنطق فى عقوق العقاب وجفائها لأولادها .

فأمَّا أشعار العرب فهى تدلُّ على خلاف ذلك ، قال دريد بن الصِّمّة[3] :

وكلّ لجوج فى العنان كأنها إذا اغتمست فى الماء فتْخاءُ كاسرُ

لها ناهض فى الوكر قد مَهَدَتْ له كما مَهَدَتْ للبَعْلِ حسناءُ عاقرُ »

* * *

والمادة الثالثة من مواد الكتاب ، هى (كتاب الحيوان لأرسطو[4]) .

وقد نقل عنه الجاحظ نصوصاً ليست من الكثرة بمكان ، ولكنها من القيمة والنَّفاسة بمكان عظيم .

وصاحبنا رجلٌ جرىء العقل ، عنيفُ الفكر ، فهو لايقبل هذه النُّصوص

---

(١) الحيوان (٦ : ٢٩) .

(٢) الحيوان (٧ : ٣٧) .

(٣) فى الأغانى (١٠ : ٤٥) والمزهر (٢ : ٢٣٨) أنه معقر بن حمار البارقى .

(٤) سبق التعريف بهذا الكتاب ص ١٤ .

بعلّاتها ، بل يطرحها على الممتحَن ، ولا يطأطئ بفكره لها ، وإنما يصعد به عالياً ليرى وجه الحق فيها . وقلَّما ترك واحداً منها إلاّ تكلم فيه ، وعرضَه على الحجّة .

فمن ذلك ماقال[1] : « وقد ذكر صاحبُ المنطق أنّه قد أبصر ثوراً وثب بعد أن خصى ، فنزا على بقرة فأحبلها » ، وعقب ذلك بقوله : « ولم نجد هذا عن معاينة ، والصدور تضيق بالردِّ على أصحاب النظر ، وتضيق بتصديق هذا الشكل » .

ذلك . وقد رأيت فى الكلام الذى أسلفتُ ، ردَّه عليه بالشعر العربى .

وقال أرسطو فى الفيل[2] : « هو أجرد الجلد ؛ فلذلك يشتد جزعه من البرد » ، فقال الجاحظ : « فإن كان أجرد الجلد ، فما قولهم فى أحاديثهم : طلبوا من الملك الفيل الأبيض ، والفيلَ الأبقع ، وجاء فلانٌ على الفيل الأسود ؟! » .

وقال الجاحظ فى ردّه على أرسطو[3] : « وقد سمعنا ماقال صاحب المنطق من قبل . وما يليق بمثله أن يخلِّد على نفسه فى الكتب شهاداتٍ لايحققها الامتحان ، ولا يعرف صدقها أشباهه من العلماء » .

وأحياناً يعتذر صاحبنا عن أرسطو ، بأن المترجمين لكتابه لم يحسنوا النّقل ، ولم يتوخوا الدقة والمطابقة . فهو يقول[4] : « ولعل المترجم قد أساء فى الإخبار عنه » ويقول[5] : « فكيف أسكن بعد هذا إلى أخبار البحريين

---

(١) الحيوان (٥ : ٥٠٢) .
(٢) الحيوان ٧ : ٢٢٨) .
(٣) الحيوان ١ : ١٨٥) .
(٤) الحيوان ٢ : ٥٢) .
(٥) الحيوان (٦ : ١٩) .

وأحاديث السماكين ، وإلى مافى كتاب رجل – يعنى أرسطو – لعلّه إن وجد هذا المترجم أن يقيمه على المِصْطبة ، ويبرأ إلى الناس من كذبه عليه ، ومن إفساد معانيه ، بسوء ترجمته » .

وله نحوٌ من هذا الكلام فى الردّ على صاحب المنطق فى مواضع أخر من كتابه[1] نكتفى بالإشارة إليها .

* * *

والمادة الرابعة من مواد الكتاب ، هى تلك المحاولة ، وذلك (الكلام الذى ولّده المعتزلة) . وقد دفع بهم ذاك التيَّار العارم ، إلى مواطنَ شتَّى من نواحى الحجاج والجَدَل . وكأنّما خلق اللهُ كلَّ رجل من أهل الاعتزال لساناً دائب التصرُّف والعمل . فهم إن فَرَغوا من الكلام فى الصفات والخالق ، وفى التعديل والتجوير ، وفى الوعد والوعيد ، فزِعوا إلى الكلام فى السّانحة والخاطرة ، وفيما يَظهَر للعَين أنّه دَقيقٌ مَهين .

والكتاب معرِض طريفٌ لهذه المنازعات الكلاميّة ولا سيَّما الجزأين الأوَّل والثانى منه . فكثيراً مايمرُّ على بصرك : « قال صاحب الكلب » و : « قال صاحب الديك » و : « قال صاحب الحمام » و . .

ويبدو أيضاً ، أنّه كان فى عصر الجاحظ نزاعٌ كلامى خاصّ ، فى المقايسة بين الكلب والديك ، يتقدَّم الفريقَ الأوَّلَ أبو إسحاق إبراهيم النّظام ، ويتزعّم الرَّهط الآخر مَعبد[2] .

كما أنَّ بعضَ الناس كانوا ينظرون إلى هذا النَّمَط وإلى هذا الضَّرْب من الجدل يتداوله اثنان من رؤساء المتكلّمين ، بعين الاستغراب والاستنكار .

---

(1) انظر منها الحيوان : ٣ : ٥١٧ ، ٤ : ١٥٦ ، ٥ : ٥٤١ ، ٦ : ١٧ ، ٧ : ١٢٤ .

(2) انظر الحيوان : ١ : ٣٥٦ . وانظر كذلك ٢ : ١٥٣ .

وقد ردّ عليهم الجاحظ ردًّا مسهباً ، صدَّره بقوله[1] : « فإن قلت : وأى شيء بلغ من قدر الكلب وفضيلة الديك ، حتى يتفرَّغ لذكر محاسنهما ومساويهما ، والموازنة بينهما ، والتَّنْويه بذكرهما ، شيخان من عِليَة المتكلِّمين ومن الجلَّة المتقدمين . . . » ثم هو ينشئ بعد ذلك دِفاعاً صادقاً ، يستغرق نحو عشر صفحات . وفيه يحاول أن يقول : إنَّ البحث فى شأن الحيوان ، ضربٌ من ضروب التعبُّد ، ولونٌ من ألوان البحوث الدينية ، التى تنتهى بصاحبها إلى معرفة عظمة الله ، وعظم ماأبدع وبَرَا .

وقد بلغ الأمر بأحد كبار المعتزلة ، فى عنايته بالحيوان والحديث فيه ، أن صنع قصيدتين ، ذكر فيهما الحيوان وعجائبه ، « وقد جمع فيهما كثيراً من هذه الغرائب والفوائد ، ونّبه بهذا على وجوه كثيرة من الحكمة العجيبة ، والموعظة البليغة[2] » .

ذلك الرجل هو بشر بن المعتمر ، وكان رأساً لفرقةٍ من المعتزلة ، سميِّت بالبشرية[3] وتوفى سنة ٢١٠هـ .

وقد تصدّى أبو عثمان لشرح القصيدتين فى الجزء السادس من الحيوان ، وتكلَّم فيهما كلاماً طويلا ، استغرق نحو نصف الجزء .

* * *

والمادة الخامسة من موادِّ الكتاب هى تلك الخبرة الشخصية ، وذلك الوَلوعُ الذى كان يدفَع بصاحبنا إلى السؤال مَمَّنْ يتوسَّم فيه العلم . وكان الجاحظ

(١) الحيوان ١ : ٩٣ - ١٠٤ ساسى .
(٢) العبارة للجاحظ نفسه فى الحيوان ٦ : ٢٨٤ .
(٣) مفاتيح العلوم ١٩ ومعجم الزركلى ١٤٧ .

بطبعه شعبياً ، مع أنّه كان مقرّباً نافذَ الكلمة عند الوزراء والخلفاء[1] . فهو قد جالس الملاّحين مراراً ، وسمع من أحاديثهم . فمن ذلك مايقول[2] : «وسمعت حديثاً من شيوخ ملاّحي الموصل ، وأنا هائب له ، ورأيت الحديث يدور بينهم . . »

وهو يتحدّث مع صائد العصافير ويقول[3] : « وخبّرني من يصيد العصافير . . » .

وأحياناً يخالط الحوّائين ، ويقف منهم موقفَ المستمِع إلى الشّكوى . وفي ذلك يقول[4] : « وشكا إليّ حوّاءٌ مرةً فقال : أفقرني هذا الأسودُ ومنعَني الكسبَ ؛ وذلك أنَّ امرأتي جهِلت فرمَتْ به في جُونةٍ فيها أفاعي ثلاثٌ أو أربع ، فابتلعهنَّ كلَّهن – وأراني حيّة منكرة ! »

وله نِقاش في شأن الفيل مع عبدٍ يدعى « غانما[5] » . وما حدا به إلى الحديث معه إلا أنه من ذوي الخصام والجدل كما عرفت .

٤ – متى ألف كتاب الحيوان

قيل لأبي العيناء : ليت شعري ، أيّ شيء كان الجاحظ يحسن ؟ فقال : ليت شعري ، أيّ شيء كان الجاحظ لايحسن[6] ؟! .

---

(١) انظر لذلك تاريخ بغداد ١٢ : ٢١٩ : حيث يقول الجاحظ : « حالي أن الوزير يتكلم برأيي ، وينفذ أمري ، ويؤاثر (صوابها : يواتر) الخليفة الصلات إلي » .

(٢) الحيوان ٢ : ١٢٦ .

(٣) الحيوان ٢ : ٣٢٩ .

(٤) الحيوان ٦ : ٤٠١ وانظر ٤ : ٤١٩ .

(٥) الحيوان ٧ : ١٠٩ .

(٦) جمع الجواهر للحصري ١٦٥ .

نعم ، كان الجاحظ أعجوبةَ الدنيا ، تعرف ذلك إذا قرأتَ كتاب الحيوان ولمستَ مايحتاج إليه من جُهد ، وما يتطلبه من وَعيٍ واسع ، وانتباه دقيق ثم عرفتَ بعد ذلك كلّه أنتلك المعلمةَ الخالدةَ ،صنعها صاحبُها وأتمَّ حوكَها ، وهو فى سنٍّ عاليةٍ ، مفلوجٌ يقول فى شِكاية مرضه : « أنا من جانبى الأيسر مفلوج ، فلو قُرض بالمقاريض ماعلمت به ، ومن جانبى الأيمن مُنقْرَس ،فلو مرّ به الذُّبابُ لأَلِمت ! ![1] » .

قال الحُصْرىّ[2] : « ومن إحدى عجائبه ، أنه ألّف كتاب الحيوان وهو على تلك الحال » ، يعنى السنَّ العالية ، والفالج الشديد .

وما بالنا نذهب بعيداً والجاحظ نفسه يقول[3] : « وقد صادف هذا الكتاب منى حالاتٍ تمنعُ من بلوغ الإرادة فيه : أوَّل ذلك العلّة الشديدة . . » .

وهنا مشكلةٌ تطلعُ علينا من ثنايا نصوصٍ عدّة ، فقد قالوا إنّ الجاحظ فُلج فى آخر أيامه[4] وقالوا كذلك إنّه ألّف كتابَه الحيوان باسم محمد ابن عبد الملك الزّيات[5] المتوفى سنة ٢٣٣ ، وأنّه أهداه إليه فأعطاه خمسة آلاف دينار[6] ، فهل نقول إنَّ الجاحظَ ظلَّ مفلوجاً ثنتين وعشرين سنة[7] فى الأقل ؟ ! ذلك ماتنفيه العادة ، ويحيله الكثير من الواقع فيما يرى الناس .

---

(١) ابن خلكان .
(٢) فى جمع الجواهر ١٦٥ .
(٣) الحيوان ٤ : ٢٠٨ .
(٤) الوفيات وتاريخ بغداد وشذرات الذهب ٢ : ١٢٢ .
(٥) معجم الأدباء ٦ : ٧٥ مرجليوث .
(٦) معجم الأدباء ٦ : ٧٦ مرجليوث .
(٧) هى فرق مابين وفاة ابن الزيات سنة ٢٣٣ ووفاة الجاحظ سنة ٢٥٥ فى أصح الروايات .

ولكننا نرجع إلى تاريخ علّته من المراجع التى بين أيدينا فنجد أن صاحب « سرح العيون[1] » قد عنى بذكر ذلك ، حيث قال :

« وكانت سبب علّة الجاحظ أنّه حضر مائدةَ ابن أبى دواد ، وفى الطّعام سمكٌ ولبن ، وكان ابن بَخْتِيَشُوعَ الطَّبيبُ حاضراً ، فنهاه عن الجمْع بينهما ، فقال الجاحظ : إنَّ السمكَ إن كان مضادًّا للّبن فإنّى إذا أكلتهُما دفَعَ كلٌّ منهما ضررَ الآخر . وإن كانا متساويين فكأنّى أكلتُ شيئاً واحداً ! فقال ابن بختيشوع : أنا لاأحسن الكلام ، ولكن إن شئت أن تُجَرِّب فكُلْ . فأكل فأصابه فالجٌ عظيم » .

فإذا عرفنا أنَّ أحمد بن أبى دوادٍ قد توفّى سنة ٢٤٠[2] وابتُلى بالفالج بعد موت عدوِّه ابن الزيات بسبعة وأربعين يوماً فى سنة ثلاث وثلاثين[3] . إذا عرفنا ذلك أمكننا أن نقول إنَّ مرض الجاحظ كان قبل سنة ٢٣٣ ، سنة وفاة ابن الزيات ، وأنه استمر مريضاً بالفالج أكثر من اثنتين وعشرين سنة ، وأن المعنىَّ بقولهم : « آخر أيامه » هو الشطر الأخير من حياته .

وأحبُّ أن أشير هنا إلى أنَّ الجاحظ ابتدأ فى تأليف كتاب الحيوان ، قبل أن يبدأ فى صِنوه الآخر فى الذّيع والشهرة : البيان والتبيين . وقد عثرت بنصٍّ قاطعٍ فى البيان[4] يدلّ على ذلك . قال : « كانت العادة فى كتب الحيوان أن أجعل فى كلِّ مصحف من مصاحفها عشر ورقات من

---

(١) سرح العيون ص ١٣٦ . وانظر مثل هذا النص مضطرباً فى عيون الأنباء ١ : ١٨١ .

(٢) مروج الذهب ٤ : ٩٧ وشذرات الذهب ٢ : ٩٣ .

(٣) مروج الذهب ٤ : ٩٧ .

(٤) البيان ٣ : ٣٠٢ .

مقطَّعات الأعراب ونوادر الأشعار ؛ لِمـا ذكرت من عَجَبِك بذلك . فأحببت أن يكون حظٌّ هذا الـكتاب فى ذلك أوفر، إن شاء الله تعالى » .

كما أودُّ أن أشير أيضاً إلى أنَّ الجاحظ كان يسمِّى كلَّ جزء من أجزاء الحيوان مصحفاً . وفى النسخة الشنقيطية من الحيوان نجد مكتوباً فى نهاية كل جزء : « تم المصحف . . من كتاب الحيوان ويليه المصحف . . » .

٥ - جهد الجاحظ فى تاليف الحيوان

هو يحدثنا بذلك فيقول[١] : وقد صادف هذا الـكتاب منى حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه : أوَّل ذلك : العلّة الشَّديدة . والثانية : قلّة الأعوان . والثالثة : طول الـكتاب . والرابعة : أنِّى لو تـكلَّفت كتاباً فى طوله وعدد ألفاظه ومعانيه ، ثمّ كان من كتب العرض والجوهر ، والطَّفرة والتوليد والمداخلة ، والغرائز والنّحاس[٢] لـكان أسهلَ وأقصر أيّاما وأسرعَ فراغا ؛ لأنِّى كنت لاأفزع فيه إلى تلقّط الأشعار وتتبُّع الأمثال واستخراج الآى من القرآن ، والحجج من الرواية، مع تفرُّق هذه الأمور فى الـكتب » .

بهذا شرح صاحبنا جهده فى تأليف الـكتاب، وبيَّن مابذل فى تأليفه وجمعه ، من عنَتٍ ومشقّة .

---

(١) الحيوان ٤ : ٢٠٨ وانظر ص ٢٠٩ منه أيضاً .
(٢) النحاس هنا بمعنى الطبيعة .

٦ — عدد أجزاء الكتاب

جرى بعضُ الناسخين والطابعين ، على ألاّ يتقيّدوا في النّسخ أو الطّبع بتقسيم المؤلِّف لكتابه ، وكنت خشيتُ أن يكون وقعَ هذا التّصرُّف في كتابنا هذا ، وأدركني الرَّيبُ في ذلك . ولكنِّي وجدتُ من نصوص الكتابِ مايشهد بأنّ تقسيم المطبوعةِ الأولى من الحيوان هو نفسُه تقسيم الجاحظ . ففي الجزء السابع بالصفحة التاسعة ، نجد هذا النصّ . « قد كتبنا من كتاب الحيوان ستّة أجزاء . وهذا الكتاب السابع هو الذى ذكرنا فيه الفيل بما حضرنا . . . » .

ونجد في ثنايا الكتاب نصوصاً أخر تشهد بصحة هذا التقسيم[١] .

وإنّ في مطابقة نهايات أجزاء المطبوعة الأولى ، لنهايات أجزاء المخطوطة الشنقيطية المرموز إليها برمز « سه » التي يصرِّح فيها بختام كلِّ جزء بهذه العبارة : « تمّ المصحف . . . من كتاب الحيوان ويليه المصحف . . . » — إن في ذلك لدليلا آخر على صحة التقسيم التي سنتبعه .

٧ — قيمة كتاب الحيوان

لايعرف فضلَ هذا الكتاب ، إلاّ من نظر فيه طويلا ، وتناولَ نواحِيَه بالدَّرس والتبيُّن .

وقد يُوهم اسمُه أنّه قد خصِّص بالحيوان وما يمتُّ إليه بسبب . ولكنّ

(١) الحيوان ٤ : ٥ ، ٥ : ٦ ، ٦ : ٥ — ٦ ومما يضم إلى ذلك قول ياقوت في معجم الأدباء : « كتاب الحيوان وهو سبعة أجزاء » .

الحقّ أنّ الكتاب معلمة واسعة ، وصورة ظاهرة لثقافة العصر العبّاسى ، المتشعِّبة الأطراف .

فقد حوى الكتابُ طائفةً صالحةً من المعارف الطبيعيّة[1] ، والمسائل الفلسفيَّة ، كما تحدَّث فى سياسة الأقوام والأفراد ، وكما تكلَّم فى نزاع أهل الكلام وسائر الطوائف الدينية .

تحدَّث الكتاب فى كثير من المسائل الجغرافية ، وفى خصائص كثيرٍ من البلدان ، وفى تأثير البيئة فى الحيوان والإنسان والشجر ، كما تناول الحديثَ فى الأجناس البشرية وتبايُنها ، وكما عَرَض لبعض قضايا التاريخ .

وفيه كذلك حديثٌ عن الطب والأمراض : أمراضِ الحيوان والإنسان وبيان لكثيرٍ من المفردات الطِّبِّيَّة ، نباتيّها وحيوانيّها ومعدنيّها .

تحدَّث فيه الجاحظ عن العرب والأعراب ، وأحوالهم وعادِهم ، ومزاعمهم وعلومهم ؛ كما أفاضَ القولَ فى آى الكتاب العربىّ ، وحديث الرسول العربىّ ، وكما فصَّل بعضَ مسائل الفقه والدين .

والكتاب كذلك ديوانٌ جمَعَ الصَّفوةَ المختارةَ من حُرِّ الشعر العربى ونادره . وناهيك باختيار أبى عثمان ! وإن أردت الأمثالَ فهو قد جمع لك منها القدرَ الكبير ، أو أحببت الحديث فى البيان ونقد الكلام و الشِّعر ، وجدتَ ماترتاح إليه نفسُك وتطمئن .

أمَّا فُكاهة الجاحظ فهذه قد نثُرت فى الكتاب نثرا ، وإنَّها لتطالعك بين الفَينة والأخرى ، متمثِّلةً فيما يَروى من نادرةٍ ، أو يحكى من قصَّة ،

---

(١) ولعل هذا ماحدا بالمغفور له أحمد تيمور باشا ، أن يضع نسخته الخطية فى قسم الطبيعيات من مكتبته .

وأما المجون فلا عليك أن تمر به لتظهر لك ناحية من النواحى التى غلبت على كثير من متأدبى عصر الجاحظ ، التى لم يكن فيها حَرج حينئذٍ ولا خشية .

هذه صفةٌ للكتاب مجملة ، أوجَزْتها إيجازاً ولم أُردْ تفصيلَها ، فذلك إنّما يكون فى كتاب .

على أنَّ الفهرس الذى ابتدعته وأسميته « فهرس المعارف » سوف يجلِّى للقارئ أشياءَ وأشياءَ غيرَ ماذكرت ، وبه يظهر كثيرٌ ممّا كمن فى جَنَبات ذلك الكنْزِ القيِّم .

تصحيح الكتاب

١ – قراءة الكتاب

كان أوّل عهدى بدراسة هذا الكتاب منذُ أربع سنوات مضين ، وكنت أجدُنى أمضى فى الكتاب وأتابع قراءته ، رغمَ ماكان يحفل به من خطأ وتحريف وتصحيف ، وأنه لم يكن بحال تشجّع قارئه على المتابعة ؛ ممَّا كان عليه من سوء نظام واستعجام .

وكنت أثناء قراءتى أكتب تصحيحاتٍ على جوانبه بقدر ما استطاعه جهدى ، كما عنيت بوضع عنوانات وأرقام تربط أجزاءه بعضها ببعض .

والذى يقرأ للجاحظ يرى فيه طبيعة التكرار ، وهو يحرص بذلك على تثبيت مايريد القارئ على وعيه وفهمه ، فالجاحظ معلِّم حريص على إفادة تلميذه ؛ ولكنّ تلميذه لايجلسُ بين يديه ، أو يسايرُه ليتلقَّى عنه المعرفة ، بل يؤلِّف له أستاذُه الكتابَ جامعاً ، ويدعُه يُفيد ممَّا يقرأ ويتفهّم . وللجاحظ كلام فى هذا المعنى بالجزء الأول من الحيوان[1] . ولقد نفعنى هذا التّكرار فى مقارنة النُّصوص وتصحيحها .

(١) ص ٨٥ .

٢ — البدء فى تحقيقه

وعُدْت لقراءة الحيوان فى الصّيف الماضى ، فطلب إلىّ حضرات ناشرى هذا الكتاب أن أقومَ بإعداده للطَّبع .

فبسطنى لهذا الأمر ما كنت قد أثبت من تصحيحات ، ووجدت أنَّ من الضرورى أن أنتفع بالنسخ الخطيّة والمصورة المودعة دارَ الكتب المصرية ، حتى يخرج الكتابُ للنَّاس أقربَ ما يكون إلى السَّلامة .

شرعتُ فى مقارنة النُّصوص بالنُّسخ . فهالنى الأمرُ واستعظمت التَّبِعة التى أُلقيت على عاتِقِى ؛ للتَّخالُف الشَّديدِ مابين النسخة والأخرى فى صور الألفاظ ، وفى الزيادة والنقص ، والإعجام والإهمال . وحاولت أن أنكِصَ وأرتدَّ عن الميدان الذى هابه قبلى رجلٌ ورجل .

لولا أن شدَّ من عزمى تشجيع حضرة الأخ الجليل ، فخر أهل الحديث فى مصر غيرَ مدافَع ، « الأستاذ الكبير الشيخ أحمد محمد شاكر » ، فقد قرّبَ — حفظه الله — إلىَّ الأمرَ ، واستنهضنى ، وبسط لى من عَونه الأدبىّ ، ماهوّن علىّ ، ماكنت أعدُّه فى المحال .

وإنى لأسجّل له هنا شكرًا صادقا ، واعترافاً بما أسدى وأرشد ، وما أعان وعضد . فجزاه الله خير مايجزَى به عالمٌ فاضل !

٣ — مراجع التحقيق

ولجأت بعد مقابلة النسخ إلى الانتفاع بالكتب الأخرى ، فكنت أجد بها تصحيحاتٍ عجيبةً لتحريفات عجيبة وقعت فى الكتاب . ووجدت فى البيان والتبيين تصحيحات كثيرة للشعر والنصوص ، وفى كتب ابن

قتيبة : « عيون الأخبار » و « المعارف » و « تأويل مختلف الحديث » تحقيقاتٍ جمّةً للأخبار والأعلام ، وما قيل فى الحيوان[1] . ولعل السرَّ فى ذلك أن الجاحظ كان قد أجاز ابن قتيبة برواية بعض كتبه[2] ، وأنه كان معاصراً له[3] .

ولست أغْمِط سائر الكتب ، التى أفردْتُ لها ثَبَتا ، حقَّها من الاشتراك فى إقالة عثرة هذا الكتاب الجليل .

٤ ـ تنظيم الكتاب

كان لابدَّ لى وأنا أخرج هذا الكتاب أن أعرضه على النّاس فى ثوبِ عصرهم ، وأن أخرُج به من ظلام الماضى إلى نور هذا الزَّمن . فاستقصيتُ جهدى فى أن أرتِّبه ترتيباً حديثاً لا يُخلُّ بوضعه الأوَّل ، ولا يعتدى على حقِّ مؤلِّفه . فلم أبتدعْ فيه إلا الضَّبْطَ والتَّرقيم ، بعد عرْض كلماته على المعجمات .

وثانيةً أنِّى فصلت أثناءه بعنوانات تميِّز مسائله ، وتظهرها أعلاماً لطريقه المهيع الممتدّ ، ولم أشأْ أن أجعلَها معوجّة اللهجة مسايرةً لما طرأ على لغة هذا الزَّمن من أساليب الأعاجم ، بل قرّبتَها تقريباً من لغة الجاحظ نفسه ؛ واقتبستها اقتباساً من تضاعيف كلامه ؛ ليكون بذلك التَّساوُقُ والتَّناسب . وقد ميَّزْت هذه العنوانات الإضافيَّة بأقواس خاصة ، وتركت الأصيلة منها مجرّدة من الأقواس . فهذا فصْلُ مابين هذه وتلك .

---

(١) فى عيون الأخبار : ٢ : ٦٢ – ١٠٤ كلام فى الحيوان نجد مثله فى أجزاء متفرقة من كتاب الحيوان ، وسيمر عليك ذلك فى حواشى الكتاب .

(٢) انظر عيون الأخبار ٣ : ١٩٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ حيث صرح ابن قتيبة بإجازة الجاحظ له .

(٣) ولد ابن قتيبة سنة ٢١٣ ، وتوفى سنة ٢٨٦ .

ولما كان من أسلوب تصحيح هذا الكتاب ، أن يُعارَض بعضه ببعض ، وأن يقارَنَ بين نصوصه المتشابهة — وذلك يقتضى الإشارةَ إلى صفحاتٍ من أجزاء قد تتلو الجزء الذى يطبع ، فقد رأيتُ أن أثبت على جوانب طبعتنا هذه ، أرقامَ صفحات الطبعة الأولى . كما أن لذلك مزيّةً ثانية ، هى تمكين القارئ من الانتفاع بكل الإشارات ، التى يشار بها فى الكتب المختلفة إلى مواضع خاصّة من هذا الكتاب .

٥ — أسقاط الكتاب

وقد وضعتُ أسقاطَ الكتاب بين إشارات الزيادة : [ ] ، ونبّهت فى كل منها على مصدر التكميل ، أما ماورد من هذه الإشارات مهملاً من التنبيه فهو ما كان من أجود نسخة من نسخ الكتاب : وهى مصورة «كوبريلى» المرموز إليها برمز «ل» وقد انفردت هذه النسخة بإثبات سقط كبير وقع فى جميع النسخ (١) .

٦ — النسخ المعتمدة فى هذه المطبوعة

هذه المطبوعة الحديثة من كتاب الحيوان نتاجُ مابين المطبوعة الأولى وعدة نسخ مختلفة ، بعضها مخطوط ، وبعضها مصور .

١ — فأوّل تلك النسخ ، هى المصورة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٤٢٨٥ ، وأصلها فى مكتبة كوبريلى ، وهذه النسخة جيِّدة مقروءة، وعلى صدرها تاريخ يرجع إلى سنة تسع وخمسين وثمانمائة . والموجود منها أربع

---

(١) انظر لذلك الجزء الأول من الحيوان ٩٧ — ١٠٦ .

مجلدات هى الأول والثالث والخامس والسابع . وقد رمزت إليها فى التحقيق بالرمز « ل » .

٢ — وثانيها النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٩ ش وهى نسخة كاملة فى مجلَّدين ، مكتوبة بخطوط مختلفة ، وهى فى جودتها تتلو سابقتها . وقد رمزت إليها بالرمز « ش » .

٣ - وثالثها النسخة الخطية التى تحمل رقم ٥٦، فى دار الكتب المصرية ، وتبتدئ بأول الكتاب وتنتهى بالصفحة الثمانين من الجزء الثانى من النسخة المطبوعة ، وكتب فى صدرها : « مشترى من قومسيون حصر الأملاك بالضبطية فى ٢٣ يونية سنة ٨٨٣ » وقد رمزت إليها بالرمز م .

٤ — ورابعها النسخة المخطوطة المحفوظة برقم ١٠ ش بدار الكتب المصرية . خطّها محمد جاد القماش الأشمونى سنة ألف وثلثمائة وخمسة . وهى فى بدئها وانتهائها مثل سابقتها وقد رمزت إليها برمز « ١٠ ش » .

٥ — وخامسها النسخة التيمورية ، برقم ٤٥ طبيعيات ، كتب على صدرها :

« مشترى من تركة المرحوم عبد الحميد بك دقيق مصر كان سنة ١٢٨٠ وصار فى ملك سعادتلو أفندى حسن باشا سرى يكن زاده دامت معاليه واستقامت مساعيه ، طالعه كاتبه الفقير على الليثى خادم الإمام ، وفيه مافيه فليتأمل قاريه » وفى نهايتها : « برسم كتبية العبد الحقير موسى بن جرجس ابن أبى نوفل الطرابلسى الكاتب اشتراه من الشاكر الشاعر فى سنة ١١٥٧ هجرية ، ثم انتقل بالشراء الشرعى إلى ملك حضرة الأستاذ الشيخ على الليثى » . وهذه النسخة مثل سابقها فى البدء والانتهاء . وهذه لم أرمز إليها ، بل صرحت باسمها .

٦ — والسادسة النسخة المطبوعة فى المطبعة الحميدية، ثم مطبعة التقدم من سنة ١٣٢٣ إلى سنة ١٣٢٥ . وقد قام بطبعها الوراق المعروف المرحوم « محمد ساسى » . وهى فى سبعة أجزاء . ولم يمكنى الاهتداء إلى معرفة الأصول التى طبعت عنها . ولكن يظهر مما أثبت فى أسفل صفحاتها من تعليقات أنها طبعت من عدة نسخ خطية ؛ فقد ورد فى أسفل (٢ : ٥) عبارة : « كما فى النسخ التى بأيدينا » وقد رمزت إلى هذه النسخة بالرمز « ط » .

٧ — مخطوطة مكتبة امبروزيانا رقم ١٤٠ R,F, D . وهى تحتوى على ٨٧ ورقة وبها تاريخ تمليك يرجع إلى سنة ١٠٢٤ وقد قام أوسكار لوفجرين وكارل جون لابوم بجامعة أبسالا سنة ١٩٤٦ بنشر ٢٤ صفحة ، من هذه الصفحات . ووقعت إلى نسخة من ذلك المنشور المصوّر ، وراجعت عليه مايقابله من نصوص .

٧ - تيسير الانتفاع بالكتاب

لقد عنيت جمهرة المستشرقين عناية خاصة بوضع الفهارس لما ينشرون من كتب العرب ، وابتدعوا ذلك ابتداعاً ، فلهم فضل السبق .

ولا ريب أن الفهارس للكتب العربية ، ولا سيّما القديم منها ، هى بمكان الحيا للأرض الطيبة ، به تؤتى نفعها وثمرتها ، وبخاصّةٍ فى هذا العصر ، الذى أصبح الوقت فيه نهباً مقسما بين مطالب المدنية وتعقيدات الحضارة ، فلا يبقى لراغب العلم فيه والثقافة ، إلا اليسير من زمنه ، ليفرغ فيه لما نصب نفسه له . فأصبح بذلك فى حاجةٍ ملحّة إلى مايمكّنه من تحصيل الكثير فى اليسير من الزمن ، وإلى مايذلل له الاضطلاع بالبحث الطويل الدقيق فى الوجيز من الوقت .

لذلك ولما تضمنه هذا الكتاب من غزارة خير ، ووفارة فضل ، أنشأت طائفة من الفهارس لجملة الكتاب هى كما ترى :

١ — فهرس تفصيلي لأجناس الحيوان .

٢ — فهرس لأعلام الحيوان .

٣ — فهرس لأعلام الناس .

٤ — فهرس للقبائل والطوائف ونحوها .

٥ — فهرس للبلدان والأماكن ونحوها .

٦ — فهرس للأمثال .

٧ — فهرس للشعر .

٨ — فهرس للأرجاز .

٩ — فهرس للغة .

١٠ — فهرس للكتب .

١١ — فهرس لأيام العرب .

١٢ — فهرس للمعارف العامة .

وقد أفردت لها مجلدا كبيراً ، يلحق بالكتاب فى نهايته إن شاء الله . وآثرت ذلك ابتعاداً عن التكرار والإعادة .

والفهرس الأخير منها ، وهو فهرس المعارف ، قد قسمته على أجزاء الكتاب ، فجعلت لكل جزء نصيباً منه ، كى يتمكن القارئ من متابعة الانتفاع بالكتاب إلى أن يتم نشره ، ثم أضم أطرافه فأجعل منها ، فهرساً واحداً .

وسيجد القارئ فى نهاية كل جزء ، فهارس خاصة به ، جعلتها على نمط طريف ، مقتبساً ثانيها وثالثها ورابعها ، من عنوانات الكتاب : أصيلها والإضافىّ منها .

* * *

وبعد ، فأقولها صريحةً بيّنة : أنْ ليس يوجد فى عصرنا هذا من يستطيع أن يخرجَ هذا الكتاب الذى أخرجتُه ، مبرّأً من العيب ، سليمًا من التحريف ؛ فهذا عصر قد انقطعت دونه الرواية ، وأوصد أمامه بعض أبواب العلم ، واختفى عن النّاس فيه كثيرٌ من أعلام الثقافة العربية فى عصرها الأوّل .

أقول : ليس يُوجَد الفرد ، وأقول : ليست توجد الجماعة . ولست هنا بسبيل التمثيل بفرد أو جماعة ، فذلك يعرفه من نظر فيما يُحيى الناشرون من أثر الأسلاف .

وأمّا أنا فلستُ بمكان من يدّعى العصمة ، أو يَخال السلامة ، فليس يكون ذلك إلاّ لمن ذهب عن نفسه ، وتعلق بالباطل .

ولكنّنى يعجبنى أنّى بذلتُ فيه غاية الجهد ، وأنى الْتزمتُ جانبَ الأمانة ، فلم أُسقط حرفاً ولم أزِدْ حرفاً ، إلا استأذنت القارئ ، ولا أبدلت حرفاً بآخر إلا نبّهت القارئ إلى ماصنعت .

وجعلت من دأبى فى الشرح والتحقيق أن أشير إلى المصادر دالاًّ على مواضع النصوص منها ، بذكر أرقامها ؛ ليطمئنّ القارئ ، وليكون شريكاً فى النّظر والتأمّل .

وعسى أن أكون قد أصبت فى عملى هذا بعض التوفيق ، وظهرتُ على كثير من الحقّ .

ومن الله أستمدّ العون فى هــذا العمل ، الذى أستهِمُ به فى بعث الآثار الفكرية ، الخالدة على الدهر ، وفى خدمة هـــذه اللغة الكريمة القوية .

وأدعو اللهَ جاهداً ، أن أكون أبداً فى طريق الإخلاص ، وعلى نهج الحقّ والإنصاف .

منشية البكرى

فى يوم الاثنين ١٠ من رجب سنة ١٣٥٧

عبد السلام محمد هارون



تقديم الطبعة الثانية

لم أكن أتوقع عند ظهور الطبعة الأولى أن عملى هذا سيلقى تقديرا ، فقد كنت أهونَ على نفسى فى مقام العلم وجلاله، أن يسوقنى هذا العمل إلى أن أغترّ أو أُخدَع عن قدرى كما يغترّ بعض الناس أو يُخدع . ومن نعمةالله علىّ — وله الفضل — أننى وقد علتْ بى السنُّ لاأزال ، كماكنت فى صدر الشَباب ، أسخر ممن يضعون أنفسهم فوق أقدارهم، ولا أزال أشعر فى صدقٍ بما يشعر به طالب العلم من حاجةٍ إلى الاستزادة ، ومن الرجوع إلى الحق حينما يلمع نوره ، ومن الاعتراف بالفضل لمن أفاد علماً أو علَّم حرفاً .

وقد دأبت منذ ظهور الجزء الأول من الطبعة الأولى — وذلك نحو من سبعة وعشرين عاما — أن أراجع بين الفينة والأخرى نصوص الكتاب وما يظهر من أجزائه ، وأعنى بتنقيحه وإصلاح مايبدو فيه من هنات .

وأتاحت لى فرصة إخراجى وتحقيقى لكثير من كتب التراثِ العربىّ أن تظهر فى أثناء ذلك تصحيحات وتعليقات كنت أدوّنها على جوانب نسختى ، انتظارا لليوم الذى أتمكن فيه من إعادة طبع هذه المعلمة الضخمة .

وكنت قد اعتمدت فى إخراج النشرة الأولى على ست مخطوطات بيّنت خمساً منها فى تقديم النشرة الأولى [1] ، أما السادسة فهى النسخة المحفوظة بدار الكتب

(١) ص ٣٤ — ٣٦ .

الأزهرية تحت رقم (٤٨٤ أباظة) . وقد كنت عارضت بها ابتداء من الجزء الرابع ورمزت لها بالرمز (هـ) كما أشرت إلى ذلك فى ملحقات الجزء الرابع من النشرة الأولى بالصفحة ٥٢٢ . وهى نسخة حديثة فى ثلاث مجلدات بقلم النسخ بخط محمد بن عبدالله الزمرانى سنة ١٣١١ . وقد انتفعت بما فيها من تصحيحات توافق كثيراً مما أجده فى نسخة الشنقيطى مع خلاف يسير جدا . وذلك ابتداء من الجزء الرابع إلى نهاية الكتاب . وكنت أتمنى أن أتمكن من إتمام معارضة هذه النسخة ابتداء من الجزء الأول إلى الثالث ، ولكن لم أجد ذلك فى الإمكان لصعوبة تصوير المخطوطات فى هـذه الفترة من إخراج الطبعة الثانية ، ولأنى لا أومن بأن يكل المحقق إلى غيره معارضة المخطوطات ، وكنت فيما قبلُ أنتقل بنفسى إلى مواضع المخطوطات لمعارضتها .

ومنذ ثمانى سنوات عثرت على نسخة سابعة ، هى ٢٤ صفحة مصورة عن مخطوطة من الحيوان محفوظة فى مكتبة الأمبروزيانا ، بميلانو فى إيطاليا برقم ١٤٠ R.F:D وقام بنشر هذه الصفحات مصورة كل من الأستاذين أوسكار لوفجرين وكارل جون لابوم فى نشريات جامعة أبسالا سنة ١٩٤٦ فعارضت بتلك الصفحات المصورة مايقابلها من الجزأين الأول والثانى من هذا الحيوان وكانت معارضة غير كاملة لأنى كنت أتوقع أن أتمكن من العثور على صورة المخطوطة كاملة فيما بعد . وقد ظهرت آثار تلك المعارضة فى بعض صفحات هذه النشرة من الجزء الأول[1] .

ولم أعلم بأن معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية قد اجتلب صورة تلك المخطوطة كاملة إلا بعد الفراغ من طبع هذا الجزء ، فرجعت إلى تلك

---

(١) انظر ص ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٨٧

المصورة التي وجدت أنها تشمل ٨٨ لوحا وهي مختلّة الترتيب اختلالا بيّناً، وحاولت أن أعيدها سيرتها الأولى ، وبعد لأى شديد واستعانة عريضة بالفهارس الفنية التي وضعتها لكتاب الحيوان استطعت ترتيبها والاستفادة منها استفادة كاملة في المعارضة . وقد أذن لي معهد المخطوطات في إجراء ذلك الترتيب العلمي فأصلحت وضع النسخة بعد أن بينت على كل جزء من أجزاء الألواح ما كان عليه قبل الترتيب وما صار إليه بعد الترتيب .

والمصورة كما ذكرت في ٨٨ لوحا تمثل ٨٧ ورقة من أصلها المخطوط اختلطت فيها أوراق من الجزء الأول بأوراق من الجزء الثاني، وتاريخ تمليكها سنة ١٢٠٤ وتجليدها سنة ١٠٢٥ وقد كتبت بخط قديم يرجع إلى القرن السابع الهجري ، وهي دقيقة الضبط وإن كان بها بعض التحريف والنقص، وبالصفحة ١٧ سطرا ماعدا الصفحات التي تظهر فيها بعض صور الإنسان والحيوان والنبات الذي يرد له ذكر في الكتاب ، ومنها صور بعض علاقات الجنس . وتبدو في تلك الصور جميعا سمة الفن الفارسي .

وقد أجريت معارضة لهذه النسخة فيما يخص هذا الجزء الأول وأثبتها مع دراسة وتحقيق في أواخر هذا الجزء الأول .

أما معارضة ماعثرت عليه من نصوص الجزء الثاني فقد احتل مكانه الطبيعي بين نصوص وحواشي ذلك الجزء وقد رمزت لها بالرمز « مب » .

وإليك بيانين :

أحدهما للوضع الذي كانت عليه النسخة المصورة قبل ترتيبها، وهو الترتيب القائم الآن بمخطوطة الأمبروزيانا في مكتبتها .

والآخر للوضع الصحيح الذي مكنني البحث من أن أظهره فأردَّ به النسخة إلى نصابها .

١ — الترتيب الذى عليه مخطوطة الأمبروزيانا

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
	١ — قطعة من الجزء الأول
١ ب	٢٢٢ : ٢ — ٢٢٣ : ١
٢ ا	٢٢٣ : ١ — ٢٢٤ : ٥
٢ ب	٢٢٤ : ٦ — ٢٢٥ : ١٢
٣ ا	٢٢٥ : ١٢ — ٢٢٧ : ٣
٣ ب	٢٢٧ : ٣ — ٢٢٨ : ٦
٤ ا	٢٢٨ : ٦ — ٢٢٩ : ١١
٤ ب	٢٢٩ : ١١ — ٢٣٠ : ٦
٥ ا	٢٣٠ : ٧ — ٢٣١ : ١١
٥ ب	٢٣١ : ١١ — ٢٣٢ : ١٠
٦ ا	٢٣٢ : ١٠ — ٢٣٣ : ١٧
٦ ب	٢٣٣ : ١٧ — ٢٣٥ : ٣
٧ ا	٢٣٥ : ٣ — ٢٣٦ : ٢
٧ ب	١٩٢ : ١٢ — ١٩٣ : ١٠
٨ ا	١٩٣ : ١٠ — ٢٩٤ : ١٢
٨ ب	١٩٤ : ١٢ — ١٩٥ : ٤
٩ ا	١٩٥ : ٤ — ١٩٦ : ٩
٩ ب	١٩٦ : ٩ — ١٩٧ : ٣
١٠ ا	١٩٧ : ٣ — ١٩٨ : ٦
١٠ ب	١٩٨ : ٧ — ١٩٩ : ٣
١١ ا	١٩٩ : ٤ — ٢٠٠ : ٧
١١ ب	٢٠٠ : ٧ — ٢٠١ : ٩

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
١٢ ا	٢٠١ : ٩ — ٢٠٣ : ١
١٢ ب	٢٠٣ . ١ — ٢٠٤ : ٤
١٣ ا	٢٠٤ : ٤ — ٢٠٥ : ٨
١٣ ب	٢٠٥ : ٨ — ٢٠٦ : ١٣
١٤ ا	٢٠٦ : ١٣ — ٢٠٨ : ٣
١٤ ب	٢٠٨ : ٣ — ٢٠٩ : ٧
١٥ ا	٢٠٩ : ٧ — ٢١٠ : ١٠
١٥ ب	١٨٩ : ١٦ — ١٩١ : ٧
١٦ ا	١٩١ : ٧ — ١٩٢ : ١٢
١٦ ب	١٦٧ : ٣ — ١٦٨ : ٤
١٧ ا	١٦٨ : ٤ — ١٦٩ : ٢
١٧ ب	١٦٩ : ٥ — ١٧٠ : ١١
١٨ ا	١٧٠ : ١١ — ١٧٢ : ٢
١٨ ب	١٧٢ : ٤ — ١٧٢ : ١٥
١٩ ا	١٧٢ : ١٥ — ١٧٤ : ٢
١٩ ب	١٧٤ : ٢ — ١٧٥ : ٧
٢٠ ا	١٧٥ : ٨ — ١٧٦ : ١
٢٠ ب	١٧٦ : ٢ — ١٧٧ : ٧
٢١ ا	١٧٧ : ٧ — ١٧٧ : ١٢
٢١ ب	١٧٧ : ١٣ — ١٧٩ : ٦
٢٢ ا	١٧٩ : ٦ — ١٨٠ : ١٣
٢٢ ب	١٨٠ : ١٣ — ١٨٢ : ٦

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
٢٣ ا	١٨٢ : ٧ — ١٨٣ : ٢
٢٣ ب	١٨٣ : ٣ — ١٨٤ : ٢
٢٤ ا	١٨٤ : ٢ — ١٨٤ : ١٦
٢٤ ب	١٨٤ : ١٦ — ١٨٦ : ٦
٢٥ ا	١٨٦ : ٧ — ١٨٧ : ٩
٢٥ ب	١٨٧ : ١٠ — ١٨٨ : ٨
٢٦ ا	١٨٨ : ٨ — ١٨٩ : ١٥
٢٦ ب	١٤٢ : ١٤ — ١٤٣ : ٤
٢٧ ا	١٤٣ : ٤ — ١٤٤ : ٤
٢٧ ب	١٤٤ : ٤ — ١٤٥ : ١١
٢٨ ا	١٤٥ : ١٢ — ١٤٧ : ٢
٢٨ ب	١٤٧ : ٢ — ١٤٨ : ٧
٢٩ ا	١٤٨ : ٨ — ١٤٩ : ٤
٢٩ ب	١٤٩ : ٤ — ١٤٩ : ١٢
٣٠ ا	١٤٩ : ١٢ — ١٥١ : ٢
٣٠ ب	١٥١ : ٢ — ١٥٢ : ٧
٣١ ا	١٥٢ : ٩ — ١٥٤ : ١
٣١ ب	١٥٤ : ١ — ١٥٥ : ٦
٣٢ ا	١٥٥ : ٧ — ١٥٧ : ٢
٣٢ ب	١٥٧ : ٢ — ١٥٨ : ٨
٣٣ ا	١٥٨ : ٨ — ١٥٩ : ١٦
٣٣ ب	١٥٩ : ١٦ — ١٦١ : ٤
٣٤ ا	١٦١ : ٤ — ١٦٢ : ٩
٣٤ ب	١٦٢ : ٩ — ١٦٣ : ١٦
٣٥ ا	١٦٣ : ١٦ — ١٦٤ : ١٦

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
٣٥ ب	١٦٤ : ١٧ — ١٦٥ · ١٨
٣٦ ا	١٦٥ : ١٨ — ١٦٧ : ٣
٣٦ ب	١٢١ : ٧ — ١٢٢ : ٤
٣٧ ا	١٢٢ : ٤ — ١٢٣ : ١٠
٣٧ ب	١٢٦ : ٨ — ١٢٧ : ٨
٣٨ ا	١٢٧ : ٨ — ١٢٨ : ١٠
٣٨ ب	١٢٣ : ١٠ — ١٢٥ : ٢
٣٩ ا	١٢٥ : ٢ — ١٢٦ : ٨
٣٩ ب	١٢٨ : ١٠ — ١٢٩ : ١٣
٤٠ ا	١٢٩ : ١٣ — ١٣١ : ٤
٤٠ ب	١٣١ : ٤ — ١٣٢ : ٣
٤١ ا	١٣٢ : ٣ — ١٣٣ : ٢
٤١ ب	١٣٥ : ٢ — ١٣٥ : ١٣
٤٢ ا	١٣٥ : ١٤ — ١٣٦ : ١٤
٤٢ ب	١٣٩ : ١ — ١٣٩ : ٩
٤٣ ا	١٣٩ : ١٠ — ١٤١ : ٤
٤٣ ب	١٣٦ : ١٥ — ١٣٧ : ١٩
٤٤ ا	١٣٧ : ١٩ — ١٣٨ : ١٧
٤٤ ب	١٤١ : ٣ — ١٤٢ : ٧
٤٥ ا	١٤٢ : ٧ — ١٤٢ : ١٣
٤٥ ب	٧٦ : ١٤ — ٧٧ : ١٩
٤٦ ا	٧٧ : ١٩ — ٧٩ : ٣
٤٦ ب	٨٢ : ١٠ — ٨٤ : ٦
٤٧ ا	٨٤ : ٨ — ٨٥ : ١١
٤٧ ب	٨٥ : ١٢ — ٨٧ : ٣

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
٤٨ ا	٨٧ : ٣ — ٨٨ : ٧
٤٨ ب	٩٢ : ٦ — ٩٣ : ١٠
٤٩ ا	٩٣ : ١٠ — ٩٤ : ١١
٤٩ ب	٩٤ : ١٢ — ٩٥ : ١٢
٥٠ ا	٩٥ : ١٣ — ٩٧ : ٧
٥٠ ب	٩٩ : ٣ — ١٠٠ : ٢
٥١ ا	١٠٠ : ٢ — ١٠١ : ٤

٢ — قطعة من الجزء الثانى

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
٥١ ب	١١١ : ٩ — ١١٢ : ١١
٥٢ ا	١١٣ : ٢ — ١١٤ : ١١
٥٢ ب	١١٤ : ١١ — ١١٥ : ١٦
٥٣ ا	١١٥ : ١٦ — ١١٧ : ٨
٥٣ ب	١١٧ : ٨ — ١١٩ : ٣
٥٤ ا	١١٩ : ٣ — ١٢٠ : ١٣
٥٤ ب	١٢٠ : ١٣ — ١٢٢ : ١٠
٥٥ ا	١٢٢ : ١٠ — ١٢٤ : ١٢
٥٥ ب	١٢٤ : ١٢ — ١٢٦ : ١٠
٥٦ ا	١٢٦ : ١٢ — ١٢٩ : ١
٥٦ ب	١٢٩ : ١ — ١٣٠ : ٨
٥٧ ا	١٣٠ : ٨ — ١٣٢ : ٤
٥٧ ب	١٣٢ : ٤ — ١٣٤ : ٨
٥٨ ا	١٣٤ : ٨ — ١٣٦ : ١
٥٨ ب	١٣٦ : ١ — ١٣٧ : ٦
٥٩ ا	١٣٧ : ٧ — ١٣٨ : ١٢
٥٩ ب	١٣٨ : ١٢ — ١٤٠ : ١١

رقم اللوح	ما يقابله عن الصفحات
٦٠ ا	١٤٠ : ١١ — ١٤٢ : ٧
٦٠ ب	١٤٢ : ٧ — ١٤٤ : ٥
٦١ ا	١٤٤ : ٥ — ١٤٥ : ١٠
٦١ ب	٣٥ : ٢ — ٣٧ : ٤
٦٢ ا	٣٧ : ٤ — ٣٩ : ١٠
٦٢ ب	٣٩ : ١١ — ٤٢ : ٣
٦٣ ا	٤٣ : ٢ — ٤٦ : ٤
٦٣ ب	٤٩ : ١٣ — ٥٠ : ١٢
٦٤ ا	٥٠ : ١٢ — ٥١ : ٢
٦٤ ب	٥٢ : ١٦ — ٥٣ : ٧
٦٥ ا	٥٣ : ٧ — ٥٥ : ١٠
٦٥ ب	٥٩ : ١ — ٦٢ : ١
٦٦ ا	٦٢ : ٢ — ٦٦ : ٤
٦٦ ب	٦٦ : ٥ — ٦٩ : ٤
٦٧ ا	٦٩ : ٤ — ٧١ : ١٠

٣ — قطعة من الجزء الأول

رقم اللوح	ما يقابله عن الصفحات
٦٧ ب	٤٩ : ١٤ — ٥١ : ٤
٦٨ ا	٥١ : ٤ — ٥٢ : ٦
٦٨ ب	٥٢ : ٦ — ٥٣ : ١٠
٦٩ ا	٥٣ : ١١ — ٥٥ : ٥
٦٩ ب	٥٥ : ٥ — ٥٦ : ١٠
٧٠ ا	٥٦ : ١١ — ٥٧ : ١٣
٧٠ ب	٥٧ : ١٣ — ٥٩ : ٥
٧١ ا	٥٩ : ٦ — ٦٠ : ١٤
٧١ ب	٦٠ : ١٥ — ٦٢ : ٢

رقم اللوح	مايقابله من الصفحات
٧٢ ا	٦٢ : ٢ — ٦٣ : ٥
٧٢ ب	٦٣ : ٥ — ٦٤ : ١٠
٧٣ ا	٦٤ : ١٠ — ٦٥ : ٩
٧٣ ب	٦٥ : ١٠ — ٦٦ : ١٣
٧٤ ا	٦٧ : ١ — ٦٨ : ٢
٧٤ ب	٦٨ : ٣ — ٧٠ : ٣
٧٥ ا	٧٠ : ٣ — ٧١ : ٥
٧٥ ب	٧١ : ٥ — ٧٢ : ١٣
٧٦ ا	٧٢ : ١٣ — ٧٤ : ٧
٧٦ ب	٧٤ : ٨ — ٧٥ : ١٤
٧٧ ا	٧٥ : ١٤ — ٧٦ : ١٤
٧٧ ب	٢٣ : ١٤ — ٢٥ : ٣
٧٨ ا	٢٥ : ٣ — ٢٦ : ١٣
٧٨ ب	٢٦ : ١٣ — ٢٨ : ٨
٧٩ ا	٢٨ : ٨ — ٣٠ : ١
٧٩ ب	٣٠ : ١ — ٣١ : ٧
٨٠ ا	٣٤ : ٦ — ٣٤ : ١٤

رقم اللوح	مايقابله من الصفحات
٨٠ ب	٣٥ : ١ — ٣٦ : ٧
٨١ ا	٣١ : ٧ — ٣٢ : ١٥
٨١ ب	٣٣ : ١ — ٣٤ : ٦
٨٢ ا	٣٦ : ٧ — ٣٧ : ٨
٨٢ ب	٣٧ : ١٠ — ٣٨ : ١٣
٨٣ ا	٣٨ : ١٣ — ٤٠ : ١
٨٣ ب	٤٠ : ١ — ٤١ : ٥
٨٤ ا	٤٠ : ١٥ — ٤٢ : ٨
٨٤ ب	٤٢ : ٨ — ٤٣ : ١٢
٨٥ ا	٤٣ : ١٢ — ٤٤ : ١٤
٨٥ ب	٤٤ : ١٤ — ٤٥ : ١٨
٨٦ ا	٤٥ : ١٩ — ٤٧ : ٥
٨٦ ب	٤٧ : ٥ — ٤٨ : ١٠
٨٧ ا	٤٨ : ١٠ — ٤٩ : ١٣
٨٧ ب	٢٠ : ١٤ — ٢٢ : ٨
٨٨ ا	٢٢ : ٩ — ٢٣ : ١٣

٢ — الترتيب الصحيح لنسخة الأمبروزيانا

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
الجزء الأول	
٢٠ : ١٤ — ٢٢ : ٨	٨٧ ب
٢٢ : ٩ — ٢٣ : ١٣	٨٨ ا
٢٣ ١٤ — ٢٥ : ٣	٧٧ ب
٢٥ : ٣ — ٢٦ : ١٣	٧٨ ا
٢٦ : ١٣ — ٢٨ : ٨	٧٨ ب
٢٨ : ٨ — ٣٠ : ١	٧٩ ا
٣٠ : ١ — ٣١ : ٧	٧٩ ب
٣١ : ٧ — ٣٢ : ١٥	٨١ ا
٣٣ : ١ — ٣٤ : ٦	٨١ ب
٣٤ : ٦ — ٣٤ : ١٤	٨٠ ا
٣٥ : ١ — ٣٦ : ٧	٨٠ ب
٣٦ : ٧ — ٣٧ : ٨	٨٢ ا
٣٧ : ١٠ — ٣٨ : ١٣	٨٢ ب
٣٨ : ١٣ — ٤٠ : ١	٨٣ ا
٤٠ : ١ — ٤١ : ٥(١)	٨٣ ب
٤٠ : ١٥ — ٤٢ : ٨	٨٤ ا
٤٢ : ٨ — ٤٣ : ١٢	٨٤ ب
٤٣ : ١٢ — ٤٤ : ١٤	٨٥ ا

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
٤٤ : ١٤ — ٤٥ : ١٨	٨٥ ب
٤٥ : ١٩ — ٤٧ : ٥	٨٦ ا
٤٧ : ٥ — ٤٨ : ١٠	٨٦ ب
٤٨ : ١٠ — ٤٩ : ١٣	٨٧ ا
٤٩ : ١٤ — ٥١ : ٤	٦٧ ب
٥١ : ٤ — ٥٢ : ٦	٦٨ ا
٥٢ : ٦ — ٥٣ : ١٠	٦٨ ب
٥٣ : ١١ — ٥٥ : ٥	٦٩ ا
٥٥ : ٥ — ٥٦ : ١٠	٦٩ ب
٥٦ : ١١ — ٥٧ : ١٣	٧٠ ا
٥٧ : ١٣ — ٥٩ : ٥	٧٠ ب
٥٩ : ٦ — ٦٠ : ١٤	٧١ ا
٦٠ : ١٥ — ٦٢ : ٢	٧١ ب
٦٢ : ٢ — ٦٣ : ٥	٧٢ ا
٦٣ : ٥ — ٦٤ : ١٠	٧٢ ب
٦٤ : ١٠ — ٦٥ : ٩	٧٣ ا
٦٥ : ١٠ — ٦٦ : ١٣	٧٣ ب
٦٧ : ١ — ٦٨ : ٢	٧٤ ا
٦٨ : ٣ — ٧٠ : ٣	٧٤ ب

(١) هذا نتيجة لاضطراب نصوص النسختين .

صفحات المطبوعة	رقم اللوح	صفحات المطبوعة	رقم اللوح
٧٠ : ٣ — ٧١ : ٥	٧٥ ا	١٣١ : ٤ — ١٣٢ : ٣	٤٠ ب
٧١ : ٥ — ٧٢ : ١٣	٧٥ ب	١٣٢ : ٣ — ١٣٣ : ٢	٤١ ا
٧٢ : ١٣ — ٧٤ : ٧	٧٦ ا	١٣٥ : ٢ — ١٣٥ : ١٣	٤١ ب
٧٤ : ٨ — ٧٥ : ١٤	٧٦ ب	١٣٥ : ١٤ — ١٣٦ : ١٤	٤٢ ا
٧٥ : ١٤ — ٧٦ : ١٤	٧٧ ا	١٣٦ : ١٥ — ١٣٧ : ١٩	٤٣ ب
٧٦ : ١٤ — ٧٧ : ١٩	٤٥ ب	١٣٧ : ١٩ — ١٣٨ : ١٧	٤٤ ا
٧٧ : ١٩ — ٧٩ : ٣	٤٦ ا	١٣٩ : ١ — ١٣٩ : ٩	٤٢ ب
٨٢ : ١٠ — ٨٤ : ٦	٤٦ ب	١٣٩ : ١٠ — ١٤١ : ٤	٤٣ ا
٨٤ : ٨ — ٨٥ : ١١	٤٧ ا	١٤١ : ٤ — ١٤٢ : ٧	٤٤ ب
٨٥ : ١٢ — ٨٧ : ٣	٤٧ ب	١٤٢ : ٧ — ١٤٢ : ١٣	٤٥ ا
٨٧ : ٣ — ٨٨ : ٧	٤٨ ا	١٤٢ : ١٤ — ١٤٣ : ٤	٢٦ ب
٩٢ : ٦ — ٩٣ : ١٠	٤٨ ب	١٤٣ : ٤ — ١٤٤ : ٤	٢٧ ا
٩٣ : ١٠ — ٩٤ : ١١	٤٩ ا	١٤٤ : ٤ — ١٤٥ : ١١	٢٧ ب
٩٤ : ١٢ — ٩٥ : ١٢	٤٩ ب	١٤٥ : ١٢ — ١٤٧ : ٢	٢٨ ا
٩٥ : ١٣ — ٩٧ : ٧	٥٠ ا	١٤٧ : ٢ — ١٤٨ : ٧	٢٨ ب
٩٩ : ٣ — ١٠٠ : ٢	٥٠ ب	١٤٨ : ٧ — ١٤٩ : ٤	٢٩ ا
١٠٠ : ٢ — ١٠١ : ٤	٥١ ا	١٤٩ : ٤ — ١٤٩ : ١٢	٢٩ ب
١٢١ : ٧ — ١٢٢ : ٤	٣٦ ب	١٤٩ : ١٢ — ١٥١ : ٢	٣٠ ا
١٢٢ : ٤ — ١٢٣ : ١٠	٣٧ ا	١٥١ : ٢ — ١٥٢ : ٧	٣٠ ب
١٢٣ : ١٠ — ١٢٥ : ٢	٣٨ ب	١٥٢ : ٩ — ١٥٤ : ١	٣١ ا
١٢٥ : ٢ — ١٢٦ : ٨	٣٩ ا	١٥٤ : ١ — ١٥٥ : ٦	٣١ ب
١٢٦ : ٨ — ١٢٧ : ٨	٣٧ ب	١٥٥ : ٧ — ١٥٧ : ٢	٣٢ ا
١٢٧ : ٨ — ١٢٨ : ١٠	٣٨ ا	١٥٧ : ٢ — ١٥٨ : ٧	٣٢ ب
١٢٨ : ١٠ — ١٢٩ : ١٣	٣٩ ب	١٥٨ : ٧ — ١٥٩ : ١٦	٣٣ ا
١٢٩ : ١٣ — ١٣١ : ٤	٤٠ ا	١٥٩ : ١٦ — ١٦١ : ٤	٣٣ ب

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
١٦١ : ٤ — ١٦٢ : ٩	٣٤ ا
١٦٢ : ٩ — ١٦٣ : ١٦	٣٤ ب
١٦٣ : ١٦ — ١٦٤ : ١٧	٣٥ ا
١٦٤ : ١٧ — ١٦٥ : ١٨	٣٥ ب
١٦٥ : ١٨ — ١٦٧ : ٣	٣٦ ا
١٦٧ : ٣ — ١٦٨ : ٤	١٦ ب
١٦٨ : ٤ — ١٦٩ : ٢	١٧ ا
١٦٩ : ٥ — ١٧٠ : ١١	١٧ ب
١٧٠ : ١١ — ١٧٢ : ٢	١٨ ا
١٧٢ : ٤ — ١٧٢ : ١٥	١٨ ب
١٧٢ : ١٥ — ١٧٤ : ٢	١٩ ا
١٧٤ : ٢ — ١٧٥ : ٧	١٩ ب
١٧٥ : ٨ — ١٧٦ : ١	٢٠ ا
١٧٦ : ٢ — ١٧٧ : ٧	٢٠ ب
١٧٧ : ٧ — ١٧٧ : ١٢	٢١ ا
١٧٧ : ١٣ — ١٧٩ : ٦	٢١ ب
١٧٩ : ٦ — ١٨٠ : ١٣	٢٢ ا
١٨٠ : ١٣ — ١٨٢ : ٦	٢٢ ب
١٨٢ : ٧ — ١٨٣ : ٢	٢٣ ا
١٨٣ : ٣ — ١٨٤ : ٢	٢٣ ب
١٨٤ : ٢ — ١٨٤ : ١٦	٢٤ ا
١٨٤ : ١٦ — ١٨٦ : ٦	٢٤ ب
١٨٦ : ٧ — ١٨٧ : ٩	٢٥ ا
١٨٧ : ١٠ — ١٨٨ : ٨	٢٥ ب
١٨٨ : ٨ — ١٨٩ : ١٥	٢٦ ا

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
١٨٩ : ١٦ — ١٩١ : ٧	١٥ ب
١٩١ : ٧ — ١٩٢ : ١٢	١٦ ا
١٩٢ : ١٢ — ١٩٣ : ١٠	٧ ب
١٩٣ : ١٠ — ١٩٤ : ١٢	٨ ا
١٩٤ : ١٢ — ١٩٥ : ٤	٨ ب
١٩٥ : ٤ — ١٩٦ : ٩	٩ ا
١٩٦ : ٩ — ١٩٧ : ٣	٩ ب
١٩٧ : ٣ — ١٩٨ : ٦	١٠ ا
١٩٨ : ٧ — ١٩٩ : ٣	١٠ ب
١٩٩ : ٤ — ٢٠٠ : ٧	١١ ا
٢٠٠ : ٧ — ٢٠١ : ٩	١١ ب
٢٠١ : ٩ — ٢٠٣ : ١	١٢ ا
٢٠٣ : ١ — ٢٠٤ : ٤	١٢ ب
٢٠٤ : ٤ — ٢٠٥ : ٨	١٣ ا
٢٠٥ : ٨ — ٢٠٦ : ١٣	١٣ ب
٢٠٦ : ١٣ — ٢٠٨ : ٣	١٤ ا
٢٠٨ : ٣ — ٢٠٩ : ٧	١٤ ب
٢٠٩ : ٧ — ٢١٠ : ١٠	١٥ ا
٢٢٢ : ٢ — ٢٢٣ : ١	١ ب
٢٢٣ : ١ — ٢٢٤ : ٥	٢ ا
٢٢٤ : ٦ — ٢٢٥ : ١٢	٢ ب
٢٢٥ : ١٢ — ٢٢٧ : ٢	٣ ا
٢٢٧ : ٣ — ٢٢٨ : ٦	٣ ب
٢٢٨ : ٦ — ٢٢٩ : ١١	٤ ا
٢٢٩ : ١١ — ٢٣٠ : ٦	٤ ب

صفحات المطبوعة	رقم اللوح	صفحات المطبوعة	رقم اللوح
٢٣٠ : ٧ — ٢٣١ : ١١	٥ ا	١١٣ : ٢ — ١١٤ : ١١	٥٢ ا
٢٣١ : ١١ — ٢٣٢ : ١٠	٥ ب	١١٤ ، ١١ — ١١٥ : ١٦	٥٢ ب
٢٣٢ : ١٠ — ٢٣٣ : ١٧	٦ ا	١١٥ : ١٦ — ١١٧ : ٨	٥٣ ا
٢٣٣ : ١٧ — ٢٣٥ : ٣	٦ ب	١١٧ : ٨ — ١١٩ : ٣	٥٣ ب
٢٣٥ : ٣ — ٢٣٦ : ٣	٧ ا	١١٩ : ٣ — ١٢٠ : ١٣	٥٤ ا
الجزء الثانى		١٢٠ : ١٣ — ١٢٢ : ١٠	٥٤ ب
٣٥ : ٢ — ٤٧ : ٤	٦١ ب	١٢٢ : ١٠ — ١٢٤ : ١٢	٥٥ ا
٣٧ : ٤ — ٣٩ : ١٠	٦٢ ا	١٢٤ : ١٢ — ١٢٦ : ١٠	٥٥ ب
٣٩ : ١١ — ٤٢ : ٣	٦٢ ب	١٢٦ : ١٢ — ١٢٩ : ١	٥٦ ا
٤٣ : ٢ — ٤٦ : ٤	٦٣ ا	١٢٩ : ١ — ١٣٠ : ٨	٥٦ ب
٤٩ : ١٣ — ٥٠ : ١٢	٦٣ ب	١٣٠ : ٨ — ١٣٢ : ٤	٥٧ ا
٥٠ : ١٢ — ٥١ : ٢	٦٤ ا	١٣٢ : ٤ — ١٣٤ : ٨	٥٧ ب
٥٢ : ١٦ — ٥٣ : ٧	٦٤ ب	١٨٤ : ٨ — ١٣٦ : ١	٥٨ ا
٥٣ : ٧ — ٥٥ : ١٠	٦٥ ا	١٣٦ : ١ — ١٣٧ — ٦	٥٨ ب
٥٩ : ١ — ٦٢ : ١	٦٥ ب	١٣٧ : ٧ — ١٣٨ : ١٢	٥٩ ا
٦٢ : ٢ — ٦٦ : ٤	٦٦ ا	١٣٨ : ١٢ — ١٤٠ : ١١	٥٩ ب
٦٦ : ٥ — ٦٩ : ٤	٦٦ ب	١٤٠ : ١١ — ١٤٢ : ٧	٦٠ ا
٦٩ : ٤ — ٧١ : ١٠	٦٧ ا	١٤٢ : ٧ — ١٤٤ : ٥	٦٠ ب
١١١ : ٩ — ١١٢ : ١١	٥١ ب	١٤٤ : ٥ — ١٤٥ : ١٠	٦١ ا

وقد عنيت فى هذه النشرة بإضافة تحقيقات وتعليقات وتخريجات لم تكن من قبل، كما أبدلت أرقام الإشارة إلى صفحات الحيوان بأرقام نشرتى الأولى التى حرصت فى هذه النشرة الثانية أن أحتفظ بنظامها وعددها كى لا تختل الفهارس ، بعد أن كنت أشير فى الحواشى إلى أرقام صفحات مطبوعة الساسى .

وكذلك أبدلت أرقام البيان والتبيين بأرقام نشرتى الثانية له ، وصنعت مثل ذلك فى بعض الكتب التى تعددت طبعاتها لأعيدها إلى أرقام موحدة . وحذفت الفهارس التى كنت ألحقها بكل جزء لأننى استنفدتها فيما بعد فى صنع الفهارس الفنية العامة ولم أستبق إلا فهرس الأبواب لكل جزء .

وأما بعد فإنى أحمد الله أن أمكننى من تحقيق أمنية طال عليها العهد ، وأحمده كذلك لما أعان ووفّق ، فإنه بيده الخير ، وهو على كل شىء قدير ؟

مصر الجديدة فى { ٢٠ من ربيع الثانى سنة ١٣٨٥
١٧ من أغسطس سنة ١٩٦٥ }

عبد السلام محمد هارون

مكتبة الجاحظ
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول

الحيوان

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر
والتحقيق العلمي في المسابقات الأدبية التي
نظمها المجمع اللغوي ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء الثاني

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم - خلفاء





تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الثاني

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

باب

احتجاج صاحبِ الكلب بالأشعارِ المعروفةِ والأمثالِ السَّائرة ، والأخبار الصحيحة والأحاديثِ المأثورة ، وما أوجد العِيانُ فيها ، وما استخرجَت التجاربُ منها من أصناف المنافع والمرافق ، وعن مواضع أخلاقها المحمودة وأفعالها المرادة .　٢

ونبدأ بقول العرب : إنَّ دماءَ الملوك شِفاءٌ من داء الكلَب ، ثُمَّ نذكر الأبوابَ لِمَا قدَّمنا فى صدرِ كلامنا هذا . قال بعض المُرِّيِّين[١] :

أَرَى الخلاَّنَ بعد أبى عُمَير[٢] 　 بِحُجْرٍ فى لقاْهِـمُ جَفاءُ

مِنَ البيض الوُجوهِ بنى سنان 　 لوَ انّك تَستضىء بهم أضاءوا

لهم شمسُ النَّهارِ إذا استقلَّتْ 　 ونُورٌ ما يغيِّبُه العَماءُ[٣]

بُناةُ مَكارمٍ وأُساةُ كَلْمٍ[٤] 　 دِماؤهمُ مِنَ الكلَبِ الشفاءُ

(١) هو أبو البرج القاسم بن حنبل المرى ، والشعر يقوله فى زفر بن أبى هاشم ابن مسعود بن سنان ، عامل اليمامة. (الحماسة ٢ : ٣٠٤) و (المؤتلف والمختلف ٦٢) و (معجم المرزبانى ٣٠٣) . وأبو البرج قال فيه صاحب القاموس : إنه شاعر إسلامى . والبيت الأخير مروى فى عدة أبيات منسوبة إلى أمية بن أبى الصلت فى ديوانه ص ١٧ . و « المريين » هى فى الأصل : « المزنيين » محرفة ، إذ أن « أبو البرج » من بنى سهم بن مرة .

(٢) فى ديوان الحماسة ، والمؤتلف، والمعجم: « أبى حبيب » ، وهى كنية زفر كما فى المؤتلف.

(٣) استقلت الشمس : ارتفعت ، وهى مثل استقل الطائر إذا ذهب عالياً فى الجو .
العماء : السحاب المرتفع ، وقيل الكثيف . وقال أبو زيد : هو شبه الدخان يركب رءوس الجبال .

(٤) فى الأصل : « حلم » وإنما هو « الكلم » بمعنى الجرح ، كما فى الحماسة والمؤتلف والمعجم . والأساة: جمع آس، والآسى : الذى يداوى الجرح ، أو هو الطبيب .

وقال الفرزدق :

مِنَ الدارميِّين الذين دِماؤهم شِفاءٌ من الدَّاء المجنّة والخبْلِ (١)

وقال عبدُ الله بنُ قيس الرُّقَيَّات (٢) :

عاوَدَنى النُّكسُ فاشتفَيت كما تَشفى دِماء الملُوكِ من كَلَبِ (٣)

وقال ابن عَيَّاش (٤) الكندىُّ لبنى أسَد فى قتلهم حُجْرَ بنَ عمرو :

---

(١) فى اللسان : ويقال به جنة وجنون ومجنة . وأنشد البيت ولم ينسبه . والبيت فى عيون الأخبار : ٢ : ٧٩ منسوب إلى الفرزدق ، وهو فى الأغانى ١٤ : ٧٢ منسوب إلى المتلمس . وفى مروج الذهب ٢ : ٩٥ منسوب إلى البعيث .

(٢) كان لقيس ولدان ، عبد الله وعبيد الله ، واختلفوا فى الشاعر منهما . فقال ابن قتيبة والمبرد فى « الكامل » : هوعبد الله ، وقال المرزبانى فى « معجمه » : هو عبيد الله بالتصغير . قال : ومن الرواة من يقول : الشاعر عبد الله ، وهو خطأ . وقال ابن السيد فيما كتب على الكامل : ذكر المبرد أن اسمه عبد الله بن قيس ، وكذلك قال فيه ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة . وقال غيرهم : هو عبيد الله . حكاه أبو عبيد عن الأصمعى وغيره ، ومنهم الكلبى ، وكذلك قال المصعب الزبيرى فى أنساب قريش . هذا ما كتبه البغدادى فى تحقيق الاسم . وأضيف إليه أن أبا الفرج رواه بالتصغير . وكتب له ترجمة مسهبة فى الأغانى ٤ : ١٥٤ — ١٦٦ وأما البغدادى فقد ترجم له وكتب تحقيقا مسهبا فيمن لقبه « الرقيات » أهو الشاعر أم أبوه ، كما ذكر سبب اللقب . وانظر الخزانة ٣ : ٢٦٦ — ٢٦٩ وانظر كذلك ابن قتيبة فى الشعراء ٥٢٣ — ٥٢٥ .

(٣) كذا جاء البيت ، ولم أجده فى ديوان ابن قيس الرقيات ، ورأيت بيتا آخر شبيها به ص ٨١ من الديوان :

فدلها الحب فاشتفيت كما تشفى دماء الملوك من كلبه

قال السكرى : « الهاء للكلب — يريد بكسر اللام — وإن لم يذكره » أى تشفى دماء الملوك المكلوب من كلبه .

(٤) كذا فى م . وفى ط و س : « ابن عباس » ولعله « حكيم بن عياش » الذى ترجم له ياقوت فى معجمه ١٠ : ٢٤٧ وذكر أنه كان بينه وبين الكميت ابن زيد الأسدى مفاخرة .

عبَيد العصا جئتم بقتلِ رئيسكُمْ ... تُريقون تاموراً شفاءً من الكلَبْ[١]

وقال الفرزدق : ٣

ولو تَشربُ الكَلْبى المِرَاضُ دماءنا ... شَفَتْها وذو الخَبْلِ الذى هو أَدْنَفُ[٢]

وذاك أنَّهُمْ يزعمون أنَّ دماءَ الأشرافِ والملوكِ تَشفى من عَضَّةِ الكلْبِ الكلَبِ ، وتَشفى من الجنون أيضاً ، كما قال الفرزدق :

ولو تشربُ الكَلْبَى المِرَاضُ دماءنا ... شفتها . . . .

ثم قال : « وذو الخَبْلِ الذى هو أَدْنَفُ[٢] » .

وقد قال ذلك عاصم بن القِرِّيَّةِ[٣] ، وهو جاهلىّ :

وداويتُهُ مما بِهِ من مَجَنَّةٍ ... دمَ ابنِ كُهالٍ والنِّطاسىُّ واقفُ[٤]

وقَلَّدْتُه دهراً تَميمةَ جَدِّه ... وليس لِشىءٍ كادَهُ اللهُ صارفُ[٥]

وكان أصحابنا يزعمون أنَّ قولهم دماء الملوك شفاءٌ من الكلب ، على

---

(١) عبيد العصا : لقب لزم بنى أسد ، قال ابن قتيبة : « ولما ملك حجر على بنى أسد كان يأخذ منهم شيئا معلوما ، فامتنعوا منه ، فسار إليهم فأخذ سرواتهم فقتلهم بالعصى ». كذا فى خزانة البغدادى ١ : ٣٠٠ سلفية . والميدانى فى الأمثال ١ : ٤٢٦ يروى لهذا المثل سببا طويلا ويقول : « هذا المثل يضرب للذليل الذى نفعه فى ضره ، وعزه فى إهانته » . أما الثعالبى (فى الثمار ٥٠٤) فيرى أن هذا مثل يضرب للقوم إذا استذلوا . . والتامور : دم القلب أو هو كل دم .

(٢) الكلبى : جمع كليب ، وهو المصاب بداء الكلب . وأما الكلب بكسر اللام فجمعه كلبون . والأدنف : من الدنف ، وهو المرض . وفى الأصل : « أدلف » ولم أجد له وجها . وأثبت رواية الديوان ٢ : ٥٦٣ .

(٣) كذا فى س ، م — وفى المطبوعة : « الفرية » بالفاء . . ولم أقف له على خبر .

(٤) المجنة : الجنون . وفى س : « دم ابن الكهال » .

(٥) كاده الله : أراده . ومثله قول الأفوه الأودى :

فإن تجمع أوتاد وأعمدة ... وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا

معنى أنَّ الدَّمَ الكريم هو الثأرُ المُنِيم ، وأنَّ داء الكلب[1] على معنى قول الشاعر[2] :

كَلِبٌ مِن حِسٍّ ماقد مسَّهُ ‏ ‏ وأفانين فُؤَّاد مُخْتَبَلْ[3]

وعلى معنى قوله[4] :

* كلِبٌ بِضرْبِ جَماجمٍ ورِقابِ[5] *

فإذا كلِبَ من الغيظ والغضب فأدرك ثأره فذلك هو الشفاء من الكلَب ، وليس أنَّ هناك دمًا فى الحقيقة يُشرَبُ .

ولولا قول عاصم بن القِرِّيَّة[6] : « والنِّطاسىُّ واقفُ » . لكان ذلك التأويلُ جائزاً . وقول عوف بن الأحوص[7] :

---

(١) فى ط : « الكلاب » ، وصوابه فى س ، م .

(٢) هو النابغة الجعدى ، كما فى اللسان (حمل) والمعانى الكبير ١١٣٣ .

(٣) أفانين فؤاد : أى ضروب نشاطه . ورواية اللسان : « محتمل » قال ابن منظور : « احتمل الرجل – بالبناء للمجهول – : غضب » .

(٤) فى الأصل : « قولهم » . والآتى عجز بيت لحصين بن القعقاع يرثى عتيبة بن الحارث ابن شهاب . كما مر فى الجزء الأول ص ٣١٦ ، وصدر البيت :

* يوم الحليس بذى الفقار كأنه *

(٥) فى ط : « كلب يضرب » ، وصوابه فى س .

(٦) كذا فى س ، م – وفى المطبوعة : « الفرية » بالفاء .

(٧) هو عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وقد سماه لبيد بن ربيعة « صاحب ملحوب » فى قوله :

وصاحب ملحوب فجعنا بموته ‏ ‏ وعند الرداع بيت آخر كوثر

انظر السيرة ٢٦١ جوتنجن ، ومعجم البلدان برسم (ملحوب) . ولعوف هذا خبر فى يوم شعب جبلة ، الأغانى ١٠ : ٣٣ . ويوم شعب جبلة كان قبل الإسلام بأربعين سنة ؛ وهو عام ولد النبى صلى الله عليه وسلم (العقده : ١٤١ لجنة التأليف) . وصواب إنشاد البيت الآتى « أو العنقاء » لأن قبله كما فى المفضليات ١٧٥ :

فهل لك فى بنى حجر بن عمرو ‏ ‏ فتعلمه وأجهله ولاء

ولا العنقاء ثعلبة بن عمرو   دِماءُ القَومِ للـكَلْبَى شِفاءُ

وفى الـكلَب يقول الأعشى :

أُرانِى وعَمْرًا بيننَا دُقَّ مَنْشِمٍ[1]   فلم يبق إلاَّ أنْ يُجَنَّ وأَكلَبا[2]

ألا ترى أنَّه فرَّق بينهما ، ولو كان كما قال لبيد بن ربيعة :

يَسْعَى خُزيمةُ فى قومٍ ليهلِـكهمْ   على الحمالة هل بالمرء مِن كلَبِ[3]

لـكان ذلك على تأويل ماذهبوا إليه جائزاً . وقال الآخر :

وأَمْرَ أميرى قد أَطَعتمْ فإنَّما   كَواه بَنارٍ بينَ عَينيه مُكلبُ[4]

وهذا عندى لايدخل فى الباب الأوَّل ، وقد جعلوه منه .   ٤

(من طباع الـكلب العجيبة)

قال صاحبُ الـكلب : وزعمتم أنَّه يبلغُ من فضل قوَّة طباع الدِّيك فى الإلقاح ، أنّه متى سَفِد دجاجةً وقد احتشت بَيضاً صِغاراً من نِتاج الرِّيح

(١) ط : « رق منسم » ، وصوابه فى س ، م والديوان ٩٠ . مثل قول زهير :

تداركتما عبسا وذبيان بعد ما   تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

الثعالبى فى الثمار ٢٤٦ « الأقاويل فيه كثيرة . قال ابن قتيبة : أحسن ماسمعت فيه أن منشم امرأة كانت تبيع العطر والحنوط فقيل للقوم إذا تحاربوا وتفانوا : دقوا بينهم عطر منشم » . انظر الميدانى فى الأمثال ١ : ٨٣ ، ٣٤٨ وشرح القصائد السبع الطوال ٢٦١ .

(٢) كذا فى م ، س وفى ط : « وأكلب » وهو تحريف . والبيت من قصيدة فى ديوان الأعشى ٨٨ — ٩١ مطلعها :

كفى بالذى تولينه لو تجنبا   شفاء لسقم بعد ما كان أشيبا

(٣) الحمالة : الدية يحملها قوم عن قوم . وفى ط : « الجهالة » وصوابه فى س ، م .

(٤) إنما يكوى بين عينى الـكلب إذا أصابه الكلب ، وهو داء يأخذ الجراء خاصة يصيبها منه قىء وإسهال ، فإذا كوى ذهب عنه ذلك . انظر اللسان (كذا) وهذا الجزء من الحيوان ص ٤٩ .

والتراب ، قلبها كلَّها حيواناً ولو لم يكنْ سفِدها إلاَّ مرَّةً واحدة ، وجعلتموه فى ذلك بغاية الفِحْلة ، فطباعُ الكلب أعجبُ إلقاحاً وأثقَبُ ،وأقوى وأبعد ؛ لأنَّ الكلبَ إذا عضَّ إنساناً ، فأوَّل ذلك أنْ يُحيله نبَّاحا مثلَه ، وينقلَه إلى طباعه ، فصار ينبح ، ثم يُحبِله ويُلقحه بأجراءٍ صغار يَبولُها عَلَقاً فى صُوَر الكلاب ، على بُعد مابين العُنصرينِ والطَّبعين والجنسين . والذى يتولَّد فى أرحام الدجاج ، أقرب مشاكلة إلى طباع الدِّيك . فالكلب هو[1] العجبُ العجيب ، لأنّه أحبَلَ ذكراً من خِلاف جنسه ، ولأنّه مع الإحبال والإلقاح ، أحاله نبَّاحا مثلَه . فتلك الأَدراص[2] وتلك الكلاب الصغار ، أولادٌ ونتِاج ، وإن كان لايبقى .

وقد تعلمون أنَّ أولادَ البغْلات من البغال لاتبقى ، وأن اللِّقاح قد يقع ، وإنَّما مُنع البغل من البغلة بهذه العلَّة .

(أسرة تتوارث دواء الكلب)

قال أبو اليقظان[3] وغيره : كان الأَسود بن أوس بن الحُمَّرة ، أتى النَّجاشيَّ ومعه امرأته ، وهى بنت الحارث أحد بنى عاصم بن عبيد بن

---

(١) فى الأصل : « والكلب وهو » وذلك تحريف .

(٢) الأدراص : جمع درص بفتح الدال وكسرها ، وهو ولد القنفذ والأرنب واليربوع والفأرة والهرة ونحوها .

(٣) هو عامر بن حفص ، ولقبه سحيم ، وبلقبه هذا يذكره الجاحظ فى البيان فى مواضع كثيرة . والمدائنى فى كتبه يذكره بثمانية ألقاب وأسماء . انظر الفهرست ٩٤ ليبسك و ١٣٨ مصر . قال ابن النديم : كان عالما بالأخبار والأنساب والمآثر والمثالب ، ثقة فيما يرويه ، وتوفى سنة ١٩٠ .

ثعلبة ، فقال النَّجاشيُّ : لأُعطينَّك شيئاً يَشفى من داءِ الكلب[١] . فأقبَلَ حتَّى إذا كان ببعض الطريق أتاه الموت ، فأوصى امرأتَه أن تتزوَّج ابنَه قُدامةَ ابنَ الأسود ، وأن تعلِّمه دواءَ الكَلَب ؛ ولا يَخرُجَ ذلك منهم إلى أحد ، فتزوّجته نِكاحَ مَقْت[٢] ، وعلّمته دواءَ الكَلَبِ ، فهو إلى اليوم فيهم .

فوَلدَ الأَسود قُدَامةَ ، وولد قُدامةُ المُحِلَّ ــ وأمُّه بنت الحارث ــ فكان المحِلُّ يُداوِى من الكلَب. فولد المحلّ عُقبةَ وعَمراً ؛ فداوى ابنُ المحلّ[٣] عُتَيبة[٤] بن مِردَاس ؛ وهو ابن فَسوة الشاعر[٥] فبال مثلَ أجراءِ الكلب عَلَقا ، ومِثلَ صوُر النَّمْل والأَدرَاص[٦] فقال ابن فسوْة حين برئَ :

ولولا دواءُ ابنِ المُحِلِّ وعلمُه هَرَرتُ إذا ماالنَّاس هَرَّ كلابُها

---

(١) مثل هذا الكلام عند ابن قتيبة فى العيون ٢ : ٨٠ والشعراء ٣٣٢ .

(٢) نكاح المقت : أن يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده ، وقد نص القرآن الكريم على تحريمه فى قوله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف » ، وقد سرد ابن قتيبة فى المعارف ص ٥٠ أسماء طائفة من الرجال الذين خلفوا على زوجات آبائهم، منهم كنانة بن خزيمة ، وهاشم بن عبد مناف ، وعمرو بن نفيل .

(٣) فى عيون الأخبار أنه (المحل) ، وفى الشعراء وفق ما هنا .

(٤) فى الأصل: « عيينة»، وتصحيحه من العيون والشعراء .

(٥) قال أبو الفرج : هو أحد بنى عمرو بن كعب بن عمرو بن تميم ، وهو شاعر مقل غير معدود فى الفحول ، مخضرم ممن أدرك الجاهلية والإسلام، هجاء خبيث اللسان بذىء . وكان لايزال يأتى أمراء البصرة فيمدحهم فيعطونه ويخافون لسانه . وقد روى أبو الفرج حديثاً طويلا له مع ابن عباس وهو عامل على البصرة لعلى ابن أبى طالب . وكان حليفا لجميل بن معمر ، وفيه يقول :

فلو كنت من زهران لم ينس حاجتى ولكننى مولى جميل بن معمر

وترجمته مسهبة فى الأغانى (١٩ : ١٤٢ ــ ١٤٦) .

(٦) فى الأصل : « الأضراس » ، وإنما هى « الأدراص » كما سبق فى ص ١٠ .

وأخْرَج عبدُ الله أولادَ زارعٍ(١)   مُوَلَّعَةً أكتافها وجُنُوبُها(٢)

وأولاد زارع : الكلاب .

وأمّا قوله :

ولولا دواء ابن المُحِلِّ وعلمه هررتُ . . . .

٥ فإنّما ذهبَ إلى أنَّ الذى يَعَضُّهُ الكَلْبُ الكَلِبُ ، ينبَح نُباح الكلاب ويَهِرُّ هريرها .

(أعراض الكلب)

وقال محمَّد بن حفص ، وهو أبو عبيد الله بن محمد ؛ ابن عائشة(٣) : عضَّ رجلاً [من بَلْعَنْبرِ](٤) كلبٌ كلب فأصابه داءُ الكلب ، فبال عَلَقا فى صورةِ الكلاب ؛ فقالت بنت المستَنْثر(٥) :

---

(١) فى الأصل : « وأجزع » وليس له وجه ، وصوابه فى العيون والشعراء . وفيهما كذلك : « بعد الله » موضع : « عبد الله » .

(٢) المولعة : التى بها سواد وبياض مستطيلان .

(٣) فى الأصل : « وهو أبو محمد بن محمد بن عائشة » وهو تحريف وخطأ ، صوابه فى البيان (١ : ١٠٢ ، ٢٣٩) وفى المعارف لابن قتيبة ٢٢٨ . وابن عائشة : كنية متنازعة بين الوالد وابنه ، يقال لكل منهما « ابن عائشة » . وللوالد خبر طريف فى البيان . أما ابنه فقد عده ابن قتيبة فى المحدثين أى رجال الحديث ، وقال : « توفى بالبصرة سنة ثمان وعشرين ومائتين » . ويقول فيه الجاحظ (١ : ١٠٢) « وكان كثير العلم والسماع . متصرفا فى الخبر والأثر . وكان من أجود قريش ، وكان لا يكاد يسكت ، وهو فى ذلك كثير الفوائد » . يريد أنه من الفصحاء الأبيناء الذين فى كثرة كلامهم فائدة وخير .

(٤) الزيادة من س ، م وعيون الأخبار (٢ : ٨٠) .

(٥) فى العيون : « فقالت امرأته » .

أبا لكَ أدراصاً وأولادَ زارعٍ   وتلكَ لعمْرى نُهيَة المتَعجِّبِ[(١)]

وحدَّثنى أبو الصَّهباءِ عن رجالٍ من بنى سعد ، منهم عبد الرحمن ابن شَبيب ، قالوا :

عضّ سنجيرَ الـكلبُ الـكلِب، فكان يعطَشُ ويطلُبُ الماءَ بأشدِّ الطلب، فإذا أتوه به صاح عند معاينته : لا ، لا أريد !

وهكذا يصيب صاحبَ تلك العضَّة. وذلك أنَّه يعطش عنها أشدَّ العطش ويطلب الماءَ أشدَّ الطلب ، فإذا أتوه به هرَب منه أشدَّ الهرب ، فقال دَلَم[(٢)] وهو عبدٌ لبنى سعد :

لقد جئت ياسنجير أجلو ملقة   إباؤك للشىءِ الذى أنت طالب[(٣)]

وهى أبياتٌ لم أحفظ منها إلاّ هذا البيت .

(نشرة طبِّيَّة لزياد)

وذكر مَسْلَمَة بن محارب ، وعلىُّ بن محمّد عن رجاله ، أنَّ زياداً كَتب دواءَ الكلب ، وعلَّقه على باب المسجد الأعظم[(٤)] ، ليعرفه جميع الناس .

---

(١) ط : « نهبة المتنجب » ، وفى م : « نهية المتنجب »، وصوابه من س وعيون الأخبار . والنهية بالضم : غاية الشىء وآخره كالنهاية .

(٢) اشتقاق هذا العلم من « الدلم » بالتحريك ، وهو شىء شبه الحية يكون فى الحجاز ومنه المثل ، وهو « أشد من الدلم » .

(٣) فى م : « احلو فلقة » وفى س : « احلوملقة »، وفى البيت تحريف .

(٤) هو مسجد البصرة . وكان فى أول أمره مبنيا بالقصب ، ولما ولى البصرة أبو موسى الأشعرى بناه باللبن . ولما استعمل معاوية زيادا على البصرة بنى زياد المسجد بالجص وسقفه بالساج ، وجعل له سوارى اجتلبها من الأهواز . وكانت أرض المسجد تربة فكانوا إذا فرغوا من الصلاة نفضوا أيديهم من التراب ، فلما رأى زياد ذلك قال لا آمن أن يظن الناس على طول الأيام أن نفض اليد فى الصلاة سنة . فأمر بجمع الحصى وإلقائه فى المسجد .

(ردٌّ على مازعموا من أعراض الكلب)

وأنا ، حفظك الله تعالى ، رأيتُ كلباً مرّةً فى الحَىِّ ونحنُ فى الكتّاب ، فعرَض له صبىٌّ يسمَّى مهديًّا من أولاد القصَّابين ، وهو قائم يمحو لوحَهُ فعضّ وجهه فنقع ثَنِيَّته دونَ موضع الجفن من عينه اليسرى ، فخرق اللحمَ الذى دون العظم إلى شطر خدّه ، فرمى به ملقيًّا على وجهِه وجانبِ شِدقه ؟ وترك مُقلتَه صحيحة ؛ وخرَجَ منه مِن الدَّم ما ظننتُ أنَّه لايعيش معه ، وبقى الغلامُ مبهوتاً قائماً[1] لاينبِس ، وأسكته الفزَع وبقى طائرَ القلْب ، ثمَّ خِيط ذلك الموضعُ ؛ ورأيته بعد ذلك بشهر وقد عاد إلى الكُتّاب ، وليس فى وجهه من الشَّتْر[2] إلاّ موضعُ الخيط الذى خِيط ؛ فلم ينبَحْ إلى أنْ برئَ ، ولا هرَّ ، ولا دعا بماءٍ ، حتَّى إذا رآه صاح : رُدُّوه ! ولا بال جرواً ولا عَلَقا ، ولا أصابه ممَّا يقولون قليل ولا كثير . ولم أجدْ أحداً من تلك المشايخ ؛ يشكّ أنَّهم لم يَروا كلباً قطُّ أكْلَبَ ولا أفْسَدَ طبعاً منه . فهذا الذى عاينت .

٦

وأما الذى بلغنى عن هؤلاء الثقات فهو الذى قد كتبتُه لك .

---

(١) كذا . ولعلها « غائبا » .

(٢) الشتر : القطع .

(مما قيل فى الـكلب الـكَلِب)

وفى الكلب الكلب أنشد الأعرابى :

حيَّا كُمُ اللهُ فإنِّى منقلبْ وإنَّما الشاعرُ مجنون كلبْ

* أكثرُ ما يأتى على فِيه الكَذِبْ *

إمّا أن يكون الشعر لِهِمْيان[١] وإما أن يكون للزَّفيان[٢] . وأنشدنى :

فإن كنتُم كَلْبَى فعندى شِفاؤكم وفى الجنِّ إن كانَ اعتراك جُنُونُ[٣]

وأنشدنى :

وما أدرى إذا لاقَيتُ عَمْرًا أكَلْبَى آلُ عمرٍو أمْ صِحاحُ

قال : فأمّا المُكْلب الذى يصيب كلابَه داءٌ فى رُءُوسها يسمَّى الجُحَام[٤] فتُكْوى بينَ أعينها .

(مسألة كلامية)

وسنذكر مسألة كلاميَّة ، وإنَّما نذكرها لكثْرةِ من يعترض فى هذا مِّمن ليس له علم بالكلام .

ولو كان أعلمُ الناس باللغة ، لم ينفعْك فى باب الدين حتَّى يكون عالماً بالكلام .

وقد اعترض معترضون فى قوله عزّ وجلَّ : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى

---

(١) هو هميان بن قحافة ، راجز محسن إسلامى ، وكان فى الدولة الأموية . المؤتلف والمختلف للآمدى ١٩٧ .

(٢) ط : «للرقيات » وهو تصحيف ، صوابه فى س . والزفيان شاعر إسلامى ، واسمه عطاء ابن أسيد، وله ترجمة فى المؤتلف والمختلف ١٣٣ وفى معجم المرزبانى ٢٩٨ .

(٣) البيت لجرير فى ديوانه ٥٨٩ والخزانة ٢ : ٣٩٥ بولاق.

(٤) الجحام كغراب : داء يصيب الإنسان فى عينه فترم ، وقيل داء يصيب الكلب ، وقيل يصيب الكلب فى رأسه . وفى الأصل : « الحجام » بتقديم الحاء . وهو تصحيف .

آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ فزعموا أنَّ هذا المثَلَ لايجوزُ أن يُضرَب لهذا المذكور فى صدر هذا الكلام ، لأنه قال : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ . فما يُشبَّه حالُ من أُعطِىَ شيئاً فلم يقبله ــ ولم يذكر غير ذلك[1] ــ بالكلب الذى إن حملتَ عليه نَبَح وولّى ذاهباً ، وإن تركته شدَّ عليك ونبح . مع أنَّ قوله : يلهث ، لم يقع فى موضعه ، وإنما يلهث الكلب من عَطشٍ شديد وحرٍّ شديد ، ومن تعب ؛ وأما النُّباح والصِّياح فمن شىء آخر .

قلنا له : إن قال ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ فقد يستقيم أن يكون الرادّ[2] لايسمَّى مكذِّبا ، ولا يقال لهم كذَّبوا إلاّ وقد كان ذلك منهم مِراراً ، فإن لم يكن ذلك فليس ببعيد أن يشبَّه الذى أوتِىَ الآياتِ والأعاجيبَ والبرهاناتِ والكرامات ، فى بدء حرصه عليها وطلبه لها ، بالكلب فى حرصه وطلبه ؛ فإنَّ الكلبَ يُعطى الجِدَّ والجُهْد من نفسه فى كلِّ حالةٍ من الحالات . وشبَّه رفضه وقذفه لها من يديه ، وردَّه لها ، بعد الحرص عليها وفرط الرغبة فيها ، بالكلب إذا رجع ينبح بعد

٧

---

(١) م : « ولم نذكر غير ذلك » وليس بشىء ، والمعنى أنه لم يذكر من حال المشبه فى الآية غير صورة عرض الآيات عليهم وعدم قبولهم إياها .

(٢) فى ط : « المراد » ، وصوابه فى س ، م .

إطْرادك له . وواجبٌ أن يكون رفض قبول الأشياء الخطيرة النفيسة فى وزن طلبها والحرصِ عليها .

والكلبُ إذا أتعب نفسه فى شدّة النُّباح مقبلاً إليك ومدبراً عنك ، لهِث واعتراه ما يعتريه عند التَّعب والعطش .

وعلى أنَّنا ما نرى بأبصارنا إلى كلابنا وهى رابضةٌ وادعة ؛ إلّا وهى تلهث ؛ من غير أن تكون هناك إلّا حرارةُ أجوافها ، والذى طُبعت عليه من شأنها ، إلّا أنّ لَهْثَ الكلبِ يختلف بالشدَّة واللِّين !

(كرم الكلاب)

وقال صاحب الكلب : ليس الدِّيكُ من الكلب فى شىء ، فمن الكلاب ذواتُ الأسماءِ المعروفةِ والألقابِ المشهورةِ . ولكرامها وجوارحِها وكواسبها ، وأحرارِها وعِتاقِها ، أنسابٌ قائمةٌ ، ودواوينُ مخلّدة ، وأعراقٌ محفوظة ، ومواليد مُحْصاة ، مثل كلب جذعان[1] ، وهو السَّلْهبُ بن البراق ابن يحيى بن وثّاب بن مظفَّر بن مُحارِش .

(شعر فيه ذكرٌ لبعض أسماء الكلاب)

وقد ذكر العرب أسماءها وأنسابها .

قال مزرِّد بن ضرار :

---

(١) لعله : « جدعان » .

فعَدِّ قَريضَ الشِّعر إن كنت مُغْزِراً ... فإن غزير الشعر ما شاء قائل (١)

لنعت صُبَاحىٍّ طويلٍ شقاؤه ... له رَقَمِيَّاتٌ وصَفْــراءُ ذابل (٢)

بَقِينَ لَه مما يبرِّى وأكلبٍ ... تَقَلْقَلُ فى أعناقهنَّ السَّلاسلُ (٣)

سُخَامٌ، ومِقْلاء القَنِيصِ، وسلْهبٌ ... وجدْلاءُ، والسِّرْحان، والمتناولُ (٤)

بنات سلُوقِيَّينِ كانا حياتَه ... فماتا فأودى شخصُه فهو خاملُ (٥)

وأيقن إذْ ماتا بجُوع وخَلَّــةٍ ... وقال لَهُ الشَّيطانُ: إنَّك عائلُ (٦)

فطوّفَ فى أصحابه يستثيبهمْ ... فآب وقد أكْدَتْ عليه المسائلُ (٧)

إلى صبيةٍ مثل المغَالى وخِرملٍ ... رَوَادٍ، ومن شرِّ النساءِ الخراملُ (٨)

فقال لها: هَلْ من طعامٍ فإنَّنى ... أذمُّ إليكِ الناسَ، أمُّكِ هابلُ (٩)

---

(١) أغزر الشيء: جعله غزيرا. وفى ط: «معذرا».

(٢) الصباحى: رجل من بنى صباح كان ضيفاً له. وفى ط، م: «ضباحى». والرقميات: سهام منسوبة إلى «الرقم» بالتحريك: موضع بالمدينة. «وصفراء ذابل»: قوس قطع عودها وطرحت فى الشمس حتىّ ذهب ماؤها.

(٣) تقلقل: تتقلقل. وأراد بالسلاسل القلائد. «بقين» هى فى الأصل: «يقين» وتصحيحها من المفضليات بشرح ابن الأنبارى ١٨٠.

(٤) ط: «ومقلا والقنيص» وتصحيحه من القاموس و س، م — وفى ط: «وجذلان» وصوابه من س والقاموس.

(٥) فى الأصــل: «فات فأودى». الخ، والوجــه ماأثبت من المفضليات بشرح ابن الأنبارى. قال: كانا حياته: أى كانا يصيدان له فى حياته. وأرى أنه عنى أنهما سبب حياته ومصدر رزقه.

(٦) الخلة: الفقر والحاجة. والعائل: الفقير.

(٧) يستثيبهم: يطلب ثوابهم ومعروفهم. وأكدى: طلب فلم يجد.

(٨) قال ابن الأنبارى: المغالى: سهام يغلى بها فى الهواء لانصال لها. يريد أن صبيانه فى ضعفهم وسوء حالهم ونحولهم مثل هذه السهام. أما الخرمل فهى العجوز المتهدمة. والرواد: الحمقاء الهوجاء، من قولهم: ريح رواد: هوجاء تجئ وتذهب.

(٩) هبلته أمه: ثكلته وفقدته.

فقالتْ : نَعمْ ، هذا الطَّوِىُّ وماؤه ومُحْتَرَقٌ من حائل الجلد قاحِلُ[١] ٨
فلما تناهَتْ نفسُه مِن طعامِه وأمسى طَليحاً ما يُعانيه باطِلُ[٢]
تَغشَّى ، يريدُ النَّوْم ، فضْل ردائِهِ فأعيا على العينِ الرُّقاد البلابلُ[٣]

ففكَّرْ فى هذا الشعر ، وقِفْ[٤] على فصوله ، حتّى تعرِف غَناء الكلاب عندهم[٥] ، وكسبَها عليهم ، وموقعها منهم .

وقال لبيدٌ فى ذِكرها وذكَر أسماءَها :

لتذودهنَّ وأيقَنَتْ إن لم تَذُدْ أَنْ قد أَحمَّ مِنَ الحتوفِ حِمامُها[٦]
فتقصَّدتْ منها كَسَابِ وضُرِّجتْ بدمٍ وغُودِرَ فى المَكَرِّ سخامها[٧]

---

(١) الطوى : البئر . ومحترق : بال عتيق ، يعنى السقاء . والحائل : المتغير ، أو الذى أتى عليه الحول . وفى ط : « خائل » وليس بشىء .

(٢) تناهت نفسه من طعامه : قطع أمله منه ، إذ لم يجد إلا الماء . والطليح : المهزول المجهد . مايعانيه باطل : يقول كأن سعيه عبث عابث .

(٣) تغشى رداءه : تغطى به .

(٤) فى الأصل : « ووقف » .

(٥) ط : « عنهم » وهو تحريف صوابه فى س ، م .

(٦) لتذودهن : لتدفعهن . وفى ط : « لتزودهن » وصوابه فى س، م ، وشرح القصائد العشر للتبريزى ص ١٥٢ ، قال التبريزى : حان حمامها وحتفها من بين الحتوف .

(٧) تقصدته : قصدته أو قتلته . من قولهم : رماه فأقصده أى قتله مكانه . وكساب : اسم كلبة ، وهذا الاسم يصح فيه البناء على الكسر ، والإعراب مع منع الصرف ، وهو مذهب سيبويه كما نقل التبريزى . وأما سخام فاسم كلب ، والهاء فى سخامها راجعة إلى الكلاب فى بيت قبل السابق ، وهو :

حتى إذا يئس الرماة وأرسلوا غضفا دواجن قافلا أعصمها

وسخامها هى فى ط ، م : « سجامها » وفى س : « سحامها » وصوابهما فى القاموس وشرح القصائد .

(عادة الشعراء حين يذكرون الكلاب والبقر فى الشعر)

ومن عادة الشعراء إذا كان الشعرُ مَرثِيَةً أو موعظةً ، أن تكون الكلابُ التى تقتلُ بقرَ الوحش . وإذا كان الشعرُ مديحاً ، وقال كأنّ[1] ناقتى بقرة من صفتها كذا ، أن تكون الكلابُ هى المقتولة ، ليس على أنّ ذلك حكايةٌ عن قصَّةٍ بعينها ، ولكنّ الثِّيرانَ ربّما جرحت الكلاب وربّما قتلتْها ، وأمّا فى أكثر ذلك فإنّها تكون هى المصابةَ ، والكلاب هى السالمةَ والظافرة ، وصاحبها الغانم .

(شعر آخر فيه ذكر لبعض أسماء الكلاب)

وقال لبيدٌ فى هذا القول الثانى غير القولِ الأوّل ، وذلك على معنى ما فسَّرتُ لك ، فقال فى ذلك وذكر أسماءها :

فأصبحَ وانشقّ الضِّبابُ وَهَاجه ... أخُو قفرةٍ يُشْلى رِكاحاً وسائلا[2]

---

(١) فى ط : « كانت » ، وصوابه فى س ، م .

(٢) ينعت لبيد فى هذا الشعر ثوراً . انشق الضباب : تبدد . وأخو القفرة : عنى به الصائد ، وأشلى الكلب : دعاه ، قالوا : ومما يغلط فيه الناس تأويل أشلى بمعنى أغرى ، نص على ذلك ابن قتيبة فى أدب الكاتب ص ٣٦ ، واستشهد بقول الراجز :

* أشليت عنزى ومسحت قعبى *

يريد أنه دعا عنزه ليحلبها . فأما إغراء الكلب بالصيد فهو الإيساد ، تقول : آسدته وأوسدته : إذا أغريته ، لكن فى اللسان بحثاً طويلا فى تصحيح هذه الكلمة ، يجيز أن يكون أشلى بمعنى أغرى الكلب بالصيد ، مع تخريج واستشهاد ، فانظر . وهى فى الأصل : « يسلى » وتصحيحه من الديوان ص ٢٠ . و « ركاح » بوزن كتاب ، وهى فى الأصل : « وكاحا » وصوابه فى الديوان والقاموس .

عوابس كالنُّشَّاب تَدمَى نحورُها[١]   يرَيْنَ دِمَاءَ الهاديات نوافلا[٢]

ومن أسمائها قولهم : « على أهلها جنَتْ بَرَاقش » .

ومن أسمائها قول الآخر[٣] : ضَبَّار :

سفَرتْ فقلت لها هَجٍ فتبرقَعَتْ   فذكَرْتُ حينَ تبرقَعتْ ضَبَّارا[٤]

وقال الكُميت الأسدىّ :

فباتَ وباتتْ عليه السَّما   ءُ من كلِّ حَابيَةٍ تَهْطُلُ[٥]

مُكِبًّا كما اجتنح الهالكىّ   على النَّصْل إذ طُبع المُنْصُلُ[٦]

ثم ذكر أسماءَ الكلاب فقال :

وفى ضِبْن حِقفٍ يرى حِقْفَه[٧]   خَطَافِ وسَرْحَةُ والأحْدلُ[٨]

---

(١) شبهها بالنشاب ، وهى السهام ، لصدق إصابتها وسرعتها . وفى الأصل : « عرائس كالنشاب ترى نحورها » ، وهو تحريف ظاهر ، صوابه فى الديوان .

(٢) الهاديات : أوائل الوحش . والنوافل : الغنائم . و « يرين » هى فى ط ، س « برى » وصوابها فى الديوان ، م .

(٣) هو الحارث بن الخزرج الخفاجى ، كما فى تاج العروس . وانظر الجزء الأول ص ٢٥٩ .

(٤) هج : زجر للكلب ، يقال : هج هج بتسكين الجيم ، وبكسرها مع التنوين ، وهجاهجا بترك التنوين . وبعد هذا البيت :

وتزينت لتروعنى بجمالها   فكأنما كسى الحمار خمارا

فخرجت أعثر فى قوادم جبتى   لولا الحياء أطرتها إحضارا

(٥) الحبو : امتلاء السحاب بالماء . حبا يحبو : امتلأ . ويقال حبا يحبو : إذا دنا وقرب . وفى ط ، س : « جانبة » ، وفى م : « جانية » والصواب ماأثبت .

(٦) الهالكى : الحداد ، قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب ص ٥٤ : « لأن أول من عمل الحديد الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة ، ولذلك قيل لبنى أسد القيون » .

(٧) الضبن ، بالكسر : الناحية . وفى الأصل : « ضين حقف تراجعنه » ، صوابه فى ٧ : ٢٠١ .

(٨) فى الأصل : « والأجذل » وتصحيحه من القاموس .

٩ وأربعــةٌ كقِداحِ السَّرَا ءِ لا عانياتٌ ولا عُبَّلُ(١)

وقال الآخر :

بتْنا وباتَ جليدُ اللَّيلِ يَضرِبُنا بينَ البُيوتِ قِرَانًا نَبْح دِرواسِ(٢)
إذا مَــلاَ بطنَه ألبانُها حَلَباً باتَتْ تغنِّيه وضْرَى ذاتُ إجراسِ(٣)

ودِرواس : اسم كلب . والوضرى : استه . وغناؤها : الضُّراط .

وقال ضابئُ بنُ الحارث فى ذلك :

فترمَّلَتْ بدمٍ قَدَامِ وَقَدْ أوَفَى اللَّحاقُ وحانَ مصرَعه(٤)

وقال الآخر(٥) :

ولو هيَّا له اللهُ مِن التوفيقِ أسبابا
لسمَّى نفسَــه عَمراً وسمَّى الـكلبَ وثَّابا

ومثل هذا كثير .

---

(١) القدح بالكسر : السهم قبل أن يراش وينصل . والسراء : ضرب من الشجر تتخذ منه القسى والسهام . قال زهير :

ثلاث كأقواس السراء ومسحل قد اخضر من لس الغمير جحافله

و « السراء » هى فى الأصل « السواء » بالواو ، محرفة .

(٢) فى اللسان (ندل) : « عند الندول » ، وهى المرأة الوسخة .

(٣) الإجراس : التصويت . وفى ط ، م : « ملا بطنها » وتصحيحه من س .

(٤) ترملت : تلطخت . و « قدام » : اسم كلبة ، وهى فى الأصل « فراح » محرفة وتصحيحها من اللسان (قدم) . والكلام هنا فى تعداد أسماء الكلاب .

(٥) هو أبو محجن كما فى محاضرات الراغب (٢ : ٢٩٥) قاله فى رجل يسمى وثابا ويسمى كلبه عمراً . والشعر سيعيده الجاحظ فى ص ١٩٤ من هذا الجزء . وقد ذكر الراغب الشعر أيضــاً فى ٢ : ١٥٣ منسوبا إلى ابن أبى عتيق ، فهما روايتان فى النسبة .

(أحرص الكلاب)

والكلبُ أشدُّ ما يكونُ حِرصاً إذا كان خطْمُه يمسُّ عجْبَ ذَنب الظَّبي والأرنب والثَّور وغير ذلك ، مما هو من صيده . ولذلك قال الشاعر (١) :

رُبَّما أغدُو مَعى كلبى طالباً للصّيدِ فى صحبى (٢)
فسمَونا للقَنيص معاً فدفَعناه إلى أظْبِ (٣)
فاستدرَّتْه فدرّ لها يَلْطُمُ الرُّفْغينِ بالتُّربِ (٤)
فادَّرَاها وهى لاهيةٌ فى جميم الحاجِ والغَرْبِ (٥)
ففرَى جُمَّاعهنَّ كما قُدَّ مخلولان من عَصْبِ (٦)

---

(١) هو أبو نواس . والقصيدة فى ديوانه (ص ٢١٢) .

(٢) فى الأصل : « صحب » ، والأشبه ماأثبت من الديوان .

(٣) السامى : هو الصائد ، أو الصائد الذى يلبس جوربى شعر ، ويعدو خلف الصيد نصف النهار ، ليقيه الجوربان حر الرمضاء ، فذلك معنى « سمونا » . وفى ط : « شمرنا » وفى س ، م : « سمرنا » والوجه ماأثبت من الديوان ، والرواية فيه « فسمونا للحزيز به » . والحزيز : ماغلظ من الأرض . . والأظبى : جمع ظبى .

(٤) « فاستدرته فدر لها » أى استدرت جريه هو بشدة عدوها فهو يتبعها شدا ليلحق بها ، وهو يضرب رفغيه ، أى إبطيه، بالأرض ، يريد كأنه يسبح فى الأرض من شدة عدوه .

(٥) ادراها : ختلها ومكر بها . والجميم : الكثير المتكاثف . والحاج : شجر . انظر اللسان (حيج) وتأويل مختلف الحديث ١٧٣ . والغرب : شجرة حجازية ضخمة شاكة ، قيل : ومنه « لايزال أهل الغرب ظاهرين على الحق » وقد جاء البيت مصحفاً كما يأتى – وأثبت صوابه من الديوان – :

فادرا وهى لاهية فى حمير الحاج والقرب

(٦) فرى جماعهن : شق جمعهن وفرقه وجعلهن كثوبين يمنيين مشقوقين قطعهما قاطع .

ثم قال[١] :

غـير يَعفورٍ أُهِلّ به جاف دَفَّيهِ عن القَلْبِ[٢]
ضمّ لَحْيَيــهِ بمَـخْطِمِهِ ضَمَّك الـكَسرَيْنِ بالشعْبِ[٣]
وانتحى للباقياتِ كما كَسرَتْ شَغْوَاءُ من لِهْبِ[٤]
فتعايا التَّيسُ حين كبا ودنا فُوهُ من العَجْبِ[٥]
ظــلّ بالوعساء ينفُضــه آرِماً منــه على الصُّلْبِ[٦]
تلكَ لَذّاتِي وكنتُ فتًى لم أقُلْ من لذّةٍ حسْبِي

(الإهلال والاستهلال)

وأما قوله : « غير يعفور أُهِلَّ به » ، فالإهلال الذى ذكر هو شئٌ
١٠ يعتريه فى ذلك ، يخرُج من جوفه صوتٌ شبيه بالعُواءِ [الخفيف][٧] ، وهو

---

(١) الشعر متصل فى الديوان ، فالبيت الآتى لايفصل بينه وبين السابق شعر .
(٢) اليعفور : الظبى ، أو ولده . والدفان : الجنبان . وجاف : بلغ بالطعنة الجوف . وفى الديوان : « جاب » ، وهى رواية اللسان (مادة هلل) .
(٣) الشعب : إصلاح المكسور ونحوه .
(٤) الشغواء : العقاب ، وفى الديوان : « فتخاء » وهما بمعنى . وفى ط : « شفواء » وهو تصحيف « شغواء ». وكسرت : ضمت جناحيها للهبوط . واللهب : مهواة مابين كل جبلين .
(٥) التيس : عنى به هنا الذكر من الظباء . وكبا : سقط لوجهه . والعجب : أصل الذنب .
(٦) الوعساء : رابية من رمل لينة . ينفضه : يحركه ، وفى الديوان « ينغضه » . و « آرما » من أرم عليه : عض . وفى الديوان : « آزما » وهما بمعنى .
(٧) الزيادة من اللسان .

ما بين العُواءِ والأنين ، وذلك من حاقِّ الحرصِ [١] ، وشدَّة الطلب ، وخَوف الفوات . ويقال : أهلّت السماءُ ، إذا صبَّت ، واستهلت : إذا ارتفع صوت وقْعِها ؛ ومنه الإهلالُ بالحج . وقال ابن أحمر [٢] :

يُهِلُّ بالفرقد رُكبانُها كما يُهِلُّ الراكبُ المعتمِرْ [٣]

ومنه استهلال الصبي . ولذلك قال الأعرابيُّ : أرأيتَ من لا شربَ ولا أكَلَ [٤] ولا صاح واستهل ، أليس ذلك يُطَلّ [٥] ؟ !

---

(١) فى الأصل : « من خلق الحرص » ، وما أثبت هو الوجه وهو الأشبه بلغة الجاحظ ، ولهذه العبارة شبيه فى نهاية ص ٥٥ . وحاق الحرص : شدته وقوته . ثم وجدت صاحب اللسان قد نقل تفسير الجاحظ للإهلال من أوله إلى كلمة « الفوات » ولم يصرح بنسبة القول إلى الجاحظ . وفى اللسان : « حاق الحرص » كما أثبت .

(٢) فى اللسان (مادة هلل) : « وقال الراجز » ؟ ! وليس الكلام رجزاً وإنما هو شعر ، فما هنا صوابه ، وقد جاء البيت فى (مادة عمر) منسوبا إلى ابن أحمر .

(٣) قال ابن منظور : « فيه قولان : قال الأصمعى : إذا انجلى لهم السحاب عن الفرقد أهلوا أى رفعوا أصواتهم بالتكبير كما يهل الراكب الذى يريد عمرة الحج ؛ لأنهم كانوا يهتدون بالفرقد . وقال غيره : يريد أنهم فى مفازة بعيدة من المياه فإذا رأوا فرقداً – وهو ولد البقرة الوحشية – أهلوا أى كبروا لأنهم قد علموا أنهم قد قربوا من الماء » اه . وانظر اللسان (ركب) . والفرقد فى القول الأول هو الفرقدان : نجمان فى السماء لايغربان ، وقيل كوكبان قريبان من القطب ، وقيل كوكبان فى بنات نعش الصغرى . قال ابن منظور : « وقد قالوا فيهما الفراقد . . . وربما قالت لهما العرب الفرقد » .

(٤) فى الأصل : « من لا أكل ولا شرب » وبذلك يفوت السجع . وكلام الأعرابى هذا سجع ، وقد ذكره الجاحظ فى باب السجع من البيان ١ : ٢٨٧ . والأعرابى قال هذا القول عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قضى فى الجنين إذا سقط ميتا بغرة – الغرة : عبد ، أو أمة – وقد قال له الرسول الكريم بعد أن سمع كلامه : « أسجعا كسجع الجاهلية » .

(٥) فى الأصل : « بطل » . وإنما هو « يطل » أى يذهب دمه هدراً ، كما فى البيان ١ : ٢٨٧ واللسان ونهاية ابن الأثير .

(تخريق الكلب أذنيه)

وإذا ضَبَع الكلبُ ، وهو أن يمدَّ ضَبْعَه كلَّه ، ولا يكون كالحمار الضيِّق الإبطيْنِ — والكلبُ فى افتراش ذراعيه وبَسْط رجليه حتَّى يصيب قَصُّه الأرضَ ، أكثر من الفرس — وعند ذلك ما يَنْشِط أذنيه حتَّى يُدمِيَهما . ولذلك قال الحسنُ بن هانئ ، وقد طال سانعتَ بهما[1] :

فانصاعَ كالكوكَب فى انحداره لَفْتَ المشير مُوهِناً بناره[2]
شَدًّا إذا أحْصَفَ فى إحضاره[3] خرّقَ أذنيه شَبَا أظفارِه

وأوّل هذه الأرجوزة :

لما غَدَا الثَّعلبُ من وِجارِه يَلتَمِس الكَسْبَ على صغارِه

---

(١) كذا .

(٢) الموهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه . قال الزبيدى فى تاج العروس « والموهن كمحسن » وقد ضبط بفتح الميم ضبطا بالقلم لا بالنص فى نسخ القاموس واللسان وأساس البلاغة . و « بناره » هى فى الأصل : « بشاره » وصوابه فى الديوان ٢١٢ ونهاية الأرب ٩ : ٢٦٣ والصناعتين ٧٩ ، وديوان المعانى ٢ : ١٣٣ .
ولأبى نواس من طردية أخرى فى صفة حمام يعمور البصرى (الديوان ٢٣٣) :
* أو لفت نار بيد المشير *

(٣) الإحضار : شدة العدو . وأحصف : اشتد وأسرع . وهى فى ط : « أخصف » وهما بمعنى عند الليث ، وأبو منصور الأزهرى يرى « أخصف » بالخاء من تصحيف الليث . وهى بالحاء فى س ، م ، وبالخاء فى نهاية الأرب والديوان . والرواية فيه : « حتى إذا أخصف » .

(معرفة أبى نواس بالكلاب ، وجودة شعره)

وأنا كتبتُ لك رجَزَه فى هذا الباب ، لأنَّه كان عالماً راوية ، وكان قد لعب بالكلاب زماناً ، وعرَفَ منها ما لا تعرفه الأعراب . وذلك موجود فى شعره ، وصفاتُ الكلاب مُستَقصاة فى أراجيزه. هذا مع جودة الطبع وجودة السبك ، والحذق بالصنعة . وإن تأمَّلتَ شِعرَه فضَّلتَهُ ، إلاَّ أن تعترِض عليك فيه العصبيّة ، أو ترى أَنّ أهلَ البدْو أبداً أشعرُ ، وأنّ المولَّدين لا يقاربونهم فى شىء . فإن اعتَرض هذا البابُ عليك فإنّك لا تُبصِر الحقَّ من الباطل ، ما دمتَ مغلوباً .

(طرديَّة لأبى نواس)

قال الحسن بن هانئ :

لما غدا الثعلبُ من وِجارِه يلتَمِس الكسبَ على صغاره

عارضَهُ فى سَنَن امتياره[1] مضمَّرٌ يَمُوجُ فى صِداره[2]

---

(١) امتياره : طلبه للميرة ، أى الطعام . والسنن بالتحريك : الطريق. وفى ط : « شتن » وفى س : « ستن » .

(٢) فى الأصل : « سداره » وإنما هى « صداره » ، ويعنى بالصدار هنا : جلده الواسع . وسعة الجلد محمودة فى الكلاب كما فى ديوان المعانى ٢ : ١٣٣ . ورواية « شواره » كما فى الديوان ، صحيحة جيدة . والشوار : اللباس ، عنى به أيضاً الجلد . و « يموج » هى فى الأصل : « يملح » وفى الديوان : « يمرح » . وقال أبو نواس فى طردية أخرى (الديوان ٢١٧) :

* بأغضف يموج فى شواره *

فى حَلَقِ الصُّفْر وفى أسيارِه منضمَّةٌ قُصْرَاهُ من إضماره[١]

١١ قد نَحَتَ التسهيمُ من أقطاره[٢] من بعد ما كان إلى أَصْبَاره[٣]

غَضًّا غَذَتْهُ الُخورُ من عِشَارِه[٤] أيَّام لا يُحجَب عن أظآره

وهو طَلاً لم يَدْنُ من إشغاره[٥] فى مَنْزِلٍ يُحجَبُ عن زُوَّاره

يُساسُ فيــه طَرَفَىْ نهارِه حتَّى إذا أَحْمَـدَ فى اختِبَاره[٦]

وآضَ مثل القُلْب من نُضاره[٧] كأنَّ خلفَ ملتقى أشْفارِه[٨]

جَمْـرَ غضًى يدمِنُ فى استعاره كأنَّ لَحيَيه لدى افتراره

---

(١) القصرى : أسفل الأضلاع ، كما القصيرى أعلى الأضلاع .

(٢) التسهيم : الضمور . وفى الديوان : « التلويح »، وهما بمعنى . وأقطاره : نواحيه.

(٣) كان إلى أصباره : كان ممتلئا بدينا . هو من قولهم : ملأ الكأس إلى أصبارها : أى رأسها .

(٤) الخور : النوق الغزيرات اللبن ، مفردها خوارة . وهذا المثبت هو رواية الديوان وفى ط ، م :

* نحتا كسته الخور من عشاره *

وفى س : نحتا كسنه . . . الخ .

و « غذته » هى فى الديوان « كسته » والصواب ما أثبت . ولأبى نواس فى مثل هذا المعنى من طردية أخرى :

* غذته أظآر من اللقاح *

(٥) طلا : صغير . وفى الأصل « طلى » وهو خطأ كتابى إذ الكلمة واوية . والإشغار فسره الجاحظ فى ص ٣٢ . وفى الأصل : « أشفاره » وفى الديوان : « شفاره » وهما تحريف ما أثبت .

(٦) أحمد : استحق الحمد . و « اختباره » هى فى الأصل « اختياره » ، وفى الديوان : « ابتياره » . والابتيار والاختبار بمعنى . وأما الاختيار فلا وجه له .

(٧) القلب بالضم : السوار . والنضار : الذهب . . فى س : « فى نضاره » .

(٨) الأشفار : حافات الجفون . وفى الأصل : « أشعاره » وهى على الصواب الذى أثبت فى الديوان . وفى ط : « خلق » موضع : « خلف » وتصحيحه من س ، م والديوان . وقد شبه عينى الكلب فى البيت التالى بجمر الغضى حمرة وبصيصاً .

شَكَّ مَساميرَ على طَواره[١] يضمُّ قُطرَيه من اضطباره[٢]

وإن تمطّى تمّ في أشباره[٣] عَشْرٌ إذا قَدّر في اقتداره[٤]

سِمْعٌ إذا استَرْوَحَ لم تُماره[٥] إلا بأن يُطْلَقَ من عِذاره

فانصاعَ كالكوكب في انحداره لَفْتَ المُشيرِ مُوهِناً بناره[٦]

شَدًّا إذا أحْصَفَ في إحضاره[٧] خرَّق أذنيــه شبا أظفاره[٨]

حتّى إذا ما انسابَ في غُباره[٩] عافَرَهُ أَخْرَقُ في عِفاره[١٠]

---

(١) الشك بمعنى النظم . وفي الأصل : « سلك » ، وتصحيحه من الديوان ونهاية الأرب (٩ : ٢٦٢) . وطواره : أراد بها حده .

(٢) اضطباره : من الضبر ، وهو أن يجمع قوائمه ويثبت . والكلمة بهذا الرسم في م فقط ، وفي الديوان : « انضباره » . وفي س ، ط : « اضطراره » . وهذا تحريف . وفي الوساطة ٣٠٠ : « انضباره » . وقطريه : طرفيه . ويرى صاحب الوساطة أن المتنبي أخذ هذا المعنى فقال :

يكاد في العدو من التفتل يجمع بين متنه والكلكل
وبين أعلاه وبين الأسفل

(٣) م : « نم في أشياره » .

(٤) كذا في الديوان ، وفي الأصل :

عشرا إذا أقدر في اقتداره

يقول : إذا تمطى تم له من الطول عشر أشبار ، وذلك إذا ضيق في قدرته على التمطى ، فما بالك به إذا ترك لنفسه العنان في ذلك ؟ !

(٥) السمع : ولد الذئب من الضبع . والاسترواح : أن يتشمم الهواء بحثاً عن الفريسة . والمماراة : التكذيب . يقول : هو كالذئب في قوة شمه — زعموا أنه يدرك المشموم من فرسخ — وأنه في ذلك صادق لا تخطىء فراسته .

(٦) في الأصل : « بثاره » ، قد تقدم التنبيه على تصحيحه ص ٢٧ .

(٧) سبق شرح هذا البيت وتصحيحه ص ٢٧ .

(٨) في الأصل : « عينيه » وهو تحريف . وقد سبق البيت صحيحاً ص ٢٧ .

(٩) في الديوان : « انشام » ، بمعنى دخل .

(١٠) عافره : غالبه ليجعله في العفر أي التراب ، وما أثبت هو رواية الديوان . وفي التيمورية : « عافره أخرق في غضاره » . وفي ط ، س ، م : « عافره ما خرق في عفاره » .

فَتَلتَلَ المفْصِلَ من فَقَارِه(١) وشقَّ عنه جانبَىْ صِدارِه

* ما خيرَ للثَّعلب فى ابتـكاره(٢) *

(طرديَّة ثانية لأبى نواس)

وقال فى كلب سُليمان بن داودَ الهاشمىّ — وكان الكلبُ يسمى زُنبوراً :ـــ

إذا الشياطِينُ رأتْ زُنبورَا قدْ قُلِّدَ الحلْقَةَ والسُّيورا

دَعَتْ بِخِزَّانِ الفلا ثُبُورا(٣) أدفَى ترى فى شِدقِه تأخيرا(٤)

تَرَى إذا عارضْتَه مفرورا(٥) خَناجِراً قد نبتتْ سُطورا(٦)

---

(١) تلتل هنا : فى معنى شد ونزع .

(٢) يقول : لم يوفق الثعلب فى خروجه مبكراً، لأنه سيكون غنيمة لهذا الـكلب .

(٣) الثبور : الهلاك ، ودعا الثبور قال : واثبوراه ! . وهذه العبارة قرآنية قال تعالى : « لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيرا » . . والخزان جمع خزز بضم ففتح ، وهو الذكر من الأرانب . و « الفلا » : جمع فلاة . وهى فى ط : « الغلا » وصــوابها فى س ، م والتيمورية والديوان . و « دعت » هى فى جميع الأصول « بكت » وأثبت رواية الديوان الصحيحة ، وإنما تدعو الشياطين الثبور لفقد الأرانب التى صرعها الـكلب شماتة بها . وذلك أن الأرانب فيما تزعم الأعراب — ليست من مطايا الجن ، وأن الجن تهرب منها (الحيوان ٦ : ٤٦ ، ٢٣٨) والدميرى (١ : ٣٠) .

(٤) الأدفى : الذى أقبلت إحدى أذنيه على الأخرى حتى تـكاد أطرافهما تماس فى انحدار قبل الجبهة . أو الأدفى الذى يمشى إلى جانب، وذلك أسرع له . وفى الأصل. « أدمى » وأثبت ما بالديوان . و « فى شدقيه تأخيرا » يقول هو واسع الفم .

(٥) مفرورا : من فر الدابة ، كشف عن أسنانها لينظر ماسنها . وفى ط : « مضروراً » وفى الديوان « مغروراً » وهما تحريف ما أثبت من س ، م .

(٦) إنما اختار « نبتت » ليدل على أصالتها وشدة تمـكنها ، وأما « ثبتت » بأى وضع من أوضاعها كان، فلا تنال قوة « نبتت » .

مُشتبكاتٍ تَنْظِمُ السُّحُورا(١) أُحْسِنَ فى تأديبه صغيرا

حتَّى توفَّى السَّبْعَةَ الشهورا(٢) من سِنِّهِ وبَلَغَ الشُّغُورا(٣)

وعَرَفَ الإيحاءَ والصَّفيرا والكفَّ أنْ تومئَ أو تُشيرا

يُعطيك أقصى حُضْرِهِ المذْخورا(٤) شَدًّا تَرَى من هَمْزِهِ الأُظفُورا(٥)

مُنْتَشِطا من أُذنه سُيُورَا(٦) فما يزالُ والغًا تامورا(٧) ١٢

مِن ثعلب غادَرَه مجزُورا أو أَرنب كوَّرَها تكويرا(٨)

أو ظبيةٍ تقرو رَشاً غريرا(٩) غادَرَها دون الطَّلاَ عَقيرا(١٠)

فأمتَعَ اللهُ به الأميرَا رَبِّى، ولا زالَ به مسرورا(١١)

وقد قال كما ترى :

شدًّا ترى من هَمْزه الأظفورا مُنتشِطاً من أُذنه سيُورا

---

(١) السحور : جمع سحر بالفتح أو التحريك أو الضم ، وهو الرئة ، وأراد سحور الصيد .

(٢) توفى الأشهر : أكملها وأتمها .

(٣) كذا فى الديوان ، وفى الأصل : « من سنة » . و « الشغور » سيفسره الجاحظ قريبا .

(٤) الحضر بالضم : شدة الجرى ، وفى ط : « حصره » محرفة ، و « المذخورا » هى فى الديوان : « الموفورا » . ومثله قول ذى الرمة فى ديوانه ٣٣ وديوان المعانى ٢ : ١٣٣ :

لايذخران من الإيغال باقية حتى تكاد تفرى بينها الأهب

(٥) الهمز : الضغط والغمز .

(٦) يقول : هو ينتزع بأظفاره سيورا من أذنه .

(٧) والغا تامورا : شاربا للدم بطرف لسانه . وفى ط : « والفا » وهو على الصواب فى س ، م والديوان .

(٨) كورها : صرعها . وفى الديوان : « وجورها » ، وهما بمعنى واحد وزنة واحدة .

(٩) تقروه : تقصد إليه . وفى ط : « تغرو » وهو تصحيف ما فى س ، م . والرشأ الغرير : الظبى الصغير .

(١٠) الطلا : ولد الظبية . عقيراً : صريعاً . وفى الديوان : « عفيراً » .

(١١) فى الديوان : « ولايزال فرحا مسروراً » .

بإثر قوله[١] :

حتَّى توفَّى السبعةَ الشهورا[٢] من سِنِّهِ وبلغ الشغورا[٣]

فإنّ الكلب إذا شَغَر برجله وبالَ ، فذلك دليلٌ على تمام بلوغه للإلقاح ، وهو من الحيوان الذى لايحتلم[٤] .

(أمارات البلوغ فى الغلمان والجوارى)

وأما احتلام الغلام فيعرف بأمور : منها انفراقُ طَرَف الأرنبة ، ومنها تغيُّر ريح إبطيه ، ومنها الأنياب[٥] ، ومنها غلظ الصوت .

ومن الغلمان من لا يحتلم ، وفى الجوارى جَوارٍ لا يَحِضْن ، وذلك فى النساء عيب ، وليس مثله من الرجال عيبا . وقد رأيت رجالاً يوصَفون بالقوّة على النساء ، وبعضهم لم يحتلم إلاَّ مرةً أو مرتين ، وبعضهم لم يحتلمْ ألبتّة .

(طردية ثالثة لأبى نواس)

وقد قال الحسنُ بنُ هانئٍ مثلَ ذلك ، فى أرجوزة أخرى :

يَمْـرِى إذا كان الجرَاءُ عَبْطا[٦] براثِنا سُحْمَ الأثافى مُلْطا[٧]

---

(١) فى الأصل : « يأبى قوله » .
(٢) فى الأصل : « حتى يوفى » .
(٣) فى الأصل : « من سنة ».وقد سبق التنبيه عليه ص ٣١ .
(٤) فى الأصل : « لم » .
(٥) كذا .
(٦) مرى الشيء : استخرجه وأظهره ، وفى الديوان : « يفرى » . والجراء مصدر كالجرى . وهذه رواية الديوان . وفى الأصـل : « الجزاء » . والعبط : أن يجرى الرجل الدابة حتى تعرق .
(٧) الأثافى : عنى بها الهنات الناتئة فى كف الكلب . والسحم : السود ، جمع أسحم . والملط : الخالية من الشعر ، جمع أملط .

* يَنْشِط أُذنيه بهنّ نَشْطا *

وهذه الأرجوزة أوّلها :

عَدّدْت كلبًا للطِّرادِ سَلْطَا[١] مقلَّداً قلائداً ومَقْطا[٢]
فهو الجميلُ والحسيب رهْطاَ[٣] ترى له شِدقين خُطّا خَطّا[٤]
يَمرى إذا كان الجِرَاء عَبْطا[٥] براثناً سُحْمَ الأثافِي مُلْطَا
ينشِط أُذْنَيه بهنّ نشطًا تخالُ ما دَمِينَ منها شرطاَ[٦]
ما إنْ يقَعنَ الأرض إلا فَرْطا[٧] كأنّما يُعجلنَ شيئاً لقْطاَ
أعجَلَ من قولِ قَطاةٍ قَطَّا[٨] فاجتاحَ خِزّانَ الصحارى الرُّقْطاَ[٩]

---

(١) عددته ، بالتشديد : جعلته عدة . وفى الديوان : « أعددت » ، بمعنى هيأت . والسلط : الشديد .

(٢) المقط : الحبل .

(٣) عنى بالرهط هنا العشيرة . وفى الديوان : « فهو النجيب » الخ .

(٤) فى الديوان : « ترى له خطين خطا خطا » .

(٥) سبق القول فيه ص ٣٢ ، وكذلك فى البيتين التاليين .

(٦) رواية الديوان : « تخال مأزمين منه شرطاً » ، وما هنا صـــوابه . ودمى : ظهر منه الدم .

(٧) إلا فرطاً : إلا فى النادر ، فهو كأنه سابح فى الهواء . وقد أخذ المعنى من قول أبى النجم :

* فما يمس الأرض منه حافره *

(٨) « قطا » هى حكاية صوت القطاة . وفى الموشح ٢٧٣ : « أخذ على بن المبارك على أبى نواس فى شعره حرفين : قوله :

* أسرع من قول قطـاة قطا *

كان ينبغى أن يقول : « قطا » بالتخفيف . وقوله :

كمن الشنآن فيه لنـــا ككمون النار فى حجره

وإنما كان ينبغى أن يقول : فى حجرها اهـ . وفى الأصل : « من قول قطاء » وليس بشىء .

(٩) اجتاحها : أهلكها واستأصلها . وفى الأصل : « احتاج » وليس يتجه . وفى الديوان : « يكتال » . والخزان : جمع خزز ، وهو ذكر الأرانب . والرقط : جمع أرقط ، وهو الأسود يخالط لونه نقط بيض .

يَلْقَين مِنه حَكماً مشْتَطًّا[1] للعظْم حطاً والأدِيم عَطّا[2]»

(شعر فى نعت سرعة القوائم)

١٣ والشعراء إذا أرادوا سرعةَ القوائم قالوا كما قال[3] :

يخفِى التُّرابَ بأظْلاف ثمانية ومَسُّهن إذا أقْبَلن تحَلِيلُ[4]

وقال الآخر[5] :

---

(١) مشتطا: جائراً . وفى الديوان : « يلقين منه حاكما »، والحكم والحاكم بمعنى .

(٢) الأديم : الجلد . والعط : الشق بلا بينونة . وفى الديوان : « عبطا » موضع « عطا »، وهما سيان .

(٣) القائل هو عبدة بن الطبيب يذكر ثوراً يحفر كناسا ويستخرج ترابه فيظهره (المفضليات ١٤٠ والأضداد ٨٠ والصناعتين ٧٨ ونوادر أبى زيد ٩) .

(٤) يخْفى : حرف من الأضداد يكون بمعنى الستر والتغطية ، ويكون بمعى الإظهار ، والإبداء كما فى هذا البيت ، وكما فى قول امرىء القيس بن عابس الكندى :

فإن تكتموا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

وأخفى الشىء يخفيه هو كذلك حرف من الأضداد . وقرىء قوله تعالى : « إن الساعة آتية أكاد أخفيها » بفتح الهمزة وضمها ، مع تأويل الفعل فى كل من القراءتين بمعنى الإظهار مرة ، وبمعنى الإخفاء أخرى . والتحليل من تحلة اليمين أى الاستثناء فى الحلف ، وهى أن يقول الحالف إثر حلفه : إن شاء الله . قال العسكرى : يقول إن مواصلة هذا الثور بين خطواته كمواصلة الحالف بالتحلة يمينة من غير تراخ . وقال ابن منظور فى شرح هذا البيت : إن « تحليل » بمعنى قليل هين يسير . . والرواية المشهورة فى عجز البيت :

* فى أربع مسهن الأرض تحليل *

يريد بثمانية أظلاف فى أربع قوائم .

(٥) هو خلف الأحمر كما فى الصناعتين ٧٩ ، وديوان المعانى ٢ : ١٣٤ . والبيت الآتى فى وصف ثور .

وكأنَّما جَهَـدَتْ أَلِيَّتُهُ أن لاتَمَسَّ الأرضَ أربَعُهُ[١]

فأفرط المولَّدون[٢] فى صفة السرعة — وليس ذلك بأجود — فقال شاعرٌ منهم يصف كَلْبَةً بسرعة العَدْو :

* كأنَّما تَرفَعُ مَا لم يُوضَعِ[٣] *

وقال الحسن [بن هانئ[٤]] :

* ما إنْ يقَعْن الأرض إلاّ فرْطا *

(طردية رابعة لأبى نواس)

وقال الحسن بن هانئ فى نعت كلب[٥] :

أنعَتُ كلباً أهلُه فى كَدِّه[٦] قد سَعِدتْ جدودُهم بِجَدِّه[٧]

---

(١) جهد ، من باب قطع : جد وبالغ . والألية : اليمين والقسم . و « أربعه » أى قوائمه الأربع . وهى فى الأصل : « أربعة » ، وهو تحريف . وقبل البيت :

كالكوكب الدرى منصلتا شدا يفوت الطرف أسرعه

(٢) فى ط : « الولد » ، وصوابه فى س ، م .

(٣) هذا مافى مب . وفى سائر النسخ : «يرفع مالايضع » ، تحريف . و الرواية فى الصناعتين ٧٩ وكذا فى محاضرات الراغب ٢ : ٢٨٥ .

* كأنما يرفعن ما لم يوضع *

وقد جعله الراغب فى نعوت الخيل لاالكلاب .

(٤) التكملة من مب .

(٥) فى نعت كلب ، ساقط من مب .

(٦) « فى كده » : من كده . وفى ط : « فى وده » ، وصوابه فى س ، م ، مب . وفى الديوان : « من كده » ورواية الدميرى ٢ : ٤٠٢ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٩٦ « فى كده » .

(٧) الجدود : جمع جد ، بفتح الجيم ، وهو الحظ والرزق ، والجد بالكسر : الاجتهاد.

فكلُّ خيرٍ عندهمْ من عِنده   يظلُّ مولاه له كعَبْدِه
يبيتُ أدنَى صاحب من مَهْدِه[١]   وإن عرَى جلَّله ببُرْدِه[٢]
ذو غُرَّةٍ محجّلٌ بزَنْدِه[٣]   تَلَذُّ منه العَيْنُ حُسنَ قدِّه[٤]
ياحُسْنَ شِدقيه وطولَ خدِّه   تَلْقَى الظِّباءُ عنتاً من طَرْده[٥]
يشربُ كأساً شدُّها فى شدّه   يالَكَ مِنْ كلب نسيجِ وَحْدِه[٦]

(طردية خامسة لأبى نواس)

وقال فى صفاتها [وأسمائها][٧] وسماتها، وأنسابها، وألقابها ، وتفدية[٨] أربابها لها كما ذكرنا قبل ذلك — :

قد أغْتدِى والطَّيرُ فى مَثْواتِها[٩]   لم تُعْرِب الأفواهُ عن لُغاتِها[١٠]

---

(١) يقول : يبيت صاحبه شديد الدنو من موضع نومه .

(٢) جلله : غطاه . وفى « عرى » ضرورة تسكين الياء ، أو هو بفتح الراء على لغة طيىء فى فتح عين الفعل المعتل اللام . وهى رواية الديوان . وفى مب : « عدا » وفى سائر النسخ : « غدا » . وقد جاء مثل هذا المعنى فى طردية أخرى لأبى نواس ، يقول فيها (الديوان ٢١٧) :

* وإن عرى جلل فى ردائه *

(٣) مب : « ذا غرة محجلا ».

(٤) ماعدا مب : « يلذ » .

(٥) عنتا : شدة وهلاكا . وفى الديوان : « عبثا » . والطرد : الصيد والقنص .

(٦) نسيج وحده ، يضرب مثلا لكل من بولغ فى مدحه ، كقولك لا نظير له ، قال ابن منظور مبينا أصل المثل : « ومعناه أن الثوب إذا كان كريما لم ينسج على منواله غيره لدقته ، وإذا لم يكن نفيسا دقيقا عمل على منواله سدى عدة أثواب » .

(٧) التكملة من مب .

(٨) ط : « تغذية » والصواب فى س ، م ، ومب .

(٩) أراد بالمثواة الموضع التى تسكن فيه وتقيم .

(١٠) يقول : هى نائمة فلا يبين صوت أحدها .

بأكلب تمرحُ فى قِدّاتِها(١) تَعُدُّ عِينَ الوَحْشِ من أَقواتِها(٢)

قد نَحتَ التقريح وارِياتها(٣) من شِدَّة التسهيم واقتياتها(٤)

وأشفقَ القانصُ من حُفاتِها(٥) وقلتُ قد أحكمتَها فهاتِها

وأدْنِ للصَّيدِ مُعَلَّمَاتِهاَ وارفعْ لنا نسبةَ أمَّهاتِها(٦)

فجاء يُزجِيها على شِياتها(٧) شُمَّ العَراقيبِ مؤنَّفاتها(٨)

غُرَّ الوجـــوه ومحجَّلاتِها مُشرِفَةَ الأكنافِ مُوفِياتِها(٩)

---

(١) القدة ، بكسر الأول وتشديد الثانى : سير يقد من جلد غير مدبوغ ، جمعه قدات . وهذه الكلمة جاءت محرفة فى الأصل فهى فى ط : « فراتها » وفى س : « قراتها » وفى م : « قذاتها » . والصواب فى مب والديوان .

(٢) العين : جمع أعين ، وهو الواسع العين . وعنى به هنا البقر . وفى الموشح ٢٨٢ كلام فى هذا البيت .

(٣) التقريح : أثر انهماكها فى الصيد . والواريات : السمينات . ورواية الديوان :

قد لوح التقديح وارياتها

(٤) التسهيم : الضمور . و « اقتياتها » طلبها القوت . ورواية الديوان :

من شدة التلويح و « افتياتها »

(٥) الحافى : الذى رق قدمه من كثرة السير والعدو . جمعه حفاة . وفى الديوان : « من حفاتها »، وهو تصحيف . وهذا البيت فى الديوان متقدم على سابقه .

(٦) يقول : اذكر لنا نسبها .

(٧) كذا فى مب والديوان وديوان المعانى ٢ : ١٣٣ : « فجاء يزجيها » بمعنى « يسوقها » . وفى سائر النسخ : « يزهيها » . والشيات : جمع شية ، وهى الأثر والعلامة .

(٨) العرقوب من الدابة فى رجلهـــا بمنزلة الركبة فى يدها . شم : مرتفعات . والمؤنف : المحدد أو المسوى . وهذه رواية مب والديوان وديوان المعانى ٢ : ١٣٣ . وفى سائر النسخ : « موثقاتها» .

(٩) مشرفة الأكناف : عالية النواحى . و « مشرفة »رواية مب ، والديوان وديوان المعانى . وفى سائر النسخ : « مشرقة » تحريف . وفى الديوان وديوان المعانى : « الأكتاف » تحريف . والموفيات : المشرفات .

قُود الخراطيمِ مُخْرَطِمَاتِها[1] سوداً وصُفْراً وخَلَنْجِيَّاتِها[2]

مُسَمَّيـاتٍ ومُلَقَّبـاتِها[3] حُمْـرًا وبِيضاً ومطوَّقاتها

١٤ مختبَراتٍ من سَلُوقيَّاتِها كأنَّ أقماراً على لَبَّاتِها[4]

تَرَى على أفخاذِها سِمَاتِها مُفَــدَّياتٍ ومُحمَّيَاتِها[5]

مفروشة الأيدِى شَرَنْبَثَاتِها[6] شُمَّ العَرَاقِيبِ مؤلفاتها[7]

حِيدَ الأظافيرِ مُكَعْبَراتِها[8] زُلَّ المآخــير عَمَلَّساتها[9]

* تَسْمَعُ فِى الآثَارِ مِنْ وَحَاتِها[10] *

(١) قود : جمع أقود : أى طويل . هى فى ط ، م : « قوذ » محرفة ، وعلى الصـواب فى س ومب والديوان . والمخرطم ، قال أبو هـلال العسكرى فى ديوان المعانى ٢ : ١٣٣ : خرطوم مخرطم مثل ليل أليل اه . يعنى الشدة . وانظر نظائر (ليل أليل) فى فقه اللغة ٢٥٦ . والأشطار بعده إلى « مكعبراتها » ساقط من مب .

(٢) الخلنجى : أصفر خفيف تعلوه غبرة . مبادىء اللغة ١٤٢ .

(٣) فى ط ، س والديوان : « مقلباتها »، وفى م : « ملقياتها » ؛ والصواب من مب . وانظر مثل هذا البيت فى ص ٢٠٢ .

(٤) وصفها ببياض النحور .

(٥) المفدى : الذى يفديه صاحبه . وفى الديوان : « منديات » ، وهو تحريف . والمحميات من الحماية والحفظ .

(٦) مفروشة الأيدى : مبسوطتها . والشرنبث : الغليظ .

(٧) هذا البيت مكرر معاد، وفيه تحريف . وانظر الحاشية رقم ٨ من ص ٣٧ .

(٨) الأحيد : المائل أو المقوس ، جمعه « حيد » . وفى الأصل : «حده» ، والصواب ما أثبت. والبيت ليس فى ديوان أبى نواس . والمكعبرات : الشديدة .

(٩) المآخير : جمع مؤخر ، وهى فى الأصل : « المواخير » ولا وجه له ، والصواب فى الديوان وديوان المعانى . وزل : جمع أزل ، بمعنى الخفيف اللحم . وفى الديوان : « ذل » وماهنا صوابه . العملس : القوى السريع . وقد وقع بعد هذا البيت فى الأصل هذا البيت الآتى ، ولأنه مكرر حذفته . وهو :

* تعد عين الوحش من أقواتها *

(١٠) يقول : إن صوتها يسمع بعد مرورها وجريها كما يسمع وقت جريها ، وذلك لظهوره . والوحاة : الصوت ، مثل الوحى بإسكان الحاء ، والوحى بالقصر . وفى الأصل : « راحاتها »، وأثبت رواية الديوان .

مِنْ نَهَمِ الحرص ومن خَوَاتِها(١) لتَفْثَأُ الأرنبَ عَنْ حياتِها(٢)

إنَّ حياةَ الكلبِ فى وفاتها حتَّى ترَى القِدرَ على مَثْفَاتِها(٣)

كثيرةَ الضِّيفانِ من عُفاتِها(٤) تقذِفُ جَالَاها بجَوْزَىْ شاتِها(٥)

فقد قال كما ترى :

تسمعُ فى الآثار مِنْ وَحَاتِها(٦) من نَهَم الِحرص ومن خَوَاتِها(٧)

وهذا هو معناها الأوّل . وأما قوله :

* تعُدُّ عِينَ الوَحْشِ من أقواتها *

فعلى قول أبى النَّجم :

* تعُدُّ عاناتِ اللِّوى من مَالها(٨) *

وزعموا أنَّ قوله :

[كطلعة الأشمط من جلبابه

---

(١) هذا مافى مب والديوان . وفى سائر النسخ : « من نهم الصيد » . والخوات ، بالفتح : الدوى والصوت .

(٢) الأرنب : اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى ، وقد عنى به هنا الأنثى . والجاحظ يرى أن « أرنب » لاتطلق إلا على الأنثى ، كما أن « العقاب » لايكون إلا للأنثى (الدميرى ٢ : ٣٠) . وتفثأ الأرنب عن حياتها : تكفها وتمنعها ، أى تقتلها . وفى الأصل : « تقثأ » ، وصوابه فى الديوان ، وديوان المعانى .

(٣) عنى بالمثفاة موضع الأثافى ، وهى الحجارة تنصب عليها القدر . وفى الديوان : « على شفاتها» محرفة .

(٤) العفاة : جمع عاف ، وهو الضيف وطالب الرزق .

(٥) الجال : الجانب . والجوز : وسط الشىء أو معظمه . وقد نطق بالمثنى وأراد الجمع عنى أجوازها. انظر همع الهوامع ١ : ٥٠. وفى الديوان : « بجوز شاتها » ، على الإفراد .

(٦) سبق الكلام فى هذا الشطر قريبا ، وكذلك فيما بعده .

(٧) ماعدا مب : « نهم الصيد » .

(٨) العانات : جماعات حمر الوحش ، وقد ذكر البيت السابق أبو عبيد الله المرزبانى فى الموشح ٢٨٢ وقال : أخذه من قول أبى النجم . ولم يذكر بيت أبى النجم ، فلعل ماهنا ساد لسقط هناك .

هو قول الأول[1]] :

* كطَلْعَةِ الأشمَطِ من كسائه *

وهو كما قال الآخر :

* كطَلْعة الأشمَطِ من بُرْد سَمَلْ[2] *

(طردية سادسة لأبى نواس)

وقال الحسن بن هانئ :

لمَّا تبدَّى الصُّبحُ من حِجابِه ... كطَلْعَةِ الأَشْمَطِ من جلبابه

وانعدلَ اللَّيلُ إلى مآبِه ... هِجْناَ بكلبٍ طالما هِجْنا به[3]

خَرَّطَهُ القانِصُ واغْتدَى به[4] ... يَعزُّه طوراً على استصعابه[5]

[وتارةً ينصَبُّ لانصبابِه][6] ... فانصاع للصَّوتِ الذى يعنى به[7]

كلَمَعَان البرقِ من سحابه

(١) التكملة من مب ، ونحوها فى الموشح ٢٨٢ وما فى أخبار أبى نواس لابن منظور ٧٤ مع التصريح بأن الشطر التالى لأبى النجم .

(٢) السمل : الخلق البالى .

(٣) فى الأصل : « هجناه كلب » ، وله وجه لو كان فى سوى هذا الشعر . وأثبت رواية مب والديوان والراغب الأصفهانى فى المحاضرات ٢ : ٢٩٦ ونهاية الأرب ٩ : ٢٦٢ . ولأبى نواس مثل هذا المعنى فى طردية أخرى (الديوان ٢٠٧) وهو :

* هجنا به وهاج من نشاطه *

(٤) خرطه : أرسله ، ولم يرو هذا البيت وكذا السبعة التالية حمزة بن الحسن الأصبهانى جامع ديوان أبى نواس .

(٥) عزه يعزه : غلبه . واستصعب : صار صعب المقادة .

(٦) ينصب : ينحدر ، يقول : هو حينا يغلب كلبه ويستطيع قوده إلى حيث يريد ، وحينا يهزمه الكلب ويجذبه إلى حيث يريده هو . وقد زدت هذا البيت من الحيوان ص ٦٦ ليكمل المعنى .

(٧) ما عدا مب : « عنى به » .

كأنَّ عينيه لدى ارتيابِه فَصًّا عَقيقٍ قد تقابَلَا به

حتَّى إذا عفَّرَه هاَها به[١] باَباَ به يابعــــد ما باَباَ بِه[٢]

يَنْتَسِفُ الْمِقْوَد من جِذابه[٣] مِنْ مَرَحٍ يَغْلُو إذا اغلَوْلَى به[٤]

ومَيْعَةٍ تُعرَف من شَبابِه[٥] كأنَّ متْنَيهِ لدى انسلابِه[٦]

مَتْنَا شُجاعٍ لَجَّ فى انسيابِه[٧] كأَنَّما الأُظفور فى قِنابِه[٨] ١٥

---

(١) عفره : جذبه ، وهاها به : مخفف هأهأ به : زجره .

(٢) بأبأ به : فداه تفدية وقال : بأبى أنت . وهذا الشطر والشطر قبله ساقط من مب .

(٣) ينتسف : ينتزع . وفى س : « ينتفس » وفى ط : « ينتسس » ، وفى المحاضرات : « ينشف » ، وأثبت مافى م والديوان ، وهو صواب هذه المحرفات . و « من جذابه » : بسبب مجاذبته ، فالباء سببية . وهذه هى رواية الديوان والنويرى فى نهاية الأرب (٩ : ٢٦٢)) ومحاضرات الراغب . وفى س : « جزابه » ، وفى ط : « جرابه » ، وفى م : « جدابه » » وكل ذلك تحريف ما أثبت من مب .

(٤) يغلو المرح : يزداد ويرتفع ، ومنه قول ذى الرمة :

فـــا زال يغلو حب مية عندنا ويزداد حتى لم نجد مانزيدها

وفى جمهور النسخ : « يعلو » وهما بمعنى ، وأثبت رواية مب والديوان ، لتساوقها مع بقية البيت . واغلولى : ارتفع . ماعدا مب : « غلا به » ، من غلا بالسهم يغلو ، إذا رفع يده به يريد به أقصى الغاية . والضمير فى « غلا » عائد إلى القانص . وأثبت رواية مب والديوان .

(٥) ميعة الشباب : أوله .

(٦) متنا الظهر : مكتنفا الصلب ، س : « انسرابه » . وفى ط : و م : « اسرابه » وفى المحاضرات : « أسلابه » ، وهذه تحريف ما أثبت من مب ، والديوان ونهاية الأرب. وانسلابه ، بمعنى إسراعه فى السير .

(٧) الشجاع : الحية أو الذكر من الحيات ، وقد شبه أحمد بن زياد بن أبى كريمة متون الكلاب بالخيزران فقال (الحيوان ٢ : ٣٧١) :

كأن غصون الخيزران متونها إذا هى جالت فى طراد الثعالب

(٨) القناب : غطاء الظفر . وفى الأصل : « قرابه » والوجه ماأثبت من مب ، والديوان ونهاية الأرب ومحاضرات الراغب والموشح ٢٧٣ وديوان المعانى (٢ : ١٣٣) .

مُوسى صناعٍ رُدَّ فى نِصابِه (١) يثْرُدُ وَجْهَ الأرض فى ذَهابه (٢)
كَأَنَّ نَسْراً ماتَوَكَّلْنا بِه (٣) يَعفُو على ما جرَّ من ثيابه
إلَّا الذى أَثَّرَ من هُدَّابه (٤) تَرَىسَوَام الْوَحْشِ يُحْتَوَى بِه (٥)
* يَرُحْنَ أَسْرَى ظُفْرِهِ ونابِه (٦) *

---

(١) قال المظفر بن يحيى : غلط أبو نواس فى قوله يصف الكلب :
* كأنما الأظفور فى قنابه *
* موسى صناع رد فى نصابه *
لأنه ظن أن مخلب الكلب كمخلب الأسد والسنور الذى ينستر إذا أرادا حتى لايتبينا ، وعند حاجتهما تخرج المخالب حجنا محددة يفترسان بها . والكلب مبسوط اليد أبداً غير منقبض . انظر الموشح .

(٢) يثرد وجه الأرض : يشقه ويمزقه ، وهى فى جمهور النسخ : « يشرط » وفى مبوالديوان : « يترك » . وفى الديوان : « إلهابه » موضع « ذهابه » والإلهاب : شدة العدو . . ولأبى نواس مثل هذا المعنى فى طردية أخرى (الديوان ٢٠٨) :
* يقشر جلد الأرض من بلاطه *
والبلاط بالكسر : الفرار أو الاجتهاد فى السباحة .

(٣) يقول : كأن هذا الكلب الذى اعتمدنا عليه فى صيدنا نسر من النسور . والنسر أشد الطيور طيرانا وأقواها جناحا . وفى الأصل : «كأن نسرانا» وفى مب ، والديوان : « نشوانا » ، والأول تحريف ، والثانى لايصح إلا بتكلف شديد ، تكلفه شارح ديوان أبى نواس . وأبو نواس يشبه الكلب كذلك بالصقر ، قال :
* ومر كالصقر على الصيد اشتمل *
وقال :
* كالصقر ينقض على غطاطه *

(٤) يقول : هو يعفو أثر سيره بجسمه على الأرض فلا يبقى إلا أثر يسير كأثر هداب الثوب ، فإن الهواء المندفع خلفه يسوى الأرض التى مزقها ولا يعجز إلا عن القليل . و « أثر » هو مافى مب ، م ، وفى ط : « أشر » وهو تصحيف ، وفى س والديوان : « آثر » ، ولم أجد له وجها .

(٥) سوام الوحش : مايرعى فى الفلوات . وتحتوى به : تجمع وتحرز . وما أثبت هو رواية الديوان . وفى الأصل : « يرى سوام الوحش . . » الخ . ورواية النويرى فى نهاية الأرب :
* ترى سوام الوحش إذ تحوى به *

(٦) هذا الشطر ليس فى الديوان ، وهو والذى قبله ساقطان من مب . وهو فى الأصل محرف هكذا :
* وعين أسد ظفره ونابه *
والصواب ماأثبت من نهاية الأرب .

(صفة أبى نواس لثعلبٍ أفلت منه مراراً)

وقال فى ثعلب [كان قد[1]] أَفْلَتَ منهُ مِرارًا :

قد طالَمَا أفلتَّ يا ثعالا[2] وطالمـــا وطالمـــا وطالا

جُلتَ بكلبى يومَكَ الأجوالا[3] ما طَلْتَ مَنْ لَا يسأمُ المِطالا[4]

[حتَّى إذا اليومُ حَدَا الآصالا[5] أتاكَ حَيْنٌ يقدمُ الآجَالا[6]]

(طردية سابعة لأبى نواس)

وقال أبو نواسٍ أيضاً :

ياربَّ بيتٍ بفضاءٍ سَبْسَبِ[7] بَعيدِ بَيْنَ السَّمْكِ والمطنَّبِ[8]

لِفِتْيةٍ قد بَكَّرُوا بأكلُبِ[9] قد أدَّبوها أحسنَ التأدُّبِ

---

(١) التكملة من مب .

(٢) ثعالا : ترخيم ثعالة ، والألف للإطلاق . وثعالة : علم جنس للثعلب ، كما أن أسامة علم للأسد . وهى فى ط ، م : « ثعلالا » وصوابه فى س ، مب والديوان ٢١٤ .

(٣) كذا فى مب والديوان ، وفى سائر النسخ : « المجالا » . وفى مب : « خلفك » .

(٤) المطال هنا : بمعنى المراوغة .

(٥) الآصال : جمع أصيل ، وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب ، وحدا اليوم الآصال كناية عن حلول وقت الأصيل ، فيما أرى .

(٦) الحين : الهلاك ، والأجل : العمر . يقول : إن الكلب قد قضى على حياة الثعلب الذى سبق هلاكه أجله . وهذا البيت وماقبله ليسا بالأصل ، وقد كتبتهما من الديوان .

(٧) السبسب : الأرض المستوية البعيدة . وفى جمهور النسخ : « لفضاء سبسب » ، والوجه ماأثبت من مب ، والديوان .

(٨) السمك ، بالفتح : السقف . والمطنب : موضع الطنب ، والطنب بضمتين : حبل يشد به سرادق البيت ، أو الوتد .

(٩) فى ط ، م : « لقيته » ، وصوابه فى س ، ومب والديوان .

مِنْ كلٍّ أدفى مَيَسَانِ المنْكِبِ[1] يشبُّ فى الْقَوْدِ شِبَابَ المُقرَبِ[2]

ينشِطُ أذْنيه بجِذْ المِخْلَبِ[3] فمَا تَنِي وشيقَةٌ مِنْ أرنَبِ[4]

---

(١) الأدفى : هو مثل عقاب دفواء : معوجة المنقار، فالمراد به أنه معوج الخطم، وهو مقدم الأنف والفم . واعوجاج الخطم من صفة الكلاب الجياد ، ومنه قول الراجز (أنشده أبو زيد فى النوادر ٥١) :

قد أغتدى قبل طلوع الشمس للصيد فى يوم قليل النحس

بأحجن الخطم كى النفس

النحس : الغبار . والأحجن : المعقف . و « أدفى » هى فى جمهور النسخ « أوفى » محرفة ، وهى على الصواب الذى أثبت فى مب والديوان . ولأبى نواس من طردية أخرى سبقت قريباً :

* أدفى ترى فى شدقه تأخيرا *

ورواية العسكرى فى ديوان المعانى ٢ : ١٣٣ : « أخدى » ، وهى تصحيف « أخذى » بمعنى المسترخى الأذن . والميسان : المتبختر . قال العسكرى : أى من سعة جلده يميس منكبه . والبيت فى الأصل هكذا :

* من كل أوفى مستبان المنكب *

واعتمدت فى إصلاحه على مب ، والديوان وديوان المعانى .

(٢) يشب : يرفع يديه . والمصدر الشباب بالكسر والشبوب بالضم ، وجاءت الرواية بالأخير فى الديوان وديوان المعانى . والقود : نقيض السوق . وهى فى جمهور النسخ : « الغور » وليس له وجه ، والوجه فى مب ، والديوان وديوان المعانى. والمقرب : الكريم من الخيل، يشد لكرمه بقرب البيوت . وهو فيما عدا مب: « المعرب » ، وهو تحريف ما أثبت من مب ، والمرجعين السابقين.

(٣) ينشط : يجذب . وفى ديوان المعانى والديوان : « يلحق » .

(٤) يقال : لاينى يفعل كذا وكذا ، بمعنى لايزال ، كما فى قول الشاعر :

فما ينون إذا طافوا بحجهم يهتكون لبيت الله أستارا

ماعدا مب : « فما ثنى » ، والوجه ما أثبت من مب ، و الديوان . والوشيقة : لحم يقدد حتى ييبس ، أو يغلى إغلاءة ثم يقدد ويحمل فى الأسفار ، وهو أبقى قديد . وفى ط : « وثيقة » ، وصوابه فى سائر النسخ والديوان .

وجِلدةً مسلوبةٌ من ثعلبِ[١] مَقلوبةُ الفَرْوَة أوْ لمْ تُقْلَبِ[٢]
وعِيْرُ عاناتٍ وأُمُّ التَّوْلَبِ[٣] ومِرجَلٌ يهدِر هَدْر المُصْعَبِ[٤]
[يَقذف جالاهُ بجوز القَرهَبِ[٥]]

(صفة مايستدَلُّ به على فرَاهِيَة الـكلابِ وشِياتها وسياستها)

قال بعضُ مَنْ خَبَر ذلك[٦] : إنَّ طولَ ما بينَ يدَى الكلبِ ورجلَيه — بعدَ أن يكونَ قصيرَ الظهر — مِنْ علامة السُّرعة .

---

(١) البيت ساقط من مب ، كما سقط من الطبعة الأولى ، وهو فى سائر النسخ .

(٢) فى الديوان :

وفروة مسلوبة من ثعلب مقلوبة الجلدة أو لم تقلب

ولا تنافر بين الروايتين ، وهما يؤديان مؤدى واحداً . وأنا أستحسن رواية الجاحظ .

(٣) العير : الحمار الوحشى. والعانات: جماعات الحمر الوحشية . وفى الأصل : « وجحش عانات »، والجحش : الصغير من الحمر . والعرب لا تقول جحش عانة ، وإنما تقول عير عانة ، يعنون بذلك أنه رئيسها « الذى يوردها ويصدرها وتنهض بنهوضه ويقعن بوقوعه » . الحيوان ٥ : ٤٢٢ حيث تكلم الجاحظ فى رؤساء الحيوان . وقد جاءت الرواية على الصواب الذى أثبته فى ديوان أبى نواس . و « أم التولب » هى الأتان : أنثى الحمار الوحشى ، والتولب ولدها . وفى الأصل: « لأم التولب »، والوجه ما كتبت من الديوان .

(٤) المرجل : القدر يطبخ فيها . يهدر : يظهر له صوت من شدة غليان ما فيه . والمصعب : الفحل من الإبل .

(٥) التكملة من مب ، وليست فى الديوان . وجالا المرجل : جانباه . والجوز : الوسط . والقرهب من الثيران : الكبير الضخم .

(٦) مب: « غير » ، وفى سائر النسخ : « يجيد » ، ولعل الصواب ما أثبت .

قال : ويصفونه بأنْ يكونَ صَغيرَ الرأس ، طويلَ العُنُق غليظَها[1] ، وأن يُشبه بعضُ خَلْقِه بعضاً ، وأن يكونَ أغضَفَ [الأذنين][2] مُفْرِطَ الغضَف ، ويكونَ بعيدَ ما بينهما[3] ، ويكونَ أزرقَ العينَين ، طويلَ المُقْلتين[4] ، ناتئ الحدَقة[5] ، طَويل الخطم[6] ، واسعَ الشِّدقين ، ناتئَ الجَبْهة عريضَها ، وأن يكونَ الشَّعْرُ الذى تحتَ حَنَكه كَأَنَّهُ طاقة[7] ويكون غليظا ، وكذلك شعرُ خدَّيه ، ويكونَ قصيرَ اليدين ، طويلَ الرجلين ؛ لأنَّه إذا كان كذلك كان أسرَع فى الصعود بمنزلة الأرنب . ١٦

قالوا : ولا يكاد يلحَق الأرنبَ فِى الصَّعود ، إلاَّ كلُّ كلبٍ قصيرِ اليدين ، طَويلِ الرِّجلين .

وينبغى أن يكونَ طويلَ الصدر غليظا ، ويكونَ ما يلى الأَرضَ من صدره عريضا ، وأنْ يكونَ غليظ العضُدين ، مستقيمَ اليدين ، مضمومَ الأصابع بعضِها إلى بعض ، إذا[8] مشى أو عدا ، وهو أجْدَرُ ألاَّ يصيرَ بينها من الطِّين وغيرِ ذلك ما يفسُدها[9] ، ويكون ذَكىَّ الفؤادِ نشيطا ؛ ويكونَ عريضَ الظَّهْر ، عريضَ ما بين مفاصل عظامه ، عريضَ ما بينَ

(١) فى الأصل : « غليظهما » وصوابه من عيون الأخبار (٢ : ٨٠) .
(٢) كلمة يحتاج إليها الكلام . والأغضف : المسترخى الأذن .
(٣) وذلك بأن يكون عريض الجبهة . وانظر نهاية الأرب (٩ : ٢٦٠) .
(٤) المقلة : شحمة العين التى تجمع البياض والسواد .
(٥) الحدقة : سواد العين .
(٦) الخطم : مقدم الفم والأنف .
(٧) الطاقة : الحزمة من الريحان ونحوه . وفى عيون الأخبار : « وأن يكون الشعر الذى تحت حنكه طاقة طاقة » .
(٨) فى الأصل : « وإذا » .
(٩) فى ط : « أو هوى جدرانا لا يصير » الخ ، والصواب فى س ، م .

عَظمَىْ أصلِ الفَخِذين اللذين يصيبان أصل الذنب ، وطويلَ الفخذين غليظَهما شـديدَ لحمِهما ، ويكونَ رزينَ المَحْزِم[١] ، رقيقَ الوسط طَويلَ الجلدَةِ التى بين أصل الفخذين والصـدر ، ومستقيم الرجلين ، ويَكونَ فى ركبته انحناء[٢] ويصير قصير الساقين دقيقَهما ، كأنَّهما خشَبة من صَلابتهما .

وليس يُكرَه أن تكونَ الإناثُ طوالَ الأذناب . ويكره ذلك للذكور . ولِينُ شعرهما يدلُّ على القوّة .

وقد يرغب ذلك فى جميع الجوارح من الطير وذوات الأربع ، من لِين الرِّيش لذوات الريش .

ولينُ الشَّعْر لذوات الشعِر من عِتاق الخيل علامةٌ صالحة .

قال : وينبغى أن يكونَ الكلبُ شديدَ المنازَعة للمِقْوَدِ والسِّلسِلة ، وأن يكونَ العظمُ الذى يلى الجُنبَيْنِ من عظام الجنبين صغيراً فى قدر ثلاثِ أصابع .

وزعم أنَّهم يقولون : إنّ السُّودَ منها أقلُّها صبراً على البرد والحر ، وإنّ البيضَ أفرَهُ إذا كنَّ سُودَ العيون .

قال : ومن علامة الفرَه التى ليس بعدها شىء ، أن يكونَ على ساقيه

---

(١) المحزم : موضع الحزام من الدابة . وهى فى الأصل : « المحمل » وليس لها وجه . والرزين : الثقيل .
وعنترة بن شداد قد جعل هذه الصفة أيضا من نعت الفرس الجيد ، قال فى معلقته :

وحشيتى سرج على عبل الشوى   نهـد مراكله نبيل المحزم

(٢) فى ط ، م : « ولا يكون فى ركبته إغناء » ، وفى س : « ولا يكون فى ركبته انحناء » ، وأصلحت العبارة بما ترى من عيون الأخبار (٢ : ٨١) .

أو على إحداهُما[1] أو على رأس الذنب مخلب ، وينبغى أن يُقطَع من السَّاقين ، لئلا يمنعَه[2] من العدْو .

(خير غذاء للكلب)

وذكرَ أنَّ خير الأشياءِ التى تُطْعمُها الكلبَ[3] الخبزُ الذى قد يَبِس ، ويكُونَ الماءُ الّذى يُسْقَاه يُصَبُّ عليه شىءٌ من زيت ، فإنَّ ذلك كالقَتِّ[4] المحض للخيل ، ويشتدُّ عليه عدوُه .

(خير طعام لإسمان الكلاب)

وقال : خير الطعام فى إسمان الكلاب رأسٌ مطبوخٌ ، وأكارعُ بشعرها ، من غير أن تُطْعَمَ من عظامها شيئاً . والسَّمنُ إذا طَعِمَ منه قدرَ ثلاثِ سُكُرَّجات[5] مرَّتَين أو ثلاثَ مَرَّاتٍ فإنَّ ذلك مما يسمِّنه ، ويقال إنَّهُ

---

(١) فى الأصل وكذا فى عيون الأخبار : « أحدهما » . والساق مؤنثة .

(٢) فى ط : « ما يمنعه » وفى س، م : « لا يمنعه » ، وصوابهما ما أثبت . والذى يقطع من الساقين هو المخلب .

(٣) فى الأصل : « تطعمه الكلاب » .

(٤) فى اللسان والقاموس : « القت الفصفصة » . وقد رجعت فى تفسير « الفصفصة » إلى تذكرة داود الطبيب فوجدته يقول : إنها تعرف فى مصر بالبرسيم اهـ . وفى ط : « كاللفت » وهو تحريف صوابه فى س .

(٥) قال الخفاجى فى شفاء الغليل : « سكرجة بضم السين والكاف وفتح الراء المشددة ، ومنهم من ضمها والصواب الفتح ، معرب . ومعناه مقرب الخل » وفى اللسان : « إناء صغير يؤكل فيه الشىء القليل من الأدم ، وهى فارسية ، وأكثر ما يوضع فيها الكوامخ » . وقد ذكر لها الإسكافى (فى مبادىء اللغة ٥٧) اسما عربيا هو « المصبغة » التى يجعل فيها الصبغ بالكسر ، أى الإدام .

يُعِيد الهَرِم شابًّا ، حتَّى يكونُ ذلك فِي الصَّيدِ وفِي المنظرِ . والعظمُ والثَّريدُ من أردإ ما تأكله للعَدْو .

(من علاج الكلب)

ومِمَّا يكونُ غذاءً ومِنْ خيرِ شيءٍ يُدَاوى به الكلبُ من وَجع البطن والديدان ، أن يُطْعَمَ قِطعةَ أَلْيةٍ وصوفَ شاةٍ معجوناً بسمن البقر ، فإنَّهُ يُلقِي كلَّ دُودٍ وقَذَرٍ فِي بطنه . ١٧

وخير ما يعالج به الحَفا[1] أن يُدْهَنَ اَستُه ثلاثةَ أيَّام ، ويُجَمَّ فيها ولا يستعمَل ؛ أو يمسَحَ على يديه ورجليه القَطِرانُ .

وذُكِرَ عن خزيمة بن طَرْخَان الأسدىّ ، من أهل هَمَذَان[2] ، أنَّه قال : ليس من علاج الكلب خير من أن يُحْقَن .

(كدِى ، وأكدى ، والكُدْية)

وقال : يقال كَدِىَ الجروُ يكدَى كَدًى[3] وهو داءٌ يأخذ الجِراء خاصَّةً ، يصيبُها منه قىءٌ وسعال ، حتَّى تكوَى بينَ عينيها[4] . ويقال أكدَى

(١) فى الأصل : « للحفا » ، وفى عيون الأخبار (٢ : ٨١) : « وإذا حفى دهنت استه » والحفا : رقة القدم .

(٢) فى الأصل : « همدان » ، وهمدان : قبيلة يمنية . وإنما هو « همذان » بلد بديع الزمان .

(٣) ط : « كداء » وتصحيحه من س والمخصص ٨ : ٨٢ .

(٤) مب : « يكوى بين عينيه » .

الرجلُ إكداء : إذا لم يظفَر بحاجته . والكُدْيَة من الأرض : ارتفاعٌ فِى صلابة . ويقال فى الماء : حفرَ فأكدى .

(علاج الكلاب لأنفسها)

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ الكلابَ إذا كان فى أجوافها دُود ، أكلت سنبلَ القمح فتبرأ .

وزعم أنَّ الكلابَ تمرض فتأتى حشيشةً[1] تعرفُهَا بعينها ، فتأكل منها فتبرَأ .

(عداوة بعض الحيوان لبعض)

وزعم صاحب المنطق أَنَّ العُقابَ تأكلُ الحيَّاتِ ، وأَنَّ بينَهما عداوةً ؛ لأنَّ الحيَّةَ أيضاً تَطلبُ بيضَها وفراخها .

قال : والغُداف يقاتل البُومة ، لأنَّ الغُدافَ يَخْطِف بيضَ البومة[2] نهاراً . وتشدُّ البومةُ على بيض الغُداف ليلاً فتأكله ؛ لأنَّ البومةَ ذليلةٌ بالنهار رديَّةُ النظر[3] ، وإذا كانَ اللَّيلُ لم يَقْوَ عليها شىءٌ من الطير . والطير كلُّها تعرِف البومةَ بذلك وصنيعَها [بالليل[4]] ، فهى تطير حولَ البومةِ[5] وتضربُها وتَنْتِف ريشها . ومن أجْلِ ذلك صارَ الصيَّادُون ينصِبونها للطير[6] .

والغداف يقاتل ٱبنَ عِرْسٍ ؛ لأنه يأكل بيضَه وفراخَه[7] .

---

(١) هذا ما فى مب . وفى سائر النسخ : « أن الكلاب تأتى حشيشة » .

(٢) مب : « والغداف يخطف بيض البومة » فقط .

(٣) فى مب : « البصر » .

(٤) ط : « وضيعها فإذا رأيتها » وتصحيحه من س ، ومب .

(٥) ط : « حولها البومة » وصوابه فى س ، ومب .

(٦) مب : « ولحرصها ذلك صار الصياد ينصب للطير بالبومة » .

(٧) هذا الصواب من مب . وفى سائر النسخ : «ليأكل بيضه وفراخه » .

قال : وبين الحِدَأة والغُداف قتالٌ ؛ لأنَّ الحِدأة تخطَف بيضَ الغُداف ؛ لأنَّها أشدُّ مخالبَ وأسرَعُ طيراناً .

وبين الأُطْرُغُلَّة(١) والشَّقْرَاق(٢) قتال ؛ لأنَّه يقتل الأُطْرُغُلَّة(١) ويُطالبها(٣) .

وبين العنكبوت والعَظَاية(٤) عداوة ، والعَظاية تأكل العنكبوت .

وعصفور الشَّوك يعبَثُ بالحمار ، وعبَثه ذلك قتَّال له ؛ لأنَّ الحمارَ إذا مَرَّ بالشَّوك وكانت به دَبَرَة(٥) أو جَرَبٌ تحكَّكَ بِهِ ، ولذلك متَى نَهِق الحمار سقطَ بيضُ عصفور الشوك ، [وجعلتْ (٦)] فراخُه تخرج من عشِّها . ولهذه العِلَّة يطيرُ العصفورُ وراءَ الحِمْار وينقُر رأسه .

والذئب مخالفٌ للثَّور والحمارِ والثعلبِ جميعاً ، لأنَّه يأكل اللحم النِّيء(٧) ولذلك يقع على البقر والحمير والثعالِبِ .

---

(١) الأطرغلة : اسم يقع على الدبسية ، والقمرية ، والفاختة المطوقة . انظر القاموس (الأطرغلات) و (صلل) .

(٢) الشقراق بفتح الشين وكسرها : طائر صغير يسمى الأخيل ، وهو أخضر مليح بقدر الحمامة ، وخضرته حسنة مشبعة ، وفى أجنحته سواد ، والعرب تتشاءم به . وقال الجاحظ : إنه نوع من الغربان ، وفى طبعه العفة عن السفاد ، وهو كثير الاستغاثة ، إذا ضاربه طائر ضربه وصاح كأنه المضروب . الدميرى .

(٣) فى الأصل : « ويطالبه » .

(٤) قال الأزهرى : هى دويبة ملساء تعدو وتتردد كثيرا ، تشبه سام أبرص ، إلا أنها أحسن منه ولاتؤذى ، وتسمى شحمة الأرض . الدميرى .

(٥) الدبرة بالتحريك : قرحة الدابة والبعير ، والجمع دبر وأدبار ، مثل شجرة وشجر وأشجار . وهى فى ط : « بدرة » ، وصوابها فى س . وانظر نهاية الأرب ١٠ : ١٧ .

(٦) أحسب هذه الكلمة ساقطة من الأصل .

(٧) فى الأصل : « النيء » ، وإنما هو « النيء » .

وبين الثعالبِ والزُّرَّق[١] خـلافٌ لهذه العلّة ؛ لأنّهما جميعاً يأكلان اللحم .

١٨ والغراب يُخالف الثَّورَ ؛ ويُخالف الحمار جميعاً ، ويطير حولَها ، وربّما نَقَرَ عيونَهما . وقال الشاعر :

عَادَيْتَنَا لا زلت فى تَبَابِ عَـدَاوَةَ الحِمَارِ للغُرابِ

ولا أعرف هذا من قول صاحب المنْطِق ؛ لأنَّ الثعلبَ لا يجوزُ أن يُعَادِىَ مِنْ بينِ أحرار الطَير وجَوارِحها الزُّرَّقَ وحدَه ، وغيرُ الزُّرَّق آكِلُ اللَّحم . وإن كان سببُ عداوته له اجتماعَهُما على أَكْلِ اللَّحم ، فليُبْغِض العقابَ من الطير ، والذِّئْبَ من ذوات الأربَع ؛ فإنّهما آكَلُ لِلّحم . والثَّعلَبُ إلى أَنْ يحسُدَ ما هو [كذلك] أقربُ ، وأولَى فى القياس[٢] ، فلو زعم أنّه يَعُمُّ أكَلَةَ اللّحمِ بالعداوة ، حتّى يُعْطِى الزُّرَّق من ذلك نصيبَه ، كان ذلك أجْوَزَ[٣] . ولعلَّ المترجِم قد أساء فى الإخبار عنه .

قال : والحيَّة تقاتل الخنزيرَ ، وتقاتِل ابنَ عِرْس ، وإنّما تقاتلُ ابنَ عِرْسٍ إذْ كان مأواهما فى بيتٍ واحد ، [وتقاتِلُ الخنزير][٤] لأنّ الخنزير يأكلُ الحيَّات . ويزعمون أنّ الذى يأكلُ الحيَّاتِ القنافذُ ، والأوعالُ ، والخنازيرُ ، والعِقْبان .

قال : فالحيَّة تعرف هذا من الخنزير ، فهى تُطَالبه .

---

(١) الزرق ، كسكر : طائر يصاد به ، بين البازى والباشق .
(٢) فى الأصل : « والثعلب إلى أن يحسد ماهو أقرب وذلك أولى فى القياس » ، وقد عدلت القول وأكملته بما ترى .
(٣) ط ، م : « أجور » ، والصواب فى س .
(٤) زدت هذه الجملة ليتزن الكلام .

قال : والغراب مصادقٌ للثَّعلب ، والثَّعلبُ مصادقٌ للحيَّة[1] ، والأسد والنمر مختلفان .

قال : وبين الفِيَلةِ اختلافٌ شديد ، وكذلك ذكورها وإناثها ، وهى تَستعمِل الأنيابَ إذا قاتَل بعضُها بعضاً ، وتعتمد بِهاَ على الحيطان فتهدِمُها ، وتزحُمُ النَّخلةَ بجنبها فتَصْرَعُهاَ .

(تذليل الفيل والبعير)

وإذا صعُب من ذكورتها شيء احتالوا له حتَّى يكُومَه[2] [ذكرٌ] آخر ، فإذا كامَهُ خضَع أبداً . وإذا اشتَدَّ خُلُقُه وصعُب عصَبُوا رِجلَيه فسكن .

ويقال إنّ البعيرَ إذا صعُب وخافَه القوم ، استعانوا عليه فَأَبرَكُوه[3] وعَقلوه حتَّى يكومَه فحل آخر ، فإذا فُعلَ ذلك به ذَلَّ !

(الفيل والسنّور)

وأمّا أصحابنا فحكَوا وجوهَ العداوةِ الَّتى بين الفيل والسِّنَّور — وهذا أعجب — وذهبوا إلى فزع الفيل من السِّنَّور ، ولمْ يرَوه يفزَع ممَّا هو أشدُّ وأضخم . وهذا البابُ على خلاف الأوّل ؛ كأنَّ أكثرَ ذلك الباب بُنِىَ على عداوة الأكْفاء .

---

(١) ماعدا مب : « الثعلب . . . الحية » .

(٢) يكومه : يعتليه اعتلاء ذكورة الحيوان لإناثها . والتكملة بعده من مب .

(٣) فى الأصل : « فبركوه » .

(الشاة والذئب)

والشاةُ من الذئب أشدُّ فَرَقا منها من الأسد ، وإن كانت تعلم أنْ الأسدَ يأكلها .

(الحمام والشاهين)

وكذلك الحمام يَعتريه من الشَّاهينِ ما لا يعتريه من العُقاب والبازى والصقر .

(أعداءُ الفأرة)

وكذلك الفأرة من السِّنَّور ، وقد يأكلها ابْنُ عِرْس . وأكثر ذلك [أن [1]] يقتلها ولا يأكلها . وهى من السِّنَّورِ أشدُّ فرَقاً .

(الثعلب والدجاج)

١٩ والدَّجاجةُ تأكلها أصناف من السباع ، والثعلبُ يطالبها مُطالبةً شديدة ، ولو أنَّ دجاجاً على رفٍّ مرتفع ، أو كُنَّ على أغصان شجرةٍ شاهقة ، ثمّ مرَّ تحتَها كلُّ صِنفٍ ممَّا يأكلها ، فإنَّها تَـكونُ مستمسكةً بها معتصمةً بالأغصان التى [هى] عليها . فإذا مرَّ تحتها ابنُ آوى وهُنَّ ألْفٌ ، لم تَبْقَ واحدةٌ منهنَّ إلاّ رمَتْ بنفسها إليه [2] .

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل .

(٢) انظر ماسيأتى فى ٦ : ٣٧٦ .

(مايأباه بعض الحيوان من الطعام)

والسبع لايأكل الحارَّ ، والسِّنَّور لايذوقُ الحموضة ، ويَجْزَع من الطَّعام الحارِّ . والله تعالى أعلم .

(ما أشبه فيه الكلب الأسود والإنسان)

ثمَّ رجَع بنا القولُ إلى مفاخر الكلب ، ونبدأ بكلٍّ ماأشبه فيه الكلبُ الأُسُودَ والإنسان ؛ وبشيءٍ من صفات العظَال[1] .

قال صاحب المنطق (فى كتابه الذى يقال له الحيوان ، فى موضعٍ ذكَرَ فيه الأسد) قال : إذا ضربَ الأَسَدُ بمخالبه ، رأيتَ موضعَ آثار مخالبِهِ فى أقدار شرط الحجَّام أو أزْيدَ قليلا ، إلاّ أنَّه من داخلٍ أوسعُ خرْزاً ، كأنَّ الجِلدَ ينضمُّ على سم مخالبه[2] ، فيأكل ماهنالك . فأمّا عضَّته فإنَّ دواءَها دواءُ عضَّةِ الكلب .

قال : وممَّا أشبه فيه الكلبُ الأسدَ انطباقُ أسنانه . وممَّا أشبَهَ فيه الكلب الأسدَ النَّهَمُ ، فإنَّ الأسدَ يأكل أكلاً شديداً ، ويَمْضَغُ مَضْغاً متدارِكاً ، ويبتلع البَضْع الكبار[3] ، من حاقِّ الرغبة[4] ومن الحرص ،

---

(١) العظال : الملازمة فى السفاد من الكلاب والجراد وغيره مما ينشب .

(٢) كذا .

(٣) البضع بالفتح ، وكعنب ، وصحاف ، وتمرات : جمع بضعة بالفتح وقد تكسر ، وهى القطعة من اللحم .

(٤) حاق الرغبة : شدتها وصدقها . وفى ط : « خاق » ، وصوابها فى س .

وكالذى يخاف الفوت . ولَمَّا نازعَ السِّنَّورَ من شَبَهِهِ[١] صار إذا ألقيت له قِطعة لحم فإمَّا أنْ يحملها أو يأكلها حيثُ لاتراه ؛ وإمَّا أن يأكلها وهو يكثر التلفُّت ، وإنْ لم يكنْ بحضْرته سِنَّور ينازعُه . والكلبُ يعَضُّ على العَظمِ ليُرضَّه ، فإنْ مانَعَه شيءٌ وكان مما يُسيغه ، ابتلَعَه وهو واثق بأنّه يستَمريه ويُسيغه .

والنَّهم يعرِض للحيَّات ، والحيَّة لاتمضَغُ ، وإنما تبتلعُ ذواتُ الرَّاسات[٢] ، وهى غير ذوات الأنياب ، فإنّها تمضَغ المضْغة والمضغتين ؛ وإن ابتلعت شيئاً فيه عظم أتَتْ عُودًا شاخصاً فالتوت عليه ، فحطَمت العظم . والحيَّةَ قويّةٌ جدًّا .

قال : والأسد وإن كان ممَّا لايفارق الغِياض [و][٣] لايفارق الماء فإنّه قليلُ الشرب للماء ، وليس يُلقى رَجْعَه إلاّ مرةً فى اليوم ، وربَّما كان فى اليومين والثلاثة . ورجعُه يابس شديد اليُبْس متعلِّق ، شبيه برجيع الكلب . ويشبهه أيضاً من جهة أخرى وذلك أنّهما جميعاً إذا بَالاَ شَغَرا[٤] .

والكلب من أسماء الأسد ، لقرابةِ مابينه وبينَ الكلب .

والكلبُ يُشبه الخنزير ، فإنَّ الخنزير يسمَن فى أسبوع ، وإن جاع أيّاماً ثم شبِع شَبعةً تبيَّنذلك تبيُّناً ظاهراً . ألا تراهُ ينزع إلى محاسن الحيوان ، ويُشبه أشراف السباع وكرائم البهائم ؟!

---

(١) ط : « شبه » ، وأثبت مافى س . والمعنى يصح بكل منهما .
(٢) لم أر هذا الجمع إلا للجاحظ . والرأس يجمع على رءوس وأرؤس .
(٣) زدتها ليستقيم الكلام .
(٤) شغر : رفع إحدى رجليه .

(عظال الكلاب)

ويقال : ليس فى الأرض فحلٌ من جميع أجناسِ الحيوان لِذَكَرِه حجمٌ ظاهر إلاَّ الإنسان والكلب . وليس فى الأرض شيئان يتشابكانِ من فَرْط إرادةِ كلٍّ واحدٍ منهما لطباع صاحبه ، حتى يلتحم عضوُ الذكر بعضو الأنثى حتَّى يصير التحامُهما التحامَ الخلقة والبِنْية ، لاَ كالتِحامِ الملامَسَة والملازمة[1] ، إلاّ كما يُوجَد [من[2]] التحام قضيبِ الكلب بثَفْر[3] الكلبة .	٢٠

وقد يلزَق القُراد ، ويَغْمِس العَلس[4] مقاديمه فى جوف اللحم ، حتَّى يُرَى صاحبُ القُراد كأنَّه [صاحِبُ] ثُؤلُول[5] . وما القُراد المضروبُ به المثلُ فى الالتحام إلاَّ دونَ التحامِ الكلبين . ولذلك إذا ضربوا المثل للمتباضِعين بالسُّيوف ، والملْتَقِيَين للصِّراع ، فالتفَّ بعضُهم ببعض ، قالوا :

---

(١) فى الأصل : « كالالتحام الملامسة والملازمة » ، وهو تحريف .

(٢) حرف يتطلبه الكلام .

(٣) فى الأصل : « لثفر » .

(٤) العلس ، بالتحريك : القراد الضخم ، وهى فى الأصل : « العلق » . والعلق : دود أسود وأحمر يكون بالماء يعلق بالبدن ويمص الدم ، وهو من أدوية الحلق والأورام الدموية . كذا قال الدميرى . قلت : ولايزال كثير من العامة بمصر فى زمنناهذا يعالجون أنفسهم به . وليس مراداً هنا .

(٥) الثؤلول : بثر صغير صلب مستدير على صور شتى . وفى الأصل : « حتى يرى صاحب القراد أنه ثؤلول » . والقراد لايصيب الناس ، وهو موكل بالإبل . وانظر القول فى ولوعها بالإبل فى الحيوان ٦ : ٤٣٨ و ٧ : ١٥ .

كأنهم الكِلاب المتعاظِلة[١] . وليس هذا النَّوعُ من السِّفادِ إلاَّ للكلاب .
وزعم[٢] صاحبُ المنطق وغيرُه ، أنَّ الذُّبابَ فى ذلك كالكلب .

(إسماعيل بن غزوان وجارية مويس بن عمران)

وكان إسماعيل بن غَزْوان[٣] قد تعشَّقَ جاريةً كانت لمُوَيْس بن عمران[٤] ، وكانت إذا وقَعَتْ وقعةً إليه لم تمكثْ عندَهُ إلاَّ بقدرِ مايقعُ عليها ، فإذا فَرَغ لِبستْ خُفَّها وطارت ، وكان إسماعيلُ يشتهى المعاوَدَةَ

---

(١) من أيام العرب المعروفة يوم العظالى ، وهو يوم بين بكر وتميم ، سمى بذلك لركوب الناس فيه بعضهم بعضاً . وقال الأصمعى : ركب فيه الثلاثة والاثنان الدابة الواحدة . وقيل : سمى بذلك لأنه تعاظل فيه على الرياسة بسطام بن قيس ، وهانئ بن قبيصة ، ومفروق بن عمرو ، والحوفزان .

(٢) فى الأصل : « فزعم » .

(٣) إسماعيل بن غزوان هذا ممن ردد الجاحظ ذكرهم فى كتابه « البخلاء » ، وكثيرا مايقرنه بسهل بن هارون ، وكان ممسكا شديد البخل ، يحتج للبخل بكلام عجيب ، فمن ذلك قوله للأسخياء : « تنعمتم بالطعام الطيب وبالثياب الفاخرة ، وبالشراب الرقيق ، وبالغناء المطرب ، وتنعمنا بعز الثروة ، وبصواب النظر فى العاقبة ، وبكثرة المال ، والأمن من سوء الحال ، ومن ذل الرغبة إلى الرجال ، والعجز عن مصلحة العيال ، فتلك لذتكم وهذه لذتنا» . (البخلاء ١٣٠) . ومن كلامه : « لاتنفق درهما حتى تراه » (البيان ٣ : ٢١٢) . وكان إسماعيل يوصف بحسن الفهم وجودة الاستماع . (البيان ٣ : ١٦٣) .

(٤) مويس بن عمران ، كان من بخلاء الناس ، وأحد من احتج للبخل ، وهو من معاصرى الجاحظ ، « سئل عنه أبو شعيب القلال ، فزعم أنه لم ير قط أشح منه على الطعام . قيل : وكيف ؟ قال : يدلك على ذلك أنه يصنعه صنعة ، ويهيئه تهيئة من لايريد أن يمس . . وكيف يجترئ الضرس على إفساد ذلك الحسن ، ونقض ذلك النظم ، وعلى تفريق ذلك التأليف . . فلو كان سخيا لم يمنع منه بهذا السلاح ولم يجعل دونه الجنن ، فحول إحسانه إساءة ، وبذله منعا ، واستدعاءه إليه نهيا » . البخلاء ٥٨ . وفى الأصل : « موسى بن عمران » وإنما هو « مويس » كما فى ستة مواضع من البخلاء ، وكما فى القاموس . وكان مويس من المتكلمين .

وأنْ يُطيلَ الحديث ، ويُرِيدُ القَرْص والشمَّ والتقبيلَ والتجريد ، ويعلم[١] أنّه فى الكَوْم الثانى والثالث أجدَرُ أن يُنْظَرَ[٢] ، وأجدر أن يَشْتَفِىَ . فكان رُبَّما ضَجِرَ ويذكرُها بقلبه وهو فى المجلس ، فيقول : يارِبِّ امسَخْنِى وإيّاها كلبَين ساعةً من الليل أو النَّهار[٣] ، حتى يشغَلَها الالتحامُ عن التفكيرِ فى غضَب مولاتِها إن احتَبَسَتْ !!

(من أعاجيب الكلاب)

وفى الكلبة أعجوبةٌ أخرى : وذلك أنّه يسفَدُها كلبٌ أبقعُ وكلب أسودُ وكلب أبيضُ وكلب أصفَرُ ، فتؤدِّى إلى كلِّ سافدٍ شِكْلَهُ وشِبْهه ، فى أكثر مايكُونُ ذلك .

(تأويل الظالع فى شعر الحطيئة)

وأمّا تأويل (الظالع) فى قول الحطيئة :

تسدَّيتُها مِنْ بَعْدِ مَانَامَ ظَالِعُ الْـ ... كلابِ وأخْبَى نارَهُ كلُّ مُوقِدِ[٤]

---

(١) فى ط ، س : « وليعلم » ، والوجه ماأثبت من م .

(٢) هو بالبناء للمجهول ، من أنظره بمعنى أمهله . وهو يعنى بذلك المطاولة .

(٣) فى الأصل : « والنهار » ، والوجه ما أثبت .

(٤) تسداها : علاها. ولم أجد هذا البيت فى ديوان الحطيئة برواية السكرى ، وهو فى أمثال الميدانى ١ : ٢٤ برواية : « ألا طرقتنا بعد . . . » . وقال الميدانى : « يضرب مثلا فى تأخير قضاء الحاجسة » . والرواية فى اللسان (ظلع) : « تسديتنا » بتاء المخاطب ، وقال : « يخاطب خيال امرأة طرقه » .

قال الأصمعيّ : يظلَع الكلبُ لِبعضِ مايعرض للكلاب ، فلا يمنعه ذلك مِنْ أن يهيجَ فى زمن هَيْج الكلاب ، فإذا رأى الكلبة المستحرِمة[1] لم يطمَع فى معاظلتها والكلابُ منتبهةٌ تنبَح ، فَلاَ يَزَال ينتَظِرُ[2] وقتَ فَتْرةِ الكلاب ونومها ، وذلك مِن آخر الليل .

وقال أُحَيْحَة بن الجُلاَح[3] :

[ياليتَنى ليلةً إذا هَجع الـــنَّاسُ ونام الكلابُ صاحِبُها][4]

(طردية ثامنة لأبى نواس)

وممّا قِيل فى الكلاب من الرَّجز [قول أبى نواس[5]] :

---

(١) استحرمت الكلبة : اشتهت .

(٢) فى الأصل : « فلا تزال تنتظر » ! وصوابه ماأثبت .

(٣) كان أحيحة سيد الأوس فى الجاهلية ، وكانت سلمى أم عبد المطلب بن هاشم تحته ، وهى كانت لاتنكح الرجال إلا وأمرها بيدها ، فتركته لشىء كرهته منه فتزوجها هاشم فولدت له عبد المطلب . وكان أحيحة كثير المال شحيحا عليه ، يبيع بيع الربا بالمدينة حتى كاد يحيط بأموالهم ، وكان له تسع وتسعون بئرا . هذا موجز مما فى الخزانة ٣ : ٣٢٧ سلفية والأغانى ١٣ : ١١٤ - ١٢٢ .

(٤) هذا البيت ساقط من الأصل ، وأثبته اعتمادا على مافى الحيوان (١ : ٣٦٨) والخزانة (٣ : ٣٢١ سلفية) والأغانى (١٣ : ١١٥) . والعبارة فى الأصل : « وقال أحيحة بن الجلاح مما قيل فى الكلاب من الرجز » ! !

(٥) زيادة يقتضيها الكلام ، وسيتبع الجاحظ هذه الأرجوزة بعبارة « وقال أيضاً » ثم يروى أرجوزتين أخريين لأبى نواس مرويتين فى ديوانه . أما هذه الأرجوزة الأولى فليست مما اختار حمزة بن حسن الأصبهانى .

٢١

وفِتية من آلِ ذُهلٍ فى الذرى   مِن الرَّقاشِيِّينَ فى أعْلى العُلا[١]

بِيضٍ بهالِيلَ كرامِ المُنْتَمَى   باتُوا يَسِيرون إلى صُوحِ اللوى[٢]

ينفُون عن أعيُنهِمْ طِيبَ الكَرَى   إلاّ غِشاشاً بعد ماطال السُّرى[٣]

يعدين إبلاء الفتى على الفتى[٤]   حتى إذا ماكوكبُ الصُّبح بدَا

مَاجُوا بغُضْفٍ كاليَعاسيب خَساً[٥]   ثلاثَةٍ يقطعن حُزَّان الصُّوَى[٦]

---

(١) قال أبو الفرج فى الأغانى ٢٠ : ٧٣ : « بنو رقاش ثلاثة نفر ينسبون إلى أمهم ، واسمها رقاش . وهم مالك ، وزيد مناة ، وعامر ، بنو شيبان بن ذهل ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل » . ويدور فى الكتب ذكر الفضل بن عبد الصمد الرقاشى ، وهو شاعر أديب ، وليس من الرقاشيين بل هو من مواليهم . الأغانى ١٥ : ٣٤ . وقد لج الهجاء بينه وبين أبى نواس ، انظر الديوان ص ١٧٦ — ١٧٩ وتاريخ بغداد ١٢ : ٣٤٥ والبخلاء ١٩١ . وفى هجو أبى نواس للرقاشيين نعت قدورهم بالنظافة والبياض والصغر حتى ضرب بها المثل فقيل « قدر الرقاشى» . انظر ثمار القلوب ٤٩١ ، والوساطة ٣١٧ . ولا مناقضة بين رفع أبى نواس من شأن الرقاشيين فى هذا الرجز ، وهجوه إياهم أقذع الهجاء ؛ فأبو نواس لايكاد أحد من أصحابه يسلم من هجائه ، والفضل الرقاشى هذا كان من خلطائه وندماه ، كما فى أخبار أبى نواس لابن منظور ١٢٨ — ١٣٣.

(٢) الصوح : جمع صاحة ، وهى الأرض لاتنبت شيئاً . واللوى : ماالتوى من الرمل . وفى س ، م :

* باتوا بعيران إلى صوح اللوى *

(٣) الغشاش : النوم القليل ، والسرى : سير عامة الليل .   (٤) كذا .

(٥) ماجوابها : جعلوا يعدون بها بين ارتفاع وانخفاض ، فيكون لذلك شبه الموج ، أو لعل صوابها « هاجوا » بمعنى ثاروا . وأبو نواس يستعمل هذه الكلمة فى مثل هذا الموضع : قال فى طردية له سبقت فى هذا الجزء من الحيوان ص ٤٠

* هجنا بكلب طالما هجنا به *

وقال فى طردية أخرى بالديوان ٢٠٧ :

* هجنا به وهاج من نشاطه *

وقال فى غيرها بالديوان ٢٢٢ :

* هجنا به فهاج للنزال *

واليعاسيب : جمع يعسوب ، وهو أمير النحل . وشبههن باليعاسيب فى دقة خصورهن . وخسا : أى فردا ، أراد عددا فرديا ، فسره بالثلاثة فى البيت بعده . وفى اللسان : وتخاسى الرجلان : تلاعبا بالزوج والفرد ، يقال خسا أو زكا : أى فرد أو زوج ؛ وروى شواهد للكميت ورؤبة .

(٦) الحزان بضم الحاء وكسرها : جمع حزيز ، وهو الأرض الصلبة الغليظة المرتفعة قليلا =

رحيبةِ الأشداقِ غضْفٍ فى دَفاً[1] تلوى بأذناب قليلات اللِّحا[2]

سَمَعْمَعاتِ الضُّمْر من طُول الطَّوَى[3] من كلِّ مَضْبُورِ القَرَا عارى النَّسا[4]

مُحَمْلَجِ المَتْنَين مَنْحُوضِ الشَّوى[5] شَرَنبَثِ البُرْثُنِ خفَّاقِ الحشا[6]

= وقال أبو نواس من طردية سبقت له ص ٢٣ :

فسمونا للحزيز به فدفعناه على أظب

والصوى : ماغلظ من الأرض وارتفع ولم يبلغ أن يكون جبلا . وفى ط : « تقلص حزان الصوى » . وقلص فى جميع صوره واشتقاقاته فعل لا يتعدى ، فصوابه ماأثبت من س ، ومب .

(١) رحيبة : واسعة ، وفى ط ، م : « وحيبة » وفى س : « رجيبة » تحريف ماأثبت من مب . والغضف : جمع الأغضف ، وهو المسترخى الأذن . وهى فى الأصل : « عصف » ، صوابه فى مب . والدفا : إقبال إحدى الأذنين على الأخرى حتى تكاد أطرافهما تماس فى انحدار قبل الجبهة . وهى فى الأصل : « رقا » ، وفى مب : « رفا » ولا وجه له . ولأبى نواس فى مثل هذا المعنى قوله (ص ٣٠ من هذا الجزء) :

* أدفى ترى فى شدقه تأخيرا *

(٢) ألوت الكلاب بأذنابها : حركتها . واللحا : مقصور اللحاء . وعنى به هنا مايحيط بعظم الذنب من اللحم . وانظر الحيوان ٢ : ١٦٨ .

(٣) السمعمع : الخفيف اللحم . و « الضمر » أى بسبب الضمر . والطوى : الجوع . وكان العرب يجوعون كلاب الصيد ليكون ذلك أضرى لها . قال امرؤ القيس :

مغرثة زرقا كأن عيونها من الذمر والإيحاء نوار عضرس

مغرثة : مجوعة . وقال عبدة بن الطبيب كما فى المفضليات ١٣٩ :

يشلى ضوارى أشباها مجوعة فليس منها إذا أمكن تهليل

(٤) المضبور : المكتنز اللحم . والقرا : الظهر من مركب العنق إلى علوة الذنب . والنسا ، قال ابن قتيبة : عرق يستبطن الفخذين حتى يصير إلى حافر الدابة ، فإذا هزلت الدابة ماجت فخذاها فخفى ، وإذا سمنت انفلقت فخذاها فجرى بينهما واستبان كأنه حية . ومثل ذلك فى اللسان عن الأصمعى .

(٥) يقول : هو مكتنز اللحم الذى يكتنف صلبه ، كما أنه قليل لحم اليدين والرجلين .

(٦) الشرنبث : الغليظ . والبرثن : الكف مع أصابعها . وخفاق الحشا : ضامر البطن .

تخالُ منه القصّ من غير جَنأً (١) مَسَنَّتا صَفواء فى حَيَدىْ صَفا (٢)

يلتهب الغائِطُ مِنْهُ إن عدا (٣) يُقادح المرْوَ وشَذّان الحَصاَ (٤)

حتَّى إذااستسحَرَ فى رَأْد الضُّحى (٥) بمربَإٍ أوْفَى به على الرُّبا (٦)

أرانباً من دونها سِربًا ظِبا (٧) نواشزاً من أنَسٍ إلى خَلاَ (٨)

---

(١) القص والقصص : الصدر أو عظمه . والجنأ : انكباب الصدر إلى الظهر .

(٢) المسنة : اسم مكان من السن بمعنى الصب . مب : « مشبتا » ، وفى سائر النسخ : « مسنة » والوجه ماأثبت من الجمع بينهما . الصفواء : الملساء . وهى فيما عدا مب : « صفراء » ، تحريف . وأبو نواس حين شبه صدر الكلب فى صلابته وملاسته بالمسنة الصفواء ، نظر إلى امرئ القيس فى تشبيهه متن فرسه بالصفواء ، إذ يقول فى معلقته :

كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل

ماعدا مب : « جيد صفا » تحريف . والحيد ، بوزن سهم : ماشخص من الجبل . والصفا : الحجارة الملساء .

(٣) الغائط : المطمئن الواسع من الأرض . و « منه » هى فى ط ، م : « من غد » ، وهو تحريف . وفى س موضع هذه الكلمة بياض ، وإثباته من مب .

(٤) المرو : حجارة بيض براقة تورى النار ، والكلب يقادح المرو : أى يجعل بعضه يحك بعضاً فتظهر لذلك نار . وشذان الحصى ، بالفتح وتشديد الذال : ماتطاير منه . ولأحمد بن زياد بن أبى كريمة فى مثل هذا المعنى :

إذا افترشت خبتا أثارت بمتنه عجاجا وبالكذان نار الحباحب

وقول أبى نواس أشرف وأقوى .

(٥) ماعدا مب : « استحس » وهو تحريف لا وجه له . ورأد الضحى : الوقت بعد انبساط الشمس ، وارتفاع النهار .

(٦) المربأ : المرقب . والربوة : ما ارتفع من الأرض ، جمعها « ربا ». وأوفى به على الربا : أشرف عليها . والبيت فى الأصل محرف ، فهو فى ط :

* مر بأوفى علم به الربا *

وفى س ، م : « بمربأ أوفى به على الربا » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٧) « أرانبا » هو مفعول « استسحر » .

(٨) نشز من المكان : خرج منه . وفى ط ، م : « نواشطا » . والوجه فيه ماكتبت . وفى مب : « نواشرا » ، وهو تحريف . والأنس بالتحريك : الجماعة الكثيرة أو الحى المقيمون . والخلا : مقصور الخلاء . يقول : لما أحس الصيد بقرب الأنس منه عن له أن يخلص بنفسه إلى الخلاء ، فنشط إلى ماحسبه مأمنا له .

فوضَى يُدَعْثِرنَ أفاحيصَ القطا[١] لَعلَعنَ واستلْهثْن من غيْرِ ظما[٢]

مبالغاتٍ فى نَهيمٍ وصأَى[٣] كأَنَّما أعينُها جمر الغَضى[٤]

ثمَّ تطَلّعنَ معًا كالبرقٍ لا فى الأرض يَهوينَ ولا لوح الهوا[٥]

كأَنّها فى شَرطها لمــا انبرى[٦] كواكبٌ يُرمَى الشّياطِينُ بها

---

(١) فوضى : متفرقات أو مختلط بعضها ببعض . يدعثرن : يهدمن ويفســدن . وأفاحيص القطا : جمع أفحوصة ، وهى مجثم القطاة تضع فيه بيضها ، يكون فى التّراب ، سمى بذلك ، لأنها تفحصه أى تبحثه وتحفره . والأفحوص خاص بالقطاة ، قال ابن سيده : وقد يكون الأفحوص للنعام .

(٢) يقول : قد أدلعت هذه الكلاب ألسنتها وأخرجــتها ، فعل الظمآن ، وما بهــا من ظمأ ، وإنما هو فرط رغبتها فى الصيد .

(٣) النهيم : الصوت . وفى اللسان : « صأى الطائر ، والفرخ ، والفأر ، والخنزير ، والسنور ، والكلب ، والفيل ، بوزن صعى ؛ يصأى صئيا وصئيا — أى بفتح الصاد وكسرها مع تشديد الياء — وتصاءى أى صاح » وزاد فى القاموس صئيا بضم الصاد ، إذ جعله مثلث الصاد . ولم أجد فيهما « الصأى » .

(٤) الغضى : شجــر دائم الخضرة ينبت بالرمــل . وجمره — أى ناره — بطيئة الانطفاء . ومن نعت الكلب الجيد أن يكون أزرق العين ، والزرقة : الخضرة فى ســواد العــين . أما نعتها بالحمرة ، كما فى هــذا البيت ، وكما فى قول امرئ القيس :

مغرثة زرقا كأن عيونهــا من الذمر والإيساد نوار عضرس

ونوار العضرس أحمر قانئ . وكما فى قول أحمد بن زياد بن أبى كريمة :

تــدير عيونا ركبت فى براطل كجمر الغضى خزرا ذراب الأنايب

وقول أبى نواس أيضاً :

كأنما يطرف من بين الهدب بجمرتى نار بكف مختضب

فليس يتنافى مع وصفها بالزرقة ، فإنما تلك الحمرة فى بياض العين لافى ســوادها وتزداد الحمرة وتشتد حينما يهاج الكلب ويغرى بالصيد .

(٥) فى ط : « فى أرض يهوى » وصوابه فى س ، م ، مب . وفى اللسان : « اللوح بالضم : الهواء بين السماء والأرض . وقال اللحيانى : هو اللوح ، واللوح لم يحك فيه الفتح غــيره » . جعلها فى عدوها كأنمــا تسبح فوق سطح الأرض ، فلا هى تمس أديم الأرض ، ولا هى تعلو فى الجو ، يخيل ذلك للناظر من شــدة سرعتها وهذا تصوير دقيق عجيب .

(٦) فى ط ، م : « من شرطها » ، صوابه فى ش ، ومب .

يذْمُرْنَ بالإيسادِ ذَمْرًا وَأَيَا(١) حتى إذا ماكنَّ منهنَّ كها(٢)
دارتْ عليهنّ من الموت رَحَى تجذبهنَّ بحديداتِ الشَّبا(٣)
شَوَامِذٌ يلعَطْن مَعْبُوط الدِّما(٤) بين خليع الزَّورِ مرضُوض الصَّلاَ(٥)
وبينَ مفْرِيٍّ النِّياطِ قد شَصَا(٦) كأنّه مبتهِــلٌ إذا دَعا

---

(١) ذمر الكلب : حضه على الصيد . ماعدا مب : « يدمرن » ، وهو تحريف. والإيساد : إغراء الكلب بالصيد ، وفى ط : « بالإيسار » وهى على الصواب فى س ، م ، مب . و « ذمرا » هى فى الأصل : « زمرا » وصوابه ماأثبت . و « أيا » كلمة يزجر بها . وفى مب : « من مرباوبا » .

(٢) « كها » بمعنى مثلها . ودخول الكاف على مثل هذا الضمير ضرورة شعرية . انظر سيبويه ١ : ٢٧٤ والخزانة ٤ : ٢٧٤ بولاق .

(٣) الشبا : جمع شباة ، وهو الحد . ماعدا مب : « مخربين ومحدين » .

(٤) شوامذ : رافعات أذنابها من شدة المرح والنشاط . وقد جاءت هذه الكلمة فى ط برسم « نوامذ » ؛ وفى مب : « شوامذا » . وهو تحريف صوابه فى س ، م . و « يلعطن » من اللعط وهو اللحس ؛ ولم أجد نصا صريحا لمعنى هذه الكلمة ؛ إلا مايفهم من عبارة القاموس فى مادة (لعط) قال : « وكقعد : كل مكان يلعط نباته أى يلحس » . وأما « اللطع » بتقديم الطاء فقد صرح ابن منظور والفيروزبادى بأنه اللحس . وهى فى ط ، م : « يطلعن » وفى مب : « ينطقن » ولا وجه له ؛ والوجه ماأثبت من س . والدم العبيط والمعبوط : الطرى اللين .

(٥) الزور : وسط الصدر ؛ أو ماارتفع منه إلى الكتفين ؛ أو ملتقى أطراف عظام الصدر حيث اجتمعت . وفى جمهور النسخ : « الروض » ولا وجه له ، وفى مب : « حريق الروق » . وأبو نواس فى طردية أخرى يقرن بين الزور والعجب — والعجب أصل الذنب . والصلا المذكور فى البيت : مكتنفا الذنب — قال أبو نواس :

حتى انثنى مختضبا وما اختضب من مغرز الزور إلى عجب الذنب

(٦) مفرى : مشقوق . ماعدا مب « مغرى » محرفة . والنياط : القلب ؛ أو العرق من العروق الرئيسة . وشصا : قطعت رجله فارتفعت مفاصله . وفى ط ، م : « فلسطا » ، وفى س : « سطا » ، وكلاهما تحريف ماأثبت من مب .

وماثلِ الفَوْدَيْنِ مجلوز القَفا[١] يُقْفِينَ بالأكبادِ منها والكُلَى[٢]

٢٢ * وبالقلوبِ وكَرَادِيس الطُّلى[٣] *

(طردية تاسعة لأبى نواس)

وقال أيضاً :

لمَّا تبَدَّى الصُّبْحُ من حِجَابِه وانعدلَ الليلُ إلى مآبِه

خرَّطه القانصُ واغتدَى به[٤] فى مِقودٍ يَردَعُ من جذَابه[٥]

يَعُزُّه طورًا على استصعابِه[٦] وتارةً ينصبُّ لانصِبابه

كأنَّما يفتَرُّ من أنيابِه عن مُرهَفات السِّنِّ من حِرابِه[٧]

يَرْثُمُ أنفَ الأرضِ فى ذَهابِه[٨] حتَّى إذا أشْرَفَ مِنْ حِدَابِه[٩]

---

(١) الفودان : جانبا الرأس . والجلز : الطى ، أو اللى ، أو المد ، أو النزع .
و « القفا » هى فيما عدا مب : « القنا » تحريف ؛ وفى مب : « محلوق القفا » .

(٢) يقفين ، من قولهم : أقفاه بطعام : آثره به . ش ، م : « يقعر » ، وفى ط : « يعقر » ، صوابهما فى مب .

(٣) الكردوس ، بضم الكاف والدال : كل عظمين التقيا فى مفصل . وفى س ، م : « كواديس » محرفة صوابها فى ط ، مب . والطلى : جمع طلية بالضم ، [وهى العنق أو أصلها .

(٤) خرطه : أرسله .

(٥) جذابه : جذبه . وفى الأصل : « جدابه » ؛ والوجه ماأثبت .

(٦) سبق شرح هذا البيت ومابعده فى ص ٤٠ من هذا الجزء .

(٧) عنى بالمرهف السيف القاطع . ماعدا مب : « عن مرهف ألس » تحريف . ط ، م : « من جرابه » صوابه فى ش ، ومب .

(٨) رثم أنفه : كسره ؛ وعنى أن الكلب يقشر وجه الأرض من شدة عدوه .

(٩) أشرف : علا شرفا ، أى مكانا مرتفعا . والحداب بالكسر ، والأحداب كذلك : جمع حدب بالتحريك ؛ وهو الأكمة ، أو ما ارتفع وغلظ من الأرض .

بعد انحدار الطَّرْف وانقلابِه ... بروضةِ القاعِ إلى أعجابِه [١]
أرسَلَهُ كالسَّهْمِ إذْ غالَى بِه [٢] ... يكادُ أن ينسَلّ من إهابه [٣]
كلَمَعانِ البرقِ فى سَحابِه ... حتَّى إذا ما كادَ أو حَدَا بِه [٤]
وانصاتَ للصَّوتِ الذى يُدْعَى به [٥] ... كأنَّما أُدْمِجَ فى خِضابِه [٦]
مابين لَحْيَيْـه إلى أقْرَابِه [٧] ... مشَهَّر الغُدُوِّ فى إيابه [٨]

---

(١) القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام . وروضة القاع : الموضع الذى يجتمع إليه المـاء فيكثر نبته . وأعجاب القاع : أطرافه ونهاياته ، مفرده عجب بالفتح . و « بروضة » هى فى ط : م : « بروضته » ، والصواب فى س ، ومب .

(٢) الرواية فى الصناعتين ص ٨٠ :

* أرسله كالسهم إذ غلا به *

يقال غلا بالسهم ، وغالاه ، وغالى به : رمى به أبعد ما يقدر عليـه . فالروايتان صحيحتان .

(٣) ينسل من إهابه : يخرج من جلده . قال العسكرى فى الصناعتين : مأخوذ من قول ذى الرمة :

لايذخران من الإيغال باقية ... حتى تكاد تفرى عنهما الأهب

وقول كثير :

إذا جرى معتمداً لأمـه ... يكاد يفرى جلده عن لحمـه

(٤) فى ط : « حارابه » وفى س ، م : « حادى به » ، صوابهما فى مب .

(٥) انصات للصوت : أجابه . ماعدا مب : « فانصاع » .

(٦) ماعدا مب : « إحصابه » ، وإنما المراد خضابه من دماء الصيد .

(٧) الأقراب : جمع قرب بالضم وبضمتين ، وهو الخاصرة ، أو من الشاكلة إلى مراق البطن .

(٨) المشهر : المعروف المتعالم . ماعدا مب : «مستهتر الغدوة » تحريف .

(طردية عاشرة لأبي نواس)

وقال أيضاً[١] :

ماالبرقُ فى ذِى عارضٍ لَمّاحِ[٢] ولاانقضاضُ الكوكبِ المُنْصَاحِ[٣]
ولا انبتاتَ الدَّلو بالمتَّاحِ[٤] ولا انسيابُ الحُوتِ بالمُنْدَاحِ[٥]

---

(١) هذه الطردية مثبتة فى ديوان أبى نواس ٢١٦ . وقبلها سبعة أشطار منها لم يروها الجاحظ ، وهى :

قد أغتدى فى فَلَق الإصباحِ
بمطعَم يوجر فى سراحِ
مؤيَّدٍ بالنَّصْرِ والنَّجاحِ
غذته أظآرٌ من اللِّقاحِ
فهو كميشٌ ذَرِبُ السِّلاحِ
لا يسأمُ الدَّهْرَ من الضُّباحِ
منجَّـذٌ يأشَرُ للصِّياحِ

الـكميش : السريع . والذرب : الحاد . والضباح : الصياح ، وهو فى الأصل للثعلب . والمنجد والمنجذ أيضاً : المجرب ، بتشديد الراء المفتوحة . يأشر للصياح : ينشط عند صياح الصائد به .

(٢) العارض : السحاب يعترض الأفق .

(٣) المنصاح : المستنير .

(٤) انبتات الدلو : انقطاع حبلها . والمتاح : الذى ينتزع الدلو .

(٥) المنداح : عنى به البحر الواسع . وبدل هذا الشطر مع سابقه فى مب :

* إلا انثناء الحوت بالمنداح *

حِين دنا من راحةِ السَّبَّاحِ[١] أجدَّ فى السُّرعةِ من سِرياحِ[٢]
يَكادُ عِنْدَ ثَمَلِ المِرَاحِ[٣] إذا سَمَا الخاتِلُ للأَشْباحِ[٤]
يَطيرُ فى الجوِّ بلا جَنَاحِ[٥] يفترُّ عن مِثْلِ شَبَا الرِّماحِ[٦]
فكَمْ وكَمْ ذِى جُدَّة لَيَاحِ[٧] ونازِبٍ أعْفَرَ ذى طِماحِ[٨]

---

(١) أى حين قرب من كف السابح . و « حين » هى فيما عدا مب : « حتى » ، وقوة المعنى تستدعى « حين » ، إذ المراد سرعة الحوت حين يشتد فى فراره من يد السابح . و « السباح » هى كذلك فى س ، م والتيمورية . وفى ط : « السياح » وفى مب : « الممتاح » محرفة ، وهذا الشطر والشطر قبله هما فى الديوان اثنان فحسب ، والرواية فيه هكذا :

ولا انبتاتُ الحَوْأبِ المنداحِ
حين دنا من راحة المتَّاحِ

والحوأب المنداح : الدلو الواسع .

(٢) سرياح بالكسر : اسم كلب ، وهى فى الأصول : « سرباح » بالباء ، وتصحيحه من الديوان والقاموس مادة (سرح) .

(٣) « يكاد » فيما عدا مب « فكاد » ، والوجه ما أثبت مطابقاً للديوان . والثمل ، بالتحريك : السكر ونشوته. ماعدا مب : « نمل » محرفة . والمراح بالكسر : النشاط والأشر ، وهى فى الأصل : « المزاح » ، ولا وجه له ، والصواب ماأثبت من مب ، والديوان .

(٤) سما للصيد : خرج طالباً له يتعين شخوصه . والخاتل : الخادع . ماعدا مب : « أرى الخاتل » وفى مب : « سنا الحايل » ، وفى الديوان : « سما الخايل » ولعل الوجه ماأثبت . والأشباح : الشخوص ، يعنى شخوص الصيد .

(٥) الجو : الهواء. مب : « جو » ماعدا مب : « الجد » والصواب من الديوان .

(٦) شبا الرماح : حدودها، جمع شباة .

(٧) الجدة : الخطة السوداء فى متن الحمار . والليَاح ، كسحاب وكتاب : الأبيض .

(٨) النازب : عنى به الظبى ، والنزيب : صوته . والأعفر من الظباء : مايعلو بياضه حمرة ، أو الذى فى سراته حمرة وأقرابه بيض ، أو الأبيض ليس بالشديد البياض . والطماح بالكسر : الجماح .

* غادَرَهُ مضرَّجَ الصِّفاحِ[1] *

باب آخر فى الكلب وشأنه ٢٣

(تفسير بعض ما قيل من الشعر فى الكلاب)

قال طُفيلُ الغَنَوىّ :

أناس إذا ما أنكر الكلبُ أهْلَهُ حَمَوْا جارَهُمْ مِن كلِّ شنْعاءَ مُظْلِـع[2]

يقول : إذا تكفَّروا فى السِّلاح لمْ تَعْرِفْهُم كلابُهُـم .

ولم يَدَّعِ جميعُ أصحابِ المعارفِ إلَّا أنَّ الكلبَ أشدُّ ثِباتاً[3] ، وأصدقُ حِسًّا . وفى ذلك يقول الآخر :

فلا تَرفَعى صوتاً وكُونى قَصِيَّةً إذا ثَوَّبَ الدَّاعِى وأنكَرَنِى كَلْبى[4]

يقول : إيّاكِ والصُّراخَ[5] إذا عايَنْتِ الجيش .

---

(١) يقول : تركه مضرج الجوانب بالدم .

(٢) هذا البيت رواه أبو على فى الأمالى (١ : ٥٥) بهذه الرواية : مطابقا لديوانه ٢٨ :

أناس إذا ما أنكر الكلب أهله حموا جارهم من كل شنعاء مضلع

قال أبو على : « ويروى مفظع » قال : ومضلع : شديدة ، يقال أضلعنى الأمر : إذا اشتد على وغلبنى اه . وقال فى اللسان ، ولم يرو البيت : « وداهية مضلعة تثقل الأضلاع وتكسرها » . فيظهر أن ماهنا عن س ، م رواية ثالثة فى البيت ، وفى ط : « تطلع » وهى ظاهرة التحريف . و « مظلع » : تجعل صاحبها يظلع : أى يعرج . وجاء فى الحديث : « الحمل المضلع ، والشر الذى لاينقطع ، إظهار البدع » فقال ابن الأثير : « ولو روى بالظاء من الظلع : العرج والغمز ، لكان وجها » . و « الشنعاء » قال أبو على : هى الداهية المشهورة .

(٣) مب : « ولم يدع ذكر جميع ». وحسبت أن « ثباتا » محرفةعن « إثباتا » — والإثبات بمعنى المعرفة — ثم وجدت فى القاموس واللسان : « وثابته وأثبته : عرفه حق المعرفة» . فكلمة « ثباتا » مصدر « ثابته » كما أن « إثباتا » مصدر « أثبته » .

(٤) القصية : البعيدة . والداعى : الذى يدعو الناس إلى القتال . ثوب : دعا مرة بعدأخرى . ماعدا مب : « صوت » .

(٥) ماعدا مب : « الصياح » .

وقوله : « أنكرنى كلبى » ، يخبر أنَّ سلاَحَهُ تامٌّ من الدِّرع والمِغْفَر والبَيضَة[1] . فإذا تكفَّر بسلاحه أنكره كلبُه فنبحَه[2] .

وأمَّا قوله :

إذا خَرِس الفَحل وسطَ الُحجورِ[3] وصاحَ الكلابُ وعُقَّ الْوَلد

فأمَّا قوله : إذا خرِسَ الفحل ، فإنَّ الفحلَ إذا عايَن الجيشَ وبوارِقَ السيوف ، لم يلتفت لِفتَ الُحجورِ[3] .

وأمَّا قوله : وصاح الكلاب ، فإنَّ الكلابَ فى تلك الحالة تنبَح أربابَها كما تنبح سَرَعَانَا لخبل إليهم[4] ؛ لأنَّها لا تعرفهم من عدُوِّهم .

وأمَّا قوله : وعُقَّ الولد، فإنّ المرأةَ إذا صبَّحتهم الخيل، ونادى الرجال يا صباحاه ! ذُهِلت عن ولدها ، وشغَلها الرُّعبُ عن كلِّ شىء . فجعَلَ تركها احتمالَ ولدها والعطفَ عليه فى تلك الحالة ، عقوقاً منها ، وهو قولُهم : نزلتْ بهم أمور لا يُنادَى وليدُها[5] ، وإنَّما استعاروا هذه الكلمة فصيَّروها فى هذا الموضع من هذا المكان .

وقد ذكر ذلك مزرِّد بن ضِرَارٍ وغيرُه ، فقال :

---

(١) المغفر، كمنبر وسحاب وكتابة : زرد يلبس تحت البيضة ويغطى العنق ، وقيل حلق يتقنع به المتسلح . والبيضة : غطاء حديدى للرأس .

(٢) تكفر بسلاحه : دخل فيه فاستترت هيئته، ماعدا مب : « فينبحه » .

(٣) ماعدا مب : « الحجون » ، وهو تحريف صوابه ما أثبت . والحجور كالحجورة والأحجار : جمع حجر بالكسر ، وهى الأنثى من الخيل .

(٤) سرعان الخيل بالتحريك : أوائلها ، وقد يسكن .

(٥) وقال أبو عبيد : معناه أمر عظيم لاينادى فيه الصغار ، وإنما يدعى فيه الكهول والكبار . وقال الكلابى : هذا مثل يقوله القوم إذا أخصبوا وكثرت أموالهم ، فإذا أهوى الصبى إلى شىء ليأخذه لم ينه عن أخذه ، ولم يصح به ، لكثرته عندهم . الميدانى (٢ : ٣١٢) . وقال أبو العميثل : الصبيان إذا رأوا شيئاً عجيبا تحشدوا له ، مثل القراد والحاوى ، فلا ينادون ولكن يتركون يفرحون . أدب الكاتب ٤٨ — ٤٩ .

تَبَرَّأْتُ مِن شَتْمِ الرجالِ بتوبةٍ إلى اللهِ مِنى لا يُنادَى وَلِيدُها[1]

وقال الآخر :

ظَهَرتُم على الأحرار من بَعْدِ ذِلَّةٍ وشِقْوَةِ عَيشٍ لا يُنادَى وَلِيدُها[2]

٢٤ والذى يُخرِسه إفراطُ البَرد ، وإلحاحُ المطر ، كما قال الهذلىُّ[3] :

وليلةٍ يَصْطَلى بالفَرْثِ جَازِرُها يَخْتَصُّ بِالنَّقَرَى الْمُثرِينَ دَاعِيها[4]

لا يَنْبَحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ من الصَّقِيعِ ، ولا تَسْرِى أفاعيها

وقال ابن هَرْمة :

واسألِ الجارَ والمعصِّبَ والأضيا فَ وَهْناً إذا تَحيَّوْا لديَّا[5]

كيف يَلقَوْنَنى إذا نبَحَ الكلـ بُ وراءَ الكُسورِ نَبحاً خَفيَّا

وقال آخر :

إذا عمِىَ الكلبُ فى دِيمةٍ وأخرسهُ اللهَ مِن غيرِ صِرّْ[6]

يقول : الكلبُ وإن أخرَسَه البردُ الذى يكون مع المطر والرِّيح التى تمرُّ[7] بالصَّحارى المطيرة فتَبرُدُ ، فإنَّ الكلب وإن ناله ذلك فإنَّ ذلك من خِصبٍ ؛ وليس ذلك من صِرٍّ[8] .

---

(١) مثل هذه الرواية فى اللسان (ولد) مع النسبة إلى ضرار . والبيت فى الميدانى (٢ : ٣١٣) غير منسوب ، والرواية فيه هكذا :

فأقصرت عن ذكر الغوانى بتوبة إلى الله منى لاينادى وليدها

(٢) ومن هذا المعنى ماأنشده الميدانى (٢ : ٣١٣) من قول الآخر :

لقد شرعت كفا يزيد بن مزيد شرائع جود لاينادى وليدها

(٣) هو جنوب أخت عمرو ذى الكلب. ديوان الهذليين (٣ : ١٢٦) . وقد سبق فى ١ : ٣٨٨.

(٤) يقال دعا النقرى : إذا خص بدعوته ، والجفلى : إذا عم فى دعوته .

(٥) سبق الكلام فى هذا الشعر بالجزء الأول ص ٣٨٨ .

(٦) الديمة : المطر الدائم . والصر : البرد الشديد . وهذا البيت فى الأصل مقحم ظلماً بين بيتى « تبرأت من شتم الرجال » و « ظهرتم على الأحرار » فى أول هذه الصفحة . فرددته إلى موضعه الطبيعى ، والكلام الآتى خاص بمعنى هذا البيت .

(٧) ط : « تمطر » والوجه ماأثبت من س .

(٨) قد يرى القارئ تناقضا فى هـذا القول ، وليس به ، وبخاصة إذا عرف أن الصر أقوى من البرد .

(نبح الكلاب السحاب)

والكلب إذا ألَحّت عليه السحائب بالأمطار فى أيام الشتاء لقىَ جِنّة[١] فمتى أبصَرَ غيماً نبحه ؛ لأنّه قد عرَف ما يُلَقّى من مِثله . وفى المثل : « لَا يَضُرُّ السّحَاب نُبَاحُ الكلاب[٢] » ، فقال الشاعر :

وما لىَ لا أغْزو وللدَّهر كَرَّة وقد نَبحتْ نحوَ السماءِ كلابُها

يقول : قد كنت أدَعُ الغَزْو مخافةَ العطش على الخيل والأنفس ، فما عُذرِى اليوم والغُدرانَ كثيرة ، ومَناقع المياه موفورة[٣] .

والكلابُ لاتنبَح السحاب إلّا من إلحاح المطر وترادُفه .

وقال الأفوه الأودِىّ ، فى نبح الكلاب السحاب ، وذلك من وصف الغيم :

له هَيْدَبٌ دانٍ ورعْد ولَجّةٌ وبرق تراهُ ساطعاً يتبلّجُ[٤]

فباتَت كلاب الحىِّ ينبَحْنَ مُزْنَهُ وأضْحَتْ بَنات الماءِ فيها تعمَّجُ[٥]

---

(١) الجنة : الجنون . وواضح أن هذا القول غير القول الأول ، فلعل وجه الكلام « وقيل : الكلب إذا ألحت عليه السحائب . . . » الخ .

(٢) المثل عند الميدانى (٢ : ١٤٨) وقال : « يضرب لمن ينال من إنسان بما لايضره » .

(٣) فى الأصل : « موجودة » ، وما كتبت أشبه بالكلام .

(٤) الهيدب : السحاب المتدلى ، أو ذيله . واللجة ، بالفتح : الجلبة .

(٥) تعمج : تسبح فى الماء أو تتثنى . وهذا مافى س . وفى ط : « تمعج » أى تلتوى وتتثنى . وبنات الماء عنى بها السمك . وهناك ضرب من السمك يسمى « بنات الماء » وهو عجيب الخلقة — زعموا — وليس يريده الشاعر . انظر الدميرى .

(قول أبى حيَّة النميرىّ فى الكلب)

وقال أبو خالد النميرىّ : وذكروا[١] فرعون ذا الأوتاد عند أبى حيَّة النميرىّ ، فقال أبو حيَّة : الكلبُ خير منه وأحزم ! قال : فقيل له كيف خَصَصْتَ الكلبَ بذلك ؟ قال : لأنَّ الشاعر يقول :

ومالىَ لا أغْزُو وللدَّهرِ كَرَّة   وقد نبحت نَحوَ السماءِ كلابُها

وقال الفرزدق :

فإنّك إن تهجو حنيفةَ سادرًا   وقبلك قد فاتوا يَدَ المتناوِل[٢]

كفِرعَوْنَ إذ يرمى السَّماءَ بسهمِهِ   فرُدَّ عليه السهم أفوقَ ناصِلِى[٣]

٢٥ فهذا يرمى السماءَ بجهله ، وهذا ينبَح السحابَ من جَودَة فِطنته .

(تعصّب فهد الأحزم للكلب)

وزعم فهدُ الأحزم[٤] أنّ الكلبَ إنَّما عَرَف مخرَج ذلك الشىء المؤذى له حتَّى نبحه بالقياس ، لأنَّه إنما نبَحه بعد أن توالى عليه الأذى من تلك الجهة . وكان فهد[٥] يتعصَّب للكلب ، فقلت له : وكذلك الحمار

(١) فى الأصل : « وذكر » ، والوجه ماأثبت .
(٢) لم أجد البيتين فى ديوان الفرزدق . وفيهما إقواء .
(٣) س : « ناصل » . ط ، م : « ناضل » صوابهما من التنبيه على الحماسة لابن جنى (مصورة معهد المخطوطات) عند قول الحماسى : * كساق الجرادة أو أحشى * والسهم الأفوق : المكسور الفوق بالضم ، وهو موضع الوتر من السهم . والناصل : الذى خرج سهمه . قال ابن جنى : «أى أفوق ناصليا » .
(٤) هـذا مافى س . وفى م : « الأخرم » موضع « الأحزم » وفى ط : « فهذا جزم » وهو تحريف ظاهر .
(٥) ط : « وكان فهذا » ، وهو تحريف مافى س و م .

إذا رفعت عليه السّوط مرّ من تحتك مَرًّا حثيثاً . فالقياس عَلَّمَهُ[١] أنّ السّوط متى رُفِع حُطّ ، ومتى حُطّ أصابَه ، ومتى أصابه ألِمَ . فما فضْلُ الكلب فى هذا الموضوع على الحمار ، والحمارُ هو الموصوف بالجهل ؟ !

(مما قيل فى نباح الكلاب)

قال الفرزدق :

وقد نَبَحَ الكلبُ السحابَ ودُونَها مَهامِهُ تعْشِى نَظْرَةَ المتأمِّلِ

وقال الآخر :

مالَكَ لاتَنبحُ يا كَلْبَ الدَّوْمْ قد كنتَ نبَّاحًا فما بالُ اليَوْمْ

قال : كان هذا رجلٌ ينتظر عِيرًا له تَقدَمْ ، فكان إذا جاءت العِيرُ نبح ، فاحتبست عليه العيرُ ، فقال كالمتمنِّى وكالمنتظر المستبطئ : مالك لاتنبح ؟ أى ماللعِيرِ لاتأتى .

(فراسة إياس بن معاوية فى الكلاب)

وقال : خرج[٢] إياس بن معاوية، فسمع نُباح كلب فقال : هذا كلبٌ مشدود . ثم سمع نباحَه فقال : قد أُرسِل . فَانتهوْا إلى الماء فسألوهم فكان كما قال . فقال له غيلان أبو مروان[٣] : كيفَ علمتَ أنَّه موثَق وأنَّه أُطلق؟قال :

---

(١) فى الأصل : « علم »
(٢) فى الأصل : « حج » .
(٣) قال ابن النديم فى شأنه : « وقد استقصيت خبره فى مقالة المتكلمين فى أخبار المرجئة. ولرسائله مجموع نحو ألفى ورقة » . والظاهر أن ابن النديم لم يف بوعده أو لعل كلامه ضاع فيما سقط من الكتاب ، وقد عده فى الكتاب المترسلين بعد عبد الحميد الكاتب . وقد قرنه الجاحظ فى البيان بابن المقفع وسهل بن هارون وعبد الحميد (البيان ٣ : ٢٩) . وهو القائل : « إذا أردت أن تتعلم الدعاء فاسمع دعاء الأعراب » البيان ٢ : ١٦٤ . وقد أثبت له ابن قتيبة نموذجا من رائع كلامه فى عيون الأخبار ٢ : ٣٥٤ . وانظر ترجمته فى المعارف ٢١٢ وآراءه فى « الفرق بين الفرق » .

كان نباحُه وهو موثَق يُسمَع من مكانٍ واحد ، فلما أُطلِق سمعتُه يقرُب مرّةً ويبعُد مرّةً ، ويتصرّفُ فى ذلك .

وقالوا : مرَّ إياس بنُ معاويةَ ذاتَ ليلةٍ بماء ، فقال : أسمَعُ صوتَ كلبٍ غريب . قيل له : كيفَ عرفتَ ذلك ؟ قال : بخُضوع صوتِه وشِدَّة نُباح الآخر . فسألوا فإذا هو غريب مربوطٌ والكلابُ تنبَحه .

(استطراد لغوىّ)

وقال بعض العلماء : كلب أبقَع ، وفرس أبلَق ، وكبش أملح[1] ، وتيسٌ أبرق ، وثور أشْيَه[2] .

ويقال كلب وكلاب وكَليب ، ومَعْز وماعِز ومَعيز . وقال لبيد :

٢٦ فبِتْنَا حيثُ أمسَيْنَا قَرِيباً على جَسَدَاءَ تَنْبَحنَا الكليبُ[3]

---

(١) الأملح : الأبيض يخالط لونه سواد . وفى س: « أخرج » وهما بمعنى ، وجاء فى فقه اللغة ص ٥٧ مايأتى : « فصل فى تقسيم السواد والبياض على مايجتمعان فيه : فرس أبلق ، تيس أخرج ، كبش أملح ، ثور أشيه ، جبل أبرق ، آبنوس ملمع ، سحاب أنمر ، أفعوان أرقش ، دجاجة رقطاء» .

(٢) لا تجد هذه الكلمة فى مادة « شيه » أو « شوه » وإنما هى من مادة « وشى » . قال فى اللسان : » والشية سواد فى بياض أو بياض فى سواد ، الجوهرى وغيره : الشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره ، وأصله من الوشى ، والهاء عوض من الواو الذاهبة من أوله، كالزنة والوزن ، والجمع شيات . ويقال ثور أشيه ، كما يقال : فرس أبلق ، وتيس أذرأ » .

(٣) « جسداء » قال ياقوت : بالتحريك والمد ، ويروى بضم الجيم . وفى القاموس: « جسداء » وضبطت بالقلم فقط بفتح الأول . وهو موضع ببطن جلذان ، وجلذان : موضع قرب الطائف . وفى الأصل : « جسدين » وهو تحريف صوابه فى الديوان ص ٤٩ ومعجم البلدان . و « تنبحنا » هى فى الأصل : « تتبعنا » وصوابها فى المصدرين السابقين . وروايته فى معجم البلدان و اللسان (ثأد ، فرم) « الكلاب » ، صوابه ماهنا وهو مافى الديوان ٢٤٩ و نوادر أبي زيد ص ٦٨ . وبعده فى النوادر والديوان :

نقلنا سبيهم صرما فصرما إلى صرم كما نقل النصيب

وقال عَلْقَمَة بن عَبَدة[١] :

وتُصْبِحُ عن غِبِّ السُّرَى وكأَنَّها　　مُوَلَّعَةٌ تخشى القَنِيص شَبُوبُ[٢]

تَعَفَّقَ بالأَرْطى لَهَا وأرادَها　　رجالٌ فبَذَّتْ نَبْلَهمْ وكَلِيب[٣]

وقال عُبادة بن مُحَبَّرٍ السعدى[٤] :

فَمَنْ للخَيلِ بَعْدَ أبى سرَاجٍ　　إذا ما أشنج الصِّرُّ الكَلِيبا[٥]

وهؤلاء كلهم جاهليّون .

---

(١) من قصيدته المشهورة التى اختارها المفضل الضبى فى المفضليات ٣٩١ – ٣٩٦ . وهى فى الديوان ص ١٣١ من خمسة دواوين العرب . وهذه القصيدة مدح بها علقمة الحارث الوهاب ، سيد بنى غسان وملك الشام ؛ وهى وقصيدة أخرى عرضهما علقمة على قريش فى عامين متتاليين فقالوا : هاتان سمطا الدهر . ومطلعها :

طحا بك قلب فى الحسان طروب　　بعيد الشباب عصر حان مشيب

(٢) يقول : هذه الناقة فى نشاطها بعد سراها الليل ؛ كأنها بقرة وحشية تتوثب نشاطا .

(٣) أبو حنيفة : « الأرطى : هو شبيه بالغضى ، ينبت عصيا من أصل واحد يطول قدر قامة » اه . يقول : قد لاذ هؤلاء الرجال بالأرطى من المطر والبرد . كذا فى اللسان . وعندى أنهم لاذوا بالأرطى لتحين الفرصة لصيدها . وبذت نبلهم : سبقت سهامهم .

(٤) فى ط : « عباد بن مجبر » وفى م : « عباد بن بجير » وفى س : « عباد بن مجير » وصوابها ما أثبت من نوادر أبى زيد ٦٩ . وهو فيما روى أبو زيد : « عياذ ابن محبر » ؛ وصححه أبو حاتم فى روايته بما كتبت . وعبادة هذا : شاعر جاهلى كما فى النوادر .

(٥) « الصر » بمعنى البرد الشديد كما فى النوادر ؛ وهى فى الأصل : « الضر » . و « أشنج » هى فى النوادر « أجأ » ؛ وفى س : « أشجا » ؛ وهذه تحريف مافى النوادر .

(رأى لحمّوية الخريبى فى بقع الكلاب وسودها)

وقال حمُّويَة الْخُرَيْبى [١] وأنشَدُوه [٢] :

كَأَنَّكَ بالْمُبَارَكِ بَعْدَ حينٍ تَخُوض غِماره بُقْع الكِلَاب [٣]

وأنشدوه :

أرسلت أُسْدًا على سُودِ الكلاب فقدْ أَمْسَى شريدُهُمُ فى الْأَرْضِ فُلّالا [٤]

فقال : لاخير فى بُقْع الكلابِ ألبتة ، وسُود الكلاب أكثرها عَقُورًا .

(خير الكلاب والسنانير)

وخيرُ الكِلاب ما كان لونُه يذهب إلى ألوان الأسد من الصُّفْرةِ والْحمرَة . والتبقيع هُجْنة .

وخيرُ السنانير الْخلَنْجِيَّة ، وخير كلاب الصَّيد البِيض .

قَالوا : إنّ الأسَدَّ لِلهراشِ الْحمر والصُّفر ، والسُّودُ لِلذِّئاب ، وهى شرُّها ،

---

(١) الخريبى : نسبة إلى الخريبة : موضع بالبصرة . وفى ط : الخرسى » وفى س : « الحربى » ، وصوابهما ماأثبت من م .

(٢) فى الأصل : «وأنشدنى » ، وسياق الكلام يطلب ما أثبت .

(٣) المبارك : نهر بالبصرة احتفره خالد القسرى لهشام بن عبد الملك . والغمار : جمع غمر بالفتح ، وهو الماء الكثير ، وفى ط ، م : « عمارة » ، وهو تصحيف صوابه فى س ، ومعجم البلدان . وقد سبق هذا البيت فى الجزء الأول ص ٢٦١ . وبقع الكلاب : جمع أبقع ، وهو ماخالط بياضه سواد .

(٤) سبق الكلام فى هذا البيت بالجزء الأول ص ٢٦٢ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لولَا أنّ الكلابَ أُمَّةٌ من الأممِ لأَمَرْتُ بقتلها . ولكن اقتلوا مِنها كلَّ أسودَ بَهيم » .

(القوّة فى السُّود من الحيوان)

وكلُّ شيءٍ من الحيوان إذا اسودَّ شعرُه أو جلدُهُ ، أو صوفه ، كان أقوَى لبَدَنه ولم تكن[1] معرفته بالمحمودة .

(خير الحمام)

وزعم[2] أنّ الحمام الهُدَّاءَ[3] إنما هو فى الخُضرِ والنمر[4] ، فإذا اسودَّ الحمام حتَّى يدخل فى الاحتراقِ صارَ مثلَ الزِّنجيِّ الشديدِ البطش ، القليل المعرفة . والأسوَدُ لايجيء من البعد ؛ لسوء هدايته . والأبيض وما ضرَبَ فيه البياض لايجيء من الغاية ، لضَعْف قواه . وعلى قدر ما يعتريه من البَياض يعتريه من الضّعف .

---

(١) فى الأصل : « ولا تكن » . وانظر ١ : ٢٦٢ .

(٢) لعله : « وزعم مثنى بن زهير » ، وقد كان أخبر الناس بالحمام ، والجاحظ يروى عنه كثيرا فيما يختص بالحمام .

(٣) كذا فى المخصص ٨ : ١٧٠ وقال : « الواحد الهادى » : ويقال هداه فاهتدى وهدى أيضاً : أى صار مهتديا . وهذه الكلمة فى الأصل رسمت هكذا « الهدا » . وقد سبقت فى الجزء الأول ص ٩٧ برسم « الهدى » كما سيأتى فى الجزء الثالث ص ٢١٣ ، ٢١٧ . ويظهر أن القصر والمد لغتان جائزتان فيها . وهى من الجمع الشاذ ، فإن فاعلا معتل الياء لايجمع على « فعل » بضم الفاء وتشديد العين ، ولا « فعال » بالضم وتشديد العين ؛ وإنما قياسه أن يجمع على « فعلة » بضم الفاء وفتح العين كقضاة ورماة ، فى قاض ورام . التوضيح ٢ : ٢٢٤ — ٢٢٥ . قال ابن سيده : « وهن اللائى يدربن ويرفعن من مرحل إلى مرحل حتى يجئن من البعد من بلاد الروم وعريش مصر ودون ذلك ، من مواضع كثيرة مسماة » . وأقول : هو حمام الزجل أو الزاجل . وانظر له الحيوان ٣ : ٢١٢ — ٢٢٧ .

(٤) النمر : أجمع أنمر ، وهو مافيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء .

فالـكلب هو الأصفَر والأحمر ، والحمام هو الأخضر والأَنمرَ ، والسِّنَّور هو الخَلَنْجِيُّ العسَّال ، وسائر الألوان عيب .

وقد يكون فيها ومنها الخارجيُّ[١] كما يكون من الخيل ، ولـكنَّه لايكادُ ينجب ، ولا تعدُو الأمورُ المحمودةُ منه رأسَه ، وقد يكون ربَّما أشْبَهَ وقرب من النَّجابة ؛ فإذا كان كذلك [كان][٢] كهذه الأمهات والآباء المُنجبة[٣] ، إلّا أنّ ذلكَ لايتمُّ منها إلّا بَعْدَ بطون عِدَّةٍ . ٢٧

(استطراد لغوى)

وقال أبوزيد: قال ردَّاد[٤] : أقول للرجُلِ الَّذي إذاركب الإبلَ فَعَقَرَظُهُورَها من إتعابه ، هذا رجل مِعْقَرٌ ، وكذلِك السَّرْج والقَتَب ، ولا يقال للـكلب إلّا عقُور . ويقال هو ضرْو لِلـكلب الضارى على الصيد ؛ وضروة للـكلبة[٥] ، وهذا ضرَاءٌ كثيرة ،وكلب ضارٍ ،وكلاب ضَوَارٍ .وقد ضرِيتْ أشدَّ الضراوة . وقال ذو الرُّمَّة :

مقزَّع أطلس الأطمارِ ليس له إلّا الضِّراء وإلا صَيْدَها نَشَبُ[٦]

وقال طفيل الغنوى :

---

(١) الخارجى : المجهول النسب .

(٢) زدتها ليستقيم الـكلام .

(٣) فى الأصل : « المسنجبة » .

(٤) هو رداد الـكلابى . من فصحاء العرب المشهورين الذين سمع منهم العلمـاء ، ذكره ابن النديم فى الفهرس ٤٧ ليبسك ، ٧٠ مصر .

(٥) فى الأصل : « وضروة الكلبة » .

(٦) المقزع : السريع الخفيف . وأطلس الأطمار : خلق الثياب . والنشب : المـال ناطقه وصامته . وقد عنى ذو الرمة بقوله صفة صائد يصـيد بالـكلاب . والبيت أنشده صاحب اللسان فى ثلاثة مواضع (قزع ، طلس ، ضرو) .

تُبارِى مَرَاخِيها الزِّجاجَ كأنَّها ضِرَاءٌ أحسَّتْ نَبأةً من مكلِّبِ [١]

ومنه قيل : إناء ضار [٢]

وقد قال عمر رضى الله تعالى عنه : « إيَّاكُمْ وهذِهِ المجازِرَ فإنَّ لها ضرَاوَةً كضرَاوَةِ الخمر [٣] » .

وقال الأصمعىّ : كلب أبقَعُ وكلبةٌ بقعاء، وفرس أبلقُ وفرس بَلقاء ، وتَيس أبْرَقُ وعَنْزٌ بَرْقاء ، وكذلك جَبَل أبرقُ وكساءٌ أبرق وكلب أبرق .

---

(١) سبق الكلام على هـذا البيت فى الجزء الأول ص ٢٧٦ . وفى ط : « الدجاج » مكان « الزجاج » وتصحيحه من س وما سبق فى الجزء الأول . ونحوه قول المثلم البلوى فى المؤتلف والمختلف ١٨٢ :

تبارى مراخيها الرياح كأنها ضراء دوان من جداية حلب

(٢) جاء فى اللسان : « وفى حديث على كرم الله وجهه : أنه نهى عن الشرب فى الإناء الضارى ، هو الذى ضرى بالخمر وعود بها ، فإذا جعل فيه النبيذ صار مسكراً ، وأصله من الضراوة وهى الدربة والعادة » . و « إناء » هى فى الأصل : « أتاء » وهو تصحيف كما رأيت . . . وكما يقال « إناء ضار » يقال « سقاء ضار باللبن » أى باق فيه أثر اللبن ، فإذا وضع فيه لبن حديث اكتسب منه طعماً ورائحة خاصة . ويقال « جرة ضارية بالخل والنبيذ » كذلك .

(٣) المجازر : مواضع الجزارين التى تنحر فيها الإبل وتذبح البقر والشاة وتباع لحمانها . قال فى اللسان : « وإنما نهاهم عنها لأنه كره لهم إدمان أكل اللحوم . وجعل لهـا ضراوة كضراوة الخمر : أى عادة كعادتها ؛ لأن من اعتاد أكل اللحوم أسرف فى النفقة ، فجعل العادة فى أكل اللحوم كالعادة فى شرب الخمر ، لما فى الدوام عليها من سرف النفقة والفساد » . وقال الجوهرى فى الصحاح : « قال الأصمعى : المجازر يعنى ندى القوم ، وهو مجتمعهم ، لأن الجزور إنمـا تنحر عند جمع الناس » . وقال ابن الأثير فى النهاية : « نهى عن أماكن الذبح لأن إلفها ومداومة النظر إليها ومشاهدة ذبح الحيوان ، مما يقسى القلب ويذهب الرحمة منه ، وقيل إنما أراد بالمجازر إدمان أكل اللحوم ، فكنى عنها بأمكنتها » .

(الغلام الشاعر)

وقال ابن داحة[١] : نزل عندنا أعرابيٌّ ومعه ابنان له صغيران ، وكان أحدهما مستهتَرا[٢] باللَّعب بالكلاب ، وكان الآخر مسْتَهْتَرًا[٢] بالحُملان ، فقال الأعرابيُّ لصاحب الكلب :

مالى أراكَ مَع الكلاب جَنِيبةً   وأرَى أخاكَ جَنِيبةَ الُحمْلان[٣]

قال : فردَّ عليه الغلام :

لولا الكلابُ وهَرْشُها مَنْ دُونَها   كَانَ الوقيرُ فَريسةَ الذُّؤبان[٤]

والوقير : اسم للغنم الكثيرةِ السائمةِ مع ما فيها مِنَ الحمير وغير ذلك[٥] .

وقال الشماخُ بنُ ضرارٍ :

فأوْرَدَهُنَّ تَقْرِيباً وشَدًّا   شَرَائعَ لم يكدِّرْها الوَقيرُ[٦]

---

(١) لم أعثر على ترجمة له . وقد ذكره الجاحظ فى البيان ١ : ٨٤باسم إبراهيم بن داحة مع جماعة من الرجال ، ثم قال : « وهؤلاء جميعا من مشايخ الشيع » أى الشيعة ، وهو فى الأصل بالراء . وأثبت مافى البيان والحيوان ٢ : ١٥٣ .

(٢) استهتر بالشئ – بالبناء للمجهول – : أولع به ، فهو مستهتر . وفى الأصل : « مشتهرا » من الشهرة . وهو تحريف .

(٣) الجنيبة : الدابة تقاد . وعنى بقوله استهتاره بالحملان .

(٤) الهراش : تحريش الكلاب . . . فى ط : « فراسة لذئاب » وفى م : « فراسة الذؤبان » وصوابهما ، ماأثبت من س .

(٥) فى اللسان : « قال الرمادى : دخلت على الأصمعى فى مرضه الذى مات فيه ، فقلت يا أبا سعيد ، ماالوقير ؟ فأجابنى بضعف صوت فقال : الوقير الغنم بكلبها وحمارها وراعيها . لايكون وقيرا إلا كذلك » فهذا يفسر ماعنى الجاحظ .

(٦) عنى حماراً من حمر الوحش ، قد تقدم جماعة الحمر ليوردها الماء الصافى ، وهو فى ذلك يعلو ويشتد فى عدوه . وحمر الوحش من الحيوانات التى تعتقد الرياسة لأحدها . انظر الحيوان ٥ : ٤١٩ .

(مما قيل من الشعر فى نفع الكلاب)

وقال الشاعر — فى تثبيت ما قال الغلام — :

تَعدُو الذِّئابُ على مَنْ لا كلابَ له وتتَّقى صَوْلَةَ المُسْتأْسِدِ الضارِى[1]

وقال الآخر :

إنَّ الذئاب تَرَى مَنْ لا كلاب له وتتّقى حَوْزَةَ المستثفِرِ الحامِى[2]

٢٨ (عفّة عمر بن أبى ربيعة وابن أبى عتيق)

وقال محمَّد بن إبراهيم : قَدِمَتِ امرأة إلى مَكَّةَ ، وكانتْ ذات جمالٍ وعَفافٍ وبَراعةٍ وشارة ، فأعجبَتِ ابن أبى ربيعة ، فأرْسَل إليها فخافت شِعْرَه ، فلما أرادت الطَّوافَ قالت لأخيها : اخْرُج معِى . فَخَرَجَ معَهَا ، وعَرَضَ لها عُمر فلمَّا رأى أخاها أعْرَض عنها ، فأنشدت قولَ جَرير[3] :

تَعْدُو الذِّئاب على مَنْ لا كلاب له وتَتَّقى حَوزَةَ المستأسِد الضّارى[4]

---

(١) كذا فى ط ، م . وفى س : « مربض المستثفر الحامى » .

(٢) الاستثفار ، أن يدخل الإنسان إزاره بين فخذيه ملويا ثم يخرجه فيشد طرفيه فى حجزته ، وذلك حين الصراع . وفى ط ، م : « المستشفر » وتصحيحه من س .

(٣) كذا ، ومثله فى الأغانى ١ : ٣٥ . والخبر فيه عن الهيثم بن عدى وفيه بسط وزيادة .

(٤) والخبر كذلك فى عيون الأخبار ٤ : ١٠٩ عن محمد بن على . ورواية البيت فيه :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقى مربض المستأسد الحامى

والبيت برواية ابن قتيبة هذه منسوب إلى النابغة ، كما فى اللسان وحماسة البحترى ٢٦٤ وشرح الأشعار الستة للشنتمرى مخطوطة دار الكتب من قصيدة مطلعها :

قالت بنو عامر خالوا بنى أسد يابؤس للجهل ضرارا لأقوام

وفى س : « وتتقى حوزة المستثفر الحامى » . والبيت فى شعر الزبرقان بن بدر أيضاً كما فى المؤتلف والمختلف ص ١٢٨ . قال يونس : « هو للنابغة : أظن الزبرقان استزاده فى شعره كالمثل » ، انظر المزهر ١ : ١١٠ .

هذا حديثُ أبى الحسن ، وأمّا بنو مَخْـزوم ٍ فيزعُمونَ أنّ ابن أبى رَبيعةَ لم يَحُلَّ إزارَه على حَرام ٍ قَطُّ ، وإنما كان يذهب فى نسيبه إلى أخلاقِ ابن أبى عَتيق ؛ فإنَّ ابن أبى عَتيقٍ كان مِن أهل الطَّهارة والعفاف ، وكان مَن سمعَ كلامَه توهَّم أنّه من أجرإ الناس علٰى فاَحشة .

وما يُشبِه الذى يقولُ بنو مَخزوم ٍ ماَذكروا عن قريش والمهاجرين ؛ فإنّهم يقولون : إنّ عمرَ بن عبد الله بن أبى ربيعة إنَّما سُمِّى بعمر بن الخطّاب [1] وإنّه ولد ليلةَ ماَتَ عمر . فلما كان بعد ذلِك ذكروا فساَدَ هذا وصلاحَ ذلِك فقالوا : أىُّ باطِلٍ وُضع ، وأىُّ حقٍّ رُفع ! !

ومثلُ هذا الكلام ِ لايقاَلُ لمن يُوصَف بالعفّة الثابتة .

(وصية شريح لمعلم ولده)

ولبُغض [2] المُزاح فى لعب الصبيان بالكِلاب واستهتارِهم بها ، كَتَبَ شريح إلى معلِّم ٍ ولَدٍ له كان يَدَع الكُتّابَ وَيَلعب بالكلاب [3] :

تَرَكَ الصَّلاة لأكلبٍ يَلهو بها طَلَبَ الهِراشِ مع الغُوَاة الرُّجَّسِ [4]

---

(١) ط : « يسمى » ، والوجه مافى س .

(٢) فى الأصل : « لبعض » ، والوجه ماأثبت .

(٣) الأبيات الآتية فى ثمار القلوب ١٧٣ ، وعيون الأخبار ٢ : ١٦٧ ، والعمدة ١ : ١٧ والعقد ١ : ٣٦٣ والمحاسن للبيهقى ٢ : ٢١٦ والشريشى ٢ : ٣٨١ .

(٤) فى المراجع : « يسعى بها » موضع « يلهو بها » . وفى الثمار أيضاً : « نحو الهراش » وفى العقد : «طلب الهراش» .

وليأتينَّك غادياً بصحيفةٍ يَغْدُو بها كصحيفة المتلمِّسِ[(١)]

فإذا خلوتَ فعَضَّه بمَلامَـةٍ أو عِظْه موعِظةَ الأديبِ الأكيس[(٢)]

وإذا هممت بضربِهِ فبِدِرَّةٍ وإذا ضرَبت بها ثلاثاً فاحْبِس[(٣)]

واعلمْ بأنّك ما فعلت فإنَّه مَعَ مَا يُجرِّعُنى أعزُّ الأنفُس[(٤)]

وهذا الشعر عندنا[(٥)] لأعشى بنى سُليم فى ابنٍ له . وقد رأيتُ ابنه هذا شيخاً كبيراً ، وهو يقُول الشعر[(٦)] وله أحَاديثُ كثيرةٌ ظريفة .

---

(١) هذا البيت لم يروه ابن عبد ربه ولا ابن قتيبة فى كتابيهما . وصحيفة المتلمس مثل فى الشؤم . وأصله أن المتلمس ، وابن أخته طرفة بن العبد ، كانا ينادمان عمرو ابن هند ، فنمى إليه أنهما يهجوانه ، فاحتال لقتلهما بأن دفع إلى كل منهما كتابا إلى عامله بالبحرين ، وأوهمهما أنهما بالكتابين يحصلان على الجوائز ، فضيا حتى إذا كانا بنهر الحيرة مرا على غلمان يلعبون ، فأما المتلمس فدفع كتابه إلى غلام فقرأه ففهم منه الشر الذى أضمره الملك ، وألقى كتابه فى المـاء ، وأما طرفة فقد لعب برأسه الطمع فاحتفظ بكتابه ، ومضى بكتابه إلى العامل ، فقادته إلى الحين رجلاه .

(٢) فى عيون الأخبار فقط : « فإذا خلوت » . وفى الثمار فقط : « فحضه بملامة » . وأما الشطر الثانى للبيت فهو فى الثمار : « وأنله موعظة اللبيب » ، وفى العيون : « وعظنه وعظك للأريب » ، وفى العقد : « وعظنه موعظة الأديب » .

(٣) الدرة بالكسر : السوط ، كما فى المصباح . وهى فى ط : « بذرة » محرفة وصوابها فى س والمراجع المتقدمة . وفى الأصـل أيضاً : « وإذا ضربت به » والضمير عائد إلى « الدرة » فالصـواب ماأثبت من الثمـار . وفى العقـد : « وإذا بلغت ثلاثة لك » ،وفى العيون : « وإذا بلغت بها ثلاثا » ، وفى الشريشى : « وإذا بلغت به ثلاثا » .

(٤) « فإنه » هى فى معظم المراجع : « فنفسه » . وما هنا سائغ لابأس به .

(٥) ط فقط : « عندى » .

(٦) ط : « بشعر » وصوابه فى س ، م .

(من دلائل كرم الكلب)

وقال صاحب الكلب : وممَّا يدلُّ على قَدْرِ الكلب كثرةُ[1] مايجرى على ألسنةِ النَّاس من مَدْحِه بالخير والشرّ ، وبالحمد وبالذمّ ، حتَّى ذكر فى القرآن مَرَّةً بالحمد ومَرَّةً بالذمّ . وبمثل ذلك ذكر فى الحديث ، وكذلك فى الأشعار والأمثال ، حتى استُعمل فى الاشتقاقات ، وجرى فى طريق الفأل والطِّيَرة ، وفى ذكر الرؤيا والأحلام ، ومع الجِنّ والحِنّ[2] والسِّباع والبهائم . فإن كنتمْ إنَّما قضيتُمْ عليهِ بالشر وبالنقص ، وباللُّؤم وبالسقوطِ لأنَّ ذلك كلَّه قد قِيلَ فيهِ ، فالذى قِيلَ فِيهِ من الخير أكثرُ ، ومن الخصال المحمودة أشهرُ .

٢٩

ولَيْسَ شىءٌ أجمعَ لخصال النقص من الخمول ؛ لأنَّ تلك الخصالَ المخالِفةَ لذلك ، تُعطى من النَّباهةِ وتُقيم من الذكر على قَدْرِ المذْكورِ من ذلِك . وكما لاتكون الخِصالُ التى تُورث الخمول مورثةً للنباهة فكذلك[3] خِصالُ النّباهة فى مجانبة الخمول ؛ لِأَنَّ الملومَ أفضلُ من الخامل :

---

(١) ط : «كثيرا» ، والصواب فى س ، م .

(٢) قالوا : الحن : ضعاف الجن .

(٣) ط : «كما لا تكون . . . فلذلك» ، والتعديل من س .

(الترجمان بن هريم والحارث بن شريح)

وسمع التَّرجمانُ بن هُرَيْم[1] [عند يزيد بن عمر[2]] بن هبيرة ، رجلاً يقول : ما جاء الحارث بن شريحٍ بيومِ خَيْر قَطّ. قال التَّرجمان : إلا يكنْ[3] جاء بيومِ خَيرٍ فقد جاء بيومِ شرّ[4] .

(سياسة الحزم)

وبعدُ فأىُّ رئيسٍ كان خيرُهُ محضاً عَدِمَ الهَيْبَةَ . ومَن لم يَعْمَل بإقامة جزاءِ السيئة والحسنة ، وقتل فى موضع القتل ، وأحْيَا فى موضع الإحياء ، وعَفَا فى موضع العفو ، وعاقبَ فى موضع العقوبة ، ومَنَع ساعةَ المنع ، وأعطى ساعة الإعطاء ، خالَفَ الرَّبَّ فى تدبيره ، وظنَّ أن رحمته فوق رحمةِ ربه .

---

(١) الترجمان بن هريم : قال ابن قتيبة فى المعارف ١٨٤ : إنه كان على الأهواز : وعلى بنى حنظلة فى فتنة ابن سهل . وأبوه هريم بن أبى طحمة كان شجاعا كيسا ، وكان مع المهلب فى قتال الأزارقة ، ومع عدى بن أرطاة فى قتال يزيد بن المهلب . وكبر هريم فحول اسمه فى أعوان الديوان ، فقيل له : إنك لاتحسن أن تكتب ! فقال : إلا أكتب فإنى أمحو الصحف ! فى الأصل : « الترجمان بن مريم » وتصحيحه من المعارف والبيان ١ : ١٩٩ .

(٢) التكملة من البيان . ويزيد هذا أمير قائد من ولاة الدولة الأموية . ولى قنسرين للوليد بن يزيد ، ثم جمعت له ولاية العراقين فى أيام مروان بن محمد . ولما ظهر أمر العباسيين أرسل السفاح أخاه المنصور لحربه فأعياه أمره . ثم بعث إليه السفاح من قتله بقصر واسط سنة ١٣٢ .

(٣) فى الأصل : « إن لايكون » ، صوابه من البيان .

(٤) قال الجاحظ فى البيان : ذهب الترجمان إلى مثل معنى قول الشاعر :

وما خلقت بنو زمان إلا أخيراً بعد خلق الناس طرا
وما فعلت بنو زمان خيراً ولا فعلت بنو زمان شرا

أقول : زمان بكسر الزاى وتشديد الميم قبيلة منها الفند الزمانى الشاعر .

وقد قالوا : بعضُ القتل إحياءٌ للجميع . وبعضُ العفو إغراء ، كما أنَّ بعضَ المنع إعطاء ، ولا خَيْر فيمن كان خيرُهُ محْضاً ، وشَرٌّ منه مَن كان شرُّه صرفاً . ولكن ٱخلِطِ الوعدَ بالوعيد ، والبِشرَ بالعبوس ، والإعطاء بالمنع ، والحِلمَ بالإيقاع ؛ فإنَّ الناسَ لا يَهابون ولا يصلُحون إلّا على الثّواب والعقاب ، والإطماع والإخافة . ومَنْ أَخافَ ولم يُوقِعْ[1] وعُرِفَ بذلك ، كانَ كَمَنْ أطمَعَ ولم يُنْجِز وعُرِف بذلك ، ومَنْ عُرِف بذلك دخلَ عليه بحسَب ما عُرِف منه . فخيْر الخيرِ ما كان ممزُوجاً ، وشرُّ الشرِّ ما كانَ صرفاً ، ولو كانَ النّاس يصلُحون على الخيرِ وحدَه لكانَ الله عزّ وجلَّ أولى بذلك الحكم .

وفى إطباق جميع الملوك وجميع الأئمةِ فى جميع الأقطار وفى جميع الأعصار على استعمال المكروه والمحبوب ، دليل على أنَّ الصواب فيه دونَ غيره .

وإذا كان الناس إنما يصلحون[2] على الشِّدَّةِ واللين ، وعلى العفو والانتقام وعلى البذْل والمنع ، وعلى الخير والشرّ ، عاد ذلك الشرُّ خيرًا وذلك المنع إعْطاء وذلِك المكروه محبوباً . وإنّما الشأنُ فى العَوَاقب ، وفيما يدوم ولا ينقطع وفيما هو أدْوَم ، ومن الانقِطاع أبعَدُ .

---

(١) فى ط : « يقع » ، والصواب فى س .

(٢) فى الأصل : « يصطلحون » والوجه ماأثبت .

(شعر فى الحزم)

٣٠

وقال الشاعر ، وَهو يمدح قَوماً[١] :

إن يُسأَلوا الخيرَ يُعطُوه وَإن جُهِدُوا   فالجَهْدُ يُخرج مِنهم طِيبَ أَخبارِ[٢]

وإن توَدَّدتَهم لانوا وإن شُهِموا   كَشَفْتَ أذمَارَ حَرْبٍ غيرَ أغمارِ[٣]

وقال العتبى[٤] :

ولكن[٥] بنو خيرٍ وشر كلَيهِما   جَمِيعاً ومَعروفٍ أَلمَّ ومُنْكرِ

---

(١) الشاعر هو عبيد بن العرندس الكلابى ، كما فى الكامل ٤٧ وتنبيه البكرى ٧٣ . والشعر رواه أبو تمام فى الحماسة ٢ : ٢٦٩ والقالى فى الأمالى ١ : ٢٣٩ والمرزبانى فى المعجم ٣٠٦ ، ونسبه كل منهم إلى العرندس الكلابى لا إلى عبيد . وقد نبه البكرى على هذا الخطأ . والشعر رواه أيضاً العسكرى فى ديوان المعانى ١ : ٤١ غير منسوب . أما القوم الذين مدحهم عبيد بن العرندس فهم بنو عمرو الغنويون . وكان أبو عبيدة يقول : « هذا المحال ، كلابى يمدح غنويا ! » . قال البكرى فى تفسير ذلك : « وإنما أنكر أن يكون كلابى يمدح غنويا ، لأن فزارة كانت قد أوقعت ببنى أبى بكر بن كلاب وجيرانهم من محارب وقعة عظيمة ، ثم أدركتهم غنى فاستنقذتهم ، فلما قتلت طيىء قيس الندامى الغنوى ، وقتلت عبس هريم بن سنان الغنوى ، استغاثت غنى ببنى أبى بكر وبنى محارب ليكافئوهم بيدهم عندهم ، فقعدوا عنهم فلم يجيبوهم ، فلم يزالوا بعد ذلك متدابرين » .

(٢) جهدوا : أصابهم الجهد ، وهو شدة الزمان .

(٣) توددتهم : طلبت مودتهم . شهموا ، بالبناء للمفعول : من شهمت الفرس إذا حركتها لتسرع . يقول : إذا حركوا على سبيل الإخافة لم يكن عندهم لين . التبريزى فى شرح الحماسة ٤ : ٧٢ . . والأذمار : جمع ذمر بالكسر ، وهو الشجاع . والأغمار : جمع غمر بالتثليث ويحرك ، وهو الذى لم يجرب الأمور .

(٤) سبقت ترجمته فى شرح الجزء الأول ص ٥٣ — ٥٤ .

(٥) كذا فى ط . وهى فى س ، م : « أولاك » بمعنى « أولئك » .

وقال بَعْضُ من ارتجز يوم جَبَلة[1] :

أنا الْغُلَامُ الأعسَرْ   الخيرُ فىَّ والشرّ

* والشرُّ فىَّ أكثَرْ *

وقال عبدُ الملك بن مروانَ لزُفَر بن الحارث ـ وقد دخل عليه فى رجالاتِ قيس : ألستَ امرأً مِن كندة ؟ قال : وما خيرُ مَن لا يُتَّقى حَسَدا ، ويُدْعَى رغبة .

وقال ثُمامة : الشُّهرة بالشرِّ خيرٌ من أن لا أُعرَفَ بخير ولا شرّ

(أمارات النباهة)

وكان يقال : يُستَدَلُّ على نباهة الرَّجلِ من الماضين بتبَايُنِ الناس فيه .

وقال : ألا ترى أنَّ عليًّا ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : يَهلك فىَّ فئتان[2] : محبٌّ مُفْرِط ، ومبغِض مُفرط .

وهذه صفةَ أنبَهِ الناس، وأبعدِهم غايةً فى مراتب الدِّين وشرَفِ الدنيا ؟ ألا ترى أنَ الشاعر يقول :

---

(١) يوم جبلة أحد الأيام الثلاثة العظيمة عند العرب ، وهى : يوم الكلاب ، ويوم جبلة ، ويوم ذى قار . وهو مفصل فى الأغانى ١٠ : ٣٣ — ٤٥ . وكان قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو عام ولد النبى صلى الله عليه وسلم ، كما فى العقد ٣ : ٣٠٧ . وقائل الشعر هو معاوية بن عبادة بن عقيل ، وكان أعسر ، كما فى الأغانى . والأعسر : الذى يعمل بشماله .

(٢) فى الأصل : « فتيان » .

أرَى العِلبــاء كالعِلبــا ءِ لا حُــلوٌ ولا مرٌّ[١]
شُيَيْخٌ مِن بنى الجارُو دِ لا خــــير ولا شَرٌّ

وقال الآخر :

عَيَّرتنى يا ثكلتْنى أمّى[٢] أسْود مثل الُجعَل الأحمّ[٣]
ينطَحُ عُرْضَ الَجبَلِ الأصمّ ليس بذى القَرْنِ ولا الأجمّ

وإذا كان الرجلُ أبرعَ الناس بَراعةً ، وأظهَرهم فضلاً ، وأجمعهم لخصال الشرف ، ثمَّ كانت كلُّ خَصلةٍ مساويةً لأختها فى التَّمامِ ، ولم تغلِب عليه خَصلة واحدة ، فإنَّ هذا الرَّجلَ لا يكادُ يوصف إلَّا بالسيادة والرياسة خاصّة إذا لم يكن له مسندٌ عما[٤] يكون هو الغالب عليه .

وقالوا فيما يشبِه ما ذكرنا ، وإن لم يكن هو بعينه . قال الشاعر[٥] :

---

(١) كلمة « العلباء » الأولى ، المراد بها « علباء بن حبيب » كما سبق فى الجزء الأول من الحيوان ص ٣٦١ . وأما « العلباء » الثانية فالمراد بها عصب عنق البعــير . يقول : هو تافه فسل . والعلباء بكسر العين .

(٢) ثكلته أمه : فقدته : وفى ط : « شكلتنى » وصوابه فى س ، م . وقد حذف الراجز المنادى هنا بعد الياء ، كما فى بيت الشماخ :

ألا يااسقيانى قبل غارة سنجال وقبل منايا قد حضرن وأوجال

أى ياصاحبى اســقيانى . وكقــول الآخر ، وهو من أبيات الــكتاب ١ : ٣٢٠ بولاق :

يا ، لعنة الله والأقوام كلهم والصالحين على سمعان من جار

أى ياقوم ، أو ياهؤلاء . ولعنة الله ، بالرفع على الإبتداء .

(٣) الجعل : دويبة تألف الأماكن القــذرة . وفى ط : « الحمل » ، وصــوابها فى س ، م .

(٤) كذا فى س ، ط . وفى م : « مسندهما » ، وفى العبارة اضطراب .

(٥) هو عبيد بن العرندس الكلابى . وقد سبق بيتان من قصيدة الشعر الآتى فى ص ٨٩ من هذا الجزء .

٣١ هَيْنُون لَيْنُونَ أيسارٌ ذوُو يُسُرٍ   سُوَّاس مَكرُمَةٍ أبناءُ أيسارِ[1]
مَنْ تَلْقَ مِنهمْ تَقُل لا قَيْتُ سَيِّدَهم   مثلُ النُّجومِ التى يسرِى بها السارى

وقد قال مثلَ الذى وصَفْنا جعفرٌ الضبىُّ[2] فى الفضل بن سهل[3] :

أيُّها الأمير أسْكَتنِي عن وَصفك تَساوِى أفعالك فى السُّودَد ، وحيَّرنى فيها كثرَةُ عددها ، فليسَ إلى ذكر جميعِها سبيلِ ، وإن أردتُ وَصفَ وَاحدةٍ اعترضَتْ أختها ؛ إذْ لم تكن الأُولى أحقَّ بالذكر . ولست أصفُها إلاّ بإظهار العَجْز عن وَصفها .

ولذلك قالوا : « أحلم من الْأَحْنف » ، و « ما هو إلَّا فِى حلم معاوية » و « أحلم مِن قَيس بن عاصم » ، ولم يقولوا : أحلمَ من عبد المطَّلب ، ولَا هو أحلم من هاشم ؛ لأنَّ الحلم خَصلة من خصاله كتمام حلمه ، فلمَّا كانت خصالُه متساوِيَةً ، وخلالُه مشرفة[4] متوازِيَة ، وكلُّها كان غالباً ظَاهراً ، وقاهراً غامراً ، سمِّى[5] بأجمعِ الأَشياء ولم يُسمَّ بالخصلة الْوَاحدة ، فيستدلَّ بذلك على أنَّهاَ كانت أغلب خصال الخيرِ علَيه .

---

(١) المشهور فى رواية البيت « ذوو كرم » ، وماهنا رواية صحيحة كما فى شرح التبريزى للحماسة ٤ : ٧٢ قال : « يعنى فى أخلاقهم يسر » . وقال أيضاً : « سواس مكرمة : أى يروضون المكارم ويلون أمرها » . وقال إنهم أيسار أبناء أيسار أى إنهم عريقون فى الكرم . والأيسار ، جمع يسر بالتحريك ، وهو المقامر . والقمار مما يتمدح به العرب ، وكانوا يسمون من لا يدخل فى الميسر « برما » ، قال : ولا برما تهدى النساء لعرسه   إذا القشع من بردالشتاء تقعقعا

(٢) فى البيان ٢ : ١٧٣ و ٣ : ١٦٠ والأغانى ٧ : ٥ ، ١١ من يدعى « جعفر ابن سليمان الضبعى» ، فلعله هذا .

(٣) هو الفضل بن سهل السرخسى ، كان وزيراً للمأمون ، اتصل به فى صباه وأسلم على يده سنة ١٩٠ هـ . وصحبه قبل أن يلى الخلافة ، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش ، فكان يلقب بذى الرياستين . ولد سنة ١٥٤ وتوفى سنة ٢٠٢ .

(٤) يعنى عالية ظاهرا علوها .   (٥) فى الأصل : « تسمى » .

(هجاء الشعراء للأشراف)

وإذا بلغ السَّيدُ فِي السُّودَدِ الكمالَ ، حسده من الأَشراف من يُظنُّ أنَّه الأَحقُّ به ، وفخرَتَ به عشيرته ، فلا يزال سفيهٌ[1] من شعراء تلك القبائل قد غاظه ارتفاعُه على مرتبةِ سيِّد عشيرَته فَهجاه . ومن طَلب عيباً وجَدَه . فإن لم يجدْ عيباً وجدَ بعضَ ما إذا ذكره ، وجَد مَن يغلط فيه ويحمله عنه . ولذلك هُجِيَ حِصنُ بن حذيفةَ ، وهُجِيَ زُرارة بن عُدَس ، وهُجِيَ عبدُ الله ابن جُدعان ، وهُجِيَ حاجب بن زرارة .

وإنَّما ذَكَرتُ لكهؤلاءِ لأنَّهم منسُودَدِهم وطاعةِ القبيلةِ لهم ، لم يذهبوا فيمَنْ تحت أيديهم منقومِهمْ ، ومن حلفائهم وجيرانهم ، مَذْهَبَ كُليبِ بن ربيعة ، ولا مذهبَ حذيفةَ بنِ بدر ، ولامذْهبَ عيينةَ بنِ حصن ، ولامذهبَ لقيط بن زُرارة ؛ ولأنَّ لقيطاً لم يأمر بسحب ضَمْرة بن ضمرة[2] إلَّا وهو لو بَقِي لجَاوز ظلمكليب وتهكم عيينة[3] ، فإنَّ هؤلاء وإن كانوا سادةً فقد كانوا يَظلمون ، وكانوا[4] بين أن يَظلموا وبين أن يحتملوا ظلما ممَّن ظلمهم . ولا بدَّ من الاحتمال كما لَا بُدَّ من الانتصار .

وقد قال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ . وإلى هذا المعنى رجَع قولُ الحكيم الأوَّل : « بعضُ القَتلِ إحياءٌ للجميع » .

---

(١) ط ، م : « سيفه » ، والصواب من س .

(٢) فى الأصل : « صخرة بن ضمرة » ، تحريف . وانظر البيان ١ : ١٧١ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٩٠ .

(٣) التهكم : التكبر ، واشتداد الغضب والحمق .

(٤) فى ط : « وكان » ، والصواب فى س ، م .

(حزم السادة)

وعامَّةُ هؤلاءِ السَّادة لم يكنْ شأنهم أن يردُّوا الناسَ إلى أهوائهم ، وإلى الانسياق لهم بعُنْف السَّوق ، وبالحَرْبِ فى القَوْدِ . بل كانوا لَا يؤثرون التّرهيبَ على الترغيب . والخشونةَ على التليين . وهم مع ذلك قد هُجُوا بأقبَح الهجاءِ . ٣٢

ومتى أحبَّ السَّيِّدَ الجامعَ ، والرئيسَ الكاملَ قومُه أشدَّ الحبِّ وحاطَهمْ عَلَى حسب حبه لهم ، كان بُغْضُ أعدائهم له على حسَب حبِّ قومه له . هذا إذا لم يَتوثَّب إليه ولم يعترض عليه من بنى عمِّه وإخوته مَن قد أطمعتْه الحال باللَّحاقِ به . وحَسَدُ الأقاربِ أشدُّ ، وعداوتُهم على حسَب حسدهم .

وقد قال الأوَّلون : رِضا الناس شىءٌ لا ينال .

وقد قيل لبعض العرب : مَن السَّيِّدُ فيكم ؟ قال : الذى إذا أقبل هِبناه ، وإذا أدْبَرَ اغتبناه !

وقد قال الأَوَّل : بَغْضاَء السُّوَق[1] موصولة بالملوك والسادة ، وتجرى فى الحاشية مجرى الملوك .

(صعوبة سياسة العوام)

وليس فى الأرضِ عملٌ أكدّ لأهله من سِياسة العوامّ . وقَدْ قال الهذَلىُّ[2] يصف صُعوبة السِياسة :

---

(١) السوق : جمع سوقة . والسوقة : الرعية . وفى ط : « السوء » ، والوجه مافى س ، م .

(٢) هو الأعلم الهذلى ، كما فى حواشى البيان .

وإن سِياسةَ الأقوامِ فاعلمْ ... لهــا صَعْدَاءُ مَطلَبُها طويل[١]

وقال آخرُ فى شبيهٍ[٢] بهذا المعنى :

ودونَ النَّدى فى كلِّ قلبٍ ثَنِيَّةٌ ... لها مَصْعَدٌ حَزْنٌ ومُنْحَدَرٌ سَهْلُ

ووَدَّ الفَتى فى كلِّ نيلٍ يُنِيلُه ... إذا ماانقضى ، لَوْ أنَّ نائله جَزْلُ

وقال عامر بن الطُّفيل[٣] :

وإنِّى وإنْ كُنتُ ابنَ سيِّدِ عامرٍ ... وفَارسها المشهور فى كلِّ مَوكبِ

فما سوَّدَتنى عامر من وراثة[٤] ... أبى اللهُ أنْ أسمو بأمٍّ ولا أبِ

ولــكنَّنى أحمى حِماها وأتَّقى ... أذاها وأرْمى مَن رماها بِمَنْكِبِ

وقال زياد بن ظَبْيان لابنه عُبيد الله بن زياد[٥] وزيادٌ يُغرغِر بنفسه[٦] :

---

(١) وهذه الرواية أيضاً هى رواية اللسان . وقد رواه الجاحظ فى البيان (١ : ٢٧٥ و ٢ : ٣٥٢ و ٣ : ٢٨١) وكذا ابن قتيبة فى عيون الأخبار (٥ : ٢٢٦) : « وإن سيادة الأقوام فاعلم » . والصعداء ، بالفتح : المشقة .

(٢) هو إسحاق بن حسان بن قوهى ، كما فى البيان ٢ : ٣٥٢ .

(٣) س فقط : « عباس بن الطفيل » وهو تحريف . والأبيات فى العقد (٢ : ٢٥٩) وعيون الأخبار (١ : ٢٢٧) وأمالى القالى (٣ : ١١٨) وأمالى المرتضى ١ : ١٠ . وهذا الشعر مما تحتج به الشعوبية على العرب . انظر العقد .

(٤) المشهور فى الرواية : «عن وراثة» كما فى المراجع المتقدمة .

(٥) لم أهتد إلى ترجمة زياد بن ظبيان . وأما ابنه عبيد الله فقد كان فاتكا من الشجعان وكان مقربا من عبد الملك بن مروان ، وهو الذى قتل مصعب بن الزبير وحمل رأســه إلى عبد الملك ، ثم خرج على الحجاج مع ابن الجارود ، فلما قتل ابن الجارود لجأ إلى عمان حيث لاقى منيته سنة ٧٥ . كذا فى معجم الزركلى عن كتاب لمصنف مجهول يظن أنه أنساب الأشراف للبلاذرى . ووجدت النويرى ذكر فى المؤتلف والمختلف من رجال التاريخ عبيد الله هــذا مع عبيد الله بن زياد ابن أبيه ، وقال : وخبرهما يشبه مسائل الدور ، فإن عبيد الله بن زياد بن أبيه قتله المختار ، والمختار قتله مصعب ، ومصعب قتله عبيد الله بن زياد بن ظبيان نهاية الأرب (٩ : ٢١٦) . وانظر الخبر برواية أخرى فى أمالى المرتضى ١ : ٢٠٠ .

(٦) يقال غرغرت الروح : ترددت فى الحلق عند الموت .

ألاَ أُوصى بكَ الأمير ؟ قال : لا . قال : ولم ؟ قال : إذا لم [يكنْ][1] للحى إلاَّ وَصِيَّةُ[2] الميِّت ، فَالحىُّ هو الميِّت .

وقال آخر فى هذا المعنى :

* والعزُّ لايأتى بَغير تطلُّبِ *

وقال بَشامة بن العَدير[3] فى خلاف ذلك ، وأن يثبت أن يكون منه كان[4] :

وجَدْت أبى فيهم وَجَدِّى كليهما يُطاعُ ويؤتَى أمرُه وهو مُحْتَبِى

٣٣ فـلم أتَعَمَّل للسِّيادَة فِيهِمُ ولٰكِنْ أتَتنى طائعاً غيرَ مُتْعَبِ

(بحث فى السعادة)

ومِن الناس من يقول : إن العيشَ كلّه فى كثرة المال ، وصحةِ البدن ، وخمولِ الذكر .

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط ، م ، وقد ترك لها فراغ ، وبدلها فى س : « أوص » ويغلب على ظنى أنها من وضع الناسخ ، إذ بها لايتناسق الكلام . واعتمدت فى إثبات ماأثبت على مافى عيون الأخبار (١ : ٢٣٥) وأمالى المرتضى ١ : ٢٠٠ .

(٢) فى الأصل : « بوصية » .

(٣) بشامة بن الغدير هو خال أبى سلمى والد زهير ، وكان زهير منقطعا إليه ، معجبا بشعره . وكان بشامة أحزم الناس رأيا ، وكانت غطفان تستشيره وتصدر عن رأيه . (الأغانى ٩ : ١٤٩) . و « الغدير » هى فى ط ، م : « القدير » ، وهو تصحيف مافى س .

(٤) كذا .

وقال مَن يخالفه : لايخلو صاحب البدَن الصَّحيحِ والمال الكثير ، مِنْ أن يكونَ بالأُمور عالماً ، أو يكونَ بها جاهلاً . فإن كانَ بها عالماً فعلمُه بها لايتركه حتَّى يكون له من القول والعمَل على حسب علمه ؛ لأنَّ المعرفة لاتكون كعدمها ؛ لأنَّها لو كانت موجودةً غيرَ عاملة لكانت المعرفة كعدمها ، وفى القول والعملِ ما أوجَبَ النَّباهةَ ، وأدنى حالاته أنْ تُخرِجه من حدِّ الخمول ، ومتى أخرجتْه من حدِّ الخمول فقد صار معرَّضاً لمن يقدِر على سلبه .

وكما أنَّ المعرفَةَ لابدَّ لها من عملٍ ، ولا بدَّ للعمل من أن يكون قولا أو فعلا ، والقولَ لايكونُ قولاً إلاَّ وهناك مَقُول له ، والفعلَ لايكون فعلاً إلاّ وهناك مفعول له ، وفى ذلك ماأخْرَج من الخمول وعُرِف به الفاعل .

وإذا كانت المعرفَةُ هذا عملُها فى التنبيه على نفسها ، فالمالُ الكثيرُ أحقُّ بأنَّ عملَه الدَّلاَلةُ على مكانه ، والسِّعايةُ على أهله . والمالُ أحقُّ بالنميمة ، وأولى بالشكر ، وأخدع لصاحبه ، بل يكون له أشدّ قهرا ، ولحيه أشدَّ فساداً[١] .

وإن كانتْ معرفتُه ناقصةً فبقدْر نقصانها يجهل مَواضعَ اللذة . وإن كانت تامَّةً فبقَدْر تمامها يُنْفَى الخمول ويُجلَبُ الذِّكر .

وبعدُ فليس يَفْهَم فضيلةَ السلامة ، وحقائقَ رُشْدِ العافية ، الذين ليس لهمْ من المعرفة إلاَّ الشَّدْو ، وإلاَّ خلاَقَ أوساطِ الناس[٢] . ومتى كان ذلك

---

(١) كذا .

(٢) الشدو : القليل من كل كثير . وهى فى ط : « التشدق » وفى س : « الشد » وصوابهما من م . والخلاق : الحظ والنصيب . وفى الأصل : « والأخلال » ، وقد أراد بأوساط الناس : مادون الخاصة .

كذلك ، لم يُعرَف المَدْخَل الذى من أجله يكره ذو المال الشُّهرة . ومن عَرَفَ ذلك على حقِّهِ وصدقِهِ ، لم يدَعْه فهمُهُ لذلك حتّى يدلَّ على فهمه. وعلى أنّه لايفهم هذا الموضعَ حتَّى يفهم كلَّ ماكان فى طبقته من العلم. وفى أقلَّ مِن ذلك مايَبين به حالُه مِن حال الخامل .

وشروط الأمانىّ غيرُ شروط جوازِ الأفعال وإمكانِ الأمورِ . وليس شىء ألذُّ ولاَ أسرُّ مِن عِزِّ الأمرِ والنهى ، ومن الظَّفَرِ بالأَعداء ، ومن عَقْدِ المِنَنِ فى أعناق الرجال ، والسُّرورِ بالرِّياسة وبثمرة السيادة ؛ لأنَّ هذه الأُمورَ هى نصيبُ الرُّوح ، وحَظُّ الذهن ، وقِسْمُ النَّفس[١] . فأمَّا المطعم والمشرب والمنكَح والمشَمَّة ، وكلُّ ما كان من نصيب الحواسّ ، فقد علمْنا أنَّ كُلَّ ماكانَ أشَدَّ نَهَماً وأرغبَ ؛ كانَ أتمَّ لوجدانه الطعم . وذلك قياسٌ على مواقع الطُّعْم من الجائع ، والشرابِ من العطشان[٢] . ٣٤

ولكنَّا إذا ميَّلْنا[٣] بين الفضيلة التى مع السُّرور ، وبين لذّة الطعام ، وما يُحْدِث الشَّرهُ له من ألَمِ السهر والالتهابِ والقلَق وشدَّةِ الكَلَب ، رأينا أَنَّ صاحِبَهُ مفضولٌ غيرُ فاضل . هذا مَعَ مايُسَبُّ به[٤] ، ومع حمله له على القبيح ، وعلى أنَّ نعمَتَهُ متى زالتْ لم يكن أحدٌ أشقى منْهُ . هذا مع سرور العالمِ بما وهَبَ الله لَهُ[٥] من السلامة من آفة الشَّرَه ، ومِن فَسادِ الأَخلاط .

وبعدُ فلا يخلو صاحِبُ الثَّروةِ والصامتِ الكثيرِ[٦] ، الخاملُ الذكر مِن أن يكونَ ممَّن يَرغَب فى المركَب الفارِه ، والثوبِ اللّينِ ، والجاريةِ

(١) القسم ، بالكسر : النصيب والحصة .
(٢) فى الأصل : « وبين لذة الطعام وبين مايحدث له الشره » .
(٣) ميل بين الأمرين : رجح ووازن . وفى الأصل : «مثلنا» .
(٤) تحتمل أن تكون « يسببه» أى يحدثه .
(٥) ط ، م : « لهم » ، والصواب ماأثبت من س .
(٦) الصامت من المال : الذهب والفضة . والناطق منه : الإبل .

الحسنةِ ، والدار الجيّدة ، والمطْعَم الطيِّب ؛ أو يكون ممّن لايرغب فى شىء من ذلك . فإن كان لايرغب فى هذا النوع كلِّه ، ولا يعمل فى ماله للدَّار الآخرةِ ، ولا يُعجَب بالأُحدوثَة الحسَنة ، ويكونُ ممَّن لاتعْدو لذّتُهُ أن يكون كثيرَ الصامت ؛ فإنّ هذا حمارٌ أو أفسَدُ طبْعاً من الحمار ، وأجْهَل من الحمار ؛ وقَدْ رضى أن يكونَ فى مَاله أسوأَ حالا من الوَكيل .

وبعدُ فلا بُدَّ للمال الكثير من الحِراسةِ الشَّديدة ، ومن الخوف عليه ، فإن أعمَلَ الحِراسةَ له ، وتَعب فى حفظه [وَ][1] حسَبَ الخوف ، خرجَ عليه فضْلٌ . فإنْ هو لم يَخَفْ عليهِ — ولاَ يكون [ذلك][2] فى سبيل التوكُّل[3] — فهو فِى طباع الحمار وفى جهْله . والذى أوجب لَهُ الحمول ليؤدِّيه إلى سلامة المَال لَهُ ، قَدْ أعْطاهُ من الجهلِ[4] مَالاَ يكُونُ مَعَهُ إلاّ مثْلُ مقْدَار لذة [البهيمةِ[5]] فى أكل الخبَط[6] .

وإنْ هو ابتاع فُرَّهَ الدواب ، وفُرَّهَ الخَدَم والجَوارِى ، واتَّخذَ الدارَ الجَيِّدَة ، والطعَامَ الطيِّب والثَّوْبَ الليِّنَ وأشباهَ ذلك ، فقَدْ دلَّ على مَالِهِ . ومَن كانَ كَذٰلِكَ ثُمَّ ظَهرتْ لَهُ ضَيْعَةٌ فاشية ، أو تجارَةٌ مُرْبِحة ، يحتمل مثلَ ذلكَ الذى يظهَر من نفقته . وإلاّ فإنّه سيُوجَدُ فِى اللُّصُوص عنْدَ أوَّل مَن يقطع عليْهِ ، أو مكابرة تكُون ، أو تَعب يؤخذ لأهله[7] المَال العظيم .

---

(١) ليست بالأصل ، وزدتها ليستقيم القول .
(٢) كلمة يحتاج إليها .
(٣) فإن التوكل المطلوب فى الدين ما كان معه الحيطة والأخذ بأسباب السلامة ، على نحو ماجاء فى الحديث : « اعقلها وتوكل » انظر هذا الجزء ص ١١٥ .
(٤) فى الأصل : « قد أعطاه الله تعالى من الجهل » ، وعدلت العبارة بما ترى .
(٥) ليست بالأصل والكلام يحتاج إليها ، أو إلى مثلها .
(٦) الخبط ، بالتحريك : ورق الشجر يخبط بالعصا فتأكله الدواب والإبل .
(٧) العبارة من مبدإ « وإلا فإنه سيوجد » بها اضطراب .

ولو عنى بقوله الخمول وصحةَ البدنِ والمال ، فذَهب إلى مقدارٍ من المال مقبولا[١] ولكن مالمن كان مالُه لايجاوز هذا المقدارَ يتهيَّأ[٢] الخمول[٣] .

(طبقات الخمول)

ولعمرى إنّ الخمولَ لَيكونُ فى طبقاتٍ كثيرة ، قال أبو نُخيلة[٤] :

شكرتُك إنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ من التُّقى
وَمَا كلُّ مَن أقْرَضْتَــه نِعمةً يَقْضِى

٣٥ فأحييتَ من ذكرى وما كان خاملاً
ولــكنَّ بعض الذكرِ أنبَه من بَعْضِ

قالوا : ولسقوط الخَاملِ من عُيون الناس، قالت الأعرابيَّةُ لابنها : إذا جلستَ معَ الناسِ فإنْ أحسَنْتَ أنْ تَقولَ كما يقولون فَقُلْ ، وإلاَّ فخالِفْ تُذْكَر !

(١) لعل العبارة « مقدار من المال يسير كان ذلك مقبولا » .
(٢) فى ط : « متهيؤ » وهو تحريف صوابه فى س ، م .
(٣) لعل العبارة «مالمن كان ماله يجاوز هذا المقدار » . . الخ .
(٤) هو أبو نخيلة الراجز السعدى . قال أبو الفرج (الأغانى ١٨ : ١٣٩) : « أبو نخيلة اسمه لا كنيته » وقال ابن قتيبة فى الشعراء : « اسمه يعمر » . كان أبو نخيلة من صنائع مسلمة بن عبد الملك بالشام ومدح الأمويين ، ثم انقطع إلى الهاشميين فهجا الأمويين . وقد صنع فى المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهدى ، فوصله المنصور بألفى درهم ، وأمره أن ينشدها بحضرة عيسى ففعل ، فطلبه عيسى ، فأدركه مولى له فى طريق خراسان فقتله . وأخباره مسهبة فى الأغانى . والشعر الآتى فى مديح مسلمة بن عبد الملك كما فى الأغانى (١٨ : ١٤٠) وحماسة ابن الشجرى ١١٧ وأول الشعر :

أمسلم إنى يا ابن خـير خليفة ويافارس الهيجا وياجبل الأرض

وأمَّا الأصمعىُّ فزعَمَ أنَّها قالت : فخالفْ ولو بأنْ تعلِّقَ فى عنُقك أيرَ حمار .

وليس يقول هذا القولَ إلاَّ مَنْ ليسَ يعرِف شَكَر[١] الغِنى ، وتقلُّبَ الأموال إلى مَاخُلِقتْ لَهُ ، وقَطْعَها عُقُلَها ، وخَلْعَها عُذُرَها ، وتِيهَ أصحابِها ، وكثرةَ خُطاهم فى حفظِها وسترْها ، وعجزَهم عن إمَاتةِ حركتها ومنعها من جميع مَاتُنازع [إليه وتحمل عليه[٢]] .

(ملحة من الملح)

وقد روينا فى المُلَح أنَّ رجلاً قال لصاحبٍ لهُ : أبُوكَ الذى جهل قدْرَهُ ، وتعدَّى طَورَه ، فشقَّ العَصَا ، وفارَقَ[٣] الجماعة ؛ لاجَرَمَ لقد هُزِم ثم أُسر ثمَّ قتلَ ثمَّ صُلب ! قال لَهُ صاحبهُ : دَعْنى مِن ذكر هزيمةِ أبى ، ومن أسْرِهِ وقتلِه وصلبِهِ . أبُوكَ هلْ حدَّثَ نفسَه بشىء من هذا قطُّ ؟ !

(حكم الأسباب فى همم الناس)

وليس إلى النَّاس بُعْدُ الهمم وقِصَرُها ، وإنمـا تجرى الهمَمُ بأهلها إلى الغايات ، على قدر مَايعرِض لهم من الأسباب . ألا تَرى أنَّ أبعدَ النَّاس هِمَّة فى نفسهِ ، وأشدَّهم تلفتاً إلى المراتب ، لاتُنازعه نفسهُ إلى طلب الخلافة ، لأن ذلك يحتاجُ إلى نسب ، [أ][٤] وْ إلى أمر قد وُطِّىء لَهُ

---

(١) أراد بالشكر النمو . وهو من شكرت الشجرة — من باب فرح — : خرج منها الشكير ، وهو ما ينبت حول أصلها .

(٢) ط ، م : « من جميع ما تنازع العمل عليه » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

(٣) فى الأصل : « فرق » ، والوجه ما كتبت .

(٤) زدتها ليتجه الكلام .

بسبب ، كسبَب طلبِ أوائل الخَوارج الخلافة بالدِّين وحدَه دونَ النَّسب . فإن صارَ من الخوارج فقد حدثَ له سببُ إمكانِ الطَّلب ، أ كْدَى أم نجح .

وقد زعمَ ناسٌ من العلماء أنَّ رجـالاً خُطِبت للسِّيادة والنَّباهة والطَّاعةِ فى العشيرة .

(سلطان الحظ على نباهة القبيلة)

وكذلك القبيلة ربّما سَعِدت بالحظّ ، وربّما حظيت بالجَدِّ ؛ وإنَّما ذلك على قدر الاتِّفاق ، وإنَّما هو كالمعـافَى والمبتلَى ، وإنَّما ذلك كما قال زهير :

وَجَدْتُ المنايا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ
تُمِتْهُ ومَنْ تُخْطِئْ يعمَّرْ فيَهْرَمِ

(سلطان الحظ على الآثار الأدبية)

وكما تَحْظَى بعض الأشعار وبعض الأمثال ، وبعضُ الألفاظ دون غيرها ، ودونَ مايجرى مجراها أو يكونُ أرفَعَ منها .

قالوا : وذلك موجودٌ فى المرزوق [و [1]] المحروم ، وفى المُحارَف[2]

(١) لا يكون المرزوق محروما ، فزدت الواو ليصح الكلام .
(٢) المحارف : المحدود المحروم .

والذى تجوز عليه الصَّدَقَةُ . [وكم](١) مِن حاذقٍ بصناعته ، وكثير الجَوَلان فى تجارته ، وقد بلغ فَرغانَةَ(٢) مرَّةً ، والأندلُس مرّة ، ونقَّب فى البلاد ، وربَع فى الآفاق(٣) ؛ ومن حاذقٍ يُشاوَر ولا يُستَعْمَل ، ثمَّ لاتجدهما يَستَبِينان ، من سُوءِ الحال وكثرة الدَّين . ومن صاحب حربٍ منكوب ، وهو اللَّيثُ على براثنه ، معَ تمَامِ العزيمةِ وشدَّة الشَّكيمة ، ونَفَاذ البصيرة ، ومع المعرفة بالمكيدة والصَّبْر الدَّائم على الشدّة . ٣٦

[وبَعْدُ](٤) فكَمْ من بيت شعر قد سار ، وأجودُ منه مقيمٌ فى بطون الدَّفاتر ، لاتزيده الأيَّامُ إلاَّ خمولا ، كما لاتزيد الذى دونَه إلاَّ شُهرةً ورِفعةً . وكم من مَثَلٍ قد طار به الحظُّ حتَّى عرَفَته الإماءُ ، ورَوَاه الصبيّان والنِّساء .

(أثر الحظ فى نباهة الفرسان)

وكذلك حظوظ الفُرسان . وقد عُرِفتْ شهرةُ عنترة فى العامَّة ، ونباهةُ عمرو بن مَعْدِ يكَرِب ، وضَرَبَ الناسُ المثلَ بعبُيد الله بن الحُرّ(٥) ، وهم

(١) ليست بالأصل ، والكلام يحتاج إليها .

(٢) فرغانة ، بالفتح : بلاد فى حدود التركستان .

(٣) نقب فى البلاد : ذهب فيها . وربع فى الآفاق : أقام فى مواضع كثيرة .

(٤) زدتها مطاوعة لأسلوب الجاحظ ، ولحاجة القول إليها .

(٥) عبيد الله بن الحر الجعفى : قائد من الشجعان الأبطال ، وكان بينه وبين مصعب ابن الزبير منافسة ، وقد صمد عبيد الله لرجال مصعب صمداً ، ولكن أصحابه تفرقوا عنه ، فخاف أن يؤسر ، فألقى نفسه فى الفرات ، فمات غريقا . وكان عبيد الله شاعراً فحلا . انظر ابن الأثير حوادث سنة ٦٨ .

لا يعرفون ، بل لم يسمعَوا قطُّ بعتُيَبة بنِ الحارث بن شهاب[١] ، ولا بِبسطامِ ابن قيس[٢] ، وكان عامرُ بن الطفيل أذكَرَ منهما نسباً .

ويذكُرون عُبيدَ الله بنَ الحُرِّ ، ولا يَعرفونَ شُعبة بن ظُهير[٣] ولا زُهيرَ ابنَ ذُؤيب ، ولا عَبَّادَ بنَ الحصين[٤] . ويذكرون اللسن والبيان والخطيب ابن القِرِّيَّة[٥] ولا يعرفون سَحبانَ وائل .

والعامَّة لم يصل ذكر هؤلاء إليهم[٦] إلاَّ من قِبَل الخاصَّة ، والخاصَّة لم تَذْكُر هؤلاء دون أولئك ، فتركَتْ تحصيلَ الأمورِ والموازنَةَ بين الرجال وحكَمتْ بالسَّابق إلى القلب ، على قدر طباع القلب وهيبته ؛ ثمَّ استوت عِلل العامَّة فى ذلك وتشابهت .

والعامَّة والباعَة والأغنياء[٧] والسِّفْلةُ كأنَّهم أعذارُ عامٍ واحد . وهم

---

(١) كان فارس بنى تميم ، وفيه يقول عمرو بن معد يكرب : « ما أبالى أى ظعينة لقيت على ماء من أمواه معد ، مالم يلقنى دونها عبداها أو حراها » : ويعنى بالحرين عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث ، وعنى بالعبدين : عنترة والسليك بن السلكة . (الأغانى ١٤ : ٢٧) .

(٢) بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانى ، سيد شيبان ، ومن أشهر فرسان العرب فى الجاهلية ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقتله عاصم بن خليفة الضبى يوم الشقيقة .

(٣) كذا فى س ، م وفى ط : « زهير » .

(٤) كان يكنى أبا جهضم ، وكان فارس بنى تميم . وولى شرطة البصرة أيام ابن الزبير ، وكان مع مصعب أيام قتل المختار . قال الحسن : « ما كنت أرى أن أحداً يعدل بألف فارس حتى رأيت عباداً » . المعارف ص ١٨٢ .

(٥) قال ابن قتيبة فى المعارف ٢٥٨ : « منسوب إلى أمه ، وهو أيوب بن زيد » . وكان ابن القرية أحد بلغاء الدهر ، خطيبا يضرب به المثل . وكان أعرابيا أميا . (ابن خلكان ١ : ٨٤) . وجاء فى الأغانى ٢ : ١٦٣ : « عن عوانة قال : ثلاثة لم يكونوا قط ولا عرفوا : ابن أبي العقب صاحب قصيدة الملاحم ، وابن القرية ، ومجنون بنى عامر » . وهذه رواية غريبة . قالوا : قتل ابن القرية سنة ٨٤ ، أمر بقتله الحجاج .

(٦) ط : « إليهما » وتصحيحه من س .

(٧) لعلها « الأغبياء » .

فى باطنهم أشدُّ تشابهاً من التوأمين فى ظاهرهما، وكذلك هم فى مقادير العقول وفى الاعتراض والتسرُّع، وإن اختلفت الصُّوَر والنَّغَم [١]، والأسْنان والبلدان.

(تشابه طبائع العامّة فى كلّ بلدة وفى كلّ عصر)

وذكر الله عزَّ وجلّ ردَّ قريشٍ ومُشركى العَرَبِ على النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم قولَهُ، فذكر ألفاظَهم، وجَهْد معانيهم، ومقاديرَ هِممهم التى كانت فى وزن مايكون من جميع الأمم إلى أنبيائهم، فقال: ﴿ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ وقال: ﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِ ﴾، ثم قال: ﴿ وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُوا ﴾. ومثلُ هذا كثير، ألا ترَى أنَّكَ لا تَجِدُ بُدًّا فى كلِّ بلدةٍ وفى كلِّ عصر للحاكة من أن يكونوا على مقدارٍ واحد [٢] وجهة واحدةٍ، من السَّخَط والحمق، والغَباوة والظلم؛ وكذلك النخّاسون [٣] على طبقاتهم، من أصناف مايبيعون. وكذلك السماكون والقَلاّسون [٤] وكذلك أصحابُ الخُلقان [٥] كلُّهم، فى كلِّ دهرٍ وفى كلِّ بلدٍ، على مثال واحد، وعلى جهةٍ واحدَة.

وكلُّ حجَّامٍ فى الأرض فهو شديد الاستهتار بالنبيذ، وإن اختلفوا فى البُلدان والأجناس والأسنان.

٣٧

(١) يريد اللغات واللهجات.

(٢) فى الأصل: «للحاكة فيهم على مقدار واحدة».

(٣) النخاس: بياع الدواب والرقيق، وفى ط، م «النحاسون» وهى على الصواب فى س.

(٤) القلاس: الضارب بالدف. وفى ط «السماكون الغلاسون» وفيه تصحيف وتحريف أصلح من س، م.

(٥) الخلقان من الثياب: جمع خلق، وهو البالى، والمراد تجارها. انظر رسائل الجاحظ (١ : ٥٢) بتحقيقنا.

ولا ترى مسجوناً ولا مَضْروبا عندَ السُّلطان إلاّ وهُو يقول : إنِّى مظلوم!

ولذلك قال الشاعر :

لم يَخلقِ اللهُ مَسْجُوناً تسائلُهُ ... مابالُ سِجْنِك إلاّ قالَ مَظلومُ [١]

وليس فى الأرض خَصمانِ يتنازعان إلى حاكم ، إلاّ كلٌّ واحدٍ منهمُا يدَّعِى عدمَ الإنصاف والظُّلم على صاحبه .

(مبالغة الإنسان فى تقدير ماينسب إليه)

وليس فى الأرض إنسانٌ إلاّ وهُوَ يطرَب من صوتِ نفسه ، ويعتريه الغَلَط فى شعرِه وفى ولده . إلاّ أنَّ الناسَ فى ذلك على طبقاتٍ من الغَلط : فمنهم الغرق المغمور [٢] ، ومنهم من قد نال من الصواب ونال من الخطإِ ، ومنهم من يكون خطؤه مستوراً لكثرة صوابه ، فما أحسَنَ حالَهُ مالم يُمتَحَنْ بالكشف . والذلك احتاج العاقل [فى العُجْبِ بولده ، و [٣]] فى استحسان كتبه وشعره ، من التحفظ والتوقِّى ، ومن إعادة النظَر والتُّهمة إلى أضعَاف مايحتاج إليه فى سائر ذلك .

---

(١) وكذا فى البيان (٣ : ١٦٩) . ورواية البيت فى عيون الأخبار (١ : ٧٩ ، ٢ : ١١٦) :

ما يدخل السجن إنسان فتسأله ... ما بال سجنك إلا قال مظلوم

(٢) الغرق والغارق والغريق بمعنى .

(٣) الزيادة من س .

(جود حاتم وكعب بن مامة)

والعامّة تحكم أنَّ حاتماً أجودُ العرب ، ولو قَدَّمَتْه على هَرِمٍ الجَوادِ لمـا اعترَضْتَه عليهم . ولـكنَّ الذى يُحَدَّثُ [به][1] عن حاتم ، لايبلُغ مقدارَ مارَوَوْهُ عن كعبِ بن مامة ؛ لأنَّ كعباً بذَلَ نفسَه فى أعطِية الـكرم وبَذْل المجهود فساوى حاتما من هذا الوجه ، وبايَنَه ببذْل المُهجة[2] .

ونحن نقول : إنَّ الأشعارَ الصحيحةَ [بها][3] المقدارُ الذى يوجبُ اليقين بأنَّ كعباً كان كما وصفوا . فلو لم يكن الأمرُ فى هذا إلى الجُدود والحُظوظِ والاتِّفاقات[4] ، وإلى علـلٍ باطنةٍ تجرى الأمورُ عليها ، وفى الغَوصِ عليها وفى مَعْرِفتِها بأعيانِها عُسر ، لَمَا جرت الأمورُ على هذه

---

(١) زيادة يحتاج إليها الـكلام .

(٢) يشير الجاحظ إلى ماروى من أن كعبا هذا خرج فى ركب ، فيهم رجـل من النمر بن قاسط ، فى شهر ناجر ، فضلوا فتصافنوا ماءهم — وهو أن يطرح فى القعب حصاة . ثم يصب فيه الماء بقدر مايغمر الحصـاة ، فيشرب كل إنسان بقدر ذلك — فقعدوا للشرب ، فلما دار القعب فانتهى إلى كعب ، أبصر النمرى يحد النظر إليه ؛ فآثره بمائه وقال للساق : اسق أخاك النمرى ؛ فشرب النمرى نصيب كعب ذلك اليوم من الماء ؛ وحدث فى غدهم ماحدث فى أمسهم ؛ ونال النمرى نصيب كعب . وارتحل القوم وقالوا : ياكعب ارتحل ! فلم يكن بكعب قوة للنهوض ؛ وكانوا قد قربوا من الماء ؛ فقيل له « رد كعب إنك وراد » فعجز عن الجواب ؛ فتركوه مكانه ففاظ (أى هلك) . أمثال الميدانى ١ : ١٦٧ والعقد ١ : ١٤٧ وبلوغ الأرب ١ : ٨١ .

(٣) ليست بالأصل ؛ والـكلام فى حاجة إليها .

(٤) فى الأصل : « فلو كان الأمر » الخ ؛ والوجه ماأثبت .

المجارى . ولو كان الأمرُ فيها مفوَّضاً إلى تقدير الرأى ، لـكان ينبغى لغالب ابن صعصعةَ [١] أن يكونَ من المشهورين بالجود ، دون هرِمٍ وحاتم .

(كلف العامة بمآثر الجاهلية)

فإنْ زعمتَ أنَّ غالباً كان إسلاميًّا وكان حاتمٌ فى الجاهلية ، والناسُ بمآثر العرب فى الجاهليّة أشدُّ كلفاً ، فقد صدقْت . وهذا أيضاً يُنبئك أنَّ الأمورَ فى هذا على خلافِ تقديرِ الرأى ، وإنّما تجرى فى الباطن على نسقٍ قائم ، وعلى نظر صحيح ، وعلى تقدير محكم ، فقد تقدَّم فى تَعْبِيتهماَ [٢] وتسويتهما مَنْ لاتخفى عليه خافية ، ولا يفُوتُه شيءٌ ولا يُعْجزه . وإلاّ فما بالُ أيّام ِالإسلام ورجالها لم تكنْ أكبرَ فى النفوس ، وأحلَّ [٣] فى الصدور مِن رجال الجاهليّة ؛ مع قُرب العهد وعِظَم خَطرِ ماملـكوا ، وكثرة ماجادت به أنفسُهم ؛ ومع الإسلام الذى شملهم ، وجعله الله تعالى أولى بهم من أرحامهم. ٣٨

ولو أنَّ جميعَ مآثر الجاهليَّة وُزنت به ، وبما كان فى الجماعات اليسيرة [٤] من رجالات [٥] قريش فى الإسلام لأربت [هذه [٦]] عليها ، أو لـكانت مثلها .

---

(١) كان من وجوه تميم ؛ وهو والد الفرزدق الشاعر ؛ أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ووفد على على . وأبوه صعصعة له صحبة . وأختـه هنيدة بنت صعصعة زوج الزبرقان بن بدر ؛ أدركت النبى صلى الله عليه وسلم . الإصابة ٦٩٢٥ وكتاب النساء منها ١١١٥ . وتوفى غالب فىنحو سنة ٤٠ .

(٢) التعبية : التهيئة والإعداد ؛ ومنه تعبية الجيش بمعنى تهيئته فى مواضعه ، وفى ط : « تعيينهما » وهوتحريف ماأثبت من س، م .

(٣) كذا بالحاء : ولها وجه .

(٤) ط ، م : « اليسر » . وفى س : « اليسير » وأرى الصواب فيما كتبت إذ هى صفة « الجماعات » .

(٥) فى الأصل : « حالات » ؛ وإنما المراد الجماعات من الرجال .

(٦) ليست بالأصل .

(دلالة الخلق على الخالق)

فليس لقَدْر الكلب والدِّيك فى أنفسهما وأثمانهما ومناظرهما ومحلِّهما من صُدور العامَّةِ أسلفنا[١] هــذا الكلام ، وابتدأنا بهذا القول . ولسنا نقِف على أثمانهما من الفضّة والذَّهب ، ولا إلى أقدارهما عند الناس ، وإنما نَتَنَظَّرُ[٢] فيما وضع الله عزَّ وجلّ فيهما من الدَّلالة عليه ، وعلى إتقان صُنْعه ، وعلى عجيب تدبيره ، وعلى لطيفِ حكمته ؛ وفيما استخْزَنَهُما[٣] من عجائب المعارف ، وأودعهما من غوامض الأحساس[٤] ، وسخَّر لهما من عِظام المنافع والمرافق ، ودلَّ بهما على أنَّ الذى ألبَسهُما ذلك التَّدبيرَ ، وأودَعَهُمَا تِلك الحِكم ، يحبّ[٥] أن يفكَّر فِيهما ؛ ويعتَبَر بهما ، ويسبَّح الله عزَّ وجلّ عندهما . فغَشَّى ظاهرهما بالبرهان ، وعمَّ باطنَهما بالحِكم ، وهيَّج عَلَى النظر فيهما والاعتبار بهما ؛ ليعلم كلُّ ذى عقل أنّه لم يَخْلقِ الخلق سُدًى ؛ ولم يترك الصُّور هَمَلا ؛ وليعلموا أنَّ الله عزّ وجلّ لم يَدَع شيئاً غُفْلا غير موسوم[٦] ، ونثرا غير منظوم ، وسُدًى غير محفوظ ؛ وأنّه لايخطئه من عجيب تقديره ، ولا يعطله من حلْى تدبيره[٧] ، ولا من زينة الحِكم وجلال قدرة البرهان .

---

(١) ط ، م : « أسبقنا » و س : « سقنا » ، وما كتبت تصحيح الأول .

(٢) التنظر : التأمل وإطالة التفكير . وفى الأصل : « ننتظر » من الانتظار ، وهو تحريف .

(٣) استخزنهما : استودعهما . وفى الأصل : « استخرجهما » ، وليس بشىء .

(٤) الأحساس : جمع حس .

(٥) فى الأصل : « يجب » ، ولعل الصواب فيما كتبت .

(٦) الغفل بالضم : ما ليس به سمة تميزه . ويقابله « الموسوم » . وهى فى الأصل « مرسوم » .

(٧) ط : « حل تدبيره » ، والصواب من س .

ثمَّ عمَّ ذلك بين الصُّؤابةِ[١] والفَراشة ، إلى الأفلاك السبعة وما دونَها من الأقاليم السبعة .

(تأويل الآية الكريمة : ويخلق مالا تعلمون)

وقد قال تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَالاَ تَعْلَمُونَ ﴾ . وقد يتَّجه هذا الكلامُ فى وجوه : أحدها أنْ تكون هاهنا ضروبٌ من الخلق لايعلم بمكانهم [كثيرٌ][٢] من الناس ، ولابدَّ أن يعرف ذلك الخَلْقُ معنى نفسه ، أو يعلمه صفْوة [جنُودِ][٣] الله وملائكته ، أو تعرِفَه الأنبياء ، أو يعرِفَه [بعضُ[٤]] الناس ، لايجوز إلاّ ذلك . أو يكون الله عزَّ وجلَّ إنما عنى أنّه خلق أسباباً ، ووهب عِلَلا ، وجعل ذلك رِفدًا لما يظهرُ لنا ونظاما .

وكان بعض المفسِّرين يقول : من أراد أن يعرف معنى قوله : ﴿ وَيَخْلُقُ مَالاَ تَعْلَمُونَ ﴾ فَلْيُوقِدْ نارا فى وسط غَيضة ، أو فى صحراء بريّة[٥] ثمَّ ينظر إلى مايغشى النارَ من أصناف الخلق من الحشرات والهمج فإنّه سيرى صُورا ، ويتعرَّف خلقاً لم يكن يظنُّ أنَّ الله تعالى خلق شيئاً من ذلك العالم[٦] . وعَلَى أنَّ الخلق الذى يغْشى نارَهُ [يختلف[٧]] عَلَى قدر اختلافِ مواضعِ الغياض والبحار والجبال . ويعلم أنَّ مَالم يبلغه أكثرُ

---

(١) الصؤابة : بيضة القملة أو البرغوث . وهى فى ط : « الضآبة » وفى س ، م : « الضوابة » ، وكلاهما تحريف .

(٢) ليست بالأصل والكلام يحتاج إليها .

(٣) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام . وجنود الله : فى معنى ملائكته .

(٤) زيادة ضرورية .

(٥) لعلها « أو برية » .

(٦) لعلها « خلق شيئاً منه فى ذلك العالم » .

(٧) الزيادة من س .

وأعجب . ومَا أردُّ هذا التأويل ، وإنّه ليدخل عندى فى جملةِ مَاتدلُّ عليه الآية . ومَنْ لَمْ يَقل ذلك لم يفهَمْ عن ربِّهِ ولم يفقَهْ فى دينه . ٣٩

(ديدان الخل والملح)

كأنّك لاترى أنَّ فى دِيدانِ الخــلِّ والملحِ ، والدِّيدَانِ التى تتولد فى السُّموم إذا [عَتقت[١]] وعرض لها العفن — وهى بَعْدُ[٢] قواتل — عبرةً وأُعجوبة ، وأنَّ[٣] التفكّر فيها مَشحذةٌ للأذهان ، ومَنْبَهةٌ لذَوى الغفْلة ، وتحليلٌ لعقدة البُلْدة[٤] ، وسببٌ لاعتياد الرويّة وانفساح الصدور ، وعزٌّ فى النفوس ، وحلاوةٌ تقتاتُها الرُّوح ، وثمرةٌ تغَذِّى العقل ، وتَرَقٍّ فى الغايات الشريفة ، وتَشَرُّفٌ إلى معرفَة الغايات البعيدة .

(فأرة البيش والسمندل)

وكأنّك لاترى أنَّ فى فأرة البيش[٥] وفى السمنْدَل[٦] آيَةً غريبة ، وصفةً عجيبة ، وداعيةً إلى التفكُّر ، وسبباً إلى التعجُّب [والتَّعجيب[٧]] .

---

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل ، وقد ترك لهـا فراغ فى كل من س ، م والتيمورية ، ولم يترك لها فى ط . وقد سددت هذا الفراغ مما نقل الثعالبى عن الجاحظ فى ثمار القلوب ص ٣٤٤ عند كلامه فى (دودة الخل) . وعتق الشيء ، من باب ضرب وكرم ونصر : قدم وطال عليه العهد .

(٢) فى ثمار القلوب : « تعد » وما هنا أشبه بلغة الجاحظ .

(٣) فى الأصل : « ولأن » ، وتصحيحه من الثمار .

(٤) البلدة بالضم ، وبالفتح ، والبلادة أيضاً : ضد النفاذ والذكاء والمضاء فى الأمور . وفى الثمار : « البلادة » . وقد عرفت أنهما بمعنى .

(٥) فأرة البيش : دويبة تغتذى بالسموم فلا تضرها ، وليست بفأرة ولـكن هكذا تسمى . (الحيوان ٥ : ٣٠٩ ، ٦ : ٣١٧) .

(٦) السمندل : طائر يسقط فى النار فلا يحترق ريشه — زعموا . (الحيوان ٥ : ٣٠٩ ، ٦ : ٤٣٤) .

(٧) التكملة من مب .

(الجُعَل والورد)

وكأنّك لاترى أنّ فى الجُعَل ، الذى متى دفنتَه فى الورد سكنَتْ حركته وبطلتْ[١] فى رأى العَين رُوحُه ، ومتى أعدْتَه إلى الرَّوث انحلّت عُقدته[٢] ، وعادت حركتُه ، ورجَع حسُّه — أعجَبَ العجَبِ ، وأحكم الحكم !

(حصول الخلد على رزقه)

وأىُّ شىء أعجبُ من الخُلْد[٣] ! وكيف يأتيه رزقه ، وكيف يهيِّئُ [الله[٤]] له مايقوته[٥] ، وهو أعمى لايبصر ، وأصمُّ لايسمَع ، وبليدٌ لايتصرَّف ، وأبلهُ لايعرِف ! ومع ذلك أنّه لايجوز بابَ جُحره ، ولا[٦] يتكلّف سوى مايجلبُ إليه رازقُه ورازقُ غيره .

[وأىُّ شىءٍ أعجبُ من طائرٍ ليس له رزقٌ إلاَّ أن يخلِّل أسنانَ التِّمساح ، ويكون ذلك له[٧]] .

---

(١) ما عدا مب : « وبطل » .

(٢) مب : « عقده » .

(٣) الخلد بالضم ، وقد تفتح الخاء ، وقد تكسر : دويبة عمياء صماء لا تعرف ما يدنو منها إلا بالشم ، تخرج من جحرها ، وهى تعلم أن لاسمع لها ولا بصر لها ، فتفتح فاها وتقف على باب جحرها ، فيجىء الذباب فيسقط على شدقيها ويمر بين لحييها ، فتسد فها عليها ، وتستدخلها بجذبة النفس ، تعلم أن ذلك هو رزقها وقسمها . (الحيوان ٦ : ٤١١) والدميرى برسمه . وقال داود الأنطاكى فى التذكرة ١ : ١٤٧ « حيوان فى حجم ابن عرس . وليس له بصر . . . وهو أقوى الحيوانات سمعاً » .

(٤) التكملة من مب .

(٥) س ، م : « يفوته » بالفاء ، تحريف .

(٦) ما عدا مب : « ولأنه » .

(٧) تكملة من مب . وانظر ٤ : ٢٢٨ و ٦ : ٣٤٤ .

(الطائران العجيبان)

وأىُّ شىءٍ أعجبُ من طائرين ، يراهما الناسُ من أدنى جُدود البحر [١] من شِقِّ البصرة ، إلى غاية البحر من شِقّ السِّند ، أحدهما كبيرُ الجُثّة يرتفع فى الهواء صُعُدًا [٢] ، والآخَر صغير الجثَّةِ يتقلَّب عليه ويعبَث به ، فلا يزال مرَّةً يرفرِفُ حَولَه ويرتقى على رأسه ، ومرَّةً يطيرُ عند ذُناباهُ ، ويدخلُ تحتَ جَناحه ويخرُج من بينِ رجليه ، فلا يزال يغُمُّه ويكرُبه [٣] حتَّى يتّقيه بذرقِهِ ، فإذا ذَرَق شحا له فاه [٤] فلا يخطئ أقصى حلقِهِ حتَّى كأنّه دحا [٥] به فى بئر ، وحتَّى كأنَّ ذَرْقَه مِدحاةٌ بيد أسوار [٦] ، فلا الطائر الصغير يخطئ فى التلقِّى ، وفى معرفته أنّه لارزق له إلاّ الذى فى ذلك المكان ؛ ولا الكبير يخطئ التَّسديد [٧] ، ويعلمُ أنّه لاينجيه منه إلا أنْ يتّقِيَه بذرْقِه ، فإذا أوعى ذلك الذَّرْق [٨] ، واستَوْفى [٩] ذلك الرِّزق ، رجع

---

(١) الجدود : جمع جد بالفتح ، وهو الشاطئ . والجد بالكسر والجدة بالكسر أيضا ، بمعنى الجد : الشاطئ .

(٢) ماعدا مب : « مصعدا » .

(٣) ط : « بغمه وبكربه » ، وصوابه فى س ، م . وفى مب : « يغصه ويكربه » .

(٤) شحافاه : فتحه . ماعدا مب : « يذرق فإذا ذرق شحا فاه » .

(٥) ط : م : « رما » ، وأثبت مافى س . و « رما — وصوابهما رمى — » و « دحا » بمعنى . وفى مب : «كأنه راد فى بئر » .

(٦) المدحاة : آلة الدحو ، أى الرمى . الأسوار بالضم والكسر : الجيد الرمى بالسهام . مب : « مد حاسد اسوار » ، محرفة .

(٧) التسديد : إصابة الهدف . ماعدا مب : « التشديد » .

(٨) الذرق : نجو الطائر . أوعاه : استوعبه . مب : « وعى » .

(٩) ط : «استوى فى» ، وصوابه فى س ، مب .

شبعانَ ريّانَ بقُوتِ يومه ، ومضى الطائرُ الكبير لِطِيَّتِه . وأمرهما مشهورٌ وشأنهما ظاهر ، لايمكن دفُعه ولا تُهَمَةُ المخبِرين عنه .

(التخالف بين الحيوان فى الطباع)

فجعل تعالى وعزَّ بعضَ الوحوش كَسُوباً محتالا ، وبعضَ الوحوش
٤٠ متوكِّلا غيرَ محتال ، وبعضَ الحشرات يدَّخر لنفسه رِزْقَ سنَته ؛ وبَعضاً يتَّكل على الثِّقةِ بأنَّ له كلَّ يوم قَدْرَ كِفايتِهِ ، رزقاً معَدًّا وأمرًا مقطوعا . وَجَعَلَ [بعضَ[1]] الهمَج يدَّخر ، وبعضَه يتكَسَّب ، وبعضَ الذكورة يعُولُ وَلده ، وبعض الذكورة لايعرف وَلده ، وبعضَ الإناث تُخَرِّج ولدها[2] ، وبَعض الإناث تضيِّع ولدَها وتكفلُ وَلدَ غيْرِها ، وبَعْضَ الأجناس معطوفَةً على كل وَلَدٍ من جنسها ، وبعض الإناث لاتعرف وَلدَها بعد استغْنَائهِ عنها ، وبعض الإناث لاتزال تعرِفُه وتعطفُ عليْهِ ، وبعضَ الإناث تأكلُ وَلدهَا ، وكذلك بعض الذكُورة . وبعضَ الأجناس يُعادى كُلَّ مايكسر بيضَها[3] أو يأكل أولادَهَا . وجعل يُتْمَ بعضِ الحيوان من قِبَل أمَّهاتها ، وجعل يُتْمَ بعضها من قِبَل آبائها ، وجعل بعضَها لايلتمس الولد وإن أتاه الولد ، وجعل بعضها مستفرِغَ الهمِّ فى حُبِّ الذَّرءِ[4] والتماس الولدِ ؛ وجعل بعضها يُزَاوِج وبعضها لايزاوِج

---

(١) التكملة من مب .

(٢) التخريج : التربية والتأديب . ويصح أن تكون « تخرج » من الإخراج . كما نقل الجاحظ عن أرسطو فى الحيوان (٦ : ٣٣٨) : أن العقاب لابد أنه تخرج واحدا من أولادها ، وربما طردتهن جميعا . اهـ لكن المقابلة ترجح الضبط الأول . وفى مب : « تبغض ولدها » .

(٣) ماعدا مب : « كل شىء ويكسر بيضها » .

(٤) الذرء : النسل .

ليكونَ للمتوكل من الناس جهةٌ فى [توكُّله ، وللمتكسِّب جهةً فى[1]] تكسُّبه وليُحضِرَ[2] على بالهم أسباب البِرِّ والعُقوق ، وأسبابَ الحظْر والتربية ، وأسبابَ الوَحشة من الأرحام الماسَّة .

(افتراق المعانى واختلاف العلل)

ولمكانِ افتراق المعانى[3] واختلافِ العلل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعضهم : «اعقِلْهَا وتَوَكَّلْ[4] » . وقال لبلال : « أَنفِقْ بلاَل ، ولا تخشَ مِنْ ذى العَرْش إقْلاَلا ! » .

[فافهموا هذا التدبيرَ ، وتعلَّموا هذه الحِكم ، واعرفوا مداخلَها ومخارجَها ومفرَّقَها ومجموعَها ؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يُرَدِّد فى كتابه ذِكرَ الاعتبارِ ، والحثَّ عَلَى التفكير ، والترغيبَ فى النظر وفى التثبُّت والتعرُّف والتوقُّف[1]] ، إلاّ وهو يريد أن تكونوا علماءَ من تلك الجهة ، حكماءَ من هذه التعبئة[5] .

(المعرفة والاستدلال)

ولولا استعمال المعرفة لما كان للمعرفة معنى ، كما أنّه لولا الاستدلال بالأدلة لما كان لوضع الدلالة معنى . ولولا تمييزُ المضارِّ من المنافع[6] ، والرديِّ من الجيِّد بالعيون المجعولة لذلك ، لما جعَل الله عزَّ وجلّ العيونَ المدرِكَةَ . والإنسانُ الحسَّاس[7] إذا كانت الأمور المميَّزة عنده ، أخذ مايحتاج إليه وترك مايستغنى عنه وما يَضُرّ أخذه[8] ، فيأخذ مايحبُّ ويدَعُ مايكره ، ويشكر

(١) التكملة من مب . (٢) ماعدا مب : » ولتحظر » .
(٣) ماعدا مب : « اقتران المعانى » .
(٤) رواه الترمذى عن أنس . وقال السيوطى : حديث ضعيف . الجامع الصغير ١١٩١ .
(٥) التعبئة : الإعداد . مب : « بهذه التعبئة » . (٦) كذا . ولعلها : «الضار من النافع» .
(٧) فى الأصل : «ولولا أن الإنسان الحساس » . (٨) ماعدا مب : « ومايضر من أخذه » .

على المحبوب ويصبر على المكروه ، حتى يذكر بالمكروه كيفيَّةَ العِقاب ، ويَذكُر بالمحبوب كيفيّةَ الثواب ، ويعرفَ بذلك كيفيَّة التضاعيف ، ويكون مايغمُّه رادِعًا له ، وممتَحَناً بالصَّبْر عليه ، وما يسرُّه باسطاً له ومُمْتَحَنا بالشكر

٤١ عليه . وللعقل فى خِلال ذلك مجال ، وللرأى تقلب ، وتَنْدَقُّ[1] للخواطر أسبابٌ ، ويتهيّأ لصواب الرأى أبواب . ولتكون المعارف الحسيَّة[2] والوِجدانات الغريزيّة ، وتمييز الأمور بها ؛إلى مايتميز عند العقول[3] وتحصره المقاييس . وليكون عملُ الدُّنيا سُلَّما إلى عمل الآخرة ، وليترَقَّى من مَعْرفة الحواس إلَى مَعْرِفَةِ العُقول ، ومن معْرِفَة الرويّة من غايةٍ إلَى غايةٍ ؛ حتَّى لاَ يرضى من العِلم والعَمَل إلاّ بما أدّاه إلَى الثَّواب الدائم ، ونَجَّاه من العِقاب الأليم[4] .

(مايحسن الكلب مما لايحسنه الإنسان)

سنذْكُرُ طَرَفا ممَّا أودَعَ الله — عزَّ وجلَّ — الكلبَ ممَّا لاتحسنُه أنت أيُّها الإنسان ، مع احتقارِك له وظلمِك إيَّاه .

وكيف لاتكون تلك الحكمُ لطيفةً ، وتلك المعانى غَريبةً ، وتلك الأَحساسُ دقيقة ، ونحنُ نَعلم أنَّ أدقَّ الناس حِسًّا وأرقّهُم ذِهناً وأحضَرَهم فَهْماً ، وأصَحَّهم خاطِراً وأكملَهُمْ تَجْرِبَة وعلما ، لَوْ رَامَ الشىءَ الذى يحسنُه الكلبفِى كثيرٍ منحالات الكلب لَظَهَر [له[5]] منعجزِه وخُرْقه، وكلال

(١) فى س : ، م : « وتنشر » . وفى ط : « تنشؤ » . وأثبت مافى مب .
(٢) ط : « الحبيبة »، وتصحيحه من س .
(٣) ماعدا مب : « عنه العقول » تحريف .
(٤) ماعدا مب : «الدائم » . (٥) التكملة من مب .

حدِّه وفَساد حسِّهِ ، ما [لا [١]] يعرف بدونه أنَّ الأمورَ لم تُقسَم على مقدار رأيه ، ولا عَلَى مبلغ ِعقلِه وتقديره ، ولا على محبَّتِه وشهوته ؛ وأنّ الذى قسم ذلك لايحتاج إلى المشاورَة والمعاوَنة ، وإلى مكانَفةٍ ومُرافدة [٢] ، ولا إلى تجرِبة ورويّة . ونحن ذاكرون من ذلك جملا إن شاء الله تعالى .

(خبرة الكلب فى الصيد)

أعلم أنَّ الكلب إذا عاين الظِّباءَ ، قريبةً كانت أو بعيدةً ، عرف المعْتَلَّ وغير المعْتل [٣] وعرَف العَنز من التَّيس . وهو إذا أبصرَ القطيعَ لم يقصِد إلاّ قصدَ التَّيس — وإنْ علم أنّه أشدُّ حُضراً ، وأطولُ وثْبةً ، وأبعدُ شوطاً — ويَدَعُ العنز وهو يرى مافيها من نقصان حُضْرها وقصرقابِ خَطوها ، ولكنّه يعلم أنّ التَّيس إذا عدا شوطاً أو شوطين حَقِبَ ببوله [٤] !!

(مايعترى الحيوان عند الفزع)

وكلُّ حيوانٍ [٥] إذا اشتدَّ فزعه ، فإنّه يَعرِض [٦] له إمَّا سَلَس البول والتقطير ، وإمَّا الأُسْرُ [٧] والحَقَب . وكذلك المضروب بالسياط على الأَكتاف ، وبالعصيِّ على الأَستاه . وما [٨] أكثر مايعتريهم البول والغائط .

---

(١) بهذه الزيادة يستقيم الكلام .
(٢) ماعدا مب : « مكاتفة ومرادفة » .
(٣) ط : « المقتل وغير المقتل » . وما أثبت من س ومب . وفى الدميرى — وأحسب أنه نقل عن الجاحظ — « عرف المقبل من المدبر » .
(٤) حقب ببوله : تعسر عليه البول .
(٥) ماعدا مب : « وكل الحيوان » .
(٦) ماعدا مب : « سيعرض » .
(٧) الأسر ، بالضم : احتباس البول .
(٨) ط : « وأما » ، وصوابه فى س . وفى مب : « فما » .

وكذلك صار بعضُ الفُرسان الأَبطال إذا عايَنَ العدُوّ قطَّرَ إلى أن يذهب عنه، لهَولِ الجَنان[١].

وإذا حَقِبَ التَّيس[٢] لم يستطع البَول مع شدَّة الحُضر، ومع النَّفْزِ والزَّمَع[٣]، ووضع القوائم معًا ورَفعِها مَعاً، فى أسرَعَ من الطَّرْف[٤] فيثقُل عَدْوُهُ، ويقصُر مَدَى خُطاه[٥]، ويعتريه البُهْر حتَّى يلحقه الكلبُ فيأخذه.

والعنز من الظِّباء إذا اعتراها البولُ من شدَّة الفزَع لم تجمعه، وحذفت به كإيزاغ المَخاض الضَّوارِبِ[٦]، لسَعَةِ السَّبِيل وسهولةِ المخرج، فتصير لذلك أدومَ شَدًّا، وأصبرَ على المطاولة. ٤٣

فهذا شىءٌ فى طبعِ الكلب معرفتُه، دونَ سائر الحيوان.

والكلب المجرِّب لايحتاجُ فى ذلك إلى مُعاناةٍ، ولا إلى تعلُّم، ولا إلى رويّة ولا إلى تكلف، قد كفاه ذلك الذى خَلَق العَقل والعاقل والمعقُول، والداءَ والدواءَ والمداواةَ والمداوِى، وقَسَم الأُمور على الحكمة، وعلى تَمام مصلحة الخليقة.

(ذكاء الكلب ومهارته فى الاحتيال للصيد)

ومن معرفة الكلب، أنَّ المُكلِّب يُخرجه إلى الصيد فى يومٍ، الأَرضُ فيه ملبَسة من الجليد، ومغشَّاةٌ بالثَّلجِ، قد تراكم عليها طبقاً عَلَى طبَق،

---

(١) ماعدا مب: «هول الجنان». (٢) حقب: احتبس بوله. ماعدا مب: «تعب».

(٣) النفز: وثب الظبى خاصة، ويقال ظبى ينفوز. وفى ط، س: «النفر» بالراء. وفى مب: «البعر». وفيما عدا مب: «والجزع». والزمق: القلق والخرق.

(٤) كذا فى س، مب، وهو الصواب. وفى ط: «فا أسرع فى الطرف».

(٥) ماعدا مب: «فيقصر خطوه».

(٦) الإيزاغ: دفع الناقة ببولها. والمخاض: النوق الحوامل، وهى فى ط «المحاض» محرفة، وصوابها فى س، مب. والضوارب: التى تضرب بأرجلها إذا أرادها الفحل، تفعل ذلك لأنها حامل. والجاحظ ينظر إلى قول النابغة:

بضرب يزيل الهام عن سكناته   وطعن كإيزاغ المخاض الضوارب

حتَّى طبَّقها واستفاض فيها[١] ، حتَّى ربَّما ضربته الريح ببَرْدها ، فيعود كلُّ طبَقٍ منها وكأنّه صفاةٌ ملساء ، أو صخرةٌ خلْقاء[٢] ، حتى لايثبت عليها قَدَمٌ ولا خُفٌّ ، ولاحافر ولاظِلف ، [إلاَّ][٣] بالتثبيت الشديد ، أو بالجَهْدِ والتَّفريق — فيمضى[٤] الكلاّبُ بالكلب ، وهو إنسانٌ عَاقل ، وصيَّادٌ مجرِّب ، وهو مع ذلك لايدرى أينَ جُحر الأَرنب من جميع بَسائِطِ الأَرض[٥] ، ولا موضعَ كُناس ظبيٍ ، ولا مَكْوِ ثعلب[٦] ، ولا غيرَ ذلك من موَالج[٧] وحوشِ الأَرضِ ؛ فيتخرَّق الكلب[٨] بينَ يديه وخَلفَهُ ، وعن يمينه وشماله ويتشمّمُ ويتبصّر ، فلا يزال كذلك حتَّى يقِف على أفواه تلك الجِحَرة ، وحتى يُثير الذى فيها بتنفيس الذى فيها[٩] ، وذلك أنَّ أنفاسها وبُخارَ أجوافها وأبدانِها ، وما يخرج من الحرارة المستكنّةِ[١٠] فى عمق الأرض — ممّا يُذيب مالاقاهاَ[١١] من فَمِ الجُحْر ، من الثَّلجِ الجامد ، حتى يرقَّ ويكاد أن يثقبه[١٢] وذلك خفىٌّ غامض ، لايقع عليه قانص[١٣] ولا راعٍ ، ولا قائف ولا فلاّح ، وليس يقع عليه إلاّ الكلب الصائد الماهر .

---

(١) ط : « استغاض فيها » ؛ وصوابه فى سائر النسخ .
(٢) الخلقاء من الصخور : المصمتة الملساء التى لايؤثر فيها شىء .
(٣) التكملة من مب .
(٤) ماعدا مب : « فضى » ، تحريف .
(٥) مب : « بسيط الأرض » .
(٦) مكو الثعلب : جحره ؛ ماعدا مب : « مكمن ثعلب » .
(٧) موالج : مداخل .
(٨) يتخرق : يشتد عدوه . وبين يديه : أمامه .
(٩) بتنفيس الذى فيها ؛ ليس فى مب .
(١٠) ط : « المستكمنة » ، وأثبت مافى س ، م ، مب .
(١١) ط : « ملاقاها » ، والصواب المثبت من س ، مب .
(١٢) ماعدا مب : « وإن لم يثقب » .
(١٣) ط : « ناقص » ؛ وهو تحريف صوابه فى س ، مب . والقانص : الصائد .

وعلى أنّ لِلكلب[١] فى تَتَبُّع الدُّرَّاج[٢] والإصعادِ خَلْفَ الأرانب فى الجبَل الشاهق ، من الرِّفق وحسن الاهتداء والتأنِّى[٣] مايخفى مكانُه على البيازِرة[٤] والكلاّبين .

(الانتباه الغريزى فى الكلب)

وقد خبَّرنى صديقٌ لى أنّه حبس كلباً له فى بيتٍ وأغلَقَ دونه الباب فى الوقت الذى كان طبَّاخُه يرجع فيه من السوق ومعَه اللحم ، ثمَّ أحدَّ سِكِّيناً بسكين ، فنبَح الكلب [وقَلق[٥]]، ورام فتحَ الباب ؛ لتوهُّمه أنَّ الطبَّاخ قد رجَع من السوق بالوظيفة[٦] ، وهو يحد السِّكِّين ليقطع اللَّحم !!

قال : فلما كان العشىُّ صنَعْنا به مثلَ ذلك ، لنتعرَّف حالَه فى معرفة الوقت ، فلم يتحرَّكْ ! !

قال : وصنعتُ ذلك بكلبٍ لى آخرَ فلم يَقْلَقْ إلاَّ قلقاً يَسيرا، فلم يلبث أَنْ رجَع الطبّاخُ فصنَع بالسّكِّين مثل صنيعى ، فقلِق حتَّى رام فتحَ الباب!!

٤٣ قال فقلت : والله لَئِنْ كان عرفَ الوقتَ بالرَّصْد[٧] فتحرَّك له ، فلما لم يشَمَّ ريحَ اللحم عرَف أنَّه ليس بشىء ، ثمَّ لما سمع صوتَ السِّكِّين

---

(١) فى الأصل : « الكلب » ؛ والصواب ما كتبت .

(٢) الدراج : طائر أسود باطن الجناحين وظاهرهما ؛ أغبر على خلقة القطا ؛ إلا أنه ألطف . و « تتبع » هى فى الأصل : « تنبيح » وفى مب : « تبنيج » ، والوجه ماأثبت .

(٣) مب : «التأنى» ؛ وفيما عداها : « التأتى » ؛ والوجه ما أثبت . والتأتى : حسن الاحتيال .

(٤) ماعدا مب : « لايخفى » و « لا » مقحمة ؛ و البيازرة : جمع بيزار بفتح الباء ؛ وهو الصائد بالبازى . ماعدا مب : « البياز » ؛ وهو تحريف ماأثبت من مب .

(٥) التكملة من مب .

(٦) الوظيفة : مايقدر من طعام أو رزق فى اليوم ، وكذا فى السنة والزمان المعين .

(٧) الرصد : الارتقاب .

والوقتُ بَعْدُ لم يَذْهب ، وقَدْ جيء باللحم [فشمَّ رِيحَ اللَّحم] من المطبخ(١) وهو فى البيت ، أو عرف فَصْل(٢) مابين إحدادِى السِّكِّينَ وإحدادِ الطباخ ، إنّ هذا أيضاً لَعَجَب .

وإنّ اللحمَ ليكونُ بينى وبينَه الذراعان والثلاث الأذرع ، فما أجدُ رِيحه إلاّ بَعْدَ أنْ أُدْنِيَه من أنفى . وكلُّ ذلك عجب .

ولم أجِدْ أهل سكّة أَصطَفانُوس(٣) ، ودار جارِيَةَ ، وباعَةَ مُرَبَّعَةِ بنى مِنْقَرٍ(٤) يشُكُّون أنَّ كلباً كان يكونُ فى أعلى السكة ، وكان لا يجوز مَحْرَس الحارس أيامَ الأسبوع كلِّه ، حتَّى إذا كان يومُ الجمعة أقبلَ قَبْلَ صلاة الغداة ، من موضعه ذلك إلى بابِ جارِيَة ، فلا يزال هناكَ مادام على مِعْلاقِ الجزَّارِ شىءٌ من لحم . وبابُ جارِيَةَ تُنحر عندَه الجُزُر فى جميع أيَّام الجمع خاصَّة ، فكان ذلك لهذا الكلب عادةً ، ولم يره أحدٌ [منهم] فى ذلك الموضع فى سائر الأيَّام(٥) ، حتَّى إذا كان غداةَ الجمعة أَقبَل !

فليس يكونُ مِثلُ هذا إلّا عن مقداريَّةٍ(٦) بمقدار ما بين الوقتين .

ولعلَّ كثيراً من الناس ينتابون بعْض [هذه(٧)] المواضع فى يومِ الجمعةِ ،

---

(١) ط ، م : « الطبخ » ، وصوابهما فى س ، مب . والتكملة قبله من مب .

(٢) المراد بالفصل الفرق .

(٣) موضع فى البصرة ، مسماة باسم كاتب نصرانى كان فى أيام زياد أو ماقاربها . روى عن ابن عباس أنه قال « الحظوظ مقسومة ، لايقدر أحد على صرفها ونقلها عن أماكنها . ألا ترى إلى سكة أصطفانوس كان يقال لها سكة الصحابة ، نزلها عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تضف إلى واحد منهم ، وأضيفت إلى كاتب نصرانى من أهل البحرين — يريد أصطفانوس — وتركوا الصحابة » . معجم البلدان (أصطفانوس ، وسكة أصطفانوس) .

(٤) الباعة : جمع بائع . والمربعة : الموضع المربع . وفى ط : « مربعة بين منقر » ، وهو تحريف ماأثبت من س ، م ، مب والتيمورية . وهى وسابقتها موضعان بالبصرة .

(٥) التكملة من مب . و « فى سائر الأيام » ساقط من مب . وفى سائر النسخ : « فى سائر أيام الجمعة » ، تحريف.

(٦) مقدارية : بمعنى تقدير ، وهو مصدر صناعى من كلمة « مقدار » . مب : « عن معرفة »

(٧) زدتها للحاجة إليها .

إمّا لصلاةٍ ، وإما لغير ذلك ، فلا يَعْدِمُهُم[١] النِّسيان من أنفسهم ، والاستذكار بغيرهم[٢] . [وهذا[٣]] الكلبُ لم ينسَ من نفسه ، ولا يستذكر بغيره[٤] .

وزعم هؤلاء بأجمعهم أنَّهم تفقَّدوا شأنَ هذا الكلب منذ انتبهوا لصَنيعِه هذا[٥] ، فلم يجِدُوه غادرَ ذلك يوماً واحداً . فهذَا هذا .

(قصّة فى وفاء الكلب)

وأنشد أبو الحسن بن خالويه[٦] عن أبي عُبيدة لبعض الشعراء :

يُعَرِّدُ عنهُ جارُهُ وشقيقُه ويَنبِش عنه كلْبُهُ وهو ضارِبُهْ[٧]

قال أبو عبيدة[٨] : قيل ذلك لأنَّ رجلاً خرج إلى الجَبّان ينتظر رِكابَه فأتبعه كلبٌ كان له ، فضرب الكلبَ وطردَه ، وكره أن يتبعه ، ورماه بحجر ، فأبى الكلبُ إلّا أن يذهب معه ، فلما صار إلى الموضع الذى يريد فيه الانتظار ، ربَضَ الكلبُ قريباً منه ، فبينا هو كذلك[٩] إذ أتاهُ أعداءٌ لَهُ يطلبونه

---

(١) يقال مايعدمنى هذا الأمر : أى مايعدونى . ويقال أيضا : أعدمنى الشيء : إذا لم أجده . وفى ط : « لايعد فيهم » ، وهو تحريف مافى س ، مب .

(٢) ماعدا مب : « لغير » .

(٣) التكملة من مب . (٤) ماعدا مب : « ولم يتذكر » .

(٥) كلمة «هذا» من مب فقط . وفيما عدا مب : « لصنعه » . (٦) مب : « بن حلوه » .

(٧) التعريد : الإحجام والفرار . وفى الأصل : « يعود » ، وليس لها وجه يصح . والصواب ما كتبت من تأويل مختلف الحديث ص ١٦٦ .

(٨) قصة البيت رواها ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث عن أبى عبيدة أيضا ، ولكنها تباين ماهنا ، قال : « وقد كان أبو عبيدة يذكر أن رجلين سافرا ومع أحدهما كلب له ، فوقع عليهما اللصوص فقاتل أحدهما حتى غلب وأخذ فدفن وترك رأسه بارزاً ، وجاءت الغربان وسباع الطير فحامت حوله ، تريد أن تنهشه وتقلع عينيه ، ورأى ذلك كلب كان معه ، فلم يزل ينبش التراب عنه حتى استخرجه ، ومن قبل ذلك قد فر صاحبه ، وأسلمه » .

(٩) ماعدا مب : « قريبا فبينا هو كذلك » .

بطائلةٍ لهم عنده ، وكان معه جار لَهُ وأخوه دِنْياً(١) ، فأسلماه وهربا عنه ، فجرح جِراحاتٍ ورُمى بهِ فى بئرٍ غيرِ بعيدة القعر ، ثم حَثَوْا عليه من التراب حتَّى غَطَّى رأسَه(٢) ثم كُمِّمَ فوقَ رأسِه منه(٣) ، والكلبُ فى ذلك يَزجُم(٤) ويَهِرُّ ، فلمَّا انصرفوا أتى رأسَ البئر ؛ فما زال يَعوى وينبث(٥) عنه ويحثُو التُّرابَ بيده ويكشف عن رأسه حتى أظهر رأسَه، فتنفّسَ ورُدَّتْ إليه الرُّوح(٦) وقد كاد يموتُ ولم يبق منه إلّا حُشاشة ، فبينا هو كذلك إذْ مرّ ناس فأنكروا مكان الكلب ورأوه كأنّه يحفِر عن قبر ، فنظروا فإذا هم بالرَّجُلِ فى تلك الحال ، فاستشالوه(٧) فأخرجوه حيًّا ، وحملوه حتَّى أدَّوه إلى أهله ، فزعم أنّ ذلك الموضعَ يُدْعَى ببئرِ الكلب . وهو مُتيامِن عن النَّجف(٨) .

٤٤

وهذا العملُ يدل عَلَى وَفَاءٍ طبيعى(٩) وإلفٍ غريزى ومحاماةٍ شديدة ، وعلى معرفةٍ وصبرٍ ، وعلى كرم وشكر ، وعلى غناءٍ عجيب ومنفعةٍ تفوق المنافع ؛ لأنّ ذلك كلَّه كان من غير تكلف ولا تصنُّعٍ .

---

(١) قال الوزير أبو بكر البطليوسى : « إذا كسر أوله جاز فيه التنوين ، وإذا ضم لم يجز فيه إلا ترك الصرف ؛ لأن فعلى لايكون إلا للمؤنث . وهو منصوب على المصدر إذا نون كما تقول : هذا درهم ضرب الأمير ، وعلى الحال إن كان ألفه للتأنيث » . ودنيا بمعنى الأدنى من القرابة . انظر ص ٤ من خمسة دواوين العرب . ويفهم من صنيع صاحب اللسان أن هذه الكلمة لا تقال إلا فى ابن العم أو العمة أو ابن الخال ، أو الخالة ، أو ابن الأخ ، أو الأخت .

(٢) ماعدا مب : « ثم حثى عليه التراب ثم غطى رأسه » .

(٣) كمه : غطاه . و « ثم كمم فوق رأسه » ساقط من مب .

(٤) يزجم : يصوت . والغرب : جمع غراب . مب : « يزحم » . وفى سائر النسخ : « يرحم » ، والوجه ماأثبت .

(٥) نبث الأرض : نبش ترابها . ماعدا مب : « ينبش » .

(٦) مب : « ويبحث التراب عن رأسه حتى تنفس ووصل إليه الروح » .

(٧) استشالوه : رفعوه . (٨) مب : « النحيت » .

(٩) مب : « على طبيعة » .

(مؤمن بن خاقان والأعرابى)

وقال مؤمَّل[1] بن خاقان، لأعرابيٍّ من بنى أَسد، وقد أَكَلَ جَرْوَ كلب:
أتأكل لحم الكلب وقد قال الشاعر[2] :

إذا أسدىٌّ جاعَ يوماً ببلَدةٍ وكان سميناً كلبُه فهو آكلُه

أكُلَّ هذا قَرَما إلى اللحم ؟ ! قال : فأنشأ[3] الأسدىُّ يقول:

وصَـــبًّا بحظٍّ اللَّيثِ طُعْماً وشَهْوَةً فسائِل أخا الحَلْفَاءِ إن كنتَ لاتدرى[4]

(طلب الأسد للكلب)

قال : وذلك لأنَّ الأسَدَ[5] لايحرِص على شيءٍ من اللُّحمانِ حِرصَه على لحم الكلب . وأمَّا العَامَّة فتزعُم أنَّ لُحوم الشاءِ أحبُّ اللُّحمانِ إليه، قَالُوا : ولذلك يُطيف الأسدُ بجَنَبَاتِ القُرى ؛ طلباً لاغترار الكلب ؛ لانَّ وثبة الأسد تُعجِل الكلب عن القيام وهو رابض . حتَّى رُبَّما دعاهم ذلك إلى إخراج الكلب من قُراهم ؛ إلاَّ أنْ يَكون بقرب ضِياعهم خنازيرُ ، فليس حينئذٍ شيءٌ أحبَّ إليهم من أن تكثُر الأُسد عندهم . وإنَّما يُخرجون عنهم فى تلك الحالات الكلاب[6] ، لأنَّهم يخافونـا على ماهو عندهم أنفَسُ

---

(١) ماعدا مب : « مؤمن » ، صوابه من مب ، والبيان ١ : ١١٨ ، ١١٩ ، ٣٥٥.
(٢) هو الفرزدق كما فى البخلاء ١٩٨ والمعانى الكبير ٢٥٤ .
(٣) ماعدا مب : « فأنشد » .
(٤) ماعدا مب : « الخلعاء » وفى ط : « أخى » ، صوابه فى مب والمعانى الكبير . قال ابن قتيبة : « وأخو الحلفاء : الأسد ، لأنه يسكن الحلفاء فى الغياض » .
(٥) ط : « وذلك الأسدى » ، والصواب ماأثبت من س ، م . وفى مب : «وذلك أن الأسد» .
(٦) مب : « وإنما يخرجون فى تلك الحال الكلاب » .

من الكلب ، وهذه مصلحةٌ في الكلب[١] ، ولا يكون ذلك إلّا في القُرى التي يِقُرْبِ الغَيْضَةِ أو المأسَدة[٢] .

(علة طلب الأسد للكلب)

فزعم لي[٣] بعض الدَّهاقِين قولاً لا أدرى كيف هو ، ذكر[٤] أنَّهم لا يشكُّونَ أنّه إنَّما يطلبُ الكلبَ لَحَنَقه عليه ، لا من طريقِ أنّ لحمَه أحبُّ اللُّحمان إليه . وإنّ الأسدَ ليأتي مَناقِع المياه ، وشطوطَ الأنهار ، فيأكل السَّراطين والضفادع ، والرَّق[٥] والسلاحف ، وإنَّه أشرَهُ مِنْ أنْ يختارَ لحما على لحم . قال : وإنَّما يكون ذلك منه إذا أرادَ المتطرِّفَ من حمير القرية وشائها وسائِر دوابِّها . فإذا لَجَّ الكلبُ في النُّباح انتبهوا ونذِروا بالأسَد[٦] . فكانوا بَيْنَ أنْ يحصِّنوا أموالَهم وَبينَ أن يهجهجوا به[٧] . فيرجعَ خائبا . فإذا أراد ذلك بدأ بالكلب ؛ لأنْ يأمَنْ [بذلك] الإنذار[٨] ، ثمَّ يستولى على القرية[٩] بما فيها . فإنَّما يطالب الأسدُ الكلابَ لهذه العلَّة .

٤٥

---

(١) هذه الجملة ساقطة من مب .

(٢) المأسدة : الأرض الكثيرة السباع . ما عدا مب : « التي تقرب » .

(٣) ما عدا مب : « وقال » .

(٤) ما عدا مب : « غير » .

(٥) الرق : العظيم من السلاحف . وفي الأصل : « الزق » بالزاى ، محرفة .

(٦) نذروا به : علموا . يقال أنذرتهم فنذروا ، بفتح النون وكسر الذال. مب : «فألح الكلب في النباح انتبهوا وبدروا بالأسد » .

(٧) هجهج بالكلب : صاح به ليبعد فقال له : هج ! هج ! .

(٨) أى لكى يأمن الإنذار . ما عدا مب : « لأنه يأمن الإنذار » .

(٩) ط : يبيتون في أعلى القرية . س ، م : « ثم يستوفى على القرية » ، صوابها من مب .

(من حيل الأسد في الصيد)

وسمعتُ حديثاً من شُيُوخ مَلَّاحِي الموصل ــ وأنا هائب له ــ ورأيتُ الحديثَ يدُور بينهم ، ويتقبّله جميعُهم . وزعموا أنّ الأسدَ رُبّما جاء إلى قَلس السفينة [١] ، فيتشبَّث به ليلا ، والملّاحون يمدُّون السفينةَ فلا يشكُّون أنَّ القَلْس قد التفَّ عَلَى صخرة ، أو تعلّق بجذْم شجرة [٢] . ومن عاداتهم أنْ يبعثوا الأوَّل من المدّادين ليحلَّه [٣] . فإذا رجع إليه الملاّح ليمدّه تمدّد الأسدُ بالأرض ، ولزِق بها [٤] وغمّض عينيه كى لايُبصَر وبيصُهما بالليل [٥] ، فإذا قرُب منه وثب عليه فخطِفه [٦] ، فلا يكون للملّاحين همٌّ إلّا إلقاءَ أنفُسهم في الماء وعبورَهم إليه ؛ وربما أكاله إلّا مابقيَ منه ، ورُبما جرَّ فريسته إلى عِرِّيسه وعرينه [٧] ، وإلى أجرائه وأشبالِهِ ، وإنْ كانَ ذلك عَلَى أميال [٨] .

(سلاح الكلب وسلاح الدِّيك)

قالوا : فليس الدِّيك من بابَةِ الكلب ؛ لأنَّهُ إنْ ساوَرَهُ قَهَرَهُ قَهْرًا ذرِيعا . وسلاحُ الكلب الذى هو [في [٩]] فيه ، أقوى من صِيصة [١٠]

---

(١) القلس ، بالفتح : حبل غليظ من حبال السفن . ماعدا مب : « جلل قلس السفينة » .
(٢) جذم الشجرة : أصلها .
(٣) ط : « أول المدائن » ، محرفة . وفي م : « أول المدادين » ، وأثبت ما في س ، مب . وفيما عدا مب : « ليحله » .
(٤) مب : « فإذا رجع إليه الملاح تمدد الأسد ولصق بالأرض » .
(٥) الوبيص : البريق . (٦) مب : « فحطمه » .
(٧) العريس والعريسة : مأوى الأسد . وفي م : « عريشته » وفي مب : « إلى عريسته وعرسه » .
(٨) ما عدا مب : « وإن ذلك على أميال » .
(٩) زيادة ضرورية .
(١٠) الصيصة : شوكة في رجل الديك ، كما في اللسان والقاموس . وقيل : صوابه « الصيصية » وقيل : تلك مخففة من هذه . انظر تاج العروس . مب : « صيصيته » .

الديك التى [١] فى رجله [٢] ، وصوته أَنْدَى وأبعَد مَدَى [٣] ، وعينه أيقظ .

(دفاع عن الكلب)

والكلب يكفى نفسه [٤] ويحمى غيره ، ويعُول أهلَه ، فيكون لصاحبه غُنمه وليس عليه غُرمه . ولَمَا يَرمَحُ [٥] الدوابُّ من الناس ، ولَمَا يَحرن ويجمَح ، وتنطَح وتقتُل أهلها فى يومٍ واحد ، أكثَرُ مِمَّا يكونُ من جميع الكلاب فى عام .

والكبش يَنْطَحُ فيعقِر ويقتل ، من غير أن يُهاج ويُعبَث به .

والبرذَون يَعضُّ ويرمَح من غير أن يُهاج به ويُعبَث .

وأنت لاتكادُ ترى كلباً يعَضُّ أحداً إلّا من تهييج شديد ، وأكثر ذلك أيضا إنَّما هو النُّباح والوعيد .

---

(١) فى الأصل : « الذى » ، والوجه ماأثبت .

(٢) قرأت فى نثار الأزهار لابن منظور ٩٦ : « وفى الديك الصيصة ، وهى طرف عرفه الحاد ، وهى سلاحه الذى يقاتل به ، وبها سمى قرن الثور صيصة » ، فقد جعل الصيصة فى العرف كما ترى .

(٣) أندى فى معنى أبعد . وفى ط : « الذى أبعد » ، تحريف صوابه فى س . وكلمة « مدى » من مب .

(٤) ماعدا مب : « يحمى نفسه » .

(٥) الرمح : الرفس .

(٦) ماعدا مب : «ولما تحذف وتجنح » .

(معرفة الكلب صاحبه وفرحه به)

والكلب يعرِف وجهَ ربِّه [1] [من وجه عبده] وأمَتِه، ووجهَ الزائر. حتَّى ربَّما غاب صاحب الدار حولاً مجرَّماً [2] ، فإذا أبصرَه قادِماً اعتراه من الفرَح والبصبصة ، والعُواء [3] الذى يدلُّ على السرور ، وعلى شدَّة الحنين ، مالا يكون فيه شيءٌ فوقه [4] .

(قصّة فى وفاء كلب)

وخبَّرنى صديقٌ لى قال : كان عندنا جروُ كلب ، وكان لى خادمٌ لهِجٌ بتقريبه ، مولعٌ بالإحسان إليه ، كثيرُ المعاينـة له ، فغاب عن البَصرة أشهراً [5] ، فقلت لبعضِ مَنْ عِنْدى: أتظنون أنّ فلانا (يعنى الكلب) يُثبت اليومَ صورةَ فلان (يعنى خادمَه الغائب) وقد فارقَه وهو جرو ، وقد صار كلباً يشغَر ببوله؟قالوا: مانشكُّ أنّهقد نسىَ صورتَه وجميعَ برِّه كانبه [6] . قال : فبينا أنا جالسٌ فى الدار إذ سمعت من قِبَلِ بابِ الدار نُباحَه ، فلم أَرَ شِكْلَ نباحه من التأنُّب [7] والتعثيث [8] والتوعّد ، ورأيت فيه بَصبصةَ

---

(١) ماعدا مب : « صاحبه » . والتكملة بعده من مب .
(٢) مجرما : كاملا . ط : « نعم ربما غارب عند صاحبه حولا كاملا » وفى س : « نعم ربما غاب عنه صاحبه حولا كاملا » ، صوابه فى مب .
(٣) ط : « والالتواء » .
(٤) ماعدا مب : « بما لاشيء فوقه » .
(٥) ماعدا مب : « فغاب عنها إلى البصرة أشهرا » .
(٦) ماعدا مب : « وجميع بر كان يبره » .
(٧) كذا . وفى س : « التونب » وفى مب « من شكل التوثب » .
(٨) التعثيث : الترجيع فى الصوت . والكلمة ساقطة من مب .

السُّرور ، وحَنين الإلْف . ثمَّ لم أَلبَث أن رأيتُ الخادمَ طالعاً علينا ، وإنَّ ٤٦
الكلبَ ليلتَفُّ على ساقيه ، ويرتفِع إلى فخذيه ، وينظُر فى وجهه ، ويصيح
صياحاً يستَبِين فيه الفرحُ . ولقد بلَغ من إفراط سُروره أنِّى ظَننتُ أنّه
عُرِض[1] . ثمَّ كان بعد ذلك يغيب الشَّهرين والثلاثة ، أوْ يمضى إلى بغدادَ
ثم يرجع إلى العسكر[2] بعد أيّام ، فأعرِف بذلك الضّرْب من البصبصة ، وبذلك
النوع من النُّباح ، أنَّ الخادمَ قدِم . حتّى قلتُ لبعض من عندى[3] : ينبغى أن
يكون فلان قد قدم ، وهو داخل عليكم مع الكلب .

وزعم لى أنّه ربَّما أُلْقِيَ لهذا الجرو إلى أن صار كلبا تامًّا ، بعضُ الطعام
فيأكل منه ما أكل ، ثم يَمضى بالباقى فيخبؤُه[4] . وربَّما أُلْقِيَ إليه الشىءُ
وهو شَبْعان فيحتمله ، حتَّى يأتِيَ به بعضَ المخابئ فيضعه هناك ، حتّى إذا
جاع رجَع إليه فأكله .

(أدب الكلب)

وزعم لى غِلمانى وغيرُهم من أهل الدَّرب ، أنَّه كان ينبح على كلِّ
راكبٍ يدخل الدرب إلى عراقيب برذونه ، سائساً كان أو صاحبَ دابّةٍ
إلَّا أنَّه كان إذا رأى محمدَ بن عبدِ الملكِ داخلاً إلى باب الدربِ أو خارجاً
منه ، لم ينبَحْ ألبتَّةَ ، لا عليه ولا على دابَّته ، بل كان لا يقف له على الباب
ولا على الطريق ، ولكنَّه يدخل الدِّهليز سريعاً ، فسألتُ عن ذلك فبلغنى

(١) عرض : أصابه الجنون . مب : « ظننت له قد عرض له » .
(٢) هو عسكر المهدى ، المعروف بالرصافة ، سمى بذلك لأن المهدى عسكر به حين شخص إلى الرى . معجم البلدان .
(٣) ماعدا مب : « لبعضهم عندى » .
(٤) ماعدا مب : « ليخبأه » .

أنه كان إذا أقبل صاحَ به الخادم، وأهوَى له بالضَّرب[١] ، فيدخل الدِّهليز» وأنه مافعل ذلك بهِ إلَّا ثلاثَ مِرارٍ[٢] ،حتَّى صارإذا رأى محمَّدَ بنَ عبدِ الملك، دخل الدِّهليزَ من تلقاء نفسه ، فإذا جاوزَ وثب عَلَى عراقيب دوابِّ الشاكريَّة[٣] . ورأيتُ هذا الخبرَ عندَهم مشهوراً .

قال : وكُنَّا إذا تَغَدَّيْنَا دنا من الخِوان فزجرناه مرَّةً أو مرَّتين، فكان لايقرَبُنا ، لمكان الزَّجر[٤] ، ولا يَبْعُدُ عن الخوان ، لعلَّةِ الطمع ، فإن ألقينا إليه شيئاً أكلَه ثَمَّ ، ودنا من أجل ذلك بعضَ الدُّنوِّ . فكُنَّا نستظهِرُ عليه[٥] ، فنرمى باللُّقمة فوقَ مَربِضِه بأذرُع . فإذا أكلها ازداد فى الطَّمَع ، فقرَّبهُ ذلك من الخِوان ، ثمَّ يجوز موضعَه الذى كان فيه . ولولا ما كنَّا نقصِد إليه من امتحان ما عندَه ، ليصيرَ مايظهرُ لنا حديثاً ، لكان إطعام الكلب والسِّنَّور من الخِوان خطأً من وجوه : أوَّلُهَا أن يكون يصير له به دُرْبة[٦] ، حتَّى إنَّ منها ما يمـدُّ يَده إلى ما على المائدة[٧] حتَّى

(١) ماعدا مب : « وهوله بالضرب » .

(٢) ماعدا مب : « مرات » .

(٣) فى القاموس « الشاكرى : الأجير المستخدم ، معرب چاكر » ، والجاحظ يستعملها بمعنى الجند ، قال فى رسالته إلى الفتح بن خاقان فى مناقب الترك (رسائل الجاحظ ١ : ٣٠ بتحقيقنا) : « وقد ظن ناس كثيرون أن أسماء أصناف الأجناد لما اختلفت فى الصورة والخط والهجاء أن حقائقها ومعانيها على حسب ذلك . وليس الأمر على حسب ماتوهمه ، ألا ترى أن اسم الشاكرية وإن خالف فى الصورة والهجاء اسم الجند ، فإن المعنى فيهما ليس ببعيد ، لأنهم يرجعون إلى معنى واحد وعلم واحد » . فيظهر أن المراد بهذا اللفظ هو الجند المستأجرون .

(٤) ماعدا مب : « فرجمناه » ، و « لمكان الرجم » .

(٥) يريد نحاول التغلب عليه ، من ظهر عليه بمعنى غلبه .

(٦) ماعدا مب : « أن يكون تضرية مضرية له تدربة » ، والوجه مافى مب .

(٧) ماعدا مب : « الخوان » .

رُبما تناول بفيه ماعليها(١) ، وربَّما قاء الذى يأكل(٢)[وهم يرَونه]، وربَّما لم يرضَ بذلك حتَّى يعُودَ فى قيئه . وهذا كله ممَّا لاينبغى أن يحضُرَهُ الرئيس، ويشهدَه ربُّ الدار . وهو عَلَى الحاشية أجوز .

(الأكل بين أيدى السباع)

٤٧ فأمَّا علماءُ الفرسِ والهند ، وأطبَّاءُ اليونانيِّينَ ودُهاةُ العرب ، وأهلُ التَّجربة مِن نازِلة الأمصار وحُذّاق المتكلّمين(٣) ، فإنهم يكرهون الأكلَ بين أيْدِى السِّباع ، يخافون نفوسَها وأعينها ، لِلَّذى فيها من الشَّرَه والحِرص ، والطَّلَب والكَلَب ، [ولِمَا(٤)] يتحلَّلُ عند ذلك من أجوافها من البخار الردِىء ، وينفصل مِن عيونها من الأُمور المفسِدة ، التى إذا خالطتْ طباعَ الإنسان نقضَتْه(٥) .

وقد رُوى مثلُ ذلك عن الثَّورى عن سِماك بن حَرْب عن ابن عبّاس أنّه قال على مِنبر البَصرة : إنّ الكلاب من الجنّ ، وإنّ الجنَّ من ضَعَفَةِ الجنّ ، فإذا غشِيَكم منها شىءٌ [فألقوا إليه شيئاً(٦)] واطردوها ، فإنّ لها أنفسَ سوء .

ولذلك كانوا يكرَهون قِيامَ الخدمِ بالمذَابِّ والأشربةِ على رُءُوسهمْ وهم يأكلون ؛ مخافةَ النّفس والعَين . وكانوا يأمرون بإشباعهم قبلَ أنْ

(١) ماعدا مب : « فإنما تناول بفيه ما عليها » .
(٢) ماعدا مب : « أكله » . والتكملة بعده من مب .
(٣) « وحذاق المتكلمين » ليست فى مب .
(٤) التكملة من مب ، وبعدها فى مب : « ينحل » بدل « يتحلل » .
(٥) ماعدا مب : « طبائع الإنسان نقضتها » . والطباع : الطبيعة .
(٦) الزيادة من س ، م ، مب . وفى تأويل مختلف الحديث ١٦٧ : « فإذا غشيتكم عند طعامكم فألقوا لها ، فإن لها أنفسا » ، قال ابن قتيبة : « يعنى أن لها عيونا تصيب بها . والنفس العين » .

يأكُلوا ، وكانوا يقولون فى السِّنَّور والكلب : إمَّا أنْ تطردَهُ قبل أن تأكلَ وإمَّا أن تشغَلَهُ بشيء يأكله ، ولو بعظم .

ورأيتُ بعضَ الحكماء وقد سقطت من يده لقمةٌ فرَفَعَ رأسه ، فإذا عينُ غلامٍ له[1] تحدِّق نحوَ لُقمته ، وإذا الغلامُ يزدَرِدُ ريقَه لتحلُّب فِيهِ من الشَّهوة . وكان ذلك الحكيمُ جيِّدَ اللَّقْم[2] ، طيِّبَ الطعام ، ويضيِّق على غلمانه .

فيزعمون أنّ نفوسَ السِّباع وأعينَها فى هذا الباب أردأ[3] وأخبَث .

وبينَ هذا المعنى وبين قولهم فى إصابة العينِ الشيء العجيبَ المستحسَنَ شِرْكَةٌ وقَرَابَة ؛ وذلك أنَّهم قالوا : قد رأينا رجالاً ينسب[4] ذلك إليهم ، ورأيناهم ، وفيهم من إصابة العَين مقدارٌ من العدد ، لانستطيع أن نجعل ذلك النَّسَق من باب الاتِّفاق . وليس إلى ردِّ الخبر سبيل ؛ لتواتره وترادُفِه ، ولأنّ العِيانَ قد حقّقه ، والتجربة قد ضُمّت إليه .

(العين التى أصابت سهل بن حنيف)

وفى الحديث المأثور فى العين التى أصابت سَهْل بن حُنيف[5] فأمرَ

(١) ماعدا مب : « غلامه » .

(٢) اللقم : الأكل السريع .

(٣) فى ط ، مب : « أردى » محرفة ، لأنها من الرداءة لا الإرداء ، ولا تكون من الثانى لأنه فوق الثلاثة ، والصواب فى س .

(٤) ط : « رجال لاينسب » ، بزيادة « لا » وصححته من س ، مب .

(٥) سهل بن حنيف من أهل بدر ، وممن ثبت يوم أحد ، حين انكشف الناس ، ونفح عن رسول الله ، وشهد الخندق والمشاهد كلها ، واستخلفه علىّ على البصرة بعد الجمل ، ثم شهد معه صفين . وهو من الأنصار . وعند ماآخى الرسول بين المهاجرين والأنصار جعل سهلا أخا لعلى بن أبى طالب . ومات بالكوفة سنة ثمان وثلاثين . الإصابة ٣٥٢٠ والمعارف ١٢٦ . وقد جعله ابن قتيبة « سهيلا » بالتصغير . والمعروف « سهل » كما فى الإصابة وسيرة ابن هشام فى غير ماموضع .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك بالذى أَمَرَ ، وذلك مشهور [١] .

(كلام فى العين والحسد)

قالوا : ولولا فاصل ينفصل من عين المستحسِن إلى بدن المستحسَن ، حتَّى يكون ذلك الداخلُ عليه هو الناقضَ [٢] لقُواهُ لَماَ جاز أن يلقى [مكروها البتَّةَ . وكيف يلقى [٣]] المكروه من انساقَ فى [٤] حَيِّزه وموضِعه [٥] ، [والذى أصابته العين فى حيِّزه أيضا وموضعه [٣]] ، من غير تماسٍّ ولا تصادُم ، ولا فاصل [٦] ولا عاملٍ لاقى معمولا فيه . ولا يجوز أنْ يكون المعتل بعد صحّته يعتلُّ

(١) كنت قد كتبت بشأن هذا الحديث إلى المغفور له الأستاذ المحدث الكبير الشيخ أحمد محمد شاكر ، فكتب إلى رحمه الله بما يأتى : « أما حديث سهل بن حنيف فلا يمكننى جمع طرقه الآن ولكنه فى الموطأ (٣ : ١١٨ — ١١٩) وتيسير الوصول (٣ : ١٥٩) طبع التجارية فى كتاب الطب . وهو فى الموطأ بروايتين ، أولاهما « مالك عن محمد بن أبى أمامة بن سهل بن حنيف ، أنه سمع أباه يقول : اغتسل أبى ، سهل بن حنيف ، بالخرار ، فنزع جبة كانت عليه وعامر بن ربيعة ينظر . قال : وكان سهل رجلا أبيض حسن الجلد . قال : فقال له عامر ابن ربيعة : ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء ! — فى الرواية الأخرى : ولا جلد مخبأة ! — قال : فوعك سهل مكانه واشتد وعكه . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر أن سهلا وعك وأنه غير رائح معك يارسول الله . فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره سهل بالذى كان من أمر عامر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : علام يقتل أحدكم أخاه ! ألا بركت ؟ ! إن العين حق : توضأ له . فتوضأ له عامر ، فراح سهيل مع رسول الله ليس به بأس » . والحديث أخرجه النسائى وصححه ابن حبان ، ورواه الحاكم فى المستدرك من طرق أخرى (٣ : ٤١٠ — ٤١٢ ، ٤ : ٢١٥ — ٢١٦) بعضها مختصر وبعضها مطول .

(٢) ما عدا مب : « الناقص » ، تحريف .

(٣) التكملة من مب .

(٤) ما عدا مب : « من إنسان فى » .

(٥) حيزه : أى حده ومكانه المحدود . ط : « خيره » ، تحريف .

(٦) ط : « مناضل » ، صوابة فى س ، مب .

من غير معنًى بدنه[١] . ولا تنتقض الأخلاط ولا تتزايل إلّا لأمرٍ يعرِض ، لأنه حينئذٍ يكونُ ليس بأولى بالانتقاض من جسمٍ آخر . وإن جاز للصحيح أنْ يعتلّ من غير حادثٍ ، جاز للمعتلّ أن يبرأ من غير حادث.

٤٨ وكذلك القولُ في الحركة والسكون . وإذا جاز ذلك كان الغائبُ قياساً على الحاضر الذي لم يدخل عليه شيءٌ من مستحسِنٍ له . فإذا كان لابدَّ من معنًى قد عَمِل فيه ، فليس لذلك المعنى وجه إلّا أنْ يكونَ انفصل إليه شيءٌ عَمِل فيه . وإلّا فكيف يجوزُ أن يعتلّ من ذاتِ نفسه ، وهو على سلامتِه وتمام قوّتِه ، ولم يتغيَّرْ ولم يحدُث عليه ما يغيِّره . فهو وجسم غائب[٢] في السَّلامة من الأعراض سواءٌ . وهذا جواب المتكلِّمين [الذين يصدِّقون بالعين ، ويُثبتون الرُّؤيا[٣]] .

(صفة المتكلمين)

[وليس يكونُ المتكلمُ[٣]] جامعاً لأقطار الكلام متمكِّناً في الصناعة ، يصلح للرياسة ، حتّى يكونَ الذي يُحسِن من كلام الدِّين في وزن الذي يُحسِن من كلام الفلسفة . والعالِمُ عندنا هو الذي يجْمَعهما ، والمصيب [هو[٣]] الذي يجمَع بين تحقيق التوحيد وإعطاء الطبائع حقائقها من الأعمال . ومن زعم أنّ التوحيدَ لايصلح[٤] إلا بإبطال حقائق الطبائع ، فقد حمل

---

(١) ماعدا مب : « بعد صحة معنى بدنه » .

(٢) هذا ما في س ، مب ، وهو الحق . وفي ط : « فهو جسم ثابت » ، وفي م : « فهو وجسم نائب » .

(٣) التكملة من مب ، وفي أصلها « الرواية » بدل « الرؤيا » . وانظر ص ١٣٩ .

(٤) ماعدا مب : « لايصح » .

عجْزَه على الكلام فى التوحيد . وكذلك إذا زعمَ أنّ الطبائعَ لاتصحُّ إذا قرنتَها بالتوحيد . ومن قال فقد حمل عجزَه على الكلام فى الطبائع .

وإنّما يَيْأس[١] منك الملحد إذا لم يَدْعُكَ[٢] التوفُّر على التوحيد إلى بَخس[٣] حقوقِ الطبائع ؛ لأنّ فى رفع أعمالها رفعَ أعيانها . وإذا كانت الأعيان هى الدالَّة على الله فرفعْتَ الدّليلَ[٤] ، فقد أبطلتَ المدلول عليه . ولعمرى إنّ فى الجمع بينهما لَبعضَ الشِّدّة .

وأنا أعوذُ بالله تعالى أنْ أكون كلّما غمزَ قناتى باب من الكلام صَعْبُ المدخل ، نقضْتُ ركناً من أركان مقالتى ! ومن كان كذلك لم يُنتفَعْ به .

(الفاصل الذى يفصل من العين ونحوها)

فإن قال قائل : وما بلغ من أمر هذا الفاصِل الذى لايشعر بِهِ التموم الحضورَ ولا الذى انفصل منه ، ولا المارّ بينهما ، ولا المتلقِّى له ببدنِه وليس دونهُ شيء ، وكيف لم يَعْمَلْ فى الأقربِ دونَ الأبعد ، والأقربُ إنسان مثله ، ولعلَّه أن يكون طبعُهُ أشدَّ اجتذاباً للآفات !

وبعد ، فكيف يكون شيءٌ يصرَع الصحيحَ ويُضجِع القائم ، وينقُض القُوى ، ويُمرِض الأصحّاء ، ويصدَع الصَّخْر ويهشِم العظْم ،

(١) فى الأصل : « يأنس » ، ولا وجه له .
(٢) ط ، م : « يرعك التوقير » ، وفى مب : « يدعك التوفير » والتصحيح من س .
(٣) ط ، م : « تحسن » والصواب من س ، مب .
(٤) ماعدا مب : « وإذا كانت الأعمال الدالة على ذلك قد رفعت الدليل » .
(٥) ماعدا مب : « ولا المار بينهما الملتق » ، تحريف

ويقْتُل[١] الثَّور ، ويَهدُّ[٢] الحمار ، ويجرى فى الجماد مَجراه فى النبات ، ويجرى فى النَّبات[٣] مجراه فى الحيوان ، ويجرى فى الصَّلابة والملاسة جريهُ فى الأشياء السخيفة الرِّخوة؛وهو ممَّا ليس له صدم كصدْم الحجر ، أو غَرْب كغرْب السَّيف ، أو حدٌّ كحدِّ السِّنان ؛ وليس من جنس السمّ [فيحملّ على نفوذ السُّمّ[٤]] ؛ وليس من جنس الغذاءِ فيُحمَل على نفوذ الغِذاء ، وليس من جنس السِّحر فيقال إنَّ العُمَّار[٥] عملوا ذلك من طريق طاعتهم للعزائم . فلعلَّ ذلك إنَّما كان شيئاً وافقَ شيئاً .

قيل لهم : قد تعلمون كيف مقدارُ سَمِّ الجرَّارة[٦] أو سمّ الأفْعى ، وكيف لو وزنتم الجرّارة[٦] قبل لسعِها وبعده لوجدتموها على حالٍ واحدة . وأنت ترى كيف تفسَخ عقْدَ بدن الفيل ، وكيف تنقض[٧] قُوى البعير ، من غيرصدم [كصدم[٨]] الحجر ، [وغربٍ كغرب السَّيف[٤]] ، وحدٍّ كحَدِّ السنان .

فإنْ قلت : فهل نابُ الأفْعَى وإبرةَ العقرب إلَّا فى سبيلِ حدِّ السنان ؟ قلنا : إنَّ البعيرَ لو كان إنما يتَفَسَّخ لطعْن العَقرب بإبرتها لما كان ذلك يبلغ منها مقدار النَّخس[٩] فقَط ، ولكنَّه لابُدَّ أن يكون ذلك

---

(١) ط : « يقل » ، والصواب من س .
(٢) ط : « يهدى » ، وهو تحريف مافى س . وفى مب : « ويقتل » .
(٣) ماعدا مب : « الموات » .
(٤) التكملة من مب .
(٥) العمار : سكان البيوت من الجن . س : « العمال » محرفة . وفى مب : « فعلوا » .
(٦) الجرارة : نوع من العقارب إذا مشى على الأرض جر ذنبه ، وقد تحدث عنها الجاحظ فى الحيوان ٤ : ٢١٩ - ٢٢٠ . وفى ط : « الجرادة » ، وهو تحريف مافى س ، م ، مب .
(٧) فى الأصل : « تنقص » بالصاد .
(٨) التكملة من س ، م ، مب .
(٩) ط : « التحسن » ، مب : « الحسن » . والصواب من س ، م .

لأحد أمرَين : إمَّا أن تكون العقربُ تمجُّ فيه شيئاً من إبرتها ، فيكون طبع ذلك وإن قلَّ يفسخ الفيلَ والزَّندبيل(١) ، وإمَّا أن يكون طبعُ ذلك الدّم إذا لاقاهُ طبعُ ذلك الناب وتلك الإبرة أن يُجمد(٢) فيقتل بالإجماد، أو يذيب فيقتل بالإذابة . فأيَّهما كان فإنَّ الأمرَ فيه على خلاف ما صدَّرتم به المسألة(٣) .

ولا تنازعَ بين الأعراب — والأعرابُ ناس إنّما وَضعوا بيوتَهم وأبنيتَهم وسطَ السِّباع والأحناش والهمَج، فهم ليس يعبُرون إلّا بها ، وليس يعرفون سواها — وقد أجمعوا على أنّ الأفْعَى إذا هرِمت فلم تَطعَمْ ، ولم يبقَ فى فمها دم أنَّها تنكز بأنفها، وتطعن به ، ولا تعضُّ بفيها ، فيبلغ النَّكزُ لها ما كان يبلغُ لها قبلَ ذلك اللَّدغُ . وهل عندنا فى ذلك إلَّا تكذيبُهم أو الرجوعُ إلى الفاصل الذى أنكرتموه ؛ لأنَّ أحداً لا يموت من تلك النَّخسة ، إن كان ليس هناك أكثر من تلك الغمْزة .

وقال العجَّاج ، أو ابنُه رؤبة :

كنتم كَمَنْ أدخَلَ فى جُحْرٍ يدًا   فأخطأ الأفْعَى ولاَقَى الأسودا

ثم قال :

* بالشمِّ لا بالسَّمِّ منه أقصدا(٥) *

وقال الآخر(٦) :

---

(١) الزندبيل : الفيل الكبير . ماعدا مب : « فيكون طبع ذلك السم كالصل والزندنيل » .
(٢) ط ، م : « يحمل »، وتصويبه من س ، مب .
(٣) ماعدا مب : « فإن الأمر على ماصدرتم به المسألة » .
(٤) نكزت الحية : لسعت بأنفها . ماعدا مب : « لم تطعم ولايبقى » إلخ .
(٥) ط : « بالشم إلا بالسم » ، وتصحيحه من س ، م .
(٦) البيت فى الحيوان ٤ : ٢٨٢ منسوب إلى يحيى بن أبى حفصة ، وانظر كذلك الحيوان ٤ : ١٨٣ .

أَصمَّ ماشمَّ من خَضْرَاءَ أيبسها أو مسَّ من حجرٍ أوْهاهُ فانصدَعا

وقد حدَّثنى الأصمعىُّ بِفَرْق ما بينَ النَّـكْز وغيره عند الأعراب[1] .

وههنا أمثالٌ نَضْرِبُها ، وأمور قد عاينْتموها ، يذلَّلُ بها هذا المعنى عندَكم ويسهُل بها المدخَل . قولوا لنا : ما بالُ العجينِ يكون فى أقصى الدار ويفلق إنسان بِطِّيخة[2] فى أدنى الدار ، فلا يفلح ذلك العجين أبداً ولا يختمِر ؟ فما ذلك الفاصلُ[3] ؟

وكيف تقولون بصدمٍ كان[4] ذلك كصدم الحجر ، أو بغَرب كغرب السيف !! وكيف لم يعرِض ذلك الفساد فى كلِّ معجون هو أقربُ إليه من ذلك العجين .

وعلى أنَّ نـكْز الحيَّةِ التى يصفُه[5] الشُّعَراء بأنَّ المنـكوزَ ميِّت لامحالة ، فى سبيل ماحدّثنى به [حاذقٌ من[6]] حذّاق الأَطباء ، أنّ رجلا يضرب الحيّة[7] مِن دواهى الحيّات بعصاهُ فيموت الضّاربُ[8] ؛ لأنهم يرون أنّ شيئاً فَصَل من الحيَّةِ فجرى فيها حتَّى داخَلَ الضارب فقتَله . والأَطباء أيضاً والنَّصارى

(١) كذا والكلام ناقص . وانظر الحيوان ٤ : ١٤٩ .

(٢) ط : « ويقلق إنسان يطبخه » وتصحيحه من س ، و مب . وقد ذكر مثل هذا فى تأويل مختلف الحديث ٤٣٩ قال : « وقد يفسد العجين إذا قطع فى البيت الذى هو فيه البطيخ » .

(٣) ماعدا مب : « فما ذلك الفصل » .

(٤) ط : « يصدم ذلك » ، وأثبت ما فى س . وفى مب : « انصدم كان » .

(٥) ماعدا مب : « تصف » .

(٦) التكملة من مب .

(٧) ماعدا مب : « أن الرجل يصيب الحية » .

(٨) قال ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث : « وقد زعم صاحب المنطق أن رجلا ضرب حية بعصا فمات الضارب » . فيظهر أن محدث الجاحظ روى له ما أثر عن أرسطو .

أجْرَا على دفع الرُّؤيا[١] والعين ، وهذه الغَرائبِ التى تحكى عن الحيَّات وصرْعِ الشيطانِ الإنسانَ ، من غيرهم .

فأمَّا الدُّهريّة فمنْكِرة للشياطين والجنّ والملائكة والرُّؤيا والرُّقى ، وهم يرون أنَّ أمرَهم لايتمُّ لهم إلاّ بمشاركةِ أصحاب الجَهالات[٢] .

وقد نجدُ الرجُل ينقف شحم الحنظل[٣] ، وبينه وبين صاحبه مسافة صالحة ، فيجد فى حلقه مَرارة الحنظل ، وكذلك السُّوس إذا عولج بهِ وبينه وبين الإنسانِ[٤] مسافة متوسِّطة البعد ، يجدُ فى حلقهِ حلاوةَ السوس . وناقف الحنظل لاتزال عينه تهمُل مادام ينقفه ؛ ولذلك قال ابن حُمام ، قال أبو عبيدة : وهو الذى يقول[٥] :

كأنِّى غداةَ البَينِ يومَ تحمَّلوا لَدَى سَمُرَاتِ الحىِّ ناقفُ حنْظل

يخبر عن بكائه ، ويصِف دُرُورَ دَمعتِه فى إثْر الحمول ، فشبَّه [نفسه][٦] بناقف الحنظل ، [وقد[٦]] ذكره امرؤ القيس فى قوله[٧] :

---

(١) أى الاعتقاد بصحة تأويلها وإنبائها عن المستقبل . وأجرا ، أى أجرأ ورسمت فى مب : « أجرى » وفى سائر النسخ : « أجراء » .

(٢) ماعدا مب : « الجهات » . وانظر ١ : ١٠ و ٤ : ٢٨٨ .

(٣) شحم الحنظل : مافى جوفه سوى حبه ، كما أن شحم الرمان مابين حبوبه . ونقف الحنظل : شق الحنظل عن الهبيد . والهبيد : حب الحنظل .

(٤) فى الأصل : « الأسنان » .

(٥) ط : « ولذلك قال أبو عبيدة وهو الذى يقول » وفى س ، م : « ولذلك قال ابن حذام قال أبو عبيدة هو الذى يقول » . وأثبت مافى مب .

(٦) التكملة من مب .

(٧) ماعدا مب : « فى شعره » .

عوجَا على الطَّلَلِ القديم لعَلّنا

نَبْكِي الدِّيارَ كما بكى ابنُ حُمامِ[١]

ويزعمون أنّه أوّل مَن بكى فى الدِّيار[٢] .

وقد نجِدُ الرَّجُلَ يقطَع البصل ، أو يُوخِفُ الخَرْدل[٣] فتدمع عيناه . وينظر الإنسان فيديمُ النّظرَ فى العين المحمرة[٤] فتعترى عينَه حُمرة .

والعرب تقول : « لَهُو أعدَى من الثُّوَباء ! » ، كما تقول : « لَهُو أعدى من الجَرَب ! » ، وذلك أنَّ مَن تثاءَب مِراراً ، وهو تُجاه عينِ إنسان ، اعترى ذلك الإنسانَ التثاؤب .

ورأيت ناساً من الأطباء وهم فلاسفة المتكلِّمين ، منهم مَعْمر ، ومحمد ابن الجَهْم ، وإبراهيم بن السِّنْدىّ ، يكرهون دُنُوَّ الطامثِ[٥] من إناءِ اللبن لتَسُوطه[٦] أو تعالجَ منه شيئاً ، فكأنّهم يرونَ أنَّ لبدَنِها مادام ذلك العَرَضُ يعرِض لها ، رائحةً لها حِدَّةٌ وبخار غليظ ، يكون لذلك المَسُوط مُفسِدا .

---

(١) البيت من قصيدة طويلة لامرئ القيس ، بديوانه شرح الوزير أبى بكر ص ١٦٠ - ١٦٥ . ويروى « لأننا » موضع « لعلنا » . وهما لغتان فى معنى واحد . ماعدا مب : « المحيل لعلنا » ، و « كما بكى ابن خذام » .

(٢) مب : « الدار » .

(٣) ط : « الحروب » ، وتصحيحه من س ، مب . وفى ط ، س : « ويكسر » صوابها فى مب وفى تأويل مختلف الحديث : « . . . وكذلك موخف الخردل وقاطع البصل » . أوخفه : صب عليه الماء وضربه بيده .

(٤) ماعدا مب : « الحمرة » ، صوابه فى مب وتأويل مختلف الحديث .

(٥) الطامث : الحائض . وانظر الاستدراكات فى آخر هذا الجزء .

(٦) السوط : الخلط والمزج .

(من أثر العين الحاسدة)

ولا تُبْعِدَنَّ هذا من قلبك تباعدا يدعُوك إلى إنكاره ، وإلى تكذيب أهله . فإنْ أبيتَ إلاّ إنكارَ ذلك ، فما تقول فى فَرسٍ تَحَصَّن تحتَ صاحبه[1] ، وهو فى وسط موكِبه ، وغبارُ الموكِب قد حالَ بين استبانةِ بعضهم لبعض ، وليس فى الموكِب حِجْر[2] ولا رمَكة ، فيلتفتُ صاحبُ الحِصان فيرى حِجرًا أو رمكةً ، على قاب غَرَضٍ أو غَرَضين[3] ، أو غَلوة أو غَلوتين[4] . حدِّثْنى ، كيف شمَّ هذا الفرس ريحَ تلك الفرسِ الأنثى ، وما بالُه يدخل دارًا من الدُّور ، وفى الدَّار الأخرى[5] حِجْرٌ ، فيتحَصَّن[6] مع دخوله من غير معاينة وسَمَاعِ صهيل !! ٥١

وهذا الباب سيقع فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وقال أبو سعيد عبد الملك بن قَريب[7] : كان عندنا رجُلان يَعينان الناس ، فمرَّ أحدهما بحوضٍ من حجارة ، فقال : تاللهِ مارأيتَ كاليوم قطْ ! فتطاير الحوض فِلقَين[8] ، فأخذه أهلُه فضبَّبوه[9] بالحديد ، فمرَّ عليه ثانيةً فقال : وأبيك لَقلَّما أضرَرْتُ أهلَكَ فيك ! فتطاير أربعَ فِلَق .

---

(١) يريد : بدا عليه ميل الفحول .

(٢) الحجر ، بالكسر : أنثى الخيل . ومثلها « الرمكة » . والرمكة أيضاً : البرذونة . والبراذين من الخيل : ماكان من غير نتاج العراب .

(٣) الغرض : قدر رمية السهم إلى الهدف . اللسان (غرض ٦٠) . ماعدا مب : « عرض أو عرضين » ، تحريف .

(٤) الغلوة : قدر ماتصل الرمية بالسهم . (٥) ماعدا مب : « وفى الدار ذكر » .

(٦) أى يبدو عليه ميل الفحول . وفى ط : « يتخصى » وهو تحريف ماأثبت من س .

(٧) هو الأصمعى .

(٨) ط ، م « فبطل الحوض فرقتين » وفى س : « فنصل الحوض فرقتين » وأثبت مافى مب . والفلق ، بالكسر : الفلقة من الشىء .

(٩) فى اللسان : « ضببت الخشب ونحوه : ألبسته الحديد » . (١٠) ماعدا مب : « فرق » .

قال : وأمَّا الآخر ، فإنَّه سمعَ صوتَ بَولٍ من وراء حائط فقال : إنَّك لشَرٌّ الشَّخب[١] ! فقالوا له : إنه فلانٌ ابنك ، قال : واانقطاع ظهراه ! قالوا : إنه لابأسَ عليه[٢] . قال : لايبولُ واللهِ بَعْدَها أبداً ! قال : فما بال حتَّى مات .

قال الأصمعىّ : ورأيت أنا رجلاً عَيُونا فدُعِىَ عليه فعَوِرَ[٣] ، قال : إذا رأيتُ الشيء يُعجبنى ، وجدتُ حرارةً تخرجُ من عَينى .

قال : وسمع [رجلٌ[٤]] بقرةً تحُلَب فأعجبه صوتُ شَخْبِها ، فقال : أيتّهن هذه ؟ فخافوا عينَه فقالوا : الفلانيّة ــ لِأخرى وَرَّوابها عنها ــ فهلكتا جميعاً : المُوَرَّى بها والمورَّى عنها .

وقد حَمَل[٥] النَّاسُ كما ترى على العين مالا يجوز ، ومالا يسوغ فى شىء من المجازات . وقولُ الذىاعورّ[٦] : إذا رأيتُ الشيء يعجبنى وجدتُ حرارةً تخرج من عينى ، مِنْ أعظم الحجج فى التناصل من صاحب العين إلى المعين

(استطراد لغوى)

قال : ويقال إنَّ فلانا لَعَيون : إذا كان يتشوَّف للناس ليصيبَهم بعين . ويقال عِنْتُ فُلَانا أَعِينه عيْنًا : إذا أصبتَه بعينٍ ، ورجل مَعِين ومعيون : إذا أصيب بالعين . وقال عبّاس بن مِرداس :

قد كان قومُك يحسَبونكَ سيِّدًا وإخال أنك سيِّدٌ مَعيونُ[٧]

---

(١) ماعدا مب : « بول وراء حائط فقال إنه لبن الشخب » .
(٢) ماعدا مب : « عليك » . (٣) ماعدا مب : «يدعى عليه بقود » .
(٤) التكملة من مب .
(٥) ماعدا مب : « جعل » . (٦) ماعدا مب : « الذى عان » .
(٧) ماعدا مب « وأخالك » . وانظر الأغانى (٤ : ٨٩) ومعاهد التنصيص (١ : ١٣) ودرة الغواص ٣٦ وشرحها ٩٣ . والبيت من أبيات رواها أبوالفرج وصاحب معاهد =

ويقال للعَيون : إنَّه لَنُفوسٌ ، وما أنفسَه ؛ أي ماأشدَّ عينه ؛ وقد أصابته نَفْس أو عين

(دفاع عن الـكلب)

وأمَّا قول القائل : إنَّ من لؤم الـكلب وغدرِه أنَّ اللصَّ إذا أراد دارَ أهله أطعَمَ الـكلبَ الذى يحرسهم قَبْـلَ ذلك مِراراً ليلاً ونهاراً ، ودنا منه ومسح ظهرَهُ ، حتى يُثبت صورتَه ، فإذا أتاه ليلاً أسْلَمَ إليه الدارَ بما فيها — فإن هـذا التأويل لايكونُ إلاّ من نتيجةِ سوءِ الرأى ؛ فإنَّ سوءَ الرأى يصوِّر لأهله الباطلَ فى صورة الحقِّ . وفيه بعضُ الظُّلم للـكلب وبعض المعاندة للمحتجّ عن الـكلب وقد ثبَتَ للـكلب استحقاقُ المدح من ٥٢

= التنصيص ، وقد ذكرا سبب الشعر فى حديث دخلت فيه الجن والهواتف ! : وهو أن حرب بن أمية جد معاوية لما انصرف من حرب عكاظ هو وإخوته مر بالقرية ، وهى إذ ذاك غيضة شجر ملتف لايرام ، فقال له مرداس والد العباس : أما ترى هذا الموضع ! قال : بلى فاله ؟ قال : نعم المزدرع هو ، فهل لك فى أن تكون شريكى فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نزرعه بعد ذلك ؟ قال : نعم . فأضرما النار فى الغيضة ، فلما استطارت وعلا لهبها سمع من الغيضة أنين وضجيج كبير ، ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعتها وخرجت منها . . . ولم يلبث حرب ومرداس أن ماتا : فأما مرداس فدفن بالقرية ، ثم ادعاها بعد ذلك كليب بن أبى عهمة الظفرى ، فقال فى ذلك عباس بن مرداس :

أكليب مالك كل يوم ظالما ... والظلم أنـكد وجهه ملعون
عجبا لقومك يحسبونك سيداً ... وإخال أنك سـيد معيون
فإذا رجعت إلى نسائك فادهن ... إن المسالم رأسه مدهون
وافعل بقومك ماأراد بوائل ... يوم الغدير سميـك المطعون
وإخال أنك سوف تلقى مثلها ... فى صفحتيك سنانها المسنون
إن القرية قد تبين أمرها ... إن كان ينفع عندك التبيين
حين انطلقت تخطها لى ظالما ... وأبو يزيد بجوها مدفون

أبو يزيد كنية مرداس . . وللخفاجى كلام فى (معيون) فانظره . ورواه ابن الشجرى فى أماليه ١ : ١١٣ : « مغيون » بالغين المعجمة .

حيثُ أرادَ أن يهجوَه منه ، فإن كان الـكلبُ بِفرط[1] إلفِه وشكرِه كفَّ عن اللصِّ عندَ ذِكر إحسانه ، وإثبات صورتِهِ ، فما أكثرَ مَنْ يُفرِط عليه الحياءُ حتَّى ينسب إلى الضَّعف والـكرم وحتَّى ينسَب إلى الغفلة . ورُبَّما شاب الرَّجُلُ بعضَ الفطنة[2] ببعض التَّغافل ، ليكون أتمَّ لـكرَمه ؛ فإنَّ الفطنة إذا تمَّت منعت من أمورٍ كثيرة ، مالم يكن الِحيمُ كريماً والعِرْق سليما .

وإنَّكَ أيُّها المتأوِّل ، حينَ تـكلِّف الـكلبَ ــ مع ماقد عَجَّلَ إليه اللصُّ من اللَّطَف والإحسانٍ ــ أنْ يتذ كَّرَ نعمةً سالفة ، وأنْ يحترس من خديعة المحسِن إليه ، مخافةَ أنْ يكونَ يُريغُ[3] بإكرامه سوءًا[4] ــ لَحَسَنُ الرأيِ فيه ، بعيدُ الغايةِ فى تفضيله

ولو كان للـكلب آلة يعرِف بها عواقبَ الأمورِ وحوادثَ الدهور ، وكان يوازن بينَ عواجلها وأواجلها ، وكان يعرف مصادرها ومواردَها ، ويختار أنقص الشرَّين وأتمَّ الخيرين ، ويتثبَّتُ فى الأمور ، ويخاف العَيْب[5] ويأخذ بحجَّةٍ [ويُعطى بحجَّة[6]] ، ويعرف الحُجَّة من الشُّبهة ، والثِّقَةَ من الرِّيبة ، ويتثبَّت فى العلَّة ، ويخاف زَيغ[7] الهوى وسرَف الطبيعة ــ لـكانَ من كبارِ المـكلَّفين ، ومن رُءُوس الممتَحنين

(١) ماعدا مب : « لفرط إلفه » . (٢) مب : « وربما شيع الرجل بعض الغفنة » تحريف .
(٣) يريغ بمعنى (يريد) كما جاءت الرواية فى ط . وفى س : « بريع » ، وفى م : « بديع » والصواب فيهما ماأثبت من مب .
(٤) ط ، س ، مب « سوء » ، وتصحيحه من م ، أو لعله جار على الكناية القديمة
(٥) ماعدا مب : « الغيب » .
(٦) التكملة من مب .
(٧) الزيغ : الميل . وفى ط : « زيع » ، ولا وجه له ، والصواب من س ، مب .

(اختيار الأشياء والموازنة بينها ، لدى العارفين العاقلين)

والعادةُ القائمة ، والنَّسَقُ الذى لايُتَخَطَّى[١] ولا يغادَرُ ، [و[٢]] النظامُ الذى لاينقطع ولا يختلط ، فى ذوى التمكين والاستطاعة ، وفى ذوى العقول والمعرفة ، أنَّ أبدانَهم متَى أحسَّت بأصناف المكروه والمحبوب ، وازَنوا وقابَلوا ، وعَايَرُوا[٣] وميَّزوا بين أتمِّ الخيرين وأنقَص الشرَّين ، ووصلوا كلَّ مضرةٍ ومنفعةٍ فى العاجلِ [بكلِّ مضرَّةٍ ومنفعةٍ فى][٤] الآجل[٥] وتَتبعوا مواقعها ، وتدَّبروا مساقطَها ، كما يتعرَّفونَ مقاديرَها وأوزانها[٦] ، واختاروا بعدَ ذلك أتمَّ الخيرين وأنْقَصَ الشَّرين . فأما الشر صرفا والخير محضاً فإنَّهُم لايتوقَّفون عندهما ، ولا يتكلَّفون الموازنَةَ بينهما ، وإنَّما ينظرون فى الممزوج[٧] وفى بعض مايخشى فى معارضته ، ولا يوثقُ بمَعَرَّاهُ ومُكَشَّفِه[٨] ، فيحملونه[٩] على خلاص الذِّهن ، كما يحمَل الذّهب على الكِير .

---

(١) ماعدا مب : « والسن » . و « يتخطى » هى فى الأصل « يخطى » محرفة . ويتخطى — ومثله يختطى — : يتجاوز .

(٢) التكملة من مب .

(٣) عايروا ، أى وازنوا . والكلمة ساقطة من س ، مب . وفى ط : « غيروا » .

(٤) التكملة من مب .

(٥) ماعدا مب : « والآجل » .

(٦) ماعدا مب : « كيما يعرفوا أوزانها » .

(٧) ماعدا مب : « وإنما ينتظرون فى المكروه » .

(٨) ط : « بعراه ومكتنشفه » س: « بمغزاه وبمكشفه » ، والوجه ماأثبت من مب .

(٩) إلى هذه الكلمة ينتهى ماوجد من نصوص الحيوان فى نسخة الأمبروزيانا .

وأمَّا ذوات الطَّبائع المسخَّرة والغريزةِ المجبولة[١] فإنما[٢] تَعمَل من جهة التسخير والتنبيه ، كالسمّ الذى يقتل بالكَمِّيَّة ولا يغذو ، وكالغذاء الذى يغذو ويقتلُ بالمجاوَزة لمقدار[٣] الاحتمال .

وإن هيَّأ الله عزّ وجلّ أصنافَ الحيوان المسخَّرة لدرْك مالا تبلغه العقولُ اللطيفة ، بلغَتْه بغير معاناةٍ ولا رويّة ولا توقُّف ، ولا خوفٍ من عاقبة .

٥٣ ومتى تقدَّمتْ [إلى الأمور التى يعالجها][٤] أهلُ العقول المبسوطة ، المتمكِّنة بطبائعها ، المقصورةِ غير المبسوطة ، لم يمكنْها أن تعرفَ من تلك الطبيعة ماكان موازيًا لتلك الأمور ببديهةٍ ولا فكرة . وإذا كانت كذلك فليس بواجب أن تكون كلَّما أحسنَتْ أمراً أمكنَها أن تُحْسِنَ ماكان فى وزنه فى الغُموض والإلطاف ، وفى الصَّنعةِ التى لاتمكِنُ ، إلاّ بحُسن التأتِّى وببُعد الرويّة ، وبمقابلِة الأمورِ بَعضِها ببعض . وهذا الفنُّ لايُصابُ إلاّ عند من جِهتُه العقل ، ويمكنُه الاستدلالُ ، والكفُّ عنه والقطعُ له إذا شاء ، وإتمامُه[٥] إذا شاء ، وبلوغُ غايته ، والانصرافُ عنه إلى عَقيبهِ من الأفعال ؛ ومَنْ جهتُهُ تعرّفُ العِلل ، ويُمكنُه إكراه نفسِهِ على المقاييس والتكلُّف والتأتِّى[٦] .

---

(١) ط : « المجهولة » ، وتصحيحه من س .

(٢) فى الأصل : « إنما »

(٣) فى الأصل : « بمقدار » .

(٤) ليست بالأصل ، والقول فى حاجة إلى مثلها . والكلام فى ذوات الطبائع المسخرة .

(٥) فى الأصل : « وباتمامه » .

(٦) فى الأصل : « التأنى » بالنون ، فى هذا الموضع وسابقه .

ومتى كانت الآلة موجودةً فإنّها تُنبيك[١] على مكانها ، وإلاّ كان وجُودَها كعدمها . وبالحسّ[٢] الغريزىّ تُشعِر صاحبَها بمكانها ، لايحتاج فى ذلك إلى تلقينٍ وإشارة ، وإلى تعلم وتأديب ، وإن كان صاحبُ الآلة أحمقَ من الحُبارى ، وأجهلَ من العقرب .

(الإلهام فى الحيوان)

والعاقل الممكَّن لايفضُل فى هذا المكان على الأشياء المسخَّرة ، ولا ينفصل منها فى هذا الباب . وليس عند البهائم والسباع إلاَّ ماصُنعت له ، ونُصبت عليه ، وأُلهمتْ معرفتَه وكيفيَّةَ تكلُّفِ أسبابِها والتعلُّمِ لها من تلقاء أنفسها . فإذا أحسَنَ العنكبوتُ نسْجَ ثَوِيِّه[٣] وهو من أعجب العجب ، لم يحسن عملَ بيت الزنبور . وإذا صنع النَّحلُ خلاياه مع عجيب القِسْمة التى فيها ، لم يحسنْ أن يعملَ مثلَ بيتِ العنكبوت . والسُّرْفة — التى يقال : « أصنعُ من سُرْفة » لا تُحسن أن تَبنِىَ[٤] مثلَ بيتِ الأرَضَة ، على جفاءِ هذا العمل وغِلظِهِ ، ودقَّةِ ذلك العمل ولطافته .

وليسَ كذلك العاقلُ وصاحبُ التميز ، ومَن مَلك التصرُّفَ ، وخُوِّل[٥] الاستطاعة ؛ لأنّه يكون ليسَ بنجَّارٍ فيتعلَّم النِّجارة ، [ثمَّ

(١) لعلها « تنبهك » .

(٢) ط ، م : « بأحسن » ، وتصحيحه من س .

(٣) الثوىّ : البيت . وفى الأصل : « ثوبه » وهو تصحيف .

(٤) فى الأصل : « لايحسن أن يبنى » .

(٥) خوله الشىء : ملكه إياه وأعطاه . فى ط : « حول » بالحاء ، وتصحيحه من س .

يبدو له[١]] بعدَ الحذقِ الانتقالُ إلى الفِلاحةِ ، ثمَّ ربّما ملَّها بعد أن حذَقها ، وصار إلى التجارة .

(أسمح من لافظة)

وقال صاحب الكلب : وزعمتَ أنَّ قولهم « أسمَحُ مِنْ لافِظة » أنّ اللافظة الدِّيك ، لأنّه يَعَضُّ على الحبَّةِ بطرَفِ منْقاره ، ثمّ يحذفُ بها قُدَّامَ الدَّجاجة . وما رأينا أحداً من العلماء ومِن الذين روَوا هذا المثلَ يقول ذلك . والناسُ في هذا المثل رجلان : زعم أحدُهما أنَّ اللافظة العنز ؛ لأن العنز تَرعى في رَوضةٍ وتأكل من مَعْلَفها وهي جائعة ، فيدعوها الراعي وصاحبُها باسمِها إلى الحلْب ، فتترك ماهي فيه حتى تُنْهَك حلبا . وقال الآخر : اللاّفظة الرَّحَى ، لأنّها لاتمسك في جَوْفها شيئاً ممَّا صار في بطنها .

٥٤

وكيف تكون اللافظة الديكَ ! وليس لنا أن نلْحِق في هذه الكلمة تاء التأنيث في الأسماء المذكَّرةِ[٢] . واللافظة مع هاء التأنيث أشبه بالعنز والرّحَى[٣] ، وإنّما سمَّينا الجملَ راويةً ، وحاملَ العلمِ راويَةً ، وعلاّمة ، حين احتجَّ أهلُ اللغةِ على ذلك ولم يختلفوا فيه[٤] ، وكَيفَ ولا اختلافَ

---

(١) الزيادة من س ، وبدلها في ط : « وله » .

(٢) كذا . ولعل وجه الكلام : « تاء التأنيث وهي لاتلحق في الأسماء المذكرة » .

(٣) أي هذا اللفظ أليق بهما .

(٤) ط : « ولا يختلفوا فيه » ، والصواب في س .

بينهم أنّ الديك خارجٌ من هـذا التأويل ، وإنّ اختلافهم بين العنْزِ والرَّحى[١] .

وبعد فقد زعم ثُمامة بن أشرَس[٢] رحمه الله تعالى : أنَّ دِيَكة مَرْو تطرُد الدَّجاجَ عن الحبِّ[٣] ، وتنزِع الحبَّ من أفواه الدَّجاج .

وقال صاحب الديك : قولهم : « أسمَح من لافظة » ، لا يليق بالرَّحى ، لأنَّ الرَّحَى صَخْرَةٌ صمَّاء ، والذى يُخرج مافى بطنها المُـدِير[٤] لها ، والعربُ إنَّما تمدح بهذه الأسماء الإنسانَ وما جَرَى مجراه فى الوجوه الـكثيرة ، ليكون ذلك مَشحذَةً للأذهانِ ، وداعيةً إلى السِّباق وبلوغ الغايات .

وأمَّا ترْك الشَّاة للعلَف فليس بلفظٍ للعلَف ، إلاَّ أنْ يحملوا ذلك على المجازات البعيدة ، وقد يكون ذلك عنـد بعض الضَّرورة . والشَّاة ترضع من خِلفِها حتَّى تأتىَ على أقصى لبن فى ضرعها ، وتنثُر العلَفَ ، وتقلبُ

---

(١) أى فى تسمية إحداهما لافظة . فى المزهر للسيوطى ١ : ٢٩٧ نقلا عن أمالى القالى « يقال أجرد من لافظة ، أى البحر » . ومثله فى أمثال الميدانى ١ : ٣٢٢ ، وفيها أيضاً « وقال بعضهم : هى الحمامة ، لأنها تخرج مافى بطنها لفرخها » .

(٢) ثمامة بن أشرس أحد المعتزلة البصريين ، ورد بغداد واتصـل بهارون وغيره من الخلفاء ، وله أخبار ونوادر يحكيها عنه أبو عثمان الجاحظ وغير واحد . تاريخ بغداد ٧ : ١٤٥ . وقال الجاحـظ فى شأنه : « وماعلمت أنه كان فى زمانه قروى ولا بلدى ، كان قد بلغ من حسن الإفهام مع قلة عدد الحروف ، ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلغه . وكان لفظه فى وزن إشارته ، ومعناه فى طبقة لفظه ، ولم يكن لفظه إلى سمعك ، بأسرع من معناه إلى قلبك» البيان ١ : ١١١ . « قال رجل لثمامة : إن لى إليك حاجة ، قال ثمامة : ولى إليك حـاجة . قال : وما هى ؟ قال : لا أذكرها حتى تتضمن قضاءها . قال : قد فعلت . قال : حاجتى ألا تسألنى هذه الحاجة ؟ ! قال : رجعت عما أعطيتك ! قال ثمامة : لـكنى لا أرد ما أخذت ! ! » . عيون الأخبار ٣ : ١٣٧ .

(٣) انظر معجم البلدان (مرو) .

(٤) ط : « المدبر » وصوابه من س .

المِحْلَب[١] ، وتنطَح من قام عليها وأتاهـا بغذائها . وهى من أمْوَق البهائم[٢] ، وزوجُها شَتيم المحيَّا ، منتِنُ الريح ، يبولُ فى جوف فيـهِ وفى حاق[٣] خياشيمِه

وتقول العرب : « ماهُو إلاَّ تيسٌ فى سفينةٍ[٤] » ، إذا أرادوا به الغَبَاوة و « مَا هُوَ إلاَّ تيس » ، إذا أرادوا بِهِ نتْنَ الريح .

والعنْزُ خَرقاءُ ، وأبوها وهو التَّيْسُ أخرَقُ منها .

وَأمرُ الدِّيكِ وشأنهُ ، وكيْفَ[٥] يلفِظُ ماقَدْ صَارَ فى منقاره ، وكيف يُؤثِرُ به طَرُوقَته مِن ذَاتِ نفسهِ — شيءٌ يراهُ الناسُ ، ويرَاهُ جميعُ العباد

وهذه المكرمة ، وهذا الغَزَل[٦] ، وهذا الإيثار ، شيءٌ يراهُ الناس لم يكنْ فى ذَكَرٍ قَطُّ ممَّن يزاوِج إلاَّ الديك ، والدِّيكُ أحقُّ بهذا المثل . فإنْ كنتُمْ قد صَدَقتم على العرب فى تأويل هذا المثل[٧] فهذَا غلطٌ من العرب وعصبيَّة للَّبَنِ ، وعشق للدَّقيقِ[٨] .

والمثلُ إنَّمـا يلفِظ به رجلٌ من الأعراب ، وليس الأعرابىُّ بقُدْوةٍ

---

(١) المحلب والحلاب ، بكسرهما : إناء يحلب فيه .

(٢) من أموقها : من أحمقها .

(٣) حاق الشىء : وسطه . وفى الأصل : « حلق » ، ولا وجه له.

(٤) قال أبو الشمقمق فى هجاء بشار (انظر الخبر فى الأغانى ٣ : ٤٦ ، ٦٩ ونكت الهميان ١٢٦):

هللينـــه هللينـــه طعن قثاة لتينه
إن بشار بن برد تيس اعمى فى سفينه

(٥) ط : «كيف » ، وزيادة الواو من س .

(٦) ط : « التعزل »،وتصحيحه من س .

(٧) أى إن كانت روايتكم عن العرب صادقة .

(٨) ط : « عشق للدقيق » ، وأثبت ما فى س فهو أشبه بالـكلام .

إلاَّ فى الجرِّ والنصب والرفع وفى الأسماء[١] ، وأمَّا غير ذلك فقد يخطئ فيـه ويصيب . فالدِّيك أحقُّ بهذا المثـل الذى ذكرنا ، وسائرِ خصاله الشريفة .

والذى يدلُّ على أنَّ هـذا الفعلَ فى الدِّيك ، إنَّما هو من جهة الغزَل لا غير ، أنّه[٢] لا يفعلُ ذلك إذا هرِم وعجَزَ عن السِّفاد ، وانصرفت رغبتُه عنهنَّ وهو فى أيّام شَبابهِ أنْهَمُ وأحرَصُ على المأكول ، وأضنُّ على الحَبِّ ؛ فما لَهُ لم يُؤْثِرهنّ به عنْدَ زهده ، ويُؤْثِرهُنَّ عند رغبته ؟ ! وما بالُهُ لمْ يفعل ذلك وهو فرُّوج صغير ، وصنَع ذلك حِين أطاقَ السفاد ؟ ! فترْكه لذلك فى العجز عنهنَّ ، وبذلُه فى أوقات القوة عليهنَّ[٣] دليل على الذى قلنا[٤] . وهذا بَيِّن لا يرُدُّهُ إلاّ جَاهل أو معاند . ٥٥

(دفاع عن الـكلب)

وقال صاحب الـكلب : لسنا نُنكِر خِصالَ الدِّيك ومناقبَه من الأخبارِ المحمودة ، ولولا ذلك ما ميَّلْنا بينَه وبين الـكلب[٥] . ومَنْ يمـيِّلُ بين العسَل والخلِّ فى وجه الحلاوة والحموضة ؟ ! وكيف يفضَل شىءٌ على شىء وليسَ فى المفضولِ شىءٌ من الفضل ؟ ! والذى قُلتم من قذْفِه الحبّ قُدَّامَ الدَّجاج صحيح ، وليس هذا الذى أنكرْنا ، وإنَّما أنكرْنا

(١) المراد بالأسماء هنا الـكلمات .
(٢) ط : « وأنه » ، والوجه حذف الواو كما فى س .
(٣) ط : « فى الأوقات القوت عليهن » ، والصواب ما أثبت من س .
(٤) ط : « ذلك قلنا » ، وهو تحريف ما فى س .
(٥) يقال ميل بين الشيئين تمييلا : رجح ووازن . وفى الأصل : « ما مثلنا » وبعده : « ومن يمثل » ، والوجه ما اثبت . اللسان (ميل ١٦٠) .

موضعَ المثل الذى صرفتموه إلى حجّتكم[١] ، وتركتم [الذين] ما زال الناس يقلّدونهم [فى] الشاهد والمثل[٢] . وإن جاز لكم أن تردُّوا عليهم هذا المثلَ جاز لكلٍّ مَن كرِهَ مثلاً أو شاهداً أنْ يردَّ عليهم كما رددتمْ ؛ وفى ذلك إفْسَادُ أمرِ العَرَبِ كله .

فإنْ زعمتَ أنّ الديك ، كانَ أحقَّ به ، فخصومُك كثير ولسنا نحيط بأوائل كلامهم ، على أىِّ مقاديرَ كانوا يضعونها ، ومن أىِّ شىء اشتقُّوها ، وكيف كان السبب . ورُبَّ شىءٍ أنكرْنَاهُ فإذا عرفنا سبَبه أقررنَا به

وقال أبوالحسن : مرّ إياسُ بنُ معاوية بديكٍ ينقُرحبًّا ولايفرقُهُ ، فقال : يَنْبَغِى أن يكون [هـذا][٣] هرِماً ؛ فإنَّ الهرِم[٤] إذا أُلقى له الحبُّ لم يفرقْهُ ليجتمع الدَّجَاجُ حولَهُ . والهرِم قد فِنيتْ رغبتهُ فيهنَّ ، فليس هَمُّهُ إلاّ نفسَهُ

ورووا عنهُ أنّهُ قال : اللافظة الديك الشابُّ ، وإنّهُ يأخذ الحبَّة يؤْثِر بها الدَّجَاجَ ، والهرِمُ لايفعل ذلك ، وإنَّما هو لافظةٌ مادام شابًّا .

وقال صاحب الكلب : وذكر ابن سِيرِينَ عن أبى هُريرة : « أن كلباً مرَّ بإمرأةٍ وهو يلهَثُ عند بئر ، فنزعَتْ خُفَّها فسقَتْه ، فغَفَرَ الله تعالى لها » .

وعنه قال : « غفَرَ الله لبَغِىٍّ أو لمؤمنة مرّ بها كلبٌ فنزَعت خُفَّها فسقته » .

---

(١) فى الأصل : « محبتكم » .
(٢) فى الأصل : « وتركتم مازال الناس يقلدونهم الشاهد والمثل » .
(٣) الزيادة من س .
(٤) ط : وإن الهرم » .

وقال صاحب الكلب : وقال ابن دَاحَة[١] : ضرب ناسٌ من السُّلطاء[٢] جارا لهم ، ولبَّبوه وسحبوه وجرُّوه ، وله كلبٌ قد ربَّاه ، فلم يزَلْ ينبَحُ عليهم ويشقِّق ثيابَهم ، ولولا أنَّ المضروبَ المسحوبَ كان يكفُّه ويزجُره ، لقد كان عقَر بعضَهم أو منعَه منهم .

قال إبراهيمُ النَّظَّام : قدَّمتم السِّنَّور على الكلب ، ورويتم أنّ النبيّ صلى الله عليهِ وسلم أمرَ بقتل الكلابِ واستحياءِ السنانير وتقريبِها وتربيتِها ، كقوله عند مسألته عنها : « إنَّهُنَّ من الطَّوَّافَاتِ عليكُمْ ». وكلُّ ٥٦ منفعةٍ عنْدَ السِّنَّوْرِ إنَّمَا هى أكلُ الفأر فقط ، وعلى أنَّكُمْ قلَّما تجدون سنّوراً يطلُب الفَأْر ، فإن كان ممَّا يَطلُبُ ويأكلُ الفأرَ ، لم يعدمكم[٣] أن يأكلَ حمَامَكُمْ وفِراخَكُمْ والعَصَافِيرَ التى يتلهَّى بهاَ أولاَدُكُمْ ، والطائرَ يُتَّخَذُ لِحسنهِ وحُسنِ صَوْته . والذى لابُدّ منه الوثوبُ على صِغَار الفراريج . فإنْ هو عفّ عَن أموالكُمْ لم يَعفّ عَن أموال جيرانكُمْ . ومنافع الكلب لاَيحصيهاَ الطَّوامير[٤] . والسِّنَّور مع ذلك يأكل الأوزاغَ والعقارب ، والخنافيس[٥] ، وبنات وَرْدان[٦] ، والحيّات ، ودخَّالاتِ الآذان[٧] والفأرَ والجُرْذان ، وكلَّ خبيثةٍ وكلَّ ذاتِ سمّ ، وكلَّ شىءٍ

---

(١) ط : « راحة » ، وأثبت ما فى س . وانظر ما سبق فى ص ٨٢ .

(٢) السلطاء : جمع سليط ، وهو الصخاب البذىء اللسان . وفى الأصل : « السلطان » ! .

(٣) ط : « ولم » ، والصواب من س .

(٤) الطوامير : جمع طومار بالضم ، وهو الصحيفة .

(٥) هو جمع خنفس بضم الخاء وفتح الفاء أو كسرها ، أو جمع خنفسة بضم الخاء والفاء ، أو ضم الخاء وفتح الفاء . وزيادة الياء فى هذا الجمع مذهب الكوفيين . انظر همع الهوامع (٢ : ١٨٢) . وأما الخنفساء فجمعها خنفساوات .

(٦) ضرب من الحشرات التى تألف الحشوش ، ومن أنواعه « الصراصير » .

(٧) دخال الأذن : دويبة ذات قوائم كثيرة ، يسميها العامة فى مصر « أم أربعة وأربعين » . انظر معجم المعلوف ٥٤ والحيوان ٦ : ٥٤ .

تعافه النفس . ثمَّ قلتم فى سؤر السِّنَّور وسؤر الكلب ماقلتم . ثمَّ لم ترضوا به حتَّى أضفتموه إلى نبيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم[١] !!

(أطيب الحيوان أفواها)

ولا يشُكُّ الناس أنْ ليس فى السباع أطيبُ أفواهاً من الكلاب ، وكذلك كلُّ إنسانٍ سائِل الريق سائِل اللعاب . والخُلوف[٢] لايعرض للمجانين الذين تسيلُ أفواههم . ومن كان لايعتريه الخلوف فهو من البخَر أبعَدُ . وكماَ أنَّ طولَ انطباق الفم يُورث الخلوف ، فكَثْرَةُ تحَلُّبِ الأفواه بالريق تنفى الخُلوف . وحتَّى إنَّ من سال فُوه من اللعاب فإنَّما قضَوا له بالسلامةِ من فيهِ ، وإن استنكَهوه مع أشباهِهِ وجَدُوه طيِّبا ، وإن كان لايقرَبُ سِواكاً[٣] على الريق . وكذلك يقال ، إنّ أطيبَ النَّاسِ أفواهاً الزِّنج ، وإنْ كانت لاتعرفُ سَنُوناً ولا سِواكاً[٤] .

على أَنَّ الكلبَ سبُع ، وسباعُ الطيرِ وذواتِ الأربع موصوفَةٌ بالبخَر ، والذى يضْرَب به فى ذلك المثلَ الأسَدُ ، وقد ذكره الحكَمُ[٥] بن عبدل فى هِجَائِهِ محمَّدَ بنَ حسَّان فقال :

---

(١) بعد هذا فى الأصل عبارة دخيلة على الكتاب ، وهى : « ولا رحم الله إبراهيم النظام ولا من قال بقوله » ، وهى من زيادة الناسخين . ولعل الذى ألجأ الناسخ إلى ذلك ما يوهمه ظاهر العبارة السابقة وهى : « حتى أضفتموه إلى نبيكم » .

(٢) الخلوف ، بالضم : تغير رائحة الفم .

(٣) ط . « سواء كان » ، وتصحيحه من س .

(٤) السنون : ما يستاك به من دواء مؤلف لتقوية الأسنان . وفى ط : « لا تعرف سنوها سوا كا » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

(٥) فى الأصل : « محمد » ، والصواب ما أثبت . وللحكم ترجمة مسهبة فى الأغانى : (٢ : ١٤٤ — ١٥٣) .

فنكْهَتُه كنَكْهَةِ أخْدَرِيٍّ شتيمٍ شابِكِ الأنْيَاب وِرْدِ[١]

وقال بشَّار :

وأَفسَى من الظَّرْبان فى ليلةِ الكرَى

وأخْلَفُ مِنْ صقرٍ وإنْ كانَ قد طعِمْ

يهجو بها حمادَ عجْرَد .

ويقال : ليس فى البهائم أطيبُ أفوَاهاً من الظباء .

(رضيعٌ مُلهَم)

وزعم علماءُ البَصريِّين ، وذكر أبو عبيدة النحوىُّ ، وأبو اليقظان سُحيم بن حفص[٢] ، وأبو الحسن المدائنى ، وذكر ذلك عن محمَّدِ بن حفص عن مَسْلمَةَ بن محارب ، وهو حديثٌ مشهورٌ فى مشيخة أصحابنا من البصرِّيين ، أنَّ طَاعوناً جارِفاً جاءَ عَلَى أهلِ دار ، فلم يشكَّ أهلُ تِلك المَحلَّةِ أنّه لم يَبْقَ فيها صَغيرٌ ولا كبير ، وقد كان فيها صَبِىٌّ يرتضع ، ويحبو ولا يقوم على رجليهِ ، فعمَد مَن بقِى من المطعونين من أهل تلك المحلَّةِ إلى باب تلك الدار فسدَّهُ ، فلمَّا كان بعد ذلك بأشهرُ تحوَّل فيهاَ بعضُ وَرَثَةِ القوم ، ففتح البابَ ، فلمَّا أفضَى إلى عَرْصة الدَّار إذا هو بصَبِىٍّ يلعبُ مع

٥٧

(١) يقول : رائحة فيه تشبه رائحة فم الأسد الفظيع المنظر ، المشتبك الأنياب ، الجرىء وانظر قصيدة ابن عبدل فى الحيوان (١ : ٢٥٠ — ٢٥٣) . وخبرها فى الأغانى (٢ : ١٤٨) .

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٠ من هذا الجزء من الحيوان .

أجراءِ كلبةٍ ، وقد كانت لأهل الدار ، فراعَهُ ذلك ؛ فلم يلبَثْ أَنْ أقبلتْ كلبةٌ كانت لأهل الدار ، فلمَّا رآها الصبيُّ حبا إليها ، فأمكنتْه من أطبائها فمصَّها ، فَظَنُّوا أنّ الصّبِىّ لما بقى فى الدارِ وصارَ منسِيًّا واشتدَّ جوعُهُ ، ورأى أجراءَها تستقى من أطبائِهَا ، حَبَا إليها فعطفت عليه ، فلمَّا سقَتْهُ مرَّةً أدامتْ ذلك لَهُ ، وأَدَامَ هو الطلب .

والذى أَلْهَمَ هذا المَوْلودَ مَصَّ إبهامه سَاعَةَ يُولَدُ من بطنِ أُمّهِ ، ولم يعرف كيفيَّةَ الارتضاع ، هو الذى هداه إلى الارتضاع منْ أطباءِ الكلبةِ . [وَلَوْ][1] لم تكُن الهدايَةُ شيئاً مجعولاً فى طبيعته ، لما مَصَّ الإبهامَ وحلمَةَ الثّدْى ، فلمّا أفرطَ عليهِ الجوعُ واشتدَّت حالُهُ ، وطلبَتْ نفْسُهُ وتلكَ الطبيعةُ فيهِ ، دعَتْهُ تلك الطبيعةُ وتلكَ المَعْرِفَةُ إلى الطلب والدنوّ . فسبحانَ مَنْ دبَّرَ هٰذا وألهمهَ وسَوّاهُ ودلَّ عَلَيْهِ !!

(إلهام الحمام)

ومثلُ هذا الحديث ماخَبِّر به عن بابويه صاحب الحمَام . ولو سمعت بقصَصه فى كتاب اللُّصوص ، علمتَ أنَّه بعيدٌ من الكذب والتَّزيُّد . وقد رأيته وجالسته ولم أسمعْ هذا الحديثَ منه ، ولكنْ حدَّثنى به شيخٌ من مشايخ البصرة ، ومن النُّزول بحضرة مسجد محمد بن رَغبان[2] . وقال بابويه : كان عندى زوجُ حمامٍ مقصوص ، وزوجُ حمام طيّار ،

---

(١) ليست بالأصل .

(٢) فى الأصل : « زغبان » ، بالزاى . وتصحيحه من الحيوان (١ : ١٢٣) وانظر التحقيق هناك . وكلمة « محمد » ليست فى س .

وفرخانِ مَن فراخ الزَّوج الطيار . قال : وكان فى الغُرفة ثَقْبٌ فى أعلاها وقد كنتُ جعلت قُدَّام الكَوَّة[١] رفًّا ليكون مَسقطاً لما يدخلُ ويخرج من الحمام ، فتقدَّمتُ فى ذلك مخافةَ أن يعرضَ لى عارضٌ فلا يكونَ للطَّيار منفذٌ للتكسُّب ولورود الماء . فبيناَ أنا كذلك إذْ جاءنى رسولُ السلطان ، فوضَعَنى فى الحبْس ، فنسِيت قدْر الزَّوج الطيَّار والفرخين ، وما لهما من الثمن ، وما فيهما من الكرم ، ومُتٌّ من رَحمةِ الزَّوْج المقصوص ، وشغلنى الاهتمامُ بهما[٢] عن كثير ممَّا أنا فيه ، فقلت : أمَّا الزَّوْجُ الطيَّارُ فإنَّهماَ يخرُجان ويرجِعان ويزُقَّان ، ولعلَّهما أن يَسْلَما ولعلَّهما أن يذهبا — وقد كنتُ ربَّيتهما حتى تحصَّنا ووَرَّدَا[٣] — فإذا شبَّ الفرخان ونهضا مع أبويهما ، وسقطا على المعلاة ، فإمّا أن يثبُتا وإمَّا أنْ يذهبا . ولكنْ كيفَ يكونُ حَالُ المقصوصَيْنِ ، ومَنْ أسوأُ حالاً منهماَ ؟! فَخلِّى سَبِيلى بَعْدَ شهر ، فلم يكن لى همٌّ إلاَّ النَّظَر إلى ماخلَّفت خلْفى من الحمام ، وإذا الفرخان قد ثَبتاَ وإذا الزَّوْجَانِ قد ثبتا ، وإذا الزَّوجان الطيَّاران ثبتا على حالهما ، إلاّ أنِّى رأيتهما زاقَّين ، إذ علامةُ ذلك فى موضع الغَبَبِ ، وفى القِرطِمَتَين[٤] ، وفى أصولِ المناقير ، وفى عيونهماَ ، فقلت : فكيف يكونان زاقّين مع استغناء فرخَيهما عنهماَ ؟! ولاأشكُّ فى موت المقصوصين. ثمَّ دخلتُ الغرفة فإذاهما على

٥٨

---

(١) الكوة : الخرق فى الحائط ، والنقب فى البيت .

(٢) فى الأصل : « بها » .

(٣) هى من وردت الشجرة : إذا خرج نورها . فالمعنى اكتملا نموا .

(٤) قرطمتا الحمام : نفطتان على أصل منقاره، أى أعلى منقاره .

أفضَلِ حال ، فاشتدَّ تعجُّبى من ذلك ، فلم ألبَثْ أن دَنَوا إلى أفواه الزَّوج الكِبار يصنعان كما يصنع الفرْخ فى طلب الزَّقِّ ، ورأيتهما حين زقَّاهما ، فإذا هما لمَّا اشتَدّ جوعُهماَ ، وكاناَ يريانهماَ يزقّان الفَرخَين ويَرَيانِ الفرخَين كيفَ يستطعمانَ ويستزِقّانِ ، حملَهُماَ الجوعُ وحبُّ العيش ، وتَلَهُّبُ العطش ، وما فى طبعهِماَ من الهدايَةِ ، على أنْ طلبامَايطلَبُ الفرْخُ ، فزَقَّاهما ثمّ صار الزَّقُّ عادةً فى الطيَّار ، والاستطعامُ عادةً فى المقصوص .

(من عجائب الحمام)

ومِن الحمام حمامٌ يزُقُّ فراخه ولا يزقُّ شيئاً من فِراخ غيره ، وإن دنا منه مع [فراخِهِ فرخٌ مِنْ(١)] فراخ غيره ، وشا كَلَ فرخيه فى السِّنِّ واللَّون طردهما ولم يزقَّهما . ومن الحمام مايزقُّ كلَّ فرخٍ دنا منه ، كما أنَّ من الحمام حماما(٢) لايزُقُّ فراخَه ألبتّةَ حتَّى يموت . وإنَّما تعظُم البليّةُ على الفَرخ إذا كان الأبُ هو الذى لايزقّ ، لأنَّ الوِلادةَ وعامَّة الحضْن والكَفْل على الأمّ ، فإذا ظهر الولد فعامَّةُ الزَّقِّ على الأب ، كأنه صاحب العِيال والكاسِب عليهم ، وكالأمِّ التى تلد وتُرضِع.

---

(١) ليست بالأصل ، وأرى الكلام فى حاجة إليها .

(٢) ط : « حمام » .

(الطائر العجيب : كاسر العظام)

وأعجبُ من هذا ، الطائرُ الذى يقال له كاسر العظام[١] ، فإنّه يبْلُغُ من بِرِّ الفراخِ كلِّها[٢] بعد القيامِ بشأن فراخ نفسه ، أنّهُ يتعاهد فرخَ العُقَاب الثالث ، الذى تخرجه من عُشِّهاَ ؛ لأنّهاَ[٣] أشرَهُ وأرغَبُ بَطناً ، وأقسى قلباً وأسوأُ خُلقاً مِنْ أن تَحْتَمِلَ[٤] إطْعامَ ثلاثَة .

وهى مَعَ ذلك سريعة الجَزَع ، فتخرج مافَضَلَ عن فرخين ، فإذا أخرجتْه قبله كاسرُ العِظَام وأطْعَمَهُ ؛ لأَنّ العُقابَ من اللائى تبيض ثلاثَ بيضات فى أكثر حالاتها[٥] .

(دفاع أسدى عن أكل قومه لحوم الكلاب)

قال : وعُيِّر رجلٌ من بنى أسدٍ بأكل لحوم الكلاب ، وذهَبَ إلى قوله[٦] :

٥٩

* يا فَقْعَسِىٌّ لِمْ أكلته لِمهْ *

---

(١) كاسر العظام : طائر من سباع الطير بين النسر والعقاب ، يحمل كل عظم فيه مخ حتى إذا كان فى كبد السماء أرسله على صخرة فينكسر ، فيهبط فيأكل مخه ، ويسمى البلح والبلت — كلاهما كزفر — وستل ، بالتحريك ، والمكلفة . انظر معجم المعلوف ١٤٣ — ١٤٥ .

(٢) ط : « كليهما » ، والصواب من س .

(٣) فى الأصل : « لأنه » ، والعقاب مؤنثة ، وقيل تذكر وتؤنث . وقد أنثها الجاحظ هنا بقوله : « عشها » .

(٤) فى الأصل : « يحتمل » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) انظر القول فى عقوق العقاب أو برها فى الجزء السابع ص ٣٧ .

(٦) هو سالم بن دارة ، كما فى اللسان (روح) وكما سبق فى ١ : ٢٦٧ .

* لو خافكَ اللهُ عليهِ حَرَّمَهْ *

* فَمَا أَكَلْتَ لحمَهُ ولا دَمَهْ *

قال : فقال الأَعرابى : أمَا علِمت أنّ الشِّدَّة والشجاعة ، والبأْسَ والقوة من الحيوان ، فى ثلاثَةِ أصنافٍ : العقابِ فى الهواء ، والتمساحِ فى ساكن الماء ، والأَسَد فى ساكن الغياض .

وليس فى الأرض لحمٌ أشهى إلى التمساح ولا إلى الأَسد من لحم الكلب . فإن شئتمْ فعُدُّوه عدُوًّا لهما ، فإنّهُما يأكلانِهِ من طريق الغَيظ وطلب الثأر ، وإن شئتم فقولوا غير ذلك .

(الطبيعة الأسدية فى بنى أسد)

وبنو أسَدٍ أُسْد الغياض[٢] ، وأشبهُ شيءٍ بالأسد ، فلذلك تشتهى من اللُّحمَان أشباها إلى الأَسد . والدَّليلُ على أنّهُمْ أُسْد ، وفى طباعِ الأُسْد ، أنّكَ لو أحصَيْتَ جميعَ القتلى من سادات العرب ومِنْ فُرسانهم ، لَوَجَدْتَ شَطْرَهَا أو قَرِيباً من شَطرها لبنى أسد .

---

(١) قال ابن الأنبارى : معناه لو علم الله ذلك منك . (الأضداد ١١٩) . وقال الجاحظ فى الحيوان (٤ : ٤٢) : « جعل بدل قوله أمن الكلب على أكل لحمه ، أن الله هو الذى لم يخف ذلك فيحرمه » . وقال الجاحظ فى البخلاء ١٩٧ : « وتهجى أسد بأكل الكلاب وبأكل لحوم الناس . والعرب إذا وجدت رجلا من القبيلة قد أتى قبيحا ألزمت ذلك القبيلة كلها » .

(٢) كذا فى س . وفى ط : « الغياش » ! ولعل صوابهما « للناس » . وجاء فى مساءلة الحجاج لابن القرية : « قال فأخبرنى عن مآثر العرب فى الجاهلية . قال : كانت العرب تقول : حمير أرباب الملك ، وكندة لباب الملوك ، ومذحج أهل الطعان ، وهمدان أحلاس الخيل ، والأزد آساد الناس » . ابن خلكان (١ : ٨٣) . وانظر العمدة (٢ : ١٦٥) .

(أنفة الكلب)

قالوا : ثمَّ بعدَ ذلك كلِّه أنَّ الكلبَ لا يرضى بالنوم والرُّبوض على بَياض الطريق ، وعلى عَفَرِ التراب ، وهو يرى ظَهْر البِساط ، ولا يرضَى بالبِساط وهو يجد الوِسادة ، ولا يرضى بالمطارح دون مرافق المطارح[١] .

فمن نُبْله فى نفسه أن يتخيَّر أبداً أنبلَ موضِع فى المجلس ، وحيثُ يدَعُه ربُّ المجلس صيانةً له وإبقاء عليه ـ إلاَّ أن يتصدَّر[٢] فيه مَنْ لا يجوز إلاَّ أنْ يكون صدراً ، فلا يقصِّر الكلب دونَ أن يرقَى عليه .

وقد كان فى حُجج معاوية فى اتِّخاذ المقصورة بعد ضرب [البُرَك[٣]] إيّاه بالسيف ، أنّه أبصرَ كلباً على منبره .

هذا على ماطُبِع عليه من إكرام الرَّجُل الجميل اللباس ، حتَّى لا ينبحُ عليه إن دنا من باب أهله ، مع الوُثوب على كل أسوَد ، وعلى كلِّ رثِّ الهيئة ، وعلى كلِّ سفيهٍ تشبهُ حالُه حالَ أهل الرِّيبةِ .

---

(١) المطارح : جمع مطرح ، وهو بكسر الميم : المفرش .

(٢) فى الأصل : « يتصور » ، وإنما هو « يتصدر » أى يجلس فى الصدر .

(٣) الزيادة من س . والبرك ، كصرد : اسمه الحجاج بن عبد الله الصريمى ، وكان أحد الثلاثة الذين عهد إليهم بقتل على ومعاوية وعمرو فى ليلة واحدة ، ثانيهم : عبد الرحمن ابن ملجم الذى تكفل بقتل على ، وثالثهم : زاذويه الذى نصب نفسه لعمرو . وقد ضرب البرك معاوية مصليا فأصاب مأكته (الكامل ٢ : ١٣٥ — ١٤٥) . وانظر البيان (٢ : ٢٠٦) والطبرى (٦ : ٨٦) .

ومِن كِبْره وشدَّة تجبُّره ، وفَرْط حَمِيَّته[١] وأنفته واحتقاره ، أنّه متى نبح على رجُلٍ فى الليل ، ولم يمْنعه حارسٌ ولم يمكنه الفوت ، فدواؤه عند الرجل أنّه لاينجيه منه إلاّ أن يقعُدَ بين يديه مستخزيا مستسلما ، وأنه إذا رآه فى تلك الحال دنا منهُ فشَغَر عليه[٢] ولم يَهجْه . كأنَّه حينَ ظفر به ، ورآه تحت قدرته ، رأى أنْ[٣] يسِمَه بميسَمِ ذُلٍّ ، كما كانت العربُ تجزّ نواصِيَ الأسرى من الفُرسان ، إذا رامت أنْ تخلِّيَ سبيلَها وتمُنَّ عليها ، ولو كَفَّ العربىُّ عن جزِّ ناصيته ، لوسَمَه الأسْيَرُ من الشِّعر والقوافى الخالداتِ البواقى ، التى هى أبقى من المِيسَم ، بما هو أضرُّ عليه من جَزِّ ناصيتِه ، ولعلَّهُ لايبلُغُ أهلَه حتَّى تستوىَ[٤] مع سائر شعرِ رأسه ، ولكنَّ ذُلَّ الجزِّ لايزال يلُوح فى وجهه ، ولا يزال له أثرٌ فى قلبه . ٦٠

(تقدير مطرف للكلب)

وذُكر أنَّ مطرِّف بن عبد الله[٥] كان يكره أنْ يقال للكلب اخسأ ، وما أشبه ذلك ، وفى دعائه على أصحاب الكلب الذى كان

---

(١) الحمية : الأنفة . وفى الأصل : « حمايته » بمعنى الدفاع والمنع ، ولا وجه له .

(٢) شغر عليه : رفع رجليه فبال . وفى ط : « فثفر » ، وصوابه فى س .

(٣) فى ط : « تحت قدرته أنه » ، وفى س : « رءا أن » وصحتهما بما ترى .

(٤) فى الأصل : « يستوى » ، والكلام فى « الناصية » .

(٥) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير ، أحد التابعين ، ويكنى أبا عبد الله ، وكان لأبيه صحبة . قال الجاحظ فى شأنه : وكان خطيبا بينا صاحب أخبار وآثار — وذكره فى جملة القصاص ، ثم قال : وقص ابنه مطرف بن عبد الله بن الشخير فى مكان أبيه (يريد بمسجد البصرة) . البيان ١ : ٣٦٧ . وقال الجاحظ : =

أربابُه لايمنعونه من دُخول مُصَلاَّه ، قال : اللهمَّ امنعهْم بركة صيدِه ! !
دليلٌ على حسْنِ رأيه فيه .

(من أقوال المسيح عليه السلام)

قالوا : ومرَّ المسيحُ بن مريم فى الحَوارِيِّين بجِيفة كلب ، فقال بعضهم : ماأشدَّ نتنَ ريحه ! قال : فهلاَّ قلتَ : ماأشدَّ بياضَ أسنانه ! !

قالوا : وقال رجلٌ لكلب : اخسأْ،ويْلكَ ! فقال هَمَّام بن الحارث [1] : الويلُ لأهلِ النَّار .

(هراش الكلاب)

والهِراش الذى يجرى بينها وهو شَرٌّ ، يكونُ بينَ جميع الأجناس المتَّفِقة ، كالبرذون والبرذون ، والبعير والبعير ، والحمار والحمار ، وكذلك جميع الأجناس . فأمَّا الذى يفرط ويتمُّ ذلك فيه ، ويتمنّع ناس من النّاس ،

= « وكان يقال : فقه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وعقل مطرف ، وحفظ قتادة » . البيان ١ : ٢٤٢ . « وكان مطرف بن عبد الله يقول : لا تطعم طعامك من لايشتهيه . يقول : لاتقبل بحديثك على من لايقبل عليك بوجهه » البيان ١ : ١٠٣ . وقد روى الجاحظ كثيراً من أقواله فى البيان . قال ابن قتيبة : « ومات عمر ومطرف ابن عشرين سنة ، كأنه ولد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان بعد سنة سبع وثمانين » . المعارف ١٩٣ .

(١) فى البيان ٣ : ١٩٣ : « زهاد الكوفة : عمرو بن عتبة ، وهمام بن الحارث ، والربيع بن خثيم ، وأويس القرنى »

ويقع فيه القِمار ، ويتَّخذ لذلك ، وينفقَ عليه ، ويُغالَى به ، فالكلبُ والكلب، والكبشُ والكبش ، والدِّيكُ والدّيك ، والسُّمانَى والسُّمَانَى[1] .

(التحريش بين الجرذان)

فأمَّا الجُرَذ[2] فإنَّه لايقاتل الجُرَذَ[2] حتَّى يشدَّ رجل أحدهما فى طرف خيط ، ويشدّ الجُرَذ[2] الآخر بالطرف الآخر ، ويكون بينهما من المساواة[3] والالتقاء[4] ، والعضِّ والخمش ، وإراقة الدَّم وفَرْى الجلود ، مالا يكون بين شيئين من الأنواع التى يُهارَش بها .

والذى يُحدث للجُرْذان[5] طبيعةَ القتالِ ، الرِّباطُ نفسُه ، فإن انقطع الخيْطُ وانحلَّ العَقْد ، أخذَ هذا شرقاً وهذا غرباً ، ولم يلتقِياَ[6] أبداً .

وإذا تقابلت جِحَرَة الفأر ، وخَلا لَهَا الموضعُ ، فبيْنَهاَ شرٌّ[7] طويل ، ولكنَّه لايعدُو الوعيد والصخَب ، ولا يلتقى منهما اثنانِ أبداً .

---

(١) فى الأصل : «والسهان والسهان »، صوابه ماأثبت . وانظر ٥ : ٢٤٦ .

(٢) ط : « الجراد » ، س ، م : « الجرد » ، وصوابهما ماأثبت .

(٣) لعلها « المساورة » بمعنى المواثبة ، أو « المشارة » بمعنى تبادل الشر .

(٤) فى الأصل : « الالتفات » . وانظر ماسيأتى من الكلام .

(٥) ط : « للجراد » . س ، م : « الجردان » والوجه ماذكرت .

(٦) فى الأصل : « يلتفتا » وانظر سياق الكلام .

(٧) الجحرة : جمع جحر . و « لها » و « بينها » هى فى الأصل « لهما » و « بينهما » وهو تحريف ، إذ الضميران راجعان إلى الفأر ، والفأر جمع فأرة .

(قصة ثمامة فيما شاهده من الفأر)

وحدَّثنى ثمامة بن أشْرَس قال: كان بقىَ فى الحبس جُحْر فأر[١] ، وتِلْقاءه جُحرٌ آخر ، فيَرَى لكلِّ واحدٍ منهما وعيداً وصياحاً ووثوباً ، حتَّى يُظَنَّ أنَّهُما سيلتقيان ثم لايحتجزان حتَّى يقتُلَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه . فبينا كلٌّ واحدٍ منهما فى غاية الوعيد ، إذ مرَّ هارباً حتَّى دخل جُحره ، فما زالا كذلك ، حتَّى أتى الله تعالى بالفرَج وخُلِّىَ سبيلى .

(جودة الشم عند الكلاب السلوقية)

وزعم أنَّ السَّلوقيَّةَ الطويلةَ المناخر أجودُ شمّاً ، والشمُّ العجيبَ والحسُّ[٢] اللطيف من ذلك[٣] ، إلاَّ أنَّ ذلك فى طلب الذكور للإناث والإناثِ للذُّكور خاصة . وأمَّا شمُّ المأكول ، واسترواحُ الطُّعم ، فللسِّباع فى ذلك ماليس لغيرها . وإنَّ الفأرَ ليَشَمُّ ، وإنَّ الذَّر والنمــل ليَشَمُّ ، وإنَّ السَّنانير لتشَمُّ ، وكذلك الـكلب ، وله فى ذلك فضيلة ، ولا يبلغُ مَايبلغ الذئب . ٦١

وقال أعرابىّ :

كانَ أبو الصّحيم من أربابها ... صَبَّ عليــه الله من ذِئابها

أطلسَ لاينحاشُ مِن كلابها ... يلتهِمُ الطائرَ فى ذَهابِها

---

(١) كذا ، ولعل الـكلام « قال إنه كان فى الحبس جحر فأر » .

(٢) ط : « الحسن » ، وتصحيحه من س .

(٣) أى من طول المناخر .

* فى الجَرْيَةِ الأولَى فلا مَشْى بها *

ألا تراه يجتهد فى [الدُّعاء عليها] بذئبٍ[١] لاينحاشُ من الكلاب .

باب

مايُشَبَّه بالكَلْبِ وليس هو منْه

وإذا جرى الفرَس المحجَّل ، شبَّهوا قوائمَه بقوائم الكلب إذا ارتفعت فى بطنه ، فيصير تحجيلُها كأنَّه أكلُبٌ صغارٌ تعدو ، كما قال العُمانىُّ[٢] :

كأنَّ تحت البَطْن منه أكلُبَا   بِيضاً صِغاراً ينتهِشْنَ المَنْقَبا[٣]

وقال البدرىّ :

كأنَّ أجراءَ كلابٍ بِيضٍ   دونَ صِفاقَيْه إلى التَّغْرِيضِ[٤]

---

(١) فى الأصل : « ألا تراه يجتهد فى ذئب » ، وأصلحت القول بما ترى .

(٢) العمانى هو محمد بن ذؤيب الحنظلى ، وقيل له العمانى وهو بصرى ، ولم يكن من أهل عمان ، ولكن نظر إليه دكين الراجز فقال : من هذا العمانى ؟ وذلك أنه كان أصفر مطحولا ، وكذلك أهل عمان ، قال الشاعر :

ومن يسكن البحرين يعظم طحاله   ويغبط بما فى بطنه وهو جائع

وكان شاعراً راجزا متوسطا ، من شعراء الدولة العباسية ، ليس من نظراء الشعراء الذين شاهدهم فى عصره مثل أشجع ، وسلم ، ومروان ، ولكنه كان لطيفا داهيا مقبولا ، فأفاد بفعله أموالا جليلة ، وكان العمانى مقربا لدى الرشيد . الأغانى (١٧ : ٧٨ - ٨٣) والشعراء لابن قتيبة ٧٣١ - ٧٣٢ .

(٣) انظر ديوان المعانى (٢ : ١١٤) والشعر والشعراء ٣٧٢ .

(٤) الصفاق ، جلد البطن .

وقال الآخر :

كأَنَّ قِطًّا أو كلاباً أربَعَا   دون صِفاقيه إذا ما ضَبَعا[١]

ويصفون الطَّلْعَ أوَّلَ ما يبدو صغاراً بآذانِ الكلابِ البِيضِ . وقال في ذلك الرَّاجزُ :

أنعتَ جُمَّاراً على سحيض[٢]   يَخرج بعد النَّجْم والتبعيض[٣]

* طَلْعاً كآذانِ الكلابِ البيضِ *

ويُوصَف صوتُ الشَّخْب في الإناء بهرير هراش الكلاب .

وقال أعرابيّ :

كأنَّ خِلْفيها إذَا ماهرَّا   جروَا كلابٍ هُورِشا فهَرَّا[٤]

وقال الآخر :

كأنَّ صوتَ شَخْبِها المسحنْفِرِ[٥]   بينَ الأباهِيمِ وبين الخِنْصرِ[٦]

* هِراشُ أجراءٍ ولما تُثْغِرِ[٧] *

---

(١) ضبع : أسرع . وضبع بالتشديد : مد ضبعيه في السير ، والضبع : العضد .

(٢) كذا ، ولعلها « نضيض » ، وهو الماء القليل .

(٣) كذا ولعلها « التبريض » ، وهو من ظهور النبت في أول أمره .

(٤) يقول : كأن صوت لبنها حين الحلب صوت جروين من أجراء الكلاب أغرى أحدهما بالآخر ، فكان منهما نباح .

(٥) الشخب : ماخرج من الضرع من اللبن . والمسحنفر : الكثير الغزير .

(٦) الأباهيم : جمع إبهام ، وقد جمعه ولم يرد جمعه ، وإنما أراد الواحد . انظر ص ٣٩ .

(٧) أي صوت هراش أجراء . وتثغر : تبدو أسنانها . ولعلها « تشغر » بمعنى ترفع إحدى رجليها حين البول ، وهذه أمارة من أمارات بلوغ الكلاب كما في الحيوان (٢ : ٣٢) .

وقال أبو دُوَاد[١] :

٦٢ طَويل طامِح الطَّرْفِ إلى وَهَوْهَةِ الكلب[٢]

(جواب صبىّ)

وزعم الهيثم بن عدى[٣] قال : كان رجل يسمَّى كلباً ، وكان لهُ بُنَىٌّ يلعبُ فى الطريق ، فقال له رجلٌ : ابن مَنْ ؟ فقال : ابن وَوْ وَوْ وَوْ ! !

(ما يستحبّ فى ذنب كلب الصيد)

ويحبُّون أن يكون ذنَب الكلْبِ الصَّائِدِ يابساً ، ليس له من اللحم قليل ولا كثير ، ولذلك قال :

---

(١) فى الأصل : « أبو داود» ، وإنما هو « أبو داود » . والبيت الآتى فى أدب الكاتب ٨٦ والأمالى ٢ : ٢٥٠ والأضداد ٢٦٦ منسوب إلى أبى دواد . لكن قال أبو عبيد البكرى فى التنبيه : إن هذا البيت ليس لأبى دواد ولا وقع فى ديوانه ، وإنما هو لعقبة بن سابق الهزانى . قلت : وانظر قصيدة عقبة بن سابق فى الأصمعيات ٣٩ ، وانظر كذلك الاقتضاب ٣٢٤ .

(٢) الرواية فى المراجع المتقدمة : « إلى مفزعة الكلب » : أى نظره طامح إلى أقصى موضع يسمع منه الكلب إيساد صاحبه أى إغراءه » . والبيت فى صفة فرس . وأما الوهوهة هنا فصوت الكلب عند جزعه . والبيت يروى برفع « طويل » وخفضه ، فمن خفضه جعله من صفة الفرس المذكور فى البيت الذى قبله وهو :

وقد أغدو بطرف هيـ كل ذى ميعة سكب
أشم سلجم المقـ ل لا شخت ولا جأب

ومن رفع فعلى خبر مبتدأ مضمر . انظر الاقتضاب ٣٢٥ .

(٣) كذا فى س ، وهو الصواب . وفى ط : عرابى » ، وفى م : « عربى » وكلاهما تحريف . كان الهيثم عالما بالشعر والأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب . وكان يرى رأى الخوارج . توفى سنة سبع أو تسع ومائتين . وانظر الخبر فى ٥ : ٢٨٨ .

* تَلوِى بأذنابٍ قليلاتِ اللِّحَا(١) *

وقال الشاعر(٢) :

إنِّى وطَلْبَ ابنِ غلّاقٍ(٣) ليَقرِيَنِى(٤)
كالغابط(٥) الـكلبَ يبغى الطِّرْقَ فى الذَّنب(٦)

الطِّرْق : الشحم اليسير ، يقال : ليس به طِرْق .

(طيب لحم أجراء الـكلاب)

ويقال : ليس فى الأرض فَرخٌ ولا جرو ولا شىءٌ من الحيوان أسمنَ ولا أرطبَ ولا أطيبَ من أجراء الـكلب . وهى أشبهُ شىءٍ بالحمام ؛ فإنَّ فِراخَ الحمام أسمنُ شىءٍ ما دامت صغاراً من غير أن تسمَّن ، فإذا بلغَتْ لم تقبل الشحم ، وكذلك أولادُ الـكلاب .

---

(١) ط : « اللحام » س : « اللحى » وصوابهما من م ، ومن الحيوان ٢ : ٦٢ حيث توجد أرجوزة البيت مشروحة مفصلة . وأراد باللحا — وهو مقصور اللحـاء — مايكسو الذنب من اللحم . وفى المقصور والممدود لابن ولاد ٩٥ : « ويقال للتمرة إنها قليلة اللحاء ، وهو ما كسا النواة » .

(٢) هو رجل من بنى عمرو بن عامر يهجو قوما من بنى سليم ، كما فى اللسان (غبط) .

(٣) فى أمثال الميدانى ٢ : ٢٠ : « إنى وإن ابن علاق » ، وفى اللسان : « إنى وأتى ابن غلاق» . والطلب : هو الطلب سكنت لامه للشعر .

(٤) ط : « ليقربنى » وتصحيحه من س ، م وأمثال الميدانى واللسان .

(٥) الغابط : الذى يجس الحـيوان ليعرف سمنه من هزاله . وفى م : « كالغائط » وفى ط : « كالطالب » . وفى الأمثال : « كعابط » ، وذلك تحريف ماأثبت من س . وفى اللسان : « كغابط » .

(٦) ط ، م : « الذيب » ، وصوابه من المراجع المتقدمة . وقبل هذا البيت فى اللسان :

إذا تحليت غـلاقا لتعرفها لاحت من اللؤم فى أعناقها الـكتب

قال الميدانى : يضرب هذا المثل لمن يطلب المعروف عند اللئيم .

وقال الآخر :

وأغضَفِ الأُذْن طاوى البَطْنِ مُضْطَمِرٍ
لِوَهْوَهٍ رَذِمِ الخيشومِ هَرَّارِ[1]

الأصمعِىّ قال : قال أعرابىٌّ : أصابتنا سَنَة شديدة ، ثم أعقبتْها سنةٌ تتابَعَ فيها الأمطارُ فسمِنت الماشية ، وكثُرت الألبان والأسمان ، فسَمِن وِلْدان الحىِّ ، حتَّى كأنَّ استَ أحدهم جرو يتمطَّى !

(طلب أبى دلامة)

أبو الحسن قال : قال أبو العبَّاس أميرُ المؤمنين[2] لأبى دُلامة : سَلْ ! قال : كلباً . قال : ويلَك ! ما تصنع بالكلب ؟ ! قال : قلت أصيدُ به . قال : فلك كلب . قال : ودابَّةً . قال : ودابّة . قال: وغلاماً يركَب الدابة ويَصيد . قال : وغلاماً . قال : وجاريَةً . قال : وجارية . قال : يا أمير المؤمنين ! كلبٌ وغلامٌ وجاريَةٌ ودابّة، هؤلاء عِيال ، ولا بدَّ مِن دار . قال: ودار . قال : ولا بدَّ لهؤلاءِ من غَلَّةِ ضَيعة . قال : أقطعناك مائَةَ جَرِيبٍ عامرةً ومائَةَ جريبٍ غامرة . قال : وأىُّ شىء الغامرة ؟ قال : ليس فيها

---

(١) لوهوه : أى أبوه وهوه ، والوهوه : النشيط الحريص على الجرى . والرذم: الذى يقطر أنفه ، وفى اللسان : « رذم أنفه يرذم ويرذم - أى كيدخل ، ويضرب - رذما ورذمانا : قطر » . وهى فى الأصل : « ردم » وليس لها معنى يتجه . والهرار : الكثير الهرير ، وهو النباح .

(٢) هو أبو العباس عبد الله بن محمد ، الملقب بالسفاح ، أول خلفاء الدولة العباسية (١٠٤ - ١٣٦) . والحديث فى الأغانى ٩ : ١١٦ مع اختلاف فى الألفاظ حيث توجد ترجمة أبى دلامة ٩ : ١١٥ - ١٣٣ . وانظر جمع الجواهر ٩٠ .

نبات . قال : أَنَا أُقْطِعك خمسمائةِ جريب من فيافى بنى أسد غامرةً .
قال : قد جعلنا لك المائتين عامِرتين كُلَّهاَ[1] ، ثمَّ قال : أبقىَ لك شىء ؟
قال : نعم ، أقبِّل يدك . قال : أمَّا هذه فدعْها . قال : مامنعتَ عيالى شيئاً
أهونَ عليهم فقْداً منه ؟ !

(علمه حيلة فوقع فى أسرها)

أبو الحسن عن أبى مريم قال : كان عندنا بالمدينة رجلٌ قد كثُر
عليه الدَّين حتَّى توارى من غرمائه ، ولزِم منزله ، فأتاه غريم له عليه
شىءٌ يسيرٌ ، فتلطَّفَ حتَّى وصل إليه ، فقال له : ما تجعلُ لى إنْ أنا دللتَك
على حيلةٍ تصيرُ بها إلى الظُّهورِ والسَّلامةِ من غرمائك ؟ قال : أقضيكَ ٦٣
حقَّك ، وأزيدُك ممَّا عندى ممَّا تقَرُّ به عينك . فتوثَّقَ منه بالأيمان ،
فقال له : إذا كان غداً قبْلَ الصَّلاةِ مرْ خادمَك يكنُسْ بابَك وفِناءَك
ويرشَّ ، ويبسُطْ على دكَّانك حُصراً ، ويضَعْ لك متَّكأ ، ثمّ أمهِل حتى
تصبَح[3] ويمرَّ الناس ، ثمّ تجلس ، وكلُّ مَن يمرُّ عليك ويسلّم انبح له
فى وجهه ، ولا تزيدَنَّ على النُّباح أحداً كائنا مَن كان ، ومَنْ كلّمك من
أهلِك أو خدمك أو من غيرهم ، أو غريمٍ أو غيره ، حتَّى تصير إلى الوالى
فإذا كلَّمك فانبَحْ له ، وإيَّاك أن تَزيدَه أو غيرَه على النُّباح ؛ فإنَّ الوالىَ

---

(١) ط : « كلهما » .
(٢) فى الأغانى عقب هذه القصة « قال الجاحظ : فانظر إلى حذقه بالمسألة ولطفه فيها ، ابتدأ بكلب فسهل القصة به ، وجعل يأتى بما يليه على ترتيب وفكاهة حتى نال مالو سأله بديهة لما وصل إليه » .
(٣) ط : « يصبح » .

إذا أيقنَ أنَّ ذلك منك جِدٌّ لم يشُكَّ أنَّه قد عرَض لك عارض من مَسٍّ فيخلِّيَ عنك ، ولا يغرى عليك . قال : ففعَل ، فمرَّ به بَعضُ جيرانه فسلَّم عليه ، فنبَح فى وجهه ، ثم مرَّ آخرُ ففعل مثلَ ذلك ، حتّى تسامع غرماؤه فأتاه بعضهم فسلَّم عليه فلم يزِدْه على النُّباح ، ثمَّ آخرُ ، فتعلَّقوا به فرفعوه إلى الوالى ، فسأله الوالى فلم يزِدْه على النُّباح ، فرفَعه معهم إلى القاضى ، فلم يزده على ذلك ، فأمَرَ بحبسه أيَّاماً وجعلَ عليه العيون ، وملَكَ نفْسَه وجعَلَ لاينطِق بحرفٍ سوى النُّباح ، فلمَّا رأى القاضى ذلك أمَرَ بإخراجه ووضعَ عليه العيونَ فى منزله ، وجعل لاينطِق بحرفٍ إلاَّ النباحَ ، فلما تقرَّرَ ذلك عند القاضى أمر غرماءه بالكفِّ عنه ، وقال: هذا رجلٌ بِهِ لَمَم . فمكث[1] ما شاء اللهُ تعالى . ثمَّ إنَّ غريمَه الذى كان علَّمه الحيلة ، أتاه متقاضياً لِعِدَتِه[2] فلمَّا كلمه جعل لايزيدهُ على النُّباح ، فقال لَهُ : ويلَكَ يافلان ! ! وعلىَّ أيضا ، وأنا علَّمتك هذه الحيلة ؟ ! فجعل لايزيدُه على النُّباح ، فلمَّا يئس منه انصرف يائساً مما يطالبه بِهِ .

(اتحاد المتعاديين فى وجه عدوِّهما المشترك)

قال أبو الحسن عن سلمة بن خطّاب الأزدىّ ، قال : لمَّا تشاغل عبدُ الملك بنُ مرْوانَ بمحاربةِ مُصعَبِ بنِ الزُّبير ، اجتمَعَ وجوهُ الرُّوم إلى ملكهم فقالوا له : قد أمكنَتْك الفُرْصةُ من العَرب ، بتَشاغُل بعضهم

(١) اللمم : الجنون . و « مكث » هى فى ط : « مكثت » محرفة ، وإصلاحها من س .

(٢) لعدته : لما كان وعده به .

مع بعض ، لوقوع بأسهم بينهم ، فالرأىُ لك أن تغزوَهم إلى بلادهم ، فإنَّك إن فعلتَ ذلك بهم نلتَ حاجتَك ، فلا تدَعْهم حتَّى تنقضىَ الحربُ التى بينهم فيجتمعوا عليك ! فنهاهم عن ذلك وخطَّأ رأيَهم ، فأبوا عليه إلاَّ أن يغزُوا العربَ فى بلادهم . فلما رأى ذلك منهم أمَرَ بكلبَين فحرَّش بينهما ، فاقتتلا قتالا شديداً ، ثمَّ دعا بثعلبٍ فخلاَّه ، فلما رأى الكلبان الثعلبَ ، تركا ما كانا فيه ، وأقبلا عليه حتَّى قتلاه ، فقال ملك الروم : كيف ترون !؟ هكذا العربُ ، تقتتلُ بينها ، فإذا رأونا تركوا ذلك واجتمعوا علينا ، ٦٤ فعرَفوا صدقه ، ورجَعوا عن رأيهم .

(كرم الكلاب)

قال : وقال المغيرةُ لرجلٍ خاصم إليه صديقاً لهُ ، وكان الصديقُ توعَّده بصداقة المغيرة ، فأعلمه الرجلُ ذلك ، وقال : إنَّ هذا يتوعَّدنى بمعرفتك إيَّاه ، وزعم أنَّها تنفعه عندَك . قال : أجَلْ ! إنَّها والله لتنفَع ، وإنَّها لتنفَعُ عند الكلبِ العقور !

فإذا كان الكلبُ العقورُ كذلك ، فما ظنُّك بغيره ؟ وأنت لا تصيب من الناس مَن تنفع عنده المعرفةُ من ألفٍ واحداً[1] .

وهذا الكرمُ فى الكلاب عامٌّ . والكلبُ يحرُس ربَّه ، ويحمى حريمَه شاهداً وغائباً ، وذاكراً وغافلاً ، ونَائماً ويقظان ، ولا يقصِّر عن ذلك وإن جفَوه ، ولا يخذُلهم وإن خذَلوه .

---

(١) فى الأصل : « من ألف واحد » .

(نوم الكلاب)

والـكلبُ أيقَظُ الحيوانِ عيناً فى وقتِ حاجتهم إلى النوم ، وإنَّما نومه نهاراً ، عند استغنائهم عن حراسةٍ ، ثمَّ لا ينـام إلاَّ غِراراً وإلا غِشَاشاً[١] . وأغلبُ ما يكوم النّومُ عليه وأشدُّ [ما يكون[٢]] إسكاراً له ، أنْ يكونَ كما قال رؤبة :

* لاقيت مَطْلاً كنُعاسِ الـكَلْبِ[٣] *

يعنى بذلك القَرْمَطَة فى المواعيد .

وكذلك فإنَّهُ أنْوَمُ ما يكونُ أنْ يفتَحَ عينَه بقدْر ما يكفيه للحراسة ، وذلك ساعةً ، وهو فى هذا كلِّه أسمَعُ من فرَس ، وأحذَرُ من عَقْعَق[٤] ، مع بُعد صوته

---

(١) الغرار والغشاش : النوم القليل .

(٢) الزيادة من س .

(٣) سبق الـكلام فى هذا البيت ص ٣١٧ من الجزء الأول .

(٤) العقعق – كثعلب – طائر على قدر الحمامة ، فى شكل غراب ، وهو ذو لونين أبيض وأسود . وكما يضرب المثـل بالعقعق فى الحذر ، يضرب به أيضـاً فى السرقة والخيانة ، قال :

إذا بارك الله فى طائر فلا بارك الله فى العقعق
قصير الذنابى طويل الجناح متى مايجد غفلة يسرق
يقلب عينيـه فى رأسه كأنهمـا قطرتا زئبق

(قول رجل من العرب فى الجمال)

وقيل لرجُل من العرب : ما الجمال ؟ فقال : غُؤور العينَين ، وإشراف الحاجبين ، ورُحْب الأشداق ، وبُعْدُ الصوت .

(صبر الكلب واحتماله)

هذا مع قلة السآمة ، والصَّبْرِ على الجفوة ، واحتمالِ الجراحات الشِّداد ، وجوائف الطعان[1] ونوافِذِ السهام . وإذا ناله ذلك لم يَزَلْ ينظِّفه بريقه ؛ لمعرفته بأنَّ ذلك هو دواؤه حتَّى يبرأ ، لا يحتاج إلى طبيب ، ولا إلى مِرْهم ولا إلى علاج .

(طول ذماء الضب والكلب والأفعى)

وتقول العرب : « الضبُّ أطولُ شيءٍ ذَمَاء[2] » ، والكلبُ أعجبُ فى ذلك منه . وإنَّما عجبوا من الضَّبِّ ، لأنَّه يَغْبُر[3] ليلتَه مذبوحا مفرِىَّ الأوداج ، ساكنَ الحركة ، حتَّى إذا قَرِّب من النار تحرَّك . كأنَّهم يظنُّون أنَّه قد كان حيًّا ، وإن كان فى العين ميّتاً .

والأفعَى تبقى أيَّاماً تتحرَّك .

---

(١) الجائفة : طعنة تبلغ الجوف .

(٢) الذماء : بقية الروح . وفى ط : « أطول شيئا » ، وهو على الصواب فى س ، م .

(٣) يغبر : يمكث . وفى ط ، م : « يغير » ، وهو تحريف ماأثبت من س .

(ما يعتريه الاختلاج بعد الموت)

فأمَّا الذى يعتريه الاختلاج بعد جُموده[١] ليلةً ، فلحْمُ البقر والجُزُر[٢] ، تختلج وهى على المعاليق اختلاجاً شديداً .

والحيَّة يُقطَعُ ثلثها الأسفل ، فتعيش وينبُت ذلك المقطوع .

(حياة الكلب مع الجراح الشديدة)

قال : والكلب أشدُّ الأشياء التى تعيش على الجراح ، التى لا يعيش عليها شىء إلاَّ الكلبُ ، والخنزيرُ ، والخُنْفَساء .

(قوة فكّ الكلب وأنيابه)

والكلبُ أشدُّ الأشياء فَكًّا ، وأرْهفها ناباً ، وأطيَبُها[٣] فماً ، وأكثرها ريقاً ، يُرمَى بالعظم المدْمَج[٤] ، فيعلم بالغريزة أنَّه إن عضَّه رضَّه ، وإن بلعَه استمرأه[٥] . ٦٥

---

(١) الجمود : كناية عن الموت ، تقول : مازال يضربه حتى جمد .

(٢) الجزر : الإبل المذبوحة ، جمع جزور .

(٣) ط ، م : « أخيبها » ، وتصحيحه من س .

(٤) المدمج : الصلب . وفى س : « يرى العظم المدمج » .

(٥) سيأتى نحو هذا الكلام بعبارة أكثر تفصيلا فى ص ١٩٤ من هذا الجزء .

(إلف الكلب وغيره من الحيوان للإنسان)

وهو ألوفٌ للناس ، مشاركٌ من هذا الموضع العصافيرَ والخطاطيفَ والحمامَ والسنانير ، بل يزيد على ذلك فى باب الخاصِّ وفى باب العامِّ . فأمَّا باب الخاصِّ ، فإنَّ من الحمام[١] ما هو طُورانىٌّ[٢] وحشىٌّ ، ومنه ما هو آلفٌ أهلى . والخُطَّاف من القواطع غير الأوابد ، إذا قطع إلى الإنس لم يَبْنِ بيتَه إلاَّ فى أبعدِ المواضع ، من حيثُ لا تناله أيديهم . فهو مقسومٌ على بلاده وبلادِ من اضطرَّته إليه الحاجة . والعصافير تكون فى القرب حيثُ تمتنع منهم فى أنفسها . والكلاب مخالطةٌ لها ملابِسة ، ليس منها وحشىٌّ ، وكلُّها أهلى . وليس من القواطع [ولا][٣] من الأوابد ما يكون آنس بالناس — من كثير ممَّا يوصف بالأنس والإلف — من الكلاب دون سواها[٤] . وفى السَّنانير الوحشيَّةُ والأهليةُ .

وعلى أنَّ إلفَ الكلب فوقَ إلف الإنسان الألوف[٥] ، وهو فى الكلب أغرَبُ منه فى الحمام والعصفور ؛ لأنَّه سبع ، والحمام بهيمة ، والسبع بالسباع أشبه ، فتركَها ولم يناسبها ، ورغِب عنها . وكيف ، وهو يصيد الوُحوشَ ويمنَع جميعَ السِّباع [من[٦]] الإفساد ؟ ! فذلك أحمَدُ له

(١) ط ، م : « من » ، س : « منه » ، والصواب فى ذلك ماأثبت .
(٢) فى معجم البلدان : طرآن : جبل فيه حمام كثير ، إليه ينسب الحمام الطرآنى . . . قال : والعامة تقول طورانى ، وهو خطأ » . وفى اللسان : « وحمام طورانى وطورى منسوب إليه» . أى إلى طور سيناء . قال : « وقيل هو منسوب إلى جبل يقال له طرآن ، نسب شاذ » .
(٣) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .
(٤) فى الأصل : « من الناس دون سواهم » .
(٥) ط : « الألوق » ، وصوابه من س ؛ م .
(٦) الزيادة من س .

وأوجَبُ لشكره . ثمَّ يصيرُ فى كثيرٍ من حالاته ، آنَسَ بالنَّاس منه بالكلابِ دِنيَّةً وقُصْرةً[١] ، ولا تراه يلاعبُ كلباً ما دام إنسانٌ يلاعبه . ثمَّ لم يرْضَ بهذه القرابة وهذه المشاكلة ، وبمقدار ما عليه من طباع الخُطَّاف والحمام والعصفور ، وبمقدار ما فضَّلها الله تعالى بِهِ من الأُنس ، حتَّى صار إلى غايةِ المنافع سُلَّماً ، وإلى أكثر المرافق[٢] .

(الحاجة إلى الكلاب)

[وليس[٣]] لحارس الناس ولحارسِ أموالهم بُدٌّ من كلب ، وكلَّما كان أكبَرَ كان أحبَّ إليه . ولا بدَّ لأقاطيع المواشى من الكلاب ، وإلاَّ فإنَّها نهبٌ للذئاب ولغير الذئاب ثمَّ كلابِ الصَّيد ، حتَّى كان أكثرُ أهل البيت عِيالاً على كلِّ كلب .

(مقلدات الإنسان من الحيوان)

وقد صار اليومَ عندَ الكلب من الحكايات وقَبول التلقين ، وحُسْن التصريف فى أصناف اللَّعِب ، وفى فِطَن الحكايات [ما ليس[٤]]

(١) يريد الكلاب القريبة إليه فى النسب .

(٢) يصح أن تكون هنا كلمة ساقطة تقديرها « وسيلة » أو « سبباً » أو نحو ذلك . ويصح أن يكون اكتفى بالخبر المتقدم « سلما » .

(٣) ليست بالأصل والكلام فى حاجة إليها . وفى س : « لمحارس » بدل « لحارس » .

(٤) بدله فى الأصل : « وفى » ، والوجه ماأثبت .

فى الجوارح المذلَّلةِ لذاك ، المصرَّفةِ فيه ، [و(١)] ما ليس عند الدبِّ والقرد والفيل ، والغَنَم المكِّيَّة ، والبَبْغَاء .

(الكلب الزينى)

والكلب الزِّينىّ الصِّينىّ(٢) يُسرَج على رأسه ساعاتٍ كثيرةً من اللَّيْل فلا يتحرَّك . وقد كان فى بنى ضَبَّةَ كلب زِينىٌّ صينىّ ، يُسرَج على رأسه ، فلا ينبِض فيه نابِض ، ويدعونه باسمه ويُرمى إليه بِبَضْعَةِ لحم والمِسْرَجةُ على رأسه ، فلا يميل ولا يتحرَّك ، حتَّى يكونَ القومُ هم الذين يأخذون المصباح من رأسه ، فإذا زايَلَ(٣) رأسَه وثَب على اللحم فأكله ! . دُرِّب فدَرِب ، وثُقِّف فثَقِف ، وأُدِّب فقَبِل . وتعلَّق فى رقبته الزنْبلة(٤) والدَّوْخَلَّة(٥) وتوضع فيها رُقعة ، ثم يمضى إلى البقَّال ويجىء بالحوائج . ٦٦

(تعليم الكلب والقرد)

ثمَّ صار القَرَّادُ وصاحبُ الرُّبَّاح(٦) [مِنْ(٧)] ثمَّ يستخرِجُ فيما بين الكلْب والقِرد ضُروبا من العمَل ، وأشكالاً من الفِطَن ، حتَّى صاروا يطحنون

---

(١) ليست بالأصل .
(٢) ضرب من الكلاب قصير القوائم ، شديد الذكاء ، يقال بالهمز وترك الهمز .
(٣) ط : « أزيل » وصوابه فى س .
(٤) كذا ، ولعلها « الزبيل » أو « الزنبيل » .
(٥) الدوخلة ، بفتح الدال وتشديد اللام المفتوحة وتخفف ، أصل معناها : سفيفة من خوص يوضع فيها التمر والرطب .
(٦) الرباح : القرد الذكر ، وفى الأصل : « الرياح » ! .
(٧) تكملة يفتقر إليها الكلام .

عليه ، فإذا فرغ من طحنه مضَوا بهِ إلى المُتمَعَّك[١] ، فيُمعَّكُ كما يُمعَّك حمار المُكارِى وبغلُ الطحَّان .

وقرابةٌ أخرى بينه وبين الإنسان : أنّه ليس شىءٌ من الحيوان لذكرِه حجْمٌ بادٍ إلاّ الكلبُ والإنسان .

(ما يسبَحُ من الحيوان وما لا يسبح)

والكلبُ بعد هذا أسبحُ من حيّة ، ولا يتعلَّق بهِ فى ذلك الثَّور ، وذلك فضيلةٌ له على القِرد ، معَ كثرةِ فِطَن القِرْد وتشبُّههِ بالإنسان ؛ لأنّ كلَّ حيوانٍ فى الأرض فإنَّه إذا ألقى فى الماء الغَمْر سبح ، إلاّ القردَ والفرسَ الأعسَر ، والكلبُ أسبحُها كلِّها ، حتّى إنّه ليُقَدَّم فى ذلك على البقرة والحيَّة .

(مافى إناث الكلاب من الأعاجيب)

وفى طباع أرحامِ الكلاب أُعجوبَة ؛ لأنّها تَلقَح من أجناس غير الكلاب ، ويُلقحها كما يلقح منها ، وتلقح من كلابٍ مختلفة الألوان ، فتؤدِّى شَبَه كلٍّ كلب ، وتمتلئ أرحَامُها أجراءً من سِفاد كلبٍ ، ومن مرّةٍ واحدة ، كما تمتلئ من عدَّةِ كلابٍ ومن كلبٍ واحد . وليست هذه الفضيلة إلاَّ لأرحام الكلاب .

---

(١) المتمعك : مكان تمعك الدابة فى التراب .

(فخر قبيلتين زنجيتين)

قالوا : والزِّنج صِنفان ، قبيلة زنجيَّة فوق قبيلة ، وهما صِنفان : النمل والـكلاب ، فقبيلةٌ هم الكلاب ، وقبيلةٌ هم النمَّـل ، ، فخر هؤلاء بالكثرة ، وفخر هؤلاء بالشدَّة[1] . وهذان الاسمان هُمَا ما اختارَاهما لأنفسِهما ولم يُـكرَها عليهما .

(حديث : « أكلك كلب الله »)

قال : ويقال إنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال لعُتْبة[2] بن أبى لَهب : « أكلك كلبُ الله » فأكله الأسد . فواحدةٌ : قد ثبت بذلك أنَّ الأسد كلبُ الله[3] . والثانية : أنّ الله تبارك وتعالى لا يُضاف إليه إلاَ العظيمُ ،

---

(١) الإشارة بهؤلاء الأولى إلى قبيلة النمل ، وبالثانية إلى قبيلة الـكلاب ، وللقبيلتين حديث فى البيان ٣ : ٥١ .

(٢) فى الأصل : « قال يالهب » . وفى ثمار القلوب ١٩ وفقه اللغة ٢٤٨ — وقد نقل الثعالبى فيهما نص الجاحظ — « عتيبة » بالتصغير . والصواب « عتبة » كما فى الأغانى (١٥ : ٢ — ٣) وكما فى المعارف ٦٢ وسيرة ابن هشام ٤٦٥ جوتنجن . وفى الأغانى عن عكرمة قال : « لما نزلت : والنجم إذا هوى ، قال عتبة للنبى صلى الله عليه وسلم : أنا أكفر برب النجم إذا هوى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أرسل عليه كلبا من كلابك ! » قال ابن عباس : « فخرج إلى الشام فى ركب ، فيهم هبار بن الأسود ، حتى إذا كانوا بوادى القاصرة ، وهى مسبعة ، نزلوه ليلا فافترشوا صفا واحدا ، فقال عتبة : أتريدون أن تجعلونى حجرة ! لا والله لا أبيت إلا وسطكم ! فبات وسطهم . قال هبار : فما أنبهنى إلا السبع يشم رءوسهم رجلا رجلا ، حتى انتهى إليه ، فأنشب أنيابه فى صدغيه فصاح : أى قوم ! قتلتنى دعوة محمد ! فأمسكوه فلم يلبث أن مات فى أيديهم » . وانظر لتحقيق الخبر ما ورد فى حواشى الاشتقاق ٢٢ بتحقيقنا . وانظر الاستدراك فى آخر الـكتاب هنا .

(٣) فى فقه اللغة : « أن الأسد كلب » .

من جميع الخير والشرّ[١] . فأمّا الخير فقولك : بيت الله ، وأهل الله ، وزُوّار الله ، وكِتاب الله ، وسماء الله ، وأرض الله ، وخليل الله ، وكَليم الله ، وروح الله ، وما أشبه ذلك[٢] . وأمّا الشرُّ فكقولهم : دعْه فى لعنةِ الله وسخَط الله ، ودعْه فى نار الله وسَعيره[٣] ، وما أشبه ذلك . وقد يسمّى المسلِمون والنّاسُ كلباً .

(تسمية بنات آوى والثعالب والضباع بالكلاب)

وقد زعم آخرون : أنّ بناتِ آوى ، والثعالبَ والضِّباعَ ، والكلابَ ، كلّها كلاب ، ولذلك تَسافَدُ وتَلاَقح[٤] .

وقال آخرون : لَعمرى إنّها الكلاب إذا أردتم أن تشبِّهوها ، فأمّا أن تكونَ كلاباً لعِلّةٍ أو عِلّتين — والوجوهُ التى تخالف فيها الكلاب أكثر — فإنّ هذا ممّا لايجوز .

٦٧ وقول مَنْ زعم أنّ الجواميس بقرٌ وأنّ الخيلَ حُمُرٌ ، أقربُ إلى الحقّ من قولِكم ، وقولِ من زعَم أنّ الجواميس ضأنُ البقر . والبقَر ضأنٌ أيضاً ، ولذلك سمّوا بقرَ الوحْشِ نِعاجا ، كأنهم إنما ابتغوا اتّفاق الأسماء .

وما بالُ من زعم أنّ الأسَد والذئب والضبع والثعلبَ وابنَ آوى كلابٌ أحقُّ بالصواب ممّن زعم أنّ الجواميس ضأنٌ والبقر ضأنٌ

---

(١) فقه اللغة : « من الأشياء فى الخير والشر » ، وفى الثمار « من جميع الأشياء من الخير والشر » .

(٢) انظر ماسبق فى ١ : ٣٤١ .

(٣) فقه اللغة : « وحر سقره » ، وفى الثمار : « وسقره » .

(٤) أراد : « تتسافد وتتلاقح » فحذف إحدى التاءين .

[و](١) الماعزُ كلها شيء واحد . وهذا أقربُ إلى الإمكان ؛ لتشابهها فى الظِّلف والقُرون والكروش(٢) وأنَّها تجترُّ . والسِّنَّور والفهد والنمر والبَبْر والأسد والذئب والضبع والثّعلبُ إلى أنْ تكونَ شيئاً واحداً أقرب . وعلى أنَّنا لم نتبينْ إلى السَّاعة أنَّ الضِّباعَ والكلابَ وبناتِ آوى والذئابَ تتلاقح ؛ ومارأينا(٣) على هذا قط [سِمْعا(٤)] ولا عِسْباراً ، ولا كلَّ ما يعُدُّون . وما ذِكْرهم لذلك إلاَّ من طريق الإخبار عن السُّرعة ، أو عن بعضِ ما يُشبه ذلك . فأمَّا التلاقُح والتركيب العجيب الغريب ، فالأعرابُ أفطنُ — والكلام عندَهم أرخص(٥) — منْ أن يكونوا وصَفُوا كلَّ شيءٍ يكون فى الوحش ، وكلَّ شيءٍ يكون فى السّهل والجبل ، مما إذا جمع(٦) جميعُ أعاجيبه لم يكنْ أظرفَ ولا أكثرَ مِمَّا يدَّعون من هذا التَّسافُد والتّلاقُح والتراكيب فى الامتزاجات . فكيفَ يَدَعُون ما هو أظرَفُ ، والذى هُو أعجبُ وأرغب ، إلى ما يستوى فى معرفته جميعُ الناس ؟ !

(تتمَّة القول فى الحديث السابق)

وقال آخرون : ليس الكلبُ من أسماء الأسد ، كما أنْ ليس الأسد من أسماء الكلب ، إلاَّ على أنْ تمدحُوا كلبَكم فيقول قائلكم : ما هو إلاَّ

---

(١) الزيادة من س .
(٢) ط : « الكبوش » ، والوجه ما أثبت من س .
(٣) ط « ما رأيناها » ، وهو تحريف ما فى س .
(٤) الزيادة من س . وقد سبق الكلام على « السمع » فى الجزء الأول ص ١٨١ — ١٨٣ .
(٥) س : « أدحض » .
(٦) ط : « أجمع » . وتصحيحه من س .

الأسَد ؛ وكذلك القول فى الأسَد إذا سمَّيتموه كلباً ، وذلك عند إرادة التصغير والتحقير ، والتأنيب والتقريع ؛ كما يقال ذلك للإنسان على جهة التشبيه . فإن كان النبى صلى الله عليه وسلم [قال ذلك فإنَّ ذلك على بعض ما وصفْنا لك . ويقول أهــل حمص : إنهم لا يُغلَبون ؛ لأن فيها نورَ الله فى الأرض[١] . وما كلبُ الله إلا كنُور الله . والله ، تبارك وتعالى عُلوًّا كبيرا ، لا تُضافُ إليه الـكلابُ والسنانيرُ والضِّباعُ والثعالب . والنبى صلى الله عليه وسـلم][٢] لم يقل هذا قطُّ . وإنْ كان قالَه فعلى صلةِ كلامٍ أو على حكايةِ كلام .

وقال صاحب الـكلب : قد وضَح الأمر ، وتلقَّاه الناس بالقَبول ، فى أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أ كَلَكَ كلبُ الله » وهو يعنى الأسد . ومن دفع[٣] هذا الحديثَ فقد أنـكرَ علاماتِ الرسول صلى الله عليه وسلم .

(التسمية بمشتقات الـكلب)

والنَّاسُ قد سمَّوا الناسَ بكلبٍ وكُليب وكِلاب وأكلُب ومكاليب ومكالبة بنو ربيعة[٤] ، وكليب بن ربيعة بن عامر . وفى العرب من

---

(١) لعلهم كانوا يعنون بذلك ما بها من قبور أولاد جعفر الطيار ، كما فى معجم البلدان (حمص) . وقال ياقوت : « إن أشد الناس على على رضى الله عنه ، بصفين مع معاوية كان أهل حمص ، وأكثرهم تحريضاً عليه وجدا فى حربه ، فلما انقضت تلك الحروب ، ومضى ذلك الزمان ، صاروا من غلاة الشيعة ، حتى إن فى أهلها كثيراً ممن رأى مذهب النصيرية ، وأصلهم الإمامية ، الذين يسبون السلف . فقد التزموا الضلال أولا وأخيرا » .

(٢) الزيادة من س .

(٣) ط : « رفع » ، وتصحيحه من س .

(٤) قارن هذا بما فى الجزء الأول ص ٣١٣ — ٣١٧ .

القبائل كلب ، وبنو الكلْبة ، وبنو كلاب[١] ، وأكلبُ بن ربيعةَ بنِ نزار عِمارةٌ ضخمةٌ[٢] . وكلْب بن وَبْرة جِذْمٌ من الأجذام[٣] وهم نفر جُمجُمة[٤] ، وكلٌّ سادات[٥] فهو يكنى أبا كليب ، ومن ذلك عمرو ذو الكلب[٦] ٦٨ وأبو عمرو الكلب الجرمى[٧] وأبو عامر الكلب النحوى . وكيف لايجوز مع ذلك أنْ يسمِّىَ الأسد بالكلب ، وكلٌّ هؤلاء أرفَعُ من الأسد؟ !

وقد قالوا : كلب المـاء ، وكلبُ الرحى . والضَّبَّة[٨] التى فى الرحل يقال لها الكلب ، والكلب : الخشبة التى تمنع الحائطَ من السُّقوط

---

(١) فى ش بعد هذا زيادة « وبنو كلب » .

(٢) العمارة : أصغر من القبيلة ، أو الحى العظيم .

(٣) الجذم : الأصل .

(٤) كذا فى ط ، م . وفى س : « وهم بعد جمجمة » .

(٥) كذا فى ط . وفى س : « شاداب » . وفى م : « شادات » .

(٦) اسمه عمرو بن العجلان بن عامر ، وهو من بنى هذيل . قال ابن الأعرابى : سمى ذا الكلب لأنه كان له كلب لا يفارقه . وقال أبو عبيدة : وإنما خرج غازيا ومعه كلب يصطاد به ، فقال له أصحابه : ياذا الكلب ! فثبتت عليه . وكان يغزو بنى فهم غزوا متصلا . فنام ليلة فى بعض غزواته فوثب عليه نمران فأكلاه ، فادعت فهم قتله ، وقالت أخته ريطة ترثيه بقصيدة أولها :

كل امرئ لمحال الدهر مكروب ... وكل من غالب الأيام مغلوب

تقول فيها :

الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها ... مثعنجر من نجيع الجوف أسكوب

والتارك القرن مصفرا أنامله ... كأنه من رجيع الجوف مخضوب

تمشى النسور إليه وهى لاهية ... مشى العذارى عليهن الجلابيب

والمخرج العاتق العذراء مذعنة ... فى السبى ينفح من أردانها الطيب

الأغانى ٢٠ : ٢٢ — ٢٣ .

(٧) انظر الجزء الأول ص ٣١٥ .

(٨) الضبة هنا يراد بها الحديدة العقفاء التى تكون فى طرف الرحل ، تعلق فيها المزاود والأداوى .

وتُشخَص فى القناطر والمسنَّيات [١] .

والكلب الذى فى السماء ذو الصُّوَر [٢] .

ويقال : داء الكَلَب ، وقد اعتراه فى الطعام كلب ، وقد كلب عليهم فى الحرب ، و « دِمَاءُ القوم للكَلْبى شفاء » [٣] .

ومنه الكلْبة والكلْبتان [٤] والكُلَّاب [٥] والكلُّوب [٦] ثمَّ المكلِّب والمكلب [٧] وهذا مختلف مشتقٌّ من ذلك الأصل .

ومنه عَلُّويَهْ [٨] كلب المطبخ ، وحمويه كلب الجنّ .

---

(١) المسناة : السد يعترض به الوادى ليحبس الماء .

(٢) الصورة : مجموعة من الكواكب من الثابتة . وللكلب ثلاث صور : الصورة الأولى ، صورة العواء وهى من الصور الشمالية . والصورة الثانية : صورة الجبار وهو الكلب الأكبر ، وهو الشعرى العبور والشعرى اليمانية . والثالثة صورة الكلب الأصغر ، وهو الشعرى الشامية . وهاتان الصورتان من الصور الجنوبية . انظر مفاتيح العلوم ١٢٣ – ١٢٤ ونثار الأزهار ١٧٤ ، ١٧٧ .

(٣) هو عجز بيت لعوف بن الأحوص ، وصدره كما فى ص ٨ – ٩ من هذا الجزء :

* ولا العنقاء ثعلبة بن عمرو *

(٤) الكلبتان : آلة للحداد يأخذ بها الحديد المحمى ، وهو لفظ ملازم للتثنية .

(٥) الكلاب ، بضم الكاف وتشديد اللام : الحديدة التى على خف الرائض للدابة ، وجمعها كلاليب . وتسمى المهماز أيضاً .

(٦) الكلوب : المنشال أى آلة نشل الشىء ورفعه . وقال اللحيانى : الكلاب والكلوب : السفود لأنه يعلق الشواء ويتخلله .

(٧) المكلب ، بكسر اللام المشددة : الرجل الذى يعلم الكلاب أخذ الصيد . والمكلب ، بفتح اللام المشددة : الكلب قد عامه صاحبه أخذ الصيد ، أو أحد اللفظين هو (المكلب) كمحسن ، وهو الرجل الذى كلبت إبله : أى أصابها الجنون .

(٨) ط : « علوبة » ، وتصحيحه من س .

(بين أبي علقمة المزني وسوار بن عبد الله)

ولما شهدَ أبو علقمة المُزَنيُّ عند سوّار بنِ عبد الله[1] أو غيره من القضاة [و[2]] توقَّفَ في قَبول شهادته ، قال له أبو علقمة : لم توقَّفتَ في إجازة شهادتي ؟ قال : بلغني أنَّك تلعَب بالكِلاب والصُّقور . قال : مَنْ خبَّرك أنّي ألعب فقد أبْطَل ، وإذا بلغك أنّي أصطادُ بها فقد صدَقَك مَنْ أبلغك ، وإنِّي أخبرك أنّي جادٌّ في الاصطيادِ بها غيرُ لاعبٍ ولا هازئٍ ، فقد وقَفَ المبلِّغ بك على فرقِ مابينَ الجدِّ واللَّعب . قال : ماوقَفَ ولا وقَّفته عليه . فأجازَ شهادتَه .

(قوله تعالى : يَسْأَلونَكَ ماذَا أُحِلَّ لَهُمْ)

وقد قال الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ﴾ فقال لنبيِّه : ﴿ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ . فاشتقَّ لكلِّ صائدٍ وجارحٍ كاسب مِنْ بازٍ ، وصقرٍ ، وعُقاب ، وفَهْد ،

---

(١) هو سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة ، أبو عبد الله العنبرى البصرى ، نزل بغداد ، وولى بها قضاء الرصافة ، وكان فقيها فصيحا ، أديبا شاعرا ، وقد وثقه كثيرون ، منهم أحمد بن حنبل ، وتوفى سنة خمس وأربعين ومائتين . (تاريخ بغداد ٤٧٨٨) .

ومن بلاغاته وورعه ما قالوا ، إنه دخل على محمد بن عبد الله بن طاهر ، فقال : أيها الأمير ، إنى جئتك فى حاجة رفعتها إلى الله قبل رفعها إليك . فإن قضيتها حمدنا الله وشكرناك ، وإن لم تقضها حمدنا الله وعذرناك ! فقضى جميع حوائجه .

(٢) ليست بالأصل .

وشاهِينٍ ، وزرَّقٍ ويؤيؤ ، وباشق ، وعَنَاق الأرض[1] ، من اسم الكلب . وهذا يدلُّ على أنّه أعمُّها نفعاً ، وأبعدها صِيتاً ، وأنبهها ذكراً . ثمَّ قال : ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسمَ اللهِ عَلَيْهِ ﴾ فذكر تعليمَهم لها إذ أضافَ ذلك إلى نفسه ، ثمَّ أخبرَ عن أدَبها وأنَّها تُمسك على أربابها لاعلى أنفسها . وزعَم أصحاب الصَّيْد أنْ ليس فى الجوارح شيءٌ أجدرُ أن يُمسِكَ على صاحبه ولا يُمسِكَ على نفسه من الكلب .

(تأويل آية أصحاب الكهف)

قال الله تعالى لنبيِّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ[2] أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَبًا . إذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهفِ فَقَالُوا : رَبَّنَا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَدًا ﴾ . فخبَّر كما ترى عن دعائهم وإخلاصهم ، ثمَّ قال جلّ وعزَّ : ﴿ فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ فى الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً . ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً ﴾ ثمَّ قال عزَّ وجلّ : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالحَقِّ إنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْناهُمْ هُدًى . وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إذْ قَامُوا فَقَالُوا : رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلٰهًا لَقَدْ قُلْنَا ٦٩

---

(١) عناق الأرض : دويبة أصغر من الفهد ، طويل الظهر ، يصيد كل شيء حتى الطير .

(٢) ليست بالأصل .

إذًا شَطَطاً﴾ ثم قال : ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا . وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ ثمّ قالَ بعدَ هذه الصِّفة لحالهم ، والتمكين لهم من قلوب السّامعين ، والأعجوبةِ التى أتاهم بها : ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ ثُمّ قَال : ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ فخبَّر أنّهم لم يستصحبوا مِن جميع مَن يألف الناس ويرتفقون به ، ويسكنون إليه ، شيئاً غيرَ الكلب ؛ فإنّ ممّا يألفُ النَّاس ويرتفقون به ، ويسكنون إليه : الفرسَ والبعيرَ ، والحمار والبغل ، والثّورَ والشاة ، والحمامَ والدِّيكة ، كلّ ذلك مما يرتَفق [به [1]] ، ويُستصحب فى الأسفار ، وينقَل من بلدٍ إلى بلدٍ .

والناس يصطادون بغير الكلب ، ويستمتعون بأمور كثيرة ، فخبَّر عنهم بعد أن جعلهم خياراً أبراراً ، أنّهم لم يختاروا استصحابَ شيءٍ سوى الكلب ، وليس يكون ذلك من الموفّقين المعصومين المؤيَّدين ، إلّا بخاصّةٍ فى الكلب لاتكون فى غيره .

ثمَّ أعاد ذكر الكلب ، ونبّأ[2] عن حاله ، بأنْ قال عزَّ وجلَّ : ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا . سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَايَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ . فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ

---

(١) ارتفق يتعدى بالباء ، فزدت هذه .
(٢) فى الأصل : « ونبه » .

إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ وفى قولهم فى الآية : ﴿ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الكلبَ رفيعُ الحال ، نبيه الذِّكر ، إذ جُعِل رابعَهم ، وعُطف ذِكرُه على ذكرِهِمْ ، واشتَقَّ ذكْره من أصل ذكرهمْ ، حتَّى كأنَّه واحدٌ منهم ، ومن أكفائهم أوْ أشباههِم ، أو ممَّا يقاربهم . ولولا ذلك لقال : سيَقُولون ثلاثَةٌ معهم كلبٌ لهم . وبينَ قول القائل معهم كلبٌ لهم ، وبين قوله رابعهم كلبهم — فرقٌ بيِّن ، وطريق واضح .

فإنْ قلتم : هذا كلام لم يحكه الله تعالى عن نفسه ، وإنَّما حكاه عن غيره ، وحيث يقول : ﴿ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ وَقَدْ صَدَقْتم ، والصِّفة على ما[١] ذكرتم ؛ لأنَّ الكلامَ لو كان منكراً لأنكره الله تعالى ، ولو كان معيباً لعابه الله ، فإذْ[٢] حكاه ولم يَعِبْهُ ، وجعله قرآناً وعظّمه بذلك المعنى ، ممّا لاينكَر فى العقل ولا فى اللغة ، كان الكلام إذا كان على هذه الصفة مثلَه ؛ إذ كان الله عزّ وجلّ المنزِ ل له .

٧٠

(الاستطاعة قبل الفعل[٣])

ومثلَ ذلك مثَّلَ بعضُ المخالفين فى القدَر ، فإنّه سأل بعضَ أصحابنا فقال : هل تعرفُ فى كتاب الله تعالى أنَّه يُخبِرُ عن الاستطاعة ، أنّها قبلَ

---

(١) س ، ط : « من » ، وتصحيحه من م .

(٢) فى الأصل : « فإذا » .

(٣) للقول بالاستطاعة قبل الفعل أصل من أصول المعتزلة ، ينافحون عنه . ولابن حزم بحث قوى فى هدم هذا الأصل وتفنيده . الفصل (٣ : ٢٦ — ٤٣) .

الفعل ؟ قال : نعم ، أتى كثيرٌ ، مِنْ ذلك قولُه تعالى : ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ . قال المخالف : سألتك أنْ تخبرنى عن الله ، فأخبرتنى عن عفريتٍ لو كان بينَ يدىَّ لبزَقتُ فى وجهه ! قال صاحبُنا : أمّا سليمانُ النبىُّ ، صلى الله عليه وسلم ، فقد تركَ النَّكيرَ عليه ، ولو كان مثلُ هذا القول كفرًا وافتراءً على الله ، ومغالبةً وتفويضاً للمشيئة إلى نفسه ، لكان سليمانُ ومَن حضره من المسلمين من الجنِّ والإنس أحقَّ بالإنكار ، بل لم يكن العِفريتُ فى هذا الموضع هو الذى يسرع فيه ويذكر الطاعة ، ولا يتقرَّب فيه بذكر سرعة[١] النفوذ ، ويبشر فيه[٢] بأنّ معه من القوَّة المجعولة مايتَهَيأ لمثله قضاءُ حاجته ، فيكذب ثمَّ لايرضى بالكذب حتَّى يقول قولا[٣] مستنكراً ، ويدَّعى[٤] قوَّة لاتُجعَل له ، ثمّ يستَقبل بالافتراء على الله تعالى والاستبدادِ عليه ، والاستغناء عنه ـ نبيًّا[٥] قدْ ملك الجنَّ والإنس ، والرِّياحَ والطير ، وتسْييرَ الجبال ، ونطقَ كلِّ شىء ، ثمَّ لايزجره فضلًا عن أنْ يضربَه ، ويسجُنه فضلًا عن أن يقتله .

وبعدُ ، فإن الله تبارك وتعالى لم يجعل ذلك القولَ قرآنا ، ويترك التنبيه على ما فيه من العَيب ، إلّا والقول كان صِدقًا مقبولا .

---

(١) ط : « بساعة » ، وتصحيحه من س .

(٢) س : « ويشر » !

(٣) « ولا » ، وصوابه فى س .

(٤) ط : « مستنكر أو يدعى » ، وتصحيحه من س .

(٥) ط : « وبيننا من » ، وصوابه من س .

وبعد ، فإن هذا القولَ قد سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلاهُ على الناس ، وما زالوا يتلونه فى مجالسهم ومحاريبهم ، أفَما كان فى جميع هؤلاء واحدٌ يعرف معرفتك ، أو يغضَبُ لله تعالى غضبك ؟ !

(دفاع عن الكلب)

قال صاحب الكلب : لو اعترضْتَ جميعَ أهل البدو فى جميع الآفاق من الأرض ، أنْ تُصِيبَ[١] أهلَ خيمةٍ واحدة ، ليس عندهُمْ كلبٌ واحد فما فوقَ الواحد لَما وجدته . وكذلك كانوا فى الجاهليَّة ، وعلى ذلك هم فى الإسلام . فمن رجَع بالتخطئة على جميع طوائف الأمم ، والتأنيبِ والاعتراض على جميع اختيارات الناس ، فليتَّهم رأيَه ؛ فإنَّ رأىَ الفردِ ولا سيّما الحسودُ ، لايَفِى برأى واحد ، ولا يرى الاستشارة حظا[٢] وكيف بأنْ يَفِىَ بجميع[٣] أهل [البدو][٤] من العرب والعجم . والدليل على أنَّ البَدْوَ قد يكون فى اللُّغة لهما[٥] جميعاً قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ ولو ابتُلى صاحبُ هذا القول بأنْ يَنزل البادية ، لتحوَّل رأيُه ، واستبدَلَ به رأىَ

٧١

---

(١) ط : « يصيب » ، وأثبت الصواب من س .

(٢) كذا ولعل الكلام « ولا سيما الحسود الذى لايرى الاستشارة حظا لايفى برأى واحد » .

(٣) فى الأصل : « لجميع » ، والوجه ماأثبت .

(٤) التكملة من س .

(٥) ط : « لها » ، والوجه ماأثبت من س . ومعاد الضمير إلى العرب والعجم .

من قد جرّب تقريبَ الكلب وإبعادَه . [وقد قال أبو عبَّادٍ النميرى : لا يكون البُنْيَان[١] قريَةً حتى ينبحَ فيه كلبٌ ، ويزْقوَ فيه ديك[٢]] .

[ولَمَّا][٣] قال أحمدبنُ الخارَكى[٤] : لاتَصير القريةُ قريَةً حتَّى يصيرَ فيها حائكٌ ومعلِّمٌ ، قال : أبو عبَّاد[٥] : يا مجنونُ ! إذا صارتْ إلى هذا فقد صارت مدينة .

وللكلب[٦] إثباتُه وجهَ صاحبِه ، ونظرُه فى عينيه وفى وجهه ، وحبُّه له ، ودنُوُّه منه ، حتَّى ربَّما لاَعبه ولاعب صبيانَه بالعضِّ الذى لا يؤثِّر ولا يُوجِع ، وهى الأضراسُ التى لو نشَّبها[٧] فى الصخر لنَشِبت ، والأنيابُ التى لو أنحى بها[٨] على الحصَى لرضَّها .

---

(١) فى الأصل : « البستان » ، والوجه ما أثبت وهو الموافق لما سيأتى فى ص ٢٤٢ من هذا الجزء .

(٢) الزيادة من س .

(٣) زيادة يتطلبها الكلام .

(٤) فى الأصل : « الحاركى » . وفى البخلاء ١٠٥ ، ١٠٦ « أحمد بن الحاركى » والصواب ما أثبت ، وهو منسوب إلى (خارك) جزيرة فى وسط البحر الفارسى ، كما فى معجم البلدان . وهو أحمد بن إسحاق الخاركى البصرى . وانظر طبقات ابن المعتز ٣٠٦ وفيه « الخارجى » ، تحريف ، والفهرست ٢٣٣ وحواشى معجم المرزبانى ٤٣١ .

(٥) هو أبو عباد الكاتب ، كاتب أحمد بن أبى خالد . وأبو عباد هو القائل : إذا أنكر القائل عينى المستمع ، فليستفهمه عن منتهى حديثه ، وعن السبب الذى أجرى ذلك القول له ، فإن وجده قد أخلص له الاستماع ، أتم له الحديث ، وإن كان لاهيا عنه ، حرمه حسن الحديث ، ونفع المؤانسة ، وعرفه بفسولة الاستماع والتقصير فى حق المحدث » . انظر البيان ٢ : ٤١ ، ٩١ .

(٦) فى الأصل : « والكلب » ، والوجه ماأثبت .

(٧) أنشبه ونشبه بمعنى .

(٨) ط : « أنحا بها » ، والصواب من س .

وقد تراه وما يصنع بالعظْم المدمَج ، وبالفِقْرة من الصُّلب القاسى الذى ليس بالنَّخِر البالى ، ولا بالحديثِ العهدِ بالودَك الذى يلين معه بالمضْغ ويَطيب ، فتراه كيف يرضُّه ويفتّته ، ثمَّ إن مانَعَه بعضَ الممانعةِ ، ووافقَ منه بعضَ الجوع ، كيف يبتلِعه وهو واثق بِاستمرائه وهضْمه ، أو بإذابته وحَلِّه .

وله ضروبٌ من النَّغَم ، وأشكال من الأصوات ، وله نوح وتطريب ، ودُعاء وخُوار[1] ، وهَرِير وعُواء ، وبَصبصة ، وشىءٌ يصنَعه عند الفرح ، وله صوتٌ شبيهٌ بالأنينِ إذا كان يَغْشَى الصيد ، وله إذا لا عَبَ أشكالَه فى غُدُوات الصَّيفِ شىءٌ بينَ العُواء والأنين .

وله وَطءٌ للحصى مثله بأن لو وطىء الحصى على أرض السطوح لايكون مثله وطء الكلب يربى على وزنه مرارا[2] .

وإذا مرَّ على وادٍ جامدٍ ظاهرِ المـاء ، تنكّبَ مواضعَ الخرير فى أسفله .

قال الشاعر — ورأى رجلاً اسمُه وثَّاب واسم كلبِه عمرو — فقال :

ولو هَيَّـا له الله مِن التَّوفيق أسبابا[3]
لسمَّى نفسَه عَمْرًا وسمَّى الكلبَ وَثَّابا

---

(١) فى القاموس : « الخوار بالضم : من صوت البقر والغنم والظباء والسهام » . فاستعماله هنا فى غير موضعه الأصيل .

(٢) كذا ، ووجه العبارة عندى : « وله وطء للحصى مثله (بعضهم) بأن لو وطىء (الخصى) على أرض السطوح لا يكون (وطؤه) مثل وطء الكلب أو وزنه — أى وزن الخصى — يربى على وزنه مراراً » . ووطء الخصى للأرض يوصف بالشدة لأسباب طبيعية ذكرها الجاحظ فى الجزء الأول ص ١١٦ .

(٣) سبق الكلام فى هذا الشعر وصاحبه ص ٢٢ من هذا الجزء .

(أطْباء الكلبة والخنزيرة والفهدة)

قال : والكلبة كثيرةُ الأطْباءِ ، وكذلك الخنزيرة . وللفَهدة أربعة أطباء من لَدُنْ صدرِها وقرب إبِطيها إلى رُفغيها[1] . وللفيل حلمتان تصغُران[2] عن جثّته . وهما ممّا يلى الصَّدر مثل الإنسان ، والذّكرُ فى ذلك يشبَّه بالرجل ؛ لأنّ للرجل ثديَين صغيرَين عن جثّته .

(واقية الكلاب)

ويقال : إنّ [على[3]] الكلابِ واقيةً من عبَث السُّفهاء والصِّبيان بها . قال دُريد بن الصِّمّة ، حين ضرَبَ امرأتَه بالسيف ولم يقتلْها[4] :

أقَرَّ الْعَينَ أَنْ عُصِبَت يداها وما إن يُعصَبان على خِضَابِ

٧٢

(١) الرفغ بالفتح ويضم : أصل الفخذ .

(٢) فى الأصل : « حلمان يصغران » ! .

(٣) التكملة من س .

(٤) فى الأغانى ٩ : ٩ عن ابن الأعرابى : « تزوج دريد بن الصمة امرأة فوجدها ثيبا وكانوا قالوا له إنها بكر ، فقام عنها قبل أن يصل إليها، وأخذ سيفه فأقبل به إليها ليضربها ، فتلقته أمها لتدفعه عنها ، فوقف يديها — أى حزهما ولم يقطعهما — فنظر إليها بعد ذلك وهى معصوبة فقال : أقر العين » البيتين . ثم قال « قالوا : يريد أن الكلب يصيبه الجرح فيلحس نفسه فيبرأ » . والميدانى فى الأمثال ٢ : ٢٨٩ يقول : إن الواقية مصدر كالعاقبة ، والكاذبة ، وذكر المثل « واقية كواقية الكلاب » وقال : « أى وقاية كوقاية الكلاب على ولدها . وهى أشد الحيوانات وقاية لأولادها » . وقال الثعالبى فى ثمار القلوب ٣١٨ : « يضرب مثلا للخسيس إذا كان موقى » .

فأبقاهُنَّ أنَّ لهنَّ جدًّا(١) وواقية كواقية الكلاب

وقال الآخر :

إنْ يَقِنَا اللهُ مِنْ شرِّها فإنَّ الكلابَ لها واقيَه(٢)

ويروى :

* سيُنْجِيه مِنْ شرِّها شرُّه *

وقال غيره(٣) :

ولقدْ قتلتُك بالهجاءِ فلم تمُتْ إن الكلاب طويلة الأعْمارِ

وقال بِشر بن المعْتمر :

الناسُ دَأباً فى طلاب الثَّرَا(٤) فكُلُّهم من شأنه الخَتْرُ(٥)

كأذؤبٍ تنهَشها أذْؤبٌ لها عُواءٌ ولها زَفرُ(٦)

(١) فى الأصل : « جلدا » ، وإنما هو « جدا » بمعنى حظا كما فى الأغانى . وفى ثمار القلوب : « لؤما » . والبيت السابق لهذا يروى لحسان بن ثابت فى جملة أبيات رواها ابن هشام فى السيرة ٥٧٠ جوتنجن ، برواية : « أقر العين أن عصبت يداه » .

(٢) ط : « فإن الكلب » وتصحيحه من س .

(٣) فى المستطرف ٢ : ٧١ أنه أبو زيد العبدى .

(٤) فى الأصل وكذا فى اللسان : « الثرى » بالياء . وإنما هى مقصور « الثراء » بمعنى « الغنى » .ويؤيد ماأثبت رواية البيت فى الجزء السادس بلفظ « الغنى » .

(٥) ط : « رأى الناس رأيا » وفى س ، م : « أرى الناس دأبا » وهو تحريف صوابه من الحيوان ٦ : ٩٢ حيث توجد القصيدة جميعها ، ومن اللسان (مادة ربح) حيث يروى ابن منظور تسعة أبيات منها . و « دأبا » مصدر لفعل محذوف تقديره « يدأبون » ، وهذا الفعل المحذوف وفاعله خبر للمبتدإ « الناس » . وحذف عامل المصدر إذا كان خبراً عن أسماء الأعيان جائز . انظر التصريح ١ : ٣٣٢ .

(٦) فى الأصل : « تنهشها أكلب » ، وتصحيحه من الجزء السادس من الحيوان ومن اللسان . قال الجاحظ فى تفسير ذلك فإنها – يعنى الذئاب – قد تتهارش على الفريسة ولا تبلغ القتل ، فإذا أدمى بعضها بعضاً وثبت عليه فزقته وأكلته . وقال الراجز :

فلا تكونى يا ابنة الأشم ورقاء دمى ذئبها المدمى

وقال الفرزدق :

وكنت كذئب السوء لما رأى دما بصاحبه يوما أحال على الدم

(استطراد لغوى)

قال : ويقال قَزَح الكلب ببوله يقزَح قزْحاً ، إذا بال . قال : وقال أبو الصَّقر : يقزَح ببوله حين يبول ، وشغَر الكلب يشغَر إذا رفع رجْلهُ ، بال أو لم يبل . ويقال شغرتُ بالمرأة[١] أشغرُها شغْرًا[٢] إذا رفعتَ رِجلَها للنِّكاح . قال : ويقال عاظَل الكلبُ مُعاظَلةً ، يعنى السِّفاد ، قال أبو الزحف[٣] :

كمِشْيَةِ[٤] الكلبِ مَشَى للكلبَةِ ... يَبغى العِظالَ مُصْحِرًا[٥] بالسَّوءَة

قال : ويقال كلبٌ عاظِل وكلابٌ عُظَّل وعَظَالى .

وقال حسّان بن ثابت الأنصارى :

ولَست بخَيرٍ من يَزِيدَ وخَالدٍ ... ولست بخَيْر من معاظلة الكلبِ[٦]

---

(١) مثله شغرتها وأشغرتها كما فى اللسان .

(٢) الوجه « أشغر بها شغرا » ، أو « شغرتها أشغرها شغرا » .

(٣) أبو الزحف هو ابن عطاء بن الخطفى — ابن عم جرير بن الخطفى — وعمّر أبو الزحف حتى بلغ زمان محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس . وهو القائل :

أشكو إليك وجعاً بركبتى ... وهدجانا لم يكن من مشيتى

كهدجان الرأل خلف الهيقة ... مزوزيا لما رآها زوزت

انظر الشعراء لابن قتيبة ٦٦٩ — ٦٧٠ .

(٤) فى الأصل : « كشية » .

(٥) فى الأصل : « مصخرا » وإنما هو « مصحرا » . والإصحار : المجاهرة .

(٦) هذا البيت ليس فى ديوان حسان . ووجدته فى العمدة (١ : ١١٦) . قال ابن رشيق : « والتصريع يقع فيه من الإقواء ، والإكفاء ، والإيطاء ، والسناد ، والتضمين — ما يقع فى القافية . فمن الإقواء ما أنشده الزجاجى وهو قول بعضهم :

ما بال عينك منها الماء مهراق ... سحا فلا غارب منها ولا راقى

ومن الإكفاء قول حسان بن ثابت . أنشده الجاحظ :

ولست بخير من أبيك وخالكا ... ولست بخير من معاظلة الكلب

وانظر الاستدراكات :

قال مالكُ بن عبد الله الجَعْدىّ ، يوم فيفِ الرِّيح[١] : حدَّثنى أبى ، لقدْ نظرتُ يَوْمَئِذٍ إلى بنى عبد الحارث بن نُمير ، فما شبَّهتُهم إلاَّ بالكلاب المتعاظلة حَوْلَ اللواء .

وقال أبو بَرَاء عامرُ بن مالكٍ ملاعبُ الأَسِنَّة[٢] ـ لا عبه الحارث واليوم قال فقال[٣] منذ يومئذ .

قال : والسَّلوقيّة منسوبَةٌ إلى سَلوقَ من بلاد اليَمن ، لها سلاحٌ جيِّد وكلاب فُرَّه[٤] . وقال القَطَامىُّ :

معه ضَوَارٍ مِنْ سَلوقَ له طَوْرًا تُعانِدُه وتنفعه[٥]

(تعفير البهائم والسباع أولادها)

قالُوا : وليس فى الأَرض بهيمةٌ [ولا سبع أنثى تريد فِطامَ ولدها وإخراجَه من اللَّبَن إلى اللحم ، أو من اللبَنِ إلى العُشْب ، إن كانت بهيمةً

(١) كذا . ولعل الكلام « وقد ذكر يوم فيف الريح » .

(٢) هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، فارس قيس ، وسمى ملاعب الأسنة لقول أوس بن حجر فيه :

ولاعب أطراف الأسنة عامر فراح له حظ الكتيبة أجمع

وهو عم لبيد الشاعر ، وهو كذلك عم عامر بن الطفيل . وفى العامرين قالوا : « أفرس من ملاعب الأسنة » و « أفرس من عامر » . انظر الأغانى (١٤ : ٩٠) وأمثال الميدان (٢ ، ٢٩) وقالوا : أخذ ملاعب الأسنة أربعين مرباعا فى الجاهلية ــ والمرباع : ربع الغنيمة يأخذه رئيس القوم لنفسه . (بلوغ الأرب ٢ : ١٢٧) وتوفى ملاعب الأسنة فى نحو سنة ١٠ من الهجرة.

(٣) كذا جاء النص ، وفيه اضطراب . وفى س : « قال فقالوا » بدل « قال فقال » .

(٤) فره : جمع فاره ، مثل راكع وركع .

(٥) لم أجد هذا البيت فى ديوان القطامى ، ووجدت شبيها به ، من قصيدة نونية ص ١٧ وهو :

معهم ضوار من سلوق كأنها حصن تجول تجرر الأرسانا

إلاَّ وهى تعفر ولدَها . والتعفير : أن ترضعَه وتمنعه حتّى يجوع ويطلب اللحمَ إن كان سبعاً ، والعُشْبَ إن كان بهيمة[١]] ، فلا تزالُ تنوِّله وتُماطله ، [وكلما[٢]] مرَّتْ عليه الأيَّامُ كان وقتُ منعِها له أطولَ ، حتَّى إذا قوىَ على أكْل اللَّحْمِ أو العُشْب فطمته . قال لبيدٌ فى مثل ذلك :

أَفَتِلْكَ أَمْ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ خُذِلَتْ وَهَادِيَةُ الصِّوَارِ قِوَامُهَا[٣] ٧٣

خَنْسَاءُ ضَيَّعَتِ الْفَرِيرَ فَلم يَرِمْ عُرْضَ الشَّقَائِقِ طَوْفُهَا وَبُغَامُهَا[٤]

لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَهُ غُبْسٌ كَوَاسِبُ لاَ يُمَنُّ طَعَامُهَا[٥]

صَادَفْنَ مِنْهَا غِرَّةً فَأَصَبْنَهَا إنَّ المنَايا لا تَطِيشُ سِهامُها[٦]

لأنَّ البقرة إذا كانت بحضْرة ولدها لم تضيِّعه ومَنعت السِّباعَ منه ، وقاتلَتْ دونَهُ بقُرونها أشدَّ القتال ، حتَّى تُنجيَه أو تعطَب .

---

(١) هذه الزيادة من س .

(٢) الزيادة من س .

(٣) وحشية مسبوعة : بقرة من بقر الوحش أكل السبع ولدها . والسبع كل حيوان مفترس . وأراد بالهادية الفحل الذى يتقدم الصوار أى القطيع . فالتاء فيه للمبالغة كعلامة ونسابة . يقول جعلت هذه البقرة الهادية قوام أمرها ، فانطلقت وراءه ترعى وتركت ولدها فأفرده السبع فأكله ، فلما آبت لتفقده أضلته فانصرفت هائمة ثائرة فى طلبه .

(٤) الخنساء : القصيرة الأنف المتأخرته . والفرير : ولدها . والشقائق : جمع شقيقة ، وهى الأرض الصلبة بين رملتين . والطوف : الذهاب والمجىء . والبغام : صوتها . ولم يرم : لم يبرح .

(٥) المعفر : الذى ألقى على العفر وهو التراب ، أو المعفر : الذى تدرجت أمه معه فى فطامه ، كما سبق فى كلام الجاحظ . والقهد : الأبيض . والشلو : الجسد ، أو بقيته . والغبس : الكلاب ، أو الذئاب لها لون شبيه بالغبرة . وكواسب : تكسب الصيد . وما يمن طعامها : ما ينقص ، مثله قوله تعالى « فلهم أجر غير ممنون » .

(٦) صادفن : يعنى الكلاب أو الذئاب .

(بعض من كني بالكلاب)

[قال : و][1] كان ابنُ لِسَانِ الحُمَّرَة[2] يكنَى أبا كلابٍ[3] . وكان زوجُ حُبَّى المدَنيَّة يقال له ابن أمِّ كِلاب ، وقَال الشَّـاعر يذكرُها[4] :

---

(١) الزيادة من س .

(٢) ابن لسان الحمرة اسمه عبيد الله بن الحصين أو ورقاء بن الأشعر ، كما في القاموس والمعارف ٢٣٣ (وفي الفهرست ٩٩ ليبسك ، ١٣٢ مصر « ورقاء » وهو تحريف) وهو أعرابي من بني تيم الله بن ثعلبة ، وكان من علماء زمانه ، قال ابن قتيبة « وكان أنسب العرب وأعظمهم بصراً . دخل الكوفة ، وعليها المغيرة ابن شعبة ، وسألة المغيرة في طبائع قبائل من العرب ، وفي خلق النساء ، فأجاب أجوبة ممتعة ، تجدها في الأغاني ١٤ : ١٣٨ . وسأله معاوية يوما فقال له : بم نلت العلم ؟ قال : بلسان سئول وقلب عقول ! انظر الدميري برسم (الحمرة) وفي البيان ٣ : ١٦٢ « إذا سمعت حديث أبي نضرة وكلام ابن أبي بكرة فكأنك مع ابن لسان الحمرة» . والحمرة : طائر يشبه العصفور .

(٣) في الأصل : « أبو كلب » ، وتصحيحه من الحيوان ٢ : ٢٠٦ والمعارف ، والدميري ، وفهرست ابن النديم .

(٤) الشاعر هو هدبة بن خشرم العذري ، كما في أمثال الميداني (١ : ٣٥٣) . وحبى هذه امرأة كانت مزواجا ، فتزوجت على كبر سنها فتى يقال له ابن أم كلاب فقام ابن لها (كهل !) فمشى إلى مروان بن الحكم — وهو والي المدينة — وقال : إن أمي السفيهة ، على كبر سنها وسني ، تزوجت شابا مقتبل السن ، فصيرتني ونفسها حديثاً . فاستحضرها مروان وابنها ، فلم تكترث لقوله ، ولكنها التفتت إلى ابنها وقالت : يا برذعة الحمار ! أما رأيت ذلك الشاب المقدود العنطنط ، والله ليصرعن أملك بين الباب والطاق فليشفين غليلها ولتخرجن نفسها دونه ! ولوددت أنه ضب وأني ضبيبته وقد وجدنا خلاء ! فانتشر هذا الكلام عنهما ، فضربت بهما الأمثال . وقد حضرت حبى مصرع هدبة بن الخشرم حين قدم للقتل ، وهو في ذلك ينشد الأشعار فقالت له : ما رأيت أقسى قلبا منك ! أتنشد الأشعار وأنت يمضى بك لتقتل ، وهذه خلفك كأنها ظبي عطشان تولول ؟ ! تعني امرأته . فوقف ووقف الناس معه ، فأقبل على حبى فأنشد البيتين الآتيين . انظر أمثال الميداني والكامل ٧٦٦ ليبسك .

وَمَا وَجَدَتْ وَجْدِى به أُمٌّ واحدٍ ولا وجْدُ حُبِّى بابنِ أمٍّ كِلابِ
رأتْهُ طويلَ السَّاعدين شمَرْدَلاً كما انبعثتْ من قوّةٍ وشبَابِ[1]

(صفة عيون الـكلاب)

وقال آخر[2] يصِفُ عيونَ الـكلاب إذا أبصرت الصَّيد :

مُجزَّعَةٌ غُضْفٌ كأنَّ عيونَها
إذا آذَنَ القُنَّاصُ بالصَّيد عَضْرَسُ

مجزّعة : فى أعناقها جَزْع ، وهو الودَع يُجعَل فى القلائد . يقول : تبيضُّ عيونُها حينَ تختِلُ الصَّيد . والعَضْرَس هاهنا : البَرَد[3] .

وقَال الآخر :

خُوصٌ تَرَاح إلى الصُّراخِ إذا غَدَتْ
فِعْلَ الضِّراء تَرَاحُ للكَلاَّبِ[4]

وقال آخر وذكر الضِّراء ، وهو يصف الشَّيخ وضعْفَه :

ومنها أنْ يُقادَ به بَعِير ذَلُولٌ حينَ تَهتَرِشُ الـكِلابُ

---

(١) فى الميدانى : « عنطنطا » موضع « شمردلا » .
(٢) هو البعيث كما فى اللسان (عضرس) . وأنشده ، فى (حرج) بدون نسبة .
(٣) بمثل ذلك فسره الجوهرى ، لـكن عقب عليه ابن برى بقوله « والعضرس ههنا نبات له لون أحمر تشبه به عيون الـكلاب لأنها حمر ، وليس هوهنا حب الغمام كما ذكر – يعنى الجوهرى – إنما ذلك فى بيت غير هذا وهو :
فباتت عليه ليلة رجبية تحيى بقطر كالجمان وعضرس
قلت : ولامرئ القيس بيت يليق بتأويل ابن برى ، وهو كما فى الديوان ١٤٧ :
مغرثة زرقا كأن عيونها من الذمر والإيحاء نوار عضرس
(٤) ط : « الـكلاب » وتصحيحه من س والحيوان ٥ : ٣٤٣ .

قال : وهُم عند الحاجة يُعِدُّون الكلبَ والمطيَّة ، وأنشد[١] :

فأعقَبَ خيراً كلُّ أهوج مِهْرَجٍ وكلُّ مُفدَّاةِ العُلالة صِلْدِمِ[٢]

وقَال الآخر :

* مُفدَّيات وملقَّبات[٣] *

وأنشد قول أبي ذُؤَيب[٤] فى شبيهٍ بالمعنى الأوّل :

شغِفَ الكلابُ الضّارياتُ به فإذا يَرَى الصُّبْحَ المُصَدَّقَ يَفزَعُ

يقول : هذه الثِّيران لما قد لُقِّينَ[٥] مع الصبح والإشراق من

(١) البيت لأوس بن حجر فى ديوانه ١٢٠ تحقيق نجم وأمالى القالى ١ : ١٨٩ .

(٢) قال أبو على : « أهوج يعنى فرساً . أى أعقب خيراً ، مما أقاموا عليه وصنعوه . والأهوج : الذى يركب رأسه فيمضى » . والمهرج والهراج : الكثير الجرى . وفى الأصل : « مبرج » ، ولا وجه له ، وتصحيحه من الأمالى . والعلالة : الجرى بعد الجرى الأول . ومفداة العلالة : التى يقال لها إذا طلبت علالتها ويهاً ، فداء لك ! ! وفى ط : « معدات » وتصحيحه من س ومن الأمالى . والصلدم : الشديدة .

(٣) ط : « معديات وملقيات » . وانظر تائية أبى نواس المتقدمة ص ٣٨ .

(٤) ط : « ابن ذؤيب » ، س : « ابن أبى ذؤيب » وتصحيحه . من م . والبيت من قصيدة أبى ذؤيب الهذلى المشهورة التى مطلعها :

أمن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

وهى قصيدة مفضلية ، اختارها ابن عبد ربه فى العقد ٢ : ١٦٤ وقد رثى بها أبو ذؤيب أولاده وكانوا سبعة فماتوا كلهم إلا طفلا . ومنها البيت السائر :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لاتنفع

وقال فيها فى الطفل الذى بقى له :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

وقد روى صاحب اللسان (مادة شعف) وكذا الراغب فى المحاضرات ٢ : ٢٩٦ :

شعف الكلاب الضاريات فؤاده فإذا يرى الصبح المصدق يفزع

قال ابن منظور : « يقول : ذهبت بقلبه الكلاب فإذا نظر إلى الصبح ترقب الكلاب أن تأتيه » . والشطر الأول فى رواية الجاحظ عروضه حذاء .

(٥) فى الأصل : « لبسن » .

الكلاب ، صار [أحدها حين[١]] يَرَى ساطع الصبح يَفْزَعُ[٢] ؛ وذلك أنَّها تمطَرُ ليلتَها فتَشَرَّقُ فى الشمس[٣] ، فعندها تُرسَل عليها الكلاب .

٧٤

(صولة الذئب على الغنم مع الصبح)

ويقال إنَّ أكثرَ ما يعرِض الذِّئبُ للغنم مع الصُّبْح ، وإنَّما رقَب فتْرة الكلب وكلالَه ؛ لأنَّه باتَ ليلتَه دائباً يحرس .

وقَال أعرابىٌّ وكَسَرَ ذئب شاةً له مع الصُّبح[٤] ، فقال :

أودَى بوَردةَ أُمِّ الوَرْدِ ذو عَسَلٍ ... مِن الذِّئاب إذا ماراحَ أو بَكَرَا[٥]

لولا ابنُها وسَلِيلاَتٌ لها غُرَر ... ما انفكَّتِ العَينُ تُذْرِى دمعَها دِرَرَا[٦]

كأنَّما الذِّئبُ إذْ يعدو على غنَمى ... فى الصُّبح طالبُ وِترٍ كان فاتَّأرا[٧]

اعتامَها اعتامَه شَثْنٌ براثِنُه ... من الضَّوارِى اللّواتى تَقصِمُ القَصَرا[٨]

---

(١) زدت الكلمة الأولى ليستقيم الكلام . وأما الثانية فهى من س ، م .

(٢) فى الأصل : « فزع » .

(٣) كذا فى س ، ط . وفى م : « فتتشرق » . وبالرواية الأولى تكون إحدى التاءين قد حذفت تخفيفاً ، وذلك جائز وورد به القرآن قال تعالى : « ولا تيمموا » « ولاتبرجن » ، « ولقد كنتم تمنون » . ويتشرق : يجلس فى الشمس .

(٤) وكان يسمى هذه الشاة وردة ويجعل كنيتها أم الورد كما سيأتى فى ص ٢٧٦ من هذا الجزء حيث يعاد هذا الشعر .

(٥) يقال عسل الذئب يعسل – كيضرب – عسلا بالتحريك وعسلاناً : إذا اضطرب فى عدوه وهز رأسه .

(٦) أراد بالدرر الدموع الغزيرة ، وهى جمع درة بالكسر .

(٧) اتأر : أدرك وتره .

(٨) اعتامه : اختاره . ومنه قول طرفة فى معلقته :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى ... عقيلة مال الفاحش المتشدد

والشثن البراثن : الغليظها ، وعنى به السبع . وتقصم القصر : تقطع الرقاب ، وهى جمع قصرة بالتحريك .

(مسألة زيد الخيل للرسول الكريم)

ولما قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام لزيدِ الخيل مِن الخير ما قَال ، وسمَّاه زيدَ الخير ، ما سأله زيدٌ شيئاً ، ولا ذكر له حاجة ؛ إلاَّ أنَّه قال : يا رسول الله ، فينا رجُلان يقال لأحدهما ذَرِيح[1] ، والآخر يكنى أبا دُجانة ، ولهما أكلب خمسة تَصِيد الظباء ، فما ترى فى صيدهم[2] ؟ فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلّ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ ﴾ .

فأوَّلُ شيءٍ يعظِّم فى عينِك شأنَ الكلب ، أنَّ هذا الوَافدَ الكريمَ الذى قِيل له ما قيل ، وسُمِّى بما لم يسمَّ به أحد — لم يسأَلْ إلاَّ عن شأن الكلب .

وثانية وهى أعظمها : أنَّ الله تعالى أنزل فيه عند ذلك آياً مُحكَماً [فقال[3]] : ﴿ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ﴾ فسمَّى صيدَها طيِّباً ، ثم قال : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ مخبراً عنْ قَبولها للتعليم[4]

---

(١) روى الحديث برواية أخرى فى تفسير ابن أبى حاتم ، وهى أن عدى بن حاتم وزيد الخيل الطائيين جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : يارسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة ، وإن كلاب آل ذريح تصيد البقر والحمير والظباء . قال ابن حجر فى الإصابة ٢٤٣٩ : « فهذا يدل على أن ذريحاً بطن من طيىء . لااسم رجل بعينه » .

(٢) كذا .

(٣) التكملة من س .

(٤) ط : « للتعيم » ، وهو خطأ مطبعى فيما أحسب ، صوابه فى س .

والتأديب . ثمّ قال : ﴿ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ﴾ ولولا أنَّ ذلك البابَ من التعليمِ والعلمِ مَرْضِىٌّ عند الله عزّ وجلّ ، لَمَا أضافه إلى نفسه . ثم [قال[1]] : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ فأوّلُ شىءٍ يعظُم به فى عينك إمساكُه عليك . وهكذا يقول أصحابُ الصيَّد، إنَّ كلَّ صائدٍ فإنَّما يُمسِك على نفسه إلاّ الكلبَ فإنّه يُمسِك على صاحبه .

ولو كان الجوابُ لزيدِ الخيل سُنَّةً من سُنَن النبى صلى الله عليه وسلم لَكانَ فى ذلك الرِّفعةُ ، فكيفَ والكتابُ فوقَ السُّنَّة .

وقد روى هشام أنّ ابنَ عبَّاسٍ سَمَّى كِلابَ ذَريحٍ هذه وكلابَ أبى دُجانة فقال : المختلِس ، وغلاَّب ، والقَنيص ، وسَلهب ، وسِرْحان ، والمتعاطِس[2] .

(دواء الذُّبحة والخانوق)

وزعم الأطبَّاء أنَّ من أجودِ أدويَةِ الذُّبحة والخانوق[3] أنْ ينفح[4] فى حلق مَن كان ذلك به ، ماجَفّ من رَجيع الكلاب . وأجودُ ذلك أنْ يكون يتغرغر به وربَّما طلوْه على جلد المحموم[5] الحديدِ الحُمَّى[6] .

---

(١) زيادة يفتقر إليها الكلام .
(٢) ط : « المغناطيس » ، وأثبت مافى س . وانظر ماسبق فى ص ١٨ س ٤ .
(٣) الخانوق : داء يأخذ فى الحلق .
(٤) ينفح : بمعنى يدفع .
(٥) ط : « لحوم » وهو تحريف ما أثبت من س .
(٦) الحديد الحمى : الشديدها . وفى الأصل : « الحديد المحمى » .

(رجيع الكلاب)

٧٥ وأجود رجيع الكلابِ أنْ يشتدَّ بياضُه . وليس يعتريه البَياضُ إلاّ عن أكْل الطعام ، وذلك رديءٌ للقانص منها .

والجعور[١] قد تبيَضُّ إذا كان قوتُ صاحبها اللبن ، ولذلك قال أبو كلاب — وهو ابن لسان الحمَّرة[٢] — ومرَّ به رجلٌ من بنى أسد فقال : قد علمت العربُ يامعشَرَ بنى أسدٍ أنّكم أشدُّها بَياضَ جُعور ، فعكفَ عليه فضرَبه بالسَّيف حتى بَرَد[٣] .

وذلك أنّه عيّره بأنّهم لايعرفون البَقْل ، ولا يعرفون إلاّ اللبن .

وقال الشاعِرُ يهجو ناساً منهم :

عَراجِلةٌ بيضُ الجُعُورِ كأنّهمْ بمنْعَرَجِ الغِيطَانِ شُهْبُ العَناكِبِ[٤]

والعرب تقول : اللَّحم أقلُّ الطّعامِ بَخَرا .

---

(١) س : « الجعر » بالإفراد . والجعر : مايبس من العذرة فى المجعر أى الدبر ، أو نجو كل ذات مخلب من السباع .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٢٠٠ من هذا الجزء .

(٣) برد : انقضت حياته .

(٤) عراجلة : أى جماعة مشاة .

(دفاع عن الكلب)

وقال صاحب الكلب : وما للدِّيك وللكلاب ، والكلابُ ينزِّل فيها القرآنُ ويُحْدَث فيها السنَن ، ويُشتَقُّ من أسمائها للنَّاس وللأُسد ، ولها أسماءٌ معروفةٌ وأعراق منسوبة ، وبُلدان مشهورة ، وألقابٌ وسِمَات ، ومناقِبُ ومَقامات !!

وما للدِّيك إلاّ ماتقول العوامّ : أنّه إذا كان فى الدارِ ديكٌ أبيضُ أفرَق[١] لم يدخله شيطان . وليس يقومُ خَبَرٌ[٢] ذلك ، ولو كان ذلك حقًّا ، بشؤمه ؛ لأنَّ العوامَّ تقضى على مَن كان فى داره ديكٌ أبيض أفرق[٣] بالزندقة .

والذين يقولون إنّ الدار إذا كان فيها ديكٌ أفرقُ لم يدخُلْها شيطان ، هم الذين يقولون مَنْ أكلَ لحم سِنّورٍ أسودَ لم يَضِرْه سحر ، وإذا دُخِّنت الدار بالدُّخنة[٤] التى سمَّوها بدُخنة مريم ، أو باللُّبان ، لم يكنْ عليها لعُمَّار الدَّار سبيل ، فإن مرَّت ساحرة[٥] تطير سقَطت . وهم الذين لايشكُّون أنّ مَن نام بين البابَين تخبَّطَه العُمَّارُ وخَبَلته الجنّ .

---

(١) ديك أفرق : عرفه مفروق .

(٢) فى الأصل : « خبر » ، والوجه ماأثبت .

(٣) ط : « أقرق » بالقاف ، وتصحيحه من س .

(٤) للدخنة : ذريرة تدخن بها البيوت .

(٥) لعلها : « فإن مرت عابرة » . وفى م : « فإن موت ساحرة » . وانظر تأويل مختلف الحديث ٢٣١ - ٢٣٢ .

(ما يقال له : جرو)

قال : ويقال لولد الكلب والذِّئبِ والسِّنَّور وأشباه ذلك : جرو . ويقال للصغير من الحنْظل على مِثل ذلك : جرو . وقَال النَّمِرُ بنُ تَوْلَب :

بجِرْوٍ يُلقَّى في سِقاءٍ كأنّه مِنَ الحَنْظَل العامِيِّ جَرْوٌ مفلّقُ

(من قول صاحب الكلب)

ومِمَّا زادَ في ذِكْر الكلب قولُ السَّيِّد بن محمد[1] في شأن عائشة في الحديث الذي رَوَوه[2] ـ وكان السَّيِّد رافضِيًّا غالياً ، وليس في ذكره شرَف ، ولكنَّه أجمعُ للفنِّ[3] ـ :

---

(١) السيد لقبه ، واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى . وجده يزيد بن ربيعة شاعر مشهور ، وهو الذى هجا زياداً وبنيه ونفاهم عن آل حرب ، وحبسه عبيد الله بن زياد لذلك وعذبه ، ثم أطلقه معاوية . قال أبو الفرج فى الأغانى ٧ : ٢ : يقال إن أكثر الناس شعراً فى الجاهلية والإسلام ثلاثة : بشار وأبو العتاهية ، والسيد . ثم قال : وإنما مات ذكره – يعنى السيد – لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه فى شعره . قال الصلاح الكتبى فى الفوات ٢٣ : « كان شاعراً محسناً كثير القول إلا أنه كان رافضياً . . . وكان مقيماً بالبصرة » . وفى الفوات أيضاً : « ومات أول أيام الرشيد سنة ثلاث وسبعين ومائة وولد سنة خمس ومائة » .

(٢) يشير إلى ماروى : من أن عائشة لما أرادت المضى إلى البصرة فى وقعة الجمل مرت بالحوأب – وهو موضع بئر قريب من البصرة – فسمعت نباح الكلاب فقالت : ماهذا الموضع ؟ فقيل لها هذا موضع يقال له الحوأب . فقالت : إنا لله ، ماأرانى إلا صاحبة القصة . فقيل لها : وأى قصة ؟ قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه : ليت شعرى ، أيتكن تنبحها كلاب الحوأب سائرة إلى الشرق فى كتيبة ! وهمت بالرجوع فغالطوها وحلفوا لها أنه ليس الحوأب . انظر معجم البلدان برسم (الجوأب) .

(٣) س : « الفن » .

تهْوِى من البَلَدِ الحرَامِ فنبَّهتْ بَعْدَ الْهُدُوِّ كِلابَ أَهْلِ الحوْءَبِ

قال : ويقال صرَفت الكلبة صِرَافاً وصُروفاً ، وظَلَعت تظْلَع ظُلوعاً .

(قولهم : لا أفعل حتى ينام ظالع الكلاب)

قال : ومن الأمثال فى ذلك : « لاأفعَلُ حتَّى يَنامَ ظالِعُ الكلاب » . قال الأصمعىُّ : هذا باطل ، إنّما ذلك إذا أصابَ الكلبَ ما يظلَع منه لم يُطِق سِفاد الكلبة حتَّى تهدأ الرِّجْل ، وحتَّى تملَّ الكلابُ النُّباح[1] وتَفترِقَ ، وتحتاجَ إلى النَّوم لطول التعب[2] ، وإذا كان فى ذلك الوقت يلتمس[3] الظالع ورامَ سِفاد الكلبة ، لم يعرف ظَلَعه إلاّ الكلبة . وأنشد فقال[4] : 76

تسدَّيتُها مِنْ بَعْدِ ما نام ظالِعُ الْكلابِ وأخْبَى نارَه كلُّ مُوقِدِ

وأنشد غيرَه لجِرَان العَوْدِ :

وكانَ فُؤادى قدْ صَحَا ثمَّ هاجَه[5] حَمائمُ . وُرْقٌ بِالمَدائِنِ هُتَّفُ

كأنَّ الهديلَ[6] الظّالِعَ الرِّجْل وَسْطَهَا

مِنَ البغْى شِرِّيبٌ يُغَرِّدُ مُتْرَفُ[7]

---

(١) ط : « تفوق » ، وصوابه فى س .

(٢) ط : «أطول التعب » ، وتصحيحه من س .

(٣) س ، م : « تلتمس » .

(٤) البيت للحطيئة ، وقد سبق الكلام فيه فى ص ٥٩ من هذا الجزء .

(٥) الرواية فى الديوان ١٣ : « ثم هاجنى » .

(٦) ط : « الهزيل » ، وهو تحريف صححته من س والديوان . والهديل عنى به هنا الفرخ أو الذكر من الحمام .

(٧) شريب يغرد : سكران يصيح . والمترف : المنعم . ويروى : « مُنزَف » وبفتح الزاى وكسرها ، فالأول من أنزف الرجل : إذا سكر ، والثانى من أنزفه السكر : ذهب بعقله . انظر أدب الكاتب ١٤٩ والاقتضاب ٣٥٢ .

(ماقيل من الشعر فى إشلاء الكلب على الضيوف)

وقالوا أبياتاً فى غير هذا الباب ، قال الأعرابىّ :

نزلْنا بعَبّاد فأشلَى كلابَه عَلينا فـكِدْنا بين بابَيْه نُوْكَلُ[١]

فَقُلْتُ لأصحابى أُسرُّ إليهمُ أذَا اليَومُ أو يومُ القِيامةِ أطولُ

وقال آخر[٢] :

أعدَدْتُ للضِّيفانِ كلباً ضارياً عِندى وفضلَ هِراوَة مِنْ أَرْزَنِ[٣]

وقال فى خلاف ذلك مالكُ بن حَرِيم[٤] الهمْدانىُّ :

وواحـــدةٌ إلّا أبيتَ بغرَّةٍ إذا ماسَوَامُ الحىِّ بات مصرَّعا[٥]

---

(١) البيتان رواهما الجاحظ فى البخلاء ٢٠٠ . ورواية البيت الأول فيه : « نزلنا بعمار ».

(٢) هو وبر بن معاوية الأسدى ، وكان يعامل تجار المعدن ويلويهم بحقوقهم . حماسة البحترى ٤١٥ .

(٣) كذلك الرواية فى البخلاء ٢٠٠ وعيون الأخبار ٣ : ٢٤٢ . وفى حماسة البحترى : « أعددت للغرماء سيفا صارما » وهى الرواية الجيدة . وبعد هذا البيت فى حماسة البحترى :

عجراء ظاهرة الحيود متينة أعددتها لتجار أهل المعدن .

وروى ابن قتيبة بدل البيت الثانى هذا البيت ، وهو :

ومعاذرا كذبا ووجها باسرا متشكيا عض الزمان الألزن

ومثل هذا فى اللسان .

وقد روى البحترى لوبر هذا بيتين شبيهين بالمتقدمين وهما :

إنى وجدك ماأقضى الغريم إذا حان القضاء ولا تأوى له كبدى

إلا عصا أرزن طارت برايتها تنوء ضربتها بالكف والعضد

(٤) فى الأصل : « خرتم » والصواب : « حريم » كما فى القاموس ونوادر أبى زيد وأمالى القالى . ومالك : شاعر جاهلى . انظر شرح المرزوقى للحماسية رقم ٤٣٥ والعمدة ٢ : ٣٠ .

(٥) صواب روايته : « فواحدة » . انظر العمدة ٢ : ٣٠ لأن قبله :

فإن يك شاب الرأس منى فإننى أبيت على نفس مناقب أربعا

وثانيـــةٌ ألَّا تفزَّع جَارتى إذا كان جَارُ القوم فيهم مفزَّعا
وثالثـــة ألَّا أُصمِّتَ كلبَنَا إذا نزَل الأضيافُ حِرصاً لتُوزَعا

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لِحَزَ الـكلبُ الإناءَ ، فهو يلحَزه لَحْزًا ، ولِحسَه فهو يلحَسه لَحْسا . قال أبو يزيد[1] : وذلك إذا لِحس الإناءَ من باطنه . والقَرْو : مِيلَغة الـكلب ، فإذا كان للـكلب فإنَّما هو من أسفَل كُوزٍ أو ما أشبه ذلك ، وإلَّا فالقَرْوُ أسفلُ نخلةٍ يُنْجَر ويقوَّب ويُنْتَبَذُ فيه .

وقال الأعشى :

أرمِى بها البِيدَ إذا أعرَضَتْ وأنتَ بينَ القَرْوِ والعاصِر[2]
فى مِجْـــدَلٍ شُيِّد بُنْيَانُهُ يزِلُّ عنْـــه ظُفرُ الطَّائرِ[3]

(أُحجيَّة فى الـكلب)

وممَّا يُحاجِى به النَّاسُ بعضُهم بعضاً أن يقولوا : أتعرفون شيئاً إذا قام كان أقصرَ منه إذا قعد ؟ يريدون الـكلب ؛ لأنَّ الـكلب قعودُه

---

(١) كذا فى ط ، س . وفى م : « أبو يزن » ولعل الصواب : « أبو زيد » وهو أستاذ الجاحظ .

(٢) س : « أرمى به » وصوابه فى ط ، والضمير للناقة فى بيت قبل هذا ، وهو :
لقد أسلى الهم حين اعترى بجسرة دوسرة عاقر

(٣) المجدل ، كمنبر : القصر المشرف ، سمى مجدلا لوثاقة بنيانه . والقصيدة فى ديوان الأعشى ١٠٤ - ١٠٨ . وانظر منه ص ٢٤٥ . وهى من خير شعر الأعشى .

٧٧ إقعاؤه ، وهو إذا أقعَى كان أرفَعَ لسَمْكه ، وأرفعَ فى الهواء طولًا منه إذا قام . وقال عُمر[1] بن لجإٍ :

عليــه حيوف مستقدم[2] مُقْعٍ كإقعا[3] الـكلبِ بالمعصم

ويقال أقعى الـكلبُ إقعاء ، ولا يقال قعَد ولا جلَس . وفى الحديث : « أَنَّه نَهَى أَنْ يُقْعِيَ أحدُهم فى الصلاة إقعاءَ الـكلب » .

(معرفة سنّ الـكَلْبِ)

قال صاحب الـكلب : يُعرَف فَتاء الـكلب وهَرِمُهُ بالأسنان ، فإذا كانت سوداء[4] كانت دليلًا على كبره ، وإذا كانت بِيضاً[5] حادّة دلّت على الفتاء والحداثة . وقال : أسنان الذَّكر أكثر .

(أصناف الحيوان المشقوقة الأفواه)

وأصناف الحيوانِ المشقوقةُ الأفواه كالـكلب والأسد والفهْدِ موصُوفاتٌ بشدَّة الماضيغ والفكّ والخراطيم ، كالـكلب والخنزير والذئب ؛ فأشبَهَ الـكلبُ الأسدَ فى شَحْو الفم واتِّساعه ، وعلى أنَّ شَحْوَ فمه على مقدار

---

(١) ط : « عمرو » وهو على الصواب فى م . وعمر بن لجإ : شاعر إسلامى كانت له مهاجاة مع جرير . انظر لها ابن سلام ٣٦٣ - ٣٦٧ .

(٢) كذا ورد هذا الشطر .

(٣) ط ، س : « كإقعاء »، وبذلك يختل الوزن ، وصوابه فى م .

(٤) ط : « سوءا »، وتصحيحه من س .

(٥) ط : « بيضاء » .

جسمه ، وأشبَه الذِّئبَ والخنزيرَ فى طول الخَطم وامتداد الُخرطوم ؛ ولذلك كان شديدَ القلب ، جيِّدَ الاسترواح . فجمع الكلب دون هذه الأصناف مايصلُح للرضِّ والحطم ، كما جمع مايصلُح للابتلاع والالتهام والخطم[1] [و[2]] الاستمراء .

(بعض ما قيل فى الأسد)

والأسد حريصٌ واسع الشَّحْو ، فهو يبتلع البَضْعَةَ التى لو رآها الإنسان لم يظنَّ أنَّ حلقَه يتَّسع لمرورِ ذلك . ويقال إنّ عنقَه عظمٌ واحد واللُّقَم لاتجول فيه[3] ، وهو فى ذلك قليلُ الرِّيق ، فلا يسلُس فى حلْقه مايمرُّ فيه ، بل يبتلع لفرْط نَهمه وشحْوِ لَحييه ضِعفَى ذلك المقدار .

وقد زعم ناسٌ أنّ الذى يدلُّ على أنَّ عنقَ السبُع عظمٌ واحدٍ ، ضعفُه عن تصريفه عنقَه ، فلا يلتفت إلَّا معاً ، فيسمَّى الأصيد[4] .

وقال جِرانُ العَوْدِ فى صفة الذئب :

شدَّ المماضغَ منه كلَّ مُلْتَفَتٍ وفى الذِّراعين والُخرطومِ تسهيلُ[5]

---

(١) ليست هذه الكلمة فى س .

(٢) التكملة من س .

(٣) اللقمة بالضم وتفتح : مايهيأ للقم أى الابتلاع . وجرى العامة فى مصر على تخصيصه بكسرة الخبز .

(٤) انظر مثل هذا الكلام فى الجزء الثالث ص ٣٠٦ .

(٥) يريد : أن هذا الذئب شد مماضغه على ولد البقرة الوحشية ، التى ذكرها جران العود فى بيت متقدم من قصيدته ص ٤٠ من ديوانه ، وهو :

أو نعجة من إراخ الرمل أخذلها عن إلفها واضح الخدين مكحول

وكل ملتفت ظرف مكان ، عنى به كل ناحية . والخرطوم : الخطم ، وهو مقدم الفم والأنف . وأراد بالتسهيل هنا الطول .

(أسنان الذئب وبعض الحيات)

وقالوا فى أسنان الذئب وفى أسنان بعض الحيَّاتِ بأنّها مَطُولة[١] فى الفكّين ، يُذْهَبُ إلى أنّه[٢] عظمٌ مخلوق فى الفك ، وأنّه لايُثْغِر[٣] . وأنشدوا :

مُطِلْنَ فى اللَّحْيينِ مَطلا إلى رأسٍ وأشداقٍ رحيباتٍ[٤]

والحيَّاتُ توصَف بسعة الأَشداق ، والأفاعى خاصَّة هى المنعوتة بذلك .

وقال الشاعر — وهو جَاهلى[٥] — :

[خُلِقَتْ لَهَازِمُهُ عِزِينَ وَرأسُهُ
كالقرص فُلطحَ من طحِينِ شَعِير[٦]]

---

(١) مطولة : أى ممتدة داخلة ، أو بمعنى مطبوعة طبعا .

(٢) ط : « بأنه » .

(٣) أثغر : ألقى ثغره ، والثغر : الأسنان .

(٤) انظر الحيوان ٤ : ٥٣ ، ١٨٠ ، ٢٨٢ حيث توجد سوابق هذا البيت ولواحقه .

(٥) كذا ، والصواب أن صاحب الشعر إسلامى ، فقد نسبه صاحب المؤتلف والمختلف ، وكذا صاحب اللسان (عزا ، فرطح) إلى ابن أحمر البجلى . قال صاحب المؤتلف والمختلف ص ٣٧ : « وابن أحمر هذا إسلامى قديم ، وشاعر مجيد ، وصاف للحيات وعلى قوله احتذت الشعراء » . وهو فى الأصمعيات منسوب إلى ابن مهدى وهو أعرابى صاحب غريب روى عنه البصريون ، وعنه روايات فى أمالى القالى وقد جاء برسم (أبو مهدى) . وابن النديم يعرفه بأبى مهدية ، ومثله فى الحيوان ٥ : ٣٠٩ . وقبل هذا الشعر كما فى الأصمعيات :

قد كاد يقتلنى أصم مرقش من حب كلثم والخطوب كثير
حتى أصد الله عنى رأسه والله بالمرء المضاف بصير

(٦) هـذا البيت ساقط من ط وأثبته من س ، م . لهـازمه : أصول حنكيه . عزين : متفرقات ، وفى اللسان بمادة فرطح : « فرطح » بدل « فلطح » وهما بمعنى ، يقال فرطح القرص وفلطحه إذا بسطه . وفى الأصمعيات : « فلطح من عجين شعير » . ومثل هذا قول الراجز (اللسان كثب) :

كأن قرصا من طحين معتلث هامته فى مثل كثاب العبث

وَيُدِيرُ عَيناً للوِقاع كأنَّها سَمْراءُ طاحت من نَفِيضِ بَرِيرِ[1]
وكأنّ شِدقيه إذا استعرضتَه شِدْقَا عَجُوزٍ مَضْمضَتْ لطَهُورِ[2]

(مما أشبه فيه الكلبُ الإنسان والأسد)

٧٨ وممّا أشبَه فيه الكلبُ الإنسان والأسد ، أنَّ كلَّ واحدٍ من هذه الأجناسِ إنَّما له بطنٌ واحد ، وبعدَ البطن المِـعَى ، إلّا أنَّ بعضَ بطنها أعظمُ من بعض ، ويناسبها فى الذى ذكرنا الذئبُ والدُّبّ ، فما أكثَرَ ما يناسبان الكلب ، فلذلك صارا يتناكحان ويتلاقحان . وهذا قول صاحب المنطق . قال : وأمعاء الكلب أشبهُ شيءٍ بأمعاء الحيَّة . وهذا أيضاً مما يزيدُ فى قدره ؛ لأنّه إمّا أن يشبه الإنسان ، وإمَّا أنْ يشبِه رؤساء السباع ودواهى الحشرات ، وكلَّما كانت هذه المعانى فيه أكثر كان قدره أكبر .

---

(١) فى اللسان (مادة فرطح) : « ويدير عينا للوداع » ! وسمراء عنى بها الواحدة من البرير ، وهو ثمر الأراك إذا اسود وبلغ . والنفيض (بالفاء) : المنفوض . وفى الأصل : « نقيض » بالقاف ، وفى اللسان : « نقيص » . والوجه ما أثبت كما فى الأصمعيات . وقد قال طرفة :

وفى الحى أحوى ينفض المرد شادن مظاهر سمطىْ لؤلؤ وزبرجد

والمرد : هو البرير .

(٢) رواه العسكرى فى ديوان المعانى (٢ : ١٤٥) : « فكأن شدقيه . . » الخ . وفى الأصمعيات : « وكأن شدقيه إذا ما أقبلا » ، وفى اللسان : « وكأن شدقيه إذا استقبلته » .

(ما يحلم من الحيوان وما يحتلم)

قال : والكلب يحلُم ويحتلم ، وكذلك الفرس والحمار ، والصبىُّ يحلم ولا يحتلم ، والثَّور فى هذا كله كالصبىّ . ويعرف ذلك فى الكلب إذا تفزَّعَ[1] وأنعَظ .

وزعم أنَّ الاحتلامَ قد عُوين من الفَرس والبِرذون والحمار .

(بعض الأمور التناسلية لدى الحيوان)

قالوا : وَليس العِظال والتحامُ الفرجين إلّا فى الكلب والذئاب، ومَن أراد أن يُفَرِّق بينَ الكلاب إذا تعاظَلت وتسافدت رامَ أمْرًا عسيراً .

قالوا : والحيوان الذى يطاوِل عند السِّفاد معروف ، مثل الكلب والذئب[2] والعنكبوت والجمل ، وإن لم يكن هناك التحام . وإذا أراد العنكبوت السفادَ جلَبت الأُنثى [بعض[3]] خيوطِ نسْجها من الوسط ، فإذَا فعلت ذلك فعَل الذكَر مثلَ ذلك ، فَلَا يزالانِ يتدانيان حتى يتشابكا[4] فيصير بطنُ الذَّكر قُبالَةَ بطنِ الأنثى . وذلكَ شَبيهٌ بعادات الضفادع .

---

(١) قبل هذه الكلمة موضع أبيض فى كل من س ، م . وهذه الكلمة جاءت برسم « تفرغ » فى كل من ط ، م. وهو تصحيف .

(٢) فى الأصل : « والديك » وإنما عرف الديك بسرعة السفاد . ورأيت الصواب فيما كتبت ، معتمدا على السياق الآتى .

(٣) الزيادة من س .

(٤) فى الأصل : « فلا يزالا يتدانيان حتى يتشابكان » وصوابه ما أثبت .

وقال أبو الحسن عنْ بعض الأَعراب ، قال : إذا هَجَم الرَّجلُ على الذِّئب والذِّئبةِ وهما يتسافدان ، وقد التحَمَ الفَرْجان ، قتلَهما ذلك الهاجمُ عليهما كيف شاء ؛ لأنَّهما قليلاً ما يُوجَدان كذلك ؛ لأَنَّ الذئبَ وحشيٌّ جدًّا وشَهيٌّ[١] جدًّا ، صاحبُ قفرة[٢] وخلوة ، وانفرادٍ وتباعد ، وإذا أراد الذِّئبةَ توخّى موضِعا من القِفار لا يطؤه الأَنِيس ؛ خوفاً على نفسه ، وضنًّا[٣] بالذى يَجد فى[٤] المطاولة مِن اللّذة .

(حديث أحمد بن المثنَّى)

وحدَّثنى أحمد بن المثنَّى قال : خرجتُ إلى صحراء خوخ[٥] لجنايةٍ جنيتها وخِفتُ الطّلب ، وأنا شابٌّ ، إذْ عرض لى ذئبٌ فكنْتُ كلّما دُرْت من شِقّ استدارَ بى ، فإذا دُرْت له دَارَ من خلْفى ، وأنا وسْطَ بَرِّيّةٍ لا أجدُ مُعيناً إلاّ بِشىء[٦] أسند إليه ظهْرى ، وأصابَنى الدُّوار ، وأيقنْتُ بالهَلَكة . فبينا أنا كذلك وقد أصابنى ما أصابنى — وذلك هو الذى أراده الذِّئبُ وقدَّره — إذا ذئبةٌ قد عرَضت ، وكان من الصُّنع وتأخِير الأَجَل أنَّ ذلك كان فى زمن اهتياجِها وتسافُدها ، فلما عايَنَها ترَكَنى وقصَدَ نحوها ، فما

(١) شهى هنا : بمعنى شديد الشهوة ، يقال رجل شهى : إذا اشتدت به شهوته . كما يقال فى غير هذا : ماء شهى ، وطعام شهى : أى لذيذ سائغ .

(٢) س : « قفوة » .

(٣) ط : « ومنعا » وفى س ، م : « وضعا » ، وصوابهما ما أثبت .

(٤) س : « من » وما كتبت من ط أشبه بلغة الجاحظ .

(٥) لم أجد هذا الموضع فيما لدى من المراجع .

(٦) لعلها : « ولا أعثر بشىء » .

٧٩ تَلَعْثَمَ أنْ ركِبها[١] . وقد كنتُ قرأتُ فى بعض الكتب أنَّها تلتحم ، فَفوَّقت سهْمِى[٢] وهما ينظران إلىّ ، فلمَّا لم أرَ عندهما نكيراً حقَّق ذلك عندى ما كان فى الكتاب من تلاحُمِهما ، فَمَشَيْت إليهما بسَيفى حتَّى قتلتهما .

(لقاح الكلاب والخنازير)

قال : ومما يُعَدُّ للكلاب أنَّها كثيراً[٣] ما تَلقحُ وتَلقَح لحال الدِّفء أو الخِصب ، والكلبُ والخنزير فى ذلك سواء ، ولا يكاد غيرُهما من الأصناف يتلاقح فى ذلك الزمان. فالكلبُ كما ترى ينازع أيضاً مواضع الإساءة والمحاسن فى جميع الحيوان .

(أسوأ ما يكون الحيوان خلقاً)

قال : وإناثُ الكلاب تصعُب أخلاقُها إذا كانَ لها جِراء . وكلُّ شىء له بَيضٌ أو جِراء أو فِراخٌ فأسوأُ ما يكون خُلقا وأنزقُ وأكثرُ ما يكون أذًى[٤] وأعْرَمُ — إذا كان كذلك[٥] ، إلاَّ إناثَ البقَر .

والكلْب كلما كان أسنَّ كانَ صوتُه أجهرَ وأغلظ .

---

(١) ما تلعثم : ما لبث . مثلها : ما ثلبث ، وما تلوم ، وما عتم ، وكثير غيرها .

(٢) ط ، م : « فقومت سهمى » وفى س : « ففومت سهمى » ، والوجه ما أثبت ، يقال فوق سهمه : جعل له فوقا . والفوق : موضع الوتر من السهم .

(٣) ط : « ومما يعد الكلاب أنها كثير » ، وتصحيحه من س .

(٤) فى الأصل : « إذا » .

(٥) فى الأصل : « وإذا كان كذلك » .

(تناسل الكلاب)

قال : والكلب ينزو إذا تمّت له ستَّةُ أشهر ، وربّما كان ذلك منه وهو ابن ثمانية أشهر . والكلبةُ الأنثى تحمِل واحداً وستين يوماً ، أطولَ ما يكون ، ولا تضعُ قبل أن يتمّ لحملها ستُّون يوما ، ولا يبقى الجرْو ولا يتربّى إذا قصَّر عن ذلك ، والأنثى تصلح أن يُنزَى عليها بعد ستَّة أشهر .

(ولد البكر من الحيوان والإنسان)

والكلبة والحِجْر[1] والمرأةُ وغير ذلك ، يكون أوّلُ نِتاجها أصغرَ جُثَّة ، وكذلك البَيْضُ إذا كان بكرًا ، وكذلك ما يخرُج منه من فرُّوج أو فرخ .

(بقية القول فى تناسل الكلاب)

وذُكور الكلاب تَهيج قبل الإناث فى السّنّ ، والإناث تهيج قبلها فى وقت حركتها . وكلما تأخَّر وقت الحدث إلى تمام الشَّباب كان أقوى لولده .

---

(١) الحجر ، بالكسر : الأنثى من الخيل .

والكلابُ لا تريد السِّفاد عُمرَها كلَّه ، بل إلى وقت معلوم .

وهى تلقح إلى أن تبلغ ثمانىَ عشرة سنة ، وربما انْتَدَرت[1] الكلبة فبلغت العشرين .

والكلاب أجناسٌ كثيرة : الكلب السلوقىُّ يَسفَد إذا كان ابن ثمانية أشهر ، والأنثى تطلب ذلك قبل الثمانية ، وذلك عند شُغُور الذكر ببوله . والكلبة تَحمِل من نَزْوٍ واحد . وقد عرف ذلك الذين عرفوا الكلاب وحضروا ليعرفوا ذلك . قال : والكلبة السَّلوقيَّة تَحمِل سُدْس السنة سِتِّين يوماً ، ورُبَّما زادت على ذلك يوماً أو يومين . والجرو إذا وُضع يكون أعمى اثنَىْ عَشر يوماً ثمَّ يبصر ، والكلبة تسفَد بعد وضعِها فى الشهر الثانى ، ولا تسفد قبل ذلك .

٨٠ ومن إنَاث الكلاب ما تَحمل خُمس السنة ، يعنى اثنين وسبعين يوماً ، وإذا وضَعت الجراء تكون عمياءَ اثنين وعشرين يوما .

ومن أصناف الكلاب ما يحمل رُبع السنة ، أعنى ثلاثة أشهر ، وتضع جراء وتبقى كذلك[2] سبعة عشر يوما ؛ ثمَّ تُرضع جِراءَها على عدد أيَّامِها التى لا تبصر فيها .

وزعم أنَّ إناث الكلاب تَحيضُ فى كلِّ سبعة أيام ، وعلامة ذلك وَرَم أثفارِها ، ولا تقبَل السفاد فى ذلك الوقت ، بل فى السبعة التى بعدها ليكون ذلك تمامَ أربعةَ عشرَ يوماً أكثرَ مايكون ، وربما كان كذلك لتمام ستَّةَ عشرَ يوماً[3] .

---

(١) كذا فى س . فى ط « ابتدرت » وهو تصحيف .
(٢) أى عمياء .
(٣) انظر العقد ٦ : ٢٤١ لجنة التأليف .

قالوا : وإناث الكلاب تُلقى بَعْدَ وضْع الجراء رُطوبَةً غليظةً بلغميَّة ، وإذا وضعَتْها بعدَ الجراء اعتراها هُزال ، وكذلك عامَّة الإناث . ولبنُها يظهَر فى أطبائها قبل أن تضعَ بخمسة أيام أكثر ذلك ، وربما كثُر اللبنُ فى أطبائها قبل ذلك بسبعة أيام ، وربّما كان ذلك فى مقدارِ أربعة أيام . ولبنُها يظهَر ويجود إذا وَضَعَتْ من ساعتها . قال : فأمّا السلوقيّة فيظهر لبنُها بعد حملها بثلاثين يوماً ، ويكون لبنُها أوَّلَ ماتضعُ غليظاً ، فإذا أزمن رقَّ ودقَّ . ولبنُ الكلابِ يخالف لبن سائرِ الحيوان بالغلظ ، بعد لبن الخنازير والأرانب .

وقد تكون علامةُ مبلغِ سِفادها مثلَ مَايعرِض للنِّساء من ارتفاع الثَّديين[1] . ومعرفة ذلك عسيرة ، وهذه علامَات تظهر لإناث الكلاب . وذكورةُ الكلاب ترفع أرجلَها وتبول لتمام ستَّةِ أشهر ، ومنها مَالا يفعل ذلك إلى أن يبلغ ثمانية أشهر ، ومنها مَا يعجِّل قبل ذلك . قال : ونقول بقولٍ عامٍّ إنَّ الذكورَ تفعلُ ذلك إذا قوِيت ؛ فأمَّا الإناث فهى تبول مُقْعِية ، ومنها مَا تشغَر .

وأكثرُ[2] ماتضعُ الكلبةُ اثنا عَشَر جروا ، وذلك فى الفَرْط ،

---

(١) ألمح فى الكلام نقصا .

(٢) بعد هذه الكلمة كلام فى النسخة م ليس فى ط ، س . وهو ركيك دخيل على الكتاب لاجرم . وأنا أثبته هنا إثباتا تاريخيا فحسب : « الثعالب ربما عرفت منهم هذه الحالة كما قيل : الثعالب كلاب إلا أنهم مجهولون النسب وقال ابن عوف فى ثعلب بن بدر حيث يقول :

وكرهت أن قال الميم ثعلب   يرجى وإنى عند ذلك مرتجى

ما ثعلب إلا ابن عاوية الفلا   ناهيك من كلب ولكن أهوجا

وإلى هنا تنتهى النسخة م . وستكون مقابلتنا بعد هذه الكلمة على النسخة س فى تحقيق ومراجعة هذا الجزء من كتاب الحيوان .

وأكثر ذلك الخمسة والسّتة ، وربّما وضعت واحداً . فأمّا إناث السلوقيّة فهى تضعُ ثمانيةَ أجراء ، وإناثُها وذكورُها تسفَد ما بَقِيَتْ[1] . ويعرِض للكلاب السلوقيّة عَرَض خاصٌّ : وَهى أنّها كلّما بقيت كانت أقوى على السِّفاد .

(أعمار الكلاب)

وذكورة السلوقيّة تعيش عشرَ سنين ، والإناث تعيش اثنتى عشرة سنة[2] ، وأكثر أجناس الكلاب تعيش أربعَ عشرة سنة ، وبعض الأجناس[3] تبقى عشرين سنة .

قال : وإناث الكلاب أطولُ أعماراً من الذكور ، وكذلك هى فى الجملة ، وليس يُلقى الكلب من أسنانه سنًّا ما خلا النّابين ، وإنما يلقيهما إذا كان ابنَ أربعة أشهر .

قال : ومن أجْل أنَّ الكلابَ[4] لاتُلقِى غيرَ هذين النّابين يشكُّ بعض الناس أنَها لاتلقى سِنًّا ألبتّة .

---

(١) ط : « ماتقت » وتصحيحه من س .

(٢) ط : « اثنى عشر سنة » ، وهو على الصواب المثبت فى س .

(٣) فى الأصل : « والخاص » .

(٤) ط : « ومن أجل ذلك أن الكلاب ، والوجه حذف « ذلك » كما فى س .

(أمراض الكلاب)

٨١ قال : وللكلاب ثلاثة أصنافٍ من المرض ، وأسماؤها[1] : الكلب بفتح اللام ، والذُّبْحَة ، والنقرس[2] . والكَلَب جُنون ، فإنْ عرَض لشيء من الحيوان كَلَبٌ أيضاً أماته ، ماخلا الإنسان . وهو داءٌ يقتل الكلاب ، وتقتُل به الكلابُ كلَّ شيءٍ عضّته ، إلاّ الإنسان فإنّه يعالج فيسْلَم .

(أدواء بعض الحيوان)

قال : وداء الكلَب يعرِض للحمار ، فأمّا الجنون وذَهابُ العقل فإنّه يصيبُ كلَّ شيء ، فمن ذلك مايصيب الدوابَّ ، فإنَّ منها مَايُصرَع كما يُصرع المجنون . والسائس[3] من الدوابّ : الذاهب العقل .

(صرع أعين الطبيب)

وقد كان شأن أَعين الطبيب عَجَباً ؛ وذلك أنّه كان يُصرع ، واتّفق أنّه كان له بغلٌ يصرَع ، فكان ربَّما اتّفق أن يُصرَعا[4] جميعاً ! وقد رأى ذلك كثير من أصحابنا البصريِّين .

---

(١) ط : « وأسماؤهم » ، وهى على الصواب فى س .
(٢) النقرس بالكسر : ورم ووجع فى مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين . وفى ط : « النفوس » ، وفى س : « النفوس » بالفاء ، وصوابهما ما أثبت .
(٣) س : « السائسى » .
(٤) انظر كتاب البغال ٢٦٤ من رسائل الجاحظ بتحقيقنا .

(الصَّرْعُ عند الحيوان)

والصَّرْع عامٌّ فى الحيوان ، ليس يسلم منه صِنف منها حتَّى لايعرض له منه شيء . والإنسان فوق جميع الحيوان تعذيباً[١] ، وكذلك هو[٢] فى العقل والمعرفة والاحتيال له ، مع دفع المضرّة واجتلاب المنفعة ، ومَا أكثر مَايعتريهم ذلك . ومن ذلك مَايذهب ، ومن ذلك مالا يذهب .

(بعض من عرض لهم الصرع من الفضلاء)

وقد كان بَخْتِيَشوعُ المتطبِّب عرَض له ذلك ، وقد كان عرض لعبد الملك بن قُريب[٣] فذهب عنه . وربَّما عرض للرّجل الذى لايُظَنُّ به ذلك فى بيان ولا تبيين ، ولا فى أدبٍ ، ولا فى اعتدالٍ من الأخلاط ، والصحَّةِ من المزَاج ، ثُمَّ لا يعرض من ذلك إلاَّ مالا حيلةَ له فيه ، كما [كان][٤] يعرض لبشر بن أبى عمرو بن العلاء النحوىِّ

(١) كذا

(٢) س : « وذلك » .

(٣) هو الأصمعى إمام اللغة والغريب والأخبار والملح والنوادر . روى عن أبى عمرو ابن العلاء وقرة بن خالد ونافع بن أبى نعيم وشعبة وحماد وغيرهم . وكان يتقى أن يفسر الحديث كما يتقى أن يفسر القرآن ، وهو ممن أكثر التأليف . وكان من أهل البصرة . توفى سنة ست عشرة أو خمس عشرة ومائتين ، عن ثمان وثمانين سنة . والجاحظ يروى عنه كثيراً فى كتبه .

(٤) زدتها مساوقة للقول .

المـازنيّ[1] وكما عرض لعبد الرحمن ومنصور الأسديَّين ، فما زالا كذلك حتَّى ماتا ، ولم يبلغنا أنهما صُرِعا .

(الموتَة)

والمُـوتَة[2] جنسٌ من الصَّرْع ، إلاَّ أنَّ صاحبَه إذا أفاقَ عاد إلى كمال عقله كالنائم والسكران والمغشيِّ عليه ، وإن عاش صاحبُ المُـوتة فى ذلك مائة عام .

وليس يلقى شيءٌ من الحيوان فى هذا الباب كما يلـَقى الوَرَشان .

(اختلاف درجات السُّـكْر لدى الحيوان كتباينها لدى الإنسان)

وأمَّا السُّـكْر فليس شيءٌ من الحيوان إلاَّ وهو يسكر ، واختلافُ سكره كاختلاف سكر الإنسان ؛ فإنَّ من الناس مَن تراه يتحدَّث وهو يشرَب فلا تنكر منه شيئاً ، حتَّى يغلب عليه نوم السُّـكر ضربةً واحدة ،

---

(١) أبو عمرو بن العلاء كان إمام أهل البصرة فى القراءات والنحو واللغة . قالوا : وكانت دفاتره تملأ بيته إلى السقف ، ثم تنسك فأحرقها . اختلف فى اسمه على واحد وعشرين قولا سردها السيوطى فى البغية ٣٦٧ قال : « وسبب الاختلاف فى اسمه أنه كان لجلالته لايسأل عنه » . توفى أبوعمرو سنة أربع وقيل تسع وخمسين ومائة . وأما ابنه بشر فلم أعرف عنه إلا خبراً واحداً تجده فى الأغانى (٢٠ : ١٨٣) .

(٢) فى القاموس : « الموتة بالضم : الغشى والجنون » .

ومنهم من تراه والنبيذ يأخذُ منه الأوَّلَ فالأوَّل ، وتراه كيفَ تَثقُل حركتهُ ، ويغلُظُ حسُّه ويتمحَّق ، حتى يَطيش عليه السُّكرُ بالعبث ، ويطبقَ عليه النوم . ومنهم مَن يأخذُه بالعبَث لايعدُوه . ومنهم من لايرضى بدون السَّيف ، وإلاَّ بأن يضرب أمَّه ويطلِّق امرأته . ومنهم مَن يعتريه البكاء ، ومنهم مَن يعتريه الضَّحِك ، ومنهم مَن يعتريه الملَق والتَّفدِيةُ ، والتَّسليمُ على المجالس ، والتَّقبيلُ لرءوس الناس . ومِنهم من يرقصُ ويثِب ، ويكون ذلك على ضربين : أحدهما من العَرْض[1] وفضْل الأشَر[2] ، والآخر تحريك المرارة ، وهى علَّةُ الفساد وهيَجان الآفة . ٨٢

وكلُّ هـذه الحالات والصُّور ، والنعوت ، والأجناس ، والتوليدِ ، الذى يختلف فى طبائع الناس ، وطبائع الأشربة ، وطبائع البُلدان والأزمان والأَسنان ، وعلى قدر الأَعراق والأَخلاق ، وعلى قدر القلَّة والـكثرة ، وعلى قدر التصريف والتوفيق ، قد[3] وجدوه فى جميع أصناف الناس والحيوان ، إلاَّ أنَّ فى الناس واحدةً لم تُوجَد فى سائر الحيوان قطُّ ؛ فإنَّ فى الناس من لايسْكَر ألبتَّة ، كان[4] محمد بن الجهْم[5] وأبو عبد الله العَمِّىُّ[6] .

---

(١) العرض هنا بمعنى الجنون وذهاب العقل ، يقال عرض كعنى .

(٢) الأشر : المرح .

(٣) فى الأصل : « وقد » . والصـواب ما أثبت ، فإن جملة « قد وجدوه » خبر لكلمة « كل » فى صدر هذه الفقرة .

(٤) لعلها « كما كان » أو « كذلك كان » .

(٥) هو محمد بن الجهم البرمكى ، ولاه الخليفة المـأمون عدة ولايات . وقد ذكر أبو الفرج فى الأغانى (١٣ : ١٥) أسئلة طريفة فى الأدب والشعر وجهها إليه المأمون ، فأعجبه جوابها ، وكان هذا الاختبار الأدبى سبباً لحصوله على هذه الولايات . وروى له الجاحظ أخباراً فى البيان .

(٦) سيأتى فى ص ٢٤٠ من هذا الجزء أنه من المعتزلين .

وكان بين عقل زبيد بن حُميد إذا شرب عشْرة أرطال ، وبين عقله إذا ابتدأ الشرب ، مقدارٌ صالح .

(سكْرُ العمّىّ)

وأمَّا العَمّىّ فإنَّ بنى عبد الملك الزياديِّين دعَونى مرَّةً ليعَجِّبونى منه ، ولم ينبِّهونى على هذه الخاصَّة التى فيه ، لأَكون أنا الذى أنتبه عليه ، فدخلت على رجلٍ ضخمٍ فَدْم[1] غليظِ اللسان ، غليظ المعانى ، عليه من الكلام أشل المؤنة[2] ، وفى معانيه اختلافٌ ، ليس منها شىءٌ يواتى صاحبَه ولا يعاونُه ولا يشاركُهُ ولا يناسبه ، وحتَّى ترى أنَّ أذنه فى شِقٍّ ولسانَه فى شقٍّ ، وحتَّى تظنَّ أنّ كلامه كلامُ محمومٍ أو مجنون ، وأنَّ كلَّ واحد منهما يقطع نظام المعانى[3] ، ويخلط بين الأَسافل والأَعالى . فشرب القومْ شُربَ الهيم[4] ، وكانت لهم أجسادٌ مدْبرة ، وأجوافٌ منكَرة ، وكنتُ كأنِّى رجلٌ من النَّظَّارة . فما زال العمِّىُّ يشرَب رِطْلًا بعد رِطل ، ويرقُّ لسانُه ، وينحلُّ عَقْده[5] ، ويصفو ذهنُهُ ، ويذهب كدره . ولو قُلْتُ إنِّى لم أرَ مثلَه حُسْنَ نفسٍ كنتُ صادقا . فالتفت إلىَّ القومُ أجمعُهم فقالوا : لولا هذا العَجَب مَاعَجَّبْنَاك[6] اليومَ معَ حداثةِ عهدنا بك .

---

(١) الفدم : الأحمق الجافى .

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) فى الأصل : « المعالى » .

(٤) الهيم : الإبل العطاش .

(٥) العقد ، هنا ، بمعنى القوة .

(٦) فى الأصل ، « ما عساك » .

وزعم العمِّىُّ وكان كثيرَ المنازَعة عند القضاة ، أنّه كان إذا قارب العشرةَ الأرطالِ ثمّ نازَعَ الخصومَ ، كان ذلك اليومُ الذى يفوت فيه ذَرْعَ الخصوم لِلَحَنٍ بحجَّته[1] ، ويستميل فيه رأىَ القاضى المنعقد فى مجلسه الطويل ، القطوبِ فى وجْهِ مَن نازع إليه .

وقال الشاعر[2] :

وجدتُ أقلَّ النَّاس عقلاً إذا انتشى أقلَّهُمُ عقلا إذا كانَ صاحِيا
تَزيدُ حُسَى الكاس السَّفِيهَ سَفَاهةً وتَتْرُكُ أخْلَاقَ الرِّجَالِ كما هِيا[3]

٨٣ قال : وهذا شعر بعضِ المولَّدين ، والأعاريبُ لا تُخطىء هذا الخطأَ ؛ قد رأينا أسْفَهَ الناسِ صاحياً أحلمَ الناس سكران؛ وهو مِرداسٌ صاحب زهير، ورأينا أحسنَ النَّاس خُلقاً وأوزنَهم حلماً ، حتَّى إذا صار فى رأسه رِطلٌ كان أخفَّ من فَرَاشة ، وأكثرَ نزواً من جَرادةٍ رَمِضَة[4] ؛ فإنَّ المَثَلَ بها يُضرَب .

(سبب ما لَه عرَفَ المعتزلة سكرَ البهائم)

وكان سببُ مالَهُ عرَف أصحابُنا سكْر البهائم ، أنَّ محمَّدَ بنَ علىِّ بنِ سليمانَ الهاشمىَّ لمَّا شرب على علُّويَه كلب المطبخ ، وعلى الدُّهمان ، وعلى شُرَّاب

---

(١) فات ذرعهم : غلبهم وتجاوز مداهم . واللحن ، بالتحريك : أن يفطن المرء لحجته .

(٢) هو أبو نواس . ديوانه ٣٥٨ . وأنشدهما فى ديوان المعانى ١ : ٣٢٤ .

(٣) الحسى بالضم : جمع حسوة بالضم ، وهى المرة من الحسو . وأراد بالرجال هنا : الكاملين فى معنى الرجولة . وفى ديوان المعانى : « أخلاق الكريم » .

(٤) الرمضة : التى أصابها الرمض ، وهو شدة الحر . والنزو : الوثب . وانظر فى أمثال الميدانى : « أنزى من جراد » .

البصريِّين ، وعلى كُلِّ من نزَع إليه من الأَقطار ، وتحدَّاه من الشُّرَّاب الجوَادُ من الشُّرَّاب ، أحبَّ أن يشْرَب على الإبل من البَخاتىِّ والعِراب ، ثُمَّ عَلَى الظِّلف من الجواميس والبقر ، ثم على الخيل العِتاقِ والبَرَاذين ، فلمَّا فرَغ من كلِّ عظيمِ الجثة واسع الجُفْرَة[1] ، صار إلى الشاءِ والظِّباء، ثمَّ صار إلى النُّسور والكلب وإلى ابن عِرس، وحتَّى أتاهم حاوٍ[2] فأرغبوه ، فكان يحتال لأفواه الحيَّات حتَّى يصبَّ فى حاقِّ[3] أجوافِها بالأَقماع المدنيّة ، وبالمَساعط ، ويتَّخذ لكلِّ شيء شكله . وكان ملكاً تواتيه الأُمور، وتُطيعه الرجال[4] ، فأَبصَرُوا تلك الاختلافاتِ فى هذه الأجناس المختلفة .

(نعت النّظام)

فخبَّرنى أبو إسحاقَ إبراهيمُ النَّظام ، وقد كان جالسَهُ حيناً — وكان إبراهيمُ مأمونَ اللِّسان ، قَلِيلَ الزَّلَل والزَّيغ فى باب الصدق والكذب . ولم أزعمْ أنَّه قَلِيــلُ الزَّيغ والزَّلَل على أنَّ ذلك قد كان يكونُ منه وإن كان قليلاً ، بلْ إنَّما قُلتُ عَلَى مثل قولك : فلانٌ قَلِيلُ الحياء ، وأنتَ لستَ تريد هناك حياءً ألبتة ، وذلك أنَّهم ربَّما وَضعوا القليلَ فى موضعِ ليس . وإنما كان عيبُهُ الذى لايفارقه سوءَ ظَنِّهِ ، وجَودةَ قياسِهِ عَلَى العارض

---

(١) الجفرة ، بالضم : ما يجمع البطن والجنبين . وفى الأصل : « الحفرة » بالحاء ، وهو تصحيف ما أثبت .

(٢) فى الأصل : « حاوى »، والوجه حذف الياء .

(٣) حاق بمعنى وسط .

(٤) فى الأصل : « وقطيعة الرجال » ، ووجهه ما أثبت .

والخاطر والسابق الذى لايُوثَق بمثله . فلو كان بدَلَ تصحيحِهِ القياسَ التمسَ[1] تصحيحَ الأصل الذى كان قاس عليه أمرَه على الخلاص[2] ، ولـكنَّه كان يظنُّ الظنَّ ثمَّ يقيس عليه وينسى أنَّ بدءَ أمرِه كان ظنًّا . فإذا أتقنَ ذلك وأيقنَ ، جَزَم عليهِ ، وحكاهُ عن صاحبه حكايَةَ المستبصر فى صحَّة معناه . ولـكنَّه كان لايقول سمعت ، ولا رأيت . وكان كلامُه إذا خرج مخرج الشَّهادةِ القاطعة لم يشُكَّ السامعُ أنَّه إنَّما حـكى ذلك عن سماعٍ قد امتحنه ، أو عن معاينةٍ قد بهرته .

(حديث النظام فى تجربة إسكار البهائم والسباع)

فحدَّثنى إبراهيمُ قال : شهدتُ أكثرَ هـذه التَّجربةِ التى كانت منهم فى إسكار البهائِمِ وَأصنافِ السباع ، ولَقَدْ احتالَ لأسدٍ مقلَّم الأَظفار يُنادى عليه : العجَب العجَب !! حتَّى سقاه وعرَف مقدارَه فى الاحتمال ، فزعمَ ، أنَّه لم يجِدْ فى جميعِ الحيوان أملحَ سُكرًا من الظَّبى . ولولا أنَّه من الترفُّه لَـكنتُ لايزال عندى الظَّبىُ حتَّى أُسكِره وَأرى طرائفَ مايكون منه : ٨٤

---

(١) فى الأصل : « التمــاس » .

(٢) كذا بحذف جواب الشرط ؛ وهو كثير فى كلامهم .

(القول فى سرعة التعلم والجرأة عند بعض الحيوان)

قال : وإناث الـكلابِ السَّلُوقيَّة أسرعُ تعلُّما من الذُّكورة [١] .

قال : وجميع أصناف السباع ذُكورتُها أجرأُ وَأمضى [٢] وأقوى ، إلاَّ الفَهْدة [٣] والذِّيبَةَ .

والعامَّة تزعم أنَّ اللَّبُوَّة أجرأُ من الأسد ، وليس ذلك بشىء ، وهو أنزَقُ وأَحَدُّ ، وأفرَقُ من الهَجْهجَة [٤] ، وأبعدُ من التصميم وشِدَّة الصَّولة .

(بين عروة بن مرثد وكلب حسبه لصًّا)

قال بِشر بن سعيد : كان بالبَصرة شيخٌ من بنى نَهشَلٍ يقال له عُروة ابن مَرْثد ، نزل ببنى أختٍ له فى سكَّة بنى مازن ، وبنو أخته من قُريش ، فخرج رجالُهم إلى ضياعهم وذلك فى شهرِ رمضان ، وبقِيت النِّساءُ يصلِّين فى مسجدهم ، فلم يبق فى الدار إلاَّ كلب يعُسُّ [٥] ، فرأى بيتاً فدخل وانصفق الباب ، فسمِع الحركَةَ بعضُ الإماءِ فظنُّوا أنَّ لصًّا دخل الدار ، فذهبتْ إحداهنَّ إلى أبى الأعزّ [٦] ، وليس فى الحىِّ رجلٌ غيره ، فأخبرتْهُ

(١) الذكورة : جمع ذكر . وهى فى ط : « المذكورة » وتصحيحها من س .

(٢) ط : « أمضا »، وتصحيحه من س .

(٣) فى الأصل : « الفهود » .

(٤) أى أن خوفه من صياح الناس به أشد من خوفها .

(٥) عس واعتس : طاف ليلا .

(٦) س : « أبو الأغر »، وكذلك فى كل موضع ترد فيه هذه الـكلمة من القصة. وانظر عيون الأخبار ١ : ١٦٧ - ١٦٨ .

فقال أبو الأعزّ : مايبتغى اللصُّ منَّا ؟! ثمَّ أخذَ عصاهُ وجاء حتّى وقفَ على بابِ البيت فقال : إيه يامَلْأَمَان[١] ! أَمَا واللهِ إنَّك بى لَعارف ، وإنّى بك أيضاً لعارف ، فهل أنتَ إلاَّ من لُصوصِ بنى مازن ، شربتَ حامضاً خبيثاً ، حتَّى إذا دارت الأقداحُ فى رأسك منَّتْك نفسُك الأمانىَّ ، وقلتَ دُورَ بنى عمرو[٢] ، والرِّجالُ خُلوف ، والنِّساء يصلِّين فى مسجدهنَّ ، فأسرقهنَّ ! سَوءَةٌ واللهِ ، مايفعلُ هذا الأحرارُ ! لبئسَ[٣] واللهِ مامنَّتك نفسُك ! فاخرجْ وإلاَّ دخلتُ عليك فَصَرَمَتْك[٤] منِّى العُقوبة ! لأيمُ[٥] اللهِ لتَخرُجَنَّ أو لأهتفَنَّ هتْفةً مشئومةً عليك ، يلتقى فيها الحيَّانِ : عمرو وحنظلة ، ويصيرُ أمرُك إلى تباب ، ويجىء سعْدٌ بعَدَدِ الحصى ، ويَسيل عليك الرِّجالُ من هاهنا وهاهنا ! ! ولئن فعلتَ لتكونَنَّ أشأمَ مولودٍ فى بنى تميم ! ! فلما رأى أنَّه لايجيبُه أخَذَهُ باللِّين وقال : اخرجْ يابُنَىَّ وأنتَ مستور ، إنِّى والله ما أُرَاك تعرفُنى ، ولو عرفتَنى لقد قنِعتَ بقولى واطمأننت إلىَّ ، أنا عُروة بن مَرثد أبو الْأَعَزِّ المَرْثَدِىُّ ، وأنا خالُ القومِ وجِلدةُ مابينَ أعينهم[٦] لايعصُونَنى فى أمر ، وأنا لك بالذِّمة كفيلٌ خفير ، أصيِّرك

---

(١) الملأمان : اللئيم ، ويقابله المكرمان بوزنه .

(٢) عامل المفعول محذوف يدل عليه المقام ، تقديره « آتى » أو « أقصد » .

(٣) فى الأصل : « ليس » .

(٤) يقال : عقوبة صارمة : أى قاطعة شديدة . وفى الأصل : « صدمتك » .

(٥) فى الأصل : « لأيم » بهمزة القطع ، والأصح أن تكون ألفها ألف وصل . وكتبت فى القاموس واللسان وكتاب سيبويه ٢ : ٢٧٣ برسم « ليم » . وانظر ما كتب ابن منظور فى اللسان (يمن) .

(٦) يقال هو جلدة ما بين العين والأنف ، أى هو مثلها فى مكان العزة والقرب . قال عبد الله بن عمر — وكان يلام فى شدة حبه لابنه سالم :

يديروننى عن سالم وأديرهم ‏ ‏ وجلدة بين العين والأنف سالم

انظر الكلام عليه فى اللسان (حزز ، سلم) وثمار القلوب ١٧٤ والمعارف ٨٠ .

بين شحمةِ أذنى وعاتق لاتُضارّ ، فاخرج فأنتَ فى ذِمَّتى ، وإلاَّ فإنَّ عندى قَوْصَرَّتَين [١] إحداهما إلى ابنِ أختى البارّ الوَصُول ، فخذْ إحداهما فانتَبِذْها ٨٥ حلالاً من الله تعالى ورسولِهِ صلى الله عليه وسلم . وكان الكلبُ إذا سمعَ الكلامَ أطرقَ ، وإذا سكت وثَب يُريغُ [٢] المخرج ، فتهافت الأعرابىُّ ، أىْ تساقط [٣] ، ثمَّ قال : يا ألأمَ الناسِ وأوضَعَهم ، ألا يأْنِى لك أنَّا منذُ الليلة فى وادٍ وأنتَ فى آخر ، إذا قلتُ لك السَّوداءَ والبيضاءَ تسكتُ وتطرِق ، فإذا سكتُّ عنكَ تُريغ المخرج ؟! والله لتخرُجَنَّ بالعَفو عنك أو لأَلِجَنَّ عليك البيتَ بالعُقوبة ! فلما طال وقوفُه جَاءَتْ جَارِيةٌ من إماء الحىِّ فقالت : أعرابىٌّ مجنون !! والله ماأرى فى البيتِ شيئاً ! ! ودفعت البابَ فخرج الكلبُ شدًّا ، وحادَ عنه أبو الأعزّ مستلقياً ، وقال : الحمدُ لله الذى مَسَخك كلباً ، وكفانى منك حربا ! ! ثم قال : تالله مارأيتُ كاللَّيلةِ ، ماأُراه إلاَّ كلباً !! أمَا والله لو علمتُ بحالِه لولَجت عليه .

(بعض خصال الديك)

قال صاحب الديك : فى الدِّيك الشَّجاعَةُ ، وفى الديك الصَّبرُ عند اللِّقاء ، وهم لايجدون الصَّبرَ تحت السِّياط والعصا ، إلاّ أنْ يكون ذلك موصولاً بالصَّبر فى الحرب على وقع السِّلاح .

---

(١) القوصرة : وعاء من قصب يجعل فيه التمر .

(٢) يريغ : يريد .

(٣) فى الأصل : « تضاحك » ولا تكون هذه الكلمة من معانى « تهافت » . وتساقط : تخاذل ودب فيه الضعف .

وفى الدِّيَك الجَوَلان ، وهو ضرب من الرَّوَغان ، وجنسٌ من تدبير الحرب ، وفيه الثَّقافةُ والتسديد[١] ؛ وذلك أنَّه يقدِّر إيقاع صِيصِيَته[٢] بعين الديك [الآخر[٣]] ، ويتمرّب إلى المذبح فلا يخطئ .

وهم يتعجَّبون من الجَزَّار ، ويضرِبون به المثل إذْ كان لا يخطئ اللَّبَّة ، ومن اللحَّام إذا كان لا يخطئ المَفْصِل ، ولذلك قالوا فى المثل : « يطبِّق المحَزَّ[٤] ولا يخطئ المَفْصِل ! » . وهذا القولُ يذمُّون به ويَمدحون . والديك فى ذلك أعجبُ ، وله مع الطَّعنة سرعةُ الوَثْبة ، والارتفاع فى الهواء . وسلاحه طَرِير[٥] ، وفى موضعٍ عجيب ، وليس ذلك إلاَّ له ، وبه سمِّى قَرْن الثور صِيصِيَة ، ثمَّ سمَّوا الآطام[٦] التى كانت بالمدينة للامتناع بها من الأعداء صياصِىَ ، قال الله عزَّ وجَلَّ : ﴿ وَأَنْزَلَ الَّـذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْـكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ ﴾ . والعَرَبُ تسمِّى الدَّارع وذا الجُنَّة[٧] صاحبَ سلاح ، فلما كان اسم سلاح الديك وما يمتنع به صِيصِيَة ، سمَّوا قرنَ الثور الذى يجْرَح صيصِيَة . وَعلى أنّه يشبَّه فى صورته[٨] بصيصِية الديك

---

(١) الثقافة : الحذق . والتسديد : صدق الإصابة .

(٢) سبق الـكلام فى هذا اللفظ فى ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣) الزيادة من نهاية الأرب ١٠ : ٢٢٠ نقلا عن الحيوان .

(٤) المحز : موضع الحز ، مثل المفصل : موضع الفصل . وفى الأصل : « الحز » والوجه ماأثبت .

(٥) سلاح طرير : محدد ماض .

(٦) الآطام : جمع أطم بضم وبضمتين ، وهو الحصن يبنى من الحجارة .

(٧) الدارع : لابس الدرع ، وهو القميص الحديدى . والجنة : مايلبســه المرء أو يحمله ليقى به نفسه . وفى الأصل: « الجارح وذا الجثة » وليس بشىء .

(٨) فى الأصل: « فى صيصية صورته » . وكلمة « صيصية » مقحمة .

وإن كان أعظم . ثمَّ لمَّا وجدوا تلك الآطامَ معاقِلهم وحصونَهم وجُنَنَهم ، وكانت فى مَجرى التُّرس والدرع والبَيضة ، أجروهَا مُجْرَى السلاح ، ثم سَمَّوها صياصى . ثمَّ أسمَوْا شوكةَ الحائك التى بها تهيَّأُ السَّدَاة واللُّحمة صِيصِيةً ؛ إِذْ[1] كانت مشبَّهة بها فى الصورة ، وإنْ[2] كانتْ أطولَ شيئاً ؛ ٨٦ ولأنَّها مانعةٌ من فساد الحَوْك والغزْل ؛ ولأنَّها فى يده كالسلاح ، متى شاء أن يجأ به إنساناً وجأه به[3] .

وقال دُريد بن الصِّمَّة[4] :

نَظَرْتُ إِلَيْـهِ والرِّمَاحُ تَنُوشُـهُ
كَوَقْع الصَّيَاصِى فى النَّسيجِ المُمَدَّدِ

(استطراد لغوى)

وقد تسمِّى العربُ إبرة العقرب شوكة ، كما تسمِّى صيصِيَةَ الديك شوكة ، وهى من هذا الوجه شبيهةٌ بشَوك النَّخل .

---

(١) فى الأصل : « إذا » وإنما هى « إذ » التعليلية ، وقد نبهت فيما مضى على كثرة تحريف هذه الكلمة .

(٢) فى الأصل : « فإن » .

(٣) وجأه : ضربه وطعنه .

(٤) البيت الآتى من قصيدة اختارها أبو تمام فى الحماسة ١ : ٣٣٦ ، مطلعها :

نصحت لعارض وأصحاب عارض ورهط بنى السوداء والقوم شهدى

يرثى بها دريد بن الصمة أخاه عبد الله بن الصمة . والبيت المستشهد به قال فيه أبو هلال العسكرى ديوان المعانى ٢ : ٥٨ : « أحسن ما قيل فى سرعة وقع الرماح وتداركه » .

ويقال لمن ضربته الحُمْرة . قدْ ضربته الشَّوكة ؛ لأنَّ الشَّوكةَ إذا ضربت إنساناً ، فما أكثَرَ ما تعتريه من ذلك الحمرةُ .

وقد قال القَطاميُّ فى تسميةِ إبرة العقرب شَوكة :

سرى فى جَليدِ الأرْضِ حتَّى كأنَّما تَخزم بالأَطراف شوكَ العَقارِبِ[1]

وتُوصف الحِجْر[2] وتشبَّه بالشَّوكة ؛ لأَنَّ الشَّوكة غليظةُ المـآخِرِ[3] ، لطيفة المَـقادم . والشَّوكُ والسُّلاَّءُ سواءٌ . وقال فى ذلك عَلْقمة بن عبَدة يصف الحِجْر :

سُلاَّءَة كعَصَا النَّهْدِيِّ غُلَّ لها ذُو فَيئةٍ مِنْ نَوَى قُرَّانَ مَعْجومُ[4]

ومن سمَّى إبرة العقرب حُمَـة فقد أخطأ . وإنَّما الحُمة سمومُ ذواتِ الشعر كالدَّبْر[5] والزَّنَابير ، وذوَاتِ الأنياب والأَسنان كالأفاعى وسائر

---

(١) هذا البيت فى ديوان القطامى ٥٢ واللسان (وكع ، خزم) ، وصدره فيهما :

* سرى فى جليد الليل حتى كأنما *

وروى عجزه فى مادة (وكع) : « وكع العقارب » بمعنى ضربها ولدغها . وفى (حزم) : « شوك العقارب » كما فى الديوان ورواية الجاحظ . وقال : « تخزم الشوك فى رجله : شكها ودخل فيها » .

(٢) الحجر ، بالـكسر : الأنثى من الخيل .

(٣) فى الأصل : « المتأخر » وماكتبته أشبه بالـكلام .

(٤) فى اللسان (غلل) : « النهدى : الشيخ المسن ، فعصاه ملساء » . وأراه أنا المنسوب إلى نهد ، وهى قبيلة يمنية . وغل للدابة : خلط لها النوى بالقت — والقت هو مايعرف فى مصر بالبرسيم . عن داود الأنطاكى — وفى الأصـل : « عل بها » وتصحيحه من اللسان (فيأ ، غلل) والبيان ٣ : ١٢٠ والـكامل ٤٩٦ ليبسك وخمسة دواوين العرب ١٣١ والمفضليات ٤٠٤ . وقوله « ذو فيئة » أى ذو رجعة ، يريد أن النوى علفته الإبل ثم بعرته فهو أصلب . و « قران » : قرية باليمامة مشهورة بالنخل الجيد . معجوم : ممضوغ .

(٥) الدبر ، بالفتح : جماعة النحل .

الحيات ، وسموم[١] ذوَاتِ الإِبَر من العَقارب . فأمّا البِيشُ[٢] وما أشبهه من السُّموم ، فليس يقال له حُمَة .

وها هنا أمور[٣] لها سمومٌ فى خراطيمها ، كالذِّبّان والبَعوض . وأشياءُ من الحشرات تَعَضُّ وربَّما قتلت ، كالشَّبَث[٤] وسامِّ أبرَصَ . والطِّبُّوعُ[٥] شديد الأذى ، والرُّتَيْلاء[٦] ربما قتلت ، والضَّمج[٧] دون ذلك ، وعقارب طيَّارةٌ . ولم نرهم يسمُّون جميع السُّموم بالحُمة ، فقلْنا مثلَ ما قالوا ، وانتهينا إلى حيثُ انتهوا .

(بعض من تقتل عضّته)

وقد يُعرفُ بعضُ النّاس بأنّه متى عضّ قَتَل ، كان منهم صفوان أبو جشَم الثّقَفىّ ، وداودُ القرَّاد .

وسيقَع هذا البابُ فى موضعه على ما يمكننا إن شاء الله تعالى .

---

(١) ط : « وسموا » وتصحيحه من س .

(٢) البيش ، بالكسر : نبات سام يكثر فى تخوم الهند والصين . وفى الأصل : « فإنما البيش » .

(٣) كذا .

(٤) فى معجم الحيوان : « شبث : جنس من الرتيلاء كبير يلسع . اسمه عند عرب السودان أبو شبث ، وفى مصر أبو صوفة » .

(٥) الطبوع : صغار القردان : جمع قراد .

(٦) الرتيلاء : ضرب من العناكب ، يمد ويقتصر .

(٧) الضمج ، بالفتح : دويبة منتنة تلسع ، وهى ماتسمى فى مصر باسم « البق » . وفى الأصل : « الصحيح » ، وصوابه ما أثبت .

(استطراد لغوى)

والناس يسمُّون الرَّجلَ إذا بلغ مِنْ حرصه ألاّ يدعِ ذكراً ، غلامًا كان أو رجلاً ، وخَصيًّا كان أو فحلاً ، إلاّ نكحه مِن فَرْط غُلْمته ، ومن قوّة فِحلَتهِ : صِيصِيَة . ويقولون : مافلانٌ إلا صِيصيَة ، وهو عندهم اسمٌ لمن اشتدَّ لِواطه ؛ تشبيهاً منهم بصيصِية الديك فى الحدَّة والصَّلابة .

(بعض مزايا الديك)

وللديك انتصابُهُ إذا قام ، ومباينتُه صورَةً فى العين لصُورة الدجاجة ،
٨٧ وليس هذا الفرقُ الواضحُ من جميعِ الإناث والذكور موجوداً إلاّ فيه ، وليس ذلك للحمام والحمامة ، ولا للحمار والحمارة ، ولاللبِرذَون والرَّمَكة[1] ، ولا للفرس والحِجْر ، ولا للجمَل والنَّاقة ؛ وليس ذلك إلاَّ لهذه الفحولة لأنّها كالرَّجل والمرأة ، والتَّيس والظبية[2] ، والدِّيك والدَّجاجة ، وكالفُحَّال والنخلة المطعمة[3] . ألا ترى أنّك لو رأيتَ ناقةً مقبلة لم تدر

---

(١) الرمكة ، بالتحريك : البرذونة ، وهى الأنثى من الخيل الأعجمية ، وتعرف الخيل الأعجمية باسترخاء آذانها .

(٢) فى الأصل : « والضائنة » وإنما هى « الظبية » لتصح المقابلة ، فإن المراد بالتيس هنا الذكر من الظباء .

(٣) أطعمت الشجرة : دنا إثمارها ، أو أثمرت . ويقال اطعمت الشجرة – بوزن افتعلت – إذا أدركت ثمرتها ، أى أخذت طعما وطابت . فكلمة « مطعمة » يصح أن تقرأ بإسكان الطاء أو تشديدها . ولكل وجه . وأما الفحال – كرمان – فهو الذكر من النخل . وفى الأصل : « وكالنخلة والفحال والنخلة المطعمة » بتكرار « النخلة » ، وأصلحت القول بما ترى . وانظر الحيوان ٣ : ١٣٧ و ٥ : ٢٠٩ .

أنَاقةٌ هى أم جمل ، حتى تنظر إلى موضع الثِّيل والضَّرْع ، وإلى موضع الحيا. وكذلك العنز ، وكذلك جميع ما وصفت ، إلاّ أنْ يدّعوا أن للعامة أو لبعض الخاصة فى ذلك خصوصيَّة . ولذلك ضربوا المثل بالتّيس والنخلة والفُحّال ، فاشتقوا من هذا الفحل . وهذا أيضاً من خصال الدِّيك .

ثُمَّ للديك لحية ظاهرة، وليست تكون اللِّحى إلاّ للجمل فإنّه يوصف بالعثنون ، وإلا للتَّيس وإلاّ للرَّجل . وقال الرَّاجز فى الجمل :

مختلط[1] العُثنونِ كالتّيسِ الأحَمّْ

سامٍ كأنّ رأسَه فيه وَذَم

* إذْ ضمَّ من قَطرَيه هياج قَطِم *

ثمَّ الديك بعدُ صاحب اللِّحية والفرَق[2] . وقالت امرأةٌ فى ولدها وزوجها[3] :

* أشْهَبَ ذِى رَأسٍ كرأسِ الديكِ *

أمّا قولها أشهب ، فإنّها تريد أنّ شعرَ جسده قد ابيضَّ من الكِبَر، وإنَّما جعلتْ شعرَ رأسِهِ كرأس الديك لأنّه كان مخضوبَ الرأس واللِّحية بالحُمْرة ، ثُمَّ لم ترضَ له بشبه الرجَال من هذا الوجه حتَّى جعلتْ رأسه

(١) ط : « مخلتط » وهو تغيير مطبعى .

(٢) الفرق : انفراق العرف .

(٣) فى ص ٣٠٣ من هذا الجزء : وقالت امرأة فى زوجها وهى ترقص ابنا لها منه :

وهبته من سلفع أفوك ومن هبل قد عسا حنيك

* أشهب ذى رأس كرأس الديك *

أفرقَ ، وذلك شيءٌ من الجمال والوقار والفضل ، لا يتَهيَّأ للناس مع كمالهم وتمامهم إلاّ بالتكلف والاحتيالِ فيه .

ثُمَّ يبلغ من شدّة تعجله ومن قوَّته على السِّفاد ؛ وعلى الباب[1] الذى يفخر به الإنسان إذا كان ذا حظٍّ منه وهو ممّا يُذْكى النَّفس — كنحو[2] ما ذكر عن التّيس المراطىّ[3] ، وكنحو مَا تراهم يُبركون للبُخْتىّ الفالج عدّة قِلاص[4] ، فإذا ضَرَبَ الأُولى فخافوا عليها أن يحْطِمها وهو فى ذلك قد رمى بمائه مِراراً أفْلَتَه الرِّجَالُ على التى تليه فى القرب ، حتى يأتى على الثّلاث والأربعِ على ذلك المثال . وما دعاهم إلى تحويله عن الثالثة إلى الرابعة إلاّ تخوفهم من العجز منه .

وزعم أبو عبد الله الأَبرص العَمِّىُّ ، وكان من المعتزلين ، أنّ التَّيس المراطى قرَع فى أول يومٍ من أوَّل هَيْجِه نَيِّقًا وثمانين قَرعة .

والنَّاسُ يحكون ما يكون من العُصفور فى الساعة الواحدةِ من العَدَد الكثير . والنَّاس يُدخلون هذا الشكل فى باب الفضْل ، وفى باب شدَّة العجلة وتظاهرِ القوَّة . والديك يكون له وحدَه الدّجاج الكثيرُ ، فيُوسِعها قمطا وسفاداً . ٨٨

---

(١) لعلها « الباه » .

(٢) فى الأصل : « لأنه كنحو » وليس الكلام فى حاجة إلى « لأنه » . وكلمة « كنحو » صفة لمصدر محذوف من الفعل « يبلغ » المتقدم .

(٣) كذا . وقد جاء فى (٥ : ٢١٩) برسم « المسرطى » ، و « المشرطى » .

(٤) البختى : الواحد من الإبل البختية ، وهى الخراسانية . والفالج : الضخم ذو السنامين . والقلاص : جمع قلوص ، وهى الناقة الشابة .

وقد قلنـا فى حالة البيض الـكثير التُّرابى وقلبِه إيَّاه بسفادٍ إلى الحيوانيّة[١] . وعلى [أنّ[٢]] الذى يَخصيه إنَّما يُخرج له من بين الزِّمِكَّى[٣] وموضِع القطاة[٤] بيضَتين عظيمَتين معروفتين .

وأنا رأيتُ ديكا هِنديًّا تسنَّم دَجَاجَةً هِنديّة فلم يتمكَّنْ منها ، فرأيت نطفتَه حينَ مجَّها — وقد زَلِق عن ظهرها — على مَدَرة[٥] ، وكانت الدار مُثارَة[٦] لتُجعَل بُستانا ، فإذا تلك المجَّـة كالبَزْقة البيضاء ، فأخذها بعضُ مَن كان معنا فشمَّها حين رأى بياضَها وخُثورتها وكُدرتها ، ليعلم هل تناسب ريحُها ريحَ نُطفة الإنسـان ، وريحَ طَلع الفُحَّال ، فلم يجدْ ذلك .

ثمَّ معرفةَ الدِّيك باللَّيل وساعاته ، وارتفاقُ بنى آدم بمعرفته وصوته: يعرفُ آناء الليل وعددَ السَّاعات ، ومقاديرَ الأوقات ، ثمَّ يقسِّط أصواتَه على ذلك تقسيطا موزُونا لا يُغادر منـه شيئاً . ثمَّ قد علمنا أنّ اللَّيل إذا كان خمسَ عشْرَةَ ساعَةً أنّه يقسِّط أصواتَه المعروفةَ بالعَدد عليها ، كما يقسطها والليل تسعُ ساعات ، ثمَّ يصنع فيما بين ذلك من القسمة وإعطاء

---

(١) انظر ج ٣ : ١٧٧ حيث يسميه الجاحظ بيض الريح .

(٢) ليست بالأصل ، وبها يصلح الـكلام .

(٣) الزمكى ، بكسر الزاى والميم وتشديد الـكاف مقصوراً : أصل ذنب الطائر ، أو منبته. وكتبت فى الأصل بالألف .

(٤) القطاة : مابين الوركين ، أو العجز .

(٥) المدر : قطع الطين اليابس ، واحدته مدرة . وفى ط : « عن مذرة » وفى س : « عن مدرة » ، وهما تحريف ما أثبت .

(٦) أرضى مثارة : محروثة .

الحصَص على حساب ذلك . فليعلم الحكماءُ أنّه فوقَ الأَسطُرْلاب[١] ، وفوق [مقدار[٢]] الجزْر والمدِّ على منازل القمر ، وحتّى كأنَّ طبْعَه فَلَكٌ على حِدَة . فجمَعَ المعرفةَ العجيبةَ والرِّعاية العجيبة .

وربَّ معرفةٍ تكون نبيلةً وأخرى لا تكون فى طريق النَّبالة . وإنْ كانت المعارفُ كلُّها مفصَّلة مقدّرة ، إلاّ أنّها فى منازِلَ ومراتب . وليس فى الأَرض معرفةٌ بدقيقٍ ولا جليل وهى فى نفسها شريفةٌ كريمةٌ .

والمعرفةُ كلُّها بَصر ، والجهْل كله عمًى ، والعمى كلُّه شَيْنٌ ونقص ، والاستبانة كلُّها خيرٌ وفضْل .

ثمّ له بعد ذلك ارتفاق الناس بهذا[٣] المعنى منه .

ومن ذلك بُعدْ صوته ، وأنّه يدلُّ على أنّ موضعَه مأهُولٌ مأنوس ، ولذلك قالوا : لا يكون البُنْيان قريةً حتَّى يصقَع فيها ديك .

وليس فى الأَرض طائر أملح مِلْحاً[٤] من فرُّوج ، وليس ذلك الاسم إلاّ لولد الديك ، وإلاّ فكلُّ شيءٍ يخرج من البيض فإنّما هو فرخ[٥]

---

(١) الأسطرلاب أو الأصطرلاب : مقياس النجوم . وهو باليونانية « أصطرلابون » . وأصطر : وهو النجم ، ولابون هو المرآة . وقد يهذى بعض المولعين بالاشتقاقات فى هذا الاسم بما لا معنى له ، وهو أنهم يزعمون أن لاب اسم رجل وأسطر جمع سطر . وهذا اسم يونانى ، اشتقاقه من لسان العرب جهل وسخف . مفاتيح العلوم ١٣٤ . قلت : وقد وقع صاحب القاموس فى هذا الوهم الذى نبه عليه الخوارزمى (مادة لوب) .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٢٠) حيث نقل النويرى عن الجاحظ

(٣) فى الأصل : « لهذا » . يقال ارتفق بالأمر : انتفع به .

(٤) الملح هنا : بمعنى الملاحة .

(٥) فى الأصل « فروج » وهو تحريف يفسد المعنى . والوجه ما أثبت .

والفَرُّوج حين تنصدِع عنه البَيضة ، يخرج كاسباً عارفاً بموضع لقْط الحب وسدِّ الخَلّة ، وهو أصيَدُ للذُّباب من السُّودانىّ[١] ، ويدرُج مع الولادة بلا فَصْل .

و [هذا[٢]] مع ما أعطى من محبَّة النِّساء ، ورحمة الرجَال ، وحُسْن الرَّأى من جميع الدار[٣] ، ثم اتِّباعه لمن دَعَاه ، وإلفُه لمن قرَّبه . ثمّ ملاحةُ صوته وحُسن قَدِّه ، ثمَّ الذى فيه ممَّا يصحُّ له الفروج ويتفرَّج فيه[٤] . ٨٩

(قول جعفر بن سعيد فى تفضيل الديك على الطاوس)

وكان جعفر بن سعيد ، يزعم أنَّ الدِّيك أحمـدُ من الطاوس ، وأنَّه مع جماله وانتصابه واعتداله وتَقلُّعه[٥] إذا مشى ، سَليمٌ من مقابح الطاوس [ومن مُوقه وقبح صورته[٦]] ، ومن تشاؤم أهل الدار [به ، و[٧]] من قُبح رجليـه ، ونَذَالة مَرْآته[٨] . وزعم أنَّه لو ملك طاوساً لألبَسَ رجليه خُفًّا .

---

(١) السودانى : طائر من فصيلة الزرازير .

(٢) ليست بالأصل . والكلام فى الديك .

(٣) كذا . ويصح أن تكون « من جميع من فى الدار » أو « من جميع أهل الدار » .

(٤) كذا .

(٥) تقلع فى مشيته : مشى كأنه ينحدر . وفى الحديث فى صفته صلى الله عليه وسلم « أنه كان إذا مشى تقلع » . وفى الأصل « تعلقه » بتقديم العين ولا وجه له . واعتمدت فى تصحيحها على نقل الثعالبى عن الجاحظ فى ثمار القلوب ٣٧٣ .

(٦) التكملة من ثمار القلوب ٣٧٣ . والموق ، بالضم : الحمق .

(٧) التكملة من ثمار القلوب .

(٨) المرآة ، بالفتح : المنظر .

وكان يقول : وإنَّما يُفخَر له بالتَّلاوين ، وبتلك التعاريج[١] والتهاويل التى لألوانِ ريشه . وربَّما رأيتَ الدِّيك النَّبَطىَّ وفيه شبيهٌ بذلك[٢] . ألاَ إنَّ الدِّيك أجملُ من التُّدْرُج[٣] ؛ لمكانِ الاعتدال والانتصاب والإشراف ، وأسلمُ من العيوب من الطاوس .

وكان يقول : ولو كان الطاوس أحسنَ من الدِّيك النَّبَطى فى تلاوين ريشه [فقط[٤]] لكان فضلُ الديك عليه بفضل القدِّ والخَرْط ، وبفضل حُسْن الانتصاب وجودة الإشراف [أكثرَ[٥]] مِن مقدارِ فضْل حُسنِ ألوانِهِ على ألوان الديك ، ولكانَ السليمُ من العيوب فى العينِ أجمل[٦] لاعتراض تلك الخصال القَبيحة على حسن الطاوس فى عينِ الناظر إليه . وأوَّل منازل الحمد السلامة من الذَّمِّ[٧] .

وكان يزعم أنَّ قول [الناس[٨]] : فلانٌ أحسن مِن الطاوس[٩] ، وما فلان إلاَّ طاوس[١٠] ، وأنَّ قولَ الشاعرِ :

---

(١) التعاريج : الخطوط الملتوية . وفى ثمار القلوب : « التفاريج » .
(٢) فى الثمار : « شبه بذلك » .
(٣) فى الثمار : « الدراج » . والتدرج : ضرب من الدراج ، وهو طائر شبيه بالحمام ، حسن الصوت مبارك ، كثير النتاج يبشر بالربيع .
(٤) الزيادة من ثمار القلوب . وجملة « فى تلاوين » هى فى الأصل « وتلاوين » وتصحيحها من الثمار .
(٥) الزيادة من الثمار .
(٦) فى الأصل : « ولكان السليم من العيوب فى العين ، والعين فيه أعمل » وأثبت ما فى الثمار .
(٧) فى الأصل : « الذنب » والوجه ما أثبت من الثمار .
(٨) الزيادة من الثمار .
(٩) فى الثمار : « فلانة أحسن من الطاوس » .
(١٠) فى الأصل : « إلا طاوسا » وليس له وجه ، إذ أن من شروط عمل ما الحجازية ألا ينتقض نفيها بإلا ، وهى على الصواب فى الثمار .

* جلودُها مثلُ طواوِيسِ الذَّهب[١] *

وأنّهم لمّا سمّوا جيشَ ابن الأشعث[٢] الطواويس لـكثرةِ مَن كان يجتمع فيه من الفِتيان المنعوتين بالجمال ، إنما[٣] [قالوا ذلك[٤]] لأنَّ العامَّة لاتبصر الجمال . ولَفَرسٌ رائعٌ كريم أحســنُ من [كلِّ[٥]] طاوسٍ فى الأرض ، وكذلك الرَّجُل والمرأة . وإنما ذهبوا من حسنه إلى حسن ريشه فقط ، ولم يذهبوا إلى حسن تركيبه وتنصُّبه ، كحسن[٦] البازى وانتصابه ، ولم يذهبوا إلى الأعضاء والجوارح ، وإلى الشِّيات[٧] والهيئة ، والرأس والوجه الذى فيه .

وكان جعفر يقول : لمّا لم يكن فى الطاوس إلاّ حسنُه فى ألوانه ، ولم يكن [فيه[٨]] من المحاسن ما يزاحمُ ذلك ويجاذبُهُ وينازعه ويَشغل عنه — ذُكِرَ وتبيّنَ وظهر . وخصال الديك كثيرة ، وهى متكافئة فى الجمال . ونقول : لم يكن لعبد المطّلب فى قريش نظير ، كما أنّه ليس فى العرب لقريش نظير ، وكما أنّه ليس للعرب فى النّاس نظير[٩] ؛ وذلك حين لم تكن فيه خصلةٌ أغلبَ من أختها ، وتكاملت فيه وتساوت ، وتوافت إليه

---

(١) انظر الجزء الأول (ص ١٥٥) .
(٢) هو عبد الرحمن بن الأشعث الخارج على الحجاج . انظر ثمار القلوب ٣٨٠ .
(٣) فى الأصل : « وأما » وتصحيحه من الثمار .
(٤) ليست بالأصل . وفى الثمار : « قال ذلك » .
(٥) الزيادة من الثمار .
(٦) فى الأصل : « لحسن » وتصحيحه من الثمار .
(٧) الشيات : جمع شية ، وهو اللون المخالف . وفى الأصل : « الثياب » .
(٨) كلمة يحتاج إليها القول .
(٩) ط : « ليس فى العرب للناس نظير » وتصحيحه من س .

فكان الطَّبع فى وزن المعرفة ، فقالوا عند ذلك : سيِّد الأبطح[1] وسيِّد الوادى ، وسيِّد قريش . وإذا قالوا سيِّد قريش فقد قالوا سيِّد العرب ، وإذا قالوا سيِّد العرب فقد قالوا سيِّد الناس . ٩٠

ولو كان مثل الأحنف الذى برع فى حلمه وبرَع فى سائر خصاله لذكروه[2] بالحلم ؛ ولذلك ذكر قَيس بن زُهير فى الدَّهاء ، والحارث بن ظالم فى الوفاء، وعتيبة بن الحارث فى النَّجدة والثَّقافة .

ولو أنّ الأَحنَفَ بن قيس رأى حاجبَ بن زُرارة، أو زُرارة بن عُدَس، أو حِصْن بن حذيفة، لقدَّمهم على نفسه . وهؤلاء عيونُ أهلِ الوبر لايُذكَرون بشىءٍ دونَ شىءٍ ، لاستواءِ خِصال الخير فيهم .

وفى منحول شعر النابغة :

فألفيتُ الأَمانةَ لم تَخُنْها ... كذلك كانَ نوحٌ لا يَخُونُ

وليس لهذا الكلام وجهٌ ، وإنَّما ذلك كقولهم كان داودُ لا يخون ، وكذلك كان موسى لا يخون عليهما السلام ؛ وهم وإن لم يكونوا فى حالٍ من الحالات أصحابَ خِيانةٍ ولا تجوزُ عليهم ، فإنّ النَّاسَ إنَّما يضربون المثلَ بالشىء النادر من فِعل الرجال ومن سائر أمورهم ، كما قالوا : عيسى ابن مريم رُوح الله ، وموسى كليم الله ، وإبراهيمُ خليلُ الرحمن ، صلى الله عليهم وسلم .

ولو ذكر ذاكرٌ الصبرَ على البلاءِ فقال : كذلك كان أيُّوب لا يجزع

---

(١) س : « الأباطح » .
(٢) فى الأصل : « لذكره » .

كان قولاً صحيحاً . ولو [قال[١]] : كان كذلك نوح عليه السلام لا يجزع لم تكن الكلمةَ أعطيت حقَّها .

ولو ذكر الاحتمال[٢] وتجرُّع الغيظ فقال : وكذلك كان معاوية لا يسفهُ ، وكان حاتم[٣] لا يفحُش ، لكان كلاماً مصروفاً عن جهته . ولو قال : كذلك كان حاتم لا يبخَل لكان ذلك كلاماً معروفاً ، ولكان القول قد وقع موقعَه ، وإن كان حاتمٌ لا يُعرَف بقلّة الاحتمال وبالتَّسَرُّع إلى المكافأة .

ولو قال : سألتك فمنعتنى وقد كان الشَّعبىُّ لا يمنع ، وكان النَّخعِىُّ لا يقول « لا » ، لكان غيرَ محمودٍ فى جهة البيان ، وإن كان ممَّن يُعطِى ويختار « نعم » على « لا » . ولكنْ لمَّا لم يكن ذلك هو المشهور من أمرهما لم تُصرَف الأمثال إليهما ، ولم تضرب بهما .

قال جعفر : وكذلك القول فى الديك وجمالِه ؛ لكثرة خصاله ، وتوازُن خلاله ، ولأنَّ جمال الديك لا يلهَج بذكره إلاّ البُصراء بمقادير الجمال والتوسُّطِ فى ذلك ، والاختلاط والقصد ، وما[٤] يكون ممزوجا [وما يكون[٥]] خالصاً . وحُسن الطاوس حسنٌ لا تعرف العوامُّ غيرَه ، فلذلك لهِجت بذكره .

---

(١) زدتها ليستقيم الكلام .
(٢) فى الأصل : « الاحتيال »، والوجه ما أثبت .
(٣) فى الأصل : « الأحنف » ، والكلام يقتضى ما أثبت .
(٤) فى الأصل : « وما » .
(٥) زدتها ليستقيم الكلام .

ومن الدَّجاج الخِلاسىُّ[1] والهندىّ ، ومن الدَّجاج الزِّنجى[2] ومنها الكَسْكَرِىّ[3] ، ومن الدِّيَكة ما يُخصَى فلا يبلغه فى الطِّيب والسِّمن شيء وإن اشتدَّ لحمه . وإن كان غير خَصىٍّ فقد يُمدح ذلك من وجهٍ هو أرَدُّ عليه فى باب الفخر[4] ، من رَخاوة اللَّحم واستطابة الأكل . وعلى أنَّه لو كان أدناه من بعضِ سباع الطَّير ، أو عدا خَلْفَه إنسانٌ ، فكان يريد أخْذَه حتَّى إذَ فسخه البهر ارتدَّ فى موضعه لا يبرحُه ، ثم ذبحه على المكان ، لجَمَع به الخصالَ كلَّها . 91

ولو علِّقَ فى عنقه حَجَرٌ ليلتَه بعد أنْ ذبحه ، أو أولج بطنَه شيئاً من حلْتيت[5] لجَمَع بهِ الخصال ؛ فإنَّه أعْمَلُ فيه من البُورَق[6] وقشورِ البِطّيخ فى اللحم المفصّل[7] .

وهو بعدُ غيورٌ يحمى دَجاجَه[8] . وقال الرَّاجز :

* يغارُ والغَيرةُ خُلْقٌ فى الذَّكَرْ *

---

(١) الخلاسى ، بالكسر : ما تولد بين الهندى والنبطى . كتاب البغال ص ٢٩٨ .

(٢) س « الزنجرى » !

(٣) الكسكرى منسوب إلى كسكر، قال ياقوت : « كورة واسعة ينسب إليها الفراريج الكسكرية ، لأنها تكثر بها جداً ، رأيتها أنا تباع فيها أربعة وعشرون فروجا كباراً بدرهم واحد » . وقال الثعالبى فى الثمار ٤٢٦ : « كسكر إحدى كور السواد من ريف دجلة والفرات ، ودجاجها موصوف بالجودة والسمن ، ومذكور فى أطايب الأطعمة . وربما بلغت الواحدة منها وزن الجدى والحمل » . وهى فى الأصل : « السكسركرى » تحريف ما أثبت .

(٤) أرد : أنفع . وفى الأصل : « رد علية من باب الفخر ومن رخاوة اللحم » .

(٥) قال داود : « هو صمغ الأنجدان » .

(٦) فى الأصل « فإنه من أعمل فيه البورق » ! والبورق : النطرون ، أو النطرون ضرب من ضروب البورق .

(٧) المفصل : المقطع . وفى الأصل : « المفضل » وهو تصحيف .

(٨) ط « دجاجته » وأثبت ما فى س .

وقال الآخر :

* الفحل يَحْمِى شَوْلَهُ مَعْقولا(١) *

(لحم الدجاج)

ولحمُ الدَّجاج فوق جميع اللُّحمان فى الطِّيب والبياض ، وفى الحسن . والملوك تقدِّمه على جميع الفراخ والنواهض(٢) ، والبطِّ ، والدُّرَّاج ، وهم للدُّرّاج آكَلُ منهم للجِداء الرُّضَّع ، وللعُنُق الحُمر(٣) من أولاد الصَّفايا .

والدَّجاجُ أكثر اللُّحوم تصرُّفاً ، لأنَّها تطيب شِواءً ، ثم حارًّا وبارداً ، ثمَّ تطيب فى البَزْمَاوَرْد(٤) ، ثم تطيب فى الهرائِس(٥) ،

---

(١) الشول : النوق التى خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر ، أو ثمانية ، والواحدة شائلة ، والشول جمع على غير قياس . يريد أن الحر يحتمل الأمر الجليل فى حفظ حرمه وإن كانت به علة . أمثال الميدانى (٢ : ١٦) .

(٢) النواهض: جمع ناهض ، وهو فرخ الطائر الذى وفر جناحه وتهيأ للطيران ، وتعرف فى لغة عامة مصر بالزغاليل .

(٣) العنق : جمع عناق بالفتح ، وهى الأنثى من أولاد المعز . انظر الحيوان (١ : ٢٢٣) .

(٤) فى القاموس « الزماورد بالضم : طعام من البيض واللحم ، معرب ، والعامة يقولون بزماورد ، وفى التاج : « وقوله بزماورد وهو الرقاق الملفوف باللحم . قال شيخنا : وفى كتب الأدب هو طعام يقال له لقمة القاضى . ولقمة الخليفة ، ويسمى بخراسان نواله ، ويسمى نرجس المائدة وميسر ومهنا » قلت : يبدو أن هذا الاسم تنقل بين هذه المسميات ، فضاع أصل مسماه . وانظر ما سيأتى فى ٦ : ٩١ .

(٥) الهرائس : جمع هريسة ، وهى طعام يتخذ من الحنطة واللحم ، وأجوده المتخذ من الحنطة النقية المقشورة ولحم الدجاج . وصنعتها أن يغلى اللحم حتى تنزع رغوته ثم يرمى معه كنصفه من الحنطة ، أو أقل ، والماء مثلاهما ، وتغلى مكشوفة حتى يذوب ما فى اللحم من الدهن فينزع ، ويقوم الملح ، وتفوه بنحو الدارصينى والقرنفل وتسد بالعجين إلى نحو عشر ساعات ثم ترفع وتضرب وتسقى دهنها المنزوع أولا . تذكرة داود ١ : ٣٤٣ . وهى فى ط « الهرائيس » وأثبتها ما فى س . وانظر الأشعار والأخبار التى وردت فيها بالمحاضرات (١ : ١٩٣) .

ويحدث لَهَا به نفحةً لا تُصاب مع غيرها ، وتَطيب طبيخاً ، وتَطيب فُصوصها ، وإنْ قطَّعتَها مع اللحم دَسِمَ ذلك اللحم . وتصلح للحَشاوى ، وللملاقسطى[١] ، وتصلح فى الاسفرجَات[٢] وسمينُها يقدَّم فى السِّكباجة[٣] على البطّ ، إلاّ أنها تُطْعَمُ المَفْصُودَ[٤] وليس ذلك للبطّ .

(لفظ : الدجاج)

قال : والدِّيَكة دَجَاج إذا ذكرت فى جملة الجنس ، وهذا الباب ممَّا تغلَّب فيه الإناث على الذُّكورة . وقال آخرون : لا ، ولكنَّ الدِّيكَ نفسه دَجَاجة ، إلاَّ أنَّهم أرادوا إبانَته بانَّه ذكرٌ فقالوا : ديك ، كما يسمُّون الذَّكر والأنثى فرساً بلا هاء ، فإذا أرادوا أن يُثبتوا إناثها قالوا حِجْر ، وإن كانت حِجْراً فهى فرس . وقال الأخطل :

نازعْتُه فى الدُّجَى الرَّاحَ الشَّمُولَ وقدْ
صاحَ الدَّجَاجُ وحانتْ وَقْفةُ السَّارِى[٥]

---

(١) كذا .

(٢) كذا . ولعلها « الأسفيذباجات » . انظر كتاب الطبيخ للبغدادى ص ٣٢ .

(٣) يقال للسكباج الخلية والخللة والصفصافة . ويبدو أنه اللحم يعالج بالخل والتوابل ويضاف إليه أحيانا الزعفران والسذاب . انظر المحاضرات (١ : ٢٩٢) .

(٤) أى يصح للمفصود أن يأكل منها ، بخلاف البط ، فإنه كما قال داود فى تذكرته ١ : ٨١ « يولد دما كثيرا » . وفى الأصل : « المقصود » وأصلحته بما ترى .

(٥) السارى : الذى يسير ليلا . وإنما تحين وقفته للراحة من آخر الليل إذا اقترب الفجر . والدجاج يطلق على المذكر والمؤنث ، وقد أراد الأخطل به هنا الديكة والتاء فى الدجاجة ليست للتأنيث ، بل هى للإفراد من الجنس . انظر اللسان (دجج) وشرح شواهد المغنى ٦١ .

وقد بيَّن ذلك القرشيُّ[1] حيث يقول :

اطرُدوا الدِّيكَ عن ذُؤابةِ زيـدٍ كانَ مَا كانَ لاتطأه الدَّجَاجُ[2]

وذلك أنّه كان رأى رأسَ زيدِ بن على[3] فى دار يوسفَ بن عمر[4] ، فجاء ديكٌ فوطئ شعْرَه ونقَره فى لحمه ليأكله .

(حوار فى صياح الديكة)

قالوا : قد أخطأ مَن زعم أنّ الدِّيكة إنَّما تتجاوب ، بل إنّما ذلك منها شيءٌ يتوافق فى وقت ، وليس ذلك بتجاوُبٍ كنباح[5] الكلاب ؛ لأنّ الكلبَ لاوقتَ له ، وإنَّما هو صامتٌ ساكت مالم يحسَّ بشىء يفزَع منه ، فإذا أحسَّ به نبَح ، وإذا سمع نُباح كلبٍ آخر أجَابَ ثم ٩٢

(١) هو قرشى وشيعى . انظر الكامل . ٧١ ليبسك .

(٢) الرواية فى الكامل : « طالما كان لا تطأه الدجاج » .

(٣) فى الأصل: « زيد بن عمر » وهو خطأ صوابه ما أثبت من الكامل ، ومعجم البلدان (كناسة) ، وهو زيد بن على بن الحسين ،وكان خرج على هشام بن عبد الملك ، وقتله يوسف بن عمر الثقفى وصلبه بالكناسة — هى موضع بالكوفة — عريانا . . . وكان زيد يلقب بالمهدى . فقال شاعر أموى (انظر الكامل) :

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم نر مهديا على الجذع يصلب

(٤) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفى ، ولى اليمن لهشام بن عبد الملك سنة ١٠٦ ثم نقله هشام إلى ولاية العراق سنة ١٢١ ، فاستخلف ابنه الصلت على اليمن وقصد العراق ، فقتل خالدا القسرى (أمير العراق قبله) ، وأقام بالكوفة إلى أيام يزيد بن الوليد ، فعزله سنة ١٢٦ وقبض عليه ، وحبسه فى دمشق إلى أن قتله يزيد بن خالد القسرى بثأر أبيه سنة ١٢٧. ابن خلكان (٢ : ٣٦٠ — ٣٦٥) . ويوسف هذا هو ابن ابن عم الحجاج بن يوسف بن الحكم

(٥) فى الأصل : « بتجاوب نباح » .

أجابَ ذلكَ آخرُ ، ثمَّ أجابهما الكلبُ الأوَّلُ ، وتبيَّن أنّه المجاوِب جميع الكلاب . والدِّيك ليس إذًا من أجْل أنّه أنكر شيئاً استجاب[1] ، أو سمع صوتاً صقع[2] ، وإنّما يصقع[3] لشيءٍ فى طبعه ، إذا قابل ذلك الوقتَ من اللَّيل هيّجَه . فعَدَدُ أصواتِهِ فى الوقتِ الذى يُظَنُّ أنّه تتجاوبُ فيه الدِّيكة ، كعدَدِ أصواتِهِ فى القريةِ وليس فى القريَةِ ديكٌ غيره ، وذلك هو فى المواقيت . والعلّةُ التى لها يصقَع فى وقتٍ بعينه شائعةٌ فيها فى ذلك الوقت . وليس كذلك الكلاب ! قد تنبح الكلاب فى الخُرَيْبة[4] وكلابٌ فى بنى سعد غير نابحة ، وليس يجوز أن تكون دِيَكة المهالبة تصقع[5] ، وديكة المسامِعة ساكتة[6] .

فإنْ أراد مريدٌ بقوله إنّ الدِّيكة تتجاوب ، على مثل قول العرب : هذه الجبال تتناظَر ، إذا كان بعضُها قُبالة بعضٍ ، وإذا كان الجبلُ من صاحبه بالمكان الذى لو كان إنسانٌ رآه — جَاز ذلك . وعلى هذا المثال قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم فى نارِ المشركين ماقال ، حيث قال : « لاتَتَرَاءَى نارَاهما[7] » ، ومع قول الشاعر :

---

(١) فى الأصل : « ليس من أجل أنه أنكر شيئا إذا استجاب » .

(٢) فى الأصل : « صفع » وإنما هى « صقع » بمعنى صاح .

(٣) فى الأصل : « يصفع » .

(٤) الخريبة ، بهيئة التصغير : موضع بالبصرة .

(٥) فى الأصل : « تصفع » .

(٦) المسامعة : محلة بالبصرة تنسب إلى بنى مسمع بن شهاب بن عمرو . معجم البلدان فلعل « المهالبة » أيضاً محلة أخرى بها منسوبة إلى بنى المهلب بن أبى صفرة .

(٧) الرواية فى اللسان والنهاية وأمثال الميدانى (٢ : ١٦٢) : « لاترائى » بإسقاطه إحدى التاءين . قال الميدانى : « يعنى نارى المسلم والمشرك ، أى لا يحل للمسلم أن يسكن بلاد الشرك فيكون معهم بحيث يرى كل واحد منهما صاحبه ، فجعل الرؤية للنار ، والمعنى أن تدنو هذه من هذه . وأراد : لاتترائى ، فحذف إحدى التاءين . وهو نفى يراد به النهى » .

* لاتتراءى قبورهما[1] *

وقال ابن مُقْبِلٍ العَجْلَانىّ[2] :

سَـلِ الدّار من جنْبَى حِبِرٍّ فَواهـبٍ
وحيثُ يُرَى هَضبَ القَليبِ المضَيّحُ[3]

وتقول العرب : إذاكنتَ بمكان كذا وكذا ، حيثُ ينظُر إليك الجبُل فخُذْ عَن يسارِك أو عن يمينك .

وقال الرَّاجز :

* وكما يرى شَيْخ الجبالِ ثَبِيرا[4] *

وشيخ الجبال عنده أبو قبيس .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار : « أنا برىءٌ من كلِّ مسلمٍ مع كلِّ مشرك » . قيل : ولِمَ يارسولَ الله ؟ قال : « لاتتراءى ناراهُما » .

---

(١) كذا . ولعلها « لاتراءى قبورها » .

(٢) فى الأصل : « ابن مقبر العجلانى » ، وصوابه « ابن مقبل » . وهو تميم بن مقبل ابن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان ، كما فى الإصابة ٨٥٨ ، أو هو تميم ابن أبي مقبل . . . الخ كما فى الخزانة (١ : ٣١٤ سلفية). أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره وأسلم ، وله خبر مشهور مع عمر بن الخطاب فى استعدائه على النجاشى الشاعر . الإصابة والخزانة والعمدة (١ : ٢٧) .

(٣) فى الأصل : « جبير » موضع « حبر » ، وتصحيحه من اللسان (رأى) ومعجم البلدان (حبر) و (واهب) . وكلمة « فواهب » هى فى الأصل « فراهب » وتصحيحه من المعجم فى الموضعين . و « يرى » هى فى الأصل « ترى » مصحفة. و « المضيح » هى فى الأصل « المصبح » كما فى اللسان محرفة . والصواب ما أثبت من المعجم فى موضعيه . وحبر ، وواهب ، والمضيح : أمكنة متقاربة فى ديار بنى سليم . ويرى المضيح هضب القليب ، أى يقابله .

(٤) فى الأصل : « وكما ترى » ، والوجه ما أثبت .

وقال الكسائىّ : تقول العرب : دارى تنظُر إلى دار فلان ، ودورنا تتناظر . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَايُبْصِرُونَ ﴾ .

وإنّما قال القوم فى تجاوُب الدِّيكة ببيتِ شعرٍ سمعوه للطِّرِمّاح ، جهلوا معناه ، وهو :

فياصُبْحُ كَمِّشْ غُبَّرَ اللّيلِ مُصْعِدًا   بِبَمٍّ ونَبِّهْ ذَا العِفاءِ الموَشَّحِ[(١)]

إذا صاحَ لم يُخذَل وجَاوبَ صوتَه   حِمَاشُ الشَّوى يَصْدَحن من كلِّ مَصْدَحِ[(٢)]

٩٣ وكذلك غلِطوا فى قول عَبْدة بن الطَّبيب[(٣)] :

إذ صفّق الدِّيك يدعو بعضَ أسرتِه   إلى الصَّبـاح وهم قوم معازيل[(٤)]

وإنّما أرادَ تَوافىَ ذلك منها معًا ؛ فجعلها دعاء وتجاوبا على مافسرناه.

---

(١) كمش : أسرع وعجل . وغبر الليل : بقيته . وبم : أرض من كرمان . وذو العفاء : الديك . والعفاء ، بالكسر : ما كثر من الوبر والريش ، الواحدة عفاءة . وفى اللسان : « وديك موشح : إذا كان له خطتان كالوشاح » وأنشد عجز هذا البيت . فبذلك يكون جر « الموشح » على المجاورة . وأنا أراه وصفا للعفاء ، كما يوصف الثوب فيقال : ثوب موشح : إذا كان فيه وشى . حكاه ابن سيده عن اللحيانى، كما فى اللسان . والبيت فى الأصل محرف، فصدره فى ط ، س: « فياصبح كهش عبر الليل مصعدا » وعجزه فى ط: « ينم وينها كالعفاء » و س: « ينم وينه كالعفاء » وتصحيحه من ديوان الطرماح ٦٩ واللسان .

(٢) حماش الشوى : دقاق الأرجل ، وعنى بهن الديكة . وفى س : « يصدحن منهن مصلح » وهو تحريف .

(٣) ط: « عبد الله بن الطيب » س : « عبادة بن الطيب » وهما تحريف ما أثبت . والبيت الآتى من قصيدة له مفضلية ، مطلعها :

هل حبل خولة بعد الهجر موصولى   أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

انظر المفضليات ١٤٣ .

(٤) قد جعل للديك أسرة ، والأسرة للناس . وأراد بقوله « وهم قوم » جماعة الدجاج . والمعازيل : الذين لا سلاح معهم . انظر اللسان (عزل) .

(تفضيل صاحب الكلب الحمار على الديك)

قال صاحب الكلب : لولا أنّا وجدنا الحمار المضروبَ به المثلُ فى الجهل ، يقومُ فى الصَّباح وفى ساعات اللّيل مقامَ الدّيكة ، لقد كان ذلك قولاً ومذْهبًا غيرَ مَرْدُود . ولو أنَّ متفقدًا يتفقَّد ذلك من الحمار لوجدَه منظومًا يتبع بعضُه بعضاً على عددٍ معلوم ؛ ولوجَدَ ذلك مقسوماً على ساعات الليل ، ولكان لقائلٍ أن يقول فى نهيق الحمار فى ذلك الوقت : ليس على تجاوبٍ ، إنّما ذلك شىء يتوافى معاً ، لاستواء العلة ، ولم تكن للدِّيك الموصوفِ بأنّه فوق الأَسْطَرلاب فضيلةٌ ليست للحمار .

وعلى أنّ الحمار أبعدُ صوتاً ، وقد بلغ من شدَّة صوتِه ما إن حلَفَ أحمدُ بن عبد العزيز : إنّ الحمار ماينام ! قيل له : وما ذاك ؟ قال : لأنّى أجدُ صياحَه ليس بصياح شىءٍ انتبه تلك الساعة ، ولا هو صياحُ من يريد أن ينام بعد انقضاء صياحه ! .

هذا والحمارُ هو الذى ضَرب به القرآنُ المثلَ فى بُعد الصوت ، وضَرب به المثلَ فى الجهْل ، فقال : ﴿ كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾ . فلو كان شىءٌ من الحيوان أجهلَ بما فى بطون الأسفار مِن الحمار ، لضرَب الله المثلَ به دونَه .

(عشرة أمثال فى شأن الحمار)

وعلى أنّ فيه من الخصال ماليس فى الديك ، وذلك أنّ العربَ وضعته من الأمثال التى هى له فى عشرة أماكن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«كلُّ الصَّيْدِ فى جوْفِ الفَرَا »[1] وكفاك بِهِ مثلاً إذا كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفضيل هدايةِ أبى سفيان .

وقالت العرب : « أنْـكَحُ من الفَرَأ » . والفَرَأُ مهموز مفتوحة الفاء مجموعُهُ فِرَاءٌ[2] ، قال الشاعر[3] :

بِضَرْبٍ كآذانِ الفِرَاءِ فُضُولُه وطَعْنٍ كإيزاغ المخَاضِ تبُورُها[4]

وتقول العرب : « العَيْرُ أوْقى لِدَمِه[5] » . وقولهم : « مَنْ يَنِك العَيْرَ يَنِك نَيَّاكاً[6] » . وقالوا : « الجحْشَ إذا فاتَتْكَ الأعيار[7] » وقالوا :

---

(١) الفرا بالفتح ، يقصر ويهمز ويمد ، هو الحمار الوحشى . والحديث مثل تمثل به رسول الله . وانظر أصل المثل فى الميدانى (٢ : ٧٤) . والسبب فى هذا الحديث أن أبا سفيان استأذن النبى فحجبه ثم أذن له فقال له : « ما كدت تأذن لى حتى تأذن لحجارة الجلهتين » — وكان قد أدخل غيره من الناس قبله — فقال « ياأبا سفيان أنت كما قال القائل : « كل الصيد فى جوف الفرا » أراد أن يقول له إنه فى الناس كحمار الوحش فى الصيد ، كلها دونه ، يتألفه بذلك على الإسلام . وقال أبو العباس المبرد : معناه إذا حجبك قنع كل محجوب ورضى ، لأن كل صيد أقل من الحمار الوحشى ، فكل صيد لصغره يدخل فى جوف الحمار ، وذلك أنه حجبه وأذن لغيره . اللسان (فرأ) وكذا ابن الأثير فى النهاية . وانظر كامل المبرد ١٨١ ليبسك والدميرى (فرأ) .

(٢) فى الأصل : « مجموعة فراء » ، والصواب ما أثبت .

(٣) هو مالك بن زغبة الباهلى كما فى اللسان (فرأ ، بور). وانظر ٦ : ٤١٢ .

(٤) س : « كايزاغ المخاض بواعا » ، ط : « كايزاع المخاض النوازع » . وكلاهما محرف وتصحيح البيت من اللسان (فرأ) و (بور) والكامل ١٨١ ليبسك والمعانى (٢ : ٧٣) . يقول : إن ضربه لخصمه يترك لحمه معلقا يتحرك ، من شدة تمزقه . والإيزاغ : دفع الناقة ببولها . تبورها : تختبرها ، تعرضها على الفحل لتنظر ألاقح هى أم حامل ، وهى إذا كانت حاملا بالت فى وجه الفحل .

(٥) يضرب للموصوف بالحذر ، وذلك أنه ليس شىء من الصيد يحذر حذر العير إذا طلب . وفى الأصل : « أوفى » بالفاء . والوجه ما كتبت من أمثال الميدانى (١ : ٤٢٠) . وانظر نهاية الأرب (١٠ : ٩٥) .

(٦) يضرب مثلا لمن يغالب الغلاب . وأصل المثل فى الميدانى (٢ : ٢٣٢) . وانظر الحيوان (٣ : ٤١) .

(٧) الجحش نصب بفعل مضمر ، أى اطلب الجحش ، وهو ولد الحمار قبل أن يفطم . =

« أصبَرُ من عَير أبى سيَّارة »(١) ؛ لأنَّه كان دفعَ بأهْلِ الموسم على ذلك الحمار أربعينَ عامًا .

وقالوا : « إن ذَهَب عيرٌ فعَيْرٌ فى الرِّباط »(٢) . وقالوا فى المديح لصاحب الرأى : « جُحَيش وَحْدِهِ » ، و « عُيَير وحده »(٣) ، و « العَيْرُ يَضْرِط والمِكواةُ فى النَّار »(٤) ؛ وقالوا : « حمارٌ يحمل أسفارًا »(٥) ، و « أضلُّ من حمارِ أهله »(٦) ، و « أخزى الله الحِمارَ مالاً لا يُزَكَّى ولا يذَكَّى »(٧) ، و « قد حِيلَ بين العَيْر والنَّزَوان »(٨) . ٩٤

= والمثل يضرب لمن يطلب الأمر الكبير فيفوته ، فيقال له اطلب ما دون ذلك . اللسان (جحش) والميدانى (١ : ١٤٩ - ١٥٠) ونهاية الأرب (١٠ : ٩٦) .

(١) انظر الحيوان (١ : ١٣٩) .

(٢) الرباط : حبالة الصائد ، يقال للصائد : إن ذهب عير فلم يعلق فى الحبالة فاقتصر على ماعلق . يضرب فى الرضا بالحاضر وترك الغائب . الميدانى (١ : ٢٣) ونهاية الأرب (١٠ : ٩٦) .

(٣) يضربان لمن يعتزل الناس ويستبد برأيه . اللسان (جحش) والميدانى (١ : ٤٢١)

(٤) يضرب للرجل يخاف الأمر فيجزع قبل وقوعه فيه . وأصل المثل فى الميدانى (٢ : ٣٧) بلفظ : « قد يضرط العير والمكواة فى النار » .

(٥) مثل قرآنى ، والأسفار : جمع سفر ، وهو الكتاب . وأصله قوله تعالى « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » ، يعنى اليهود فى تركهم استعمال التوراة وما فيها . والحمار يحمل الكتب وهو لايعرف ما فيها ولا يعيها . يضرب مثلا للذى يحوز الشىء الجليل ولا يستطيع الانتفاع به ، أو لمن يعلم ولا يعمل بعلمه .

(٦) لم أهتد إلى مرجع لهذا المثل وانظر (١ : ٢٢١) .

(٧) لايزكى : لاتجب فيه الزكاة ، فإن الحمير والبغال والحملان والفصلان والعجاجيل لاتجب فيها الزكاة . ولا يذكى : من التذكية ، وهى الذبح ؛ فإن الحمار مما لايحل أكله فى أصح الأقوال . وهذا المثل فى الدميرى (١ : ٣٧٣) بلفظ : « شر المال ما لا يذكى ولا يزكى » قال الدميرى : « أشاروا بذلك إلى الحمار »

(٨) قالوا : أول من قال ذلك صخر بن عمرو أخو الخنساء ، وقد كان طعن فى =

فالذى مُدح به أكثر ؛ فقد وجدنا الحمار أبعدَ صوتاً ، ووجدناه يعرف من أوقات الليل ويميِّز عددًا معــلومًا إلى الصبح ، إلاَّ أنَّ له فى الأسحار فضيلة .

والحمارُ أجهلُ الخلق ، فليس ينبغى للدِّيك أن يُقضَى له بالمعرفة والحمار قد ساواه فى يَسِير[1] علمه ، ثم بايَنَه أنَّ الحمار أحسنُ هداية . والدِّيك إن سقط على حائط جارِه لم يُحسن أن يهتدى إلى داره ، وإن خرج مِن باب الدار ضلَّ ، وضلالُه من أسفل كضلالِه من فَوق .

(ما روى صاحب الديك من أحاديث فى الديك)

قال صاحب الديك : حدَّثونا عن صالح بن كيسان ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، قال : « صرخَ ديكٌ عندَ النبى صلى الله عليه وسلم فسبَّه بعضُ أصحابه ، فقال : لا تَسبَّهُ فإنّه يدعُو إلى الصلاة » .

وعن ابن الماجِشُونِ ، عن صالح بن كيسان ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود ، عن يزيد بن خالد الجُهنى : « أنّ رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم نَهَى عن سبِّ الديك وقال : إنّه يؤذِّن للصَّلاَة » .

= غزوة فرض حولا ، فلته زوجه وبرمت به ، وأظهرت غدراً ، حتى لقد هم بقتلها ، وطلب السيف ليقطعها فإذا يده لا تقله ، فقال فى ذلك منوها ببر أمه (الميدانى ٢ : ٣٨) والكامل ٧٤٦ ليبسك :

أرى أم صخر لاتمل عيادتى ... وملت سليمى مضجعى ومكانى
فأى امرئ ساوى بأم حليلة ... فلا عاش إلا فى شقا وهوان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان

(١) فى ط : « سيد » وتصحيحه من س .

الحسن بن عمارة ، عن عمرو بن مرَّة ، وعن سالم بن أبي الجعد[1] ، يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ ممّا خلق الله تعالى لَديكاً عُرْفُه تحتَ العرش وبَرَاثِنُهُ فى الأرض السُّفلى ، وجَناحاه فى الهواءِ[2] ، فإذا ذهب ثُلثا الليل وبقي ثلثُه ضربَ بجناحه ثم قال : سبِّحوا الملِكَ القُدُّوس ، سُبُّوح قُدُّوس — أىْ أَنَّهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ — فعند ذلك تضرِب الطَّيرُ بأجنحتها وتصيحُ الدِّيَكة» .

وأبو العلاء عن كَعب : « إنَّ لِلهِ تَعالَى دِيكاً عُنُقُهُ تَحْتَ العرش ، وبراثنهُ فى أسفل الأرَضين ، فإذا صاحت الدِّيكةُ يقول : سبحانَ الملِكِ القُدُّوس الملِك الرَّحمٰن ، لا إله غيره » . قال : والدِّيَكة أكيسُ شيءٍ

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنَّ الدِّيكَ الأبيضَ صديقى ، وعدوٌّ عدوِّ الله ، يحرس دارَ صاحِبِهِ وسبعَ دُور » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيِّته معه فى البيت .

ورُوى أنّ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يسافرون بالدِّيكة .

(ذبح الديك الأفرق)

وزعم أصحابُ التَّجربةِ أنَّه كثيراً ما يَرون الرَّجلَ إذا ذبح الدِّيك الأبيضَ الأفرق[3] ، أنّه لا يزال يُنْكَب فى أهله وماله .

---

(١) فى الأصل : « سالم مولى أبي الجعد » ، صوابه فى تهذيب التهذيب والمعارف ٢٠٠ .

(٢) فى الأصل : « الهوى » .

(٣) الأفرق : المفروق العرف .

(كيف تعرف الديك من الدجاجة إذا كان صغيراً)

ومما فى المحاجاة أن يقال : كيف تعرف الدِّيك من الدجاجة إذا كان صغيراً حين يخرجُ من البيضة ؟ فقالوا : يعلّق بمنقاره ، فإنْ تحرَّكَ فهو ديك وإن لم يتحرَّك فهو دجاجة .

(بعض ما قيل من الشعر فى حسن الدجاجة و نبل الديك)

قال الشاعر [1] فى حُسن الدَّجاجة ونَبل الديك :

٩٥ غَدَوْتُ بشَربةٍ من ذاتِ عِرْقٍ ... أبا الدَّهناء من حَلَبِ العصير [2]

وأُخرى بالعقَنْقَل ثم رُحنا ... نرى العُصفورَ أعظمَ من بَعير

كأنَّ الدِّيكَ دِيكَ بنى نُمير ... أميرُ المؤمنين على السَّرير [3]

كأنَّ دجاَجهم فى الدَّار رُقطاً ... بناتُ الرُّوم فى قُمُص الحرير [4]

فبتُّ أُرَى الكواكبَ دانياتٍ ... يَنَلنَ أناملَ الرَّجُلِ القَصير [5]

أُدافعُهنَّ بالكفَّينِ عنِّى ... وأمسح جانبَ القمر المنير [4]

(١) انظر الشعر فى هذا الجزء ص ٣٥٦ وديوان المعانى (١ : ٣٣٠) ، و (٢ : ١٣٦) ونثار الأزهار ٩٧ ، ونهاية الأرب (١٠ : ٢٢٧) وحماسة ابن الشجرى (٢٧٨) والعقد (٦ : ٣٤٧ لجنة التأليف) .

(٢) ذات عرق : هو الحد بين نجد وتهامة . والحلب : الشراب .

(٣) السرير هنا : عرش الخلافة ، أو هو الملك والإمارة .

(٤) الرقط : جمع رقطاء ، وهى ذات اللون الأسود يشوبه نقط بيض أو العكس . ورواية النهاية والنثار : « وفود الروم » .

(٥) أرادتنا لهن أنامل الرجل القصير ، فى الكلام قلب . انظر الصاحبى ١٧٣ .

(٦) الرواية فى ديوان المعانى : « وأمسح عارض القمر المنير » .

(طعن صاحب الكلب فى الديك)

وقال صاحب الكلب : الأشياءُ التى تألفُ الناس لا تريد سواهم كالعصفور والخطّاف والكلب والسّنورِ . والدِّيكُ ممّا يتّخذه الناس ، وليس ممّا يحنُّ إليهم فيقطَع البلادَ نِزاعًا ، فيكون كالقواطع من الطير التى تريدهم كالخطّاف ، ولا هو من الأوابد كالعصفور الذى حيثُما دار رجع إليهم ، ولا هو كالكلب الذى [لا[1]] يعرف سواهم ، ولا هو كالأهليِّ من السنانير التى متى ألفِتهم لم تفارقْهم ، وتعُسُّ باللّيل ، وتطوف فى القبائل من دار إلى دار ثمَّ لا يكون مرجعُها إلاَّ إليهم . والدِّيك فى خلافِ ذلك كلِّه ، ثمّ لا يألف منزله ولا يعرف رَبْعه ، ثم لا يحنُّ إلى دجاجهِ ، ثمَّ لا تتوق نفسُه إلى طَروقته[2] ، ولا يشتاق إلى ولده ، ولا يعرفُ الذين غذَوه وربَّوه ، بل لم يدر قطُّ أنَّ له ولدًا ، ولو كان درَى لكان على درايته دليل ، فإذْ قدْ وجدناهُ لفراريجه وبيضِه المخلوقة منه ومِنْ نجْلِه ، كما نجده لما لم يلدْ ولما ليس مِن شكله أيضًا ولا يرجعُ إلى نسبه ، فكيف لا نقضى عليه بالنَّقص ، إذ كانت الأمور لا تعرف إلاَّ بهذا وشبهه ! ! .

وهو لا يعرف أهلَ دارِه ، ولا يُثبت وجهَ صاحبه الذى لم يُخْلقْ إلاَّ عندَه ، وفى ظلِّه وتحتَ جناحه ، ولم يزلْ فى رزقه وعِياله . والحمام ترجع إليه من مائتى فرسخ ، ويُصطاد فيتحوَّل عن وطنه عشْرَ حِجَج ، ثمَّ هو

---

(١) التكملة من س .
(٢) طروقته : أنثاه .

على ثباتِ عهده وقوَّةِ عقْده ، وعلى حِفاظه وإلفه ، والنِّزاع إلى وطنه . فإن[1] وجد فُرجة ووافق جناحَه وافيًا وافاه وصار إليه ، وإن كان جناحُه مقصوصاً جَدَف[2] إلى أهله ، وتكلَّف المضىَّ إلى سكَنه ، فإمّا بَلَغ وإمّا أعْذَر[3] .

والخُطّاف يقطع إليهم من حيث لا يبلغه خبر ، ولا يطؤه صاحب سفر ؛ على أنّا لا نراه يتّخذ وكرَه إذا صار إليهم إلاّ فى أحصَنِ موضع ، ولا يحمله الأُنْس بهم على ترك التَّحرُّز منهم ، والحزمِ فى مُلابَستهم ، ولا يحمله الخوفُ منهم على منْع نفسه لذّةَ السُّكونِ إليهم ، ولا يبخس الارتفاق بهم حظّه .

٩٦

والعصافير لا تقيم فى دار إلاّ وهى مسكونة ، فإن هجرها الناسُ لم تُقِمْ فيها العصافير .

(قول صاحب الكلب فى السنّور والهرة)

والسِّنَّور يعرف ربَّةَ المنزل ، ويألف فرخَ الحمام ، ويُعابِث فراريج الدار . إن سُرق ورُبط شهراً عاد عند انفلاته ، وانحلال رباطه .

والهِرَّةُ تعرف ولدَها وإن صار مثلَها ، وإن أُطعِمت شيئاً حملته إليه وآثرته به . وربّما أُلقى إليها الشيءُ فتدنو لتأكلَه ، ويُقبلُ ولدها فتُمسِك

(١) س : « فتى » .

(٢) جدف الطائر : طار وهو مقصوص ، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه . ومجدافاه : جناحاه . وفى الأصل : « حذف » وهو تصحيف . وانظر الحيوان (٣ : ٢٢٩).

(٣) أى كان له عذر فى عدم استطاعته الوصول .

عنه ، وترضُّه له . وربّما طُرح لها الشيءُ وولدها غائبٌ عنها — ولها ضروبٌ من النَّغَم ، وأشكالٌ من الصِّياح — فتَصيح ضرباً من الصِّياح يعرفُ أهلُ الدَّارِ أنّه صياحُ الدُّعاء لا غير ذلك . ويقال : « أبَرُّ مِنْ هِرَّة[1] » .

ومتى أرادتْ ما يريدُ صاحبُ الغائط ، أتت مواضعَ ترابٍ فى زاويةٍ من زوايا الدَّار فتبحثه ، حتَّى إذا جعلتْ له مكانا كهيئة الحفرة جعلَتْه فيها ثمَّ غطّتهُ من ذلك التُّراب ، ثمَّ تشمَّمتْ أعلى ذلك التراب وما ظهرَ منه ، فإنْ وجدَتْ شيئًا من الرائحة زادت عليها تراباً ، فلا تزال كذلك حتّى تعلم أنَّها قد أخفت المرئىّ والمشموم جميعًا . فإنْ هى لم تجدْ تراباً خمَشت وجهَ الأرض ، أو ظَهْرَ السَّطح ، حتَّى تبلغَ فى الحفر المبلغَ ، ومن ستر ذلك المجهودَ[2] .

وزعم ناسٌ من الأطبَّاءِ أن السِّنَّورَ يعرفُ وحدَه ريحَ رجْعِهِ ، فإنما يستره لمكان شمّ الفأر لَهُ ، فإنها تفرُّ من[3] تلك الرائحة . أو يُغطِّيه لما يكون [فيه] من خلُق من أخلاق الأسد[4] . [و[5]] مايشاكل فيهِ الأسدَ فى الخُلُق ، على قدر ما يشاكله فى الخَلق . وتعداد ذلك كثيرٌ .

---

(١) قال الدميرى : « أرادوا بذلك أنها تأكل أولادها من شدة الحب لهم » . قلت : ليس ذلك أرادوا ، وإنما عنوا مابها من خلة الإيثار لولدها على نفسها كما هنا . والدميرى تبع فى قوله مافى أمثال الميدانى (١ : ٤٥١) فى كلامه على « أعق من ضب » ، ومثله لابن قتيبة فى عيون الأخبار (٢ : ٧٢) . وانظر الحيوان (١ : ١٩٦) .

(٢) أى وحتى تبلغ غاية جهدها فى ستر ذلك .

(٣) فى الأصل : « إلى » ، ووجهه ما أثبت . والفأر : جمع فأرة ، وضمير « تفر » راجع إليها .

(٤) فى الأصل : « وتغطيه لما يكون من خلق من أخلاق الأسد » .

(٥) تكملة يحتاج إليها الكلام .

(سُلاح الديك)

والدِّيكُ لا تراه إلاَّ سالحًا ، ثمَّ لا يتوقَّى ثوبَ ربِّ الدار ولا فِراشه ولا بِساطه . هذا ، وحياتُه التُّراب ، ولذا[1] يدفن نفسَه فيهِ ، ويُدخله فى أصولِ ريشهِ .

ثمَّ لا ترى سُلاحًا أنتن من سُلاحهِ[2] ، لا يشبه ذَرْق الحمام ، وصَوْم النَّعام ، وجَعْر الكلب . ثم مع ذلك لا تراه إلاَّ سائلاً رقيقًا . ولو كان مُدَحرَجًا كأبعار الشاءِ والإبل والظباء ، أو متعلقًا[3] يابسًا كجَعْر[4] الكلب والأسد ، ثمَّ لو كان على مقدار نتنه لكان أهونَ فى الجملة .

وقال أبو نُواسٍ فى ديكِ بعض أصحابه :

آذيتَنا بدِيكِكَ السَّلاّحِ فنجِّنا مِنْ مُنْتِنِ الأرْوَاحِ[5]

(استخدام الخناقين للكلب)

وقال صاحب الكلب : ومن مَرافق الكلب أنّ الخنَّاقين[6] يظاهر بعضُهم بعضًا ، فلا يكونون فى البلاد إلاّ معًا ، ولا يسافرون إلاّ معا ؛ ٩٧

(١) فى الأصل : « ولم » .
(٢) فى الأصل : « منه » . والسلاح بالضم : النجو .
(٣) فى الأصل : « ومتعلقا » .
(٤) فى الأصل : « كبعر » ، تحريف .
(٥) الأرواح هنا : جمع ريح .
(٦) الخناقون هم من المنصورية ، أصحاب أبى منصور الكسف الذى كان قال لأصحابه : « فى نزل قوله تعالى : وإن يروا كسفا من السماء ساقطا » . والمنصورية من الروافض ، انظر خبرهم فى عيون الأخبار (٢ : ١٤٧) وتأويل مختلف الحديث (٨٦) ، والحيوان أيضاً (٦) والعقد (١ : ٣٥٠) . وانظر المقارنة بينهم وبين اليهود فى العقد (١ : ٣٥٣) . وتعليل لجوئهم إلى هذا الضرب من القتل فى الفصل (٤ : ١٨٥) .

فربّما استولَوا على دربٍ بأسْره ، أو على طريقٍ بأسره . ولا ينزلون إلاّ في طريق نافذ ، ويكون خلف دُورهم : إما صحارى وإمَّا بساتين ، وإما مزابِلُ وأشباهُ ذلك . وفى كلِّ دارٍ كلابٌ مربوطة ، ودُفوف وطُبول . ولا يزالون يجعلون على أبوابهم معلّمَ كُتّابٍ منهم ، فإذا خنق أهلُ دارٍ منهم إنسانًا ضربَ النِّساءُ بالدُّفوف ، وضربَ بعضهم الكلابَ فسمع المعلِّم فصاحَ بالصِّبيان : انبَحُوا ! وأجابهم أهْلُ كلِّ دارٍ بالدفوف والصُّنوج ، كما يفعل نساءُ أهْلِ القرى ، وهَيَّجوا الكلاب . فلو كان المخنوقُ حمارًا لما شعَر بمكانه أحد[1] ، كما كان ذلك بالرَّقَّة .

و [انظرْ[2]] كيف أخذُوا أهْلَ دَرْبٍ بأسره ! ! وذلك أنّ بعضهم رغِب فى ثُوَيب كان على حمّال ، وفيهِ دريهمات معَهُ ، فألقى الوَهَق[3] فى عنقهِ فغُشى عليهِ ولم يمتْ ، وتحرَّك بطنهُ فأتى المتوضَّأ وتحرَّك الحمَّال والسَّاجور[4] فى عنقهِ ، فرجَعت نفْس الحمال ، فلمّا لم يحسّ بأحَدٍ عندَه ، قَصَدَ نحوَ باب الدار ، وخرج وزِيارهُ[5] فى عنقهِ ، وتلقّتهُ جماعَتُه[6] فأخبرهم الخبر ، وتصايح النَّاس فأُخِذوا عن آخرهم .

---

(١) الحمار أجهر الحيوان صوتا .

(٢) زدتها ليستقيم الكلام .

(٣) الوهق : حبل مفتول يرمى فيه أنشوطة ، فتؤخذ به الدابة . والأنشوطة : عقدة تمد بأحد طرفيها فتنحل .

(٤) الساجور : أصله القلادة أو الخشبة توضع فى عنق الكلب .

(٥) الزيار : — هو فى الأصل — شناق يشد به البيطار جحفلة الدابة . وما أثبت من س . وفى ط : « وزيادة » ، وهو تحريف ما فى س .

(٦) فى ط : « جماعة » وأثبت ما فى س .

(بعض الخبر والشعر فى الخناقين)

وقد كان بالكوفة شبيهٌ بذلك ، وفى غيرها من البلدان . فقال حمادٌ الرَّاويةُ ، وذكر المرميِّين بالخنق من القبائل وأصحاب القبائل والنِّحَل ، وكيف يصنع الخُنَّاق ، وسمَّى بعضَهم فقال :

إذا سرتَ فى عِجْلٍ فسِرْ فى صَحابةٍ … وكِنْدَةُ فَاحْذَرْها حِذارَكَ للخَسْفِ

وفى شيعة الأعمى زيار[1] وغِيلَةٌ … وقَشْبٌ وإعمالٌ لجَنْدلة القَذْفِ[2]

وكلُّهم شَرٌّ عَلَى أنَّ رأسَهم … حميدةُ والميلاءُ حاضِنَةُ الكِسْفِ[3]

متى كنتَ فى حَيَّىْ بجَيلَةَ[4] فاستمعْ … فإنَّ لهم قَصْفًا يدُلُّ على حَتْفِ[5]

إذا اعتزموا يومًا على خنْقِ زائرٍ … تداعَوْا عَلَيْهِ بالنُّباح وبالعزفِ[6]

---

(١) فى الأصل وكذا فى عيون الأخبار (٢ : ١٤٧) : « زياد » ، وصوابه ما أثبت وانظر التنبيه الخامس من الصفحة السابقة .

(٢) القشب : خلط السم بالطعام ، ويقال قشبه : سقاه سما . والجندلة : واحدة الجندل ، وهو الحجارة . وفى الأصل : « وأعمال مخذلة القذف » ، وفى الحيوان (٦ : ١٢٩) حيث يكرر هذا الشعر : « وأعمال لخندلة القذف » ، وتصحيحه من عيون الأخبار . وكان من هؤلاء المنصورية من يشدخ رءوس الناس بالحجارة وهم الشداخون ، كما سماهم ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث (٨٧) .

(٣) فى الحيوان (٦ : ٣٩٠) : « وأما حميدة فكانت من أصحاب ليلى الناعظية ، ولها رياسة فى الغالية » . قلت : وقد عد الجاحظ « ليلى » هذه فى البخلاء (ص ٣١) . والكسف هو — كما سبق — أبو منصور صاحب المنصورية ، وكانت الميلاء حاضنته . وفى الأصل : « والميلا وصاحبة الكسف » وهو تحريف صوابه فى الحيوان (٦ : ٣٨٩) وعيون الأخبار .

(٤) ط : « حيى بجيلية » س : « حى بجيلة » وكلاهما تحريف ما أثبت من المرجعين المتقدمين . قال ابن قتيبة : « كان المغيرة بجليا ، مولى لهم » .

(٥) أى صوتا مدوياً يدل على هلاك ، وكانوا يدقون الدفوف والطبول ويحدثون ضروبا من الجلبة ، ليستروا أمرهم ، كما تقدم فى الصفحة السابقة .

(٦) س : « بالعرف » وتصحيحه من ط والمرجعين السابقين .

وأمَّا ذِكره لبنى عجل فلمكان ذى الضفرتين وغيره من بنى عجل .

وأمَّا ذكره كِندة ، فقد أنشدنا سُفيان بن عيينة ، وأبو عبيدة النحوىُّ :

إذا ما سرَّك العيشُ فلا تأخذ عَلَى كِنْدَه[١]

ومن كِندة أبو قصبة[٢] أُخذ بالكوفة وقُتِل وصُلب .

وكان بالكوفة ممَّن يأكلُ لحومَ النَّاس عَدِيَّةُ المَدَنية الصَّفراء[٣] . وكان بالبَصرة رَادَوَيه صاحب قصاب رادويه .

٩٨ وأمَّا الأعمى فى بنى ضبَّة الذى ذكره فهو المُغيرة بن سعيد صاحب المُغِيرِيَّة ، وهم صِنْفٌ ممَّن يعمل فى الخنق بطريق المنصوريَّة[٤] .

والمغيرة هذا من موالى بَجِيلة ، وهو الخارج عَلَى خالد بن عبد الله القَسْرِىّ ، وعِند ذلك قال خالد وهو عَلَى المنبر[٥] : أطعِمُونى ماءً !

وفى ذلك يقول يحيى بن نوفل[٦] :

---

(١) كذا فى الأصل وعيون الأخبار . وفى الحيوان (٦ : ٣٨٩) : « فلا تمرر » .

(٢) فى الجزء السادس من الحيوان : « أبو قطنة » وفى عيون الأخبار : « أبو قطبة » . وفى البخلاء (٩٥) من يدعى « أبو قطبة ، فلعله هو .

(٣) فى الأصل : « الصغرى » وأثبت ما فى الجزء السادس من الحيوان .

(٤) وقد أخذه خالد بن عبد الله فقتله وصلبه بواسط . عيون الأخبار (٢ : ١٤٨) .

(٥) وعند ذلك : أى عند خروجه عليه . وقد تبدو هذه العبارة غريبة ، ولكنها صحيحة ، مثلها فى الحيوان (٦ : ٣٩٠) : « ومن أجل خروجه عليه قال : أطعمونى ماء » .

(٦) فى الأصل : « بحر بن نوفل » وإنما هو « يحيى » كما فى الجزء السادس من الحيوان والبيان فى مواضع متعددة ، وقد قال يحيى فى خالد — غير الشعر الآتى — (البيان ١ : ١١٢) .

بل السراويل من خوف ومن وهل واستطعم المـاء لما جد فى الهـرب
وألحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق فى الخطب

ومن العجيب فى أمر خالد هذا أنه كان بليغا من الأبيناء ، وهو كذلك من رماهم الناس باللحن وكثرة الخطأ . (البيان ٢ : ٢٢٠) .

وقلتَ لِما أصابَك أطعِمونى   شراباً ثمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِير

لأعلاجٍ ثمانيةٍ وشَيْخٍ   كَبيرِ السِّنِّ ذى بَصرٍ ضرير[1]

وأما حميدة فقد كانت لها رياسة فى الغالية ، وهى ممَّن استجاب لليلى السبائية[2] الناعِطية[3] ، والميلاءُ[4] حاضِنة أبى منصور[5] صاحب المنصوريَّة ، وهو الكِسْف . قالت الغالية : إيَّاه عَنَى اللهُ تبارك وتعالى ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّماءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ . وقد ذَكَرَه أبو السرِىِّ مَعْدَانُ الأَعمى الشُّمَيطى[6] فى قصيدته التى صنَّف فيها الرَّافضة ثمَّ الغالية ، وقدَّم الشُّميطيَّة[7] عَلَى جميع أصناف الشيعة[8] ، فقال :

---

(١) الشعر يروى بروايات مختلفة عند الجاحظ فى البيان (٢ : ١٩٣) و (٣ : ١٢٢) والحيوان (٦ : ١٣٠) . ويروى قبل البيت الثانى :

وكنت لدى المغيرة عير سوء   تصول من المخافة للزئير

والمغيرة هو الأعمى صاحب المغيرية ، وإياه عنى بقوله : « وشيخ كبير السن ذى بصر ضرير » .

(٢) ط : « الشبابية » س : « السبابة » والصواب ما أثبت . يقال سبائية وسبئية كما فى اللسان ، نسبة إلى عبد الله بن سبأ ، وهم فرقة من الغلاة .

(٣) فى البخلاء ٣١ : « الباعطية » .

(٤) فى الأصل : « والميلى » ، وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « صاحبة أبى منصور » .

(٦) فى الأصل : « السميطى » وصوابه ما أثبت . وانظر التنبيه الآتى .

(٧) الشميطية : فرقة من الشيعة الإمامية الرافضة ، نسبت إلى أحمر بن شميط ، وكان صاحب المختار ، وقد قتلهما معا مصعب بن الزبير . انظر الفرق ٣٦ ، ٣٩ ومفاتيح العلوم ٢٢ وكامل المبرد ٦٤٣ ليبسك ، والملل والنحل (٢ : ٣) .

(٨) قد روى الجاحظ فى البيان (١ : ٢٣) ثلاثة أبيات أخرى من هذه القصيدة ، وفى (٣ : ٧٥) بيتين آخرين وفى (٣ : ٣٥٦) ستة أخر .

إنَّ ذا الكِسْفَ صَدَّ آل كُمَيلٍ   وكُمَيْلٌ رَذْلٌ من الأَرْذالِ[1]

تركا بالعراق[2] داءً دويّا   ضلَّ فيه تلطُّفُ المحتالِ

منهم جاعلُ العَسيبِ إماماً   وفريقٌ يرض زَنْد الشِّمال

وفريقٌ يقول إنّا براءٌ   مِن عَلِيٍّ وجُنْدُبٍ وبِلاَلِ[3]

وبراءٌ مِنَ الذى سَلَّمَ الأَمْـ   ـرَ عَلَى قدرةٍ بغير قتال[4]

وفريقٌ يدين بالنصِّ[5] حتْماً   وفريقٌ يدِينُ بالإهمال

لأَنَّ الكميليَّة لا تجيز الوَكالة فى الإمامة ، وتقول لاَبُدَّ من إمَامٍ صامتٍ أو ناطِقٍ ، ولا بدَّ من عَلَم يمدُّ الناسُ إليهِ أعْناقَهم . وأبو منْصُورٍ يقولُ بخلاف ذلك .

وأمّا قوله :

وفى شِيعة الأعمى زِيارٌ[6] وغيلة   وقشب وإعمالٌ لجَنْدَلَةِ القَذْفِ[7]

---

(١) فى الأصل : « زول من الأزوال » وصوابه ما أثبت ، كما فى الحيوان (٦ : ٣٩١) حيث أعيد هذا الشعر . والرذل : الدون الخسيس . وأما الزول فهو الخفيف الظريف الفطن ، وليس هذا مرادا .

(٢) فى الأصل : « بالعراء » ، وتصحيحه من الجزء السادس من الحيوان .

(٣) جندب هذا هو ابن زهير بن الحارث ، كان مع على بصفين ، وكان على الرجالة يومئذ ، وكان هو والأشتر أقوى رجلين من أصحاب على فى يوم الجمل . انظر الإصابة ١٢١٤ .

(٤) قالوا : إن عليا كفر إذ سلم الأمر إلى أبى بكر ثم عمر ثم عثمان . (الفصل ٤ : ١٨٣) .

(٥) النص ، أى النص على الإمام ، بأن ينص كل إمام على الإمام الذى يخلفه . انظر الفرق ص ٤٥ . وفى الأصل : « بالنصر » وهو تحريف . وانظر الكلام على (النص) فى الملل والنحل (١ : ٢٢٣) .

(٦) فى الأصل : « زياد » . وانظر التنبيه الخامس من (ص ٢٦٥) .

(٧) فى الأصل : « مجزلة القذف » . وانظر التنبيه الثانى من (ص ٢٦٦) .

فقد قال مَعْدان :

حبشىٌّ وكافر سبيانى حَربىٌّ وناسخ قَتَّالُ[1]

تلك تيميَّةٌ وهاتيك صمت[3] ثمَّ دين المغيرة المغتالِ

خنق مرَّةً وشَمٌّ بخار ثمَّ رضْخٌ بالجندَلِ المتوالى[4]

٩٩ لأَنَّ من الخنّاقين من يكون جامعاً ، وبذلك يسمُّونه إذا جمعَ الخنْق والتشميم ، وحمل معه فى سَفَرِهِ حَجَرَين مستديرين مُدمْلَكين وململمين فإذا خلاَ برجلٍ من أهل الرُّفقة استدبره فرَمى بأحدهما قَمَحْدُوَته[5] ، وكذلك إن كان ساجِداً . فإن دمغه الأَوّل سلبَهُ ، وَإنْ هُوَ رفعَ رأْسَهُ طبّق بالآخر وَجْهَهُ . وَكذلك إنْ ألفاه نَائِماً أو غافِلاً .

ولقد صَحِبَ منهم نَاسٌ رجلاً خرج من الرَّىِّ ، وفى حَقوه هِمْيَانٌ[6] ، فكان لاَ يفارق مُعْظَمَ النَّاس ، فلمَّا رأوهُ قد قَرُب مِنْ مفرِق الطَّريقين ، ورأوا احْتراسَهُ ، وهم نزولٌ إمَّا فِى صحراء وَإمَّا فِى بَعْضِ سُطوحِ الخانَات ، والنّاس مُتشاغلون بأُمورهِمْ ، فلم يشعُرْ صاحِبُ الهِمْيان نهاراً والنّاس حَوْلَهُ إلاّ والوَهَقُ[7] فى عنقِهِ ، وطرحَهُ الآخر حين ألقاه فى عنقِهِ ، ووَثَبَ إليهِ وجلَسَ علَى صَدره ، ومَدَّ الآخَر برجْليهِ وألقى عليهِ ثَوْباً وأذَّنَ فِى أُذُنهِ

---

(١) كذا . وفى البيت إقواء . و « حبشى » لعلها « خشبى » . والخشبية : فرقة من المنصورية يقتلون بالخشب فقط . الفصل (٤ : ١٨٥) ومفاتيح العلوم ص ٢١.

(٢) كذا .

(٣) ط : « وشنق » ، ولعلها « نشق » ، وأثبت ما فى س .

(٤) انظر التنبيه الثانى من (ص ٢٦٦) .

(٥) القمحدوة : الهنة الناشزة فوق القفا وأعلى القذال خلف الأذنين ، وإصابة هذا الموضع قاتلة .

(٦) الهميان : وعاء للدراهم يشد إلى الوسط .

(٧) الوهق مر تفسيره فى (ص ٢٦٥) .

فقام إليهم بعضُ أهل الرُّفقة كالمعين والمتفجِّع ، فقالوا له : مكانَك ؛ فإنّه إنْ رآك خجِل واستحَى . فأمسك القومُ عنهم ، وارتحل القوم ، وأعجلوا بصاحبهم ، فلمَّا خلَوا به أخذوا ما أحَبُّوا ، وتركوا ما أحبُّوا ، ثمَّ حملوه عَلَى أيديهم ، حتى إذا برزوا رمَوه فى بعض الأَودية .

(شعر أعشى همدان فى السبئية)

وقد ذكر أعشَى هَمْدانَ السَّبئيَّةَ[1] وشأنَهم فى كرسىِّ المختار[2] :

شهِدتُ عليكم أنّكم سبَئيَّة[3] ... وإنِّى بكم يا شُرْطَةَ الكُفْر عارفُ

وأُقسِمُ ما كرسيُّكم بسَكِينةٍ ... وإنْ كانَ قد لُفَّتْ عليهِ اللفائف

وأنْ لَيْسَ التّابُوتُ فينا وإن سَعَتْ ... حمامٌ حواليهِ وفيكم زخارف[4]

وإنِّى امرؤٌ أحببتُ آلَ محمَّدٍ ... وآثَرْتُ وَحْياً ضُمِّنَتْهُ المصاحِفُ

---

(١) فى الأصل : « السبيلية » ، وصوابه ما أثبت . والسبئية : فرقة من غلاة الرافضة. قال صاحب الفرق بين الفرق (ص ٣٤) : « ثم إن المختار خدعته السبئية الغلاة من الرافضة فقالوا له : أنت حجة هذا الزمان ! وحملوه على دعوى النبوة ، فادعاها عند خواصه ، وزعم أن الوحى ينزل عليه وسجع . . . » . وقال (ص ٣٥) : « واجتمعت السبئية إليه مع عبيد أهل الكوفة . . . » .

(٢) المختار هذا هو ابن أبى عبيد الثقفى ، وكان أبوه من خيار الصحابة ، استشهد يوم الجسر فى خلافة عمر (لسان الميزان ٦ : ٦) . وكان يقال للمختار « كيسان » وإليه تنسب فرقة « الكيسانية » من الرافضة ، أو هو أخذ المقالة من كيسان مولى على وقد قام بثأر الحسين بن على وقتل أكثر الذين قتلوا حسينا بكربلاء . انظر أخباره وآراءه فى الفرق بين الفرق (ص ٢٦ — ٢٧) والملل والنحل (١ : ١٩٧) . والطبرى (٧ : ١٤١) وابن الأثير (٤ : ١٠٩) . قتل المختار سنة ٦٧ .

(٣) فى الأصل : « سبلية » ، تحريف .

(٤) انظر الكلام على هذا البيت فى الاستدراكات .

وإن شاكراً طافتْ به وتمسَّحَتْ بأعواد ذاوٍ دبرت[1] لا تساعف

ودَانَتْ بِهِ لابن الزُّبيرِ رقابُنـا ولا غَبْنَ فيها أو تُحَزُّ السَّوالِفُ

وأحسبُ عُقباها لآلِ محمَّـدٍ فَيُنْصَرُ مَظلومٌ ويأمنَ خائفُ

ويجمَعُ ربى أُمَّـةً قَدْ تَشَتَّتَتْ[2] وهاجتْ حُروبٌ بينَهُمْ وحَسَائِفُ

أبو عبيدة : الحسيفة[3] الضغينة ، وجمعها حسائف .

(من قتل نفسه بيده)

وما أكثر من قتل نفسَهُ بيده ، إمَّا لخوف المُثْلة ، وإمَّا لخوف التعذيب والهوان وطولِ الأَسر .

١٠٠ وقد كان الحكمُ بن الطُّفيل، أخو عامر بن الطفيل، وأصحابُه خنَقُوا أنفسَهم فى بعض الأَيام[4] ، فعُيِّروا بذلك تعييراً شديداً ، فقال خُراشة ابن عامر بن الطفيل :

وقُدْتَهُـم للموت ثُمَّ خذَلْتَهُمْ فَلاَ وألتْ نفسٌ عليك تحاذرُ[5]

فهلْ تَبلِغَنِّى عامراً إنْ لَقِيتَه أسَلِّيتَ عن سلمان أم أنتَ ذاكرُ

---

(١) كذا . وفى س : « بأعواد داود برت » .

(٢) ط : « تشتت » : وتصحيحه من س .

(٣) ط : « الحسيفية » ، وتصحيحه من س .

(٤) هو يوم ساحوق كما فى الكامل لابن الأثير (١ : ٣٩٤) . وانظر العقد الفريد (٣ : ٣١٨) .

(٥) وألت : نجت .

فإنَّ وراءَ الحىِّ غِزْلانَ أيْكةٍ   مُضَمَّخَةً آذانُها والغدائرُ (١)
وإنَّكم إذ تخنُقون نفوسَكم   لكمْ تحتَ أظْلاَلِ العِضاهِ جرائرُ

وقال عُروة بن الوَرد فى يوم ساحوق (٢) ، ويذكر خنْق الحكم بن الطُّفيل وأصحابِه أنفسَهم ، فقال :

ونحنُ صبَحْنا عامراً فى دِيارِها   عُلاَلَةَ أرماحٍ وعَضْبا مُذَكَّرا (٣)
بكلِّ رقيقِ الشَّفْرتين مُهَنَّدٍ   ولَدْنٍ من الخَطِّىِّ قد طَرَّ أسمَرَا (٤)
عجِبت لهم إذ يخنُقُون نفوسَهم   ومَقْتَلُهمْ عند الوغَى كانَ أعذرا (٥)
يَشُدُّ الحليمُ منهم عَقْدَ حبله (٦)   ألاَ إنَّما يأتى الذى كان حُذِّرَا (٧)

---

(١) الغدائر : جمع غديرة ، وهى الذؤابة .

(٢) هو يوم لبنى ذبيان على بنى عامر . انظر تفصيله فى كامل ابن الأثير .

(٣) صبحوهم علالة الأرماح : سقوهم وأشبعوهم طعنا بالرماح . العضب المذكر : السيف القاطع .

(٤) س : « لكل » والوجه ما فى ط وابن الأثير والديوان ٩٧ ، والرواية فى الأخيرين « بكل رقاق الشفرتين » . والرقاق ، بضم الراء ، هو الرقيق ، واللدن : اللين . والخطى : الرمح منسوب إلى الخط : أرض بالبحرين . قد طر : قد سن . أسمر ، نضجت قناته فى منبتها ويبست فاكتسبت هذا اللون .

(٥) أى كانوا ذوى عذر بين ، لو أنهم جاهدوا فى الحرب وقتلوا ، أما الآن فليس لهم عذر بين الرجال فى خنقهم أنفسهم . ورواية العقد (٣ : ٣١٨) : « كان أجدرا » .

(٦) فى الأصل : « اشد الحليم منهم عقد حلة » ، وهو تصحيف ما أثبت من الديوان وخزانة الأدب (٤ : ٢١٨ بولاق) . وإنما يشد عقد الحبل ليتعجل خنق نفسه .

(٧) أى إنما يأتى الذى كان حذر منه وهو الموت . وفى الأصل : « ألا يأتى الأمر الذى كان أعذرا » ، وأثبت ما فى الديوان والخزانة .

(رثاء أبى زبيد الطائى كلبا له)

وقال أبو زُبَيْدٍ[1] فى كلبٍ لَهُ ، كان يُساور الأسدَ ويمنعه من الفساد ، حين حطمه[2] الأسد ، وكان اسمه أكدر ، فقال :

أَخَال أَكْدَرُ مختالا كعادتِه[3] حتى إذا كان بينَ الحَوْضِ والعَطَنِ[4]

لاقى لَدَى ثُلَلِ الأَطْوَاءِ داهِيَةً[5] أَسْرَتْ وأكدَرَ تحتَ الليل فى قَرَنِ[6]

---

(١) فى الأصل : « أبو زيد » وإنما هو « أبو زبيد » كما فى الأغانى (١١ : ٢٤) ومعجم الأدباء (١٠ : ٢٠٠) وهو أبو زبيد الطائى . واسمه حرملة بن المنذر وهو شاعر معمر عاش خمسين ومائة سنة — فيما زعموا — وعداده فى المخضرمين ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، ومات نصرانيا ، وكان عثمان بن عفان يقربه ويدنى مجلسه . واشتهر أبو زبيد بكثرة وصفه للأسد وتجويده فى ذلك ، وقد نعته نعتا طويلا عجيباً فى مجلس عثمان (الأغانى ، والمعجم) فلما أطال قال له عثمان : اسكت قطع الله لسانك ، فقد أرعبت قلوب المسلمين ! ! . ومن طريف مايروى فى أمر كلبه « أكدر » أنه كان قد أعد له سلاحا يلبسه إياه ، فيمتنع على الأسد ولا يقوم له . وفى الليلة التى قتل الأسد فيها الكلب ، كان الكلب قد خرج ولم يلبس سلاحه ، فتمكن منه الأسد .

(٢) س : « حطه » ، وتصحيحه من ط .

(٣) أخال ، لعله يريد مشى فى اختيال ، والرواية فى المعجم : « أحال أكدر مشيا لا كعادته » وفى الأغانى : « أحال أكدر مشيا لالعادته » . وفى البغال ٣١١ : « فجال أكدر مشتالا كعادته » .

(٤) الرواية فى الأغانى والمعجم والبغال « بين البئر والعطن » . والعطن : مبرك الإبل حول الحوض .

(٥) الثلل : جمع ثلة بالفتح ، وهو ما أخرج من تراب البئر . والأطواء : جمع طوى كغنى ، وهو البئر المطوية بالحجارة . وما أثبت هو رواية الأغانى والمعجم وفى الأصل : « لاقى الذى جلل الأطواد داهية » .

(٦) يقول : سرت الدهية مع أكدر فى قرن واحد ، والقرن : الحبل . وقد أثبت رواية الأغانى والمعجم . وفى الأصل : « أشوت وأكدر تحت الليل فى قرن »

حطَّتْ بِهِ سُنَّةٌ ورْهاءُ تَطْرُدُه[١] حتَّى تَنَاهى إلى الأهوال فى سَنَنِ[٢]

إلى مُقاربِ خَطْوِ الساعِدَينِ[٣] لَهُ فوق السَّراةِ كَذِفْرَى القارِحِ الغَضِنِ[٤]

رِيبالُ ظلماء[٥] لاقَحْمٌ[٦] ولاضَرَعٌ كالبغل خطٌّ به العجلان فى سكن[٧]

فأسرَيا وهما سنَّا هومهما إلى عرين كعُشٍّ الأرمَلِ اليَفَنِ[٨]

هـذا بما علقت أظفاره بهم وظنٌّ أكدَرَ غيرُ الأَفْنِ والحَتَنِ[٩]

---

(١) يقول : دفعت به خطة حمقاء جعلت تسوق به . ورواية الأغانى : « حطت به شيمة ورهاء تطرده » والشيمة فى معنى الطبيعة . ويتجه المعنى بها أيضا . ورواية المعجم : « حفت به شيمة ورهاء تطرده » .

(٢) رواية الأغانى والمعجم : « حتى تناهى إلى الجولان . . . » . والجولان بفتح الجيم : التراب . وفى الأغانى : « فى السنن » .

(٣) فى الأغانى والبغال : « إلى مقابل خطو الساعدين » . وفى المعجم : « إلى مقابل فتل الساعدين » .

(٤) السراة ، بالفتح : الظهر ، وأعلى كل شىء . والذفرى : ما بين المقذ إلى نصف القذال . والمقذ : ما بين الأذنين من خلف . والقذال : القفا . والذفرى أيضاً : العظم الشاخص خلف الأذن . وأرى أبا زبيد أراد المعنى الأول . و « القارح » : الفرس فى سن الخامسة . والرواية فى الأغانى والمعجم : « كذفرى الفالج القمن » ، وفى البغال : «الفالج الغضن» . والفالج : البعير ذو السنامين . والقمن : السريع .

(٥) ط : « ظلمى » ، وصوابه فى س . وبدله فى الأغانى والمعجم والبغال : « غاب فلا » .

(٦) فى الأصل : «فخم » ، وهو تحريف تصحيحه من الأغانى والمعجم . والقحم : الكبير السن ، يقابله الضرع ، بالتحريك ، وهو الصغير السن . ومثله قول لقيط الإيادى :

حتى استمرت على شزر مريرته مستحكم الرأى لاقحما ولا ضرعا

(٧) كذا . وفى البغال : « حطمن المحلين فى شطن » وفى المعجم « كالفيل يختطم الفحلين فى شطن » . وفى الأغانى : « كالبغل يحتطم العجلين فى شطن » ! وإلى هنا تنتهى الرواية فى الأغانى والمعجم .

(٨) فأسريا ، يعنى الأسد والكلب . وسنا هومهما : وجها همهما . وفى س : « وهما مبنا هومهما » ، محرف . والأرمل : الفقير المحتاج ، أو العزب . واليفن : الشيخ .

(٩) بهم لعلها « نهم » . والأفن : ضعف الرأى . والحتن : الباطل ، وحرك التاء للشعر . وفى الأصل : « الأمن والحسن » .

حتَّى إذا ورد العِرزالَ وانتبهت لِحِسِّهِ أمُّ أجْرٍ ستَّةٍ شُزُنِ [١]

بادٍ جناجِنها حصَّاء قد أفلت لهن يبهرن تعبيراً عَلَى سدن [٢]

وظنَّ أكدرُ أن تموا ثمانية أن قد تجلَّل أهلُ البيت باليُمَنِ [٣]

١٠١ فخافَ عزَّتهمْ لما دنا لهمُ فحاص أكدَرُ مشفيًّا من الوَسَنِ [٤]

بأربَع كلُّها فى الخلق داهية [٥] غُضُفٍ عليهنَّ ضافى اللحم واللبن [٦]

ألفاه متَّخِذَ الأنيابِ جُنَّتَه وكانَ باللَّيلِ وَلاَّجًا إلى الجَنَنِ

(رثاء أعرابى شاة له أكلها ذئب)

وقال صاحب الكلب : قال أعرابىٌّ وأكل ذيبٌ شاةً لَهُ تسمّى وردة ، وكُنْيَتها أم [٧] الوَرد :

---

(١) العرزال : عريسة الأسد ومأواه . وفى الأصل : « الغروال » ، تحريف. أجر : جمع جرو ، وأم أجر عنى بها اللبؤة . شزن : جمع شزن ، بالتحريك ، وأصله الغليظ من الأرض. والشطر الثانى من البيت فى ط : « لحسنه أن إحدى سنه سدن » وفى س : « لحسنه أم أحر سنه سدن » وأصلحته بما ترى .

(٢) ط : « بادى جناحهما » س : « باد جناحها » والصواب ما أثبت . والجناجن : عظام الصدر . مفردها جنجن وجنجنة ، بكسرهما ويفتحان . والحصاء : القليلة الشعر . وباقى البيت محرف .

(٣) يقول : قد حسب أكدر – لتمام عدد هذه الفرائس ثمانية – أنه بصيدها يجلب لأهله نعيما وعزا . وتجلل : اكتسى . واليمن : جمع يمنة ، كغرفة وهو ضرب من برود اليمن . والبيت فى الأصل هكذا :

أتين أكدرا أن تموا ثمانية أن قد تحلل أهل البيت باليمن

(٤) س : « فخاف غرتهم » . وحاص : جال جولة يطلب المهرب والمحيص .

(٥) فى هامش س : « آمنة » رواية فى « داهية » .

(٦) كذا .

(٧) فى الأصل : « وردة » ، والوجه ما أثبت ، كما فى الشعر الآتى .

أودَى بِوَرْدَةَ أمِّ الوَرْدِ ذُو عَسَلٍ … من الذئاب إذا ماراحَ أو بَكَرَا
لولا ابنُها وسَليلاتٌ لهـا غررٌ … ما انفكَّت العَيْنُ تَذْرِى دَمْعها دِرَرَا
كأنَّما الذِّئبُ إذ يَعْدُو عَلَى غنَمى … فى الصُّبحِ طالبُ وِترٍ كانَ فاتَّأَرا
اعتامَها اعتامَهُ شَثْنٌ براثِنهُ … من الضَّوارِى اللَّواتى تقصِمُ القَصَرَا[1]

قال : فى هذا الشعر دَليلٌ أنَّ الذِّئب إنَّما يعدو عليها مع الصبح ، عند فُتورِ الكلْب عن النُّباح ؛ لأنَّه باتَ ليلَتهُ كلَّها دائباً يقظانَ يحرُس ، فلمَّا جاءَ الصُّبحُ جاءَ وَقتُ نَوْم الكلاب وما يعتريها من النُّعاس . ثم لم يَدْعُ[2] اللهَ عَلَى الذِّئبِ بأن يأكله الأسدَ حتَّى يختاره ويعتامه ، إلاَّ والأسدُ يأكل الذئاب ، ويختار ذلك . وإنَّما استطابَ لحمَ[3] الذِّئبِ بفضل شهوتِهِ للحم الكلب .

(قول صاحب الديك فى إجازة الشعراء بالدجاج)

وقال صاحب الدِّيك : لم نر شريفاً قطُّ أجازَ شاعراً بكلْب ، ولا حَبا بِهِ زائرا ، [و][4] قد رأيتَهم يجيزون الشُّعَرَاء بالدَّجاج . وأعْظَمُ من

---

(١) سبق شرح هذه الأبيات فى ص ٢٠٣ من هذا الجزء .
(٢) ط : « يدعوا » ، س : « يدعو » ، والوجه ما أثبت .
(٣) فى الأصل : « لهم » .
(٤) من س .

ذلك أن لقيمَ الدَّجَاجِ[١] ، لما قال فى افتتاح خيبر ، وهو يعنى النبى صلى الله عليه وسلم :

رُمِيَتْ نَطاةُ[٢] من النبىِّ بفَيْلَقٍ   شهْباءَ ذاتِ مَناكِبٍ وفَقَارِ[٣]

وهَب لَهُ دَجاج خَيبَرَ عن آخرها . رواه أبو عمرو[٤] ، والمدائنى عن صالح بن كَيْسان ، ولتلك الدَّجَاج قيل : لقيم الدَّجَاج .

(إياس بن معاوية وأخوه)

وقال صاحب الكلب : قال أبو الحسن : كانَ إياسُ بنُ معاويَة وهو صغيرٌ ، ضعيفاً دقيقاً دميماً[٥] ، وكانَ لَه أخٌ أشدُّ حركَةً منْهُ وَأقوى ، فكان معاويَةُ [أبوه][٦] يقدِّمهُ علَى إياس ، فقال لَه إياسٌ يَوْماً : يا أبتِ ! [إنَّك][٧] تَقَدِّمُ أخى عَلَىَّ ، وسأضربُ لك مثلى ومثلَه : هو مثل الفَرُّوج

(١) فى السيرة ٦٥٦ ، ٧٦٧ « ابن لقيم ». وقد نقل الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٧٥٥٤ كلام الجاحظ فى « لقيم » وقال فى تعليل الخلاف بين السيرة والحيوان : « فيحتمل أن يكون وافق اسمه اسم أبيه » ، يريد أن من المحتمل أن يكون اسمه « لقيم بن لقيم » .

(٢) ط : « قطاة » وفى الإصابة « مطاة » وصوابهما ما أثبت من س والسيرة ، وهى اسم لأرض خيبر ، أو عين من عيون قرية من قرى خيبر ، كما فى المعجم .

(٣) وصف الفيلق — وهو مذكر — بشهباء ، لما ضمنه من معنى الكتيبة . والشهباء : العظيمة الكثيرة السلاح . وبعد هذا البيت أبيات سبعة فى السيرة .

(٤) ط : « أبو عمر » ، وصوابه من س والإصابة ، وهو أبو عمرو الشيبانى ، كما فى الإصابة .

(٥) س : « ذميما » ، والأشبه ما فى ط .

(٦) من ثمار القلوب ٧٢ نقلا عن الجاحظ .

(٧) من الثمار .

حين تنفلق عنه البَيضة ، يخرج [كاسيا] كافياً نَفْسَهُ[١] ، يلتقط ، ويستخفُّه النّاس ، وكلّما كبر انتَقص ، حتى إذا تَمَّ فصار دجاجةً ، لم يصلحْ إلاّ للذبح . وأنا مثلُ فَرخِ الحمام حين تنفلق عنه البيضةُ عن ساقطٍ لايقدر عَلَى حركة ، فأبَواه يغذُوانِه حتّى يقوى ويثبتَ[٢] ريشُهُ ، ١٠٢ ثمَّ يحسُن بعد ذلك ويطير ، فيَجِدُ به الناس[٣] ويكرمونَهُ ، ويرسل من المواضع البعيدة فيجيء ، فيُصان لذلك ويُكْرَمُ ، [ويُشْتَرى بِالْأَثمانِ الغالية[٤]] . فقال أبوه : لقد أحسنت المثل ! ! فقدَّمه عَلَى أخيهِ ، فوجَد عِنْدَهُ أكثرَ ممَّا كانَ يظنُّ فيه .

قال صاحب الكلب : وقد أغفل إياسٌ فى هذا القول بعضَ مصالح[٥] الدَّجاج ، وذلك أنّ الدَّجاج مِنْ لدُنْ[٦] يخرج من حَدِّ الصِّغَر والكَيْس إلى أن يدخل فى حَدِّ الكبر واحتمالِ اللَّحمِ والشَّحم ، يكون أخبثَ حالاً لأنَّهُ لا يصلح فيه للذَّبح ، وقد خرج من حدِّ الكَيْس والاستملاح .

وإياسٌ هو الذى يقول : لستُ بخِبٍّ[٧] والخِبُّ لا يخدعنى ، ولا يَخدَعُ ابن سيرِينَ وهو يخدَع أبى ويخدَع الحسَن .

---

(١) فى الأصل : « يخرج كافيا بنفسه » ، وأثبت ما فى الثمار .

(٢) فى الأصل : « وينبت » ، والوجه ما نقلت من الثمار .

(٣) يقال وجد به أى أحبه شديداً . وفى س : «فيجده الناس » . وفى الثمار : « ويتخذونه الناس » ، وهما تحريف ما أثبت من ط .

(٤) من الثمار .

(٥) كذا

(٦) فى الأصل : « من له أن » .

(٧) الخب ، بالكسر : الذى يخدع الناس . والخبر فى البيان (١ : ١٠١) .

باب

ما يحتاج إلى معرفته

يقال فَرْج المرأة والجمع فُروج ، وهو القُبُل ، والفَرْجُ كِناية ، والاسم الحِرُ ، وجمعه أحْراح . وقال الفرزدق :

إنِّى أقودُ جمــلا مُمْرَاحَا   فى قُبَّــةٍ مُوقَرةٍ أحْرَاحَا[١]

قالوا : وإنَّما جمعوه عَلَى أحراح ، لأَنَّ الواحد حِرْح[٢] . هكذا كان أصله . وقد يستعار ذلك وهو قليل ، قَال الشاعِرُ[٣] :

تراها الضَّبْعَ أعْظَمَهنَّ رَأسًا   جُرَاهِمَةً لها حِرَةٌ وثِيــلُ[٤]

فلم يرض الاستعارة حتَّى ألحق فيها الهاء .

وهو الكَعْثَب ، وقال الفرزدق :

إذا بَطِحت فوقَ الأَثافِى رَفعنها[٥]   بثديين مَعْ نحر كريمٍ وكَعْثَبِ

وقال الأغلب[٦] :

---

(١) فى اللسان (حرح) : « ذا قبة » ، وفى أمالى ابن الشجرى (٢ : ٣٨): « وقد أقود ... ذا قبة مملوءة » .

(٢) انظر فى اللسان تصريف هذه الكلمة .

(٣) هو ساعدة بن جؤية ، كما فى اللسان (جرهم) .

(٤) عنى بالجراهمة الضخمة الثقيلة . وقوله : « لها حرة وثيل » عنى به مايزعمون من أن كل ضبع خنثى . اللسان .

(٥) س : « رفعتها » . وانظر ديوان المعانى ١ : ٢٨١ والعقد ٤ : ١٦٥

(٦) هو الأغلب بن جشم بن سعد العجلى ، من رجاز العرب ، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وقتل بنهاوند . قالوا : وهو أول من أطال الرجز ، - كما أن أول من طول القصيد امرؤ القيس ومهلهل - وكان الرجل قبله يقول البيت والبيتين من الرجز، إذا فاخر أو شاتم ، وقال العجاج الراجز مفتخراً :

إنى أنا الأغلب أضحى قد نشر

(الشعراء ٥٩٥) . وانظر أخباره فى الأغانى (١٨ : ١٦٤ - ١٦٧) .

* حَيَّاكة عن كَعْثبٍ لم يُصْمِحِ[1] *

وهو الأجمّ[2] ، وقال الرَّاجز :

[جارية أعظمها أَجَمُّها قد سَمَّنتْها بالسَّويق أمُّها[3]]

* بائنة الرِّجْلِ فما تَضمُّها *

وقال : وقد يسمّى الشَّكْر ، بفتح الشِّين وإسكان الكاف ، وأنشدوا :

وكنتَ كليلة الشَّيْبَاء هَبَّتْ بمَنْع الشَّكْرِ أتأمَهَا القَبيلُ[4]

[أتأمها[3]] : أفضاها . وأمّا قوله :

قد أقبلتْ عَمْرَةُ من عِرَاقِها مُلْصَقَةَ السَّرْجِ بخَاقِ باقها

قال : وهو إن أرادَ الحِرَ فليس ذلك من أسمائه ، ولكنَّه سَمّاه بذلك ١٠٣ على المزاح .

---

(١) امرأة حياكة تتحيك فى مشيها ، تمشى مفرجة ما بين رجليها . ويصمح من الصماح بالضم ، وهو العرق الكريه الرائحة .

(٢) ط : « الأخثم » وفى سائر النسخ : « الأحم » ، صوابه بالجيم كما فى اللسان (جمم) والمخصص ٢ : ٤٠ . والأجم : قبل المرأة .

(٣) الزيادة من س . وأجمها هى فى الأصل « أحمها » ، والوجه ما أثبت .

(٤) البيت لعروة بن الورد ، كما فى اللسان (شيب وتأم) ولم أجده فى ديوانه بشرح ابن السكيت . يقال : باتت بليلة شيباء : إذا افترعت ليلة زفافها ، ويقال : باتت بليلة حرة : إذا لم تفترع فى تلك الليلة . وفى الأصل : « الشهباء » وهو تحريف صوابه فى اللسان (شيب وتأم) . وانظر المثل فى الميدانى (١ : ٩٠) وثمار القلوب ٥١١ . وفى اللسان : « همت » بدل « هبت » .

قالوا : والظَّبْيَةُ اسم الفَرْج من الحافر ، والجمع الظَّبيات . وقد استعاره أبو الأخزر[1] فجعله للخُفِّ فقال :

ساوَرَها عنــدَ القُرُوءِ الوحم ... فى الأرض ذات الظّبيات الجحم

وقد قال الأوَّل :

فجاء بغُرمولٍ وفلك مُدَمْلَك ... فَخَرَّقَ ظَبْيَيْها الحِصانُ المُشَبِّقُ

وهو من الظِّلف والخُفِّ الحيا ، والجمع أَحيية . وهو من السبع ثَفْر ، وقد استعاره الأَخطلُ للظِّلْف فقال :

جَزَى اللهُ عنّا[2] الأَعْوَرَيْنِ مَلاَمَةً ... وعبلة[3] ثَفرَ الثَّوْرَةِ المتَضاجِمِ[4]

فلم يرضَ أن استعاره من السَّبُع للبقرة حتَّى جعل البقرة ثورة .

وقد استعاره النَّابغةُ الجَعــدىُّ للحافر ، كما استعاره الأَخطل للظِّلف ، فقال :

بُرِيذنَةٌ بَلَّ البَرَاذين[5] ثَفْرَها ... وقد شَرِبتْ مِنْ آخر الليل أُيَّلاَ

---

(١) ط : « الأحرز » س « الأحزر » وصــوابه ما أثبت . وهو أبو الأخزر الحمانى، أحد رجاز العرب، واسمه (قتيبة) كما فى اللسان (مادة قجر) .

(٢) كذا . ورواية الديوان ٢٧٧ والكامل ١٥٩ ليبسك والثعالبى فى فقه اللغة ٧٦ : « فيها » .

(٣) فى الكامل : « عبدة » وفى فقه اللغة واللســان - مادة ضجم - « فروة » قال ابن منظور : « وفروة : اسم رجل » .

(٤) المتضاجم : المعوج الفم ، كما فى اللسان : وقال أبو الحسن فى شرح الكامل : « المتضاجم : المتسع » ، ولم يزد على ذلك . وفى الأصل : « المتضاخم » وتصحيحه من المراجع المتقدمة .

(٥) « بريذنــة » مصغــر « برذونة » تصغير ترخيم . ويروى « بريذينــة » كما فى اللسان . وفى س « بل البراذن » . والأيل : جمع آيل ، وهو اللبن الخاثر . ورواية اللسان والمخصص ١٦ : ٩٩ : « وقد شربت من آخر الصيف أيلا » . والبيت يقوله النابغة الجعدى فى هجاء ليلى الأخيلية ، وقبله :

ألا يا ازجرا ليلى وقولا لها هلا ... وقد ركبت أمراً أغر محجلا

وقد قالوا بِرذونةٌ ، وقال الرَّاجز :

تزَحْزَحى إليك يا بِرذَوْنهْ إنَّ البراذِينَ إذا جَرَيْنَهْ(١)

* مَعَ الجيادِ ساعةً أَعْيَيْنَهْ *

وقد استعاره آخرُ فَجَعَلهُ للنعجة فقال :

وما عمرُو إلاَّ نَعْجَةٌ ساَجِسِيَّةٌ(٢) تَحرَّكُ تحتَ الكَبْشِ والثَّفْرُ وَارِمُ

والسَّاجِسِيَّةُ(٣) : ضأنٌ فى تغلب .

وقد استعاره آخرُ فجعله للمرأة فقال :

نحن بنو عَمْرَة فى انتِسابِ بنتِ سُويدِ أكْرَمِ الضِّبابِ(٤)

* جِلْدَتَنا من ثَفْرِها المِنْجَابِ(٥) *

ويقال لجُردان الحمار غُرمول ، وقد يقال ذلك للإنسان وقضيبِ البعير ، وهو لكلِّ شيء ، ومِقْلم الجمل فقط . ومن السباع العقدة(٦) ، وأصله للكلب والذِّئب . وقال جرير :

إذا رَوِينَ عَلَى الخنزير من سَكَرٍ نادَينَ ياأعْظَمَ القَسِّينَ جُرْدَانا(٧)

ويقال : صرفت الكلبة صرافا وصِروفا ، وظلعت تظلع ظلوعا .

---

(١) الرجز فى البغال ٣٤١ .

(٢) فى الأصل « شاخسية » والصواب ما أثبت . انظر اللسان (سجس وثفر) والمخصص (٨ : ٢١) . والبيت فى اللسان (ثفر) برواية « تخزل تحت الكبش والثفر وارد » .

(٣) فى الأصل : « والشاخسية » وانظر التنبيه السابق .

(٤) الضباب ، بالكسر : أربعة بطون من بنى كلاب : ضب ، وضبيب ، وحسل ، وحسيل . العمدة (٢ : ١٥٧) والمعارف ٣٩ .

(٥) جلدتنا : قبيلتنا . المنجاب : المنجب . ورواية اللسان (مادة ثفر) : « جاءت بنا من ثفرها المنجاب » .

(٦) ط « العقرة » وهو تحريف ما أثبت من س . وفى القاموس عند تفسير « العقدة » : « ومن الكلب قضيبه » .

(٧) السكر ، بالتحريك : الخمر أو النبيذ . والقسين : جمع قس بالفتح ، وهو الرئيس من =

١٠٤ وقالوا فى الأمثال: «لا أفْعَلُ حتَّى ينامَ ظالِعُ الـكلاب» أى الصارف. ولم يعرف الأَصمعِيُّ ظلعت الـكلبة بمعنى صَرَفت . واستحرمت ، وأجْعَلت[1] واستجعلت ، واستطارت[2] . والذئبة فى ذلك كالـكلبة .

قال : ويقال فى السِّباع : قد وَضَعت ، وولَدت ، ورمصَت[3] مثلَ ما يقالُ للنَّاس والغنم .

(بحث فى المذكر من الحيوان ومؤنثه)

قال : ويقــال كلبة وكلب[4] ، وذئبة وذئب ، وبِرذون وبِرذَونَة . وأنشد :

= رؤساء النصارى فى الدين والعلم . والبيت من قصيدة لجرير ، مطلعها :

بان الخليـل ولو طوعت مـابانا وقطعوا من حبال الوصل أقرانا

يهجو بها الأخطل . وقبل البيت :

ياخزر تغلب ماذا بال نسوتـكم لايستفقن إلى الديرين تحنـانا

(١) فى ط : «جعلت» ، وهى على الصواب فى س .

(٢) يقال «استطارت» كما يقال «استظأرت» . وفى اللســان (طير) : «ويقال أجعلت الـكلبـة ، واستطارت ، إذا أرادت الفحل» . وفى مادة (ظأر) — : «قال أبو منصور : قرأت فى بعض الكتب استظأرت الكلبة بالظاء أى أجعلت واستحرمت» .

(٣) فى الأصل : «رمضت» والصواب ما أثبت . وفى القاموس: رمصت السباع : ولدت . انظر مادة (رمص) . واست تجد هذه الـكلمة بهذا المعنى فى اللسان .

(٤) فى الأصل : «ويقال فى السباع كلبة وكلب» . . . الخ . وكلمتا «فى السباع» من زيادة الناسخين لاشتباه أول هذه الفقرة بسابقتها .

أَرَيْتَ إذا ما جالت الخَيْلُ جَوْلَةً وأنتَ على بِرْذَوْنَةٍ غير طائِلِ [١]

ويقال رجل ورجال ، وامرأة ونساء ، وليس لها جمعٌ من واحدها . ويقال بعير وناقة وجمل ، ولا يقال جملة ولا بعيرة ، وقد قالوا رجل ورجلة وشيخ وشيخَة . ويقال كبش ونعجة ، ولا يقال كبشة ، كما لا يقال أسدة [٢] ويقال أسد ولبوة ولبوات ، ويقال ذئبة وذئب [٣] ، وقال الشاعرُ :

كأنَّهما ضِبْعانَةٌ فى مَفَازَةٍ وذِئْبَةَ مَحْلٍ أمُّ جِرْوَينِ تعسلُ [٤]

ويقال إنسان وإنسانَةٌ ، وسبع وسبعة ، وحمام وحمامة ، وحمار وحمارة ، وسِرْحان وسرحانَة ، وسِيدٌ وسِيدة ، وهِقل وهِقلة ، وإلق وإِلْقَة [٥] ، وقال رؤبة :

* جَدَّ وَجدَّتْ إلقَةً من الإلق [٦] *

وزعم أنّه يقال ضبع وضبعة ، وثعلب وثعلبة . وأصحابُنا لا يقولون هذا ويضحكون ممَّن يقولون : ضَبُعة عرجاء . ويقال ثُرمُلة [٧] .

---

(١) أريت بمعنى أرأيت . وفى س « أرأيت » وهو خطأ ، به يبطل الوزن . صوابه فى ط . ورواية اللسان : (برذن) « رأيتك إذ جالت » . وفى البغال ٣٤١ : « أريتك » ويقال للشيء الخسيس الدون : غير طائل ، الذكر والأنثى فيه سواد .

(٢) قلت : ذكر صاحب القاموس « الأسدة » فى مادتى (لبأ ، ولبو) .

(٣) فى الأصل : « ويقال لبوات وذئبة وذئب » ، وقد جعلت نظم الكلام كما ترى . واللبوة مخففة من اللبؤة بالهمز .

(٤) الضبعانة بالكسر : الأنثى من الضباع . وفى ط « مغارة » موضع « مفازة » وفى س « غنسل » مكان « تعسل » . وتعسل : تضطرب فى عدوها وتهز راسها . وأما « غنسل » فهو مصحف « عنسل » وهو فى الأصل الناقة القوية السريعة .

(٥) السرحان : الذئب ، وكذلك السيد بالكسر . والهقل بالكسر : الفتى من النعام . وفى الأصل : « مقل ومقلة » وهو تحريف . والإلق بالكسر : الذئب .

(٦) ديوان رؤبة ١٠٧ . وانظر الحيوان ٦ : ٣١٤ وأراجيز البكرى ص ٣٣ .

(٧) الثرملة : الأنثى من الثعالب .

ويقال من الفراخ فرخ وَفرخة ، ومن النمور نَمِـرٌ وَنَمِـرة . قال : ويقال ذِيخٌ وذِيخَةٌ [١] ، وضِبْعان وَضِبْعانَةٌ ، وجيأل وجَيْأَلة [٢] . ويقال عقرب وعَقْرَبَةٌ . والعُقْرُبان الذَّكَر وحدَه . وقال الشاعِرُ [٣] :

كأنَّ مَرْعى أُمِّكُمْ إِذْ غَدَتْ عَقْرَبَةٌ يكُومُها عُقْرُبان [٤]

ومن الضفادع ضِفدَع وَضِفدَعَة ، ومن القنافذ قُنفُذ وقُنفذة ، وشَيْهَمٌ وشَيهمةٌ [٥] ، ومن القرود قرد وقردة .

ويقال إلْقة وقِشَّة [٦] ، ولا يقال إلْق وقِشٌ ، ويقال لولد القرد رُبَّاح والأُنثى إلقة . وقالَ الشَّاعِرُ [٧] :

وإلْقَــةٌ تُرغِث رُبَّـاحهَا والسَّهْلُ والنَّوفَلُ والنَّضْرُ [٨]

---

(١) هما الذكر والأنثى من الضباع .

(٢) هما فى معنى سابقتيهما .

(٣) هو إياس بن الأرت الطائى كما فى الحيوان (٤ : ٢٥٩) والحماسة (٢ : ٢٠٢) واللسان (عقرب) .

(٤) مرعى : اسم أمهم ، كما فى اللسان . ويكومها : يخالطها . و « إذ غدت » هى فى الأصل : « إذا غدت » وبهذا يختل الشعر ، وهو من السريع . ويروى « إذ بدت » كما فى اللسان والحماسة . ويروى : « سوءة » كما فى الحيوان (٤ : ٢٥٩) . وانظر ياقوت (رسم العقربة) . وبعد البيت :

إكليلها زول وفى شولها وخز أليم مثل وخز السنان
كل عدو يتقى مقبلا وأمكم سورتها بالعجان

(٥) الشيهم : العظيم من القنافذ .

(٦) الإلقة : الذئبة . والقشة ، بالكسر : الصغيرة من إناث القرود .

(٧) هو بشر بن المعتمر . وستأتى قصيدة البيت فى (٦ : ٢٨٤ - ٢٩١) .

(٨) ترغث : ترضع . وهى فى ط : « نزعت » وفى س « نزغت » وهما محرفتان . وانظر اللسان (ربح) . السهل : الغراب . والنوفل : البحر . والنضر : الذهب . وهذه الأخيرة هى فى الأصل « النمر » وتصحيحها من اللسان والحيوان (٦ : ٢٨٥ ، ٣١٣) .

ومِن النعام هِقل وَهِقلة [1] ، وهَيق وهَيقَةٌ [2] ، وصَعل وصَعلة [3] ، وسفَنَّج وسفَنَّجة [4] ، ونعامٌ وَنعامة [5] ، والواحد من فراخها الرأل والجمع رئال [ورِئلان [6]] وأرآل [7] وأرؤل ، والأُنثى رألة ، وحفّانَةٌ والجمع حَفّان، وقد يكون الحَفّان [8] أيضًا للواحد . ويقال لها قِلاص والواحدة قلوص [9] ولايقال قَلوصة ، ويقال ظليم ولا يقال ظَليمة ، ويقال نِقْنِق ولا يقال نِقنِقة [10] . ١٠٥

ويقال من الأَرانب أرنب ولا يقال أرنبة ، والذكر خُزَز . ويقال للأُنثى عِكْرِشة ولولدها خِرْنِق . ويقال هذه أرنب وهذه عقاب ، ولا يقال هذا الأَرنب ولا هذا العقاب . وقال الشَّمَّاخ :

فما تنفكُّ بين عُويرِضــــاتٍ تجرّ برَأسِ عِكْرِشَةٍ زَمُوعِ [11]

---

(١) انظر التنبيه رقم (٦) من ص ٢٨٥ .

(٢) هما بمعنى سابقتيهما .

(٣) الصعل من النعام : الدقيق الرأس والعنق .

(٤) السفنج : الخفيف من النعام .

(٥) نعام : يقع على الجنس وعلى الواحد أيضا ، كما هنا وكما فى القاموس .

(٦) الزيادة من س . ومثله فى القاموس والدميرى واللسان .

(٧) ط : « رال » وتصحيحه من س .

(٨) وردت هذه الكلمة وأختاها بالقاف فى ط ، وصوابه بالفاء كما فى س .

(٩) القلوص يقال للإبل كما يقال للنعام .

(١٠) النقنق : الظليم . أى الذكر من النعام . وفى الأصل: « ويقال تفيق ولا يقال تفيقة » وهو تصحيف ما أثبت .

(١١) يصف عقابا تقتنص الأرانب اقتناصاً . والزموع : الأرنب قد تدلت فى أرجلها الزمعات : شعرات فى مؤخر أرجلها . وقد استعمل (بين) وهى لاتكون إلا بين اثنين أو أكثر ؛ لأنه أراد بين نواحى ذلك المكان المسمى « عويرضات » وقد أتى الجاحظ بالبيت شاهداً على تأنيث كل من الأرنب والعقاب .

قال ويقال لولد الكلب جروٌ والأُنثى جروة ، وهو دِرْص والجمع أدراص، ويقال لمن عضَّه الكلْبُ الكَلِبُ: بالَ كأدراص الكلاب .

(بدء الإبصار عند أولاد السباع)

وجرو الكلب يكون أعمى عَشرةَ أيّام وأكثَر ، وقد يعرِض شبيهٌ بذلك لكثيرٍ من السِّباع .

(استطراد لغوى)

ويقال بصبص الجروُ وفقَّح[١] وجصَّص ، إذا فتح عينيه شيئاً . وصأصأ إذا لم يفتح عينيه[٢] . ولذلك قَال عبد الله بن جحش[٣] ، والسَّكران ابن عمرو[٤] ، للمسلمين ببلاد الحبشة : « إنَّا فَقَّحنا وصأصأتم[٥] ». قَال بعض الرُّجاز[٦] فى بعض الصِّبيان :

---

(١) ط : « وفتح » وصوابه فى س .

(٢) فى القاموس : « صأصأ الجرو : حرك عينيه قبل التمتيح أو كاد يفتحهما » .

(٣) س : « عبيد الله بن جحش » . وعبد الله وعبيد الله أخوان هاجرا معا إلى بلاد الحبشة . السيرة ٢١٠ جوتنجن ، وقد ترجم ابن حجر لعبد الله فى الإصابة . وقد تزوج الرسول أختهما زينب بنت جحش . وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولاه .

(٤) هاجر السكران إلى الحبشة ثم رجع إلى مكة فمات بها ، فتزوج الرسول بعده زوجته سودة بنت زمعة . الإصابة ٣٣٣٠ والسيرة ١٠٠١ جوتنجن .

(٥) انظر اللسان (صأصأ) ومقاييس اللغة (صأ) .

(٦) ط : « ثم قال بعض الرجاز » ، والوجه ما أثبت من س . وفى الأغانى (٤ : ٤٢) أن صاحب الرجز الآتى هو الأحوص . يهجو نفسه ويذكر حوصه - أى ضيق عينيه - وفى الحيوان (١ : ٢٥٤) أنه أبو الأحوص .

أَقبِحْ بِهِ مِنْ وَلَد وأَشْقِحِ مثْلَ جُرَىِّ الكلْبِ لم يفقِّحِ[١]
إنْ يَسْرِ سارٍ لم يَقُمْ فيَنْبَحِ[٢] بالبابِ عِنْدَ حاجةِ المستَفْتِحِ

ويقال لولد الأَسد جرو وأجراء وجِراء ، وهى لجميع السباع ، ويقال له خاصَّةً : شِبْل . والجمع أشبال وشُبول . وقَال زُهير :

ولَأَنتَ أَشجَعُ حِينَ تتَّجِهُ الـ ـأبطالُ مِنْ لَيْثٍ أبى أَجْرٍ[٣]

(خبث الثعلب)

وحدَّثنى صديقٌ لى قَال : تعجَّبَ أخٌ لنَا من خُبث الثَّعلب ، وكان صاحبَ قَنص ، وقَالَ لى ما أعجب أمر الثعلب ! يفصل بين الكلب والكلَّاب ، فيحتالُ للكَلَّاب بما يعلم أنّه يَجوز عليهِ ، ولا يحتال مثل تلك الحيلة للكلب ؛ لأنّ الكلب لا يَخفى عليه الميِّت من المغشِيِّ عليه . ولا ينفع عنْدَه التَّماوُت . ولذلك لا يُحمل مَن مات من المجوس إلى النَّار[٤] حتى يُدْنَى منه كلبٌ ؛ لأنّه لا يَخفى عليه مغْمُور الحِسِّ أحَيٌّ هُوَ أو ميت[٥]. وللكلب عند ذلك عملٌ يستَدِلُّ بِهِ المجوس .

---

(١) فى الأصل : « مثل جرو » ، والوجه ما أثبت من الأغانى والحيوان (١ : ٢٤٤) .
(٢) انظر الرواية فى الجزء الأول من الحيوان . والشعر يصح فيه أن يقرأ بإسكان الروى أو كسره .
(٣) أجر : جمع جرو .
(٤) فى الجزء الأول ص ٣٧٥ : « إلى الناووس » ، بمعنى القبر .
(٥) ط : « أهوحى أو ميت » وأثبت مافى س .

قال : وذلك أنِّى هَجَمْتُ على ثعلبٍ فى مَضيق ، ومعى بُنَىٌّ لى ، فإذا هو ميِّتٌ منتفِخٌ ، فصدَدْت عنه ، فلم ألبَثْ أن لحِقتنى الكلاب ، فلمَّا أحسَّ بها وثَب كالبرق ، بعد أن تحايَدَ[1] عن السَّنن ، فسألت عن ذلك فإذا ذلك من فِعــلِه معروفٌ ، وهو أنْ يستلقىَ وينفخَ خواصرَه ويرفعَ ١٠٦ قوائمه ، فلا يشكُّ مَن رآه من الناس أنَّه ميِّت منذُ دهر ، وقَدْ تَزكَّرَ بالانتفاخِ بدنُه ، فكنتُ أتعجَّب مِنْ ذلك[2] ، إذْ[3] مررْتُ فى الزُّقاق الذى فى أصل دار العبّاسيّة ومنفَذه إلى مازن ، فإذا جرو كلبٍ مهزولٌ سَيِّئُ الغذاء ، قد ضربه الصِّبيان وعقَروه ففرَّ منهم ودخل الزُّقاق ، فرمى بنفسه فى أصل أُسطُوانة[4] وتبِعوه حتَّى هَجَمُوا عليه ، فإذا هو قد تَمَاوَتَ[5] فضربوه بأرجلهم فلم يتحرَّكْ فانصرفوا عنه . فلمَّا جاوَزُوا تأمَّلت عينَه فإذا هو يفتَحُها ويُغمِضها ، فلمَّا بعدُوا عنه وأمِنَهم عدَا ، وأخذَ فى غير طريقهم فأذهَبَ الذى كان فى نفسى للثَّعلب ؛ إذ كان الثَّعلب ليس فيه إلاَّ الرَّوَغانُ والمكر ، وقد ساواه الكلبُ فى أجودِ حِيلِهِ .

---

(١) فى الأصل : « تحاير » .

(٢) تزكر : عظم . وفى ط : « وقد أتذكر انتفاخ بدنه فأتعجب من ذلك » وأثبت ما فى س .

(٣) ط : « إذا » .

(٤) فى الأصل : « أصطوانة » ، وإنما هى بالسين كما فى اللسان والقاموس .

(٥) فى الأصل : « تمرد » ووجهه ما أثبت .

(مقايسة بين الثعلب والكلب)

ومع الكلب بعدُ ماليس مَعَهُ ، إلاَّ أنْ يُفخَر بفروته[١] فى موضع انتفاع النّاس به ؛ فجعْر الكلب للذُّبحة أنفع منه ، إذ كان فى الذُّبحة الموت وليس يقوم مقامه شيءٌ . وجلد الثّعلب منه عِوَض[٢] .

(قول صاحب الديك فى الكلاب)

قال صاحب الديك : شِرارَ عِباد الله مَن قتلَ أولادَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم نجدْ شعراءَ النّاس شبَّهوا أولئك القاتلين بشيءٍ سوى الكلاب . قال أبو نضلة الأبّار ، فى قتل سلم بن أحوز المازنىِّ ، صاحب شرطةِ نَصْرِ بن سيَّار اللَّيثى ، يحيى بنْ زَيدٍ[٣] وأصحابَه ، فقال :

ألم تر لَيثاً ما الذى خَتَمتْ بِهِ ... لها الوَيْلُ فى سُلطانِها المتخاذلِ[٤]

كلابٌ تعاوَتْ لاهَدَى الله سُبْلَها ... فجاءتْ بصَيدٍ لا يحلُّ لآكل[٥]

بنفسى وأهلى فَاطمىٌّ تقنَّصوا ... زَمانَ عَمًى مِنْ أمّةٍ وتخاذُل

لقد كشفت للنّاس ليثٌ عن استِها ... وغابَ قَبِيلُ الحقِّ دُونَ القبائِل

(١) أى فروة الثعلب .

(٢) أى يستعاض عنه بجلد غيره .

(٣) هو يحيى بن زيد بن على بن الحسين ، أحد الأبطال الأشداء ، ثار على بنى مروان وقتل فى الجوزجان سنة ١٢٥ : أصابه سهم من رجال سلم بن أحوز فأرداه قتيلا ، فصلب بالجوزجان ، ولم يزل مصلوبا ، حتى ظهر أبو مسلم واستولى على خراسان ، فأنزله وصلى عليه ودفنه .

(٤) أراد بليث القبيلة .

(٥) يعنى قتلى العلويين .

قال صاحب الديك : وروى هُشيم عن المغيرة عن إبراهيم قال : لم يكونُوا ينْهَوْنَناَ عن شيءٍ من اللعب ونحنُ غِلمانٌ إلاَّ الكلاب .

(التقامر بالبيض)

وذكر محمَّد بن عجلان المدينيّ[1] عن زيد بن أسلم[2] ، أنّه كان لا يرى بأساً بالبيض الذى يتقامر بِهِ الفتيان ، أن يُهدَى إليه منه شيء أو يشتريَه فيأكله .

وهشام بن حسَّان[3] قال : سئل الحسن عن البيض يَلعَب بِهِ الصِّبيان يشتريه الرجل فيأكله ، فلم يرَ بِهِ بأساً وإن أطعموه أن يأكل منه ، والجوز الذى يلعب بِهِ الصِّبيان .

وحاتم بن إسماعيلَ الكوفيُّ قال : حدّثنا عبد الرحمن بن حَرْمَلة ، عن سعيد بن المسيّب ، أنّه لم يكن يرى بأسًا بالبيض الذى يلعب به الصِّبيان .

---

(١) ط : « محمد بن العجلان المدائنى » ، وهو تحريف ، وإنما هو مدينى . ذكره ابن حجر فى تقريب التهذيب وقال : « صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبى هريرة . . . مات سنة ثمان وأربعين » ، أى ومائة ، كما هو اصطلاح ابن حجر . وفى النسبة إلى مدينة رسول الله كلام ذكره ياقوت فى معجمه .

(٢) زيد بن أسلم العدوى مولى عمر ، أبو عبد الله ، أو أبو أسامة المدنى ، ثقة عالم مات سنة ست وثلاثين . تقريب التهذيب .

(٣) هو أبو عبد الله هشام بن حسان الأزدى القردوسى ، روى عن الحسن ومحمد بن سيرين وعكرمة وهشام بن عروة ، وعنه سعيد بن أبى عروبة والحمادان والسفيانان . توفى سنة ١٤٨ . تهذيب التهذيب .

(قتل الحيات والكلاب)

قال : وحدَّثنى ابن جُريج قَال ، وأخبرنى عبد الله بن عُبيد بن عمير ١٠٧
قال : أخبرنى أبو الطفيل أنّهُ سمع عليَّ بنَ أبى طالب يقول : اقتُلوا [من][1]
الحيَّات ذا الطُّفْيتين[2] ، والكلبَ الأسودَ البهيم ذا الغُرَّتين[3] .
قال : والغُرَّةُ[4] : حُوَّة تكون بعينيهِ[5] .

(قول صاحب الكلب فى صقاع الديك)

قال صاحب الكلب : قد أخبرنى أبو حرب عن منصور القصَّاب ،
قال : سألت الحسن عن البيض الذى يتقامرون بِهِ ، فكرههُ .

وما رأينا قطُّ أحَدًا يريد الادِّلاج ينتظر صُقَاعَ الدِّيك[6] . وإنَّما
يوالى الدِّيك بين صياحه قُبيل الفجر ثمَّ مع الفجر إلى أنْ ينبسط النهار ؛
وفيما بين الفَجْر وامتدَادِ النهار لايحتاج النَّاس إلى الاستدلال بأَنْ يصوِّت
الديك[7] . ولها فى الأسحار أيضاً بالليل الصَّيْحة والصَّيحتان ، وكذلك

---

(١) زيادة يقتضيها الكلام .

(٢) الطفيتان : خطان أسودان فى ظهر الحية . وانظر ٦ : ٢٢٤ .

(٣) فى الأصل : « العزتين » ، والصواب ما أثبت ، كما فى النهاية لابن الأثير ، واللسان .

(٤) فى الأصل : « والعزة » ، وانظر التنبيه السابق .

(٥) فى النهاية واللسان ، أن الغرتين نكتتان بيضاوان فوق عينيه .

(٦) الادلاج : افتعال من ادلج بتشديد الدال ، أى سار من آخر الليل ، وهو المراد هنا . والإدلاج : إفعال من أدلج السير من أول الليل ، وليس مراداً . وصقاع الديك : صياحه .

(٧) فى الأصل : « لأن يصوت الديك » وصوابه ما أثبت .

الحمار . عَلَى أنّ الحمارَ أبعدُ صوتاً ، وأجدر أنْ ينبِّه كلَّ نائمٍ لحاجةٍ إن كانتْ له[١] . وما رأينا صاحبَ سَحُورٍ يستعمله[٢] ، وكذلك صاحب الأذان ، وما رأيناه يتَّكل فى وقتِ أذانِه عَلَى صياحِ الدِّيك ، لأَنّ صورَةَ صوتِه ومقدارَ مَخرجهِ فى السَّحَر الأَكبر كصياحِه قبلَ الفجر . وصياحُه قبلَ الفجر ؛ كصياحِه وقد نوَّر الفجْرُ وقدْ أضاء النهار . ولو كان بين الصيحتين فرقٌ وعلامةٌ كانَ لعمرى ذلك دليلاً . ولـكِنَّهُ مَن سمع هُتافهُ وصُقاعَهَ فإنّما يفزع إلى مواضع الـكواكب ، وإلى مطلع الفجر الكاذب والصادق .

والديك له عِدَّةُ أصواتٍ بالنَّهار لايغادر منها شيئاً ؛ ولتلك أوقاتٌ لايحتاج فيها النَّاس إليهِ . وملو كُنا وعلماؤنا يستعملون بالنَّهار الأَسْطُرلابات[٣] وبالليل البَنكامات[٤] ، ولهم بالنّهار سوى الأسطرلاباتِ[٥] خطوطٌ وظلٌّ يعرفون بِهِ مامَضى من النهار وما بقى . ورأيناهم يتفقَّدُون المطالع والمجارِىَ . ورأينا أصحابَ البَساتين [و][٦] كلّ مَنْ كان بقُرب الرِّياض ، يعرفون ذلك بريح الأَزهار . ورأينا الرُّومَ وَنَصَارى القُرى يَعرفُون ذلك بحركاتِ الخنازير وبِبُكُورها وغدوِّهَا وَأصواتها ؛ ولذلك قالوا فى وَصف الرجل : له

---

(١) فى الأصل : « وأجدر على أن ينبه » الخ . والوجه حذف « على » .

(٢) أراد بصاحب السحور من يتكفل إيقاظ الناس للسحور .

(٣) مر القول فى الأسطرلاب ص ٢٥٥ من هذا الجزء . وفى س : « الأصطرلاب » .

(٤) فى الأصل : « المنكابات » . وانظر الاستدراكات .

(٥) فى الأصل : « الأصطرلابات » .

(٦) زدتها لحاجة القول إليها .

وَثْبة الأسد، ورَوَغان الثعلب ، وانسلاب الذِّئب[1] وَجمْع الذرّة[2] وبُكور الخِنزير . والرَّاعى يعرف ذلك فى بكور الإبل وفى حنينها وغيرِ ذلك من أمرها .

وللحَمام أَوقاتُ صياحٍ ودُعاءٍ مع الصُّبح وقُبيلَ ذلك على نسَق واحد ، ولكنَّ النَّاس إنَّما ذكروا ذلك فى الدِّيك والحمار ، لامتداد أصواتهما .

(هديل الحمام)

وهديلُ الحمامِ ودعاؤه لايجُوزُ بعيداً[3] ، إلاَّ ماكان من الوراشين[4] والفَواخِتِ فى رُءُوس النَّخل وأعالى الأشجار ، فلَعمرْى إنَّ ذلك لمـَا يُسمَع من موضعٍ صالح البعد . ١٠٨

(مايصيح من الطير مع الفجر والصبح)

وللعصافير والخطاطيفِ وعامَّة الطَّير ، ممَّا يصفِر أو يُصرصِر[5] ، وممَّا يهدِل مع الفجر إلى بُعيدِ ذلك — صِياحٌ كثير . ثمَّ الذى لايدع الصِّياح

(١) انسلاب الذئب : انفلاته وسرعة عدوه . وفى س : « استلاب الذئب » من السلب بمعنى النهب ، وهو الموافق لما فى الجزء الأول ص ٣٠٣ .

(٢) ط : « الذر » . والذرة : الواحدة من الذر ، وهن ضرب من النمل أحمر صغير .

(٣) لايجوز بعيداً : لاينتهى إلى مدى بعيد .

(٤) الوراشين : جمع ورشان ، وهو ضرب من الحمام . وفى ط : « الوارشين » وهو على الصواب فى س .

(٥) فى اللسان : « صرصر الطائر : صوت . وخص بعضهم به البازى والصقر » .

فى الأسحار مع الصبُّح أبداً الضُّوَع[1] ، والصَّدَى[2] ، والهامَةَ ، والبُومةوهذا الشَّكلُ من الطَّير . وقد كتبْنا فى غير هــذا الموضعِ الأشعارَ فى ذلك[3] .

قال : وقد يصيح مع الصُّبح البُوم ، والصدى[2] والهام ، والضُّوَع[1] والخطاطيف ، والعصافير ، والحُمَّرُ[4] فى ذلك الوقت أكثَرَ من الدِّيَكة .

قال الوليدُ بن يزيدَ فى ذلك :

سُلَيمى تِيكَ[5] فى العــير قفى إنْ شئتِ أوْ سِيرِى
فلما أنْ دَنا الصُّبحُ بأصــواتِ العَصَـافــيرِ

وقال كلثوم بن عمرو العَتّابىّ[6] :

ياليلةً لى بحُوَّارِينَ ساهرةً حتَّى تكلَّمَ فى الصُّبْحِ العَصافيرُ[7]

---

(١) ط : « الصوع » س : « الصوغ » ، وإنما هو « الضوع » ، وهو طائر ليلى من جنس البوم .

(٢) الصدى ، بالقصر : ذكر البوم . وفى الأصل : « الصداء » بالمد ، وهو تحريف ، وقد جاء على الصواب فى الصفحة التالية .

(٣) انظر ص ٢٩٩ — ٣٠٠ من هذا الجزء .

(٤) الحمر : ضرب من الطير كالعصفور . وفى الأصل : « الحمير » ، وهو تحريف لاوجه له .

(٥) ط : « تبك » والصواب فى س . و « تيك » بمعنى « تلك » .

(٦) كلثوم بن عمرو العتابى : شاعر مترسل بليغ مطبوع مقدم ، من شـعراء الدولة العباسية ، وكان منقطعاً إلى البرامكة فوصفوه للرشيد ووصلوه به ، فبلغ عنده كل مبلغ . وهو من أحفاد أحفاد عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة . انظر الأغانى ١٢ : ٢ — ٩ وتاريخ بغداد ٦٩٦١ ومعجم الأدباء ١٧ : ٢٦ — ٣١ . وفى ط : «كلثوم أبو عمرو العتابى »، وهى على الصواب فى س .

(٧) حوارين بالضم وتشديد الواو ، من قرى حلب ، وحصن من ناحية حمص . وفى ط : « فى حوران » وهى بالفتح كورة واسعة من أعمال دمشق . وقد أثبت رواية س . وقد استعمل الكلام فى معنى الصياح . مثله قول الآخر :

فصبحت والطير لم تكلم جابية حفت بسيل مفعم

فالعَصافير والخطاطيف والحُمّر(١) والحمام والضُّوعان(٢) وأصناف البوم كلُّها تقوم مَقام الديك . وقال ثَعْلبة بن صُعَير المازنى(٣) :

أُعُمَيْرَ مايُدريكِ أنْ رُبَ فِتْيةٍ بيضِ الوَجوهِ ذوى ندًى ومآثرِ(٤)

حَسَنِى الفُكاهةِ لاتذمُّ لحامُهُم سَبْطِى الأكُفِّ لدى الحروب مساعرِ(٥)

باكرْتُهُم بسِباء جَوْنٍ مُتْرَعٍ قَبْلَ الصَّباحِ وقَبْل لغوِ الطائرِ(٦)

(صوت الديك وما قيل فيه من الشعر)

قال : ويقال لصوت الدِّيَكة الدُّعاء ، والزقاء ، والهُتاف ، والصُّراخ ، والصُّتاع . وهو يهتِف ويَصقَع ويزْقُو ويصرُخ . وقال جِرانُ العَوْد(٧) :

---

(١) فى الأصل : « والحمير » . وانظر الصفحة السابقة .

(٢) فى الأصل : « الصوغان » ، وهو تحريف ، وأراد بالضوعان جمع الضوع : الطائر الليلى ؛ والقياس فى الجمع « ضيعان » كما فى اللسان والقاموس .

(٣) ثعلبة بن صعير شاعر جاهلى ، ترجم له ابن حجر فى الإصابة . والأبيات الآتية من قصيدة مفضلية (المفضليات ١٢٨) مطلعها :

هل عند عمرة من بتات مسافر ذى حاجة متروح أو باكر

(٤) قد خفف باء « رب » كما ترى . والرواية فى المفضليات : « أسمى مايدريك » والوجه رواية الجاحظ . « وعمير » تصغير ترخيم لـ « عمرة » .

(٥) فى الأصل : « حسن الفكاهة » والوجه ماأثبت من المفضليات . وفى ط : « لاتذم كما هم » وهو تحريف صوابه فى س ، والمفضليات ، وهذا كناية عن الكرم وطيب القرى . وفى الأصل : « سبط الأكف » وتصحيحه من المفضليات . والمساعر : جمع مسعر ، وهو الذى يوقد نار الحرب ويؤرثها . وفى المفضليات : « وفى الحروب مساعر » فيكون فى البيت إقواء .

(٦) سباء : شراء . جون مترع : يعنى زقا أسود ممتلئا خمراً . ويصح أن يكون السباء فى معنى الخمر نفسها ، فالسباء الخمر كما فى القاموس .

(٧) من قصيدة مطولة مثبتة فى ديوانه ١٣ — ٢٤ والأبيات الآتية فى ص ١٧ . وقبل هذه الأبيات ما يرتبط بمعناها :

وقالت لنا والعيس صعر من البرى وأخفافها بالجندل الصم تقذف

وهن جنوح مصغيات كأنما براهن من جذب الأزمة علف

حمدت لنا حتى تمناك بعضنا وأنت امرؤ يعروك حمد فتعرف

رفيع العلا فى كل شرق ومغرب وقولك ذاك الآبد المتلقف

وفيك إذا لاقيتنا عجرفية مراراً وما نستيع من يتعجرف

تميلُ بك الدنيا ويَغْلبك الهوى   كما مَالَ خوّارُ النَّقا المتقصف[١]

ونُلْغَى كأنّا مَغْنمٌ قد حويته   وترغبُ عن جَزْلِ العَطاءِ وتَصْدِفُ[٢]

فموعِدُكَ الشَّطُّ الذى بينَ أهلِنا   وأهلِك حتَّى تسمَعَ الديكَ يهتِفُ

وقال المزَّقُ العَبْدىُّ :

وقَدْ تَخِذَتْ رجلاىَ فى جَنْبِ غَرْزِها

نَسِيفاً كأُفحوصِ القَطَاةِ المطرِّقِ[٣]

أُنيختْ بجوّ يصرُخ الديك عندَها   وباتَتْ بِقاعٍ كادِئ النبت سَمْلَقِ[٤]

١٠٩ وقال لَبيد :

لَدُنْ أن دعا ديكُ الصَّباح بسُحرَةٍ   إلى قدر ورْدِ الخامِس المتأوِّبِ

(طيور الليل)

ويقال للطائر الذى يخرجُ من وَكره باللَّيل البومة والصَّدَى والهامة والضُّوَع[٥] والوَطواط والخُفَّاش ، وغُراب اللَّيل ، ويصيدُ بعضها الفأرَ[٦]

---

(١) خوار النقا المتقصف : الرمل اللين السهل ، الذى ينهاث من لينه ونعومته . وفى الأصل : « جوان الفتى المتقصف » وهو تحريف أصلحته من الديوان .

(٢) فى الديوان : « ونلقى » ، قال العسكرى : « من اللقاء » . وفيه « وتسرف » موضع « وتصدف » ، ورواية الجاحظ هنا أشبه .

(٣) الغرز : ركاب الرحل من جلد . والنسيف : أثر ركض الرجل بجنبى البعير إذا انحص عنه الوبر . والقطاة المطرق : التى حان خروج بيضها . والأفحوص : مجثمها .

(٤) الجو : المنخفض من الأرض . وكدأ النبات : أصابه البرد فلبده فى الأرض ، أو أصابه العطش فأبطأ نبته . وفى الأصل : « كارى النبت » ، والوجه ماأثبت . والقاع السملق : الأرض المستوية الجرداء .

(٥) س : « الصوغ » ، وهو تصحيف .

(٦) فى الأصل : « يصيد بعضها والفأر » .

وسامَّ أبرصَ والقَطا وصِغارَ الحشرات ، وبعضُها يصيد البعوضَ والفَرَاش وما أشبَه ذلك . والبُوم يدخل بالليل على كل طائرٍ فى بيته ، ويُخرجه منه ويأ كُلُ فِراخه وبَيضَه . وهذه الأسماء مشترَكة .

(ماقيل من الشعر فى الهامة والصدى)

وقال خزيمة بن أسْلم :

فلا تَزْقُوَنْ لى هامةٌ فوقَ مَرْقَبٍ فإنَّ زُقاءَ الهامِ أخبَثُ خابِثِ [١]

وقال عَبد الله بن خازم [٢] أو غيره [٣] :

فإنْ تكُ هَامَةً بهَـرَاةَ تَزْقُو فَقَدْ أزْقَيْتَ بالمَرْوَينِ هاما [٤]

وقال تَوْبَة بن الحميِّر [٥] :

ولو أنَّ ليلَى الأخْيَليَّةَ سَلّمتْ عَلَيَّ ودُونى جَنْدَلٌ وَصفائحُ

لَسلَّمتُ تسليمَ البَشاشةِ أوزَقا إليها صَدًى مِنْ جَانبِ القَبْرِ صائحُ

---

(١) انظر مثل هذا البيت مع قرين له فى بلوغ الأرب (٢ : ٣١٢) .

(٢) هو عبد الله بن خازم بن أسماء السلمى البصرى ، أمير خراسان ، ولى إمرتها لبنى أمية فلما ظهر ابن الزبير كتب إليه ابن خازم بطاعته ، فأقره على خراسان ، ثم ثار به أهل خراسان فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى عبد الملك سنة ٧٢ . فى الأصل : « عبد الله بن حازم » ، مصحف . والبيت يقوله فى ابنه محمد الذى قتله شماس ابن دثار العطاردى بهراة . (المخصص ٨ : ١٦٢ والأمالى ٣ : ٣١) .

(٣) يروى البيت لابن عرادة ، كما فى الأمالى .

(٤) المروان يعنى بهما مرو الشاهجان ومرو الروذ بخراسان .

(٥) هو صاحب ليلى الأخيلية . كان بينهما حب مشهور ، ولما قتل رثته بمراث كثيرة جيدة . انظر لها الأغانى (١٠ : ٧١ — ٧٤) وحماسة البحترى (٤٢٣ — ٤٢٦) .

وقال الرَّاجز :

وِمَنْهَــل طامِسَــةٍ أَعْلامُهُ يَعْوِى بِهِ الذِّئْبُ وَيزْقُو هامُه

وأنشدنى فى الصَّدَى(١) :

تجشَّمتُ مِنْ جَرَّاكِ والبُومُ والصَّدَى

له صائح أنْ كنْتِ أسْرَيتِ مِنْ أَجْلى

وقال سُوَيد بن أبى كاهل(٢) فى الضَّوَع(٣) :

لَنْ يَضِرْنى غيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِى فَهْوَ يَزْقُو مِثْل مَا يزْقُو الضَّوَعْ

قال : فى قراءة ابن مسعود : ﴿ إنْ كانتْ إلاّ زَقْيَةً وَاحِدةً(٤) ﴾ ﴿ وَنفخَ فى الزَّقية ﴾ يريد الصُّور .

وصَوْتُ الدجاجَةِ القوقأة ، تقول هى تقوقئ .

(شعر فى الدجاج)

وقال أعرابىٌّ :

أَلَيْسَ يَرَى عَيْنَىْ جُبَيرة زَوْجُها ومَحْجِرَهَا ، قامَتْ عليهِ النَّوائحُ

تنجَّبَها لا أ كْثَرَ الله خَيْرَهُ رُميصاءَقَدْشابَتْعليهاالمسائح(٦)

لها أنْفُ خِنزيرٍ وساقَا دَجَاجَةٍ ورُؤيتها تَرْحٌ من العَيْشِ تارِحُ

---

(١) فى الأصل : « الصداء » ، وهو تحريف نبهت عليه قريباً . ويبدو أن هنا سقطا بعد « وأنشدنى » .

(٢) سويد بن أبى كاهل اليشكرى : شاعر مخضرم ، ترجمته فى ابن سلام والأغانى ١١ : ١٦٥ والخزانة ٢ : ٥٤٦ والإصابة ٣ : ١٧٢ والشعراء ٣٨٤ وقصيدته هذه فى المفضليات ١٩١ .

(٣) س : « الصوغ » وهو تصحيف نبهت عليه . والبيت الآتى من قصيدة مفضلية

(٤) فى المفضليات : « لم يضرنى » .

(٥) أى صيحة واحدة . انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢٩ .

(٦) تنجبها : اختارها واصطفاها . وفى الأصل : « تجنبها » وهو عكس ما أريد . والرميصاء : التى رمصت عيناها ، أى ظهر بهما القذى . والمسائح : جمع مسيحة وهى الضفيرة ، أو شعر جانبى الرأس .

وقال العُجَير السَّلُولىّ :

لانَوْمَ إلاَّ غِرَارُ العَيْنِ ساهرةً ⁂ حتَّى أُصيبَ بغيظ آلَ مَطلوبِ [١] ١١٠

إن تَهْجُرونى فقد بدَّلْتُ أيكتَكم ⁂ ذَرْقَ الدجاج بحفّاز اليَعاقِيبِ [٢]

وقال أبو الأسود الدُّئِلىّ :

ألم تعلما يا ابنَى دَجاجةَ أَنَّنى ⁂ أَغُشُّ إذا ما النُّصْحُ لم يُتَقَبَّلِ [٣]

(شعر فى هجاء الدجاج وهجاء من اتخذها)

وقال صاحب الكلب : وسنروى فى الدَّجاج ونذكرُ كلَّ من هجاهَا وهَجا مَنِ اتَّخَذَها وأشبَهَها فى وجهٍ من الوجوه ، قال الراجز :

أقبَلْنَ من نِيرٍ ومن سُوَاجِ [٤] ⁂ بالحىِّ قد ملّ من الإدْلاَجِ [٥]

فَهُمْ رَجاجٌ وعلى رَجَاجِ [٦] ⁂ يمشُون أفْوَاجاً إلى أفْوَاجِ

---

(١) مطلوب : ماء كان لخثعم ، جنوبى مكة ، وكان العجير دل عبد الملك عليه فاتخذ ذلك المساء ضيعة . وقد يسمى هذا الموضع المعمل . يا قوت (مطلوب ، ومعمل) والأغانى (١١ : ١٤٦) .

(٢) يا قوت : الأيكة : جماعة الأراك، وذلك أنه نزع ووضع مكانه الفسيل . وذرق الدجاج : نجوه ، وفى الأصل « زرق » وصوابه ما أثبت من المعجم والأغانى . واليعاقيب : جمع يعقوب ، وهو ذكر الحجل . يريد أن الدجاج حل موضع اليعاقيب لتحول تلك الأيكة إلى قرية .

(٣) فى ديوان الفرزدق ٧٠٧ : وقال الفرزدق لعوف بن القعقاع وأخيه :

ألم تعلما يا ابنى أمامة أننى ⁂ أغش إذا ما النصح لم يتقبل

(٤) النير : جبل . وكذلك سواج . وفى الأصل : « من بر » وتصحيحه من اللسان (رجج ونير) ومعجم البلدان (سواج) حيث يوجد فيهما الرجز . وفى الدميرى (فروج) : « من بئر » محرفة .

(٥) يروى : « بالقوم قد ملوا » .

(٦) الرجاج بالفتح : الضعفاء من الناس والإبل . وفى ط : « فهم دجاج على دجاج » و س : « فهم دجاج وعلى دجاج » وهو تحريف عجيب ، وتصحيحه من اللسان (رجج). قال : أى ضعفوا من السير وضعفت رواحلهم .

* مَشْىَ الفَرارِيجِ إلى الدَّجاجِ [١] *

وقال عبد الله بن الحجّاج [٢] :

فإن يُعْرِضْ أبو العبَّاسِ عَنِّى ... ويركبْ بى عَرُوضاً عن عَرُوضِ [٣]

ويجعلْ وِدَّهُ يوماً لغيرى ... ويُبْغِضْنى فإنِّى من بَغِيضِ [٤]

فَنَصْرُ اللهِ يأسُو كلَّ جُرْحٍ ... وَيَجْبُر كسْرَ ذى العَظْم المهيض [٥]

فِدًى لكَ مَنْ إذا ماجئْتُ يوماً ... تلقانى بجامعةٍ رَبُوض [٦]

لدى جَنْبِ الخِوان وذاك فُحشٌ ... وبِئْستْ خُبْزَة الشَّيخِ المريض [٧]

كأنِّى إذ فزِعت إلى أُحَيْحٍ ... فزِعْتُ إلى مُقَوْقِيَةٍ بَيوض [٨]

---

(١) « إلى» هنا بمعنى « مع » ، وبالأخيرة جاءت الرواية فى اللسان والدميرى .

(٢) عبد الله بن الحجاج : شاعر فاتك شجاع ، من معدودى فرسان مضر ، فكان من خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل عبد الملك عمراً ، خرج مع نجدة بن عامر الحنفى ، ثم هرب فلحق بعبد الله بن الزبير ، فكان معه إلى أن قتل ، ثم جاء الى عبد الملك متنكرا واحتال عليه حتى أمنه ، وهو القائل :

رأيت بلاد الله وهى عريضة ... على الخائف المطرود كفة حابل

تؤدى إليه أن كل ثنيــة ... تيممها ترمى إليه بقاتل

الأغانى ١١ : ٢٤ — ٣٢ .

(٣) أبو العباس ، يعنى به الوليد بن عبد الملك ، وكان حبس عبد الله فقال قصيدته هذه فى الحبس .

(٤) يريد بغيض بن ريث بن غطفان ، وهو من أجداد عبد الله ، ولهذا البيت خبر فى الأغانى ١١ : ٢٧ .

(٥) المهيض : المكسور بعد أن كان جبر .

(٦) الجامعة الربوض : السلسلة الضخمة . وفى ط : « ريوص » و س : « ويوض » محرفتان . وهما على الصواب الذى أثبت فى الأغانى .

(٧) فى الأغانى : « دسست بخفة الشيخ المريض »، صواب هذه « وبئست تحفة » .

(٨) أحيح هذا هو ابن خالد بن عقبة بن أبى معيط ، وكان عبد الله قد لجأ إليه ، فسعى به إلى الوليد فأخذه من دار أحيح فحبسه . س : « إذ دخلت على أحيح » ، والوجه ماأثبت من ط والأغانى . ط : « مقوقية ربوض » ، والوجه ما كتبت من س والأغانى . وعنى بالمقوقية الإوزة .

إوَزَّة غَيْضةٍ لَقِحت كشافاً لِفَقْحَتِهَا إذا بَرَكَتْ نَقِيضُ[١]

وقالت امرأة فى زوجها وهى ترقِّص ابناً لها منه :

وُهبتُه من سَلْفَعٍ أَفُوك[٢] ومن هِبَلٍّ قَدْ عَساَ حَنيكِ[٣]

* أَشْهَبَ ذِى رأسٍ كرأسِ الدِّيكِ *

تريد بقولها « أشهب » أنّه شيخ وشعر جسده أبيض وأنّ لحيته حمراء .

وقد قال الشاعِرُ ، وهو الأعشى :

وبنى المنْذِرِ الأشاهِبَ بالحِيـ رَةِ يَمْشُونَ غُدْوَةً كالسُّيوفِ ١١١

وإنما أراد الأعشى أنْ يعظِّم ويفخِّم[٤] أمرَهم وشأنهم ، بأنْ يجعلهم شيوخا . وأمّا قولها : « ذى رأس كرأس الدِّيك » فإنّما تعنى أنّه مخضوبُ الرَّأس واللِّحية .

وقال الآخر[٥] :

حَلَّتْ خُويلةُ فى حَىٍّ مجاوِرَةً أهلَ المدائنِ فيها الدِّيكُ والفيلُ

يقارِعُون رءُوس العُجْمِ ضَاحِيةً منهم فَوَارِسُ لاعُزْلٌ ولا مِيلُ[٦]

---

(١) أصله من لقحت الناقة كشافا : إذا حملت بعد نتاجها . والنقيض : الصوت. ورواية أبى الفرج : « لقحقحها إذا درجت » . والقحقح ، بضم القافين : العظم المطيف بالدبر .

(٢) السلفع : الشجاع الجرئ الجسور . وهو فى الأصل : « سلفك » ، وتصحيحه من اللسان (حنك) .

(٣) الهبل : الثقيل المسن الكبير . وفى الأصل : « هبتل » ، وصوابه فى اللسان . وعسا : كبر . والحنيك : الشيخ . وانظر هذا الجزء ص ٢٣٩ .

(٤) ط : « يفخر » ، س : « يفحم » وهما تحريف ما كتبت .

(٥) هو عبدة بن الطبيب من قصيدة له (فى المفضليات ١٣٥) مطلعها :

هل حبل خولة بعد الهجر موصول أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

(٦) العزل : جمع أعزل ، وهو من لا سلاح معه . والميل : جمع أميل ، وهو من لا ترس معه ، أو لا سيف ، أو لا رمح ؛ أو الجبان .

قال ابن أحمر :

فى رأس خَلْقَاء من عَنْقَاءَ مُشْرِفَةٍ لا يُبْتَغَى دُونَها سَهْلٌ ولا جَبَلُ[١]

إلَّا كمثلك فينا غير أنّ لنا شوقاً وذلك ممَّا كلّفت جَلَلُ

هَيهاتَ حَىٌّ غَدَوْا من ثَجْرَ مَنْزِلُهُمْ

حَىٌّ بنجرانَ صاحَ الدِّيكُ فاحتملوا[٢]

وقال :

أبَعدَ حُلولٍ بالرِّكاء وجَامِلٍ غداً سارحاً مِنْ حَوْلنا وتَنَشَّرا[٣]

تبدَّلْت إصطبلا وتَلاًّ وَجَرَّةً ودِيكًا إذاما آنَسَ الفَجْرَ فرفرا[٤]

وبستانَ ذى ثَوْرَيْنِ لا لِينَ عنده إذا ما طَغَى ناطُورُه وتَغَشْمَرا[٥]

وقال أوس بن حجَر :

كأنَّ هِرًّا جَنِيبًا عِنْدَ مَغْرِضِها والتفَّ دِيكٌ بِرِجْلِها وخِنْزِيرُ[٦]

---

(١) الخلقاء : الصخرة الملساء . والعنقاء : الأكمة فوق جبل مشرف .

(٢) ط : « هيهات حتى » و « حتى بنجران » وتصحيحه من س . وفى ط أيضاً : « من بحر » وفى س : « من تجر » ، وصوابهما « ثجر » بالثاء ، وهو ماء قرب نجران ، كما فى معجم البلدان والقاموس . ونجران : موضع من بلاد اليمن .

(٣) الركاء ، بالفتح أو بالكسر : اسم موضع . الجامل : الجمال . وتنشر : تفرق .

(٤) الفرفرة ، بالفاء : الصياح .

(٥) ذو الثورين ، أراد به الزارع . والناطور : حافظ الزرع والكرم والتمر . وتغشمر : بدا منه العنف والجفاء .

(٦) انظر هذا البيت فى الجزء الأول ص ٢٧٧ . وفى الأصل : « وألف ديك » ، وهو من عجيب التحريف .

وقال الحكَم بن عَبْدل :

مَرَرْتَ على بَغْلٍ تَزُفُّكَ تِسعةٌ[1] كأنَّك ديكٌ مائلُ الرَّأسِ أعوَرُ

تخـيَّرتَ أثواباً لِزِينةِ مَنْظَرٍ وأنتَ إلى وجهٍ يَزِينُك أَفْقَرُ

وقال النَّمِر بن تَولب :

أَعِذْنى رَب مِنْ حَصَرٍ وعِيٍّ ومِنْ نَفسٍ أُعالِجُهاَ عِلاجَا

ومن حاجاتِ نفْسى فاعصِمَنّى فإنَّ لُمضْمَراتِ النَّفْسِ حَاجَا[2]

وأنتَ وِليُّها وبرئتُ منها إليكَ وما قَضَيْتَ فلا خِلاجَا[3]

وأنتَ وَهَبْتَها كُومًا جِـلاداً أرجِّى النَّسْلَ منها والنِّتاجَا[4]

وتأمرُنى رَبيعةُ كلَّ يومٍ لأشريَها وأقتَنِيَ الدَّجاجَا[5]

وَما تُغْنِي الدَّجَاجُ الضَّيفَ عنِّى وليس بنافِعِى إلَّا نِضَاجَا[6] ١١٢

أَأُهْلِـكُها وقد لاقَيتُ فيها مِرَارَ الطّعنِ وَالضَّرْبَ الشِّجَاجا[7]

---

(١) ط : « تزفك نعسة »، وأثبت ما فى س وكتاب البغال للجاحظ . ورواية اللسان (زين) :

أجئت على بغـل تزفك تسعة كأنك ديك مائل الزين أعور

والزين : العرف ، كما فى اللسان .

(٢) الحاج : جمع حاجة .

(٣) الخلاج هنا : بمعنى الاعتراض .

(٤) الـكوم : جمع كوماء ، وهى الناقة العالية السنام . والجلاد : الصلاب الـكبار .

(٥) لأشريها : لأبيعها . وهى فى الأصـل : « لأشربها » ، مصحفة . وفى الخزانة ٤ : ٣٧٦ بولاق : « لأهلـكها »، بفتح لام التعليل ، لغة لبنى العنبر .

(٦) رواية اللسان : « ولاينفعنى إلا نضاجا » . والنضاج : جمع نضيج .

(٧) ط : « الثجاجا » .

وتَذْهَبَ باطلاً غَدَوَاتُ صُهْبَى ... على الأعداء تختلجُ اختلاجَا[١]

جَمُوم الشدِّ شائـلةُ الذُّنابَى ... تخال بياضَ غُرَّتها سِراجَا[٢]

وشدِّى فى الكريهة كلَّ يومٍ ... إذا الأصوات خالطت العَجَاجَا[٣]

وقال عبد الرحمن بن الحكم[٤] :

ولَلْأَنْصارُ آكَلُ فى قُرَاهَا ... لُخبْثِ الأطْعِمَاتِ من الدَّجَاجِ[٥]

وقال الآخر[٦] لصاحبه :

آذيتَنا بديكك السَّـــلَّاحِ ... فَنَجِّنا مِن مُنْتِنِ الأرْواحِ

وقالوا : « هو أسلح من حُبارَى » ساعة الخوف ، ومن « دجَاجَةٍ » ، ساعةَ الأمن .

وقال عقيل بن علَّفة :

وهَلْ أَشْهَدَنْ خَيلًا كأنَّ غُبارَهَا ... بأسفَلِ عِلْكَدٍّ دَواخِنُ تَنْضُبِ[٧]

تَبيتُ عَلَى رَمْضٍ كَأنَّ عُيُونَهم ... فِقَاحُ الدَّجَاج فى الوَدِىِّ المعصبِ[٨]

---

(١) صهبى : فرس النمر بن تولب ، كما فى صحاح الجوهرى ولسان العرب والاقتضاب ٣٣١ ونهاية الأرب ١٠ : ٤٧ والعمدة ٢ : ١٨٢ . وهى فى ط : « صحبى » محرفة ، وعلى الصواب فى س . وفى (صهبى) يقول النمر أيضاً :

لقد غدوت بصهبى وهى ملهبة ... إلهابها كضرام النار فى الشيح

(٢) قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب ٨٩ ، « ويستحب فى الخيل أن ترفع أذنابها فى العدو » . واستشهد بهذا البيت .

(٣) ط : « وشد » س : « وشدو » . والوجه ماأثبت .

(٤) انظر ترجمته فى الجزء الأول ص ٢٣٢ .

(٥) فى الأصل : « فخبث » وتصحيحه من الجزء الأول ص ٢٣٣ .

(٦) هو أبو نواس كما مر فى ص ٢٦٤ من هذا الجزء .

(٧) علكد : موضع لم يذكره ياقوت وصاحبا القاموس واللسان . وفى س : « علكيد » . والدواخن : جمع دخان ، وهو جمع شـاذ ، مثله عثان وعواثن . والتنضب : شجر ضخام ليس له ورق ، وهو يسوق ، ودخانه أبيض فى مثل لون الغبار ، ولذلك شبهت الشعراء الغبار به . وقال النابغة الجعدى :

كأن الغبار الذى غادرت ... ضحيا دواخن من تنضب

اللسان (دخن) وسيبويه ٢ : ١٣٨ .

(٨) عنى بالرمض القلق . ط : « ربض » . والودى المعصب : صغار النخيل المتجمع .

(كلب الرفقة)

وقال صاحب الديك : حدَّث الأصمعىُّ قال : أخبرنى العَلاء بن أسلم قال : أردت الخروج إلى مكَّة المعظّمة ، شرَّفها الله تعالى ، فجاءنى هشامُ ابنُ عقبة — وهو أخو ذى الرُّمة — فقال لى : يا ابن أخى ، إنَّك تريد سفراً يحضُر الشّيطانُ فيهِ حُضُورًا لا يحضره فى غيره ، فاتّقِ الله وصَلِّ الصَّلوات لوقتها فإنّك مصلِّيها لا مَحالة ، فصلِّها وهى تنفعك ، واعْلم أنَّ لكلِّ رُفقةٍ كلباً ينبَحُ عليهم ، فإن كان نهبٌ شَرِكُوه فيه ، وإن كان عارٌ تقلّده دونَهم فلا تكنْ كلبَ الرُّفقة[1] ! !

وقد رووا شبيهاً بذلك عن تبيع بن كعب[2] .

(أم كلبة)

وقال زيد الخيل :

يا نَصْرَ نَصْرَ بنى قُعَيْنٍ إنّما أَنْتُمْ إماءٌ يَتَّبعْنَ الأشْتَرَا[3]

---

(١) مثل هذا الخبر فى ثمار القلوب ٣١٥ . وقد عزا الميدانى المثل إلى لقمان الحكيم انظر الأمالى ٢ : ٢٣٤ .

(٢) هو ابن امرأة كعب الأحبار ، لا ابن كعب . ترجم له ابن حجر فى الإصابة ٨٥٦ ، وهو كما فى القاموس تبيع بن عامر ابن امرأة كعب الأحبار .

(٣) فى الأصل : « نصر أبى قعين » ، وليس كذلك . وقعين : بطن من أسد . وفى اللسان : « وسئل بعض العلماء أى العرب أفصح ؟ فقال : نصر قعين » .

يَتْبَعْنَ فَضْلَةَ أَيْرِ كَلْبٍ مُنْعِظٍ   عضَّ الكلابُ بعَجْبِهِ فاسْتَثْفَرَا[١]

قال : فلمَّا قَدِم زيد من عند النبى صلى الله عليه وسلم قال « أَبْرَحَ فَتًى إنْ لَمْ تُدْرِكْهُ أُمُّ كَلْبَة[٢] ، يعنى الحُمَّى .

(الكلب بين الهجاء والفخر)

وقال جرير فى البَعِيث :

إذا أنتَ لاقَيت البَعِيثَ وجَدْتَه   أشَحَّ على الزَّادِ الخبيثِ من الكلب

١١٣ وقال صاحب الكلب : وقد قال عمرو بن مَعْدِ يكَرِب :

وقـــد كنتُ إذا ما الحـ   ـىُّ يوماً كَرِهُوا صُلْحى

أَلُفُّ الخيـــلَ بالخيلِ   وأكْفِى النَّبْحَ بالنَّبْح

(استعارات من اسم الكلب)

قال ومن الاستعارات من اسم الكلْب قولُ الرَّجل منهم ، إنْ أَوْطَنَ نفسَهُ على شىء : قد ضَرَبت جَرْوَتى ، وضَرَبت عليه[٣] . وقال أبو النَّجْم :

---

(١) استثفر الكلب : أدخل ذنبه بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه .

(٢) أبرح فـتى : أى ما أعجبـه فتى . و « فتى » تميـيز . مثلـه قول الأعشى الخزانة ٣ : ٢٧٥ :

تقول ابنتى حين جد الرحيـ   ـل أبرحت ربا وأبرحت جارا

وانظر للخبر السيرة ٩٤٧ جوتنجن (وفد طيء) والجزء الأول من الحيـوان ٣١٧ والأغانى ١٦ : ٤٧ — ٤٨ . والإصابة ٩١٣٤ وقد حم زيد منصرفه من عند الرسول ومات ببلده . الخزانة ٢ : ٤٤٨ بولاق .

(٣) الجروة بمعنى النفس ، كما فى اللسان (جرا) وكما فى أمثال الميدانى ١ : ٣٨٣ . و « ضربت عليـه » يريد : « ضربت عليـه جروتى » . وفى الأصـل : « ضربت جروه وضربت عليه » وهـو تحريف . قال ابن برى : وأنشـد أبو عمرو :

حتّى إذا ما ابيضَّ جرو التّنْفُل(١) وبُدِّلتْ والدَّهْرُ ذو تَبَدُّلِ

وقال(٢) :

من الحنْظَلِ العامِيِّ جروٌ مفلَّقُ

وقال عُتبة الأعور(٣) :

ذهبَ الذين أحبُّهم وبَقِيت فيمَنْ لا أُحِبهْ
إذْ لايزال كريمُ قو مى فيهمُ كلبٌ يسُبُّه

(احتقار العرب للصيد)

[قال صاحب الديك(٤)] :

فخرتم علينا بصَيْد الكلْب ، وهَجوتم(٥) الديك إذْ كان ممَّا لايصيد ولا يُصاد به ، وقد وجدْنا العربَ يستذلُّون الصَّيدَ ويحقِرون الصَّيَّاد ، فمن ذلك قولُ عمرو بن معد يكرب :

= ضربت بأكناف اللوى عنك جروتى وعلقت أخرى لاتخون المواصلا

أى اطمأنت نفسى . ويقال أيضاً - كما فى اللسان - : ضرب جروة نفسه . قال الفرزدق :

فضربت جروتها وقلت لها اصبرى وشددت فى ضنك المقام إزارى

ويقال أيضاً : ألقى جروته ، بمعنى ماتقدم . اللسان والميدانى .

(١) التتفل : الثعلب ، أو نبات أخضر فيه خطبة ، أى غبرة ؛ وهو آخر مايجف من النبات . وهذا المعنى الأخير هو المراد . والجرو : الثمر ، واحدته جروة .

(٢) القائل هو النمر بن تولب . وانظر صدر البيت فى هذا الجزء ص ٢٠٨ .

(٣) عتبة الأعور ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ١٦٣ ليبسك ، ٢٣٢ مصر ، قال : « عتبة الأعور الكوفى ، مقل » . ووجدت فى معجم المرزبانى ص ٢٦٥ « عتبة ابن أبى عاصم الحمصى الأعور ، هجا بنى عبد الكريم الطائى من أهل الشام ، فعارضه أبو تمام الطائى وهجاه ومدحهم » .

(٤) زدتها لحاجة الكلام إليها .

(٥) ط : « وهجرتم » وتصحيحه من س .

ابنى زيادٍ أنتمُ فى قَوْمِكُمْ ذَنَبٌ ونحنُ فروعُ أصل طَيِّبِ
نَصِلُ الخميس إلى الخميس وأنتمُ بالقَهْرِ بين مربِّق ومكلِّبِ[1]
لايحسَبَنَّ بنو طُليحَةَ حَرْبَنَا سَوْقَ الحمير بحانة فالكَوْكَبِ[2]
حِيدٌ عن المعرُوفِ سَعْىُ أبيهمُ طَلَبُ الوُعول بوَفْضَةٍ وبأكلُبِ[3]
حتَّى يكهَّنَ بعْدَ شَيبٍ شامِلٍ ترحاً له من كاهن متكذِّبِ

(الاشتفاء بدماء الملوك والأشراف)

وأما قولُ زهير :

وإن يُقتلوا فَيُشْتَفَى بدمائهم وكانوا قَدِيماً مِنْ مَنَاياهمُ القتْلُ[4]

فهذا البيت نفسُه ليس يَدُلُّ على قولهم أنَّ كُلَّ مَن كان بهِ جُنُونٌ أو كلَبٌ ثمَّ حسَا من دمِ ملكٍ أو سيِّدٍ كريم أفاقَ وبرئ .

(فرار الكلْبِ الكلبِ من الماء)

وقَدْ ضربُوا لصاحب الكَلَب أمثالاً فى شدَّة طلبهِ الماء ، وفى شِدَّة فِرارِه منهُ إذا عاينه .

---

(١) الخميس : الجيش . والقهر : الذل . والمربق : أراد به الصائد بالربقة ، وهى العروة فى الحبل . والمكلب : الصائد بالكلاب .

(٢) لعل فى البيت تحريفا .

(٣) الوفضة : جعبة السهام إذا كانت من أدم .

(٤) يقول : هم أهل حروب فلا يموتون على فرشهم حتف أنوفهم .

وقالوا وقلتم : فالماءُ المطلوبُ إذا عايَنه من غير أن يمسَّه ، وهو الطالب له ولم يحرص عليه إلاَّ من حاجة إليه . فكيف صار إذا رآه صاح[1] ؟ !

قالوا : وقد يعترى النَّاظرَ إلى الماء ، والذى يديم التَّحديقَ إليه وهو يمشى على قنطرةٍ أو جُرُف أو جسْر الدُّوَارُ ؛ فإنَّه ربَّما رمى بنفسه من تلقاء نفسه إلى الماء ، وإن كان لا يحسن السباحة . وذلك إنَّما يكون على قدر ما يصادف ذلك من المِرَار[2] ، ومن الطِّباع .　١١٤

فممَّن فعل ذلك بنفسه أبو الجهجهاه محمَّد بن مسعود ، فكاد يموت حتى استُخرِج . ومنهم منصور بن إسماعيل التَّمار ، وجماعةٌ قد عُرفت حالُهم .

(ما يعترى المختنق والممرور)

وهذا كما يعترى الذى يصيبه الأَسَنُ[3] من البخار المختنق فى البئر إذا صار فيها ؛ فإنَّه [ربَّما][4] استقى واستخرِج وقد تغيَّر عقله . وأصحاب الرَّكايا[5] يرون أنَّ دواءَه أن يُلقوا عليه دِثاراً ثقيلا ، وأن يزَمَّل تزميلاً[6] وإن كان فى تمُّوزَ وآب[7] ، ثم يحرس وإن كان قريباً من رأس البئر ؛ فإنَّه

(١) ضمير : « قالوا » عائد إلى العرب . وضمير « قلتم » راجع إلى أنصار الكلب وجملة « فكيف إذا رآه صاح ؟ ! » اعتراض عليهم من صاحب الديك . وضمير : « قالوا » الآتية لأنصار الكلب .

(٢) المرار : جمع مرة بالكسر ، وهى مزاج من أمزجة البدن .

(٣) الأسن : مصدر أسن كفرح : دخل البئر فانتشق هواء فاسداً فغشى عليه .

(٤) التكملة من س .

(٥) الركايا : جمع ركية وهى البئر .

(٦) يزمل : يلف فى ثوب .

(٧) شهران من الشهور الرومية ، وفيهما يشتد الحر . انظر عجائب المخلوقات ٧٥ - ٧٦ .

إنْ لم يُحَلْ بينَه وبينَها طرَح نفسَهُ فى تلك البئر ، أتاها سعياً فى أوَّلِ ما يفتح عينَه ويرجعَ إليه اليَسيرُ من عقله ، حتَّى يُكفِيَ[1] نفسَه فيها من ذات نفسِه ، فى الموضع الذى قد لَقِى منه ما لقى ، وقد كان عنده معلوماً أنَّ القومَ لو تركوه طَرْفَةَ عينٍ لهلَكَ . هكذا كان عنده أيَّامَ صحّةِ عقله ، فلمَّا فسد أراه الفسادُ أنَّ الرَّأى فى العَود إلى ذلك الموضع .

وكما يعترى الممرورَ[2] حتَّى يرجُم النَّاس ؛ فإنَّ المِرَّة تصوِّر له أنَّ الذى رَجَمه قد كان يريدُ رجمَه ، فيرى أَنَّ الصَّواب أن يبدأه بالرَّجْم . وعلى مثلِ ذلك تُريه المِرّةُ أنَّ طرْحَه نفسَه فى النَّار أجودُ وأحزم .

وليس فى الأرض إنسانٌ يذبح نفسَه أو يختنق أو يتردَّى فى بئر ، أو يرمى نفسه من حالقٍ ، إلاَّ من خوف المثْلة أو التعذيب أو التعيير[3] وتقريع الشامتين ، أو لأنّ به وجعاً شديداً فيحرِّكُ عليه المِرَّة فيحمَى لذلك بدنُه ويسخنُ جوفُه ، فيطير من ذلك شىءٌ إلى دِماغه أو قلبِه ، فيوهمه ذلك أنّ الصَّواب فى قتلِ نفسه ، وأنّ ذلك هو الرَّاحة ، وأنّ الحزم مع الرَّاحة .

ولا يختار الخنقَ الوادعُ الرابح[4] الرافه ، السليمُ العقلِ والطِّباع . وللغيظ ربَّما رَمى بنفسه فى هذه المهالك ، وقَذف بها[5] فى هذه المهاوِى . وقد يعترى الذى يصعَد على مثل سنسيرة أو عَقرْقُوفَ[6] أو خضراء

(١) مخفف « يكفئ » بمعنى يقلب .

(٢) الممرور : من غلبت عليه المرة ففسد عقله .

(٣) ط : « التعبير » ووجهه ماأثبت من س .

(٤) كذا .

(٥) فى الأصل : « به » والضمير للنفس .

(٦) عقرقوف : قرية بينها وبين بغداد أربعة فراسخ ، إلى جانبها تل عظيم يرى من خمسة فراسخ كأنه قلعة عظيمة » . وفى الأصل : « عقرقوب » .

زوج[١] ، فإنّه يعتريه أن يرمى[٢] بنفسِه ِن تلقاء نفسه ، فيرون عند ذلك أن يَصعَد إليه بعضُ المعاودين المجرّبين ، ولا يصنع شيئاً حتَّى يشُدَّ عينَيه[٣] ، ويحتال لإنزاله . فهذا المعنى عامٌّ فيمن[٤] كانت طبيعته تثور عندَ مثلِ هذه العلَّة . وما أكثر من لايعتريه ذلك .

وقد قال النّاسُ فى عذر هؤلاء ولأنّ فيهم[٥] ضروباً من الأقاويل . وإنّما تكلمنا على المغلوب . فأمّا من كانت هذه العوارضُ لا تُفسِد عقلَه ، ولا تنقُضُ[٦] استطاعته ، فليس بيننا اختلافٌ فى أنّه ملوم . على أنّ إلزامَه اللائمةَ لا يكونُ إلاّ مِن بَعْدِ خُصومةٍ طويلة ، لا يصلُح ذكرُها فى هذا الباب .   ١١٥

(لؤم الغراب وضعفه)

وقال صاحب الكلب[٧] : الغراب من لئام الطير وليس من كِرامها ، ومن بغاثها وليس من أحرارها ، ومن ذوات البراثِنِ الضعيفة والأظْفار

---

(١) لم يذكره ياقوت .
(٢) ط : « يرميه » ، وصوابه من س .
(٣) ط : « حتى ليسد عينيه » ، وفى س : « حتى يسد عينيه » والوجه ما أثبت .
(٤) فى الأصل : « فن » وهو تحريف .
(٥) كذا . وفى س : « ولأن منهم » ولعل صواب ذلك : « ولهم فيهم ضروب من الأقاويل » .
(٦) فى الأصل : « تنقص » ، وما كتبت أشبه بلغة الجاحظ .
(٧) سيتحدث صاحب الكلب عن الغراب ليبين أن الغراب مع لؤمه واتضاعه ، قد أمكنه أن يخدع الديك ويسخر منه . كما سيظهر ذلك فيما يأتى ص ٣١٩ . وليس الحديث فى الغراب مقصوداً لذاته .

الكليلة ، وليس من ذوات المخالب المعقَّفة والأظفار الجارحة[١] ، ومن ذوات المناقير وليس من ذوات المناسر[٢] . وهو مع أنّه[٣] قويُّ النَّظَر[٤] . لا يتعاطى الصَّيد . وربَّما راوغَ العصفور ، ولا يَصيد الجرادةَ إلاّ أن يلقاها فى سُدٍّ من الجراد[٥] . وهو فَسْلٌ إن أصاب جِيفةً نال منها وإلاّ مات هُزالا ، ويتقمّم كما يتقمم بهائم الطير وضعافُها ، وليس ببهيمةٍ لمكانِ أكْلِه الجِيف ، وليس بسَبع لعَجْزه عن الصَّيد .

(ألوان الغربان)

وهو مع ذلك يكون[٦] حالكَ السَّوادِ شديدَ الاحتراق ، ويكون مثلُه من النّاس الزِّنجَ فإنّهم شِرارُ الناس ، وأردأُ الخلق تركيباً ومزاجاً ، كَمَنْ بردت بلادُه فلم تطبخه[٧] الأرحام ، أو سخنت فأحرقته الأرحام . وإنما صارت عقولُ أهل بابَل وإقليمِها فوقَ العقول ، وجمالهم فوق الجمال[٨] لعلّةِ الاعتدال .

---

(١) ط : « الكلية » وتصحيحه من س . وفى س ، ط : « القصار » موضع « الأظفار » ولاوجه له . وأثبت ماتقتضيه المقابلة .

(٢) المناسر : جمع منسر ، كمنبر ، وهو المنقار لسباع الطير .

(٣) فى الأصل : « ذلك » ، وكذلك فى نهاية الأرب ١٠ : ٢١٠ حيث نقل النويرى عبارة الجاحظ .

(٤) فى الأصل : « البطن » ، وفى النهاية : « البدن » . وأثبت مافى هامش س ، حيث كتب « ن : النظر » ، إشارة إلى كلمة (نسخة) .

(٥) السد ، بالضم : جماعة الجراد تسد الأفق .

(٦) س : « ذلك أن يكون » وفى النهاية : « ذلك إما أن يكون » والأول تحريف ، والثانى تصرف من النويرى حيث أوجز النقل إيجازاً .

(٧) الدميرى حيث نقل كلام الجاحظ : « تنضجه » .

(٨) الدميرى : « وكمالهم فوق الكمال » .

والغراب إمَّا أن يكونَ شديدَ الاحتراق فلا يكون له معرفةٌ ولا جمال ، وإمَّا أن يكونَ أبقعَ فيكونَ اختلافُ تركيبه وتضادُّ أعضائهِ دليلاً على فسادِ أمْره . والبُقْع ألأَمُ من السُّود وأضْعَف .

(أنواع الغربان)

ومن الغِرْبان غُراب الليل ، وهو الذى ترك أخلاقَ الغِربان وتشبَّه بأَخلاق البوم .

ومنها غُراب البَينِ . وغراب البَينِ نوعان : أحدهما غِربانٌ صِغارٌ معروفةٌ بالضَّعف واللُّؤم ، والآخَر : [كُلُّ غُرَابٍ يُتَشَاءَمُ به[1] . و] إنَّما لزمهُ هذا الاسمَ لأنَّ الغرابَ إذا بانَ أهْلُ الدَّارِ للنُّجعة ، وقَعَ فى مرابض[2] بيوتهم يلتمس[3] ويتقمَّم ، فيتشاءمون به ويتطيَّرون منه ؛ إذْ كان لا يعترى منازلهم إلاّ إذا بانوا ، فسمَّوه غراب البين . ثمَّ كرهوا إطلاق ذلك الاسم له مخافة الزَّجْر والطِّيَرَةَ[4] ، وعلموا أنّه نافذ البصر صافى العين — حتّى قالوا « أصفَى مِنْ عَيْنِ الغراب » ، كما قالوا : « أصفَى مِن[5] عين الدِّيك » —

---

(١) الزيادة من ثمار القلوب ٣٦٢ حيث نقل الثعالبى كلام الجاحظ .

(٢) فى النهاية : « مواضع » ، وكذلك فى الدميرى وثمار القلوب .

(٣) ط : « ويتملس » وتصحيحه من س وثمار القلوب . وفى النهاية : « يتلمس » ، وكذلك فى أمثال الميدانى (١ : ٣٤٩) حيث نقل عن الجاحظ ، ولو أنه لم يصرح بذلك .

(٤) الطيرة ، كعنبة : التشاؤم .

(٥) فى الأصل : « عن » .

فسمّوه الأعور [كنايةً [1]] ، كما كنَوا طيرةً عن الأعمى فكنوه أبا بَصِير [2] .
وبها اكتنى الأعشَى بعد أنْ عمى . ولذلك سمَّوا الملدوغ [3] والمنهوش سليما ،
وقالوا للمهالك [4] من الفيافى : المفاوز . وهذا كثير .

والغِدْفان [5] جنس من الغِربان ، وهى لئام جدًّا .

(التشاؤم بالغراب)

[و] منْ أجْل تشاؤُمِهم بالغراب اشتقُّوا من اسمه الغُربة ،
والاغتراب ، والغريب .

١١٦ وليس فى الأَرض بَارحٌ ولاَ نَطيح [6] ، ولا قَعيد ، ولا أَعضب [7]
ولا شئٌ مما يتشاءمون به إلاّ والغرابُ عندَهم أنكدُ منهُ ، يرون أَنّ
صِيَاحَهُ [8] أكثر أخبارا ، وأَنّ الزَّجْر فيه أَعمٌّ . وقال عنترة :

حَرِق الجناح كَأَنّ لَحْيَىْ رأسِهِ جَلَمانِ ، بالأَخْبار هَشٌّ مُولَع [9]

---

(١) الزيادة من أمثال الميدانى .

(٢) فى الأصل : « كما كنوا عن الطير الأعمى بالبصير » وهو تحريف عجيب اعتمدت فى تصحيحه على مافى أمثال الميدانى (١ : ٣٥) .

(٣) ط : « الملد » ، وتصحيحه من س وأمثال الميدانى .

(٤) المهلكة : المفازة ، جمعها مهالك .

(٥) الغدفان ، بالكسر : جمع غداف بالضم ، وهو الأسود الضخم من الغربان .

(٦) البارح : مامر من الطير من ميامنك إلى مياسرك ، يقابله السانح . والنطيح : مايأتى إليك من أمامك من الطير والوحش .

(٧) القعيد : ما أتى إليك من ورائك من ظبى ، أو طائر . والأعضب : المكسور القرن .

(٨) فى الأصل : « صاحبه » ، وهو على الصواب الذى أثبته فى أمثال الميدانى .

(٩) فى الأصل : « خرق الجناح » ، وتصحيحه من الحيوان (١ : ٣٤) .

(التعاير بأكل لحم الغراب)

وهو عندهم عار ، وهم يتعايرون بأكل لحمه . ولو كان ذلك منهم لأنّه يأكل اللحوم ، ولأنّه سبع ، لكانت[1] الضَّوارِى والجوارحُ أحقَّ بذلك عندهم . وقد قال وَعْلَة الجَرْمى[2] :

فما بِالعار ما عَيَّرْتُمونا شِواءَ الناهِضاتِ مع الخبيص[3]
فما لَحْمُ الغُرابِ لنا بزادٍ ولا سَرَطانُ أنْهارِ البرِيص[4]

(فسق الغراب وتأويل رؤياه)

قال : والغِربانُ جنسٌ من الأجناس التى أُمر بقتلها فى الحِلّ والحرم ، وسمِّيت بالفسق وهى فواسق ، اشتقَّ لها من اسم إبليس .

وقالوا : رأى [فلان][5] فيما يرى النَّائمُ أنه يُسقِطُ أعظمَ صومعةٍ بالمدينة غرابٌ . فقال سعيدُ بن المسيِّب : يتزوج أفسَقَ الفاسقين امرأةً من أهل المدينة . فلم يلبثوا إلاَّ أيَّاماً حتى كان ذلك .

---

(١) ط : « فكانت » ، وتصحيحه من س .

(٢) هو وعلة بن الحارث الجرمى . ذكره صاحب المؤتلف ص ١٩٧ . وفى العرب وعلة بن عبد الله الجرمى ، أحد فرسان قضاعة ، وله خبر فى يوم الكلاب الثانى . الأغانى (١٥ : ٧١) .

(٣) الناهضات : أرادبها الفراخ الناهضات ، وهى التى وفرت أجنحتها وقويت على الطيران وعنى الدجاج والحمام وما أشبهه ، وليس كما وهم بعضهم فزعم أنها جمع ناهضة بمعنى الأنثى من فرخ العقاب . فى ط : « سواء » وتصحيحه من س ونهاية الأرب (١٠ : ٢١١) . والخبيص : ضرب من الحلوى ، ذكر له البغدادى (فى كتاب الطبيخ ٧٣ — ٧٤) ست صنعات . وفى الأصل : « المبيض » ، وصوابه فى النهاية .

(٤) البريص : نهر دمشق . وفى الأصل : « البريض » محرفة ، صوابها فى النهاية ومعجم البلدان (البريص) واللسان (برص) .

(٥) الزيادة من س .

(غراب نوح)

وقالوا فى المثل : « لايرجعُ فلانٌ حتَّى يرجعَ غرابُ نوح » ، وأهل البصرة يقولون : « حتَّى يرجِعَ نَشيطٌ من مَرْو[1] » ، وأهل الكوفة يقولون : « حتَّى يرجِعَ مَصقَلة[2] من سِجِستان » . فهو مثلٌ فى كل موضعٍ من المكروه .

(قبح فرخ الغراب وفرخ العقاب)

وزعم الأصمعىُّ عن خلفٍ الأحمر ، أنَّه قال : رأيت فرخ غراب فلم أر صورة أقبحَ ولا أسمجَ ولا أبغضَ ولا أقذرَ ولا أنتنَ منه . وزعم أنَّ فِراخ الغِربان أنتنُ من الهدهد — على أنَّ الهُدهدَ مَثَلٌ فى النَّتْن — فذكر عِظَمَ رأسٍ وصِغَر بدن ، وطولَ منقار وقِصرَ جناح ، و [أنَّه[3]] أمْرَطُ أسود ، وساقط النَّفْس ، ومُنتِن الرِّيح .

---

(١) قال هذا المثل زياد ، وكان « نشيط » قد بنى له داراً وهرب إلى مرو قبل إتمامها ، وكلما قيل لزياد : تمم ، قال : حتى يرجع نشيط من مرو ! . وكان زياد لايرضى إلا عمله . القاموس والميداق (١ : ١٩٨) .

(٢) فى الأصل : « مسعر » ، وهو تحريف صوابه فى ثمار القلوب ٣٠ حيث نقل الثعالبى كلام الجاحظ ، وكذا فى المعارف ١٧٧ ومعجم البلدان (رسم طبرستان) . وفى المعجم والمعارف (طبرستان) : ومصقلة هذا هو مصقلة بن هبيرة كان معاوية وجهه إلى طبرستان فسار وأوغل بجيشه ، وكان عشرين ألف رجل ، فأخذهم العدو وأهلك أكثرهم ، وهلك مصقلة فضرب الناس به مثلا . انظر المثل فى المراجع المتقدمة والحيوان (٥ : ٥٢٩) .

(٣) ليست بالأصل .

وصاحب المنطق يزعُم أنَّ رؤيَةَ فَرْخ العُقاب أمرٌ صعب ، وشيءٌ عسير . ولست أحسنُ أنْ أقضىَ بينهما[١] .

والغِربان عندنا بالبَصرة أوابدُ غير قواطع ، وهى تُفرخ عندنا فى رءوس النَّخل الشَّامخة ، والأشجار العالية .

(أسطورة خداع الغراب للديك)

فالغرابُ عند العرب مع هذا كلِّه ، قد خدع الدِّيك وتلعَّب به ، ورَهَنَه عند الخمَّار[٢] وتخلَّص من الغُرْم ، وأغلقه[٣] عند الخمَّار ، فصار له الغنم وعلى الدِّيكِ الغُرم ، ثم تركه تركًا ضُرب به المثل .

فإن كان معنى الخبر على ظاهر لفظه ، فالدِّيك[٤] هو المغبون والمخدوع والمسخور به ، ثمَّ كان المتلعِّب به أنْذلَ الطير وألأمَه .

وإن كان هذا القولُ منهم يجرى مَجرى الأمثال المضروبة ، فلولا أنَّ عُلْياَ الدِّيك فى قلوبهم[٥] دونَ محلِّ الغُراب — على لؤم الغراب ونذالته ومُوقه وقلّة معرفته — لَمَا وضعوه فى هذا الموضع . ١١٧

(١) أى بين خلف وصاحب المنطق .

(٢) انظر الصفحة الآتية ، ثم ٣ : ٤١٠ وتأويل مختلف الحديث ٣٦٤ .

(٣) أغلقه كما يغلق الرهن : إذا لم يستطع فكاكه .

(٤) فى الأصل : « والديك » .

(٥) كذا فى ط . وفى س : « على الديك من قلوبهم » ، ولعل صوابهما « محل الديك فى قلوبهم » .

(دهاء أمية بن أبى الصَّلت)

فإن أردتمْ معرفةَ ذلك فانظروا فى أشعارهم المعروفة، وأخبارهم الصحيحة ثمّ ابدءوا بقول أُميَّة بن أَبى الصَّلت ؛ فقد كان داهيةً من دواهى ثَقيف ، وثَقيفٌ من دُهاةِ العرب ، وقد بلغ من اقتداره فى نفسه أنَّه قد كان همَّ بادِّعاد النُّبوة ، وهو يعلم كيف الخصالُ التى يكون الرجل بها نبيًّا أو متنبِّياً إذا اجتمَعتْ له . نعمْ وحتَّى تَرَشَّحَ[1] لذلك بطلب الرِّوايات ، ودرْس الكُتُب . وقد بَان[2] عنـدَ العرب علاَّمةً ، ومعروفاً بالجوَلان فى البلاد ، راوِيةً[3] .

(حديث العرب فى الغراب والديك وطوق الحمامة)

وفى كثيرٍ من الروايات مِن[4] أحاديث العرب ، أَنّ الدِّيك كان نديمًا للغراب ، وأَنَّهما شربا الخمر عنـد خمَّارٍ ولم يعطياه شيئاً ، وذهب الغرابُ ليأتيَه بالثَّمَنِ حين شرب ، ورَهن الدَّيك ، فخاس به[5] ، فبقى محبوساً .

---

(١) ترشح : تقوى ، من ترشح الفصيل ، إذا قوى على المشى .
(٢) بان بمعنى : برز ونبغ . وفى س : « كان » .
(٣) فى الأصل : « رواية » .
(٤) فى الأصل : « مع » .
(٥) خاس به : غدر به .

وأنَّ نوحا صلَّى الله عليه وسلم حينَ بقى فى اللُّجَّة أيّامًا بعث الغرابَ ، فوقع على جيفةٍ ولم يرجع ، ثمّ بعث الحمامة لتنظرَ هل ترى فى الأرض موضعًا يكون للسفينة مَرفأً ، واستجْعَلت على نوحٍ الطَّوق الذى فى عنقها[1] ، فرشاَها بذلك — أى فجعَلَ ذلك جُعْلاً لها .

وفى جميع ذلك يقول أميّة بن أبى الصَّلت .

بآيةِ قامَ ينْطِقُ كلُّ شيءٍ وخانَ أَمَانَةَ الدِّيكِ الغرابُ

يقول : حين تركه فى أيديهم وذهب وتركه .

والعامّة تضرب به المثل وتقول : « ما هُوَ إلاّ غرابُ نوح » .

ثمّ قال :

وأُرْسِلتِ الحمَامَةَ بَعْدَ سَبْعٍ تَدُلُّ على المهالك لاتَهابُ

تَلمَّسُ هَلْ ترَى فى الأرضِ عيناً وغايته من المـاء العُبابُ[2]

فجاءَتْ بَعْدَ ما رَكَضَتْ بقِطْفٍ عليه الثَّأط والطين الكُبابُ[3]

فلما فرَّسُوا الآياتِ صَاغوا لها طَوْقًا كما عُقِدَ السِّخابُ[4]

---

(١) استجعل : طلب الجعالة — كسحابة — وهى الرشوة . والرشوة : العطاء فى مقابل نفع .

(٢) كذا . وفى نهاية الأرب (١٠ : ٢٧٧) : « وعاينه من المـاء العباب » ولعل صوابهما مافى الديوان ١٨ : « وغايته بها المـاء العباب » أى أن المـاء العباب غايته وانتهاؤه إلى الأرض . والعين هنا : الناحيـة . جاء فى اللسان : « والعين : الناحية » .

(٣) الركض هنا بمعنى الطيران . والثأط : الطين الأسود المنتن . وفى ط : « عليها الشاة » و س : « عليها الشاط » ، وأثبت ما فى اللسان والديوان ١٨ . وفى أصل نهاية الأرب : « عليها الناط » . والكباب ، بالضم : الطين اللازب .

(٤) السخاب ، بالكسر : القلادة . وفى ثمـار القلوب ٣٦٨ : « فلمـا فتشوا الآيات » .

إذا ماتت تورِّثه بنيها وإنْ تقْتل فليس لها استلاب[1]
كذِى الأفعَى يربِّبها لديه وذى الجِنِّيِّ أرسله يتابُ[2]
* فلا ربٌّ المنيــة يأمَنْها ولا الجِنِّيُّ أصبَــح يُستَتابُ

الجِنِّيّ : إبليس ؛ لذنوبه . والأفعى هى الحيَّة التى كلم إبليس آدَمَ
١١٨ من جَوفها . ومَنْ لاعِلمَ عندَه يروى أيضاً أنَّ إبليس قد دخل جوفَ الحمار مرَّة ؛ وذلك أنَّ نوحا لمَّا دخل السفينة تمنَّع الحمار بعسره ونَـكَدِه ، وكان إبليسُ قد أخذَ بذَنَبه . وقال آخرون: بل كان فى جوفِه فلمَّا قال نوح للحمار : ادخل ياملعون ! ودخل الحمار ، دخَل إبليس معه ؛ إذْ كانَ فى جوفه . قال : فلمَّا رآه نوحٌ فى السفينة قال : يا ملعون من أدخلك السَّفينة ؟ قال : أنتَ أمرتَنى . قال : ومتى أمرتك ؟ قال : حينَ قلتَ ، ادخل ياملعون ، ولم يكن ثَمَّ ملعونٌ غيرى .

(شعر أمية فى الديك والغراب والحمامة)

قال أميَّة بن أبى الصَّلت :

هو أَبْدَى مِن كلّ ما يأْثُرُ النَّا سُ أماثيلَ باقياتٍ سُفُورا[3]
خَلَقَ النَّخْلَ مُصْعِداتٍ تراها تقصف اليابساتِ والخضُّورا[4]

---

(١) أى فلا يستلب منها ذلك الطوق . وأجود من هذه الرواية المثبتة هنا ، وفى نهاية الأرب — رواية الثعالبى فى الثمــار : « فليس له استلاب » .

(٢) كذا فى س . وفى ط : « تباب » .

(٣) فى الأصل : « هو أبدى كل » . والشعر من الخفيف .

(٤) كذا . وفى الديوان : « المخضورا » . وفى اللســان : « والخضر والمخضور اسمان للرخص من الشجر إذا قطع وخضر » .

والتّماسيح والتماثيل والأ يِّلَ شتّى والرِّيمَ واليَعْفُورا(١)
وصواراً من النّواشطِ عِيناً ونعَاماً خَواضباً وحَميرا(٢)
وأُسُوداً عــواديا وفيولاً وذِياباً والوَحْشَ والخـنْزيرَا
ودُيوكا تدعو الغرابَ لِصُلْحٍ وإوَزِّينَ أخرجتْ وصقُورَا(٣)

قال : ثم ذكر الحمامة فقال :

سمع الله لابنِ آدَمَ نُوحٍ ربُّنا ذُو الجـلال والإفْضالِ
حِينَ أوفَى بذى الحمامــة والنَّا س جميعاً فى فُلْكِهِ كالعِيال
فأتَتْهُ بالصِّدْقِ لمّا رشَاها وبقِطْفٍ لما غــدا عِثْكالِ(٤)

ووصف فى هذه القصيدة أمرَ الحمامة والغراب صفةً ثانية ، وغيرَ ذلك ، وبدأ بذكر السفينة فقال :

تَرفَّعُ فى جَرْىٍ كأَنَّ أَطِيطَه صَرِيف مَحَالٍ تَستعيد الدّواليا(٥)

---

(١) « التمـاثيل » لعلها « الثياتيل » : جمع ثيتل . وبدلهـا فى الديوان : « السنادل » وفى اللسان : « السندل : طائر يأكل البيش » . والبيش : نبات سام . والريم : الظبى الخالص البياض . واليعفور : الظبى لونه كلون العفر .

(٢) الصوار بضم الصاد وكسرها : قطيع بقر الوحش . والنواشط : التى تنشط من بلد إلى آخر . والعين : الواسـعات العيون . والخواضب : جمع خاضب ، وهو من النعام الأحمر الساقين :

(٣) الإوزون : جمع إوزة ، وهو من نادر الجمع . وجاء مثل هذا فى قول القائل : (اللسان وزز ، دور) :

تلقى الإوزين فى أكناف دارتها فوضى وبين يديها التين منثور

(٤) ومثـل هذه الرواية فى الديوان . وفى نهـاية الأرب ١٠ : ٢٧٨) : « لمـا بدا » .

(٥) ترفع : تترفع ، أى تسرع فى جريها . والأطيط : الصوت ، وكذلك الصريف . والمحال بالفتح : جمع محالة ، وهى المنجنون أو البكرة العظيمة . وفى الأصل : « يستعيد الدواليا » ، ووجهه بالتاء .

على ظَهْرِ جَوْنٍ لم يُعَدَّ لراكبٍ ... سرَاهُ وغَيمٍ ألبس الماءَ دَاجيا(١)

فصارتْ بها أيَّامها ثمَّ سَبْعَةً ... وستَّ ليالٍ دائباتٍ غَواطيا(٢)

تشُقُّ بهم تهوى بأحسن إمرةٍ ... كأنَّ عليها هَادياً ونَوَاتيا(٣)

وكان لها الجُودِيُّ نهيًا وغَايةً ... وأصبح عنـه مَوجُه متراخيا

[ثم قال](٤) :

١١٩ وما كان أصحابُ الحمامةِ خيفة ... غَدَاةً غدَتْ منهم تضمُّ الخوافيا(٥)

رسولًا لهم والله يُحكِمُ أمرَه ... يُبينُ لهم هل يُونَسُ التّوبُ باديا(٦)

فجاءتْ بقِطفٍ آيةً مستبِينَةً ... فأصبحَ منها موضِعُ الطِّين جاديا(٧)

على خطْمِها واستوْهَبَتْ ثمَّ طَوقَها ... وقالتْ ألا لاتجعلِ الطّوقَ حَاليا

ولا ذهَبًا ، إنِّى أخافُ نِبالهم ... يخالونه مالى وليسَ بماليا(٨)

وزِدْنى على طَوْقى من الحَلْىِ زينةً ... تُصيب إذا أتبعت طَوْقى خِضابِيا

(١) الجون : أراد به البحر ، وجعله أسود لكثرة مائه . ط : « راجيا » وتصحيحه من س ، والديوان .

(٢) فى الأصل : « عواطيا » ، ولا وجه له . وفى اللسان (غطا) : « وغطاه الليل وغطاه — أى بالتشديد — : ألبسه ظلمته » .

(٣) الإمرة ، بالكسر : اسم من أمر عليهم إذا ولى . وفى الأصل : « أمره » وتصحيحه من الديوان . والنواتى ، مخفف النواتى : جمع نوتى ، وهو الملاح .

(٤) الزيادة من س .

(٥) كذا فى نهاية الأرب والديوان . وفى ط : « جيفة » وفى س : « حيفة » .

(٦) كذا فى الأصل والديوان . ويونس : مخفف يؤنس : يرى . والرواية فى النهاية « برنس الترب » .

(٧) الجادى : الزعفران . والمعنى : صارلون خطمها كالزعفران . وفى الأصل : « جاريا » ، وتصحيحه من الديوان والنهاية .

(٨) كذا فى الأصل والنهاية . وفى الديوان : « ولا ذاهبا » .

وزِدنى لطَرْف العَينِ منك بنعمةٍ   وأرِّث إذا ماءتْ طَوقى حماميا (١)
يكون لأولادى جمالًا وزينةً   ويهوين زينى زينة أن يرانيا (٢)

ثم عادَ أيضاً فى ذكر الدِّيك فقال :

[ولا غروْ إلّا الدِّيكُ مدمن خمرةٍ   نديم غرابٍ لايملُّ الحوانيا] (٣)
وَمَرْهَنُـــهُ عن الغُراب حبيبَهُ   فأوفيت مرهونا وخلفا مُسَابِيا (٤)
أدل علىَّ الدِّيك إنّى كما ترى   فأقبِلْ على شأْنى وهاكَ رِدائيا
أمنتك لاتلبَثْ من الدَّهر ساعةً   ولا نِصفَها حتّى تئوب مآبيا (٥)
ولا تدركَنْكَ الشّمسُ عندَ طلوعها   فأعلقَ فيهم أو يَطولَ ثَوَائيا (٦)
فردّ الغُرابُ والرداء يحوزه   إلى الدِّيك وعدًا كاذبا وأمانيا
بأيَّةِ ذنبٍ أو بأيَّةِ حُجَّةٍ   أدَعْكَ فلا تدعو علىَّ ولا لِيا
فإنّى نذرتُ حَجَّةً لن أعوقها   فلا تدعونِّى مرَّة من ورائيا (٧)

(١) كذا فى الديوان والأصل . وفى النهاية : « لطرف الطين » وبها أيضاً : « وورث » كما فى الديوان . وهما لغتان .

(٢) هذه رواية الأصل والديوان . وفى النهاية : « وعنوان زينى زينة من ترابيا » .

(٣) زدت هذا البيت من نهاية الأرب ١٠ : ٢٢٢ ، وقد نقل النويرى هذا البيت ومابعده من كتاب الحيوان . الحوانى : الحانات ، مفردها الحانية ، وهذه مثل الحانوت والحاناة .

(٤) كذا فى الديوان والأصل . وفى النهاية :

ومرهنه عنـــد الغراب جبينه   فأوفيت مرهونا وخان مسابيا !

(٥) فى الأصل : « ولاتصفها » ، وتصحيحه من الديوان والنهاية .

(٦) كذا فى الأصـــل والديوان . وفى النهاية : « فأغلق » ، من غلق الرهن إذا لم يفك وآل إلى المرتهن .

(٧) فى الأصل : « أن أعوقها » ، وتصحيحه من الديوان والنهاية . وفيهما : « دعوة » مكان « مرة » .

تطيَّرت منها والدُّعاءُ يَعُوقنى ... وأزْمَعْتُ حَجًّا أنْ أطير أماميا

فلا تيأسَنْ إنِّى مع الصُّبح باكرٌ ... أُوافى غداً نحوَ الحجيج الغواديا[1]

لحبِّ امرئٍ فاكهتُه قبلَ حَجَّتى ... وآثرْتُ عَمْداً شأنَه قبلَ شانيا

هنالك ظنَّ الدِّيك إذ زال زَوْلُهُ ... وطالَ عليه اللَّيلُ ألّا مُفاديا[2]

فلما أضاءَ الصُّبحُ طرَّبَ صَرْخةً ... ألا ياغرابُ هل سمعتَ نِدائيا

على ودِّه لو كان ثَمَّ مجيبَه ... وكان له نَدْمانَ صِدقٍ مُوَاتيا

وأمسى الغُرابُ يضرِبُ الأرضَ كلَّها ... عتيقاً وأضْحَى الدِّيكُ فى القِدِّ عانيا[4]

١٢٠ فذلك مِمّا أسْهَبَ الخمرُ لُبَّهُ ... ونادمَ نَدماناً من الطَّير عاديا[5]

---

(١) ط : « تبتئس » س : « ييأسن » ، وصوابهما ماأثبت من النهاية والديوان . وفى النهاية : « مع الصبح باكراً » .

(٢) زال زوله : فارقه شخصه ، من الذعر والفرق . والمعروف فى هذا : زال زويله وزواله ، كما فى القاموس واللسان وأمثال الميدانى ١ : ٢٩٦ . وفى ط : « زل دولة » و س : « زل دوله » ، وأثبت مافى النهاية .

(٣) رواية النويرى : « لوكان ثم يجيبه » وهما بمعنى . والندمان المواتى : النديم الموافق .

(٤) عتيقاً : طليقا حرا ، يقابله « عانيا » : أسيراً . والقد ، بالكسر : السير يقد من جلد غير مدبوغ .

(٥) أسهبه الخمر وأسهبته : ذهبت بلبه . والمعروف فى هذا الفعل أن يكون بالبناء للمفعول . والرواية فى النهاية « أسهت » . وفى س : « عاريا » مكان « عاديا » وفى نسخة من أصل نهاية الأرب : « غاويا » . هذا وأبيات هذه القصيدة كما رأيت بها كثير من التحريف والتصحيف ، وهى عزيزة فى المراجع . ولست تجد فى شواهد كتب اللغة والنحو منها إلا قدراً ضئيلا . وقد اجتهدت قدر الطاقة فى تخريج ما استطعت تخريجه ، وتصحيح ماقدرت على تصحيحه .

(ما يلقم فراخه وما يزقها)

قال : ومن الطَّير ما[1] يُلقِم فِراخه مثل العصفور ؛لأنَّ العصفور لايزُق. وكذلك أشباه العصفور .

ومن الطير ما يَزُقُّ فراخَه ، مثلُ الحمام وما أشبه ذلك كبهائم الطير الخالصة ؛ لأنَّ الدَّجاجةَ تأْكل اللَّحم ، وتَلَغُ فى الدم ، وولدها حين يخرج من البيض يخرج كاسبًا مليحا ، كيساً بصيراً بما يُعيشه ويقُوته ، ولا يحتاج إلى تلقيم سباع الطيرِ والعصافيرِ لأولادها ؛ لأنَّ أولادها إذ لم ترضع[2] ولم تلقط الحبَّ كالفراريج أوّلَ ماتخرج من البيض ولم تزقَّها الآباءُ ولا الأُمهات كأجناس الحمام ــ فلا بدَّ لها من تلقيم .

(ماله طبيعة مشتركة من الطير)

والفَرُّوج مشترك الطبيعة ، قد أخذ من طبائع الجوارح نصيباً ، وهو أكْلُه للحم ، وحَسْوه للدَّم ، وأكلُه للديدان وما هو أقذر من الذُّباب . والعصفور أيضاً مشارِك الطِّباع ؛ لأنَّه يجمع بين أكل الحبوب واللُّحمان ، وبين لقْط الحبوب وصيدِ أجناسٍ كثيرة من الحيوان ، كالنمل إذا طار[3] ،

---

(١) فى الأصل : « من » .

(٢) فى الأصل : « إذا لم » ، وهو تحريف . وفى س : « ترتضع » .

(٣) يريد أنه يصيد النمل الطائر . وقد سبق الكلام فى طيران النمل فى الجزء الأول ص ٢٩ . وانظر الجزء الرابع ص ٣٢ ، ٣٥ ــ ٣٦ .

وكالجراد ، وغير ذلك . وليس فى الأرض رأسٌ أشبهُ برأس الحيَّة من العصفور .

(هداية العصفور)

والعصفور يتعالى ويطير ، ويهتدى ويستجيب . ولقد بلغنى أنّه قد رجع من قريبٍ من فرسخ . وهى تكون عندنا بالبصرة فى الدُّور ، فإذا أَمكنت الثمارُ[1] لم تَجِدْ منها إلاّ اليَسير ، فتَصير[2] من القواطع إلى قاصى النَّخْل ؛ وذلك أَنَّها إذا مرّت بعصافير القرى وقَدْ سبقتْ إلى ماهو إليها أَقرب ، جاوزَتْها إلى ماهو أَبْعَدُ ، ثمَّ تقرُبُ الأَيَّامَ الكثيرةَ إلى ماهو أبعد ، ثمَّ تقربُ الأَيَّامَ الكثيرةَ المقدار ، فى المسافة [إلى] أَكثَرَ ممَّا ذكرتُ من الفَرْسَخ أَضعافاً .

(تحنّن العصافير وتعطفها)

والعَصافير لا تقيم فى دُورِ الأمصار إذا شخص أهلها عنها ، إلاّ ما كان منها مقيماً على بَيض أَو فِراخ ؛ فإنّه ليس فى الأَرض طائرٌ أحنَى[3] على ولده ولا أَشدُّ تعطفاً من عصفور . والذى يدلُّ على أَنَّ فى طبعها من ذلك ما ليس

(١) أمكنت الثمار : نضجت وصار فى الإمكان أكلها .

(٢) ط : « فيصير » وتصحيحه من س .

(٣) فى الأصل : « أحن » ، والوجه ماأثبت من ٥ : ٢١٠ .

فى طبعِ سواها من الطَّير ـ الذى تجدُ من إسْعادِ[1] بَعضِهِنَّ لبعض ، إذا دخلت الحيَّةُ إلى جُحر بعضهن لتأكلَ فرخاً ، أَو تبتلعَ بيضاً ؛ فإنَّ لأَبوَى الفَرْخ عند ذلك صياحاً وقلقاً وطيراناً، وتدفيفاً وترنيقاً[2] فوق الجُحْرِ ودونَه وحوالَيه ، فلا يبقى عصفورٌ من حيثُ يسمع صياحَهما أَو يسمع أَصواتَهما إلاّ جئْنَ أَرْسَالاً[3] مُسْعِدَاتٍ ، يصنَعن معهما كما يصنعان .

(حذر العصفور)

وليس فى الأرض أَصدقُ حَذَرًا منهُ . ويقال إنّه فى ذلك لَأَكثر من العَقْعَق[4] والغراب .

١٢١

وخبَّرنى من يصيد العصافيرَ قال : ربما كان العصفور ساقطا على حائطِ سطح بحذائى ، فيغمُّنى صِياحُهُ وَحدَّةُ صوتِه ، فأَصيح وَأُومِئُ إليه بيدى[5] ، وَأُشير كأَنّى أَرميه ، فما يطير . حتَّى ربَّما أَهويت إلى الأرض كأَنى أَتنَاوَلُ شيئاً ، كُلَّ ذلك لا يتحرَّك له . فإِنْ مسَّت يدى أَدنى حصَاة أَو نَواةٍ وَأَنَا أُرِيدُ رميهَا ، طَارَ قبل أَن تستمكن منها يدى .

---

(١) الإسعاد : الإعانة . وفى الأصل : « إشعار » ، والسياق يقتضى ماأثبت .

(٢) فى الأصل : « وترفيفا » صوابه من ٥ : ٢١١ . والترنيق : أن يخفق بجناحيه فى الهواء ولا يطير .

(٣) الرسل ـ بالتحريك ـ : الطائفة ، جمعها أرسال .

(٤) العقعق ـ كثعلب ـ طائر فى قدر الحمامة وشكل الغراب ، طويل الذنب ؛ وهو يخفى بيضه بورق الدلب .

(٥) فى الأصل : « فأصيح إليه وأومىُ بيدى » ، ووجهه ماأثبت .

(سفاد العصفور وأثره فى عمره)

وليس فى الطَّير أكثرُ عَددَ سِفادٍ من العصافير ، ولذلك يقال إنَّها أقصر الطَّير أعمارًا . ويقال إنّه ليس شىءٌ ممّـا يألَفُ النَّاسَ ويعايشهم فى دُورِهم أقصرَ عمرًا منها . يعنُون : من الخيل والبغال والحمير ، والبقر والغنم ، والـكلاب والسَّنانير ، والخطاطِيفِ والزرازير ، والحمام والدَّجاج .

(نقزان العصفور)

ولا يقدر العصفورُ على المشى ، وليس عنده إلا النَّقَزَان[1] ، ولذلك يسمَّى النَّقَّاز ، وإنَّما يجمع رجليه ثمَّ يثِب ، وذلك فى جميع حركاته ، وفى جميع ذَهابه ومجيئه . فهى الصَّعْو ، والعصافير ، والنقاقيز[2] . وإن هو مشى هذه المشيةَ — التى هى نَقَزان — على سَطحٍ وإن ارتفع سَمْـكه، فكأنَّك تسمع لوطئه وقْعَ حجرٍ ؛ لشدَّة وطئـهِ ، ولصلابة مشيه . وهو ضدُّ الفيل ؛ لأنَّ إنساناً لو كان جالساً ومن خلف ظهره فيلٌ لمـا شعَرَ به ، لخفّة وقَع قوائمه ، مع سرعةِ مَشى وتمكينٍ فى الخطَا .

---

(١) النقزان : الوثب .

(٢) النقاقيز : جمع نقاز . وكلمة « فهى » تفيد المســاواة فى إطلاق تلك الألفاظ على العصافير . لـكن الصعو — كما ذكروا — ضرب من صـغار العصافـير . وفى ط : « فهى الصقور العصافير » ، وهو تحريف صوابه فى س .

(سبُعِية الرَّخم والنسر)

والرَّخَم والنَّسر سِباع ، وإنَّما قصَّر بها عدمُ السلاح . فأمَّا البدن والقوَّة ففوقَ جميعِ الجوارح ، ولكنّها فى معنى الدَّجاج ؛ لمكانِ البَرَاثِنِ ولعدم المخالب[1] .

(وفاء العصافير)

ولقد رأيتُ سِنَّورا وثب على فرْخ عصفورٍ فأخطأَه[2] فتناولَ الفرخَ بعضُ الغِلمان فوضعه فى البيت ، فكان أبوه يجىء حتّى يطعمه ، فلمَّا قوىَ[3] وكاد يطير جعله فى قفص ، فرأيت أباه يجىء يتخرَّق السَّنانير وهى تهُمُّ به ، حتَّى يدخل إليه من أعلى فتح الباب ، وهى تهُمُّ بالوثوب والاختطاف له ، حتَّى يسقُط على القفص فينازعه ساعة ، فإذا لم يجدْ إلى الوصول سبيلا طارَ فسقط خارجاً من البيت ، ثمَّ لا يصبر حتَّى يعود . فكان ذلك دأبَه . فلمّا قوى فرخه أرسلوه معه فطارا جميعاً .

وعرفنا أنَّه الأبُ دونَ الأمِّ لسوادِ اللِّحية .

---

(١) النسر من سباع الطيور ، وليس من جوارحها ، فهو لايصيد إلا فى الندرة ، ولا مخالب له بل له أظفار ، ولايقوى على جمع أظفاره وحمل فريسته كما تفعل العقاب بمخالبها . انظر معجم المعلوف ٢٦٠ . والرخمة تشبهه فى ذلك ، كما يفهم من صنيع الجاحظ . والمخلب هو ظفر الطائر الصائد .

(٢) ط : « فأخصاه » ، وصوابه فى س .

(٣) ط : « قرب » ، وتصحيحه من س .

(القول فى سماجة صوت الديك)

قال : والدليلُ على أنَّ صوت الدِّيك كريهٌ فى السَّماع ، غيرَ مطربٍ ، قولُ الشاعر[١] :

ذَكَرَ الصَّبُوحَ بسُحْرَةٍ فارتَاحَا ۝ وأَمَلَّهُ دِيكُ الصَّبَـاحِ صِياحَا

أَوفَى على شُرَف[٢] الجِدَارِ بسُدْفةٍ ۝ غَرِداً يصفِّقُ بالجَنَاحِ جَنَـاحَا

(صغر قدر الدجاج)

١٢٢ قال : ويدلُّ على صِغَر قدْر الدَّجاج عندهم قولُ بشَّارِ بْنِ بُردٍ الأعمى :

بجدِّك يا ابنَ أقْرَعَ نِلتَ مالاً ۝ ألا إنَّ اللِّئامَ لهم جُدُودُ[٣]

فمن نذر الزِّيادة فى الهـدايا ۝ أقمتَ دَجاجة فيمن يَزِيدُ[٤]

(أثر كثرة الدجاج فى عدد بيضها وفراريجها)

قال : وإذا كثر الدَّجاج فى دارٍ أو إصطبل أو قريَة ، لم يكن عددُ بيضِها وفراريجها على حسَب ما كان يبيض القليل منهنَّ ويُفرخه[٥] . يعرف ذلك تُجَّار الدَّجاج ومَن اتخذها للغَلَّة .

---

(١) هو أبو نواس . وهذه الخمرية فى ديوانه ٢٥٦ .

(٢) الشرف : جمع شرفة ، كغرفة ، وهو مايوضع فى أعلى القصر . وفى الأصل : « سعف » : ولا وجه له . وأثبت مافى الديوان .

(٣) الجد : الحظ ، جمعه جدود .

(٤) س : « فمن حدر الزيادة . . . » .

(٥) انظر تعليل هذه الظاهرة فى ص ٣٣٥ الآتية .

(رعى الدجاج فى مصر)

وهى بِمِصرَ تَرْعَى كما يَرْعَى الغنم ، ولها راعٍ وقيِّم .

(فراخ الدجاج وفراخ الحمام)

والموتُ إلى الدَّجاج سريعٌ جدًّا ، والعادة فى صِغار فراريجها خلاف ماعليها نتوُّ فراخ الحمام[١] ؛ لأنَّ الفرُّوج تتصدَّع عنه البَيضة فهو كيِّسٌ ظريف ، مليح مقبول ، مُحَبٌّ ، غنىٌّ بنفسه ، مكتفٍ بمعرفته ، بصيرٌ بموضع معيشته من لَقْط الحب ، ومن صَيْد الذُّباب وصغار الطير من الهوامّ . ويخرج كاسياً حتى كأنَّه من أولاد ذواتِ الأربع . ويخرج سريعَ الحركة شديدَ الصوت حديده[٢] ، يُدْعى بالنَّقرفيُجيب ، ولا يقال له : قَرْ ، قَرْ ، ثلاثَ مرّات — حتى يَلقنَه . فإن استدبره مستدْبرٌ ودعاه عطفَ عليه ، وتتَّبع الذى يطعمه ويلاعبه ، وإن تباعد من مكانه الأوَّل . فهو آلفَ شىء . ثمَّ كلما مرَّت عليه الأَيامَ ماق وحمق ، ونقص كيسه ، وأقبل قبحُه وأدبر مِلْحُه[٣] . فلا يزال كذلك حتى ينسلخ من جميعِ ما كان يُحَبُّ له إلى ضدِّ ذلك ، ويصير من حالة إلى حال لم يبلغ الانتفاع بذبحه وبيضه وفراريجه[٤] ، وذهب عنهم الاستمتاع بكيسه . ولا يكاد يقبل الشَّحم

(١) ط : « . . . فراريجها على ماعليها نتن فراخ الحمام » ، وأصلحته من س . والنتو : مخفف النتوء أى الظهور .

(٢) حديده : مرادف شديده . وفى الأصل : « حنينه » ، ولا وجه له .

(٣) الملح ، بالكسرة : الملاحة .

(٤) كذا .

حتى يلحقَ بأبيه ، وكذلك إن كانت أنثى ، لا تقبل السِّمن ، ولا تحمل اللَّحمَ حتَّى تكادَ تلحقُ بأُمِّها فى الجثّة .

والفرخ يخرج حارضاً[1] ساقِطاً ، أنقصَ مِن أنْ يقالَ له مائق ، وأقبحَ شىء . وهو فى ذلك عارى الجلد مختلف الأوصال[2] متفاوت[3] الأعضاء ، ضعيفُ الحوصَلة[4] ، عظيم المنقار . فكلَّما مرَّت به الأيَّام زادت فى لحمه وشحْمه ، وفى معرفته وبصره ، حتى إذا بلغ خرجَ منه مِن الأُمور المحمودةِ ماعسى لو أنَّ واصفاً تتبَّع ذلك لملأَ منـهُ الأجْلاد الكثيرة[5] . ثم إذا جَاز حدَّ الفِراخ إلى حَدِّ النواهض[6] ، إلى حَدِّ العُتّق والمخالب[7] ، قلَّ لحمُه وذهب شحمُه على حساب ذلك ينقص . فإذا تمّ وانتهى لم تكنْ فى الأرض دابَّةٌ ولا طائرٌ أقلَّ شحماً ولا أخبثَ لحماً منـه ، ولا أجدرَ ألاَّ يقْبلَ شيئاً من السِّمَن ولو تخيَّروا له فؤارَة[8] المسْمِنات وما يسمِّن به — ما سمِن . ١٢٣

---

(١) الحارض : الضعيف المريض .

(٢) الأوصال : الأعضاء . وفى صفة الرسول الكريم أنه كان « فعم الأوصال » وفى اللسان : أى ممتلئ الأعضاء .

(٣) فى الأصل : « متقارب » .

(٤) فى الأصل : « ضعيف القوة » ! واعتمدت فى تصحيحه على ما سيأتى من مثل هـذا الكلام فى ٣ : ١٥٢ .

(٥) مبالغة جاحظية .

(٦) الناهض : الفرخ الذى قد وفر جناحاه ونهض للطيران .

(٧) العتق : جمع عاتق ، وهو فوق الناهض ، حين ينبت له ريش شديد . و « المخالب » هكذا جاءت ، ولعلها « الجوازل » .

(٨) الفؤارة والفئرة والفيرة : حلبة وتمر يطبخ للنفساء . فى الأصل : « فوراة » محرفة .

(علة قلة البيض والفراخ إذا كثر الدجاج)

وسألت عن السَّبب الذى صار له الدَّجَاجُ إذا كثُرن قلّ بيضهُنّ وفراخهنّ ، فزعموا أنّها فى طباع النَّخْل ، فإن النَّخلَة إذا زَحَمت أختها ، بل إذا مسّ طرَفُ سعَفِها طرفَ سعفِ الأُخرى وجاورتْها ، [و][1] ضيَّقت عليها فى الهواء ، وكذلك أطراف العُروق فى الأرض — كان ذلك كرباً عليها وغمًّا .

قالوا : فتَدَانيها وتضاغُطُها ، وأنفاسها وأنفاسُ أبدانها ، يحُدث لها فساداً .

قال : وكما أنّ الحمامَ إذا كثُرت[2] فى الكُنّة والشريحة[3] احتاجتْ إلى شمس وإلى ماء تغتسِل فيهِ فى بعض الأحايين ، وإلى أن تكون بيوتُها مكنوسة[4] فى بعض الأوقات ومرشوشة ، وإلاّ لم يكنْ لها كبيرُ بيض . على أنّه إذا كان لها [فى الصميمين[5]] الدِّفءُ فى الشتاءِ والكِنُّ فى الصيّف ، لم تُغادِر الدهْر كلَّه أنْ تبيض .

---

(١) ليست بالأصل .

(٢) فى الأصل : « كثر » .

(٣) الكنة ، بالضم : جناح يخرج من حائط ، أو سقيفة فوق باب الدار ، أو رف فى البيت . والشريحة : بيت من قصب يتخذ للحمام . وفى الأصل : « الشريعة » ، وليس لها وجه .

(٤) ط : « مكنونة » ، وتصحيحه من س .

(٥) الصميمان يراد بهما الصيف والشتاء فى أشد حالتيهما . وهذه التكملة من س .

(فخر صاحب الديك بكثرة ماأشتق من البيض)

قال صاحب الدِّيك : فخرتم للكلب بكثرة مااشتقَّ للأَشياء من اسم الكلب ، وقد اشتُقّ لأكثر من ذلك العدد من البيض ، فقالوا لقَلانس الحديد : بَيْضٌ ، وقالوا : فُلاَنٌ يَدْفع عن بَيضة الإسلام ، وقالوا : قال علىٌّ ابن أبى طالبٍ رضى الله عنه : أنا بَيضَةُ البَلَدِ . وفى موضع الذمِّ من قولهم[1] :

تأْبى قضاعة أن تدرى لكم نَسَباً وابنا نزارٍ وأنتمْ بَيْضَةُ البَلَدِ

ويسمّى رأس الصَّوْمَعة والقُبّةِ بَيضة . ويقال للمجلِسِ إذا كان معمُورا غير ءطوّل بَيْضٌ جاثمة[2] ، ويقال للوعاءالذى يكون فيه الحِبْن[3] والخُرَاج[4] وهُوَ الذِى يجتمع فِيهِ القَيح — بيضة . وقال الأشتر بن عُبادة :

يكفُّ غُرُوبَها وَيَغضُّ منها وَراء القَوم خشية أن يلامُوا

مُظاهِرُ بَيْضَتَين على دِلاَصٍ بهِ من وَقْعةٍ أُخرى كِلاَمُ

وقال النّابغة :

فَصَبّحَهُمْ مَلَمْلَمَةً رَدَاحاً كَأَنَّ رُؤوسهُمْ بَيْضُ النعام

---

(١) أى قول شاعرهم ، وهو الراعى كما فى الحيوان ٤ : ٣٣٦ واللسان (بيض) وثمار القلوب ٣٩٢ والعمدة ٢ : ١٥٣ ، يهجو عدى بن الرقاع العاملى .

(٢) كذا .

(٣) الحبن ، بكسر الحاء : الدمل . وفى الأصل : « الجبن » ، وهو تصحيف .

(٤) الخراج ، كغراب ، ورم قرح يخرج بدابة أو غيرها من الحيوان .

وقَال العُجيرُ السَّلولى(١) :

إذا البَيْضَةُ الصَّمَّاء عضّت صفيحةً ... بِحِرْبَائِها صاحَتْ صِياحاً وصَلّت(٢)

(شرط أبى عباد فى الخمر)

ولما أنشدوا أبا عبَّاد النَّمَرِىَّ(٣) قولَ ابنِ مَيَّادة ، وهو الرَّمَّاح :

ولقد غدَوْتُ على الفَتَى فى رحله ... قبْلَ الصَّباحِ بمُتْرَعٍ نَشَّاجِ(٤)

جادَ القِلالُ له بدَرٍّ صبابة ... حمراءَ مثل سخينة الأوداجِ(٥) ١٢٤

حُبِسَتْ ثلاثةَ أحْرُسٍ فى دَارةٍ ... قَوْراءَ بَيْنَ جَوازِلٍ ودَجاجِ(٦)

تَدَعُ الغوىَّ كأنَّه فى نفسه ... مَلِكٌ يعصَّبُ رأسَهُ بالتَّاجِ(٧)

---

(١) العجير السلولى : شاعر من شعراء الدولة الأموية ، مقل . ويصح أن يقرأ اسمه بضم العين وفتحها . (الخزانة ٢ : ٢٩٨ بولاق) . وعده ابن سلام فى الطبقة الخامسة من شعراء الإسلام . وانظر الأغانى ١١ : ١٤٦ - ١٥٤ . وفى الأصل : « العجيز » ، محرفة .

(٢) يقول : إذا ضرب السيف مسمار تلك البيضة بدا لها صوت عال وصليل .

(٣) انظر هذا الجزء ص ١٩٣ .

(٤) المترع أراد به قدح الخمر . والنشاج : الذى يغلى مافيه من الخمر حتى يسمع صوته .

(٥) القلال : جمع قلة ، بالضم ، وهى الجرة العظيمة .

(٦) الأحرس : جمع حرس بالفتح ، وهو الدهر . وفى الأصل : « أخرس » وهو تصحيف . والدارة : الرملة المستديرة. والقوراء : الواسعة .

(٧) الغوى : الضال . وفى ط : « القوى » .

ويظَلُّ يحسِب كلَّ شيءٍ حولَه نُجبَ العراق نزَلْنَ بالأحْداج[1]

فحين سمعه أبو عبّاد يقول :

حُبست ثلاثَةَ أحْرُسٍ فى دَارةٍ قَوراءَ بَيْنَ جَوازل ودَجاجِ[2]

قال : لو وجدْتُ خمراً زيتيّة ذهبية[3] ، أصفى من عين الديك ، وعَين الغراب، ولعابِ الجُندب وماء المفاصل[4] ، وأحسنَ حمرةً من النّار ، ومن نَجيع غزال[5] ، ومن فُوَّةِ الصَّبّاغ[6] — لَمَا شربْتُها حتّى أعلمَ أنَّها من عصير الأرجل ، وأنَّها [من][7] نبات القرى ؛ ومالم تكدر فى الزِّقاق[8] ،

(١) النجب هنا: جمع نجيبة، وهى الناقة الكريمة . وهذه اللفظة مهملة من الأعجام فى س .

(٢) فى الأصل : « حسبت ثلاثة أخرس » وانظر الصفحة السابقة . والأحداج : جمع حدج بالكسر : مركب للنساء . والمعنى أنه يخال الشىء الدقيق عظيما ، مما لعبت برأسه الخمر ، مثله قوله :

وأخرى بالعقنقل ثم رحنا نرى العصفور أعظم من بعير

(٣) س : « لو وجدت حمراء . . . » و « زيتية » : لونها لون الزيت . ومنه قول أبى نواس (انظر أخبار أبى نواس ٢٠٨ ، ٢٢١) :

فجاء بها زيتية ذهبية فلم نستطع دون السجود لها صبرا

(٤) المفاصل هى منفصل الجبل من الرملة يكون بينها رضراض وحصى صغار ، فيصفو ماؤه ويرق . (٥) نجيع الغزال : دمه .

(٦) الفوة : جاء فى المعتمد نقلا عن كتاب ابن جزلة : « وتعرف بفوة الصباغين » . وفى تذكرة داود : « الفوة وتسمى عروق الصباغين » . وقد جاء هذا اللفظ فى كل من اللسان والقاموس بمادتى (ف وو) و (ف و ه) ، فعلى الأولى يكون منتهيا بتاء مثل قوة ، وحوة . وعلى الثانية يكون منتهيا بالهاء على وزن سكر . والحق أنه من المادة الأولى بدليل الاشتقاق منه ، تقول : ثوب مفوى : مصبوغ بها ، كما تقول شىء مقوى من القوة . وتقول أيضاً : أرض مفواة : ذات فوة ، أو كثيرة الفوة . وجاء فى صحاح الجوهرى من المادة الأولى فقط . والفوة ، كما قال أبو حنيفة : عروق ولها نبات يسمو دقيقا فى رأسه حب أحمر شديدة الحمرة ، كثير الماء ، يكتب بمائه وينقش . قال الأسود بن يعفر :

جرت بها الريح أذيالا مظاهرة كما تجر ثياب الفوة العرس

والصباغ : من يلون الثياب . وفى الأصل : « قوة الضباع » وهو تحريف صوابه ما أثبت .

(٧) التكملة من س . (٨) س : « ومما لم تكدر فى الزقاق » .

وأنَّ العنكبوت قد نسَجَت عليها ، وأنَّها لم تصرْ كذلك إلاَّ وسْطَ دَسكرةٍ ، وفى قرية سَوادِيَّة[١] وحولَها دَجاجٌ وفراريج . وإن لم تكنْ رقطاءَ أو فيها رُقْط فإنَّها لم تتمَّ كما أريد . وأعجَب من هذا أنِّى لا أنتفع بشُربها حتَّى يكون بائعُها على غير الإسلام ، ويكونَ شيخاً لا يُفصح بالعربيَّة ، ويكونَ قميصُه متقطِّعاً[٢] بالقار . وأعجب من هذا أنّ الذى لابدَّ منه أنْ يكون اسمه إنْ كان مجُوسيًّا شهريار ، ومازيار ، وما أشبه ذلك ، مثل أدير ، واردان ، ويازان . فإن كان يهوديًّا فاسمه مانشا ، وأشلوما ، وأشباه ذلك . وإن كان نصرانيًّا فاسمه يُوشع وشِمعون وأشباه ذلك .

(استطراد لغوى)

ويقال حَمِسَ الشرُّ وأحْمَسَ إذا اشتدّ . ويقال قد احتَمَسَ الدِّيكان احتماساً، إذا اقتتلا اقتتالا شَدِيداً . ويقال وقَعَ الطائر يقَع وُقوعا . وكلُّ واقعٍ فمصدره الوقوع ، ومكانه موقَعَةٌ[٣] ، والجمع مواقع . وقال الرَّاجز[٤] :

كأنَّ متنيْهِ من النَّفِىِّ[٥] مواقعُ الطيرِ على الصُّفِىِّ

---

(١) سوادية : منسوبة إلى سواد العراق ، أى قراه .

(٢) أى ملوثا به فى مواضع مختلفة . س : « منقطا » .

(٣) فى الأصل : « موقعه » وتصحيحه من الأمالى ٢ : ٨ واللسان والقاموس (وقع ، وهى بفتح القاف وتكسر .

(٤) هو الأخيل كما فى اللسان (وقع ، صفى ، نفى) . يصف ساقيا يستقى ماء ملحا . (الأمالى ٢ : ٨) .

(٥) المتنان : مكتنفا الصلب . وفى ط : « متنيه » وصوابه فى س ، وما سبق من المراجع . وفى اللسان : (قال ابن سيده : كذا أنشده أبو على . وأنشده ابن دريد فى الجمهرة : « كأن متنى » ، قال : وهو الصحيح لقوله بعده :

* من طول إشرافى على الطوى *)

يقال صَفاً وصُفِىٌّ . والنَّفِىُّ : مانفى الرِّشاء من الماء ، وما تَنفيه مشافرُ الإبل من المــاء المَـدِيرِ (١) . فشبَّه مكانَه على ظهر الساقى والمستَقى بِذَرْق الطَّير علَى الصَّفا .

ويقال «وقع الشىءُ من يدى وُقوعا ، وسقط من يدى سُقوطا » . ويقال وقَع الربيع بالأرض ، ويقال سقَط . وقال الرّاعى :

وقْعَ الربيع وقَدْ تقاربَ خَطْوُهُ ورأى بعَقْوَتِهِ أزلَّ نَسُولا

(لؤم الفروج)

١٢٥ قال : وكان عِنْدَنا فرُّوجٌ ، وفى الدار سنانيرُ تُعابث الحمامَ وفراخه ، وكان الفرُّوج يهرُب منها إلى الحمام ، فجاءُونا (٢) بدُرَّاج ، فترك الحمامَ وصار مع الدُّرَّاج ، ثمَّ اشترينا فَروجاً كَسْكَريًّا (٣) للذّبح فجعلناه فى قفص ، فترك الدُّرّاج ولزم قُرْب القفَص ، فجئْنا بِدَجَاجَةٍ فترك الدِّيك وصارمع الدَّجاجة ، فَذَكَرتُ قولَ الفِزْر (٤) عبد بنى فَزَارة — وكانت بأُذنِهِ خُربة (٥) — :

---

(١) الماء المدير : الذى به المدر ، وهو الطين اليابس .

(٢) كذا فى س . وفى ط : « فجاءنا » !

(٣) سبق القول فى الدجاج الكسكرى ص ٢٤٨ .

(٤) ش : « العزر » وسائر النسخ : « الغرير » ، صوابه من رسائل الجاحظ ٥٤ ساسى .

(٥) الخربة ، بالضم : ثقب شحمة الأذن . فى الأصل : « ضربة » تحريف . قال ذوالرمة :

كأنــه حبشى يبتغى أثراً أو من معاشر فى آذانها الخرب

إنَّ الوئام يتبرَّع فى جميع الطَّمْش[١] ، لايقرب العنزُ الضَّأن ماوجدت المعز ، وتنفر من المِخْلَب ولا تتأنّس بالخفّ . فجعلَها كما ترى تنفر ولا تأْنس منزله

وكذلك حدّثنا الأصمعىُّ قال : قلتُ للمنتَجِع بن نبهان – وكانت بأُذنِهِ خربة[٢] – أكان تميمٌ مسلماً ؟ قال : إن كان هو الذى سمَّى ابنَه زَيْدَ مناةَ فما كان مُسلِماً ، وَإلاَّ يكنْ هو الذى سمَّاه فلا أدرى . ولم يقلْ : وإلاّ يكنْ هو سمَّاه فقد كان مسلماً .

(الوئام)

والوئام : المشاكلة. وقالوا: تقول العرب: « لولا الوئامُ لهلك الأنام[٣] » . وقال بعضهم : تأويلُ ذلك : لولا أنَّ بعضَ الناس إذا رأى صاحبه قد صنَع خيراً فتشبَّه بِهِ لهلك الناس . وقال الآخرون : إنَّما ذهب إلى أُنسِ بَعْض الناس ببَعض، كأنّه قال: إنَّما يتعايشون عَلى مقادِير الأُنس الذى بينهم ؛ ولو عمَّتهم الوَحْشة عمّتهم الهَلَكة . وقال قَوم بن مَالك ، فى الوئام :

عَــلامَ أُوَائِم البخلاءَ فيها فأقعــد لاأزُورُ ولاَ أُزارُ

(١) فى الأصل : « إن اللؤم يسرع فى جميع العطش » . صوابه من رسائل الجاحظ ١ : ١٧٧ بتحقيقنا . والمراد بالطمش الخلق من إنسى ووحشى . والتنزع : التسرع .

(٢) فى الأصل : « ضربة » . وانظر رسائل الجاحظ ١ : ١٩٨ .

(٣) ويروى : « لهلك اللئام » و : « لهلكت جذام » . قال الزمخشرى فى الأساس (وأم): « أى لولا أن الكرام وأهل الخير يحكيهم غيرهم ويتشبهون بهم لكان الهلاك » . وانظر المثل فى الميدانى ٢ : ١١١ والمخصص ١٢ : ١٥١ .

وقال الأخْطل :

نازعتهُ فى الدُّجَى الرَّاحَ الشَّمُولَ وقدْ
صاحَ الدَّجاجُ وحانتْ وقفة السَّارِى (١)

وقال جرير :

لَمَّا مَرَرْتُ على الدَّيرَينِ أرَّقَنِى صَوْتُ الدَّجاجِ وقرْعٌ بالنواقيسِ (٢)

(شعر فى الديكة والدجاج)

قالوا : وقد وجدنا الدِّيَكةَ والدَّجاجَ وأفعالَها ، مذكوراتٍ فى مواضعَ كثيرة ، قال ذو الرُّمة :

كأنَّ أصواتَ من إيغالهنَّ بنا أواخِرِ المَيْسِ أصواتُ الفَرَاريجِ (٣)

وقال الهذلى (٤) :

ومن أينها بعد إبدانها ومن شحم أَثْباجها الهابط (٥)

---

(١) ط : « وقعة السارى » .

(٢) هذا البيت من الشواهد المتنازعة فى كتب اللغة والأدب والنحو . والرواية المشهورة فيه : « لما تذكرت بالديرين » . وصاحب العقد يرى أنه أراد ديرا واحدا هو دير الوليد بالشام (العقد ٤ : ١٠) . وصاحب معجم البلدان يصرح بأنه أراد ديرين وهما « دير فطرس » و « دير بطرس » بظاهر دمشق . وروى بيتاً آخر لجرير فى رثاء ولده ، وهو :

إلا تكن لك بالديرين باكية فرب باكية بالرمل معوال

(٣) قد فصل بين المتضايفين — وهما أصوات ، وأواخر — بالجار والمجرور . يريد : كأن أصوات أواخر الميس — بسبب إيغال هذه الإبل بنا — أصوات الفراريج . والميس : شجر تتخذ منه الرحال . وانظر الكلام على هذا البيت فى الخزانة ٤ : ٨٠ سلفية وكتاب سيبويه ١ : ٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٤٧ بولاق .

(٤) هو أسامة الهذلى . ديوان الهذليين ٢ : ١٩٥ وفى اللسان (هبط) .

(٥) كذا فى ط : واللسان (مادة هبط) . وفى س : « بعد إبدائها » . والأثباج : الأعالى .

تَصِيحُ جنادِبُه رُكَّداً صِياحَ المسامِيرِ فى الواسط[١]

فهو على كلِّ مستوفز سقوط الدَّجاجِ على الحائط

١٢٦

وقال مَرْوان بن محمد[٢] :

ضيَّع ماوُرِّثَه راشدٌ مِن كيلَةِ الأكداسِ فى صفِّه[٣]

غربَّ كُدْسٍ قد علا رمسَه كالدِّيك إذ يعلو عَلَى رَفِّه

(بيضة الديك وبيضة العقر)

ويقال فى المثل للذى[٤] يعطى عطيّةً لايعودُ فى مثلها : «كانَتْ بَيْضَة الدِّيك» . فإن كان معروف له قيل : «بَيْضة العُقْر[٥]» .

(استطراد لغوى)

ويقال دجاَجة بَيُوض فى دَجاَجٍ بيضٍ وبُيُض ، بإسكان موضع العين من الفعل من لغة سفلى[٦] مضر ، وضمِّ موضع العين من نظيره من الفعل مع الفاء من لغة أهل الحجاز .

---

(١) واسط الرحل : وسطه .

(٢) هو الشاعر المعروف بأبى الشمقمق . انظر ترجمته فى الجزء الأول ٢٢٥ .

(٣) الأكداس : جمع كدس بالضم ، وهو الحب المحصود المجموع . ط : «ضبع ماورثه راشد» .

(٤) فى الأصل : «الذى» .

(٥) أى فإن كان قد سبق معروف له قبل هذه المرة التى قطع فيها معروفه . قال أبو عبيد : يقال للبخيل يعطى مرة ثم لايعود : كانت بيضة الديك . فإن كان يعطى شيئاً ثم قطعه قيل للمرة الأخيرة : كانت بيضة العقر . انظر اللسان وأمثال الميدانى ١ : ٨٦ وثمار القلوب ٣٩٢ - ٣٩٣ .

(٦) فى الأصل : «سفل» .

ويقال عمد الجرح يَعمَد عَمَداً ، إذا عُصر[1] قبل أن ينضجَ فورِم ولم يُخرِج بَيضَته[2] ، وذلك الوِعاء والغِلاف الذى يجمع المِدَّة يسمّى بيضة . وإذا خرجَ ذلك بالعصر من موضع العَين فقد أفاق صاحبُهَ .

ويقال حضَن الطائر فهو يحضُن حِضَاناً[3] .

(السفاد والضراب ونحوهما)

ويقال هو التَّسافُد[4] من الطير ، والتعاظل من السِّباع . ويقال قَمَط الحمام الحمامة وسفِدَها . ويقال قَعَا الفحلُ يقعو قَعْوا ، وهو إرساله بنفسه عليها فى ضرابه . والفحل من الخفِّ يَضرِب ، وهو القَعْو والضِّراب . ومن الظِّلف والحافر ينزو نزْوا ، وكذلك السنانير . والظليم يقعو ، وكلّ الطير يقعو قعوا . وأما الخفّ والظِّلف فإنّه يقعُو بعد التسنّم . وهو ضرابٌ[5] كلُّه ماخلا التسنُّم . وأما الظِّلف خاصَّة فهو قَافط ، يقال قفَط يقفُط قفْطا . أو القفْط نزْوةٌ واحدة . وليس فى الحافر إلاّ النَّزو .

(حضن الدجاج بيض الطاوس)

قال : ويُوضع بيضُ الطاوس تحتَ الدّجاجة ، وأكثرُ ذلك لأنَّ الذَّكر يعبَثُ بالأنثى إذا حَضَنت . قال : ولهـذه العلَّة كثيرٌ من إناث

(١) ط : « أعصر » ، وتصحيحه من س .
(٢) فى اللسان : « ولم تخرج بيضته » .
(٣) وكذا حضنا ، وحضانة بالكسر ، وحضونا .
(٤) فى الأصل : « السافد » .
(٥) ط : «ضرابه » ، وأثبت مافى س .

طير الوحش يهرّبن بيضهُنَّ من ذكورتها ، ثمَّ لاتضعه بحيث يشعر به ذكورتهُنّ .

قال : ويُوضَع [1] تحتَ الدجاَجةِ بيضتان من بيض الطاوس ، لاتقوى على تسخينِ أكثرَ من ذلك . عَلَى أنَهم يتعهّدون الدّجاجة بجميع حوائجها خوفاً من أن تقوم عنه فيفسده الهواء .

(خصى ذكور الطير)

قال : وخُصَى [2] ذكورِ أجناس الطَّير تكونُ فى أوان أوّل السفاد أعظم . وكُلَّما كانَ الطيرُ أعظم سِفاداً ، كانت خصيته أعظمَ ، مثلُ الدِّيك ، والقَبَج ، والحَجَل .

وخُصية العصفور أعظمَ من خُصيةِ مايساويه فى الجثَّة مرَّتين .

(بيض الدجاج)

قال : وكلُّ ما كان من الدَّجاَج أصغرَ جثَّةً يكونُ أكبر لبيضه [3] . وبعض الدَّجاَج يكون يبيض بيضاً كثيراً ، وربما باض بَيضتينِ فى يومٍ واحد؛ وإذا عرض له ذلك كان من أسباب موته

---

(١) ط : « ترضع » وتصحيحه من س .

(٢) فى الأصل : « وخصا » .

(٣) كذا بالأصل . وهو تحريف ، انظر لتصحيحه ج ٣ ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(شعر فى صفة الديك)

وقَال آخر[1] فى صفة الديك :

ماذا يؤرِّقنى والنومُ يُعْجِبُنى
مِنْ صوتِ ذِى رَعَثاتٍ ساكِنِ الدَّار[2]

كَأنَّ حُمَّاضةً فى رأسهِ نبتَتْ
من آخر الليل قد همَّتْ بإثمارِ[3]

وقال الطِرِمَّاح :

فياصبحُ كَمِّشْ غُبَّرَ اللَّيلِ مُصْعِداً
بِبَمّ ونَبِّهْ ذا العفاءِ الموشَّحِ[4]

إذا صاحَ لم يُخْذَلْ وَجاوَبَ صَوْتَهُ
حِمَاشُ الشَّوَى يَصْدَحْنَ منْ كُلِّ مَصْدَحِ[5]

---

(١) البيتان فى اللسان (حمض) والحماسة ١٨٨٣ بشرح المرزوقى ومحاضرات الراغب ٢ : ٣٠١ بدون نسبة . والبيت الأول فى اللسان (رعث) منسوب إلى الأخطل .

(٢) فى اللسان : « ورعثة الديك : عثنونه ولحيته » .

(٣) قال أبو حنيفة : « الحماض من العشب ، وهو يطول طولا شديدا ، وله ورقة عظيمة وزهرة حمراء . وإذا دنا يبسه ابيضت زهرته ، والناس يأكلونه » . ورواية اللسان : « من آخر الصيف » ، ورواية الراغب : « من أول الضيف » .

(٤) سبق البيتان فى ص ٢٥٤ ، وفى الأصل : « غير الليل » محرف . وفى ط : « بنم » وتصحيحه من س والديوان . وفى الأصل : « وفيه ذا العفاء » ، وتصحيحه من الديوان .

(٥) انظر ص ٢٥٤ . وفى س : « يصرخن من كل مصرخ » .

(حضن الحمام بيض الدجاج)

قال : والفرُّوج إذا خرج من بيضه عن حَضن الحمام ، كان أكيسَ له .

(بيض الطاوس)

وبيضُ الطَّاوس إذا لم تحضنه الأنثى التى باضته خرج الفرخ أقمأَ[1] وأصغر .

(بيض الدجاج)

قال : وإذا أُهْرِمَت[2] الدَّجاجة فليس لأواخر ماتَبيض صُفْرة . وقد عايَنوا للبَيضَة الواحدة مُحَّتين ، خبّرنى بذلك جماعةٌ ممَّن يَتَعَرَّف[3] الأُمور . وإذا لم يكن للبيضة مُحٌّ لم يُخلق من البيضة فرُّوج ولا فرخ ؛ لأَنّه ليس له طعام يغذوه ويُرْبِيه . [والبيض[4]] إذا كان فيه محّتان وكان البياض وافراً — ولا يكون ذلك للمسِنَّات — فإذا [كان كذلك[4]] خلق الله تعالى من البَياض فَرُّوجين ، وتربَّى الفَرُّوجان[5] ، وتمَّ الخلق ؛ لأَنّ الفرْخ إنّما يخلق من البَياض ، والصفرة غذاء الفروج .

---

(١) أقمأ : من القماءة ، بمعنى الصغر .

(٢) هى صحيحة . يقال : أهرمه الدهر وهرمه بالتشديد .

(٣) كذا فى س . وفى ط : « يعرف » .

(٤) زدت هذا لحاجة الكلام إليه .

(٥) فى الأصل : « وهناك محتين (كذا) تربى الفروجان » .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال قفَط الطائر يقفُط قفْطا ، وسفِد يسفَد سفاداً ، وهما واحد. ويكون السِّفاد للكلب والشاة . ويقال قَمط الحمام يقمُط قمطا .

ويقال ذَرق الطائر يذرُق ذرْقا ، وخزَق يخْزِق خَزْقا ، ويقال ذلك للإنسان . فإذا اشتقّ له من الحذقة نفسه ومن اسمه الذى هو اسمه[١] قيل خرئ ، وهو الخُرءُ والخِراءُ[٢] . ويقال للحافر راث يرُوث ، وللمعْز والشاء[٣] : بعر يبعُر . ويقال للنَّعام : صام [يَصُوم] ، وللطير : [نجا] ينجو[٤] واسم نجْو النَّعام الصَّوم ، واسم نجو الطَّير العُرَّة . وقال الطِّرمّاح :

فى شَـناظِى أُقَنٍ بَيْنَهَا عُرَّة الطَّيرِ كَصَوْمِ النَّعامْ[٥]

ويقال للصبى عَقَى[٦] ، مأخوذ من العِقْى .

ويقال لحمت الطير . ويقال ألحِم طائرَك إلحاماً[٧] ، أى أطعمْه لحما واتّخذ له . ويقال هى لُحمة النَّسب . ويقال ألحمت الثَّوب إلحاما ، وألحمْت الطائر إلحاماً ، وهى لحمة الثَّوب ، ولحمة ، بالفتح والضمِّ .

---

(١) عبارة مبهمة . ومبلغ الظن أنها محرفة .

(٢) فى الأصل : « والخراة » .

(٣) فى الأصل : « والشاة » ، ووجهه ما أثبت.

(٤) زدت الكلمتين السالفتين ليلتئم الكلام . و « ينجو » هى فى الأصل : « نجو » .

(٥) فى اللسان : « شناظى الجبال : أعاليها وأطرافها ونواحيها ، واحدتها شنظوة » . و « الأقن » : حفر تكون بين الجبال ينبت فيها الشجر ، واحدها أقنة » و « عرة الطير : ذرقها » . وصدر البيت محرف فى س هكذا : « فى شناطى أمر بها » . وانظر ديوان الطرماح ٩٧ و اللسان (شنظ وأقن) .

(٦) فى الأصل : « عقىٌ » ، وتصحيحه من اللسان والقاموس .

(٧) فى الأصل : « لحم طائرك لحاما » .

(صفاء عين الديك)

ومن خصال الدِّيك المحمودةِ قولهم فى الشراب : « أصفَى مِنْ عَيْنِ الدِّيك » وإذا وصفوا عَين الحمام الفَقيع [1] بالحمرة ، أو عينَ الجرادِ قالوا : كأنَّها عينُ الدِّيك . وإذا قالوا : « أصفى من عين الغراب » فإنّما يريدون حِدَّته ونفاذَ البصر . ١٢٨

(ما قيل فى عين الديك)

وفى عين الديك يقول الأعشى :

وكأسٍ كعَينِ الدِّيكِ باكَرْت حَدَّها
بغـرتها إذ غابَ عنها بُغاتُها [2]

وقال آخر [3] :

وكأس كعين الديك باكرتُ حَدَّها
بفتيانِ صِدق والنّواقِيسَ تُضربُ

---

(١) الفقيع : جنس من الحمام أبيض .

(٢) فى ديوان الأعشى ٦٠ : « كماء النيء » . وقالوا : حد الخمر : صلابتها . الصحاح واللسان . والمراد بالصلابة قوة تأثيرها . وانظر لوصف الخمر بالصلابة محاضرات الراغب ١ : ٣٢٨ . وفى الديوان : « إذا غاب عنى » .

(٣) هو الأعشى أيضا ، فى الصحاح واللسان . وانظر ديوانه ١٣٧ .

وقال آخر [1] :

قَدَّمَتهُ على عُقارٍ كَعين الدِّيـ لك صفًّى زُلاَلَهَا الرَّاوُوق

وقال الآخر [2] :

ثلاثَةَ أحوالٍ وشَهْراً مُجَرَّما [3] تضيء كَعيْنِ العُتْرُفَان المجَاوِبِ

والعُتْرُفان من أسماء الدِّيك ، وسماه بالمجاوب كما سمَّاه بالعُتْرُفان .

(وصف الماء الصافى)

وإذا وصفوا المَاءَ والشَّرابَ بالصَّافى قالوا ، كأنَّه الدَّمع ، وكأنَّه ماء قَطْر ، وكأنَّه [ماء] [4] مَفْصِل ، وكأنَّه لعاب الجندب . إلاّ أنّ هـذا الشاعر قال :

مطبقـةٌ ملآنة بابليَّـــة كأنّ حُمَيَّاها عُيُونَ الجَنادِبِ [5]

---

(١) هو عدى بن زيد العبادى كما فى الأغانى ٥ : ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٥ و ٦ : ١١٩ ، ١٢٨ . والرواية فيما عدا الموضع الثالث :

قدمته على عقار كعين الـديك صفى سلافها الراووق

وفى الموضع الثالث :

قدمته على سلاف كريح الـمسك صفى سلافها الراووق

وقبل البيت :

ثم ثاروا إلى الصبوح فقامت قينة فى يمينها إبريق

(٢) هو عدى بن زيد العبادى كما فى اللسان (عترف) وحياة الحيوان ٢ : ١٥٧ برسم (عترفان) .

(٣) فى الأصل ، وكذا فى اللسان : « محرما » بالحاء ، وهو تصحيف ماأثبت . يقال حول مجرم ، وسنة مجرمة وشهر مجرم ، ويوم مجرم ، أى تام . انظر اللسان والقاموس ، و (العترفان) شرحه الجاحظ .

(٤) زيادة يقتضيها الكلام .

(٥) حميا الخمر : أثر إسكارها ، أو شدتها . فى ط : « حلياها » وتصحيحه من س .

وقال آخر [١] :

وَمَا قَرْقَفٌ من أَذْرِعاتٍ كأنَّها إذا سُكِبَتْ مِنْ دَنِّها ماءُ مَفْصِلِ [٢]

(المفاصل وماء المفاصل)

والمفاصل : ماءٌ بين السَّهل والجَبَل . وقال أبو ذُؤيب :

مَطافيلَ أبكارٍ حَدِيثٍ نِتاجُها تُشَابُ بمـاءٍ مِثْلِ ماءِ المَفَاصِلِ [٣]

وقال ابن نجيم [٤] : إنَّما عنَوا مفاصل فَقَارِ الجَمَل ؛ لأنّ لكلِّ مَفْصِلٍ حُقًّا ، فيستنقع فيه مَاءٌ [٥] لاتجد مَاءً أبداً أصفى ولا أحسن منه وإن رقّ [٦] .

---

(١) هو كثير ، كما فى ثمار القلوب ٤٤٦ .

(٢) أذرعات : بلد فى أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان ، ينسب إليه الخمر . ياقوت .

(٣) المطافيل : جمع مطفل ، وهى ذات الولد . والأبكار : جمع بكر ، بالكسر ، وهى الناقة التى ولدت بطناً واحداً ، وولدها بكرها أيضاً . وقبل هذا البيت :

وإن حديثاً منك لو تبذلينه جنى النخل أو ألبان عوذ مطافل

وانظر الحديث عنه فى البيان ١ : ٢٧٨ وأمالى المرتضى ١ : ١٨٧ وثمار القلوب ٤٤٦ والمخصص ٧ : ٢٨ .

(٤) هو يحيى بن نجيم ، قال الجاحظ فى شأنه (البيان ٤ : ٢٣) « وقد جلست إلى أبى عبيدة والأصمعى ويحيى بن نجيم وأبى مالك عمرو بن كركرة ، مع من جالست من رواة البغداديين ، فما رأيت أحدا منهم قصد إلى شعر فى النسيب فأنشده » . وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست (١٧٠ ليبسك ، ٢٤٢ مصر) مع أصحاب القصائد التى قيلت فى الغريب . وفى أصل الحيوان : « أبو نجيم » محرف .

(٥) ط : « ما » ، وأثبت مافى س .

(٦) س : « إن روق » ، والوجه ما أثبت من ط . وفى ط بعد هذا زيادة ليست فى س فحذفتها ، وهى : « ولاقول أصحابنا » .

(ثقوب بصر الكلب وسمعه)

وقال مَرَّةً قطربٌ ، وهو محمد بن المستنير[1] النحويُّ : « والله لَفلانٌ أبصرُ من كلب ، وأسمعُ من كلب ، وأشمُّ مِن كلب » ! . فقيل له : أنشِدْنا فى ذلك ما يُشبِه قولَك . فأنشد قوله[2] :

يا رَبَّةَ البَيتِ قومى غيرَ صاغرة ... ضُمِّى إليك رِحال القَوْم فَالقُرُبا[3]

١٢٩ فى ليلةٍ من جُمادَى ذاتِ أَنْدِيَةٍ ... لا يُبصِرُ الكلْبُ مِنْ ظَلْمَائها الطُّنُبا[4]

لا يَنْبَحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ ... حتَّى يجرَّ على خَيشُومِه الذَّنَبا[5]

---

(١) فى الأصل : « المنتشر » وصوابه ماأثبت . لازم محمد بن المستنير سيبويه ، وكان يدلج إليه ، فإذا خرج رآه على بابه فقال : « ما أنت إلا قطرب ليل ! » . وكان قطرب يرى رأى المعتزلة النظامية ، واتصل بأبى دلف العجلى وأدب ولده . توفى قطرب سنة ست ومائتين . بغية الوعاة ، ونزهة الألباء ١١٩ .

(٢) هو مرة بن محكان التميمى السعدى ، كما فى الحماسة ٢ : ٢٥٣ والأغانى ٢٠ : ١٠ ومعجم المرزبانى ٣٨٣ ، وكما سيأتى بعده .

(٣) القرب : جمع قراب ، وهو غمد السيف أو جفن غمده . ورواية الحماسة :

* ضمى إليك رحال القوم والقربا *

وسئل أبو عبيدة عن معنى هذا الشطر فقال : « كان الضيف إذا نزل بالعرب فى الجاهلية ضموا إليهم رحله ، وبقى سلاحه معه لايؤخذ ، خوفا من البيات . فقال مرة يخاطب امرأته : ضمى إليك رحال هؤلاء الضيفان وسلاحهم؛ فإنهم عندى فى عز وأمن من الغارات . (الأغانى ٢٠ : ١٠) .

(٤) الأندية : جمع ندى . والطنب : حبل البيت .

(٥) أى لاينبح غير نبحة واحدة لشدة البرد ، ثم هو يجر ذنبه إلى خيشومه ليستدفئ به . ورواية الحماسة :

* حتى يلف على خيشومه الذنبا *

وأنشد هذا البيت فى ثُقوب بصره، والشِّعر لمرَّة بن مِحْكَان السعدىّ[1] :

ثمَّ أنشدَ فى ثُقوب السّمع :

خَفِىّ السُّرَى لا يَسْمَعُ الكَلْبُ وَطْأَهُ

أتى دُونَ نَبْحِ الكلبِ والكلبُ دابب[2]

(خصال القائد التركى)

قال أبو الحسن : قال نصْر بن سيَّارٍ اللَّيثى[3] : كان عظماءُ التُّركِ يقولون للقائِد العظيم القِيادة : لابدَّ أن تكونَ فيه عشرُ خصالٍ من أخلاق

(١) مرة بن محكان : شاعر إسلامى مقل ، من شعراء الدولة الأموية . وكان فى عصر جرير والفرزدق فأخملا ذكره لنباهتهما فى الشعر . كان مرة شريفاً جوادا ، وكان أنهب ماله الناس فحبسه زياد ، فقال فى ذلك الأبيرد الرياحى :

حبست كريما أن يجود بماله ستعرف مافى قومه من مفاقم

وقتله مصعب بن الزبير. وذلك أن الحارث بن أبى ربيعة كان واليا على البصرة أيام ابن الزبير، فخاصم إليه مرة بن محكان رجلا ، فلما أراد إمضاء الحكم عليه أنشأ يقول :

أحار تثبت فى القضاء فإنه إذا ما إمام جار فى الحكم أقصدا

وإنك موقوف على الحكم فاحتفظ ومهما تصبه اليوم تدرك به غدا

فإنى مما أدرك الأمر بالأنى وأقطع فى رأس الأمير المهندا

فلما ولى مصعب بن الزبير دعاه فأنشده الأبيات ، فقال : أما والله لأقطعن السيف فى رأسك قبل أن تقطعه فى رأسى ، فأمر به فحبس ، ثم دس إليه من قتله (الأغانى ٢٠ : ١٠) والشعراء ٦٦٧ .

(٢) كذا . ولعلها « دائب » أى دائب النباح .

(٣) نصر بن سيار : أمير من الدهاة الشجعان ، كان أمير خراسان سنة ١٢٠ ولاه هشام بن عبد الملك . ثم غزا ماوراء النهر ففتح حصونا وغنم كثيرا ؛ وأقام بمرو ، وقد انتبه إلى استفحال الدعاوة العباسية ، فكتب إلى بنى مروان بالشام ، فلم يأبهوا للخطر ، وظل يكافح هو حتى عجز وتغلب أبو مسلم على خراسان ، فخرج نصر من مرو إلى قومس ، واستمر فى كفاحه إلى أن لحقه المرض فى مفازة بين الرى وهمذان ، ومات بساوة سنة ١٣١ .

الحيوان : سخاء الديك ، وتحنُّن الدجاجة ، وقلب الأسد ، وحملة الخنزير[1] وروَغان الثعلب ، وخَتْل الذئب ، [وصبر الكلب على الجراحة ، وحذَر الغراب ، وحِراسة الكُركىّ ، وهداية الحمام[2]] .

وقد كتبْنا هذا فى بابٍ ما للدَّجاج والدِّيك ؛ لأنَّ صاحبَ هذا الكلامِ قسّم هذه الخصال ، فأعطى كلَّ جنسٍ منها خَصْلةً واحدة وأعطى جنس الدجَاج خَصلتين .

(بعض ماورد من الحديث والخبر فى الديك)

وعبَّاد بن إبراهيم عن عبد الرحمٰن بن زيد قال : كان مكحولٌ يسافر بالدِّيك .

وعنه فى هذا الإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدِّيكُ صدِيقى ، وصديق صديقى ، وعدُوُّ عدوِّ الله ، يحفَظ دارَه وأربَعَ دُور من حواليه » .

والمسيب بن شريك عن الأعمش نحسبه عن إبراهيم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَذْبَحُوا الدِّيك ؛ فإنَّ الشَّيْطَان يُفْرَحُ بِهِ[3] » .

(١) أصل معنى الحملة : الكرة فى الحرب . قال الثعالبى فى ثمار القلوب ٣٢١ : « يضرب المثل بحرص الخنزير وقبحه وقذره ، وحملته ، وصعوبة صيده ، وشدة الخطر فى طرده » .

(٢) الزيادة من ثمار القلوب ٣٠٦ والإمتاع والمؤانسة ١ : ١٤٤ وجمهرة العسكرى ٨٥ والفخرى ٥١ حيث يوجد هذا النص . وبها تتم الخصال العشر .

(٣) يفرح به : يغم . وهذا الحرف من الأضداد : يقال أفرحه إذا سره ، وأفرحه إذا غمه وأثقل عليه .

(ريش جناح الطائر)

قال : وليس جناح إلاَّ وفيه عشرون ريشةً : فأربعٌ قوادم ، وأربعٌ مناكب ، وأربع أباهر ، وأربع كُلًى[1] ، وأربعٌ خَوَافٍ . ويقال : سبعٌ قوادم ، وسبعٌ خَوافٍ ، وسائره لقب .

(الكف والركبة لدى الإنسان وذوات الأربع)

قال : وكلُّ شيء من ذوات الأربع فركبتاه فى يديه ، وركبتا الإنسانِ فى رجليه ، قال : والإنسان كفُّه فى يده ، والطائر كفه فى رِجله .

(أسنان الإنسان)

قال : وفى الفم ثَنِيَّتان ورَبَاعِيَتان ونابان وضاحكان وأربعةُ أَرحاءٍ سوى ضِرْس الحُكْم[2] . والنَّواجذ والعوارض سواء . ومثلها أسفل[3] .

---

(١) فى الأصل : « أربع أباهن وأربع طلى » ، وهو تحريف ماأثبت . انظر أدب الكاتب ١١٩ والمخصص ٨ : ١٣٠ ناقلا عن ابن قتيبة ، ومبادئ اللغة ١٦٩ ، واللسان (بهر) .

(٢) الحكم والحلم بمعنى ، وهذا هو الضرس المعروف بضرس العقل ، وجاء فى أدب الكاتب ١١٦ : « والناجذ: ضرس الحلم» .

(٣) أى مثل ماذكر .

(التفاؤل بالدجاجة)

قال صاحب الدِّيك : والدَّجاجةُ يُتفاءَل بذِكرها ، ولذلك لمَّا ولد لسعيد بن العاص عَنْبَسَةُ بن سعيد ، قال لابنه يحيى : أىَّ شىء تَنْحَلُه[1] ؟ قال : دَجَاجةٌ بفراريجها ! يريد احتقاره بذلك ، إذ كان ابنَ أَمَةٍ ولم يكن ابنَ حرّة . فقال سعيد – أو قِيلَ له – : إن صدَقَ الطَّيْرُ لَيكونَنَّ أكثرَهُمْ ولداً !

فهم[2] اليومَ أكثرُهُمْ وَلَداً ، وهم بالكوفة والمدينة .

(شعر فى الدجاج)

وقال الشاعر[3] :

غدَوتُ بشَرْبةٍ مِنْ ذات عِرْقٍ ... أبا الدَّهناءِ من حَلَب العصيرِ

١٣٠ وأُخرى بالعَقَنْقَل ثمَّ سِرْنا ... نرى العُصفورَ أعظمَ مِن بَعيرِ

كأنَّ الدِّيكَ دِيكَ بنى نُميرٍ ... أميرُ المؤمنين على السَّريرِ

كأَنَّ دَجَاجَهُمْ فى الدَّار رُقطاً ... بنَاتُ الرُّومِ فى قُمُصِ الحريرِ

فبتُّ أرى الكَوَاكبَ دانياتٍ ... يَنَلْنَ أنَامِلَ الرَّجُلِ القصيرِ

أُدافعهنَّ بالكَفَّين عنِّى ... وأمسَحُ جَانبَ القَمَرِ المُنيرِ

---

(١) نحله ينحله : أعطاه . والمصدر : النحل ، بالضم ، كقفل .

(٢) أى فأولاده . وانظر نهاية الأرب ٢ : ١٤٣ .

(٣) انظر الشعر ومراجعه فى هذا الجزء ص ٢٦٠ .

(نطق الدجَاج)

قال : ويوصف بالدُّعاءِ وبالمنطق ، قال لَبيد بن ربيعة :

وصدَّهُمْ مَنطِقُ الدَّجَاجِ عن القَصْـ ـد وضَرْبُ النَّـاقوس فاجتنبا

وقَال :

لَدُنْ أنْ دعا ديكُ الصباح بسُحْرةٍ إلى قَدر وِرد الخامِس المتأوِّبِ

(دعابة أعرابى ، وقسمته للدجاج)

قَال أبو الحسن : حدَّثنى أعرابىٌّ كان ينزل بالبَصْرة قال : قدِم أعرابىٌّ من البادية فأَنزلته ، وكان عندى دَجَاجٌ كثير ، ولى امرأةٌ وابنان وابنتان منها ، فقلت لامرأتى : بَادِرى واشوى لنا دَجَاجةً وقدِّميها إلينا نتغدَّاها[1] فلمَّا حضر الغـداء جلسنا جميعاً أنَا وامرأتى وابناى وابنتاى والأعرابىّ . قال : فدفعنا إليه الدَّجَاجة فقلنا له : اقسِمها بيننا ـ نريد [بذلك[2]] أنْ نضحك منه ـ فقال : لا أحسنُ القِسمة ، فإن رضيتم بقسمَتى قسمْتُها بينكم . قلنا : فإنَّا نرْضَى . فأخَذَ رأسَ الدَّجَاجة فقطعه[3] فناوَلَنيهِ وقال : الرَّأس للرَّأس[4] . وقَطَعَ الجناحين وقال : الجنـاحان

(١) رفع هذا الفعل على الاستئناف ، وقد نقل النويرى فى نهاية الأرب هـذه القصة ١٠ : ٢٢٣ وفيها : « نتغدها » بالجزم على جواب الأمر . وفى أخبار الظراف ٦٧ : « نتغدى بها » .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب .

(٣) فى الأصل : « فقطعها » والرأس مذكر . فالصواب ماأثبت من نهاية الأرب .

(٤) فى النهاية : « للرئيس » والرأس والرئيس بمعنى .

للابنين . ثمَّ قطع السَّاقين فقال : السَّاقان للابنتين . ثمَّ قطعَ الزِّمِكَّى وقال : العجُز للعُجُز[١] . وقال : الزَّور للزَّائر[٢] قال : فأَخذَ الدَّجاجة بأَسْرِها وسَخِر بنا . قال : فلما كان من الغد قلتُ لامرأتى : اشوى لنا خَمْسَ دَجاجَاتٍ . فلما حضر[٣] الغداءُ . قلت : اقسم بيننا . قَال : إنِّى أظنُّ أنَّكم وجَدْتم[٤] فى أنفسكم ! قلنا : لا ! لم نجد فى أنفسنا فاقْسِم . قَال : أقسِمُ شفعاً أو وِتراً ، قلنا : اقسِم وِتراً . قالَ : أنت وامرأتك ودَجَاجة ثلاثة . ثمَّ رمى إلينا بدجاجة . ثُمَّ قَالَ : وابناك ودجاجة ثلاثة . ثمّ رمى إليهما بدجاجة . ثمَّ قَال : وابنتاك ودجاجة ثلاثَة . ثمَّ رمى إليهما بدجاجة . ثمَّ قَالَ : أنَا ودجاجتان ثلاَثَةً . وأخذ دَجاجتين وسخِر بنا . قَالَ : فرآنا ونحن ننظر إلى دجاجتيه فقال : ما تنظرون ! لعلَّكم كرهتم قسمَتِي[٥] الوِتر لا يجيء إلاَّ هكذا ، فهل لكُمْ فى قِسمَة الشَّفع ؟ قلنا : نعم . فضمَّهنَّ إليه ، ثم قال : أنتَ وابناك ودجاجة أربعة . ورمى إلينا بدجاجَة ، ثمَّ قال : والعجوز وابنتاها ودجَاجة أربعة ، ورمى إليهنَّ بدَجَاجةٍ ، ثمّ قالَ : أنَا ١٣١

(١) العجز : جمع عجوز . وفى نهاية الأرب : « للعجوز » . والزمكى : أصل الذنب .

(٢) هكذا جاء فى الأصل ونهاية الأرب . ومقتضى الكلام : ثم قطع الزور وقال . . . الخ .

(٣) فى الأصل : « حضرا » ، وتصحيحه من النهاية .

(٤) وجدتم هنا بمعنى غضبتم .

(٥) فى الأصل : « قسمة » ، وأثبت ما فى نهاية الأرب .

وثلاث دَجَاجَات أربعة ، وضمّ إليه الثّلاَث ، ورفعَ يديه إلى السماء وقال :
اللهم لك الحمد ، أنتَ فَهّمتنيها !

(قول صاحب الكلب فى كيس الفروج)

قال صاحب الكلب : [أمّا قولهمْ[1]] : من أعظم مَفاخِر الدِّيك والدَّجَاج على سائر الحيوان ، أنّ الفَرُّوج يخرُج من البيضة كاسيا يكفِى نفسه ، ثمَّ يجمع كيْس الخِلقة وكيْس المعرِفة ، وذلك كلُّه مع خُروجه من البيضة — فقد زعم صاحبُ المنطق أنّ ولد العنكبوت يأخذُ فى النَّسج ساعةَ يُولد . وعملُ العنكبوتِ عملٌ شاقٌّ ولطيفٌ دقيق ، لا يبلغه الفَرُّوجُ ولا أبو الفرُّوج ! !

على أنّ مامدَحوا الفرُّوج به من خُروجه من البَيضة كاسياً ، قد شرِكه فى حاله غيرُ جِنسه . وكذلك ذَوات الأربَع كلها تُولد كواسِيَ كواسب ، كولد الشاء .

وفِراخ القَبجِ والدُّرّاجِ ، وفِراخ البطِّ الصِّينىِّ فى ذلك كلِّه لاحقةٌ بالفراريج ، وتزيدُ على ذلك أنّها تزداد حُسناً كلّما كبرت . فقد سقط هذا الفخر .

---

(١) ليست بالأصل ، وزيادتها ضرورية .

(شعرٌ هزليّ فى الديك)

ومن الشِّعر الذى قيل فى الدِّيك ، ممَّا يُكتَب للهزْل وليس للجِدِّ والفائدة ، قولُ أبى الشَّمَقْمَق :

هَتَفَتْ أمُّ حُصَينٍ ثمَّ قالت : مَن يَنِيك
فتحتْ فَرْجاً رَحِيباً مِثلَ صَحراء العَتِيكْ
فيه وَزٌّ فيه بَطٌّ فيه دُرّاجٌ ودِيكْ

(حديث صاحب الأهواز عن العرب)

قال : وممَّا فيه ذِكرُ الدَجَاج وليس من شِكْل ما بَنَينا كلامَنا عليه ، ولكنَّه يُكتَب لما فيه من العجب . قال : قال الهامَرز . قال صاحب الأهواز[1] : ما رأينا قوماً أعجب من العَرَب ! أتيتُ الأحنفَ بنَ قيسٍ فكلَّمته فى حاجةٍ لى إلى ابن زياد ، وكنتُ قد ظلمت فى الخَراج ، فكلَّمه فأحسَنَ إلىّ وحطّ عنِّى ، فأهدَيْتُ إليه هدايا كثيرةً فغَضِب وقال : إنَّا لا نأخُذُ على مَعُونتِنا أجراً ! فلمَّا كنتُ فى بعضِ الطريق سقطَتْ من ردائى دَجاجةٌ فلحِقَنى رجلٌ منهم فقال : هذهِ سقطتْ من ردائك . فأمرتُ له بدِرْهَمٍ ، ثمَّ لحِقَنى بالأُبُلَّة[2] فقال : أنا صاحبُ الدَّجاَجة ! فأمرْتُ لَهُ

---

(١) فى القاموس : « الهامرز بفتح الميم من ملوك العجم » . فلعل وجه الكلام : « قال الهامرز صاحب الأهواز » . والأهواز : كورة بين البصرة وفارس .

(٢) الأبلة : بلد بالعراق على شاطىء دجلة .

بدراهم ؛ ثمَّ لحقنى بالأهواز فقال : أنا صاحب الدَّجاجة ! فقلت له : إن رأيتَ زادى بعد هذا كلِّه قد سقَط فلا تُعْلِمنى ، وهُوَ لك ! !

(جرو البطحاء)

قال صاحب الكلب : كان يقال لأبى العاصى بن الربيع بن عبد العُزَّى ابن عبد شمس[1] ، وهو زوج زَينبَ بنتِ رسول الله — صلى الله عليه وسلَّم ولأخيه كنانة بن الرَّبيع[2] : جرْوُ البطحاء[3] .

(الموريانى وأسطورة البازى والديك)

قال صاحب الديك لصاحب الكلب : وسنضرب لك المثلَ الذى ضَرَبه الموريانىُّ[4] للدِّيك والبازى : وذلك أنَّ خلَّاد بن يزيدَ[5] الأرقط ١٣٢

---

(١) كان أبو العاصى قبل البعثة مواخيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : وكان يكثر غشيانه فى منزله ، وزوجه زينب أكبر بناته ، ولم يسلم إلا بعد الهجرة . وأمه هالة بنت خويلد أخت خديجة . ومات فى خلافة أبى بكر سنة اثنتى عشرة من الهجرة ، الإصابة (باب الكنى ٦٨٤) .

(٢) انظر خبرا طريفاً له فى السيرة ٤٦٦ — ٤٦٨ جوتنجن .

(٣) أى بطحاء مكة ، وهو مسيل واديها . وفى ط : « البطاء » وتصحيحه من س : والإصابة .

(٤) هو سليمان بن مخلد ، المكنى بأبى أيوب ، ونسب إلى موريان : قرية من قرى الأهواز . كان أبو أيوب وزير المنصور العباسى بعد خالد بن برمك جد البرامكة ، وكان فى أول أمره مقربا لدى المنصور ، ثم نقم عليه فأوقع به وعذبه ، وأخذ أمواله. وتوفى سنة ١٥٤ . وفيات الأعيان ١ : ٢١٥ — ٢١٦ .

(٥) خلاد بن يزيد الأرقط : أحد الرواة للأخبار والقبائل والأشعار . انظر الفهرست لابن النديم ١٠٧ ليبسك و ١٥٦ مصر . وفى ط : « زبد » ، وتصحيحه من س والفهرست .

قال : بينما أبو أيُّوب المورِيانىُّ جالسٌ فى أمْره ونهيه ، إذ أتاه رسولُ أبى جعفرٍ فانْتُقِـع لونُه[1] ، وطارت عصافيرُ رأسِه[2] ، وأَذِن بيومِ بأسه[3] ، وذعِر ذعرًا نقَضَ حُبْوته[4] ، واستطار فؤاده[5] ، ثمَّ عاد طلقَ الوجْه ، فتعجَّبنا من حالَيه وقلْنا لَهُ : إنَّك لطيفُ الخاصَّة قريبُ المنزلة ، فلِمَ ذهب بك الذُّعرُ واستفرَغك الوَجل[6] ؟ فقال : سأَضرب لكم مثلاً مِن أمثال الناس .

زعموا أنَّ البازىَ قَال للديك : ما فى الأرض شىءٌ أقلُّ وفاءً منك ! قَال : وكيف ؟ قَال : أخذَكَ أهلكَ بيضةً فحضَنوك ، ثمَّ خرجتَ على أيديهم فأطعمُوك عَلَى أكفِّهم[7] ، ونشأتَ بينهم ، حتَّى إذا كبرتَ صرتَ لا يدنو منك أحدٌ إلاَّ طرتَ هاهنا وهاهنا وضَجِجْتَ وَصِحت . وأُخِذتُ أنا من الجبال [مُسِنّا[8]] فعلَّمونى وألَّفونى[9] ، ثمَّ يخلَّى عَنِّى فآخذ صيدى

(١) انتقع لونه وامتقع ، بالبناء للمجهول فيهما : تغير .

(٢) يضرب للمذعور ، أى كأنما كانت على رأسه عصافير عند سكونه ، فلما ذعر طارت . الميدانى (١ : ٣٩٦) .

(٣) البأس : العذاب . وأذن به : علمه . وفى التنزيل العزيز : « فأذنوا بحرب من الله ورسوله » أى كونوا على علم .

(٤) أصل الحبوة أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعمامة ، وكذلك كانوا يفعلون فى جلوسهم ، ولا ينقضونها إلا لأمر هام .

(٥) ط : « فؤاه » ، وصوابه فى س . واستطار بمعنى انتزع . وفى اللسان : « استطار فلان سيفه : إذا انتزعه من غمده مسرعا » .

(٦) استفرغه الوجل : أخذ منه قواه وذهب بها . وفى ط : « استفزعك » وأثبت ما فى س .

(٧) فى الدميرى وقد روى هذه القصة ١ : ١٦٢ : فيطعمونك بأكفهم » . وفى الوفيات ١ : ٢١٦ : « وأطعموك فى أكفهم » .

(٨) الزيادة من الوفيات . وفى الدميرى : وقد كبرت سنى » .

(٩) ألفه ، بالتشديد : جعله أليفا . وفى الوفيات : « وألفوا بى » ، محرفة . وفى الدميرى : « وأونس » .

فى الهواء فأَجىءُ بِهِ إلى صاحبى . فقال له الدِّيك : إنَّك لو رأيتَ من البُزاة فى سَفافيدهم مثلَ مارأيتُ من الدُّيُوك لكنتَ أنفرَ منِّى !

ولكنَّكم أنتمْ لو علمتم ما أعلَم ، لم تتعجَّبوا من خوْفى ، مع ماترونَ من تمكُّنِ حالى[1] .

(استجادة الخيل والكلاب)

قال صاحب الكلب : ذكر محمَّد بن سلاَّمٍ عن سعيد بن صَخْر[2] قال : أرسل مسلمَ بنَ عمرو[3] ، ابنَ عَمٍّ لَهُ إلى الشَّام ومِصر يشترى لَهُ خيلاً ، فقال له : لاعلم لى بالخيل — وكان صاحبَ قنْص — قال : ألستَ صاحبَ كلاب ؟ قال : بلى . قال : فانْظرْ كلَّ شىءٍ تستحسنُهُ فى الكلب فاستعملْه فى الفَرَس . فقدِم بخيلٍ لم يكنْ فى العرَب مثلُها[4] .

---

(١) الفقرة الأخيرة من كلام أبى أيوب . وقد سبق فى ترجمته أنه كان متمكن الحال لدى المنصور . وقد وقع ماكان يترقبه أبو أيوب ، فقد عذبه المنصور وأخذ أمواله ، كما مر .

(٢) سعيد بن صخر : أبو أحمد الدارمى ، روى عن حماد بن سلمة ، مجهول . وولده أحمد من كبار الحفاظ . روى عنه البخارى ومسلم ، لسان الميزان ٣ : ٣٤ .

(٣) مسلم بن عمرو : قائد عربى ، كان على ميسرة إبراهيم بن الأشتر النخعى صاحب مصعب بن الزبير . أصيب مسلم بجراحات شديدة فى حرب « مسكن » التى كانت بين مصعب وبين عبد الملك بن مروان فى سنة ٧٢ هـ ومات بها . (انظر الأغانى ١٧ : ١٦١ — ١٦٤) . وقال يزيد بن الرقاع العاملى يذكره هو ، ومصعبا ، وابن الأشتر :

نحن قتلنا ابن الحوارى مصعبا   أخا أسد والمذحجى اليمانيا
ومرت عقاب الموت منا لمسلم   فأهوت له طير فأصبح ثاويا

(٤) انظر هذا الخبر فى العقد ١ : ٧٩ .

(حاجة الديك إلى الدجاجة)

قال محمَّد بن سلاّم . استأْذنَ رجلٌ عَلَى امرأةٍ فقالت له : مَالهُ من حاجةٍ [١] . قالت الجارية : يريدُ أن يذكر حاجة . قالت : لعلها حاجة الدِّيك إلى الدَّجاَجَة !

(هرب الكميت من السجن متنكرا بثياب زوجه)

محمَّد بن سلاّم عن سَلاّم أبى المنذر [٢] قَالَ : حبس خالدُ بن عبد الله [٣] الكميتَ بنَ زَيْد ، وكانت امرأتُه تختاف إليه فى ثيابٍ وهَيئة ، حتَّى عرَفها البوَّابُونَ ، فلبسَ يَوْماً ثيابَها وخرج عليهم . فسمَّى فى شِعره البوَّابينَ النَّوابحَ ، وسمَّى خالداً المشْلى [٤] :

---

(١) كذا .

(٢) هو سلام بن سليمان ، ويكنى أبا المنذر ، وهو من أصحاب القراءات غير السبع . ابن النديم (٣٠ ليبسك ، ٤٥ مصر) والمعارف ٢٣٢ . وقد عده ابن النديم فى عداد المجبرة ، وقال : « ويكنى أبا المنذر ، ويلقبه أهل العدل (يعنى المعتزلة) أبا المدبر » وروى خبرا له فى الإجبار : أنه أصاب غلامه على جاريته ، فقال له : ماهذا ويلك ؟ ! قال : كذا قضاء الله . فقال له : أنت حر لعلمك بالقضاء والقدر . وزوّجه الجارية. ابن النديم (١٨٠ ليبسك و ٢٥٦ مصر) .

(٣) هو خالد بن عبد الله القسرى ، والخبر الآتى مفصل تفصيلا فى الأغانى ١٥ : ١١٤ — ١١٥ .

(٤) المشلى : الذى يغرى الكلاب بالصيد .

خرجت خروجَ القِدْحِ قدحِ ابنِ مُقْبِلٍ[1]

على الرَّغْم من تِلْكَ النَّوابحِ والمُشْلِى

علىَّ ثِيابُ الغانِياتِ وتحتَها صَرِيمةُ عَزْمٍ أشْبَهَت سَلَّةَ النَّصْل[2]

(فتيا الحسن فى استبدال البيض)

قال : وأخبرنا خَشْرَم قال : سمعتُ فلاناً البقَّالَ يسأل الحسنَ[3] قالَ : إنَّ الصبيان يأتُونَنى ببيضَتين مكسورتين ، يأْخذون منِّى صحيحةً واحدة . قال : ليس به بأْس .

(أرحام الكلاب)

محمّد بن سلاّم عن بعض أشياخه قال : قال مُصعَب بن الزُّبير على منبر مسجد البصرة ، لبعض بنى أبى بكْرة[4] : إنما كانت أُمُّكم مثلَ الكلبة ، ينزُو عليها الأَعفر والأَسودُ والأبقَع ، فتؤدى إلى كلِّ كلب شِبْهَه . ١٣٣

---

(١) هو قدح من قداح الميسر ، كان لبنى عامر بن صعصعة ، لا يجعل فى القداح إلا خرج فائزا أبدا . انظر الميسر والقداح ص ٦٦ . وقال ابن قتيبة ص ٣١ فى الحديث عن الشعراء : « ولم أجد فيهم أحدا ألهج بذكر القداح من ابن مقبل ، ثم الطرماح بعده » . والبيتان اللذان اشتهر بهما قدح ابن مقبل هما ، كما فى الأمالى ١ : ١٥ وثمار القلوب ١٧٣ :

غدا وهو مجدول وراح كأنه من المش والتقليب بالكف أفطح

خروج من الغمى إذا صلك صكة بدا والعيون المستكفة تلمح

(٢) سل النصل : أخرجه . والنصل : حديدة السيف . وفى س : « صلة النصل » . وفى الأغانى :

عزيمة أمر أشبهت سلة النصل

(٣) هو الحسن البصرى .

(٤) هو نفيع بن الحارث ويقال ابن مسروح ، وقيل اسمه مسروح ، كان من فضلاء =

هذا فى هذا الموضع هِجاء ، وأصحابُ الكلاب يرون هذا من باب النَّجابة ، وأنَّ ذلك من صِحّة طِباع الأرحام ، حين لا تختلط النُّطَف فتجىء جوارحُ الأولاد مختلفةً مختلطة .

(من وصية عثمان الخياط للشطار)

وقال صاحب الكلب : فى وصيَّة عثمانَ الخيَّاطِ للشُّطَّار اللُّصوص : إيَّاكم إيَّاكم وحبَّ النِّساء وسماعَ ضربِ العود ، وشربَ الزَّبيب المطبوخ ، وعليكم باتِّخاذ الغِلْمان ؛ فإنَّ غلامَك هذا أنفعُ لك من أخيك ، وأعونُ لك مِن ابنِ عمِّك ، وعليكم بنَبيذ التَّمر ، وضرب الطُّنْبور[1] ، وما كان عليه السلف واجعلوا النّقل باقلاّء ، وإن قدَرتم على الفُستقِ ، والرَّيحان شاهَسْفَرَم[2] ،

= الصحابة وسكن البصرة وأنجب أولادا لهم شهرة . وكان تدلى إلى النبى صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة - أى خشبة مستديرة فى وسطها محز الحبل تدور على محور - لما قال رسول الله لأهل الحصن : أيما عبد نزل إلى فهو حر . فاشتهر لذلك بأبى بكرة . توفى أبو بكرة عن أربعين ولدا من بين ذكر وأنثى ، فى خلافة عمر . الإصابة ٨٧٩٤ - وانظر ١٤٣ من باب الكنى والمعارف ١٢٥ والروض الأنف ٢ : ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(١) الطنبور : آلة موسيقية .

(٢) شاهسفرم : نوع من الريحان يقال له الريحان السلطانى . شفاء الغليل ١١٩ ، وجاء فى اللسان : شاهسفرم : ريحان الملك . قال أبو حنيفة : هى فارسية دخلت فى كلام العرب ، قال الأعشى :

وشاهسفرم والياسمين ونرجس   يصبحنا فى كل دجن تغيما

وقد وصفه داود (فى تذكرته ١ : ٢١٢) بقوله : « وهو الأخضر الضارب إلى الصفرة ، الدقيق الورق » . وفى الأصل : « وشاهبتر » ، وهو تحريف ما أثبت .

وَإن قدرتم على الياسمين[1] . ودَعوا لُبس العمائم وعليكم بالقِناع . والقَلَنْسوة كُفْر ، والخف شِرك واجعل لهوَك الحَمَامَ ، وهارِشِ الكلابَ وإيَّاك والكباشَ واللَّعِب بالصُّقورة والشَّواهين ، وإيَّاكم والفهودَ .

فلما انتهى إلى الديك قال : والدِّيكَ فإنَّ لَهُ صبراً ونجدة ، ورَوَغانا وتدبيراً ، وإعمالاً للسِّلاح ، وهو يبهر بهر الشُّجاع .

ثم قال : وعليكم بالنَّرد ودعوا الشِّطْرَنج لأهلها ، ولا تلعبوا فى النَّرْد إلا بالطويلتين . والوَدَعُ رأس مالٍ كبير ، وأوّلُ منافعه الحذق باللَّقف .

ثمَّ حدَّثهم بحديث يزيد بن مسعود القَيسىّ .

(مايصيده الكلب الأسود البهيم)

وقال صاحب الديك : ذكر محمَّد بن سلاَّم عن يحيى بن النضر ، عن أبى أميّة عبد الكريم المعلِّم قال : كان الحسنُ بن إبراهيم يكرَهُ صيدَ الكلبِ الأسودِ البهيم .

(قصيدة ابن أبى كريمة فى الكلب والفهد)

وأنشد صاحبُ الكلب قولَ أحمد بن زياد بن أبى كريمة[2] فى صفة صَيْدِ الكلب ، قصيدةً طويلةً أوَّلُهَا :

---

(١) ط : « ثم إن قدرتم على الياسمين » ، س : « تم إن قدرتم على الياسمين » وكلمة « ثم » أو « تم » هى تحريف الميم الذى كان ينقص كلمة « شاهسفرم » فى الصفحة السابقة . وقد جعلت بدلها هنا حرف الواو ، ليتساوق القول .

(٢) ابن أبى كريمة من معاصرى الجاحظ . وانظر خبرين طريفين له مع الجاحظ فى الحيوان ٣ : ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

وغِبَّ غمامٍ مَزَّقتْ عن سمائه ... شاميَّةٌ حصَّاءُ جُون السَّحائبِ (١)

مُواجِهِ طَلَق لم يردِّدْ جَهامَــه ... تـذاوُبَ أرْواح الصَّبا والجنائب (٢)

بعثْتُ وأثوابُ الدُّجى قد تقلَّصَتْ ... لغُرَّة مشهور من الصُّبح ثاقب (٣)

وقد لاح ناعِي الليل حتَّى كأنَّه ... لسَارى الدُّجَى فى الفجر قِنديلُ راهب (٤)

بهاليلَ لايَثنيهم عن عزيمةٍ ... وإنْ كان جَمَّ الرشْدِ، لوْمُ القرائب (٥)

بتَجْنِيبِ غضْفٍ كالقِداحِ لطيفةٍ ... مُشرَّطــةٍ آذانهــا بالمخَالبِ (٦)

---

(١) غب غمام : أى بعده . والشآمية : الريح الشمالية التى تهب من نأحية الشام . والحصاء : الصافية بلا غبار .

(٢) يقول : هــذا الغمام واجه هواء طلقا : لا حارا ولا باردا . وأن الرياح لم تتذأب أى لم تجئ من هنا ومن هنا ، فلذلك لم يتردد جهام هــذا الغام . وجاء البيت محرفاً على الوجه التالى — وأثبت صــوابه من نهاية الأرب ٩ : ٢٦٦ حيث توجد هذه القصيدة — :

مواجه طلق لم يرد رجامها ... تذاب بأرواح الصبا والجنائب

(٣) الغرة : أصلها البياض فى الجبهة . وعنى بها أول النهار ووجهه . والرواية فى النهاية : « بغرة » وماهنا أجزل . وفى س : « لعزة » وهو تحريف . والصبح المشهور : الظاهر الساطع . وفى الأصل : « مشهوب » ، ولا وجه له وتصحيحه من النهاية .

(٤) قنديل الراهب يعنى به أبدا ويتفقده ، فهو زاهر منير . وقد نظر ابن أبى كريمة إلى امرئ القيس فى قوله :

يضىء سناه أو مصابيح راهب ... أهان السليط بالذبال المفتل

(٥) البهلول ، بالضم : العزيز الكريم ، جمعه بهاليل . وهذه معمول « بعثت » فى البيت الذى قبل السابق ، والقرائب : جمع قريبة . وهذه الرواية أجود من رواية : « الأقارب » فى نهاية الأرب . فإنما يلوم الرجل على عزمته الجريئة ، ويخشى عليه الخطار أهله من النساء .

(٦) الغضف : الــكلاب المسترخية الآذان . وتجنيب الــكلاب : أراد به قيادتها ، كما يجنب الرجل البعير : أى يقوده إلى جنبه . وتشريط الــكلاب آذانها بالمخالب أمارة من أمارات فراهتها ونشاطها وقوتها فى العدو . ومثله قول أبى نواس فى ص ٢٩ من هذا الجزء :

* خرق أذنيه شبأ أظفاره *

وقوله فى ص ٣١ من هذا الجزء :

* منتشطا من أذنه سيورا *

وقوله فى ص ٣٣ :

* ينشط أذنيه بهن نشطا *

تخالُ سِياطاً فى صِــلاها مَنُوطَةً ... طوال الهوادى كالقداح الشوازب (١) ١٣٤

إذا افترَشَتْ خَبتاً أثارتْ بمتْنِه ... عجاجاً وبالـكَذَّان نارَ الحَباحِب (٢)

يفوتُ خُطاها الطَّرْفَ سَبقاً كأنّها ... سهامُ مُغال أو رُجومُ الكواكب (٣)

طِرادُ الهَوادى لاحَها كلَّ شَتْوَةٍ ... بطامسة الأرجاء مَرْتِ المسارب (٤)

تـكادُ من الأَحراج تنسَلُّ كُلَّما ... رأتْ شَبَحاً لولا اعتراضُ المناكب (٥)

تسُوف وتُوفى كلَّ نَشْزٍ وفَدفدٍ ... مرابِضَ أبناءِ النِّفاق الأَرانبِ (٦)

كأنّ بها ذُعراً ، يُطِير قُلوبَها ... أنينُ المَكاكِى أوصريرُ الجنادبِ (٧)

---

(١) منوطة فى صلاها : معلقة فى مغرز ذنبها ، ولعله عنى وجود حافز دائم يحفزها على العدو . وبالأصل : « من سلاها » وهو تحريف صوابه من النهاية . والهوادى : الأعناق . والشازب من قداح الميسر : الذى ضمر من كثرة المداولة والتقليب . وفى الأصل : « الشواذب » بالذال ، وتصويبه من نهاية الأرب .

(٢) الخبت : البطن الواسع من الأرض . وفى ط : « جبتا » وفى س : « جتنا » والأولى لاوجه لها . وليس للثانية معنى . والعجاج : الغبار . والـكذان ، بالفتح : حجارة فيها رخاوة . وفى الأصل : « بالـكدان » . ونار الحباحب : الشرر يحدث من تصادم الحجارة .

(٣) المغالى بالسهم : الرافع يده به يريد أقصى الغاية .

(٤) يقول : مطاردتها للهوادى ، أى أوائل الوحش ، قد غيرتها وأضمرتها . وطامسة الأرجاء : أراد فلاة متباعدة النواحى ، أو لاأثر بها لسالك لما يسفى عليها من الريح . ومرت المسارب : قفرة المسالك . وفى الأصل : « بطأمية الأرجاء » . وهو تحريف ، إذ أن الطمى إنمــا يكون مع الخصب . وهى على الصــواب الذى أثبت فى نهاية الأرب .

(٥) الأحراج : قلائد الـكلاب ، واحدها حرج بالـكسر . وفى الأصل : « الأخراج » وليس بشىء . و « تنسل » هى فى الأصل : « تسأل » وتصحيحه من النهاية .

(٦) تسوف المرابض : تشمها لتتعرف مابها . وتوفى النشز : أى تأتى المـكان المرتفع . والفدفد : الفلاة لاشىء بها . والنفاق: جمع نفق وهو الجحر .

(٧) المـكاكى : جمع مكاء ، بضم الميم وشد الـكاف ، طائر من القنابر ، له صفير حسن ، وتصعيد فى الجو وهبوط ، وهو فى ذلك يمكو أى يصفر ، وهو من الطيور الجواثم التى تبنى أفاحيصها فى الأرض . انظر معجم المعلوف ١٤٧ - ١٤٨ وقد خففت الياء هنا للشعر .

تديرُ عيوناً رُكِّبت فى بَراطِلٍ كجَمْرِ الغَضَى خُزْراً ذِرَابُ الأنائب (١)

إذا مَا استُحِثَتْ لم يُجِنّ طَريدَها لهنّ ضَراءٌ أو مجارِى المَذَانبِ (٢)

وإن باصها صَلْتاً مدَى الطّرفِ أمسكَتْ عليه بدُون الجُهد سُبلَ المذاهب (٣)

تكادُ تَفَرَّى الأُهبُ عنها إذا انتحت

لنبْأة شَخْتِ الجِرْم عارى الرَّواجبِ (٤)

---

(١) البرطيل بالكسر : حجر أو حديد طويل صلب خلقة ، ينقر به الرحى ، أو هو المعول . وجمعه براطيل ، وحذف الياء فى نحو ذلك هو مذهب الكوفيين . انظر همع الهوامع ٢ : ١٨٢ . شبه محاجر عيون هذه الكلاب فى شدتها بالبراطيل . وخزرا : جمع خزراء أى ضيقة صغيرة . وفى الأصل : « خزر » وإنما هى صفة « عيونا » . و « ذراب الأنائب » : حداد الأنياب ، و « ذراب » هى فى النسختين : « دواب » محرفة تصحيحها من النهاية . والأنائب أصلها « الأنابيب » حذفت الياء الثانية على مذهب الكوفيين ، ثم أبدلت الياء الباقية بهمزة وهى لغة شاذة . والرواية فى نهاية الأرب : « الأنايب » .

(٢) يقول : إذا أهيب بهذه الكلاب لتدرك الصيد ، فإن ذلك الصيد لا يمهل حتى يستتر بذلك الشجر الملتف ، أو بتلك المجارى . « يجن » هى فى الأصل : « يحن » محرفة . ويقال « جنه » من باب نصر ، و « أجنه » أيضا . و « المذانب » جمع مذنب – كمنبر – وهو المسيل ، أو المسيل فى الحضيض ، أو الجدول يسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها . وهى فى الأصل : « المقانب » ولا وجه له . وصوابه من نهاية الأرب .

(٣) باصها : سبقها ، يريد الصيد . صلتا : ركضا ، وأصل الصلت بمعنى الركض فى الخيل . مدى الطرف : غاية امتداد العين . وفى الأصل : « باصها صلت مدى الدهر » وتصحيحه من النهاية .

(٤) يقول : إذا سمعت هذه الكلاب صوتا خفيا من صاحبها ، كادت أن تشقق جلودها من شدة نشاطها . وقد أخذ هذا المعنى من ذى الرمة حيث يقول :

لايذخران من الإيغال باقية حتى تكاد تفرى عنهما الأهب

والشخت : الضامر الدقيق لامن هزال . والرواجب : مفاصل أصول الأصابع ، أو قصب الأصابع ، وقيل غير ذلك . الواحدة راجبة أو رجبة بالضم . وعارية : ليس عليها لحم .

كأنّ غصونَ الخيزُرانِ مُتُونُها إذا هي جالت في طِرادِ الثّعالب (١)
كواشرُ عن أنيابهنَّ كوالحٌ مُذَلّقة الآذان شوس الحواجب (٢)
كأنّ بناتِ القَفْرِ حِينَ تفرّقتْ غَدَونَ عليها بالمنايا الشّواعبِ (٣)

ثم وصفَ الفهود :

بذلك أبغى الصّيدَ طوراً وتارة بمُخْطَفَةِ الأكْفال رُحْبِ التّرائب (٤)
مرقّقَة الأَذنابِ نُمْرٍ ظهورُها مخطّطةِ الآمَاق غُلبِ الغَوارِبِ (٥)
مُدَنّرةٍ وُرْقٍ كأنّ عيونها حَواجِلُ تستَدْمى متونَ الرّواكب (٦)

(١) متونها : ظهورها ، مفرده متن .

(٢) كشر عن نابه : أبداه . وكوالح : عوابس . مذلقة : محددة . وفى س : « مذللة » .

(٣) بنات القفر : عنى بها الوحوش . وجاء فى س : « غدوت عليها بالمنايا » ، ومثل هذه الرواية فى الحيوان ٦ : ٤٧٥ . والشواعب : المفرقات .

(٤) فى الأصل : « أبقى الصيد » وهو تحريف صوابه فى النهاية . وفى الحيوان ٦ : ٤٧٦ : « بذلك يبغى » ولها وجه . ومخطفة الأكفال : ضامرة الأعجاز صغيرتها . وأجود من هذه الرواية مافى الجزء السادس : « بمخطفة الأحشاء » . والترائب : عظام الصدر .

(٥) نمر : جمع أنمر ، وهو الذى فيه نمر ، بضم ففتح أى نكت بيضاء وسوداء . وفى ط : « ثم » وتصحيحه من س ونهاية الأرب والجزء السادس من الحيوان . والآماق : جمع موق ، وهو طرف العين مما يلى الأنف . ومثل هذه الرواية فى الجزء السادس . وفى النهاية : « الآذان » . وغلب الغوارب : غلاظها . والغارب : مابين العنق والظهر .

(٦) مدنرة : بها نكت كأنها الدنانير . وفى الأصل : « مذربة » وتصحيحه من مباهج الفكر . والورق : مفرده أورق ، وهو الذى فى لونه سواد وبياض . والحواجل : جمع حوجلة ، وهى القارورة الصغيرة الواسعة الرأس ، قال العجاج :

كأن عينيه من الغئور قلتان فى لحدى صفا منقور
صفران أو حوجلتا قارور

والرواكب : جمع راكب ، وهو رأس الجبل . وتستدمى : تتتبع . وإنما تتتبع لتتعرف الصيد ، وتبحث عنه . وفى الأصل : « تستدمى » ولا يصح إلا بتكلف وتعمل ؛ فإن معنى استدمى : استخرج من غريمه الدين فى رفق .

إذا قلَّبتَها فى الفِجاج حسبتها سَنا ضَرَمٍ فى ظُلمةِ اللَّيل ثاقبِ (١)
مُوَلَّعة فطح الجِباهِ عوابسٍ تَخالُ على أشداقِها خطَّ كاتبِ (٢)
نَواصِبِ آذانٍ لِطَافٍ كأنَّها مَداهنُ، للإجْراسِ منكلِّ جانبِ (٣)
ذوات أشافٍ رُكِّبت فى أكُفِّها نَوَافِذَ فى صُمِّ الصُّخورِ نَواشِبِ (٤)
ذِراب بلا ترهيفِ قَينٍ كأنَّها تعقربُ أصداغِ الملاحِ الكواعِبِ (٥)
١٣٥ فوارسُ مَالم تلقَ حَرْباً ، ورَجْلةٌ إذا آنسَتْ بالبِيد شُهبَ الكتائبِ (٦)

---

(١) الفجاج : جمع فج ، وهو الطريق الواسع بين جبلين . ورواية نهاية الأرب : « فى الحجاج » وهو بكسر الحاء وفتحها : العظم المستدير حول العين .

(٢) المولعة : المستطيلة البلق ، وهو سواد وبياض ، أو ارتفاع التحجيل إلى الفخذين . و « فطح الجباه » : عريضتها . ومفرد « فطح » : أفطح . فى ط : « قبح » وفى س : « فتح » وفى الحيوان ٦ : ٤٧٦ : « قطع » وذلك كله تحريف ماأثبت . والرواية فى نهاية الأرب : « فطس الأنوف » .

(٣) المداهن : جمع مدهن بضم الميم والهاء ، وهو آلة الدهن أو قارورته ، وأراد هنا آلة الدهن . والإجراس : استماع الجرس ، بفتح الجيم ، وهو الصوت . وفى الأصل : « للأحراس » وليس بشىء . يقول : قد نصبت هذه الفهود آذانها الصغيرة الشبيهة بالمداهن ، لتتسمع الأصوات من شتى الجوانب .

(٤) الأشافى : جمع إشفى ، وهى مثقب الإسكاف ، وقد عنى بها الأظافر ، وفى الأصل : « أثاف » جمع أثفية ، ولا وجه له هنا . والصخرة الصماء : الصلبة المصمتة .

(٥) القين : الحداد ، والترهيف : ترقيق الحد . والصدغ ، بالضم : الشعر المتدلى بين العين والأذن . وتعقرب الصدغ : تلويه وتعطفه .

(٦) رجلة : جمع راجل ، وهو الماشى على رجليه . قال أبو عمرو : وليس فى الكلام فعلة جاء جمعاً غير رجلة جمع راجل . وكمأة جمع كمء . وفى الأصل : « رحله » وصوابه ما أثبت ، لتتم مقابلته لكلمة « فوارس » . ومما يحسن الإشارة إليه أن الفهود تركب الخيل ، جاء فى نهاية الأرب ٩ : ٢٤٧ عند الكلام على الفهد : « وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية بن أبى سفيان » . ومثل ذلك عند الدميرى فى رسم (الفهد) ، ومحاضرة الأوائل للبنسوى ص ١٢١ . ولابن المعتز فى هذا المعنى (انظر الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء ص ٢١٥ وديوانه ٢ : ١٠٢) :

يلاحق الوثبة ممتد النفس نعم الرديف زاننا فوق الفرس =

تَرَوٍّ وَتَسْكِينٌ يَكُونُ دَرِيئَةً ... لهنَّ بِذِى الأَسْرابِ فى كلِّ لاحِبِ (١)

تضاءَلُ حتّى لاتـكادُ تُبِينُها ... عُيُونٌ لدى الصَّرَّاتِ غيرُ كواذبِ (٢)

حراصٌ يَفوتُ البرقَ أمكَثُ جَرْيِها ... ضِراءٌ مبَلاّت بطولِ التَّجارب (٣)

تُوَسِّدُ أجْيادَ الفَرائِسِ أذرعا ... مرمّلةً تحكى عناقَ الحَبائب (٤)

= ولأبي نواس فى صفة الفهد (الديوان ٢٢٣) :

فجاء يزكيه على سمنده

والسمند : الفرس ، كلمة فارسية .

وشهب الكتائب : عنى بها جماعة الوحش التى تتصيدها هذه الفهود . والكتيبة الشهباء : هى العظيمة الكثيرة السلاح .

(١) يقول : قد جعلن التروى وتسكين الجوارح دريئة لهن . وأصل الدريئة ماتستتر به من الصيد لتختله . و « بذى الأسراب » أى بتلك الطرق ، مفردها سرب بفتح السين وبكسرها . فى ط : « بذى الأسوار » ، ولا وجه له ، وأثبت مافى س . واللاحب : الطريق الواضح .

(٢) يقول : هذه العيون التى لاتكذب صاحبها عند صرها وشدها ، لاتستطيع مع مابها من القوة والحدة أن تبصر هذه الفهود عند ماتتضاءل وتجتهد فى إخفاء أشخاصها . « الصرات » هى فى الأصل : « الضرات » . وفى الحيوان ٦ : ٤٧٦ : « الصراب » والوجه فيهما ما كتبت .

(٣) يقول : إن سرعة البرق لاتدانى أبطأ جرية لهذه الفهود . ضراء : معتادة الصيد ، واحدها ضرو بالكسر . والمبل ، بكسر الميم وفتح الباء : الثبت الجرئ .

(٤) يقول : هى تمسك بفرائسها بين أذرعها المرملة — أى الملطخة بالدم — وتضمها فلا تفلت منها ، وهى فى ذلك تحكى صنع المحب يعانق حبيبه ، فهو أشد التزام وأقوى ضم . (الفرائس) : هى فى الأصل : (الفوارس) وليس يكون منها أن تفعل ذلك بالفرسان . ولابن المعتز فى مثل المعنى الذى وجهنا به البيت ، يصف فهدة :

تضم الطريد إلى نحرها ... كضم المحبة من لايحب

أى أن طريدها لايحبها ولكنها تحبه فهى تضمه ، ومهما حاول الخلاص ضمته . و (مرملة) هى فى الأصل : « مزملة » بالزاى ، وليست تتجه ، وتصحيحها من نهاية الأرب ٩ : ٢٥٢ . وفى ط : « عتاق الجنائب » وهو تحريف ، صوابه فى س ونهاية الأرب .

(سهل بن هارون وديكه)

قال دِعْبلٌ الشاعر[1] : أقمنا عند سهل بن هارونَ فلم نبرحْ ، حتَّى كدنا نموتُ من الجوع ، فلما اضطررناه قال : ياغلام ، ويْلَكَ غدِّنا ! قال : فأُتِينا بقَصعةٍ فيهامرقٌ فيهِ لحمُ ديك [عاسٍ هرم[2]] ليس قبلَها ولا بعدَها غيرُها لاتحزُّ فيه السكين ، ولا تؤثِّر فيه الأضراس . فاطّلع فى القصعة وقلَّب بصرَه فيها ، ثمّ أخذ قِطْعةَ خبزٍ يابس فقلَّب جميع مَافى القَصعة حتَّى فقد الرأس من الدِّيك وحده ، [فبقى مطرِقاً ساعَةً[3]] ثمَّ رفع رأسه إلى الغلام فقال : أين الرَّأس ؟ فقال : رميتُ به . قال : ولم رميت به ؟ قال : لم أظنّك تأ كُله ! قال : ولأَىِّ شيءٍ ظَننتَ أنِّى لا آ كُلُه ؟ فوالله إنِّى لأَمقتُ مَن يرمى برجليهِ [فكيف من يرمى برأسه[4]] ؟ ! ثم قال لَهُ : لولم

---

(١) هو دعبل بن على بن رزين الخزاعى ، شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان ، لم يسلم عليه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ، ولا ذو نباهة . وكان شديد التعصب للقحطانية على النزارية ، وكان شيعيا ، وكان يتشطر ويصحب الشطار . وأخباره مسهبة فى الأغانى ١٨ : ٢٩ — ٦١ . ومن خير شعره الأبيات المشهورة :

أين الشباب وأية سلكا	لا أين يطلب ضل بل هلكا
لاتعجبى ياسلم من رجل	ضحك المشيب برأسه فبكى
ياليت شعرى كيف يومكما	ياصاحبى إذا دمى سفكا
لاتأخذا بظلامتى أحدا	قلبى وطرفى فى دمى اشتركا

كان دعبل يتنقل فى البلاد ، وأقام ببغداد مدة ثم خرج منها هاربا من المعتصم لما هجاه ، وعاد إليها بعد ذلك . ولد سنة ثمان وأربعين ومائة ، وتوفى سنة ست وأربعين ومائتين . تاريخ بغداد ٤٤٩٠ .

(٢) التكملة من عيون الأخبار ٣ : ٢٥٩ نقلا عن الجاحظ . والعاسى : الذى أسن حتى صلب وجف .

(٣) التكملة من عيون الأخبار .

(٤) من عيون الأخبار . وفى العقد الفريد ٤ : ٢١٧ مثل هذا المعنى .

أكرهْ مَاصنَعتَ إلاّ للطِّيَرةِ والفأل ، لـكَرهْتُه[١] ! الرأس رئيسٌ وفيهِ الحواسُّ[٢] ، ومنهُ يصدَح الديك ، ولولا صوتُه ماأرِيدَ ؛ وفيهِ فَرقُه[٣] الذى يُتبرّك به ، وعَينُهُ التى يضرب بها المثل ، يقال : « شرابٌ كعين الديك »[٤] ، ودِمَاغُه عجيب لوجَع الكلية ، ولم أرَ عَظما قَطُّ أهشَّ تحت الأَسنانِ من عَظْم رأسِهِ ، فهَلاّ إذْ ظننتَ أنّى لا آكلُه ، ظننتَ أنّ العِيال يأْكُلُونه ؟ ! وإنْ كانَ بلَغَ من نُبْلِك أنّك لاتأْكله ، فإنّ عِنْدَنا من يأْكُلُه . أوَ ماعلمتَ أنّه خيرٌ من طَرَف الجَناحِ ، ومن السَّاق والعنق ! انظرْ أين هو ؟ قال : والله ما أدرى أينَ رميتُ بِهِ ! قال : لـكنِّى أدرى أنّك رمَيت بِهِ فى بطنك ، واللهُ حَسيبك !

كمل المصحف[٥] الثانى من كتاب الحيوان بحمد الله تعالى وحسن عونه

ويتلوه فى الثالث إن شاء الله ذكر الحمام[٦]

---

(١) أى لـكرهت ماصنعت .

(٢) فى عيون الأخبار وكذا فى العقد : « الحواس الخمس » وليس بشىء ، إذ أن فى الرأس أربعا من الحواس ، هن السمع والبصر والشم والذوق . وفى وفيات الأعيان ١ : ١٧٩ : « والرأس رئيس وفيه الحواس الأربع » .

(٣) فرق الديك : انفراق عرفه ، وقد أسلف الجـاحظ . فى ص ٢٠٧ من هـذا الجزء كلاما فى التبرك بالديك الأفرق وانظر كذلك ص٢٥٩ . وفى ط : « وفيه قرنه » وهو تحريف ما أثبت من س . وفى عيون الأخبار : « عرفه » .

(٤) أى فى الصفاء ، وقد سبق كلام الجاحظ فى هذا المثل ص ٣٤٩ .

(٥) هذا ماأثبت من س . وفى ط : « تم الجزء » .

(٦) هذا ماقى س . وفى ط : » ويتلوه الجزء الثالث إن شاء الله أوله ذكر الحمام » .



تذييل واستدراك

صفحة سطر

١٤٠ ١١ مثل هذه العقيدة فاشٍ بين النساء إلى اليوم ، فهنَّ يعتقدن أن المرأة إذا قامت أثناء الحيض بعمليـة حفظ الفواكه أو الخضراوات ، فإنَّها تتلف . كمايعتقدن أنّ الحائض يتلف عجينها ولا يختمر . كما لوحظ أن الزَّهرة تذبل بعد ساعات قليلة إذا قبضت عليها حائض أو تأبطتها بضع دقائق . وقد فسّرت هذه الظاهرة تفسيرا علميا ؛ إذ أن إفراز الحيض ، المكون من الزرنيخ ، والجليكوكين ، والليبوئيد ، وبعض الخمائر والفسفور ، والمغنزيا ، والكبريت ، والجير — له أثره الذى لا ينكر . انظر مجلة الرياضة البدنية ، ديسمبر سنة ١٩٣٨ .

١٤٣ ٨ ش كليب بن أبي عهمة الظفرى . كذا فى الأغانى ومعاهد التنصيص . وقد عده ابن حجر فى الإصابة ٧٤٤٨ من الصحابة ، وجعل اسمه « كليب بن عميمة » . أما ابن الشجرى فى أماليه (١ : ١١١) فقد جعله « كليب بن عييمة » وقد ضبطه وذكر اشتقاقه فقال : « عييمة : منقول من محقر العيمة ، وهى شهوة اللبن : أومحقر العيمة ، بكسر العين ، وهى خيار المال » . فلعل هذا صوابه .

١٨١ ٨ قد استغل الشيعة مثل هذا الخبر فنسبوا مثله إلى عبد الله ابن جعفر . جاء فى معجم الأدباء (١٠ : ٢٤٨ — ٢٤٩) : « وجاء رجل إلى عبد الله بن جعفر فقال له : يابن رسول الله ، هذا

صفحة سطر

حكيم الكلبيّ ينشد الناس هجاءكم بالكوفة ! فقال : هل حفظت منه شيئاً ؟ قال : نعم . وأنشده :

صَلَبنا لكم زيدًا على جِذْعِ نخلةٍ ولم نرَ مهديًّا على الجذع يُصْلَبُ

وَقِسْتم بعثمانٍ عليًّا سفاهة وعثمانُ خيرٌ من عليٍّ وأطيبُ

فرفع عبد الله يديه إلى السماء ، وهما ينتفضان رعدة فقال : اللهم إن كان كاذبا فسلط عليه كلبا ! فخرج حكيم من الكوفة فأدلج فافترسه الأسد فأكله » .

٢٧١ ٨ السكينة معناها الاطمئنان . وجاء فى القرآن الكريم : ﴿ وَقَالَ لَهمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ والكلام فى بنى إسرائيل . والنبى هذا هو يوشع ، أو شمعون ، أو اشمويل . والملك : طالوت . والتابوت : صندوق التوراة ، قالوا : رفع بعد موسى إلى السماء ، ثم نزل من السماء تحمله الملائكة ، علامة على ملك طالوت . وكان بنو إسرائيل يحملونه فى حروبهم ليكسبهم طمأنينة . انظر الكشاف ، وتفسير الفخر . قدّمت هذا لألقى ضوءاً عَلَى الشعر ؛ فقدكان المختار اتخذ كرسيًّا قديم العهد ، غشّاه بالدّيباج ، وزيَّنه بأنواع الزينة ، وقال : هذا الكرسى من ذخائر أمير المؤمنين عَلِيّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فضعُوه فى حومة القتال وقاتلوا عنه ؛ فإن محلَّه فيكم محل التابوت والسكينة فى بنى إسرائيل . انظر الملل والنحل (١ : ١٩٩) وثمار القلوب ٧١ .

صفحة سطر

٢٧١ ٩ « فُتْنا » جمع فِتان بالكسر ، وأصل معناه غشاءٌ يجعل للرحل من أدم . وأما أمر الحمام ، فإنّ المختار لمّا وجَّه إبراهيم بن الأَشتر لحرب عبيد الله بن زياد ، دفع إلى قوم من خاصَّته حماماً بيضاً ضخاماً ، وقال لهم : إن رأيتُم الأمر علينا فأَرسلوها فى المعركة . وقال للناس ، إنى أجد فى محكم الكتابِ ، وفى اليقين والصَّواب ، أنّ اللهَ ممدُّكم بملائكةٍ غِضاب ، تأتى فى صور الحمام دون السحاب ! فلما التقت الفئتان وكادت الدائرة تكونُ عَلَى عسكر ابن الأشتر ، أرسلت الحمام البيض ، فتصايح النَّاس : الملائكة ! الملائكة ! فتراجعوا ، فأَسرع القتل فى أصحاب عبيد الله ، ثم انكشفوا ، ووضعُوا السيُوف فيهِم ثم أفنوهم. ثمار القلوب ٧١. وانظر الملل والنحل (١ : ١٩٩) . وكانَ البيت فى الأصل محرَّفا عَلَى الوجه الآتى :

وأن ليس كالتابوت فينا وأن سعت

سنام حواليه ، وفيهم زخارف

٢٩٤ ١٠ « المنكابات » فى شفاء الغليل « بنكام : لَفظ يونانى ، مايقدر به الساعة النجومية من الرمل ، وهو معرّب عرَّبه أهل التوقيت ، وأرباب الأوضاع ، ووقع فى شعر المحدثين فى تشبيه الخصر :

* وخَصرهُ شُدَّ ببَنْكامِ * »

ثم قال : « وتقلبه العامة فتقول : منكاب ، وهو غلط ». فما ذكره الجاحظ هو عامية هذا الاسم ، وقد وجدت فى العمدة (٢ : ٢٣١) وصفاً شعريا للبنكام ويفهم منه أنه آلة مائية ، لا رملية كما قال الخفاجى .

صفحة سطر

٣٦٦ ٥ عثمان الخياط هذا زعيم عصابة للّصوص ، كانت فى عصر الجاحظ ،
وإنّما سمّى خيّاطا لأنّه نقب على أحذق الناس وأبعدهم فى صناعة
التلصّص ، وأخذ ما فى بيته وخرج ، وسدَّ النّقب كأنّه خاطه ،
فسمّى بذلك . ويظهر أنّه قد شاع فى هذا العصر اتّخاذ التلصص
مهنةً لكسب العيش ، وجعل اللصوص لها نُظما ، وأنشئوا
لأنفسهم ألقابا ومراتب مختلفة ، فمنهم العين ، والمؤنىّ ، والشاغل
والطرّار . فالعين : الذى يلزم الصيارف ، ويتأمّل كلَّ مالٍ
محمول ، ويأتى السفن فيتعرَّف موضع الحرز ، ويأتى دار قوم
فيطلب أن يتوضّأ ، فيتعرَّف خزائنهم والموضع الذى يقصدون
منه . والمؤْنىّ : الذى يتولَّى البيع والابتياع لهم ، ويجعل عند ذلك
كأنّه أمير قرية ، أو زعيم محلّة . والشاغل : هو الذى يشغل
القومَ عن اللصِّ والطرَّارِ ، إذا ظفروا به ، يجىء اللصَّ فيضربه
ما لا يضربه السلطان ، ويقول : هذا والله صاحبى ، هو الذى
ذهب بمالى ، ويضربه ويحتال بذلك حتّى يتشاغل عنه القوم ،
فإذا تشاغلوا عنه أفلتَه وتأسَّف مع القوم . والطرَّار : الذى يقطع
الهمايين ويشقها .

والعجب أن تلك العصابات ، كانت فى أكثر أمرها تلتزم ضربًا
من ضروب الشهامة والنُّبل ، ورووا عن عثمان الخيّاط أنه قال :
« ما سرقت جارًا وإن كان عدوًّا ، ولا كريماً ، ولا كافأت
غادرًا بغدره ! » .

وكانوا يحسّنون لأنفسهم هذه الصناعة ، ويحتجّون لها . قال عثمان

صفحة سطر

الخيّاط : « لم تزل الأمم يسبى بعضُها بعضا ، ويسمُّون ذلك غزوا وما يأخذونه غنيمة ، وذلك من أطيب الكسب ! ! وأنتم فى أخذ مال الغَدَرَة والفجَرة أعذر ! فسمُّوا أنفسَكم غُزاةً ، كما سمّى الخوارجَ أنفسَهم شُراة ! ! » .

وقالوا : « اللص أحسن حالاً من الحاكم المرتشى ، والقاضى الذى يأكل أموال اليتامى ! » .

وتجد أخبار هؤلاء القوم ونوادرهم ، مسهبة مفصَّلة ، فى محاضرات الراغب (٢ : ٨١ – ٨٤) .

كتبه

عبد السلام محمد هارون

مصر الجديدة فى { ٥ جمادى الثانية سنة ١٣٨٥
٣٠ سبتمبر سنة ١٩٦٥ }



أبواب الكتاب

صفحة

مكتبة الجاحظ

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول

الحيوان

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى نظمها المجمع اللغوى ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء الثالث

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

عباس ومحمد محمود الحلبى وشركاهم ـ خلفاء



تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الثالث

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

٢

باب

ذِكر الحمام[1]

وما أودَعَها الله عزَّ وجلَّ[2] من ضُروبِ المعرفة ، ومِن الخِصال المحمودة ، لِتعرفَ[3] بذلك حكمةَ الصَّانِع ، وإتقانَ صُنْعِ المدبِّر[4] .

(استنشاط القارئ ببعض الهزل)

وإن كُنَّا قد أمَلْنَاك بالجِدِّ وبالاحتجاجاتِ الصحيحة والمرَوَّجة[5] ؛ لتكثُّر الخواطر ، وتشحَذَ العقول — فإنّا سننشِّطكَ[6] ببعض البَطالات ، وبذكر العلل الظَّريفة ، والاحتجاجاتِ الغريبة ؛ فربَّ شعرٍ يبلُغُ بفَرْطِ غباوةِ صاحبه [من السرور والضحك والاستطراف] ، مالا يبلغه [حشدُ] أحرِّ النوادر ، وأجمَعِ[7] المعانى .

---

(١) س : « نبدأ وبالله التوفيق بذكر الحمام » ل : « من الله التوفيق بذكر الحمام » .

(٢) ل : « وماأودعه الله جل ذكره » .

(٣) فى الأصل : « ولتعرف » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط : « وإتقانه وصنعه المدبر » . وفى س : « وصنعة المدبر » .

(٥) المروجة : التى روجها صاحبها ، وجعلها تسير فى الناس . ويقال : روج الدراهم : جعلها تنفق فى السوق . وفى ط ، س : « الممزوجة » . والأشبه ماأثبت من ل .

(٦) كذا فى ل . وفى ط : « فاستنشطتك » . وفى س : « فاستنشطك » .

(٧) ط : « وأجود » . وماكتبت من ل أقرب إلى لغة الجاحظ .

وأنا أستظرِفُ أمرَين استظرافاً شديداً : أحدهما استماعُ حديثِ الأعراب . والأمرُ الآخَر احتجاجُ متنازِعَينِ فى الكلام ، وهما لا يحسنانِ منه شيئاً ؛ فإنَّهما يُثيرانِ من غَريبِ الطِّيب[1] ما يُضحِك كلَّ ثَكْلانَ وإن تشدَّد ، وكلَّ غضبانَ وإن أحرقَه لَهيبُ الغضَب . ولو أنَّ ذلك لا يحلّ[2] لكان فى باب اللَّهو والضَّحِك والسُّرورِ والبَطالة والتشاغُل، مايجوز فى كلِّ فنّ[3] .

وسنذكر من هذا الشكل عِللاً ، ونُورِدُ عليك من احتجاجاتِ الأغبياءِ حُجَجاً . فإنْ كنتَ ممَّن يستعمِل الملالةَ ، وتَعْجَل إليه السآمة ، كان هذا البابُ تنشيطاً لقلْبك ، وجَماماً لقوَّتك . ولنبتدِئ النَّظرَ فى باب الحمام وقد[4] ذهب [عنك] الكَلالُ وحدَثَ النشاط .

وإن كنْتَ صاحبَ علمٍ وجِدٍّ ، وكنت[5] ممرَّناً موقَّحاً ، وكنتَ إلفَ تفكيرٍ وتنقيرٍ ، ودراسةِ كتُب ، وحِلفَ تبيُّن[6] ، وكان ذلك عادةً لك لم يضِرْكَ مكانُه من الكِتاب ، وتَخَطِّيه[7] إلى ما هو أولى بك .

---

(١) المراد بكلمة « الطيب » هنا : الهزل والفكاهة ، كما فى هذا الجزء ص ٣٩ . وفى القاموس « وفاكه : طيب النفس ضحوك » ، ويقال : طايبه : أى مازحه وجاء فى البيان ٣ : ٣٤٥ : « وكان فتى طيب من ولد يقطين لايصحو » وطيب بمعنى فكه مزاح . وأصل معناه السهل المعاشرة . وانظر الحيوان ٤ : ٥٨ .

(٢) س : « ولولا أن ذلك ليحل » ؟ والإشارة بكلمة « ذلك » إلى احتجاج المتنازعين .

(٣) ط ، ل : « مايجوز كل فن » .

(٤) كذا فى س . وفى ل ، ط : « فقد » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٦) التبين : التفهم . وفى ط ، س : « تبيين » . وما أثبت من ل أشبه بكلام الجاحظ .

(٧) التخطى : مصدر تخطى بمعنى تجاوز . والتخطية : مصدر خطاه ، بمعنى دفعه =

(ضرورة التنويع فى التأليف)

وعلى أنِّى قد عزمتُ — واللهُ الموفِّق — أنِّى أوشِّح هذا الكتابَ وأفصِّلُ أبوابَه ، بنوادرَ من ضُروبِ الشِّعر ، وضروبِ الأحاديث ؛ ليخرج قارئُ هذا الكتاب من باب إلى باب ، ومن شكل إلى شكل ؛ فإنِّى رأيتُ الأسماعَ تملُّ الأصواتَ المطْرِبَة والأغانىَّ الحسنة والأَوتارَ الفَصيحة ، إذا طال ذلك[1] عليها . وما ذلك إلاَّ فى طريق الراحة ، التى إذا طالت أورثت الغفلة .

وإذا كانت الأَوائلُ قد سارتْ فى صغارِ الكتب هذه السِّيرةَ ، كان هذا التَّدبيرُ لِمَا طالَ وكثُر أصلَحَ ، وما غايتُنا مِن ذلك كلِّه إلاَّ أن تَستَفيدُوا خيراً .

وقال أبو الدَّرداء : إنِّى لأُجمُّ نفسى ببَعْض الباطل ، كراهةَ أنْ أحمِل عليها من الحق ما يملُّها !

(ادّعاء أبى عبد الله الكرخىّ الفقه)

فمن الاحتجاجات الطيِّبة[2] ، ومن العِلل الملهيـة ، ما حدَّثنى به ابن المـدينى[3] قال : تحوَّل أبو عبد الله الكرْخىُّ اللِّحيـانىُّ إلى

= وأماطه . وإذا حـلت غيرك على أن يخطو قلت أخطيته . وكلمة « تخطيـه » هى فى س : « تخطيته »، وهو تحريف ماأثبت من ل ؛ ط .

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) الطيبة هنا بمعنى الهزلية . وانظر ماسبق فى ص ٦ . وهذه الكلمة هى فى ط ، ل : « الطبية » مصحفة .

(٣) هو على بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن بكر بن سعد أبو الحسن السعدى ، مولاهم =

الحَرْبيَّة[1] فادَّعى أنَّه فقيه ، وظنَّ أنَّ ذلك يجوزُ له ؛ لمكانِ لحيته وسَمْته . قال : فألقى على باب داره البوارىّ[2] ، وجلس [وجلس] إليه [بعضُ] الجيران ، فأتاه رجلٌ فقال : يا أبا عبدِ اللهِ ! رجلٌ أدخــل إصبَعَه فى أنفه فخرَج عليها دمٌ ، أىَّ شىءٍ يصنع[3] ؟ ! قال : يحتجم . قال : قعدتَ طبيباً أو قعدتَ فقيهاً ؟

(جواب أبى عبد الله المروزىّ)

وحدَّثنى شمئون[4] الطبيب قال : كنتُ يوما عند ذى اليَمينين طاهرِ ابن الحسين[5] فدخل عليه أبو عبد الله المروَزِىّ فقال [طاهر] : يا أبا عبدِ الله

= ويعرف بابن المدينى ، بصرى الدار ، وهو أحد أئمة الحديث فى عصره ، والمقدم على حفاظ وقته ، أخذ عنه أحمد بن حنبل ، وكان لايسميه ، إنما يكنيه تبجيلا له . اتصل بالقاضى أحمــد بن أبى داود ، وله معه أخبار كثيرة . ولد سنة إحــدى وستين ومائة ، وتوفى ســنة أربع وثلاثين ومائتين . انظر تاريخ بغداد ٦٣٤٩ .

(١) الحربية : محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب ، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخى الراوندى ، أحد قواد المنصور . انظر الخبر أيضا فى البيان ٢ : ٣٢١ . س : « الحربية » ل : « الحريبة » صوابهما فى ط . ونحو هــذا الخبر للشعبى فى العقد ٦ : ١٥٢ .

(٢) البورى ، والبورية : والبارى ، والبارية والبارياء والبورياء : الحصير المنسوج .

(٣) س : « يصنعه » . وانظر قصة شبيهة بهذه فى أخبار الظراف ص ٢٦ .

(٤) المعروف فى هذا الاسم : « شمعون » .

(٥) هو طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعى ، من كبار الوزراء ، كان أديبا حكيما شجاعا ، وهو الذى وطد الملك للمأمون العباسى ، وهو الذى قتــل الأمين ، وعقد البيعة للمأمون ، فولاه شرطة بغداد ثم جعله واليا على خراسان ، فحدثته =

مذْ كَمْ دخلتَ العراق ؟ قال : منذ عِشرين سنةً ، وأنا صائم منذ ثلاثين سنة[١] . قال : يا أبا عبدِ الله ، سألناك عن مسألةٍ فأجبتَنا عن مسألتين !

(جواب شيخٍ كندى)

وحدَّثنى أبو الجهجاه[٢] قال : ادَّعى شيخٌ عندنا أنّه من كندة ، قبلَ أن ينظرَ فى شىءٍ من نسبِ كِنْدة ، فقلت له يوماً وهو عندى : ممن أنت يا [أبا] فلان ؟ قال : من كندة . قلت : من أيِّهم أنت ؟ قال : ليس هذا موضعَ [هذا] الكلام ، عافاك الله !

(جواب خَتَنِ أبى بكر بن بريرة)

ودخلتُ على خَتَنِ [أبى بكر بن][٣] بريرة ، وكان شيخاً ينتحل قول الإباضيَّة ، فسمعتُه يقول : العجبُ ممن يأخذه النَّومُ وهو [لا] يزعم [أنَّ] الاستطاعة مع الفعْل[٤] ! قلت : ما الدليل على ذلك ؟ قال : الأَشعار الصحيحة . قلت : مثل ماذا ؟ قال : مثل قوله :

= نفسه بالاستقلال بها ، وحالت دون ذلك منيته . وسمى ذا اليمينين لأنه ضرب شخصا فى وقعته مع على بن ماهان بالسيف فقده نصفين ، وكانت الضربة بيساره فقال فيه بعض الشعراء :

* كلتا يديك يمين حين تضربه *

فلقبه المأمون : ذا اليمينين . انظر وفيات الأعيان . وفى ثمار القلوب ٢٣٢ - ٢٣٣ تعليلان آخران . وانظر الطبرى ١٠ : ١٤١ و ١٥٥ فى حوادث ١٩٥ والديارات للشابشتى ٩١ - ٩٢ . وولد طاهر سنة ١٥٩ وتوفى سنة ٢٠٧ .

(١) ل : « وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة » .

(٢) س : « أبو الجهجا » وهو تحريف . ولأبى الجهجاه حديث فى البخلاء ص ٣٦ .

(٣) الزيادة من مثل هذا الموضع ص ٢٢ س : ٣

(٤) من أصول المعتزلة أن استطاعة الفعل تسبق الفعل ، وجمهور الإباضيين على أن =

* مَا إِنْ يقَعْنَ الأَرْضَ إلاّ وفقا[١] *

ومثل قوله :

* يَهوِين شــتَّى ويقعْن وفقــا *

ومثل قولهم فى المثل : « وقَعَا كعِكْمَىْ عَير[٢] »]

وكقوله[٣] أيضاً :

مِكرّ مِفَــرٍّ مُقْبلٍ مُــــدْبرٍ معاً

كَجُلمودِ صَخْر حَطَّه السَّيلُ من علِ[٤]

وكقوله :

أكفُّ يدى عن[٥] أنْ تمسَّ أكفهم

إذا نحنُ أهوَينــا وحاجتنا[٦] مَعَا

ثم أقبل علىَّ فقال : أما فى هذا مقنع ؟ قلت : بلى ، وفى دون هذا !

= الاستطاعة مع الفعل ، وشذ منهم الحارثية فإنهم وافقوا المعتزلة . الفرق ٨٤ . وكلمة « الفعل » هى فى ط ، س : « العقــل » وتصحيحه من ل ، ومن عيون الأخبار ٢ : ٥٦ حيث يوجد هذا الخبر .

(١) ط ، س : « فرطا » ، والوجه فيه ماأثبت من ل .

(٢) العكم ، بالكسر : العــدل بكسر العين . والعير : الحمار . ووقعا : أى حصلا ، فهما فى التوازن والتعادل ســواء . أو بمعنى سقطا ؛ لأن العــكمين فى الأكــثر إذا حل أحدهمــا سقطا معا . والمثــل يضرب للمتساويين . أمثال الميدانى ٢ : ٢٨٩ . ويقال : وقع المصطرعان عكمى عير وكعكمى عــير : وقعا معاً لم يصرع أحدهمــا صاحبه . لسان العرب. وفى الأصل ، وهو هنا ل : « كعظمى عير » وهو تحريف .

(٣) هو امرؤ القيس . والبيت الآتى من معلقته المشهورة .

(٤) هذا الشطر ليس فى ل .

(٥) ل ، س : « من » .

(٦) ل : « وحاجاتنا » .

(جواب هشام بن الحكم)

وذكر مُحمَّدُ بنُ سلاَّم عن أبانِ بنِ عثمانَ قال : قال رجلٌ من أهل الكوفة لهشامِ بن الحكم[١] : أتُرَى اللهَ عزَّ وجلّ فى عدْله وفضلِه كلَّفنا مالا نطيقُ ثمَّ يعذِّبُنا ؟ ! قال : قدْ واللهِ فعل، ولكنّا لانستطيع أنْ نتكلَّم به ! ٤

(سؤال ممرور لأبى يوسف القاضى)

وحدَّثنى محمَّد بن الصباح قال : بينا أبو يوسفَ القاضى يسيرُ بظَهْر الكوفة — وذلك بعدَ أن كتبَ كتابَ الحِيَل[٢] — إذ عرضَ له ممرورٌ عندنا أطيب الخلْق ، فقال له : يا أبا يوسف ، قد أحسنتَ فى كتاب الحيل[٢] ، وقد بقيتْ عليكَ مسائلُ فى الفِطَن ، فإنْ أذِنت لى سألتُك عنها . قال : قد أذنتُ لكَ فَسَلْ . قال : أخبرْنى عن الحِرِ كافرٌ هو أو مؤمن ؟ فقال أبو يوسف : دينُ الحِرِ دينُ المرأة ودينُ صاحبةِ الحِر : إن كانت كافرةً فهو كافر ، وإن كانت مؤمنةً فهو مؤمن . قال : ماصنعت

---

(١) هشام بن الحكم : صاحب مذهب الهشامية ، وهم فرقة من الغالية عند الشهرستانى ، ومن المشبهة عند الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ٢٠ ، ومن الإمامية الرافضة عند صاحب الفرق . وكان يقول بالتجسيم والتشبيه ، وآراؤه مفصلة فى الفرق ٤٧ — ٥٣ ، والملل والنحل ٢ : ٢١ — ٢٣ .

(٢) هى الحيل الشرعية ، التى يتخلص بها من بعض الأحكام ، أو من بعض المحظورات ، ومن نماذج ذلك ماكتبه ابن دريد فى كتابه « الملاحن » المطبوع فى مصر سنة ١٣٤٧ . وفى س : « الخيل » وهو تصحيف .

شيئاً . قال : فقل أنت إذَنْ ، إذْ لم ترض بقولى[١] . فقال : الحرُ كافر . قال : وكيف علمت ذلك ؟ قال لأنَّ المرأةَ إذا ركعَتْ أو سجَدت استدبر الحِرُ القِبلةَ واستقبلت هى القبلة ، ولو كان دينُه دينَ المرأة لصنع كما تصنع . هذه واحدةٌ يا أبا يوسف. قال: صدقت . [قال]: فتأذن[٢] لى فى أخرى؟ قال : نعم . قال : أخبرنى[٣] عنك إذا أتيتَ صحراءَ فهجمْتَ على بَول وخِراء كيف تعرف أبولُ امرأةٍ هو أم بول رجل ؟ قال : والله ما أدرى ! قال أجل والله ما تدرى ! قال : [أ] فتعرف أنت ذاك ؟ قال : نعم ، إذا رأيت البول قد سال على الخِراء وبين يديه فهو بولُ امرأة ، وخِراء امرأة . وإذا رأيت البولَ بعيداً من الخِراء فهو بول رجل وخِراء رجل . قال : صدقت !

قال : وحكى لى جوابَ مسائلَ فنسيت[٤] منها مسألةً ، فعاودته فإذا هو لا يحفظها .

(جواب الحجاج العبسى)

وحدَّثنى أيُّوبُ الأعورُ ، قال قائل للحجاج العبْسى[٥] : ما بال شعر الاسْتِ[٦] إذا نبتَ أسرع والتفّ ؟ قال : لقربه من السَّماد[٧] والماء هَطِلٌ عليه[٨] ! !

---

(١) ط ، ل : « فقل أنت إذا لم ترض بقولى».
(٢) أراد الاستفهام .
(٣) ل : « خبرنى » .
(٤) ل : « نسيت » .
(٥) ل : « لحجاج العبسى »، ويظهر أنه من المخنثين .
(٦) ل : « است المرأة » .
(٧) السماد ، بالفتح : أصـــله سرقين الدواب . وأريد به هنا النجو ، وفى ط : « السماء » وهو تحريف مافى ل .
(٨) ماء هطل : متتابع القطر عظيمه . وفى ل : « ويسقى من عل » . وحديث =

(جواب نوفل عريف الكناسين)

وحدَّثني محمَّد بن حسَّان قال : وقفتُ على نوفلٍ عَريفِ الكنَّاسين ، وإذا مُوسْوَس قد وقف عليه ، وعندَه كلٌّ كنَّاس بالكَرْخ ، فقال له الموسوَس : ما بال بنتِ وردان[1] تدعُ قعرَ البئر وفيه كُرٌّ[2] خِراء وهو لها مُسْلَمٌ وعليها موفر ، وتجيء تطلب اللُّطاخة التى فى آست أحدنا وهو قاعدٌ على المَقْعَدة[3] ، فتلْزم نفسها الكُلفةَ الغليظة ، وتتعرَّض للقتل ، وإنَّما هذا الذى فى أستاهنا قيراطٌ من ذلك الدرهم ، وقد دفعنا إليها الدِّرهم [وافيا][4] وافراً . قال : فضحك القوم ، فحرَّك نوفلٌ رأسَه ثم قال : أتضحكون ؟ ! قدْ واللهِ سأل الرجل[5] فأجيبوا ! وأمَّا أنا فقد ــ والله ــ فكَّرت فيها منذ ستِّينَ [سَنَةً][6] ، ولكنَّكم لاتنظرون فى شيءٍ من أمر صناعتكم . لاجَرَمَ أنَّكم لاترتَفِعُون أبداً ! [قال له الموسوَس : قلْ ــ يرحُمك الله ــ فأنتَ زعيمُ القوم] ، فقال نوفل : قد علمنا أنَّ الرُّطَب

= الحجاج هذا ساقط من س . وتجد فى محاضرات الراغب ٢ : ١١٧ - ١١٨ حديثا مثله يروى عن « مخنث » .

(١) بنت وردان يقال لها فى مصر « خنفس » . معجم المعلوف ٣٦ .

(٢) الكر : بالضم : مكيال للعراق ، أو ستة أوقار حمار ، أو ستون قفيزا ، أو أربعون إردباً . وفى ط : ل : « كل » وهى تصحيف . وأثبت مافى س .

(٣) المقعدة : عنى بها ما وضع له اسم « المرحاض » فى عصرنا هذا . وفى ط ، س : « المقعد » . وأثبت مافى ل . وأصل المقعد والمقعدة مكان القعود .

(٤) ط : « وقد دفعنا إليها من الدرهم وافراً » وهو تحريف .

(٥) ط : « الراجل » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٦) الزيادة من ل ، س وفى ط : « منذ سنين » .

أطْيبُ من التَّمر ، والحديثَ أطرف(١) من العتيق ، والشيءَ من مَعْدنِه أطيَب ، والفاكهةَ من أشجارِها أطرف(٢) . قال : فغضب شريكُه(٣) مسبِّح(٤) الكنَّاس ثم قال : والله لقد وبَّختنا ، وهوَّلتَ علينا ، حتى ظنَنَّا أنَّك ستُجيب بجوابٍ لايحسنُه أحد ، ما الأمرُ عندَنَا وعند أصحابنا هكذا . قال : فقال لنا الموسوس : ما الجواب عافاكم(٥) الله ؛ فإنِّى ما نمتُ البارحةَ من الفِكرَة(٦) فى هذه المسألة ؟ قال مسبِّح(٧) : لو أنَّ لرجلٍ ألفَ جاريةٍ حسناء(٨) ثم عتَقْنَ عندَه لبَرُدَتْ شهوتُه عنهنَّ وفترت ، ثمَّ إن رأى واحدةً دونَ أخسِّهن فى الحسْن صبا إليها(٩) وماتَ من شهوتها . فبنت وردانَ تستظرف(١٠) تلك اللطاخة(١١) وقد ملَّت الأولى(١٢) ؛ وبعضُ الناسِ

---

(١) كذا فى ط ، س وفى ل : « أطرا » .

(٢) ل : « ألذ » .

(٣) ط ، س : « شريك » ، وهو تحريف صوابه من ل .

(٤) كذا ضبط الاسم فى ل . وجاء فى ط ، س : « مسيح » . ولمسبح هذا حديث فى الجزء الأول من الحيوان ص ٢٤٥ .

(٥) س : « فقال له الموسوس : ماالجواب عافاك » .

(٦) ل : « الفكر » .

(٧) انظر التنبيه رقم ٤ من هذه الصفحة .

(٨) ط : « جوارى حسانا » وهو تحريف ، إذ أن تمييز الألف مفرد مجرور . وصوابه فى ل ، س .

(٩) ل : « واثبها » مكان : « صبا إليها » .

(١٠) كذا بالأصل . ولعلها « تستطرف » .

(١١) س : « اللطافة » . وهو تحريف ماأثبت من ط ، ل .

(١٢) ل : « الأول » .

الفطيرُ أحبُّ إليه[١] من الخمير . وأيضاً إنَّ الكثيرَ يمنَع الشَّهوة ، ويورث الصُّدوف[٢] . قال : فقال الموسوس — واستحسَنَ جوابَ مسبِّح ، بعد أن كان لايرى جواباً إلّا جواب نوفل[٣] — : لاتعرفُ مِقدارَ العالمِ حتَّى تجلسَ إلى غيره ! أنتم أعلم أهل هذه المدَرة ، ولقد[٤] سألتُ علماءَها عنهُ منذُ عشرينَ سنةً فما تخلَّصَ أحدٌ منهم إلى مثلِ ماتخلَّصْتم إليه . وقدْ والله — أنعَمْتم عيني ، وطابَ بكم عيشى ! وقد علمنا أنّ كلّ شىءٍ يُستَلَبُ استلابا أنَّه ألذ وأطيب . ولذلك صارَ الدَّبيبُ إلى الغِلمان ونيكُهم على جهة القهر[٥] ألذ [وأطيب] ، وكلُّ شىءٍ يصيبهُ الرَّجلُ فهو أعزُّ عليه من المال الذى يرثه أو يوهب[٦] له .

(علة الحجاج بن يوسف)

قال : وحدَّثنى أبانُ بن عثمانَ قال : قال الحجَّاجُ بنُ يوسفَ : واللهِ لَطَاعتى أوجَبُ مِنْ طاعةِ الله ؛ لأنَّ الله تعالى يقول : ﴿ اتَّقُوا اللهَ مَااستَطَعْتُمْ ﴾

(١) كذا فى ط . وفى ل ، س : « إليهم » وهما وجهان جائزان ؛ إذ أن لفظ « بعض » يصح أن يراعى فيه الإفراد ، ويصح أن يراعى فيه اكتساب الجمعية مما أضيف إليه من جمع . وينشدون لذلك قول جرير :

إذا بعض السنين تعرقتنا كفى الأيتام فقد أبى اليتيم

انظر الكامل ٣١٢ — ٣١٣ ليبسك ، والخزانة (٤ : ١٦٤ سلفية) وسيبويه ١ : ٢٥ بولاق .

(٢) الصدوف : العزوف عن الشىء والانصراف عنه . وفى ط ، س : « الصدود » وهو بمثل معناه .

(٣) ل : « أنه لاجواب إلا جواب نوفل » .

(٤) ل : « وأنتم أعلم أهل هذه المدرة ، لقد » .

(٥) ط ، س : « الضبط » ، وهو تحريف ماأثبت من ل

(٦) ط ، س : « الذى يوجب له » .

فَجَعَلَ فِيهَا مَثْنَوِيَّةً(١) ؛ وقال : ﴿ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ ولم يَجْعَلْ فيها مثنَوِيَّة(٢) ! ولو قلتُ لرجل : ادخل مِن هذا الباب ، فلم يدخل ، لَحَلَّ لى دمُه !

(احتجاج مدنى وكوفىّ)

قال : وأخبرنى محمَّد بن سليمانَ بنِ عبد الله النوفلىُّ قال : قال رجلٌ من أهل الكوفة لرجل من أهل المدينة : نحنُ أشدُّ حبًّا لِرَسولِ الله — صلى الله عليه وسلم وعلى آلِه — مِنْكُم يا أهلَ المدينة ! فقال المدنىّ : فما بَلَغَ مِنْ(٣) حُبِّكَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ؟ قال : ودِدت أنِّى وَقيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — وأنَّه لم يكنْ وصَلَ إليه يومَ أُحُدٍ ، ولا فى غيره من الأيَّام شىءٌ من المكروه(٤) يكرهه إلا كان بى دونَه ! فقال المدنىُّ : أفَعِنْدَكَ غيرُ هذا ؟ قال : وما يكونُ غيرُ هذا ؟ قال : ودِدْتَ أنَّ أبا طالبٍ كانَ آمَنَ فسُرَّ به النبىُّ صلى الله عليه وسلم وأنِّى كافر(٥) !

---

(١) المثنوية : الاستثناء . وهو قوله تعالى : « ما استطعتم » .

(٢) فهم الحجاج أن المراد طاعة أولى الأمر ، وليس كما ظن ، بل المراد : اسمعوا المواعظ وأطيعوا الأوامر الإلهية ، أو اسمعوا لله ولرسوله ولكتابه وأطيعوا الله فيما يأمركم . انظر تفسير الزمخشرى ، والرازى ، والبيضاوى .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) س : « شىء يكرهه » . وفى ط : « بشىء يكرهه » ، ولا تصح هذه الأخيرة إلا ببناء « وصل » للمفعول .

(٥) لفظ « كان » ساقط من ل . وكلمة : « وأنى » هى فى ل : « وأنا » .

(احتجاج رجل من وجوه أهل الشام)

وحدَّثنى أبانُ بنُ عثمان قال : قال ابنُ أبى ليلى[١] : إنّى لأُسَايرُ رجلاً من وُجوهِ أهل الشَّام ، إذْ مرَّ بحمَّالٍ معَه رُمَّان ، فتناولَ منه رُمَّانَةً فجعَلها فى كُمِّه . فَعَجِبْتُ من ذلك ، ثمَّ رجعت إلى نفسى وكذَّبت بصرى ، حتّى مرَّ بسائلٍ فقير[٢] ، فأخْرجها فناولَه إيَّاها . قال : فعلمتُ أنِّى رأيتُها ، فقلتُ له : رأيتُك قَدْ فعلتَ عجباً[٣] . قال : وما هو؟ قلت : رأيتُك أخذْتَ رُمَّانَةً مِنْ حَمَّال وأعطيتَها[٤] سائلاً ؟ قال : وإنَّك ممَّن يقولُ هذا القولَ ؟ ٦ أما علِمتَ أنِّى أَخَذْتُها وكانت سيِّئَةً وأعطيتُها فكانت عشْرَ حَسَنَاتٍ ؟ قال : فقال ابنُ أبى ليلَى : أمَا علِمتَ أنَّكَ أخذْتَها فكانتْ سيِّئةً وأعطيتَها فلم تُقْبَلَ منك ؟ !

---

(١) ابن أبى ليلى : هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، واسم أبى ليلى يسار . ولى محمد القضاء لبنى أمية ، ثم وليه لبنى العباس . وكان فقيها مفتيا بالرأى . انظر أصحاب الرأى فى المعارف ص ٢١٦ .

(٢) ط ، س : « وكذبت عينى حتى مر به سائل » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٣) ل : « فقلت رأيت منك عجبا » .

(٤) ل : « فأعطيتها » .

(من جهل الأعراب بالنحو)

وقال الربيع (١) : قلت لأعرابيٍّ : أتَهْمِزُ إسرائيل (٢) ؟ قال : إنِّى إذاً لَرَجُلُ سَوْء ؟ قلت : أتَجُرُّ (٣) فِلَسطين ؟ قال : إنِّى إذاً لَقَوِىّ .

(احتجاج رجل من أهل الجاهلية)

قال : وحدَّثنا حمَّادُ بنُ سلَمَة قال : كان رجلٌ فى الجاهليَّة معه مِحْجَنٌ (٤) يتناوَلُ به مَتاعَ الحاجِّ (٥) سَرِقة ، فإذا قيل له : سرقت ! قال : لمْ أسرِق ، إنَّما سَرَق مِحْجنى ! قال : فقال حماد : لو كانَ هذا اليومَ حيًّا لـكانَ من أصحاب أبى حَنيفة !

(الأعمش وجليسه)

قال : وحدَّثنى محمَّد بن القاسم قال : قال الأعمشُ لجليسٍ له : أما تَشتَهى بنانِىَّ (٦) زُرْقَ العُيونِ نَقيَّةَ البطونِ ، سُودَ الظُّهور ، وأرغفةً

---

(١) هو الربيع بن عبد الرحمن السلمى ، كما فى البيان ٢ : ٢٢٠ .

(٢) ط : « أتهمز أم إسرائيل »، وتصحيحه من س ، ل .

(٣) ط : « فتجر » وأثبت ما فى ل . وقد أراد الربيع بالهمز والجر معناهما الاصطلاحى وفهم الأعرابى من الهمز الغمز ، أو النخس ، أو الدفع ، أو الضرب ، أو العض ، كما فهم من الجر معناه اللغوى .

(٤) المحجن : العصا المعوجة .

(٥) الحاج : الحجاج إلى البيت الحرام . وقد جاء على لفظ المفرد .

(٦) البنى ، بضم الباء : ضرب من السمك . والعامة فى مصر يكسرون باءه . وجمعه « بنانى » . وجاء فى ط : « بناتى » وفى ل : « بنانيا » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

حارّةً ليِّنة ، وخَلاًّ حاذقا ؟ قال : بلى ! قال : فانهض بنا . قال الرَّجلُ : فنهَضْتُ معه ودخل منزِلَه . قال : فأومأَ إلَىّ : أنْ خُذْ تِلك السَّلّة . قال : فكشَفها فإذا برغيفين يابسين[1] وسُكُرُّجة كامَخٍ[2] شِبْثٍ[3] . قال : فجعل يأكل . قال : فقال لى تَعالَ كُلْ . فقلت : وأينَ السمك ؟ قال : ماعندى ، [سمك] ، إنما قلت لك : تشتهى !

(رأى حفص بن غياث فى فقه أبى حنيفة)

قال : وسُئل حفْصُ بن غِياث[4] عن فِقه أبى حنيفة ، قال : كانَ أجهَلَ النَّاسِ بما يكون[5] ، وأعرفَهم بما لايكون .

---

(١) ل : « فإذا فيها رغيفان يا بسان » .

(٢) الكامخ ، بفتح الميم : ضرب من مشهيات الطعام ، قوامه البقول والملح واللبن ، وقد تضاف إليه بعض الأبازير . انظر كتاب الطبيخ للبغدادى ص ٦٨ وشفاء الغليل ١٧٠ .

(٣) الشبث ، بالكسر : ضرب من البقول . وجاء فى ل : « شبت » . وفى القاموس : « الشبت كطمر : هذه البقلة المعروفة » . وفى تذكرة داود : « شبت بالمثلثة ويقال بالمثناة » ، فهما لغتان .

(٤) هو حفص بن غياث بن طلق ، وكنيته أبو عمرو . ولاه هارون القضاء ببغداد بالشرقية ، ثم ولاه قضاء الكوفة ، فمات بها سنة ١٩٤ . وكان مثلا فى الزهد والعفة ؛ رووا أنه مرض خمسة عشر يوما فدفع إلى ابنه مائة درهم ، وقال له : أمض بها إلى العامل وقل له : هذه رزق خمسة عشر يوما ، لم أحكم فيها بين المسلمين ، لا حظ لى فيها ! وقد سبق الخبر فى ١ : ٣٤٧ . وانظر البيان : ٢ : ٢٥٣ حيث المسئول هناك « شريك » .

(٥) ل : « كان » .

(علة خشنام بن هند)

وأما علة خُشْنَامَ[١] بن هند ، فإنَّ خشنام بن هِندٍ كان شيخا من الغاليةِ[٢] ، وكان ممَّن إذا أراد أنْ يسمِّيَ أبا بكر وعُمرَ قال : الجِبْتُ والطَّاغوت ، ومُنْكر ونكير ، وأُفٌّ وتُفٌّ ، [وكُسَير] وعُوَير[٣] . وكان لا يَزال يُدخِل دارَه حمارَ كسَّاح[٤] ويضربه مائةَ عصاً[٥] على أنَّ أبا بكر وعمرَ فى جوفه . ولم أر قطُّ أشدَّ احترافًا[٦] منه . وكان مع ذلك نبيذِيًّا وصاحبَ حمَام[٧] . ويُشبه فى القَدِّ والخَرْط شُيوخَ الحربيَّة[٨] . وكان من [بنى] غُبَر[٩] [من] صميمهم . وكان له بُنَيٌّ يتبعه ، فكان يزنِّى أمَّه عند[١٠] كلِّ حقٍّ وباطل ، وعِنْدَ كلِّ جِدٍّ وهَزْل . قلت له يوماً — ونحن

---

(١) فى القاموس : « خشنام : علم ، معرب خوش نام ، أى الطيب الاسم » .

(٢) الغالية : فرقة من فرق الشيعة الخمس ، وهى الزيدية والكيسانية والإمامية والغلاة والإسماعيلية . والغالية ، أو الغلاة : هم الذين غلوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الإلهية ، فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالإله ، وربما شبهوا الإله بالخلق . الملل والنحل ١ : ١٩٥ ، ٢ : ١٠ .

(٣) انظر الاستدراكات فى نهاية هذا الجزء .

(٤) الكساح : الكناس . والمكسحة : المكنسة . والكساحة ، بالضم : الكناسة

(٥) ط ، ل : « عصى » . والوجه كتابته بالألف كما فى س .

(٦) الاحتراف ، من الحرفة بمعنى الفقر . انظر المعارف ١٩٧ . وفى ط ، س : « احتراقا » .

(٧) أى يلعب بالحمام ويقامر به .

(٨) الحربية : محلة كبيرة ببغداد ، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخى . انظر ص ٥٨ .

(٩) غبر ، كزفر : قبيلة من يشكر ، كما فى تاج العروس . وفى ط ، س « غير » وتصحيحه من ل .

(١٠) ل : « فى » . يزنيها : يقذفها بالزنى .

عند بنى رِبْعِىّ : وَيْحَكَ ، بأىِّ شىءٍ تستحلُّ أنْ تقذِفَ أُمَّه بالزِّنا ؟ فقال :
لو كانَ علىَّ فى ذلك حَرَجٌ لما قذَفْتهَا ! قلت : فلِمَ تزوَّجتَ امرأةً ليس
فى قذْفِها حرج ؟ قال : إنِّى قد احتَلتُ حِيلةً حتَّى حلَّ لى من أجلها ما كان
يحرم . قلت : وما تلك الحيلة ؟ قال : أنا رجلٌ حديدٌ ، وهذا غلامٌ عارم ،
وقد كنت[1] طلَّقت أمَّه فكنتُ إذا افتريتُ عليها[2] أثمت، فقلت فى نفسى:
إن أرَغتُها[3] وخدَعتُها حتَّى أنيكَها مَرَّةً واحدةً حلّ لى بعدَ ذلك افترائى
عليها[2] ، بل لا يكونُ قولى حينئذٍ فِرْية ، وعلِمتُ أنَّ زَنْيَةً واحدةً لا تَعْدِل
عشرة[4] آلافِ فِرْية . فأنا اليَوْمَ أصدُقُ ولستُ أكْذِب . والصَّادِقُ مأجور.
إنِّى واللهِ ما أشكُّ أَنَّ الله إذا علم أنِّى لم أزْنِ بها تلك المرَّة[5] إلاّ مِن خوف الإثم ٧
إذا قذفتها[6] — أنَّهُ سيجعَلُ[7] تلك الزَّنيةَ له طاعة[8] فقلت : أنتَ الآن على
[يقين] أنّ زناكَ طاعةٌ لله تعالى ؟ قال : نعم .

---

(١) ل : « قد » .
(٢) ل : « عليه »، والمعنى يصح بكلتا العبارتين .
(٣) أرغتها : أردتها وطلبتها أو خادعتها . وفى ط : « أعبث بها » وفى س : « أعبثها »، وهما تحريف ما أثبت من ل .
(٤) فى الأصل : « عشر » . والألف مذكر .
(٥) س : « المرأة » ، وتصح بتكلف .
(٦) ل : « قذفته » ، ويصح المعنى بالعبارتين .
(٧) ل : « فتجعل لى »، وهو تحريف .
(٨) ط ، س : « طاعة لله » ، وهو تحريف ما فى ل .

(حجة الشيخ الإباضى فى كراهية الشيعة)

قال الشَّيخُ الإباضى [وقد ذهب عنى اسمُه وكنيتُه] وهو خَتَن أبى بكر ابن بَرِيرة[١] - وجرى يوماً [شئ من] ذِكرِ التشيُّع والشِّيعة ، فأنكر ذلك واشتدَّ غضبُه عليهم ، فتوهَّمْتُ أنَّ ذلك إنَّما اعتراه للإباضيّة التى فيه ، [وقلت][٢] : وما علىَّ إن سألته ؟ فإنَّه يُقال : إنَّ السائل لا يعْدمُه أنْ يسمَعَ فى الجواب حُجَّةً أو حِيلةً [أو مُلحة][٣] - فقلتُ : وما أنكَرت من التشيُّع و [من ذكر] الشِّيعة ؟ قال : أنكرتُ منه مكان الشِّين التى فى أوّل الكلمة ؛ لأنِّى لم أجد الشِّين فى أوَّل كلمةٍ قَطُّ إلاَّ وهى مسخوطة[٤] مثل : شؤم ، وشرٍّ ، وشيطان ، وشغب ، وشحّ[٥] ، وشمال ، وشجَن[٦] ، وشيب ، وشين[٧] ، وشراسة ، وشَنَج[٨] ، وشَكّ ، وشوكة ، وشَبث ، وشرك ، وشارب[٩] ، وشطير ، وشطور ، وشِعرة[١٠] وشانى[١١] ، وشتْم ،

---

(١) ط ، س : « برة » ، وأثبت ما فى ل . انظر ص ٩ س ٩ .
(٢) زيادة يفتقر إليها الكلام .
(٣) الزيادة من ل ، س .
(٤) ل : « إلا مسخوطة » .
(٥) كذا فى س ، ط . وفى ل : « وشيخ » .
(٦) ط « شجرة » ، وهو تحريف ما أثبت من س . وفى ل : « وشخت » .
(٧) بدل هاتين الكلمتين فى س ، « وشيب وشتيت » وفى ل : « وشتيت وشيب » .
(٨) الشنج ، بالتحريك : تقبض الجلد . وبدله فى ل : « وشح » .
(٩) فى ل مكان الكلمات الأربع : « وشوك وشازب وشارد » . وفى ط أعيدت كلمة « شوكة » بين « شبث » و « شرك » . الشبث ، محركة : العنكبوت ، أو دويبة كثيرة الأرجل . والشازب ، التى وردت فى ل ، هو الخشن ، أو الضامر اليابس .
(١٠) كذا فى ل . ويراد بها شعر العانة . وفى ط ، س : « شعر » محرفة .
(١١) الشانى ، مخفف الشانئ : المبغض العدو . وفى ط : « شنانى » . وفى ل « شابستى » وأثبت ما فى س . وقد جاء اللفظان معا فى عيون الأخبار ٢ : ٥٦ .

وشتيم[١] ، وشِيطَرْج[٢] ، وشنعة ، وشَناعة ؛ وشأمة[٣] ، وشوصة ، وشتر وشجوب[٤] وشَجَّة ، وشَطُون ، وشاطن[٥] ، وشنّ[٦] ، وشلَل ، وشِيص[٧] وشاطر ، وشاطرة[٨] ، وشاحب .

قلت [له] : ما سمعتُ متكلِّمًا قطُّ يقول هذا ولا يبلُغه ، ولا يقومُ لهؤلاء القَوم قائمةٌ بعد هذا[٩] !

---

(١) الشتيم : الكريه الوجه .

(٢) الشيطرج : نبت يوجد بالقبور الخراب ، ورائحته ثقيلة حادة ، وطعمه إلى مرارة . وفى س ، ط : « شطرنج » ، وهو تحريف مافى ل .

(٣) زيادة هذه الكلمة من ل ، س . والشأمة والمشأمة ، من الشؤم ، ضد اليمنة والميمنة ، من اليمن .

(٤) الشوصة ، بالفتح وقد يضم : وجع فى البطن ، أو ريح تعتقب فى الأضلاع ، أو ورم فى حجابها . والشتر ، بالفتح : القطع ، أو انقلاب الجفن من أعلى وأسفل وانشقاقه ، أو استرخاء أسفله . وهاتان الكلمتان موضعهما فى ل بعد كلمة : « شاطرة » .

(٥) الشطون : البعيدة . والشاطن : الخبيث .

(٦) الشن ، بالفتح : القربة الخلق الصغيرة .

(٧) الشيص ، بالكسر : أردأ التمر ، ووجع الضرس أو البطن .

(٨) الشاطر : الذى أعيا أهله ومؤدبه خبثا ، وقد يراد بها اللص . وفى ل : « وشاطر وشطارة » . والشطارة : مصدر شطر : صار شاطراً .

(٩) هذا الخبر الذى ساقه الجاحظ – حديثا بينه وبين الشيخ الإباضى – تجده فى العقد ١ : ٣٥٤ قد ساقه الجاحظ أيضا حديثا بين رجل من رؤساء التجار وشيخ شرس الأخلاق كان راكبا مع التاجر فى سفينة . ولست أدرى من أى كتب الجاحظ نقل صاحب العقد هذا الخبر على ذلك الوجه . كما أننا نجد هذا الخبر فى عيون الأخبار ٢ : ٥٦ مصدرا بعبارة : « قال عمرو بن بحر : ذكر لى ذاكر عن شيخ من الإباضية » .

(حيلة أبى كعب القاص)

قال : وتعشّى أبو كعبٍ القاصُّ بطفشيل[١] كثير اللّوبِيا ، وأكثَر مِنه ، وشرِب نبيذَ تمر ، وغلّس إلى بعض المساجد ليقصَّ على أهله ، إذ[٢] انفتل الإمامُ من الصلاة فصادف زحامًا كثيرًا ، ومسْجِدًا مَستورًا بالبَوارىِّ[٣] من البَرْدِ والرِّيح والمَطر ، وإذا محرابٌ غائرٌ فى الحائط ، وإذا الإمامُ شيخٌ ضعيف ؛ فلمّا صلّى استدْبرَ المحرابَ وجلسَ فى زاويةٍ منه يسبِّح ، وقام أبو كعبٍ فَجَعل ظهْرَه إلى وجه الإمام وَوجهه إلى وُجوه القوم[٤] ، وطبّق وجه المحراب بجِسمه وفَروتِه وعمامته وكسائِه ، ولم يكن بين فقحته وبين أنف الإمامِ كبيرُ شىء ، وقصّ وتحرَّك بطنُه ، فأرَاد أنْ يتفرَّج بفَسوةٍ وخاف أنْ تصير ضراطا[٥] ، فقال فى قَصصه : قولوا جميعاً : لا إلٰه إلاَّ الله ! وارفَعوا بها أصواتكم : وَفسا فَسوةً فى المحراب فدارت فيه وجَثَمت[٦] على أنف الشيخ واحتَملها ، ثمَّ كدَّه بطنُه فاحتاج إلى أخرى فقال : قولوا : لا إله إلاَّ الله ! وَارفعوا بها أصواتكم . فأَرسل فَسوةً أخرى فلم تُخْطِئْ أنْفَ الشيخ ،

(١) الطفشيل ، ضبطه بعضهم بكسر الطاء والشين ، وصاحب القاموس جعله (طفيشل) وزان سميدع ، وقال : إنه نوع من المرق . أما صاحب كتاب الطبيخ فقد جعل الطفشيل ضربا من التنوريات ، أى الأطعمة التى تنضج فى التنور . وجاء فى منهاج الدكان ٢٢٠ : « طفشيل : كل طعام يعمل من القطانى ، أعنى الحبوب ، كالعدس والجلبان ، وما أشبه ذلك » . وانظر الحيوان ٥ : ٢٢٦ .

(٢) فى الأصل : « إذا » .

(٣) البوارى : الحصر المنسوجة .

(٤) ل : « الناس » .

(٥) ل : « ضرطة » . وفى س : « ينفرج » بدل : « يتفرج » .

(٦) جثمت : لزمت مكانها . وفى ط : « جشمت » ، والوجه مافى ل ، س .

واختَنقَتْ[١] فى المحراب . فخمَّر الشَّيخُ أنفَه[٢] ، فصار لا يدرى ما يصنع . إنْ هو تنفَّس قتلَتْه الرائحة ، وإنْ هو لم يتنفَّس مات كَرْبا . فما زَالَ يُدارِى ذلك ، وأبو كعب يقصُّ ، فلم يلبَثْ أبو كعبٍ أن احتاجَ إلى أخرى . وكلما طالَ لُبْثُه تولَّد فى بَطْنِه من النَّفخ على حَسَب ذلك . فقال : قولوا جميعاً : لا إلٰه إلا الله ! وارفَعوا بها أصواتكم . فقال الشيخ مِنَ المحراب ـ [وأطْلَعَ رأسَه وقال] ـ : لا تقولوا ! لا تقولوا ! قد قَتلنى ! إنَّما يريد أن يفسوَ ! ثم جذب إليه ثوبَ أبى كعبٍ وقال : جئت إلى ها هنا لتفسوَ[٣] أو تقصّ ؟ فقال : جئنا لنقص[٤] ، فإذا نزلت بليَّةٌ فلا بدَّ لنا ولكم من الصَّبر ! فضحك الناسُ ، واختَلَط المجلس . ٨

(جواب أبى كعب القاصّ)

وأبو كعبٍ هذا هو الذى كان يقصُّ فى مسجد عتَّابٍ كلَّ أرْبعا[٥] فاحتبَسَ عليهم فى بعض الأيَّام وطال انتظارُهم له . فبينما هُمْ كذلك إذ جاء رسوله فقال : يقول لكم أبو كعب : انصرفوا ؛ فإنِّى قد أصبحتْ [اليوم] مخموراً !

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « اختفت » .
(٢) خمر أنفه : غطاه .
(٣) ل : « تفسو » .
(٤) ل : « نقص » .
(٥) هو مقصور : « أربعاء » .

(علة عبد العزيز)

وأمّا علة عبدِ العزيز بشكست فإنَّ عبدَ العزيز كان له مالٌ ، وكان إذا جاءَ وقتُ الزَّكاة وجاء القَوّادُ بغلامٍ مؤاجَر[١] ، قال : يا غلام ألك أمٌّ ؟ ألك[٢] خالات ؟ فيقول الغلام : نعم . فيقول : خُذْ هذه العشرة الدراهم — أو خُذْ هذه الدّنانير — مِن زكاةِ مالى ، فادفَعْها إليهنَّ ، وإنْ شئتَ أن تُبْركنى[٣] بعد ذلك على جهة المكارمة ، [فافعل] ، وإنْ شئتَ أنْ تنْصَرِف فانصرف . فيقول ذلك وهو واثقٌ أنَّ الغُلامَ لا يمنَعُه بعد أخْذ الدراهم ، وهو يعلم أنه لن[٤] يبلغ مِن صلاحِ طباع المؤاجَرين أن يؤدُّوا الأمانات . فَغَبر[٥] بذلك ثلاثين سنة وليس له زكاةٌ إلاّ عند أمّهات المؤاجَرين وأخَوَاتهم وخالاتهم .

---

(١) لفظة عباسية ، يقصد بها من يستأجره اللاطة . انظر كنايات الجرجانى ص ١٢٠ س ١١ وأخبار أبى نواس لابن منظور ٩ ، ١٧ .
(٢) يقال أبركه : جعله يبرك . وقد كنى بقوله . وفى ط « تلزمنى » وأثبت . مافى س ، ل .
(٣) ل : « لم » .
(٤) ط : « فعبر » وليست من كلام الجاحظ . وأثبت مافى ل ، س ، وغبر . بمعنى بقى وظل .

(احتجاج طيِّب كوفى للتسمية بمحمد)

وحدثنى محمَّد بن عبَّاد بن كاسب قال : قال لى الفضل بن مروان[١] شيخ من طِيَاب[٢] الكوفيِّين وأغْبيَائهم[٣] : إنْ وُلِدَ لك مائَةُ ذكرٍ فسمهم كلَّهم محمداً ، [وكنِّهم بمحمد] ؛ فإنّك سترى فيهم البركة . أوَ تَدْرى لأىِّ شىءٍ كثر مالى ؟ قلت : لا والله ما أدرى . قال : إنَّما كثر مالى لأنِّى سمَّيتُ نَفْسى فيما بينى وبَيْنَ اللهِ محمداً ! وإذا كان اسمى عندَ الله محمداً فما أُبالى ما قال الناس !

(جواب أحمد بن رياح الجوهرى)

وشبه هذا الحديث قول المرْوَزى[٤] : قلت : لأحمد بن رياح الجوهرى اشتَريتَ كساءً أبيضَ طبَريًّا بِأَربعمِائَةِ درهم ، وهو عند الناس — فيما ترى عيونُهم قُومَسىٌّ[٥] يساوى مائَةَ درهمٍ ؛ قال : إذا علم الله أنَّه طبرىٌّ فما علىَّ ممَّا قال الناس ؟ !

---

(١) ل : « مرزوق » .

(٢) الطياب : جمع طيب ، مثل جيد وجياد ، والطيب : الفكه المزاج . انظر البيان ٣ : ١١٥ ، ١٥٢ وسيبويه ٢ : ٢١١ . و ماسبق فى ص ٦ ، ٧ .

(٣) ط ، س : « وأغنيائهم » واعتمدت ما فى ل . انظر ص ٦ س ٧ .

(٤) ل : « المرزوق » .

(٥) قومسى : نسبة إلى قومس ، بضم القاف وفتح الميم : كما فى القاموس . أو بضم القاف وكسر الميم كما فى المعجم . وهى صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل .

(احتجاجُ حارسٍ يكنى أبا خزيمة)

وكان عندنا حارسٌ يكنى أبا خَزيمة ، فقلت يوماً — وقد خطَر على بالى — : كيفَ اكتنَى هذا العِلْجُ الأَلْكَنُ بأبى[1] خزيمة ؟ ثمّ رأيُته فقلت له : خبِّرنى عنك ، أكان أبوك يسمَّى خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فجدُّك أو عمك أو خالك ؟ قال : لا . قلت : فلك ابنُ يسمَّى خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فكان لك مولًى يسمى خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فكان فى قريتِك رجلٌ صالح أو فقيهٌ يسمى خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فلِمَ اكتنيت بأبى[1] خزيمة ، وأنتَ عِلجٌ أَلْكَن ، وأنتَ فقيرٌ ، وأنت حارس ؟ قال : هكذا اشتهيت . قلت : فلأَىِّ شىءٍ اشتَهيتَ هذه الكنيةَ من بينِ جميع الكنى ؟ قال : ما يُدرينى . قلتُ : فتَبيعُها السَّاعَة بدينارٍ ، وتَكتَنِىَ بأىِّ كنيةٍ شئت ؟ قال : لا وَاللهِ ، ولا بالدُّنْيا[2] وما فيها !

(جواب الزيادىّ)

٩ وحدثنى مَسْعَدةُ بن طارق ، قلت للزيادِىِّ — ومررتُ به وهو جالسٌ فى يوم غمِق[3] حارٍّ ومِدٍ[4] ، على باب داره فى شروع نهر

---

(١) ط ، س : « أبا » ، والمعروف فى « اكتنى » أن يتعدى بالباء كما فى اللسان . وأما الذى يتعدى بنفسه أو بالباء فهو « كنيته وكنوته وأكنيته وكنيته » .

(٢) ط : « بالدينار » وتصحيحه من ل ، س .

(٣) يوم غمق ، كفرح ، ذوندى وثقل ، أو لريحه خمة وفساد. وفى ط ، س : « يوم غيم » . والوجه ما أثبت من ل ، وهو الموافق لكلمة « ومد » الآتية .

(٤) اليوم الومد : ذو الومد بالتحريك ، وهو الندى يجئ فى صميم الحر من قبل البحر .

الجُوبار[١] بأَردية[٢] ، وإذا ذلك البحر يبخر فى أنفه[٣] — قال : فقلت له بعتَ دارك وحظَّكَ مِن دارِ جدِّك زيادِ بن أبى سفيان ، وتركتَ مجلِسَك فى ساباط غَيث[٤] ، وإشرافَك على رَحبة بنى هاشم ، ومجلسَك فى الأبواب التى تلى رَحبة بنى سليم ، وجلستَ على هذا النَّهر فى مثل هذا اليوم ، ورضِيت بِهِ جارا ؟ قال. نلتُ أُطولَ آمالى فى قرب هؤلاء [البَزّازين]. قلت له : لوكنت بقُرْبِ المقابر فقلت نزلت[٥] هذا الموضع للاتِّعاظ به والاعتبار كان ذلك وجهاً . ولو كنتَ بقُرْب الحدَّادين فقلت لأتَذَكَّرَ بهذه النِّيران والكِيران[٦] نار جهنَّم ، كان ذلك قولا . ولو كنت اشتريت داراً بقرب العطَّارين فاعتَلَلت بطَلَبِ[٧] رائحةِ الطِّيب كان ذلك وجهاً

---

(١) الجوبار : بضم الجيم : محلة بأصبهان . قال ياقوت : « جو بالفارسية النهر الصغير ؛ وبار كأنه مسيله . فمعناه على هذا مسيل النهر الصغير » قال صاحب الألفاظ الفارسية المعربة : « وهو مركب من جوى أى سيل ، ومن بار ، وهى من الأدوات التى تدل على الكثرة » . وفى ط ، س « الحونان » ، وتصحيحه من ل ومعجم البلدان .

(٢) كذا . وهذه الكلمة ليست فى ل . ولعل الوجه حذفها .

(٣) ط : « ينجر » ، وهو تحريف ما أثبت من ل ، س . وكلمة « البحر » هى فى ل : « النهر » .

(٤) الساباط : السقيفة بين دارين تحتها طريق نافذ . ياقوت والقاموس . قال صاحب الألفاظ الفارسية : « مأخوذة من سايه بوش ، ومعناها المظلة » . وكلمة « غيث » هى فى ط ، س : « عيث » .

(٥) ل : « تركت » ، وهو تحريف ماأثبت من ط ، س .

(٦) جمع كير : وهو الزق ينفخ فيه الحداد .

(٧) كذا فى ط . وفى س ، ل : « بطيب » .

فأمَّا قُرْبُ البَزَّازِين[1] فقط فهذا ما لا أعرفه . أفلَكَ فيهم دارُ غَلَّةٍ ، أو هلْ لك عليهم دُيُونٌ حالَّةٌ ، أو هلْ لك فيهم أو عِندَهم غِلمانٌ يؤدُّون الضَّريبة ، أو هلْ لكَ معَهم شِرْكة مُضارَبةٍ ؟ قال : لا . قلت : فما ترجو إذًا من قربهم[2] [فلم يكن عنده إلاّ : نلت آمالى[3] بقُرب البزّازين] .

(حكاية ثمامة عن ممرور)

وحدثنى ثمامة بن أشْرس قال : كان رجلٌ ممرور يقوم كلَّ يومٍ فيأتى دالِيةَ لقوم ، ولا يزالُ يَمْشى مع رجال الدالية على ذلك الجذع[4] ذاهباً وجائياً ، فى شدَّة الحرِّ والبرد . حتَّى إذا أمسى نزل إليهم وتوضَّأ وصلَّى ، وقال : اللَّهُمَّ اجعلْ لنا مِنْ هذا فَرجاً ومَخْرجاً ! ثمَّ انصرف إلى بيته . فكان كذلك حتَّى مات .

(بين أعمى وقائده)

وحدَّثنى المكِّىّ قال : كان رجلٌ يقود أعْمَى بِكراءٍ[5] ، وكان الأعمى ربَّما عَثَرَ العَثْرَة ونُكِبَ النَّكبة ، فيقول : اللَّهمَّ أبْدِل

---

(١) البزاز : بائع البز بفتح البـاء ، وهو الثياب ، أو متاع البيت من الثياب . والبزار : بياع بزر الكتان ، أى زيته بلغة البغاددة . وفى ط : « البزارين » وأثبت مافى س ، ل .

(٢) ل : « قرب البزازين » .

(٣) فى الأصل ، وهو هنا ل : « قنت إمالى » ، وجهه ما أثبت .

(٤) ط « الجزع » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الكراء : الأجرة .

لى[1] بِه قائداً خيراً منه ! قال : فقال القائد : اللَّهُمَّ أَبْدِلْ لى[1] بهِ أعمَى خيراً لى منه .

(حماقة ممرور)

وحدثنى يزيدُ مولى إسحاقَ بن عيسى قال : كُنَّا فى منزل صاحب لنا ، إذْ خرج واحدٌ من جماعتنا ليَقِيلَ فى البيت الآخر[2] ، فلم يلبث إلّا ساعةً حتى سمِعناه يَصيح : أَوْهِ[3] أوه ! قال : فنهَضْنا بأجمعنا إليه فَزِعين ، فقلنا له : مالك ؟ وإذا هو نائم على شقِّهِ الأيسر ، وهو قَابضٌ على خصيته بيده[4] فقلت له : لم صحت ؟ قال : إذا غمزت خُصْيَتِى اشتكيتها ، وإذا اشتكيتُها صحت . قال : فقلنا له : لاتَغْمِزْها بعدُ حتى لاتشتكى ! قال : نعم إن شاء الله تعالى .

(حماقة مولاة عيسى بن على)

قال يزيد : وكانت لعيسى بن علىٍّ مَولاةٌ عجوزٌ خُرَاسانيةٌ تصرُخ بالليل من ضَرَبان ضرس لها ، فكانت قد أرَّقت الأميرَ إسحاق ، فقلت له : إنَّها مع ذلك لاتَدَع أكْلَ التمر ! قال : فبعث إليها بالغداة فقال لها : أتأكلين التَّمر بالنَّهار وتَصِيحينَ باللَّيل ؟ فقالت : إذا اشتهيتُ أكلت وإذا أوجعَنى صِحت !

---

(١) فى عيون الأخبار ٢ : ٤٨ حيث يوجد الخبر : « أبدلنى » .

(٢) قال يقيل : نام فى القائلة ، وهى منتصف النهار . فى س : « فى بيت الآخر » .

(٣) كلمة تقال عند التوجع والألم . وفيها ثلاث عشرة لغة ذكرها الفيروزبادى .

(٤) ل : « بيديه » .

(حكاية ثمامة عن ممرور)

١٠ وحدثنى ثمامةُ قال : مَررتُ فى غبّ مطرٍ والأرضُ نَدِيَّة ، والسَّماءُ متغيِّمة ، والرِّيح شَمالٌ ، وإذا شَيخٌ أصْفَرُ كأنَّه جَرادَة ، وقدْ جلسَ على قارعة الطَّريق ، وحَجّامٌ زِنجىٌّ يَحْجُمُهُ ، وقد وضع على كاهِله وأخْدَعَيه مَحاجِم ، كل مِحْجَمةٍ كأنَّها قَعْب ، وقدْ مَصَّ دَمَهَ حتَّى كادَ أنْ يَستَفْرِغَه. قال : فوقَفتُ عليه فقلت : ياشيخُ لِمَ تَحْتَجِم فى هذا البرد[1] ؟ قال لمكانِ هذا الصُّفار[2] الذى بى .

(صنيع ممرور)

وحدثنى ثمامة قال : حدَّثَنى سعيد بن مسلم[3] قال : كُنا بخُراسانَ فى منزل بعض الدَّهاقين ونحن شَبابٌ ، وفينا شيخ . قال : فأتانا رَبُّ المنزل بدُهن طيبٍ فدَهَنَ بعضُنا رأسَه ، وبعضنا لحيته ، وبعضُنا مَسَح

---

(١) الزيادة من العقد ٤ : ٢٠٣ حيث يوجد الخبر .

(٢) الصفار ، بالضم : الماء الأصفر يجتمع فى البطن ، أو دود فيها . كذا فى القاموس وقد عبر عنه صاحب مفاتيح العلوم ص ٩٨ بكلمتى « اليرقان والأرقان » وقال : « هما صفار ، وهو أن تصفر عينا الإنسان ولونه بامتلاء مرارته ، واختلاط المرة الصفراء بدمه » . وانظر هذا الخبر فى عيون الأخبار ٢ : ٥٢ .

(٣) كذا فى ط ، ل . وفى س : « سلم » . وهذا الحديث الآتى تجده أيضا فى عيون الأخبار ٢ : ٥٦ مع اختلاف يسير .

شاربه ، وبعضُنا مَسَح يديه وأمَرَّهما على وجهه ، وبعضُنا أخَذَ بطَرَف إصبعه فأدخَلَ فى أنفه ومَسَح به شاربَه . فعَمَد[١] الشيخُ إلى بقيَّةِ الدُّهن فصبَّها فى أذنه ، فقلنا له : ويحك ، خالفت أصحابكَ كُلَّهم ! هل رأيْتَ أحداً إذا أتَوْهُ بِدُهن طِيبٍ صبَّه[٢] فى أذنه ؟ قال : فإنَّه مع هذا يضرُّنى[٣] ؟

(أمْر عيصٍ ، سيّد بنى تميم)

وحدَّثنى مَسْعَدَةُ بنُ طارقٍ [الذَّرَّاع][٤] قال : واللهِ إنَّا لَوُقوفٌ على حدودِ دار فلان للقِسمة ، ونحنُ فى خصومةٍ ، إذْ أقْبَلَ [عِيصٌ][٥] سيِّدُ بنى تميمٍ وموسرهم[٦] والذى يصلِّى على جنائزهم . فلمَّا رأيناهُ مقبِلاً إلينا أمسَكْنا عن الكلام ، فأقبل علينا فقال : حدِّثونى عن هذه الدَّار ، هَلْ ضمَّ منها بعضها إلى بعض أحد[٧] ؟ ! قال مسعدة : فأنا مُنْذُ سنين[٨]

---

(١) عمد : قصد . وفى ط ، س : « وتعمد » ، ولا تصح هذه الكلمة مع وجود « إلى » ، وصوابها فى ل .

(٢) ل : « فصبه » وهو تحريف مافى ط ، س .

(٣) ط ، س . « فأنها مع ذلك تضرنى » ولها وجه ، أى فان تلك الفعلة ، وقد أثبت مافى ل .

(٤) عنى بكلمة : « الذراع » من يذرع الأرض ، أى يقيسها .

(٥) الزيادة من العقد (٤ : ٢٠٣)

(٦) موسرهم : غنيهم . وفى ط « مؤسرهم » محرفة .

(٧) كذا فى ل ، س . وفى ط : « أحدنا » وبهذه يخف انبهام الكلام ، مع ان الغاية من الحديث بيان شدة انبهام حديث التميمى . وكلمة « بعضها » هى فى ل : « بعض » . وفى العقد : « هل ضم بعضها إلى بعض أحد » .

(٨) ل : « منذ ستين سنة » . ومثل ذلك فى العقد .

أفكِّرُ في كلامه ما أدرى ماعَنَى به . [قال : وقال لى مرّة : مامن شر من ذين ! قلت : ولم ذاك ؟ قال : من جرا يتعلقون] .

وحدّثني الخليلُ بنُ يحيى السَّلُوليُّ قال : نازَع التميميُّ بعضَ بني عمِّه في حائطٍ ، فبَعَث إلينا لنَشهد على شَهادتهِ[١] ، فأتاه جماعةٌ منهم[٢] الحميريُّ والزهريُّ ، والزِّياديُّ ، والبكراوى . فلمّا صِرْنا إليه وقفَ بنا على الحائط وقال : أُشهِدُكم جميعاً أنَّ نِصفَ هذا الحائط لى !

(جواب ممرور)

قال : وقدِم ابنُ عمٍّ له إلى عمر بن حبيب ، وادَّعى عليه ألفَ دِرهم فقال ابنُ عمِّه : ما أعرِفُ ممَّا قالَ قليلاً ولا كثيراً ، ولا له علىّ شىء ! قال : أصلحك الله تعالى ! فاكتُبْ بإنكاره . قال : فقال عمر : الإنكار لايفوتك[٣] ، متى أردْتَه فهو بَينَ يديك !

(أمنية أبى عتَّاب الجرَّار)

قال : وقلت لأبى عتّاب الجرّار[٤] : ألا تَرَى عبدَ العزيزِ الغَزَّال وما يتكلَّمُ به فى قَصَصه؟قال : وأىُّ شىء[٥] قاله؟ [قلت]:[٦] قال : ليتَ الله تعالى

---

(١) ل : « ليشهدنا على شهادة » .

(٢) ل : « فيهم » .

(٣) ل : « ليس يفوتك منه » .

(٤) فى الأصل : « لابن عتاب » ، وكنية الرجل « أبو عتاب » كما فى البيان (٢ : ٣١٨) وعيون الأخبار ٢ : ٤٨ والعقد ٤ : ١٩٧ . و « الجرار » هى كذلك فى ط ، س ، وفى ل: « الخزان » وفى البيان : « الجزار » . واسمه إبراهيم بن جامع كما فى الحيوان ٥ : ١٦٧.

(٥) فى الأصل : « قلته » .

(٦) زيادة يحتاج إليها الكلام .

لم يَكُن خلقَنى وأنا السَّاعةَ أعور ! قالَ أبو عتّاب[1] : [وقد قصَّرَ فى القول، وأساءَ فى التمنى . ولـكنّى أقول] : ليتَ الله تعالى لم يكُنْ خلقنى وأنا الساعة أعمى مقطُوعُ اليدين والرجلين !

(تعزية طريفة لأبى عتَّاب الجرار)

ودخل أبو عتّاب على عمرو[2] بن هدّاب وقد كُفَّ بَصرُه، والناس يُعزُّونهُ ، فمَثَلَ بينَ يديه، وكان كالجمل المحجُوم[3] ، [و] له صوتٌ جهير ، فقال : ياأبا أسيد، لايسوءنّك[4] ذهابُهما ، فلو رأيتَ ثوابَهما فى ميزانِك تمنّيتَ أنّ الله تعالى قد قَطَع يديك ورجليك ، ودَقَّ ظَهْرَك ، وأدْمى ضِلْعَكَ![5] .

(داود بن المعتمر و بعض النساء)

وبينا داودُ بن المعْتَمر الصُّبَيرىّ جالسٌ معى ، إذ مرت به امرأةٌ جميلة لها قَوَامٌ وحُسْن ، وعينان عجيبتان ، وعليها ثيابٌ بيض ، فنهَضَ دَاودُ ١١

(١) ط : « ابن عقاب » س : « ابن عتاب » وصـوابه من ل . وانظر التنبيه ٤ من الصفحة السابقة .

(٢) ل ، ط : « عمر » ، وأثبت ما فى س وعيون الأخبار والبيان ٢ : ١٠٣ وكتاب البغال ٢٦٣ .

(٣) الجمل المحجوم : الذى وضع على فه الحجام - ككتاب - لئلا يعض ؛ فصوته أقوى صوت . وجاء فى حديث ابن عمر - وذكر أباه - : « كان يصيح الصيحة يكاد من سمعها يصعق ، كالبعير المحجوم » . فى ط : ل : « الحجوم » . وتصحيحه من س .

(٤) ط ، س : « يسؤك » وهى صحيحة . وأثبت مافى ل وعيون الأخبار (٢ : ٤٨) .

(٥) ط ، س : « ظلمعك » وفى ل : « ظلفك » . والظلف ، أصله للبقرة والشاة والظبى بمنزلة القدم من الناس ، ولا يصح معه المعنى إلا بعسر . والوجه ما أثبت من الحيوان ٥ : ١٦٨ .

فلم أشُكَّ أنّه قام ليَتْبَعها ، فبعثْتُ غلامى ليَعرف ذلك ، فلمّا رجع قلت له: قد علمت [أنّك][1] إنما قُمتَ لتكلِّمها ؛ فليس ينفعُكَ إلّا الصِّدق ، ولا ينْجِيك منِّى الجُحود ، وإنما غايتى أنْ أعرف كيفَ ابتَدأتَ القول[2] ، وأىَّ شيءٍ قلتَ لها — وعلمت أنّه سيأتى بآبدة . وكان مليًّا بالأوابد[3] — قال : ابتدأتُ القول[4] بأنْ قلتُ [لها] : لولا ما رأيتُ عليكِ[5] من سيماء الخيْر لمْ أتبَعْك . قال : فضَحِكتْ حتى استنَدَتْ إلى الحائط ، ثمَّ قالت : إنما يَمْنَع مِثلَكَ مِن اتِّباعِ مِثلى والطَّمَع فيها[6] ، ما يَرَى من سِيماء الخير فأمَّا إذْ قد صار سيماءُ الخير هو الذى يُطمِعُ فى النِّساء فإنا لِلهِ وإنا إليه راجعون !

وتبع داودُ بنُ المعتمر امرأة[7] ، فلم يزلْ يُطريها[8] حتى أجابت ، ودَلَّها على المنزل الذى يمكنها[9] فيه مايريد ، فتقدمت الفاجرةُ وعرض له

---

(١) الزيادة من س فقط .

(٢) ط ، س: « ابتدئت القول » ، وتصحيحه من ل .

(٣) ط ، س : « مليا » وفى ل : « مليئا » . قال ابن منظور : « الملىء بالهمز : الثقة الغنى . وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء » . فالروايتان صحيحتان . والأوابد : جمع آبدة ، وهى الكلمة أو الفعلة الغريبة .

(٤) ط : ، س : « ابتدئت » ، وتصحيحه من ل .

(٥) ط ، س : « لولا ماعليك » ل : « لولا مارأيت » وفى عيون الأخبار (٢ : ٥١) : « لولا مارأيت عليك » وقد أثبت مافيها جامعا بين الروايتين .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فيه » . وكلاهما صحيح .

(٧) ل : « واحدة » .

(٨) يطريها : يبالغ فى الثناء عليها ، وهن يغترن بذلك . وفى ط : « يطربها » . وليس بشىء . وفى ل : « يطردها » من طرد الصيد . وقد أثبت ما فى س .

(٩) ل : « يمكنه » وهما سيان .

رجلٌ فشغَلَهُ ، وجاء إلى المنزل وقد قضى القَوْمُ حوائجَهُمْ وأخَذَتْ حاجتها ، فلم تنتظره[1] . فلما أتاهُمْ ولم يرَها قالَ : أين هى ؟ قالوا : واللهِ قد فرَغْنا وذَهَبت ! قال : فأىَّ طريقٍ أخَذَتْ ؟ قالوا : [لا] والله ماندرى ؟ قال : فإنْ عَدَوْتُ فى إثْرِها حتَّى أقُومَ على مجامع الطرُق[2] أتُرَوْنى ألحقها ؟ قالوا : [لا] واللهِ ماتَلحقها ! قال : فقد فاتَتِ الآنَ ؟ قالوا : نعم . قال : فعسى أن يكون خيراً ! فلم أسمَعْ قطُّ بإنسانٍ يشكُّ أنّ السَّلامة من الذنوب خير [غيره][3] .

(قول أبى لقمان الممرور فى الجزء الذى لايتجزَّأ)

وسأل بعضُ أصحابنا أبا لُقمان الممرور عن الجزء الذى لايتجزَّأ : ماهو؟ قال : الجزء الذى لايتجزأ هو علىُّ بن أبى طالب عليه السلام . فقال له أبو العيناء محمد[4] :

---

(١) ل : « وأبت أن تنتظره » .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فى جامع الطريق » محرفة .

(٣) الزيادة من س . وبدونها يصح القول أيضا ويجزل كما فى ط . وفى ل : « فلم أسمع قط بأن إنسانا مسلما شك فى أن السلامة من الذنوب خير من غيرها » .

(٤) أبو العيناء هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان الهاشمى بالولاء ، مولى أبى جعفر المنصور . ولد بالأهواز ونشأ بالبصرة ، وسمع من أبى عبيدة والأصمعى وأبى زيد والعتبى . وكان فصيحا ظريفا لسنا . دخل على المتوكل فى قصره المعروف بالجعفرى فقال له : ماتقول فى دارنا هذه ؟ قال : إن الناس بنوا الدور فى الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا فى دارك ! ولقيه بعض الكتاب فى السحر فقال متعجبا منه ومن بكوره : ياأبا عبد الله ، أتبكر فى مثل هذا الوقت ؟ فقال له : أتشاركنى فى الفعل وتنفرد بالتعجب ؟ ! . فقد أبو العيناء بصره بعد الأربعين . وسبب تلقيبه بأبى العيناء مذكور فى وفيات الأعيان . ولد سنة ١٩١ وتوفى سنة ٢٨٢ . انظر نكت الهميان ٢٦٥ .

أفليس فى الأرض جزءٌ لايتجزأ غيرُه ؟ قال: بلى حَمزةُ جزءٌ لايتجزَّأ، وجَعْفَرٌ جزءٌ لايتجزأ ! قال فما تقول فى العباس؟ قال: جزء لايتجزأ . قال : فما تقول فى أبى بكر وعمر؟ قال: أبو بكر يتجزأ، وعمر يتجزأ . قال: فما تقول فى عثمان؟ قال: يتجزَّأ مَرَّتين ، والزُّبير يتجزَّأ مرَّتين . قال : فأىَّ شىءٍ تقولُ فىمعاوية؟ قال : لايتجزأ [ولا لايتجزأ] .

فقد فكرنا فى تأويل أبى لقمان حين جعل الإمام(١) جزْءًا لايتجزأ(٢) إلى أىِّ شىءٍ ذهب ، فلم نقع عليه إلاّ أن يكون كان أبو لقمان إذا سمعَ المتكلِّمين يذكرون الُجزْءَ الذى لايتجزَّأ ، هاله ذلك وكبُر فى صدره ، وتوهَّمَ أنَّه البابُ الأكبرُ مِن عِلمِ الفلسفة ، وأن الشىءَ إذا عظُم خَطَرُه سموه بالجزء الذى لايتجزأ .

وقد تسخَّفْنا فى هذه الأحاديث ، واستجزْنا ذلك بما تقدَّم من العُذر وسنَذْكر قَبْلَ ذِكرِنا [القول] فى الحمام جملاً من غُرَرٍ ونَوَادِرَ وأشْعَارٍ ونُتفٍ وفقَرٍ مِن قصائِدَ قصار وشوارِدَ وأبياتٍ ، لنُعطِىَ قارىءُ الكِتاب من كلِّ نوعٍ تذْهَبُ إليه النُّفوسُ نصيباً إن شاء الله .

---

(١) المراد بالإمام : على بن أبى طالب . وفى ط ، س : « الأنام » بمعنى الخلق ، وأثبت ما فى ل .

(٢) كذا فى س ، ل . وفى ط : « أجزاء لاتتجزء » فيكون صواب ما فى ط : « جعل الأنام أجزاء لاتتجزأ » والمراد بالجزء الذى لايتجزأ ، أن الأجسام تنحل إلى أجزاء صغار لايمكن ألبتة أن يكون لها جزء . وهذا هو مذهب جمهور المتكلمين وأما الفلاسفة فيرون أن كل جزء فإنه ينقسم إلى أصغر منه ، وهكذا إلى غير نهاية . وقد تبعهم فى ذلك النظام وبعض المعتزلة ، فنفى الجزء الذى لايتجزأ . انظر الفصل ٥ : ٩٢ — ١٠٨ والفرق ص ١٢٣ . وقد صنف جعفر ابن حرب المعتزلى كتابا فى تكفير النظام بإبطاله الجزء الذى لايتجزأ . الفرق ١١٥ .

(٣) الزيادة من س .

(تناسب الألفاظ مع الأغراض)

ولكلِّ ضربٍ من الحديث ضَرْبٌ من اللفظ ، ولكلِّ نوعٍ مِن المعانى ١٢ نوعٌ من الأسماء : فالسَّخيفُ للسخيف ، والخفيفُ للخفيف[1] ، والجزلُ للجَزل ، والإفصاحُ فى مَوضع الإفصاح ، والكِناية فى موضع الكناية ، والاسترسال فى موضع الاسترسال .

وإذا[2] كان مَوْضِعُ الحديثِ على أنّهُ مُضْحِكٌ ومُلْهٍ[3] ، وداخِلٌ فى باب المزَاح والطِّيب[4] ، فاستَعْمَلْتَ فيه الإعراب ، انقَلَبَ عن جِهَتِه . وإنْ كان فى لفظه سُخْف وأبْدَلْتَ السَّخافَة بالجَزالة ، صارَ الحديثُ الذى وَضِع على أنْ يسُرَّ النُّفوسَ يُكْرِبُها ، ويَأْخُذُ بِأَكظامها[5] .

---

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « وإن » . وأثبت ما فى ل .

(٣) ط ، س : « وملهى » ، والصواب ما أثبت من ل .

(٤) الطيب بمعنى الهزل والفكاهة . وفى ل : « المزح الطيب » . وأثبت ما فى ط ، س . وانظر التنبيه الأول من ص ٦ .

(٥) الأكظام : جمع كظم ، بالتحريك ، وهو مخرج النفس . والكلام فى استعمال الإعراب عند الفكاهة وسرد النوادر سبق للجاحظ مثله فى الجزء الأول ص ٢٨٢ .

(الوقار المتكلف)

وبعضُ النَّاسِ إذا انتهى إلى ذِكْرِ الحِرِ والأَيرِ والنَّيك ارتَدَع وأظهرَ التقَزُّز (١) ، واستعْمَل بابَ التَّوَرُّع . وأكثَرُ مَنْ تجده كذلك فإنَّما هو رجلٌ ليس مَعَه من العَفافِ والكَرَم ، والنُّبْل والوَقار ، إلَّا بقَدْر هذا الشَّكل من التَّصنع . ولم يُكْشَفْ قطُّ صاحِبُ رياءٍ ونِفاقٍ ، إلّا عن لؤمٍ مُسْتَعْمَل ، ونذالةٍ متمكِّنة .

(تسمُّح بعض الأئمة فى ذكر ألفاظ)

وقد كان لهم فى عبدِ الله بن عباسٍ مَقْنَع ، حينَ سَمِعه بعضُ الناس (٢) يُنشد فى المسجد الحرام (٣) :

وهُنَّ يَمشِينَ بنا هَمِيسَا إنْ تَصْدُقِ الطَّيرُ نَنِكْ لميسَا (٤)

---

(١) التقزز : التباعد من الدنس . وفى ط ، س : « التعزز » بمعنى التكبر والتشدد ، كما فى اللسان ، وأثبت ما فى ل .

(٢) هو أبو العالية ، كما فى عيون الأخبار ١ : ٣٢١ .

(٣) فى العقد ٣ : ١٢٢ أنه كان يرتجز فى الطريق بالبيت الآتى فى طريقه إلى مكة . وفى العمدة ١ : ١١ أن ابن عباس سئل : هل الشعر من رفث القول ؟ فأنشد البيت وقال : « إنما الرفث عند النساء » ثم أحرم للصلاة . وليس فى الخبر عنده ذكر المسجد الحرام أو مكة . والبيت ليس لابن عباس بل تمثل به كما فى اللسان (همس) .

(٤) الهميس : المشى الخفى الحس . لميس : اسم امرأة .

فقيل له فى ذلك ، فقال : إنَّما الرَّفَثُ ما كان عند النساء .

وقال الضَّحَّاك : لو كان ذلك القولُ رَفَثاً لـكان قطْعُ لسانِه أحبَّ إليه مِنْ أن يَقُولَ هُجْرا[1] .

قال شَبِيبُ بن يزيد الشيبانى[2] ، لَيْلَةَ بَيَّتَ[3] عتَّابَ بنَ ورَقاء[4] :

* مَنْ يَنِكِ الْعَيْرَ يَنِكْ نَيَّاكَا *

وقال علىُّ بنُ أبى طالبٍ ــ رضى الله عنه ــ حينَ دخَلَ على بعض الأمراء فقال له : مَن فى هذه البيوت ؟ فلما قيل له : عقائلُ من عقائل

---

(١) الكلام من مبدإ « وقال الضحاك » : كان فى الأصل متأخرا عن مكانه ، بعد نهاية خبر شبيب الآتى . وقد رددته إلى موضعه الطبيعى . والضحاك هـذا هو الضحاك بن عبد الله الهلالى ، وهو أحد من انضم إلى عبد الله بن عباس فى خروجه على على بن أبى طالب . انظر تفصيل هذا فى العقد ٣ : ١٢٠ - ١٢٢ .

(٢) هو شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجى ، كان مع صالح بن مسرح رأس الصفرية . خرج شبيب بالموصل ، وبعث إليه الحجاج خمسة قواد فقتلهم واحدا بعد واحد . وفى إحدى حروبه نفر به فرسه على نهر دجيـل - دجيل الأهواز لادجيـل بغداد - فغرق فيه وكانت تشترك معه زوجه غزالة وكذا أمه جهيزة فى مقاومة الحجاج . ولما دخل هو وزوجه غزالة على الحجاج فى الكوفة ، تحصن منها وأغلق عليه قصره ، فكتب إليه عمران بن حطان - وقد كان الحجاج لج فى طلبه - :

أسـد على وفى الحروب نعامة ... ربداء تجفل من صفير الصافر !
هلا برزت إلى غزالة فى الوغى ... بل كان قلبك فى جناحى طائر !

ولد شبيب سنة ٢٦ وتوفى سنة ٧٧ . انظر المعارف ١٨٠ ، ووفيات الأعيان ، والأغانى ١٦ : ١٤٩ ، ٢١ : ٨ .

(٣) ط ، س : « ليلة فى بيت » ل : « ليلة بيته » ، والصواب ماأثبت من المعارف ١٨٢ . وبيت العدو : أوقع به ليلا .

(٤) عتاب بن ورقاء ، كان يكنى أبا ورقاء ، وكان من أجواد العرب ، ولى عدة ولايات ، وقاد عدة جيوش .

(٥) يضرب مثلا لمن يغالب الغلاب . وأصل المثل فى أمثـال الميدانى ٢ : ٢٣٢ - ٢٣٣ . وقد سبق فى الجزء الثانى ص ٢٥٦ .

العرب ، قال عليٌّ : « مَنْ يَطُلْ أَيْرُ أَبِيهِ يَنْتَطق به[1] » .

فعَلَى عليٍّ رضى الله تعالى عنه — يعوَّل[2] فى تنزيه اللفظ وتشريف المعانى[3] .

وقال أبو بكر — رضى الله عنه — حين قال بُدَيل بنُ ورقاء[4] للنبىّ صلى الله عليه وسلم : جئتَنا بعجرائك وسودانك ، ولو قد مَسَّ هؤلاء وخْزُ[5] السِّلاحِ لَقَدْ أَسْلَمُوك ! فقال أبو بكر — رضى الله عنه — : عَضِضْتَ ببَظْر اللَّات !

---

(١) قال الميدانى فى الأمثال ٢ : ٢٢٨ : « يريد من كثر إخوته اشتد ظهره وعزه بهم » . وانظر رسائل الجاحظ ٢ : ٩٢ بتحقيقنا .

(٢) ط ، س : « يقدم » وتصحيحه من ل .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل . وكلمة « تشريف » هى فى ط ، س : « شرف » وأثبت ما فى ل .

(٤) بديل بن ورقاء : صحابى ، ترجم له ابن حجر فى الإصابة ١ : ١٤٦ وكان من الرجال البارزين فى يوم الفتح وبعده . انظر سيرة ابن هشام . والمعروف فى كتب السيرة نسبة مثل الكلمة الآتية إلى عروة بن مسعود الثقفى . جاء فى سيرة ابن هشام ، عند الكلام فى أمر الحديبية : « فخرج – يعنى – عروة بن مسعود الثقفى – حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يامحمد ! أجمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ؟ ! إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمور ، يعاهدون الله لاتدخلها عليهم عنوة أبدا ! وايم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا . قال : وأبو بكر الصديق خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ، فقال : امصص بظر اللات ! أنحن ننكشف عنه ؟ ! قال : من هذا يامحمد ؟ قال : هذا ابن أبى قحافة . قال : أما والله لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها ، ولكن هذه بها ! » . وقد نقل هذا الكلام عنه ابن سيد الناس ٢ : ١١٦ وكذلك ابن كثير فى البداية والنهاية . وانظر رسائل الجاحظ ٢ : ٩٣ .

(٥) الوخز : الطعن الخفيف الضعيف . وفى ل : « حر » .

وقد رووْا مرفوعاً قوله : « مَنْ يُعْذِرُنى من [ابن] أمّ سباع[1] مُقَطِّعَة البُظور ؟ » .

(لـكلِّ مقام مقال)

ولو كان ذلك الموضعُ موضعَ كناية هى المستعملة . وبعد فلو لم يكن لهذه الألفاظِ مواضعُ استعملها أهلُ هذه اللُّغة وكان الرأىُ ألَّا يُلفَظَ بها ، لم يَكُنْ لأوَّل كونها معنًى إلّا على وجه الخطإ ، ولـكان فى الحزْم والصَّوْنِ لهذه اللُّغة أنْ تَرْفَعَ هذه الأسماء منها .

وقد أصاب كلَّ الصَّوابِ الذى قال : « لِـكُلِّ مَقَامٍ مَقال[2] » .

(صورٌ من الوقار المتـكلِّف)

ولقد دخل علينا فتًى حَدَثٌ كان قَدْ وقَعَ إلى أصحاب عبد الواحد ابن زيد[3] ونحنُ عند مُوسى بن عِمْران ، فدارَ الحديثُ إلى أن قال الفتى : ١٣ أفطرتُ البارحةَ على رغيفٍ وزيتونة [ونصف ، أو زيتونَة وثلث ، أو زيتونَة وثُلُثَى زيتونة ، أو ما أشبه ذلك . بل أقول : أكلت زيتونَة] ، وما علم الله من

(١) يقال : أعذره منه : أمكنه « وتروى مثل هذه الـكلمة منسوبة إلى حمزة بن عبد المطلب . انظر مفاخرة الجوارى والغلمان وسيرة ابن هشام ٥٦٣ — ٥٦٤ جوتنجن وتاريخ الطبرى القسم الأول ص ١٤٠٥ . وسباع هذا هو ابن عبد العزى الغبشانى . وفى س : « سياع » مصحفة . وقد قتله حمزة بن عبد المطلب يوم أحد . السيرة ٦١١ وكانت أمه ختانة بمكة . السيرة ٥٦٣ .

(٢) انظر المثل فى كتاب الميدانى (٢ : ١٣٢) .

(٣) عبد الواحد بن زيد البصرى الزاهد ، كان شيخا للصوفية ، وكان من أهل الحديث ، =

أخرى[١] ، فقال موسى : إنّ مِن الورع ما يُبغِضه الله ، علِمَ الله ؛ وأظُنُّ ورَعَكَ هذا من ذلك الورع .

وكان العُتْبى[٢] ربّما قال : فقال لى المأمون كذا وكذا ، حينَ صارَ النَّجْمُ على قِمَّة الرأس ، أو حينَ جازَنِى[٣] شيئاً ، أو قبل[٤] أن يوازىَ[٥] هامتى . هكذا هو عندى ، وفى أغلَبِ ظنّى ، وأكرَهُ أنْ أجزِمَ على شىء وهُوَ كما قلت إن شاء الله تعالى ، وقريباً ممّا نقلت . فيتوقف فى الوقتِ الذى ليسَ من الحديث فى شىء . وذلك الحديث إن كان مَعَ طلوعِ الشمسِ لم يَزِدْه ذلك خيراً ، وإن كان مَعَ غرُوبها لم ينقُصه ذلك شيئاً . هذا ولعلَّ الحديثَ فى نفسه لم يكُنْ قطُّ ولم يَصلْ هو فى تلك الليلة ألبتّة . وهو مع ذلك زعم أنّه دخَل على أصحابِ الكَهف فعرَف عَدَدَهم ، وكانت عليهم ثيابٌ سَبَنيّة[٦] وكلبهم مُمَعَّط الجلد. وقد قال الله عزّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وسلم : ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ .

= قال حصين بن القاسم : لو قسم حديث عبد الواحد على أهل البصرة لوسعهم . ولكنه كان متهما فى حفظه ، كثير الوهم . لسان الميزان (٤ : ٨٠) . وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست ٢٦٠ مصر ١٨٣ ليبسك ، ضمن العباد والزهاد . وانظر خبرين من أخبار أصحابه فى البيان (٣ : ١٧١ ، ٢٨٦) .

(١) أى من ريتونة أخرى . وهذه الكلمة هى فى ط : « أمرى » محرفة صوابها فى س ، ل .

(٢) العتبى هو محمد بن عبد الله . سبقت ترجمته فى الجزء الأول ص ٥٤ . وفى ل : « القيني » محرفة ، صوابها فى س ، ط .

(٣) ط : « جازبى » ، والوجه ماأثبت من ل ، س .

(٤) ل : « قبيل » .

(٥) ط : « يوارى » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٦) ثياب سبنية : نسبة إلى سبن ، بالتحريك ، وهو موضع لم يعينه ياقوت . =

(بعض نوادر الشعر)

وسنذكرُ من نوادرِ الشِّعر جملةً ، فإن نشطت لحفظِها فاحفَظها ؛ فإنَّها من أشعار المذاكرة . قال الثَّقفى[1] :

مَنْ كَانَ ذَا عَضُدٍ يُدرِكْ ظُلَامَتَهُ
إنِ الذَّليلَ الَّذِى لَيْسَت لَهُ عضُد

تَنْبُو يَدَاهُ إِذَا مَا قــلَّ نَاصِرُهُ ويَأنف الضَّيمَ إنْ أثْرى لَهُ عَدَدُ[2]

وقال أبو قيس بن الأسلت[3] :

= والفيروزبادى جعله قرية ببغداد . وأما صفة الثياب فقد اختلف اللغويون فيها ، فن قائل إنها القسية ، أى الثياب صنعت من كتان مخلوط بحرير . ومن قائل إنها ضرب من الثياب يتخذ من مشاقة الكتان أغلظ مايكون . وهذا المعنى الأخير هو المناسب للكلام . وهذه الكلمة هى فى ط ، س : « الششنية » تحريف ماأثبت من ل .

(١) الثقفى هذا ، هو الأجرد الثقفى كما فى الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٧١٢ . وهو من الشعراء الذين وفدوا على عبد الملك بن مروان . والبيتان الآتيان رواهما الجاحظ فى البيان ١ : ٦٧ ، ٣ : ٢٢٥ وكذا ابن قتيبة فى عيون الأخبار ٣ : ٢ .

(٢) ط : « وتأنف » وتصحيحه من ل ، س : والبيان وعيون الأخبار . وأثرى عدده : كثر عدد قبيله أو أنصاره .

(٣) أبو قيس ، قال صاحب الأغانى ١٥ : ١٥٤ : لم يقع إلى اسمه . والأسلت لقب أبيه ، واسمه عامر بن جشم ، ينتهى نسبه إلى الأوس . وأبو قيس شاعر من شعراء الجاهلية . قال هشام بن الكلبى : كانت الأوس قد أسندوا أمرهم فى يوم بعاث إلى أبى قيس بن الأسلت ، فقام فى حربهم وآثرها على كل أمر حتى شحب وتغير ، ولبث أشهرا لايقرب امرأته . ثم إنه جاء ليلة فدق على امرأته ففتحت له ، فأهوى إليها بيده فدفعته وأنكرته ، فقال : أنا أبو قيس ! فقالت : والله ماعرفتك حتى تكلمت ! فقال فى ذلك أبو قيس ، القصيدة التى أولها : =

بزُّ امرئٍ[1] مُسْتَبْسِلٍ حَاذرٍ[2] للدَّهر ، جِلْدٍ غيرِ مِجْزَاعِ
الكَيْسُ[3] والقُوَّةُ خيرٌ مِنْ الـ إشْفَاقِ[4] والفهةِ والهَاعِ[5]

وقال عَبْدَةُ بنُ الطَّبيب :

رَبٌّ حَبَانَا بأمْوَالٍ مُخَوَّلةٍ وكلُّ شيءٍ حَبَاهُ اللهُ تَخويلُ
والمرءُ ساعٍ لأمر لَيْسَ يُدْرِكه والعيْشُ شُحٌّ وإشْفَاقٌ وَتأمِيلُ

وكان عمرُ بنُ الخطَّاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ يردِّد هذا النصف الآخرَ ، ويَعجَبُ مِنْ جَودَةِ ماقسَم[6] .

= قالت ولم تقصد لقيل الخنا مهلا فقد أبلغت أسماعى
استنكرت لوناً له شاحباً والحرب غول ذات أوجاع

قلت : والقصيدة من المفضليات ص ٢٨٤ ومنها البيتان المذكوران . وأما ابن حجر فى الإصابة (٩٣٥ من باب الكنى) فقال : « مختلف فى اسمه : فقيل صيفى ، وقيل الحارث ، وقيل عبد الله ، وقيل صرمة . واختلف فى إسلامه » . وانظر الخزانة ٣ : ٣٧٥ – ٣٧٨ .

(١) البز : السلاح ومثلها البزة . وجاءت الرواية فى ط ، س : « إنى امرؤ » وأثبت رواية ل . وهى الموافقة لما فى المفضليات .

(٢) الحاذر : المتأهب الشاكى السلاح ، وجاء مثل هذا فى قول القائل :

وَبِزَّةٍ فَوْقَ كَمِيٍّ حاذِرٍ وَنَثْرَةٍ سَلَبْتُها عَن عامِرٍ

وجاء فى ط : « حازر » بالزاى ، وهو تحريف صوابه فى س ، ل ، والمفضليات .

(٣) رواية المفضليات : « الحزم » .

(٤) رواية المفضليات : « الإدهان » . والإدهان : اللين . والإشفاق : الخوف .

(٥) الفهة : العى . وجاء فى ط ، س : « القمية » وهى إن صحت فى اللغة كان معناها الذلة . وقد أثبت رواية ل . ورواية المفضليات : « الفكة » والفكة : استرخاء الرأى . والهاع : سوء الحرص مع الضعف . وهذه هى رواية ل ، والمفضليات . وفى ط ، س : « العاع » وجاء فى اللسان والقاموس: عيع بالتشديد ، بمعنى عىّ . ولم ترد فيهما لفظة « العاع » .

(٦) انظر العقد ٣ : ٣٨٧ والبيان ١ : ٢٤٠ – ٢٤١ والصناعتين ٣٣١ .

وقال المتلمِّس :

وأَعْلَمُ عِلْمَ حَقٍّ غَـيْرَ ظَنٍّ وتَقْوَى اللهِ مِنْ خيرِ العَتَاد

لَحِفْظُ المَـال أيسر من بُغاهُ[1] وضربٍ فى البِلادِ بِغَيْرِ زَادِ

وإصْلَاحُ القَليلِ يزيدُ فيه ولا يَبْقَى الـكثيرُ مَعَ الفَسادِ ١٤

وقَال آخر :

وحِفْظُكَ[2] مَالًا قَدْ عُنيتَ بجمعهِ

أَشَدُّ من الجمْع[3] الذى أَنت طالبُه

وقال حُميد بن ثَور الهِلالىّ :

أتشْغَلُ عنَّا يَابْنَ[4] عمٍّ فلن[5] ترى

أخا[6] البخل إلَّا[7] سوف يعتلُّ بالشغل

وقال ابن أحمر :

هذا الثناء وأَجْدِرْ أَنْ أصاحبه وقد يدوِّم رِيقَ الطامِعِ الأملُ[8]

(١) يقال : بغى الشيء يبغيه بغاء وبغى وبغية ، بضمهن . وماأثبت هو مافى س . وفى ل : « خير من بغاة » ، وهى رواية البحترى فى حماسته ص ٣٤٣ . وفى ط : « أيسر من فناه » وهذه رواية العقد ٢ : ٤١ . وفناه : فناؤه ، وقصر لضرورة الشعر ، ومثل هذه الرواية فى المغنى رواية البغدادى فى الخزانة ٣ : ٧٢ :

* لحفظ المال خير من ضياع *

وقد خصص البحترى الباب الثلاثين والمائة لما قيل فى إصلاح المال وحفظه .

(٢) الرواية فى س : « حفظك » بخرم البيت .

(٣) ط ، س : « المال » والوجه ماأثبت من ل ، والبخلاء ١٤٢ . قال الجاحظ : « وقد قضوا بأن حفظ المال أشد من جمعه » وأنشد البيت .

(٤) ل : « بابن » ولعل الوجه ماأثبت من ط ، س . وهو الأشبه بقول الشعراء .

(٥) ط ، ل : « فلا » .

(٦) ط ، س : « من » ، والوجه ماأثبت من ل .

(٧) ط : « لا » وتصحيحه من س ، ل . وفى ط ، س : « سوف تعتل » وتصحيحه من ل .

(٨) « الثناء » جاءت فى ط ، س : « الشقاء » وهو تحريف صوابه من ل =

وقال ابن مقبل :

هَلِ الدَّهرُ إلَّا تَارَتَانِ ، فمِنهما
أموت وأُخْرَى أبْتَغِى العَيْشَ أكْدَحُ[١]
وكلتاهما قد خُطَّ لى فى صحيفة
فلا المَوْتُ أهْوَى لى ولا العيش أروحُ[٢]

وقال عمرو بن هند :

وإن الذى ينْهاكمُ عن طلابِها يُناغى نِساءَ الحىِّ فى طُرَّةِ البُردِ[٣]
يُعَلَّلُ والأيَّامُ تنقُصُ عُمْرَه[٤]
كما تنقصُ[٥] النِّيران[٦] من طرف الزَّند

= والبيان ١ : ١٨٠ واللسان (مادة دوم) . وجاء فى س : « فأجدر » . وكلمة « أصاحبه » هى فى الأصل « صاحبه » محرفة ، وتصحيحها من البيان واللسان . قال ابن برى فى هذا البيت : « يقول : هذا ثنائى على النعمان بن بشير ، وأجدر أن أصاحبه ولا أفارقه . وأملى له يبقى ثنائى عليه ، ويدوم ريق فى فى بالثناء عليه » .

(١) الرواية المشهورة فى البيت : « وما الدهر » . انظر ديوان ابن مقبل ٢٤ و الكامل ٥٣٨ ليبسك وحماسة البحترى ١٨٣ وكتاب سيبويه ١ : ٣٧٦ . واستشهد به المبرد وسيبويه على حذف الاسم لدلالة الصفة عليه . وتقدير الكلام : فمنهما تارة أموت فيها .

(٢) هذا البيت من ل . وروى فى حماسة البحترى : « فلا الموت أهواه » وما هنا أوفق .

(٣) طرة الشعر والثوب : طرفه .

(٤) ط ، س : « نعلل والأيام تنقص عمرنا » ، وأثبت ما فى ل ، والبيان ٣ : ٣٤ وما سيأتى فى ص ٤٧٩ .

(٥) ش : « تنقض » وله وجه . س : « قنقض » وليس بشىء .

(٦) ط : « الأيام » وهو تحريف ما أثبت من س ، ل ، والبيان .

وقال أُمَيَّة — إن كانَ قالها (١) — :

رُبَّما تَجْزَعُ النُّفُوس مِنَ الأَمْـ ... ـرِ لهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ العِقَال

(شعر فى الغزل)

وقال آخر (٢) :

رَمَتْنِي وَسِتْرُ اللهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... عَشِيَّةَ آرَام الكِناسِ رَمِيمُ (٣)

ألاَ رُبَّ يومٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمَيْتُهَا ... ولكِنَّ عَهْدِي بالنِّضَالِ قديمُ (٤)

رَمِيمُ الَّتِي قالتْ لجَارَات بَيْتِهَا ... ضَمِنْتُ لَكُمْ أَنْ لاَيَزَالُ يَهِيمُ (٥)

وقال آخر :

لم أَعْطُهَا بِيَدِي إِذْ بِتُّ أَرْشُفُهَا ... إلاَّ تطاوُلَ غُصْنُ الجيدِ للجِيدِ (٦)

---

(١) ل : « قاله » . وانظر اللسان (فرج) .

(٢) هو أبو حية النميرى كما فى الكامل ١٩ ليبسك والحماسة (٢ : ١١٠) . وانظر البيان ١ : ٦٨ و ٣ : ٣٢٤ .

(٣) يقول : رمتنى بطرفها . وعنى بستر الله ، الإسلام ، أو الشيب . وآرام الكناس ، روى فيها : « بأحجار الكناس » وهو اسم موضع . انظر الكامل واللسان (كنس) . ورواية الحماسة : « ونحن بأكناف الحجاز » . ورميم هى خليلته .

(٤) قال المبرد فى شرح هذا البيت : « لوكنت شابا لرميت كما رميت ، وفتنت كما فتنت ، ولكن قد تطاول عهدى بالشباب ! » .

(٥) هذا البيت ساقط من ل . ويصح فى « أن » أن تكون ناصبة أو مخففة من الثقيلة يرفع بعدها الفعل .

(٦) فى اللسان : عطا الشىء يعطوه : إذا أخذه وتناوله .

كما تَطَاعَمَ فى خَضْرَاءَ نَاعِمَـةٍ   مطوَّقَانِ أصَاخَا بعـد تغريدِ (١)

فإنْ سَمعتَ بهلْكٍ للبَخيلِ فقُلْ   بُعداً وسُحْقاً له مِنْ هَالكٍ مُودِى

(شعر فى الحِكَم)

وقال أبو الأسود الدؤلىّ (٢) :

المرءُ يَسْـعَى ثمَّ يُدْرِكُ مَجْـدُهُ   حَتَّى يُزَيَّنَ بالَّذِى لم يَفعـلِ (٣)

١٥ وتَرَى الشقىَّ إذا تكامَلَ غَيُّه (٤)   يُرْمى ويقْذَفُ بالَّذِى لم يَعْمَـلِ

[وقال دريد :

رئيسُ حروب لا يزال ربيئـةً   مشيحٌ على محقوقف الصُّلب مُلْبَدِ (٥)

صَبور على رزء المصائب حافظٌ   من اليوم أعقاب الأحاديث فى غدِ (٦)

وهَوَّن وجدى أننى لم أقـلْ له   كذَبتَ ولم أبخَلْ بما ملكتْ يدى]

---

(١) خضراء ، عنى بها شجرة أو أيكة . والناعمة : الخضراء الناضرة . نعم العود : اخضر ونضر . والمطوقان : حمامتان مطوقتان . وتطاعمهما : أن يدخل الذكر فمه فى فم أنثاه . وفى ط ، ل : « مطوقات أصاخت » ، والوجه ما أثبت من ل ، واللسان (طعم) .

(٢) الدؤلى : نسبة إلى الدئل بضم الدال وكسر الهمزة ، وهو أبو قبيلة من الهون ابن خزيمة . يقال فى النسبة إليه دؤلى ودولىّ بفتح عينهما ، وديلى بكسر الدال ، ودئلى بكسرتين . وجاء فى س « الديلى » . وأبو الأسود هو ظالم بن عمرو ابن جندل بن سفيان بن كنانة . كان عاقلا ، حازما ، بخيلا . وهو أول من وضع العربية . وكان شاعرا مجيدا ، وشهد صفين مع على ، وولى البصرة لابن عباس ومات بها – وقد أسن – سنة تسع وستين .

(٣) مجده فاعل يدرك ، أى يتكامل مجده ويتم . من أدرك الثمر .

(٤) ل : « عيبه » .

(٥) يقال احقوقف ظهر البعير والفرس : إذا طال واعوج ، وعنى بالمحقوقف فرسه . الملبد : الفرس قد شد عليه اللبد .

(٦) الرواية فى الحماسة : « قليل التشكى للمصيبات حافظ » . والأبيات من قصيدة يرثى بها دريد أخاه عبد الله بن الصمة ، روى بعضها أبو تمام فى الحماسة (١ : ٣٣٦ – ٣٤٠) .

وقال سعيدُ بن عبد الرحمن[(١)] :

وإنَّ آمراً يُمسى ويُصْبِحُ سَالِماً مِنَ النَّاس إلاَّ ما جَنَى لَسَعِيدُ[(٢)]

(شعر فى الزهد)

وقال أكثمُ بنُ صيفىّ :

نُربِّى ويَهْلِكُ آباؤنَا وبَيْنَا نُربِّى بَنِينَا فَنِينَا

وقَال بعضُ المحدَثين :

فالآنَ أَسْمحْتُ للخطوبِ فَلاَ يُلْفَى فُؤادِى مِنْ حَادِثٍ يَجِبُ[(٣)]

قَلَّبنى الدَّهرُ فى قوالبه وكُلُّ شىءٍ ليومِه سَبَبُ

وقال آخر[(٤)] :

لِدُوا للموْتِ وابْنُوا للخَرَابِ فَكُلُّكُمُ يَصِيرُ إلى ذَهاب[(٥)]

ألاَ ياموتُ لم أَرَ مِنْكَ بُدًّا أَبَيتَ فما تَحِيفُ ولا تُحَابى[(٦)]

كأنَّكَ قَدْ هجمت على مَشيبى كما هَجَمَ المشيب عَلَى شبابى[(٧)]

---

(١) هذا مافى ل ، ومثله فى الحيوان ١ : ٢٤ ونهاية الجزء الثانى من البيان . وفى س ، ط : « وقال آخر » . وجاء فى عيون الأخبار (٢ : ١٢) : « وقال حسان : قلت شعراً لم أقل مثله » . وأنشد البيت .

(٢) إلا ماجنى ، يريد إلا جزاء ماجنى . وجاءت هذه الكلمة فى س : « عنى » وفى ط : « جنا » وهما تحريف ما أثبت من ل والبيان وعيون الأخبار .

(٣) أسمح للخطوب : لان وانقاد ، وهو عبارة عن التحمل والصبر . ووجب القلب وجبا ووجيبا ووجباناً : خفق .

(٤) هو أبو نواس ، والأبيات من ثلاثة عشر بيتاً فى ديوانه ص ٢٠٠ . ونسبت فى الأغانى ٣ : ١٥٥ إلى أبى العتاهية . وهى فى ديوان أبى العتاهية أيضا ص ٢٣ — ٢٤ .

(٥) الرواية فى ط ، س : « وكلكم يصير إلى التراب » وأثبت ما فى ل والديوان ، وهو الموافق لما فى محاضرات الراغب (٢ : ٢٢٤) .

(٦) حاف يحيف : جار وظلم . وفى ط ، س « تخيف » وهو تصحيف مافى ل . وفى الديوان : « قسوت فما تكف وما تحابى » .

(٧) ط والديوان : « على الشباب » وفى الديوان أيضاً : « هجمت على حياتى » .

وقال آخر [١] :

يانفس خوضى بحارَ العِلْمِ أوغوصى ... فالنَّاس مِنْ بَيْنِ مَعْموم ٍ ومَخْصوص ِ [٢]

لاشىء فى هـذه الدنيا يُحاط به ... إلاَّ إحَاطَـةَ مَنقوص بمنقـوص ِ

(شعر فى التشبيه)

وأنشدنا للأحيمر [٣] :

بأقَبَّ منْطَلِقِ اللَّبـانِ كأنَّه ... سِيد تَنَصَّل من حُجور سَعالى [٤]

وقال الآخر [٥] :

أراقب [٦] لمحاً من سهيلٍ كأنَّه ... إذَا مابَدَامِنْ دُجْية اللَّيل يطرفُ [٧]

وقالوا [٨] قال خلفٌ الأحمر : لم أَرَ أجمَعَ مِن بيتٍ لأمرئ القيس ، وهو قوله :

---

(١) ط ، س : « وقال منهم آخر » والوجه حذف « منهم » كما فى ل . وجاء فى أدب الدنيا والدين ص ٢١ ، « وأنشد الرشيد عن المهدى بيتين وقال : أظنهما له » ثم روى البيتين .

(٢) ط : « بين مغموم » وصوابه فى س ، ل وأدب الدنيا والدين .

(٣) ط ، س « وأنشد الأحيمر » وما أثبت من ل .

(٤) الأقب : الضامر البطن ، عنى به فرسا . اللبان ، بالفتح : الصدر ، وأراد بانطلاق اللبان انبساطه واستواءه . وفى الأصل : « منطلق اللسان » بمعنى زلق فصيح وليس يكون ذلك . والسيد ، بالكسر : الذئب . تنصل من حجور السعالى : خرج منها . والسعلاة — فيما يزعم العرب — : الغول . يقول : كأنه ذئب خبيث فهو سريع العدو . جاء فى ل : « تنصل فى » .

(٥) هو جران العود . والبيت من قصيدة مثبتة فى ديوانه ١٣ — ٢٤ .

(٦) هذا مافى ل والبيان (٣ : ٤٠) وهو صواب الرواية . وفى ط ، س « يراقب »

(٧) الرواية فى الديوان ص ١٤ وكذا فى ل : « من آخر الليل » . والدجية ، بالضم : الظلمة وجمعها دجى . ويطرف : أى كما تطرف العين .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من ل .

أفادَ وجَادَ وسَـاد وزَادَ وقاد وذاد وعادَ وأفضـل[1]

ولاَ أجمعَ مِنْ قوله[2] :

لهُ أَيْطَلاَ ظَبْيٍ وسَاقَا نَعَامَةٍ وإرخاءُ سِرْحَانٍ وتَقْرِيبُ تَتْفُل

وقالوا : ولم نر[3] فى التشبيه كقوله ، حينَ شبَّه شيئين بشيئين فى حالَتين مختلفين فى بيتٍ واحدٍ ، وهو قوله :

١٦

كأنَّ قلوبَ الطَّـيرِ رَطْباً ويَابساً لدَى وكْرِهَا العُنَّابُ وَالحَشَفُ البَالِي

(قطعة من أشعار النساء)

وسنذكرُ قِطعة من أشعارِ النساء . قالتْ أعرابيَّة[4] :

رَأَتْ نِضْوَ أَسْفارٍ أُميمَةُ شاحباً على نِضْوِ أسفارٍ فجنَّ جُنُونها

فقالتْ : مِنَ أىِّ الناس أنتَ ، ومَنْ تَـكُنْ

فإنَّكَ مَـوْلى فِرْقَـةٍ لا تَزِينُها

---

(١) كذا فى ل ومثله عند العكبرى ٢ : ٧٢ . وجاء فى ط ، س :

أفاد وجاد وساد وقاد وعاد وزاد وزاد وأفضل

وقد جرى على طريقة امرئ القيس أبو العميثل الأعرابى فقال :

اصدق وعف وبر واصبر واحتمل واصفح ودار وكاف وابذل واشجع

ثم المتنبى فى قوله :

أقل أنل اقطع احمل علّ سلّ أعد زد هشّ بشّ تفضل ادنسرّ صل

انظر الوساطة ٢٥٣ والعكبرى .

(٢) كذا فى ل وفى ط ، س : : « وقالوا : وقال خلف الأحمر : لم أر أجمع من بيت امرئ القيس » .

(٣) س : « يرى » .

(٤) كذا . والشعر كما ترى ، ينطق بأن قائله رجل .

(٥) الفرقة ، بالكسر : الجماعة . ط ، س : « وقرينها » صوابه فى ل ونقد الشعر ٧٣ واللسان (ضحا ٢١٢) حيث أنشد خمسة أبيات .

وقالت امرأةٌ من خثعم :

فإنْ تسألونى مَنْ أُحِبُّ فإنَّنِى
أُحِبُّ ، وبَيتِ الله ، كَعْبَ بْنَ طارقِ

أحبُّ الفتى الجَعْدَ السَّلولِيَّ ناضلا[١] على النَّاس مُعتاداً لضَرْبِ المَفارقِ

وقالت أخرى :

وما أحسَنَ الدُّنيا وفى الدَّارِ خالدٌ وأَقبَحَها لَمَّا تجَهــزَ غادِيا

وقالت أُمُّ فَروة[٢] الغطَفانيَّة :

فمــا ماءُ مزْنٍ أىُّ ماءٍ تقولُهُ تحَدَّرَ مِنْ غُرٍّ طِوَالَ الذَّوَائب[٣]

بمُـنْعَرَجٍ أو بَطْنِ وَادٍ تحدَّرَتْ عليه رِياحُ الصَّيفِ مِن كلِّ جانبِ[٤]

نَفَى نَسَمُ الرِّيحِ القَذَا عنْ متونِه فما إنْ بِهِ عَيبٌ يكونُ لعائبِ[٥]

بأطْيبَ مِمَّن يقصُرُ الطَّرْفَ دُونَه تُقَى اللهِ واستحياءُ بعْضِ العَواقب

---

(١) يقال نضله ، إذا غلبه فى الرمى . وجاء فى ل : « فاضلا » وأثبت ما فى ط ، س .

(٢) كذا فى س والجزء الخامس من الحيوان ص ١٤٢ . وفى ط « أم فرق » وفى ل : « امرأة فروة » . والشعر الآتى قد نسب فى زهر الآداب (١ : ١٦٧) إلى عاتكة المرية فى ابن عم لها راودها عن نفسها . وفى أمالى القالى (٢ : ٨٧) شعر لمن تدعى زينب بنت فروة المرية ، تقوله فى ابن عم لها يقال له المغيرة .

(٣) رواية زهر الآداب : « وما طعم ماء أى ماء تقوله » . وعنى بالغر السحائب ، وبذوائبها أطرافها .

(٤) رواية زهر الآداب : « بمنعرج من بطن واد تقابلت » وفى الجزء الخامس من الحيوان : « تحدبت » موضع « تحدرت » ، و « المزن » مكان « الصيف » .

(٥) زهر الآداب : « نفت جرية الماء » . وفيه وفى الجزء الخامس : « تراه لشارب » .

وقال بعضُ العُشاقِ[١] :

وأنتِ الّتى كلّفتِنِي[٢] دَلَجَ السُّرَى ... وجُونُ القَطَا بالجَلْهَتَينِ جُثُومُ[٣]

وأنتِ الّتى أوْرَثتِ قَلبى حَرارةً ... وقرّحتِ قَرحَ القَلب وهو كليم[٤]

وأنتِ التى أسخطت قومى[٥] فكلُّهُمْ ... بَعيدُ الرِّضَا دانِى الصُّدُودِ كَظِيمُ[٦]

فقالت المعشوقة :

وأنتَ الّذِى أخلَفْتَنِي ما وَعَدْتَنِي ... وأشمتَّ بى مَنْ كان فِيكَ يَلومُ

وأبرَزتَنِي للنّاسِ حتّى[٧] تركْتَنِى ... لَهُمْ غَرَضاً أُرْمى وأنتَ سَليمُ

فلوْ أنَّ قَوْلاً يكلِمُ الجسْمَ قد بَدَا ... بجِلْدِىَ مِنْ قَوْلِ الوُشاة كُلومُ

وقال آخر[٨] :

شهِدْتُ وبَيتِ اللهِ أنّكِ غادةٌ ... رَدَاحٌ وأَنَّ الوجهَ منكِ عَتِيقُ[٩] ١٧

وأنّكِ لا تجزينِي بمودَّةٍ ... ولا أنا للهِجْرانِ مِنكِ مُطيقُ

---

(١) هو ابن الدمينة ، وكان قد هوى امرأة من قومه يقال لها « أميمة » فهام بها مدة فلما وصلته تجنى عليها وجعل ينقطع عنها ، ثم زارها ذات يوم فتعاتبا طويلا ، وتحدثا بالشعر الآتى . انظر معاهد التنصيص ١ : ٥٨ والحماسة ٢ : ١٤٦ وديوان ابن الدمينة ٣٦ — ٣٧ . والأبيات الثانية فى البيان ٣ : ٣٧٠ والأغانى ١٥ : ١٤٨ .

(٢) ط ، س : « كلفنى » وتصحيحه من ل والمراجع المتقدمة .

(٣) عنى بالجلهتين ناحيتى الوادى . وفى س : « بالجبهتين » وهو محرف .

(٤) فى الحماسة والديوان ، « قطعت قلبى حزازة » والحزازة : الوجد . وفيهما أيضا « وقرفت » مكان : « وقرحت » والوجه فيها « قرفت » بقاف ثم فاء ، يقال قرف الجرح وقرفه : قشره ولما يبرأ . وجاء فى المعاهد : « ومزقت » وفى المعاهد والحماسة : « فهو كليم » وفى الديوان : « فهو سقيم » .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أحفظت قلبى » وهو تحريف . والرواية فى المعاهد والحماسة والديوان : « أحفظت قومى» . وأحفظه : أغضبه .

(٦) الكظيم : المكظوم ، وهو من امتلأ جوفه بالغضب .

(٧) الرواية فى جميع المصادر المتقدمة : « ثم » .

(٨) هو قيس لبنى ، كما فى تزيين الأسواق ٤٩ .

(٩) الرداح ، كسحاب : الثقيلة الأوراك . والعتيق : الجميل الرائع .

فأجابته :

شَهِــدْت وبيتِ اللهِ أنَّكَ باردُ الـ ثَّنَايا وأنَّ الحصْرَ مِنكَ رَقيقُ[١]
وأنَّكَ مَشْبُوح الذِّرَاعين خَلجَمٌ[٢] وأنَّك إذْ تخْــلو بهنَّ رفيق[٣]

(شعر مختار)

[وقال آخر :

الله يعـــلم يا مغـــيرة أننى قد دُستها دَوس الحصان الهيكل
فأخذتها أخْــذَ المقصِّب شــاتَهُ عَجلانَ يَشــوِيها لقومٍ نُزَّلِ[٤]]

وقال كعبُ بنُ سعدٍ الغَنَوىّ[٥] :

وحَدَّثتمانى أنَّمــا الموتُ بالقُرَى فــكَيفَ وهاتَا هَضْبَةٌ وقَلِيبُ

---

(١) كذا فى ط ، س . وفى ل والبيان ٢ : ٣٥١ : « وأن الـكشح منك لطيف » وما أثبت هو الأشبه ؛ إذ أنه الملائم للمجاوبة .

(٢) مشبوح الذراعين : طويلهما ، وقيل عريضهما . الخلجم : الجسيم العظيم . وفى ط ، س : « حلجم » وهو تصحيف ما كتبت من ل والبيان .

(٣) فى ل ، والبيان : « عفيف » وانظر التنبيه الأول .

(٤) المقصب : القصاب . والشعر للعجاج ، كما فى اللسان (فتخ) .

(٥) كعب بن سعد الغنوى شاعر إســلامى ، وهو أحد بنى سالم بن عبيد بن سعد ابن عوف بن كعب بن جلان بن غنم بن غنى بن أعصر . كذا قال أبو عبيد البكرى فى شرح أمالى القالى فى موضعين منه . وقد راجعت كتب الصحابة وكتاب الشعراء لابن قتيبة وكتاب الأغانى وغيرها فلم أجد ترجمته فى أحــدها إلا ما قاله أبو عبيد المذكور ، والظاهر أنه تابعى . خزانة الأدب (٣ : ٦٢١ بولاق) . والأبيات الآتية من مرثية له طويلة رواها ابن الشجرى فى مختارات أشعار العرب (٢٧ — ٣٠) والقالى فى أماليه (٢ : ١٤٨ — ١٥١) يرثى بها أخاه أبا المغوار ، واسمه هرم أو شبيب . وفى أمالى القالى أن بعض الناس يروى هذه القصيدة لـكعب ، وبعضهم يرويها بأسرها لسهم الغنوى ، وهو من قومه وليس بأخيه ، وبعضهم يروى شيئا منها لسهم .

ومَاءُ سماءٍ[١] كانَ غيرَ مَحَمَّةٍ[٢] ... ببَرِّيَّةٍ تجْرِى عَلَيـهِ جنوب[٣]

ومنزلةً فى دارِ صدقٍ[٤] وغِبطةٍ ... وما اقْتالَ فى حُـكْمٍ علىَّ طَبيبُ[٥]

وقال دُرَيد بن الصِّمَّة :

رئيسُ حُـــروبٍ لا يزَالُ رَبِيئَـةً ... مشيح على مُحْقوقفِ الصُّلب مُلْبدِ[٦]

صـبورٌ على رُزء المصائبِ حافظٌ ... مِنَ اليَومِ أعقابَ الأحاديثِ فى غَدِ

وهَوَّنَ وَجـدى أننى لم أقُلْ لَهُ ... كَذَبْتَ ولم أبْخَلْ بما مَلَـكَت يدَى

(قطع من البديع)

وقطعةٌ من البَديع قوله[٧] :

إذا حَدَاها صاحبى ورَجَّعا ... وصاحَ فى آثارِها فأسْمَعا

---

(١) ط : « وما وسماع » : س : « وما وسماع » وصوابه من ل ولسان العرب (قول) .

(٢) المجمة : مكان جموم الماء ، أى كثرته . والمحمة بالحاء : المكان تكثر فيه الحمى . جاء فى ط ، س : « بين مجمة » ، وأثبت مافى ل ، ولسان العرب (قول) .

(٣) ريح الجنوب معها الخير والمطر والتلقيح . انظر اللسان (جنب) . قال ابن الأعرابى : الجنوب فى كل موضع حارة إلا بنجد فإنها باردة . جاء فى ط ، س : « بذى شربة » مكان « ببرية » التى أثبتها من ل ، واللسان .

(٤) كذا فى ط ، س : واللسان . وفى ل : « أمن » .

(٥) اقتال : تحكم . وجاءت هذه الكلمة فى ل : « افتال » وفى س : « افتاك » وصواب تحريفهما من اللسان (قول) . وجاء فى ط : « افتات » وهى صحيحة فى معنى : « اقتال » . وكلمة « فى » هى فى كل من س ، ل ولسان العرب : « من » . وقد عنى بالكلام أن أخاه لم يمرض فيحتاج إلى الطبيب .

(٦) « محقوقف » هى فى الأصل : « محرورف » وليس لهذه وجه . وقد سبق الكلام فى هذه الأبيات وشرحها ص ٥٠ .

(٧) ط ، س : « قولهم » ، وأثبت مافى ل .

يتبعْن[١] منهن جُـلالاً أتلعا[٢] أدمك فى ماء المهاوى مُنْقعًا[٣]

وقال الراجزُ فى البديع المحمود :

قد كنت إذْ حبلُ صِباك مُدْمَش[٤] وإذْ أهاضيبُ الشبابِ تَبْغَشُ[٥]

ومن هذا البديع المستَحْسَن منه ، قولُ حُجْر بن خالد بن مرثد[٦] :

سمعتُ بِفِعْلِ الفاعلين فلم أَجِـدْ كفِعْلِ أَبى قابوسَ حَزْماً ونائلا[٧]

يُساقُ الغَمامُ الغُرُّ من كلِّ بلدةٍ إليك فأضحى حَوْلَ بيتِك نَازِلا[٨]

---

(١) فى الأصل : « يتبعهن » وهو ظاهر التحريف . وقد عنى بكلامه الإبل .

(٢) الجلال ، بالضم : العظيم . وجاء فى ط ، س : « حلالا » مصحفة . والأتلع : الطويل العنق .

(٣) كذا جاء فى البيت فى ط ، ل . وفى س : « أرمك » وفى ل : « ماء المهارى » .

(٤) فى اللسان : « أدمج الحبل : أجاد فتله . . . وقوله : إذ ذاك إذ حبل الوصال مدمش ؛ إنما أراد : مدمج ، فأبدل الشين من الجيم لمكان الروى » . فروى البيت برواية أخرى .

(٥) الأهضوبة : الدفعة من المطر ، تجمع على أهاضيب . وتبغش : تدفع مابها من الماء . وقد كنى بقوله عن قوة الشباب ونعمته وريه . جاء فى ط ، س : « تنعش » وصوابها من ل ، والبيان ٣ : ٣٣٤ .

(٦) هو حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة ، شاعر جاهلى كان معاصرا لعمرو بن كلثوم . وكان أنشد شعرا بين يدى النعمان بن المنذر ، فأحفظ عمرو بن كلثوم ، فلطمه عمرو فى مجلس الملك ، ثم اقتص منه حجر ، وأجار الملك حجرا . فقال حجر الأبيات الآتية يمدحه . انظرشرح التبريزى للحماسة ٢ : ٣٩ والحماسـة ٢ : ٢٩٤ و « مرثد » هى فى ط ، س : « مزيد » وتصحيحها من ل ، والحماسة وشرحها .

(٧) أبو قابوس : كنية النعمان ، و « حزما » هى كذلك فى ط ، والحماسة . وفى ل : « فعلا » .

(٨) فى صدر هذا البيت روايات كثيرة . فيروى « فساق إلهى الغيث » ، و « فسيق إليه الغيث » ، و « فساق الإله الغيث » ، و « فسيق الغمام الغر » . وهى صورة تطلعك على ماتفعل الرواية . وكل هذا دعاء له .

فأصبحَ منـه كلُّ وادٍ حللتَـه
وإن كان قد خَوَّى(١) المرابيعُ(٢) سائلا

فإن أنتَ تَهْلِكْ يَهْلِكِ الباعُ والنَّدَا وتُضْحِي قلوصُ الحمدجَرْباءحائِلا(٣)

فلا ملكٌ ما يبلغَنَّك سَعْيُهُ ولا سُوقةٌ ما يَمْدَحَنَّك باطلا(٤)

١٨

باب

فى صدق الظَّنِّ وجَودة الفِراسة

قال أوس بن حجر :

[الألمعيُّ الذى يظنُّ بك الظ نّ كأَنْ قَدْ رأى وقد سمعا

وقال عمر بن الخطّاب : « إنك لا تَنْتَفعُ بعقل الرَّجل حتّى تعرفَ صدقَ فطنته » .

---

(١) خوى النجم : سقط ولم يمطر فى نوئه ، وكان العرب يستدلون على المطر بالنجوم . انظر تفصيــل ذلك فى الأزمنة والأمكنة للمرزوق ٢ : ١٧٩ — ١٨٥ ، وبلوغ الأرب ٣ : ٢٢٩ — ٢٦١ . وفى الأصل « حوى » مصحفة .

(٢) المرابيع : النجوم التى يكون بها المطر فى أول الأنواء . ط : « المراييع » وتصحيحه من س ، ل . يقول : يسير الخير فى ركابك ، فلو انك نزلت فى مكان محروم من نعمة الغيث ، أفضت عليه من الخير مايفعمه .

(٣) الباع : الشرف والكرم . قال رؤبة :

* إذا الكرام ابتدروا الباع بدر *

والقلوص : الناقة الشابة الفتية . و « الحمد » هى فى س : « الحب » محرفة وفى ل : « الحى » ، ولها وجه . وفى الحماسة : « الحرب » وهى رواية جيدة . والحائل من النوق : التى حمل عليها فلم تلقح .

(٤) للتبريزى كلام جيد فى هذا البيت .

وقال أوس بن حجر] :

مَليحٌ نَجيحٌ أخـو مَأْزِقٍ نِقابٌ يُحـدِّث بالغائبِ[1]

وقال أبو الفضَّة ، قاتِل[2] أحمرَ بن شميط :

فإلَّا يَأتِكُمْ خَـبَرٌ يَقِينٌ فإنَّ الظَّنّ يَنْقُصُ أوْ يزيدُ

وقيل لأبى الهذيل : إنَّك إذا راوَغْت واعتلَلْتَ ـ وأنتَ تـكلِّم النظام [وقمت] ـ فأحْسَنُ حالاتِك أنْ يشكَّ النَّاسُ فيكَ وفيهِ ! قال : خَمْسُون شكًّا خيرٌ مِنْ يَقِينٍ واحد ! !

وقال كُثَيِّرٌ فى عبدِ الملك :

رَأيتُ أبا الوَليد غَدَاةَ جَمعٍ به شَيبٌ وما فَقَدَ الشَّبَابَا[3]

فقلتُ لَهُ ، ولا أعْيا جَواباً : إذا شابتْ لِدَاتُ المَرْءِ شَابَا

ولـكنْ تحتَ ذاكَ الشيبِ حَزمٌ إذا ما قال أمْرَضَ أو أصابا[4]

وليس فى جَودة الظَّنِّ بيتُ شعرٍ أحسن مِنْ بيتِ بلعاء[5] بنِ قيس :

---

(١) أخو مأزق : أى هو حسن التخلص من المآزق . وروى : « أخو مأقط » . والنقاب : الرجل العالم بالأشياء الفطن .

(٢) ط ، س : « أحمد » وصوابه فى ل . وانظر ماكتبت فى الشميطية ص ٢٦٨ من الجزء الثانى .

(٣) جمع ، بالفتح ، هو المزدلفة . وكلمة « وما » هى فى ط ، س : « رما » ، تحريف مافى ل ، واللسان (مادة مرض) . وفى البيان ٤ : ٦٧ : « وقد » وهى تحريف يشوه المعنى ؛ إذ يريد أنه وإن فقد مظاهر الشباب فهو متمتع بأخص صفات الشباب .

(٤) أمرض : أى قارب الصواب فى الرأى وإن لم يصب كل الصواب . وفى س : « أغرض » ولا وجه له ، وصوابه فى البيان واللسان . وكلمة : « قال » فى البيت بمعنى « ظن » وبهذه الأخيرة جاءت الرواية فى البيان واللسان .

(٥) ط ، س : « لبلعا » وأثبت مافى ل . وبلعاء هذا كان رأس بنى كنانة فى أكثر حروبهم ومغازيهم ، وهو شاعر محسن ، وقد قال فى كل فن أشـعارا جيادا المؤتلف ١٠٦ . مات بلعاء قبل يوم الحريرة ، وهو اليوم الخامس من أيام الفجار الآخر . العقد ٣ : ٢٧٢ - ٢٧٣ .

وأبغِي صَوَابَ الظَّنِّ أعلم أَنَّهُ إذا طاشَ ظنُّ المرءِ طاشت مَقادِره

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فاتَّبَعُوهُ ﴾ .

وقال ابن أبي ربيعةَ في الظَّنِّ :

ودَعانى إلى الرَّشَادِ فؤادٌ كان للغىِّ مَرَّةً قَدْ دَعَانى

ذَاكَ دَهْرٌ لو كنتَ فيهِ قَرِينى[1] غيْرَ شَكٍّ عَرَفتَ لى عِصْيَانِى

وتَقَلَّبتُ فى الفِراشِ ولا تَعَـ ـلَمُ إلاَّ الظُّنُونَ أيْنَ مَكانِى

(من مختار الشعر)

وقال ابنُ أبي ربيعة فى غير هذا الباب :

وخِلٍّ كنتُ عَينَ النُّصْحِ منْهُ إذا نَظَرَتْ ومستَمعاً مطيعا

أطافَ بغيَّةٍ[2] فنَهيتُ عنها وقُلْتُ لَهُ أَرَى أمرًا شَنيعَا

أَرَدْتُ رَشادَه جَهْدى ، فلما أبَى وعَصى أَتَيناها جَميعَا

وقال معَقِّر بن حمار البارقى[3] :

---

(١) الرواية فى الديوان ص ٦٦ : « قريبى » وهى رواية جيدة . وعصيان الأهل والأقارب فى الحب ، مما أكثر الشعراء الكلام فيه .

(٢) ط : « بغيه » والوجه ماأثبت من ل ، س . وإليها يعود الضمير فى « عنها » .

(٣) معقر بن حمار البارقى اسمه سفيان بن أوس بن حمار ، وهو شاعر جاهلى . سمى معقرا بقوله فى قصيدة مشهورة :

لها ناهض فى الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناء عاقر

معجم المرزبانى ٢٠٤ وخزانة البغدادى ٢ : ٢٩١ بولاق . وهو صاحب البيت المشهور (انظر المعجم ، وكذلك المؤتلف ٩٢) :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

وفى ط ، س : « معبد بن حماد » وجاء على الصواب الذى أثبته فى ل .

الشِّعرُ لبُّ المرْءِ يَعْرِضه والقَوْلُ مِثْلُ مَوَاقِعِ النَّبْلِ
منها المقصِّر عَن رَمِيَّتِه ونَوَافذٌ يذهَبنَ بالخَصَل[1]

(أبياتٌ للمحدَثين حِسانٌ)

١٩ وأبياتٌ[2] للمحْدَثين [حِسَان[3]] ، قال العَتَّابيّ[4] :

وَكَمْ نِعمةٍ آتاكها[5] اللهُ جَزْلَةً مُبرَّأَةً مِنْ كُلِّ خُلْقٍ يَذِيمُها[6]
فسَلطتَ[7] أخلاقاً عليها ذَميمةً تعَاوَرنَها حَتَّى تفَرَّى أدِيمها
وَلُوعاً وإشفاقاً ونطقاً من الخَنا بعَوراءَ يَجْرِى فى الرِّجال نَمِيمُها[8]
وكنتَ امرأً لو شِئتَ أنْ تَبْلُغَ المدَى[9] بَلَغت بأدْنَى نِعمَةٍ[10] تَسْتَدِيمُها
ولكنْ فِطامُ النَّفْسِ أعسرُ محمَلاً[11] مِنَ الصَّخرَةِ الصَّمَّاءِ حِينَ تَرُومُها[12]

---

(١) الخصل ، بالفتح : الغلبة فى النضال .
(٢) ل : « أبيات » .
(٣) الزيادة من س ، ل .
(٤) هو كلثوم بن عمرو العتابى ، سبقت ترجمته فى الجزء الثانى ص ٢٩٦ . وقد روى الراغب البيتين الأخيرين فى محاضراته ١ : ١٣٣ ونسبهما إلى عمرو بن كلثوم وصوابه ماذكرت ، كما فى البيان ١ : ١٢٠ .
(٥) ط ، س : « آتى بها » ، وأثبت مافى ل .
(٦) ذامه يذيمه : عابه .
(٧) ط : « فسلط » ، وأثبت مافى س ، ل .
(٨) النميم مثل النميمة . و « نطقا » أى هو ينطق بالعوراء من الخنا .
(٩) رواية المحاضرات : « المنى » . ومؤداهما واحد .
(١٠) رواية المحاضرات : « غاية » .
(١١) كذا فى ط ، س والبيان . وفى ل والمحاضرات : « أثقل » .
(١٢) س فقط : « يرومها » وليس بشىء .

وقال أيضاً :

وكنتُ امراً هَيَّابَةً تَسْتَفِزّني رضاعى بأدنى ضَجْعَةٍ أستلينُها[١]

أُوافى أمـيرَ المؤمنين بِهمَّـةٍ تَوَقَّلُ[٢] فى نَيلِ المَعالى فُنُونُها

رَعى أُمَّةَ الإسلامِ فهو إمامُها وأدَّى إليها الحقَّ فهو أمينُها

ويَستَنتِج العقاء[٣] حتَّى كأنما تَغَلْغَلَ فى حيثُ استَقَرَّ جنينُها

وماكل مَوصوفٍ لَهُ الحق يَهتَدِى ولا كل مَن أَمَّ الصُّوَى يَسْتَبِينُها[٤]

مُقيمٌ بمُستَنٍّ العُلا ، حيثُ تَلتَقى طوارفُ أبكارِ الخُطُوبِ وعُونُها[٥]

وقال الحسن بن هانئ :

قُولَا لهارُون إمامِ الهُدَى عندَ احتِفالِ المجلِسِ الحاشد

نَصيحةُ الفَضْلِ[٦] وإشفاقُهُ أخلَى لَهُ وجهَكَ مِن حَاسد

بصادِق الطاعــةِ ديَّانُها وواحد الغائب والشَّاهد[٧]

---

(١) ط ، س : « تستلينها » .

(٢) توقل : تتوقل ، بمعنى تصعد . وهذه رواية ل . وفى ط ، س : « توغل » .

(٣) يستنتج العقاء : يجعلها تلد . وهذا كناية عن قدرته على التغلب على المصاعب . فى ط ، س : « العنقاء » وهى ذلك الطائر الخيالى الذى لاوجود له ، وبها يصح المعنى أيضا . أى هو يقدر أن يحصل على مالا يناله غيره .

(٤) ط ، س : « ومأكل » ، وهى على الصواب فى ل . أم : قصد . والصوى : جمع صوة بالضم : وهى حجر يكون علامة فى الطريق .

(٥) المستن : مكان الاستنان ، وهو سرعة العدو . والطوارف : الحديثات ، وفى ط : « طوارق » . والعون : جمع عوان ، وهى التى ولدت بعد بطنها البكر .

(٦) هو الفضل بن يحيى البرمكى . وأراد أبو نواس استعطاف الرشيد على الفضل .

(٧) يقول : هو مخلص لك فى حضرتك وفى غيبتك .

أنتَ على مابِكَ مِنْ قُدْرَةٍ ما أنتَ مِثلَ الفَضْلِ بالواجِدِ
أوحَدَه[١] اللهُ فما مثْلُه لطالبٍ ذاكَ ولا نَاشِدِ
وليس على الله بمستنكَر[٢] أنْ يَجْمعَ العالَمَ فى واحد

وقال عَدىٌّ بن الرِّقاعِ العاملى :

وقَصيدةٍ قَدْ بتُّ أجمعُ بَيْنَها حتَّى أُقَوِّمَ مَيْلَهَا وسنادها
نظرَ المثقِّف فى كُعُوب قَناتِه حتَّى يُقيمَ ثِقافُهُ مُنآدها[٣]
وعَلِمْتُ حتَّى لَسْتُ أسْأَلُ عالِمًا عَنْ حَرْفِ واحدةٍ لكىْ أزْدَادَهَا[٤]
صَلَّى الإلٰهُ عَلَى امْرِئٍ ودَّعته وأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَها

(شعر لبنت عدى بن الرقاع)

قال : واجتمع ناسٌ من الشُّعَرَاء ببابِ عَدىٍّ بن الرقاعِ يُريدون مُماتَنَتَهُ ومُساجَلَتَه ، فخَرَجَت إليهمْ بِنْتٌ له صغيرة ، فقالت :

تجمَّعْتمُ منْ كُلِّ أوْبٍ ومَنْزل عَلَى وَاحدٍ لازِلْتُمُ قِرْنَ وَاحد[٥]

---

(١) هكذا الرواية الجيدة : « أوحده » أى جعله واحداً . وهى رواية الديوان ٨٧ وعيون الأخبار ١ : ٢٢٧ . وفى الأصل : « أوجده » وليس بشىء .

(٢) كذا فى ط ، ل . وفيه الخزم . والرواية فى س والديوان وعيون الأخبار : « وليس لله بمستنكر » .

(٣) الثقاف ، بالكسر : ماتسوى به الرماح . والمنآد : المعوج . وفى الأصل : « منادها » وهى على الصواب الذى أثبت فى الموشح ص ١٣ .

(٤) قال فى الموشح ١٩٠ قال أبو جعفر المنجم : كنت أحب أن أرى شاعرين فأؤدب أحدهما ، وهو عدى بن الرقاع ، لقوله :

وعلمت حتى ما أسائل واحدا عن علم واحدة لكى أزدادها

ثم أسائله عن جميع العلوم فإذا لم يجب أدبته ! وأقبل رأس الآخر — وهو زيادة بن زيد — لقوله :

إذا ماانتهى علمى تناهيت عنده أطال فأعلى أم تناهى فقصرا

(٥) « ومنزل » هكذا جاءت الرواية أيضا فى الشعراء ١٤٥ . وروى فى الصناعتين =

(شعر لعبد الرحمٰن بن حسان بن ثابت وهو صغير)

وقال عبدُ الرحمٰن بن حسّان الأنصارى ، وهو صغير[١] :

اللهُ يَعْلَمُ أنِّى كُنْتَ مُشْتَغِلًا فى دَارِ حَسَّانَ أَصْطَادُ اليَعَاسِيبَا[٢]

وقال لأبيه وهو صبىٌّ ـ ورجع إليه وهو يبكى ويقول : لسعنى طائر ! قال : فصفه لى يا بنىّ ! قال كأنَّهُ ثَوْبُ حِبَرَة[٣] ! قال حسّان : قال ابنِى الشِّعْرَ وَرَبِّ الـكعبة !

وكان الذى لَسعه زنبورًا .

= ٣٥٩ ، وذيل الأمالى ٧٠ : « وبلدة » . وفى الـكامل ١٤٩ ليبسك وشرح المقامات للشريشى ٢ : ٣٠١ « ووجهة » . وزاد القالى فى الخبر : « فاستحيوا ورجعوا » وابن قتيبة : « فانصرفوا عنه ولم يهاجوه » . والشريشى : « فأفحمتهم ورجعوا بأخزى حالة » .

(١) ل : « صغير » . والخبر هنا مقتضب . جاء فى الـكامل ١٤٩ ليبسك : « ويروى أن معلمه عاقب الصبيان على ذنب وأراده بالعقوبة ، فقال : الله يعلم . . . » الخ .

(٢) اليعسوب : أمير النحل .

(٣) الرواية فى الـكامل ١٤٩ ليبسك : « كأنه ملتف فى بردى حبرة » . والحبرة ، بالتحريك ، أو كعنبة : ضرب من برود اليمن .

(٤) كذا فى ل ، وفى ط ، س : « زنبور » بالرفع . وهى صحيحة فى العربية ، على تقدير ضمير الشأن . وبتلك اللغة جاء قول العجير :

إذا مت كان الناس صنفان شامت وآخر مثن بالذى كنت أصنع

انظر سيبويه ١ : ٣٦ بولاق ، وشرح المفصل ٣ : ١١٦ س ٥ .

(شعر سهل بن هارون وهو صغير)

وقال سَهْلُ بن هارون ، وهو يختلف إلى الكُتَّابِ لجارٍ لهم :

٢٠ نُبِّئت بَغْلَكَ مبْطوناً فقلت له   فهل تَماثَل أو نأتيه عُوَّادَا [1]

(شعر طرفة وهو صغير)

وقال طرفة وهو [صبيٌّ] صغير :

يا لَكِ مِنْ قُبَّرةٍ بمَعْمَرِ   خَلا لكِ الجوُّ فبيضِي واصْفِرِي [2]

وقال بعض الشعراء [3] :

إذا ما مَاتَ مَيْتٌ مِن تَميمٍ   فَسَرَّكَ أن يَعِيش فجِيءْ بزادِ

---

(١) ط : « نبت يفلك » س : « نبئت بفلك » ل : « نبيت نعلك » وصوابه ماأثبت من كتاب البغال . و المبطون : الذى يشتكى بطنه . و « فقلت » هى فى ل : « فرغت » وفى البغال : « فزعت » . وتماثل : دنا من الشفاء . ط ، س : « أو يأتيه عواد » . وانظر قصة البيت واضحة فى كتاب البغال ٣٠٣ — ٣٠٤.

(٢) روى الدميرى سبب هذا فذكر « أنه كان مع عمه فى سفر ، وهو ابن سبع سنين فنزلوا على ماء فذهب طرفة بفخ له فنصبه للقنابر ، وبقى عامة يومه لم يصد شيئاً ، ثم حمل فخه وعاد إلى عمه ، فتحملوا ورحلوا من ذلك المكان ، فرأى القنابر يلقطن مانثر لهن من الحب فقال ذلك » . والرجز ستة أشطار عند الدميرى واللسان (قبر) . وقال ابن برى : هو لكليب بن ربيعة . وانظر الشعراء ١٤٠ .

(٣) هو يزيد بن الصعق الكلابى كما فى معجم المرزبانى ٤٩٤ وكنايات الجرجانى ٧٣ والاقتضاب ٢٨٨ . أو أبو مهوش الفقعسى كما فى حواشى الكامل ٩٨ ليبسك . وللأبيات خبر فيما عدا الأول ، وكذا فى العقد ٢ : ١٠ وأمثال الميدانى ١ : ١٧١ وأدب الكاتب ١٢ والخزانة ٣ : ١٤٢ وأخبار الظراف ٢٤ . ورواها الجاحظ فى البيان ١ : ١٩٠ .

بخبزٍ أو بِلَحْمٍ أوْ بِسَمْنٍ   أَو الشَّيْءِ الملفَّفِ فى البِجَادِ [١]

تَراه يَطُوف بالآفاق [٢] حِرْصاً   ليأكُلَ رأسَ لُقْمانَ بنِ عادِ [٣]

وقال الأصمعىّ : الشيء الملفَّف فى البِجاد : الوَطْب [٤] :

وقال أعرابىٌّ :

أَلَا بَكَرَتْ تَلْحَى قُتَيْلَةُ بَعْدَما   بدا فى سَوادِ الرَّأس أبيضُ واضحُ

لتُدرِك بالإمْساكِ والمَنْع ثَرْوةً   مِنَ المال أفنَتْها السِّنونَ الجَوائح

فقلت لهـا : لا تعذُليني فإنما   بذِكْر النَّدَى تبْـكى علَىَّ النوائِـح [٥]

(أشعار فى معانٍ مختلفة)

وقال بَشَّارٌ أبياتاً تجوز فى المذاكرة [٦] ، فى باب [٧] [المنى ، وفى باب] الحزم ، وفى باب المشورة . وناسٌ [يجعلونها للجعجاع الأزدىّ ، وناسٌ] يَجعلونها لغيره ، وهى قوله :

---

(١) البجاد : الكساء ، وزنا ومعنى .

(٢) روى : « يطوف الآفاق » كما فى س .

(٣) الثعالبى فى ثمار القلوب ٢٥٧ : « العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول العمر كذلك تصف رأسه بالعظم ، وتضرب به المثل » وأنشد البيت . ومثل هذا الكلام لابن السيد فى الاقتضاب ٤٩ . وزاد : « كما يقال لمن يزهى بما فعل ، ويفخر بما أدركه : كأنه قد جاء برأس خاقان ! » .

(٤) فى اللسان : « الملفف فى البجاد : وطب اللبن ، يلف فيه ليحمى ويدرك » .

(٥) س : « تبكى عليك » ، وما هنا أجود .

(٦) ل : « من المذاكرة » ، محرفة .

(٧) ط ، س : « وفى باب » ، وأثبت ما فى ل .

إذا بَلَغَ الرَّأىُ المَشُورَةَ فاستَعِنْ	برأْىِ نَصِيحٍ أو نَصِيحةِ[1] حازِمِ

ولا تحْسَبِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً	مَكَانُ الخوافِى رافِدٌ للقَوادم[2]

٢١ وأَدْنِ مِنَ القُرْبَى المقرِّبَ نَفْسَه	ولا تُشْهِدِ الشُّورَى امرأً غَيْرَ كاتِمِ

وما خَيْرُ كَفٍّ أمسَكَ الغُلُّ أُخْتَهَا	وَمَا خَيْرُ نَصْلٍ لَمْ يُؤيَّدْ بِقائمِ[3]

فإنَّك لا تَسْتَطرِدُ الهَمَّ بِالمُنَى	ولا تَبْلُغُ العَلْيَا بغَيْرِ المَكارِمِ

وقال بعض الأنصار[4] :

وبَعْضُ خَلائقِ الأقوامِ دَاءٌ	كَداءِ الشَيْخِ ليسَ[5] له شفاء

وبَعْضُ القَوْل ليس لَهُ عِناجٌ[6]	كمَخْضِ الماء ليس لَهُ إتاءُ[7]

وقال تأبَّط شَرًّا – إنْ كان قالَها[8] – :

---

(١) ل والبيان (٤ : ٤٩) : « نصاحة » وهى صحيحة ، يقال نصحه نصحاً ، بالضم ، ونصاحة ، ونصاحية . والاسم النصيحة .

(٢) مر الكلام فى ريش الطائر بالجزء الثانى ص ٣٥٥ . رافد : معين . وفى س ، ط : « راية » ولم أجد لها وجها ، ويروى : « فإن الخوافى قوة » . وفى كنايات الجرجانى ٦٠ : « فريش الخوافى » .

(٣) النصل هنا : حديدة السيف . والقائم : مقبضه . فى ل ، « وما خير سيف » وأثبت ما فى ط ، س .

(٤) الشعر فى البيان (٣ : ١٨٦) منسوب إلى الربيع بن أبى الحقيق .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ط . والرواية فى ل : « كداء البطن ليس له دواء » .

(٦) أصل العناج للدلو ، وهو خيط أو سير يشد فى أسفلها ثم يشد فى عروتها . وهذه رواية ل واللسان . وفى ط : « عماد ». والبيت ساقط من س .

(٧) المخض : أصله للبن ، وهو تحريكه لاستخراج الزبد . والإتاء ، بالكسر : الزبد .

(٨) بعد هذه الكلمة فى ل عبارة مقحمة على الكتاب لاجرم ، وهذا نصها : « قال النمرى : ومما يدل على أنه مولد قوله :

جل حتى دق فيه الأجل	=

شامِسٌ فى القُرِّ حتَّى إذا مَا ذَكَت الشِّعْرَى فَبَردٌ وظِلٌّ[١]

ولَهُ طَعْمَانِ : أَرْىٌ وشَرىٌ وكِلَا الطَّعمَينِ قَدْ ذَاقَ كُلٌّ[٢]

مُسْبِلٌ فى الحَىِّ أحْوَى رِفَلٌّ وإذا يغْدُو فسِمعٌ أزَلٌّ[٣]

وَوَرَاءَ الثأر منه ابنُ أختٍ مَصِــعٌ عُقْدَتُه ما تُحَلٌّ[٤]

مُطرِقٌ يَرشَــحُ سُمًّا ، كما أَطرقَ أفْعَى يَنْفُثُ السمّ صِلٌّ

خَــبَرٌ مَا نَابَنَا مُصمَئِلٌّ جَلّ حَتَّى دَقّ فيهِ الأَجَلٌّ[٥]

= فإن الأعرابى لايكاد يتغلغل إلى مثل هذا . وقال أبو الندى : مما يدل على أن هذا الشعر مولد أنه ذكر فيه سلعاً » . أما النمرى هذا فهو أحد شراح الحماسة ، بل هو أول شارح لها كما فى خزانة الأدب (٣: ٣٣٢ ، ٥٤١ بولاق) وهو ينقل فى شرحه عن كتاب المعانى لأحمد بن حاتم الباهلى ، وهذا توفى سنة ٢٣١ . وأما أبو الندى فهو محمد بن أحمد الغندجانى ، يروى عنه الحسن بن أحمد أبو محمد الأعرابى الذى قرئت عليه بعض تصانيفه سنة ثمان وعشرين وأربعمائة . وللحسن رد على النمرى فى شرحه للحماسة نقل عنه البغدادى فى الخزانة كثيراً . وهذه الزيادة تجدها فى شرح التبريزى للحماسة (٢ : ١٦٠ — ١٦١) مع بسط وتفصيل .

(١) شامس فى القر : يعنى أن من لجأ إليه فى القر وجده كالشمس التى تدفئ . والشعرى : كوكب يظهر فى شدة الحر .

(٢) الأرى : العسل . والشرى : الحنظل .

(٣) مسبل فى الحى : أى هو فى حال السلم ممن يسبلون ثيابهم لما هم فيه من نعمة . والرفل : الكثير اللحم . ويغدو : أى فى حال الحرب . والسمع : ولد الذئب من الضبع . والأزل : القليل لحم العجز والفخذين .

(٤) ل : « ووراء الثأر منى » وهى رواية الحماسة . والمعنى يصح بكليهما إن حمل الضمير فى « منى » على التجريد . والمصع : الشديد المقاتلة .

(٥) المصمئل : الشديد . وفى ل : « خبر ماجاءنا » .

كُلُّ ماضٍ قَد تَرَدَّى بِماضٍ   كَسَنَا البَرقِ إذا ما يُسَلُّ[١]

فَاسقِنيهَا[٢] ياسَوَادَ بنَ عَمرو   إنَّ جِسمى بَعدَ خالى لخلُّ[٣]

وقال سلامَة بنُ جَندَل[٤] :

سأَجزِيكَ بالوُدِّ الذى كان بيننَا   أصَعْصَعُ إنِّى سوف أَجزِيكَ صَعْصَعا

سأُهْدِى وإن كنا بتثليثَ مِدْحةً   إليك وإن حلَّت بيُوتك لَعلَعا[٥]

فإنْ يَك محموداً أبوك فإنَّنا   وجدناكَ محمُودَ الخلائقِ أروَعا

فإن شئتَ أهدينا ثناءً ومدحةً[٦]   وإن شئت أهدينَا لكُم مائةً معًا[٧]

فقال صعصَعة بن محمود بن[٨] بشر[٩] بن عمرو بن مرثد : الثَّناء والمدحة[١٠]

---

(١) قبل هذا البيت فى الحماسة بيتان يتوقف معناه عليهما . وهما :

يركب الهول وحيداً ولايصـ   حبه إلا اليمـانى الأفل

وفتو هجروا ثم أسروا   ليلهم حتى إذا انجاب حلوا

أراد بالماضى الأول الرجل الشديد، وبالثانى السيف القاطع. تردى بالسيف: تقلده بحمائله.

(٢) س : « سقنيها » . ويريد الخمر .

(٣) الخل : المهزول . وفى ل : « بعد حالى » مصحفة .

(٤) قال سلامة الأبيات الآتية ، وبعث بها إلى صعصعة بن محمود . (البيان ٣ : ٣١٨) .

(٥) كذا الرواية فى ل ، والبيان . وفى ط : « سأهدى بتثليث إليك هدية توافيك لو » . وفى س مثل ط مع إبدال « مدحة » بـكلمة « مذمة » و « توافيك » بكلمة « قوافيك » .

(٦) كذا الرواية فى ل والبيان . وفى ط ، س : « أهدينا إليك ثناءنا » .

(٧) عنى بالمـائة مائة من الإبل تـكون فدية لأخيه أحمر بن جندل ، الأسير .

(٨) ل : « من » .

(٩) س : « بشير » . وفى البيان: « صعصعة بن محمود بن عمرو بن مرثد » .

(١٠) كذا فى ل والبيان . وفى ط ، س : « الثناء والحمد والمدح » .

أحبُّ إلينا . وكان أحمر(١) بن جندل أسيراً فى يده ، فخلَّى سبيلَه من غير فداء .

وقال أوسُ بن حَجَر ، فى هذا الشَّكل من الشِّعر ـ وهو يقع فى باب الشُّكر والحمد ـ :

لَعَمْرُك مَا ملَّت ثَوَاءَ ثَوِيِّها حَلِيمَةُ إذْ أَلْقى مراسىَ مُقعَدِ(١)

وَلَـكِنْ تَلَقت باليدَين ضَمانتى وَحَلَّ بفَلَجٍ فالقنافذ عُوَّدِى(٣) ٢٢

وقَدْ غَبرت شهرَىْ رَبيعٍ كلَيْهما بحَمْلِ البَلايا والحِبَاء الممدَّدِ(٤)

ولم تُلهِهَا تِلك التَّكاليفُ ، إنّها كما شِئتَ مِنْ أُكرُومَةٍ وتَخَرُّدِ(٥)

سأجزِيكِ أويَجزِيكِ عنى مثوِّبٌ(٦) وحَسْبُكِ أن يُثْنَى عَلَيْكِ وَتُحمَدِى(٧)

---

(١) كذا فى ل والبيان . وفى ط ، س : « أحمد » .

(٢) يقال ألقى مراسيه : أى استقر ، ومثله ألقى عصاه . وكلمة « مقعد » هى فى ط ، س : « ومقعد »، صوابه فى ل، ويعنى بالمقعد نفسه . وانظر الديوان ٥ والبيان (٣ : ٣١٩) .

(٣) فلج والقنافذ : موضعان . والعود : جمع عائد للذى يزور المريض . قالوا : وكان أوس قد جالت به ناقته فى سفر فصرعته فاندقت فخذاه ، فآواه فضالة بن كلدة ، وكانت حليمة بنت فضالة تعنى به فى أثناء مرضه . (الأغانى ١٠ : ٧) .

(٤) ط ، س : « عبرت »، وهى رواية الديوان ومؤداهما واحد . والبلايا : جمع بلية .

(٥) التخرد من قولهم خريدة ، وهى الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المتسترة ، قد جاوزت الإعصار ولم تعنس . و « تخرد » هى رواية ل والديوان والبيان واللسان (مادة خرد) . وفى ط : « تخودى » بالواو ، والياء فى آخرها زيادة ناسخ . وفى س : « تجرد » .

(٦) المثوب : المثيب . وفى التنزيل العزيز : « هل ثوب الكفار » . وما أثبت هو رواية ل والديوان والأغانى . وفى ط ، س والبيان : « سنجزيك أو يجزيك عنا » .

(٧) ط ، س « وتحمد » وهو خطأ إملائى .

وقال أبو يعقوب الأعور :

فلم أجْزِهِ إلَّا المَوَدَّة جاهداً وَحَسْبُك مِنِّى أنْ أوَدَّ وأجهدا[١]

(من شعر الإيجاز)

وأبيات[٢] تضافُ إلى الإيجاز وحَذْف الفضول . قال بعضهم ووصف كِلَابا فى حالِ شَدِّها وعَدْوِها ، وفى سُرعةِ رفعِ قوائمها ووضعها ـ فقال :

* كأنَّما تَرْفَعُ مالَمْ يُوضَعِ[٣] *

ووصف آخرُ ناقةً بالنشاط والقُوَّة فقال :

* [خرقَاءُ][٤] إلَّا أنَّها صَنَاعِ *

وقال الآخر :

* الليلُ أخفى والنَّهارُ أفضَحُ[٥] *

ووصف الآخرُ قَوْساً[٦] فقال :

* فى كفِّه مُعْطِيَـةٌ مَنوعُ *

---

(١) أى وأجهد فى الود . وفى ط ، س : « وأحمدا » .

(٢) ط ، س « وأشياء » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٣) انظر ماكتب عن هذا البيت فى الجزء الثانى ص ٣٥ .

(٤) زيادة هذه الـكلمة من ل والعمدة (١ : ١٦٨) والبيان (١ : ١٥٠ و ٣ : ٧٢) .

(٥) قبله فى البيان (١ : ١٥٠) :

* إنك ياابن جعفر لاتفلح *

(٦) فى الأصل : « فرسا » وهو تحريف ، تجد صوابه فى البيان (١ : ١٥٠) وديوان المعانى (٢ : ٥٩) ، وقد نسب البيت فيهما إلى العكلى ، وهو أبو حزام .

وقال الآخر (١) :

وَمَهْمَهٍ فِيهِ السَّرَابُ يَسْبَحُ [كَأَنَّما دليلُه مطوَّح] (٢)
يَدْأَبُ فِيهِ القَوْمُ حتَّى يَطْلَحُوا كأَنَّما بَاتُوا بِحَيْثُ أصْبَحُوا

ومثل هذا (٣) البيت الأخير (٤) [قوله] :

وكأنَّما بَدْرٌ وَصِيلُ كُتيفة (٥) وكأنَّما مِنْ عاقِلٍ أرْمَامُ

ومثله (٦) :

تجاوَزْتَ حُمْرَانَ فى ليلةٍ وقُلتَ قُسَاسٌ من الحَرْمَلِ (٧)

ومن الباب الأوّلِ قوله :

عادَنى الهمُّ فاعتلجْ كُلُّ هَمٍّ إلى فَرَجْ

وهذا الشِّعر لجُعَيفران المَوَسْوَس (٨) .

وقال الآخَر (٩) :

---

(١) هو مسعود أخو ذى الرمة ، كما فى ديوان المعانى (٢ : ١٢٨) .

(٢) زيادة هذا البيت من ل ، وهو فى أصله متأخر عن البيت الذى بعده ، والوجه تقديمه عليه .

(٣) ل : « ومن شكل » .

(٤) ط : « الآخر » وأثبت مانى س ، ل .

(٥) كتيفة : اسم جبل . وفى س : « كثيفة » . وفى ل : « كنيفة » وهو تحريف ما أثبت من ط .

(٦) ط ، س : « ومنه قول الآخر » . وصاحب الشعر هو أوفى بن مطر الخزاعى ، كما فى ذيل أمالى القالى ٩١ . والبيت من سبعة أبيات لها قصة فى ذيل الأمالى .

(٧) فى ذيل الأمالى : « تجاوزت ماوان » .

(٨) ل : « لجعفر الموسوس » وصوابه فى ط ، س . وهو جعيفران بن على بن أصفر ابن السرى ، أبوه من أبناء الجند الخراسانية . ولد جعيفران ونشأ ببغداد ، وكان أديبا شاعرا ، تغلب عليه السوداء حينا ، فإذا أفاق قال جيد الشعر . الأغانى (١٨ : ٦١) . وللبيت السابق خبر فى الأغانى (١٨ : ٦٢) .

(٩) صاحب الشعر جرير ، كما فى نهاية أمالى المرتضى (٤ : ٢٠٢) .

لم أقْضِ من صحْبةِ زَيدٍ أرَبى   فتًى إذا نبَّهْتَهُ[١] لَم يَغْضَبِ

أبيضُ بَسَّامٌ وإن لم يعجب   ولا يضن[٢] بالمتاعِ المحقَب

مُوكَّلُ النَّفْس بِحِفْظِ الغُيَّب   أقصى رفِيقيه له كالأقْرَب

وقال دُكَين[٣] :

وقدْ تعَلَّتُ[٤] ذَمِيلَ العَنْس   بالسَّوْطِ فى دَيْمُومةٍ كالتُّرْس

* إذْ عَرَّجَ اللّيلَ بُروجَ الشَّمسِ[٥] *

٢٣ وقال دُكَينٌ أيضاً :

بمَوطنٍ يُنِيط فيه المحتسى[٦]   بالمشْرَفِيَّاتِ نِطافَ الأنْفُسِ[٧]

---

(١) هذه الرواية موافقة لما فى عيون الأخبار (٣ : ٢٣) .

(٢) س : « يطن » ولعل صواب هذه « يظن » بالبناء للمفعول : أى يتهم .

(٣) هو دكين بن رجاء الفقيمى ، وكان ممن أجازه عمر بن عبد العزيز – وعمر الضنين بإجازة الشعراء – أجازه وهو والى المدينة ، كما أجازه وهو خليفة . الشعراء لابن قتيبة . والرجز يروى فى المؤتلف ١٠٤ منسوبا إلى منظور بن حبة الأسدى .

(٤) كذا فى الأصل والبيان (٣ : ٣٣٤) ، وصواب الرواية : « تعاللت » كما فى المؤتلف ١٠٤ وزهر الآداب (٢ : ١٠٥) واللسان مادة (علل) . يقال : تعاللت الناقة : إذا استخرجت ماعندها من السير . والذميل : ضرب من سير الإبل .

(٥) فى البيان والمؤتلف : « بروح الشمس » . وعرج الليل : حبسه . والبروج : الظهور .

(٦) س : « المخنس » وهو تحريف . وينيط : يعلق .

(٧) المشرفيات : السيوف منسوبة إلى مشارف الشام . والنطاف : جمع نطفة ، وهى قليل الماء يبقى فى دلو أو قربة . وتعليق النطاف فى المشرفيات عبارة عن شدة الحرص على الماء ، وذلك يكون فى المهامه المجدبة . وفى ط ، س : « لطاف » ، وهو تحريف ماأثبت من ل .

وقال الراجز :

طَالَ عليهنَّ تكاليف السُّرَى والنَّصُّ فى حِينِ الهَجِيرِ والضُّحى
حَتَّى عُجاهُنَّ فما تحت العُجى[1] رَوَاعِفٌ يَخْضِبْنَ مُبْيَضَّ الحصى[2]

وفى هذه الأرجوزة يقول :

* وضَحِكَ المزن بها ثمَّ بكى[3] *

ومن الإيجاز المحذوف قولُ الراجز ، ووصف سَهمه حينَ رَمى عَيراً كيف [نَفَذَ سهمه ، وكيف] صرَعه ، وهو قوله[4] :

* حتَّى نجَا مِنْ جوفه وما نجا[5] *

(شعر فى الاتِّعاظ والزهد)

ومما يجوز فى باب الاتِّعاظ قولُ المرأة وهى تطوفُ بالبيت :

أنت وهَبْتَ الفِتيَةَ السَّلاهِبْ[6] وهَجْمةً يَحارُ فيها الطَّالِبْ[7]

---

(١) العجى ، واحدها العجاية والعجاوة بضم العين فى كليهما ، وهى عصب مركب فيه فصوص من عظام كأمثال فصوص الخاتم ، تكون عند رسغ الدابة . والرجز فى البيان ٣ : ٣٣٥ .

(٢) رواعف : يسيل منها الدم .

(٣) ط ، س : « البرق » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٤) ط ، س : « يقول » وتصحيحه من ل .

(٥) الشعر فى وصف سهم رام أصاب حمارا . انظر البيان ١ : ١٥٠ . يقول : نجا السهم من جوف الحمار وما نجا الحمار . أو نجا الحمار — من النجو — وما نجا من الهلاك .

(٦) وهبهم السلاهب : أى الخيل الطويلة .

(٧) الهجمة : عدد عظيم من الإبل . وانظر البيان ٣ : ١٩٤ .

وغَنَماً مِثلَ الجَرادِ السَّارِبْ   مَتاعَ أيّامٍ وكُلُّ ذَاهِبْ

[ومثله قولُ المسعوديّ :

أخلِفْ وأنْطفْ ، كلُّ شيءٍ زعزعتْه الريحُ ذاهبْ[1]]

وقال القُدار[2] ، وكان سيِّد عَنَزة فى الجاهليّة :

أهلَكْتَ مُهْرِىَ فى الرِّهانِ لَجاجةً   ومن اللَّجَاجة ما يَضُرُّ وَيَنفعُ

[قال : وسمعت عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ينشد ــ وكان فصيحاً :

إذا أنت لم تنفع فضرَّ فإنَّما   يُرَجَّى الفتَى كيما يضرَّ وينفعا]

وقال الأخطل :

شُمْسُ العَداوةِ حتَّى يُستقادَ لهم   وأعظمُ النّاس أحلاماً إذا قدروا

وقال حارثة بن بدر :

طربتُ بفاثور[3] وما كدت أطربُ[4]   سَفاهًا وقَدْ جَرَّبْتُ فيمَن يجرِّب

وجرّبتَ ماذَا العَيْشُ إلّا تعِلّةٌ   وما الدَّهر إلّا مَنْجَنونَ يقلَّب[5]

وما اليومُ إلّامِثلُ أمْس الذى مضى   ومثلُ غَدِ الجائى وكلٌّ سيَذْهب[6]

---

(١) فى اللسان : أخلف فلان لنفسه : إذا كان قد ذهب له شيء فجعل مكانه آخر وأما « أنطف » فلم أهتد إلى وجه فيها ، وهى فى البيان ٣ : ١٩٤ ، ٢٥٢ و ٤ : ٦٩ : « أتلف » .

(٢) ط ، س : « الفرار » وأثبت ما فى ل .

(٣) فاثور : اسم موضع ، أو واد ببلاد نجد . فى ط : « بغائور » وصوابه فى س ، ل .

(٤) ل : « تطرب » .

(٥) فى شرح شواهد المغنى للسيوطى ٧٩ : « المنجنون بفتح الميم : « الدولاب الذى يستقى عليه . وجمعه مناجين وهو مؤنث » . فالوجه : « تقلب » . ومثله قول القائل :

وما الدهر إلا منجونا بأهله   وما صاحب الحاجات إلا معذبا

(٦) منع تنوين : « غد » لضرورة الشعر . وربما كانت الرواية : « أمسى » و « غدى » بالإضافة إلى ياء المتكلم .

وقال حارِثَة بن بَدر الغدَانى(١) أيضاً :

إذا الهَمُّ أمسَى وَهو دَاءٌ فأَلْقِه ولَسْتَ بمُمْضِيهِ وأنتَ تعادِلُه(٢)

فلا تُنْزِلَنْ أمْرَ الشَدِيدةِ بامرئٍ إذا رامَ أمراً عَوَّقَتْهُ عَواذِلُه

وَقُل للفُؤاد إِن نَزَا بِكَ نزْوَةً

مِنَ الرَّوع أفْرِخْ أكثَرُ الرَّوع باطِلُه

(شعر فى الغَزْوِ)

وقال الحارثُ بن يزيد (وهو جدُّ الأحَيمِر السَّعدىِّ) وهو يقع فى باب الغَزْو وتمدُّحهم ببعدالمغْزى(٣) :

لاَ لاَ أُعُقُّ ولا أحُوب ولا أُغيرُ عَلَى مُضرْ

لَكِنَّما غزوى إذا ضَجَّ المَطِىُّ منَ الدَّبَرْ

وقال ابن محفِّض(٤) المازنىُّ :

---

(١) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن مالك بن غدانة بن يربوع . قال أبو الفرج : كان من لدات الأحنف بن قيس . قال ابن حجر : فإن يكن كذلك فقد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم . وله أخبار فى الفتوح . وذكر المبرد فى الكامل أنه غرق فى ولاية عبد الله بن الحارث على العراق . وذلك سنة أربع وستين . الإصابة ١٩٣٣ . وفى ط ، س : « الفزارى » وصوابه فى ل ، كما يتضح من نسبه وكما فى أمالى المرتضى ٢ : ٤٧ حيث يوجد الشعر الآتى .

(٢) رواية المرتضى واللسان ١٣ : ٤٦٢ : « فأمضه » . تعادله ، هو من قولهم : أنا فى عدال من هذا الأمر — بكسر العين — أى فى شك منه ، أأمضى عليه أم أتركه . يقول : اجزم بطرد الهم ولا تتردد فى ذلك .

(٣) المغزى : الغزو ، أو مكانه . والبيتان الآتيان سبقا فى الحيوان ١ : ٣٣ وهما كذلك فى البيان ٣ : ٢٠٠ .

(٤) ط ، س : « مخفض » . وقد اختلف فى ضبط هذا الاسم ، ولذلك قصة فى خزانة =

إن تَكُ دِرْعِي يَوْمَ صَحرَاءِ كُلَيةٍ (١) أُصِيبت فما ذَا كُمْ عَلَيَّ بِعارِ
أَلَم تَكُ مِنْ أَسْلابكُمْ قبل ذا كُمُ عَلَى وَقَبَى يوماً ويَوْمَ سَفارِ (٢)
[فتلك سرابيل ابن داودَ بيننا عوارِيٌّ والأيام غير قِصارِ (٣)
ونحن طَرَدنا الحَيَّ بَكْرَ بنَ وائلٍ إلى سَنَةٍ مثلِ الشِّهابِ وَنَارِ (٤)
ومُومٍ وطاعون وحُمّى وحَصْبَةٍ وذى لِبَدٍ يَغشَى المَهَجْهِجَ ضارِى (٥)
وحُكم عَدوٍّ لاهَوادةَ عنْده ومنزلِ ذلٍّ فى الحَياة وعَارِ

= البغدادى ٢ : ٥١٠ - ٥١١ بولاق . وأصوب الأقوال فى ضبطه ماأثبت من ل . وابن محفض هـذا ، هو حريث بن سلمة بن مرارة بن محفض ، من بنى مازن ابن عمرو بن تميم . قال المرزبانى : هو مخضرم له فى الجاهلية أشعار ، وعاش إلى أن أدرك الحجاج ، وله معه قصة ؛ فإنه سمعه على المنبر وهو يقول :

بنو المجد لم تقعد بهم أمهاتهم وآباؤهم آباء صدق فأنجبوا

فقام إليـه حريث ، وهو شـيخ كبير ، فقال : أيهـا الأمير ، من يقول هـذا ؟ قال : حريث بن محفض المازنى . فلما نزل دعاه فقال : ماحملك على قطع الخطبة على ؟ قال : أنا حريث بن محفض ، فإنك أنشدت شعرى فأخذتنى أريحيته ! قال : فخلاه. الإصابة ١٩٦٨ وانظر ذيل الأمالى ٨١ .

(١) كلية ، بضم الكاف : واد من أودية العلاة باليمامة لبنى تميم . وفى ط ، ل ، « كلبة » وصوابه من س ومعجم البلدان . وفى ذيل الأمالى : « يوم صحراء كلية ، وهى موضع وقعة كانت بينهم وبين بكر بن وائل » .

(٢) فى ذيل الأمالى : « الوقبى ، وكذلك سفار : ماء لبنى مازن » .

(٣) زدت هذا البيت من معجم البلدان وذيل الأمالى . وسرابيل : دروع . وابن داود هو سليمان ، وقد أخطأ حريث فنسب الدروع إليه . وإنما تنسب لداود نفسه وانظر نظير هذا الخطأ فى شعر النابغة والحطيئة فى المعرب للجواليقى ص ٨٥ - ٨٦. عوارى : جمع عارية . بتشديد الياء وتخفيفها ، وهو مايعار .

(٤) قال أبو على : سنة ، أراد أسكناهم السواد وهو بلد وباء . وروى أبو على : « مثل السنان » .

(٥) الموم ، بالضم : الجدرى الكثير المتراكب . والمهجهج : من يزجر السبع يصيح به : هج هج .

وقال آخر[١] :

خُذُوا العَقْلَ إن أعطاكُم القَوْم عَقْلَكُمْ وكونوا كَمَنْ سِيمَ الهَوَانَ فأَرتعا[٢]

ولا تُكثروا فيها الضِّجاجَ فإنَّه مَحَا السَّيف ماقالَ ابنُ دَارةَ أجْمَعا[٣]

وقال أبو ليلى :

كأَنَّ قَطاتَها كُرْدُوسُ فَحْلٍ مقلَّصةٍ على ساقٍ ظليمِ[٤]

(شعر فى السيادة)

وقال أبو سليمى[٥] :

لابدَّ للسُّودد[٦] من أرماحِ ومِنْ سفيهٍ دائمِ النُّباحِ

---

(١) هو الكميت بن ثعلبة كما فى خزانة الأدب ٤ : ٥٦٠ بولاق والمؤتلف ١٧٠ . أو هو الكميت بن معروف ، كما فى حماسة البحترى ١١ ، وشرح التبريزى للحماسة ١ : ٢٠٦ .

(٢) سيم الهوان : كلف الذل . وأرتع : من أرتع إبله : جعلها تأكل ماشاءت وهذه رواية ل ، والخزانة . وفى ط ، س : « فأتبعا » وفى حماسة البحترى : « فأربعا » .

(٣) ابن دارة هو سالم بن مسافع بن يربوع ، كان يهجو بنى فزارة هجوا شنيعا ، فقتله زميل الفزارى ، فقال الكميت ذلك ، يريد أن الفعل أفضل من القول . انظر شرح الحماسة للتبريزى ، وخزانة الأدب ٤ : ٥٦٢ بولاق .

(٤) القطاة : العجز ، أو مابين الوركين . والكردوس ، بالضم : كل عظم كثير اللحم . وكلمة « ساق » هى فى الأصل : « سلفى » ولا وجه لها ، وتصحيحها مما سبق فى الجزء الأول ص ٢٧٤ .

(٥) س : « سلمى » . وقد سبق الرجز فى الجزء الأول ٣٥٢ .

(٦) ط ، س : « للسود » ، وتصحيحه من ل والجزء الأول .

* ومِنْ عَديدٍ يُتَّقَى بالرّاحِ *

وقال الهذلىّ :

وإنَّ سيــادةَ الأقوامِ فاعْــلَمْ لهــا صَعْداءُ مَطلبها طويل [١]

وقال حارثة بن بدر [٢] ، وأنشده سفيان بنُ عُيينة [٣] :

خَلت الدِّيارُ فَسُدْتُ غيْرَ مُسَوَّد ومِنَ الشَّــقاء تفرُّدى بالسُّوددِ

(شعر فى هجاء السادة)

وقال أبو نُخيلة :

وإنَّ بقَوْمٍ سَــوَّدوك لَفَاقَــةً إلى سَيِّدٍ ، لوْ يظفَرُون بسيِّدِ

وقال إياس بن قَتادة ، فى الأحنف بن قيس :

٢٥ وإنَّ مِنَ السّاداتِ مَن لو أطعْتَه دَعَاكَ إلى نارٍ يَفُورُ سَعيرها [٤]

وقال حُميضة [٥] بن حذيفة :

أيظلمهم قسراً فتبًّا لسَعيــهِ وكل مطاعٍ لا أبالكَ يَظــلِمُ

---

(١) انظر كلامى على هذا البيت فى الجزء الثانى ص ٩٥ .

(٢) فى الأصل : « الحارث بن بدر » صوابه فى البيان ٣ : ٢١٩ وأمالى المرتضى ٢ : ٥٣ . وانظر أمالى الزجاجى ٢١ .

(٣) سفيان بن عيينة ذكره ابن قتيبة فى المعارف ٢٢١ فى أصحاب الحديث ، ولد سنة سبع ومائة ، ومات سنة ثمان وتسعين ومائة . قال : وكان أشد الناس اختصارا . سئل عن قول طاوس فى ذكاة السمك والجراد ، فقال : ذكاته صيده . وجاء فى العقد ١ : ٢٩١ : لما انفرد سفيان بن عيينة ومات نظراؤه من العلماء ، تكاثر الناس عليه ، فأنشد يقول : خلت الديار . . . الخ .

(٤) س : « يفود سعيرها » . والبيت فى البيان ٣ : ٣٣٦ .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « حصيصة » .

وقال آخر :

فأصبحتَ بعد الحلم فى الحىِّ ظالما تَخَمَّطَ فيهم والمسوَّدُ يَظْلِمُ[(١)]

وكان أنس بن مدركة[(٢)] [الخثعمى] يقول :

عزمت على إقامةِ ذى صباحٍ لأمرٍ ما يسوَّدُ مَنْ يسودُ[(٣)]

[وقال الآخر :

كما قال الحمار لسهمِ رامٍ لقد جَمَّعْتَ من شىء لأمر

وقال أبو حيّة :

إذا قُلْنَ كلاَّ قال والنَّقْع ساطعٌ بلى ، وهو واهٍ بالجراءِ أباجِلُه]

وقال آخر[(٤)] :

إنى رأيت أبا العوراء مرتفقاً[(٥)] بشطِّ دِجلة يشرى التمر والسمكا

كشدَّة الخيل تبقى عند مذودها والموت أعلم إذ قفَّى بمن تركا[(٦)]

هذه مساعيك فى آثار سادتنا ومن تكن أنت ساعيه فقد هلكا

---

(١) التخمط : الكبر والغضب .

(٢) أنس بن مدركة ، أو ابن مدرك : شاعر جاهلى . انظر تحقيق العلامة الراجكوتى فى حواشى الخزانة ٣ : ٨٠ سلفية . وفى ل : « إياس بن مدركة » وهو تحريف .

(٣) هذا البيت من شواهد سيبويه ١ : ١١٦ بولاق ، وقد تكلم فيه صاحب الخزانة ٣ : ٧٧ سلفية .

(٤) الأبيات تجدها أيضا فى الجزء الخامس ص ٥٩٨ .

(٥) فى الجزء الخامس : « مرتفعا » .

(٦) فى س ، وكذا فى الجزء الخامس : « كشرة الخيل » . وفى ل : « كثرة » وكلمة « تبقى » ساقطة من س وهى فى الجزء الخامس « تبغى » . و : « إذ قفى » هى فى الجزء الخامس « من يدنى » .

وقال شتيم بن خُويلد ، [أحد بنى غراب بن فزارة] :

وقلتِ لسيِّدِنا يا حليمُ   إنَّك لَمْ تأْسُ أَسْوًا رَفِيقًا[1]
أعَنتَ عديًّا[2] على شَأوها   تُعادى فَرِيقاً وتُبقى فريقَا
زَحرتَ[3] بها ليلةً كلَّها   فجئتَ بهاَ مؤْيِداً خَنْفَقِيقَا[4]

وقال ابن ميادة[5] :

أتيتُ ابنَ قَشراءِ العِجانِ[6] فلم أجدْ   لدى بَابهِ إذناً يسيراً ولا نُزْلا[7]
وإنَّ الَّذِى ولاَّكَ أمْرَ جماعةٍ   لأنقَصُ من يَمْشِى على قَدَمٍ عَقلا

(شعر فى المجد والسيادة)

وقال آخر[8] :

ورِثنَا المَجْد عن آباءِ صِدقٍ   أسأْنَا فى ديارِهِمُ الصَّنيعا

---

(١) أنشده ابن الأنبارى فى الأضداد ٢٢٥ وقال : « أراد ياحليم عند نفسك ، فأما عندى فأنت سفيه » .

(٢) كذا فى ل ، ومعجم المرزبانى ٣٩٢ والبيان ١ : ١٨١ . وفى ط ، س : « عليا » .

(٣) زحرت ، من الزحير ، وهو النفس بأنين .

(٤) قال الجاحظ فى البيان : « مؤيد : داهية . خنفقيق : داهية أيضا » . ط : « مريدا حنفقيقا » ، وتصحيحه من ل ، س ، والبيان .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وقال آخر » . وجاء فى الجزء الخامس نسبة البيتين إلى ابن أحمر .

(٦) القشراء : الشديدة الحمرة . والرواية فى الجزء الخامس : « حمراء » .

(٧) « يسيرا » هى فى ط ، س : « يسر » ، وأثبت ما فى ل ، والجزء الخامس . والنزل أصله بضم النون والزاى ، وسكن للشعر . والنزل : ما أعد للضيف .

(٨) هو معن بن أوس المزنى ، كما فى الأغانى ١٠ : ١٥٨ . والبيتان كذلك فى عيون الأخبار ٤ : ١١٣ .

إذا المَجْـدُ الرَّفيعُ تَعاورتْه ... بُناةَ السُّـوءِ أوْشَكَ أنْ يضِيعَا

وقال الآخر :

إذا المرءُ أثْرَى ثمَّ قال لقومِـه ... أنَا السَّيِّدُ المُفْضَى إليه المعمَّمُ[١]

ولم يعْطِهِمْ خيراً أبَوْا أنْ يَسُودَهُم ... وهَان عليهمْ رَغْمُهُ وهو أظْلم[٢]

٢٦

وقال الآخر[٣] :

تركتُ لبحرٍ دِرهَميه ولمَ يَكُنْ ... ليَدفَعَ عَنِّى خَلَّتِي دِرْهَمَـا بحرِ[٤]

فقلتُ لبحرٍ خذْهُما واصطَرِفْهُما ... وأَنفِقْهما فى غيرِ حَمْـدٍ ولا أجرِ

أتمنَعُ سُؤَّال العَشيرةِ بعْـدَ مَا ... تسمَّيتَ بحراً وأكنيت أبا الغَمر

وقال الهذليُّ :

وكنت إذا ما الدّهرُ أحدَثَ نَـكبة ... أقولُ شَوًى ، مالمَ يُصِبنَ صميمِى[٥]

وقال آخر فى غير هذا الباب :

سقى الله أرضاً يَعْلَمُ الضَّبُّ أنَّها ... بعيـدٌ من الأدواء[٦] طَيِّبَةُ البَقْل

بنَى بيته فى رأس نَشْزٍ وكُدْيةٍ[٧] ... وكلُّ امرئٍ فى حِرفَةِ العَيْش ذُو عَقْل

---

(١) فى عيون الأخبار ١ : ٢٤٨ : « المفضى إليه المعظم » . ونسب فى أمالى الزجاجى ١٨ إلى المغيرة بن حبناء .

(٢) فى حماسة ابن الشجرى ١٠٠ : « وهان عليهم فقده » .

(٣) فى العقد ٢ : ٢٧٥ : « سأل أعرابى رجلا يقال له عمرو ، فأعطاه درهمين ، فردهما عليه فقال » ، وأنشد البيتين الأولين ، برواية « عمرو » مكان : « بحر » . وفى محاضرات الراغب ٢ : ١٥٢ : « ولى رجـل يقال له البحر ، ويكنى أبا الغمر بعض كور خراسان ، فدحه شاعر فأعطاه درهمين فقال » . وأنشـد البيتين الأولين . وانظر عيون الأخبار ٣ : ١٤٣ .

(٤) فى الأصل : « بحرى » وهو تحريف . والخلة بالفتح : الحاجة والفقر .

(٥) أنشد ابن الأنبارى هذا البيت فى الأضداد ١٩٩ وقال : شوى أى هين حقير .

(٦) الأدواء : جمع داء ، وفى ل : « الأرواء » .

(٧) فى الأصل : « بنا » . النشز : المكان المرتفع . والكدية : الأرض الغليظة .

(أبو الحارث جمّين والبرذون)

وحدّثنى المكىُّ قال : نظر أبو الحارث [جُمَّين][1] إلى برذون يُستقَى عليه ماءٌ ، فقال : المرءُ حيثُ يَضعُ نفسَه[2] ! هذا لو قد هملَجَ لم يُبْتَل بمـا تَرى !

(بين العقل والحظّ)

وقال عبد العزيز بن زُرارة الكلابى :

وما لُبٌّ[3] اللَّبِيب بغير حظٍّ   بأغنى فى المعيشةِ من فَتيل[4]
رأيت الحظَّ يستُر كلَّ عَيْب   وَهَيْهاتَ الحُظوظُ من العقول

---

(١) كذا فى ل ، وفى مواضع متعددة من البيان ؛ وصاحب القاموس يرى هذا خطأ ، وأن صوابه « جميز » قال – فى مادة جمن – : « ضبطه المحدثون بالنون والصواب بالزاى المعجمة ، أنشد أبو بكر بن مقسم :

إن أبا الحارث جميزا   قد أوتى الحكمة والميزا »

(٢) بدل هذه فى البيان ٢ : ١٠٢ :

* « وما المرء إلا حيث يجعل نفسه » *

وهو صدر بيت لحريث اللحام (الوساطة ١٥٦) وعجزه :

* فأبصر بعينيك امرأ حيث يعمد *

(٣) ط ، س : « لبث » ، وتصحيحه من ل .

(٤) الفتيل : الهنة التى فى شق النواة . وفى ط : « قتيل » تحريف ما فى س ، ل .

(هجو الخَلْف)

وقال الآخر [١] :

ذهبَ الّذين أُحبُّهمْ سلَفاً [٢] وبَقِيت كالمقْهور فى خَلْفِ [٣]

من كلّ مَطْوِىٍّ على حَنَقٍ مُتَضَجِّع يُكْفَى ولا يَكفِى [٤]

(عبد العَين)

وقال آخر :

ومَوْلًى كَعَبْدِ العَيْن أمّا لِقاؤه فيُرضى وأمّا غَيْبُه فظَنُونُ [٥]

ويقال للمرائى ، ولمن إذا رأى صاحبَه تحرّك له وأرَاه الخِدْمةَ والسرعة فى طاعته فإذا غابَ عنه وعن عينه خالف ذلك : « إنّما هو عَبْدُ عَين [٦] » .

---

(١) هو الأحوص ، كما فى البيان ٢ : ١٨٤ . والبيتان أيضا فيه ٣ : ٣٣٦ .

(٢) ل : « أحب قربهم » . وفى البيان : « أحبهم فرطا » .

(٣) فى الجزء الثانى من البيان : « كالمقمور » . وفى الثالث : « كالمغمور » . وكلمة « خلف » هى فى ط : « خلق » محرفة .

(٤) المتضجع : من تضجع فى الأمر ، إذا تقعد ولم يقم به .

(٥) فى ثمار القلوب ٢٦٣ : « فضنين » ، وهو تحريف ماهنا . وفى البيان ٣ : ٢٠٤ :

ومولى كداء البطن أما لقاؤه فحلم وأما غيبه فظنون

والظنون بالفتح كالظنين : وهو المتهم الذى لايوثق به . ويصح أن تقرأ بضم الظاء جمعا للظن .

(٦) للميدانى مثل هذا الكلام فى أمثاله ٢ : ٣٢٠ وزاد : « وكذلك يقال : فلان أخو عين ، وصديق عين : إذا كان يرائى فيرضيك ظاهره » .

وقال اللهُ عزَّ وجلّ : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَن إنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ إنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ﴾ .

(من إيجاز القرآن)

وقد ذكرناً أبياتاً تُضاف إلى الإيجاز وقِلَّة الفُضول ، ولى كتابٌ جَمَعْتُ فيه آياً من القرآن ؛ لتَعرِفَ بها [فصل] ما بينَ الإيجاز والحَذْف ، وبين الزّوائِد والفُضول والاستعارات ، فإذا قرأْتَها رأيت فضلها فى الإيجاز والجَمْعِ للمعانى الكثيرةِ بالألفاظ القليلة [على الَّذِى كتبتُهُ لك فى بابِ الإيجازِ وترك الفضول] . فمنها قوله حينَ وصفَ خَمرَ أهلِ الجنّة : ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهاَ وَلاَ يُنْزِفُونَ ﴾ . وهاتان الكلمتان قد جَمَعتا جميعَ عُيوبِ خمرِ أهلِ الدُّنيا . ٢٧

وقولُه عزّ وجل حينَ ذكر فاكهةَ أهلِ الجنّة فقال : ﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ . جمع بهاتين الكلمتين جميعَ تلك المعانى .

[وهذا كثيرٌ قد دلَلتك عليه ، فإنْ أردتَه فموضعُه مشهور] .

(رأى أعرابى فى تثمير المال)

وقال أعرابىٌّ من من بنى أسد :

يقُولون ثَمِّر ما استطَعت ، وإنما ... لِوَارِثِه ما ثَمَّرَ المَالَ كاسبُه
فكلْهُ وأطعِمْهُ وَخالِسهُ وَارِثاً ... شحيحاً ودهراً تَعْتَرِيكَ نوائبُهْ[1]

---

(١) خالسه : من المخالسة ، وهى الأخذ فى نهزة ومخاتلة .

(شعر فى الهجاء)

وقال رجلٌ من بنى عَبْس :

أبلغ قُراداً لقــــد حَكَمتُمُ رجــلاً[١]
لا يَعرِفُ النَّصْفَ بل قد جَاوَزَ النَّصَفا[٢]

كان امرأً ثأراً والحــقُّ يَغْلِبُـــه   فجانَبَ السَّهْلَ سَهْلَ الحقِّ واعتَسفا

وذاكمُ أنَّ ذُلَّ الجارِ حالَفَكُم   وأنّ أنفَكُمُ لا يعرِف الأنَفا

إنَّ المحكَّمَ مالَمْ يَرْتَقِبْ حَسَباً
أوْ يَرْهَبِ السَّيفَ أو حَدَّ القَنَا جنَفَا[٣]

مَن لاذَ بالسَّيفِ لاقى قَرضَه عجبا[٤]   موتاً على عَجَلٍ أو عاش مُنْتَصِفَا

بِيعُوا الحياة بها إذ ســام طالبُها   إمَّا رَواحاً وإما مِيتَــةً أنَفــا[٥]

---

(١) ط ، س : « أبلغ فؤادى لقد حركتمو » ، وهو تحريف ماأثبت من ل . وقراد : اسم قبيلة .

(٢) النصف مثلثة والنصفة بالتحريك : الإنصاف . والنصف بالتحريك : الاسم منه . والأبيات فى البيان ١ : ٢١١ .

(٣) جنف : مال مع أحد الخصمين ، أو جار .

(٤) القرض ، أصله : مايتجازى به الناس بينهم . وجاء فى ل ، والبيان ١ : ٢١١ : « فرصة » .

(٥) يقول : بيعوا الحياة بالحياة . ويقال سام بالسلعة وساوم واستام بها وعليها : غالى . وقد تعدى الفعل هنا بنفسه . فى ط ، س : « نام » وليس بشىء . وأثبت مافى ل .

ليس امروءٌ خالداً والموتُ يطلبهُ هاتيك أجْسادُ عادٍ أصبَحَتْ جِيفَا

أبلِغْ لَديكَ أبا كعب[1] مغَلْغَلةً أَنَّ الذى بينَنا قد مات أو دنِفا[2]

كانت أمورٌ فجابت عن حُلومكم ثَوْبَ العَزِيمةِ حتَّى انجابَ وانكَشَفا[3]

إنِّى لأعــلَمُ ظَهْرَ الضِّغن أعْدِله عَنِّى ، وَأعْلَمُ أَنِّى آكُلُ الكتفا[4]

(شعرٌ حِكَمىّ)

وقال أُسقفُ نجْران[5] :

منَعَ البقَــاءَ تصرُّفُ الشــمسِ وطُلوعُها منْ حَيْثُ لا تُمسِى

وطُلوعُها بَيضــاءَ صافِيَــةً وغروبُهــا صَفْــراءَ كالوَرْس

اليــوم أعــلم ما يجىءُ بِهِ ومضى بفَصْــل قضــائِه أمْس

---

(١) ل : « سعد » . والمغلغلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد .

(٢) دنف : براه المرض حتى أشفى على الموت . وفى س : « قد بات » محرف .

(٣) كذا فى ط ، س . وفى ل : « فجافت » و « مال فانكشفا » .

(٤) كذا فى ل ، وفى ط ، س : « أين آكل » . وقولهم : « يعلم من أين تؤكل الكتف » كناية عن الحذق .

(٥) الشعر نسب فى معاهد التنصيص ٢ : ١٢١ وكذلك الصناعتين ١٩٢ إلى بعض ملوك اليمن . ونسب فى العقد ٢ : ١٢٢ إلى عابد من نجران ، وفى معجم المرزبانى ٣٣٩ إلى القمقام بن العباهل ، وهو تبع الثانى أو الثالث ، ملك حضرموت واليمن . وانظر خبرا متعلقا به فى كل من زهر الآداب ٣ : ١٨٣ وذيل أمالى القالى ٢٩ .

وقال عَبيدُ بن الأبرص[١] :

وكُلُّ ذِى غَيْبـةٍ يَئُوبُ وغائِبُ المـوْتِ لا يَئُوبُ
مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوه وسائِلُ اللهِ لا يَخيبُ
[وعاقرٌ مثلُ ذاتِ رِحْمٍ وغانمٌ مِـثْلُ مَنْ يَخِيبُ]
أَفْلِـحْ بما شئْتَ فقَدْ يُبْلَغُ[٢] بالضَّعْف وقَدْ يُخدَعُ الأرِيبُ ٢٨
المرءُ مَا عاشَ فى تَـكْذيبٍ طُولُ الحياةِ لَهُ تَعذِيبُ

وقال آخر[٣] :

إذَا الرِّجالُ ولَدَتْ أَوْلَادُها واضطَرَبَتْ مِنْ كِبَرٍ أَعْضادُها
وَجعَلَتْ أوْصـابُها تعتادُها فَهْىَ زُروعٌ قد دنَا حَصَادُها

(مرثية محمد المخلوع)

وقالت بنت عيسى بن جعفر[٤] ، وكانت مُمْلَكَةً[٥] لمحمدٍ[٦] المخلوع حينَ قتل :

---

(١) كذا فى ل . والشعر من قصيدته المشهورة التى أولها :
أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

(٢) ل : « يدرك » .

(٣) هو زر بن حبيش . قاله وقد حضرته الوفاة . وكان قد عاش مائة وعشرين سنة . انظر أدب الدنيا والدين ١٠٨ . والرجز أيضاً فى الحيوان (٦ : ٥٠٦) والعقد (٢ : ٢٦٨) ومعجم الأدباء ١٦ : ١٢٤ .

(٤) عيسى بن جعفر ، هو حفيد أبى جعفر المنصور ، ولى البصرة وكورها وفارس والأهواز واليمامة والسند ، ومات بدير بين بغداد وحلوان . المعارف ١٥٦ - ١٦٦ .

(٥) مملكة ، من الإملاك ، وهو عقد الزواج . وفى ط « ملكها » وهو تحريف ما أثبت من ل ، س .

(٦) محمد المخلوع ، هو الأمين بن هارون الرشيد . وفى العقد (٢ : ١٧٨) أن اسم المرأة لبانة بنت ريطة بن على ، وفى مروج الذهب (٢ : ٣١٦ بهية) أنها لبابة ابنة على بن المهدى ، وفيهما زيادة فى الشعر . وفى البيان (٣ : ١٢١) أنه لامرأة فى بعض الملوك . وفى الطبرى ١٠ : ٢١٠ أن الشعر ، للبابة أو لابنة عيسى بن جعفر .

أبْـكِيكَ لا للنَّعيمِ والأنسِ بَلْ لِلمعالى والرُّمْحِ والفَرَسِ
أبـكى على فارسٍ فُجعْتُ به أَرْملَنِي قَبْلَ لَيْلَةِ العُرُسِ

(من نعت النساء)

وقال سَلْمٌ الخاسر[1] :

تبدَّتْ فقلتُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِها بجيدٍ نَقِيِّ اللَّونِ من أَثرِ الوَرْسِ[2]
فلما كَرَرْت الطَّرفَ قلت لصَاحِبِى على مِريَةٍ : ما هاهُنا مَطلع الشمس!

---

(١) هو سلم بن عمرو ، مولى بنى تيم بن مرة ، شاعر بصرى قدم بغداد ومدح المهدى والهادى والبرامكة . قالوا : سمى بالخاسر لأنه ورث عن أبيه مصحفا فباعه واشترى طنبورا . وهو صاحب البيت المشهور :

من راقب الناس مات غما وفاز باللـذة الجسور

كان سلم تلميذ بشار بن برد وراويته . وجاء اسمه فى الوفيات برسم « سالم » وهو خطأ . انظر الأغانى (٢١ : ٧٣ – ٨٤) وتاريخ بغداد ٤٧٥٤ . ومما ينص على تعيين اسمه قول أبى العتاهية له :

سلم ياسلم ليس دونك سر حبس الموصلى فالعيش مر

وقوله :

إنمـا الفضل لسلم وحده ليس فيه لسوى سلم درك

وقوله :

والله والله ما أبالى متى مامت ياسلم بعد ذا السفر

وقوله :

تعالى الله ياسلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال

(٢) « الشمس » يصح قراءتها بالنصب ، بجعل « قلت » بمعنى ظننت . ويصح الرفع بتقدير « هى » . ل : « بجلد غنى اللون أثر كالورس » .

(شعر رثاء)

وقال الآخر[١] :

كَفى حَزَناً بدَفنِكَ ثُمَّ أَنِّى نَفَضْتُ تُرابَ قبْرِكَ عَنْ يَدَيَّا
وكانت فى حياتِكَ لى عِظَاتٌ وأنتَ اليوْمَ أوعَظُ منْكَ حيّا[٢]

باب

من المديح بالجمال وغيره

قال مزَاحمٌ العُقيليّ :

يزِين سنا الماوِيِّ[٣] كلَّ عشيّةٍ على غَفَلاتِ الزَّينِ والمتجمَّلِ[٤]
وجوهٌ لوَ أنَّ المدْلِجينَ اعتشوْا بها صَدَعْنَ الدُّجَى حتّى ترى اللَّيْلَ ينْجَلى[٥]

وقال الشَّمَردَل :

إذا جَرَى المسْكُ يَنْدَى فى مفارِقِهِمْ راحُوا كأنهمُ مَرْضَى من الكَرَمِ

---

(١) هو أبو العتاهية يرثى على بن ثابت الأنصارى ، كما فى معاهد التنصيص (٢ : ١٨٥) . أو ولدا له كما فى العقد (٢ : ١٥٦) . وانظر الكامل ٢٣٠ ليبسك وذيل الأمالى ص ٢ ومروج الذهب (٢ : ٣٦٨) والمستطرف (٢ : ٢٩٤) .

(٢) انظر لهذا البيت الاستدراكات .

(٣) الماوى : لغة فى الماوية أى المرآة ، أو جمع لها عند ابن الأعرابى . وفى ط : « الماذى » وفى س : « المازى » وفى ل : « المادى » وكل ذلك تحريف ما أثبت ، كما فى اللسان (مادة موى) والبيان (٣ : ٢٥٢ و ٤ : ٦٩) .

(٤) فى الأصل : « والمتحمل » وصوابه من اللسان والبيان (٣ : ٢٥٢ و ٤ : ٦٩) ومجالس ثعلب ٢٧٧ . وهى مصدر من تجمل .

(٥) انظر تفسيره فى اللسان (عشا ٢٨٧) .

يشبَّهونَ ملوكاً من تَجلَّتهم[1] وطولِ أنضية الأعناقِ والأُمم[2]

[النضِيُّ : السَّهم الذى لم يرَش ، يعنى أن أعناقهم مُلسٌ مستوية[3] .
والأمم[4] : القامات] .

وقال القتَّال الكلابىّ :

٢٩ يا ليتَنى ، والمُنى ليست بنافعةٍ[5] لمالكٍ أو لِحِصْنٍ أو لسَيَّارِ[6]
طوال أنضِيَةِ الأعْناقِ لم يجِدُوا رِيحَ الإماء إذا راحت بأزفار[7]
لم يرْضَعُوا الدَّهْرَ إلاَّ ثَدْىَ واضِحةٍ لواضِحِ الوَجْهِ يَحمِى باحَةَ الدَّارِ[8]

وقال آخر :

إذا كان عَقْلُ قلتمُ إنَّ عَقْلَنَا إلى الشَّاء لم تحْلُلْ علينا الأباعِرُ
وإنَّ امرأً بعدِى يُبادل[9] وُدَّكُمْ بُودٍّ بنى ذبيان مولى لخاسِرُ

---

(١) ل وكذا الكامل (٣٥ ليبسك) ، وأمالى القالى (١ : ٢٣٨) : « فى تجلتهم » . والتجلة : العظمة . وفى العقد (٦ : ٢٢٨ لجنة التأليف) : « فى مجلتهم » . ورواية الحماسة (٢ : ٢٧٨) : « يشبهون سيوفا فى صرامتهم » .

(٢) كذا جاءت الرواية فى ل والأمالى والحماسة ، ويروى : « اللمم » جمع لمة ، بكسر اللام ، وهو شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة .

(٣) جاء فى الكامل : « فالنضى مركب النصل فى السنخ . وضربه مثلا . وإنما أراد طوال الأعناق » .

(٤) الأمم : جمع أمة ، بضم الهمزة .

(٥) ل : « بمغنية » .

(٦) قال المبرد فى الكامل ٣٥ ليبسك : « وقوله لمالك أو لحصن أو لسيار » ، فهؤلاء بيت فزارة » ، يريد موضع الشرف فيهم .

(٧) الأزفار : جمع زفر بالكسر ، وهو الحمل بالكسر ، كما فى الكامل واللسان (مادة زفر) . وفى س : « بأذفار » فيكون جمع ذفر بالتحريك ، وهو خبث الريح .

(٨) قال المبرد : واضحة : أى خالصة فى نسبها ، وليست بأمة .

(٩) فى هامش س : « خ : تبدل » أى فى نسخة .

أولئك قومٌ لا يُهان هَدِيُّهم (١) إذا صرَّحَتْ كَحْلٌ وهَبَّتْ أعاصِرُ (٢)
مَذاليق (٣) بالخَيل العِتاق إذا عَدَوا (٤) بأيديهمُ خطِّيَّةٌ وبَواتِرُ

وقال أبو الطَّمَحان القَينيّ في المعنى الذى ذكرنا :

كم فيهمُ مِنْ سَيِّدٍ وابنِ سَيِّدٍ وَفِيٍّ بعَقْدِ الجَارِ ، حِينَ يُفارقُه
يكاد الغَمام الغُرُّ يُرْعِدُ أنْ رَأى وُجُوهَ بَنِى لأمٍ ويَنْهَلُّ بارقُه

وقال لَقِيطُ بن زرارة (٥) :

وإنِّى مِنَ القَوْمِ الذين عَرَفْتمُ إذا مات منْهُمْ سَيِّدٌ قامَ صاحبُه
نجومُ سماءٍ كلما غارَ كَوْكَبٌ بَدَا كَوْكَبٌ تأوِى إليه كواكبُه
أضاءتْ لهمْ أحسابهُمْ ووُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيلِ حتَّى نَظَّمَ الجزعَ ثاقِبه (٦)

وقال بعض التميميِّين ، يمدَح عوفَ بنَ القَعْقاع بنِ مَعْبَدِ بن زرارة :

بحقِّ امرىءٍ سرو عتيبة خاله (٧) وأنت لقعقاع وعمُّك حاجبُ
[درارى نجوم كلما انقضَّ كوكبٌ بدا كوكب ترفضُّ عنه الكواكبُ]

---

(١) الهدى : الرجل ذو الحرمة ، يأتى القوم يستجير بهم أو يأخذ منهم عهدا . فهو مالم يجر أو يأخذ العهد هدى ، فإذا أخذ العهد منهم فهو حينئذ جار لهم . اللسان (هدى) .

(٢) كحل ، بالفتح ، هى السنة والجدب ، . وصرحت : صارت خالصة فى شدتها وجدبها . وهو مثل . انظر الميدانى ٢ : ٣٧٠ واللسان . وفى س : « كهل » محرفة .

(٣) كذا فى ل . والمذلاق : السريع الجرى ، جمعه مذاليق . وفى ط ، س : « مداليف » من الدليف ، وهو المشى الرويد . وليس يصح المعنى به .

(٤) ل : « غزوا » .

(٥) الشعر منسوب إلى أبى الطمحان القينى فى الكامل ٣٠ ليبسك والوساطة ١٥٩ والحماسة (٢ : ٢٧٢) .

(٦) الجزع ، بالفتح : ضرب من الخرز فيه سواد وبياض .

(٧) كذا فى ط ، س . وفى ل : « يسرو عيينة » ، وفى الشطر تحريف .

وقال طفَيْلٌ الغَنَوِىُّ :

وكانَ هُرِيمٌ مِن سِنانٍ خَلِيفةً ... وعمرو ومن أسماءَ لَمَّا تَغَيَّبُوا
نجومُ ظلام كلما غاب كوكبٌ ... بَدَا ساطِعاً فى حِنْدِسِ اللَّيلِ كَوْكب[1]

وقال الحرَيمى[2] ، يمدح بنى خُرَيم[3] ، من آل سنان بن أبى حارثة :

بقيَّة أقمارٍ من الغُرِّ لو خَبتْ[4] ... لَظلَّت مَعدٌّ فى الدُّجَى تَتسكَّعُ[5]
إذا قمرٌ منهم تَغوَّرَ أو خَبَا ... بدَا قمرٌ فى جانبِ الليل[6] يَلْمَعُ

وقال بعضُ غنِىٍّ[7] ، وهو يمدح جماعةً إخوة ، أنشدنيها أبو قطَن ، الذى يقال له شهيد الكَرَم :

٣٠ حَبِّر ثَناءَ[8] بنى عمرٍو فإنَّهمُ ... أُولو فُضولٍ وأنْفالٍ وأخطارِ[9]
إنْ يُسْأَلُوا الخَيرَ يُعْطُوهُ ، وَإنْ جُهِدُوا ... فالجَهْدُ يُخْرِج منْهُمْ طِيبَ أخبارِ[10]

---

(١) ديوان طفيل ١٨ والبيان ٣ : ٣٣٧ . ل : « نجوم سماء » . ل ، س : « غار كوكب » . ل : « بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب » .
(٢) الحريمى بالراء تقدمت ترجمته فى الجزء الأول ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .
(٣) ط ، ل : « حزيم » ، وتصحيحه من س . وانظر ترجمة الحريمى .
(٤) ط ، س : « أقوام » موضع « أقمار » . و « الغر » هى كذلك فى س . وفى ل : « العر » ، وفى ط : « العز » ، محرفتان .
(٥) فى اللسان : « وتكسع فى ضلاله : ذهب ، كتسكع . عن ثعلب » .
(٦) الرواية فى الوساطة ١٥٩ : « فى جانب الأفق » .
(٧) أى أحد الغنويين . وانظر التحقيق الخاص به فى الجزء الثانى ص ٨٩ .
(٨) ط ، س : « خبر ثنائى » وتصحيحه من ل . والتحبير : تحسين الخط أو الكلام أو الشعر .
(٩) الفضول : مايتبقى من الغنائم حين تقسم ، يختص بها الرئيس .
(١٠) جهدوا : أصابهم الجهد ، وهو شدة الزمان .

وإنْ تَودَّدْتَهم لانُوا ، وإن شُهِموا　　كشفتَ أذمَار حربٍ غيرَ أغمارِ [١]

مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تقُلْ لاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ　　مِثْلُ النُّجوم التى يسرى بها السَّارى

وقال رجلٌ من بنى نهشل [٢] :

إنِّى لمِنْ مَعْشَر أفْنَى أوائلَهُمْ　　قِيلُ الـكُماةِ ألا أَينَ المحامُونا

لو كانَ فى الألفِ منَّا واحدٌ فدعَوْا　　مَنْ فارسٌ خالَهُمْ إيَّاهُ يَعنُونا [٣]

وليسَ يَذْهَبُ مِنَّا سَيِّدٌ أبَداً　　إلاَّ افتلَيْنا غُلاَماً سَيِّداً فِينا [٤]

وفى المعنى الأوّل يقول النّابغةَ الذُّبيانىّ :

وذاكَ لِأَنَّ اللهَ أَعْطاك سُورَةً [٥]　　تَرَى كُلَّ مُلْكٍ دُونَها يَتَذَبْذَبُ

بأنَّك شمسٌ والملوك كواكبٌ　　إذا طَلَعت لم يَبْدُ منهنَّ كَوكَبُ

وفى غير ذلك من المديح يقول الشاعر :

وأتيتُ حَيًّا فى الحروب محلُّهم　　والجيشُ باسم أبيهمُ يُسْتَهزَمُ

[وفى ذلك يقول الفرزدق :

لتَبْكِ وكيعاً خيلُ ليلٍ مُغيرةً　　تَساقَى السِّمامَ بالرُّدَيْنِيَّة السُّمْرِ [٦]

---

(١) انظر تفسير البيت فى الجزء الثانى ص ٨٩ . وجاء فى س : « وإن شتموا » محرفة . وفيها أيضا : « أذمار شر » وفى ل : « شد » وفيهما : «غير أشرار» .

(٢) هو بشامة بن حزن النهشلى كما فى شرح التبريزى للحماسة ١ : ٥٠ . وانظر الحماسة ١ : ٢٥ .

(٣) ل : « من عاطف » . يقال عطف على العدو : مال عليه .

(٤) الافتلاء : الافتطام والأخذ عن الأم .

(٦) السورة : بالضم : المنزلة الرفيعة .

(٦) وكيع هذا هو ابن أبى سود الغدانى . والسمام : جمع سم . ورواية الديوان ٢٤٦ والكامل ٧٦٥ ليبسك : « المنايا » . وانظر كتاب البغال ٢٦٨ .

لقوا مثلَهم فاستهزَموهمْ بدعوةٍ ... دعَوْها وكيعاً وَالرِّماحُ بهم تجرى[١]

وأما قول الشاعر :

* تخامل المحتد أو هزام[٢] *

فإنَّما ذهَبَ إلى أنَّ الدَّعوةَ إذا قام بها] خامل الذِّكر والنسب[٣] فلا يحسُده من أكفائِه أحـدٌ ، وأما [إذا قام بها[٤]] مذكورٌ بيُمن النَّقِيبة ، وبالظَّفَر المتابع ، فذلك أجـود[٥] مايكون ، وأقرَبُ إلى تمام الأمر .

وقال الفرزدق :

تَصرَّم منِّى[٦] وُدُّ بكرِ بنِ وَائلٍ ... وما كان وُدِّى عَنْهُمُ يتصرَّمُ

قوارصُ تأتِينى ويَحتقِرُونها ... وقَدْ يَملأُ القَطْرُ الأناءَ فَيُفْعَمُ[٧]

وقال الفرزدق[٨] :

وقالتْ أُراهُ واحداً لاأخَا لَهُ[٩] ... يؤمِّله فى الوَارِثِينَ الأباعـدُ

---

(١) رواية الديوان والـكامل : « والجياد بهم تجرى » . وما هنا أجزل وأقوى .

(٢) كذا جاء .

(٣) ط ، س : « وإذا قام بالدعوى خامل الذكر والنسب » .

(٤) ليست بالأصل والـكلام فى حاجة إليها .

(٥) س : « أجوز » .

(٦) كذا فى ل ، وفى ط ، س : « تذكر حبى » وهو تحريف .

(٧) ل : « الأتى » . وهو الجدول تؤتيه إلى أرضك .

(٨) الشعر الآتى قاله الفرزدق عند ماعيرته زوجه نوار بأنه لاولد له . عيون الأخبار ٤ : ١٢٢ ومعاهد التنصيص ١ : ١٠٢ . وفى الديوان ١٧٢ أن التى عيرته هى امرأته طيبة بنت العجاج المجـاشعى . وينسب الشعر أيضـا إلى ابن عنقاء الفزارى . معجم المرزبانى ٣٤٣ .

(٩) فى الديوان : « طاح أهله » ،وفى المعجم : « باد أهله » .

لعلَّكِ يوماً أن تَرَيْنى[1] كأنَّما ... بَنِىَّ حَوَالَىَّ الأُسُودُ الحوارِدُ[2]

فإنَّ تميما قبل أن يلد الحصى[3] ... أقام زماناً وهو فى الناس واحدُ

وقال الفرزدق أيضاً[4] :

فإنْ كانسيفٌ خانَ أو قَدَرٌ أَبَى[5] ... لميقاتِ يومٍ حَتْفُه غير شاهد[6]

فسَيْفُ بنى عَبْسٍ وقد ضَرَبُوا بِهِ ... نبابيدَىْ وَرْقاءَ عنرأسِ خالدِ[7]

كذاكَ سُيوفُ الهِنْدِ تَنْبُو ظُباتُها ... ويقْطَعْن أحياناً مَنَاطَ القَلائدِ

---

(١) ط ، س « ترانى » وهو تحريف ، وصوابه من ل وعيون الأخبار . وفى الديوان : « فإنى عسى أن تبصرينى » .

(٢) الحوارد : جمع حارد ، وهو المجتمع الخَلق الشديد الهيبة . ورواية الديوان : « اللوابد » .

(٣) الحصى : العدد الكثير . وقال الأعشى :

ولست بالأكثر منهم حصى ... وإنما العزة للكاثر

(٤) وكان قدم سليمان بن عبد الملك أسيراً من الروم وأمره أن يضربه بالسيف ، فلما ضربه بالسيف لم يؤثر فيه ، وكلح الرومى فى وجهه ، فارتاع الفرزدق ، وضحك سليمان والقوم . فقال جرير :

بسيف أبى رغوان سيف مجاشع ... ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الإمام فأرعشت ... يداك وقالوا محدث غير صارم

انظر تفصيل الخبر فى الأغانى (١٤ : ٨٢ — ٨٣) والغيث المنسجم (٢ : ١١٣) والعمدة (١ : ١٢٦) والنقائض ٣٨٤ .

(٥) س : « أبى » بمعنى خان . وانظر رواية البيت فى حماسة البحترى ٥٦ .

(٦) يروى : « لتأخير نفس حتفها » .

(٧) ورقاء هذا هو ابن زهير بن جذيمة العبسى . وخالد ذاك هو ابن جعفر بن كلاب العامرى ، وكان خالد قد برك على زهير تمهيداً لقتله ، ولحقه حندج بن البكاء العامرى ، وقال : نح رأسك ياأبا جزء – يعنى خالداً – فنحى خالد رأسه ، وضرب حندج رأس زهير ، وضرب ورقاء بن زهير رأس خالد العامرى بالسيف ، وكان على خالد درعان فنبا سيف ورقاء ، فقال فى ذلك :

(خير قصار القصائد)

وإنْ أحببتَ أن تَروِى مِن قِصار القصائدِ شِعراً لم يُسمَع بمثله[١] ، فالتَمِسْ ذلك فى[٢] قصار قصائِدِ الفَرَزْدق ؛ فإنَّك لم تَرَ شاعراً قطُّ يجمَعُ التَّجْويدَ فى القِصار والطِّوال غَيْرَه .

وقد قيل للكُميت : [إنّ] النَّاسَ يزْعُمون أنَّك لاتقدِر على القِصار ! قال : مَنْ قال الطِّوالَ فهو على القِصار أقدر[٣] .

هذا الكلام يَخْرُج فى ظاهر الرَّأى والظَّن ، ولم نجدْ ذلك عند التَّحصيل على ماقال .

= رأيت زهيراً تحت كلكل جعفر فأقبلت أسعى كالعجول أبادر
إلى بطلين ينهضان كلاهما يريغان نصل السيف والسيف نادر
فشلت يمينى إذ ضربت ابن جعفر وأحرزه منى الحديد المظاهر

الأغانى (١٠ : ١٤) . وقد شاع حديث الفرزدق بهذا ، حتى حكى أن المهدى أتى بأسرى من الروم ، فأمر بقتلهم ، وكان عنده شبيب بن شيبة فقال له : اضرب هذا العلج ، فقال : ياأمير المؤمنين ، قد علمت ما ابتلى به الفرزدق فعير به قومه إلى اليوم ! فقال : إنما أردت تشريفك ، وقد أعفيتك . انظر أدب الدنيا والدين ٦ — ٧ . والفرزدق فى شعره يعرض بسليمان بن عبد الملك ويعيره بنبو سيف ورقاء العبسى عن خالد ، وبنو عبس أخوال سليمان . الأغانى (١٤ : ٨٣) . أو هو قال ذلك لأن صنع بنى عبس كان مع جرير — يعنى أنه كان مواليا لهم — الأغانى (١٠ : ١٥) . وجرير ليس عبسياً ، بل هو كلبى .

(١) ل : « تسمع بمثله » .

(٢) س : « من » .

(٣) ل : « قدر » .

(جواب عقيل بن علفة وجرير)

وقيل لعَقِيل بن عُلَّفَة : لم لاتُطيل الهجاء ؟ قال : « يَكفِيك مِنَ القِلادة مَاأحَاط بالعُنُق[١] » .

وقيل لجرير : إلى كَمْ تهجُو النّاس ؟ قال : إنِّى لا أبتَدى ، ولـكنِّى أعتدى »[٢] .

وقيل له : لم لاتقصِّر[٣] ؟ قال : « [إن] الجماحَ يمنع الأذى[٤] ! » .

(شعر مختار)

قال عبيد بن الأبرص :

نبِّئتُ أنَّ بَنِى جَـديلةَ أوْعَبُوا ‌ ‌ ‌ [نُفَراءَ]من سَلْمَى لنا وتَـكَتَّبُوا[٥]

---

(١) المعروف فى المثل : « حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق » . انظر أمثال الميدانى (١ : ١٧٩) ونهاية الأرب (٣ : ٢٧) .

(٢) انظر ماسيأتى فى ص ٤٧٠ والبيان ٣ : ٦٥ والتمثيل والمحاضرة ١٨٤ والعقد ٥ : ٢٩٦ .

(٣) أى تقصر قصائدك ، وكان جرير يطيل قصائد الهجاء .

(٤) يريد أن مظهر العنف والانطلاق يكف الناس عن التعرض لصاحبه . والجماح أصله للخيل تغلب صاحبها وتطير به . فى ط ، س : « قال الجماع يمنع الأذى » وتصحيحه وإكماله من ل .

(٥) بنو جديلة : حى من طىء . أوعبوا : أى لم يدعوا منهم أحداً ونفروا جميعاً . تكتبوا : صاروا كتائب . وهى فى ط ، س : « تنكبوا » وتصحيحه من ل والديوان ١٢ ليدن .

[ولقد جَرى لهمُ فلم يتعيَّفوا تيسٌ قَعيدٌ كالهِرَاوةِ أعضَبُ][1]
وأبو الفِراخ على خشاش هَشيمةٍ متنكِّبٌ إبِط الشَّمائل يَنْعَبُ[2]
[فتجاوزُوا ذَاكُمْ إلينا كلَّه عَدْواً وَقرْطبةً[3] فلما قرَّبوا]
طُعِنوا[4] بمُرَّان الوَشِيج ِفما ترى خلفَ الأسِنَّةِ غَيْرَ عِرْقٍ يشْخَبُ[5]
وتبَدَّلُوا اليَعْبُوبَ بَعدَ إلهِهمْ صَنَماً[6] ففِرُّوا[7] ياجَدِيلَ وأعذِبوا[8]

---

(١) يقول : قد جرى لبنى جديلة بالشؤم تيس قعيد من الظباء فلم يتعيفوا . التعيف : من العيافة ، وهى هنا بمعنى التشاؤم . والقعيد : الذى يأتى من الخلف . وجعل التيس كالهراوة فى ضخمها واندماجها . والأعضب : المكسور القرن . وهو مما يتشاءم به . انظر العمدة (٢ : ٢٠٢) .

(٢) أبو الفراخ ، عنى به الغراب . والهشيمة : الشجرة اليابسة . والخشاش : مالا عظم له من الدواب ، مثل الحيات والعظايا . وشبه فراخ الغراب لمعطها بالخنافس . وروى فى س : « حشاش » ، وهى بالكسر بمعنى الجانب ، كما فى القاموس . ومتنكبا إبط الشمائل ، أى مائلا عن جهتها . والشمائل : جمع شمال ، وهى الريح الشمالية .

(٣) « ذاكم » عنى به التعيف والزجر . و « قرطبة » أى عدوا شديداً . وفى الأصل « قرضبة » تصحيف ماأثبت . ورواية الديوان : « مرقصة » ، وهى ضرب من العدو .

(٤) ط ، س : « ظعنوا » ، والوجه ماأثبت من ل وديوان عبيد .

(٥) المران بالضم : الرماح الصلبة اللدنة ، الواحدة مرانة . والوشيج : شجر الرماح . يشخب : يسيل دمه .

(٦) اليعبوب : صنم لجديلة ، وكان لهم صنم أخذته منهم بنو أسد ، رهط عبيد ابن الأبرص ، فتبدلوا اليعبوب بدله . الخزانة (٣ : ٢٤٦ بولاق) .

(٧) فى الخزانة : « قروا » ، بالقاف .

(٨) قال البغدادى : « أى لاتأكلوا على ذلك ولا تشربوا » . وهكذا جاء فى ل والخزانة . وفى ط ، س : « أوعبوا » .

وقال آخر :

أَلم تَرَ حَسَّان بنَ مَيسرةَ الذى   بِجُوْخَى[١] ، إلى جيرانِه كيف يَصنَعُ

مَتَارِيبُ[٢] ما تنفكُّ منهم[٣] عِصابة   إليه سِراعاً يحصُدُون ويزْرَعُ

(شعر فى معنى قوله : يريد أن يعربه فيعجمه)

وبابٌ[٤] آخرُ مثلُ قوله[٥] :

* يريد أن يُعرِبَه فيُعجِمَهُ *

وقال آخر :

* كأنَّ مَنْ يحفَظها يُضيعُها *

---

(١) ماعدا ل : « بجوع » . وانظر الاستدراكات .

(٢) متاريب : جمع مترب ، كمحسن ، وهو الذى قل ماله . وهذا الحرف من الأضداد ، والأكثر فيه أن يستعمل للذى كثر ماله . والمعروف فى الذى قل ماله : ترب كفرح ، من الثلاثى . انظر اللسان (ترب) . وهذه الكلمة هى فى ط ، ل : « متى ريب » ، وهى على الصواب فى س .

(٣) ط ، س : « منه » .

(٤) ط : « وقال » . وتصحيحه من س ، ل ؛ فإن الآتى مخالف للسابق .

(٥) هو الحطيئة ، والبيت الآتى من أرجوزة له ، أولها كما فى العمدة ١ : ٧٤ ، والديوان ١١١ :

الشعر صعب وطويل سلمه   إذا ارتقى فيه الذى لايعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه   والشعر لا يسطيعه من يظلمه

وبعده :

ولم يزل من حيث يأتى يحرمه   من يسم الأعداء يبق ميسمه

وقال آخر :

* أهوجُ لا يَنفعُهُ التَّثقيفُ *

وقال بعض المحدَثين [فى هذا المعنى] :

إذا حاوَلوا أنْ يَشعَبُوها رَأيتَها مَعَ الشَّعْب لا تَزْدَادُ إلاَّ تَدَاعِيَا[١]

وقال صَالِحُ بنُ عبدِ القُدُّوس :

والشّيخُ لا يَتْرُكُ أخلاقَهُ حَتَّى يُوارَى فى ثَرَى رَمْسِهِ[٢]
إذا ارْعَوَى عادَ إلى جَهلِهِ كَذِى الضَّنَا عادَ إلى نُكْسِهِ

ومثل هذا قوله :

وتَروضُ عِرْسَكَ بَعْدَ ما هَرِمَتْ وَمِنَ العَناءِ رِياضةُ الهرِمِ

٣٢ وقال حُسيل[٣] بن عُرْفُطة :

لِيَهْنِيكَ بُغْضٌ فى الصَّدِيقِ وَظِنة[٤] وتحديثُك الشَّىءَ الذى أنت كاذِبُهْ
وأنَّكَ مَشْنوءٌ إلى كلِّ صاحبٍ بَلاكَ[٥] ، ومثلُ الشَّرِّ يُكْرَهُ جانبُهْ

---

(١) الشعب : الإصلاح . والتداعى : التساقط . وهذا البيت هو الثانى من أبيات عددها اثنا عشر بيتا فى البخلاء ١٨٨ يهجو بها الشاعر قوما بخلاء ، فوصف قدورهم بما يقتضيه الهجاء .

(٢) البيان ١ : ١٢٠ و التمثيل والمحاضرة ٧٨ .

(٣) هو حسيل بن عرفطة بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس الأسدى ، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ورأى الرسول ، وروى عنه . وهو ممن غير الرسول الكريم أسماءهم ، فسماه « حسينا » . انظر الإصابة ١٧١٧ . وقد جعله أبو زيد فى نوادره ٧٥ ، ٧٧ من شعراء الجاهلية . والصواب ماقدمت . ومن العجيب أن أبا حاتم قال إنه « حسين » ثم يخطئه الأخفش فى ذلك . انظر النوادر فى الموضعين . وقد جاء هذا الاسم فى كل من ط ، س ، وكذلك البيان ٣ : ٢٤٩ : « الحسن » ، وهو تحريف . والأبيات بدون نسبة فى البغال ٣٣٩ .

(٤) فى البيان والبغال : « ليهنك » وهما صحيحتان . وفيه أيضاً « وضنة » .

(٥) بلاك : اختبرك . وفى ط ، س : « قلاك » بمعنى أبغضك ، وأثبت ما فى ل والبيان والبغال .

وأنَّك مِهْداءُ الخنا نَطِفُ النثا[١] شَدِيدُ السِّبَاب رافع الصوتِ غَالِبُهْ

فلم أرَ مِثْلَ الجَهْل يَدْعو إلى الرَّدى[٢] ولا مِثْلَ بُغْضِ النَّاس غَمَّضَ صاحِبُه

(كلمة للزِّبرقان)

وقال الأصمعى : قال الزِّبرقَانُ بنُ بدر : خَصْلَتان كبيرتان فى امرئ السَّوء : شِدَّة السِّباب ، وكثرة اللِّطام[٣] .

(شعر فى تمجيد الأقارب)

وقال [خالد] بن نَضْلَة :

لَعَمْرِى لَرَهْطُ المَرْءِ خَيْرٌ بَقِيَّةً عليَه ولو عالَوْا به كلَّ مَركبِ[٤]

منَ الجانِبِ الأقْصَى وإنْ كانَذا نَدًى كثيرٍ[٥] ولا يُنْبِيكَ مثلُ المجرِّبِ

إذا كنْتَ فى قومٍ عِدًا لستَ مِنْهُمُ فكلْ مَاعُلِفْتَ مِنْخَبيثٍ وَطَيِّبِ[٦]

فإنْ تَلتَبِسْ بى خَيلُ دُودَان لا أَرِمْ وإن كنتُ ذا ذَنْب وإنْ غيْرَ مُذْنِب

---

(١) النثا : ماأخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ . وفى ط ، س ، والبيان : « الثنا » ، وهوتحريف ماأثبت من ل . والنطف : المتهم المريب .

(٢) الردى : الهلاك . وفى الأصل : « الرخا » ، وتصحيحه من البيان .

(٣) س : « الطعام » محرف .

(٤) أى وإن أركبوه المراكب الصعبة . س : « غلت به » محرفة .

(٥) رواية الحماسة ١ : ١٣٤ : « ذا غنى جزيل » . و « كثير » هى فى ط ، س : « كثيراً » ، وإنما هو صفة للندى .

(٦) العدا : اسم جمع بمعنى الأعداء . أو بمعنى الغرباء كما جاء فى المخصص ١٢ : ٥٢ رواية عن ابن السكيت ، قال : « ولم يأت فعل – أى بكسر ففتح – فى الصفات غير هذا » . وانظر البيان ٣ : ٢٥٠ .

(بكل وادٍ بنو سعد)

قال : ولمَّا تأذَّى الأضبط بنُ قُريع فى بنى سعد[١] تحوَّلَ عنهمْ إلى آخَرينَ فآذَوه فقال : بكَلِّ وادٍ بنُو سعد !

(مقطَّعاتٌ شتَّى)

وقال سُحَيمُ بن وَثِيل :

ألا ليسَ زَينَ الرَّحلِ قِطْعٌ وَنُمْرُقٌ   ولكنَّ زَينَ الرَّحْلِ يامىَّ راكبُه[٢]

وقال أعرابىٌّ :

فما وجْدُ مِلواحٍ مِنَ الهيمِ حُلِّئتْ   عن الماء حتَّى جَوْفُها يَتَصَلْصَلُ[٣]

تحومُ وتَغْشَاها العِصِىُّ وحَوْلها   أقَاطيعُ أنعامٍ تُعَلُّ وتُنْهَلُ

بأكثَرَ مِنِّى غُلَّةً وتعطُّفاً[٤]   إلى الورد[٥] ، إلاَّ أنَّنى أتَجمّلُ

---

(١) ط ، س : « سحيم » ، والصواب : « سعد » كما فى ل ، وماسبق فى الجزء الأول ص ٣٥٨ .

(٢) القطع ، بكسر القاف : البساط ، أو النمرقة ، أو الطنفسة يجعلها الراكب تحته . وفى ل : « نطع » بالنون ، وهو البساط من الأديم . والنمرق والنمرقة : الوسادة الصغيرة أو الطنفسة فوق الرحل . وقد حرف الناسخون البيت فى عيون الأخبار ١ : ٢٩٧ فجعلوه « قطعاً يمزق » . ورواه المرزبانى فى معجمه ٣٩٠ لمضرس بن ربعى .

(٣) حلئت : منعت من الماء . وفى ط ، س : « خليت » . والهيم : الإبل العطاش .

(٤) ط ، س : « تقطعا » . وأثبت مافى ل والبيان ٣ : ٥٥ .

(٥) ل : « العدد » وصواب هذا « العد » بالكسر ، وهو الماء الجارى الذى له مادة لاتنقطع .

وقال خالدُ بن عَلْقَمَةَ ابنُ الطَّيفان[١] ، فى عيب أخْذِ العَقْل والرِّضا بشىءٍ دونَ الدَّم ، فقال :

وإنَّ الَّذِى أصبحْتُمُ تحلُبُونَه دَمٌ غيْرَ أنَّ اللَّونَ لَيسَ بأحْمَرَا

فلا تُوعِدُوا أولادَ حَيَّانَ بَعْدَمَا رَضِيتُمْ وزوّجتم سَيَالة مِسْهَرَا[٢]

وأعجَبَ قِردٍ يقصم القملَ حَالقاً[٣] إذا عبَّ منها فى النَّقيبةِ بَرْبَرَا[٤]

إذا سكَبُوا فى القَعبِ من ذى إنائهم رأوا لَونَه فى القَعبِ وَردًا وأشقرا[٥]

٣٣

باب آخــر

فى ذكر الغضب ، والجنون ، فى المواضع التى يكون فيها محموداً[٦] .

قال الأشهبُ بن رُمَيلة[٧] :

---

(١) ط ، س : « الصهبان » ، وهو تحريف ماأثبت من ل والقاموس . والطيفان هى أم خالد . وكلمة « ابن » هى فى الأصل محذوفة الألف وهو خطأ ، وقد جاء على الصواب الذى أثبته فى الأغانى ١١ : ١٢١ . وكان خالد معاصرا لجرير والفرزدق .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وحولتم بسالة مشفرا » . وهو تحريف ، ولعل صواب « حولتم » فيه « خولتم » .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وأكحم فرداً يقصم الفيل جالباً » !

(٤) منها : أى من إبل الدية . والنقيبة : العظيمة الضرع من النوق . وفى ل : « النقيعة » ، وهى الجزور تجزر للضيافة . والبربرة : الصياح .

(٥) ط : « العقب » محرفة . وقد زاد كلمة « ذى » قبل إنائهم ، ولذلك نظائر فى كلامهم . انظر خزانة الأدب ٤ : ٢٣١ — ٢٣٢ سلفية .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فى مثـل ذلك من الغضب ، وفى ذكر الجنون فى المواضع التى يكون ذكره فيها محموداً » .

(٧) الأشهب بن رميلة : شاعر إسلامى مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم ولم =

هرَّ[١] المَقادَةَ[٢] من لا يستقيدُ لها[٣] وأعصَوْصَبَ السَّيرُ وارتدَّ المساكينُ[٤]

مِنْ كلِّ أشعثَ قدْ مالَتْ عِمامَتهُ كأنَّهُ مِنْ ضِرارِ الضَّيم مجْنُون[٥]

وقال فى شبيهِ ذلك أبو الغول الطُّهَوىُّ[٦] :

فَدَتْ نفسى وما مَلَكَتْ يَمينى مَعاشِرَ صُدِّقتْ فيهم ظُنُونى[٧]

مَعاشِرَ لا يملُّون المنايا إذا دَارتْ رَحَى الحربِ الطَّحون[٨]

ولا يجزُون مِن خير بشر ولا يجْزُون من غِلَظٍ بِلِين[٩]

ولا تَبلى بَسَالَتُهُمْ وإنْ هُمْ صَلُوا بالحرْبِ حيناً بعدَ حين

= تعرف له صحبة . انظر الإصابة ٤٦٤ . و « رميلة » هى أمه . واسم أبيه ثور ابن أبى حارثة ، ينتهى نسبه إلى تميم . وكان الأشهب ممن هاجى الفرزدق ، وقد سبق رجز له فى ذلك بالجزء الأول ٣١٥ هو فى الخزانة ٤ : ٥١٠ بولاق . جاء فى ط : « رملية » وهو تحريف . وجاء بعد هذا فى كل من ط ، س : كلمة « بعد ذلك » .

(١) هر : كره . وفى ط ، س : « هذ » بمعنى قطع .

(٢) المقادة : القود ، وهو نقيض السوق . وفى ل : « الوفادة » وأحسبها تحريفاً ، ولعل الكلام فى صفة ركب مسافرين فى فلاة .

(٣) ل : « يستعد لها » .

(٤) اعصوصب السير : صار عصيبا شاقا . وفى ل : « اعصوصب الشر » .

(٥) مالت عمامته مما لعب النوم به . والضرار : الضرر . وفى ٦ : ٢٤٦ : « من حذار الضيم » .

(٦) قيل له أبو الغول لأنه فيما زعم رأى غولا فقتلها . المؤتلف ١٦٣ . وهو شاعر إسلامى . التبريزى (١ : ١٤) ومعجم البلدان (وقبى) . وفى ل : « الضبى » وهو تحريف .

(٧) قال التبريزى : « يروى : صدقوا . . . ويروى : صدقت فيهم ظنونى ، ويكون ظنونى فى موضع رفع بصدقت » ، أى فاعلا لصدقت .

(٨) فى ل ، وكذا فى الحماسة : « فوارس » وفيهما أيضاً : « الحرب الزبون » .

(٩) فى ل ، وكذا فى الحماسة : « ولا يجزون من حسن بسىء » . والسىء بالفتح .

هُمُ أحمَوْا حِمَى الوَقَبَى بضَرْبٍ ... يُؤَلِّف بينَ أشْتَاتِ المَنُونِ [١]

فنَكَّبَ عنهمُ دَرْءَ الأعادِى ... وَدَاوَوْا بالْجُنُونِ من الجنونِ

وقال ابن الطَّثْرِيَّة [٢] :

[لو أنَّنِى لم أنلْ منكم معاقبةً ... إلا السِّنَانَ لذاقَ الموت مظعونُ

أو لاختطبتُ فإنِى قد هممت به ... بالسَّيف إن خطيب السَّيفِ مجْنُونُ [٣]

وقال آخر] :

حمراءُ تامِكة السَّنامِ كأنَّها ... جَمَلٌ بهَوْدجِ أهْلِهِ مَظْعُون [٤]

جادَتْ بها يَومَ الوَداعِ يَمينه ... كِلْتَا يَدَىْ عَمْرو الغَدَاةَ يَمينُ [٥]

ما إنْ يجود بمثْلها فى مثلِه ... إلاَّ كَرِيمُ الخِيمِ أو مجْنُونُ [٦]

---

(١) الوقبى ، بالتحريك : اسم أرض ، أو اسم ماء . المقصور ١١٦ ومعجم البلدان . فى ل ، والمقصور والحماسة والمعجم : « هم منعوا » .

(٢) كذا جاء فى ل نسبة البيتين الآتيين إلى ابن الطثرية ، ونسبة الثلاثة التى بعدها إلى « آخر » ، لكن فى ط ، س نسبة الثلاثة الأبيات التالية إلى ابن الطثرية . ولم أعثر على مرجع لهاتين المقطوعتين .

(٣) فى الأصل : « لا شتمت » ، صوابه من ٦ : ٢٤٥ .

(٤) تامكة السنام : عظيمته . وقد شبه الناقة المهداة إليه بالجمل المظعون : الذى شد هودجه بالظعان ككتاب ، وهو حبل الهودج . فجعلها كجمل لوثاقة خلقها ، ثم أضاف إلى النعت ذكر الهودج ، ليصور بذلك عظم علوها .

(٥) كلتا يديه يمين : أراد : شماله كيمينه فى العطاء ، مبالغة فى وصفه بالعطاء . وجاء فى الحديث : « كلتا يديه يمين » فتوهم بعضهم التشبيه ، ورد عليهم ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث ٢٦٥ .

(٦) ط ، س : « فى مثلها » . والأشبه ما كتبت من ل . وضمير : « بمثلها » عائد إلى الناقة الحمراء . وضمير « مثله » إلى يوم الوداع . والخيم بالكسر : السجية .

وفى هذا المعنى يقول حسَّان ، أو ابنُه عبدُ الرحمن بن حسَّان :

إنَّ شَرْخَ الشَّبابِ والشَّعَرَ الأسْـ ... ـودَ ما لَمْ يُعَاصَ كانَ جُنونَا

إنْ يكُنْ غثَّ مِنْ رَقاشِ حَدِيثٌ ... فبِما نأكُلُ الحديثَ سَمِينا[٢]

وفى شبيهٍ بذلك قول الشَّنْفَرَى :

فدَقَّتْ وجلَّتْ واسبَكَرَّتْ وأُكْمِلَتْ

فلوْ جُنَّ إنْسانٌ مِنَ الحُسْنِ جُنَّتِ[٣]

وقال القُطامىُّ — حين وصف إفراط ناقتِه فى المرَح والنَّشاط :

٣٤ يَتْبَعن ساميةَ[٤] العَينَينِ تحسَبُها ... مَجْنُونَةً أو تُرَى ما لا تَرَى الإبِلُ

وقال ابنُ أحمرَ ، فى معنى التشبيه والاشتقاق :

بِهَجْلٍ من قَسًا ذَفِرِ الخُزَامى ... تداعى الجِرْبِياءُ به الحَنِينا[٥]

---

(١) شرخ الشباب هو اسوداد الشعر . ولولا أنهما لاصطحابهما صارا بمنزلة المفرد كان حق الكلام أن يقال : يعاصيا . أمالى ابن الشجرى (١ : ٣٠٩) . وانظر قول المبرد فى الكامل ٥٩٧ ليبسك والعسكرى فى الصناعتين ١٨٥ .

(٢) هذا البيت ليس فى ل . والبيتان فى الديوان ١٣٤ — ٤١٤ فى سبعة أبيات .

(٣) يقول : دق جسمها فى المواضع التى يستحسن فيها الدقة ، وعظم فى الأجزاء التى يرضى فيها العظم . واسبكرت : استقامت واعتدلت . وقصيدة البيت بديعة ، وهى من المفضليات . وانظر البيان (٣ : ٢٢٤) ومجالس ثعلب ٤٢٦.

(٤) سامية : عالية ، وفى ط ، ل : « نامية » ، وتصحيحه من س والجزء السادس من الحيوان ص ٧٧ .

(٥) الهجل ، بالفتح : المطمئن من الأرض . وفى ل : « لجو » وهو تحريف. وفى س : « بجو » وهى صحيحة ، فالجو : ما اتسع من الأرض وبرز واطمأن ، كما فى اللسان . و « قسا » : موضع بالعالية ، وهو بالفتح ، ويقال بالكسر كما فى المقصور . و « الخزامى » : نبت طيب الرائحة . و « ذفر » : ذكى الرائحة . و « تداعى » هى فى ط « تهادى » وهى رواية أخرى ، كما فى اللسان (جرب) . والجربياء : الريح الشمالية الباردة . والحنين : صوت الريح . وفى ل : « الجنينا » مصحفة عما أثبت من ط ، س واللسان فى مواضع متعددة والكامل ٤٦٤ ليبسك ومعجم البلدان (قسا) والمقصور ٨٨ والبيان ٣ : ٢٢٢ والحيوان (٦ : ١٨٥) والمخصص (١١ : ٢٠٧) .

تَفَقَّأَ فَوقَهُ القَلَعُ السَّوَارِى   وجُنّ الخازِبازِ بِهِ جُنُونا[١]

وفى مثل ذلك يقول الأعشى :

وإذا الغيثُ صوبُه وَضَع القِدْ   حَ وجُنَّ التِّلاعُ والآفاقُ[٢]

لم يزِدْهُمْ سفاهةً نشْوةُ الخمـ   ـرِ ولا اللَّهوُ فيهمُ والسِّباقُ

وقال آخر فى باب المزاح والبَطَالة ، مما أنشَدَنيه أبو الأصبغ[٣] ابن ربعىّ :

أتونى بمجنونٍ يَسِيلُ لُعَابُه   وما صاحبى إلاَّ الصَّحيحُ المسلَّمُ

وأنشدنى[٤] إبراهيمُ بن هانئ ، وعبدُ الرحمن بنُ منصور[٥] :

جنُونُكَ مجْنونٌ ولسْتَ بواجدٍ   طَبِيباً يُدَاوِى مِن جنُونِ جنُونِ

---

(١) تفقأ : تصبب ، وفى س : « تكسر » ، وهى رواية أخرى كما فى أمثال الميدانى (١ : ٢٢٧) والحيوان (٦ : ١٨٦) . والقلع بالتحريك : قطع من السحاب كأنها الجبال ، الواحدة قلعة . والخازباز : ذباب يظهر فى الربيع فيدل على خصب السنة ، أوهو نبت . وجنونه : تكاثفه .

(٢) البيتان أعيدا فى ص ٤٨٥ والجزء السادس ص ١٨٦ .

(٣) أبو الأصبغ جاء فى الأصل « أبو الأصيغ » . صوابه من البخلاء ٢٢٩ ، ١٠٥ . وذكره الجاحظ فى البيان (٤ : ١٩) ضمن النوكى وأشباههم . وروى أنه قيل له : أما تسمع بالعدو وما يصنعون فى البحر ؟ فلم لا تخرج إلى قتال العدو ؟ قال : أنا لا أعرفهم ولا يعرفوننى ، فكيف صاروا لى أعداء ؟ !

(٤) ط ، ل : « وأنشد » ، وأثبت ما فى س موافقاً ما فى الجزء السادس ص ١٨٦ .

(٥) فى الجزء السادس زيادة : « قبل أن يجن » .

(إبراهيم بن هانئ والشّعر)

وكان إبراهيم [بن هانئ] لايقيم شعراً[١] . ولا أدرى كيف أقَامَ هذا البيت !

وكان يدَّعى بحضرة أبى إسحاق[٢] علمَ الحِسابِ ، والكلامِ ، والهندسة ، واللحون ، وأنّه يقول الشعر ؛ فقال أبو إسحاق : نحن لم نمتحِنْك فى هذه الأمور ، فلك أن تدّعِيهَا عندنا[٣] . كيفَ صِرْتَ تَدّعى قولَ الشعر ، وأنتَ إذا رويتَه لغيرك كسرته ؟! قال : فإنّى هكذا طبِعتُ ، أن أقيمه إذا قلت ، وأكسره إذا أنشدت ! قال أبو إسحاق : مابعدَ هذا الكلام كلام !

(جواب أعرابى)

وقلت لأعرابىّ ، أيُّما أشدُّ غلمةً : المرأةُ أو الرجل ؟ فأنشد :

فوَ اللهِ ما أدْرِى وإنِّى لَسائِلٌ ... أألأيرَ أدنَى للفجور أو الحِرُ

وقد جاءَ هذا مُرخِياً من عِنانه ... وأقبلَ هـذا فاتحاً فاه يهدر[٤]

---

(١) وكان ماجنا خليعاً كثير العبث متمرداً . انظر أخباره وأحاديثه فى الجزء الأول من البيان ٩٣ — ٩٥ .

(٢) هو النظام .

(٣) س : « عندها » .

(٤) يهدر : من الهدير ، وأصله تردد صوت البعير فى حنجرته . وفى ط ، س : « يهبر » بالباء محرفة . وهى على الصواب الذى أثبت فى ل ومحاضرات الراغب (٢ : ١١٨) وقد روى الخبر فيها مبدوءا بقيل لقطرب — يعنى النحوى .

(مقطعات شتى)

وأنشد بعضهم :

أصبَحَ الشَّيبُ فى المفارقِ شاعا   واكتَسى الرأسُ من بياض قِناعا
ثم وَلَّى الشَّبابُ إلاَّ قليلاً   ثم يأبَى[١] القليلُ إلاَّ نزاعا

وأنشد محمد بن يسير[٢] [لبعضهم] :

قامتْ تُخاصرنى لِقُبَّتِها[٣]   خَوْدٌ تَـأَطَّرُ ناعِمٌ بِكْرُ[٤]
كلٌّ يَرَى أنَّ الشَّبابَ له   فى كل مبلغ لَذَّةٍ عُذْرُ   ٣٥

وقال الآخرُ فى خلاف ذلك ، أنشدنيه محمد بن هاشم السِّدرىّ[٥] :

فلا تعذُرانى فى الإساءةِ إنَّه   أشرُّ الرِّجال مَنْ يسىءُ فيُعذَرُ[٦]

---

(١) ط ، س : « يأتى » . وتصحيحه من ل والبيان (٢ : ٣٣٤) .

(٢) ط ، س : « يسر » وصوابه فى ل . وقد سبقت ترجمته فى الجزء الأول . والشعر فى البيان (١ : ١٩٨) مسبوق بعبارة : « وأنشد الأحوص بن محمد » .

(٣) جاء فى البيان ، من تفسير الجاحظ للبيت : « تخاصرنى : آخذ بيدها وتأخذ بيدى » . وكلمة : « لقبتها » كذا جاءت بالأصل ، ووردت فى الجزء الأول من البيان وكذا فى الثالث منه ص ٣٤١ : « بقنتها » ، وفسرها الجاحظ فى الجزء الأول بقوله : « والقنة (واحدة القنن . وهى) : المواضع الغليظة من الأرض فى صلابة » .

(٤) تأطر : تتأطر ، أى تتثنى وتتعطف . و « ناعم » هكذا جاءت فى ط ، س . وفى ل والبيان : « غادة » ، وفسرها الجاحظ بأنها الناعمة اللينة .

(٥) ط : « السيدرى » صوابه ما فى ل ، س . ترجم له المرزبانى فى معجمه ٤٣١

(٦) قال الجوهرى فى الصحاح : « لا يقال أشر إلا فى لغة رديئة » . وهكذا جاءت الرواية فى ط ، ل . وفى س والجزء السابع ص ٢٦٠ وكذا فى أدب الدنيا والدين ص ٣١ : « شرار » .

وقال ابن فسوة (١) :

فَلَيتَ قَلوصى عُرِّيت أوْ رحلتها إلى حَسَن فى داره وابن جعفر (٢)
إلى مَعْشَر لا يَخصِفُونَ نِعالَهم ولا يلبَسُون السِّبْتَ مالم يُخصَّر (٣)

وقال الطِّرِمَّاحُ بنُ حكيم ، وهو أبو نفْر (٤) :

لقد زادنى حُبًّا لنَفسىَ أنَّنِي بَغيضٌ إلى كلّ امرئٍ غَيْرِ طائِل
إذا مارآنى قطَّعَ الطَّرْفَ بَيْنه وبَيْنِىَ فِعْلَ العارِفِ المتجاهِلِ
ملأتُ عليه الأرضَ حتَّى كأنَّها من الضِّيقِ فى عَينْيَهِ كِفَّةُ حابل (٥)

---

(١) ط ، س : « ابن قترب » وصوابه ما أثبت من ل . والشعر فى الأغانى (١٩ : ١٤٤) وكذا البيان (٣ : ١٠٩) منسوب إلى ابن فسوة . وقد تقدمت ترجمته فى الجزء الثانى ص ١١ .

(٢) كذا على الصواب فى ل والأغانى . وفى ط : « إلى حرمى دارمى بن جعفر » وفى س : « إلى حين مى درامى » والتحريف فيهما ظاهر . وفيهما أيضا « إذ رحلتها» ، وهو خطأ صوابه فى ل والأغانى .

(٣) السبت ، بالكسر : الجلد المدبوغ ، وكانت النعال السبتية خاصة بأهل النعمة من العرب . وانظر كلام الجاحظ فى البيان ٣ : ١٠٩ — ١١٣ . والنعل المخصرة : المستدقة الوسط .

(٤) كذا فى ل ، وهو الصواب كما فى الشعراء لابن قتيبة ١٤٠ والأغانى ١٠ : ١٤٨ . وفى ط : « نقير » وفى س : « بقير » محرفتان . والطرماح : شاعر إسلامى فى الدولة المروانية ، ومولده ومنشؤه بالشام ، ثم انتقل إلى الكوفة مع من وردها من جيوش أهل الشام ، فاعتقد مذهب الشراة والأزارقة . وكان شاعراً فصيحا ، يكثر فى شعره الغريب . قال محمد بن حبيب : سألت ابن الأعرابى عن ثمانى عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرماح فلم يعرف واحدة منها . وكان صديقاً للكميت الشاعر لايكادان يتفارقان . انظر المرجعين المتقدمين والخزانة ٣ : ٤١٨ بولاق .

(٥) الحابل : من يصطاد بالحبالة ، وكفته ، بالكسر ، هى حبالته . فى ط : « حائل » محرفة ، صوابها فى ل ، س والأغانى والشعراء . وللبيت نظير فى اللسان (كفف) .

وقال آخر :

إذا أبصرتَنى أَعْرَضْتَ عَنِّى ‏ ‏ كأنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِى تَدُورُ

وقال الخُرَيمى[١] وَذَكر عماه[٢] :

أُصغِى إلى قائدى ليخْبِرَنى ‏ ‏ إذا التقَيْنا عَمَّنْ يُحَيِّينى

أريدُ أن أعدِلَ السَّلامَ وأَنْ ‏ ‏ أَفصِلَ بَيْنَ الشَّرِيفِ والدُّونِ

أسمَعُ ما لا أرَى فأكره أنْ ‏ ‏ أُخطِئَ ، والسَّمْعُ غيرُ مأمُونِ[٣]

لِلّٰه عينِى الَّتى فجعْتُ بها ‏ ‏ لو أنَّ دَهـرًا بهــا يواتينى[٤]

لو كنْتُ خيِّرتُ ما أخذْتُ بها ‏ ‏ تَعْمِيرَ نُوحٍ فى مُلْكِ قارُون

وقال بعضُ القُدَماء[٥] :

أَلم تَرَ حوشَبًا أضحَى يُبَنِّى ‏ ‏ قُصُورًا نفعُها لِبَنِى نُفيله[٦]

يُؤَمِّل أنْ يُعَمَّرَ عُمْرَ نُوحٍ ‏ ‏ وأمرُ اللهِ يحدثُ كلَّ لَيْلَه[٧]

---

(١) فى الأصل وكذا معاهد التنصيص (١ : ٨٧) : « الخزيمى » - بالزاى - وهو تحريف ، صوابه فى عيون الأخبار (٤ : ٥٧) ونكت الهميان ٧١ . وقد تقدمت ترجمته ، وتحقيق اسمه فى الجزء الأول ص ٢٢٤ .

(٢) ل : « فى عمى عينيه » . وانظر الشعر والشعراء ٨٣٠ - ٨٣١ .

(٣) س : « وأكره أن أخطىء » .

(٤) كذا فى ل والمراجع المتقدمة . وفى ط ، س : « دهرا تولى فما تواتينى » .

(٥) لم أجد صاحب البيتين فيما لدى فى المراجع . قالوا : لما بنى أبو العباس بناءه بالأنبار الذى يدعى رصافة أبى العباس ، قال لعبد الله بن الحسن بن الحسن بن على : ادخل وانظر . فدخل معه فلما رآه تمثل بالبيتين . معجم البلدان ، والأغانى (١٨ : ٢٠٦) وعيون الأخبار (١ : ٢١١) . وقد عاتبه أبو العباس على ذلك ، كما فى عيون الأخبار والعقد (٣ : ٢٦٩) .

(٦) كذا فى ل ، س ومعظم الروايات . وفى ط وعيون الأخبار : « بقيلة » .

(٧) ل : « يطرق كل ليلة » ، وهى رواية فريدة .

وقال ابن عبَّاسٍ بعد ما ذهب بصره[(١)] :

إنْ يأخُذِ اللهُ من عينيَّ نُورَهُما فِفى لِسانِى وقلبِى مِنْهُما نورُ[(٢)]

قلبِى ذَكِىٌّ وعَقلى غَيْرُ ذى دَخلٍ وفى فمى صارمٌ كالسَّيفِ مأثورُ

[وقال حسَّان يذكرُ بيانَ ابن عبَّاس[(٣)] :

إذا قال لم يَترك مقالاً ولم يقفْ لِعِىٍّ ولم يَثْنِ اللِّسانَ على هُجْرِ

يصرِّف بالقولِ اللسانَ إذا انتحى وينظر فى أعطافه نظرَ الصَّقْر]

(شعر فى الخصب والجدب)

٣٦ وقال بعضُ الأعراب يذْكُرُ الخِصْب والجَدْب :

مُطِرْنا فلمَّا أنْ رَوِيناَ تَهادَرَتْ شَقاشِقُ فيها رائبٌ وحَلِيبُ

---

(١) كذا فى ل ، وهو الصواب ، كما فى نـكت الهميان ٧١ نقلا عن الجاحظ ، وكذا عيون الأخبار ٤ : ٥٦ والشعر والشعراء ٨٣٠ ، ومعاهد التنصيص ١ : ٨٧ والعقد ٣ : ١٥٧ ، ٣٩٠ وقد ذكر صاحب العقد سبب الشعر . وشذ أبو على القالى فى ذيل الأمالى ص ١٥ فنسب البيتين إلى حسان بن ثابت . وقد وجدتهما فى ديوانه ص ١٦٥ . ويروى البيتان أيضاً لأبى على البصير كما فى المستطرف ٢ : ٢٧٢ ولأبى العيناء فى معجم الأدباء ١٨ : ٢٠٣ . وفى ط ، س : « وقال أبو يعقوب الخزيمى »، وهو خطأ .

(٢) س : « فنى لسانى وسمعى » وفى عيون الأخبار : « فى فؤادى وسمعى » .

(٣) انظر معجم الأدباء ٦ : ١٨٩ . ولحسان بن ثابت أبيات أخرى يذكر فيها بيان ابن عباس . انظر البيان ١ : ٣٣٠ .

ورابت رجالاً مِنْ رجال ظُلامةٌ ... وعُدَّتْ ذُحولٌ بينهم وذنوبُ[١]

ونُصّتْ رِكابٌ للصِّبَا فَتَرَوَّحَتْ ... لهنَّ بما هاجَ الحبيبَ خَبيبُ[٢]

وطَنَّ فناءُ الحيِّ حتَّى كأنَّه ... رَحَى مَنْهَلٍ مِنْ كَرِّهِنَّ نحيب[٣]

بني عمِّنا لاتَعْجَلُوا ، ينضُبُ الثَّرَى ... قليلاً ويَشْفِى المترَفِينَ طَبيبُ[٤]

فلوقَدْ تَوَلَّى النَّبتُ وامتيرَت القُرَى ... وحَنَّتْ رِكابُ الحيِّ حِينَ تثوب[٥]

وصارَ غَبُوقَ الخَودِ وهي كريمةٌ ... على أهلها ، ذو جُدَّتَينِ مَشُوب[٦]

[وصار الَّذى فى أنْفِه خُنزوانَةٌ ... ينادَى إلى هادى الرَّحى فيجيبُ[٧]]

أولئك أيَّامٌ تُبَيِّنُ ما الفَتَى ... أكابٍ سُكَيْتٌ أمْ أشمُّ نجيبُ

---

(١) ل : « ورامت رجال » و « ذحول بيننا » . وانظر الإمتاع والمؤانسة ١ : ١٩٦ - ١٩٧ وديوان المعانى ٢ : ٤٥ .

(٢) « فتروحت » كذا فى س والمخصص ١٠ : ١٨٠ . وفى ط ، ل : « فتراجعت » . وفى ط ، س : « هاج الحليب » وتصحيحه من ل والمخصص . قال ابن سيده : « أما قوله : ونصت ركاب للصبا ، فإن طلب اللهو مما يبعث عليه الفراغ ورخاء البال ». و « الحبيب » هنا بمعنى المحب ، بكسر الحاء . و « خبيب » هى بالخاء المعجمة ، ومعناها سرعة الجرى . ل والمخصص : « حبيب » بالحاء ، وليس بشئ . يقول : لتلك الركاب خبيب بما يهيج المحبين ويبعث أشواقهم .

(٣) ط : « وظن » ، ل : « ودير » محرفتان . وفى ل أيضاً : « من كرهن لجيب » .

(٤) عبارة تهكمية ، وعنى بالطبيب هنا الجدب وشدة الزمان .

(٥) تولى : أخذ فى الهيج . وامتيرت القرى : جلب مافيها . ط ، س : « وابتزت القرى ، وصوابه من ل والمخصص . وفى المخصص : « تئوب »، وهما بمعنى .

(٦) الغبوق ، بالفتح : مايشرب بالعشى . والخود : الشابة الحسنة الخلق . وفى ط ، س : « عنوق الجود » تحريف ما أثبت من ل والمخصص . والجدة بالضم : الخط ، وعنى بذو الجدتين اللبن يظهر فيه لونان ، وذلك حين يكون مشوبا ، أى مخلوطاً بالماء . وفى ط ، س : « عشوب »، تحريف مافى ل .

(٧) الخنزوانة : الكبر . وهادى الرحى : مقبضها . وفى المخصص بياض يمكن سده بما هنا .

(شعر لأنس بن أبى إياس)

وقال : ولما وَلِى حارثَةُ بنُ بَدْرٍ سُرَّقَ[١] ، كتب إليه أنَسُ بن أبى إياسٍ[٢] [الدِّيلى] :

أحارِ بنَ بَدْرٍ قد وَلِيتَ وِلايةً ... فكُنْ جُرَذًا فيها تَخُونُ وتَسْرِقُ
وباهِ تميما بالغِنى ، إنَّ لِلغِنَى ... لساناً به المرءُ الهَيُوبَةُ يَنْطِقُ
[ولا تحقِرَنْ يا حارِ شيئًا ملكتَه ... فَحظُّك من ملك العراقَين سُرَّق]
فإِنَّ جميعَ النَّاسِ إمَّا مُكَذِّبٌ ... يَقُولُ بمَا يَهوَى ، وإمَّا مصَدِّقُ[٣]
يقولون أقوالاً ولا يَعرِفُونهـا ... ولو قيل هاَتُوا حقِّقوا لم يحقِّقوا

وقال بعض الأعراب :

فلمَّا رَأَينا القوم ثاروا بجَمْعِهِمْ ... رَعَيْناَ الحديثَ وهو فيهمْ مُضَيَّعُ[٤]
وأدْرَكَناَ من عِزِّ[٥] قَيسٍ حَفيظةٌ ... ولا خيْرَ فيمَنْ لا يضرُّ وينْفَعُ

---

(١) سرق ، بالضم وتشديد الراء المفتوحة : إحدى كور الأهواز . وفى ط : « سرف » محرفة .

(٢) ويروى : « ابن إياس » . وانظر القاموس (أنس) وجمهرة ابن حزم ١٨٤ . وقصة الشعر مفصلة فى أمالى المرتضى ٢ : ٤٩ — ٥١ والعقد ٢ : ٥٥ وزهر الآداب ٤ : ٥٨ ومعجم البلدان برسم (سرق) . وانظر رواية الأبيات فى المراجع المتقدمة وكذا عيون الأخبار ١ : ٥٨ ، ومحاضرات الراغب ١ : ٨٣ . والمفهوم أن الشعر الآتى مداعبة لاهجاء . ويقال إن حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله :

جزاك إله العرش خير جزائه ... فقد قلت معروفا وأوصيت كافيا
أشرت بأمر لو أشرت بغيره ... لألفيتنى فيه لأمرك عاصيا

(٣) ل : « تهوى » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ساروا بجمعهم » و : « فينا مضيع » ، تحريف .

(٥) ل : « عرق » .

(نصيحة رجل لبعض السلاطين)

ويقال إنَّ رجلاً قال لبعض السَّلاطين : الدُّنيا بما[1] فيها حديث ، فإن استطَعتَ أنْ تكونَ مِن أحسَنِها حديثاً فافعَلْ !

(أقوال مأثورة)

وقال حُذَيفة بنُ بدرٍ لصاحبه[2] يوم جَفْر الهباءة[3] ، حينَ أعطاهُمْ بلسانه ما أعْطَى : إيَّاكَ والكلامَ المأثور[4] .

وأنشَدَ الأصمَعيُّ :

كلُّ يومٍ كأنَّه يومُ أضْحَى عِنْدَ عبدِ العَزيزِ أو يومُ فِطرِ

وقال : وذكر لى بعضُ البَغداديِّين أنَّه سمع مَدَنِيًّا مرَّ ببابِ الفَضْلِ ابن يحيى — وعلى بابه جماعةٌ من الشعراء — فقال :

مالَقِينا مِنْ جُودِ فضلِ بنِ يَحيى تَرَكَ النَّاسَ كُلَّهُمْ شُعَرَاء ٣٧

(١) س : « وما » .

(٢) هو أخوه حمل بن بدر ، كما فى العقد ٣ : ٣١٦ .

(٣) كان هذا اليوم لعبس على ذبيان ، وفيه قتل حذيفة ، وأخوه حمل ، سيدا بنى فزارة . العمدة ٢ : ١٦١ والعقد ٣ : ٣١٦ وكامل ابن الأثير ١ : ٣٥٢ . وفى ط : « الهباة » ، وهو على الصواب فى س ، ل .

(٤) المأثور : الذى ينقله الخلف عن السلف . وفى س : « المائق » ، وفى ط : « السائر » والأشبه ماأثبت من ل : موافقاً لما فى العقد .

وقال الأصمعى : قال لى خَلَفٌ الأحمر : الفارسىُّ إذا تظرّف[١] تساكت ، والنَّبَطىُّ إذا تظرّف[١] أكثر الكلام .

وقال الأصمعىُّ : [قال رجلٌ] لأعرابىٍّ : كيف فلانٌ فيكم ؟ قال : مرزوقٌ أحمق ! قال : هذا الرَّجلُ الكامل .

قال : وقال أعرابىٌّ لرجل : كيف فلانٌ فيكم ؟ قال : غَنِىٌّ حَظِىٌّ[٢] قال : هذا من أهل الجَنَّة !

(السواد والبياض فى البادية)

الأصمعىُّ قال : أخبرنى جَوسق قال : كان يقال بالبدو : « إذا ظَهَرَ البَياضُ قَلَّ السَّواد ، وإذا ظَهَرَ السَّواد قَلَّ البَياض » . قال الأصمعىُّ : يعنى بالسَّواد التَّمر ، وبالبياضِ اللَّبن والأقِط[٣] . يقول: إذا كانت السَّنَة مُخْصِبةً كثُر الأقِط واللَّبنُ وقَلّ التَّمْر ، وإذا كانت السَّنَةُ مجدِبة كثُرَ التَّمْرُ وقَلَّ اللَّبن [والأقِط] . وقال : إذا كان العام خصيبا[٤] ظهر [فى صدقة الفِطر] البياضُ ، يعنى الأقِط ؛ وإذا كان جَدِيبًا[٥] ظهر السَّواد ، يعنى التمر .

وتقول الفُرس : إذا زَخرت الأوديةُ بالماء كثُر التَّمر[٦] ، وإذا اشتدَّت الرِّياح كثُر الحَبُّ .

---

(١) تظرف : تكلف الظرف . وفى ط ، ل : « تطرف » . وصوابه من س .
(٢) ط ، س : « غنى حظى » ، والوجه ما أثبت من ل .
(٣) الأقط : شىء يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل .
(٤) ط : « خصبا » .
(٥) ط ، س : « جدبا » .
(٦) ط : « السمن » ، وأثبت ما فى س ، ل .

(قول فى أثر الريح فى المطر)

وحدَّثنى محمَّد بن سلاَم[١] ، عن شُعيب بن حجر[٢] قال : جاء رجلٌ على فرسٍ فوقفَ بماءٍ من مياه العرب فقال : أعندكم الرِّيحُ الَّتى تكُبُّ البعير[٣] ؟ قالوا : لا . قال : فتذْرِى الفارس[٤] ؟ قالوا : لا . قال : فكما تكونُ يكونُ مطرُكم .

وحدَّثنى العُتْبىُّ[٥] قال : هَجَمْتُ على بطنٍ بينَ جبلين ، فلم أرَ وادياً أخصبَ منه ، وإذا رجالٌ يتركَّلون[٦] على مَسَاحيهم ، وإذا وجوهٌ مهَجَّنة ، وألوانٌ فاسِدة . فقلتُ : واديكُمْ أخصبُ وادٍ، وأنتم لاتشبِهُونَ المخاصِيبَ[٧] قال : فقال شيخٌ منهم : ليس لنا ريح .

---

(١) ل : « وحدث محمد بن سلام » . ومحمد بن سلام هذا هو الجمحى صاحب الطبقات ، كان من أئمة الأدب البصريين ، توفى سنة إحدى وثلاثين ومائتين . لسان الميزان (٥ : ١٨٢) .

(٢) ل : « صخر » .

(٣) تكب البعير : تقلبه وتصرعه .

(٤) ذرت الريح الشىء وأذرته : أطارته .

(٥) ل : « القينى »، وهو تحريف نبهنا عليه كثيراً .

(٦) فى القاموس : « تركل بمسحاته : ضربها برجله لتدخل فى الأرض » . فى ط « يتوكأون » ، وفى ط : « يتوكلون »، وأثبت مافى ل .

(٧) المخاصيب : جمع مخصب أو مخصاب . وفى ط فقط: « المخاصب » .

(شعر فى الخصب)

وقال النَّمر بن تولب :

كأنَّ حَمْدَةَ[١] ، أو عزّتْ لها شَبَهاً   فى العَين يوماً تلاقَيْنا بأرمامِ

ميثاءُ جاد عليها وابِلٌ هَطِلٌ   فأَمْرَعَتْ لاحتيالٍ فَرْطَ أعوامِ[٢]

إذا يَجفُّ ثَراها بلَّها دِيَمٌ   مِن كوكبٍ بزل بالماء سَجام

لم يَرْعَها أحدٌ واربتها زَمناً[٣]   فَأْوٌ مِنَ الأرضِ محفوف بأعلام[٤]

تَسْمَعُ للطَّير فى حافاتِها زَجلاً   كأنَّ أصواتَها أصواتُ جُرَّامِ[٥]

كانَّ ريحَ خُزَاماها وحنْوَتها   باللَّيل ريحُ يَلَنجوجٍ وأهْضام[٦]

---

(١) ل فقط : « جمرة » .

(٢) لاحتيال : أى بعد احتيال . والاحتيال : مرور الأحوال . وفرط أعوام : بعد أعوام ، قال لبيد :

هل النفس إلا متعة مستعارة   تعار فتأتى ربها فرط أشهر

وفى ط ، س : « بعد أعوام » .

(٣) كذا . وفى اللسان مادة (فأو) : « وأكتم روضتها » .

(٤) الفأو : بطن تطيف به الرمال يكون مستطيلا . ط : « فأوا » .

(٥) الجرام : الذين يصرمون التمر ، أى يقطعونه . وقد عنى الأنباط . وفى ط ، س : « حوام » محرف .

(٦) الخزامى والحنوة : نبتان طيبا الرائحة . واليلنجوج : العود الهندى الذى يستعمل فى البخور . وفى ط : « يلتجوج » محرفة . والأهضام : واحدها هضم بالكسر ، وهضم بالفتح ، وهضمة ، وهو كل شىء يتبخر به غير العود واللبنى .

قال : فلم يَدَعْ معنًى مِنْ أجلِه يُخصِب الوادى ويعمُّ نبتُه إلاَّ ذكره . وصدق النمر[١] !

وقال الأسدىُّ فى ذِكْر الخِصْب ورُطوبة الأشجار[٢] ولُدونة الأغصانِ وكثرة المـاء :

وَكأنَّ أرْحُلَنا بجوٍّ مُحَصَّبٍ بِلِوى عُنيزةَ من مَقيل التُّرمُسِ[٣]

فى حيثُ خالَطَتِ الخُزَامى عَرْفَجاً يأتيك قابِسُ أهــله لم يُقْبَسِ[٤]

ذهب إلى أنَّه قد بَلغَ من الرُّطوبة فى أغصانه وعيدانه[٥] ، أنَّها إذا ٣٨ حُكَّ بعضها ببعضٍ لم يقدح[٦] .

وفى شــبيهٍ بذلك يقول الآخر[٧] ، وذهب إلى كثرةِ الألوان[٨] والأزهار والأنوار :

---

(١) فى ل : « وصدق حديث القينى فى قوله : فأومن الأرض محفوف بأعلام » . وليس بشىء .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « الأشعاب » محرف . وفى البيان (٣ : ٣٤) : « الورق » . وفى الحيوان ٤ : ٤٦٥ أن الشعر للمرار بن منقذ .

(٣) فى الأصل : « أرجلنا » وصوابه من البيان والمخصص (١٠ : ١٣٣) . والجو : ما انخفض من الأرض . والمحصب : موضع بين مكة ومنى . ورواية المخصص : «بوهد مخصب بمنى عنيزة» ، والوهد : المنخفض. وهذه الرواية أجود. والترمس : ماء لبنى أسد . والمقيل : موضع القيلولة حيث يتوافر الظل . ورواية المخصص : « مفيض » ، بمعنى موضع الفيضان .

(٤) كذا فى ل والمخصص (١٠ : ١٧٦ ، ١١ : ٣٢) . وفى ط ، س والبيان : « أهلها » .

(٥) ل : « من رطوبة أغصانها وعيدانها » .

(٦) س : « تقدح » .

(٧) ل : « جرير » .

(٨) ليست فى ل .

[كانت لنا مِنْ غَطفانَ جارَهْ] كأنها من دَبَل وشـاره[١]

والحلْى حلْىِ التِّبر والحِجارَه[٢] مَسدْفَعُ مِيثاءَ إلى قَرارَهْ[٣]

[ثم قال :

* إيَّاكِ أعنى واسمَعى ياجاره[٤]] *

وقال بشَّار :

وحـديثٍ كأنَّهُ قِطَعُ الرَّوْ ضِ وفيـه الحَمْراء والصَّفراءُ

باب
من الفطَن وفَهْم الرَّطَانَاتِ والـكنايات والفهْم والافهام

(حديث المرأة التى طرقها اللصوص)

الأصمعى قال : كانت امرأة [تنزِل] متنحِّية من الحىّ ، وتحبُّ العُزلة وكان لهـا غنَمٌ ، فطرقَها اللُّصوص فقالت لأمَتها[٥] : اخرُجى ! مَنْ هاهنا ؟

---

(١) الدبل : بالتحريك : أصله فى البعير أن يمتلىء شحما ولحما . وفى ط ، س « زبل » محرفة . والشارة : السمن ، أو حسن الهيئة ، وفى المخصص واللسان (مادة حلى) « كأنها من حسن وشاره » .

(٢) استشهد بهذا البيت ابن سيده فى المخصص (٤ : ٤٠) على أن الحلى مايتزين به من مصوغ المعدنيات والحجارة .

(٣) الميثاء : الأرض اللينة . والقرارة : المطمئن من الأرض . والمدفع : المجرى .

(٤) البيت فى أمثال الميدانى (١ : ٤٣) مع أبيات أخرى منسوبة إلى سهل ابن مالك الفزارى .

(٥) ط ، س : « لابنتها » ، وأثبت مافى ل .

[قالت : هاهنا] حَيَّانُ ، والحُمارِس[١] ، وعامرٌ[٢] والحارثُ ، ورأسُ عَنْز[٣] وَشادن[٤] . وراعِيا بَهْمنا[٥] .[فنحنُ ماأولئك . أى : فنحن أولئك].
فلما سَمِعُوا ذلك ظَنُّوا أنَّ عِندَها بنيها . وقال الأصمعىُّ مرّة[٦] : فلما سمِعت حِسَّهم قالت [لأَمَتِها] : أَخرِجِى سُلُحَ بَنِىَّ من هاهنا .

قال : وسُلُح جمع سُلاح[٧] . وحيَّان والحمارس[٨] : أسماءُ تُيوسٍ لها .

(قصة المَهْمُورة الشياه والخمر)

قال الأصمعىّ : تزوّج رجلٌ امرأةً فساق إليها مَهْرَها ثلاثين شاة ، وبعثَ بها رسولاً ، وبعثَ بزِقِّ خَمْر . فَعَمَدَ الرَّسولُ فذبح شاةً فى الطَّريق فأكلها ، وشَرِب بَعْض الزِّقِّ . فلما أتى المرأة نظرت إلى تسعٍ وعشرين ورأت الزِّقَّ ناقصاً ، فعلمت أنَّ الرجل لايبعثُ إلاَّ بثلاثين وَزِقٍّ[٩] مملوءٍ

---

(١) ل : « الحتارس » .
(٢) ط ، س : « وعامرا » ، محرفة .
(٣) ط فقط : « عتر » ، ولها وجه ؛ فالعتر بالكسر : كل ماذبح .
(٤) ط ، س : « بارق » .
(٥) ط ، س : « وراعينا بيهسا » ، تحريف مافى ل .
(٦) الكلام من « فلما سمعوا » ساقط من ل .
(٧) السلاح ، بالضم : النجو .
(٨) ل : « الحتارس » . وكما أن الوجه أن يضاف « عامر والحارث » إلى الكلام ليتحقق معنى الجمعية .
(٩) ط ، س : « وزقا » .

فقالت للرسول : قل لصاحبك[١] : إن سُحيماً قد رُثِم[٢] ، وإن رسولَك جاءنا فى المحاق ! فلما أتاه الرَّسولُ بالرِّسالة : قال ياعدوَّ الله ، أكلتَ مِنَ الثَّلاثينَ شاةً شاةً ، وشرِبْتَ من رَأسِ الزِّق ! فاعتَرَف [بذلك[٣]] .

(قصة العنبرىّ الأسير)

الأصمعىُّ قال : أخبرنى شيخٌ من بنى العنبر قال : أسر بَنو شَيبانَ رجلاً من بنى العنبر ،قال : دَعونى حتى[٤] أرسلَ إلىأهلى ليَفدُونى[٥] . قالوا : على ألاَّ تكلِّم الرّسولَ إلاَّ بين أيدينا . قال : نعم . قال : فقال للرسول ، ائتِ أهلى فقل : إنَّ الشَّجر قد أوْرَق . وقل : إنَّ النِّساءَ قد اشْتَكَت وخرَزَت القِرب[٦] . ثمَّ قال له : أتعقِلُ ؟ قال : نعم . قال : إنْ كنت تَعقِلُ فما هذا ؟ قال : الليل . قال : أراك تعقل ! انطلق إلى أهلى فقل لهم : عَرُّوا جملى الأصهب ، واركَبُوا ناقتى الحمراء ، وسلوا حارثاً عنأمرى — وكان حارثٌ صديقاً له — فذهب الرَّسولُ فأخبرَهم ، فدعَوا حارثاً فقصَّ عليه الرَّسولُ القِصَّة ، فقال أمّا قوله « إنَّ الشَّجَر قد أورق » فقد تسلَّح القوم . ٣٩

---

(١) ل : « قل له » .

(٢) رثم : كسر أنفه أو فوه حتى تقطر منه الدم ، أو لطخ بالدم .

(٣) هذه الزيادة من س فقط . والخبر فى البيان (٣ : ٢١١) برواية أخرى ، وقد عين اسم الرجل بأنه قسامة بن زهير العنبرى . وانظر كذلك كنايات الجرجانى ٦٣ ومحاضرات الراغب (١ : ٦٧) حيث نسب الخبر فى الأخيرة إلى امرئ القيس .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٥) ط ، س : « إلى صاحبى » ، وفى ط فقط : « يفدونى » .

(٦) هذه الجملة ليست فى ل . وهى فى أصلها : « وجررت القرب » وليس لذلك وجه ، وقد اعتمدت فى تصحيحها على ما فى كامل ابن الأثير ١ : ٣٨٤ : والمراد بالخرز هنا الإصلاح استعداداً للحرب .

وأمَّا قوله : « إنَّ النساء قد اشتَكَتْ وخَرَزت القِرَب[1] » فيقول : قد اتَّخذت الشِّكاَ[2] وخَرَزت القِرَبَ للغزو . وأما قوله : « هذا الليل » فإنَّه يقول : أتاكم جَيشٌ مثلُ الليل . وأمَّا قوله : « عرُّوا جملى[3] الأصْهب » فيقول : ارتحلوا عن الصَّمَّان . وأما قوله : « اركَبُوا ناقَتى الحمراء » فيقول : انزِلُوا الدَّهناء .

وكان القَوم قد تهيَّئوا لغزْوهم ، فخافوا أن يُنذِرهم ، [فأنذرهم] وهم لا يشعرون ، فجاء القومُ يطلبونهم فلم يجِدُوهم[4] .

(قصة العطاردى)

وكذلك صنع العُطاردى فى شأنِ [شِعب] جبلة ، وهو كرِب بن صفوان ؛ وذلك أنَّه حينَ لم يرجِع لهمْ قَولا حين سألوه أن يقول ، ورمَى بصُرَّتين فى إحداهما شوك ، والأخرى تراب ، فقال قيس بن زهير : هذا رجلٌ مأخوذٌ عليه ألاَّ يتكلَّم ، وهو ينذِرُكم عَدَدًا[5] وشَوْكة[6]

قال اللهُ عزَّوجلَّ : ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ .

---

(١) س فقط : « وجررت القرب للغزو » ، والكلمة الأخيرة تفسد الكلام ، وتصحيح كلمة « جررت » هنا وفيما سيأتى قريبا ، اعتمدت فيه على ما فى الكامل .

(٢) الشكا ، بالكسر : جمع شكوة بالفتح : وعاء للماء أو اللبن من أدم .

(٣) ط ، س : « جمالى » وتصحيحه من ل .

(٤) هذا الخبر أورده ابن عبد ربه فى العقد ٣ : ٣٣٠ — ٣٣١ فى بدء كلامه على يوم الوقيط ، وكذلك ابن الأثير ، بصورة مفصلة . وهو أيضاً فى أمالى القالى : ١ : ٦ والمرتضى ١ : ١٢ والعمدة ١ : ٢١١ ومحاضرات الراغب ١ : ٦٧ والمزهر ١ : ٣٣٣ وكنايات الجرجانى ٦٤ ومعانى الأشناندانى ٥٧ وطراز المجالس ٢٥٤ والملاحن ٤ وأخبار الظراف ٧٠ والمستطرف ١ : ٤٢ .

(٥) أى عدوا كثير العدد ، وقد أشار إليه بالتراب . وفى ط ، س : « غدرا » وليس بشىء .

(٦) الشوكة : البأس والقوة . س : « أو شوكة » . والخبر مع بسط كبير ، فى كامل ابن الأثير ١ : ٣٥٥ — ٣٥٦ .

(شعر فى صفة الخيل والجيش)

قال أبو نخيلة[(١)] :

لما رأيتُ الدِّينَ دينًا يُؤْفَكُ وأمْسَتِ القُبةَ لا تستمْسِكُ[(٢)]
يُفتَقُ مِن أعْراضها ويُهتك[(٣)] سرت من الباب فَطَارَ الدَّكدَكُ[(٤)]
منها الدَّجُوجىُّ ومِنها الأرْمَكُ[(٥)] كاللَّيـــل إلاَّ أنَّها تَحَرَّكُ

وقال مَنصورٌ النَّمَـرى :

ليلٌ من النَّقْع لا شَمسٌ ولا قَمرٌ إلاَّ جبينُك والمذروبة الشُّرُعُ[(٦)]

وقال آخر :

كأنَّهمْ ليلٌ إذا استَنفِرُوا[(٧)] أو لُجَّةٌ ليس لهـا ساحلُ

---

(١) فى الأصل : « ابن نخيلة » ، وليس يعرف شاعر أو راجز بهذا الاسم . وأبو نخيلة تقدمت ترجمته فى ٢ : ١٠٠ .
(٢) ط : « لاتمسك » .
(٣) ط ، س : « أو يهتك » .
(٤) الدكدك : ماتكبس واستوى من الرمل ، أو ماالتبد منه بالأرض . فى ط ، س « قطار دكدك » ، وفى ل : « فسار الدكدك » ، وقد جمعت بينهما بما ترى .
(٥) الدجوجى : الشديد السواد . والأرمك : الذى يخالط حمرته سواد ، وقد تكلم العسكرى فى هذا البيت والذى بعده . وهما فى صفة الخيل . الصناعتين ٣٩٧ .
(٦) المذروبة : المحددة . وفى ط س : « المـدرية » ، وهو تحريف ما أثبت من ل وديوان المعانى ٢ : ٦٧ .
(٧) استنفروا : دعوا للقتال والنصرة . فى ط : « استفزوا » وصوابه فى س ، ل .

وقال العجاج[١] :

كأنَّما زُهاؤه إذا جُهِرْ[٢] ليلٌ وَرِزٌّ وَغْرِهِ إذا وَغَرْ[٣]

* سارٍ سَرَى مِن قِبَلِ العَيْنِ فجر[٤] *

وفى هذا الباب وليس منه[٥] يقول بشّار :

كأنَّ مُثارَ النَّقْعِ فوقَ رُءُوسِهِمْ[٦] [وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبُه

وقال عمرو بن كلثوم :

تَبْنِي سنابكُهم من فوق أَرؤسهم] سقفا[٧] كواكبه البِيضُ المباتيرُ

وهذا المعنى قد غلب عليه بشّار ، كما غلب عنترةُ على قوله :

فتَرَى الذُّبابَ بها يُغَنِّى وَحدَهُ هَزِجًا كفِعْلِ الشَّارب المترنِّم

غَرِدًا يُحكُّ ذِرَاعَه بذِرَاعه فِعْلَ المُكِبِّ على الزِّنَادِ الأجذَم

فلو أنَّ امرأ القَيس عَرَضَ فى هذا المعنى لعنترة لافتَضَح .

---

(١) ط : « وقال آخر » . وأثبت مافى س ، ل .

(٢) زهاؤه : قدره . وفى ط ، س : « نهاره » وصوابه من ل : وديوان المعانى ٢ : ٧١ . وجهر : نظر إليه باستعظام . ورواية ديوان المعانى واللسان (مادة جهر ، وغر) : « لمن جهر » . والشعر فى نعت جيش .

(٣) الرز ، بالكسر : الصوت . ووغر الجيش : صوتهم وجلبتهم . وفى ط ، س « وزور وعرة إذا وعر » ، وهو تشويه إصلاحه من ل وديوان المعانى واللسان .

(٤) ل : « فحر » ، وفى الأصل : « العير » صوابه فى ديوان العجاج ١٨ وديوان المعانى والمخصص ١٦ : ١٨٥ . قال ابن سيده : والعين : ماعن يمين قبلة العراق .

(٥) ل : « به » .

(٦) ط ، س : « كأنما النقع يوما فوق أرؤسهم » ، وبذلك يختــل الوزن ، وأثبت مافى ل وعيون الأخبار ٢ : ١٩٠ . ومشهور الرواية : « فوق رءوسنا » انظر الوساطة ٢٣٧ وحماسة ابن الشجرى ٢٣٤ .

(٧) ط ، س : « سقف » صوابه فى ل .

(مقطعاتٌ شتى)

وقال بعضهم [فى] غير هذا [المعنى] :

وفلاةٍ كأنَّما اشْتَمَل اللَّيـ ـلُ على رَكْبِها بأبناءِ حامِ (١)

٤٠ خضْتُ فيها إلى الخَليفـة بالرَّ قَّةِ (٢) بَحْرَىْ ظَهيرةٍ وظَلاَم

وقال العَرْجىُّ (٣) :

سَمّيتنى خَلَقاً بَخَلَّةٍ قدُمَتْ (٤) ولا جَدِيدَ إذا لم يُلبَس الخَلَقُ

يا أيها المتحلِّى غـيْرَ شيمَتِه ومِنْ خَلاَئقِه الإقصادُ والمَلَقُ (٥)

ارجعْ إلى خِيمِكَ المعروفِ دَيْدَنُه إنَّ التَّخَلقَ يأْبى دُونَهُ الخُلُقُ (٦)

وقال آخر (٧) :

أودَى الخِيارُ مِنَ المعاشِرِ كلهمْ واستَبَّ بَعْدَكَ يا كُلَيْبُ المَجْلسُ

وتَنازَعُوا فى كلِّ أمرِ عَظيمةٍ لو قَدْ تـكونُ شهدْتَهُمْ لم ينْبِسُوا (٨)

---

(١) حام : أحد أبناء نوح . وإليه ينسب السودان ، والزنوج ، والأحباش ، والنوبة .

(٢) الرقة : مدينة على الفرات. ط ، س : « بالشرفة » تحريف .

(٣) ط ، س : « وقال آخر » ، وأثبت ما فى ل موافقاً لما فى العقد ٢ : ٢٤ وزهر الآداب ١ : ٧٧ والشعراء ١٣٨ . ويروى الشعر أيضاً لسالم بن وابصة كما فى البيان ١ : ٢٣٣ ونوادر أبى زيد ١٨١ . وهو بدون نسبة فى مجالس ثعلب ٣٠٠.

(٤) ط : « بحلة قدحت » س : « لحلة قدمت » ، وأثبت ما فى ل .

(٥) الإقصاد ، لعله من أقصدت الحية : لدغت فقتلت .

(٦) الخيم ؛ بالكسر : السجية .

(٧) هو مهلهل ، كما سيأتى ، وكما فى ديوان المعانى ١ : ٢٠٤ والصناعتين ١٩٤ .

(٨) ل : « لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا » .

وأبياتُ أبي نواسٍ على أنّه مولَّد شاطر ، أشعرُ من شعر مهلهل فى إطراق النَّاسِ فى مجلِس كليب ، وهو قوله(١) :

على خبز إسماعيلَ واقِيَة البُخْلِ(٢) وقد حلَّ فى دَارِ الأمان مِنَ الأكْل

وما خبزُهُ إلا كآوَى يُرى ابنها ولم تُرَ آوى فى الحزون ولا السَّهْلِ

وما خبزُهُ إلَّا كعَنْقاءِ مُغرِبٍ تُصوَّر فى بسْطِ الملوك وفى المثْل

يحدِّث عنها النَّاسَ من غيرِ رُؤيةٍ سِوى صُورةٍ ما أن تُمِرُّ ولا تُحْلى

وما خبزُه إلَّا كليبُ بنُ وائلٍ لَيالِىَ يحمى عزُّه مَنْبِتَ البَقْلِ

وإذْ هو لا يستبُّ خَصْمانِ عِنْدَه ولا القولُ مرفوعٌ بجِدٍ ولاَ هزْلِ

---

(١) يهجو إسماعيل بن أبي سهل بن نيبخت ، كما فى الديوان ١٧١ وأخبار أبي نواس ١٢٧ وثمار القلوب ٧٧ . قال الجاحظ : « وكان أبو نواس يرتعى على خوان إسماعيل بن نيبخت كما ترتعى الإبل فى الحمض بعد طول الخلة ، ثم كان جزاؤه منه أنه قال :

خبز إسماعيل كالوشـــ ى إذا ماشق يرفا

وقال :

وما خبزه إلا كليب بن وائل ليالى يحمى عزه منبت البقل

البخلاء ٥٩ . وفى رسالة الحاسد والمحسود ص ١٠ : « وكان الحسن بن هانئ يرتع على مائدة إسماعيل الهاشمى ، وكان من المطعمين للطعام المسرفين ، فعارض الحسن بن هانئ يوما بعض أصحابه فقال له : من أين ؟ فقال : من عند إسماعيل . فقال له : ماأطعمـــكم ؟ فقال : أطعمنا دماغ كلب فى قحف خنزير . فلم يكن منه هذا القول إلا على وجه الحسد » .

(٢) انفرد ابن منظور فى أخبار أبي نواس برواية : « واقية النحل » ، كما يقال : « واقية الـكلاب » .

فإنْ خبزُ إسماعيلَ حلَّ به الذى ... أصابَ كليبًا لم يكن ذاك عن بَذْل [١]
ولكنْ قضاءٌ ليس يُسطاعُ دَفْعهُ ... بِحيلةِ ذى دَهْيٍ ولا فِكْرِ ذى عقل [٢]

(شعر العرب والمولدين)

والقضيّة التى لا أحتشِمُ منها[٣] ، ولا أهابُ الخصومة[٤] فيها : أنّ[٥] عامَّة العرب والأعراب والبدوِ والحضَر من سائر العرب ، أشعر من [عامَّة] شعراءِ الأمصارِ والقُرَى ، من المولَّدة[٦] والنابتة[٧] . وليس ذلك بواجبٍ لهم فى كلِّ ما قالوه[٨] .

وقد رأيت ناسًا منهم[٩] يبهرجون أشعارَ المولَّدين ، ويستسقِطون مَن رواها . ولم أر ذلك قطُّ إلاَّ فى راويةٍ للشِّعرِ غيرِ بصيرٍ بجوهر ما يروى . ولو كان له بصرٌ[١٠] لعرَف موضعَ الجيِّد ممَّن كان ، وفى أىِّ زمان كان .

---

(١) فى ديوان المعانى والثمار : « عن ذل » ، وفى الديوان : « من ذل » ، وأنا أرتضى ماهنا .

(٢) ل : « بحيلة ذى مكر ولادهى ذى عقل » . والدهى : الدهاء .

(٣) كذا فى س ، ل . وفى ط : « والقصيدة هذه احتشم منها » محرفة .

(٤) ط ، س : « ولا أطلب الخصومة » ، ل : « ولا أهاب الخصوم » ، وقد عدلت القول بما ترى .

(٥) ط : « إذ » ، وتصحيحه من س ، ل .

(٦) ل : « المولدين » .

(٧) ط : « والثانية » و ل « التانية » س : « الناتية » ، والوجه ماأثبت .

(٨) ط ، ل : « فيما قالوه » ، والوجه ما كتبت من س .

(٩) ط : « نشائهم » س : « نسابهم » ل : « ناسا » ، ولعل الصواب فيما أثبت .

(١٠) ل : « ولد » ، وهو تحريف ظاهر .

وأنا رأيت[١] أبا عمرو [الشيبانىّ] وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين ، ونحنُ فى المسجِد يوم الجمعة ، أن كلَّف رجلاً حتى أحضره دواةً وقرطاساً حتَّى كتبهما له . وأنا أزعم أنَّ صاحب هذين البيتين لايقول شِعراً أبدا . ولولا أن أدخِلَ فى [الحكم] بعض الفتك[٢] لزعمتُ أنّ ابنَه لايقول شعراً أبدا[٣] ، وهما قوله : ٤١

لاتحسَبَنَّ المـوتَ مَوْتَ البِـلَى ... فَإِنَّما المَوتُ سُؤالُ الرِّجالِ[٤]

كـلاهما موتٌ ولـكِنَّ ذَا ... أفظَعَ من ذاكَ لذلِّ السُّؤال[٥]

(القول فى المعنى واللفظ)

وذهب الشَّيخُ إلى استحسانِ المعنى ، والمعانى مطروحةٌ فى الطريق يعرفها العجمىُّ والعربىُّ ، والبدوىُّ والقرَوى ، [والمدنىّ] . وإنَّما الشأنُ فى إقامةِ الوزن ، وتخيُّر اللفظ[٦] ، وسهولة المخرج[٧] ، [وكثرة المـاء] ،

---

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « قد سمعت » .

(٢) الفتك : المجون . وفى ط ، س : « القيل » .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « لزعمت أن ابنه أشعر منه » .

(٤) كذافى ل . وفى ط ، س : « وإنما » .

(٥) كذا فى ط ، س والبيان (٢ : ١٧١) . وفى ل : « أشد من ذاك على كل حال » . وفى المستطرف (٢ : ٥٣) : « أخف من ذاك لذل السؤال » . ومن العجب أن ينعى الجاحظ على أبى عمرو استحسانه هنا ، ثم يقع هو فيما عابه على غيره فيجعل البيتين فى مختارات البيان والتبيين .

(٦) كذا فى ل . وفى ط : « تمييز » وفى س : « وتخيير » .

(٧) ط : « وسهولته وسهولة المخرج » .

وفى صحَّة الطّبع وجَودَة السَّبك[١] ، فإنما الشعر صناعةٌ[٢] ، وضَرْبٌ من النَّسج[٣] ، وجنسٌ من التَّصوير .

وقد قيل للخَليلِ بنِ أحمد : مالكَ لاتقولُ الشِّعر ؟ قال : «الذى يجيئنى لاأرضاه ، والذى أرْضاه لايجيئنى » .

فأنا أستحسنُ هذا الكلام ، كما أستحسنُ جوابَ الأعرابىِّ حين قيل له : كيفَ تجِدُكَ ؟ قال : [أجدنى] أجدُ مالا أشتَهِى ، وأشتهى مالا أجد !

(شعر ابن المقفع)

وقيل لابن المقفَّع : مالك لاتجوزُ[٤] البيت والبيتين والثلاثة ! قال : إنْ جُزْتُها[٥] عرَفوا صاحبَها . فقال له السائل : وما عليك أنْ تَعرَف بالطِّوال الجياد؟ ! [فعلم أنَّه لم يفهمْ عنه] .

(الفرق بين المولد والأعرابى)

ونقول : إن[٦] الفَرق بين المولَّد والأعرابى : أنَّ المولَّديقول[٧] بنشاطه وجمع[٨] باله ، الأبياتَ[٩] اللاحقَةَ بأشعارِ أهلِ البدو ، فإذا[١٠] أمعَنَ انحلَّت قوَّته ، واضطربَ كلامُه .

---

(١) ل : « وجودة السبك وصحة الطبع » مع إسقاط « صحة الطبع » مما سبق .
(٢) ل : « صياغة » .
(٣) ط فقط : « الصبغ » .
(٤) أى تتجاوز . وفى ط ، س : « تجود » محرفة .
(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « جودتها » وهو تحريف »
(٦) ل : « لأن الفرق » مع حذف : « ونقول » .
(٧) س : « يقوم » وهو تحريف .
(٨) ط : « وجميع »، والوجه ماأثبت من س ، ل .
(٩) كذا فى ل . وبدلها فى ط ، س : « فيشبه » .
(١٠) ط ، س : « وإذا » .

(شعر فى تعظيم الأشراف)

وفى شبيهٍ بمعنى مهلهلٍ وأبى نُوَاس ، فى التَّعظيم والإطراقِ عندَ السَّادة ، يقول الشاعر (١) فى بعضِ بنى مروان :

فى كفِّه خَيْزُرَانٌ رِيحُه عَبِقٌ ... فى كفِّ أرْوَعَ فى عِرنينه شَمَمُ (٢)

يغضِى حَياءً ويُغَضَى مِنْ مَهابتِه ... فما يكلَّم إلاَّ حينَ يبتَسِمُ

إن قال قال بمـا يَهْوَى جَميعُهم ... وإن تكلَّمَ يوماً ساخَتِ الكَلِمُ

كَمْ هاتفٍ بك مِن داعٍ وهاتفةٍ ... يَدْعُوكَ ياقُثَمَ الخَيْرَاتِ ياقُثَمُ (٣)

وقال أبو نُواس فى مثل ذلك (٤) :

فتَرَى السـاداتِ مائلة (٥) ... لِسليلِ الشَّمس من قَمَرهْ

فَهمُ شَتَّى ظُنُونُهُمُ ... حَذَرَ المطوىِّ من خَبَرِهْ (٦)

---

(١) هو الفرزدق يقوله فى هشام بن عبد الملك كما فى أمالى المرتضى (١ : ٤٨) وزهر الآداب (١ : ٦٠) . أو الحزين الكنانى فى عبد الملك بن مروان كما فى ديوان الحماسة (٢ : ٢٨٤) . أو للفرزدق فى على بن الحسين كما فى العمدة (٢ : ١١٠) وأمالى المرتضى . أو للعين المنقرى فيه ، كما فى العمدة . أو لكثير بن كثير السهمى فى محمد بن على بن الحسين . المؤتلف ١٦٩ . أو لداود بن سلم فى قثم بن العباس ، كما فى العمدة . وهذا مثل لمقدار اختلاف الرواة فى نسبة الشعر . وقد سكت الجاحظ عن النسبة هنا ، وكذلك فى البيان (١ : ٣٧٠ ، ٣ : ٤١) وكذا ابن قتيبة فى عيون الأخبار (١ : ٢٩٤ ، ٢ : ١٩٦) تحفظا منهما .

(٢) ل ، س : « ريحها » .

(٣) هذا البيت ساقط من ل .

(٤) يمدح العباس بن عبيد الله بن أبى جعفر المنصور ، كما فى الديوان ٦٦ من قصيدته المشهورة التى مطلعها :

أيها المنتاب من عفره ... لست من ليلى ولا سمره

(٥) مائلة : واقفة ، يعنى إجلالا له . وهذه رواية ل والديوان . وفى ط ، س : « مائلة » ، والميل علامة الخضوع .

(٦) فى الديوان : « حذر المكنون من فكره » .

وقال إبراهيمُ بنُ هَرْمَةَ فى مديحِ المنصور ، وهو شبيهٌ بهذا وليس منه :

له لحظاتٌ عنْ حِفافَىْ سريره[١] إذا كرَّها فيها عقابٌ ونائلُ[٢]

٤٢ فأمُّ الذى أمَّنْت آمِنةَ الرَّدَى وأمُّ الذى أوعدتَ بالثُّكْل ثا كلُ[٣]

(شعر فى الحلف والعقد)

وقال مُهلهلٌ ، وهو يقع فى باب الحلف وكُدّ بعَقْد[٤] :

[ملْنا على وائل وأفْلَتَنا يَوْماً عدىٌّ جُرَيْعَةَ الذَّقَنِ[٥]]

دفعتُ عنه الرِّماحَ مجتهداً حِفْظاً لِحلْفى وحلف ذى يَمَن[٦]

أذكرُ مِن عهدِنا وعهدِهِمُ عهداً وَثيقاً بمَنْحَر البُدُن

مابلَّ بحرٌ كفا بصوفتها[٧] وما أنافَ الهضابُ من حَضَنٍ[٨]

يزيده اللَّيلُ والنَّهارُ معاً شَدًّا ، خِرَاطَ الجَمُوح فى الشَّطَنِ[٩]

---

(١) كذا فى س والعقد (١ : ٣٢٠ تأليف) وعيون الأخبار (١ : ٢٩٤) وفى . ل : « عن حفا من » وفى ط : « فى خفا من » . وفى العقد (٦ : ٣٥١ تأليف) : « عن خفاء سريرة » . وفى العمدة (٢ : ١٠٩) : « عن خفافى سريره » .

(٢) س : « فيه عقاب » وهو تحريف .

(٣) ط : « أمته الردى » وتصحيحه من س ، ل . وفى ل : « حاولت بالشكل » وفى س : « أثكلت » .

(٤) ط فقط : « فى باب حلف » . ل فقط : « وكيف يعقد » .

(٥) يقال فى المثل : أفلتنى جريعة الذقن ، إذا كان قريباً منك كقرب الجرعة من الذقن ثم أفلتك ، وهو يضرب مثلا لإفلات الجبان . اللسان (جرع) .

(٦) ط ، س : « وحفظ ذى يمنى » وهو تحريف .

(٧) فى اللسان : « وصوف البحر : شىء على شكل هذا الصوف الحيوانى ، واحده صوفة . ومن الأبديات قولهم : لا أكلمه مابل بحر صوفة » . ل : « بصوقتها » وهو تحريف .

(٨) حضن ، بالتحريك : جبل باعلى نجد . وفى ط ، س : « حصن » مصحف . وفيهما أيضاً : « وما أناف الصخور » .

(٩) الخراط : بالكسر : الجماح . والشطن : الحبل . ط ، س : « خراط الجموع » وصوابه من ل .

(شعر فى مصرع عمرو بن هند)

وقال جابر بن حُنَيٍّ (١) التغلبىّ :

ولسنا كأقوامٍ قريبٍ محلهُمْ ولسنا كمن يرضيكمَ بالتملق (٢)

فسائل شُرَحبيلاً بنا ومحلّماً غداة نكُرُّ الخَيْلَ فى كلِّ خَنْدَق (٣)

لعمرك ماعمرُو بنُ هندٍ وقَدْ دعا لتخدُمَ ليلى أمَّـهُ بموفَّقِ (٤)

فقام ابنُ كُلثوم إلى السَّيف مُغْضباً فأمسَكَ مِن نَدْمَانِه بالمخَنَّقِ (٥)

وعممه عمداً على الرَّأس ضَرْبةً بذِى شُطَبٍ صافى الحديدة مِخْفَق (٦)

---

(١) جابر بن حنى أحد شعراء المفضليات . وفى ط ، س : « ضابئ بن حينا » وهو تحريف . والشعر ينسب أيضاً إلى أفنون التغلبى كما فى الشعراء ٩٦ والأغانى (٩ : ١٧٦) وكامل ابن الأثير (١ : ٣٣١) .

(٢) ل : « نرضهم » ، والوجه ماأثبت من ط ، س .

(٣) ط : « فسائل شريكا نائباً ومحكماً » . س : « فسائل شريحا نائباً ومحكما » ، وأثبت مافى ل . وفى س : « تكر الخيل » .

(٤) لاستخدام أم عمرو بن هند ، ليلى أم عمرو بن كلثوم ، قصة يتداولها الرواة . انظر لها الأغانى (٩ : ١٧٥ - ١٧٦) .

(٥) الندمان ، بالفتح : النديم ، والمراد به عمرو بن هند . وفى ل : « ندمائه » وهو تحريف . وفيها أيضاً : « بالمجنق » وهو تحريف كذلك . وفى س : « بالمحنق » .

(٦) الشطب : طرائق للسيف . و « الحديدة » هى فى الأصل « الحديد » ، وأثبت مافى الأغانى ليستقيم الشعر . والمخفق ، كمنبر : العريض من السيوف . وفى ط : « محقق » وفى س : « محفق » وهما تصحيف ما أثبت من ل .

(شعر فى الأقارب)

وقال المتلمِّس :

على كلِّهم آسَى وللأَصل زلفة ... فزحزح عن الأدنَينَ أن يتصدَّعوا
وقد كان إخوانى كريماً جوارُهم ... ولكنَّ أصلَ العُود مِنْ حَيْثُ يُنزعُ

وقال المتلمس :

ولو غيرُ أخوالى أرادُوا نقِيصَتِى ... جَعلتُ لهم فوقَ العرانِينِ ميسما
وما كنتُ إلاَّ مِثْلَ قاطعِ كفِّهِ ... بكفٍّ لهُ أخْرَى فأَصبح أجْذَما
يداهُ أصابتْ هذِهِ حَتْفَ هذه ... فلم تَجدِ الأخْرَى عليها مُقَدَّما
فأَطرقَ إطراقَ الشجاع ولو يَرَى ... مَساغاً لنابَيهِ الشجاعُ لَصَمَّما[1]
أحارثُ إنا لو تُساطُ دِماؤُنا ... تَزَايَلْنَ حتَّى لايمَسَّ دَمٌ دما[2]

(تفسير كلمة لعمر)

قال : وسأَلتُ عن قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لأبى مَرْيم الحَنفى[3] : واللهِ لَأَنا أشدُّ بغضاً لك من الأرض للدَّم[4] ! قال :

---

(١) الشجاع : الحية الذكر .

(٢) تساط : تخلط . وفى ط ، س : « تساقط » ، وصوابه فى ل . وكانوا يعتقدون أنه إذا خلط دم عدوين تميز كل منهما عن الآخر .

(٣) اسمه إياس بن صبيح ، كان من أهل اليمامة وكان من أصحاب مسيلمة ، وهو قتل زيد بن الخطاب بن نفيل يوم اليمامة ، ثم تاب وحسن إسلامه ، وولى قضاء البصرة بعد عمران بن الحصين فى زمن ابن الخطاب . طبقات ابن سعد (ج ٧ ق ٢ ص ٦٤) : وقال أبو الحسن فى شرح الكامل : ثقة كوفى . الكامل ٣٤٦ ليبسك .

(٤) النص فى الكامل : « والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم » وزاد : « قال : أفتمنعنى حقاً ؟ قال : لا . قال : فلا بأس ، إنما يأسف على الحب النساء ! » .

لأنَّ الدَّم الجارى من كلِّ شىءٍ بيِّن ، لايغيضُ فى الأرض ؛ ومتى جفَّ [وتجلَّب] فقرفته[1] رأيتَ مكانَه أبيض .

٤٣ إلاَّ أنَّ صاحب المنطق قال فى كتابه فى الحيوان : كذلك الدِّماء ، إلاَّ دَمَ البعير .

(أشعار شتى)

وقال النَّمِرُ بنُ تولَب[2] :

إذا كنتَ فى سعدٍ ، وأُمُّك منهُمُ غريباً فلا تَغْرُرْك أُمُّكَ من سَعْد[3]

وقال[4] :

وإنَّ ابنَ أُختِ القَومِ مُصغًى إنَاؤه إذا لم يُزَاحِمْ خالَهُ بأبٍ جَلْدِ[5]

---

(١) قرفه : قشره . وفى ط ، س : « ففرقته » ؛ تصحيف ما أثبت من ل .

(٢) فى محاضرات الراغب (١ : ١٧٧) نسبة الشعر إلى حسان بن وعلة . وفى الحماسة (١ : ٢٠٠) إلى غسان بن وعلة .

(٣) الرواية المشهورة : « فلا يغررك خالك من سعد » . انظر الكامل ٣٣٧ ليبسك ومحاضرات الراغب والعقد (١ : ٤٣) والحماسة ، وعيون الأخبار (٣ : ٨٩) .

(٤) كذا بالأصل . والبيتان متصلان كما فى جميع المراجع السابقة ماعدا العقد ، والرواية فيها جميعاً ماعدا العقد ؛ فإنه لم يرو البيت الثانى : « فإن ابن أخت القوم » . وبعد البيت السابق ، كما فى العقد وشرح التبريزى (٢ : ٤١) :

إذا مادعوا كيسان كانت كهولهم إلى الغدر أدنى من شبابهم المرد

قال أبو عمرو بن العلاء : كانت بنو سعد بن تميم أغدر العرب ، وكانوا يسمون الغدر فى الجاهلية : « كيسان » .

(٥) مصغى إناؤه : يقال أصغيت الإناء : نقصته . انظر المخصص (١٣ : ١٦١) . وفى اللسان ، « ويقال أصغى فلان إناء فلان : إذا أماله ونقصه من حظه » .

وقال آخر :

تَخَيَّرَهُ اللهُ الغــداةَ لدينه على عِلْمِهِ واللهُ بالعِلْمِ أفْرَسُ[(١)]

وقال آخر :

وما ترَكَ الهــاجون لى فى أديمِكم مَصَحًّا ولـكنِّى أرى مُـترقّعا[(٢)]

وقال العِجْلِىّ ، أو العُكلى[(٣)] ، لنوح بن جرير :

[أتسبُّنى فأراك مثلى سُبَّةً وأسبّ جدّكم بسبٍّ أبينا]

ولقد أرى والمقْتَضى متجوِّزٌ[(٤)] يا نوحُ أنَّ أباك لايُوفِينا

وقال عمرو بن معد يكرب :

إذا لم تَسْتَطِـعْ شيئاً فَدَعْه وجاوِزْه إلى مَاتَسْتَطيـعُ

وصِلْهُ بالزَّمَاعِ فـكُلُّ أمرٍ سَمَا لكَ أو سَموت لَهُ ولوعُ

(شعر فى صاحب السوء)

وقال المقنَّع الـكِندىُّ[(٥)] :

وصاحبِ السُّوءِ كالدَّاء العَياء إذا مَا ارفَضَّ فى الجوفِ يجرى هاهُنا وهنا[(٦)]

---

(١) كذا فى ط ، س . وفى ل : « تخيره رب العباد . . . بالعبد أعرف » .

(٢) المصح : موضع الصحة . س : «مترفعاً» وهو تصحيف ، صوابه فى اللسان والمقاييس (رفع).

(٣) كذا فى س . وفى ط : « وقال العجلى ، أو الكعلى » وفى ل : « وقال العكلى » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط : « ولقد رأونا والقضا متخون » وفى س : « ولقد رأونا والفضا متخون » .

(٥) المقنع : لقب غلب عليه ؛ لأنه كان أجمل الناس وجها ، وكان إذا سفر اللثام عن وجهه أصابته العين ، فكان لايمشى إلا مقنعا . واسمه محمد بن ظفر بن عمير . شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية . الأغانى (١٥ : ١٥٧) والشعراء ١٧٣ .

(٦) داء عياء : لايبرأ منه . وفى ل : «كالداء العضال » .

يُنْبِي ويُخبِر عن عَوْراتِ صاحبِه وما رأى عنده من صالحٍ دفنا[١]
كمُهرِ سَوءٍ إذا رفَّعت سَيْرَتَه رامَ الجماح وإن خَفَّضته حَرَنَا[٢]
إن يَحْيَ ذاك فكنْ منه بمعْزَلةٍ أو ماتَ ذاكَ فلا تعْرِفْ لَهُ جَنَنا[٣]

باب[٤]

ذكر خصال الحرم

فمن خصاله أنّ الذِّئبَ[٥] يصيد الظَّبيَ ويُريغه[٦] ويعارضه ، فإذا دخَلَ الحرم كفَّ عنه .

ومن خصاله أنّه لا يسقط على الكعبة حمام[٧] [إلاّ وهو عليل . يُعرف ذلك متى امتُحنَ وتعرِّفتْ حالُه[٨] . ولا يسقط عليها] ما دامَ صحيحًا .

ومن خصاله أنّه إذا حاذى أعلى الكعبة عَرَقَةٌ[٩] من الطّير كاليمام وغيره ، انفرَقت فِرقتين ولم يعلها[١٠] طائرٌ منها .

---

(١) ل : « يجرى ويخبر » ، وفى الشعراء : « ينبى ويخبر » .

(٢) رفع سيرته : زاد فى سرعة سيره .

(٣) الجنن ، بالتحريك : القبر . وفى ل : « أو مت ذاك لاتشهد له جنبا » ، وهو تحريف مافى الشعراء : « أو مات ذاك فلا تشهد » .

(٤) قبل هذا فى ل : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

(٥) كذا فى ل وثمار القلوب ١٣ ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٦٣) . وفى ط ، س : « الكلب » ، وليس مرادا .

(٦) يريغه : يطلبه .

(٧) ط ، س : « على الكعبة حمام » .

(٨) فى ثمار القلوب : « عرف ذلك من امتحنه وتعرف حاله » .

(٩) العرقة ، بالتحريك : السطر من الطير ، أو الخيل ، والجمع عرق . وفى ط ، س « عرف » وتصحيحه من ل .

(١٠) ط : « يعلمها » وصوابه فى س ، ل .

ومن خصاله [أنّه[١]] إذا أصاب المطرُ البابَ الذى من شِقِّ العِراق ، كان الخِصْب والمطرُ فى تلك السَّنة فى شِقِّ العِراق ، [وإذا أصاب الذى مِن[٢] شِقِّ الشام كان الخِصْبُ[٣] والمطر فى تلك السَّنَةِ فى شِقِّ الشام] ، وإذا[٤] عمَّ جوانبَ البيتِ كان المطرُ والخِصْبُ عامًّا فى سائر[٥] البُلدان .

٤٤ ومن خصال الحرَم أنَّ حَصَى الجِمار يُرمى بها فى ذلك المرمى ، مُذْ يومَ حَجَّ النَّاسُ البيتَ على طَوَالِ الدَّهر ، ثمَّ كأنَّه على مقدارٍ واحد . ولولا موضع الآيةِ والعلامةِ والأعجوبةِ التى فيها ، لقد كان ذلك كالجبال . هذا مِنْ غير أن تكسَحَه السُّيول ، ويأخُذَ منه النَّاس .

ومن سُنَّتهم : أنَّ كلَّ مَن علا الكعبةَ من العبيد فهو حرٌّ ، لا يرون المِلْكَ على من علاها ، ولا يجمعون بين [عزّ] علوِّها وذِلة[٦] المِلك .

وبمكةَ رجالٌ من الصُّلحاء لم يدخُلوا الكَعبةَ قطّ .

وكانوا فى الجاهليَّة لا يبنُون بيتًا مربّعا ؛ تعظيماً للكعبة . [والعربُ تسمِّى كلّ بيتٍ مربَّع كعبة ، ومنه : كعبة نَجران] . وكان[٧] أوَّلُ مَن بنى بيتاً مربَّعا حُميد بن زهير[٨] ، أحد بنى أسد بن عبد العُزَّى .

ثمَّ البركة والشفاء الذى يجدُه مَن شرب من ماءِ زمزم على وجْه الدهر

---

(١) الزيادة من س ، ل .
(٢) هذه الكلمة وسابقتها ليستا بالأصل . وهما من ثمار القلوب .
(٣) فى الأصل ، أى ل التى منها هذه الزيادة : « الحظر » ، وتصحيحه من ثمار القلوب .
(٤) ل : « فإذا » .
(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل والثمار .
(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وبين » . وفى الثمار : « وذل الرق » .
(٧) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فكان » .
(٨) هو حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشى . وكانت له دار ملاصقة للمسجد ، وقد ذكره ابن حجر فى الإصابة ١٨٣٣ .

وكثرةُ من يُقيم عليه يجدُ فيه الشفاء ، بعد أنْ لم[1] يدعْ فى الأرض حَمَّة[2] إلاَّ أتاها ، وأقام عندها ، وشرب منها ، واستنقع[3] فيها .

هذا مع شأن الفيل ، والطَّيرِ الأبابيلِ ، والحِجارة السِّجِّيل ، وأنَّها لم تزل أمْنا ولَقاحًا[4] ، لا تؤدِّى إتاوة ، ولا تَدِين للملوك ، ولذلك سمِّى البيتَ العتيق ؛ لأنَّه لم يَزلْ حُرًّا لم يملِكه أحد .

وقال حرْب بن أُميَّة فى ذلك[5] :

أبا مَطَر هَـلُمَّ إلى صَلاحِ فتَكفِيَكَ النَّدَامى مِنْ قريشِ[6]

فتأمَنَ وَسْطَهُمْ وتَعيشَ فيهم أبا مطر هُدِيتَ لخيرِ عَيشِ[7]

وتَنزِلَ بَلْدَةً عزَّت قَدِيمًا وتأمَنَ أن يَزُورَك ربُّ جيشِ[8]

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً واتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ . وقال عزّ وجلَّ ، حكايةً عن إبراهيم

---

(١) كذا فى ط ، س . وفى ل : « أن لا » .

(٢) الحمة ، بالفتح : كل عين فيها ماء حار ينبع ، يستشفى بها الأعلاء .

(٣) استنقع فيها : نزل واغتسل . وفى ط ، س : « وانتقع » ، والوجه ماأثبت من ل .

(٤) فى الكامل ٧٠٦ ليبسك : « واللقاح : الذى ليس فى سلطان أحد » .

(٥) يقول الشعر لأبى مطر الحضرمى ، يدعوه إلى حلفه ونزول مكة . كامل المبرد .

(٦) المبرد : « صلاح اسم من أسماء مكة » ، وضبطت فى الكامل ضبط قطام . وقال ياقوت فى المعجم : « صلاح بوزن قطام : من أسماء مكة . قال العمرانى : وفى كتاب التكملة : صلاح ، بكسر الصاد والإعراب » يعنى التنوين . فى س : « فتكنفك » وفى المعجم : « ليكفيك » ، وفى الكامل « فتكنف كالندامى » ، والمعنى مستقيم بالجميع .

(٧) س : « فتأمن رهطهم » .

(٨) كذا فى ط ، س ، والمعجم ، والكامل . وفى ل فقط : « عزت لقاحا » وفى المعجم : « أن ينالك رب جيش » .

﴿ رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يشكرُونَ ﴾ .

(خصال المدينة)

والمدينة هى طَيبة ، ولطيبها قيل تلفِظ خَبَثَها وينصعُ طيبُها . وفى ريح ترابها وبنّةِ[١] تربتها ، وعَرف ترابها[٢] ونسيمِ هوائها ، والنعمة[٣] التى توجد فى سِكَكِها وفى حيطانها — دليلٌ على أنَّها جُعلت آيةً حينَ جعلت حرمًا .

وكلٌّ[٤] من خَرَجَ من منزلٍ مطيَّبٍ إلى استنشاق [ريح] الهواء والتُّرْبة[٥] فى كل بلدة فإنَّه لا بدَّ عند الاستنشاق والتثبُّت مِنْ أنْ يجِدَها منتنةً . فذلك[٦] على طبقاتٍ من شأنِ البُلدان ، إلاَّ ما كان فى مدينة الرّسول ، رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ، فللصَّياح[٧] والعِطْر والبَخور

---

(١) البنة ، بالفتح : الريح الطيبة . وفى س : « نبت » ، وتصحيحه من ل .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) كذا فى ط ، س ، وثمار القلوب ٤٣٦ . وفى ل : « والنغمة » ، وهذه محرفة لاريب . وأميل إلى أن تكون هذه الكلمة « فعمة » من فعم المسك البيت : طيبه .

(٤) ط ، س : « وقيل » ، ووجهه من ل .

(٥) ط : « الهوى والبرية » ، وصوابه فى س ، ل .

(٦) ل : « وذلك » .

(٧) الصياح ، بوزن كتان : عطر . ط ، س : « فللصباح » تحريف ماأثبت . وفى ل : « وللصياح » .

والنَّضوح(١) ، من الرائحة الطيبة ـ إذا كان فيها ـ أضعافُ ما يوجد له في غيرِها من البُلدان ، وإن كان الصَّيّاح(٢) أجوَد ، والعطر أفخرَ ، والبَخور أثمن .

(بعضُ البلدان الرديئة)

٤٥ ورُبّت بلدةٍ يستحيل(٣) فيها العطرُ وتذهب رائحتُه ، كقَصَبة الأهواز . وقد كان الرشيدُ همَّ بالإقامة بأنطاكيَة ، وكره أهلُها ذلك ، فقال شيخٌ منهم ، وصَدَقَهُ : يا أمير المؤمنين ، ليست من بلادك ، ولا بلادِ مثلك ، لأنّ الطِّيب الفاخرَ يتغيَّر فيها حتَّى لايُنْتفعَ منه بكثير(٤) شيء ، والسِّلاحَ يصدأ فيها ولو كان من قلْعةِ الهند(٥) ، ومن طبع(٦) اليمن ، ومطرها ربَّما أقام

---

(١) النضوح ، كصبور : طيب . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « والتضوع » ، وفى س : « والتضوح » ، وفى ل : « والفضرج » ، والصواب ماأثبت موافقا لما فى ثمار القلوب .

(٢) ط ، س « الصباح » ، تحريف ماأثبت من ل . وانظر التنبيه الذى قبل السابق .

(٣) يستحيل هنا بمعنى يتغير .

(٤) ل : « بكبير » . وهذا الخبر تجد نحوه فى معجم البلدان برسم (أنطاكية) .

(٥) قلعة عظيمة ببلدة تسمى « كله » وهى أول بلاد الهند من جهة الصين ، وفى هذه القلعة تضرب السيوف القلعية . انظر معجم البلدان برسم (القلعة) . وفى ط : « فلق » وفى س : « فلق » ، وتصحيحه من ل .

(٦) ط ، س : « قلع » . والذى باليمن هو « القلمة » كما فى المعجم والقاموس . وأثبت مافى ل .

شهرين ، ليس فيه سكون[١] . فلم يُقِم بها[٢] . ثمّ ذكر المدينة فقال : وإنّ الْجُويريةَ السّوداء ، لَتجعل فى رأسها شيئاً من بَلح ، وشيئاً من نَضُوحٍ ، مما لاقيمةَ له ؛ لهوانه على أهله ، فتجد لذلك[٣] خُمْرةً طيِّبة[٤] وطيبَ رائحةٍ لايعدِلُها[٥] بيتُ عَرُوسٍ من ذوى الأقدار . حتّى إنّ النّوى المنْقَع ، الذى يكونُ عندَ أهل العراق فى غايةِ النَّتَن ، إذا طال إنقاعه ، يكونُ عندَهم فى غاية الطِّيب . والله سبحانه وتعالى أعلم .

باب
ذكر الحمام[٦]

(أجناسه)

قال صاحب الحمام : الحمام وحشىٌّ ، وأهلىّ ، وبيوتىّ ، وطورانى[٧] . وكلُّ طائرٍ يعرف بالزِّواج ، وبحسن الصَّوت ، والهديل ، والدُّعاء ، والتّرجيع فهو حمام ، وإن خالفَ بعضُه بعضاً فى بعض الصَّوتِ واللَّون ، وفى بعض القدِّ

(١) ل : « دام شهرين ليس فيها سكون » .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فلم يقربها » وتصح إن جعلت من القرار .

(٣) ط ، س : « ذلك » ، وصوابه فى ل وثمار القلوب .

(٤) الخمرة ، مثلثة : الرائحة الطيبة .

(٥) كذا فى ل وثمار القلوب . وفى ط ، س : « لايعدله » . يعدلها : يساويها .

(٦) كلمة « باب » ليست فى ل . وفيها : « القول فى الحمام » .

(٧) الطورانى : منسوب إلى طور سيناء ، أو إلى جبل يقال له طرآن ، نسبة شاذة .

[ولحن] الهديل[١] . وكذلك تختلف أجناس الدَّجاج[٢] على مثل ذلك[٣] ولا يخرجها [ذلك] من أن تكون دَجَاجا : كالدِّيك الهندى والخِلاسىّ[٤] والنَّبطِىّ ، وكالدّجاج[٥] السِّندىّ والزنجىّ وغير ذلك . وكذلك الإبل : كالعِرابِ[٦] والبُخْتِ ، والفوالج ، والبَهْوَنيّات[٧] والصَّرْصَرَانيّات[٨] ، والحُوش ، والنُّجب[٩] ، وغير ذلك من فحول الإبل ؛ ولا يخرجها ذلك من أنْ تكون إبلا .

وما ذاك إلّا كمخالفة الجُرذانِ والفأر ، والنّمْلِ والذّر ، وكاختلاف[١٠] الضّأْنِ والمعْزِ ، وأجناسِ البقر الأهليَّة والبقَر[١١] الوحشيَّة ، وكقرابَةِ ما بينهما[١٢] وبين الجواميس .

---

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وفى بعض النوح والهديل » . وفيهما أيضاً بعد هذا : « والدعاء والترجيع فهو حمام » ، والوجه حذف هذا الكلام الأخير كما فى ل ؛ لأنه تكرار .

(٢) ط ، س : « وقد يختلف الدجاج » .

(٣) « على مثل ذلك » ساقطة من ل .

(٤) الخلاسى ، بالكسر : الديك بين دجاجتين هندية وفارسية .

(٥) بدلها فى ط ، س : « ومثل » .

(٦) ط ، س : « العراب » .

(٧) البهونيات من الإبل : مابين الكرمانية والعربية . وانظر ١ : ١٣٨ .

(٨) الصرصرانيات : مابين البخاتى والعراب . ط : « الصراصرنيات » ، تحريف .

(٩) هذه الكلمة ساقطة من ل . والحوش والحوشية : الإبل المتوحشة .

(١٠) ط ، س : « ومثل اختلاف فى » ، تحريف .

(١١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(١٢) ل : « بينها » .

وقد تختلف الحيّاتُ والعقاربُ بضروبِ الاختلاف ، ولا يخرجها ذلك من أن تكونَ عقاربَ وحيّاتٍ . وكذلك الكلابُ ، والغِرْبان .

وحسْبُك بتفاوتِ ما بينَ النّاس : كالزّنج والصقالبة ، فى الشُّعُورِ والألوان ، وكيأجوج ومأجوج ، وعاد وثمود ، ومثلُ الكَنْعَانيّين[1] والعمالقة.

فقد تخالف الماعزة الضائنة[2] حتّى لايقع بينهما تسافُدٌ ولا تلاقح . وهى فى ذلك غنمٌ وشاء .

قال : والقُمرىُّ حمام ، والفاخِتةُ حمام ، والوَرَشان حمام . والشِّفْنِين[3] حمام ، وكذلك اليمام واليعقوب . وضروبٌ أخرى كلها حمام . ومفاخرها التى فيها ترجع إلى الحمام التى لاتُعرف[4] إلّا بهذا الاسم . ٤٦

قال : وقد زعم أفْليمون[5] (صاحب الفِراسة) أنَّ الحمام يتّخَذُ لضرُوب : منها مايُتّخذ للأُنس والنساء والبُيُوتِ ، ومنها مايُتّخذ للزِّجال[6] والسباق .

---

(١) ط : « الكنعانين » ، محرفة .

(٢) ط ، س : « الضانية » وهو تحريف ماأثبت من ل .

(٣) الشفنين ، بالكسر : ضرب من الحمام حسن الصوت . ط ، ل : « السفنين » تصحيف ما أثبت من س . ،وافقا لما فى الدميرى .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « الذى لايعرف » ، وهما وجهان .

(٥) أفليمون : فاضل كبير فى فن من فنون الطبيعة ، وكان معاصرا لبقراط ، وأظنه شامى الدار ، كان خبيراً بالفراسة ، عالما بها ؛ إذا رأى الشخص وتركيبه ؛ استدل بتركيبه على أخلاقه ، وله فى ذلك تصنيف مشهور خرج من اليونانية إلى العربية . القفطى . قلت : وقد طبع كتابه فى حلب سنة ١٣٤٧ وهو يقع فى خمس وأربعين صفحة. وفى ط ، س : « أقليمون » .

(٦) فى الأصل : « للرجال » بالراء ، تحريف ما أثبت من نهاية الأرب ١٠ : ٢٥٧ . وانظر هذا الجزء ص ٢٢٣ .

[والزِّجال : إرسال الحمام الهوادِى[١]] .

(من مناقب الحمام)

ومن مَناقب الحمام حبُّه للناس ، وأنس الناس به ، وأنَّك لم تَرَ حيواناً قطُّ أعدلَ موضِعاً ، ولا أقْصَد[٢] مرتبةً من الحمام . وأسفل[٣] النّاس لايكون دُون أنْ يتّخذها ، وأرفع الناس لايكون فوقَ أن يتَّخذها . وهى شىءٌ يتَّخذه[٤] مابين الحجَّام إلى الملك[٥] الهمام .

والحمامُ مع عمومِ شهوةِ النّاس له ، ليس شىءٌ ممايتّخِذونه هُمْ أشدُّ شغفاً به[٦] ولا أشدُّ صَبابَةً[٧] منهم بالحمام ، ثمَّ تجد ذلك فى الخِصيان كما تجدُه فى الفحول ، وتجده [فى الصِّبيان كما تجدُه فى الرِّجال ، وتجدُهُ] فى الفِتْيان[٨] كما تجدُه فى الشيوخ ، وتجدُه فى النساء كما تجدُه فى الرِّجال .

والحمامُ من الطَّير الميامين . وليس من الحيوان الذى تظهر له عورة وحجم قضيبٍ[٩] كالكلب والحمارِ وأشباهِ ذلك ، فيكونَ ذلك مما يكونَ يجب على الرِّجال ألّا يُدْخِلوه دورَهم .

---

(١) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٥٨) .
(٢) أقصد : من القصد ، ضد الإفراط . وفى س : « أقصر »، محرفة .
(٣) ل : « لأن أسفل الناس » .
(٤) ط ، س : « يتخذها » ، وأثبت مافى ل . ط : « وهى شئ » ، ل : « وهو شىء » ، وأثبت مافى س .
(٥) ط ، س : « الرجل » .
(٦) ط ، س : « أشد شفقاً » . والشفق : الشفقة . وأثبت مافى ل .
(٧) ط فقط : « ضيانة »، وهى تحريف ، لوجود الباء فى كلمة : « بالحمام » .
(٨) ل : « الشبان » .
(٩) ل : « وحجم وقضيب »، بإقحام الواو .

(كلمة لمثنى فى الحمام)

قال مثَّى بنَ زهير : ومن العجب أنَّ الحمامَ مُلَقَّى ، والسَّكْرَانَ مُوقَّى ، فأنشده ابن يَسير[١] بيت الخُرَيمى[٢] :

وأعْدَدتُهُ ذُخْـرًا لـكلِّ مُلِمَّةٍ وسَهْمُ المَنَايا بالذَّخائرِ مُولَعُ[٣]

(شرب الحمام)

ومتى رأى إنسانٌ عطشانَ الدِّيك والدَّجاجة يشربان الماء ، ورأى ذئباً وكلباً يلطعَان المـاء لطْعًا ، ذهَبَ عطشُه من قُبْح حسْو الديك نغْبةً نغْبة[٤] ، ومن لطْع الـكلْب . وإنَّه لَيرَى الحمام [وهو] يَشرب الماء! وهو[٥] ريّان ، فيشتهِى أن يَـكرَعَ فى ذلك[٦] الماء معه .

---

(١) هو محمد بن يسير ، تقدمت ترجمته فى (١ : ٥٩) . وفى الأصل : « ابن بشير » وهذا تحريف .

(٢) فى ط : « الحزيمى » وفى س : « الخزيمى » ، وصوابه ما أثبت من ل . وهو أبو يعقوب إسحاق بن حسان . تقدمت ترجمته فى (١ : ٢٢٤) .

(٣) انظر الحيوان (٦ : ٤٢٣) .

(٤) النغبة ، بالفتح : الجرعة ، ويضم . أو الفتح للمرة والضم للاسم . وفى س : « نقبة نقبة » ، وهو تحريف .

(٥) أى الإنسان .

(٦) هذه الـكلمة سـاقطة من ل . وفى ط ، س : « يشتهى أن يكون » ، وله وجه .

(صدق رغبة الحمام فى النَّسل)

والدِّيك والكلبُ فى طلب[١] السِّفاد [وفى طلب الذَّرْء] كما قال أبو الأخْزر[٢] الحِمَّانىُّ :

* لَامُبْتَغِى الضَّنْءِ ولَا بِالْعَازِلِ[٣] *

والحمام أكثر معانيه الذَّرْءُ وطلبُ الولد . فإذا علِم الذَّكَرُ أنَّه قد أودَعَ [رحمَ] الأنثى مايكون منه الولدَ تقدَّمَا فى إعدادِ العشِّ ، ونقلِ القَصَب[٤] وشِقَقِ[٥] الْخوص ، وأشباهِ ذلك من العِيدان الخوَّارة الدِّقاق[٦] حتَّى يعملا أُفحوصة وينسجاها[٧] نسجًا مُداخلًا ، وفى الموضع الذى قد [رضِياه و]اتخذاه

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « الأحزر » وصوابه فى ل . قال فيه صاحب المؤتلف ٥٢ : « أحد بنى عبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وعبد العزى هو حمان . راجز محسن مشهور » .

(٣) الضنء ، بالفتح ويكسر : الولد . وفى ط ، س : « الضر » ، وصوابه فى ل والجزء الأول ص ١٩٥ والعازل فسره الجاحظ فى الجزء الأول ١١٠ . وفى ط ، س : « بالعاذل » ، وهو تحريف ما أثبت من الجزء الأول ص ١٩٥ . وفى ل : « العازل » .

(٤) ل : « تقدما فى نقل القصب » .

(٥) الشقق : جمع شقة بالكسر ، وهى القطعة المشقوقة ، ونصف الشىء إذا شق . وفى ط ، س : « تشقيق » ، وأثبت مافى ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٧١) .

(٦) الخوارة : الضعيفة . وفى ط ، س : « الخور » ، تحريف صوابه فى ل ونهاية الأرب . وفى ط ، س : « الرقاق » بالراء .

(٧) كذا على الصواب فى ل ونهاية الأرب . وفى ط ، س : « حتى يعملا الخوص وأشباه ذلك وينسجاه » .

واصطنَعاه ، بقدر جُثمان الحمامة ، ثمّ أشْخَصا لتِلك الأفحوصةِ حُروفاً غيرَ مرتفِعة ؛ لتحفظَ البَيض وتمنَعَه من التّدحرج ، [ولتلزمَ كنَفَى[1] الجؤجؤ] ولتكون[2] رِفداً لصاحبِ الحضْن ، وسنَدًا للبيض . ثمَّ يتعاوران ذلك المكان ويتعاقَبان ذلك القَرمُوص[3] وتلك الأفحوصة ، يسخِّنانها ويدَفِّيانها[4] ويطيِّبانها ، وينفِيان عنها طِباعها الأوَّل[5] ، ويُحدثان لها طبيعةً أخرى مشتقّةً من طبائعهما ، ومستخرجةً من رائحةِ أبدانهما وقُواهما الفاصِلة[6] [منهما ؛ لكى تقعَ البيضةُ إذا وقعتْ، فى موضعٍ أشبَهِ المواضع طباعاً بأرحام الحمام][7] ، مع الحضانة والوَثارَة[8] ؛ لكى[9] لاتنكسر البيضة بيُبس الموضع ، ولئلا ينكر طِباعُها[10] طباعَ المكان ، وليكونَ على مقدارٍ من البرْدو السَّخانةَ[11] والرَّخاوة والصَّلابَةِ. ثمّ إنْ ضَرَبها المخاضُ وطَرّقت[12] ٤٧

(١) فى أصلها أى ل وكذا فى نهاية الأرب : « كتفى » ، والوجه ما أثبت . والكنف : الجانب . والجؤجؤ من الطائر : صدره .

(٢) ط ، س : « ليكون » ، وفى ل : « وتكون » ، وأثبت مافى نهاية الأرب .

(٣) القرموص ، بالضم : العش يبيض فيه الحمام . وفى ط : « الغرموص »، وصوابه فى س ، ل .

(٤) ط فقط : « ويرفيانها »، والوجه ما أثبت .

(٥) الطباع ، بالكسر : الطبع .

(٦) الفاصلة : المنفصلة . وفى ط ، س : « الفاضلة » ، وما كتبت من ل أشبه .

(٧) هذه الزيادة من ل ونهاية الأرب . وبدلها فى ط ، س : « من أرحامهما » .

(٨) الوثارة : أن يكون الشىء موطأ ممهدا . وفى ط : « والاثارة » ، وصوابه فى ل ، س .

(٩) ط : « لكن » وصوابه فى ل ، س ونهاية الأرب .

(١٠) الطباع ، بالكسر : سبق تفسيره . ط « طبائعها » وفى س : « طبايعهما » ، والوجه ما أثبت من ل .

(١١) فى ل ونهاية الأرب : « والسخونة » وهما بمعنى .

(١٢) طرقت تطريقا : حان خروج بيضها ، وأصل التطريق للقطا .

ببيضتها ، بَدَرَت[١] إلى الموضع الذى قد أعَدّته ، وتحامَلتْ إلى المكانِ الذى اتَّخَذتْه وصنعته ، إلّا أن يُقرِّعها[٢] رعدٌ قاصف ، أو ريحٌ عاصفٌ فإنَّها ربَّما رمَتْ بها دون كِنِّها وظل عُشها ، وبغير موضِعها[٣] الذى اختارته . والرَّعدَ ربما مَرِق[٤] عنده البيض وفسد ، كالمرأة التى تُسقِط من الفزَع ، ويموتَ جنينها من الرَّوع[٥] .

(عناية ذَكر الحمام وأنثاه بالبيض)

وإذا وضَعت البيضَ فى ذلك المكان فلا يزالان يتعاقبانِ الحضنَ ويتعاورانه ، حتَّى إذا بلغ ذلك البيضُ مَداه وانتهَتْ أيّامه ، وتمَّ مِيقاته الذى وظَّفه خالقُه ، ودبَّره صاحبه[٦] ، انصدع القَيْضُ[٧] عن الفرخ ، فخرجَ

---

(١) ل : « بادرت » ، وهما بمعنى . وقبل هذه الكلمة فى ط ، س : « ففصلت أرحامها » ، وهى عبارة مشوهة وليست فى ل ولا فى نهاية الأرب .

(٢) كذا فى ل ، س ونهاية الأرب . والتقريع : الإقلاق وهو الإزعاج . ويجوز أن تكون هذه الكلمة من القرع بمعنى الضرب . وفى ط فقط : « يفزعها » .

(٣) ل : « دون موضعها » ، بإسقاط مابين الكلمتين من كلام .

(٤) مرقت البيضة ، بالكسر : فسدت فصارت ماء .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٦) الكلام من مبدإ : « وتم » ساقط من ل .

(٧) القيض ، بالفتح : القشرة العليا اليابسة على البيضة ، أو هو البيضة التى خرج ما فيها من فرخ ، أو ماء . وفى ط ، س ، ونهاية الأرب : « البيض » ، والمعنى يصح بكل منهما .

عارىَ الجِلْد ، صغيرَ الجَناح ، قليلَ الحِيلة ، منسَدَّ الحلقوم ، فيعينانِه على خلاصِه من قيضه[١] وترويحه من ضيق هَوَّته[٢] .

(عنايتهما بالفراخ)

وهما يَعلمان أن الفرخَينِ لاتتَّسع حلوقهما وحواصِلهُما[٣] للغذاء ، فلا يكونَ لهما[٤] عند ذلك همٌّ إلّا أنْ ينفخا فى حلوقهما[٥] الريح ، لتتّسع الحوصلةُ بعد التحامها ، وتَنْفَتقَ بعدَ ارتتاقِها . ثم يعلمان[٦] أنّ الفرخ وإن اتّسعت حَوصلتُه شيئاً ، أنّه لايحتمل فى أول اغتذائه أن يزقّ بالطُّعم[٧] ، فيُزَقّ عند ذلك باللُّعاب المختلِط بقُواهما وقُوى الطعْم ــ وهُمْ يسمُّونَ ذلك اللُّعابَ اللِّباء[٨] ــ ثم يعلمان أنّ طبع حوصلتِه يرق[٩] عن استمراء الغذاء

---

(١) فى الأصل : « بيضه » ، والصواب ما أثبت .

(٢) الهوة بالفتح : أصل معناها الكوة ، وهى الخرق فى الحائط ، والثقب فى البيت ، والمراد بها هنا موضع خروج الفرخ من القيض . والكلام من مبدإ : « فخرج » ساقط من ل . وهذه الكلمة هى فى ط : « هوانه » وفى س : « هواته » والوجه ما أثبت .

(٣) عبر عن المثنى بالجمع ، كما فى الكتاب العزيز : « فقد صغت قلوبكما » أى صغا قلباكما .

(٤) ط فقط : « يكون » ، وهو تحريف مطبعى .

(٥) ل : « حلقه » ، والوجه ماأثبت من ط ، س .

(٦) ط ، س : « ويعلمان » ، وأثبت مافى ل ونهاية الأرب .

(٧) كذا فى ل . وفى ط ، س : « إنه أن امتنعت الحوصلة شيئاً لا يحتمله فى أول غذائه أن يزق بالطعم » ، هو تحريف كما ترى .

(٨) كذا . والمعروف : « اللبأ » .

(٩) ط ، س : « طبع حواصلهما يضعف » ، وصوابه من س .

وهضم الطُّعمِ (١) ، وأنَّ الحوصلةَ تحتاجُ إلى دَبْغٍ وتقوية ، وتحتاج إلى أن يكون لها بعضُ المتانَة والصلابة ، فيأكلان من شَورَج (٢) أصول الحِيطان ، وهو (٣) شيءٌ بينَ المِلح الخالص (٤) وبين التُّراب الملح (٥) ، فيزقَّانه به (٦) حتَّى إذا علِما أنَّه قد اندبَغ واشتدّ زقَّاه بالحبِّ الذى [قد غبَّ (٧) فى حواصلهما ثم زقَّاه بعد ذلك بالحبِّ الذى (٨) هو أقوى وأطرى . فلا يزالان يزُقَّانه بالحبِّ والماءِ على مقدارِ قُوَّتِه ومبلغ طاقته ، وهو يطلب ذلك منهما ، ويبِضُّ نحوهما (٩) حتى إذا علما أنّه قد أطاق اللقْطَ منَعاه بعضَ المنْع ، ليحتاج إلى اللقْطِ فيتعوَّده، حتى إذا علما أنَّ أدَاتَه (١٠) قد تمَّتْ، وأن أسبابَه قد اجتمَعَتْ وأنَّهما إن فَطماهُ فطْماً مقطوعا مجذوذاً (١١) قوِىَ على اللَّقط ، وبلغ لنفسِه مُنتَهى حاجتِه — ضرباه إذا سألهما الكفاية ، ونَفَياه متى رجع إليهما (١٢)

---

(١) كلمة : « وهضم الطعم » ساقطة من ل .

(٢) الشـورج : نوع من الملح ، قال صاحب منهاج الدكان ص ٢١٦ : هو ملح الدباغة . وهـذه الكلمة مضطربة فى الأصـل : فهى فى ط : « صروح » وفى س : « سروح » ، ل وعيون الأخبار ٢ : ٩١ : « سورج » ، نهاية الأرب : « شروج » وصواب ذلك كله ما أثبت من منهاج الدكان .

(٣) ط ، س : «وهى» ، والوجه ماأثبت من ل ونهاية الأرب .

(٤) ط ، س : « والحمض » ، وصواب هذه « المحض » ، وأثبت ما فى ل .

(٥) ط ، س : ونهاية الأرب : « الخالص » واخترت ما فى ل .

(٦) كذا فى ل : ونهاية الأرب . وفى ط ، س : « فيزقان الفرخ » .

(٧) غب : أصل معناها بات . والمراد مكث طويلا حتى لان .

(٨) فى الأصل ، أى ل : « الحب » ، والوجه ماأثبت من نهاية الأرب .

(٩) البض ، أصله فى الإنسان أن يسأل عن الحاجة فيتمطق بشفتيه .

(١٠) ط : « أذاته »، وصوابها فى ل ، س .

(١١) أى منقطعا لاعودة بعده إلى الزق. وفى ل : « منبتا » ، وهما بمعنى .

(١٢) بعد هذه الكلمة فى ط ، س كلمة : « للعادة » وليست فى ل ، ولا فى نهاية الأرب .

ثمّ تُنْزَع [عنهما] تلك الرحمةُ العجيبة منهما له ، وينسَيان ذلك العطف المتمكِّنَ عليه(١) ، ويُذهَلان عن تلك الأثرة [له] ، والكدِّ المضنى(٢) من الغُدُوِّ عليه ، والرَّواح إليه(٣) . ثم يبتديان العمل ابتداءً ثانياً ، على ذلك النظام وعلى تلك المقدّمات(٤) .

٤٨ فسبحان من عرّفهما وألهمهما ، وهداهما(٥) ، وجعلهما دَلالةً لمن استدلّ ، ومُخبِراً صادقاً لمن استخبر ، ذلكم الله رب العالمين .

(حالات الطُّعم الذى يصير فى أجواف الحيوان)

وما أعجَبَ حالاتِ الطُّعْمِ الذى يصير فى أجواف الحيوان ، وكيف تتصرّف به الحالاتُ ، وتختلف فى أجناسه الوجوه(٦) : فمنها(٧) ما يكون مثل زق الحمام لفَرخه ، والزقُّ فى معنى القَىء أو فى معنى التقيؤ وليس بهما(٨) وجِرّة البعير والشاةِ والبقرة فى معنى ذلك ، وليس به . والبعير يريد أن

---

(١) ليست فى ل .

(٢) ل : « والكد عليه » .

(٣) « من الغدو . . . » الخ ليس فى ل .

(٤) ط ، س : « على هذا النظام وعلى هذه المقامات » وأثبت ما فى ل : بعد تصحيح كلمة « المقامات » من نهاية الأرب .

(٥) فى الأصل : « وهنأهما » ، وما كتبت أليق بالكلام .

(٦) ط ، س : « وتختلف فى أجناسها الوجوه » ، ل : « فى أجناسه فى الوجوه » وصححت الكلام جامعاً بينهما .

(٧) أى من الحالات . وفى ل : « فنه » .

(٨) ط ، س : « التىء وليس هما » ، وأثبت الصواب من ل .

يعود فى خَضمه[١] الأوّل واستقصاء طعمه . وربّما كانت الجِرَّةُ رجيعا . والرَّجيع : أن يعود على ماقد أعاد عليه مرّةً حتّى ينزعه من جَوفه ، ويقلبه عن جهته .

(زَقّ الحمام)

والحمام يُخرجه من حَوصلته ومن مُسْتكَنّه وقَراره[٢] ، وموضعِ حاجته واستمرائِه ، بالأثَرةِ والبِرّ ، إلى حوصلةِ ولده. [قد] ملك ذلك وطابتْ به نفسُه ولم تغْثَثْ عليه نفسه[٣] ولم يتَقَذَّر[٤] من صنيعه ، ولم تَخْبُثْ نفسُه[٥] ، ولم تتغيَّر شهوته . ولعلَّ لذَّتَه[٦] فى إخراجه أن تكونَ كلذّتِه[٧] فى إدخاله ، وإنّما اللذة فى مثل هـذا بالمجارِى[٨] ، كنحو ما يعترى مَجرَى النُّطفةِ من استلذاذ مرُور النُّطفة ، فهذا شأنُ قَلْب الحمام مافى جوفه ، وإخراجه بعد إدخاله. والتمساح يخرجه[٩] على أنّه رجعُه ونَجْوه[١٠] الذى لامخرجَ له ولا فَرَج [له] فى سواه .

---

(١) كذا فى ط ، س . وفى ل : « طحنه » .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « مسكنه وقرابه » ، وما فى ل أشبه بلغة الجاحظ .

(٣) يقال غثت نفسه : لقست ، أى غثيت غثيانا . وفى ط ، س : « تتعاث » ، ولم أجد لها وجها . وهذه الجملة ساقطة من ل .

(٤) س : « يتقزز » ، ومؤادهما واحد .

(٥) انظر ماجاء خاصاً بهذا التعبير فى ١ : ٣٣٥ س ١٠ .

(٦) ط ، س : « لذاته » .

(٧) ط ، س ، « كلذاته » .

(٨) ط ، س : « كالمجارى » ، تحريف ماأثبت من ل .

(٩) ط ، س : « والتماس إخراجه » ، وصوابه فى ل . وانظر ماسيأتى .

(١٠) ط ، س : « وبحوه » ، وهو تصحيف مافى ل .

(تصرف طبيعة الإنسان والحيوان فى الطعام)

وقد يعترى ذلك الإنسانَ لِمَا يعرِض من الدَّاء ، فلا يعرف[١] إلاَّ الأكلَ والقَىء ، ولا يعرف النَّجْوَ إلاَّ فى الحِين على بعضِ الشِّدَّةِ . وليس ما عَرَض بسبب آفةٍ كالذى يخرج على أصل تركيب الطبيعة .

والسِّنَّور والكلبُ على خلاف ذلك كلِّه ، لأنَّهما يُخرجانه بعارضٍ يعرِضُ لهما مِن خُبْث النَّفس ، ومن الفساد[٢] ، ومن التَّثوير والانقباض[٣] ثمَّ يعودان بعد[٤] ذلك فيه من ساعتهما ، مشتهِيَينِ له ، حريصين عليه .

والإنسان إذا ذَرَعه ذلك لم يكن شىءٌ أبغضَ إليه منه ، وربَّما استقاء وتكلَّف ذلك لبَعضِ الأمر . وليس التكلف فى هذا الباب إلاَّ له .

وذوات الكروش كلها تَقْعَصُ[٥] بجرَّتها ، فإذا أجادتْ مضْغه أعادته ، والجِرَّة هى[٦] الفرْث ، وأشدُّ من ذلك أنْ تكون[٧] رجيعاً ، فهى تجيدُ مَضغَها وإعادتَها إلى مكانها ، إلاَّ أنَّ ذلك ممَّا لا يجوزُ أفواهها[٨] . وليس عند الحافِر من ذلك قليلٌ ولا كثير ، بوجهٍ من الوجوه .

---

(١) ل : «يعرض» .

(٢) المراد بخبث النفس مايعرض لها من التقزز والغثيان . وفى س : « من حيث النفس والفساد »، وهو تحريف .

(٣) ل : « الانتقاس »، والوجه ماأثبت من ط ، س .

(٤) ل : « مع » .

(٥) أصل معنى القعص الطعن الوحى ، أى السريع .

(٦) ط ، س : « وهو »، تحريف .

(٧) ط ، س : « يكون » .

(٨) س : « إلا أن ذلك ما كان لايجوز أفواهها » .

[وقد يعترى سباعَ الطيرِ شبيهٌ بالقىء ، وهو الذى يسمُّونه « الزُّمّج »[١] .

وبعضُ السَّمكِ يقىء قيئاً ذريعاً ، كالبال ، فإنَّه ربَّما دسَعَ الدَّسعة[٢] ، فتلقى[٣] بعض المراكب ، فيلقَون من ذلك شِدّة . والناقة الضجور ربَّما دسعَتْ بجِرَّتها فى وجه الذى يرحُلها[٤] أو يعالجها ، فيلقى من ذلك أشدَّ الأذى . ومعلومٌ أنَّها تفعَلُ ذلك على عمد .

فلذوات الأقدام فى ذلك مذهب ، ولذوات الكُروش من الظِّلف والخفِّ فى ذلك مذهب ، ولذوات الأنياب فى ذلك مذهب ، وللسَّمك والتِّمساح الذى يشبه السَّمَكَ فى ذلك مذهب .

ويزعمون أن جوف التمساح إن[٥] هو إلاّ معاليق[٦] فيه ، وأنه فى صورة الجراب ، مفتوح الفم ، مسدود الدُّبر ، ولم أحقَّ ذلك ، وما أكثر من لايعرفُ الحال فيه .

(الرُّجوع إلى طلب النسل عند الحمام)

ثم رجع بنا القولُ فى الحمام بعد أن استغنى ولده عنه ، وبعد أن نُزِعت الرحمةَ منه ، وذلك أنَّه يبتدئُ الذَّكرُ الدُّعاء والطَّرد ، وتبتدئ الأنثى بالتأتِّى

---

(١) الزمج : أحد نوعى العقاب ، والغالب فى لونه أن يكون أحمر ، وهو من خفاف الجوارح ، ومن الطيور التى يصيد بها الملوك. الدميرى .

(٢) دسع : قاء .

(٣) يصح أن تقرأ بفتح التاء أو ضمها .

(٤) يرحلها ، بضم الحاء : يحط عليها الرحل .

(٥) ليست بالأصل ، والأصل هنا ل . وزدتها للحاجة إليها .

(٦) جمع معلاق ، وهو اللسان .

والاستدعاء ، ثمَّ تزيف وتتشكّل[١] ، ثمَّ تمكّن وتمنع ، وتجيبُ وتصدفُ بوجهها ، ثم يتعاشقان ويتطاوعان ، ويحدثُ لهما من التغزُّل والتفتُّل[٢] ، ومن السَّوف[٣] والقبَل ، ومن المصِّ والرَّشف ، ومن التنفُّخِ والتنفُّج ، ومن الخيلاء والكبرياء ، ومن إعطاء التقبيل حقّه ، ومن إدخال الفم فى جوف الفم ، وذلك من التطاعُم ، وهى المطاعَمة . وقال الشاعر :

لم أَعطها بيــدى إذ بتُّ أرشُفُها ... إلاّ تَطاولَ غصنُ الجيد بالجيدِ[٤]

كما تَطاعَمَ فى خضراءَ ناعمــة ... مطوَّقان أصــاخا بعــد تغريد

هذا مع إرسالها جناحيها وكفِّيها على الأرض ، ومع تَدَرعها وتبعُّلها[٥] ومع تصاوله وتطاوُله ، ومع تنفُّجه وتنفُّخِه ، مع ما يعتريه مع الحكة والتفلّي والتنفُّش[٦] حتّى تراهُ وقد رمى فيه بمثله[٧]] .

ثمُّ الذى ترى من كسْحِه بذنبه[٨] ، وارتفاعِه بصدره ، ومن ضرْبه بجناحِه ، ومن فرحه ومَرَحِه بعد قَمْطِه والفراغ ِ من شهوتِه ، ثمَّ يعتريهِ ذلك فى الوقت الذى يفتر فيه أنكحُ النّاس .

---

(١) تزيف : تنشر جناحيها وذنبها وتسحبهما على الأرض . والتشكل ، من الشكل بالفتح : وهو الغنج والدلال والغزل .

(٢) التفتل : التلوى .

(٣) السوف : الشم .

(٤) عطا الشئ يعطوه : تناوله بيده .

(٥) فى الأصل ، والأصل هنا ل : « وهو مع . . . » الخ. وكلمة « هو » لا حاجة إليها . والتدرع : أصل معناه لبس الدرع. والتبعل : التزين للبعل.

(٦) التنفش ، بالفاء ، هو أن ينفض الطائر ريشه . وفى الأصل : « والتنقش » .

(٧) كذا . وهنا تنتهى الزيادة التى ابتدأت من مبدإ الصفحة السابقة ، وهى من ل .

(٨) كسحه : كنسه الأرض بذنبه .

(القوة التناسلية لدى الحمام)

وتلك الخَصلةُ يفُوق بها جميع الحيوان ، لأنّ الإنسان الذى هو أكثرُ الخلْق فى قوّة الشهوة ، وفى دوامها فى جميع السَّنة ، وأرغبُ الحيوانِ [فى التصنُّع و] التغزل ، والتشكُّل والتفتُّل[1] أفترُ مايكونُ إذا فرغ ، وعندَها يركبُه الفُتور ، ويحبُّ فِراقَ الزَّوج ، إلى أن يعودَ إلى نشاطِه ، وترجِعَ إليه قُوَّتُه . ٤٩

والحمامُ أنشطَ ما يكون وأفرح ، وأقوى ما يكون وأمرح ، مع الزَّهو والشكل[2] ، واللهْو والجَذل ، أبردَ ما يكون الإنسانُ وأفترَه ، وأقْطَعَ ما يكون وأقْصَره[3] .

هذا ، وفى الإنسان ضروبٌ من القُوى : أحدها فَضْل الشَّهْوة ، والأخرى دوام الشهْوة فى جميع الدّهر ، والأخرى قوة التصَنُّع والتكلفِ ، وأنتَ إذا جمعتَ خِصالَه كلها كانت دونَ قوَّةِ الحمام عندَ فَراغِه من حاجته وهذه فضيلةٌ لا يُنْكِرُها أحدٌ ، ومَزِيّة لا يجحَدُها أحد ! !

---

(١) ط ، س : « والتمتع والشكل والتقبيل » ، وأثبت مافى ل .

(٢) الشكل ، بالفتح : الغنج والدلال والغزل .

(٣) العبارة فى ل : « والحمام أنشط مايكون وأمرح وأقوى وأجذل أبرد مايكون الإنسان وأفتر » .

(البغال ونشاطها)

ويقال : إنّ النّاس لم يَجِدُوا مثلَ نشاط الحمام فى وَقت فَتْرَة الإنسان إلاّ ما وجدوه فى البغال ؛ فإنّ البغال تحمِل أثقالها عَشيَّةً ، فتسيرُ بقيَّة يومها وسوادَ[١] ليلتها ، وصدرَ نهارِ غَدِها[٢] ، حتَّى إذا حطُّوا عن جميعِ ما كان محمّلا من أصنافِ الدوَابِّ أحمالها[٣] ، لم يكنْ لشىءٍ منها همَّةٌ ، ولا لِمَنْ رَكِبَها من النَّاس إلاّ المَرَاغة[٤] والماء والعَلف ، وللإنسان الاستلقاءُ ورفعُ الرِّجْلين والغمْز والتأوُّه[٥] ؛ إلاّ البغال فإنّها فى وقتِ إعياءِ جميعِ الدواب وشدَّة كلالها ، وشَغْلها بأنفسها ممّا مرَّ عليها ، ليس عليها عملٌ إلاّ أنْ تدلىَ أيورَها وتشظَّ[٦] وتضرِبَ بها بطونَها ؛ وتحُطَّها وترفعها . وفى ذلك الوقت لو رأى المُكارِى امرأةً حسناء لَمَا انتَشَرَ لها ولا هَمَّ بها . ولو كانَ مُنْعِظاً ثم اعتراهُ بعْضُ ذلك الإعياءِ لنَسى الإنعاظ .

وهذه خَصْلَةٌ تخالفُ فيها البغالُ جميعَ الحيوانِ . وتزعم العَمَلة[٧] أنَّها تلتمس بذلك الرَّاحَةَ وتتداوى به . فليس العجبُ — إن كان ذلك حَقًّا — إلاّ فى إمكان ذلك لهـا فى ذلك الوقت ، وذلك لا يكونُ إلاّ عن شهوة وَشبقٍ مُفْرط .

---

(١) ط ، س : « وسائر » .

(٢) ط ، س : « وصدر نهارها من غدها » .

(٣) ل : « حتى إذا حطوا عن جميع أصناف الدواب أثقالها » .

(٤) المراغة : اسم من مرغه فى التراب جعله يتقلب فيه . وانظر كتاب البغال ٣٢٤ .

(٥) الكلام من مبدإ : « وللإنسان » ساقط من ل .

(٦) شظ وأشظ : أنعظ . ط ، س : « تنعظ » .

(٧) العملة ، بالتحريك : العاملون بأيديهم . وفى ل : « العوام » .

(النشاط العجيب لدى الأتراك)

وشِبهٌ آخرُ وشِكلٌ من ذلك، وذلك كالذى يُوجَد عند الأتراك عند بلوغ المنْزِل بعدَ مسير اللَّيلِ كلِّه وبَعْضِ النَّهار ، فإنَّ النَّاسَ فى ذلك الوقْتِ ليس لهم إلاَّ أن يتمددوا ويقيِّدوا[١] دوابّهم . والتركىُّ فى ذلك الوقت إذا عاين ظبْياً أو بعضَ الصّيد ، ابْتَدَأَ الرَّكْضَ بمثلِ نشاطه قبلَ أن يسيرَ ذلك السير ، وذلك وقْتَ يَهَمُّ فيه الخارِجِىَّ والخَصىَّ أنفسُهما[٢] ؛ فإنَّهما المذكوران بالصَّبرِ على ظَهْر الدَّابَّة .

(فطام البهائم أولادها)

وليس فى الأرضِ بهيمةٌ تَفطِمُ ولدَها عن اللَّبن دَفْعةً واحدةً ، بل تجِدُ الظَّبيةَ أو البقرةَ أو الأتانَ أو الناقة ، إذا ظنّت أنَّ ولدَها قد أطاق الأكل منَعَتْهُ بعضَ المنْع ، ثمَّ لا تزال تُنزِّل[٣] ذلك المنْع وترتِّبه وتدرِّجه ، حتَّى إذا علمتْ أنّ به غنًى عنها إنْ هى فطمته فطاماً لا رَجْعَةَ فيه ، منَعَتْه كلَّ المنْع .

---

(١) ل : « ويقودوا »، تحريف مافى ط ، س .

(٢) الخوارج مشهورون بالشدة . وقد ضرب الناس بهم المثل ، قال :

إذا ما البخيل والمحاذر للقرى رأى الضيف مثل الأزرق المجفف

وقال آخر :

وقلب ود حال عن عهده والسيف ينبو بيد الشارى

رسائل الجاحظ ٢٧ ساسى . وانظر لنشاط الترك ص ٣١ منها .

(٣) تنزله : تدرجه . وفى الأصل : « تترك » .

٥٠ والعربُ تسمِّى هذا التَّدبيرَ من البهائم التَّعفيرَ[١] ، ولذلك قال لبيد :

لمعفّرٍ قَهْـدٍ تَنَازَعَ شِـلْوَه غُبْسٌ كواسبُ ما يُمَنُّ طَعامُها[٢]

وعلى مثل هذه السِّيرة والعادةِ يكونُ عملُ الحمامِ فى فراخه .

(من عجائب الحمام)

[ومن عجيب أمر الحمام أنّه يقلب بيضه ، حتى يصير الذى كان منه يَلِى الأرضَ يَلِى بدنَ الحمام من بطنه وباطِنِ جَناحِه ، حتّى يُعطىَ جميعَ البيضةِ نصيبها من الحضن ، ومن مَسِّ الأرضِ ، لعلمه أن خلافَ ذلك العملِ يفسُده] .

وخَصْلَةٌ أخرى محمودةٌ فى الحمام ، وذلك أنّ البغْل المتولِّد بينَ الحمار والرَّمَكة لايبقى له نسل ، والرَّاعِبى[٣] المتولِّد فيما بينَ الحمام والوَرشان ، يكثُر نسلُه ويطولُ عمرُ ولدِه . والبُخْتُ والفوالج ، إنْ ضرَبَ بعضُها بعضاً خرج الولدُ منقوصَ الخلق لا خير فيه . والحمامُ كيفمَا أدَرْتَه ، وكيفمَا زَاوجْتَ بينَ متّفِقِها ومختلفها ، يكونُ الولد[٤] تامَّ الخلق ، مأمولَ الخير .

---

(١) « التعفير » سبق كلام الجاحظ فيه ٢ : ١٩٨ .

(٢) سبق شرح هذا البيت فى ٢ : ١٩٨ . س : « غبش » وهو تصحيف .

(٣) ط ، س : « والزاغبى » ، وهو تحريف . واسمه مشتق من الترعيب ، وهو شدة الصوت ، جاء على لفظ النسب وليس به ، وقيل منسوب إلى أرض تسمى راغب . اللسان والقاموس .

(٤) الزيادة من س ، ل .

فمن نتاج الحمام إذا كان مركّبا مشْتركا [ماهو][1] كالرّاعِبِىّ[2] والوَردانى . وعلى أنّ للورْدانى غرابةَ لونٍ وظَرَافَةَ[3] قَدٍّ ، وللرَّاعِبِىِّ[4] فضيلةٌ فى عِظَم البدنِ والفِراخِ . وله من[5] الهديلِ والقَرْقَرَةِ ما ليس لأبويه ، حتَّى صار ذلك سبباً للزِّيادةِ فى ثمنه ، وعلَّةً للحِرْص على اتِّخاذه .

والغنمُ على قسمين : ضأن ومَعز ، والبقرُ على قسمين : أحدهما الجواميس ، إلاّ ما كان من بقرِ الوحْش . [والظِّلْفُ] إذا اختلَفا لم يكنْ بينهما تسافُدٌ ولا تلاقح ، فهذه فضيلةٌ للحمام فى جهة الإنسال[6] والإلقاح ، واتِّساع الأرحام لأصنافِ القبول . وعلى أنَّ بين سائر أجناس[7] الحمامِ من الوَرَاشِين ، والقمارىّ ، والفواخت ، تسافداً وتلاقُحاً[8] .

(مما أشبه فيه الحمام الناس)

وممَّا أشبَهَ فيه الحمامُ النَّاسَ ، أنّ ساعاتِ الحضْن أكثرُها على الأنثى ، وإنّما يحضُن الذّكَر فى صدْر النهار حَضْناً يسيرا ، والأنثى كالمرأة التى تكفُل

---

(١) زدتها ليلتئم الكلام .

(٢) ط ، س : « كالزاغبى » ، وتصحيحه من ل . وانظر التنبيه الثالث من الصفحة السابقة .

(٣) يقال ظرف ظرفا ، بالفتح وظرافة . والظرافة هنا : حسن الهيئة .

(٤) ط ، س : « للزاغبى » ، وانظر ماسبق .

(٥) ط فقط : « فى » .

(٦) نسل وأنسل : ولد . ط ، س : « الإنسان » ، صوابه فى ل .

(٧) ل : « أصناف » .

(٨) ط ، س : « تسافد وتلاقح » ، والوجه ما أثبت من ل .

الصبيَّ فتَفَطِمه وتمرِّضه(١) ، وتتعهَّده بالتمهيدِ والتَّحريك . حتّى إذا ذهب الحضْنُ وانصرم وقتُه ، وصارَ البيضُ فِراخا كالعِيال فى البيت ، يحتاجون إلى الطّعام والشّراب ، صار أكثرُ ساعات الزّقِّ على الذّكر كما كان أكثرُ ساعاتِ الحضْن على الأنثى .

وممَّا أشبه فيه الحمام النَّاس [ما(٢)] قال مثنَّى بنُ زُهير (وهو إمام النّاس فى البصرة(٣) بالحمام وكان جيِّد الفِراسة ، حاذقا بالعلاج ، عارفاً بتدبير الخارجىِّ إذا ظهَرت فيهِ مَخِيلةُ الخير — و [اسم] الخارجىِّ عندهم : المجهول — وعالماً بتدبير العريق المنسوب إذا ظَهَرَتْ فيــه علامَاتُ الفَسولةِ وسوء الهِداية(٤) . وقد يمكن أن يَخْلُفَ ابنُ قُرَشَيَّين(٥) [وَيَنْدُب(٦) ابن خُوزِىٍّ(٧) من نبطيَّةٍ](٨) . وإنما فَضّلنا نِتاجَ العِلْية على نِتاج السِّفلةِ لأَنَّ نِتاجَ النَّجابة فيهم أكثرُ ، والسَّقوط فى أولاد السفلة أعمُّ . فليس بواجبٍ أن يكون السفلةُ(٩) لا تَلِد(١٠) إلاّ السفلةَ(٩) والعِلْية لا تَلِد(١٠) إلاّ العِليةَ . وقد يلدِ المجنــونُ العاقِلَ ، والسخىُّ البخيلَ ، والجميلُ القبيحَ . ٥١

(١) التمريض : حسن القيام على المريض ، وكأن الفطيم فى سبيل المريض . وفى س : « تمرخه » أى تدلكه بالدهن . وربما كانوا يفعلون ذلك بالفطيم .

(٢) زيادة يقتضيها الكلام . (٣) ط ، س : « فى البصرة » ، وصوابه فى ل .

(٤) ماسيأتى من الكلام استطراد من الجاحظ . وقول مثنى بن زهــير سيبدأ فى السطر السادس من الصفحة الآتية .

(٥) ط ، س : « قريشيين » وهما صحيحتان ، يقال قرشى وقريشى . ويخلف ، بضم اللام : يحمق .

(٦) يندب : يكون ندبا ، أى ظريفاً نجيباً . فى ل : « ينتدب » و س : « يندر » ولعل الصواب فيما وجهت به .

(٧) الخــوزى : المنســوب إلى خوزستان . وفى س : « حــروى » ، وهــو تحريف مافى ل .

(٨) الزيادة من س ، ل . (٩) ط ، س : « السفلى » ، بالنسبة إلى « السفلة » .

(١٠) ط ، س : « يلد » .

وقد زعم الأصمعيُّ أنّ رجلاً من العرب قال لصاحب له : إذا تَزَوَّجْتَ امرأةً من العَرَب فَانظُرْ إلى أخوالها ، وأعمامها ، وإخوتها ، فإنها لا تخطئ الشبَهَ بواحدٍ منهم ! وإنْ كان هذا الموصى والحكيم[١] ، جعل ذلك حُكما عامًّا فقد أسرفَ فى القول ، وإن كان ذهبَ إلى التّخويفِ والزّجْرِ والترهيب ، كى يختارَ لنفْسِه ، [و] لأنّ المتخيِّر أكثرُ نجابَةً[٢] فقد أحسن) .

وقال مثَنّى بنُ زهير[٣] : لم أر شيئاً قَطُّ فى رجلٍ وامرأةٍ إلاّ وقد رأيتُ مثلَه فى الذّكر والأنثى من الحمام : رأيت حمامةً لا تريد إلاّ ذكرَها ، كالمرأة لا تريدُ إلاّ زوجها وسيِّدها ، ورأيتُ حمامةً لا تمنَع شيئاً من الذُّكورة ، ورأيتُ امرأةً لا تمنع يَدَ لامسٍ ، ورأيت الحمامةَ لا تزيف إلا بَعْدَ طَرْدٍ شديد وشدة طلبٍ[٤] ، ورأيتُها تزيفَ لأوّلِ ذَكر يُريدُها ساعةَ يقصِدُ إليها ، ورأيتُ من النساء كذلك ، ورأيتُ حمامةً لها زوج وهى تمكن ذكراً آخرَ لا تَعْدُوهُ ، ورأيتُ مثلَ ذلك من النساء ، [و] رأيتُها تزيفُ لغير ذكرِها وذكرُها يراها ، ورأيتها لا تفعل ذلك إلاّ وذكرها يطيرُ أو يحضُنُ ، ورأيت الحمامةَ تقمُطُ الحمام الذكور[٥] ، ورأيت الحمامةَ تقمطُ الحمامة ، ورأيت أنثى كانت لى لا تقمط [إلاّ[٦]] الإناث ، ورأيت أخرى تقمط الإناثَ فقط ، ولا تدَعُ أنثى تقمطها .

---

(١) ل : « والمعلم » .

(٢) ط ، س : « نجاة »، تحريف ماأثبت من ل .

(٣) انظر العقد ٦ : ٢٤٠ تأليف .

(٤) كذا فى ل ، ونهاية الأرب . وفى ط ، س : « وكثرة » .

(٥) ل : « الذكر » .

(٦) الزيادة من س .

[قال] : ورأيت ذَكرًا [يقمُط الذُّكورة وتقمطه ؛ ورأيت ذَكرًا] يقمُطها و [لا] يدعها تقمطه[١] ، ورأيتُ أنثى تزيفُ للذُّكورةِ ولا تدع شيئاً منها يقمطها .

قال : ورأيتُ هذهِ الأصنافَ كلَّها فى السَّحَّاقات من المذكَّرات والمؤنثات ، وفى الرِّجال الحَلَقيِّين[٢] واللُّوطيِّين[٣] . وفى الرجَال من لا يريد النساء ، وفى النساء من لا يريد الرجال[٤] .

قال : وامتنعتْ علىَّ خَصلةٌ ، فوالله لقد رأيتُ من النساء من تزْنى أبداً وتساحق أبداً ولا تتزوج أبدا ، [ومن الرجال مَن يلوطُ أبداً ، ويزنى أبداً ولا يتزوَّج[٥]] ، ورأيتُ حماماً ذكراً يقمط مالقى ولا يزاوج . ورأيتُ حمامَة تمكِّن كلَّ حمامٍ أرادَها مِنْ ذكرٍ وأنثى ، وتقمُطُ الذكورَة والإناثَ ، ولا تزاوِج . ورأيتها تزَاوج ولا تَبيض ، وتَبيضُ فيفسُدُ بيضُها ؛ كالمرأة تتزَوَّج وهى عاقر ، وكالمرأةِ تلد وتكون خرقاء ورْهاء . ويعرض لها الغلطة[٦] والعقوق للأَولاد ، كما يعترى ذلك العُقاب .

وأمَّا أنَا فقد رأيتُ الجفاء للأَولاد شائعاً فى اللَّواتى حَمَلن من الحرام . ولربَّمَا ولدت من زَوجها ، فيكون عطفها وتحنُّنها كتحنن[٧] العفيفاتِ

---

(١) زيادة : « لا » من س ، ل . وفى ط : « ويدعها حتى تقمطه » ، وهو تحريف .
(٢) الحلقى : الذى فسد عضوه فانعكس ميل شهوته ، وهو من ألفاظ المولدين . شفاء الغليل ٧٠ .
(٣) ط ، س : « اللواطين » .
(٤) ل : « من لا يريد إلا » فى الموضعين .
(٥) ط ، س : « من تزنى أبدا ولاتتزوج وتساحق أبدا ولا تتزوج أبدا » . وإصلاح العبارة وإكمالها من ل ، ونهاية الأرب .
(٦) كذا على الصواب فى ل وفى ط ، س : « الغلطة »
(٧) ل : « وتحنيها كتحنى » . والتحنن والتحنى بمعنى ، وهو العطف .

السَّتِيرات ، فما هو(١) إلَّا أن تزنىَ أو تَقْحُب فكأنَّ اللهَ لم يضرِب بينها وبين ذلك الولدِ [بـ]شبكة رَحِم ، [و] كأنّها لم تَلِدْهُ . ٥٢

قال مثنَّى بنُ زهير : ورأيتُ ذكراً له أنثيان وقد باضَتَا منه ، وهو يحضُن مع هذه ومع تلك ، ويزُقُّ مع هذه ومع تلك ، ورأيتُ أنثَى تبيض بيضة ، ورأيت أنثى تبيض فى أكثر حالاتِها ثلاثَ بيضات .

وزعم أنّه إنّما جزَم بذلك فيها ولم يظنه بالذَّكر ، لأنّها قد كانت قبل ذلك عند ذكَرٍ آخر ، وكانت تبيض كذلك .

ورأيتُ أنا حمامةً فى المنزِل لم يعرِض لها ذَكَرٌ إلَّا اشتدَّت نحوهُ بحدَّةٍ ونزَقٍ(٢) وتسرُّعٍ ،حتّى تنقر أينَ صادفتْ منهُ ،حتى يصدَّ عنها(٣) كالهارب منها . وكان زوجها جميلا فى العَين رائعاً ، وكان لها فى المنزِل بنون وبنو بنين [وبنات(٤)] وبنات بنات ، وكان فى العَينِ كأنّه أشبُّ من جميعهنَّ(٥) ؛ وقد بَلَغ من حُظوتِه أنى قلَّما رأيتُه أرادَ واحدةً من عَرْض تلك الإناثِ(٦) فامتنعتْ عليه ، وقد كُن يمتنعن من غيره . فبينا أنَا ذاتَ يومٍ جالسٌ بحيث أراهنّ إذ رأيتُ تلك الأُنثى قد زافتْ لبعض بنيها ! فقلت لخادمى(٧) :

---

(١) ل : « هى » ، وهما صحيحان فى العربية ، أى فما الشأن أو فما القصة .

(٢) النزق : الطيش والتسرع . فى ط ، ل : « تزق » محرفة. س : « تزف » أى تسرع إسراعا . ولا ينسجم بها الكلام .

(٣) ل : « ينقر » محرف. ط ، س : « صادفته » وأثبت ما فى ل . وفى ل : « حتى يصدن » محرفة .

(٤) الزيادة من ل ، س .

(٥) ط ، س : « جميع بنيه » .

(٦) ط ، س : « تلك الحمام الإناث » .

(٧) ل : « لخادم لى » .

ما الذى غيَّرها عن ذلك الخلق الكريم ؟ فقال : إنى رَحَّلت زوجها من القاطُول(١) فذهب ، ولهذا شهر(٢) . فقلت : هذا عذر !

قال مثنَّى بنُ زهير : وقد رأيت الحمامة تزاوِج هذا الحمام ، ثم تتحول منه إلى آخر ، وَرأيت ذكراً فَعَلَ(٣) مثل ذلك فى الإناث . ورأيتَ الذَّكَرَ كثيرَ النَّسل قويًّا على القمْط ، ثمَّ يُصفِى كما يُصْفِى الرَّجلُ إذا أكثر من النَّسْل والجماع(٤) .

ثمَّ عدّد مُثَنًّى أبوابا غيرَ ماحفِظت ممَّا يُصَابُ مثلُه فى الناس .

(خبرة مثنَّى بن زهير بالحمام)

وزعموا أنّ مثنًّى كان ينظر إلى العاتِق والمخلِف(٥) ، فَيظن أنَّه يجىء من الغاية [فلا يكاد ظنُّه يخطئ] . وكان إذا أظهَرَ ابتيَاع حمَامٍ أغلوْه عليه ،

(١) القاطول : نهر كان فى موضع سامرا قبل أن تعمر ، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر . معجم البلدان . وفى ل : « خليت » مكان « رحلت » ، وبكل منهما يصح المعنى .

(٢) ل : « وهذا منذ شهر » .

(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « يفعل » .

(٤) أصفى الرجل : نفد ماء صلبه . ل : « إذا أكثر من الجماع » .

(٥) العاتق : فوق الناهض ، وذلك فى أول مايتحسر ريشه ونبت له ريش جلدى ، أى شديد ، والجمع عتق . المخصص ٨ : ١٢٨ . وفى ط ، ل : « القائق » وفى س : « العايق » ، وصوابه ما أثبت . وانظر صفحة ٢٢٤ س ٧ . والمخلف : المراد به المسن . وأصله فى الإبل مافوق البازل : الذى فى التاسعة .

وقالوا: لم يطلُبْه إلَّا وقد رأى فيه علامةَ المجيء من الغاية ، وكان يدسٌّ فى ذلك ففطِنوا له وتحفَّظوا منه، فربَّما اشترى نصفَه وثلثه، فلا يقصِّر عند الزِّجال[1] من الغَاية .

وكان له خَصىٌّ يقال [له[2]] خديج، يجرى مجراه ، فكانا إذا تناظرا فى شأنِ طائرٍ لم تُخلِف فراستُهما .

(المدة التى يبيض فيها الحمام والدجاج)

قال : والحمام تبيض عشرةَ أشهرٍ من السَّنة ، فإذا صانوه وحفِظوه ، وأقاموا له الكفاية وأحسنُوا تعهُّدَه ، باضَ فى جميع السَّنة .

قالوا : والدَّجاجة تبيض فى كلِّ السَّنة خلا شهرين .

(ضروب من الدجاج)

ومن الدَّجاج ما هو عظيمُ الجثَّة ، يبيض بيضاً كبيراً، وما أقل ما يحضُن، ومن الدجاج ما يبيض ستِّين بيضة . وأكثرُ الدجاج العظيم الجثَّة يبيضُ أكثرَ من الصغير الجثَّة[3] .

---

(١) الزجال : إرسال الحمام كما سبق فى ص ١٤٧ . ط : « الرجل » : ل : « الرجال »، وصوابه مما سبق ومن صفحة ٢٢٣ .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) ط ، س : « يبيض بيضاً كبيراً » .

قال : أما الدَّجاج التى نسبت إلى أبى ريانوس[١] الملك ، فهو طويلُ البدَن ويبيض فى كلِّ يوم ، وهى صعبة الخلق وتقتل فراريجها .

٥٣ ومن الدَّجَاج الذى يربَّى فى المنازل ما يبيض مرَّتين فى اليوم ، ومن الدجَاج ما إذا باض كثيراً مات سريعاً ، لذلك العَرض[٢] .

(عدد مرات البيض عند الطيور)

قال : والخُطَّاف تبيض مَرَّتين[٣] فى السَّنة ، وتبنى بيتَها فى أوثق مكانٍ وأعلاه .

فأمَّا الحمام والفَواخت ، والأطْرُ غُلَّات[٤] والحمام البرىُّ ، فإنَّها تبيض مرَّتين فى السنة . والحمامُ الأهلىُّ يبيض عشْرَ مرات . وأما القَبَج والدُّرَّاج فهما يبيضان بين العُشب ، ولا سيما فيما طال شيئاً والتوى .

(خروج البيضة)

وإذا باضَ الطَّيرُ بيضاً لم تخرُج البيضة[٥] من حدِّ التحْدِيد والتَّلطيف ، بل يكون الذى يبدأُ بالخروج الجانب الأعظم ، وكان الظنُّ يسرعُ إلى أنَّ الرأسَ المحدَّد هو الذى يخرج أوّلا .

---

(١) كذا فى ط ، س . وفى ل : « ارذيانوس » . وانظر الاستدراكات بآخر هذا الجزء .

(٢) أى مايعرض لها من كثرة البيض . ط : « الفرض » ل ، س : « الغرض » ، وهما تحريف ماأثبت .

(٣) كذا فى ط . وفى ل : « مرة » .

(٤) ل : « والأطرغلة » ، والوجه ماأثبت من ط ، س .

(٥) س : « لم يخرج بيضه » .

[قال] : وما كان من البيض مُستطيلًا محدَّد الأطراف فهو للإناث ، وما كان مستديراً عريضَ الأطراف فهو للذُّكور .

قال : والبيضةُ عندَ خروجِها ليِّنَةَ القِشْر ، غير جاسية[١] ولا يابسة ولا جامدة .

(بيض الريح والتراب)

قال : والبيض[٢] الذى يتولد من الريح والتُّراب أصغرُ وألطَف ، وهو[٣] فى الطِّيب دُونَ الآخر[٤] . ويكونُ بيضُ الرِّيح من الدجاج والقبج[٥] ، والحمام ، والطاوس ، والإوزّ .

(أثر حضن الطائر)

قال : وحَضْن الطائر وجثومه على البَيض صلَاح لبدَن الطائر ، كما يكون صلاحا لبدَن البيض . و [لا[٦]] كذلك الحضْنُ على الفراخ والفراريج[٧] فربما[٨] هلك الطائرُ عن ذلك السبب .

---

(١) الجاسية : الصلبة . وفى ط : « قاسية » ، وهى صحيحة أيضاً .

(٢) فى الأصل : « والبعض » .

(٣) ط ، س : « وهى » ، والوجه ما أثبت من ل ونهاية الأرب ١٠ : ١٨٠ .

(٤) كذا فى ل ، وهو الموافق لما فى نهاية الأرب ، والدميرى حيث يقول : « وأغذى البيض وألطفه ذوات الصفرة ، وأقله غذاء ما كان من دجاج لاديك لها » ، يعنى بذلك البيض الترابى . وانظر عجائب المخلوقات فى الكلام على الدجاج . فى ط ، س : « أطيب من الآخر » ، وهو خطأ .

(٥) القبج : بالتحريك : الحجل ، وهو طائر على قدر الحمام أحمر المنقار والرجلين .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) جمع فروج ، وهو فرخ الدجاج خاصة . وفى ط : « الذراريح » ، وفى س : « الدراريج » ، وكلاهما تحريف .

(٨) ط ، س : « والأوز وربما » ، ل : « وإلا فربما » ، وقد جعلت العبارة كما ترى .

(تكوّن بيض الريح)

وزعم نَاسٌ أن بيضَ الرِّيح إنما تكوَّن[١] منْ سفادٍ متقدِّم . وذلك خطأٌ من وجهين : أمَّا أحدُهُما فأَن ذلك قد عُرف[٢] من فَرَاريجَ لم يَرَيْنَ ديكاً قَط . والوجه الآخر : أن بيضَ الريح لم يكن منه فرُّوج[٣] قطّ إلاّ أن يسفَدَ الدجَاجةَ ديكٌ ، بعد أن يمضيَ[٤] أيضاً خَلْقُ البيض .

(معارف شتى فى البيض)

قال : وبيض الصّيفِ المحضون أسرعُ خروجاً منه فى الشتاء ، ولذلك تحضَن الدجاجة البيضةَ فى الصّيف خمس عشرة ليلة[٥] .

قال : وربَّما عَرَضَ غيمٌ فى الهواء أو رَعْدٌ ، فى وقتِ حضْن الطائر ، فيفسُدُ البيض . وعلى كل حالٍ ففسادُه فى الصيف أكثرُ ، والموتُ فيها فى ذلك الزمان أعمّ . وأكثرُ مايكون فَسادُ البيض فى الجَنائب[٦] ، ولذلك كانَ

---

(١) س : « يكون » .

(٢) ط : « عرض » وهى صحيحة ، وأثبت مافى س ، ل ونهاية الأرب ١٠ : ١٨٠ .

(٣) س : « منه » . ل : « فرخ » ، نهاية الأرب : « فروخ » : جمع فرخ ، كما فى القاموس .

(٤) ل : « يتم » .

(٥) س : « ثمان عشرة ليلة » .

(٦) جمع جنوب بالفتح ، وهى الريح الجنوبية .

ابن الجهم[١] لايطلبُ من نسائِه الوَلد إلاّ والرِّيح شمال . [وهذا عندى تعرُّضٌ للبلاء ، وتحكُّك بالشرّ ، واستدعاء للعقوبة] .

وقال : وبعضهم[٢] يسمِّى بيضَ الرِّيح : البيضَ الجُنُوبىَّ ؛ لأنَّ أصنافَ الطَّيرِ تقْبَلُ الرِّيح فى أجوافها .

وربَّما أفرخ[٣] بيضُ الرِّيح بسفادٍ كان ، [و] لـكنَّ لونَه يكونُ متغيِّرا .

وإن سفِد الأنثى طائرٌ من غيرِ جنسها[٤] ، غيَّر خلق [ذلك] المخلوقِ الذى كان من الذَّكَر المتقدِّم . وهو[٥] فى الديَـكةِ أعمّ .

ويقولون : إنّ البَيض يكون من أربعةِ أشياء : فمِنه مَايكونُ من التُّراب ، و [منه مايكونُ] من السفاد ، ومنه ما يكون من النَّسيم إذا وصلَ إلى أرحامهن وفى بعض الزَّمَان[٦] ، ومِنْهُ شىءٌ يعترى الحَجَل ومَا شاكله فى الطَّبيعة ؛ فإنّ الأنثى ربَّما كانَتْ على سُفَالةِ الريح التى تهبُّ من شِقِّ[٧] الذكَر فى بعض الزمَان فتحتشى من ذلك بَيضاً . ولم أرهم يشكُون أن النَّخلة المُطْلِعَةَ[٨] تكونُ بقربِ الفُحَّال[٩] وتحت ريحه ، فتَلقح بتلك الريح وتكتفى بذلك.

٥٤

---

(١) هو محمد بن الجهم البرمكى ، أسلفنا ترجمته فى ٢ : ٢٢٦ .

(٢) ط ، س : « وقال بعضهم » .

(٣) ط : « افترخ » ، وهو تحريف .

(٤) ل : « شكلها » .

(٥) س : « وهى » .

(٦) ل : « ومنه مايكون من نسيم ريح إذا وصل إلى أرحامها فى بعض الزمان » .

(٧) ط ، س : « جهة » وهما بمعنى .

(٨) المطعمة : التى أدركت أن تثمر . يقال : أطعمت الشجرة . وانظر الحيوان ٢ : ٢٣٨ و ٥ : ٢٠٩ والعقد ٦ : ٢٤٠ تأليف .

(٩) الفحال : ذكر النخل .

قال : وبيضُ أبكارِ الطّير أصغر ، وكذلك أولادُ النساء ، إلى أنْ تتسع الأرحَام وتنتفخ الجنوب(١) .

(هديل الحمام)

ويكون هديلُ الحمام [الفتيِّ] ضئيلًا ، فإذا زقَّ مِرارًا فَتحَ الزَّقُّ جلْدَة غَبَبه(٢) وحوصلتِه ، فخرَجَ الصَّوتُ أغلَظَ وأجهَرَ .

(حياة البكر)

وهم لايثِقون بحياةِ البكر(٣) من النَّاسِ(٤) كما يثِقون بحياةِ الثانى(٥) ويرون أنَّ طبِيعَة الشباب والابتداء لايعطيانه(٦) شيئاً إلاّ أخذَه تضايقُ مكانِه مِن الرَّحم ، ويحبُّون أن تبكِّر بجارية ! وأظُنُّ أن ذلك إنما هو لشدَّةِ خوفِهم على الذكر . وفى الجملة لايتيمَّنُون بالبكر الذكر(٧) . فإن كان البكرُ ابنَ بكرٍ تشاءمُوا(٨) به ، فإن كان البكْرُ ابنَ بِكرَيْنِ فهو فى الشؤمِ

---

(١) كذا فى ل. وفى ط ، س : « إلا أن تتسع الأرحام وتنفتح الجوانب ».

(٢) الغبب : ماتحت الحنك . وفى ط ، س : « عينه »، وهو تحريف عجيب .

(٣) كذا فى ل ، س. وفى ط : « بحيات ولد البكر »، تحريف .

(٤) ماعدا س : « النساء » .

(٥) ط : « بحيات »، س : « أنثى »، تحريفان .

(٦) أى يعطيان البكر . ط ، ل : « يعطيان » .

(٧) يتيمنون : من التيمن : ضد التشاؤم . ط ، س : « لايتمنون للبكر »، وهو على الوجه فى ل . وانظر الحيوان ٥ : ٣٣١ .

(٨) فى الأصل : « تشأم »، وإنما تقال هذه لمن انتسب إلى بلاد الشأم .

مثلُ قيسِ بنِ زهير، والبَسوس [١] ، فإن قيساً كان أزْرَق [٢] وبكراً ابن بكرين. ولا أحفظُ شأن البَسوس حفظاً أجزِمُ عايه .

(ما يعترى الحمام والإوز بعد السفاد)

قال : وأمّا الحمام فإنّه إذا قمط تَنَفّشَ [٣] وتكبّر ونَفَضَ ذَنبهُ [٤] وضَرَبَ بجناحِهِ ، وأمّا الإوَزّ فإنّه إذا سفِد أكثر من السباحَة ، واعتراه فى المَاء من المَرَح مثلُ ما يعترى الحمام فى الهواءِ .

---

(١) هى البسوس بنت منقذ التميمية ، قالوا : استجار بها جار لها من جرم ومعه ناقة له ، فرماها كليب بن وائل لما رآها فى حماه ، فلجأ الجرمى إلى البسوس ، فهيجت أهلها للحرب ، فهاجوا واستمرت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة . وسميت بحرب البسوس – ثمار القلوب ٢٤٥ والعقد ٣ : ٣٤٧ وكامل ابن الأثير ١ : ٣١٣ وأمثال الميدانى ٢ : ٣٥٩ والأغانى ٤ : ١٣٩ .

(٢) ليس المراد زرقة الجلد ، وإنما المراد زرقة العين ، يقال رجل أزرق وامرأة زرقاء ، ويراد بذلك خضرة الحدقة . المخصص ١ : ١٠٠ . والعرب يكرهون ذلك ويتهاجون به . قال :

لقد زرقت عيناك ياابن مكعبر كذا كل ضبى من اللؤم أزرق

وجاء فى القرآن : « ونحشر المجرمين يومئذ زرقا » ، أى زرق العيون . وكان شؤم قيس بن زهير فى إثارة حرب داحس والغبراء ، وكان هو صاحب داحس : فحل من الخيل ، وكان صاحب الغبراء حمل بن بدر ، وتراهنا على السباق ، وحدث خلاف بينهما فى مستحق الرهان ، أدى إلى حروب دامت أربعين سنة . العقد ٣ : ٣١٣. وانظر كامل ابن الأثير١ : ٣٤٣ والأغانى ٧ : ١٤٣ ، ١٦ : ٢٣ وأمثال الميدانى ٢ : ٥١ .

(٣) تنفش: نفض ريشه .

(٤) س : « ثوبه » .

قال : وبيضُ الدجَاج يتمُّ خلقه فى عشْرة أيام وأكثرَ شيئاً[1] ، وأمّا بيض الحمام ففى أقلَّ من ذلك .

(احتباس بيض الحمامة)

والحمامة ربّما احتبَسَ البيضُ فى جوفها بَعْدَ الوقتِ[2] لأمورٍ تَعْرِضُ لها : إمّا لأمرٍ عَرضَ لعُشّها [وأفحوصها]، وإمّا لنتْفِ [رِيشها[3]] ، وإمّا لعلّةِ وجعٍ من أوجاعها[4] وإمّا لصوتِ رعد ؛ فإنّ الرّعدَ إذا اشتَدّ لم يَبقَ طائرٌ على الأرضِ واقع[5] إلاّ عَدَا فزعا ، وإن كان يطيرُ رَمى بنفسه إلى الأرض[6] . قال علقمة بن عَبَدَة :

رغَا فوقَهُمْ سَقْبُ السّماء فَدَاحضٌ بشِكّتِه لم يُستَلَبْ وسليبُ[7]

كأنّهمُ صابتْ عليهمْ سَحابةٌ صَواعقُها لطيرهِنَّ دَبِيبُ[8]

---

(١) الواو هنا بمعنى أو ، كما جاء فى قوله :

* كما الناس مجروم عليه وجـارم *

(٢) أى بعد الوقت المقدر لنزوله .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) ل : « وإما لوجع من أوجاعها » .

(٥) ل : « واقعاً » ، فهو نصب على الحال من النكرة الموصوفة . والرفع جائز على الوصف أيضاً .

(٦) ط ، س: « وإن كان يطير إلا رمى » ، ل : « وإن يطير رمى » ، وجعلت الكلام كما ترى .

(٧) سقب السماء ، هو ولد ناقة صالح ، قالوا : لما عقرت أمه رغا ، فنزل العذاب بقوم صالح : فجعل العرب ذلك مثلا فى الاستئصال . انظر ثمار القلوب ٢٨٢ . وفى اللسان : « دحض برجله ودحص : فحص برجله » . وروى القالى البيت فى أماليه ٢ : ١٣٣ بالصاد المهملة . وقال : « وكان بعض العلماء يرويه : (فداحض) . وهذا البيت أحد مانسب فيه إلى التحريف » . ولعله يعنى الجاحظ . والشكة : السلاح .

(٨) طير الصواعق : طيرانها ، أى سرعتها . وفى س : « للطير هن دبيب » ، أى إن تلك الصواعق التى تنزل بهم تجلب الموت فتتحرك الطير لتأكل من القتلى . أى إن الصواعق سبب لدبيب الطير .

(تقبيل الحمام)

قال : وليس التَّقبيلُ إلَّا للحمَام والإنسان ، ولا يدَعُ ذلك ذكرُ الحمامِ إلَّا بعد الهَرَم . وكان فى أكثرِ الظَّنِّ أنَّه أحوجُ مايكون [إلى] ذلك التَّهييجِ به عند الكِبَرِ والضَّعف .

وتزعمُ العوامُّ أنَّ تسافُدَ الغِرْبان هو تطاعُمُها بالمناقير ، وأنَّ إلقاحَها إنَّما يكونُ من ذلك الوجه . ولم أرَ العلماءَ يعرِفون هذا .

قال : وإناثُ الحمام إذا تسافَدَت أيضاً قَبَّلَ بَعْضُهُنَّ بعضاً ، ويقال إنَّها تبيضُ عن ذلك ، ولكِنْ لايكونَ عن ذلك البيضِ فِراخ ، وإنَّه فى سبيل بيض الريح[1] . ٥٥

(تكوُّن الفرخ فى البيضة)

قال : ويَستَبِينُ خَلْقُ الفِراخ إذا مضت لها ثلاثةُ أيَّامٍ بلياليها ، وذلك فى شَبَاب الدَّجاج ، وأمَّا فى المَسَانِّ منها فهو أكثر . وفى ذلك الوقت تُوجد الصُّفرةُ من النَّاحيةِ العُليا[2] من البَيضة ، عند الطَّرَف المحدَّد [و] حيث يكونَ أوَّلُ نَقْرِها ، فثَمَّ[3] يستبين فى بَياضِ البَيضة مِثلُ نقطة من دَم ، وهى تختلجُ وتتحرَّك : والفرخَ إنَّما يُخلق من البَياض ، ويَغْتَذِى

(١) سماه فى ٢ : ٢٤١ « البيض الترابى » .

(٢) ط : « العلياء » .

(٣) ل فقط : « فالقلب » ، وأراه تحريفاً .

الصُّفرةَ ، ويتمُّ خَلْقُه لعشرةِ أيَّام . والرَّأسُ وحْدَهُ يكونُ أكبرَ من سائر البدن .

(البيض العجيب)

قال : ومن الدَّجاج ما يبيض بيضاً له صُفْرتَان فى بعضِ الأحايين ، خبَّرنى بذلك كم شِئتَ(١) ، من ثِقاتِ أصحابِنا .

وقال صاحب المنطق : وقد باضت فيما مضى دَجاجةٌ ثمانِىَ عشْرَة بيضةً ، لكلِّ بيضةٍ مُحّتانِ(٢) ، ثمَّ سخِّنت وحُضنت ، فخرَج من كلِّ بيضة فَرُّوجان ، ما خلا البيضَ الذى كان فاسداً فى الأصل . وقد يخرج من البَيضة فَرُّوجان(٣) ، ويكون أحدُهما أعظمَ جثَّةً ، وكذلك الحمام . وما أقَلَّ مايغادِرُ الحمامُ أن يكون أحدُ الفرْخَيْنِ(٤) ذكَراً ، والآخرُ أنثى .

(معارف فى البيض)

قال : وربَّما باضتْ الحمامةُ وأشباهها من الفَواخِتِ ثَلَاثَ بيضات ، فأمَّا الأُطرُغلَّات والفَواخت(٥) فإنها تبيضُ بيضَتينِ ، وربَّما باضتْ ثَلَاثَ

(١) كذا فى ل ، س . وانظر ٣ : ٢٣١ و ٤ : ٤٦ و ٥ : ٣٧٤ وكتاب البغال ٢٦٤ . وفى ط : « شبيث » ، تحريف .

(٢) المحة والمح : صفرة البيض . جاء فى س : « محان » ، وهما صحيحان .

(٣) ل : « فرخان » ، والأفضل ما أثبت من ط ، س .

(٤) فى الأصل : « الفروجين » ، وإنما يكون الفروج للدجاج خاصة .

(٥) ط ، س : « فالفواخت » ، ووجهه ماأثبت من ل .

بيضــات ، ولـكنْ لا يخرُجُ منها أكثَرُ مِن فرخَين ، وربّمــا كان واحدًا فقط .

قال : وبعضَ الطير لا يبيض إلاَّ بعدَ مُرُورِ الحَوْلِ عليه كَمَلاً[١] ، والحمامةُ فى أكثرِ أمْرها يكونُ أحدُ فَرخَيها ذكراً والآخرُ أنثى ، وهى تبيضُ أوّلاً البيضةَ التى فيها الذَّكر ، ثمَّ تُقيم يوماً وليــلةً ، ثمَّ تبيض الأخرى ، وتحضُنُ مَابينَ السَّبْعَةَ عشَرَ يوماً إلى العشرين ، على قدْر اختِلاَفِ طِباع الزَّمَان ، والذى يعرِضُ لها من العلل . والحمامةُ أبرُّ بالبَيض ، والحمامُ أبرُّ بالفِراخ .

[قال] : و [أمّا] جميعُ أجناسِ الطيرِ ممَّا يأكلُ اللَّحْمَ ، فلم يظْهرْ لنا أنَّه يبيضُ ويُفرِخ أكثَرَ من مَرَّة واحدة ، مَاخلاَ الخُطَّافَ فإنَّه يبيضُ مرَّتين .

(تربية الطيور فراخها)

والعُقابُ تبيضُ[٢] ثلاثَ بيضات ، فَيَخْرُج لهــا فَرْخان . واختلفوا فقال بعضهم : لأنها لاتحضُن إلاَّ بَيضَتين ، وقال آخرون : قد تحضُن وَيخرج

---

(١) كملا : أى كاملا . وبالأخيرة جاءت الرواية فى ط ، س .

(٢) فى الأصل : « يبيض » . والعقاب يطلق على الذكر والأنثى ، ولكنه أراد الأنثى هنا .

لها ثلاثَةُ أفراخ ، ولـكنَّها ترمى بواحدٍ[١] استثقالاً للتكسُّب على ثَلاَثة . وقال آخرون : ليس ذلك إلاَّ بمـا[٢] يعتريها من الضَّعفِ عن الصَّيد ؛ كما يعترى النُّفَساء من الوهْن والضَّعف ، وقال آخرون : العُقاب طائر سَيِّئُ الخلق ، ردىءُ التَّربية ، وليس يُستعانُ[٣] على تربية الأولادِ إلاَّ بالصَّبْر .

٥٦ وقال آخرون : [لا ، و] لـكنّها شديدةُ النَّهَم والشَّرَهِ ، وإذا لم تـكنْ أمُّ الفِراخِ ذاتَ أَثَرَةٍ لها ، ضاعت .

وكذلك قالوا فى العَقْعق ، عند إضاعتها لفراخها ، حتَّى قالوا : « أحمقُ من عَقْعَق » ، كما قالوا : « أحذَر من عَقْعَق » .

وقالوا : وأمَّا الفَرخ الذى يُخرجه العُقاب ، فإنَّ المـكلَّفَةَ ، وهى طائرٌ يقال لها كاسِر العِظام[٤] ، تقبلُه[٥] وتربِّيه .

والعُقاب تَحضُن[٦] ثلاَثين يوماً ، وكذلك كلُّ طائرٍ عظيمِ الجثَّة ، مثل الإوزّ وأشباهِ ذلك ، فأمَّا الوسطُ فهو يحضُن عِشرين يوماً . مثل الحِدَأ[٧] ومثل أصناف البُزاةِ[٨] كالبواشِق واليَـآيِئ[٩] .

---

(١) ط ، س : « بواحدة » .

(٢) بما : بمعنى لما . وفى ل : « ليس ذلك لما » ، وهو كلام ناقص .

(٣) ل : « يقوى شىء » .

(٤) ل : « يقال لها قينا » .

(٥) تقبله : تـكفله . والقبيل : الـكفيل .

(٦) فى الأصل : « يحضن » . والعقاب هنا مؤنثة .

(٧) هو جمع حدأة . وفى ط ، ل : « الحدأة » .

(٨) ط : « البزات » ، وصوابه فى س ، ل . وهو جمع باز .

(٩) اليآيئ : جمع يؤيؤ ، وهو طير جارح يشبـه الباشق . قال أبو نواس فى طردية :

حفظ المهيمن يؤيئى ورعاه ما فى اليآيئ يؤيؤ شرواه

أى شبيهه . ط : « اليائى » . س : « الياى » ، وهما تحريف ما أثبت وهذه الكلمة والتى قبلها ساقطتان من ل .

والحدأة(١) تبيضُ بيضَتين . وربّما باضتْ ثَلاثَ بيضات وخرَج منهن ثَلاَثَةُ فِراخ .

قالوا : وأما العقبانُ السُّودُ الألوان ، فإنَّها تربِّى وتحضُن(٢) .

وجميعُ الطير المعقَّف المخالبِ تطردُ فراخها من أعشاشها(٣) عندَ قوَّتها على الطَّيَران . وكذلك سائرُ الأصنافِ منَ الطَّيرِ(٤) ؛ فإنَّها تطرُد الفِراخ [ثمَّ] لا تعرفُها ، ما عدا الغداف(٥) ؛ فإنها لا تزالُ لولدها قابلة ، ولحالِه متفقِّدة .

(أجناس العقبان)

وقال قوم(٦) : إنَّ العِقبانَ والبُزاة التَّامَّـة ، والجهارْرَانك(٧) ، والسُّمنان(٨) .

---

(١) س : « والحداءة » ، وهو تحريف .

(٢) ل : « تبيض وتحضن » .

(٣) ط ، س : « أعشتها » ، ولم أر هذا الجمع ووجدتهم يجمعون العش على عشاش ، وعششة وأعشاش . انظر المصباح .

(٤) ل : « سائر أصناف الطير » .

(٥) كذا .

(٦) ل : « وزعم غيره » .

(٧) المراد بالبزاة أو العقبان التامة : التامة الأوصاف ، وهو من تعبير البزدرة ، كتب بذلك إلينا حضرة العلامة الكبير الأب أنستاس ، كما كتب أيضاً : « الجهار رنك » أو « الجهارنك » هى مركبة من « جهار » أى أربعة ، و « رنك » أو « رانك » أى لون ، فيكون معنى الكلمة المركبة الفارسية : ذا الألوان الأربعة . وسبب تسمية هذه العقبان ، أو البزاة ذات أربعة ألوان هو وجود الأبيض والأصيفر والأسود والأربد فيها . واللونان الأولان بالتصغير ، أى الضارب إلى الأبيض والضارب إلى الأصفر ؛ لأن هذين اللونين ليسا محضين فى ريش تلك الطير . وقلت : هذه الكلمة هى فى الأصل محرفة فى ط ، س : « الجهادانك » وفى ل : « الجهاردانك » . وقد اتضح الصواب مما تفضل به حضرة الأب .

(٨) كذا فى ط ، س . وفى ل : « النيميات » . وقد تفضل حضرة المحقق الكبير =

والزَّمامِج (١) والزَّرارقَةَ (٢) إنهاَ كلّها عِقْبان . وأمَّا الشّواهينُ والصُّقورةَ ، واليَوايئ (٣) ، فإنها أجناسٌ أُخر .

(حضن الطير)

[قال : وقالوا : فراخ البزاة سمينةٌ طَيِّبَةٌ جدًّا] . وأما الإوزة فإنها [التى] تحضُن دونَ الذكَر (٤) ، وأمَّا الغِربانُ فعلى الإِناثِ الحضْن ، والذكورة تأتى الإِناثَ بالطُّعمة (٥) .

وأمّا الحجَل فإنَّ الزَّوج مِنهاَ (٦) يهيِّئان للبَيض عُشَّين وثيقين (٧)

= الأب أنستاس ، فكتب إلى : « والسمان من البزاة والجوارح : كل ماطعن منها فى السن ، وهى جمع سمين . والعوام من العراقيين يسمونها : سمنان — كرغفان — فهى إذا طعنت فى السن ضخم جسمها وقعدت عن الصيد » . « والنيميات منسوبة إلى نيم ، بالكسر ، الفارسية ، بمعنى نصف . ويشار به إلى تلك البزاة ، أو العقبان الصغيرة الجسم ، وهى تكون فى أغلب الأحيان أشد صيداً وجراءة من نظائرها الكبيرة الجسم أو الجثة . ويؤتى بها من البلاد الباردة ، أو من الأرجاء الجبلية » . وعقب حضرته على ذلك بقوله : « وكل ذلك مذكور فى كتب البزدرة التى سرقت منى . وكان عندى منها ثلاث نسخ مملوءة أو مشحونة اصطلاحات » .

(١) الزمامج : جمع زمج ، بضم الزاى وتشديد الميم المفتوحة .

(٢) الزرارقة : جمع زرق بضم الزاى وتشديد الراء المفتوحة ، والمعروف زراريق . وفى الأصل : « الزراقة » ، وهو تحريف .

(٣) كذا على الصواب فى ل . وهو جمع يؤيؤ . ط ، س : « والبوازى » .

(٤) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط : « وأما الأوز فإنها تحضن دون الذكورة » ومثله فى س بزيادة « التى » بعد « فإنها » .

(٥) فى اللسان : « الطعمة ، بالضم : شبه الرزق » . وفى ل : « بالطعم » ، ومثله فى عيون الأخبار (٢ : ٩٤) وهو بالضم : الطعام .

(٦) ل ، ط : « منهما » ، وصوابه فى س .

(٧) الوثيق : المحكم . وبدلها فى ط : « بيضتين » وفى س : « بيضين » وهو تحريف عجيب .

مقسومَين(١) عليهما ، فيحضُن أحدُهُما الذَّكَرَ ، والآخرَ الأنثى (٢) ، وكذلك هُمَا فى التَّربية . وكلٌّ واحدٍ منهما يعيشُ خمساً وعِشرين سنة ، ولا تَلْقَحُ الأنثى بالبيض(٣) ولا يُلقِحُ الذكرُ إلاَّ بعدَ ثلاثِ سنين .

(الطاوس)

قال : وأمَّا الطَّاوس فأوَّلَ ما تبيضُ فإنها تبيض ثمانِيَ(٤) بيضات . وتبيضُ أيضاً بيضَ الريح . والطَّاوس يُلقى رِيشَه فى زَمن الخَريف إذا بدَا أوَّلُ ورقِ الشَّجرِ يسقُطُ(٥) . وإذا بدأ الشَّجرُ يكتسى ورقاً ، بدأ الطاوس فاكتسى(٦) ريشاً .

---

(١) ط فقط : « مقسومتين » .

(٢) فضلت هذا الضبط لما جاء فى نهاية الأرب نقلا عن الجاحظ : « وإذا باضت الحجلة ميز الذكر الذكور منها فيحضنها ، وميزت الأنثى الإناث فتحضنها ، وكذلك هما فى التربية » . ومثل هذا الكلام عند الدميرى ، مع نسبته إلى التوحيدى .

(٣) ط ، س : « البيض » ، والوجه ماأثبت كما فى ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٣٣)

(٤) كذا فى ل ونهاية الأرب ، وفى ط ، س : « ثلاث » .

(٥) كذا على الصواب فى س . وفى ل : « يلقى ورقه » وفى ط « فإذا بدا » ، وكلاهما تحريف .

(٦) ط : « يكتسى » .

(ما ليس له عشٌّ من الطير)

قال : وما كان من الطَّير الثَّقيل الجثَّة فليس يهيِّئ لبيضِه عُشًّا ؛ من أجْل أنَّه لا يُجيد[١] الطَّيَران ، ويثقل عليه النهوض ولا يتحَلَّق[٢] ، مثل الدُّرَّاج والقَبَج ، [وإنما يبيض على التُّراب] . وفراخ هذه الأجناس كفراريج الدَّجاج ، وكذلك فراريج البطِّ الصِّينى ، فإنَّ هذه كلَّها تخرُج من البيض كاسية [كاسبة[٣]] تلقط من ساعتها ، وتَكفى نفسها .

(القبجة)

قال : [و] إذا دنا الصَّيَّاد من عُشِّ القبجة[٤] ولَها فراخٌ ، مرَّتْ بينَ يدَيهِ مَرًّا غيرَ مُفيت[٥] ، وأطمعَتْه فى نفسها ليتبعها[٦] ، فتمرُّ الفراخ فى رجوعها إلى موضع عُشِّها[٧] . والفراخ[٨] ليسَ معها من الهِداية مامع

---

(١) ط ، س : « يجد » .

(٢) يتحلق : لم أجدها بمعنى حلق الطائر أى طار واستدار فى طيرانه ، لكن هكذا جاءت فى ل . وانظر ٥ : ١٥٢ . وفى ط ، س : « يتخلق » ، وهو تحريف .

(٣) الزيادة من س .

(٤) سبق قريباً أنها ليست ذات عش . فالمراد أفحوصتها .

(٥) ط فقط : « معين » ، وهو تحريف .

(٦) ط ، س : « فيتبعها » .

(٧) ل ، س : « فتمر الفراخ ولئلا تغلط فى رجوعها إلى موضع عشها » .

(٨) ل : « فإنها » .

أمِّها . وعلى أنَّ القَبَجَةَ سيِّئة الدَّلالةِ والهِداية ، وكذلك كلُّ طائر يعجَّلُ له الـكَيْس والـكَسْوة ، ويعجَّل له الـكَسْبُ فى صغره .

وهذا إنَّمـا اعتراها لقَرابَةِ ما بينَها وبين الدِّيك .

قال : فإذا أمعن الصَّائد خلْفها وقد خرجت الفراخُ من موضِعِها ، طارت وقد نَحَّتْه[١] إلى حيثُ لايَهتدى الرُّجوعَ منه إلىموضع عشِّها[٢] ، فإذا سقَطَتْ قريباً دعتْها بأصواتٍ لها ، حتَّى يجتمعْنَ إليها .   ٥٧

قال : وإناثُ القَبَج تبيض [خَمْسَ عشْرَةَ بيضة إلى ستَّ عشرةَ بيضة . قال : والقبج طيرٌ منكرٌ] وهىتفرُّ[٣] ببَيضها من الذَّكر ؛لأنَّ الأنثى تشتغل بالحضْن عن طاعة الذَّكر فى طلب السِّفاد . والقَبَج الذَّكرُ يوصَفُ بالقوّة على السِّفاد ، كما يوصف الدِّيكُ والحجَلُ والعُصفور .

قال : فإذا شُغِلت عنه بالحضْن ، طلبَ مواضعَ بيضها حتى يفسِدَهُ[٤] فلذلك ترتاد[٥] الأنثى [عشَّها] فى مَخابِئَ[٦] إذا أحسَّتْ بوقْتِ البيض .

وإذا قاتل بعضُ ذُكورةِ القَبَج بَعضاً فالمغلوبُ منها مسفودٌ ، والغالبُ

---

(١) ط : « نحت » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٢) يقال : هو لايهتدى الطريق ، ولا يهدى — بفتح الياء والهاء وتشديد الدال المكسورة — ، ولا يهدى – بفتح الياء وكسر الهاء والدال المشددة . كل أولئك بمعنى لايهتدى إليه . فى ط : « إلى موضعها » .

(٣) س : «تشغل » .

(٤) ل : « يفسدها » ، ولها وجه .

(٥) ترتاد : تطلب . وفى ل : « توغل » ، ولا يقال أوغله .

(٦) ط ، س : « مخافى » وتصحيحه من ل .

سافد . وهذا [العرض] يعرِضُ للدِّيَكة ولذكور الدَّراريج ، فإذا دَخَل بينَ الدِّيَكةِ [١] ديكٌ غريب ، فمَا أكثَرَ ما تجتمع عليه حتَّى تسفَدَه ! .

(وثب الذُّكورة على الذكورة)

وسفادُ ذُكورة هذه الأجناسِ إنما يعرض لها لهذه الأسباب ، فأمَّا ذُكورةُ الحَمير والخَنازيرِ والحمامِ ، فإنَّ ذُكورَها تثِبُ على بعضٍ مِن جهة الشَّهوة .

وكان عند يعقوبَ بن صباح [٢] الأشعثيّ ، هِرّانِ ضخْمان ، أحدُهُما يكومُ الآخَر متى أرادهُ ، مِنْ غيرِ إكراهٍ ، ومِن غيرِ أن يكونَ المسْفودُ يريدُ من السَّافِدِ مِثلَ مايريدُ منه السَّافد . وهذا البابُ شائعٌ فى كثير من الأَجناس، إلاَّ أنَّه فى هذه [الأَجناس] [٣] أوْجَد .

(صيد البُزاة للحمام)

ثمَّ رجَع بنا القَولُ إلى ذِكر الحمام ، من غير أن يشَاب [٤] بذكر غيره .

---

(١) ط : « الرمكة » . ولا تصح . والصواب من ل ، س .

(٢) ل : « الصباح » .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) ط ، س : « انتساب » ويصح بـ « انتشاب » أى تعلق . وأثبت مافى ل . ويشاب : يخلط .

زعم صاحبُ المنطق أنَّ البُزاةَ عشرة أجناس ، فمنها ما يضرِب الحمامة والحمامة جاثمة ، ومنها ما لا يضرب الحمامَ إلاّ وهو يطير ، ومنها ما لا يضرب الحمام فى حال طَيَرانِهِ ولا فى حالِ جثومِه ، [ولا يعرض له] إلَّا أنْ يجده[1] فى بَعْض الأغْصان ، أو على [بعض] الأَنشازِ[2] والأَشْجار . فعدَّد أجناسَ صيدِها ، ثمَّ ذكرَ أنَّ الحمامَ[3] لا يخفى عليه فى أوّلِ ما يرى البازىَ فى الهواء أىُّ البُزَاةِ هُو ، وأىُّ نوعٍ صَيدُه[4] ، فيخالف ذلك . ولمعرفة الحمامِ بذلك من البازى أشكال : أوَّلَ ذلك أنّ الحمامَ فى أوَّلِ نُهوضِه يفصلُ بينَ النَّسر والعُقاب ، وبينَ الرَّخمةِ والبازى ، وبينَ الغُرابِ والصَّقر؛ فهو يَرَى الكَرْكىَّ والطَّبرزين[5] ولا يستوحِشُ منهما ! ويرى الزُّرَّق فيتضاءل . فإنْ رأى الشّاهينَ فَقَدْ رأى السّمَّ الذعاف الناقِع[6] .

(إحساس الحيوان بعدوِّه)

والنَّعجة ترى الفِيلَ والزَّنْدَبِيلَ والجاموسَ والبعير ، فلا يهزُّها[7] ذلك ، وترى السَّبع وهى لم تَره قبل ذلك[8] ، وَعضوُ من أعضاء تلك البهائم أعظمُ

---

(١) ل : « يراه » .

(٢) الأنشاز : جمع نشز ، بالتحريك ، أو بالفتح ، وهو المكان المرتفع .

(٣) ط : « صاحب الحمام » ، والوجه ما أثبت من ل ، س .

(٤) ط : « ضده » ، وصوابه من ل ، س .

(٥) كذا فى ل ، س . والمعروف فى الطبرزين أنه الفأس التى يعلقها الفارس فى سرج جواده . انظر معرب الجواليقى ١٩٤ والألفاظ الفارسية ١١١ . وفى ط : « الطيران » . وانظر الاستدراكات .

(٦) ل : « فقد رأى السم الناقع » .

(٧) ل : « يهدها » .

(٨) ل : « الذى لم تره قبل فتخافه » وفيه تحريف .

وهى أهولُ فى العين وأشنعُ ، ثمّ ترى الأَسَدَ فتخافه . وكذلك البَبْر والنمر . فإنْ رأت الذئب [وحده] اعتراها منه وحْدَه مثلُ ما اعتراها من تلك الأجناسِ لو كانت مجموعةً فى مكانٍ واحد . وليس ذلك عن تجرِبَةٍ ، ولا لأنّ منظرَه أشنعُ وأعْظم ، وليسَ فى ذلك عِلَّة[1] إلّا ما طُبِعت عليه من تمييز الحيوان عندها . فليس بمُسْتَنكَرٍ أنْ تَفْصِلَ الحمامةُ بينَ البازى[2] والبازى ، كما فصلت بين البازى والكُرْكىّ .

٥٨

فإنْ زعمتَ أنَّها تعرف بالمخالب[3] فمِنقارُ الكرْكىّ أشنع [وأعظم] وأَفظع[4] ، وأطولُ وأعرض[5] . فأمّا[6] طَرَفُ منقار [الأبغث[7] فما كانَ[8] كلُّ سنانٍ وإن كان مذرَّبا[9]] ليبلغه .

---

(١) ط : « عليه » ، وهى على الصواب فى ل ، س .

(٢) أى تعرف أنواع البزاة وطريقة صيدها لها ، كما فصل ذلك فى الصفحة السابقة س ٦ . ل فقط : « الرخمة » تحريف .

(٣) فى الأصل : « تضرب مخالب » .

(٤) ل : « وأقطع » .

(٥) ليست فى ل .

(٦) ط ، س : « فما » ، وهو تحريف .

(٧) فى القاموس : أن الأبغث طائر ، ولم ينعته .

(٨) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

(٩) مذربا ، بالذال المعجمة : محدداً . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « مدربا » ، تصحيف .

(بلاهة الحمام وخُرقه)

قال صاحب الدِّيك : وكيفَ يكونُ للحمام من المعرفة[١] والفطِنة ما تذكرون ، وقد جاء في الأَثَر[٢] : « كُونُوا بُلْهاً[٣] كالحمام » ؟ !

وقال صاحب الدِّيك : تقول العربُ : « أخْرَقُ مِنْ حمامةٍ » ، ومِمَّا يدل على ذلك قولُ عَبيدِ بنِ الأبرص :

عَيُّـــوا بِأَمْرِهِمُ كما عَيَّتْ ببَيْضَتِهَا الحَمَامهْ

جَعَلَتْ لها عُودَينِ منْ نَشَمٍ وآخَرَ من ثُمامهْ[٤]

---

(١) ط ، س « الحركة » ، ووجهه ما في ل .

(٢) كذا في ل ، س . وهو الموافق لما جاء في البيان (٢ : ٢٧٥) : « وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : كونوا بلها كالحمام » . وفي ط : « وقد جاء في الحديث » كما في محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٠) . وجاء في عيون الأخبار (٢ : ٧٢) : « وفي الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال للحواريين : كونوا حلماء كالحيات ، وبلها كالحمام » . قلت : والنص في إنجيل متى (الأصحاح العاشر : ١٦) : « هاأنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام » .

(٣) في الأصل : « بلهاء » ، وإنما هي « بلها » كما في ٧ : ٢٥٩ . وهو جمع أبله . والمراد به الغافل عن الشر المطبوع على الخير . انظر نهاية ابن الأثير (بله) .

(٤) النشم ، بالتحريك : شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسي . والثمامة : واحدة الثمام ، وهو نبت قصير يضرب به المثل في الضعف . وذلك حمقها : أن تجمع بين ضعيف وقوى : فيتكسر عشها ويقع البيض فينكسر . انظر عيون الأخبار (٢ : ٧٢) وثمار القلوب ٣٦٩ وأمثال الميداني (١ : ٢٣٤) وأدب الكاتب (٥٥) .

فإن كان عَبيدٌ إنما عَنَى حمامةً من حمامكم هذا الذى أنتم بهِ تفْخَرُون ، فقد أكثرتم فى ذكر[١] تدبيرها لمواضعِ بَيضها ، وإحكامِها لصَنعة عشاشها[٢] وأفاحيصها .

وإن قلتم : إنَّه إنما عَنَى بعضَ أجناسِ الحَمَام الوحشى والبَرّىّ ، فقد أخرجتم بعضَ الحَمَامِ مِن حُسْن التَّدْبير . وعبيدٌ لم يَخُصَّ حماماً دُونَ حمام .

(رغبة عثمان فى ذبح الحمام)

وحدَّثَ أُسامةَ بن زيد قال : سمعتُ بعضَ أشْياخِنا منذُ زمانٍ ، يحدِّثُ أنَّ عثمانَ بنَ عفَّانَ — رضى اللهُ تعالى عنه — أراد أنْ يَذْبَحَ الحَمَامَ ثمَّ قال : « لولا أنَّها أُمَّةٌ من الأمم لأَمرت بذبحهن[٣] ، ولكنْ قُصُّوهنَّ » . [فدلَّ بقوله : قُصُّوهنّ] على أنَّها إنما تُذْبَحُ لرغبة[٤] مَنْ يتّخذُهنّ ، ويَلعبُ بهنَّ من الفِتْيانِ والأَحداثِ والشُّطَّار[٥] ، وأصحابِ المراهَنة والقِمار ، والذين

---

(١) ل : « ذلك » ، وهو تحريف . والمراد بالإكثار التزيد والمبالغة .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أعشتها » وانظر التنبيه رقم ٣ ص ١٨١ .

(٣) ط ، س : « بذبحها » ، وأثبت ما فى ل .

(٤) ل : « لسورعة » ! .

(٥) الشطار : جمع شاطر ، وهو الذى أعيا أهله ومؤدبه خبثا ، وشطر عن الطريق السوى : أى عدل عنه . وفى ل فقط : « السطار » وهو تصحيف . واللعب بالحمام التسابق به ، على نحو ما يفعل بالخيل . انظر صورة من ذلك فى أخبار الظراف ص ٣٨ .

يتشرَّفون[١] على حُرَم الناس والجيران ، ويختدِعُون[٢] بفراخ الحَمَام أولاد النَّاس ، ويرمون بالجُلاَهِقِ[٣] وما أكثر مَنْ قد فقأ عيناً وهشَم أنْفاً ، وهتَم فَماً ، وهو لا يدرى مَا يصنَع ، ولا يَقِفُ على مقدارِ مَا رَكِبَ به القومَ . ثم تذهب[٤] جنايتُهُ هدَرًا ، ويعودُ ذلك الدَّمُ مطلولاً بلا عقْل ولا قَوَدٍ ولا قِصاص ولا أرْش[٥] ، إذْ كان صاحِبُه مجهولا .

وعلى شبيهٍ بذلك كان عمرُ ــ رضى الله عنه ــ أمر بِذَبْحِ الدِّيَكة[٦] وأمرَ النبىُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بقتْل الكلاب .

قالوا : ففيما ذكرنا دليلٌ على أنَّ أكْلَ لحومِ الكلابِ لم يكنْ مِنْ دينِهِم ولا أخْلاقِهِمْ ، ولا مِنْ دواعى[٧] شهواتهم . ولولا ذلك لما جاء الأثرُ عن النبىِّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعُمَر وعُثْمانَ ــ رضى الله تعالى عنهما بِذَبْح الدِّيَكةِ والحَمَامِ ، وقتْل الكلاب . [ولولا أنّ الأمرَ على ما قلنا ، لقالوا : اقتلوا الدُّيوكَ والحَمَامَ كما قال : اقتلوا الكلاب] . وفى تفريقهم بينها دليلٌ على افتراقِ الحالاَتِ عندَهم .

---

(١) التشرف : التطلع . وفى ط فقط : « يشرفون » من الإشراف : أى الاطلاع . ومالأثبت أقرب وأشبه .

(٢) ط ، س : « ويخدعون » .

(٣) الجلاهق : هو الطين المدور المدملق ، يرمى به عن القوس ، فارسى ، أصله جلاهه . الجواليقى ٤٢ .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ذهبت » .

(٥) العقل : الدية . والقود ، بالتحريك ، بمعنى القصاص ، وهو قتل النفس بالنفس . والأرش : دية الجراحات .

(٦) كذا فى ل . وكما سبق فى الجزء الأول ص ٢٩٦ س : ١١ ، ١٦ . وفى ط ، س : « أراد عمر رضى الله عنه أن يذبح الديكة » .

(٧) ط ، س : « ولا كان فى دواعى » .

٥٩ قال : حدَّثنى أسامة بن زيد[١] ، وإبراهيمُ بنُ أبى يحيى ، أنَّ عثمان شكَوْا إليه الحمَامَ ، وأنّه قال : « مَنْ أخذَ منهنَّ شيئاً فهو له » . وقد علمْنا أنّ اللّفظَ وإن كان قد وقعَ على شِكاية الحمام ، فإن المعنى إنّما هو على شكايةِ أصحاب الحمام ؛ لأنّه ليس فى الحمامِ مَعنًى يدعُو إلى شكايةٍ[٢] .

قال : وحدّثنا عُثمان قال : سُئل الحسنُ عن الحمام الذى يصطاده النَّاس ، قال : لا تأكلْه ، فإنّه منْ أموال الناس ! فجعله مالاً ، ونَهَى عن أكْله بغير إذنِ أهله . وكلُّ ما كان مالاً فبيعُه حسَنٌ وابتياعُه حسن . فكيفَ يجوزُ لشىءٍ هذه صفتُه أنْ يُذبح ، إلّا أن يكون ذلك على طريق العِقاب والزَّجْرِ لمن اتَّخذَه لما لا يحلّ ! !

قال : ورووا عن الزُّهرى عن سعيدِ بن المسيَّب قال : نَهَى عُثمانُ عن اللِّعبِ بالحمَام[٣] ، وعن رمى الجُلاهِق . فهذا يدلُّ على ما قلْنا .

(أمْن حمام مكة وغِزْلانها)

والناس يقولون : « آمَنُ مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ ، ومِنْ غِزلان مكة » . وهذا شائعٌ على جميع الألسنة ، لا يردُّ ذلكَ أحدٌ ممن يعرِفُ الأَمثالَ والشّواهدَ . قال عُقبةُ الأسدىُّ[٤] لابن الزُّبير :

---

(١) ل : « بدر » .

(٢) ط : « شكايته » .

(٣) ل : « عن ذكر الحمام » وهو تحريف . انظر ص ١٩٠ .

(٤) عقيبة بن هبيرة الأسدى : شاعر جاهلى إسلامى . اللآلئ ١٤٩ . وانظر الأغانى ١٨ : ١٢٨ . وفى الأصل : « عقبة » ، تحريف .

مازلتَ مذ حِجَجٍ بمكة مُحْرِماً[١] في حيثُ يأمَنُ طائرٌ وحَمامُ
فَلتَنْهَضَنّ العِيسُ تنفخُ في البُرَا يَجْتَبْنَ عُرْضَ مَخارِمِ الأعلامِ[٢]
أبنو المغيرةِ مثلُ آلِ خُويلدٍ ؟ ! يا لَلرِّجالِ لِخفَّةِ الأحلامِ[٣] !

وقال النابغةُ في الغِزْلان وأمْنِها ، كقولِ جميع الشُّعراء في الحمام :

لا والذي آمَنَ الغزلانَ تمسَحُها رُكبانُ مَكّةَ بين الغِيلِ والسَّعَدِ[٤]

ولو أنّ الظِّباءَ ابتُليتْ مِمَّنْ يتَّخِذها بِمثلِ[٥] الذي ابتُليت به الحَمام ثمَّ ركبوا المسلمين في الغِزلان بمثل ما ركبوهم به في الحَمام ، لساروا في ذَبْحِ الغِزلان كسيرتهم في ذَبْحِ الحَمام .

وقالوا : إنّه لَيبلُغُ مِن تعظيم الحَمام لحُرْمة البيتِ الحرام ، أنَّ أهلَ مكة يشهَدون عن آخرهم أنَّهم لم يَرَوْا حَماماً قطُّ سقَطَ على ظهر الكعبة ، إلَّا مِن

---

(١) كذا في ل ، وهو الوجه . . وفي ط ، س : « ملحدا » ، من الإلحاد بمعنى الظلم في الحرم . ولا يصح لأن الشعر مدح . وقد أشار عقبة إلى ما كان من عبد الله بن الزبير في مكة ، حيث بويع له بمكة سنة أربع وستين ، وخلع يزيد ابن معاوية ، وأقام بها تسع سنين وقتل في خلافة عبد الملك بن مروان على يد الحجاج بمكة سنة ثلاث وسبعين . انظر تاريخ الاسحاقى ص ٥١ .

(٢) العيس ، الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . والبرا : جمع برة ، كثبة ، وهى الحلقة في أنف البعير . يجتبن : يقطعن . والمخارم : الطرق في الأرض الغليظة . س : « تجنبن عرض مخارج » وهو تحريف .

(٣) بنو المغيرة هم بنو مروان ؛ لأن أمهم عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ابن أمية . انظر الإصابة ٧٠٩ من قسم النساء ، والعقد ٣ : ١٤٨ . وآل خويلد هم بنو الزبير ، وهو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى . انظر المعارف ٩٦ .

(٤) ط ، س : « والمؤمن العائذات الطير » ، وما أثبت من ل هو الوجه ؛ لما سبق من الكلام . والغيل ، بالكسر ، والسعد ، بالتحريك : أجمتان كانتا بين مكة ومنى . شرح المعلقات للتبريزى ٣٠٠ .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « بمن يتخذها مثل » .

عِلةٍ عَرَضتْ له . فإن[١] كانت هذه المعرفة اكتساباً من الحَمام فالحَمامُ فوق جميعِ الطيرِ وكلِّ ذى أربع . وإن كان هذا إنَّما كان [من] طريقِ الإلهام ، فليس ما يُلهَمُ كما لا يلهَم .

وقال الشّاعرُ[٢] فى أمْنِ الحمَام :

لقد علم القبائلُ أنّ بَيْتى ... تفرَّعَ فى الذّوائبِ والسَّنامِ

وأنّا نَحْنُ أولُ من تَبَنَّى ... بمكّتِها البيوتَ معَ الحَمامِ[٣]

وقال كثيرٌ — أو غيره من[٤] بنى سهم — فى أمْنِ الحَمام :

٦٠ لَعَنَ اللهُ مَنْ يَسُبُّ عليًّا ... وحُسَيْناً مِنْ سُوقَةٍ وإمامِ

أَيُسَبُّ المطيَّبون جدودًا[٥] ... والكرامُ الأخوالِ والأعمامِ

يأمن الظبى[٦] والحَمامُ ولا يأ ... مَنُ آلُ الرّسولِ عِنْدَ المَقامِ !!

رحمةُ اللهِ والسَّلامُ عليهمْ ... كلما قامَ قائمٌ بسلامِ[٧]

---

(١) ط : « فإذا » .

(٢) هو الزبير بن عبد المطلب ، كما فى المؤتلف ١٣٠ – ١٣١ .

(٣) فى المؤتلف : « بمكتنا » . وفى الأصل : « من الحمام » ، صوابه فى المؤتلف .

(٤) ط ، س : « فى » وتصحيحه من ل . والسهمى هذا ، هو عبد الله بن كثير السهمى ، قال الجاحظ فى البيان ٣ : ٣٥٩ : « وقال عبد الله بن كثير السهمى وكان يتشيع لولادة كانت نالته ، وسمع عمال خالد بن عبد الله القسرى يلعنون علياً والحسن والحسين على المنابر » . وأنشد الشعر الآتى . أو هو كثير ابن كثير السهمى كما فى معجم المرزبانى ٣٤٨ ، قالها لما كتب هشام بن عبد الملك إلى عامله بالمدينة أن يأخذ الناس بسب على .

(٥) المطيبون : المطهرون . فى ل : « أيسب المطيبين » ، وفى المعجم « أتسب المطيبين » ولكل منهما وجه . وبعد هذا البيت فى المعجم وبعد البيت الذى يليه فى البيان :

طبت بيتا وطاب بيتك بيتاً ... أهل بيت النبى والإسلام

(٦) ط فقط : « الطير » ، والصواب ما أثبت من ل ، س والبيان .

(٧) ط س ، : « الإسلام »، وهى رواية محرفة عما أثبت من ل والبيان والمعجم .

وذكر شأنَ ابنِ الزُبير وشأنَ ابنِ الحنفيَّة[١] ، فقال :

ومن يَرَ هذا الشَّيخَ بِالخَيفِ من مِنًى[٢]

مِنَ النَّاس يَعلمْ أنَّهُ غيرُ ظالم

سَمِيُّ النبيِّ المصطفَى وابنُ عمِّهِ[٣] وفكَّاكُ أغلالٍ ونفَّاعُ غارمِ

أَبَى فهو لا يشْرِى هُدًى بضَلَالةٍ ولا يتَّقِى فى الله لوْمَةَ لائمِ

ونحن بحَمْدِ اللهِ نتلُو كتابَهُ حُلولاً بهذا الخَيْفِ خَيفِ المحارِمِ[٤]

بحيثُ الحَمَامُ آمناتٌ سواكنٌ وتَلْقى العدُوَّ كالوَلىِّ المسالمِ

(حمامة نوح)

قال صاحب الحمام : أمَّا العرب والأعرابُ والشُّعَراء ، فقد أطبقوا على أنَّ الحَمَامَةَ هى التى كانت دليلَ نوحٍ ورائده[٥] ، وهى التى استجعَلَتْ[٦]

---

(١) ابن الحنفية ، هو محمد بن على بن أبى طالب ، وهو أخو الحسن والحسين ابنى على بيد أن والدة هذين هى فاطمة الزهراء ، وأم ذاك هى خولة بنت جعفر الحنفية ، فنسب إليها تمييزاً له . كان ابن الحنفية أحد أبطال صدر الإسلام ، وكان ورعاً واسع العلم . وكان المختار الثقفى يدعو الناس إلى إمامته ، ويزعم أنه المهدى ، وكانت الكيسانية تزعم أنه لم يمت وأنه مقيم برضوى . ولد بالمدينة سنة ٢١ وتوفى سنة ٨١ . وفيات الأعيان (١ : ٤٤٩) وطبقات ابن سعد (٥ : ٦٦) .

(٢) الخيف بالفتح : ناحية من منى . ومنى : بليدة على فرسخ من مكة .

(٣) ليس ابن الحنفية ابن عم للرسول لحا ، بل هو ابن ابن عمه . والعرب يتجوزون فى مثل ذلك .

(٤) ط فقط : « المخارم » ، وهو تصحيف .

(٥) قالوا : أرسلها لتكشف موضعاً فى الأرض يصلح مرفأ للسفينة . انظر الحيوان (٢ : ٣٢١) .

(٦) استجعلت : طلبت الجعالة — كسحابة — وهى الرشوة . والرشوة : العطاء فى مقابل نفع .

عليه الطَّوْقَ الذى فى عنقها ، وعند ذلك أعطاها الله تعالى تلك الحِلْية ؛ ومنَحَها تلك الزِّينةَ ، بدعاءِ نوحٍ عليه السلام ، حينَ رجعتْ إليه ومعها من الكَرْم ما مَعها ، وفى رجليها من الطِّين والحَمْأة ما برجليها ، فعوِّضتْ من ذلك الطِّين خِضابَ الرِّجلين ، ومن حُسن الدَّلالَةِ والطَّاعةِ طَوْقَ العنق .

(شعر فى طوق الحمامة)

وفى طوقها يقول الفرزدق[١] :

فمن يكُ خائفاً لأذاةِ[٢] شِعرى ... فقد أَمِنَ الهِجاءَ بنو حَرَامِ

هم قادُوا[٣] سفيهَهُمُ وخافُوا ... قلائِدَ مِثلَ أطواقِ الحمامِ

وقال فى ذلك بَكْر بن النَّطَّاح[٤] :

---

(١) يقول هذا الشعر فى رجل من بنى حرام ، كان قد هجا الفرزدق، فخشى قومه من لسان الفرزدق فجاءوا به يقودونه إليه ، فقال البيتين . انظر العمدة (١ : ٣٨) . والبيتان لم أجدهما فى الديوان ، وقد أثبتهما الثعالبى فى الثمار ٣٦٨ .

(٢) الأذاة : الأذى ، وفى ط فقط : « لأذات » محرفة .

(٣) ط : « قادروا » ، وتصحيحه من ل ، س والعمدة . وبدلها فى الثمار : « منعوا » .

(٤) بكر بن النطاح : شاعر كان فى زمن هارون الرشيد ، وهو بصرى نزل بغداد ، وكان يعاشر أبا العتاهية وأضرابه . وكان أبو هفان يقول : أشعر أهل الغزل من المحدثين أربعة أولهم بكر بن النطاح . تاريخ بغداد ٥٣٢٦ . قلت : وبكر صاحب المقطعة الرقيقة التى تغنيها فى عصرنا هـذا زعيمة الغناء أم كلثوم . وأول هـذه المقطعة :

أكذب نفسى عنك فى كل ماأرى ... وأسمع أذنى منك ماليس تسمع

وهى صوت من أصوات الأغانى (١٧ : ١٥٣) .

إذا شئتُ غنَّتْنى ببَغْدَادَ قَيْنَة   وإن شئتَ غنَّانى الحَمَامُ المطوَّق

لباسى الحسامُ أو إزارٌ مُعصفرٌ   ودِرْعُ حديدٍ أوقميصٌ مخلَّق (١)

فذكر الطَّوق ، ووصَفَها بالغِناءِ والإطراب . وكذلك قال حُمَيد بن ثَور :

رَقُودُ الضُّحَى لَا تعرِف الجيرَة (٢) القصا (٣)

ولا الجيرةَ الأدْنينَ إلَّا تجشُّما (٤)

وليستْ مِنَ اللائى يكونُ حديثُها   أَمَام بَبيوتِ الحىِّ إنّ وإنّما

ثمّ قال :   ٦١

وما هاج هذا الشّوقَ إلَّا حمامةٌ   دعَتْ ساقَ حُرٍّ تَرْحَةً وتَرنُّما (٥)

---

(١) يقول : هو يلبس الحسام والدرع الحديد فى حال الحرب ، والإزار المعصفر والقميص المخلق فى حال السلم . المخلق : المطيب بالخلوق ، وهو بفتح الخاء : ضرب من الطيب .

(٢) الجيرة : جمع جار ، مثل قاع وقيعة . وهم يمدحون المرأة الكريمة الخفرة بعدم زيارتها لجاراتها أو ندرة ذلك . قال أبو قيس بن الأسلت :

ويكرمها جاراتها فيزرنها   وتعتل عن إتيانهن فتعذر

وليس لها أن تستهين بجارة   ولكنها منهن تحيا وتخفر

وهذان خير ما قيل فى امرأة خفرة . الأغانى (٩٥ : ١٥٩) . ل : « الجيزة » تصحيف .

(٣) القصا : جمع قصوى ، وهى البعيدة . وقد رسمت فى ل : « القصى » وهى كتابة جائزة ، فما كان من المقصور ثلاثيا وكان أوله مكسوراً أو مضموماً ، جاز أن يكتب بالياء ، وإن كان أصله الواو ، كما هنا. انظر المقصور ص٦.

(٤) يقال : تجشم الأمر : إذا حمل نفسه عليه وتكلفه . وفى ل : « تجمّا » وهو تصحيف .

(٥) ساق حر : ذكر القمارى ، أو هو صوت الحمام . وروى فى ل وكذا اللسان (حرر) : « فى حمام ترنما » وأثبت ما فى ط ، س ، وكذا الكامل ٥٠٣ ليبسك وزهر الآداب (١ : ٢٠٢) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٦) وأدب الكاتب ٢٣ ونثار الأزهار ٧٨ والخزانة (٤ : ٢٩٩ بولاق) . والترحة: ضد الفرحة .

مطوّقةٌ خطْباء[١] تصدَحَ كلما دنا الصَّيفُ وانجاب الربيعُ فأنجما[٢]

ثمّ قال بعد ذكر الطوق :

إذا شئتُ غنَّتْنِي بأجزَاعِ بِيشَةٍ أو النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثَ أو بيلملما[٣]

عجبتُ لها ، أنّى يكونُ غِناؤها فصيحاً ولم تَفْغَرْ بمَنْطِقِها فَمَا

ولم أرَ محزُوناً لهُ مِثلُ صوتِها ولا عَرَبيًّا شاقَهُ صوتُ أعجَما

وقال فى ذكر الطّوق ـ وأنّ الحمامةَ نَوّاحةٌ ـ عبدُ الله بن أبى بكر[٤] وهو شهيد يوم الطائف[٥] ، وهو صاحبٌ ابن صاحِب[٦] :

---

(١) الخطباء : التى فيها خطبة ، أى سواد وبياض . وفى س فقط : « خضباء » أى محمرة الساقين ، ويعزز هذه ما ورد فى الصفحة ١٩٦ س ٤ . وهى رواية العقد (٤ : ٢٨) .

(٢) انجاب الربيع : ذهب . وفى ل « وانزال » وهى صحيحة ، يقال : انزال عنه : فارقه . وأنجم : أقلع وولى . وفى س : « بأنجما » تحريف .

(٣) الأجزاع : جمع جزع بالكسر ، وهو منحنى الوادى . وبيشة ، بالكسر : بلد جنوبى مكة على خمس مراحل منها . وتثليث : بلد قريب من مكة . ويلملم : موضع على ليلتين جنوبى مكة . ويقال له أيضاً « ألملم » و « يرمرم » . وجاء فى ل : « بينمنا » ولم أر هذه اللغة . وفى س : « يتململا » وهى تحريف .

(٤) هو عبد الله بن أبى بكر الصديق ، كان عبد الله يحضر إلى رسول الله وأبى بكر وهما فى الغار ومعه أخبار قريش فيبيت عندهما ويخرج من السحر فيصبح مع قريش . وشهد فتح مكة ، وحنينا والطائف حيث أصابه حجر فى حصارها ، فمات شهيدا فى خلافة أبيه فى شوال سنة ١١ . قالوا : وترك سبعة دنانير فاستكثرها أبو بكر . المعارف ٧٥ والإصابة ٤٥٥٩ .

(٥) غزوة الطائف كانت إثر غزوة حنين فى السنة الثامنة من الهجرة . لما انهزمت ثقيف فى غزوة حنين سار إليهم الرسول وحاصرهم بالطائف نيفا وعشرين يوما ثم انصرف عنهم . وفى الأصل : « يوم الطف » وليس يصح ذلك ؛ فإن هذا اليوم كان فى سنة ٦١ من الهجرة وهو اليوم الذى قتل فيه الحسين بن على بعد وفاة عبد الله بنحو خمسين سنة . وانظر التنبيه السابق وعيون الأخبار ٤ : ١١٤ .

(٦) هذه العبارة ساقطة من ل .

فلم أرَ مثلى طلّق اليومَ مثلهاَ ولا مِثْلها فى غيرِ جرمٍ تطلّقُ[1]
أعاتكُ لا أنْساكِ مَا هبّتِ الصَّبَا وما نَاحَ قُمرِىُّ الحمامِ المطوّقَ

وقال جَهْم بن خَلَف ، وذكرها بالنَّوح ، والغناء ، والطَّوْقِ ، ودعوةِ نوح ؛ وهو قَوْلُه :

وقد شاقنى نَوْحُ قُمْرِيةٍ طَرُوبِ العَشِىِّ هتوفِ الضُّحَى
من الوُرْقِ نوَّاحةٍ باكرَتْ عَسِيبَ أَشاءٍ بذاتِ الغَضاَ[2]
تَغَنَّتْ[3] عَليهِ بلحنٍ لها يُهيِّج للصَّبِّ ما قدْ مَضى
مطوَّقةٍ كُسِيتْ زِينةً بدعْوةِ نوحٍ لها إذ دَعَا[4]
فلم أرَ باكِيةً مِثلها تبكِّى ودَمْعَتها لا تُرَى[5]
أضلّتْ فُرَيْخاً فَطافَتْ لهُ[6] وقد عَلِقتْه حبالُ الرَّدَى
فلما بدا اليأْسُ منهُ بَكَتْ عَليهِ ، وما ذا يردُّ البُكا
وقد صادَهُ ضَرِمٌ مُلْحِمٌ خفوقُ الجناحِ حَثِيثُ النَّجا[7]

---

(١) يشير بذلك إلى زوجه ، عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، تزوجها وكانت حسناء جميلة فأولع بها وشغلته عن مغازيه ، فأمره أبوه بطلاقها ، ففعل ثم تبعتها نفسه وقال هذين البيتين ، فرق له أبوه وأذن له فارتجعها . الإصابة ٦٩٢ قسم النساء ، والعقد ٤ : ١٧٥ — وقد عقد بابا لمن طلق امرأته ثم تبعتها نفسه — وتبعه الراغب الأصفهانى فى المحاضرات (٢ : ٩٩) . وانظر أخبار الظراف ٢٠ والمستطرف (٢ : ٢٢١ ، ٢٢٨) ، وعيون الأخبار (٤ : ١١٤) .

(٢) الأشاء : صغار النخل، أوعامته . والعسيب : الذى لم ينبت عليه الخوص من السعف .

(٣) ل : « فغنت » ، وما أثبت أجزل .

(٤) انظر لهذا المعنى ص ١٩٦ س ٢ .

(٥) هذا البيت أثبت فى ط بعد البيت الآتى . والوجه ما كتبت من ل ، س .

(٦) أضلته : فقدته . ل : « فطافت به » أى من أجله أيضا .

(٧) الضرم : الشديد الجوع . والملحم ، بكسر الحاء : الذى يطعم صاحبه لحم الصيد ، وبفتح الحاء : الذى يطعم اللحم ، بالبناء للمفعول . والحثيث النجا : السريع الطيران . وقد عنى به البازى أو الصقر .

حَـديدُ المَخالِبِ عارِى الوَظِيـ ـفِ ضارٍ من الوُرْقِ فيه قنا[١]

تَرَى الطَّيرَ والوحْشِ مِن خَوفه جِوامزَ[٢] مـنه إذا ما اغتدى

(نزاع صاحب الدِّيك فى الفخر بالطوق)

قال صاحب الديك : وأمَّا قوله :

مطوَّقَة كساها اللهُ طوقاً ولم يخْصُصْ به[٣] طيرًا سِوَاها

٦٢ كيف لم يخصُصْ بالأطواق[٤] غَيْرَ الحمام ، والتَّدارِجُ أحقُّ بالأطواق وأحسنُ أطواقاً منها ، وهى فى ذُكورتها أعمّ ؟ ! وعلى أنّه لم يصف بالطّوق الحَمامة التى فاخرتم بها الدِّيك ؛ لأنَّ الحَمامة ليست بمطوَّقة ، وإنما الأطواقَ لذكورة[٥] الوارشين [وأشباه الوارشين ، من] نوائح الطَّير وهواتِفها ومغنِّياتها . ولذلك قال شاعرُكم ، حيث يقول[٦] :

---

(١) الورق : جمع أورق ، وهو ما فى لونه بياض إلى سواد . وفى ل : « الزرق » ومما جاء فى وصف الصقر بالزرقة قول ذى الرمة :

نظرت كما جلى على رأس رهوة من الطير أقنى ينفض الطل أزرق

والقنا : نتو وسط قصبة الأنف وضيق المنخرين ، وهذا فى الفرس عيب ، وفى الصقر والبازى مدح . س : « قشا » تحريف .

(٢) جوامز : من جمز إذا عدا .

(٣) فى الأصل : « بها » والضمير عائد إلى الطوق .

(٤) ل : « بالطوق » .

(٥) ط ، س : « للذكورة » وصوابه فى ل .

(٦) الشعر لعبد الله بن أبى بكر كما سبق فى ص ١٩٩ .

أعاتكَ لا أنساكِ ما هبَّتِ الصَّبَا   وما ناحَ قُمْرىٌّ الحمَامِ المطوَّقُ[١]

وقال الآخر[٢] :

وقـد شاقنى نوحَ قُـمْـرِيَّةٍ   طَروبِ العَشِيِّ هَتُوفِ الضُّحى

ووصفها فقال :

مطوَّقَـةٍ كُسِيت زِينـةً   بدَعوةِ نوحٍ لهـا إذ دَعا

فإن زعمتم أنّ الحمامَ والقمْرِىَّ واليمامَ والفواختَ والدَّبَاسِىَّ[٣] والشَّفانِينَ والوَراشِينَ حمامٌ كلُّه ، قلنا : إنَّا نزعم أنّ ذكورةَ التَّدَارِجِ وذكورةَ القَبَج ، وذكورةَ الحجَلِ ديوكٌ كلها . فإنْ كان ذلك كذلك ، فالفخْرُ بالطَّوق نحن[٤] أولى به .

قال صاحب الحمام : العرب تسمِّى هذه الأجناسَ كلها حماماً ، فجمعوها بالاسم العامّ ، وفرَّقوها بالاسم الخاص ، ورأينا صُورَها متشابهة[٥] وإن كانَ فى الأجسامِ بعضُ الاختلافِ ، وفى الُجثَث بعض الائتلاف[٦] وكذلك المناقير . ووجدناها تتشابه[٧] من طريق الزِّواج ، ومن طريق

---

(١) بدل هذا الشطر الأخير فى كل من ط ، س كلمة : « البيتين » .

(٢) هو جهم بن خلف كما سبق فى ص ١٩٩ . ل : « ثم قال الآخر » .

(٣) الدباسى : جمع دبسى بفتح الدال أو ضمها ، وهو من أنواع الحمام الوحشى ط ، س : « الديسى » ل : « الدبسى » والوجه فيه ما كتبت .

(٤) ل : « ونحن » .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وفى الجثث كذلك » .

(٧) ط فقط : « تشابه » بحذف التاء الأولى .

الدُّعاء والغناء والنَّوح ، وكذلك هي في القدودِ وصُورِ الأعناق ، وقصب الريش ، وصِيغَة[1] الرُّءوس والأرجل والسُّوق والبَرَاثِنِ[2] . والأجناسُ التي عددتم ليس يجمعها اسمٌ ولا بلدةٌ ، ولا صورةٌ ولا زِواج . وليس بين الدِّيَكة وبينَ تلك الذُّكورةِ نسبٌ إلّا أنّها من الطَّير الموصوفة[3] بكَثْرةِ السِّفاد ، وأنَّ فِراخَها وفرارِيجها تخرُج من بيضها كاسية [كاسبة] . والبطُّ طائرٌ مثقل ، وقد ينبغي أن تجعلوا فرخَ البطَّة فرُّوجاً ، والأنثى دجاجةً والذَّكرَ دِيكا ، ونحنُ نجد الحمامَ ، ونجد الوراشين ، تتسافد وتتلاقح ، [ويجيء منها الراعبيُّ والورداني ؛ ونجد الفَواخِت والقماريّ تتسافد وتتلاقح] ، مع ما ذكرنا من التشابُه في تلك الوجوه . وهذا كلُّه يدلُّ على أنَّ بعضها من بعْضٍ كالبُخْتِ والعراب ونتائج مابينهما[4] ، وكالبراذين والعِتاق ، وكلها خيلٌ ، وتلك كلها إبل . وليس بين التَّدارج والقَبَج والحَجَلِ والدَّجاجِ هذه الأمورُ التي ذكرنا .

وعلى أنّا قد وجدْنا الأطواقَ عامّةً في ذواتِ الأوضاح مِنَ الحمام ، لأنَّ فيها من الألوان ، ولها من الشِّياتِ وأشكالِ [و][5] ألوان الريش ما ليس لغيرها من الطَّير . ولَوْ احْتَجَجْنا بالتَّسافدِ دونَ التَّلاقُح ، لكان لقائل مقال ، ولكنَّا وجدنَاهَا تجمع[6] الخصلتين ، لأنّا قدْ نجِدُ سَفهاءَ ٦٣

(١) الصيغة ، بالكسر : الهيئة والخلقة . وفي ط ، س : « وصفة » .
(٢) البراثن : جمع برثن ، وهو بمنزلة الإصبع من الإنسان .
(٣) ل : « الموصوف » .
(٤) ل : « وتناتج بينها » تحريف .
(٥) هذا الحرف ليس بالأصل .
(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « وجدنا مايجمع » .

النّاس ، ومن لايتقذّر(١) من الناس والأحداث(٢) ومن تشتدُّ غلمته عند احتلامه ، ويَقِلُّ طَرُوقُه(٣) ، وتطول عُزْبته(٤) ؛ كالمعْزِب(٥) من الرِّعاء(٦) فإنّ هذه الطَّبَقَةَ من النّاس ، لم يَدَعوا(٧) نَاقَةً ، ولا بقرَةً ، ولا شاةً ، ولا أتاناً ، ولا رَمَكَةً ، ولا حِجْراً ، ولا كلبةً ، إلّا وقد وقعوا عليها .

ولَوْلَا أَنَّ فى نفوسِ النَّاس وشَهوَاتِهمْ ما يدعو إلى هذه القاذورة(٨) ، لَمَا وجدْتَ هذا العمَلَ شائعاً فى أهل هذه الصفة(٩) ، ولَوْ جمعتَهم لجمعتَ أكثَرَ من أهلِ بغْدَادَ والبصرة . ثم لم يُلقحْ واحد(١٠) منهم شيئاً من هذه الأجناس على أنّ بعض هذه الأجناس يتلقى(١١) ذلك بالشَّهوةِ المفْرطة .

ولقد خبَّرنى من إخوانى من لا أتَّهِمُ خَبَرَه أنّ مملوكاً كان لبعض أهل القَطيعة — أعنى قطيعة الربيع(١٢) — وكان ذلك المملوكُ يَكومُ بغلةً

---

(١) ل ، س : « يتقزز » ، ومعنياهما متقاربان .

(٢) ل : « من الأحداث » .

(٣) الطروق : مصدر طرق الفحل الأنثى . وفى الأصل : « تقل طروقته » والطروقة بالفتح : المرأة ، وبهذه يفسد المعنى .

(٤) العزبة ، بالضم : ألا يكون للمرء أهل .

(٥) المعزب : الذى أبعد بماشيته .

(٦) الرعاء ، بضم الراء وكسرها : جمع راع ، ومثله الرعاة . وبهذه الأخيرة جاءت الرواية فى ل .

(٧) ط ، س : « لم يرعوا » ، وليست ترعى الكلبة .

(٨) القاذورة : الفعل القبيح .

(٩) ل : « فى هذه الصفة » ولعل صوابهما : « فى هذه الطبقة » .

(١٠) ل : « أحد » .

(١١) على بمعنى مع . وفى ط ، س : « وعلى أنها تتلق ذلك بالشهوة المفرطة » .

(١٢) القطيعة : ما يقطعه الأمير الناس من الأرض التى لاملك لأحد عليها ، ولا عمارة توجب ملكا لأحد . ويظهر أن أول من توسع فى هذا النظام فى الإسلام هو الخليفة المنصور . معجم البلدان (قطيعة) . وقد تحدث الماوردى فى الأحكام السلطانية (١٦٨ — ١٧٥) حديثا مسهبا فى هذا النظام . والربيع هذا هو الربيع بن يونس حاجب المنصور ومولاه ، وهو والد الفضل وزير المنصور ، وهذه القطيعة كانت بكرخ بغداد . معجم البلدان .

وأنّها كانت تودق وتتلمّظ(١) وأنّها(٢) فى بعض تلك الوَقَعاتِ تأَخَّرَتْ وهو موعبٌ فيها ذكرَه تطلبُ الزيادة، فلم يَزَل المملوكُ يتأخّرُ وتتأخَّرُ البغْلة حتَّى أسندتْه إلى زاويةٍ مِنْ زَوايا الإصطبل، فَاضَّغَطَتْه حتّى بَرَدَ(٣)، فدخل بعضُ من دخل فرآه على تلك الحال(٤) فصاح بها [فتنحّتْ] وخرّ الغلام مَيِّتاً(٥) .

وأخبرنى صديقٌ لى قال : بلغنى عن بِرْذَوْنٍ لزُرْقان(٦) المتكلِّم، أنّهُ كان يدربخ(٧) للبغال والحمير والبراذين حتى تكومَهُ، قال: فأقبلت يوماً فى ذلك الإصطبل، فتناولت المجرفة(٨)، فَوَضَعَتُ رأس عودِ المِجْرَفَةِ(٨) على

---

(١) تودق : تريد الفحل . ل : « تتودق » . تتلمظ : تخرج لسانها كتلمظ الآكل . ط س ، : « تلمظ » .

(٢) ط : » فإنها » ووجهه فى ل ، س .

(٣) « اضغطته » بقلب تاء الافتعال ضادا ، شذوذ صرفى ، قياسه : اضطغطته . وحكى صاحب اللسان : « اضتغط » . قال : « والقياس اضطغط » . ولم أرها إلا متعدية بعلى . وبرد : مات .

(٤) ل : « فاذا هو على تلك الحال » .

(٥) ل : « فخر العبد ميتا » . خر : سقط .

(٦) زرقان هذا هو غلام إبراهيم بن سيار النظام وتلميذه ، واسمه محمد بن شداد بن عيسى ، كما فى معجم البلدان (المسامعة) . وقد حكى زرقان عن النظام أقوالا فى الفرق ٥٠ — ٥١ وقد عده المسعودى فى التنبيه والإشراف ٣٤٢ . ط ، س :« لوزقان » ل :« لذرقان » وهو تحريف .

(٧) يدربخ لها : يطاوعها فيما تطلب منه ، وأصل ذلك فى الحمام . وفى ط ، س : « يشمع » ومؤداهما واحد .

(٨) المجرفة : المكنسة وزنا ومعنى . ط ، س : « المحرفة » تصحيف مافى ل .

مَرَاثِه[١] وإنّه لأكْثرُ مِن ذرَاعٍ ونصف[٢] ، وإنه لَخشِنٌ غليظٌ غير محكوك [الرأس] ولا مُمَلّسِه[٣] ، فدفْعته حتى بلغ أقصى العود ، وامتنع من الدُّخول ببدن المِجْرفة . فحلَفَ أنّه ما رآه تأطّرَ ولا انثنى .

قال صاحب الحمام : فهذا فرق مابيننا وبينكم .

(ما وصف به الحمام من الإسعاد وحسن الغناء والنوح)

ونَذْكر[٤] ما وُصِف به الحمامُ من الإسعاد[٥] ، ومن حُسْن الغِناء والإطراب والنَّوح والشّجَا[٦] . قال الحسن بن هانئ :

إذا ثَنَتْه الغصون جلّلنى   فَينانُ مَافى أديمه جُوَبُ[٧]

---

(١) الكلام من : « فوضعت » ساقط من ل . والمراث : مخرج الروث .

(٢) ط ، س : « وهو أكثر » الخ . وما أثبت من ل أشبه بالكلام .

(٣) ط ، س : « ولا ملين » .

(٤) فى الأصل : « وذكر » .

(٥) الإسعاد : المعاونة والمشاركة فى البكاء والنوح . والعرب يعرفون ذلك من الحمام ، والشعر الآتى وما بعده ناطق به . وفى الأصل : « الأشعار » وهو تحريف خفى ، صوابه ما أثبت .

(٦) الشجا : التطريب . ل : « الشجى » ومادته واوية .

(٧) ثنته الغصون ، يعنى ظل العنب . جللنى : غطانى . والفينان : أصله الحسن الشعر الطويله ، وأراد به الغصون المشبهة بالشعر . والجوب : جمع جوبة بالفتح بمعنى الفجوة . وفى ط ، س والديوان : « جرب » وما أثبت من ل أجود وأصح . وقبل هذا الأبيات فى الديوان ٢٤٢ :

قطربل مربعى ولى بقرى الكر   خ مصيف وأمى العنب

ترضعنى درها وتلحفنى   بظلها والهجير يلتهب

تبيتُ في مأتمٍ حمائمهُ ... كما تُرِنُّ الفواقدُ السُّلُبُ[1]

يَهِبُّ شوقي وشوقُهُنَّ معاً ... كأنَّما يستخفُّنا طرب[2]

وقال آخر[3] :

لقد هتفتْ في جُنحِ لَيلٍ حَمامةٌ ... على فَنَنٍ وهناً[4] وإنِّي لَنائمُ

فقلتُ اعتذاراً عند ذاكَ وإنَّني[5] ... لنفسي مِمَّا قد سَمِعتُ لَلائمُ

كذبتُ وبيتِ اللهِ لو كنتُ عاشقاً ... لما سَبَقَتْنِي بالبُكاءِ الحَمائمُ

٦٤ وقال نصيب :

ولو قَبْلَ مَبْكاها بَكَيتُ صبابَةً ... بسُعدى شَفَيتُ النَّفسَ قبلَ التندُّمِ

ولكنْ بَكَتْ قَبلي فهيَّج لي البُكا ... بُكَاها فقلتُ الفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

وقال أعرابي :

عليكِ سَلامُ اللهِ قاطعةَ القُوى[6] ... على أنَّ قَلبي للفِراق كليمُ

---

(١) ترن : من الإرنان ، وهو الصياح والتصويت . وفي ل : « ترثى » وهي صحيحة ، يقال رثى الميت ورثاه ، بالتشديد : بكاه وعدد محاسنه . وفي الديوان : « تراءى » وهي رواية غير مقبولة . الفواقد : جمع فاقد ، وهي التي مات زوجها أو ولدها . والسلب بمعنى الفواقد ، جمع سلوب .

(٢) كذا في ل والديوان . وفي ط ، س : « الطرب » . وهذا البيت هو الثاني في ط . وصواب الترتيب ما أثبت من ل ، س والديوان .

(٣) هو نصيب الأكبر مولى بني مروان ، كما في حماسة أبي تمام (٢ : ٩٧) .

(٤) الوهن : نحو نصف الليل ، أو بعد ساعة منه . وفي ط ، س : « تبكى » وأثبت ما في ل والحماسة .

(٥) ط : « ذا عندك » وهو تحريف مطبعي صوابه في س والحماسة . وهذا البيت ساقط من ل .

(٦) قوى الحبل : طاقاته ، جمع قوة . أراد أنها قطعت حبل وده .

قريحٌ بتغريدِ الحمامِ إذا بكت[١] وإن هبَّ يوماً للجَنُوبِ نَسيم[٢]

[وقال] المجنونُ ، أو غيره :

ولو لم يَهِجْنى[٣] الرائحون لهَاجَنِي حمائمُ وُرقٌ فى الدِّيارِ وُقوعُ

تجاوَبْنَ فاستبْكَيْنَ من كانَ ذا هوًى نوائِحُ لا[٤] تجرِى لهنَّ دُموعُ

[وقال الآخر] :

ألا ياسَيَالاتِ الدَّحائِلِ[٥] باللِّوى[٦]

عليكنَّ من بَين السَّيالِ سَلامُ

أرَى الوَحْشَ آجالًا[٧] إليكنَّ بالضحى

لهنَّ إلى أفيائكنَّ[٨] بُغام[٩]

---

(١) ل ، « يقرفه نوح الحمام إذا دعا » . يقال قرف الجرح : قشره قبل أن يبرأ .

(٢) ل : « وإن هب من ريح الجنوب نسيم » . س : « أو أن يهب للجنوب نسيم » .

(٣) ل : « ترعنى » وصواب هذه الرواية : « يرعنى » .

(٤) ل : « ما » .

(٥) الدحل بالفتح : نقب فى الأرض ضيق فمه ، ثم يتسع أسفله حتى يمشى فيه ، وهو أشبه ما يكون بهذه المخابئ الصناعية التى يحتمى بها الناس وقت الحرب . والجمع أدحل وأدحال ودحال ودحول ودحلان . وجمع الجمع دحائل . والدحائل هنا فى البيت لعلها اسم موضع بعينه ، كما قال ياقوت . وجاءت محرفة فى الأصل، فهى فى ط : « الأخايل » و س : « الأحايل » و ل : « الدخايل » . والصواب ماأثبت من معجم البلدان حيث وردت الأبيات . والسيالات : جمع سيالة ، كسحابة ، وهى واحدة السيال ، نبات له شوك أبيض طويل إذا نزع خرج منه شبه اللبن .

(٦) ل : « بالضحى » ووجه الرواية ما أثبت من ط ، س والمعجم .

(٧) آجال : جمع إجل ، بالكسر ، وهو القطيع من بقر الوحش . ط ، س : « اجلالا » وهو تحريف . ورواية المعجم : « أرى العيس آحادا » .

(٨) الأفياء : جمع فىء ، وهو الظل . ط فقط : « أفنانكن » تحريف يتهافت به البيت . ورواية المعجم : « أطلالكن » .

(٩) البغام : التصويت . ل : « نام » وضبطت بضم النون ، ولم أرلها وجها .

وإنِّى لمجلوبٌ لِىَ الشَّوقُ كلما ⁂ ترَنَّمَ فى أفنانكنَّ[1] حَمامُ

وقال عمرُو[2] بن الوليد :

حال مِنْ دونِ أنْ أحُلَّ بهِ النَّأ ⁂ ىُ وصَرْفُ النَّوَى وحَرْبٌ عُقَامُ[3]

فتبدَّلْتُ من مَسَاكِنِ قَوْمى ⁂ والقصـور التى بهـا الآطامُ

كلَّ قصرٍ مشيَّدٍ ذى أواسٍ[4] ⁂ تتغـنَّى على ذُراه الحمـامُ

وقال آخر[5] :

ألا يا صَبَا نجدٍ متى هِجْتَ مِن نَجدِ ⁂ فقد هاجَ لى مَسراكَ وجداً عَلَى وَجْدِ[6]

أأن هَتَفتْ ورقاءُ فى رَوْنقِ الضُّحَى ⁂ عَلَى غُصُنٍ غضٍّ النَّباتِ مِن الرَّنْدِ[7]

---

(١) س : « أفيائكن » تحريف .

(٢) ل : « عمر » وصوابه ما أثبت من ط ، س والأغانى (١ : ٦) ، وكذا ذكره المرزبانى فى الشعراء ٢٤٠ فيمن اسمه « عمرو » من الشعراء . وهو عمرو ابن الوليد بن عقبة بن أبى معيط الأموى ، وقد غلب عليه لقب : « أبو قطيفة » . وكان يكثر القول فى حنينه إلى وطنه بالمدينة ، لما أخرجه ابن الزبير عنها مع من أخرج من بنى أمية ونفاهم إلى الشام . وفى ذلك يقول الأبيات الآتية . وقبلها :

ليت شعرى وأين منى ليت ⁂ أعلى العهد يلبن فبرام

أم كعهدى العقيق أم غيرته ⁂ بعدى الحادثات والأيام

وبأهلى بدلت عكا ولخما ⁂ وجذاما وأين منى جذام

(٣) ل : « أصـل به النأى » محرف . والحرب العقام ، بضم العين وفتحها : الشديدة .

(٤) أواس : جمع آسية ، على فاعلة : وهى الدعامة أو السارية . ويروى : « أواش » قال أبو الفرج : كأنه أراد به أن هذه القصور موشية أى منقوشة .

(٥) هوعبد الله بن الدمينة الخثعمى ، كما فى الحماسة (٢ : ١٠٠) . والأبيات فى ديوان ابن الدمينة ٢٩ ثم ٢٨ .

(٦) الصبا ، بالفتح : الريح الشرقية . ل : « جهداً من الجهد » .

(٧) أأن : أى ألأن ؟ ورواية الديوان والحماسة : « على فنن » . والرند : شجر طيب الرائحة .

بكيتَ كما يبكِى الوليدُ ولم تكنْ
جَليداً وأبْدَيتَ الذى لم تكنْ تُبدى[١]

وقد زعموا أنّ المحبَّ إذا دنَا[٢] يُمَلُّ، وأنّ النّأىَ يشفِى منَ الْوَجْد

بكلٍّ تَدَاوَيْنا فلم يَشْفِ ما بنا عَلَى أنّ قُربَ الدّارِ خيرٌ من البُعْد[٣]

(أنساب الحمام)

وقال صاحب الحَمام : للحمام مجاهيل ، ومعروفات ، وخارجيّات ، ومنسوبات . والذى يشتملُ عليه دواوينُ أصحاب الحَمام أكثرُ من كتب النَّسب التى تضاف إلى ابن الكلبىِّ ، والشَّرقىِّ بن القطامىّ ، وأبى اليقظان[٤] ، وأبى عُبيدة النحوىِّ ؛ بل إلى دَغْفَلِ بن حنظلة ، وابن لسان الُحمَّرة[٥] ، بل إلى صُحارٍ العبدىِّ . وإلى أبى السَّطّاح اللّخمى[٦] ، بل إلى النَّخّار ٦٥

(١) الجليد : الصبور . ط ، س : « كنت لاتبدى » وأثبت رواية ل والحماسة والديوان .

(٢) ط ، س : « نأى » وهو تحريف يفسد المعنى ، وهو على الصواب فى ل والحماسة والديوان .

(٣) بعد هذا البيت – وكان جديراً بالجاحظ أن يثبته ؛ لأنه يتم المعنى – :

على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذى ود

(٤) فى الأصل : « ابن أبى اليقظان » ، والصواب ما أثبت . وانظر ترجمة أبى اليقظان فى الجزء الثانى ص ١٠ .

(٥) سبقت ترجمته فى (٢ : ٢٠٠) ، وترجمة صحار فى (١ : ٩٠).

(٦) وكذا فى البيان (١ : ٣٦٢) وفى بعض نسخ البيان : « أبو الشطاح »، وفى الفهرست ١٥٦ : « ابن النطاح »، وذكر أن اسمه محمد بن صالح .

العذرىِّ[١] ، وصُبيح[٢] الطائىِّ ، بل إلى مَشْجور[٣] بن غيلان الضَّبىِّ ، وإلى سَطِيح الذئبىِّ[٤] ، بل ابن شرِيَّة الجُرْهُمِىِّ[٥] ، وإلى زيد بن الكيِّس النَّمَرِىِّ ؛ وإلى كلٍّ نسَّابَةٍ راويَةٍ ، وكلٍّ متفنِّن علّامة .

ووصف الهذيل المازنىُّ ، مثنَّى بنَ زُهيرٍ وحفظَه لأنساب الحمام ، فقال : واللهِ لهو أنسَبُ من سعيد بن المسيِّب ، وقَتادةَ بن دِعامة[٦] للنَّاس ، بل هو أنسبُ من أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه ! لقد دخلت على رجلٍ

---

(١) النخار العذرى ، هو النخار بن أوس ، قال فيه صاحب القاموس : أنسب « العرب » . وكان معاصرا لجميل الشاعر ، وقد هجاه بشعر فى الأغانى (٧ : ٩٥) وقد ذكر الجاحظ فى البيان (١ : ١٠٥) علة تسميته بالنخار : قال : « كان إذا تكلم فى الحمالات ، وفى الصفح والاحتمال ، وإصلاح ذات البين ، وتخويف الفريقين من التفانى والبوار — كان ربما ردد الكلام على طريق التهويل والتخويف ، وربما حمى فنخر » . وفى البيان (١ : ٢٣٧) خبر طريف له مع معاوية . وانظر تلطف معاوية معه فى البيان (١ : ٣٣٣) .

(٢) ل : « صلح » وفى البيان (١ : ٣٠٤) : « صبح الحنفى » .

(٣) ط : « ميجور » س : « متجوز » وصوابه ما أثبت من ل والقاموس والبيان (١ : ٣٤١). وفيه يقول القلاخ بن حزن المنقرى :

إذا قال بذ القائلين مقاله ويأخذ من أكفائه بالمخنق

ولجرير فيه هجاء . انظر ديوانه ٢٣٣ .

(٤) سطيح الذئبى ، قال ابن إسحق فى السيرة ٤٧ جوتنجن : « وكانت العرب تقول لسطيح : الذئبى ؛ لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب » . وسطيح هذا هو الكاهن الجاهلى ، وهو وشق الكاهن المعاصر له ، كانا قد طلبهما ربيعة ابن نصر ملك اليمن ليعبرا له رؤيا هالته — زعموا — فاتفقا فى تعبير الرؤيا وبشرا برسالة الرسول الكريم ، بأسجاع تجدها فى أوائل السيرة . ط ، س : « الديلى » ، وهو تحريف صوابه فى السيرة والبيان (١ : ٢٩٠) . وقد ذكر فى المعمرين ص ٤ .

(٥) هو عبيد بن شرية — ويقال سرية ، ويقال سارية — الجرهمى ، أحد معمرى العرب وأدرك الإسلام فأسلم ، وقدم على معاوية بن أبى سفيان ، وجرى بينهما حديث طويل طريف تجده فى معجم الأدباء (١٢ : ٧٣) والمعمرين ٣٩ . وهو أول من نسب إليه كتاب فى التاريخ من المسلمين . انظر الفهرست ٨٩ ليبسك ١٣٢ مصر . وشرية ، بوزن عطية ، كما فى الإصابة ٦٣٩١ .

(٦) هو قتادة بن دعامة السدوسى البصرى ينتهى نسبه إلى الحارث بن سدوس ، ولد =

أعرفَ بالأمَّهاتِ المنْجبات من سُحَيم بن حفص[١] ، وأعرفَ بما دخلَها من الهُجْنة والإقراف ، من يُونسَ بنِ حبيب .

(ممـا أشبه فيه الحَمام الناس)

قال : ومِمَّا أشبَهَ فيه الحَمامُ النَّاسَ في الصُّوَر والشَّمائِلِ ورقّة الطباع ، وسُرعة القَبول والانقلاب[٢] ، أنّك إذا كنتَ صاحبَ فِراسةٍ ، فمرَّ بك رجالٌ بعضُهم كوفىٌّ ، وبعضُهم بَصرىٌّ ، وبعضُهم مَدَنِىٌّ[٣] ، وبعضهُم شامىٌّ وبعضُهم يمانىٌّ ، لم يَخْفَ عَليك أمُورهم فى الصُّوَر والشمائِلِ والقُدودِ والنَّغم أيّهم[٤] بصرىٌّ ، وَأيُّهم كوفىٌّ ، وَأيّهم شامىٌّ ، وَأيهم يمانىٌّ ، وَأيهم مدنىٌّ . وكذلك الحمام ؛ لا[٥] ترَى صاحبَ حَمـامٍ تخفَى عليه نسب الحمام[٦] وجنسها وبلادُها إذا رآها .

= أعمى ، وكان تابعيا عالما كبيرا نسابة ، وكان ذا علم فى القرآن والحديث والفقه ، أخذ عن الحسن البصرى وابن سيرين . وقد أثر عنه النسيان : قال يوما : مانسيت شيئاً قط ! ثم قال : ياغلام ناولنى نعلى . فقال : نعلك فى رجليك ! ! ولد سنة ٦٠ وتوفى سنة ١١٧ فى أيام هشام بن عبد الملك . وفيات الأعيان ، ومعجم الأدباء ، والمعارف .

(١) هو أبو اليقظان الذى سبقت ترجمته فى (٢ : ١٠) .

(٢) ط ، س : « للألقاب » .

(٣) كذا فى ط ، س وهو الوجه . جاء فى معجم البلدان : « والمشهور عندنا أنه النسبة إلى مدينة الرسول ، مدنى ، مطلقاً . وإلى غيرها من المدن ، مدينى ؛ للفرق لا لعلة أخرى . وربما رده بعضهم إلى الأصل فنسب إلى مدينة الرسول أيضاً مدينى ». وفى ل : « مدينى ».

(٤) ط ، س : « أنه » مكان « أيهم » فى مواضعها الخمسة .

(٥) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « ألا » .

(٦) ط ، س ، « جماعته » .

(مبلغ ثمن الحمام وغيره)

وللحمام من الفضيلة والفخْر ، أنَّ الحمامَ الواحدَ يباعُ بخمسمائة دينار ، ولا يبلغ[1] ذلك بازٍ ولا شاهينٌ ، ولا صقرٌ ولا عُقاب ، ولا طاوس ، ولا تَدْرَجٌ ولا ديكٌ ، ولا بعيرٌ ولا حمارٌ ، ولا بغلٌ . ولو أردْنَا أن نحقِّقَ الخبرَ بأنَّ برذوناً أو فرَساً بيع بخمسمائة دينار ، لما قدَرْنَا عليه إلاَّ فى حديث السَّمَر[2] .

وأنت إذا أردْتَ أن تتعرَّف مبلغَ ثمنِ الحَمام الذى جاء من الغايَةِ ، ثمَّ دخلْتَ بغدادَ والبصرةَ وجدْتَ ذلك بلا معاناة . وفيه أنَّ الحمام إذا جاء من الغاية بيع الفَرخُ الذَّكرُ من فراخه بعشرين ديناراً أو أكثر ، وبيعَت الأنثى بعشرة دَنَانير أو أكثر ، وبيعَت البيضة بخمسة دنانير . فيقوم الزَّوج منهما [فى الغَلَّةِ] مقام ضيعة ، وحتى[3] ينهَضَ بمُؤْنَةِ العِيال ، ويَقضىَ الدَّين ، وتبنى من غلاَّتِه وأثمانِ رقابهِ الدُّورُ الجياد[4] ، وتُبتاع الحوانيتُ المغِلَّة . هذا ؛ وهى فى ذلك الوقتِ مَلْهًى عجيبٌ ، ومنظرٌ أنيق ، ومعتَبَرٌ لمنْ فكَّر ، ودليلٌ لمن نظرَ[5] .

---

(١) ل : « ولم » .
(٢) السمر ، أصله الحديث ليلا . ولكنه يراد به فى مثل هذا الموضع حديث الخرافة . وقد جعل ابن النديم الخرافة والسمر مترادفين فى الفهرس (المقالة الثامنة) .
(٣) ط ، س : « حتى » .
(٤) ط ، س ونهاية الأرب (١٠ : ٢٧٥) : « والجنان » ، جمع جنة ، والجنان ليست مما يبنى . وصوابه فى ل ونثار الأزهار ٩٣ .
(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(عناية الناس بالحمام)

ومن دخل الحَجَر ورأى قصُورَها[1] المبنيَّة لها بالشَّامات[2] وكيف اختزانَ[3] تلك الغلاَّت ، وحِفْظَ[4] تلك المئونات ؛ ومن شهد أربابَ الحمام ، وأصحابَ الهُدَّى[5] وما يحتملون فيها من الكُلف الغِلاظِ أيَّامَ الزَّجْل ، فى حملانها على ظهور الرِّجال ، وقبل ذلك فى بُطون السفن ، وكيف تُفْرَدُ فى البيوت ، وتجمع إذا كان الجمع أمثل ، وتفرَّقُ إذا كانت التَّفرِقَةُ أمثل[6] وكيف تُنقلُ[7] الإنَاثُ عن ذُكورتِها ، [وكيفَ تنقَلُ الذُّكورَةُ عن إناثها] إلى غيرها ، وكيف يُخافُ عليها الضَّوَى[8] إذا تقاربت أنسابُها ، وكيف يُخاف على أعراقِها من دخول الخارجيَّات فيها ، وكيف يحتاط[9] فى صحَّة طَرْقها و نَجْلها[10] ؛ لأنَّهُ لاَ يُؤْمَن[11] أن يقمُط الأنثى ذكرٌ من

٦٦

---

(١) الحجر ، بالتحريك ، هو حجر شغلان ، كسلطان : حصن فى جبل اللكام قرب أنطاكية . والقصر : المنزل ، أو كل بيت من حجر .

(٢) الشامات هى بلاد الشام ، وتشمل الثغور ، وهى المصيصة وطرسوس وأذنة وأنطاكية ، وجميع العواصم من مرعش والحدث وبغراس وغير ذلك . ط ، س : « بالسامان » محرف .

(٣) ط ، س : « اقتران » ، ل : « أقدار » ، والوجه فيه ما أثبت .

(٤) ل : « وخفة » تحريف .

(٥) انظر ماأسلفت من تحقيق هذه الكلمة (٢ : ٧٩) فى التنبيه الثالث .

(٦) هذه الجملة ليست فى ل .

(٧) ط ، س : « تغفل » ، وصوابه فى ل .

(٨) الضوى : الهزال والدقة والضعف . ط ، س : « يحتال » .

(٩) ط ، س : « يحتال » .

(١٠) النجل : النسل وزنا ومعنى .

(١١) فى الأصل : « يأمن » .

عُرْضِ الحمام ، فيضربَ في النَّجلِ بنصيبٍ ، فتعتريه الهُجنة — والبيضة عند ذلك تنسب إلى طَرْقها[1] . وهم لا يحوطون أرحام نسائهم كما يُحوطون أرحامَ المنْجِبات من إناثِ الحمام . [ومن شهد أصحاب الحمام] عند زَجْلها من الغاية ، والذين يعلّمون[2] الحمامَ كيف يختارون لصاحب العلامات ، وكيفَ يتخَيَّرُون الثِّقة وموضعَ[3] الصِّدقِ والأمانَةِ ، والبُعدِ من الكَذِب والرِّشوة ، وكيفَ يتوخَّوْن ذَا التَّجربَة والمعرفة اللَّطيفة ، وكيف تسخو أنفسُهمْ بالجعالة[4] الرَّفيعة ، وكيف يختارون لحملها من رجال الأمانةِ والجَلَدِ والشَّفَقَةِ والبَصَر وحُسْنِ المعرفَةِ — لعَلم عند ذلك[5] صاحب الدِّيك والكلب أنَّهما لا يجريان في هذه الحلبةِ ، ولا يتعاطيانِ هذه الفضيلة[6] .

(بعض خصائص الحمام)

قال : وللحمام من حسنِ الاهتداء ، وجودَةِ الاستدلاَلِ ، وثَباتِ الحِفْظِ والذِّكْر ، وقوّةِ النِّزاع إلى أربابه ، والإلف لوطنه ، [ماليس لشيء]

---

(١) طرقها : أى طارقها ، وهو فحل الأنثى .

(٢) ل ، ط ، « يعملون » وهو تحريف ظريف ، صوابه فى س .

(٣) ط ، س : « فى موضع » ، ووجهه ما أثبت من ل .

(٤) الجعالة ، مثلثة : ماجعل للإنسان فى مقابل عمله .

(٥) لعلم : جواب : « ومن دخل الحجر . . » الخ فى ص ٢١٣ . ط ، س : « ذلك عند » وصوابه من ل .

(٦) ط ، س : « القضية » ، بمعنى الحكم .

وكفاك اهتداءً ونزاعاً أن يكون طائرٌ من بهائم الطير ، يجيء من بَرْغَمَة[(١)] ، لا بَلْ من العليق ، أو من خَرشنة[(٢)] [أ] وْ من الصفصاف[(٣)] ، لاَ بَلْ من البَغْراس[(٤)] ، ومن لؤلؤة[(٥)] .

ثمَّ الدَّليلُ على أنه يَستدلُّ بالعقلِ والمعرفة ، والفِكرةِ[(٦)] والعناية ، أنَّه إنما يجيء من الغايةِ على تدريج وتَدْرِيبٍ وتنزيل[(٧)] . والدليل عَلَى علم أربابهِ بأنّ تلك المقدَّمات قد نَجعنَ فيه ، وعملن فى طِباعه ، أنّهُ إذا بلغ الرَّقَّة غمَّروا بهِ بكَرّةٍ[(٨)] إلى الدَّرب وما فوقَ الدَّرْب من بلاد الرُّوم ، بل لا يجعلون ذلك تغميراً[(٩)] ؛ لمكان المقدَّمات والترتيبات التى قد عُمِلت فيه وحَذّقته ومَرَّنته .

---

(١) برغمة : مدينة من بلاد الروم . ذكرها ابن بطوطة فى رحلته (١ : ٢٣١) . وضبطت بباء موحدة مفتوحة ، وراء مسكنة وغين معجمة مفتوحة وميم مفتوحة . ط ، س : « ركة » ل : « رعمة » . ولعل صوابهما ما أثبت .

(٢) خرشنة : بلد قرب ملطية من بلاد الروم . معجم البلدان . وفى ط ، س : « حوساء » .

(٣) الصفصاف : كورة من ثغر المصيصة والمصيصة . من ثغور الشام ، بين أنطاكية وبلاد الروم . والمراد ببلاد الروم مايعبر عنه اليوم بتركية آسيا .

(٤) بغراس ، بالفتح : مدينة فى لحف جبل اللكام — بضم اللام — بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ . وفى الأصل : « النقراس » ، وهو تحريف ما أثبت من المعجم والقاموس . وهذه الكلمة وكلمة و« من » بعدها ساقطتان من ل .

(٥) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٧) كذا فى ل . وفى ط : « عن التدريج والتدرب والتنزيل » وفى س مثل مافى ط مع إبدال كلمة : « والتدرب » بجعلها : « التدريب » .

(٨) غمروا به : دفعوا به . فى ط ، س : « غمزوا أنه قطرة » ، وهو تحريف صوابه فى ل .

(٩) ط ، س : « تغميزا » ، وهو تصحيف ما فى ل .

ولو كان الحمام ممَّا يُرسَل باللّيل[(١)] ، لـكان مِمَّا يستدِلُّ بالنُّجوم ؛ لأنّا رأيناه يلزَم بَطنَ الفُرات ، أو بطنَ دِجلة ، أو بُطونَ الأوديةِ التى قد مرَّ بها ، وهو يرى ويُبصِرُ ويفهَمُ انحدارَ المـاء ، ويعلمُ بَعْدَ طُولِ الجَوَلانِ [و][(٢)] بَعْدَ[(٣)] الزِّجال ، إذا هو أشرف عَلَى الفُرات أو دِجلة ، أنّ طريقَه وطريقَ المَاء واحد ، وأنهُ ينبغِى أن ينحدِر مَعهُ .

وما أكثَرَ مَا يستدلُّ بالجَوَادِّ[(٤)] من الطُّرُق إذا أعيتْهُ بطونُ الأودية . فإذا لم يَدْرِ أمُصْعِدٌ هو أمْ مُنْحَدِرٌ ، تَعَرَّفَ ذلك بالرِّيح ،ومواضعِ[(٥)] قُرْصِ الشمس فى السماء . وإنَّما يحتاج إلى ذلك كلِّه إذَا لم يكُن وَقَعَ بعدُ عَلى رسم يعمَلُ عليه[(٦)] . فربَّما كرَّ[(٧)] حين يزجل بِهِ[(٨)] [يميناً و] شِمالاً ، وجنوباً وشَمالاً ، وصَباً ودَبُورًا — الفَرَاسِخَ الـكثيرةَ وفوقَ الـكثيرة . ٦٧

---

(١) ل : « بالحيل » ، وصوابه من ط ، س ونثار الأزهار ٩٣ .

(٢) زدتها لحاجة الكلام إليها .

(٣) كذا فى ل ، ط . وفى س : « بقدر » .

(٤) الجوادّ : جمع جادة ، وهى معظم الطريق . وفى ط ، س : « بالجوّ أو » ، تحريف .

(٥) كذا فى ل ونثار الأزهار . وفى ط ، س : « وبموضع » .

(٦) كلمة « على » ساقطة من س . وفى الأصل : « يعمل به عليه » ، والوجه ما أثبت من نثار الأزهار .

(٧) كرّ : عطف ، أى مال فى سيره . ل ، وكذا نثار الأزهار : « كسر » .

(٨) كذا فى ل . وفى ط ، س : « حتى يرحل » وهذا تحريف وتصحيف .

(الغُمر والمجرَّب من الحمام)

وفى الحمام الغُمْر والمجرَّب . وهم لا يُخاطِرون بالأغمار لوجهين : أحدهما أن يكون الغُمْر عريفاً[١] فصاحبُه يضنُّ به ، فهو يريدُ أن يدرِّبه ويمرِّنَه[٢] ثمَّ يكلفه بعدَ الشيء الذى اتّخذه له ، وبسببه[٣] اصطنعه [واتّخذهُ] . وإمَّا أن يكونَ الغمْر مجهولاً ، فَهو لا يتعنَّى[٤] ويُشقى نفسَه ، ويتوقَّعُ[٥] الهِدَايةَ من الأغمارِ المجاهيل .

وخَصلةٌ أخرى : أنّ المجهولَ إذا رَجَعَ مع الهُدَّى[٦] المعروفاتِ ، فحملهُ معها إلى الغَاية[٧] فجاء سابقاً ، لم يكنْ له كبيرُ ثمنٍ حتَّى تتلاحق به[٨] الأولاد . فإنْ أنْجَبَ فيهنَّ صار أباً[٩] مذْكوراً ، وصار نَسَباً[١٠] يرجَع إليه ، وزاد ذلك فى ثمنه .

---

(١) العريف : المعروف ، وبه سمى عريف القوم : أى رئيسهم . وأراد به المعروف النسب . وفى ل : « عريقا » ، من قولهم : فلان عريق النسب .

(٢) ل : « وهو على أن يدربه أو يمرنه » .

(٣) هذه الكلمة وكذلك كلمة « اتخذه » قبلها ، ساقطتان من ل .

(٤) يتعنى : ينصب ، أى يتعب . ط ، س : « يبقى » تحريف مافى ل .

(٥) ط ، س : « وتتوقع » ، وهو خطأ .

(٦) انظر الجزء الثانى من الحيوان ص ٧٩ التنبيه الثالث .

(٧) فحمله ، ضمير الفاعل عائد إلى صاحب الحمام ، وضمير المفعول راجع إلى المجهول من الحمام ، وضمير « معها » عائد إلى « الهدى » . وفى س : « معه » ويصح فإن « الهدى » جمع هاد كما سبق فى الجزء الثانى . والأفضل ماأثبت من ط ، ل .

(٨) ل : « له » وكلاهما جائز .

(٩) ط ، س : « أبدا » وهو تحريف ماأثبت من ل .

(١٠) ط : « نسيبا » .

فأمَّا المجرَّب غير الغَمر ، فهو الذى قد عرَّفوه الوُرودَ والتحَصُّب[١] ؛ لأنّه متى لم يقدرْ عَلَى أن ينقضّ حتَّى يشربَ المَاء من بطون الأوديةِ[٢] والأنهــارِ والغُدْران ، ومناقع[٣] الميــاه ، ولم يتحَصَّب[٤] بطلب بُزُورِ البراريِّ ، وجاعَ وعطش — الْتمسَ مواضعَ النــاس . وإذا مرَّ بالقرى والعُمْــران[٥] سقط ، وإذا سقط أُخِــذ بالبَايْــكِير[٦]

---

(١) المراد بالورود ورود المـاء . وفى ط ، س « بالورود » ولايصـح ؛ لأن « عرف » لاتتعدى بالباء ، إلا فى معنى آخر ، فيقال : عرفه بزيد ، أى سماه بزيد ، وعرفه بكذا : أى وسمه به . انظر اللسان . والتحصب ، بالحاء المهملة : خروج الحمام إلى الصحراء لطلب الحب ، وإنما يريدونه على ذلك ليعتاد البعد عن المدن حتى لايقع فى أيدى الناس . ط : « والتخصب » ، س : « والتخضب » وصوابهما فى ل .

(٢) كذا فى س . وفى ط : « من بطون أوســاط الأودية » . وفى ل : « من أوساط الأودية » .

(٣) المناقع : جمع منقع كجمع ، وهو الموضع يستنقع فيه الماء . وفى ط ، س : « مواقع »، وليس من لغة الجاحظ .

(٤) انظر التنبيه الأول من هذه الصفحة . ط : « يتخصب » س : « يتخضب » محرفتان عما فى ل .

(٥) المراد بالعمران : المواضع العامرة بالناس . ل : « الغمران » ولا وجه له .

(٦) كتب إلى حضرة المحقق الـكبير الأب أنستاس مارى الـكرملى ، بمــا يأتى : « البايكير » بباء موحدة تحتية ، يليها ألف فياء مثناة ساكنة ، فـكاف فارسية مثلثة مكسورة ، فياء مثناة تحتية ساكنة فراء — : كلمة فارسية مركبة من : باى وهو نوع من الطـير يسمى بالعربية : بوهة ، وبالفرنسية : Effraie naine وبالإرمية باوا . ومن « گير » ، ومعناها جاذب . ومحصل اللفظين : جالب البوهة ويراد بذلك مصيدة تحبك بالحبال عيونا كعيون شبـكة صيد السمك ، وتجعل على شكل سلة كبيرة تقلب على فها . وقد دبر فيها بابان : باب خارجى أو أصلى ، وباب داخلى ، أو فرعى . فالباب الخارجى ، أو الأصلى ، يراه كل ناظر إليه . أما الداخلى فيـكون فى مثل دهليز يمتد من الباب الخارج ، ويفتح على يمين الطائر الداخل إليه أو على يساره . فيدخل الطائر من الباب الأول ، ثم إذا صار فى =

وبالقَفَّاعــة[١] وبالمِلْقَفِ[٢] وبالتَّدْبيق[٣] و بالدُّشَاخِ[٤] ؛ ورمى أيضا بالجُلاهِق[٥] ، وبغير[٦] ذلك من أسبابِ الصَّيد .

والحمام طائرٌ مُلَقًّى غير مُوَقًّى[٧] ، وأعداؤُه كثير ، وسباعُ الطَّير تَطلُبه أشدَّ الطَّلب . وقد يترفَّع مع الشّاهين[٨] ، وهو للشاهين أخْوَف . فالحمامُ

= الدهليز يبحث عن الباب الآخر فيجده على يمينه ، أو يساره ، حسبما دبر فى أول صنع المصيدة ، فإذا وجده ولجه ذاهبا إلى بطن السلة ليجد الطائر الذى يطلبه . فإذا دخل ، ثم حاول الخروج عائداً إلى موطنه الأول لايهتدى إلى الباب الداخلى لأنه مزور عن الخارج ، فيقبض عليه أسيرا ، أو محاولا التخلص من مأزقه . ووضعت البوهة لتكون ملواحا لسائر الطير ، فإن هذا الملواح يضطرب فتراه بعض إخوته الطير ، فتدخل لتنقذه من ورطته ، أو لترافقه فى أسره ، أو لتشاطره طعامه ، أو لتصيب شيئاً من نعيمه . فيؤخذ المخدوع بهذه الحيلة اللطيفة الدقيقة على فهم الطائر ، بدون أن يجرح المصيد » اه .

(١) القفاعة كرمانة : شىء يتخذ من جريد النخل ، ثم يغدف به على الطير فيصاد . يغدف : يسبل .

(٢) آلة من آلات الصيد . ط ، س : «باللقف» .

(٣) التدبيق : الاصطياد بالدبق . والدبق ، بكسر الدال : غراء يصاد به الطير .

(٤) الدشاخ : وأكثرهم يكتبونها « الدوشاخ » كلمة فارسية مركبة من (دو) أى اثنين ، و (شاخ) أى شعبة ، أو طرف أو رأس . ومحصل عناها : ذو الشعبتين أو ذو الرأسين أو ذو الطرفين . وأكثر ماتكون هذه الآلة من حديد ، يصاد بها السمك ، فى دجلة والفرات . واسمها معروف هناك إلى يومنا هذا . كتب بذلك إلى حضرة المحقق الأكبر الأب أنستاس مارى الكرملى . قلت : وهذه الكلمة هى فى ط ، س : « وبالفخ » وصواب نصها من ل .

(٥) الجلاهق : البندق الذى يرمى به الصيد . فارسى معرب . ل : « وبالرمى بالجلاهق » .

(٦) ل : « وغيره » .

(٧) ملقى : أى يلقى عنتا من الناس والطير . وغير موقى : غير مصون من الأذى . ط ، س : « والحمام أنيس » الخ .

(٨) يترفع معه : أراد يطير معه طيراً سريعاً .

أطْيرَ منْهُ ومن جميعِ سباع الطير ، ولـكِنَّهُ يُذْعرُ فيجهَلُ بابَ المَخْلَص ويَعترِيه ما يعترى الحمارَ من الأَسدِ إذا رآه[1] ، والشاةَ إذا رأت الذِّئب ، والفارةَ إذا رأت السِّنَّور .

(سرعة طيران الحمام)

والحمامُ أشدُّ طيراناً من [جميع] سباع الطير ، إلَّا فى انقضاض وانحدار[2] ؛ فإنَّ تلك تنحطّ انحطاط الصخور . [و][3] متى التقت أُمَّةٌ[4] من سباع الطَّير ، أوْ جُفالةٌ[5] من بهائم الطير ، أو طِرْنَ عَلَى عَرَقَةٍ[6] وخيطٍ ممدود ، فـكلُّهَا يعتريها عندذلك التَّقصيرُ عما[7] ما كانت عليه، إذا طارت[8] فى غير جماعة .

---

(١) قالوا : إنه يفر إلى الأسد منه .

(٢) ل : « إلا فى الانقضاض والانـكدار » . والانـكدار بمعنى الانقضاض .

(٣) هذه الزيادة الضرورية من ل ، س .

(٤) الأمة ، بالضم : الجماعة ، كما فى اللسان . ل : « رامة » س : « وامه » ط : « وأمه »، وصواب ذلك كله ما أثبت .

(٥) الجفالة ، بالجيم : الجماعة ، وفى ط ، س : « حفالة » بالحـاء المهملة ، وهى بمعنى الحثالة : الردىء من كل شىء. وليس مرادا هنا ، فهى مصحفة عما فى ل .

(٦) العرقة ، بالتحريك : السطر من الطير ، جمعه عرق ، بالتحريك أيضا . وفى ط ، س : « غرفة » ولا تصح . و « طرن » محرفة فى الأصل فهى فى ط ، س : « طرف » وفى ل : « كن »، وقد جعلتها كما ترى .

(٧) ط ، س : « عند »، تحريف .

(٨) ل : « إذ كانت » .

ولن ترى جماعةَ طيرٍ أكثرَ طيراناً إذا كَثُرْنَ من الحمام ؛ فإنّهُنّ كلما التففن وضاق موضِعُهنّ كان أشدَّ لطيرانهنّ . وقد ذكر ذلك النَّابغة الذُّبيانىُّ فى قوله :

وَاحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الحَىِّ إذ نَظَرَت
إلى حمامٍ شراعٍ واردِ الثَّمَدِ[١]

يحفُّه جانبا نِيقٍ ويَتْبَعُهُ
مثلُ الزُّجاجةِ لم تُكْحَلْ من الرَّمَدِ[٢]

قالت : ألا لَيتَما هذا الحمامُ لنا
إلى حمامَتِنا ونِصْفُهُ فَقَدِ[٣]

فحسَبوه فألفوهُ كما حَسَبَتْ
تِسعاً وتِسْعِينَ لم تنقُصْ ولم تَزِدِ[٤]

فكَمَّلت مائةً فيها حمامتُها
وأسْرَعَتْ حَسْبَةً فى ذلك العَدَدِ[٥]

٦٨

---

(١) احكم : كن حكيما . وأراد بفتاة الحى : زرقاء اليمامة . و « شراع » هى رواية الأصمعى كما فى الخزانة (٤ : ٣٠٠ بولاق) . والشراع : التى شرعت فى الماء . والرواية المعروفة : « سراع » بالمهملة ، جمع سريعة . وهذه أوجه ؛ فإن بالأولى يكون التكرار ؛ إذ الشراع هن الواردات . والثمد : الماء القليل . والحمام وما أشبهه من أسماء الأجناس يجوز أن يعتبر جمعاً ومفرداً .

(٢) النيق ، بالكسر : الجبل أو أعلاه . و « يتبعه » روى فيها « تتبعه » من الإتباع كما فى الخزانة ، وشرح التبريزى للمعلقات . والفاعل فى الرواية الأولى هو كلمة : « مثل » وفى الثانية الضمير المستكن الراجع إلى « فتاة الحى » . وأراد بـ « مثل الزجاجة » عينى الزباء . يقول : هى صافية كما صفت الزجاجة . و « لم تكحل من الرمد » أى لم ترمد فتكحل ، كقوله :

* على لاحب لايهتدى بمناره *

(٣) للنحويين كلام طويل فى هذا البيت ، تجده فى مراجع النحو فى الكلام على « ليت » . وانظر الكلام على « ونصفه » فى الخزانة . وقد بمعنى حسب .

(٤) حسبوه : عدُّوه .

(٥) كان الحمام الذى رأت ستا وستين ، وهو ونصفه مع حمامتها مائة .

قال الأصمعيُّ : لما أراد مَديحَ الحاسب وسرعةَ إصابته ، شدَّدَ الأمرَ وضيَّقه عليه ؛ ليكون أحمدَ له إذا أصاب ؛ فجعَلَهُ حَزَر[١] طيرًا ، والطّيرُ أخفُّ من غيره ، ثمَّ جعله حماماً والحمامُ أسرع الطّيرِ ، وأكثرُها اجتهاداً فى السرعة[٢] إذا كثر عددهنَّ ؛ وذلك أنّه يشتدُّ[٣] طيرانُه عند المسابَقةِ والمنافسة . وقال : يحفّه جَانبا نِيقٍ ويتبعه ، فأراد أنَّ الحمام إذا كان فى مَضيقٍ من الهواء كان أسرَعَ منه إذا اتّسع عليه الفضاء .

(غايات الحمام)

وصاحب الحمام قد كان يدرِّب ويمرِّن ويُنزِل فى الزِّجال ، والغايَةُ يومئذٍ واسط[٤] . فكيف يصنَع اليومَ بتعريفه الطَّريقَ وتعريفِهِ الوُرود والتحصُّب[٥] ، مع بُعد الغاية ؟ ![٦] .

---

(١) الحزر ، بالزاى الساكنة : التقدير .

(٢) « وأكثرها اجتهاداً فى السرعة » ساقط من ل .

(٣) ل : « وكثر العدد لأن الحمام » .

(٤) تسمى واسط الحجاج ، سميت بذلك لأنها توسطت بين البصرة والكوفة ، فبينها وبين كل واحدة منهما خمسون فرسخا . وبدلها فى ط ، س : « أقصر » .

(٥) التحصب : خروج الحمام إلى الصحراء لطلب الحب . ط : « التخصب » ل ، س : « التخضب » ، مصحفتان .

(٦) هذه الجملة ساقطة من ل .

(ما يختار للزّجْل من الحَمام)

والبغداديون يختارون للزِّجال من الغايةِ الإناث ، والبصريّون يختارون الذُّكور. فحجَّة البغداديِّين أن الذَّكر إذا سافر وبَعُد عهده بقَمْط الإناث ، وتاقَتْ نفسُه إلى السِّفاد ، ورأى أنثاه في طريقه[1] ، ترك الطَّلبَ إن كان بعُد في الجوَلان ؛ أو ترك السَّيرَ إن كان وقع على القَصْد ، ومالَ إلى الأنثى وفي ذلك الفسادُ[2] كلُّه .

وقال البَصريُّ : الذَّكرُ أحنُّ إلى بيتِه لمكان أنثاه ، وهو أشدُّ متْناً وأقوى بدَناً ، وهو أحسنُ اهتداء . فنَحنُ لا نَدَع تقديمَ الشيءِ القائم إلى معنًى قد يعرضُ وقد لايعرض .

(نصيحة شدفويه في تربية الحَمام)

وسمعتُ شدفويه السلائحى[3] من نحو خمسين سـنة ، وهو يقول لعبد السلام بن أبي عمار[4] : اجعل كعبةَ حمامك في صَحْن دارِك ، فإنَّ الحَمامَ إذا كان متَى خرج من بيتـه إلى المعلاة لم يصل إلى معلاتِه إلاّ بجمع النَّفس والجناحين ، وبالنهوضِ ومكابدَةِ الصعود — اشتدَّ متْنُه ، وقوىَ

---

(١) ل : « في طريقه ومجيئه » .

(٢) ط فقط : « السفاد » محرف .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « سرفوحة السائحى » .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « أبي العمان » .

جناحُه ولحمه . ومتى أرادَ بيتَه فاحْتاج (١) إلى أن ينتكس ويجىء منقضًّا — كانَ أقوَى على الارتفاع فى الهواء بعد أن يروى (٢) . وقد تعلمون أنَّ الباطِنيِّين أشدّ [متناً] من الظاهريِّين (٣) ، وأنّ النِّقرِسَ لا يُصيب الباطِنِىَّ فى رجله (٤) ليس ذلك إلَّا لأنَّه يصعد إلى العَلالى (٥) فوق الكَنادِيجِ (٦) درجةً بعد درجة ، وكذلك نزوله . فلو درَّبتم الحَمامَ [على] (٧) هذا التَّرتيب كانَ أصوب . ولا يعجِبُنى تَدْريب العاتق وما فوق العاتق (٨) إلَّا من الأماكنِ القريبة ؛ لأن العاتقَ كالفتاةِ العاتق ، وكالصبىِّ الغرير ، فهو لَا يَعْدِمُه ضعفُ البدن ، وقلَّةُ المعرفة ، وسوءُ الإلف . ولا يُعجبُنى أن تتركوا الحمام حتَّى

---

(١) ط : « فاهتاج » ، تحريف ما فى س ، ل .

(٢) كلمة « الهواء » هى فى ط ، س : « الهوى » محرفة . وكلمة « بعد » ساقطة من ل .

(٣) كذا جاءت كلمتا : « الباطنيين » و « الظاهريين » فى ل . وإن كان وجهه فى العربية : « الباطنيات » و « الظاهريات » إما لأن الجاحظ أراد أن ينقل كلام « شدفويه » كما وقع ، وإما لأنه نزل الحمام منزلة العاقل ، فجمعه جمع العاقلين . وفى ط : س : « الباطنتين » و « الظاهرتين » وهو لا جرم تحريف . والباطنى : نسبة إلى الباطن ، وهو الذى تسكون تربيته فى باطن بيت مكنون قد مهدت له فى داخله كناديج : أى درجات يصعد عليها إلى قرموصه. والظاهرى : نسبة إلى الظاهر ، والمراد به ما كان صعوده إلى قرموصه من ظاهر البيت فيصعد إليه بالطيران لا بالصعود التدريجى كما يصنع الباطنى .

(٤) ل : « لا يصيب الباطنى فى رجليه » .

(٥) العلالىّ : جمع علية ، بالضم والكسر ، وهى الغرفة .

(٦) الكناديج : جمع كندجة : معرب كندة بالضم ، وهى خشبة عظيمة يستخدمها البانى فى بناء الجدران والطيقان ، انظر الألفاظ الفارسية ١٣٨ . وضبطت : « الكندجة » فى القاموس بفتح الكاف والدال ، ضبط قلم . والمراد بها الدرجات التى يصعد عليها الحمام . وفى ط : « الكساويح » ، محرفة .

(٧) ليست بالأصل .

(٨) العاتق من الحمام : فرخه ما لم يستحكم . ل : « العتق » فى الموضعين .

إذا صار فى عَدَد المسانّ واكتهل ، وولَدَ البطونَ بَعْدَ البطونِ ، وأخذ ذلك من قوّةِ شبابِهِ ، حملتموه على الزَّجْل ، وعلى التَّمْرين ، ثمَّ رميتم به أقصى غايةٍ .
لاَ ، ولكنَّ التَّدريب مع الشباب ، وانتهاء الحِدَّة[١] ، وكمال القُوَّة ، ٦٩
من قبل أن تأخذ القوَّة فى النُّقصان . فهو يلقَّن بقربه من الحداثة[٢] ، ويُعرَّف بخروجه من حدِّ الحداثة[٣] . فابتدِئوا به التّعليمَ والتمْرينَ فى هذه المنزلة الوُسطى .

(الوقت الملائم لتمرين فراخ الحمام)

وهُمْ إذا أرادوا أن يمرِّنوا[٤] الفراخَ أخرجُوها وهى جائعة ، حتّى إذا ألقَوا إليها الحبَّ أسرعت النزول . ولا تَخْرَجُ والرِّيح عاصف ، فتخرج قبل المغربِ وانتصاف النهار . وحُذّاقهم لا يخرجونها مع ذكورة الحمام ؛ فإنَّ الذُّكورةَ يعتريها النَّشاطُ والطَّيران والتَّباعُدُ ومجاوزةُ القبيلة . فإن طارت الفِراخُ معها سقَطَتْ على دُور الناس . فرياضتها شديدة ، وتحتاج إلى معرفةٍ وعنايَةٍ ، وإلى صبرٍ ومُطاوَلة ؛ لأنّ الذى يُراد منها إذا احتيج[٥] إليه بعد هذه المقدّمات كان أيضاً من العجَب العجِيب .

---

(١) س : « مع انتهائه الحدة والشباب » .

(٢) كذا فى ل : وفى ط ، س : « بقوته مع الحداثة » .

(٣) ل : « الحلاثة » ، تحريف .

(٤) ل : « يثبتوا » .

(٥) ل : « جئن » .

(حوار يعقوب بن داود مع رجل فى اختيار الحمام)

وحدَّثنى بعضُ من أثقُ به أنّ يَعقوبَ بن داود ، قال لبعض مَنْ دَخلَ عليه ــ وقد ذهب عنِّى اسمُه ونسيتُهُ ، بَعْدَ أَنْ كُنْتُ عرفتَه ــ : أمَا تَرَى كيف أخلفَ ظنُّنا وأخطأ رأيُنا ، حتّى عمَّ ذلك ولم يخصَّ ؟ ! أمَا كان فى جميع من اصطنعناه واخترناه ، وتفرَّسْنا فيه الخير وأردناه[1] بِهِ ــ واحدٌ[2] تكفينا معرفته[3] [مؤنَةَ] الاحتجاجِ عنه ، حتّى صرْتُ لاَ أقرّع[4] إلّا بهم ، ولاَ أعابُ[5] إلّا باختيارهم ! ! قال : فقال له رجل إنّ الحمام يُختارُ من جهة النَّسَب ، ومن جهة الخِلْقة ، ثمَّ لا يرضى له أربابُه بذلك حتّى ترتِّبه وتنزِّلَهُ وتُدَرِّجهُ[6] ، ثم تُحمَل الجماعةُ منهُ[7] بعد ذلك التّرتيب والتَّدْريبِ إلى الغاية ، فيذهبُ الشَّطرُ ويرجعُ الشطر ، أو شبيهٌ بذلك أو قريبٌ[8] من ذلك . وأنتَ عمَدْتَ إلى حمامٍ لم تنظُرْ فِى أَنْسابِها ولم تتأمَّلْ مَخِيلة الخيرِ فى خَلْقهاَ[9] ثمَّ لم ترْضَ حتى ضربْتَ بها بِكَرَّةٍ[10] واحدةٍ

---

(١) ط ، س ، « أردنا به » .

(٢) ط : « واحداً »، وإنما هو اسم كان أو فاعلها .

(٣) ل : « معرته » محرفة، وبعد هذه الكلمة واو حذفتها .

(٤) كذا فى ل ، س . وهو الصواب . وفى ط : « أفزع » .

(٥) ط ، س : « أداب » محرف .

(٦) كذا فى ط ، س، وفى ل : « حتى يرتبوه وينزلوه » .

(٧) ط ، س « معه » وتصحيحه من ل .

(٨) ط ، س : « شبيها » و « قريبا » والوجه الرفع كما فى ل .

(٩) المخيلة : موضع الظن ، فهى كالمظنة . انظر اللسان . ط ، س : « مخيلة موضع الخير » وفيهما أيضاً : « فى خلقتها » .

(١٠) ط ، س : « ضربة »، تحريف ما فى ل .

إلى الغاية[١] ، فليس بعَجَبٍ ولا مُنْـكَرٍ[٢] ألاّ يرجعَ إليكَ واحدٌ منها ، وإنما كان العَجبُ فى الرُّجوع ، فأمّا فى الضّلال فليس [فى] ذلك عجبٌ[٣] .

وعلى أنّه لو رجع منها[٤] واحدٌ أو أكثرُ من الواحدِ لـكان خطؤك موفّرًا عليك ، ولم ينتقصْه خطأُ من أخطأ ؛ لأنّه ليس من الصواب أن يجىء طائرًا من الغايَةِ على غير [عِرْقٍ ، وعلى غير] تدريب .

باب

ومن كرم الحمام الإلف والأُنْس والنِّزاعُ والشّوق . وذلك يَدُلُّ على ثبات العهد ، وحِفْظِ ما ينبغى أن يُحفَظ ، وصوْنِ ما ينبغى أن يصان وإنه لَخُلق صِدْق[٥] فى بنى آدم فـكيفَ إذا كان ذلك الخلقُ[٦] فى بعض الطير .

وقد قالوا : عمَّرَ اللهُ البُلدان بحبِّ الأوطان[٧] . ٧٠

قال ابن الزُّبير : ليس النَّاسُ بشىءٍ مِنْ أقسامهم[٨] أقنَعَ منهم بأوطـانهم !

---

(١) كذا فى ط ، س . وفى ل : « واحدة الغايات » .

(٢) ط ، س : « فليس ذلك بعجيب ولا بمنكر » الخ .

(٣) ط ، س : « فليس ذلك بعجب ولا بمنكر » .

(٤) ط ، س : « منهن » .

(٥) خلق صدق ، بالإضافة ، أى نعم الخلق . وبالوصف ، أى الخلق الـكامل . « لحبىء صدق » ، تحريف .

(٦) ل : « فـكيف بذلك الحق » .

(٧) القول فى الحنين إلى الأول من رسائل الجاحظ ٢ : ٣٨٩ مع نسبته إلى عمر بن الخطاب .

(٨) أقسام : جمع قسم ، بالـكسر : وهو الحظ والنصيب : ل : « لشىء » تحريف . ط ، س : « فى اقتسامهم » ، ووجهه ما أثبت من ل .

وأخبر الله عزَّ وجلَّ عن طبائع النَّاس فى حبِّ الأوطان ، فقال :
﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا[١] ﴾
وقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ[٢] ﴾ .

وقال الشاعر :

وكنتُ فيهمْ كمَمْطُورٍ ببَلْدتِهِ ... فسُرَّ أنْ جَمَعَ الأوْطَانَ والمطَرَا[٣]

فتجدُهُ يُرْسَلُ مِنْ موضعٍ فيجيء ؛ ثمَّ يخرج من بيته إلى أضيق موضع وإلى رخام[٤] ونَقان[٥] فيرسل من أبعد من ذلك فيجيء . [ثم يصنَع به مثلُ ذلك المرار الكثيرة ، ويزاد فى الفراسخ] ، ثم يكون جزاؤه[٦] أن يغمَّر به[٧] [من][٨] الرَّقَّة إلى لؤلؤة[٩] فيجيء . ويُستَرَقُ من منزل

(١) هذا القول حكاية عن بنى إسرائيل ، وكانوا طلبوا من نبى لهم — وهو يوشع ، أو شمعون ، أو أشمويل — أن يعين لهم أميرا يتولى قيادتهم فى حرب العمالقة وكان العمالقة قد أجلوا الإسرائيليين وسبوا أولادهم . وكان النبى قال لهم : « هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا » — يقول ذلك متوقعا جبنهم عن القتال — فأجابوه بما فى هذه الآية . انظر التفاسير .

(٢) قال العسكرى فى ديوان المعانى (٢ : ١٨٧) تعقيبا على هذه الآية : « فجعل خروجهم من ديارهم كفء قتلهم لأنفسهم » .

(٣) أنشده فى الحنين إلى الأوطان . وأخذ ابن المولى هذا المعنى فقال (ديوان المعانى ٢ : ١٩٠) :

كممطور ببلدته فأضحى ... غنيا عن مطالعة السحاب

(٤) هو اسم موضع ، ولم أحققه . وفى ط فقط : « زحام » .

(٥) نقان ، بضم النون ويكسر : اسم جبل فى بلاد أرمينية . وفى ط ، س : « قفار » : وفى ل : « تفاد » وهو تحريف ما أثبت .

(٦) كذا فى ل . وفى ط : « الحرارة » ! وفى س : « الجراوة » .

(٧) يغمر به : أى يدفع به . س : « يغمز » تصحيف .

(٨) التكملة من ل ، س .

(٩) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس .

صاحبه[١] فيقصُّ ، ويَغْبُرُ هناك حولاً وأكثَرَ من الحول ، فحينَ ينبت جناحُه يحنُّ إلى إلفه ويَنْزِع إلى وطنه ، وإن كان الموضعُ الثّانى أنفعَ له ، وأنْعَمَ لباله . فيَهَبُ فضلَ ما بينهما لموضعِ تربيته وسكنه ؛ كالإنسان الذى لو أُصاب فى غَير بلادِه الرِّيفَ لم يقعْ ذلك فى قلبه ، وهو يعالجهم[٢] على أن يُعطَى عُشْرَ ما هو فيه[٣] فى وطنه .

ثمَّ ربَّما باعه صاحبُه ، فإذا وجد مَخْلَصاً رجع إليه ، حتَّى ربَّما فَعَلَ ذلك مِراراً . وربَّما طار دَهْرَهُ وجالَ فى البلادِ ، وألفَ الطَّيرانَ والتقلُّبَ فى الهواء ، والنَّظَرَ إلى الدنيا ، فيبدو لصاحبه[٤] فيقصُّ جناحَه ويُلقِيه فى دِيماس[٥] ، فينبت جناحُهُ ، فلا يَذْهَبُ عنه ولا يتغيَّر له . نَعَمْ ، حتَّى ربّما جَدَف[٦] وهو مقصوصٌ ، فإمَّا صار إليهِ ، وإمّا بلغَ عذراً .

---

(١) يسترق : من الاسترق ، وهو السرقة . ل : « يسرق » وفيها أيضاً « نزل » مكان « منزل » ، وهما بمعنى .

(٢) يعالجهم : يمارسهم . وفى ل : « يصالحهم » .

(٣) ل : « عشر ذلك » .

(٤) يقال بدا له فى الأمر : نشأ له فيه رأى .

(٥) الديماس بالكسر : الكن .

(٦) جدف الطائر : طار وهو مقصوص الجناحين كأنه يرد جناحه إلى خلفه . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، س : « جـد » ، وفى ل : « حذف » .

(قص جناح الحمام)

ومتى قصَّ أحد جناحيه كان أعجزَ له عن الطّيران ، ومتى قصَّهما جميعاً كان أقوى له عليه ، ولـكنهُ لا يُبْعِد ، لأنّه إذاكان مقصوصاً من شِقٍّ واحِدٍ اختلفَ خَلْقَه ، ولم يَعْتَدِلْ وزنَه ، وصارَ أحدُهما هوائيًّا والآخرُ أرضيًّا . فإذا قُصَّ الجناحانِ جميعاً طار ، وإن كانَ مقصوصاً فقد بلغ بذلك التعديل من جناحَيهِ[1] أكثرَ مما كانَ يبلغ [بهما] إذا كانَ أحدُهما [وافياً] والآخرُ مبتورا[2] .

فالـكلبُ الذى تَدَّعون له الإلفَ وثباتَ العهد، لايبلغُ هذا . وصاحبُ الدِّيك الذى لا يفخرُ[3] للدِّيك بشىءٍ من الوفاء والحفاظ والإلف ، أحقُّ بألاّ يعرِض فى هذا الباب .

قال : وقد يكونُ الإنسان شديدَ الُحضْر ، فإذا قُطِعَتْ إحدى يديه فأراد العَدْو كان خطوُه أقصر ، وكان عن ذلك القَصْد والسَّنَنِ أَذْهبَ ، وكانت غايَةُ مجهوده أقربَ[4] .

---

(١) فى الأصل : « جناحه » .

(٢) ط ، س : « إذا قص أحدهما وترك الآخر وافيا » .

(٣) أى لا يجد شيئا من وفاء الديك يستطيع أن يفخر به .

(٤) ل : « أنقص » .

(حديث نباتة الأقطع)

وخبّرنى كم شئتَ [(١)] ، أنّ نباتَة الأَقطع [وكان] مِنْ أَشِدَّاء الفتيان [(٢)] وكانت يَدُه قطعت [(٣)] من دُونِ المنكِب ، وكان ذلك فى شقِّه الأيسر ؛ فكان إذا صار إلى القتالِ وضربَ بسيفِه ، فإن أصاب الضَّريبةَ ثبَتَ ، وإن أخطأ سقَطَ لوجهِه ؛ إذ لم يكنْ جَناحه [(٤)] [الأيسر] يُمسكه ويثقّله حتّى يَعْتَدلَ بَدَنُهُ . ٧١

(أجنحة الملائكة)

وقد طعن قومٌ فى أجنحة الملائكة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ الحَمْدُ لِلّهِ فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْض جَاعِلِ المَلاَئِكَةِ رُسُلاً أُولِى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِى الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ . وزعموا أنَّ الجناحين كاليدين ، وإذا كان الجناح اثنين أو أَرْبَعَة كانتْ معتدلة ، وإذا كانت ثَلاَثَةً

---

(١) ل ، ط : « من شئت » . وانظر ماسبق فى ص ١٧٨ وكذا ٤ : ٤٦ و ٥ : ٣٧٤ وكتاب البغال من رسائل الجاحظ ٢ : ٢٦٤ .

(٢) فى الأصل : « من أشداء الفتيان أن نباتة الأقطع » ، وقد رددت الكلمات الثلاث الأولى إلى موضعها ، كما زدت « وكان » لينتظم الكلام .

(٣) ل : « وكانت قطعته » .

(٤) الجناح ، ليس خاصا بالطير ، بل يقال أيضا : جناح الإنسان : أى يده ، أو عضده أو إبطه .

كان[١] صاحبُ الثَّلاثَةِ كالجادِفِ[٢] من الطَّير ، الذى أحدُ جناحَيه مقصوص ، فلا يستطيع الطَّيَرَان لعدم التعديل . وإذا كان أحدُ جناحيه وافياً والآخرُ مقصوصاً ، اختلفَ خَلْقُه وصار بَعْضُه يذهب إلى أسفلَ والآخر إلى فوق .

وقالوا : إنَّما الجناحُ مثل اليد ، ووجدنا الأيدىَ والأرجلَ فى جميع الحيوان لاتكونُ إلَّا أزواجاً . فلو جعلتُمْ لكُلِّ واحدٍ مِنهم مائَة جَناحٍ لم نُنْكِرْ ذلك . وإن جعلتموها أنقصَ بواحدٍ أو أكثرَ بواحدٍ لم نُجوِّزه .

قيل لهم : قد رأينا من ذوات الأربع ماليسَ له قَرن ، ورأينا ماله قَرْنَانِ أملسان ، ورأينا ماله قرنان لها شُعَبٌ فى مقاديم القرون[٣] ، ورأينا بعضَها جُمًّا ولأخَواتِها قرون ، ورأينا منها مالا يقال لها جُمٌّ لأنَّها ليست لها شكلُ ذواتِ القرون ، ورأينا لبعض الشاءِ عِدَّةَ[٤] قرونٍ نَابتَةٍ فى عظم الرَّأس أزواجاً وأفراداً ، ورأينا قرُوناً جُوفاً فيها قرون ، ورأينا قروناً لاقرونَ فيها ، ورأيناها مُصمَتَة ، ورأينا بعضَها ينصُلُ قَرْنُه فى كلِّ سنة ، كما تسلَخ الحيَّةُ جلدَها ، وتنفضُ الأشجارُ ورقها ، وهى قُرون الأيائلِ . وقد زعموا أنَّ للحِمار الهندىِّ[٥] قرنا واحداً .

---

(١) كذا فى ط . وفى ل ، س : « صار » .

(٢) الجادف : الذى يطير وهو مقصوص . وفى ط : « كالحاذق » وفى ل ، س : « كالجاذف » ، وصوابهما ما أثبت .

(٣) ط : « مقادير » وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « لبعض الساعدة » وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الحمار الهندى هو الكركدن ، وحيد القرن . والذى سماه بالحمار الهندى هو أرسطو فى كتابه (الحيوان) . قال الجاحظ فى الحيوان (٧ : ٤٠) : « وقد ذكره صاحب المنطق فى كتاب الحيوان ، إلا أنه سماه بالحمار الهندى » .

وقد رأينا طائراً شَديدَ الطيران بلا ريشٍ كالخُفاش ، ورأينا طائراً لايطير وهو وافى الجَناح ، ورأينا طائراً لايمشى وهو الزُّرزُور . ونحن نُؤْمن بأنَّ جعفَرًا الطَّيارَ ابنَ أبي طالب ، له جناحان يطير بهما فى الجِنان ، جُعِلا له عوضاً من يديه اللتين قطعتا على لواء المسلمين فى يوم مؤتة[١] . وغير ذلك من أعاجيب أصناف الخلق .

فقد يستقيم — وهو سهلٌ جائزٌ شائع مفهوم ، ومعقول قريبٌ غير بعيد أن يكون إذا وُضع طباع الطائر على هذا الوضع الذى تراه ألَّا يطير[٢] إلَّا بالأزواج . فإذا وُضع على غير هذا الوَضع ، وركِّب غيرَ هذا التَّركيب صارت ثلاثَة أجنحة وَفُوقَ[٣] تلك الطبيعة . ولو كان الوَطواط فى وضْعِ أخلاطه[٤] وأعضائه وامتزاجاته[٥] كسائر الطير ، لما طار[٦] بلا ريش .

---

(١) كان يوم مؤتة فى الثامنة من الهجرة بين المسلمين والروم . وكان قد حمل لواء المسلمين زيد بن حارثة فقتل ، فحمله جعفر بيمينه فقطعت ، ثم بشماله فقطعت ، فاحتضنها بعضديه فقتل وخر شهيداً ، فحمل اللواء بعده عبد الله بن رواحة فقتل أيضاً . وكان جعفر أيضا يلقب بذى الهجوتين : هجرة الحبشة والمدينة . وانظر الإصابة ١١٦٢ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٦٨ — ٦٩ .

(٢) ط : « لا يسير » . س : « لا تطير » وتصحيحه من ل .

(٣) وفوق ، كرسول ، بمعنى ملائمة موافقة . ومثلها وفق ، بالفتح . انظر اللسان (وفق) ومعنى الـكلام أن الأجنحة الثلاثة تـكون موافقة لهذا التركيب الشاذ .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وضع فى أخلاطه » .

(٥) ط ، س : « وامتزاجه » .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « كان » .

(الطير الدائم الطيران)

وقد زعم البَحْريّون أنّهم يعرفون[١] طائراً لم يسقُط قطّ ، وإنما يكون سقوطه من لَدُنْ خروجِهِ من بيضه [إلى] أنْ يتمّ[٢] قصبُ ريشه ، ثمَّ يطير فليس له رِزق إلَّا من بعوضِ الهواء وأشباهِ البَعوض ؛ إلَّا أنَّهُ قصيرُ العمر سريعُ الانحطام .

٧٢

(بقية الحديث فى أجنحة الملائـكة)

وليس بمستنـكر أن يُمزَج[٣] الطائر ويُعْجَن غيرَ عجْنه الأوَّل[٤] [فيعيشَ ضعفَ ذلك العُمر] . وقد يجوز أيضاً أنْ يكونَ موضعُ الجَناح الثالث بين[٥] الجناحَين ، فيكون الثالث للثانى كالثانى للأَوَّل ، وتكون كلُّ واحدةٍ من ريشةٍ عاملةً فى التى تليها من ذلك الجسم[٦] ، فتستوى فى القوَى وفى الحِصَص .

---

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وقد زعم البحريون أن » . وهذا الطائر الذى حكى عنه الجاحظ ، تحدث عنه القزوينى فى عجائب المخلوقات ١٠٣ عند كلامه على بحر الصين ، ولم يسمه .

(٢) ط ، س : « تم » .

(٣) كذا فى ل . وفى ط : « يمرح » . وفى س : « يموج » ، محرفتان .

(٤) س : « غير عجنة الأوابد » .

(٥) ل : « من » ، تحريف .

(٦) ل : « البدن » .

ولعَلَّ الَجناح الذى أنكره الملحدُ الضَّيِّقُ العَطَن[١] أن يكونَ مركزُ قوادِمِهِ فى حاقِّ الصُّلب[٢] .

ولعَلَّ ذلك الجناح أن تكون الريشة الأولى منه معينةَ للجَناح الأيمن والثانيةُ معينَة للجناح الأيسر . وهذا مما لايضيقُ عنه الوهم ، ولا يعجِز عنه الجواز[٣] .

فإذا كان ذلك ممكناً[٤] فى معرفة العبد بما أعاره الربُّ جلّ وعزَّ ، كان ذلك فى قدرةِ الله أجوز . وما أكثَرَ من يضيقُ صدرُه لقلَّة علمه !

(أعضاء المشى لدى الحيوان والإنسان)

وقد علموا أنَّ كلّ ذى أربعٍ فإنّه إذا مشى قدّم إحدى يديه ، ولا[٥] يجوز أن يستعمل اليَد الأُخرَى ويقدِّمها بَعْدَ الأُولى حَتَّى يستعمل الرِّجلَ المخالِفةَ لتلك اليد : إنْ كانت اليَدُ المتقدِّمة اليمنى حَرَّكَ الرِّجْلَ اليسرى ، وإذا حَرّكَ الرجل اليسرى لم يحرِّك الرِّجْل اليمنى — وهى أقرَبُ إليها[٦] وأشبهُ بها — حَتَّى يحرِّك اليَدَ اليسرى . وهذا كثير .

---

(١) الضيق العطن : الضيق الصدر ، السريع الغضب . وأصل العطن مربض الإبل والغنم حول الماء . ط ، ل : « لضيق العطن » .

(٢) حاق الصلب : وسطه .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « الجواب » .

(٤) ل : « مكيفا » ، وهو تحريف .

(٥) ل : « وقد » ، وهو تحريف يفسد المعنى .

(٦) كذا فى ل ، س . وهو الصواب . وفى ط : « اليد » .

[و[1]] فى طريقٍ أخرى فقد يقال : إنَّ كلَّ إنسانٍ فإنما رُكْبَتَه فى رِجله ، وجميعَ ذواتِ الأربَع فإنَّما رُكبها فى أيديها . وكلُّ شىء ذى كفٍّ وبَنان كالإنسان ، والقرد، والأسدِ ، والضَّبّ ، والدُّب ، فكفُّه فى يده . والطَّائر كفّه فى رجله .

(استعمال الإنسان رجليه فيما يعمله فى العادة بيديه)

وما رأيتُ أحداً ليس له يَدٌ إلَّا وهو يعمل برجليه ما كان [يعمل[2]] بيديه ، وما أقف على شىء من عمل الأيدى إلَّا وأنا قد رأيتُ قوماً يتكلّفونه بأرجلهم .

ولقد رأيتُ واحداً منهم راهنَ على أن يُفرِغ برجليه ما فى دَسْتيجة[3] نبيذ فى قنانىَّ رِطليَّات وفُقَّاعِيَّات[4] ، فراهنوه ، وأزعجنى أمرٌ فتركته عند ثقاتٍ لا أشكُّ فى خبرهم ، فزعموا أنّه وَفَى وزاد . قلت :

---

(١) الزيادة من س .

(٢) التكملة من ل ، س .

(٣) الدستيجة : واحدة الدستيج ، وهى — كما فى تاج العروس — : آنية تحول باليد وتنقل . فارسى معرب : « دستى » . وأصل « دست » فى الفارسية بمعنى اليد . انظر الألفاظ الفارسية ٦٣ .

(٤) رطليات، أى تسع للواحدة منها رطلا . والفقاعيات : ضرب من القوارير صغار ، ولم أجد لها نصاً يفسرها .

قد عرَفتُ قولَكم « وفى » فما معنى قولكم « زاد » . قالوا : هو أنّه لو صبَّ من رأس الدّستيجة حوالَىْ أفواهِ القنانىّ كما يعجِز عن ضَبطه جميعُ أصحاب الكمال فى الجوارح ، لما أنكرنا ذلك . ولقد فرَّغ ما فيها فى جميع القنانىّ فما ضيّعَ أوقيّةً واحدة .

(قيام بعض الناس بعمل دقيق فى الظلام)

وخبَّرنى الحزَامىُّ[1] عن خليل أخيه[2] ، أنّه متى شاءَ أن يَدْخُلَ فى بيتٍ ليلا بلا مصباح ، ويفرغ [قربة][3] فى قنانىّ فلا يصبُّ إستاراً[4] واحداً فعله .

و[لو] حكى لى الحزامىُّ هذا الصَّنيعَ عن رجل وُلِد أعمى أو عمِى فى صباه ، كان يعجبنى منه أقلُّ . فأمّا من تعوّد أن يفعل مثل ذلك وهو يبصر فما[5] أشدَّ عليه أن يفعله وهو مغْمَض العينين . فإن كان أخوه قد كان يقدر على ذلك إذا غمَّض عينيه فهو عندى عجب . وإن كان يبصر فى الظلمة فهو قد أشبه فى هذا الوجه السِّنّورَ والفأر ؛ فإنَّ هذا عندى عجبٌ ٧٣

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن كاسب ، كان معاصراً للجاحظ ، وقد أفرد له حديثاً فى البخلاء ٤٧ — ٥٤ . وفى ط ، س : « الحزامى » وفى ل : « الحرامى » .

(٢) ل : « مليك » .

(٣) الزيادة من س . وبدلها فى ل : « قرابة » محرفة .

(٤) الإستار : ثلاثة أخماس الأوقية ؛ إذ الأوقية إستار وثلثا إستار .

(٥) ل : « يبصره » .

آخر ، وغرائب الدُّنيا كثيرة عند كلِّ من كان كلفاً بتَعرافها ، وكان له فى العلم أصلٌ ، وكان بينه وبين التبَيُّنِ[١] نَسَب .

(اختلاف أحوال الناس عند سماع الغرائب)

وأكثر الناس لاتجدُهم إلَّا فى حالتين : [إمّا فى حال][٢] إعراض عن التبيُّن وإهمالٍ للنّفس[٣] ، وإمَّا فى حالٍ[٤] تكذيبٍ وإنكارٍ وتسرُّع إلى أصحاب الاعتبارِ وتتبُّعِ الغرائب ، والرغبةِ فى الفوائد . ثمَّ يرى بعضهم أنَّ له بذلك التكذيب فضيلةً[٥] ، وأنّ ذلك بابٌ من التوقِّى ، وجنسٌ من استعظام الكذب ، وأنّه لم يكن كذلك إلَّا من حاقِّ الرَّغبةِ[٦] فى الصِّدْق . وبئس الشىء عادة الإقرار والقبول . والحقُّ[٧] الذى أمر الله تعالى به ورغب فيه ، وحثَّ عليه [أن ننكر من الخبر ضربين : أحدهما ما تناقَضَ واستحال ، والآخر ما امْتنع فى الطَّبيعة ، وخرج من طاقة الخِلقة . فإذا خرج الخبرُ من هذين البابين ، وجرى عليه] حكم[٨] الجواز ، فالتدبير[٩] فى ذلك التثبت

---

(١) التبين : التفهم . وفى ط س : « التبيين » ، وتوجيهه من ل . و « نسب » هى فى الأصل : « نصيب » ، والوجه ما أثبت . انظر (١ : ٣ س ٤) .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) ط ، س : « النفس » .

(٤) ط : « حاله » وأثبت ما فى ل ، س .

(٥) ط ، س : « فوائد » .

(٦) حاق الرغبة : شدتها . ط : « حاز الرغبة » وصوابها فى ل ، س .

(٧) ط ، س : « أو تبين الشىء معاندة للإقرار وقهراً بالحق و » ، مكان : « وبئس الشىء » . . الخ ، وهو تحريف ما أثبت من ل .

(٨) ط ، س : « ذكر » .

(٩) ط ، س : « والترتيب » ، محرفة .

وأن يكونَ الحقُّ فى ذلك هو ضالّتك ، والصِّدق هو بُغيتك ، كائناً ماكان ، وقَع منك بالموافقةِ ، أم وقع منك بالمكروه . ومتى لم تعلم أنّ ثوابَ الحقِّ وثمرةَ الصِّدق أجدى عليك من تلك الموافقةِ لم تقَع[1] على أن تعطِيَ التثبُّتَ حقّه .

(تشبيه رماد الأثافى بالحمام)

قال : وهم يصفون الرّماد الذى بين الأثَافىِّ بالحمامةِ ، ويجعلون الأثَافىَّ أظئاراً لها ، للانحناء الذى فى أعالى تلك الأحجار ، ولأنَّها كانت معطّفاتٍ عليها وحانياتٍ على أولادها . قال ذو الرُّمَّة :

كأنّ الحمامَ الوُرْقَ فى الدَّارِ جَثَّمت … على خَرِق بين الأثَافِى جَوازِلُه[2]

شبّه الرّماد بالفراخ قبل أن تنهض . والجُثوم فى الطير[3] مثل الرُّبوض فى الغنم . وقال الشماخ :

وإرثِ رَمادٍ كالحمامةِ ماثل … ونُؤْيَيْنِ فى مَظْلومَتَيْنِ كُدَاهما[4]

---

(١) ل : « لم تقو » .

(٢) ط : «أجثم» مكان «جثمت»، وهو تحريف صوابه فى ل ، س والديوان ٤٦٥. وروى فى أمالى المرتضى ٣ : ١٢١ : « وقعت » . قال المرتضى : « شبه الأثافى بالحمام الورق ، وجعلها ظئوراً لتعطفها على الرماد . وشبه الرماد بفرخ خرق قد سقط ريشه . والجوازل : الفراخ ، واحدها جوزل » .

(٣) ل : « الخيل » ، وهو تحريف ظاهر .

(٤) إرث رماد : أى أصله . والنؤى بالضم : حفيرة تحفر حول الخباء يجعل ترابه حاجزاً لمنع المطر . والمظلومة : الأرض حفرت ولم تكن حفرت قبل ذلك . والكدى : جمع كدية بالضم ، وهى الأرض الغليظة . والرواية فى ديوان الشماخ : « ونؤيان » . وقبل البيت :

أقامت على ربعيهما جارتا صفا … كميتا الأعالى جونتا مصطلاهما

وبعده :

أقاما لليلى والرباب وزالتا … بذات السلام قد عفا طللاهما

وقال أبو حيَّة :

[مِنَ العَرَصاتِ غيرَ مُخَدٍّ نُؤْيٍ كباقى الوحْى خُطَّ على إمام(١)

وغيرِ خوالِدٍ لُوِّحْن حَتَّى بهنَّ علامةٌ من غير شام](٢)

كأنَّ بها حماماتٍ ثَلاثاً مَثَلْنَ ولم يَطِرْنَ مَعَ الحمامِ

وقال العَرْجى :

ومَرْبِطَ أفْرَاسٍ وخَيمٌ مُصَرَّعٌ وهابٍ كجُثْمانِ الحمامةِ هامِدُ(٣)

وقال البَعيث :

وَسُفْعٍ ثَوَيْنَ العَامَ وَالعَامَ قَبْلَهُ وَسَحْقِ رَمادٍ كالنَّصيفِ مِنَ العَصْبِ(٤)

(بعض ما قيل من الشعر فى نوح الحمام ، وفى بيوتها)

وقالوا فى نَوح الحمام ، قال جِران العَود :

٧٤ واستقبلوا وادياً نوحُ الحمامِ بِهِ كأنّه صوتُ أنباطٍ مَثاكيلِ(٥)

---

(١) المخد : موضع الخد ، وهو الشق . والوحى : الكتابة . والإمام : الكتاب . وفى القرآن الكريم : « يوم ندعو كل أناس بإمامهم » أى كتابهم .

(٢) لوحن : غيرتهن النار . وعنى بالخوالد الأثافى لأنهن يبقين بعد هجرة أصحابهن ودروس ربوعهم . والشام : جمع شامة ، وهو الأثر الأسود فى البدن ، أو الأرض .

(٣) الخيم : أعواد تنصب فى القيظ وتجعل لها عوارض وتظلل بالشجر فتكون أبرد من الأخبية . وقيل : هى عيدان يبنى عليها الخيام . والهابى : الرقيق الدقيق المرتفع ، وأراد به الرماد .

وقبل البيت كما فى ديوان العرجى ١١٧ :

فؤادك أن يهتاج لما بدا له رسوم المغانى والأثافى الرواكد

(٤) النصيف : ماله لونان . والعصب : ضرب من البرود اليمنية ، يعصب غزلها أى يجمع ويشد ، ثم يصبغ وينسج فيأتى موشياً ، ابقاء ماعصب منه أبيض لم يأخذه صبغ .

(٥) ط : « وديا » .

وقالوا فى ارتفاعِ مواضعِ بُيوتِها وأعشاشها . قال الأعشى :

ألم تر أن العِرْض أصبَحَ بطنُه نخيلاً وزرعاً نابتاً وفَصافِصا[1]
وذا[2] شُرُفات يقصُرُ الطَّرف دونَه ترَى للحمام الوُرقِ فيه قَرامصا[3]

وقال عمرو[4] بن الوليد :

فتبدَّلتُ من مساكنِ قومى والقُصورِ التى بها الآطامُ
كلَّ قصرٍ مشيَّدٍ ذى أواسٍ تتغنَّى على ذُراه الحمـــام[5]

والحمام أيضاً ربما سكن أجْوَافَ[6] الرَّكايا ، ولا يكون ذلك إلَّا لِلْوحشىِّ منها ، وفى البِير التى لاتُورَد . قال الشاعر :

بدلو[7] غير مُكرَبَةٍ أصابتْ[8] حَماماً[9] فى مساكِنِه فَطَارَا

يقول : استقى بِسُفرتِه[10] من هذه البئر ، ولم يستق بِدَلوٍ . وهذه بئر قد سكنها الحمام لأنَّها لاتُورَدُ .

---

(١) الفصافص : جمع فصفص أو فصفصة ، بكسر الفاءين من كل منهما ، وهى رطب القت.
(٢) ط ، س : « وذى » .
(٣) القرامص : جمع قرموص ، بضم القاف ، وهو عش الحمام . وقد حذف ياء القراميص للشعر .
(٤) ل : « عمر » ، وهو تحريف ماأثبت من ط ، س . وانظر تحقيق السابق فى التنبيه الثانى ص ٢٠٨ حيث تجد ترجمته .
(٥) سبق الكلام فى شرح الشعر وأصله ص ٢٠٨ .
(٦) ط ، ل : « أجراف » جمع جرف ، والمراد به الحفرة فى جدار الركية .
(٧) ط : « بدلو » وصوابه فى ل ، س .
(٨) كذا فى ل : وهو الصواب . وفى ط : س : « أطابت » . والمكربة : ذات الكرب بالتحريك ، وهو حبل الدلو .
(٩) ط : « جماما » وهو تطبيع .
(١٠) السفرة : مايضع فيه المسافر طعامه ، وأكثر مايكون ذلك جلداً مستديراً . ط : « بملغوة » س : « بملفوة » .

وقال جهم بن خلف[1] :

وقد هاج شَوقى أنْ تَغنَّت حمامةٌ مطوَّقةٌ ورقاء تصدَحُ فى الفجْر

هتوفٌ تبكِّى ساقَ حُرٍّ ، ولن ترَى لها دَمعةً يوماً على خدِّها تجرى

تغنَّتْ[2] بلحنٍ فاستجابَت لصوتها نَوائحُ بالأصْياف[3] فى فَنَنِ السِّدْرِ[4]

إذا فتَرَتْ كرَّتْ بلحنٍ شجٍ لها[5]

يُهَيِّج[6] للصَّبِّ الحزينِ جَوَى الصَّدْرِ

دعتْهُنَّ مِطرابُ العشيَّات والضُّحَى بصوتٍ يَهيجُ المستهَامَ على الذِّكْرِ

فلم أرَ ذا وَجدٍ يَزيدُ صَبابةً عليها ، ولا ثَكلَى تُبَكِّى على بِكْرِ[7]

فأسعَدْنَها بالنَّوح حتَّى كأنَّما شَرِبنَ سُلافاً من معتَّقة الخمْرِ[8]

تجاوبْنَ لحناً فى الغُصونِ كأنَّها نوائحُ مَيْتٍ يلتدِمْنَ لدى قبرِ[9]

بسُرَّةِ وادٍ من تَبَالةَ مُونِقٍ كسا جانبَيه الطَّلحُ واعتمَّ بالزَّهْرِ[10]

---

(١) جهم بن خلف المازنى : راوية عالم بالغريب والشعر فى زمان خلف والأصمعى ، وله شعر فى الحشرات والجارح من الطير . الفهرست ٤٧ ليبسك ٧٠ مصر . ط ، س : « بن ضابئ » وأثبت ما فى ل .

(٢) ل : « فغنت » والأجزل ما أثبت من ط ، س .

(٣) الأصياف : جمع صيف . ط ، س : « بالأصناف » ل : « بالأضياف » وهما تصحيف .

(٤) السدر : شجر النبق . وقد أراد بكلمة « فنن » الأفنان : أى الأغصان ، أطلق المفرد وأراد الجمع وذاك كثير فى كلامهم .

(٥) ط ، س : « شجونها » .

(٦) ط ، س : « تهيج » .

(٧) يزيد صبابة ، أى تكون صبابته أشد وأعنف من صبابتها . ط ، س : « على وكر » والوجه ما أثبت من ل .

(٨) ل : « فأسعدتها بالعوج » ! وجعلهن قد شربن الخمر لما كان لهن من شدة الصوت ؛ فعل العربيد .

(٩) يلتدمن، من الالتدام ، وهو ضرب المرأة صدرها فى النياحة .

(١٠) تبالة : موضع ببلاد اليمن ، حيث الشجر والنضرة . والطلح : شجر عظام . ط ، س : « الزهر » .

(استطراد لغوى)

ويقال : هدر الحمام يهدِر . قال : ويقال فى الحمام الوحشى من القمارىّ والفواختِ والدَّباسى وما أشبه ذلك : قد هدل يهدِل هديلًا . فإذا طَرَّب قيل غرَّد يغرد تغريداً . والتغريد يكون للحمام والإنسان ، وأصله من الطير .

وأمَّا أصحابنا فيقولون : إنّ الجمل يهدِر ، ولا يكون باللام ، والحمام يهدل وربَّما كان بالراء . ٧٥

وبعضهم يزعُم أنّ الهديلَ من أسماء الحمام الذَّكر . قال الرَّاعى واسمه عبيد بن الحصين — :

كهداهِدٍ كَسَرَ الرُّماةُ جَناحَه يدعُو بقارِعَةِ الطَّريق هديلَا[1]

(ساق حُرٍّ)

وزعم الأصمعىُّ أنّ قوله : « هتوفٌ تبكِّى ساقَ حرٍّ » إنَّما هو حكايةُ صوت وحشيِّ الطير من هذه النَّوَّاحات . وبعضهم يزعم أنّ « ساق حرّ » هو الذكر ، وذهب إلى قول الطِّرِمَّاح فى تشبيه الرَّماد بالحمام ، فقال :

بين أظآرٍ بمظْلومــــةٍ كسَراةِ السّاقِ ساقِ الحمامْ[2]

---

(١) الهداهد : الهدهد . وقد شبه بذلك الهدهد الذى كسر جناحه ، رجلا أخذ المصدق إبله . وقبل البيت :

أخذوا حولته فأصبح قاعداً لايستطيع عن الديار حويلا
يدعو أمير المؤمنين ودونه خرق تجر به الرياح ذيولا

وهو من قصيدة طويلة عدة أبياتها تسعة وثمانون ، ذكر منها البغدادى فى الخزانة (٣ : ١٣١ سلفية) أربعة وعشرين .

(٢) الأظآر : الأثافى . والمظلومة : الأرض حفرت فى غير موضع حفر . والسراة : الظهر . ط ، س : « كسرات » تحريف . والساق : الحمام . وقصيدة البيت فى ديوان الطرماح ٩٥ — ١١٠ . والبيت فى ص ٩٦ . والقصيدة من بحر المديد يصح فى رويها الإسكان والكسر ، كما فى تكملة الصاغانى .

(صفة فرس)

وقال آخر(١) يصف فرساً :

يَنْجيه مِنْ مِثْلِ حمام(٢) الأغْلالْ رفعُ يدٍ عَجلَى ورِجل شملَالْ
* تَظْمَأُ من تحتُ وتُروَى من عَالْ(٣) *

الأغلال(٤) : جمع غَلَلٍ ، وهو الماء الذى يجرى بين ظهرَى الشّجر(٥)
قال : والمعنى : أنّ الحمام إذا كان يريد الماء فهو أسرعُ لها . وقوله : شِملال
أىْ خفيفة .

باب(٦)

ليس فى الأرض جنسٌ يعتريه الأوضاح والشِّيات ، ويكون فيها
المصْمَت والبهيمُ أكثَرَ ألواناً ، [و] من أصناف التَّحَاسِين(٧) مايكون
فى الحمام ، فمنها مايكون أخضرَ مُصمَّتا ، [وأحمر مصمتا] ، وأسودَ

---

(١) هو دكين الراجز ، كما فى اللسان (غلل) .

(٢) يقول : ينجى هذا الفرس من خيل سراع فى الغارة كالحمام الواردة . ل : « حمام » تصحيف .

(٣) تظمأ : أى تكون متوترة ليس فيها رهل ، وذلك محمود فى الفرس . وفى الأصل : « يظمأ » . وتروى : أى يكثر لحمها . من عال : من أعلى .

(٤) قبل هذه الكلمة فى ط ، س كلمة : « حمام » وليس يتطلبها الكلام .

(٥) بين ظهرى الشجر : وسطه . ومثله بين ظهرانيه .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل ، وبدلها : « وقال صاحب الحمام » .

(٧) التحاسين : جمع تحسين . وفى ط : « التخاسين » ، وهو تصحيف .

مصمتا ، [وأبيض مصمتا[١]] ، وضروبا من ذلك ، كلها مصمتة . إلاّ أنّ الهِدَايَةَ للخُضْر والنُّمْر[٢] . فإذا ابيضَّ الحمام [كالفقيع] فمثله من النّاس الصَّقلابىُّ[٣] ، فإن الصَّقلابىَّ[٣] فطيرٌ[٤] خامٌ[٥] لم تُنْضِجْه الأرحام ؛ [إذ كانت الأرحام] فى البلاد التى شمسُها ضعيفة .

وإن اسودّ[٦] الحمامُ فإنما ذلك احتراقٌ ، ومجاوزة لحدِّ النُّضج . ومثلُ [سود الحمام[٧]] من الناس الزِّنج ؛ فإنّ أرحامهمْ جاوزَت حدَّ الإنضاج إلى الإحراق ، وشيَّطت[٨] الشّمسُ شُعورَهم فتقبَّضت .

والشَّعر إذا أدنَيتَه من النّار تجعَّد ، فإنْ زدْتَه تَفَلفَل[٩] ، فإن زدتَه احترق .

وكما أنّ عقولَ سُودانِ النَّاس وحُمرانِهم دونَ عقول السُّمر ، كذلك بيضُ الحمام وسودُها دونَ الخُضْر فى المعرفة والهدايَةِ .

---

(١) الزيادة من ل ، س . والمراد بالمصمت : الخالص .

(٢) النمر : جمع أنمر ، وهو ما فيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء .

(٣) كذا جاء . والوجه « صقلبى » ، نسبة إلى صقلب ، وهو موضع بصقلية ، وآخر بين بلغار والقسطنطينية .

(٤) فطير : لم ينضج . وفى ط : « قطر » وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الخام : أصل معناه الدبس الذى لم تمسه النار ، وكذلك الجلد لم يدبغ أو لم يبالغ فى دبغه ، وهى كلمة معربة . ط ، س : « خاص » تحريف .

(٦) ط : « أسود » وهو خطأ .

(٧) بدل هذه الزيادة المثبتة من ل ، كلمة « به » فى ط ، س .

(٨) شيطت : أحرقت . ط : « كشطت » س : « نشطت » تحريف ما أثبت من ل .

(٩) يقال شعر مفلفل : شديد الجعودة . فى الأصل : « تقلقل » وهو تصحيف .

(استطراد لغوى)

وأصل الخضرة إنَّما هو لون الرَّيحانِ والبقولِ[1] ، ثمَّ جعلوا بعدُ الحديدَ أخضرَ ، والسماءَ خضراء ، حتَّى سمَّوا بذلك الكُحْلَ واللَّيل . قال الشَّمَّاخ بنُ ضرار :

٧٦ ورُحْنَ رَواحاً مِنْ زَرُودَ فنازعت زُبالةَ جلبابا من الليل أخضرا[2]

وقال الرّاجز :

حتَّى انتضاه الصُّبح من ليلٍ خَضِرْ[3] مثلَ انتضاء البَطَلِ السَّيفَ الذّكَرْ[4]

* نضو هوًى بالٍ على نِضْوِ سَفَرْ[5] *

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . مُدْهَامَّتَانِ ﴾ ، قال : خضروان من الرِّى سوداوان .

ويقال : إن العراقَ إنَّما سمِّى سواداً بلون السَّعَف الذى فى النّخل ، ومائه .

والأسودان : الماء والتمر . والأبيضان : الماء واللبن . والماء[6] أسودُ إذا كان مع التَّمر ، وأبيضُ إذا كان مع اللَّبن .

---

(١) ل : « إنما هو للريحان والبقول » .

(٢) بدل هذا البيت جميعه فى ط ، س : « فنازعت جلبابا من الليل أخضراً » ، وأثبت البيت كاملا من ل . على أن صواب روايته : « وراحت رواحا » لأنه فى صفة ناقة واحدة كما فى الديوان ص ٣١ وماقبلها وكما فى رسائل الجاحظ ٧٠ . وزرود : رمال بين الثعلبية والخزيمية . وزبالة ، بالضم : منزل بطريق مكة من الكوفة .

(٣) الرواية فى رسائل الجاحظ : « حتى انتضانى » .

(٤) السيف الذكر : الجيد الحديدة الشديدها . ل : « الليل الذكر » تحريف .

(٥) عنى بالنضو البالى : الراكب . وبالنضو الآخر : مركبه من الإبل .

(٦) ل : « فالماء » .

ويقولون : سُودُ البطون وحُمْر الـكُلى[١] ، ويقولون : سود الأكباد يريدون العداوة ، وأن الأحقاد قد أحرقت أكبادَهم[٢] . ويقال للحافر أسود البطن ؛ لأنّ الحافر لا يكون فى بطونها شحم[٣] .

ويقولون : نحن بخيرٍ ما رأينا سَواد فلان بين أظهُرنا ، يريدون شخصه . وقالوا : بل يريدون ظلّه .

فأمّا خضْرَ مُحارِب[٤] ، فإنما يريدّون السُّودَ[٥] وكذلك : خُضْر غسّان . ولذلك قال الشاعِرُ :

إنّ الخَضارِمة الخضْرَ الذين غدَوْا أهْلَ البريصِ ثمانٍ منهمُ الحكَمُ[٦]

ومن هذا المعنى قول القرشىّ[٧] فى مديح نفسِه :

---

(١) الكلى : جمع كلية . وفى الأصل : « سود البطن حمر الكلا » ، وذا تحريف وتشويه .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « كالأحقاد أحرقت الأكباد » ، تحريف .

(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « لأن الحوافر لا يكون فى بطنها شحم » .

(٤) هم بنو محارب بن خصفة بن قيس عيلان .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « السودد » وليس مراداً ، وجاء فى الرسائل ٧٢ ساسى : « وقد فخرت خضر محارب بأنها سود ، والسود عند العرب الخضر » .

(٦) الخضارمة : جمع خضرم ، بكسر الخاء والراء — وهو السيد الحمول . وفى الأصل : « الحضارمة » وصوابه فى رسائل الجاحظ . والبريص ، بالصاد المهملة : اسم نهر دمشق ، حيث ملك الغساسنة . وفى الأصل : « البريض » بالضاد المعجمة ، خطأ تصويبه من الرسائل . وفى الرسائل : « ثمانى » ، أى ارتفع نسبى إليه .

(٧) هو عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى كما فى رسائل الجاحظ ٧١ أو الفضل ابن العباس اللهبى ، كما فى الرسائل أيضا والـكامل ١٤٣ ليبسك ومعجم المرزبانى ٣٠٩ وكنايات الجرجانى ٥١ والأضداد ٣٣٥ . وهذه الأخيرة هى النسبة الصحيحة . وابن الأنبارى فى الأضداد يرى أن معنى الخضرة السخاء والعطاء .

وأنا الأَخضَرُ مَنْ يَعْرِفُنى أخضَرُ الجلْدةِ فى بَيْتِ العرَبْ

وإذا قالوا : فلان أخضر القفا ، فإنما يعنون به أنّه قد ولدتْهُ سوداء .
وإذا قالوا : فلان أخضر البطْن ، فإنما يريدون أنّه حائك ، لأَنّ الحائكَ بطنَهَ لطول[1] التزاقه بالخشبة التى يطوى عليها الثّوب يسودّ .

(عداوة العروضى للنَّظّام)

وكان سبب عداوة العَروضى[2] لإبراهيم النَّظام ، أنّه كان يسمِّيه الأَخضرَ البطن ، والأَسوَد البطن ؛ فكان يكشِفُ بطنَه للناس — يريدُ بذلك تكذيبَ أبى إسحاق — حتى قال له إسماعيل بن غزْوان : إنَّما يريد أنَّك من أبناء الحاكة ! فعاداه لذلك .

(استطراد لغوى)

فإذا قيل أخضر النَّواجذ ، فإنما يريدون أنّه من أهل القُرَى ، ممّن يأكل الكُرَّاث والبصل .
وإذا قيل للثّور : خاضب ؛ فإنما يريدونَ أنّ البقل قدْ خَضَب أظلافه بالخضرة . وإذا قيل للظليم : خاضب ، فإنما يريدونَ[3] حمرةَ وظيفيه[4]

(١) ل : « لأن بطن الحائك » . والحائك : النساج .
(٢) اسمه عبد الله ، كما ورد فى البخلاء ص ٤٥ ، وهو من معاصرى الجاحظ .
(٣) كذا فى س . وفى ط ، ل : « يرون » .
(٤) الوظيف : مستدق الذراع والساق . ل : « وظيفه » . ط : « وطيفة » وهذه تحريف .

فإنهما يَحمرَّان فى القَيْظ ، وإذا قيل للرَّجل خاضب ، فإنَّما يريدون الحنَّاء فإذا كان خضابُه بغير الحِنَّاء قالوا : صَبَغ [1] ولا يقال خضب .

ويقولون فى شبيهٍ بالباب الأَوَّل : الأحمران : الذهب والزعفران والأبيضان : الماء واللَّبن ، والأَسودان : الماء والتمر .

ويقولون : أهلَكَ النِّساء الأَحمران [2] : الذَّهب والزّعفران ، وأهلَكَ النّاسَ الأحامِر : الذهب ، والزعفران ، واللَّحم ، والخمر .

والجديدان : اللَّيل والنهار ، وهما الملوان [3] .

والعصر : الدَّهر ، والعصران : صلاة الفَجْر وصلاة العشى [4] ، والعصران : الغَداة والعَشِىُّ ، قال الشاعر [5] :

وأمطُله العَصْرَينِ حتَّى يملَّنى
ويَرْضى بِنِصْفِ الدَّينِ والأنفُ رَاغِمُ

---

(١) ط ، س : « صيغ » وصوابه فى ل .

(٢) كذا فى ل ، وهو الصواب . وفى ط : « الأحامران » وفى س : « الأحامر يراد » . وانظر جنى الجنتين للمحبى ١٦ - ١٧ .

(٣) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « لونان » .

(٤) جاء فى الحديث : « حافظ على العصرين » أى صلاة الفجر وصلاة العصر ، وسميا العصرين لأنهما يقعان فى طرفى العصرين ، وهما الليل والنهار . وجاء أيضا تفسيره فى الحديث : « قيل : وما العصران ؟ قال : صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها » . وكلمة : « الفجر » هى فى الأصل « العصر » محرفة . و « صلاة العشى » بدلها فى ط ، س : « العشاء » وهو تحريف أيضاً .

(٥) هو عبيد بن الأبرص الأسدى كما فى حماسة البحترى ٤١٥ . وقبله :

ألين إذا لان الغريم وألتوى إذا اشتد حتى يدرك الدين قاتلى

(٦) روى : « وأنطله » فى أمالى المرتضى (٢ : ٣٨) وهى لغة . وكلمة « راغم » هى فى ط : « زاغم » وتصحيحه من ل ، س واللسان والأضداد ١٧٥ ومحاضرات الراغب (١ : ٢٢٩) حيث تجد نظائر هذا المعنى .

ويقال : « البائعان بالخيار » وإنَّما هو البائع والمشترى[١] ، فدخل المبتاع فى البائع .

وقال الله عز وجلَّ : ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ ﴾ ، دخلت الأمُّ فى اسم الأبوَّة ، كأنهُمْ يَجمعُونَعلى أنْبَهِ[٢] الاسمَيْنِ وكقولهم : ثَبِيرَين[٣] ، والبَصرتَين[٤] . وليس ذلك بالواجب ؛ وقَدْ قالوا : سيرَة العُمَرَين ، وأبو بكرٍ فوقَ عمر ، قال الفرزْدَق :

أخَذْنَا بآفاقِ السَّمَاءِ عليكمُ لنا قَمرَاها والنُّجومُ الطَّوالعُ

وأمَّا قولُ ذى الرُّمَّة :

وليلٍ كجِلبابِ العَرُوسِ ادَّرعتُه بأربْعةٍ والشخْصُ فى العَينِ وَاحِدُ[٥]

فإنهُ ليس يريدُ لونَ الجلباب ، ولكنَّهُ يريد سُبوغه .

---

(١) ل : « فإنما هو بائع ومشتر » .

(٢) أنبه الاسمين : أشهرهما وأعرفهما . وفى ط ، س : « ابنه » وصوابه فى ل .

(٣) ثبيران : هما ثبير وحراء كما فى المزهر (٢ : ١٢٢) ، وهما جبلان متقابلان من جبال مكة ، وفى ثانيهما الغار المشهور . وبدل ما أثبت من ل فى كل من ط ، س : « كالبحرين والمسلمين والزهدمين » .

(٤) البصرتان : البصرة والكوفة ، والأولى أقدم من الثانية .

(٥) ادرعته : لبسته كما يلبس الدرع . وقد فسر ذو الرمة الأربعة التى شخصها واحد فى العين ، أى التى يراها الناظر شخصا واحداً ، بقوله بعده :

أحم علافى وأبيض صارم وأعيس مهرى وأروع ما جد

فالأحم العلافى ، بكسر العين ، هو الرحل . والأحم : الأسود . والعلافى : المنسوب إلى علاف : رجل من الأزد صانع للرجال . والأبيض الصارم عنى به سيفه القاطع . والأعيس : الذى خالط بياضه شقرة . وعنى جمله . والمهرى : منسوب إلى مهرة بن حيدان . والأروع : الذى يعجبك حسنه . وعنى نفسه .

وللشعر حديث فى ديوان المعانى (٢ : ٣٤٢) والعمدة (٢ : ٢٩) والصناعتين ٢٢١ .

(جواب أعرابىّ)

قال : وكذلك قول الأعرابىّ حينَ قيل له : بأىِّ شىء تعرفُ حَملَ شاتِك ؟ قال : « إذا استفاضَتْ خاصِرتها ، ودَجت شَعْرَتُها[١] » . فالدَّاجى هاهنا اللابس .

قال الأصمعى ومسعود [بن فيد[٢]] الفزارى : ألا تَرونَه يقول : «كان ذلك وثَوبُ الإسلام ِداج ٍ» . وأما لفظ الأصمعىّ فإنّه قال : كان ذلك منذُ دَجَا الإسلام . يعنى أنّه ألبس كلَّ شىء[٣] .

(شِيات الحمام)

ثمَّ رجع بنا القول إلى ذكر شِياتِ الحمام .

وزعموا أنّ الأوضاحَ كلَّها ضعَف ، قليلها وكثيرها ، إلاّ أنَّ ذلك بالحِصَص على قدْر الكثرة والقلَّة ، كذلك هى فى جميع الحيوانِ سواءٌ مستقبلُها ومستدْبرها . وذلك ليس بالواجبِ حتى لايغادر شيئاً ألبتة ؛ لأنَّ الكَلْبةَ السَّلوقيَّةَ البيضاءَ أكرمُ وأصيَدُ ، وأصبَرُ من السَّوْدَاء[٤] .

والبياضُ فى النَّاسِ على ضروب : فالمعيب منه بياضُ المُغْرَب[٥]

---

(١) انظر ٥ : ٤٨٢ .

(٢) هذه الزيادة المثبتة من ل ، هى فى الأصل « قيد » بالقاف . وصوابه ما أثبت .

(٣) أى قوى وانتشر ، كما فى اللسان (دجا) .

(٤) ط ، س : « السواد » ، وصوابه فى ل .

(٥) المغرب بضم الميم وفتح الراء : ما كل شىء منه أبيض . ط : « البياض المغرب » وتصحيحه من ل ، س .

والأشقَرُ والأحمرُ أقلُّ فى الضّعف والفَسادِ ، إذا[1] كان مشتقًّا من بَياضِ البَهَقِ والبَرَصِ والبَرَش [والشيب] .

والمغْرَبُ عند العرب لا خَير فيه ألبتّة . والفقيع[2] لا يُنجِب ، وليس عنده إلاّ حسنُ بياضه ، عند من اشتهى ذلك .

(سوابق الخيل)

وزعم ابن سلاّم الجُمحىّ أنّه لم يرَ قطُّ بلقاءَ ولا أبلق [جاء] سابقاً .

وقال الأصمعىّ : لم يسبق الحَلْبَة أهضَمُ قطُّ ؛ لأنهم يمدحون المُجْفَرَ[3] من الخيل ، كما قال[4] :

٧٨ خِيط على زَفرةٍ فتَمَّ ولم يرجعْ إلى دِقّة وَلاَ هَضَمِ[5]

ويقولون : إنَّ الفرَس بعُنُقِه وبطْنه .

وخبّرنى بعض أصحابنا ، أنّه رأى فَرَساً للمأمون بَلقاء سبقتِ الحلبة . وهذه نادرةٌ غريبة .

---

(١) كذا فى ل ، س . وفى ط : « وإذا » .

(٢) الفقيع : الأبيض من الحمام .

(٣) المجفر ، بضم الميم وفتح الفاء : الواسع الجفرة بالضم ، وهى وسط الفرس .

(٤) هو النابغة الجعدى ، كما فى أدب الكاتب ٨٩ والاقتضاب ٣٣٠ .

(٥) يقول : كأنه زفر زفرة امتلأ جوفه بها ثم خيط على ذلك فلم تلحقه دقة ولا هضم . والهضم (بالتحريك) : استقامة الضلوع وانضمام أعالى البطن . وهذا البيت ساقط من ل . وقد أصلحته من اللسان والمصدرين السابقين . وهو فى ط : س محرف هكذا :

خيط على زفرة قم ولم يرجع إلى درقة وهضم

(نظافة الحمام ونفع ذرْقه)

والحمام طائر ألوفٌ مألوف ومحبَّب ، موصوفٌ بالنّظافة ، حتى إنّ ذرْقه لايعاف[1] ولا نتن له ، كسُلَاحِ[2] الدَّجاج والدِّيَكة . وقد يُعالج بذرْقه صاحبُ الحصاة . والفلاّحون يجدون فيه أكثرَ المنافع . والخبَّاز يُلقى الشىء منه فى الخمير لينتفخَ العجينُ ويعظُمَ الرغيف ، ثمّ لايستبينُ ذلك فيه . ولذَرْقه غلاّتٌ ، يعرف ذلك أصحاب الُحجَر . وهو يصلُح فى بَعض وُجوهِ الدَّبْغ .

باب[3]

[وقال صاحبُ الدِّيك] : الحمامُ طائرٌ لئيمٌ قاسى القلب ، وإن برَّ بزَعْمِكم[4] ولدَ غيرِه ، وصنَعَ به كما يصنع بفرخه ؛ وذلك أنهما يحضُنان كلَّ بيض ، ويزُقّان كلَّ فرْخ ، وما ذاك منهما إلاّ فى الفَرْط .

(لؤم الحمام)

فأمَّا لؤمه فمن[5] طريق الغَيرة ، فإنّه يرى بعينه الذّكَرَ الذى هو أضعف منه ، وهو يطرُدُ أنثاه ويكسَحُ بِذَنَبه حَولها ، ويتطوَّس[6] لها

---

(١) لايعاف : لا يكره .

(٢) السلاح ، بالضم : النجو .

(٣) ليست فى ل .

(٤) كذا فى ط ، س . وفى ل : « وإن برعم ببره » ، وليس يستقيم هذا .

(٥) كذا فى ل . وبدلها فى ط س : « فى » وأثبت الصواب .

(٦) التطوس : التزين . ويراد به هنا إبداء المحاسن فى الشكل والحركة .

ويستميلها ، وهو يرى ذلك بعَينه — ثمَّ لم نر قط ذكراً واثَبَ ذكراً عند مثلِ ذلك .

فإذا قلت : إنّه يشتدُّ عليه ويمنعه إذا جثَمت[1] له وأراد أن يعلوَها ؛ فكلُّ ذكر وأنثى هنالك يفعل ذلك ، وليس ذلك من الذكر الغريب من طريق الغَيرة ، ولكنّه ضربٌ من البُخْل ومن النّفاسة[2] . وإذا لم يكن من ذكَرِها إلاّ مثلُ ما يكون من جميع الحمام عُلِم أنّ ذلك منه ليس من طريق الغيرة . [وأنا رأيت النواهضَ تفعل ذلك ، وتقطع على الذَّكر بَعْدَ أن يعلُوَ على الأنثى] .

قال : وأمَّا ما ذكرتم من أن الحمامَ معطوفٌ على فِراخه ما دامتْ محتاجةً إلى الزّقّ ، فإذا استغنَت نُزِعت منها الرحمةُ ، فليس ذلك كما قلتم . الحمامُ طائرٌ ليس له عهد ؛ وذلك أنّ الذَّكرَ ربما كانت معه الأنثى السِّنينَ ، ثمَّ تُنقَلُ عنه وتُوارَى [عنه] شهراً واحداً ، ثم تظهر له مع زوجٍ أضْعَفَ منه ، فيراها طولَ دهْره وهي إلى جنب بيتِه وتماريده[3] فكأنهُ لايعرفها بعد معرفتها الدَّهرَ الطويل[4] ، وإنما غابت عنه الأيّامَ اليسيرةَ . فليس يوجَّهُ[5] ذلك الجهلُ الذى يُعامِل به فراخَهُ بَعد أن كبِرَت ، إلّا على

---

(١) جثمت : لزمت مكانها أو وقعت على صدرها . وبدلها فى ط : « اجتمعت » .

(٢) النفاسة ، هنا ، من نفس عليه ، بكسر الفاء : حسده ، أو لم يره أهلا .

(٣) التماريد : جمع تمراد بالكسر ، وهو بيت صغير فى بيت الحمام لمبيضه . ط : « وبمرآه » . س : « بمرداته » وهذه محرفة .

(٤) ل : « بعد معرفة » . ل : س: « العمر الطويل » .

(٥) كذا الصواب فى ل ، س . وفى ط : « يوجد » .

الغباوةُ وسُوءِ الذِّكر ، وأنّ الفرْخ حين استوى ريشهُ وأشبَهَ غيرَه من الحمام جهِل الفصْل (١) الذى بينهما .

فإن كان يعرف أنثاه وهو يجدُها مع ذكَرٍ ضعيف وهو مسلِّمٌ لذلك وقانعٌ بهِ ، وقليلُ الاكتراث به ، فهو من لؤمٍ فى أصل الطبيعة . ٧٩

(قسوة الحمام)

قال : وبابٌ آخر من لؤمه: القسوةُ ، وهى ألأمُ اللّؤم ؛وذلك أن الذّكَر ربّما كان فى البيت طائرٌ ذكرٌ قد اشتدَّ ضعفُه ، فينقُر رأسَه والآخرُ مستخذٍ (٢) له ، قد أمكَنَه من رأسِهِ خاضعاً له ، شديدَ الاستسلام لأمره ، فلا هو يرحُمه لضعفِه وعجْزه عنهُ ، ولا هو يرحَمُه لخضوعه ، ولا هو يملُّ (٣) وليس له عنده وِتر . ثمّ ينقُر يافُوخَه حتى ينقُبَ عنهُ ، ثمَّ لايزال ينقُر ذلك المكانَ بَعْدَ النّقْب حتى يُخرِجَ دِماغَهُ فيموتَ بين يَدَيْه .

فلو كان ممَّا يأكل اللَّحمَ واشتهى الدماغ كان ذلك له عذراً ؛ إذ لم يَعْدُ ماطَبَعَ الله عليه سِباعَ الطير .

فإذا رأينا من بعض بهائمِ الطيرِ من القَسوةِ ما لا نرى من سِباع الطير لم يكن لنا إلاّ أن نقضىَ عليهِ من اللؤم على حسب مباينته لشكل

---

(١) الفصل بالصاد المهملة : أى الفرق . ط ، س : « الفضل » وليس بشىء .
(٢) مستخذ ، بالذال : خاضع . س فقط : « مستخز » ،وهو تصحيف .
(٣) ل: « ولا يميل » .

البهيمة ، ويزيد[١] فى ذلك على ما فى جوارح الطير من[٢] السَّبُعية .

(أقوال لصاحب الديك فى الحمام)

وقال صاحب الديك[٣] :

زعم أبو الأَصبغ بن ربعىّ[٤] قال : كان رَوحٌ أبو همام صاحِب المعمّى ، عند مثنَّى بن زهير ، فبينما هو يوماً وهو معهُ فى السطح إذ جاء جماعةٌ فصعِدوا . فلم يلبثْ أن جاء آخرون ، ثمَّ لم يلبَثْ أن جاءَ مثلهُمْ ، فأقبَلَ عليهم فقال : أىُّ شىءٍ جاء بكم ؟ وما الذى جَمَعكم اليوم ؟ قالوا : هذا اليومُ الذى يرجع فيهِ مَزَاجيلُ الحمامِ من الغايَةِ . قال : ثمَّ ماذا ؟ قالوا : ثمَّ نَتَمَتَّعُ بالنَّظَر إليها إذا أقبلت . قال : لـكِنَّنى أتمتّع بتغميض العين إذا أقبلت ، وترْكِ النَّظَرِ إليها !! ثمَّ نزَل وجلس وحدَه .

(التلهِّى بالحمام)

وقال مثنَى بنُ زهير ذاتَ يوم : ما تلَهَّى النّاسُ بشىءٍ مثل الحمام ، ولا وجدنا شيئا مما يتخذه النّاس ويُلعَبُ بِهِ ويُلْهَى بِهِ ، يخرج من أبواب

---

(١) ل : « ونزيده » .

(٢) ط ، س : « مثل » وصوابه فى ل .

(٣) هذه الجملة ليست فى ط ، س . وبدلها كلمة « باب » .

(٤) ماعدا ل : « أبو الأصبع بن ربعى » . وانظر ص ١٠٩ .

الهزل إلى أبواب الجدّ – كالحمام – وأبو إسحاق[1] حاضر – فغاظه ذلك ، وكظم على غيظه . فلمّا رأى مثنّى سكوته عن الردّ عليه طمِع فيه فقال : يبلغ والله مِنْ كرَم الحمام ووفائِه ، وثباتِ عهْدِه ، وحنينِه إلى أهله ، أنّى ربّما قصَصتُ الطّائر[2] بعد أنْ طار عِندى دهراً ، فتى نبَتَ جَناحه كنباته الأوّل ، لم يَدْعُه سوءُ صنعِى إليه إلى الذّهاب عنّى . ولربّما بِعْتُه فيقصّه المبتاعُ حيناً ، فما هو إلاّ أن يجدَ فى جَناحِه قوّةً على النّهوض [حتّى أراه[3]] أتانى جادفاً أو غير جادف[4] . وربّما فعلتُ ذلك به مراراً كثيرة ، كلّ ذلك لايزدَادُ إلّا وفاء .

٨٠

قال أبو إسحاق : أمّا أنت فأراكَ دائباً تحمَده وتذمّ نَفْسَك . ولئنْ كان رجوعُه إليك من الكرمِ إنّ إخراجَك له من اللّؤم ! وما يُعجبنى من الرِّجال مَنْ يَقْطَعُ نفسَه لصلةِ طائرٍ ، وينسى ماعليه فى جنبِ مالبهيمة . ثم قال : خبِّرنى عنكَ حين تقول : رجَعَ إلىّ مرّةً بعدَ مرّة ، وكلما زهِدْتُ فيه كان فىّ أرغبَ ، وكلّما باعدْتُه كان لى أطْلَبَ؛ إليكَ جاء ، وإليكَ حنَّ أمْ إلى عُشّه الذى درَج منه ، وإلى وكْره الذى رُبّى فيه ؟ ! أرأيت أنْ لو رجَعَ إلَى وكرِه وبيتِه ثمّ لم يجدْك ، وألفاك غائباً أو ميِّتاً ، أكان يرجِعُ إلى موضعه الذى خلّفه ؟ ! وعلى أنّك تتعجّب من هدايتِه ، وما لك فيه

---

(١) هو إبراهيم بن سيار النظام شيخ الجاحظ .

(٢) فى الأصل : « قصصت الطائر دهرا » . وكلمة : « دهرا » مقحمة بلا ريب .

(٣) ليست بالأصل ، وزدتها تكملة للكلام .

(٤) جدف الطائر جدوفا : طار وهو مقصوص .

مقالٌ غيره . فأمَّا شكرُك على إرادته لك ، فقد تبيَّنَ خَطَاؤك(١) فيه ، وإنما بقى الآن حسنُ الاهتداء ، والحنينُ إلى الوطن .

(مشابَهَة هداية الحمام لهداية الرخم)

وقد أجمعوا على أنَّ الرَّخَمَ من لئام الطير وبغاثها ، وليست من عِتاقها وأحْرارها ، وهى من قواطِع الطَّير ، ومِنْ موضِع مَقْطَعها إلينا(٢) [ثمَّ] مرجعِها إليه من عندنا ، أكثَرُ وأطوَلَ من مقدارِ أبعَدِ غايات حمامكم . فإن كانتْ وقتَ خُروجها من أوطانها إلينا خرجتْ تقطَع الصَّحارىَ والبرارىَّ والجزائرَ والغِياضَ والبِحارَ والجبالَ ،حتّى تصير إلينا فى كلِّ عام_فإن قلت إنّها ليستْ تخرج إلينا على سمْتٍ ولا على هِدايةٍ ولا دَلالةٍ ، ولا على أمارةٍ وعَلامة ، وإنما هَرَبت من الثُّلوج والبَرْد الشديد ، وعلمت أنّها تحتاج إلى الطُّعْم ، وأنّ الثّلجَ قد ألبَس ذلك العالم ، فخرجتْ هاربةً فلا تزالُ فى هربها إلى أن تصادفَ أرضا خِصْباً(٣) دفئاً ، فتقيم عندَ أدنى ماتجد _ فما تقولُ فيها عند رجوعها ومعرفتِها بانحسارِ الثلوج عن بلادها ؟ ! أليست قد اهتدت(٤) طريقَ الرُّجوع ! ؟ ومعلوم عند أهل تلك الأطراف ، وعند أصحاب التَّجارب

(١) الخطاء ، كسحاب ، مثل الخطأ .

(٢) ط ، س : « إلى » ،وصوابه فى ل .

(٣) يقال : أرض خصب وخصبة بكسرها ، وخصبة بالفتح . بدلها فى ل : « بيضاء » وليس بشىء .

(٤) يقال هو يهدى الطريق ويهتدى الطريق بمعنى يعرفه .

وعند القانص ، أنّ طَيْرَ كلٍّ جهةٍ إذا قَطَعَتْ رَجَعت إلى بلادها وجبالها وأوكارها ، وإلى غياضها وأعشّتها[1] . فتجد هذه الصِّفة فى جميع القواطع من الطَّير ، كرامها كلئامها[2] ، وبهائمها كسباعها . ثمَّ لايكون اهتداؤها على تمرينٍ وتوطين ، ولا عن تدريبٍ وتجريبٍ ، ولم تلقّن[3] بالتّعليم ، ولم تثبّتْ بالتّدبيرِ والتقويم . فالقواطع لأنفسها تصير إلينا ، ولأنفسها تعودُ إلى أوكارها . وكذلك الأوابد من الحمام ، لأنفسها ترجع . وإلفُها للوطن إلفٌ مشترَكٌ مقسومٌ على جميع الطّير . فقدْ بَطلَ جميعُ ما ذكرت .

(قواطع السمك)

ثم قال : وأعجبُ من جميعِ قواطعِ الطّيرِ قواطعُ السَّمك ، كالأسبور[4] والجُوَاف[5] والبَرستُوج[6] ، فإنَّ هذه الأنواعَ تأتى دِجلَةَ البصرةِ من

---

(١) لم أر هذا الجمع لغير الجاحظ . والمعروف عشاش وعششة وأعشاش .

(٢) ط ، س : « ولئامها » وصوابه ما أثبت من ل .

(٣) كذا فى ط ، س . وفى ل : « ولم تعلّ » .

(٤) فصيلة الأسبور ، أسماك بحرية مشهورة ، منها المرجان ، والسرغوس ، والسرب والكحلاء ، ونحوها . معجم المعلوف ٢٣٢ . ولم أهتد إلى ضبطه لأنه ليس من ألفاظ المعاجم المشهورة . وبدل هذه الكلمة فى ط ، س : « الأشبور » وبدون إلحاق كاف التشبيه فى أوله ، وهو تحريف . وجاء الكلام عليه فى عجائب المخلوقات ١١٤ .

(٥) الجواف بالواو ، بوزن غراب ، كما فى القاموس : ضرب من السمك . وقال صاحب عجائب المخلوقات : « ووصفه مثل وصف الأسبور » . وهذه الكلمة جاءت محرفة فى س وعجائب المخلوقات بلفظ « الجراف » . وفى ط بلفظ « الجوان » وصوابه فى القاموس و ل .

(٦) البرستوج ، هو فى القاموس : « البرشتوك كسقنقور : سمك بحرى » قلت : هو =

٨١ أقصى البحار ، تستعذبُ الماء فى ذلك الإبَّان ، كأنها، تتحمَّضُ بحلاوة الماء وعذوبَتِه ، بعدَ مُلوحةِ البحر ؛ كما تتحمَّض الإبلُ فتطلب الحَمْضَ — وهو ملحٌ — بَعْدَ الخُلّة — وهو ماحلا وعذب .

(طلب الأسد للملح)

والأُسدُ إذا أكثَرتْ مِن حَسْوِ الدّماء — والدِّماءُ حلوةٌ — وأكْلِ اللّحْم واللّحمُ حلو — طلبت المِلْحَ لتتملّحَ[1] به ، وتجعلَه كالحَمْض بعْدَ الخُلّة .

ولولا حُسنُ موقعِ المِلْح لم يُدْخله النّاسُ فى أكثَرِ طعامهم .

والأَسَدُ يخرج للتملُّح ، فَلَا يزالُ يسيرُ حتّى يجِدَ مَلَّاحَةً[2] . وربَّما اعتادَ الأَسَدُ مكاناً فيجدُه ممنوعا ، فلا يَزَالُ يقطَعُ الفراسِخَ الكثيرَةَ بَعْدَ ذلك[3] فإذا تملَّح رجع[4] إلى موضعِهِ وغَيْضَتِه وعَرينِه ، وغابه وعِرِّيسته[5] ، وإن كان الذى قَطَع خمسين فرسخاً .

= معرب « پرستوك » ، وهو لفظ فارسى معناه الخطاف واحد الخطاطيف ، ولعل سبب تسميته بذلك أنه يشبه الخطاف فى أنه من القواطع كما أن الخطاف من القواطع . وفى عجائب المخلوقات ١١٤ : « وحاله كحال الخطاطيف وغيرها من الطيور ينتقل من مكان إلى مكان » . « وذكر البحريون أن البرستوج فى الوقت الذى يوجد فى البصرة لايوجد بالزنج ، وفى الوقت الذى يوجد فى الزنج لايوجد فى البصرة » . ط : « البزستوج » تصحيف .

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « تستملح » .

(٢) الملاحة : منبت الملح أى معدنه . وأفعال هذه الجملة فى س مبدوءة بالتاء ، فتقرأ « الأسد » بهذه جمعاً ، أى بضم الهمزة وإسكان السين .

(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « وبعد ذاك » والواو مقحمة .

(٤) س : « عاد » .

(٥) الغاب : جمع غابة ، وهى الأجمة . والأوفق فى هذه الكلمة أن تكون « وغابته » =

(مجىء قواطع السمك إلى البصرة)

ونحن بالبصرة نعرف الأَشْهُر التى يقبل إلينا فيها هذه الأَصناف[١] وهى تقبلُ مرَّتين فى كلِّ سنة ، ثمّ نجدُها فى إحداهما أسمَنَ[٢] الجنس فيقيم كلُّ جنس منها عنْدَنا شهرَين إلى ثَلَاثَة أشْهُر ، فإذا مضى ذلك الأَجلُ ، وانقضتْ عِدّةُ[٣] ذلك الجنسِ ، أقْبل[٤] الجنسُ الآخر . فهم[٥] فى جميع أقسام شُهورِ السَّنَةِ من الشتاء والربيعِ ، والصَّيفِ والخريف ، فى نوعٍ من السَّمك غيرِ النّوع الآخَر . إلّا أنْ البَرَسْتُوجَ[٦] يُقْبِل إلينا قاطعاً من بلاد الزّنج[٧] ، يستعذب الماء من دِجلةِ البَصْرَةِ ، يعرفُ ذلك جميعُ الزِّنج والبَحْرِيّين .

= بالإفراد ليتساوق الكلام ، ولكن هكذا وردت فى ل . وفى ط ، س : « محرابه » ، وهو تحريف ظاهر . والعريسة ، بكسر العين وتشديد الراء المكسورة : مأوى الأسد ، ومثلها « العريس » بالضبط المتقدم ، وجاءت بهذه فى ط ، س .

(١) كذا فى ل . وبدل الكلمتين الأخيرتين فى ط ، س : « الأشبور وأصناف السمك » ، وكلمة« الأشبور » مصحفة سبق الكلام فيها ص ٢٥٩ .

(٢) بعد هذا اللفظ فى ط فقط كلمة « الجنس » ، وليس لها وجه .

(٣) عدته أى عدد أيامه . وفى الكتاب العزيز : « ولتكملوا العدة » ط ، س : « مدة » .

(٤) ط : « قبل » صوابه فى ل ، س .

(٥) فهم : أى فأهل البصرة . س « فيهم » تحريف .

(٦) ط : « البزسبوج » ، وهو تصحيف نبهت عليه ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٧) بلاد الزنج ، يراد بها مايعرف الآن ببلاد الصومال الإيطالى وما جاورها من الجنوب وأكبر بلادهم هى (مقدشو) كما ورد فى معجم البلدان برسم (بحر الزنج) . ولا تزال هذه المدينة عامرة إلى وقتنا هذا . وهى عاصمة بلاد الصومال .

(بُعْدُ بلاد الزِّنج والصِّين عن البصرة)

وهم يزعمون أنّ الذى بين البصرة والزِّنج ، أبعَدُ مما بين الصِّين وبينها[١]

وإنما غلط ناسٌ فزعموا أنّ الصِّين أبعد ، لأن بحرَ الزِّنج[٢] حفرةٌ واحِدة عميقَة[٣] واسعة ، وأمواجها عِظام ، ولذلك البَحْرِ ريحٌ تهبُّ من عُمانَ إلى جهة الزِّنج شهْرَين ، وريحٌ تَهُبُّ من بلاد الزِّنج تريدُ جِهَة عُمان شهْرين ، على مقْدَارٍ واحدٍ فيما بينَ الشِّدَّة واللِّين ، إلاّ أنّها إلى الشدّةِ أقْرَب ، فلما كان البَحْرُ عميقا والرِّيحُ قَوِيَّةً ، والأمْواجُ عظيمَةً ، وكان الشِّراعُ لايحطُّ ، وكان سيرهم مع الوَتَر ولم يكن مع القَوْس[٤] ، ولا يَعْرفون الخِبَّ والمكَلَّأَ[٥] ، صارت الأَيّامُ التى تسير فيها السُّفن إلى الزِّنْجِ أقل .

---

(١) أى وبين البصرة . ط ، س : « بينهما » ، وصوابه فى ل .

(٢) بحر الزنج ، هو الجانب الغربى من المحيط الهندى ، المجاور لبلاد الزنج . وانظر ٢٦١ .

(٣) ل : « عميمة » وصوابه فى ط ، س .

(٤) المراد بالوتر الوتر الهندسى ، وهو الخط الذى يصل بين طرفى القوس . والوتر أبداً أقل من قوسه .

(٥) الخب ، بالكسر : اضطراب أمواج البحر . والمكلأ ، كمعظم : المرفأ . يقول : لايضطرب بهم الموج فيلجئهم إلى الرسو بجوار الساحل . ط : س : « الجيب الميل » ، وهما على الصواب الذى أثبت فى ل .

(البرستُوج)

قال : والبَرَسْتوج[(١)] سَمكٌ يقْطَعُ أمواجَ الماء ، وَيَسيح[(٢)] إلى البصرة مِنَ الزنْج ، ثم يَعُودُ مافَضَلَ عنْ صيدِ الناس إلى بلاده وبحره . وذلك أبْعَدُ ممّا بين البصرة إلى العليق[(٣)] المرارَ الكثيرة . وهم [لا][(٤)] يصيدون من البَحْر فيما بين البَصرة إلى الزَّنْج[(٥)] من البَرَسْتُوج[(٦)] شيئا [إلَّا] فى إبانِ مَجيئها إلينا ورجوعِها عنّا[(٧)] ، وإلَّا فالبحر منها فارغٌ خالٍ .

فَعامة الطيرِ أعجبُ من حمامكم ، وعامَّةُ السّمك أعجبُ من الطَّير .

(هداية السمك والحمام)

والطَّيرُ ذو جناحين ، يحلِّق فى الهواء ، فله سُرعةُ الدَّرَك وبلوغ الغاية بالطيران[(٨)] ، وله إدراك العالم بما فيــهِ بعلامات وأمارات[(٩)] إذا هو ٨٢

(١) ط : « والبزسبوج » وصوابه فى ل ، س . وانظر التحقيق فى ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٢) كذا فى ل ، ط . وفى س : « يسبح » بالموحدة .

(٣) كذا فى ل ، وانظر ماسبق فى ص ٢١٥ . ط : « العين » س : « العلين » .

(٤) الزيادة من ل ، س .

(٥) فى ط فقط بعد هذه الكلمة : « ولا نرى » .

(٦) ط : « البزستبوج » وهو تصحيف انظر له ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٧) ل : « عنها » تحريف .

(٨) ط ، س : « والطيران » .

(٩) ل : « بعلاماته وأماراته » .

حلَّق[1] فى الهواء ، وعلا[2] فَوق كل شىء . والسَّمكة تسبِّح فى غَمْر البَحْر والماء[3] ، ولا تسبِّح فى أعلاه . ونَسِيمُ الهواء الذى[4] يعيشُ بهِ الطيرُ لو دامَ على السمَكِ ساعةً مِنْ نهارٍ لقتله[5]

وقال أبو العنبر[6] : قال أبو نُخيلة الراجز[7] وذَكَرَ السمك :

تغمُّـــه النشرَة[8] والنسِيم فَــلا يزال مُغرَقا[9] يَعُومُ

فى البَحر والبَحْرُ له تَخميمُ[10] وأمُّـــهُ الوَالدةَ الرءومُ

* تَلهمهُ جهلًا وما يَرِيمُ *

---

(١) تحليق الطائر : ارتفاعه فى طيرانه . ل : « تحلق » ، ولم أجد هذه إلا فى تحلق القمر : صارت حوله دوارة ، وتحلق القوم : جلسوا حلقة حلقة .

(٢) علا : ارتفع . ط : « على » تحريف .

(٣) ل : « غمر الماء » . وتجد أنى ضبطت « تسبح » من التسبيح ، وهو مراد الجاحظ ، جاء فى نقل الدميرى : « قال الجاحظ : السمك يسبح الله فى غمر الماء » وانظر ما نقله عن صفوة الصفوة .

(٤) ط : « والذى » وصوابه فى ل ، س والدميرى .

(٥) قال الدميرى معترضاً : « وما ذكره الجاحظ من كون النسيم يضر بالسمك فليس على إطلاقه ، فإن الغزالى قد استثنى منه نوعاً لايضره النسيم فقال : ومن السمك نوع يطير على وجه البحر مسافة طويلة ثم ينزل » .

(٦) ط ، س : « ابن أبي العنبر » ل : « أبو العس » . وجاء فى معجم المرزبانى ٥١٣ : « أبو العنبر بن أبي نخيلة ، ويقال هو أبو العبير » .

(٧) أبو نخيلة الراجز سبقت ترجمته فى (٢ : ١٠٠) . فى الأصل : « بن أبي نخيلة الراجز » ، وقد أبدلته بما ترى .

(٨) ط : « النشزة » وصوابه فى ل ، س واللسان (نشر) .

(٩) س : « معرقا » وتصحيحه من ط ، ل واللسان .

(١٠) ط ، س والدميرى : « حميم » ، وصوابه فى ل واللسان .

يقول : النشرَة والنسيم الذى يُحيى جَميعَ الحيوانات ، إذا طال عليه الخُمُومُ[1] واللَّخَنُ والعَفَن ، والرُّطوباتُ الغليظة ، فذلك يغمُّ السَّمك ويكرُبُه ، وأمُّه التى ولدته تأكله ؛ لأنّ السَّمكَ يأكلُ بعضُه بعضاً ، وهو فى ذلك لا يَريمُ هذا الموضع[2] .

وقال رؤبة[3] :

والحوت[4] لا يَكفيه شئٌ يَلْهَمُه يُصبِحُ عَطْشَانَ وفى الماءِ فَمُهْ[5]

يصف طباعَه واتِّصالَه بالماء ، وأنَّه شديد الحاجةِ إليه ، وإن كان غَرِقا [فيه[6]] أبدا .

---

(١) الخموم : العفن . ط ، س : « الحموم » وتصحيحه من ل واللسان .

(٢) رام الموضع يريمه : تركه .

(٣) فى محاضرات الراغب (١ : ٣٠٤) نسبة الرجز إلى جرير والصواب ما هنا . والبيتان من أرجوزة طويلة لرؤبة أولها كما فى ديوانه ١٤٩ ، وشرح شواهد المغنى ١٢٠ :

* قلت لزير لم تصله مريمه *

(٤) الرواية الصحيحة : « كالحوت » . انظر المحاضرات وشرح شواهد المغنى . وقد روى البكرى الأرجوزة فى أراجيز العرب ١٣٩ - ١٥٥ . وقبل هذا البيت :

* أتاك لم يخطئ به ترسمه *

يعنى نفسه . ويخاطب أبا جعفر المنصور مادحاً .

(٥) استشهد به ابن سيده فى المخصص (١ : ١٣٦) على أنه اضطر فقال « فمه » وقال : « وهذا الإبدال إنما هو فى الإفراد » ، أى إبدال عين الكلمة بميم ، وكان ينبغى أن يقول : « فوه » ، ولا يصح النطق بكلمة « فم » إلا حين إفرادها عن الإضافة . قال البكرى : « يقول : إنه لا يروى حتى يلقى الممدوح » .

(٦) الزيادة من ل ، س .

(شعر فى الهجاء)

وأنشدنى محمَّدُ بنُ يسير لبعض المدنيِّين[١] ، يهجُو رجلا ، وهو قوله :

لو رأى فى السَّقفِ فرْجاً لنزَا حتَّى يمــوتاَ[٢]

أو رآهُ وَسْطَ بحــرٍ صارَ فيــه الدَّهرَ حُوتاَ[٣]

قال : يقول فى الغَوْصِ فى البَحْرِ ، وفى طُول اللبْثِ فيه . [٤]

(شعر فى الضفدع)

وقال الذَّكوانى ، وهو يصف الضِّفْدعَ :

يُدخل فى الأشْدَاق[٥] ماءً يَنصُفه كَيماَ[٦] يَنقَّ والنَّقيقُ يُتْلِفهُ

قال : يقول : الضِّفدع لا يصوِّت ، ولا يتهيَّأ له ذلك حتَّى يكون فى فيه ماء ، وإذا أرادَ ذلك أدخل فكه الأسفلَ فى الماءِ ، وترَكَ الأعلى حتى يبلُغَ الماءُ نِصفَه .

---

(١) الصواب أن الشعر لأبى نواس ، وليس فى هجاء رجل ، بل فى غرض آخر . انظر الكنايات للجرجانى ٣٧ ومعاهد التنصيص (١ : ٣٤) وأخبار أبى نواس ٣٥ .

(٢) نزا : وثب . وفى الأصل : « لزنا » وصوابه فى أخبار أبى نواس . وفى المعاهد : « لنزى » تحريف كتابى . وفى الكنايات : « لرق » .

(٣) ل : « صار للتغطاط » ، وصوابها « للتنعاط » . المعاهد : « صار للإنعاظ » .

(٤) هذا التفسير ساقط من ل .

(٥) فى الأصل « الأشدق » ، ولم أر هذا الجمع ، وأثبت ما فى الدميرى وعيون الأخبار (٢ : ٩٧) .

(٦) ط ، س : « كما » ، تحريف . وانظر ٥ : ٥٣٢ .

والمثل الذى يَتَمَثَّلُ بِهِ النَّاس : « فلانٌ لايستطيعُ أن يُجيبَ خُصومَه لأنّ فاهُ مَلآن ماءً » . وقال شاعرهُم[١] :

وما نسيت مكان الآمريكِ بذا   يامَنْ هويتُ ولـكنْ فى فِمِى ماءُ[٢]

وإنَّما جعلوا ذلك مثلا[٣] ، حينَ وجَدُوا الإنسانَ إذا كان فى فمه ماءٌ على الحقيقة لم يَسْتطع[٤] الـكلام . فهو تأويلُ قولِ الذَّكوانىِّ :

* يُدخِلُ فى الأشداقِ ماءً يَنْصُفُه *

بفتح الياءِ وضمِّ الصَّاد ، فإنَّه ذهبَ إلى قول الشاعرِ[٥] :

وكنتُ إذا جارى دَعا لمَضُوفةٍ   أشمِّرُ حتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ مِئْزَرِى[٦]   ٨٣

[المضوفة : الأمر الذى يشفقُ منه] .

وكقول الآخر[٧] :

* فإنَّ الظَّنَّ يَنْصُفُ أو يزِيدُ *

وهذا ليس من الإنصاف الذى هو العَدْل ، وإنَّما هو من بلوغ نِصْفِ الساق .

---

(١) هو أبو نواس من أبيات فى الديوان ٣٥٩ .

(٢) كذا فى ط ، س . وفى ل : « بذا * من الوشاة » . وفى الديوان : « وما جهلت مكان لاشريك به * من الوشاة » .

(٣) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « مثله » .

(٤) ط : « يستطيع » ، وهو خطأ .

(٥) هو أبو جندب الهذلى ، كما فى اللسان (نصف) .

(٦) تـكلم فى هذا البيت ابن الأنبارى فى الأضداد ١١٣ وابن سـيده فى المخصص (١٢ : ١٢٥) والبغدادى فى الخزانة (٣ : ٣٢١ بولاق) .

(٧) هو أبو الفضة قاتل أحمر بن شميط ، كما سبق فى ٦٠ . وصدره :

* فإلا يأتـكم خبر يقين *

وأمّا قوله :

* كَما[1] ينقَّ والنَّقِيقُ يُتلِفهُ *

فإنه ذهَبَ إلى قول الشاعِر[2] :

ضفادِعُ فى ظلماء ليلٍ تجاوَبتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهاَ حَيَّةَ البَحْرِ

(معرفة العرب والأعراب بالحيوان)

وقلَّ معنًى سَمِعناهُ فى باب مَعْرفةِ الحيوان من الفلاسفة ، وقرأناه فى كُتبِ الأطبَّاءِ والمتكلمين – إلَّا ونحنُ قد وجدناه[3] [أو] قريبا منهُ فى أشعار العَرب والأعراب ، وَفى[4] معرفةِ أهلِ لغَتنا ومِلّتنا . ولولا أنْ يطولَ الكتابُ لذكرتُ ذلك أجمعَ[5] . وعلى أنِّى قد تركتُ تفسيرَ أشعارٍ كثيرة ، وشواهد عديدة[6] مما لايعرفه إلَّا الرَّاويةُ النِّحرير[7] ؛ مِنْ خوفِ التطويل .

---

(١) ط ، س : « كما » ، وصوابه فى ل .

(٢) هو الأخطل كما فى البيان (١ : ٢٧٠) والحيوان (٥ : ١٥٤) . وللبيت قصة طريفة فى العقد (٢ : ١٤) ومعاهد التنصيص (٢ : ١٩٩) والكنايات ٧٢ .

(٣) ط ، س : « وجدنا » .

(٤) ل : « فى » والوجه ما اثبت من ط ، س .

(٥) ط ، س : « لذكرت لك الجميع » .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « مع شواهد كثيرة » .

(٧) النحرير : الحاذق الفطن البصير بكل شىء . ط ، س : « إلا الرواة للتحرز » تحريف ما أثبت من ل .

(حمام النساء وحمام الفراخ)

وقال أفليمون[1] صاحبُ الفِراسة : اجعل حمامَ النساء المسرْوَلاتِ العِظامَ الحِسَانَ ، ذواتِ الاختيال والتَّبختر والهدير ؛ واجعل حمام الفِراخِ ذواتِ الأنساب الشريفة[2] والأعراق الكريمة ، فإنّ الفراخَ إنَّما تكثُر عن حُسْن التعهُّد ، ونظافَةِ القرامِيص[3] والبُروج . واتَّخِذْ لهنَّ بيتاً محفوراً عَلَى خِلقة الصَّومَعة ، محفوفا من أسفله[4] إلى مقدارِ ثُلثَى حِيطانِه بالتماريد[5] ، ولتَكُنْ واسعةً وليكن بينها حِجاز[6] . وأجودُ ذلك أن تكونَ تماريدُها محفورَةً فى الحائطِ[7] على ذلك المثال ، وتعهَّد البُرْج بالكنس والرَّشِّ[8] [فى زمان الرشِّ]، وليكن مخرجُهنَّ من كَوٍّ[9] فى أعلى

---

(١) ط ، س : « أقليمون » بالقاف ، تصحيف ما فى ل .

(٢) ط ، س : « من غير ذوات الأنساب » وكلمة « غير » تفسد الكلام . ولفظ « الشريفة » ساقط من ل .

(٣) القرموص : العش يبيض فيه الحمام . قال الأب أنستاس مارى : هى يونانية بلا أدنى ريب ، من : Kheramos,ou ومعناه الحفرة والأفحوص والقلت والوجار وهى مشتقة من فعل أصله عندهم Kha .

(٤) ط ، س : « أوله » .

(٥) التماريد : جمع تمراد بالكسر ، وهو بيت صغير فى بيت الحمام لمبيضه .

(٦) حجاز ، بالكسر : حاجز . ط فقط : « أحجاز » وهو تحريف .

(٧) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « والحائط » .

(٨) ل : « بالكسح » وهو بمعنى الكنس . وكلمة « الرش » هى فى ط : « الريش » وصوابها فى ل ، س .

(٩) الكو : الخرق فى الحائط ، ومثله الكوة بضم الكاف وفتحها ، جمعه كوى وكواء . ط :« من كون » ولا يستقيم الجمع مع سياق الكلام .

الصَّومعة ، وليكن مقتصداً فى السَّعةِ والضِّيق ، بقدر ما يدخُل منه ويخرج [منه] الواحد [بعد الواحد] . وإن استطعتَ أن يكونَ البيتُ بقُربِ مزرعةٍ فافعلْ . فإنْ أعجزَكَ المنسوبُ منها فالتمسْ ذلك بالفِراسةِ التى لاتُخطئُ . وقلَّما يُخطئُ المتفرِّس .

قال : وليس كلُّ الهُدَّى[١] تَقْوَى على الرّجعة من حيثُ أرسِلتْ ؛ لأنَّ منها ما تفضُل قوَّتهُ على هِدايته ، ومنها البطىء وإن كان قويّا ، ومنها السَّريع وإن كان ضعيفا ، على قدر الحنين والاغترام[٢] . ولا بدَّ لجميعها من الصَّرامةِ ، ومن التّعليم أوَّلًا والتَّوطين آخِراً .

(انتخاب الحمام)

وقال : جِماع الفِرَاسةِ لايَخرج[٣] من أربعة أوجه : أوَّلها التقطيع ، والثانى المجسَّة ، والثالث الشمائل ، والرابع[٤] الحركة .

فالتقطيع : انتصاب العنق والخِلْقة ، واستدارةُ الرأس من غير عِظَمٍ ولا صِغَر ، مع عظم القرطمتين[٥] ، واتِّساع المنخرين ، وانهرات الشدقين

(١) الهدى سبق الكلام عليها فى (٢ : ٧٩) . ط ، س : « وقال ليس » الخ .

(٢) ط ، س : « على قدر التحقيق والاعتزام » والوجه ما أثبت من ل .

(٣) الجماع ، كرمان : مجتمع أصل الشىء . ط ، س : « جميع الفراسة لاتخرج »

(٤) فى الأصل : « والرابعة » وهو خطأ . وفى س أيضاً : « والثانية » « والثالثة » وليس بشىء .

(٥) القرطمتان بكسر القاف والطاء : نقطتان على أصل منقار الحمامة .

وهذان مِنْ أعلامِ الكَرَم فى الخيل ؛ للاستروواح[١] وغير ذلك . ثمّ حُسنُ خِلْقة العينين ، وقِصَر المنقار فى غير دِقّة[٢] ثمَّ اتّساعُ الصّدرِ وامتلاءُ ٨٤ الجؤجؤ ، وطولُ العُنق ، وإشراف المنكبين ، وطولُ القوادمِ فى غير إفراط ، ولُحوق بَعض الخوافى ببعض ، وصلابة العَصَبِ[٣] فى غير انتفاخٍ ولا يُبس واجتماعُ الخلْق فى[٤] غير الجعودةِ والكَزَازَةِ ، وعِظَمُ الفخذين ، وقِصَر الساقين والوظِيفَين ، [وافتراق[٥] الأَصابع] ، وقِصَر الذَّنب وخِفَّته ، من غير تَفْنين وتفرُّق[٦] . ثم تَوَقُّدُ الحَدَقتين ، وصفاءُ اللَّون . فهذه أعلامُ الفِراسة فى التقطيع .

وأمَّا أعلامُ المجسة ، فَوثَاقةُ الخلْق ، وشدَّة اللَّحم ، ومَتانَة العَصَب ، وصلَابَةُ القَصَب ، ولينُ الرِّيش فى غيرِ رِقّةٍ[٧] وصَلابَة المِنقارِ فى غيرِ دقة .

وأمَّا أعلام الشمائل ، فقلَّة الاخْتيال ، وصفاءُ البصر[٨] وثباتُ النَّظَر

---

(١) الاستروواح : التشمم . ل : « وهذان من أعلام الكرم فى الاستروواح » تحريف .

(٢) ط ، س : « رقة » بالراء . وأثبت مافى ل ونهاية الأرب ١٠ : ٢٧٠ والمخصص ٨ : ١٧٠ .

(٣) ط ، س : « القصب » وتصحيحه من ل ونهاية الأرب .

(٤) ل : « من » .

(٥) فى الأصل — وهو هنا ل — : « اقتدار » وتصحيحه من نهاية الأرب .

(٦) التفنين أصله فى الثوب أن يبلى فيتقزز بعضه من بعض . ل : « تفنن » وأثبت صوابه من ط ، س : والمصدرين السابقين .

(٧) فى الأصل : « دقة » بالدال ، وأثبت مافى المخصص والنهاية .

(٨) ط ، س : « البطن » وصوابه من ل والمرجعين السابقين .

وشدّة الحَذر ، وحسنُ التّلَفت[١] ، وقلَّةُ الرعْدةِ عنْدَ الفزع ، وخفَّةُ النّهوض إذا طار ، وَتَرْكُ المبادرةِ إذا لَقَطَ .

وأمّا أعلام الحركَةِ ، فالطيران[٢] فى علوٍّ ، ومدُّ العُنق فى سُموٍّ ، وقلة الاضطراب فى جوِّ السماءِ ، وضمُّ الجناحين فى الهواء[٣] ، وتَدَافُعُ الركض فى غير اختلاط ، وحُسْنُ القَصْدِ فى غيرِ دَوَرَانٍ ، وشِدَّةُ المدِّ فى الطيران . فإذا أصبتَه جَامعاً لهذه الخصال[٤] فهو الطائر الكامل . وإلا فبقدر ما فيهِ من المحاسن تكون هدايته وفَرَاهتهُ .

(أدواء الحمام وعلاجها)

قال : فاعلموا أنَّ الحمامَ من الطيرِ الرقيق ، الذى تَسرِع إليهِ الآفة ، وتَعْرُوهُ الأدواءُ[٥] ، وطَبيعتُهُ الحرارة واليُبْس . وأكثرُ أدوائِه الُخنان والكباد ، والعُطاش ، والسل ، والقمَل[٦] . فَهوَ يحتاجُ إلى المكانِ الباردِ

---

(١) فى الأصل : « التقلب » وهو تحريف عجيب ، صوابه فى المخصص والنهاية . وقد زاد المخصص فى أعلام المجسة خصالا أخرى كثيرة فانظرها .

(٢) س : « فبالطيران » تحريف .

(٣) فى الأصل : « فى جو السماء » ، فيكون تكراراً ركيكا . وأثبت مافى المخصص والنهاية .

(٤) ل : « الصفة » . المخصص والنهاية : « الصفات » .

(٥) ل : « تعتوره » .

(٦) الخنان : داء فى الحلق . والكباد ، كغراب : وجع الكبد . والعطاش ، كغراب أيضاً وبالشين المعجمة : داء لايروى صاحبه . وهى فى ط ، س : « العطاس » مصحفة . والقمل ، بالتحريك : كثرة القمل .

والنَّظيف ، وإلى الحبوبِ البارِدَة كالعَدَس والماشِ [١] والشّعير المنخول . والقُرْطَمُ له بمنزلة اللَّحم للإنسان ؛ لما فيه من قوّةِ الدَّسم .

فممَّا يُعالَجُ بهِ الكُبادُ : الزَّعفران والسكر الطبَرْزَذ [٢] ، وماء الهِندبا ، يجعل فى سُكرَّجة [٣] ، ثمَّ يُوجر [٤] ذلك أو يمجُّ فى حلقه مجًّا وهو على الرِّيق .

وممَّا يعالَجُ به الُخنان أنْ يليَّنَ لسانُه يوماً أو يومين بدُهْن البنفسج ، ثمَّ بالرَّمادِ والملحِ ، يُدْلَكُ بها [٥] حتَّى تنسَلخ الجلدة العليا [٦] التى غشيت لسانَه [٧] . ثمَّ يطلى بعَسل ودُهنِ ورد [٨] ، حتّى يبرأ .

وممَّا يعالج به السّلّ أنْ يُطعَم الماشَ المقْشور ، ويمجَّ فى حلْقه من اللَّبن الحليبِ ، ويُقطَعَ من وظيفَيْهِ عِرقان ظاهران فى أسفل ذلك ، مما يلى المفصل [من باطن] .

---

(١) الماش : حب صغير أخضر اللون براق له عين كعين اللوبيا ، وشجرته كشجرة اللوبيا . المعتمد ٣٢٦ .

(٢) السكر الطبرزذ : الأبيض الصلب ، معرب تبرزد ، تبر بمعنى الفأس ، وزد بمعنى ضرب ، لأنه كان يدقق بالفأس . الألفاظ الفارسية ١١١ . ط : « والطيرزد » تحريف .

(٣) السكرجة : الإناء الصغير . وأكثر مايوضع فيه الكوامخ ونحوها .

(٤) يوجر ذلك : أى يصب فى حلقه ليبلعه . ط : « يؤجر » ، تحريف .

(٥) عيون الأخبار : « بهما » .

(٦) ط : « الجلدة العلياء » ، وصوابه فى ل ، س وعيون الأخبار ٢ : ٩١ .

(٧) ط ، س : « عشت على لسانه » ، وتصحيحه من ل وعيون الأخبار .

(٨) كذا فى ل : وعيون الأخبار . وفى ط ، س : « الورد » .

ومِمَّا يعالَج بهِ القَمَل أنْ يُطلى أصولُ ريشهِ بالزِّيبَق المحلّلِ(١) بدُهن البنفسَج ، يفعل بِه ذلك مرَّاتٍ حتى يسقُطَ قَملُه ؛ ويُسكْنَسَ مكانُهُ الذى يكون فيهِ كنساً نظيفاً .

(تعليم الحمام وتدريبه)

وقال : اعلم أنَّ الحمامَ والطيرَ كلَّها لايصلُح التَّغمير(٢) بهِ من البُعْد . وهدايته على قدْر التعليم ، وعلى قدر التوطين . فأوَّل ذلك أن يخرج إلى(٣) ظهر سطحٍ يعلو عليه ، ويُنْصَبَ عليه علَمٌ يعرفُهُ ، ويكونَ طيرانُه لايجاوز مَحَلَّتَه ، وأنيكون عَلَفُه(٤) بالغداة والعَشِيِّ ، يُلقَى له فوقَ ذلك السَّطْح ، قريباً من علَمِهِ المنصوبِ له ، حتَّى يألفَ المكانَ ويتعوَّدَ الرُّجوعَ إليه . ولكن ٨٥

---

(١) فى مفاتيح العلوم ١٤٩ : « التحليل أن تجعل المنعقدات مثل الماء » . وهذه الكلمة جاءت فى ل : « المنحل » . وجاء فى عيون الأخبار : « ودواء القمل أن تطلى أصول ريشه بالزنبق المخلوط بدهن البنفسج » . وكلمة « الزنبق » محرفة صوابها « الزئبق » كما ورد فى النسخة الألمانية من عيون الأخبار ، يؤيد ذلك ماورد فى المعتمد ١٢٨ فى الكلام على الزئبق : « وإذا قتل كان جيداً للجرب والقمل » ، وماجاء فى تذكرة داود فى الكلام عليه أيضاً : « ويقتل القمل إذا جعل فى الزيت والحناء ودهن به » .

(٢) التغمير : مصدر غمر به تغميراً : دفعه وأرسله .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وأولى ذلك أن يخرج على » ، وما أثبت أشبه .

(٤) العلف ، أصله طعام الدواب ، ولم يعهد استعماله للطير . ل : « غلفه » تصحيف ، كما أن كلمة « أن » ساقطة من ل .

لِيَنْظُرْ[١] مِنْ أيِّ شيء يتّخذ العلَم ؟ فإنّه لاينبغي أنْ يكون أسودَ ، ولا يكونَ شيئاً تراه من البُعْدِ أسود . وكلما[٢] كان أعظمَ كان أدلَّ .

ولا ينبغي أن يطيِّره وزوجتَه معاً ، ولكن يَنْتفُ أحدهُما ويطيِّر الآخر ، ويُخرَجان إلى السَّطح جميعاً ، ثمَّ يطيَّر الوافي الجناح ؛ فإنّه ينازِع إلى زوجتِه . وإذا عرَف المكان ، ودَارَ[٣] ورَجع ، وألِفَ ذلك الموضع ، ونبتَ ريشُ الآخَرِ ، صُنع به كذلك .

وأجود من ذلك أن يُخرَجا إلى السَّطْح وهما مقصوصان ، حتّى يألفا ذلك الموضع ، ثمَّ يطيَّرَ أحدُهُما قبلَ صاحبه ، ويُصْنَعَ بالثّاني كما صُنع بالأوّل.

وما أشبه قولَه هذا بقول ماسرجويه ؛ فإنهُ وصفَ في كتابه ، طباعَ جميعِ الألبان ، وشُرْبَها للدَّواء[٤] ، فلمّا فرغَ من الصّفة قال : وقد وصفت لك حالَ[٥] الألبان في أنفسها ، ولكن انظُرْ إلى من يسقيك اللّبن ؛ فإنّكَ بدءًا[٦] تحتاجُ إلى تنظيف جوفك[٧] ، وتحتاج إلى مَن يعرفُ مقدارَ عِلّتك من قدر اللّبن ، وجنس علّتك من جنس اللّبن[٨] .

---

(١) ط ، س : « ينظر » .
(٢) في الأصل : « وكل ما » وهو خطأ .
(٣) ط ، س : « وداره » ، ووجهه في ل .
(٤) المراد بكلمة : « الدواء » التداوى .
(٥) ل : « وصفت للرجال » ، تحريف ماأثبت من ط ، س .
(٦) بدءا : أي أولا . ل : « بديئا » . ط : « أبداً » وهذه محرفة تفسد المعنى .
(٧) ط ، س : « ثوبك » ، وصوابه في ل .
(٨) كذا في ل . وفي ط ، س : « من يعرف مقدار علتك من جنس اللبن ، وجنس اللبن من جنس علتك » .

(حوار مع نجار)

ومثلُ ذلك قول نجّارٍ كان عندى ، دعوته لتعليقِ بابٍ ثمينٍ كريم فقلت له : إنّ إحكامَ تعليق الباب شديدٌ ، ولا يحسنه من مائةِ نجّارٍ نجارٌ واحد . وقد يُذْكر بالحذْق فى نِجارة السقُوف[1] والقِباب ، وهو لايكمُلُ لتعليق [2] بابٍ على تمـامِ الإحكام [فيه . والسّقُوف] ، والقِباب عند العامَّة أصعب .

ولهذا أمثال : فمن ذلك أنّ الغلام والجاريةَ يشويان الجَدْىَ والحملَ ويحكمان الشىَّ[3] ، وهما لا يُحكمانِ شىَّ جنبٍ . ومَن لاعِلْم له يظنُّ أنَّ شىَّ البَعْض أهونَ من شىِّ الجميع !

فقال لى : قد أحسنتَ حين أعلمْتَنى أنّك تُبصِر العمل ، فإنَّ معرفتى بمعرفتك تمنعنى من التشفيق[4] . فعَلّمه فأحكَمَ تَعليقَه ؛ ثمَّ لم يكنْ عندى حَلْقةٌ لوجه الباب إذا أردتُ إصفاقَه ، فقلت له : أكره أنْ أحبسَك[5] إلى

---

(١) ط ، س : « السيوف » ، وهو تحريف .

(٢) تعليق الباب : نصبه وتركيبه ، كما فى اللسان . ط ، س : « لايكمل تعليق » وما أثبت من ل أجزل .

(٣) ط ، س : « وهما يحكمان الشيء » وأثبت مافى ل .

(٤) كذا فى ل ؛ بالفاء ثم القاف بينهما ياء . وهو من شفق النساج الملحفة تشفيقا : جعلها شفقا — بالتحريك — فى النسج . وشفق النسج : رديئه . وفى ط ، س : « التشقيق » بقافين بينهما ياء ، وليس بشىء . وفيهما أيضا : « تمنع » .

(٥) ل : « أكـره حبسـك » ط ، س : « أكره أن أجلسك » ، وجعلت القول كما ترى .

أن يذهب الغلامُ إلى السوق ويرجع . ولكن اثقبْ لى موضعها[١] . فلما ثقَبهُ وأخذ حقّه ولاّنى ظَهرَه للانصراف ، والتفت إلىَّ فقال : قد جوّدتُ الثَّقب ، ولكن انظُرْ أىُّ نجارٍ يدُقُّ فيه الزِّرَّة[٢] ؛ فإنه إن أخطأ بضربة واحدة شقّ الباب – [والشق عيب] – فعلمتُ أنهُ يفهَمُ صِناعتَهُ فهماً تامًّا .

(قص الحَمام ونتفه)

وبعض الناس إذا أراد أن يعلِّم زوجاً قصَّهُما ولم ينْتِفْهما[٣] . وبين النَّتفِ والقصِّ بَونٌ بَعيد . والقصُّ [كثير القصِّ] لايُوجعُ ولا يُقَرِّحُ مَغارِزَ قصب الرِّيش[٤] ، والنَّتْف يُوهن المنكِبين[٥] . فإذا نُتِفَ الطائِرُ مِراراً لم يقْوَ على الغاية ، ولم يزَلْ واهنَ المنكِبين . ومتى أبطأ[٦] عليه فنتفهُ وقد جفّت أصولُه وقرُبت من الطَّرح كان أهونَ عليهِ ، وكلما كان النباتُ أطرأ[٧] كان أضرَّ   ٨٦

---

(١) كذا فى ط . وفى ل : « موضعه » تحريف ؛ فالضمير عائد إلى الحلقة . س : « فى موضعها » .

(٢) فى الأصل : « الرزة » . وجاء فى لسان العرب (زرر) : « ويقال الحديدة التى تجعل فيها الحلقة التى تضرب على وجه الباب لإصفاقه : الزرة ، قاله عمرو بن بحر » .

(٣) كذا فى ط ، س ، وهو الصواب . وفى ل : « إذا أراد أن يلقى زوجا يعليهما كتفهما » .

(٤) بدل هذا فى ط ، س : « لايرجع بالنتف » ، تحريف ونقص ظاهر .

(٥) ط ، س : « لايوهن المنكبين » ، وهو عكس المعنى المراد لاجرم .

(٦) فى الأصل : « أخطأ » ، والوجه فيه ماأثبت .

(٧) أطرأ : من الطروء ، وهو ظهور الشىء فجأة . وفى ل : « أطرا » بدون همز =

عليه . وإنه ليبلغَ من مضرَّته ، أنّ الذّكَرَ لايجيدُ الإلقاحَ ، والأنثى لاتجيد القَبول . وربّما نتفت الأنثى وقد احتشتْ بيضاً ، وقد قاربَت أن تبيضَ ، فتبطئُ بَعْدَ وقتها الأيّامَ ؛ وربما أضرَّ ذلك بالبيض .

(زجْل الحمام)

قال : وإذا بَلغ الثّانى مبلغَ الأوّلِ فى استواءِ الرّيش ، والاهتداءِ إلى العَلَم ، طيِّرا جميعاً ، ومُنِعا من الاستقرار ؛ إلاّ أن يظن بهما الإعياء والكلال . ثم يُوَطَّنُ[1] لهما المَزَاجِلُ برًّا وبحْراً ، من حيث يبصران إذا هما ارتفعا فى [الهواء] السَّمتَ ونفْسَ العَلَم، وأقاصىَ ماكانا يريانِه[2] منها عند التّباعد فى الدّوَرانِ والجوَلان . فإذا رَجَعا من ذلك المكانِ مَرَّاتٍ زُجِلا[3] من أبعَدَ منه ــ وقد كانوا مَرَّةً يعجبهم أن يزجَلوا من جميع التوطينات ، مالم تبعدْ ، مرّتين [مرَّتين]ــ فلا يزالان كذلك حتّى يبلغا الغاية ، ويكون أحدهما محتبساً إذا أرسل صاحبه ؛ ليتذكّرَه فيرجعَ إليه . فإنْ[4] خيفَ عليه أن

= من طرا يطرو طروا بالمعنى المتقدم ، أو من طرى كفرح : أى صار طريا غضا . وتكون صواب كتابة مافى ل : « أطرى » .

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وتوطن » .

(٢) ط ، س : « يريا » وصوابه فى ل .

(٣) زجلا : أى أرسلا على بعد . ط ، س : « رجعا » ، وهو تحريف ما فى ل .

(٤) ط ، س : « وإن » .

يكون قد ملَّ زوجتَه ، عَرضت عليه زوجةٌ أخرى [قبل الزَّجل] ؛ فإذا تسنَّمَها[1] مرَّةً حِيلَ بينه وبينها يومَه ذلك ، ثمَّ عرضوها عليه قبل أنْ يُحمَل[2] ، فإذا أطاف[3] بها نُحِّيت عنهُ ، ثمَّ حُمِل إلى الزَّجل ؛ فإنَّ ذلك أسرعَ له .

وقال : اعلموا أنَّ أشدَّ المَزَاجِلِ ماقلَّتْ أعلامُه، كالصَّحارى والبِحار .

قال : والطير تختلفُ فى الطِّباع اختلافاً شديداً : فمنها القوىُّ ، ومنها الضعيف ، ومنها البطىء ، ومنها السَّريع ، ومنها الذَّهولُ ، ومنها الذَّكورُ ومنها القليل الصَّبرِ على العطش ، ومنها الصَّبورُ . وذلك لايخفى فيهنَّ عند التَّعليمِ والتَّوطين ، فى سرعة الإجابة والإبطاء . فلا تُبْعِدَنَّ[4] غايَةَ الضَّعيفِ والذَّهولِ والقَليلِ الصَّبر على العطش ، ولا تزجُلَنَّ ماكان منشؤه فى بلاد الحرِّ فى بلاد البرد ، ولا ماكان منشؤه فى بلاد البَرْد فى بلاد الحرِّ ؛ إلاَّ ما كان بعد الاعتياد . ولا يصبرُ على طول الطيران فى غير هوائِه [وأجوائه طائرٌ] إلا بطولِ الإقامةِ فى ذلك المكان، ولا تستوى حالُه وحالُ من لايَعْدُو هَوَاءَه[5] والهَوَاءَ الذى يقرُبُ من طِباع هوائه .

---

(١) تسنمها : علاها . وفى ل : « تجشمها » ، وهى صحيحة وبمعنى الأولى . ومنه الحديث « فلزمها حتى تجشمها » .

(٢) أى يحمل على الزجل . ل : « يمل » س : « تحمل » وهما تحريف ما فى ط .

(٣) أطاف بها : قاربها . ط ، س : « طاف » بمعنى دار . وما أثبت من ل أشبه .

(٤) ط : « تبعدون » ، صوابه فى ل ، س .

(٥) كذا فى ل وهو الصواب . وفى س : « يغدو دواء » و ط : « يعذو دواه » .

(تعليم الحمام ورود المـاء)

قال : ولا بدَّ أن يُعلَّمَ الورودَ ، فإذا أَردتَ به ذلك فأَوْرِدْه العيونَ والغُدْرانَ والأنهارَ ، ثمَّ حُلْ[١] بينه وبين النَّظرِ إلى الماء ، حتى تكفَّ بصرَه بأصابِعِك عن جهة الماء واتِّساع المورد ، إلَّا بقدْر ما كان يشربُ فيه من المساقى ، ثمَّ أوسِعْ له إذا عَبَّ قليلا بقدر مالا يَرُوعه ذلك المنْظر[٢] وليكنْ معطَّشاً ؛ فإنّه أجدرُ أن يشرَب . تفعلُ به ذلك مراراً ، ثمَّ تفسحُ له المنْظَر أوّلَا أوّلَا ، حتَّى لايُنكِر ماهو فيه . فلا تزالُ بِهِ حتَّى يعتادَ الشُّربَ بغَيرِ سترة[٣] .

(استئناسه واستيحاشه)

٨٧ قال : واعلم أنَّ الحمامَ الأهليَّ الذى عايشَ النّاسَ ، وشَرِب من المساقى ولَقَط فى البيوت يختلُّ[٤] بالوَحدة ، ويَستَوحِش[٥] بالغُربة .

---

(١) ط : « خل » وهو عكس المعنى المراد . وأثبت ما فى ل ، س .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « النظر » . وفى س أيضاً : « يردعه » مكان : « يروى » وهو تحريف .

(٣) كذا فى ط ، س ؛ وهى صحيحة . والسترة ، بالضم ، بمعنى الستارة ، وهو ما يستر به . وفى ل : « ستر » .

(٤) يختل : يضعف . ط ، س : « يخيل » ، تصحيف ما فى ل .

(٥) ط ، س : « ومستوحش » ، صوابه فى ل .

قال : واعلم أنّ الوحشيَّ يستأنِس ، والأهلى يستوحش[١] ؛

قال : واعلم أنّه ينسى التّأديبَ إذا أُهمِلَ ، كما يتأدّب بعد الإهمال .

(ترتيب الزجْل)

وإذا زَجَلتَ فلا تُخَطْرِف به[٢] من نصف الغاية إلى الغاية ، ولكن رتِّب ذلك ؛ فإنّه ربّما اعتادَ المجىء من ذلك البُعد ، فمتى[٣] أرسلتَه من أقربَ منه تحيَّر ، وأرادَ أن يبتدئَ أمْرَه ابتداءً . وهم اليومَ لايفعلون ذلك ؛ لأنّه إذا بلغ الرَّقّة أو فوقَ ذلك شيئاً [فقدْ] صار عُقْدَةً[٤] ، وصار له ثمنٌ وغَلّة . فهو لايرى أن يُخاطر بشىءٍ له قدْر . ولكنّه إن جاءَ من هِيتَ أُدرِبَ[٥] [به] ؛ لأنّه إن ذهب لم يذهب شىءٌ له ثمن ، ولا طائرٌ له رياسة ؛

---

(١) ط ، س : « يستوحش بالغربة » ، والكلمة الأخيرة مقحمة .

(٢) خطرف : أسرع . ومثله « تخطرف » . وفى ل : « تتخطرف » .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وإن » .

(٤) العقدة ، أصلها : الضيعة والعقار الذى اعتقده صاحبه ملكا .

(٥) هيت ، بالكسر : بلدة على الفرات من نواحى بغداد فوق الأنبار . وبدلها فى ط ، س : « حيث » ، وهو تحريف . و « أدرب » هو من أدرب القوم : إذا دخلوا الدرب . والدرب هنا كل مدخل إلى بلاد الروم ، وإلى تلك الدورب كان يزجل الحمام من البصرة . يريد أنه متى عرف منه الهداية من المكان القريب أمكن أن يزجل إلى المكان للبعيد . جاء فى ط ، س : « درب » . وهو نقص وتشويه صوابه فى ل .

وليس له اسم ولا ذِكر ؛ وإن جاء جاء شيء كبير وخطير [١] ، وإن جاء من الغاية فَقَدْ حوَى به ملكاً . على هذا [هم] اليوم [٢] .

وقال : لاتُرسِل الزّاقّ [٣] حتى تستأنف [به] الرِّياضة [٤] ولا تَدَعْ ماتُعِدُّه للزِّجال [٥] أن يحضن بيضاً ، ولا يجثم عليه ، فإنّ ذلك ممّا ينقُضه [٦] ويُفَتِّحه [٧] ، ويعظم له رأسَه ، لأنّه عندَ ذلك يسمَن وتكثُر رطوبتُه ، فتقذِفُ الحرارةَ تلك الرُّطوبةَ الحادَّة العارضةَ إلى رأسه ، فإن ثقَبَ [٨] البيضَ وزقَّ وحَضن ، احتجْتَ إلى تضميره واستئناف [٩] سياستِه . ولكنْ إنْ بَدَا لَك أن تستفرخه [١٠] فانقُلْ بيضَهُ إلى غيره ، بَعْدَ أن تُعلِمه بعلامةٍ تعرِفُه بها إذا انصدَع .

---

(١) خطير : ذو خطر وشرف . ل : « فإن ذهب ذهب شيء ليس له كبير خطر » ، فيكون تكراراً لما سبق . والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٢) ط : « على هذا اليوم » س : « على هذا هو اليوم » . ل : « على هداهم اليوم » وصححته بما ترى .

(٣) الزاق : الذي يزق فراخه ، أي يطعمها بمنقاره . ط ، س : « المزاق » وليس لها وجه هنا . والوجه ما أثبت من ل .

(٤) ط ، س : « حتى تستأنف الرياضة له » .

(٥) للزجال : للزجل . وجاء في ل : « للزجل » .

(٦) ينقضه : بمعنى يضعف قوته . ط ، س : « ينقصه » وليست من لغة الجاحظ .

(٧) كذا في ل . وهو بمعنى يسمنه . روى عن ابن السكيت : ناقة مفاتيح ، وأينق مفاتيح : سِمان . وفي ط ، س : « يقبحه » ولست أثبتها .

(٨) كذا في ل . وفي ط ، س : « تقب » وهما بمعنى .

(٩) ل : « استينان » وليس بشيء .

(١٠) تستفرخه : تطلب منه الفراخ ، يقال : استفرخ الحمام : اتخذها للفراخ . ط ، س : « تستفرغه » وصوابه في ل .

(علاج الحمام الفزع)

وإن أصاب الحمامَ أيضاً فَزَعٌ وذُعْرٌ ، عن طلب شيء من الجوارح له ، فإيَّاك أن تُعيدَه إلى الزَّجل حتّى ترضمه وتستفرخهُ[١] ؛ فإن ذلك الذُّعْرَ لايفارقهُ ولا يسكن حتى تستأنفَ به التّوطين .

(طريقة استكثار الحمام)

وإنْ أردتَ أن تستكثرَ من الفِراخ فاعزِلِ الذُّكورةَ عن الإناث شهرا أو نحوَه ، حتى يصول بعضها على بعض ، ثم اجمعْ بينها ؛ فإنّ بيضها سيكثُر ويقلُّ سَقطهُ ومُرُوقُه . وكذلك كلُّ أرضٍ أثيرت ، وكذلك الحِيالُ[٢] لما كان من الحيوان حائلا . قال الأعشى :

مِنْ سَرَاة الهِجَانِ صَلَّبَهَا العُـ ضُّ ورَعْىُ الحِمَى وطُولُ الحِيَالِ[٣]

---

(١) ترضمه ، هكذا وردت فى ط ، س . وفى القاموس : « رضمت الطير : ثبتت » فلعلها بمعنى تثبته وتقره . وبدلها فى ل : « تريحه » . و « تستفرخه » هى فى ط ، س : « تستفرغه » . وانظر التنبيه الأخير من الصفحة السابقة .

(٢) الحيال : مصدر حالت الناقة تحيل : لم تحمل . ل : « وكذلك الحيال من الحيوان » .

(٣) يقول : هى من خيار الإبل البيض ، قد شددها رعى العض ــ بضم العين ، وهو النوى المرضوخ ، أو القت ــ وكذلك رعيها فى الحمى ــ وهو مكان فى نجد ــ وخلوها من الحمل زمنا طويلا . وكلمة « العض » هى فى الأصل : « العرض » محرفة ، وصوابها فى ديوانه ٦ والمعلقات بشرح الزوزنى ١٨٨ وكذا فى اللسان (مادتى : عضض ، حيل) .

وقال الحارث بن عبادٍ وجَعَل ذلك مثلا :

قَرِّبا مَرْبِطَ النَّعامــةِ مِنِّى   لَقِحَتْ حَرْبُ وائل عن حِيَالِ[1]

(حديث أفليمون عن نفع الحمام)

وقال أفليمون[2] صاحب الفِراسة ، لصاحبه : وأنا محدِّثك عن نَفع الحمام بحديثٍ يزيدُك رغبةً فيها : وذلك أنَّ مَلِكَين طلب أحدُهما مُلْكَ صاحبِهِ ، وكان المطلوبُ أكثرَ مالًا وأقلَّ رجالًا ، وأخصب بلاداً ، وكانت بينهما مسافةٌ من الأرضِ بعيدة ، فلما بلغَه ذلك دعا خاصَّتَه فشاوَرَهُمْ فى أمْره وشَكا إليهم خوفَه على مُلكِه ، فقال له بعضهم : دامتْ لك أيُّها الملِكُ السلامةُ ، ووُقيتَ المكروه ! إنَّ الذى تاقَتْ له نفسك قد يُحتالُ له باليَسيرِ من الطمع ، وليسَ مِنْ شأنِ العاقلِ التَّغريرُ ، وليس بعد المُناجَزَة بقيّة ، والمناجزُ لايدرى لمن تكون الغَلَبة ، والتمسُّك بالثقةِ خيرٌ من الإقدام على الغرَر .

٨٨

---

(١) النعامة : فرس الحارث بن عباد . وعنى بحرب وائل تلك الحروب الكثيرة التى كانت أبداً مشتعلة بين ابنى وائل وهما تغلب وبكر . وقد قال الحارث الشعر الآتى لما قتل ابنه بجير ، قتله مهلهل التغلبى ، فلما قالوا له : إن ابنك قتل ! قال : إن ابنى لأعظم قتيل بركة ؛ إذ أصلح الله به بين ابنى وائل . فقيل له : إنه لما قتل قال مهلهل : بؤ بشسع نعل كليب ! فعند ذلك أدخل الحارث يده فى الحرب . وقال الشعر . انظر الكامل ٣٧١ ليبسك والعقد (٣ : ٣٥٢) . واليوم الذى شهده الحارث بن عباد البكرى هو (يوم قضة) . انظر خبره فى العقد ومعجم البلدان .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أقليمون » وهو تصحيف .

وقال بعضهم : دامَ لك العزُّ ، ومُدّ لك فى البقاء ! ليسَ فى الذُّلِّ دَرَكٌ ولا فى الرِّضا بالضيم بقيّــة ، فالرَّأىُ اتخاذ الُحصون وإذكاءُ العُيونِ ، والاستعدادُ للقتال ؛ فإنّ الموتَ فى عزٍّ خيرٌ من الحياة فى ذلّ[١] !

وقال بعضهم : وُقِيتَ وكُفِيت ، وأُعطيتَ فَضْلَ المزيد ! الرَّأىُ طلب المصاهرة له[٢] والخِطْبة إليه ؛ فإنّ الصهرَ سببُ أُلفةٍ تقعُ به الُحرْمةُ ، وتثبت بهِ المودَّة ، ويَحُلُّ به صاحبُهُ المحلَّ الأدنى[٣] . ومنْ حلَّ من صاحبه هذا المحلَّ لم يخلِّه مما عَراه[٤] ، ولم يمتنع من مناوأة من ناواه[٥] . فالتمس خِلطتَهُ ؛ فإنّه ليسَ بَعْدَ الخِلطةِ عداوةٌ ، ولا مَع الشِّركة مبايَنة !

فقال لهم[٦] الملك : كلٌّ قد أشارَ برأيٍ ، ولـكلٍّ مدَّة ، وأنا ناظِرٌ فى قولِـكم ، وبالله العِصمة ، وبشكره تتمُّ النعمة . وأظهَرَ الخِطبةَ إلى الملكِ الذى فَوقَه ، وأرسل رُسلاً ، وأهدى هدايا ، وأمَرَهُم بمصانعةِ جميع مَن يَصِل إليه ، ودسَّ رجالًا من ثقاتِه ، وأمَرَهُمْ باتِّخاذ الحمام فى بلاده وتَوطينِهِنَّ واتَخذَ أيضاً عندَ نفسه مِثلهنَّ ، فرفَّعهن من غايَةٍ إلى غاية . فجعلَ هؤلاء يرسلون من بلاد صاحبهم ، وجعل مَن عندَ الملِكِ يرسلون من بلاد[٧]

---

(١) ل : « فإن المحاماة عن العز خير من الحياة فى ذل » .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « الرأى أن تطلب مصاهرته » .

(٣) ط ، س : « محل الأولياء » .

(٤) عراه : اعتراه . والمراد أنه يخبره بـكل ما يعروه ويطلعه على دخيلته . ط : « لم يخل مما عزاه » س : « لم يحل مما عداه » وأثبت مافى ل .

(٥) كذا فى ل . وناواه : تسهيل ناوأه . والمناوأة : المعاداة . ط ، س : « ولم يمتنع منه بشىء امتنع منه » .

(٦) فى الأصل : « له » . والوجه ما أثبت .

(٧) كذافى ل . وهو ما تقتضيه المقابلة . وفى ط ، س : « عند » .

الملك ، وأمرهمْ[١] بمكاتَبتِه بخبرِ كلٍّ يوم ، وتعليقِ الكُتُب فى أصولِ أجنحة الحمام[٢] . فصار لايخفى عليه شئٌ من أمره . وأطمعَهُ الْمَلِكَ فى التزويج واستفردَهُ[٣] وطاولَه،وتَابعَ [بين] الهدايا،ودسّ لحرسِه رجالاً يلاطفونَهمْ حتى صاروا يبيتون بأبوابه معهم . فلمَّا كتبَ أصحابهُ إليه بغِرَّتهم وصل الخبر إليه من يومِه، فسار إليه فى جندٍ قد انتخبهم،حتى إذا كان على ليلةٍ أو بَعْض ليلة ، أخذ بمجامع الطُّرُق ، ثمّ بيَّتَهُمْ[٤] ووثبَ أصحابهُ من داخِل المدينةِ وهو وجنده من خارج[٥] ، ففَتحوا الأبوابَ وقَتلوا الْمَلِك . وأصبَحَ قد غَلَبَ على تلك المدينة ، وعلى تلك المملكة ، فَعظُمَ شأنُه ، وأعظَمتْه الملوك ، وذُكِر فيهم بالحزْم والكَيْد .

وإنما كان سبب ذلك كلِّه الحمام ! .

---

(١) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « وأمره » .

(٢) هذا الصواب من ل . وفى ط ، س : « فى أول أذناب الحمام » ! .

(٣) ل : « استفزه » ط : « استغرره » وصوابه فى س . واستفرده : أراد أرسل إليه رسلا ، وفى القاموس : « وأفرده : عزله ، وإليه رسولا : جهزه » . وفى اللسان : « وأفردته : عزلته ، وأفردت إليه رسولا » .

(٤) بيتهم : أوقع بهم ليلا .

(٥) كذا فى ل . وفى ط : « وهو من خارج وجنده » س : « وهو من الخارج وجنده » .

(حديث آخر له فى نفع الحمام)

قال : وأحدِّثك عن الحمام أيضاً بحديثٍ آخر فى أمر النساءِ والرِّجال وما يصابُ من اللَّذَّةِ فيهنَّ ، والصَّواب فى معاملتهنَّ . قال : وذلك أنَّ رجلاً أتانى مرَّةً فشَكا إلىَّ حالَه فى فتاةٍ عُلِّقها فتزَوّجها[1] ، وكانت جاريةً [غِرًّا] حسناء ، وكانت بكراً ذاتَ عقلٍ وحياء ، وكانت غَريرةً فيما يحسِن النِّساءُ من استمالةِ أهواء الرِّجال ، ومِنْ أخْذِها بنصيبها من لذّة النساء فلما دخَلَ بها[2] امتنعتْ عليه ، ودافعته[3] عن نفسها ، فَزاولها بكلِّ ضربٍ كان يحسنُه من لَطَفٍ ، وأدخل عليها مِن نسائه ونسائها مَنْ ظَنَّ[4] أنَّها تقبَلُ منهنّ ، فأعيتْهُن ، حتى هَمَّ[5] برفْضها مع شدَّة وجْده بها ، فأتانى فشكا ذلك إلىَّ مرةً ، فأمرْته أن يُفرِدَها ويخلِّيَها من الناس ؛ فلا يَصِلَ إليها أحدٌ ، وأنْ يُضْعفَ لها الكرامة فى اللَّطفِ والإقامة لما يُصلِحها من مَطْعَم ومشرَبٍ ومَلبس وطيبٍ وغير ذلك ، مما تلهو به امرأةٌ[6] وتُعجَبُ بِهِ ، وأنْ يجْعَلَ خادِمَها أعجميَّةً لاتَفْهَمُ عنها ، وهى فى ذلك عاقلة ، ولا تفْهمُها إلَّا

٨٩

---

(١) ل : « فزوجوه إياها » .

(٢) ط ، س : « عليها » .

(٣) ل : « ودفعته » .

(٤) ط ، س : « يظن » .

(٥) كذا فى ل . أى عزم على ذلك . وفى ط ، س : « اهتم » ، أى أحزنه رفضها إياه .

(٦) كذا فى س ، وفيه جزالة . وفى ط ، ل : « تلهو المرأة به » .

بالإيماء[١] ؛ حتى[٢] تستوحِشَ إليها وإلى كل من يصل[٣] إليها من النِّساء [و[٤]] حتى تشتهيَ أن تجِدَ مَنْ يراجعها الكلامَ وتشكو إليه وحْشة الوَحْدة ، وأنْ يَدخِل عليها أزواجاً من الحمام ، ذواتِ[٥] صورةٍ حسنة ، وتخيُّل وهدير[٦] فيُصَيِّرَهُنّ فى بيتٍ نظيف ، ويجعل لهنّ فى البيت تماريد[٧] وبين يَدى البيت حجْرةً نظيفة ، ويفتحَ لها من بيتها باباً فيصِرْن نُصْبَ عينها فتلهو بهن وتنظر إليهنَّ ، ويجعل دخوله[٨] عليها فى اليوم دَفْعَةً لايزيدها[٩] فيه على النَّظَرِ إلى تلك[١٠] الحمام ، والتسلّى بهنّ ، والاستدعاء لهنّ إلى الهدير ساعةً ، ثم يخرج[١١] ، فإنّها لاتلبث أنْ تتفكّر فى صنيعهنّ إذا رأتْ حالهن ؛ فإنَّ الطَّبيعةَ لاتَلبَثُ حتى تحرّكها ، ويكون أوفقُ المقاعد لها الدنوّ منهن[١٢] ، وأغلبُ الملاهى عليها النَّظَرَ إليهن ؛ لأنَّ الحواسّ لاتؤدى إلى النَّفس شيئا من قِبَل السمعِ ، والبَصر ، والذوق ، والشم

---

(١) ط ، س : « بالإشارة » وهما بمعنى .
(٢) ط ، س : « ولا » وهو خطأ .
(٣) ل : « يقبل » .
(٤) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .
(٥) ط ، س : « ذات » .
(٦) التخيل هنا من الخيلاء . وفى ط ، س : « تحيل » ، وهى هنا بمعنى الحذق فى الاستمالة .
(٧) ط ، س : « ويحمل لهن » ، وصوابه فى ل . والتماريد : جمع تمراد بالكسر وهو بيت صغير فى بيت الحمام لمبيضه .
(٨) ط ، س : « وتجعل دخولك » .
(٩) ط ، س : « لا تزيدها » .
(١٠) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ذلك » وهما صحيحتان . والحمام يذكر ويؤنث .
(١١) ط ، س : « تخرج » .
(١٢) س : « لهن » .

والمجسّة[١] إلّا تحرّك مِنَ العَقْل فى قَبُولِ ذلك أوْ رَدِّه ، والاحتيالِ فى إصابته أو دفعه ، والكراهيةِ[٢] له أو السُّرورِ به بقدر ماحرّك النَّفسَ منه . فإذا رأيتَ الغالبَ عليها الدنوّ منهنّ ، والتأمُّل لهنّ ، فأدخِلْ عليها امرأةً مجرِّبةً غَزِلةً تأنسُ بها ، وتفطِّنها[٣] لصنيعهنَّ ، وتعجِّبُها منهنّ ، وتستميلُ فِكرتها إليهنّ ، وتَصِفُ لها موقِعَ اللّذّة على قدْر ماترى من تحريك الشّهوة . ثمّ أخْرِج المرأةَ عنها ، وحاوِلِ الدُّنُوَّ منها ، فإنْ رأيتَ كراهِيَةً[٤] أمسكْتَ وأعدْتَ المرأةَ إليها ، فإنها لاتلبَثُ أن تمْكِنَك . فإنْ فعلتْ ماتحبُّ وأمكنَتْكَ بعض الإمكان ، ولم تَبْلُغ ماتريد فأخْبِرنى بذلك .

قال : وقلتُ له : مُرِ المرأةَ فلتسألها عن حالها فى نفسها ، وحالِك عندها ، فلعلَّ فيها طبيعةً من الحياء تَمْنَعُها[٥] من الانبساط ، ولعلَّها [غِرٌّ] لايُلتمس ماقِبَلَها من الخرق[٦] . [ففعل ، وأمر المرأة أن تكشفها عن ذات نفسها ، فشكت إليها الخرق]، فأشارت[٧] عليها بالمتابعة ، وقالت : اعتبرى بما تَرَيْنَ من هذا الحمام ؛ فقد تَرَيْنَ الزّوجين كيفَ يصنعان ! قالت : قد ٩٠

(١) ل : « من قبل سمع ، أو بصر ، أو ذوق ، أو شم ، أو مجسة » .

(٢) ط ، س : « الكراهة » ، وهما بمعنى .

(٣) تفطنها : تجعلها تفطن . ط ، س : « توقظها » .

(٤) ط ، س : « كراهة » .

(٥) ط ، س : « منعتها » .

(٦) ط : « لا تلتمس فاقبلها على ما قبلها من الخرق » س : « لا تلمس ما قبلها من الخرق » ل : « لا يلتمس ماقبلها بالحزق » ، وجعلت الكلام كما ترى . والخرق ، بالتحريك : الحياء .

(٧) ط ، س : « وأشارت » .

تأمّلْتُ ذلك فعجبتُ منه ، ولستَ أحْسِنه ! فقالت لها : لاتمنعى يدَهُ ولا تحمِلى على نفسك الهيبة[١] ، وإنْ وجدتِ من نفسِك شيئاً تدعوكِ إليه لذّةُ فاصنَعيه ؛ فإنَّ ذلك يأخذُ بقلبه ، ويزيدَ فى محبَّتِكِ ، ويحرِّك ذلك منهُ أكثرَ مما أعطاك . فلم يلبثْ أنْ نال حاجتَه وذهبت الحشمة ، وسقطت المداراة[٢] فـكانَ سببُ الصُّنع لها ، والخروج من الوَحْشة إلى الأُنس[٣] ، ومن الحال الدَّاعِية إلى مفارقتها إلى الحال الدَّاعية إلى ملازمتها ، والضَّنِّ بها[٤] الحمام[٥] .

(الخوف على النساء من الحمام)

وما أكثرَ مِنَ الرِّجال ، من ليسَ يمنَعه من إدخال الحمام إلى نسائه إلَّا هذا الشئُ الذى حثَّ عليه صاحبُ الفِراسة ؛ وذلك أنَّ تلك الرُّؤيةَ قد تذكِّر وتشهِّى وتَمْحَن[٧] . وأكثرُ النِّساء بين ثلاثة أحوال : إمَّا امرأةَ قد ماتَ زوجُها ، فتحريكُ طِباعِها خِطار[٨] بأمانتها وعَفافِها . والمُغيبة[٩]

---

(١) ل : « له » .

(٢) ل : « وسقطت الحشمة ، وذهبت المداراة » .

(٣) ل : « الأنسة » ، وهى بالتحريك بمعنى الأنس . والأنس : ضد الوحشة .

(٤) بدل هذه العبارة الطويلة فى ط ، س : « ومن حال الفرقة إلى حال الاتفاق » .

(٥) بعد هذا اللفظ فى س كلمة : « باب » ، وأراها مقحمة .

(٦) س : « وتشهى » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٧) تمحن : تصيب بالمحنة ، أى البلية . ل : « تحن » .

(٨) الخطار ، بالكسر : مصدر خاطر : إذا ركب الخطر . ط : « خطر » ل ، : « إخطار » .

(٩) امرأة مغيب ومغيبة ومغيب بضم الميمات ، وكسر الغين فى الأولين وإسكانها فى الثالثة : غاب عنها زوجها .

فى مثل هذا المعنى . والثَّالثة : امرأةٌ قد طال لُبثُها مع زوْجها ؛ فقد ذهب الاستطراف ، وماتت الشهوة . وإذا رأت[١] ذلك تحرَّك منها كلُّ ساكن وذكَرَتْ ما كانتْ عنه بمندوحة .

والمرأةُ سليمة الدِّين والعِرْضِ والقَلب[٢] ، مالم تَهْجِسْ فى صدرها الخواطر ، ولم تتوهَّمْ حالاتِ اللَّذَّة وتحرُّكِ[٣] الشهوة . فأمَّا إذا وقعَ ذلك فعزْمُها أضعَفُ العَزْم ، وعزْمُها على ركوبِ الهَوى[٤] أقوى العَزْم .

فأمَّا الأبكارُ الغريرات فهنَّ إلى أن يُؤْخَذْن بالقراءة فى المصحف[٥] ، ويُحتالَ لهن حتى[٦] يصِرْنَ إلى حال التشييخ[٧] والجبن والكَزَازَة[٨] ، وحتَّى لايَسمعَن من أحاديث البَاهِ والغَزَل قليلاً ولا كثيراً — أحوجُ .

---

(١) ل « أرادت » ولا تصح . والمراد : رأت فعل الحمام .

(٢) ل : « والصدر » .

(٣) ل : « وتخير » ، وليس بشىء .

(٤) ط : « ركوبها لهوى » .

(٥) س : « مصحف » .

(٦) كذا الصواب فى ط ، س . وفى ل : « إلا أن » .

(٧) التشييخ : مصدر شيخ : صار شيخا . والمراد أن تطرأ عليهن طباع الشيخوخة وما لها من ركانة وتزمت . ل : « الشح » .

(٨) الكزازة : البخل . ط ، س : « الغرارة » ، وهى بالفتح بمعنى الغفلة وقلة التجربة .

(نادرة لعجوز سندية)

ولقد ركبت عجوزٌ سندية ظهرَ بعيرٍ ، فلما أقبَلَ بها [هـذا] البعيرُ وأدبر وطمَر[(١)] ، فمَخضها مَرَّةً مخضَ السقاء[(٢)] ، وجعلَها مَرَّةً كأنَّها ترْهَزُ[(٣)] فقالت بلسانها – وهى سنديّةٌ أعجميَّة – أخزَى الله هذا الذَّمَل[(٤)] ؛ فإنّه يذكِّر بالسَّرِّ[(٥)] ! تريد : أخزى الله هذا الجمل ، فإنه يذكِّر بالشر . حدثنا بهذه النادرة[(٦)] محمَّد بن عبَّاد بن كاسب .

(نادرة لعجوز من الأعراب)

وحدَّثنا رِبْعِيٌّ الأنصاريُّ : أنَّ عجوزاً من الأعرابِ جَلستْ فى طريق مكة إلى فتيانٍ يشربون نبيذاً [لهم] ، فسقَوْها قَدَحاً فطابت نفسُها ،

---

(١) طمر : وثب .

(٢) المخض : التحريك الشديد . كلمة « مرة » ساقطة من ل . وكلمة : « مخض » جاءت فى ط ، س : بالحاء المهملة ، وتصحيحها من ل .

(٣) رهزها : حركها فارتهزت هى .

(٤) فى الأصل : « الزمل » وصوابه بالذال ، كما صرح بذلك الجاحظ فى البيان (١ : ٧٤) .

(٥) ط ، س : « بالشر » بالشين ، وصوابه بالمهملة كما فى ل والبيان . جاء فى البيان : « فجعلت الشين سينا والجيم ذالا » . وانظر نظائر هذه اللكنة فى البيان (١ : ٧١ - ٧٤) .

(٦) ط ، س : « بهذا النادر » .

وتبسمت ؛ ثُمَّ سقَوْها قدحاً آخرَ فاحْمَرَّ وجهها وضَحِكت ، فسقَوْها قدَحًا ثالثاً فقالت: خبِّرونى عن نسائكم بالعراق، أيشرَبْنَ من هذا الشراب ؟ فقالوا: نعم . فقالت : زَنَيْنَ وربِّ الكعبة !

(عقاب خصىّ)

وزعمَ إبراهيم الأنصارىُّ المعتزلىُّ أنَّ عباسَ بن يزيد بن جريرٍ دخَلَ مقصورةً لبعض جَواريه ، فأبصَرَ حماماً قد قَمَط حمامةً ، ثُمَّ كسَحَ بِذنبه ونفَش ريشه ، فقال : لمن هذا الحمام ؟ فقالوا : لفلانٍ خادِمِك — يعْنونَ[1] خَصِيًّا له — فقدَّمه فضرَبَ عنقهُ .

٩١

(قول الحطيئة فى الغناء)

و [قد] قال الحطيئةُ لفتيانٍ من بنى قُرَيع[2] — و [قد] كانوا ربَّما جلَسُوا بقُربِ خَيْمتِه ، فتغَنَّى[3] بعضُهمْ غِناء الرُّكبان — فقال: يابنى قريع ! إيَّاىَ والغِناءَ ؛ فإنّه داعِيةُ الزِّنَى[4] !

---

(١) ط ، س : « يريدون » .

(٢) بنو قريع كانوا ممن مدحهم الحطيئة ، فرفع شأنهم . كان يقال لهم بنو أنف الناقة فيغضبون ، حتى قال الحطيئة :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

فصارا يتباهون بهذه النسبة . العمدة (١ : ٢٥ — ٢٦) . ط : « قريريع » تحريف مافى ل ، س .

(٣) ط ، س . « فيغنى » .

(٤) ط ، س : « إلى الزنا » .

(أبو أحمد التمار وصاحب حمام)

وأمّا أبو أحمد التمّار المتكلم ، فإنّه شاهَدَ صاحبَ حمامٍ في يوم مجيء حَمامِه من واسط ، وكانت واسطَ يومئذٍ الغايَة ، فرآه كلما أقبلَ طائرٌ من حمامه نعر[١] ورَقَص ، فقال له : والله إني لأرَى[٢] منك عجبا ؛ أراك تفْرَحُ بأن جاءك[٣] حمامٌ من واسط ، وهو ذلك الذى كان ، وهو الذى جاء ، وهو الذى اهتدى ؛ وأنتَ لم تجئْ ولم تهتَدِ ؛ وحين جاءَ من واسط ، لم يجئْ معه بشيءٍ من خبر أبي حمزة ، ولا بشيءٍ من مقاريض[٤] واسط ، وبزيون[٥] واسط ، ولا جاء معه أيضاً بشيء من خِطْمِيٍّ[٦] ، ولا بشيءٍ من جوز

---

(١) نعر نعيراً ونعارا : صاح . ط ، س : « سر » .

(٢) في الأصل : « لا أرى » .

(٣) ط ، س : « بأزجال » ، وصوابه من ل .

(٤) لم أر واحد هذه الكلمة . وفي القاموس : المقارض : أوعية الخمر ، والجرار الكبار .

(٥) في القاموس : « البزيون كجردحل وعصفور : السندس » . والسندس : ضرب من رقيق الديباج . وهو مركب من « بز » و « يون » أى يشبه « البز » . و « يون » لغة في « كون » بالفارسية . الألفاظ الفارسية ٢٢ . ط « بزبون » س : « بزبوه » وهي على الصواب الذى أثبت في ل .

(٦) الخطمى بكسر الخاء وفتحها : نبت له زهر شبيه بالورد ، وتسمى شجرته « كثيرة المنافع » . المعتمد ٩١ . واسمه العلمى Malvarotundifolia. ويعرف أيضا بالخبازى البرية . وكتب الفقه الإسلامى تردد ذكر هذا النبت في باب الجنائز ؛ إذ أن من خواصه جودة تنظيف الشعر ، وهو بمنزلة الصابون . انظر مثلا مسكين ٤٩ — ٥٠ . ل « خطى » مع حذف كلمة « واسط » قبلها .

ولا بشيءٍ من زبيب[1] . وقد مرَّ بكسكرَ ، فأين كان عن جِدَاء كسكر ، ودَجاج كسكر[2] ، وسمك كسكر ، وصحناة[3] كسكر ، ورُبيثاء[4] كسكر [وشعير كسكر ؟ !و] ذهب صحيحاً نشيطاً ، ورجع مريضاً كسلان ، وقد غرمت ما غرمت[5] ! ! فقل لى : ماوجه فرحك ؟ فقال : فرحى أنِّى أرجو أن أبيعه بخمسين ديناراً . قال : ومَن يشتريه منك بخمسين ديناراً ؟ قال : فلان ، وفلان . فقام ومضى إلى فلان[6] فقال : زعم فلان أنّك تشترى منه[7] حماماً جاء من واسِطَ بخمسين ديناراً ؟ قال : صدق . قال : فقل لى[8] لم تشتريه

---

(١) ل : « وشىء من جوز ، وشىء من زبيب » .

(٢) دجاج كسكر سبق الكلام فيه (٢ : ٢٤٨) . وقد أبديت عجبى هناك من تقدير ثمنه ، لكن وجدت ياقوتا يؤيد ما ذكره فى كسكر بما ذكره فى (واسط) أيضاً حيث قال : « رأيت فيها — يعنى واسطاً — كوز زبد بدرهمين واثنتى عشرة دجاجة بدرهم ، وأربعة وعشرين فروجا بدرهم » . ط ، س : « عن دجاجها » .

(٣) الصحنا والصحناة ، ويمدان ويكسران : إدام يتخذ من السمك الصغار والملح . القاموس والمعتمد ١٩٧ . قال داود : « لاتعرف إلا بالعراق ، ويقرب منها ما يعمل بمصر ويسمى : الملوحة » . ط : « وصحنا بها » تحريف وأثبت ما فى ل . وفى س : « وصحناء كسكر » . وانظر ٦ : ٨٤ — ٨٥ .

(٤) فى مفاتيح العلوم ١٠٠ : « الربيثاء ، والصحناء ، والصير : السميكات تعمل من السمك الصغار والملح » . وبدل هذه الكلمة فى ط ، س : « سعتر » وهو نبت طيب الرائحة .

(٥) ط ، س : « وقد عرفت ماعرفت » .

(٦) ط ، س : « إلى فلان وفلان » وصوابه ما أثبت من ل .

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٨) س : « قال فقل له » ، وصوابه ما أثبت من ل . وفى ط : « فقال له » .

بخمسين دينارا ؟ قال : لأنّه جاء من واسط . قال : فإذا جاء من واسط فلِمَ تشتَرِيه بخمسين دينارا ؟ قال : لأنّى أبيع الفرخَ منه بثلاثة دنانير ، والبيضة بدينارين . قال : ومن يشترى منك ؟ قال : مثلُ فلان وفلان . فأخذ نَعْله ومضى إلى فلان ، فقال : زعم فلان أنَّك تشترى منه فرخا من طائرٍ جاء من واسط بثلاثة دنانير ، والبيضةَ بدينارَين . قال : صَدَق . قال : فقل لى : لِمَ تشترى فرخَة بثلاثة دنانير ؟ قال : لأنَّ أباه جاءَ من واسط . قال : ولِمَ تشتريه بثلاثة دنانيرَ إذا جاء أبوه من واسط ؟ قال : لأنى أرجو أن يجىءَ من واسط . قال : وإذا جاء مِن واسط فأىَّ شىء يكون ؟ قال : [يكون أن] أبيعَه بخمسين ديناراً . قال : ومَن يشتريه مِنك بخمسين دينارا ؟ قال : فلان . فتركَه ومضى إلى فلانٍ ، فقال : زعم فلانٌ أنّ فرخاً من فراخه إذا جاءَ أبُوه من واسط اشتريته أنت منه بخمسين ديناراً[1] . قال : صدق . قال : ولم تشتريه بخمسين دينارا ؟ [قال : لأنَّه جاءَ من واسط . قال : وإذا جاء من واسط لم تشتريه بخمسين دينارا ؟] قال : فأعاد عليه مثل قولِ الأوَّل[2] . فقال : لا رزق الله مَن يشترى حماماً جاءَ من واسط بخمسين دينارا ، ولا رزق الله [إلّا] مَن لا يَشتريه بقليل ولا بكثير[3] .

---

(١) كلمة « أبوه » ساقطة من ل . وكذا « أنت منه بخمسين دينارا » .

(٢) ل : « مثل قولة الأول » ، وصوابه فى ط ، س .

(٣) كلمة « دينارا » ساقطة من ل . و « يشتريه » هى فى ط : « يشريه » وشرى تكون بمعنى اشترى .

(نوادر لأبى أحمد التمار)

٩٢ وأبو أحمد هذا هو الذى قال ــ وهو يعظ بعض المسرفين ــ لو أنَّ رجلاً كانت عنده ألفُ ألف دينار ثم أنْفقها كلَّها لذهبت [كلها] . وإنما سمع قول القائل : لو أنَّ رجلا عنده ألفُ ألفِ دينار فأخَذَ منها ولم يضَعْ عليها لـكان خليقاً أن يأتىَ عليها[1] .

وهو القائل فى قصَصه : ولقد عظَّمَ [رسول الله صلى] الله [عليه وسلَّم] حقَّ الجارِ ، وقال فيه قولاً أستحْيِى واللهِ من ذكره !

وهو الذى قال لبعضهم[2] : بلغنى أنَّ فى بستانك أشياءَ تهمّنى ، فأحبُّ أن تَهَبَ لى منه أمراً من أمْرِ الله عظيم[3] .

وكان زَجَّالا[4] قبل أن يكون تمارا .

وزعم سليمان الزجَّال[5] وأخوه ثابت ، أنّه قبل أن يكون تماراً[6] قال يوماً ــ وذكر الحمام ، حينَ زَهِد فى بيع الحمام ؛ وذكَرَ بعضَ الملوك ــ فقال : أمَّا فلان فإنّه لما بلغنى أنّه يلعبُ بالحمام سقط من عينى !

---

(١) ط ، س : « على أكثرها » .

(٢) ل : « للهفتى » .

(٣) ل : « بلغنى أن فى أرضك أشياء تهمنا فهب لى منه أمراً من أمر الله عظيما » .

(٤) الزجال هنا : الذى يتاجر فى حمام الزاجل ، كما يظهر من الكلام . ل : « جدالا » تحريف .

(٥) ل : « الجدال » . وما كتبت من ط ، س أوفق ؛ لما سيأتى من الكلام .

(٦) التمار : بائع التمر . والكلام من مبدأ « قبل » ساقط من ل

والله سبحانه وتعالى أعلم (١) .

[تمَّ القولُ فى الحمام ، والحمدُ لله وحدَه] .

باب

القول فى أجناس الذِّبَّان (٢)

بسم الله ، وبالله [والحمد لله] ولا حَوْلَ ولا قُوَّة إلا بالله ، وصلَّى الله على سيِّدنَا محمَّدٍ النبىِّ الأمىِّ وعلى آله وصحبِه وسلَّم ، وعلى أبرار عِتْرَتِه (٣) الطيِّبينَ الأخيار (٤) .

أُوصيك أيُّها القارئُ المتفهِّم ، وأيُّها المستمعُ المنصِت المصيخ (٥) : ألاّ تحقِرَ شيئاً أبداً لصغر جثَّته ، ولا تستصغر قدرَه لقلَّة ثمنٍ .

---

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) كلمة « باب » وكذا « أجناس » ساقطتان من ل .

(٣) العترة ، بالكسر : نسل الرجل ، ورهطه ، وعشيرته الأدنون ممن مضى وغبر . ل ، ط : « عشيرته » .

(٤) يبدو أن الفقرة من أولها دخيلة على الكتاب ، فليست من أسلوب صاحبنا .

(٥) المصيخ : المستمع . وبدلها فى ط ، س : « المتصفح » . وكيف يكون المستمع متصفحاً ؟ ! .

(دلالة الدقيق من الخلق على الله)

ثمَّ اعلمْ أنَّ الجبلَ ليس بأدلّ على الله من الحصاة ، ولا الفَلَكَ المشتمل على عالَمنا هذا بأدلَّ عَلَى الله من بدَن الإنسان . وأنَّ صغيرَ ذلك ودقيقَهُ كعظيمهِ وجليله . ولم تفترقِ الأمورُ فى حقائقها ، وإنما افترقَ المفكِّرونَ فيها ، ومَن أهمَل النَّظرَ ، وأغفَلَ مواضع الفَرْق ، وفُصولَ الحدود .

فِمنْ قِبَلِ ترْكِ النَّظرِ ، ومن قِبَلِ قطْع النَّظر ، ومن قِبَل النظر من غير وجه النَّظَرِ ، ومن قِبَل الإخلال ببعض المقدّمات ، ومن قِبَل ابتداءِ النَّظر من جهَة النَّظرِ ، واستمام النظرِ مع انتظام المقدَّمات ـــ اختلَفُوا .

فهذه الخصالُ هِيَ جُمَّاع هذا الباب ، إلاَّ ما لم نذْكرْه من باب العجز والنقص ؛ فإن الذى امتنع من المعرفة من قِبَل النُّقصانِ الذى فى الخِلقة[1] بابٌ عَلَى حِدة .

وإنما ذكرناَ بَابَ الخطأ والصَّواب ، والتَّقْصِيرِ والتكميل .فإياك أن تسِىءَ الظَّنّ بشىءٍ من الحيوان لاضطراب الخلق ، ولتفاوُت التركيب ، ولأنّه مشنوءٌ فى العَين ، أو لأنّه قليلُ النّفع ِوالرَّدِّ ؛ فإنَّ الذى تظُنُّ[2] أنَّه أقلُّها نفعا لعله أن يكون أكثرَها ردًّا . فإلاّ يكن[4] ذلك من جهةِ عاجلِ أمرِ الدنيا ،

---

(١) ط ، س : « الذى بابه فى الخلقة » . وكلمة « بابه » مقحمة .

(٢) ط ، س : « يظن » ، وتقرأ بالبناء للمفعول .

(٣) ط : « إن لايكون » س : « ألا يكون» وتصحيحه وفق مافى ل .

٩٣ كان ذلك فى آجل أمر[1] الدين . [وثوابُ الدين] وعقابُهُ باقيان ، ومنافعُ الدنيا فانية زائلة ؛ فلذلك قدِّمت الآخرة على الأولى .

فإذا رأيتَ شيئاً من الحيوانِ بعيداً من المعاوَنة ، وجاهلاً بسبب[2] المكانَفةِ[3] ، أو كان مما يشتدُّ ضررُه ، وتشتدُّ الحِراسة منهُ ، كذوات الأنيابِ من الحيَّات والذئابِ[4] وذواتِ المخالبِ من الآسْدِ والنُّمور ، وذوات الإبر والشعر من العقارب والدَّبْر ، فاعلم أنّ مواقع[5] منافعها من جهة الامتحان ، والبلوَى . ومن جهة ما أعد الله عزَّ وجلَّ للصابرين ، ولمن فهم عنه ، و [لمن] [6] علِمَ أنَّ الاختِيارَ والاختبَار [لا] [7] يكونان والدنيا كلُّها شرٌّ صِرْفٌ أو خيرٌ محْض ؛ فإنّ ذلك لا يكون إلاّ بالمزاوجةِ بين المكروهِ والمحبوب ، والمُؤلم والملذّ ، والمحقَّرِ والمعظَّم ، والمأمُون والمخوفِ . فإذا كان الحظُّ الأوفَرُ فى الاختبار والاختيار[8] ، وبهما يُتوسل إلى ولاية الله عزّ وجلّ ، وآبِدِ[9] كرامته ، وكان ذلك إنما[10] يكونُ فى الدار المزوجةِ من

---

(١) ط ، س : « ثواب » .

(٢) س : « بسبيل » ط : « لسبيل » وهذه تحريف الأولى . وأثبت ما فى ل .

(٣) المكانفة ، بالنون : المعاونة . كانفه : عاونه . ل : « المكاتفة » بالتاء . ولم أجدها .

(٤) ط : « الذبان » ، وهو تحريف عجيب ، صوابه فى ل ، س .

(٥) ليست فى ل ، س .

(٦) الزيادة من ل ، س .

(٧) الزيادة من س . والكلام بعده إلى كلمة « ذلك » ساقط من ل .

(٨) ط ، س : « والاعتبار » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٩) الآبد : الدائم . وبدلها فى ط ، س : « وإلى » .

(١٠) ل : « لا » ، وهو تحريف يفسد المعنى .

الخير والشرِّ ، والمشتركة والمركّبة بالنّفْع[1] والضر ، المشوبةِ باليُسْرِ والعسْر — فليعلَمْ موضعَ النَّفْعِ فى خَلْق العقرب ، ومكانَ الصُّنْع فى خَلْق الحيَّة ، فلا يحقرنَّ الجِرْجِس[2] والفَرَاشَ والذرَّ والذِّبان[3] ولْتقِفْ حتّى تتفكّرَ فى الباب الذى رميتُ إليك بجمْلَتِه ، فإنّك ستكْثِرُ حَمْدَ اللهِ عزّ وجلّ ، على خلْق الهمَجِ والحشرَاتِ ، وذواتِ السُّمومِ والأنياب ، كما تحمَدُه عَلَى خلْقِ الأغذيةِ من الماءِ والنَّسِيم .

فإنْ أردتَ الزِّرايةَ والتَّحقيرَ ، والعَداوةَ والتَّصغير ، فاصرفْ ذلك كلَّهُ إلى الجنِّ والإنس ، واحقِرْ منهم كلَّ مَن عمِل عملاً من جهةِ الاختيار[4] يستوجبُ به الاحتقار ، ويستحقُّ به غايةَ المقْت من وجهٍ ، والتصغيرَ من وجه .

فإن أنت أبغضت من جهةِ الطبيعة[5] ، واستَثْقَلتَ من جهةِ الفِطرة ضَربينِ من الحَيَوان : ضرباً يقتلك بسمه ، وضربا يقتلك بشدةِ أسْره[6] لم تُلَمْ . إلاّ أنّ عليك أنْ تَعلَمَ أنّ خالقَهما لم يخلقْهما لأذاك[7] ، وإنما خلقهما لتصبِرَ عَلَى أذاهما ، ولأنْ تنالَ بالصَّبر الدرجَةَ التى يستحيل أنْ تنالها [إلاّ] بالصَّبر[8] .

---

(١) ل : « ومكان النفع فى صنع الحية » .

(٢) الجرجس ، بكسر الجيمين : البعوض الصغار . ويقال أيضاً : القرقس ، بوزنه .

(٣) الذر : صغار النمل . و « الذبان » بالكسر : جمع « الذباب » . وبهذه جاءت فى ط ، س .

(٤) ط ، س : « الاختبار » وهو تحريف ما فى ل .

(٥) ل : « فإن أنت بنية الطبيعة » وهو كلام مشوه .

(٦) الأسر : شدة الخلق والخلق . ط : « أشره » تحريف .

(٧) ط : « لذاك » . وما أثبت من س ، ل أوفق .

(٨) ط ، س : « التى تستحق أن تنالها بالصبر » ، ومؤدى العبارتين واحد .

والصبرُ لا يكونُ إلاّ عَلَى حَالٍّ[1] مكروه . فسواءٌ عليك [أ] كان المكروه سبُعا وثّابا ، أو كانَ مَرَضًا قاتلا . وعَلَى أنّك لاتدرى ، لعلَّ النزْعَ ، والعَلَزَ والحشْرَجة[2] ، أن يكون أشدَّ من لدْغ[3] حيَّة ، وضَغْمةِ سبعٍ[4] . فإلاّ تكُنْ له حُرقةٌ كحرق النار[5] وألمٌ كألم الدّهَق[6] ، فلعلَّ هناك من الكَرْب ما يكون موقعهُ من النَّفس فوقَ ذلك .

وقد علمنا أنّ النّاس يُسَمُّون[7] الانتظار لوقع السيف عَلَى [صليف[8]] العُنق جهَدْ البلاءِ ؛ وليس ذلك الجهْدُ من شكل لذْع النار ، ولا من شكل ألم الضربِ بالعصا . فافهم فهَّمَكَ اللهُ مواقع النفع كما يعرفها أهلُ الحكمة ، وأصحاب الأَحْسَاس الصحيحة . ٩٤

ولا تَذْهب فى الأمورِ مذهَبَ العامّةِ ، وقد جَعَلَكَ اللهُ تَعالى من الخاصة ، فإنّكَ مسئولٌ عن هذه الفضيلة ؛ لأنّها لم تجعَل لعِبا[9] ، ولم تترَكْ

---

(١) حال ، أى حاضر . ل : « عاجل » .

(٢) النزع : قلع الحياة . والعلز بالتحريك : هلع يصيب المحتضر . والحشرجة : الغرغرة عند الموت .

(٣) ط ، س : « لذع » وصوابه فى ل .

(٤) هاتان ساقطتان من ل . والضغمة : العضة . وسمى الأسد ضيغما لذلك .

(٥) كذا فى ل . وفى ط : « فلا يكون حرقة كحرق اللسع » وفى س : « فلا يكون لك حرقة كحرق اللسع » ، محرفتان .

(٦) الدهق ، بالتحريك : خشبتان يغمز بهما الساق ، فارسيته : أشكنجه .

(٧) ل : « لايسمون » ، وكلمة « لا » تفسد المعنى .

(٨) الصليف ، كأمير : عرض العنق .

(٩) ل : « لغوا » .

هَمَلا . واصرِفْ بُغْضَك إلى مُريدِ ظلمكَ(١) ، لا يراقِب فِيكَ إلاًّ ولا ذِمَّة ، ولا مودةً ، ولا كتابا ولا سنَّة . وكلما زادك الله عزَّ وجلَّ نعمةً ازدادَ(٢) عليك حَنَقا ، ولكَ بُغْضاً . وفِرّ كلَّ الفِرارِ واهرُبْ كلَّ الهرَب ، واحترسْ كلّ الاحتراس ، ممن لا يراقبَ اللهَ عزَّ وجلَّ ؛ فإنه لا يخلو من أحد أمرين ، إمَّا أن يكونَ لا يعرفُ رَبَّهُ مع ظهور آياتهِ ودلالاته ، وسبوغِ آلائهِ ، وتتابُعِ نَعْمائِه ، ومع برهانات رُسله ، وبيانِ كتبِهِ ؛ وإمَّا أنْ يكون بهِ عارفاً وبدينهِ(٣) موقناً ، وعليهِ مجترئاً ، وبحُرماتِه مستخفًّا . فإن كان بحقِّهِ جاهلا فهو بحقِّك أجهل ، وله أنْكَر . وإن كان بهعارفاًوعليه مجترئاً فهو عليك أجرأ ، ولحقوقك أضْيَع(٤) ولأياديك أكفر .

فأمَّا خلْق البَعُوضةِ والنَّملة والفَرَاشةِ والذَّرَّة والذِّبّان(٥) والجِعْلان ، واليعاسيب والجراد — فإياك أن تهاونَ بشأن هذا الجُنْد ، وتستخف(٦) بالآلة التى فى هذا الذَّرْء(٧) ؛ فَربَّتَ أمة قد أجلاها عن بلادها(٨) النملُ ، ونقلَها

---

(١) س « لمن يريد ظلما » .

(٢) ط فقط : « ازدادوا » .

(٣) س : « وبذنبه » وهو تحريف .

(٤) ط ، س : « ولحقك » . و « أضيع » تفضيل من أضاع . وفى التفضيل من أفعل مذاهب ثلاثة : المنع مطلقا ، والجواز مطلقا ، والمنع إن كانت الهمزة لغير النقل .

(٥) الذبان : جمع ذباب . ط ، س : « والذباب » .

(٦) ط : « تسخفف » تحريف صوابه فى ل ، س .

(٧) الذرء : الخلق . وفى الأصل : « الذر » .

(٨) ل : « مساكنها » .

عن مساقِطِ رءُوسِها الذَّرُّ ، وأُهلِكت بالفأر[١] ، وجُرِدت بالجَرَادِ، وعُذِّبت بالبعوض ، وأفسَدَ عيشَها الذِّبَّان ؛ فهى جُندٌ إن أرادَ اللهُ عزَّ وجلَّ أن يهلِكَ بها قوماً بَعْدَ طُغْيانِهم وتجبُّرِهم وعُتوِّهم ؛ ليعرِفوا أو ليُعرَفَ بهم أنَّ كثيرَ أمرِهم ، لا يقوم بالقليلِ من أمر الله عَزّ وجل . وفيها بَعْدُ مُعتبرٌ لمن اعتبر ، وموعِظةٌ لمن فكَّر ، وصلاحٌ لمن استبصر[٢] ، وبلوَى ومِحْنة ، وعذابٌ ونِقْمة ، وحُجَّةٌ صادقة ، وآيةٌ واضحة[٣] ، وسَبَبٌ إلى الصَّبْرِ والفِكْرَةِ . وَهما جِمَاعُ الخيرِ فى باب المعْرِفة وَالاستبانة[٤] ، وَفى بابِ الأجْرِ وعِظَمِ المثوبة[٥] .

وسَنَذْكُر جملةً من حَال الذِّبّان ، ثم نقولُ فى جملةِ ما يَحضرُنا من شَأْنِ الغِرْبانِ والجعلانِ .

(أمثال فى الفراش والذباب)

ويقال[٦] فى موضع الذمِّ والهجاء : « ما هُمْ إلاّ فَراشُ نارٍ وَذِبّانُ طَمَعٍ » . وَيقال : « أطْيَشُ مِنْ فَراشَة ، وَأزْهى مِنْ ذِبّانٍ » .

---

(١) إشارة إلى حادثة سيل العرم . زعموا أن السبب فيه فأرة ، قال الجاحظ : « لايشك الناس فى أن أرض سبأ وجنتها إنما خربت حين دخلها سيل العرم ، وأن الذى فجر المياه فأرة » . ثمار القلوب ٣٢٨ . ط ، س : « بالقراد » وليس بشىء .

(٢) ل : « معتبر وموعظة وصلاح » .

(٣) سقط الكلام من ل ، من مبدأ : « وحجة » .

(٤) ط : « والإبانة » .

(٥) « وعظم المثوبة » ساقطة من ل .

(٦) ل : « قالوا : يقال » .

وقال الشاعر :

كأنَّ بنى ذويبة رهْطَ سَلمَى فَرَاشٌ حول نارٍ يَصْطلينا
يُطِّفْنَ بحرِّها ويَقَعْنَ فيها ولا يَدْرِينَ ما ذا يتَّقينا

والعرب تجعل الفَراشَ والنَّحلَ والزَّنابيرَ والدَّبْرَ كلَّها من الذِّبان .

وأما قولهم[١] : « أزْهى مِنْ ذُباب » فلأنَّ الذُّبابَ يسقُط على أنفِ الملِكِ[٢] الجبَّار ، وعلى مُوقِ عينيه[٣] ليأكله ، ثم يطرده فلا ينطرد[٤] . ٩٥

(معانٍ وأمثالٌ فى الأنف)

والأنف هو النَّخْوة وموضعُ التَّجبُّرِ .

وكان من شأن البطارقة[٥] وقوَّاد الملوك إذا أنفوا [من شىء] أن ينخُروا كما ينْخِر الثَّورُ عندَ الذَّبح ، والبِرذونُ عند النَّشاط .

---

(١) ل : « قوله » .

(٢) ل : « الملوك »، وهو تحريف .

(٣) موق العين : طرفها مما يلى الأنف . وللعينين موقان . ولكنه أفرد ، وذلك جائز فى العربية . ومنه قوله تعالى : « بدت لها سوأتهما » بالإفراد ، فى قراءة الحسن . انظر همع الهوامع (١ : ٥١) .

(٤) كذا فى ل . وفى ثمار القلوب ٣٩٥ : « ثم يطرد فلا ينطرد » . وفى ط ، س « فيطرده ولا ينطرد » .

(٥) البطريق ، ككبريت : القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل . وهو معرب من الرومى : Patricius .

والأنف هو موضعُ الخُنْزُوانة والنُّعَرة(١) . وإذا تكبَّرت النَّاقةُ بعد أن تَلْقَح فإنَّها(٢) تزمُّ بأنفها .

والأصيد : الملك الذى تراه أبداً من كِبْره مائلَ الوجه . وشُبِّه بالأسد فقيل أصيد ؛ لأنَّ عُنقَ الأسدِ من عظمٍ واحد ، فهو لا يلتفتُ إلَّا بكُلِّه ، فلذلك يقال لِلمُتَكَبِّرِ : « إنَّما أنفُه فى أسلوب » ، ويقال : أرغَمَ الله أنفَه وأذلَّ معطِسَه ! و [يقال] : ستفعل ذلك وأنفُك راغم ! والرَّغام : التراب . ولولا كذا وكذا(٣) لهشَّمت أنفك . فإنما يخصُّون بذلك الأنف ؛ لأنَّ الكبر إليه يضاف(٤) ؛ قال الشاعر(٥) :

يا رُبَّ مَنْ يُبْغِضُ أذْوادنا ... رُحْن عَلَى بَغْضَائِه واغتدَيْن(٦)

لو نَبَتَ البَقْلُ عَلَى أنفِهِ ... لرُحْنَ منه أُصُلاً قد أبين(٧)

---

(١) الخنزوانة ، بالخاء والزاى مضمومتين بينهما نون ساكنة : الكبر ، ومثله النعرة ، كهمزة ، وبالتحريك .

(٢) ل : « فإنما » .

(٣) ل : « ولولا كذا » .

(٤) كذا الوجه فى ل ، س . وفى ط : « يضاف إليه » .

(٥) هو عمرو بن قيئة ، كما فى أمالى ابن الشجرى (٢ : ٣١١) .

(٦) الأذواد : جمع ذود ، وهو القطيع من الإبل . وأراد بقوله : « على بغضائه » أنهن يرعين ويرتوين ، ولا يستطيع العدو منعهن لقدرة صاحبهن وعزته . وكلمة « بغضائه » هى فى ط : « بغصائه » وفى س : « بعصائه » ، وصوابها من ل وأمالى ابن الشجرى ، ومحاضرات الراغب (٢ : ٦٣) .

(٧) الأصل ، بضمتين : الأصيل ، وهو العشى أى آخر النهار . وبعضهم قال : إن الأصل جمع أصيل . وليس بشىء . وأبين ، يقول : قد أبين الطعام من كثرة مارعين فأشبعن شهواتهن . ط ، س : « أتين » وصوابه فى ل . والرواية فى المحاضرات : « رعين » . وجاء فى ط ، س : « رحن إليه » وتصحيحه من ل والمحاضرات .

ويقال « بعير مذبوب » إذا عرض له ما يدعو[١] الذِّبَّانَ إلى السُّقوط عليه . وهم يعرفون الغُدَّة[٢] إذا فشَتْ أو أصابَتْ بعيرًا بسُقوط الذِّبَّان عليه .

(احتيال الجمالين على السلطان)

وبسقوط[٣] الذّبّان على البعير يحتال الجَمَّال للسُّلطان ، إذا كان قد تسخَّرَ إبِلَهُ[٤] وهو لذلك كاره ، وإذا كان فى جماله الجملُ النفيسُ أو الناقةُ الكريمة[٥] ؛ فإنه يعمِد إلى الخَضْخاض[٦] فيصبُّ فيه شيئا من دِبس[٧] ثم يَطْلى به ذلك البعير ، فإذا[٨] وجد الذّبّان ريحَ الدِّبس تساقَطْنَ عليه ، فيدَّعى عند ذلك أنَّ به غُدَّة[٩] ويجعلُ الشاهدَ له عندَ السُّلطان[١٠] ما يُوجد عليه من الذِّبان ! فما أكثر ما يتخلصون بكرائم أموالهم[١١] بالحيلِ من أيدى

---

(١) ل : « داء يدعو » .

(٢) الغدة بالضم : طاعون الإبل . ط ، س : « العرة » ، وهى بالضم بمعنى الجرب . ولا تستقيم هذه مع بقية الكلام .

(٣) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « ولسقوط » .

(٤) يقال سخره تسخيراً ، وتسخره كذلك : كلفه عملا بلا أجرة . ط ، س : « يسخر إبله » وأثبت ما فى ل .

(٥) ل : « فإذا كان فيها جمل نفيس أو ناقة كريمة » .

(٦) الخضخاض : نفط أسود رقيق تهنأ به الإبل الجربى .

(٧) الدبس ، بالكسر وبكسرتين : عسل التمر ، وعسل النحل . والأول المعنى .

(٨) ط ، س : « وإذا » .

(٩) كذا فى ل . وفى ط ، س : « عرة » . وانظر التنبيه الثانى من هذه الصفحة وفى ل : « فتدعى عند ذلك أنه » . وفيه تحريف .

(١٠) كلمة : « له » ساقطة من ل .

(١١) يتخلصون : ينجون . ل : « يخلصون » وهما بمعنى . ل ، س :

السُّلطان ، ولا يظنُّ ذلك السُّلطانُ إلّا أنه متى شاء أنْ يبيعَ مائةَ أعرابيٍّ بدرهم فَعَل . والغُدّة[١] عندهُمْ تُعدِى ، وطِباع الإبل أقبلُ شىءٍ للأَدواء التى تُعْدِى ، فيقول الجمَّال عنْدَ ذلك للسُّلطان : لو لم أخف على [الإبل إلّا] بعيرى هذا المِغدّ أن يُعدِىَ لم أبال[٢] ، ولـكنِّى أخافُ إعداء الغُدَّةِ ومضرَّتَها فى سائر مالى ! فلا يزالُ يستعطِفه بذلك ، ويحتالُ له به[٣] حتَّى يخلِّىَ سبيلَه .

(نفور الذِّبّان من بعض الأشياء)

ويقال إنَّ الذِّبَّان لايقرُب قِدْراً فيه كمأَة ، كما لا يَدخُل سامٌّ أبْرَص[٤] بيتاً فيه زعفران .

(الخوف على المـكلوب من الذِّبّان)

ومن أصابه عضّ الـكلب الـكَلِبِ حمَوا وجهَه من سقوط الذِّبان عليه. قالوا : وهو أشدُّ عليه من دبيب النِّبْر[٥] على البعير .

= « من كرائم » والوجه ما أثبت من ط .

(١) ط ، س : « والعرة » . وانظر التنبيه الثانى من الصفحة السابقة .

(٢) المغد ، هو من أغد البعير : أصابته الغدة ، أى الطاعون . ط ، س : « المعر » ولم أجد لهـا وجها تصح به وكلمة « يعدى » هى فى س : « يعر » وليست مرادة . ل : « لم أبل » وهما صحيحتان .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ويحتال له ويميله » .

(٤) ل : « كما لاتدخل » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٥) الدبيب : المشى الخفيف . ل : « سقوط » . والنبر ، بالـكسر ، سيفسره الجاحظ بعد هذا .

(النِّـــبر)

والنِّـــبْر دويْبَّةٌ إذا دبَّت على البعـــير ، تورَّم ، وربَّمـــا كان ذلك سببَ هلاكِه .

قال الشاعِرُ وهو يصف[1] سِمَن إبله ، وعِظَمَ أبدانها :

حمر تحقَّنَت النَّجيل كأنَّما بجلودهِنَّ مَدَارِجُ الأنْبارِ[2]

(مميزات خلقيَّة لبعض الحيوان)

وليس فى الأرض ذبابٌ إلَّا وهو أقْرَح[3] ، ولا فى الأرض بعيرٌ إلَّا وهو أعلم[4] ، كما أنَّه ليس فى الأرض ثورٌ إلَّا وهو أفطس . ٩٦

وفى أنَّ كلَّ بعير أعلمُ يقولُ عنترة :

وحَليلِ غانيةٍ تركتُ مجدَّلاً تمـكو فريصَتُه كشِدْق الأعلَمِ[5]

---

(١) ل : « يذكر » .

(٢) « حمر » فى اللسان : « جردا » . وتحقنت النجيل : امتلأت أجوافها به . ط ، س : « تحققت الحيل »، وتصحيحه من ل واللسان . والنجيل : خير الحمض كله وألينه على السائمة . والحمض : ما ملح وأمر من النبات . والأنبار : جمع نبر بالكسر وقد مر تفسيره . ومدارجه : مواضع دروجه ، أى مشيه .

(٣) « أقرح » ، وهو من القرحة . وكل ذباب فى وجهه قرحة . انظر أمثال الميدانى (٢ : ٤٠٣) . ط ، ل : « أقدح » والوجه ما أثبت ؛ إذ هو الصفة الخلقية التى تساير السياق . وانظر عيون الأخبار ٢ : ٧٥ وفيه « كل ذباب أقرح » . وانظر كذلك العقد ٦ : ٢٣٦ تأليف .

(٤) الأعلم : مشقوق الشفة العليا .

(٥) حليل : بمعنى زوج . ط ، س : « جليل » والصواب فى ل، مجدلا : ملقيا على الجدالة وهى الأرض . تمكو فريصته : تصفر . والفريصة : لحمة فى وسط الجنب عند منبض القلب ، وهى ترتعد عند الفزع . قال التبريزى : « كأن هذه الطعنة فى سعتها شدق الأعلم ». وكأن الجاحظ يفهم هذا المعنى كما سيأتى بعد سطر. وأنا أقول : إنه فى هذا البيت ما شبهها بشدق الأعلم فى السعة ، بل أراد أن صوت الدم الدافق من هذه الطعنة ، يحكى الصوت الصادر من شدق البعير . وهذا لايمنع أن بعض الشعراء أراد فى شعره هذا المعنى الذى أدركه التبريزى والجاحظ .

كأنَّه[1] قال : كشدق البعير ، إذ كان كلُّ بعيرٍ أعلم .

والشعراء يشبِّهون الضربةَ بشِدْق البعير ، ولذلك قال الشاعر[2] :

كَمْ ضربةٍ لكَ تحكِى فا قُراسِيَةٍ من المَصاعِبِ فى أشداقِهِ شَنَع[3]

وقال الكميت :

* مَشافِرَ قَرْحَى أكلْنَ البريرا[4] *

وإذا قيل الأعْلم ، عُلِم أنَّه البعير ، كما أنَّه إذا قيل الأقرح[5] علم أنَّه الذِّبّان . قال الشاعرُ :

ولأنْتَ أطيَشُ ، حينَ تَغْدُو سادرًا حذر الطعان، مِنَ القَدُوحِ الأقْرَحِ[6]

يعنى الذبَّان لأنَّه أقرح[7] ، ولأنّه أبدا يحكُّ بإحدى ذراعَيْه على

---

(١) كذا فى ل ، وهو الوجه . وفى ط ، س : « كما أنه » .

(٢) هو النمر بن تولب ، كما فى البيان (١ : ٥٥) .

(٣) تحكى فاه : تماثله . والقراسية : الضخم الشديد من الإبل ، ذكراً كان أوأنثى ، وهو فى الذكور أغلب . والمصاعب ، واحدها مصعب ، وهو الفحل . فى أشداقه : أراد فى شدقيه ، ومثل هذا جائز . فى الأصل : « فى أشداقها » ، والوجه ما أثبت من البيان ؛ إذ أن المراد بالقراسية هنا الفحل .

(٤) قرحى : جمع قريح ، وهو هنا المصاب بالقرحة فى فيه ، فيهدل لذلك مشفره . والبرير : الأول من ثمر الأراك . وهذا عجز بيت ، صدره كما فى الحيوان ٥ : ٦٠٢ :

* تشبه فى الهام آثارها *

(٥) فى الأصل : « الأقدح » .

(٦) السادر : الراكب رأسه . و « حذر الطعان » كذا فى ط ، س ، وفى ل « حذر العظام » ، والرواية المعروفة : « رعش الجنان » كما فى أمثال الميدانى (١ : ٤٠٣) وثمار القلوب ٣٩٥ واللسان والتاج (قدح) . والجنان : القلب. والقدوح : الذى يحك ذراعا بذراع ، يحكى فعل القادح الذى يطلب النار . والأقرح : الذى فى وجهه قرحة . وفى الأصل وكذا اللسان : « الأقدح » ، خطأ ، صوابه فى الثمار وأمثال الميدانى .

(٧) فى الأصل : « أقدح ». وانظر التنبيه السالف .

الأخرى كأنّه يقدح بعودَى مَرْخٍ وعَفار[1] ، أو عرجون، أو غير ذلك مما يقدح به .

(أخذ الشعراء بعضهم معانى بعض)

ولا يعلم فى الأرضِ شاعِرٌ تَقَدَّمَ فى تشبيهٍ مُصيبٍ تامّ ، وفى معنًى غريبٍ عجيب ، أو فى معنًى شريف كريم ، أو فى بديعٍ مُختَرع ، إلّا وكلُّ مَنْ جاءَ من الشُّعراءِ منْ بَعْدِه أو معه ، إنْ هو لم يعْدُ[2] على لفظه فيسرقَ بعضه أو يدعِيَه بأسْره ، فإنّه لايَدعُ أن يستعينَ بالمعنى ، ويجعَلَ نفسه شريكاً فيه ؛ كالمعنى[3] الذى تتنازعُه الشعراءُ فتختلفُ ألفاظهم، وأعاريضُ أشعارهِمْ ، ولا يكونُ أحدٌ منهم أحقَّ بذلك المعنى من صاحبه . أو لعلّه [أن] يجحد أنهُ سمع بذلك المعنى قَطُّ ، وقال إنَّه خَطرَ على بالى من غير سماع ، كما خطَر على بال الأوّل . هذا إذا قرَّعُوه به . إلاّ ما كان من عنترة فى صفةِ الذُباب ؛ فإنه وصفَه فأجاد صفته[4] فتحامى معناهُ جميعُ الشعراء

---

(١) المرخ ، بالفتح : شجر من العضاه خشبه كثير الورى سريعه . والعفار ، كسحاب : شجر خوار . ومن المرخ يتخذ الزندة ، وهى السفلى ، ومن العفار يتخذ الزند وهو الأعلى ، ويقتدح بهما . قال :

إذا المرخ لم يور تحت العفار ... وضن بقــدر فلم تعقب

ط : « بعود من مرخ ، أو غفار » ، س « بعود فى مرخ أو عفار » وتصحيحه من ل .

(٢) كذا الصواب فى ل . وفى ط ، س : « يقدر » .

(٣) ل : « وكالمعنى » .

(٤) ط ، س : « وصفه » .

فلم يعرضْ له أحدٌ منهم [١] . ولقد عَرَض له بعضُ المحدَثين ممن كان يحسِّنُ القَول ، فبلغ من استكراهه لذلك المعنى ، ومن اضطرابه فيه ، أنّه صار دليلًا على سوء طبعه فى الشعر [٢] . قال عنترة :

جادَتْ عليها كلُّ عينٍ ثَرَّةٍ   فتَرَكْنَ كلَّ حَدِيقةٍ كالدِّرْهم [٣]

فتَرى الذُّبابَ بها يغنِّى وحْدَه   هَزِجاً كفِعْل الشَّارِبِ المترنِّم

غَرِداً يحُكُّ ذِراعَــه بذِرَاعِهِ   فِعْلَ المكبِّ على الزِّنَادِ الأجذمِ

قال : يريد فعل الأقْطعِ المكبِّ على الزِّناد . والأجذم : المقطوع اليدين . فوصف الذّباب إذا كان واقعاً ثمَّ حكّ إحدى يديه بالأخرى ، فشبَّهَهُ عند ذلك برجلٍ مقطوع اليدين ، يقدَحُ بعودين . ومتى سقَط الذُّبابُ فهو يفعل ذلك .

٩٧

ولم أسمع فى هذا المعنى بشعر أرضاه غير شِعر عنترة .

(قولٌ فى حديث)

وقد كان عندنا فى بنى العدويّة [٤] شيخٌ منهم مُنْكر [٥] ، شديد العارضة [فيهِ توضيع]، فسمعنى أقول : قد جاء فى الحديث : « إنَّ تَحتَ جَناح

---

(١) ط ، س : « فلم يعرضوا له » .

(٢) لست أدرى الآن من عنى الجاحظ بقوله ، ولم أجد الشعر الذى أشار إليه .

(٣) أراد بالعين الثرة : السحابة الغزيرة المطر ، وجعل الحديقة كالدرهم فى استدارته لا قدره .

(٤) ط : « العروبة » والأشبه ما أثبت من ل ، س .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٦) التوضيع : التخنيث . وفى الحديث : « إن رجلا من خزاعة يقال له هيت ، فيه توضيع » أى تخنيث .

الذُّباب اليمين شفاءً وتحتَ جَناحِه الأيسر[1] سمًّا . فإذا سقط فى إنَاءٍ أو فى شرابٍ أو فى مَرَق فاغمسوه فيهِ ؛ فإنه يرفَعُ عند ذلك الجناحَ الذى تحتَه[2] الشفاء ، ويحطُّ [الجناح] الذى تحتَه السمّ ». فقال : بأبى أنتَ وأمِّى هذا يجمع العداوةَ والمَكِيدة !

(قصّة لتميمى مع أناس من الأزد)

وقد كان عندنا أُنَاسٌ من الأزد ، ومعهم ابن حزن[3] ، وابن حزن هذا عدوىٌّ من آل عموج[4] ، وكان يتعصّب[5] لأصحابه من بنى تميم وكانوا على نبيذٍ ، فسقَطَ ذبابٌ فى قدَح بعضِهم ، فقال له الآخر : غطِّ التميمى ، ثمَّ سقط آخر فى قدَح بعضِهم ، فقال الباقون[6] : غطِّ التميمىّ ! فلمّا كان فى الثالثة قال ابن حزن : غطِّه فإنْ كان تميميًّا رسَبَ ، وإن كان أزْديًّا طفا . فقال صاحب[7] المنزل : مايسرُّنى أنّه كان نقصكم حرفا[8] . وإنما عَنَى أنَّ أزْدَ عُمان مَلَّاحُون .

---

(١) س : « اليمنى » و « اليسرى ». والجناح مذكر .

(٢) ل : « فيه » .

(٣) ط ، س : « حذر » فى المواضع الثلاثة . وأثبت ما فى ل .

(٤) ط ، س « عدولى » : نسبة إلى عدولى ، بفتح أوله وثانيه وفتح اللام والقصر ، وهى قرية بالبحرين تنسب إليها السفن . وأثبت ما فى ل . وهو منسوب إلى بنى العدوية السالف ذكرهم ، وهم من تميم ، كما فى المعارف ٣٥ . و « آل عموج » هى فى ط ، س : « أهل تنوخ » .

(٥) فى الأصل : « يتصعب » .

(٦) ل : « بعضهم » .

(٧) ل : « رب » .

(٨) كذا فى ل . وفى ط : « كان قال بعضهم مرقا » ، محرف . وفى س : « كان قال بعضكم حرفا » .

(ضروب الذِّبَّان)

والذِّبَّان[1] ضروبٌ سِوى ما ذكرناه[2] من الفَراش والنَّحلِ والزَّنابير. فمنها الشَّعْراء[3] ، وقال الراجز :

* ذبّان شَعْرَاءَ وبيت ماذلِ[4] *

وللكلاب ذبابٌ على حِدَة يَتَخَلَّقُ منها ولا يُريدُ سِواها[5] . ومنها ذبّان[6] الكلإِ والرِّياض . وكلُّ نوعٍ منها يألفُ ما خُلقَ منه . قال أبو النَّجْم :

مُستأسِد ذبَّانه فى غَيْطَلِ   يقلنَ للرَّائِدِ أعشَبْتَ انزلِ[7]

---

(١) الذبان بالكسر : جمع ذباب . ط ، س : « والذباب » .

(٢) ل : « ماذكر » .

(٣) الشعراء ، بفتح الشين وكسرها ، وبالعين المهملة الساكنة : ذباب أزرق ، أو أحمر ، يقع على الإبل ، والحمير ، والكلاب ، فيؤذيها أذى شديداً، واسمه العلمى : Hippodoscidae .

(٤) « بيت ماذل » كذا فى الأصل وسيأتى فى ص ٣٩٠ : « وصيف ماذل » . وفى نهاية الأرب (١٠ : ٢٩٩) : « ونبت مائل » . وقبله:

* تذب عنها بأثيث ذائل *

(٥) ط ، س : « يخلق منها ولا يريد سواها » .

(٦) ط ، س : « ذباب » .

(٧) مستأسد : هو من استأسد النبت : إذا بلغ وقوى والتف ، أراد كثرته وتكاثفه . ويروى : « مستأسداً » . والغيطل : الشجر الكثير الملتف، وكذلك العشب. وأرجوزة أبى النجم هذه طويلة نادرة ، عدة أشطارها ١٩١ شطرا .

وقد نشرت فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (٨ : ٤٧٢ — ٤٧٩) سنة ١٩٢٨ . وكان رؤبة يسميها : أم الرجز .

(شعر ومثل فى طنين الذباب)

والعربُ تسمِّى طَنِينَ الذِّبَّانِ والبعوض غِناءً . وقال الأخطلُ فى صفة الثَّور :

فَرِدًا تغنِّيه ذِبَّانُ الرِّياض كما غَنَّى الغُواةُ بِصَنْجٍ عِنْدَ أسْوارِ [1]

وقال حَضْرمىٌّ بن عامرٍ فى طنين الذباب :

ما زالَ إهداءُ القَصائدِ بينَنا شَتْمَ الصَّديقِ وكَثْرَةَ الألقاب

حتَّى تركت كأنَّ أمْرَكَ بينَهم فى كلِّ مجمعَةٍ طنينُ ذُبَاب [2]

ويقال : « ما قولى هذا عندك إلّا طنينُ ذُبَاب [3] » .

(سفاد الذباب وأعمارها)

وللذُّباب وقتٌ تهيج فيهِ للسِّفاد [4] ، مع قصر أعمارها . وفى الحديث : « أنَّ عُمْرَ الذباب أربعون يوماً » ، ولها أيضاً وقت هَيْجٍ فى [5] أكْلِ النَّاس

---

(١) ط : « فرد » . والصنج ، بالفتح : آلة موسيقية وترية . ط ، س : « بصبح » ، وهى تصحيف ما أثبت من ل . والأسوار : واحد الأساورة ، وهم قواد الفرس ، أو قوم من العجم نزلوا بالبصرة قديما .

(٢) ط وثمار القلوب ٣٩٧ : « فى كل مجتمع » .

(٣) طنين الذباب ، يضرب المثل به للكلام يستهان ولا يبالى به . ثمار القلوب . فى ل : « كطنين ذباب » .

(٤) ل : « وقت هيج للسفاد » .

(٥) ل : « على » .

وعضِّهم ، وشُربِ دمائهم . و [إنما يعرض هذا] الذِّبَّان فى[1] [البيوت عند قرب أيَّامها ؛ فإنّ هلاكها يكون بعد ذلك وشيكا . والذِّبَّان] فى وقتٍ من الأوقات من حتوف الإبل والدوابِّ .

(علّة شدّة عضّ الذباب)

والذُّباب والبَعوضُ من ذوات الخراطيم ؛ ولذلك اشتدَّ عضُّها وقوِيتْ على خرْق الجلودِ الغِلاظ . وقال الراجز [فى وصف البعوضة] : ٩٨

مثل السَّفاةِ دائمٌ طَنينُها[2] رُكِّبَ فى خُرطومها سِكِّينُها

(ذوات الخراطيم)

وقالوا : ذوات الخراطيم من كلِّ شيء أقوى عضًّا ونَاباً وفكًّا ؛ كالذيب والخنزير ، والكلب . وأمّا الفيل فإنّ خرطومَه هو أنفه ، كما أنّ لكلِّ شيءٍ من الحيوان أنفا ، وهو يده ، ومنه يُغَنِّى[3] وفيه يجرى الصَّوت ، كما يُجرى الزَّامرُ الصَّوتَ فى القصَبةِ بالنَّفخ . ومتى تضاغطَ الهواءُ صوَّتَ على قدْر الضَّغْطِ ، أو على قدر الثَّقب[4] .

---

(١) زدت هذه الكلمة لحاجة الكلام إليها .

(٢) السفاة : واحدة السفا ، وهو شوك البهمى والسنبل ، أو كل الشوك . والرجز رواه أبو على فى الأمالى (٣ : ١٢٩) . وجاءت روايته عند الدميرى : « مثل السفاة دائما طنينها » . وانظر ٥ : ٤٠٢ .

(٣) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « يضنى » .

(٤) ل : « السبب » ، وصوابه فى ط ، س .

(أمثال من الشعر فى الذباب)

والذباب : اسم الواحد ، والذِّبّان : اسم الجماعة . وإذا أرادوا التَّصغير والتقليلَ ضربوا بالذبَّان المثل . قال الشاعر [١] :

رأيتُ الخبزَ عزَّ لدَيكَ حتَّى ... حَسِبتُ الُخبْزَ فى جوِّ السَّحابِ

وما روّحْتَنا لتذُبَّ عنّا ... ولكنْ خِفْتَ مَرْزِئةَ الذُّبابِ [٢]

وقال آخر [٣] :

لما رأيت القَصْرَ أُغْلِقَ بابهُ ... وتعلَّقتْ هَمْدَانَ بالأسباب [٤]

أيقَنتُ أنّ إمَارة [٥] ابن مضارب [٦] ... لم يبق منها قِيسُ أيْرِ [٧] ذبابِ

---

(١) هو أبو الشمقمق كما فى عيون الأخبار (٢ : ٣٦ و ٣ : ٣٤٧) . وجاء فى البخلاء ٥٩ : « وكان أبو الشمقمق يعيب فى طعام جعفر بن أبى زهير ، وكان له ضيفا ، وهو مع ذلك يقول » ، وأنشد البيتين ، كما أعادهما فى ١٠٦ . وقد نسب البيت الثانى مع سابق له غير المروى هنا ، إلى أبى الشيص . انظر محاضرات الراغب (١ : ٣١٨) . وإلى أبى نواس كما فى المحاسن والأضداد ٥٠ والمحاسن والمساوى (٢ : ٢٠٣) . وهو بدون نسبة فى العقد (٦ : ١٩١ تأليف) .

(٢) المرزئة ، بفتح الميم والراء الساكنة بعدها زاى مكسورة ؛ من رزأه : أى أصاب منه شيئا . سهلت الهمزة هنا ، وجاءت بالهمز فى البخلاء وديوان المعانى (١ : ١٨٧) . ورويت فى العقد (٤ : ٢٢٥) : « من دب الذباب ». والدب بالفتح : مصدر دب : مشى على هينته .

(٣) هو عبد الله بن همام السلولى ، كما سيأتى فى (٦ : ٧٦) .

(٤) همدان : قبيلة يمنية . ط ، س : « بالأسلاب » وأثبت ما فى ل والجزء السادس وثمار القلوب ٣٩٨ .

(٥) ط ، س : « إثارة » ، وتصحيحه من ل والجزء السادس وثمار القاوب .

(٦) كذا فى ل والجزء السادس . ط ، س : « مجرب » وفى الثمار : « ابنى مقرب » .

(٧) قيس ، بالكسر : قدر . والكلمة التى بعدها هى فى ط : « بن » س : « ابن » وتصحيحه من ل والجزء السادس والثمار .

قال بعضهم : لم يذهب إلى مقدار أيْره[1] ، وإنما ذهب إلى مثل قول ابن أحمر :

ما كنت عنْ قومى بمهتضم[2] لو أنَّ معصيًّا له أمرُ
كلّفتنى مُخَّ[3] البَعوضِ فقدْ أقصرت لا نُجْحٌ ولا عُذْرُ[4]

(ما يَلَغُ من الحيوان وما لا يلَغ)

قال : وليس شىءٌ مما يطيرُ يلَغُ فى الدَّم ، وإنما يلغ فى الدماء من السِّباع ذواتُ الأربع . وأمّا الطّيرُ فإنَّها تشربُ حَسوًا ، أو عبَّة بعد عَبّة . ونُغبةً بعد نغبة . وسباع الطَّيرِ قليلة الشُّرب للماء ، والأُسد كذلك . قال أبو زُبَيد الطائىُّ[5] :

تذبُّ عنهُ كفٌّ بها رَمَقٌ طيراً عكوفاً كزُوَّرِ العُرُسِ[6]

---

(١) ط ، س : « أثره » ، وصوابه فى ل والثمار .

(٢) ل : « بذاهلة » .

(٣) ط ، س : « متح » وصوابه من ل والثمار . و « كلفتنى مخ البعوض » مثل يضرب لمن يكلفك الأمور الشاقة . أمثال الميدانى (٢ : ٨٤) .

(٤) النجح ، بالضم : النجاح : ط : « ولا غدر » وتصحيحه من ل والثمار .

(٥) تقدمت ترجمته فى (٢ : ٢٧٤) .

(٦) يقول : إن كفه التى بها بقية من حياة ، تدفع الذباب التى تحاول أن تظل عاكفة عليه مقيمة ؛ لتأكل منه . وهى فى تجمعها كأنه زور العرس قد اجتمعوا له . والعرس : وليمة الزواج ، وقد ضم الراء للشعر . والزور : جمع زائر . وهذا تمثيل جيد بارع . ط : « كذود » وأراها تصحيفا . والبيتان فى صفة أسد صريع ، كما فى الأغانى (١١ : ٢٦) حيث تجد القصيدة . وأنشدهما ابن الشجرى فى حماسته ص ٢٧٣ .

إذا ونى ونيَةَ دَلَفنَ له فهنَّ مِنْ والغٍ ومُنْتَهِسِ[١]

قال : والطّير لاتَلغ ، وإنما يلغَ الذباب . وجعله من الطّير ، وهو وإن كان يطير فليس ذلك من أسمائه . فإذ قد جاز أن يستعير له اسم الطائر ، جاز أن يستعير للطير ولْغ السِّباع فيجعَلَ حسْوها ولْغا ، وقال الشاعر :

سراع إلى ولْغِ الدماءِ رماحهم وفى الحربِ والهيجاءِ أُسْدٌ ضَراغِمُ[٢]

(خصلتان محمودتان فى الذباب)

٩٩ قال وفى الذباب خَصْلتانِ من الخصال المحمودة : أمَّا إحداهما فقُربُ الحيلة لصرف أذاها ودفع مكروهها[٣] ؛ فمن[٤] أراد إخراجَها من البيت فليس بينَهُ وبين أن يكونَ البيتُ على المِقدارِ الأوّلِ من الضِّياءِ والكِنِّ[٥] [بعد إخراجها] مع السَّلامة من التأذى بالذبان ــ إلاّ أن يُغْلقَ البابُ ، فإنَّهُنَّ يتبادَرْنَ إلى الخروج ، ويتسابَقْنَ فى طَلب الضوء والهرَب من الظلمةِ ، فإذا أُرخِىَ السِّترُ وفتحَ البابُ عاد الضَّوءُ وسلِمَ أهلَه من مكروهِ الذباب . فإنْ كان فى الباب شقّ[٦] ، وإلاّ جافَى المغلقُ أحدَ البابَين عن صاحبه[٧]

---

(١) ونى : أبطأ ، أى عن ذب تلك الطيور ودفعها . دلف : مشى مشية المقيد .

(٢) ل : « سريع » س : « سود ضراغم » ويصح إذا قصرت « الهيجاء » وتكون صحة كتابتها على هذا الوجه : « والهيجا أسود ضراغم » .

(٣) ط : « مكروها » وصوابه فى ل ، س .

(٤) ل : « لمن » .

(٥) الكن بالكسر : الستر . ط ، س : « ولكن » ، والوجه ما أثبت من ل

(٦) لم يذكر الجواب .

(٧) ط ، س : « وإلا جاء فى المغلق أحد ــ س : إحدى ــ البابين من صاحبه » وتصحيحه من ل . وجافى : أبعد .

ولم يطبقه [عليه[١]] إطباقاً . وربّما خرجْن من الفتْح الذى يكون بين أسفل الباب والعتَبة . والحيلةُ فى إخراجها والسَّلامةِ من أذاها يسيرة[٢] ، وليس كذلك البعوض ، لأنَّ البعوضَ إنما يشتدُّ أذاه ، ويقوى سلطانُه ، ويشتدُّ كَلَبُه[٣] فى الظلمةِ ، كما يقوَى سُلطانَ الذبان[٤] فى الضياءِ ، وليس يمكنُ النّاسَ أنْ يُدخلوا منازلَهمْ من الضِّياءِ مايمنعُ عَمَلَ البَعوض ؛ لأنَّ ذلك لايكونَ إلاّ بإدخال الشَّمسِ ، والبعوض لايكونَ إلّا فى الصَّيف ، وشمسُ الصَّيفِ لاصبْرَ عليها . وليس فى الأرضِ ضياءٌ انفصلَ من الشمس إلّا ومَعه نصيبهُ من الحَرِّ ، وقد يفارق الحرُّ الضياءَ[٥] فى بَعضِ المواضع ، والضِّياءُ لايفارِقُ الحرَّ فى مكانٍ من الأماكن .

فإمكان الحِيلة فى الذباب يسير ، وفى البَعُوض عَسِير !

والفضيلة الأُخْرى : أنه لولا أن الذّبابة تأكل البَعُوضة [و] تطلبها وتلتمسها على وجوهِ حيطان البيوت ، وفى الزوايا ، لما كان لأهلها فيها قَرار !

(الحــكمة فى الذباب)

وذكَر محمدُ بن الجهْم ــ فيما خبَّرنى عَنْه بعضُ الثقات ــ أنه قال لهم ذاتَ يوم : هل تَعْرِفُون الحِــكمة التى استفَدْناها فى الذُّباب[٦] ؟ قالوا : لا .

---

(١) الزيادة من س .

(٢) ط ، س : « يسير » وتصحيحه من ل .

(٣) كلبه ، بالتحريك : شدة رغبته فى العض .

(٤) كذا فى ل ، س . وفى ط : « الذباب » .

(٥) ط : « أيضاً » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٦) ل « الخبر الذى استفدناه فى الذباب » .

قال : بلى ، إنها تأكل البعوض وتصيده وتلقطه وتفنيه[١] : وذلك أنِّى كنت أريد القائلة[٢] ، فأمرْتُ بإخراج الذُّباب وطَرْحِ السِّترِ وإغلاقِ الباب[٣] قبلَ ذلك بساعة . فإذا خرجن حَصل فى البيت البعوضُ ، فى سلطان البعوض[٤] و[موضعِ] قوّته . فكنتُ أدخلُ إلى القائلة فيأكلنى البعوضُ أكلا شديداً . فأتيتُ ذاتَ يومٍ المنزِلَ فى وقت القائلة ، فإذا ذلك البيتُ مفتوحٌ ، والسِّترُ مرفوع ، وقد كان الغلمان أغفلوا ذلك فى يومهم ، فلما اضطجَعْتُ للقائلة لم أجد من البعوض شيئاً[٥] وقد كان غضبى اشتدَّ على الغِلمان[٦] ، فنمتُ فى عافية . فلما كان من الغد عادُوا إلى إغلاق البابِ وإخراجِ الذّباب ، فدخلتُ ألتمسُ القائلة ، فإذا البعوضُ كثير . ثمَّ أغفلوا[٧] إغلاقَ البابِ يوماً آخر ، فلما رأيته مفتوحاً شتمتُهُمْ فلمَّا صرتُ إلى القائلة لم أجدْ بعوضةً واحدةً، فقلت فى نفسى [عند ذلك] : أرانى قد نمتُ فى يَوْمَىِ [الإغْفَالِ وَ] التَّضْييع ، وامتنعَ منِّى النَومُ فى أيَّام التحفُّظِ والاحتراس. فلِمَ لا أجرِّبُ تُرْكَ إغلاقِ الباب فى يومى هذا. فإن نمتُ[٨] ١٠٠

---

(١) كذا فى ل ، س . وفى ط : « وتصيدها وتلقطها وتفنيها »، وهما صحيحتان .

(٢) القائلة : النوم فى القائلة ، وهو نصف النهار .

(٣) ط : « فاغلاق الباب »، وهو تحريف . والإشارة بكلمة « ذلك » الآتية إلى القائلة .

(٤) ط ، س : « وقوى سلطانه » .

(٥) ل : « لم أجد البعوض كثيراً » .

(٦) ط ، س : « وقد كان الغضب يشتد على الغلمان » .

(٧) فى الأصل « أغلقوا »، والوجه ما أثبت . وانظر ماسيأتى بعد سطر .

(٨) كذا على الصواب فى ل ، س . وفى ط : « تمت » .

ثلاثة أيّام[١] لا ألقى من البَعوضِ أذًى مع فتح الباب ، علمتُ أنَّ الصَّواب فى الجمع بين الذِّبان و [بين[٢]] البعوض ؛ فإنَّ الذِّبّان [هى التى] تُفنيه[٣] ، وأنَّ صلاحَ أمرنا فى تقريبِ ما كُنَّا نباعد . ففعلتُ ذلك ، فإذا الأمر قد تمّ . فصرنا إذا[٤] أردْنا إخراجَ الذِّبّانِ أخرجْناها بأيسرِ حيلة، وإذا أردنا إفناء البعوض أفنيناها [على أيدى الذِّبّان بأيسر حيلة] .

فهاتان خَصْلتان من مناقب الذِّبّان .

(طبّ القوابل والعجائز)

وكان محمد بن الجهم[٥] يقول : لاتتهاونوا بكثيرٍ ممّا ترونَ[٦] من علاجِ القوابل والعجائز ، فإنّ كثيراً من ذلك إنما وقع إليهنَّ[٧] من قدماءِ الأطباء ؛ كالذّبّان يُلقى فى الإثمِـد ويسحق معه ، فيزيد [ذلك[٨]] فى نور البصر ، ونفاذ[٩] النظر ، وفى تشديد[١٠] مراكز [شعر[١١]] الأشفار[١٢] فى حافَات الجُفون .

---

(١) ل : « يومين » .
(٢) من س .
(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « يفنيه » .
(٤) ط ، س : « إن » .
(٥) ل : « وكان ابن الجهم » .
(٦) ط : « تريدون » وتصحيحه من ل ، س وعيون الأخبار (٢ : ١٠٤) والعقد (٦ : ٢٤٥) .
(٧) ط ، س : « إليهم »، وهى على الصواب فى ل وعيون الأخبار .
(٨) من ل وعيون الأخبار .
(٩) كذا فى ل وعيون الأخبار . وفى ط ، س : « ويقوى » .
(١٠) ط ، س : «ويشد » .
(١١) من ل ، س .
(١٢) الأشفار جمع شفر بالضم ، ويفتح ، وهو أصل منبت الشعر فى الجفن .

(نفع دوام النظر إلى الخضرة)

وقلت له مرَّة : قيل لماسَرجَويه : ما بالُ الأكَرَة[١] وسُكَّان البساتين ، مع أكلهم الكرَّاث والتمر ، وشربهم ماء السّواقى على المالح[٢] أقلَّ النَّاس خُفْشانا [وعميانا] وعُمْشانا[٣] وعورا ؟ قال : إنى فكّرت فى ذلك فلم أجد له علّةً إلّا طولَ وُقوع أبصارِهِمْ على الخُضْرة .

(من لا يتقزَّز من الذّبّان والزنابير والدّود)

قال ابن الجهم : ومن أهل السُّفالة[٤] ناسٌ يأكلون الذّبان ، [وهُمْ] لا يرمدون. وليس لذلك أكلوه[٥] وإنما هُمْ كأهل خُراسان الذين يأكلون فراخ الزَّنابير ، والزَّنابير ذِبان ، وأصحاب الجبن الرَّطب يأخذون الجبنة التى قد نَغِلت[٦] دوداً ، فينكتها [أَحَدُهم[٧]] حتَّى يخرُج مافيها من الدُّود فى راحَتِه ، ثمَّ يقمَحُها كما يقمَحُ السَّويق[٨] . وكان الفرزدق يقول : ليت أنَّهُمْ دفعوا إلىَّ

---

(١) الأكرة : جمع أكار ، وهو الحراث .

(٢) كذا . وفى عيون الأخبار (٢ : ١٠٨) : « وشربهم الماء الحار على السمك المالح » .

(٣) الأخفش : الضيق العينين ، أو الذى ضعف بصره خلقة ، أو الذى فسد جفنه بلا وجع . ط ، س : « خفشانا وعشيانا » . والأعشى : الذى لايبصر ليلا .

(٤) السفالة ، بالضم من بلاد الزنج .

(٥) ط : « أكلوا » .

(٦) نغلت : فسدت .

(٧) ليست بالأصل، والكلام فى حاجة إليها .

(٨) قمح السويق ، كفرح : استفه . والكلام من : « يأخذون » إلى هنا ، ساقط من ل .

نصيبى من الذبان ضَرْبة واحدة ، بشرط أنْ آكله لراحة الأبد منها[1] . وكان كما زعموا[2] شديدَ التقذُّر لها [والتقزُّز][3] منها .

(دعوتان طريفتان لأحد القصاص)

وقال ثُمامة : تساقط[4] الذبّان فى مَرَق بَعض القصّاص وعلى وجْهه فقال : كثَّر اللهُ بكنّ القبور !

وحكى ثمامة عن هذا القاصِّ أنه سمعه بعَبَّادَان[5] يقول فى قَصَصِه : اللهمَّ مُنَّ علينا بالشهادةِ ، وعلى جميع المسلمين !

(قصّة فى عمر الذُّباب)

وقال لى المكِّىُّ مرَّة : إنما عمر الذبّان أربعونَ يوماً . قلت[6] : هكذا جاء فى الأثر . وكنّا يومئذ بواسط فى أيّام العسكر[7] وليس بَعْدَ أرض

---

(١) ضمير « آكله » للنصيب ، وضمير « منها » للذبان . ل : « منه » والتذكير والتأنيث جائزان .

(٢) ل : « وكان زعموا » .

(٣) هذه من س . وكلمة « لها » ساقطة من ل .

(٤) كذا فى ل والبيان (٢ : ٣١٧) وفى ط ، س والعقد (٤ : ٢٠٠) : « وقع » .

(٥) عبادان : جزيرة فى دجلة ، قرب مصبها . وفى العقد : « ببغداد » .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أربعين » ، ولا تصح هذه إلا بجعل « عمر » فعلا .

(٧) ل : « العساكر » . وانظر ماورد فى ص ٣٤٧ .

الهنْد أكثرُ ذبَاباً من واسط ، ولربّما رأيتَ الحائطَ وكَأَنَّ عليهِ مِسْحا[١] شديدَ السَّواد من كثْرة ما عليه من[٢] الذبّان . فقلت للمكِّيِّ : أحسب الذبَّان يموت[٣] فى كل أربعين يوماً ، وإن شئت فى[٤] أكثرَ ، وإن شئت فى أقلَّ . ونحنُ كما ترى ندوسُها بأرجلنا ، ونحن ها هنا مقيمون من أكثر من أربعين يوماً[٥] ، بل منذ أشهر [وأشهر] ، وما رأينا ذباباً واحداً ميّتاً . فلو كان الأمر على ذلك لرأينا الموتى كما رأينا الأحياء . قال : إنَّ الذّبابة إذا أرادتْ أن تموت ذهبتْ إلى بعض الخرِبات[٦] . قلت : فإنّا قد دخلنا كلَّ خَرِبةٍ[٧] فى الدُّنْيا ، مَا رأينَا فيها قطُّ ذبابا ميّتا . ١٠١

(المَكِّىُّ)

وكان المكىّ طيّباً[٨] طيّب الحُجَج ، ظَرِيفَ الحِيَل[٩] ، عجيبَ العلل وكان يدَّعى كلَّ شىءٍ على غاية الإحكام ، ولم يُحْكِمْ شيئاً قطُّ ، [لا] من

---

(١) المسح ، بالكسر : الكساء من الشعر ، جمعه أمساح ومسوح . قال أبو ذؤيب :
ثم شربن بنبط والجمال كأ ... ن الرشح منهن بالآباط أمساح
(٢) ط ، س : « من كثرة الذبان الذى عليه » .
(٣) ل : « أحسب أن الذبابة تموت » .
(٤) ط ، س : « فى » .
(٥) ط ، س : « منذ أربعين يوما » .
(٦) الخربات : جمع خربة ، كفرحة ، وهى موضع الخراب . ط ، س : « الخزايب » وصوابه ما أثبت . ل : « الخرابات » ، ولم أر هذا الجمع ولا مفرده .
(٧) ط ، س : « خربة » ، وهى على الصواب فى ل .
(٨) طيبا ، أى ظريفا فكها . وانظر هذا الجزء ص ٦ . س : « طبيبا » .
(٩) ل : « كثير الحيل » .

الجليل ولا من الدَّقيق . وإذْ قد جرى ذِكره فسأحدِّثك ببعضِ أحاديثه ، وأخبرك عن بعض علله ؛ لِتَلَهَّى[1] بها ساعةً ، ثمَّ نعودَ إلى [بقية] ذكر الذِّبَّان .

(نَوادر للمكىّ)

ادّعى هذا المكّىُّ البَصَرَ بالبراذين ، ونظرَ إلى برذونٍ واقف ، قد ألقى صاحبه [فى] فيه اللِّجام ، فرأى فأسَ اللِّجام[2] وأين بَلغَ منه ، فقال لى : العجب ! كيف لا يذْرَعُه القىء ، وأنا لو أدخلت إصبعى [الصغرى] فى حلقى لما بَقِىَ فى جوفى شىءٌ إلَّا خرج ؟ ! قلت : الآنَ علمتُ أنَّك تُبْصر[3] ! ثمَّ مكث البرذَونَ ساعةً يلوكُ لجامه ، فأقبل علىَّ فقال لى : كيف لا يبرُدُ أسنانَه ؟ ! قلت : إنما يكون [علم هذا] عند البصراءِ مثلِك ! ثمّ رأى البِرذَونَ كلَّما لاك اللِّجامَ والحديدةَ[4] سال لعابُه على الأرض فأقبل عَلَىَّ وقال : لولا أنَّ البِرذَونَ أَفسَدُ الخلق عقلاً لكان ذهنُه قد صفا[5] ! قلت له : قدكنت أَشكُّ فى بَصرك بالدَّوابّ ، فأمَّا بعْدَ هذا فلستُ أَشكُّ فيه !

---

(١) ل : « لتتلهى » ، وحذف التاء فى مثل هذا جائز .

(٢) فأس اللجام : الحديدة القائمة فى الحنك .

(٣) ل : « بصير » .

(٤) لاكه يلوكه لوكا : عضه . ل : « كلما لاك الحديدة » .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فقال لى إن البرذون أفسد الخلق عقلا ، ولولا ذلك لكان ذهنه قد صفى » .

وقلت له مرّةً ونحن فى طريق بغداد : مَا بالُ الفرْسَخِ فى هذه الطريق يكون فرسخين ، والفرسخ يكون أَقلَّ من مقدار نصفِ فرسخ ؟ ! ففكّر طويلا ثمّ قال : كان كِسرى يُقْطِعُ للنّاس الفراسخ ، فإذا صانَعَ صاحبَ القطيعة زادوه ، وإذا لم يصانعْ نقصوه !

وقلت له مَرَّةً : علمتُ أَنّ الشارى[١] حدّثنى أَنَّ المخلوعَ[٢] بعث إلى المأمونِ بجرابٍ فيه سمسِم ، كأَنّه يخبِرُ أَنَّ عندَه من الجند بعددِ ذلك [الحبّ] وأنَّ المأمونَ بعث إليه بديكٍ أعورَ ، يريد أنَّ طاهر بن الحسين[٣] يقتُلُ هؤلاءِ كلَّهم ، كما يلقط الدِّيك الحبَّ ! قال : فإنَّ هذا الحديث أنا ولَّدته . ولكن انظرْ كيفَ سار فى الآفاق ؟ !

وأحاديثه وأعاجيبه كثيرة .

---

(١) ل : « السيارى » .

(٢) المخلوع هو محمد الأمين بن هارون الرشيد ، وهو أخو المأمون .

(٣) طاهر بن الحسين ، كان الساعد الأيمن للمأمون . ولما خلع المأمون بيعة أخيه الأمين أرسل طاهراً إلى محاربته ، فوجه الأمين على بن عيسى لملاقاة طاهر ، فلقيه بالرى فقتله طاهر سنة ١٩٥ وتقدم طاهر إلى بغداد وأخذ ما فى طريقه من البلاد وحاصر بغداد والأمين بها ، فقتله سنة ١٩٨ ، وحمل رأسه إلى خراسان ووضعه بين يدى المأمون ، وعقد للمأمون على الخلافة . ولد طاهر سنة ١٥٩ وتوفى سنة ٢٠٧ . وكانت له عين واحدة ، فى ذلك يقول عمرو بن بانة :

يا ذا اليمينين وعين واحده   نقصان عين ويمين زائده

(معارف فى الذّباب)

ثمّ رجع بنا القولُ إلى صلةِ كلامِنا فى الإخبار عن الذّبّان .

فأمّا سكّان بلاد الهند فإنّهم لا يطبُخون قِدرًا ، ولا يعملون حَلْوَى[1] ولا يكادون يأكلون إلّا ليلاً ؛ لِمَا يتهافت من الذِّبّان فى طعامهم . وهذا يدلُّ على عفَنِ التُّربة ونَخَنِ الهواء .

وللذِّبّانِ يعاسيبُ وجِحْلانٌ[2] ، ولكن ليس لها قائدٌ ولا أمير . ولو كانتْ هذه الأصناف التى يحرسُ بعضها بعضاً ، وتتّخذ رئيساً يدبِّرها ويحوطها ، إنّما أخرج[3] ذلك منها العقْلُ دونَ الطّبع ، وكالشيء يخصُّ به البعض دون الكلّ[4] — لكان الذّرُّ [وَالنَّمْلُ] أَحقَّ بذلك من الكراكىِّ والغرانيق[5] والثِّيران ، ولكان الفيلُ أحقَّ به من البعير ؛ لأنه ليس للذّرِّ قائدٌ ولا حارس ، ولا يعسوبٌ يجمعها ويحميها بعضَ المواضع ، ويوردها بعضاً . ١٠٢

---

(١) فى الأصل : « الحلوا » ، وإنما هى « الحلوى » تقصر وتمد .

(٢) الجحلان ، بتقديم الجيم المكسورة على الحاء : جمع جحل بالفتح ، وهو العظيم من اليعاسيب . واليعاسيب هى كبار الذباب كما نقل الدميرى عن الجاحظ . ولفظ « الجحلان » جاء فى الأصل بتقديم الحاء ، وهو تصحيف .

(٣) ل ، س : « خرج » .

(٤) ل : « دون البعض » ، ومؤدى العبارتين واحد .

(٥) الغرانيق : جمع غرنيق ، بضم الغين وفتح النون ، وهو طائر أبيض طويل العنق من طير الماء . ويطلق فى العراق على مايسمى بالإوز العراقى .

وكلُّ قائدٍ فهو يعسوبُ ذلك الجنسِ المَقُود . وهذا الاسم مستعارٌ من فحل النَّحل وأمير العَسَّالات[١] .

وقال الشاعر[٢] وهو يعنى الثَّور :

كما ضُربَ اليعسوبُ إذ عاف باقِرٌ وما ذنْبُه إذ عافَتِ الماءَ باقِرُ

وكما قال على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فى صلاح الزَّمان[٣] وفساده : « فإذا كان ذلك ضَربَ يعسوبُ الدِّين بذَنَبِه[٤] » .

وعلى ذلك المعنى قال حين مَرَّ بعبد الرحمن بن عتَّاب [بن أسيد][٥] قتيلا يوم الجمل : « لهفى عليكَ يَعْسُوبَ قريش ! جدَعْتَ أنْفِى وشفَيْتَ نفسى ! » .

قالوا : وعلى هذا المعنى قيل : « يعسوب الطُّفاوة[٦] » .

---

(١) العسالات : النحل التى تخرج العسل .

(٢) هو الهيبان الفهمى ، كما سبق فى (١ : ١٩) .

(٣) ط ، س : « الذبان » ، وهو تحريف طيب ، صوابه فى ل .

(٤) يعسوب الدين : سيد الناس ورئيسهم فى الدين . وضرب ، أى ضرب فى الأرض مسافرا أو مجاهداً . وبذنبه أى أتباعه الذين يتبعونه على رأيه . وللعبارة معان أخر تكفل بها صاحب اللسان .

(٥) عبد الرحمن بن عتاب ، أحد الرواة الذين ولدوا فى آخر عهد الرسول . وقد شهد وقعة الجمل مع عائشة ، والتقى هو والأشتر فقتله الأشتر ، وقيل قتله جندب بن زهير ورآه على وهو قتيل فقال ما قال . الإصابة ٦٢٢٠ والمعارف ١٢٣ . و « أسيد » ضبط فى الإصابة ٥٠٣٨٣ والاشتقاق ٧٨ بتحقيقنا بفتح الهمزة . قال ابن دريد : « وأسيد : فعيل من قولهم أسد يأسد أسدا إذا صار كالأسد . وفى اللسان (عسب) بضمها على هيئة التصغير ، تحريف .

(٦) الطفاوة ، بالضم : حى من قيس عيلان . وليت شعرى من سمى بهذا اللقب .

(أقذر الحيوان)

وزعم بعض الحكماء أنَّه لا ينبغى أن يكون فى الأرض شىءٌ من الأشياء أنتنُ من العَذِرة ، فكذلك لا شىء أقذَرُ من الذِّبَّان والقمل . وأمَّا العَذرة فلولا أنَّها كذلكَ لكان الإنسانَ مع طول رُؤيتِه لَهـا ، وكثرةِ شمِّه لها من نفسه فى كلِّ يوم صباحًا ومَساء ، لقد كان ينبغى أن يكونَ قد ذهَب تقذُّرُهُ له على الأيَّام[١] ، أو تمَحَّق[٢] ، أو دخله[٣] النَّقص . فثباتُها ستِّين عامًا وأكْثَرَ وَأقلّ على مقدار واحد [من النتن] فى أنفِ الرَّجل ومنهم من وجدناه بعد مائة عام كذلك[٤] ، وقد رأينا المِران[٥] والعاداتِ وصنيعَها فى الطَّبائع ، وكيف تهوِّن الشديدَ ، وتقلِّل الكثير . فلولا أنَّها فوقَ كلِّ شىءٍ من النَّتْنِ ، لَما ثبتَتْ هذا الثَّباتَ ، ولعَرض لها ما يعرِض لسائرِ النَّتْنِ . وبَعْد فلوكان إنَّما يشَمُّ شيئاً خرجَ من جوفِ غيره ولم

---

(١) ط ، س « أن يكون ذلك قد أذهب تقذره له على الأيام » . ل : « أن يكون ذلك قد ذهب على الأيام »، وقد عدلت القول بما ترى

(٢) تمحق : امحى وذهب . ط ، س : « يمحق » ، وأثبت ما فى ل .

(٣) ط ، س : « يدخله » .

(٤) ل : « فى أنف من وجده ألف عام كذلك » .

(٥) لم أر المران بمعنى التعود والإلف . ووجدته مصدراً لمارنت الناقة مرانا، إذا ظهر أنها قد لقحت ولم يكن بها لقاح . وأما المعنى الأول فلفظه المرون والمرونة والمرانة . ط ، س : « المرات » تحريف .

يخرجْ من جوفِ نفسه ، لكان ذلك أشبَه . فإذْ قد ثبت فى أنفه على هذا المقْدار[١] ، وهو منه دونَ غيره ، وحتَّى صار يجدُه أنْتَنَ من رَجيع [جميع] الأجناس — فليس ذلك إلاَّ لما قد خُصّ به من المكروه .

وكذلك القول فى القمل الذى إنَّمَا يُخْلق من عَرَق الانسان ، ومن رائحته ، ووسَخِ جلده ، وبخار بدنه . وكذلك الذِّبَّانُ المخالطةُ لهُمْ فى جميع الحالات ، والملابِسَةُ لهم دُونَ جميعِ الهوامِّ والهمَجِ والطَّيرِ والبهائمِ والسِّباع حَتَّى تكون ألزمَ من كلِّ ملازم ، وأقربَ من كلِّ قريب ؛ حتى ما يمتنعُ عليه شيءٌ من بدن الإنسانِ ، ولا من ثوبه ، ولا من طعامِهِ ، ولا مِن شرَابِهِ ، [حَتَّى لزمه لزوماً] لم يلزمه شيء[٢] قطُّ كلزومه ، حتى إنّه يسافر السَّفَرَ البعيدَ من مواضع الخِصْب ، فيقطعُ البراريَّ والقِفارَ التى ليس فيها ولا بقربها نباتٌ ولا ماءٌ ولا حيوان ، ثمَّ مع ذلك يتوخَّى عند الحاجة إلى الغائط فى تلك البَرِّيّة أنْ يفارق أصحابَه ، فيتباعدُ فى الأرض ، وفى صحراء ١٠٣ خلْقاء[٣] ، فإذا تبرَّزَ فمتى وقع بصرُه على بَرازِهِ رأى الذِّبَّانَ ساقطا عليه . فقَبْلَ ذلك ما كان يَراه . فإن كان الذُّبابُ شيئاً يتخلَّق له فى تلك الساعة فهذه أعجبُ مما رآه ومما أردنا[٤] ، وأكثرُ ممَّا قلنا . وإن كان قد كان ساقطاً على الصُّخورِ المُلْسِ ، والبِقاعِ الجُرْدِ ، فى اليوم القائظِ ، وفى الهاجرةِ

---

(١) ط ، س : « على هذا المقدار من النتن » .
(٢) ط ، س : « ولا من شرابه لم يلزم شيئا » وله وجه .
(٣) الخلقاء : المصمتة التى لا نبات فيها ، الملساء . ل : « صخرة ملساء » .
(٤) ط فقط : « أردناه » . ل : « أعجب مما أردنا » .

التى تَشْوِى كلَّ شىء ، وينتظِرُ مجيئه ــ فهذ أعجبُ مِمَّا قلنا . وإن كانت قد تبعته من الأمصار ، إمَّا طائرةً(١) معه ، وإمَّا ساقطةً عليه ، فلما تبرَّزَ انتقلتْ عنه إلى بَرازه ، فهذا تحقيقٌ لقولنا إنّه لا يلزَمُ الإنسانَ شىءٌ لزومَ الذُّباب ؛ لأنَّ العصافيرَ ، والخطاطيف ، والزَّرازير ، والسَّنانيرَ ، والكلابَ وكلَّ شىءٍ يألفُ النَّاسَ ، فهو يقيمُ مــع النَّاس . فإذا مضى الإنسانُ فى سفره ، فصار كالمستوحش(٢) ، وكالنَّازل بالقِفار ، فكلُّ شىءٍ أهلىٍّ يألفُ النَّاسَ فإنَّما هو مقيمٌ على [مثل] ما كان من إلفه لهم ، لا يتبعهم من دورِ النَّاسِ إلى منازل الوحش ؛ إلاَّ الذِّبَّان .

قال : فإذا كان الإنسانُ يستقذِرُ الذِّبَّان فى مَرَقِه وفى طعامِهِ هذا الاستقذارَ ، ويستقذِرُ القَمْلَ مع محلِّه من القَرابَةِ والنِّسبةِ هذا الاستقذار فمعلومٌ أنَّ ذلك لم يكن إلَّا لمَا خصّ به من القذَر . وإلَّا فبدون هذه القرابةِ وهذه الملابَسَةِ ، تطيبُ الأنفُس عن كثيرٍ من المحبوب .

(إلحاح الذُّباب)

قال : وفى الذِّبَّان خُبْرٌ آخَر : وذلك أنَّهُنَّ ربَّما تعوَّدْنَ المبيتَ على خُوصِ فَسيلةٍ وأقلابها(٣) من فسائل الدُّور ، أو شجرةٍ ، أو كِلَّةٍ(٤) ، [أوْ]

---

(١) ط ، س : « سائرة » والوجه ما أثبت من ل .

(٢) المستوحش : ضد المستأنس . ط س : « كالمتوحش » .

(٣) الفسيلة كـكريمة : النخلة الصغيرة . والأقلاب : جمع قلب ، بالضم ، وهو شحمة النخلة أو أجود خوصها .

(٤) الكلة ، بالكسر : الستر الرقيق ، والغشاء الرقيق يتوقى به من البعوض . ط ، س : « أو بلة » .

بابٍ ، أو سقفِ بيت ، فيُطْرَدْن إذا اجتمعن لوقتهنَّ عند المساء[١] ليلتين أو ثلاث ليال ، فيتفرقْنَ أو يهجُرْن ذلك المكان فى المُسْتَقْبَلِ ، وَإِنْ كانَ ذلِك المكانَ قريباً ، وهو لهنَّ معرَّض ، ثمَّ لايدعْنَ أن يلتمِسْنَ مبيتاً غيرَه . ولا يعرض لهنَّ من اللَّجاجِ فى مثل ذلك ، مثلُ الذى يعرِض لهنّ من كثرة الرُّجوعِ إلى العينين والأنف بعدَ الذَّبِّ والطّرْد ، وبعدَ الاجتهادِ فى ذلك .

(أذى الذباب ونحوها)

وقال محمَّد بن حرب[٢] : ينبغى أن يكونَ الذِّبّانُ سُماًّ نَاقِعاً ؛ لأنَّ كُلَّ شىءٍ يشتدُّ أذاه باللّمس من غيره ، فهو بالمداخلة والملابسة أجْدَرُ أن يؤذىَ . وهذه الأفاعى والثَّعابينُ والجرَّارات[٣] قد تمسُّ جلودَها ناسٌ فلا تضرُّهم[٤] إلّا بأن تلابسَ إِبرةُ العقربِ ونَابُ الأفعى الدَّم . [ونحن] قد نجد الرَّجُلَ يدخُل فى خَرْق أنفِه ذبَابٌ ، فيجولُ فى أوله من غير أنْ يجاوزَ [ما حاذى]

---

(١) ط ، س : « العشاء » .

(٢) هو أبو على محمد بن حرب الهلالى ، كان من أعلام متكلمى الخوارج ، وكان من البلغاء الأبيناء ، وكتب للأمين . انظر الفهرست ٢٥٨ ، ١٨٢ . وقد روى عنه الجاحظ فى غير ما موضع من البيان .

(٣) الجرارات : ضرب من العقارب صغار تجرر أذنابها ، وهن أشد العقارب فتكا . ط ، س : « والجرار »، وهى على الصواب فى ل .

(٤) ط : « ولا وتضرهم » محرفة .

روثَة أنفه وأرنبَته[1] فيخرجه الإنسانُ من جوفِ أنفه بالنّفخِ وشدَّة النَّفَس ولم يكن له هنالك لَبْثٌ ، ولا كان منه عضّ ، وليس إلاّ ما مسّ[2] بقوائمه ١٠٤ وأطراف جناحيه ، فيقع [في[3]] ذلك المكان من أنْفه ، من الدَّغدغة والأُكال[4] والحِكَّة ، ما لا يصنع الخَرْدَل[5] وبَصَلُ النَّرجِسِ ، ولبنُ التِّين . فليس يكون ذلك منه إلّا وفى طبعه من مضادَّةِ طباع الإنسان ما لا يبلغه مضادَّةُ شيءٍ وإن أفرط .

قال : وليس الشّأنُ فى أنّه لم ينخُس[6] ، ولم يجرح ، ولم يَخِزْ[7] ولم يَعضّ ، ولم [يغمز] ، ولم يخدش . وإنّما هو على قدْر منافرةِ الطِّباعِ للطباع ، وعلَى قدر القَرابةِ والمشاكلةِ .

---

(١) روثة الأنف : طرف الأرنبة . والأرنبة : طرف الأنف . ط ، س : « روث أنفه » ، وصحته فى ل .

(٢) ط : « بما » ، وهذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) الأكال ، بالضم : الحكة .

(٥) الخردل : نبت يسمى بمصر (الكبر) بالتحريك ، يخرج كثيراً مع البرسيم ، وله بذر حار . ومن طريف ماروى داود ، أن أهل مصر يأكلونه مع الشواء فى عيد الأضحى . وبدل هذه الكلمة فى ل : « الحرب » ، صوابها « الحرف » كقفل ، وهو حب الرشاد .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « يخمش » .

(٧) ط ، س : « يغمز » .

(الأصوات المكروهة)

[و] قد نجدُ الإنسانَ يغتمُّ بِتَنَقُّضِ[1] الفتيلة وصوْتِها عندَ قربِ انطفاء النار ، [أ] وْ لبعض البلَل يكون قد خالط الفتيلة ، ولا يكون الصَّوت بالشَّديد[2] ، ولكنَّ الاغتمامَ به ، والتكَرُّه له ، يكونُ فى مقدارِ ما يعتريه من أشدِّ الأصوات . ومنْ ذلك المكروهُ الذى يدخُلُ عَلَى الإنسان من غَطيط النَّائم ، وليست تلك الكراهةُ لعلَّةِ الشِّدّةِ والصَّلابة ، ولكن من قِبَلِ الصُّورَةِ والمقدار ، وإنْ لم يكن من قبل الجنس[3] . وكذلك صوتُ احتكاك الآجُرِّ الجديدِ بعضِه ببعض ، وكذلك شجر الآجَام عَلَى الأجراف[4] ؛ فإنَّ النّفسَ تكرهُه كما تكرهُ صوتَ الصَّاعقة . ولو كان عَلَى ثِقةٍ من السَّلامة من الاحتراق ، لَمَا احتَفل بالصَّاعقةِ ذلك الاحتفالَ . ولعلَّ ذلك الصَّوت وحدَه ألاّ يقتله[5] . فأَمَّا الذى نشاهدُ اليومَ الأمْرَ عليه ، فإنّه متى قرُب منه قتله . ولعلَّ ذلك إنَّما هو لأنَّ الشّى إذا اشتدّ صَدْمُه[6] فَسَخَ القوَّة

---

(١) تنقضت الفتيلة : صوتت . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « بتقض »، وفى س ، ل : « بتنفض » .

(٢) ط : « بالشر » وتصحيحه من ل ، س .

(٣) ط : « إذا لم يكن من قبل الجنس » .

(٤) الآجام : جمع أجمة ، وهى الشجر الكثير الملتف . والأجراف : جمع جرف بالضم وبضمتين ، وهو ما أكل السيل من أسفل شق الوادى والنهر .

(٥) ل : « ولعل ذلك الصوت أن لو خالطه لم يقتله » .

(٦) ط ، س : « صوته » .

أو لعلَّ الهواء الذى فيه(١) الإنسانُ والمحيط [به] أن يحمَى ويستحيلَ نارًا(٢) ؛ للذى قَدْ شارك ذلك الصَّوتَ من النّار . وهم لم يجدوا الصَّوتَ(٣) شديدا جدًّا إلّا مَا خالَطَ منه النّار .

(ما يقتاتُ بالذِّباب)

وقال ابن حرب : الذِّبّان قوتُ خلْقٍ كثيرٍ من خلق الله عزّ وجلّ ، وهو قوتُ الفراريج ، والخفافيش ، والعنكبوت ، والخُلْد(٤) ، وضروبٍ كثيرةٍ من الهَمَج ، همجِ الطير ، وحشرات السّباع(٥) . فأَمّا الطّير والسُّودَانِيَّات(٦) ، والحَصَانيّات(٧) ، والشاهْمُرْكات(٨) ، وغير ذلك من أصنافِ الطّير ؛ وأمّا الضِّباع — فإنّها تأْكل الجيف ، وتدع فى أفواهها فُضُولاً ، وتفتَحُ أفواهَها

---

(١) ل : « فى » .

(٢) كذا فى ل واللسان (صعق ٦٧) . وفى س : « يستحر » وفى ط : « ويستخر » .

(٣) ط ، س : « وهم لم يجدوا الصوت من النار » . والوجه ما أثبت من ل .

(٤) الخلد ، بالضم ويفتح : دابة عمياء صماء ، سيتحدث عنها الجاحظ فى (٦ : ٤١١)

(٥) كذا .

(٦) السودانيات : الزرازير . ل : « وكالسودانيات » تحريف .

(٧) فى القاموس : « ا لحصانيات : طير » . ط س : « الحضانيات » ، تصحيف صوابه فى ل .

(٨) الشاهمرك ، ويقال الشاهمرج كما ورد فى المخصص (٨ : ١٥٢) : كل طائر طويل الساقين. بذا فسره شيخ المحققين الأب أنستاس مارى فى رسالة إلى. وقال: «هو بالفرنسية : Echassier ، وبالمعنى المتقدم فى الفارسية » . قلت : قد ضبطت هذه الكلمة وفسرت خطأ فى (١ : ٢٨) . وقد عده الجاحظ من الحيوان آكل الحيات (١ : ٢٨ ، ٦ : ١٢٤) .

للذِّبَّان، فإذا احتشَتْ ضمَّت عليها . فهذه إنَّما تصيد الذِّبَّانَ بنوعٍ واحدٍ، وهو الاختطافُ والاختلاس ، وإعجالها عن الوثوب إذا تلقَّطته بأطراف المناقير ، أو كبعض ما ذكرنا من إطباق الفم عليها .

(صيد اللَّيث للذُّباب)

فأمَّا الصَّيدُ الذى ليس للكلب ، ولا لعَنَاق الأرض[1] ، ولا للفهد ، ولا لشيءٍ من ذوات الأربع مثلُه فى الحِذْق والخَتْل والمداراة ، وفى صواب الوثْبةِ ، وفى التسدُّدِ وسرعة الخطف ، [فليس[2]] مثل الذى يقال له الليث وهو الصِّنف المعروفُ من العناكب بصيد الذِّبّان[3] ؛ فإنَّك تجدُه إذا عاين الذِّبَّانَ ساقطاً ، كيف يَلْطأ[4] بالأرض ، وكيف يسكِّن جميعَ جوارحِه للوثْبة ، وكيفَ يؤخِّر ذلك إلى وقت الغِرَّة ، وكيف يريها أنَّه عنها لاهٍ ؛ ١٠٥ فإنَّك ترى من ذلك شيئا لم تر مثله من فهدٍ قطُّ ، وإن كان الفهدُ موصوفا منعوتاً .

---

(١) عناق الأرض : دابة نحو الكلب الصغير تصيد صيداً حسنا . الحيوان (٦ : ٣٥٢) فى الأصل : « لعتاق » بالتاء ، وهو خطأ .

(٢) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

(٣) ل : « وهو صنف من العناكب » .

(٤) لطأ بالأرض ، كمنع وفرح : لصق . ط ، س : « يلتطئ » .

واعلم أنّه قد ينبغى ألّا يكونَ فى الأرض شىءٌ أصيَدُ منه ؛ لأنّه لايطير، ولا يصيدُ إلاّ ما يطير ! ويصيدُ طائرًا شديدَ الحذر ، ثمَّ يصيد صيَّادًا ! لأن الذّباب يصيد البعوض . وخديعتك للخدَّاع أعجبُ ، ومكرُكَ بالماكِرِ أغرب ! فكذلك يكون صيدُ هذا الفن[1] من العنكبوت .

(صيد الوزغ والزنابير للذباب)

وزعم الجردانى[2] أنّ الوزغَ تَخْتِلُ الذّبانَ ، وتصيدُها صيدًا حسناً شبيهاً بصيد اللّيث .

قال : والزُّنبور حريصٌ على صيدِ الذّبَّان ، ولكنه لا يطمع فيها إلاّ أن تكون ساقطةً على خَرْءٍ ، دونَ كلِّ تمروعسل ؛ لشدَّة عجبها بالُخرْء ، وتَشاغلها به ! فعند ذلك يطمَعُ فيه الزنبور ويصيده .

وزعم الجردانى[3] وتابعه كيسان : أنّ الفهدَ إنما أخَذ ذلكَ عن اللّيث . ومتى رآه[4] الفهدُ يصيد الذّبّانَ حتى تَعلَّم منه ؟ ! فظننت أنّهما قلَّدَا فى ذلك بعض مَنْ إذا مَدَحَ شيئاً أسرف فيه .

---

(١) الفن : الضرب والنوع . ل : « الفز » ، وهو تحريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل . وبدلها فى س : « الجرذابى » .

(٣) س : « الجرذابى » . ل : « الجرادى » .

(٤) ل : « وحتى » ، وهو تحريف .

(تقليد الحيوان للحيوان وتعلمه منه)

ويزعمون أنّ السّبع الصَّيُودَ إذا كان مع سبعٍ هو أصْيَدُ منه ، تعلَّمَ منهُ وأخَذَ عنه . وهذا لم أحقّه . فأمّا الذى لا أشكُّ فيه فأنَّ الطائرَ الحَسَنَ الصَّوتِ الملحِّنَ ، إذا كان مع نوائح [الطَّيرِ][1] ومغنِّياتها ، فكان بقربِ الطَّائرِ[2] من شِكله ، وهو أحذق منه [وأكرز][3] وأمهر ، جاوبَه وحكاه ، وتعلَّم منه ، أو صنَع شيئاً يقوم مقامَ التعلُّم .

(تعليم البراذين والطير)

والبِرذَونُ يُراضُ فيعرِفُ مايراد منه ، فيعين على نفسه . وربّما استأجروا للطّيرِ رجُلاً يعلِّمها . فأمّا الذى رأيتُه أنا فى البلابل ، فقد رأيتُ رجُلاً يُدْعَى لها فيطارِحُها من شكل أصواتها .

(ما يخترع الأصوات واللحون من الطير)

وفى الطّيرِ مايخترع الأصواتَ واللُّحون التى لم يُسمَع بمثلها قطُّ من المؤلِّف للُّحونِ من النَّاس ؛ فإنّه ربّما أنشأ لحناً لَمْ يمرّ على أسماع[4] المغنِّين قطُّ .

---

(١) ليست بالأصل .

(٢) ط : « يقرب » .

(٣) أكرز بمعنى أحذق .

(٤) ط : « سماع » .

وأكثرُ ما يجدون ذلك من الطَّير فى القمارىِّ ، وفى السُّودَانيات[١] ، ثمَّ فى الكرارِزة[٢] . وهى تأْكل الذِّبّان أكلاً ذريعاً .

(اللّجوج من الحيوان)

ويقال إن اللَّجاج فى ثلاثةِ أجناسٍ من بينِ جميع الحيوان : الخنفساء ، والذُّباب ، والدُّودة الحمراء ؛ فإنَّها فى إبَّانِ ذلك تَرومُ الصُّعودَ إلى السَّقف ، وتمرُّ على الحائط الأملس شيئا قليلا فتسقطُ وتعود ، ثمَّ لا تَزال تَزداد شيئا ثمَّ تسقط ، إلى أن تمضىَ إلى باطن السَّقف ، فربما سقطتَ ولَمْ يبق عليها إلَّا مقدارُ إصبع ، ثمَّ تعود .

(لجاج الخنفساء واعتقاد المفاليس فيها)

والخنفساء تُقْبِلُ قِبَلَ الإنسانِ فيدفعُها ، فتبعُد بقدر تلك الطَّردة والدَّفعة ثمَّ تعود أيضاً ، فيصنع بها أشدَّ من تلك ثمَّ تعود ، حتَّى ربما كان ذلك سبباً لغضبه ، ويكون غضَبُه سبباً لقتلها .

---

(١) السودانيات : الزرازير .

(٢) الكرارزة : جمع كرّز ، كقبر ، وهو البازى . ط ، س : « الكرارة » وهو تحريف .

وما زالوا كذلك ، وما زالت كذلك ، حتَّى سقط إلى المفالِيس[١] أنَّ الخنافسَ تجلب الرِّزق . وأنّ دنوَّها دليلٌ على رزقٍ حاضر : من صِلَةٍ أو جائزة ، أو ربحٍ ، أو هديَّةٍ ، أو حظّ . فصارت الخنافسُ إنْ دخلَتْ فى قُمُصهم ثمَّ نفذَتْ إلى سَراويلاتهم لَمْ يقولوا لها قليلاً ولا كثيراً . وأكثرُ ماعندهم اليومَ الدَّفعُ لها ببعض الرِّفق . ويظنُّ بعضهم أنه إذا دافعها[٢] فعادَتْ ، ثمّ دافعها ، فعادت ، ثمّ دافعها فعادت ــ أنّ ذلك كلما كان أكثرَ ، كان حظُّهُ من المال الذى يؤمِّله عند مجيئها أجزَل[٣] .

١٠٦

فانظرْ ، أيّة واقيةٍ ، وأيَّة حافِظة[٤] ، وأىُّ حارسٍ ، وأىُّ حصنٍ أنشأه لها هذا القول[٥] ! وأىُّ حظٍّ [كان] لها حينَ صدَّقوا [بهذا الخبر] هذا التصديق[٦] ! والطَّمعُ هو الذى أثارَ هذا الأمْرَ مِن مدافِنه[٧] ، والفقر هو الذى اجتذب[٨] هذا الطَّمع واجتلبه . ولكن الويل لها إنْ ألحَّتْ على غَنِىٍّ عالِمٍ ، وخاصَّةً إن كان مع جِدَتِه وعلمِه حديداً عَجُولا[٩] .

---

(١) المفاليس : جمع مفلس . ط ، س : « المقاييس » ولا تصح .

(٢) ل : « دفعها » فى مواضعها الثلاثة .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س « أكثر » .

(٤) كذا فى ل ، س . وفى ط : « أية واقية دائمة حافظة » .

(٥) القول هنا بمعنى الاعتقاد . ط ، س : « وأى حصن إن شاء الله تعالى لها بهذا القول » ، ووجهه من ل .

(٦) كذا فى ل . س : « بهذا القول ذلك التصديق » .

(٧) ل : « مواقيه » .

(٨) كذا فى ل . وفى ط ، س : « سبب » .

(٩) هذه العبارة ساقطة من ل . والجدة ، كعدة : الغنى واليسار . وفى الأصل : « مع حدوثه » .

(اعتقاد العامة فى أمير الذِّبّان)

وقد كانوا يقتلون الذبابَ الكبير الشديد الطنين[1] الملحَّ فى ذلك ، الجهيرَ الصوت ، الذى تسميه العوامُّ : « أمير الذِّبّان » ، فكانوا يحتالون فى صرفه[2] وطرده [وقتله] ، إذا أكربَهمْ بكثرةِ طنينه وزَجَله وهَماهِمه[3] فإنّه لايفتر[4] . فلمّا سقط إليهم أنّه مبشّرٌ بقدومِ غائبٍ وبُرء سقيم ، صاروا[5] إذادخل المنزلَ وأوسَعَهُم شرًّا ، لم يَهِجْه أحدٌ منهم .

وإذا أرادَ الله عزَّ وجلَّ أن يُنْسِئَ فى أجلِ شيءٍ من الحيوان هيَّأَ لذلك سبباً ، كما أنّه إذا أراد أن يقصُرعمرُه [ويَحينَ يومُه] هيَّأَ لذلك[6] سبباً . فتعالى الله علوًّا كبيراً !

ثمَّ رجَع بنا القولُ إلى إلحاح الذِّبّان .

---

(١) كلمة « الكبير » ساقطة من ل . ولفظ « الطنين » هى فى ط ، س : « البطش » وتصحيحه من ل .

(٢) ل : « ضربه » وليس بشىء .

(٣) هماهم : جمع همهمة ، والمراد بها الطنين .

(٤) أى لايسكن ولاينقطع عن الطنين . ط : « يغير » وصوابه فى ل ، س .

(٥) ل : « صار » .

(٦) ط ، س : « له » .

(عبد الله بن سوَّار وإلحاح الذُّباب)

كان لنا بالبَصرة قاض يقال له عبدُ الله بنُ سَوَّار[1] ، لَمْ يَرَ النَّاسُ حاكماً قطُّ ولا زِمِّيتاً ولا رَكيناً[2] ، ولا وقوراً حليماً ، ضبَط من نفسه ومَلَكَ من حركته مثلَ الذى ضبَط وملَك . كان يصلِّى الغداةَ فى منزله ، وهو قريب الدَّار من مسجده ، فيأْتى مجلسَه فيحتبى ولا يتَّكئُ ، فلا يزالُ منتصبا لايتحرَّك له عضوٌ ، ولا يلتفت ، ولا يحلُّ حُبْوَته[3] ولا يحوِّل رِجلاً عن رجل[4] ، ولا يَعتمد على أحد شِقَّيه ، حَتَّى كأنّه بناءٌ مبنيٌّ ، أو صخرةٌ منصوبة . فلا يزال كذلك ، حتّى يقوم إلى صلاة الظهر ثمّ يعودُ إلى مجلسهِ فلا يزال كذلك[5] حتى يقوم إلى العصر ، ثمَّ يرجع لمجلسه ، فلا يزال كذلك حَتى يقوم لصلاة المغرب ، ثمَّ رُبما عاد إلى محلِّه ، بل كثيراً ما كان يكون ذلكَ إذا بقى عليه من قراءة العهود والشُّروط والوثائق ، ثمَّ يُصلِّى العشاء [الأخيرة[6]] وينصَرف . فالحق يقال : لَمْ يقَمْ

---

(١) هو عبد الله بن سوار (بالتشديد) بن عبد الله بن قدامة العنبرى البصرى . وسبقت ترجمة ولده سوار بن عبد الله بن سوار فى ٢ : ١٨٧ . والقصة رواها المرتضى فى أماليه ٤ : ٢٢ .

(٢) كلمة : « قط » ساقطة من ل ، كما سقطت « ولا » من ط ، س . والزميت كسكيت : العظيم الوقار . والركين الرزين .

(٣) الحبوة ، بالفتح وتضم : أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها .

(٤) ط ، س : « ولا يحل رجلا على رجل » وأثبت ما فى ل وثمار القلوب ٣٩٦ .

(٥) الكلام من مبدأ « حتى يقوم » ساقط من ل ، والثمار .

(٦) الزيادة من ثمار القلوب . والعشاء الأخيرة خلاف الأولى ، والأولى هى المغرب .

فى طول تلك المدَّةِ والوِلايةِ مَرَّةً واحدةً إلى الوضوء ، ولا احتاجَ إليه ، ١٠٧ ولا شربَ ماءً ولا غيرَه من الشّراب . كذلك كانَ شأْنُه فى طوال الأيام وفى قصارها ، وفى صيفها وفى شتائها[1] . وكان مع ذلك لايحرِّك يدَه ، ولا يُشيرُ برأسِه . وليس إلاّ أن يتكلمَ [ثمَّ يوجز ، ويبلغ بالكلام اليسير المعانى الكثيرة][2] . فبينا هو كذلك ذاتَ يوم وأصحابه حواليه ، وفى السِّماطين[3] بينَ يديه ، إذْ سقَطَ على أنفِه ذبَابٌ فأطال المكث ، ثمَّ تحوّل إلى مُؤْقِ عينه[4] ، فرام[5] الصَّبر فى سقوطه عَلَى المؤق ، وعلى عضِّه ونفاذِ خَرطومه كما رَام[6] من الصبر عَلى سقوطه عَلَى أنفه من غير أن يحرِّك أرنبَته ، أو يغضِّنَ[7] وجهَهُ ، أو يذبّ بإصبعه . فلمّا طال ذلك عليهِ من الذبَاب وشغَله وأوجعَه وأحرَقهُ ، وقصدَ إلى مكانٍ لايحتمل التّغافُلَ ، أطبَق جفنَهُ الأعْلى عَلَى جفنِه الأسفلِ فلم ينهض ، فدعاه ذلك إلى أن وَالىَ[8] بينَ الإطباقِ والفتْح ، فتنحَّى ريثَما سكنَ جفنُهُ ، ثمَّ عاد إلى مؤقِه بأشدَّ من مرَّته الأولى فغَمَسَ خَرطومهُ فى مكان كان قد أوهاهُ قبلَ ذلك ، فكان احتماله له

---

(١) كلمة : « فى » ساقطة من ل فى الموضعين .

(٢) الزيادة من ل ، وثمار القلوب .

(٣) السماط ، بالكسر : الصف .

(٤) فى الأصل : « عينيه » ، وأثبت مافى الثمار . والمؤق : طرف العين مما يلى الأنف .

(٥) ل فقط : « فدام » ، وبكل من العبارتين يتجه المعنى .

(٦) ل فقط : « ودام » وانظر التنبيه السابق .

(٧) غضن وجهه : جعل به غضونا ، وذلك بأن يقبض جلده . ط ، س : « يغض » بمعنى يخفض . وفى الثمار : « بعض » .

(٨) والى : تابع . ط ، س : « يوالى » وأثبت مافى ل والثمار .

أضعف ، وعجزُه عن الصَّبر فى الثانية أقوى[١] ، فحرَّك أجفانَهُ وزاد فى شدَّة الحركة وفى فتح العين[٢] ، وفى تتابُع الفتْح والإطباق ، فتنحَّى عنهُ بقدْرِ ماسكَنتْ حركتهُ ثمَّ عاد إلى موضِعِه ، فما زالَ يلحُّ عليه حتى استفرغَ صبْرَه وبَلَغَ مجهُودَه . فلم يجدْ بُدًّا من أن يذبَّ عن عينيهِ بيده ، ففعل ، وعيونُ القوم إليه ترمُقه ، وكأنّهم لا يَرَوْنَه[٣] ، فتنَحَّى عنه بقدْر ما رَدَّ يدَه وسكَنتْ حركته ثمَّ عاد إلى موضعه ، ثمَّ ألجأَه إلى أن ذبَّ عن وجْهه بطَرَف كمه ، ثم ألجأه إلى أن تابَعَ بين ذلك ، وعلم أنَّ فِعلَه كلّه بعينِ مَنْ حَضَره من أُمنائه وجلسائه . فلمَّا نظروا إليه قال : أشهد أنَّ الذّباب ألَحُّ[٤] من الخنفساء ، وأزهى من الغراب ! وأستَغفر الله ! فما أكثر مَن أعجبَتْه نفسُه فأراد الله عزَّ وجلَّ أن يعرِّفه من ضعْفِه ما كان عنهُ مستوراً ! وقد علمت أنِّى عند الناس مِنْ أزْمَتِ الناس[٥] ، فقد غلَبَنى وفَضَحَنى أضعفُ خلْقِه ! ثمَّ تلا قولَهُ تعالى : ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ .

---

(١) ط ، س : « وعجزه عن الصبر عليه فى الثانية أقل » ، وصوابه فى ل . ونحو منه مافى الثمار .

(٢) ط ، س : « وألح فى فتح العين »

(٣) كلمة : « إليه » ليست فى الثمار . وليس مايمنع بقاءها . و « يرونه » هى فى الأصل « يريدونه » ، وتصحيحه من الثمار .

(٤) كذا فى الأصل : « الح » بالحاء كما فى أمثال الميدانى ٢ : ١٨٠ . ويروى بالجيم ، كما فى الثمار وكما سيأتى فى ص ٥٠٠ .

(٥) أزمت الناس : أى أشدهم وقاراً وسكونا . ط : « أضعف » ووجهه فى س ، ل . وفى الثمار : « أرزن » ، وكلمة « الناس » الأولى هى فى ط ، س فقط : « نفس » . كما أن كلمة « من » ساقطة من س .

وكان بيِّن اللِّسان ، قليلَ فضولِ الكلام ، وكان مَهيباً فى أصحابه ، وكان أحدَ مَنْ لم يَطْعَنْ عليهِ فى نفسه ، ولا فى تعريض أصحابهِ للمَنَالة[١] .

(قصَّة فى إلحاح الذباب)

فأمَّا الذى أصابنى أنَا من الذِّبَّان ، فإنِّى خَرَجتُ أمشى فى المبارك[٢] أريد دَيْرَ الربيع ، ولم أقدِرْ علَى دابَّةٍ ، فمررتُ فى عشْبٍ [أَشِبٍ][٣] ونباتٍ ملتفٍّ كثيرِ الذِّبَّان ، فسقط ذبابٌ من تلك[٤] الذِّبَّان عَلى أنفى ، فطردته ، فتحوّل إلى عينى[٥] [فطردْتُه ، فعاد إلى مُوقِ عينى] ، فزدتُ فى تحريكِ يدىَّ فتنحَّى عنى بقدْر شدّة حركتى[٦] وذبِّى عن عينى — ولِذِبَّان الكلإ والغِياضِ والرِّياضِ وقْعٌ ليس لغيرها — ثمَّ عادَ إلىَّ فَعُدْتُ عليهِ ، ثم

١٠٨ عَاد [إلىّ] فعدتُ بأشدّ من ذلك ، فلما عاد استعملتُ كمِّى فَذَبَبْتُ بهِ عن وجهى ، ثمّ عاد ، وأنَا فى ذلك أحثُّ السَّير ، أؤمِّل بسرعتى انقطاعَهُ عنِّى[٧] فلما عَاد نزعتُ طَيْلَسانِى[٨] من عُنُقى فذببت بهِ عَنِّى بَدَلَ كُمِّى ، فلما

---

(١) المنالة : مصدر نلت أنال .

(٢) المبارك : اسم نهر بالبصرة احتفره خالد بن عبد الله القسرى . ويمشى فيه : أى فى شاطئه . ط ، س : « من عند ابن المبارك » .

(٣) أشب : أى ملتف . وكلمة « عشب » ساقطة من ل .

(٤) ط ، س : « ذلك » .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فطردته فلم أقدر فتحول إلى عينى » .

(٦) ل : « فتنحى على قدر شدة حركتى » .

(٧) ل : « أحث السير » وقد سقط منها « أؤمل بسرعتى » .

(٨) الطيلسان : كساء مدور أخضر ، لحمته أو سداه من صوف ، يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ ، وهو من لباس العجم ، وهو لفظ معرب من تالسان الفارسية .

عاوَدَ ولم أجدْ له حيلةً استعملتُ العدْوَ ، فعدوْت منه شوطاً [تامًّا] لم أتكلفْ مثلَه مذْ كنتُ صبيًّا ، فتلقّانى الأندلسىُّ فقال لى : مالك يا أبا عثمان ! هل مِنْ حادثة ؟ قلت : نعم ، [أكبر الحوادث] ، أريد أن أخرجَ من موضعٍ للذِّبَّان عَلَىَّ فيه سلطانٌ ! فضحك حتى جلس . وانقطع عنى ، وما صدّقتُ بانقطاعه عنّى حتَّى تباعد[1] جدًّا .

(ذبّان العساكر)

والعساكر أبداً كثيرة الذِّبَّان . فإذا ارتحلوا لم يَرَ المقيمُ بعدَ الظّاعن منها إلا اليسير .

وزعم بعضُ النَّاسِ أنّهنَّ يتبعن العساكرَ ، ويسقُطْنَ على المتاع ، وعلى جِلَالِ[2] الدّوابّ ، وأعجاز البراذِينِ التى عليها [أسبابها[3]] حتى تؤدِّىَ إلى المنزل الآخر .

[و] قال المكِّىُّ : يتبعوننا ليُؤْذونا ، ثمَّ لايركبون إلَّا أعناقَنا ودوابَّنا[4] !

---

(١) ل : « تباعدت » .

(٢) الجلال : جمع جل بالضم وبالفتح ، وهو ماتلبسه الدابة لتصان به .

(٣) كذا فى س . وبدلها فى ل : « أربابها » .

(٤) هذا حكاية من الجاحظ للفظ المكى . وفيه استعمال ضمير العاقل لغيره .

(تخلّق الذُّباب — ١ —)

ويقول بعضهم : بل إنما يتخلَّق من تلك العُفونات والأبخرةِ والأنفاس ، فإذا ذهبت فنيتْ مع ذهابها[١] ويزعمون أنّهم يعرفون ذلك بكثْرتها في الجنائبِ ، وبقلّتها فى الشمائِل[٢] .

قالوا : وربَّما سددْنا فمَ الآنيةِ التى فيها الشَّرابُ بالصِّمامةِ ، فإذا نزعْناها وجدنا [هناك] ذباباً صغاراً .

وقال ذو الرّمّة[٣] :

وأيقنَّ أنّ القنع صارت نِطافه[٤] فَرَاشاً وأنّ البَقْلَ ذاو ويابسُ

[القِنْع : الموضع الذى يجتمع فيه نقران الماء[٥] . والفراش : الماء الرقيق الذى يبقى فى أسفل الحِياض] .

وأخبرنى رجلٌ من ثقيف ، من أصحاب النّبيذ أنّهمْ [رُبَّما] فلقوا السَّفرجلة أيّامَ السَّفرجل للنَّقْل[٦] والأكل ، وليس هناك من صغار الذّبَّان شىءٌ ألبتّة

---

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فإذا ذهب ذلك خف » .

(٢) الجنائب : جمع جنوب . وهى الريح الجنوبية . والشمائل : جمع شمال ، بالفتح ، وهى الريح الشمالية . ل : « فى الشمال » .

(٣) يصف الحمر الوحشية . ديوانه ٣١٣ .

(٤) النطاف : جمع نطفة ، وهى هنا الماء الكثير . وتقال أيضاً للماء القليل ، بل هو الأكثر . ط ، س : « نطاقة » ووجهه فى ل .

(٥) النقران : جمع نقير . و « يجتمع » هى فى الأصل : « يجمع » ، والتفسير بعده مخالف للاستشهاد . وانظر ماسيأتى فى ٥ : ٤٠٤ .

(٦) النقل بالفتح : مايتنقل به على الشراب ، وهو مايعبث به الشارب على شرابه .

ولا يُعدِمُهمْ أنْ يَرَوا على مَقاطعِ السَّفرجلِ ذُبابا صغاراً . وربَّما رصدوها وتأمَّلوها ، فيجدونَها تعظُم حتّى تلحق بالكبار فى السَّاعة الواحدة .

(حياة الذُّباب بعد موته)

قال : وفى الذِّبان طبع كطبع الجِعلان، فهو طبعٌ غريب عجيب . ولولا أنّ العِيانَ قهرَ أهلَهُ لكانوا خلقاءَ أن يدفعوا الخبرَ عنهُ ؛فإنّ الجُعَلَ إذا دُفِنَ فى الوردِ[1] ماتَ فى العين ، وفنِيت حركاتُه كلُّها ، وعاد جامداً تارزاً[2] ولم يفْصِل الناظرُ إليه بينَه وبين الجُعَلِ الميِّت ، ما أقام على تأمله[3] . فإذا أعيد إلى الروث عادت إليه حركة الحياةِ من ساعته[4] .

وجرَّبتُ أنا [مثلَ] ذلك فى الخنفساء ، فوجدتُ الأمر فيها قريباً من صِفَةِ الجعَل، ولم يبلغْ كلَّ ذلك [إلّا[5]] لقَرابةِ [ما] بينَ الخنفساء والجُعَل.

ودخلت يوماً على ابن أبى كريمة ، وإذا هو قد أخْرَجَ إجَّانَةً[6] كان فيها ماءٌ من غُسالةِ أوساخ الثياب ، وإذا ذِبَّانٌ كثيرةٌ قد تساقطْنَ فيه من اللّيل فَموَّتْنَ[7] . هكذا كُنَّ[8] فى رأى العين . فغَبَرْنَ كذلك

---

(١) ط : « المورد » وصوابه فى ل ، س . وانظر ماسبق فى (٢ : ١١٢) .

(٢) التارز : اليابس الذى لا روح فيه .

(٣) ل : « تأملها » ، ولكل وجه .

(٤) ل : « عاد إليه حركة الحيوان من ساعته » .

(٥) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٦) الإجانة : الوعاء يغسل فيه الثياب . فى الأصل : « من إجانة » ، والوجه حذف « من » .

(٧) يقال موتت الدواب تمويتا : كثر فيها الموت . انظر اللسان . ط ، س : « فتن » .

(٨) كذا فى ل ، س . وفى ط : « كان » أى كان الأمر .

١٠٩ عَشِيَّتَهُنَّ وليلتهنّ ، والغَدَ إلى انتصاف النهار ، حتّى انتفخْنَ وعفِنَّ[1] واسترخين ؛ وإذا ابن أبي كريمة قد أعدّ آجُرّةً جديدة[2] ، وفُتات آجرٍّ جديد، وإذا هو يأخذ الخمس منهنّ[3] والستّ، ثمّ يضعهُنّ على ظهر الآجرّة الجديدة ، ويذرُّ عليهنّ من دقاق ذلك الآجرِّ الجديدِ المدقوق بقدْر مايغمُرها فلا تلبث أن يراها[4] قدْ تحرَّكتْ ، ثمَّ مشت ، ثمَّ طارت ؛ إلَّا أنّه طَيَرانٌ ضعيفٌ .

(ابن أبي كريمة وعود الحياة إلى غلامه)

وكان ابنُ أبي كريمة يقول : [لا] واللهِ ، لادفنتُ ميِّتاً أبداً حتّى ينْتَنَ ! قلت : وكيف [ذاك] قال : إنّ غلامي هذا نُصيراً ماتَ ، فأخّرْتُ دفنَهُ لبعْضِ الأمْر ، فقدِم أخوه تلك اللّيْلَة فقال : ما أظنُّ أخي ماتَ ! ثمَّ أخذ فتيلتين ضخمتين ، فروّاهما دُهْناً ثمَّ أشعل فيهما النّارَ ، ثمَّ أطفأهما وقرَّبهما إلى منخريه ، فلم يلبَثْ أنْ تحرَّك . وها هو ذا قد تراه ! قلت له : إن أصحاب الحروب [و]الذين يغسلون الموتى، والأطبَّاء، عندَهم في هذا دَلالاتٌ وعلامات فلا تحمل عَلَى نفسك في واحدٍ من أولئك ألّا تستُره بالدفن حتى يَجيف .

---

(١) ل : « وغضن » .
(٢) ل : « أجراً جديداً » .
(٣) ل : « منها » .
(٤) س : « نراها » ل : « تراها » .

والمجوس يقرّبون الميّتَ منْ أنف الـكلب ، ويستدلون بذلك عَلى أمره .

فعلمت أنّ الذى عايَنّاه[١] من الذّبّان قد زادَ فى عزْمِه .

(النُّعَر)

والنُّعَر : ضربٌ من الذِّبان ، والواحدةُ نُعَرة . وربما دخلتْ فى أنف البعيرِ أو السَّبع ، فيزمُّ بأنفِه[٢] ؛ للذى يلقى من المكروه بسببه . فالعَرَبُ تشبّه ذا الـكِبْر من الرجال إذا صعّر خده ، وزَمّ بأنفه ــ بذلك البعير فى تلك الحال . فيقال عند ذلك : « فلان فى أنفه نعرَة ، وفى أنفِه خُنْزوانةٌ » .

وقال عمر[٣] : « والله لا أقلعُ عنه أو أطيِّرَ[٤] نُعرَته » .

ومنها القَمَع ، وهو ضربٌ من ذبّان الـكلأ . وقال أوس[٥] :

ألم ترَ أن اللهَ أنزَلَ مُزْنه[٦] وعفرُ الظِّباءِ فى الـكِناسِ تَقَمَّعُ[٧]

وذلك مما يكون فى الصيفِ وفى الحرِّ .

---

(١) ل : « عاينه » .

(٢) زم البعير بأنفه : رفع رأسه لألم به . ط ، س : « فتورم أنفه » وليس هنالك .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٤) لا أقلع عنه : لا أتركه . س : « اطر » وصوابه فى ط ، ل ونهاية ابن الأثير .

(٥) هو أوس بن حجر . ديوانه ١١ .

(٦) المزن بالضم : السحاب ، أو أبيضه ، أو ذو الماء منه . والقطعة منه مزنة . وبهذه الأخيرة جاءت الرواية فى الديوان .

(٧) العفر : جمع أعفر ، وهو الظبى يعلو بياضه حمرة . والكناس مأواه . والتقمع : أن تحرك رءوسها لتطرد القمع .

(أذى الذّبّان للدوابّ)

والذّبان جُنْدٌ من جند الله شديدُ الأذى. وربّما كانَ أضرّ من الدَّبْر[(١)] فى بَعضِ الزمان ، وربما أتت عَلَى القافلة بما فيها ؛ وذلك أنّها تغشى[(٢)] الدوابّ حتّى تضربَ بأنفسها الأرض – وهى فى المفاوز – وتسقط ، فيهلك أهل القافلة ؛ لأنهم لايخرجون من تلك المفاوز عَلَى دوابهمْ . وكذلك تُضْرِب الرِّعاء[(٣)] بإبلهم ، والجمالون بجمالهم عن تلك الناحية ، ولا يسْلُكُها[(٤)] صاحبُ دابَّة ، ويقول بعضُهمْ لبعض : بادِرُوا قَبْلَ حركَةِ الذِّبان ، وقبل أنْ تتحرك ذبّان[(٥)] الرِّياضِ والكلأ !

والزّنابير لا تكادُ تدْمِى[(٦)] إذا لسعت بأذنابها . والذِّبّان تغمس خراطيمها فى جوفِ لحوم الدوابّ ، وتخرِق الجلودَ الغلاظ حتى تنزفَ الدَّمَ نزفا . ولها مع شدّة الوقعِ سمومٌ . وكذلك البَعوضة ذاتُ سمّ ، ولو زِيدَ ١١٠ فى بَدَن البعوضة وزِيدَ فى حرْقة لسْعها إلى أن يصيرَ بَدَنها كبدن الجرَّارة[(٧)] – فإنها أصغرُ العقارب[(٨)] – لما قام له شىءٌ ، ولكان أعظمَ بليَّةً من الجَرَّارة

---

(١) الدبر ، بالفتح : جماعة النحل والزنابير . ويقال بالكسر أيضاً .

(٢) س : « تعش » محرفة .

(٣) ل : « ولذلك ينصرف الرعاة » .

(٤) س : « يستلكها » .

(٥) جاء فى ط ، س : « الذباب » و « ذباب » .

(٦) ط ، س « ترمى » وصوابه فى ل .

(٧) الجرارة سبق تفسيرها فى ص ٣٣٣ . ط : « الجرادة » وصوابها فى ل ، س .

(٨) كذا الصواب فى ل . وفى ط ، س : « أصغر من العقارب » .

النصيبيَّة [١] أضعافاً كثيرة . وربَّما رأيت الحمار وكأنّه مُمَغَّر [٢] أو معصفر . وإنَّهُمْ [٣] مع ذلك ليجلِّلون حمُرَهم ويُبَرقِعونها ، وما يَدَعون موضعًا إلاَّ ستروه بجهدهم ، فربَّما رأيتَ الحمير وعليها الرِّجال [فيما بين عَبْدَسى [٤] والمذار [٥]] بأيديهم المناخس والمذابُّ [٦] ، وقد ضربت بأنفسها الأرضَ [٧] واستسلمت للموت . وربَّما رأيت صاحبَ الحميرِ [٨] إذا كانَ أجيراً يضربُها بالعَصا بكلِّ جَهْده ، فلا تنبعث .

وليس لجلد البقرة والحمار والبعير عندَه خطر . ولقدْ رأيتُ ذُباباً سقط على سالفة [٩] حِمار كانَ تحتى ، فضرب بأُذنيه ، وحرَّك رأسه بكلِّ

---

(١) ط : « الجرادة النصيبية » ، وتصحيحها من ل ، س . والنصيبية : نسبة إلى نصيبين ، وهى مدينة من بلاد الجزيرة ، كما ذكر ياقوت . قالوا : وسبب كثرة العقارب بها أن كسرى أنوشروان كان حاصرهـا فاستعصت عليه ، فأمر أن تجمع له العقارب من قرية تسمى طيرانشاه ، فرماهم بها فى العرادات والقوارير ، فتملأ القارورة وتدفع بالعرادة ، فإذا وقعت انكسرت فتخرج العقارب ، حتى ضج أهلها وأسلموا له الأمر .

(٢) ممغر : مصبوغ بالمغرة ، وهى بالفتح وبالتحريك : صبغ أحمر طينى ، وأجوده ما كان من مصر . ط ، س : « منعر » ، ل : « منغر » وصوابه ما أثبت .

(٣) ط : س : « فإنهم » .

(٤) عبدسى ، كما فى معجم البلدان : اسم مصنعة كانت برستاق كسكر ، خربها العرب وبقى اسمها على ما كان حولها من العمارة .

(٥) المذار ، بالذال : مدينة بين واسط والبصرة .

(٦) ما بعد المعقفين ساقط من ل .

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٨) ل : « المكارى » . والمكارى : الذى يكريك دابته . والكراء : الأجرة .

(٩) السالفة : ماتقدم من العنق .

جهده[١] ، [و[٢]] أنا أتأمّله وما يقلع عنه ، فعَمَدْتُ بالسَّوطِ لأنحِّيَه به[٣] فنزا عنه ، ورأيت مع نزْوِهِ عنه الدَّمَ[٤] وقد انفجر ؛ كأنَّهُ كان يشرب الدَّمَ وقد سدَّ المخرج بفيه ، فلمَّا نحّاه طلع .

(ونيم الذّباب)

وتزعمُ العامَّةُ أنَّ الذّبَّان يَخْرَأ [عَلَى] ماشاء[٥] قالوا : لأنَّا نراه يخرأ عَلَى الشيء الأسود أبيضَ ، وعلى الأبيضِ أسود .

ويقال قد ونَمَ الذُّباب — فى معنى خرئ الإنسان — وعرَّ الطائر[٦] ، وصام النَّعام ، وذَرَق الحمام . قال الشاعر[٧] :

وَقدْ وَنَمَ الذُّبابُ عليه حتَّى ... كأَنَّ وَنِيمَه نقطُ المِـدَادِ[٨]

وليس طولُ كَوْمِ البعير إذا ركب النَّاقةَ ،والخنزير إذا ركب الخنزيرة ، بأطولَ ساعةً من لَبْثِ ذكورةِ[٩] الذبّان عَلَى ظهور الإناثِ عندَ السِّفاد .

---

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وحك رأسه بكل جهة » .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) ل : « وما يقلع عنه الذباب فلما طراد ذلك يطرده عنه قصدت بالسوط لأنخسه » .

(٤) كذا فى ط ، س . وبدله فى ل : « فع نزوعه عنه نزا الدم » . نزا : وثب .

(٥) ل : « على ماشاء » ، فتكون « ما » مصدرية .

(٦) كذا على الصواب فى ل ، س . وفى ط « عرا » .

(٧) هو الفرزدق ، ذكر ذلك أبو العباس المبرد . الاقتضاب ٣٤٩ .

(٨) يروى : « لقد ونم » كما فى المخصص (٨ : ١٨٦) ، وأدب الكاتب ١٣٤ والاقتضاب .

(٩) الذكورة : الذكور . ط : « ذكور » .

(تخلق الذّباب - ٢ -)

والذّباب من الخلْق الذى يكونُ مَرّةً من السِّفاد والوِلاد[١] ، ومرّةً من تعفُّن الأجسام ِ والفَسادِ الحادث فى الأجرام .

والباقلاءُ[٢] إذا عتَقَ شيئا فى الأنبار[٣] استحال كلُّه ذُباباً[٤] ، فربّما أغفلوه فى تلك الأنْبار فيعودون إلى الأنبارِ وقد تطاير من الكُوَى والخروقِ فلا يجدون فى الأنبار إلاّ القشور .

والذّباب الذى يخلق من الباقلاء يكون دوداً ، ثمَّ يعود ذباباً . وما أكثر ما ترى الباقلاء مثقّبا فى داخله شىءٌ كأنّه مسحوق ، إذا كان الله قد خلق منه الذّبَّان وصيَّره[٥] . وما أكثر ما تجده فيه تامَّ الخلق . ولو[٦] تمّ جناحاه لقد كان طار .

---

(١) الولاد — بالكسر — أحد مصادر ولد يلد . ط ، س : « والولادة » .

(٢) الباقلى ، بكسر القاف وتشديد اللام وتخفف ، والباقلاء مخففة ممدودة هى الفول . هذه هى الباقلاء النبطية ، وأما الباقلاء المصرية فهى الترمس . والأولى هى المرادة ؛ لارتباط العراقيين بالأنباط .

(٣) الأنبار : بيوت الطعام التى يختزن فيها ، واحدها نبر بالفتح ؛ سميت بذلك لأن الطعام إذا وضع فيها انتبر : أى ارتفع . ومنه المنبر لارتفاعه . ط ، س : « الأقباء » فى كل موضع ترد فيه هذه الكلمة .

(٤) ل : « ذبانا » .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « خلق فيه الذباب وطيره منه » .

(٦) ل : « ولم » تحريف .

(حديث شيخ عن تخاق الذّباب)

وحدّثنى بعض أصحابِنا عن شيخٍ من أهل الُحريبة[١] قال : كنت أحبُّ الباقلاء ، وأردت ، إمَّا البَصرة وإما بغداد — ذهب عنِّى حفظه — فصرتُ فى سفينةٍ حِمْلها باقلاء ، فقلت فى نفسى : هذا والله من الحظِّ وسعادة الَجدِّ ، ومن التَّوفيق والتسديد ، ولقد أربع من وَقَعَ له مثل هذا[٢] الذى [قد] وقع لى : أجلسُ فى هذه السفينة على هذا الباقلاء ، فآكلُ منه نِيًّا[٣] ومطبوخا ، ومقلوًّا ، وأرضُّ بعضَه وأطحنهُ[٤] ، وأجْعله مرقا[٥] وإداماً ، وهو يغْذو[٦] غذاءً صالحاً ، ويُسْمِنُ ، ويزيد فى الباه[٧] . فابتدأت فيما أمَّلته ، ودفعْنا السَّفينة ، فأنكَرْتُ كثرة الذّبَّان . فلما كان الغدُ جاء منهُ ما لم أقدرْ معه على الأكلِ والشربِ . وذهبت القائلة وذهب الَحديث ، وشُغِلت بالذّبِّ . على أنهنَّ لم يكنَّ يبرحْنَ بالذّبّ ، وكنَّ[٨]

١١١

---

(١) الحريبة بالتصغير : موضع بالبصرة . ط ، س : « الجزيرة » وليس بشىء .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل . وأربع : أخصب . ط ، س : « ربح » .

(٣) مسهل « نيئا » . والنىء ، بالكسر : الذى لم ينضج .

(٤) الرض : الدق . س : « أصحنه » موضع « أطحنه » ، ولم أجده بمعنى الطحن ، وإن كان معروفا فى عاميتنا المصرية بمعنى الطحن .

(٥) س : « مذقا » .

(٦) كذا فى س . وفى ل ، ط : « يغذى » .

(٧) يقال الباه والباءة : وفى الحديث : « من استطاع منكم الباءة فليتزوج » . جاء فى س : « الباءة » ، وفى ل : « يزيدنى الماء » .

(٨) ط : « ولن » وتصحيحه من ل ، س .

أكثَرَ من أنْ أكونَ أقوى عليهنَّ ؛ لأنِّى كنتُ لا أطردُ مائةً حتى يخلفَها مائةٌ مكانها . وهُنَّ فى أولِ مايخرجْنَ من الباقلاء كأنَّ بهنّ زَمَانَةً (١) فلما كانَ طيرانهنَّ أسوأ [كان أسوأ](٢) لحالى ، فقلت للملاح : ويلك ! أىُّ شىءٍ معك حتى صار الذبان يتبعك ! قدْ واللهِ أكلَتْ وشربَتْ ! قال : [أ] وَليس تعرف القصة ؟ قلت : لا والله ! قال : [هى والله] من هذه الباقلاء ، ولولا هذه البليّة لجاءنَا(٣) من الرُّكاب كما يجيئون إلى جميع أصحاب الحمولات(٤) . وما ظننته (٥) إلاّ ممن قد اغتفر [هذا] للين الكِراء ، وحبِّ التفرُّد بالسفينة . فسألتهُ أنْ يقربنى إلى بعض الفُرَض(٦) ، حتى أكترىَ من هناك إلى حيث أريد، فقال لى : أتحبُّ أنْ أزوِّدك منه ؟ قلت : ما أحبُّ أنْ ألتقىَ أنا والباقلاء فى طريقٍ أبَدًا !

(من كره الباقلاء)

ولذلك كان أبو شمر (٧) لا يأكل الباقلاء ، وكان أخذ ذلك عن معلِّمه مَعَمَّر أبى الأشعث (٨) . وكذلك كان عبدَ الله بن مسلمة بن محارب والوكيعىُّ ، ومُعمَّر ، وأبو الحسن المدائنىُّ ، برهةً من دهرهم .

---

(١) الزمانة ، بالفتح : العاهة والآفة .

(٢) التكملة من ل ، س .

(٣) ط : « لجأنا » وصوابه فى ل ، س .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « إلى أصحابنا » .

(٥) ط ، ل : « وما أظنك » .

(٦) الفرض : جمع فرضة بالضم ، وهى محط السفينة . ل : « القرى » .

(٧) أبو شمر هذا أحد أئمة القدرية المرجئة . وآراؤه فى الفرق بين الفرق ١٩٠ — ١٩٤ . قال فيه الجاحظ : « وكان شيخا وقورا وزميتا ركينا ، وكان ذا تصرف فى العلم ، ومذكورا بالفهم والحلم . البيان (١ : ٩١) . وضبطه السمعانى ٣٣٨ بكسر الشين وسكون الميم ، ومرة أخرى بكسر الشين وتشديد الميم المفتوحة .

(٨) معمر هذا أحد أئمة الاعتزال ، وكان من تلاميذه أبو الحسن المدائنى ، وحفص الفرد =

وكان يقول : لولا أنَّ الباقلاء عفِنٌ فاسدُ الطَّبعِ ، ردىءٌ يخثِّر الدَّمَ ويغلِّظُه ويورث السَّوداءَ وكلَّ بلاءٍ — لما ولَّدَ الذِّبان . والذِّبان أقذرُ ما طار ومشى ! وكان يقول : كلُّ شيءٍ ينبت منكوساً فهو ردىءٌ للذِّهن ، كالباقلاء والباذنجان .

وكان يزعم أنّ رجلاً هرب من غرمائه فدَخل فى غابةِ باقلاء ، فتستَّر عنهم بها ، فأَراد بعضهُمْ إخرَاجه والدُّخولَ فيها لطلبهِ ، فقال : أحكَمهُمْ وأعلمهم : كفاكم له بموضعه شرًّا !

وكان يقول : سمعت ناساً من أَهل التجْربةِ يحلفون بالله : إنَّه[1] ما أقام أحدٌ أربَعين يوماً فى مِنبت باقلاءَ وخرج منه إلّا وقد أسقمهُ سُقْماً لا يزايلُ جِسمَهَ .

وزعم أنّ الذى منع أصحاب الأدْهان[2] والتربيةِ بالسمسم منْ أن يربُّوا السَّماسِم[3] بنَوْر الباقلاء ، الذى[4] يعرفونَ من فسادِ طبعهِ[5] ، وأنَّه[6] غير

= ومعمر ، وأبو شمر ، وأبو بكر الأصم ، وأبو عامر عبد الكريم بن روح . فهرست ابن النديم ١٤٧ مصر ١٠٠ ليبسك . وذكر فيه باسم معمر بن الأشعث . لكن اتفاق نسخ الحيوان على أنه أبو الأشعث ، وروده ثلاث مرات فى الجزء الأول من البيان برسم أبي الأشعث ، يرجح كتابته كما أثبت .

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « الأذهان » . والذهن بكسر الذال المعجمة : الشحم .

(٣) السماسم ضبط فى نسخ القاموس بضم السين ، وفسره بأنه طائر . قال شارحه : « كذا هو بالضم فى النسخ وصوابه بالفتح » . قلت : يظهر أنها هى « السمائم » واحدته سمامة ، وهو طائر من الخطاطيف ، ومن أسمائه عصفور الجنة . انظر معجم المعلوف ٢٤١ .

(٤) س : « الذين » ، تحريف .

(٥) ل : « طباعه » والطباع والطبع بمعنى ، يقال : هو ذو طباع حسن .

(٦) س : « فانه » .

مأمونٍ على الدِّماغ وعلى الخيشوم والسِّماخ[١] ، ويزعمون أنّ عمله [الذى عمله هو[٢]] القصد إلى الأذهان بالفساد[٣] .

وكان يزعم أنَّ كلَّ شيءٍ[٤] يكون رديئا[٥] للعصب فإنّه يكون رديئاً للذِّهن ، وأن البصل [إنما كان] يفسد الذهن ؛ إذ كان رديًّا للعصب ، [وأنّ البَلادرَ[٦] إنما صار يُصلح العقلَ ويورثُ الحفظ ؛ لأنَّه صالح للعَصَب] .

وكان يقول : سواءٌ علىّ أكلت الذِّبان أو أكلت شيئا لا يولِّد إلَّا الذِّبانَ ، وهو لايولِّده [إلَّا هُوَ] . والشيءُلايلد الشيءَ إلّا وهو أولى الأَشياءِ ١١٢ بهِ ، وأقربها إلى طبعهِ[٧] ، وكذلك جميع الأَرحام ، وفيما ينتج أرحام الأَرض[٨] وأرحام الحيوان ، وأرحام الأَشجار ، وأرحام الثِّمَار ، فيما يتولَّد منها وفيها[٩] .

---

(١) السماخ بالكسر : خرق الأذن . جاء فى ط : « الصماخ » ، وهما لغتان .

(٢) الزيادة من س .

(٣) ل : « الفصد » بدل « القصد » ، وهو تصحيف . وفيها أيضا : « إلى الذهن بالإفساد له » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أن كل شىء ردىء » .

(٥) ط ، س : « رديا » بالتسهيل .

(٦) البلادر ، ويقال البلاذر ، لفظه هندى . وهو ثمرة لونها إلى السواد على لون القلب وفى داخلها مادة إسفنجية بها شيىءٌ شبيهبالدم . ومنأسمائه : تمر الفؤاد ، وحب الفهم ، وثمرالفهم . وذكروا أنه يقوى الحفظ ، ولكن الإكثار منه يؤدى إلى الجنون . وانظر قصة تتعلق به فى الألفاظ الفارسية لأدى شير ص ٢٥ .

(٧) ل : « من طبعه » .

(٨) ل : « فيما تنتج من أرحام الأرض » .

(٩) « وأرحام الثمار . . » الخ ساقط من ل .

(حديث أبي سيف الممرور)

وبينما أنا جَالسٌ يوماً فى المسجِد مع فِتيانٍ من المسجديِّين[١] مما يلى أبواب بنى سليم ، وأنَا يومئذٍ حَدَث السّن[٢] إذْ أقْبَلَ أبو سَيف[٣] الممرور — وكان لايؤذى أحداً ، وكان كثير الظَّرْفِ من قومٍ سَراة — حتى وقف علينا ، ونحن نرى فى وجهه أثر الجِدِّ ، ثمّ قال مجتهداً : والله الذى لا إلٰه إلاَّ هو إن الخُرْءَ لحلو . ثمَّ والله الذى لا إلٰه إلاَّ هو [إنَّ الخرء لحلو . ثم والله الذى لا إلٰه إلا هو إنّ الخرء لحلو]، يميناً بَاتَّةً[٤] يسألنى اللهُ عنها يوم القيامة! فقلت له : أشهد أنَّك لا تأكله ولا تذوقُه ، فمن أين علمت ذلك ؟ فإن كنْتَ علمت أمراً فعلِّمنَا ممَّا علمَكَ الله . قال : رأيت الذّبَّان يَسقط على النَّبِيذ[٥] الحلو ، ولا يسقط على الحازِر[٦] ، ويقع على العسل ولا يقع[٧] على الخلّ ، وأراه عَلَى الخُرء أكثرَ منه على التَّمْر . أفتريدون حُجَّةً أبين من

---

(١) المسجديون : طائفة كانت تلزم المسجد الجامع بالبصرة والكوفة . انظر حواشى البيان ١ : ٢٤٣ .

(٢) ل : « وأنا يومئذ حدث » .

(٣) ل ، س : « أبو يوسف » ، وما أثبت من ط أشبه بأنباز الممرورين .

(٤) باتة : قاطعة . ط ، س : « ثانية » ، وهو تحريف .

(٥) ط : « النبذ » ، وتصحيحه من ل ، س . وفى س : « تسقط » فى هذه الجملة ولاحقتها .

(٦) الحازر : الحامض الشديد الطعم . ط ، س : « الحاز » محرف .

(٧) س : « تقع » ، فى الموضعين .

هذه[١] ؟ فقلت : يا أبا سَيْفٍ[٢] بهـذا وشبهه يُعرفُ فضْـلُ الشَّيخِ عَلَى الشابِّ .

(تخلق بعض الحيوان من غَيرِ ذكر وأنثى)

ثُمَّ رَجَعَ بنا القول إلى[٣] ذِكر خلق الذِّبان من الباقلاء . وقد أنكر ناسٌ من العوامِّ وأشْباهِ العوامِّ أن يكونَ شيءٌ من الخلق كانَ من غير[٤] ذكرٍ وأنثى . وهذا جهلٌ بشأن العالَم ، وبأقسام الحيوان . وهم يظنُّون أنَّ على الدِّين من الإقرار بهـذا القول مضرَّةً . وليس الأمر[٥] كما قالوا . وكلُّ قولٍ يكذِّبُه العِيانِ فهو أفحش[٦] خطأ ، وأسخَفُ مذهباً ، وأدلُّ على معاندةٍ شديدة أو غفْلة مفْرطة .

وإنْ ذهب الذَّاهبُ إلى أن يقيس ذلك[٧] على مجازِ ظاهر الرَّأى ،

---

(١) ل : « هذا » .

(٢) كذا فى س ، ط . وانظر التنبيه الثالث من الصفحة السابقة . وفى ل : « أبا يوسف » .

(٣) ط : س : « فى » .

(٤) ل : « نحن » ، وهو تحريف .

(٥) ط ، س : « القول » .

(٦) كلمة : « فهو » ساقطة من ل . و « أفحش » هى فى ط ، س : « فحش » تحريف .

(٧) س : « على أن يقيس ذلك » . ط : « إلى أن لا يقيس ذلك » ، والأخيرة محرفة .

دونَ القطْعِ على غيب حقائق العِلل ، فأجْرَاه فى كلِّ شىء — قال قَوْلاً[1] يدفعه العِيانُ أيضاً ، مع إنكار الدِّين له .

وقد علمنا أنَّ الإنسانَ يأكُلُ الطّعامَ ويشرَبُ الشَّرابَ ، وليس فيهما حيَّةٌ ولا دودةٌ ، فيُخْلق منها[2] فى جوفِه ألوانٌ من الحَيَّاتِ ، وأشكالٌ من الدِّيدان من غير ذَكرٍ ولا أنثى . ولكنْ لابدَّ لذلك الوِلادِ واللِّقاحِ من أنْ يكون عن تناكح طِباع[3] ، وملاقاة أشياءَ تشبه بطباعها الأرحامَ ، وأشياءَ تشبه فى طبائعها ملقِّحات[4] الأرحام .

(استطراد لغوى بشواهد من الشعر)

وقد قال الشاعر :

فاسْتَنْكَحَ اللَّيْلَ البهيمَ فَأَلْقِحَت[5] عن هَيْجِه واستُنْتِجَتْ أحلاما[6]

وقال الآخر :

وإذا الأمُــور تناكَحَتْ فالجُــود أكـرمُها نِتاجا

---

(١) « قال قولا » هو جواب الشرط . وفى ط ، س : « وقال قولا » ، والوجه حذف الواو .

(٢) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « منها » .

(٣) ل : « طبائع » .

(٤) ط : « ملاقات » محرفة . ل : « فى طباعها » .

(٥) الليل البهيم : الشديد الظلمة . ل ، س : « وألقحت » .

(٦) ل : « واستفتحت »، والوجه ما أثبت من ط ، س . والمراد بالأحلام الرؤى .

وقال ذو الرُّمَّة :

وإنِّى لِمدلاجٌ إذا ما تناكَحَتْ مَعَ اللَّيلِ أحلامُ الهِدَانِ المثقَّلِ[١] ١١٣

وقال علىٌّ بن مُعاذ[٢] :

لَلْبَدْرُ طِفلٌ فى حِضَان[٣] الهــوا مُسْتَزْلِقٌ من رَحِم الشَّمْسِ[٤]

وقال دُكينٌ الرَّاجز[٥] ، [أو أبو محمد الفقعسىّ] :

وقــد تعللتُ ذميــل العنْسِ[٦] بالسَّوطِ فى ديمومةٍ كالتُّرسِ[٧]

* إذْ عَرَّجَ اللَّيلَ بروجُ الشَّمس[٨] *

وقال أمية بن أبى الصَّلت :

والأرضُ نوَّخها الإلٰهُ طَرُوقةً للمـاء حتَّى كلٌّ زَنْدٍ مُسْفَدُ[٩]

---

(١) الهدان ، بالكسر : الأحمق الثقيل .

(٢) على بن معاذ: أحد شعراء الدولة العباسية ، وروى عنه الجاحظ فى البيان والتبيين .

(٣) الحضان : مصدر حضن الطائر بيضه . ط ، ل : « حصان » بالمهملة ، صوابه فى س . والهوا أصله الهواء وقصر للشعر . وكتب فى الأصل بالياء ، « الهوى » وصواب كتابته بالألف .

(٤) مستزلق : من أزلقت الفرس : إذا ألقت ولدها تاما . ط : « متزلق » س : « مسترق » .

(٥) تقدمت ترجمته فى ٧٤ من هذا الجزء .

(٦) س : « تغللت » ! وانظر تحقيق هذا البيت فى ص ٧٤ .

(٧) الديمومة : الفلاة الواسعة . ط : « كالندس » وصوابه فى ل ، س . والترس هو ذاك الذى يتوق به المحارب . وجعل الفلاة كالترس فى صلابتها .

(٨) انظر ما سبق فى ص ٧٤ .

(٩) نوخها : أى أبركها . والطروقة ، بالفتح : أنثى الفحل . والزند : هو قرين الزندة ، ومنهما تقتدح النار . فالأول لا فجوة فيه ، وفى الزندة فجوة يدار فيها الزند فيظهر الشرر . والمسفد بفتح الفاء : الذى طلب السفاد فناله . وضبطت فى اللسان بكسر الفاء ، وصوابه ما ذكرت . يقول : إن نظام التلاقح ليس خاصا =

والأرضُ مَعقِلنَا وكانتْ أمَّنا فيها مقابِرُنَا وفيهــا نولد[1]

وذكر أميَّة الأرْضَ فقال :

والطُّوط نزْرعُــه فيهـا فنَلبَسهُ والصُّوف نجتزُّه ما أردف الوَبَرُ[2]

هى القرارُ فما نبْغِى بهاَ بدلا ما أرحَمَ الأرضَ إلاَّ أنَّنا كُفُرُ[3]

وطَعنَةَ اللهِ فى الأعــداءِ نافذةٌ تُعيِي الأطِبَّاءَ لا تَثْوَى لها السُّبُرُ[4]

ثمَّ رجع إليها فقال :

مِنها خُلِقْنَا وكانَتْ أُمَّنا خُلِقَتْ ونحنُ أبناؤها لو أنَّنَا شُكُرُ[5]

= بالأحياء ، بل نراه أيضاً بين الأرض والماء حيث يتغلغل فيها ، ونجده أيضاً بين الزند والزندة اليابسين . وهو معنى شعرى بارع . ط ، س: « زبد » تصحيف . س : « مفسد » ، تحريف . وهذا البيت فى ل هو الثانى فى الترتيب .

(١) كذا فى ل والجزء الخامس ص ٤٣٧ والمخصص (١٣ : ١٨٠) . وفى ط ، س : « نوءد » .

(٢) الطوط ، بالضم : القطن ، أو قطن البردى خاصة . وأردف الوبر : توالى وتتابع ط ، س : « أدفأ » . ورواية البيت فى اللسان هكذا :

والطوط نزرعه أغن جراؤه فيه اللباس لكل حول يعضد

(٣) الكفر ، بضمتين : جمع كفور بمعنى كافر ، وهو يقال للمذكر والمؤنث . ط : « لها بدلا » .

(٤) السبر : جمع سبار بالكسر ، وهو ما يقدر به غور الجراحات ، وهو أيضا الفتيلة تجعل فى الجرح . والمعنى يتجه بكل منهما . وتثوى : تقيم وتستقر . ط ، س : « يلوى » يقال لوى يلوى : انتظر وتحبس . وكل منهما متجه ؛ فإن المعنى أن تلك الطعنة لشدة ما يتدفق منها من دم تدفع بما يوضع فيها دفعا . ومثله قول الآخر :

* ترد على السابرى السبارا *

وقوله :

* ترد السبار على السابر *

(٥) الشكر ، بضمتين : جمع شكور بالفتح .

(ما تستنكره العامة من القول)

وتقول العرب : الشمسُ أرحمُ[١] بنا ! فإذا سمع السامعُ منهم أنَّ جالينوسَ قال : عليكم بالبَقْلةِ الرحيمة - السِّلق[٢] - استشنعه السامع ، وإذا سمع قولَ العرب : الشمسُ أرحم بنا ، وقولَ أميّة :

* ما أَرْحَمَ الأرضَ إلا أنَّنا كُفُرُ *

لم يستشنعه ، وهما سواء . فإذا سمع أهل الكتاب يقولون : إنَّ عيسى ابن مريم أخَذَ فى يده اليمنى غَرْفَةً[٣] ، وفى اليسرى كِسرَةَ خبز[٤] ، ثم قال : هذا أبى، للماءِ ، وهذه أمِّى ، لكسرة الخبز[٥] . استشنعه، فإذا سمعَ قولَ أميّة[٦] :

والأرضُ نَوَّخَها الإلٰه طَرُوقَةً للماءِ حتَّى كل زَنْد مُسفَدُ

لم يستشنعه . والأصل فى ذلك أنّ الزّنَادِقَةَ أصحابُ ألفاظٍ فى كتبهمْ ، وأصحابُ تهويل ؛ لأنَّهم حينَ عدِمُوا المعانىَ ولم يكن عندهم فيها طائل ، مالُوا إلى تكلُّف ماهو أخْصَرُ وأيسرُ وأوجَزُ كثيرًا .

---

(١) انظر الحيوان ٥ : ١٠٢ .

(٢) ط ، س : « السلقة » .

(٣) الغرفة ، بالضم : مقدار ما يغترف المرء بيده . ل : « أخذ فى يده كسرة خبز » .

(٤) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٥) ط ، س : « هذا أبي وهذه أمى لكسرة الخبز والماء » .

(٦) انظر ما سبق من الكلام على هذا البيت ، فى ص ٣٦٣ .

(حُظْوة طوائفَ من الألفاظ لَدَى طوائف من النّاس)

ولكلِّ قَوْمٍ ألفاظٌ حظِيتْ عِنْدَهم . وكذلك كلُّ بليغٍ فى الأرض

١١٤ وصاحِب كلامٍ منثور ، وكلُّ شاعرٍ [فى الأرض[1]] وصاحِبِ كلامٍ موزون ؛ فلا بد من أن يكون قد لهجَ وألف ألفاظاً بأعيانها ؛ ليديرَها فى كلامه وإن كان واسعَ العلمِ غزيرَ المعانى ، كثيرَ اللّفظ . فصار حظُّ الزّنادِقَةِ من الألفاظ التى سبقتْ إلى قلوبهم ، واتّصلت بطبائعهم ، وجَرتْ على ألسنتهم التناكحَ ، والنتائِج[2] ، والمِزاج ، والنُّور والظلمة ، والدفّاع والمنّاع[3] ، والساتر والغَامر ، والمنحلّ[4] ، والبُطلان ، والوِجْدان ، والأَثير والصِّدِّيق[5] وعمود السبح[6] ، وأشكالاً من هـذا الكلام . فَصَارَ[7] وإن كان غريبًا

(١) الزيادة من ل، س . وانظر لنحو هذا البحث سر الفصاحة ٩٨ — ٩٩ .

(٢) ل : « والنتاتج » .

(٣) ط ، س : « والبقاع » .

(٤) هذه ساقطة من ل .

(٥) الصديق يعنون به المؤمن الخالص الإيمان ، وفى اعتقاد المانوية أن الصديق حين يحتضر تحضره أربعة آلهة ، ومعهم ركوة ولباس وعصابة وتاج وإكليل النور، فيلبسونه التاج والإكليل ويعطونه الركوة بيده ، ويعرجون به فى عمود السبح إلى فلك القمر . وانظر بقية الكلام فى الفهرست ٤٦٩ مصر ٣٣٥ ليبسك . ط : « الصداق » س : « الصدا » وصوابهما ما أثبت . وهذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من ل . وسبق فى الجزء الأول ، ص ٧٥ برسم « الصنديد » وهذه أيضا من كلمات الزنادقة . انظر لها الفهرس ٤٦٣ مصر ، ٣٣١ ليبسك .

(٦) السبح : يراد به العروج والصعود إلى السماء . وفى ذلك العمود الوهمى ترتفع التسابيح والتقاديس والكلام الطيب وأعمال البر . ذلك ما قاله مانى . انظر الفهرست ٤٦١ مصر ٣٣٠ ليبسك . فى الأصل: « الصبح » وسبقت فى الجزء الأول ص ٥٧ برسم « السنخ »، وصوابه ما أثبت .

(٧) ط ، س: « نصا » وتصحيحه من ل .

مرفوضاً[١] مهجوراً عنْد أهلِ ملَّتنا ودعوَتِنا ، وكذلك هو عِنْدَ عوامِّنا وجمهُورنا ، ولا يستعملهُ إلاّ الخَواصُّ[٢] وإلَّا المتكلِّمون .

(اختيار الألفاظ وصوغ الكلام)

وأنا أقولُ فى هذا قَوْلا ، وأرجو أن يكون مرضياً . ولم أقلْ « أرجو » لأنى أعلمُ فيه خللًا[٣] ، ولكنِّى أخذتُ بآدابِ وجوهِ أهلِ دعوتى وملَّتى ، ولغتى ،وجزيرتى، وجيرتى؛ وهم العرب. وذلك أنّه قيل لصُحَارٍ[٤] العبدىّ : الرجل يقول لصاحِبه ، عنْدَ تذكيره أياديَه وإحْسانه[٥] : أما نحنُ فإنّا نرجو أن نكونَ قدْ بلغْنا من أداءِ مايجبُ علينا مبلغاً مُرضِيا . وهُوَ يعلم أنّه قَدْ وفّاه حَقّه الواجبَ ،وتفضّل [عليه] بما لايجب . قال صُحار : كانوا يستحبُّون أن يَدَعُوا للقول متنفَّسا ، وأن يتركوا فيه فضلا ، وأن يتجافَوا عن حَقٍّ إن[٦] أرادوه لم يُمنَعوا منه .

فلذلك قلت « أرجو » . فافهَمْ فَهّمَكَ الله تعالى .

---

(١) ط : « من فوضى » ، وصوابه فى ل، س .

(٢) ط ، س : « والخاص » . والكلام من كلمة « عند » الأولى ، إلى « هو » ساقط من ل .

(٣) ل : « لأنى لا أعلم » .

(٤) صحار العبدى تقدمت ترجمته فى (١ : ٩٠) .

(٥) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « ما يقول الرجل لصاحبه عند تذكيره أياديه وإحسانه قال » .

(٦) ل ، « متى » .

فإنَّ رأيي في هذا الضَّربِ من هذا اللفظ ، أنْ أكونَ ما دمتُ في المعاني التي هي عبارتُها ، والعادَة[1] فيها ، أن ألفِظ بالشّيء العتيد[2] الموجود ، وأدَعَ التكلّفَ[3] لِما عسى ألَّا يسلس ولا يسهلَ إلَّا بعد الرِّياضة الطويلة .

وأرى أنْ ألفِظ بألفاظِ المتكلمين ما دُمتُ خائضاً في صناعة الكلام مع خواصِّ[4] أهل الكلام ؛ فإن ذلك أفهمُ [لهمْ] عني[5] ، وأخفُّ لمؤنتهمْ[6] عليّ .

ولكل صناعةٍ ألفاظٌ قد حَصلت لأهلها بعدَ امتحان سواها، فلم تَلزَق بصِناعتهم[7] إلَّا بعدَ أن كانتْ مُشاكَلاً بينها وبين تلك الصناعة[8] .

وقبيحٌ بالمتكلم أنْ يفتقر إلى ألفاظِ المتكلِّمينَ في خُطبةٍ ، أو رسالة ، أو في مخاطبةِ العوام والتجار[9] ، أو في مخاطبةِ أهله وعبْدِهِ وأمته ، أو في حديثه إذا تحدثَ[10] ، أو خبره إذا أخبر .

---

(١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « والعبادة » .

(٢) العتيد : الحاضر المهيأ .

(٣) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « التكليف » .

(٤) ط ، س : « خاص » .

(٥) كذا على الصواب في س، ل . وفي ط : « عندي » .

(٦) ط ، ل : « لمؤنهم » .

(٧) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « بضاعتهم » .

(٨) ط : « وبين تلك المعاني الصناعة » ، والوجه حذف « المعاني » كما في ل ، س .

(٩) ط : « الجار » تحريف .

(١٠) ط : « حدث » . ل : « أو في مجاوبة أهله » .

وكذلك [فإنّه][1] من الخطأ أن يجلِبَ[2] ألفاظ الأعرابِ ، وألفاظ العوامّ وهو فى صناعة الكلام داخل . ولكلِّ مقامٍ مقال ، ولكلِّ صناعة شكل .

(خلق بعض الحيوان من غير ذكر وأنثى)

ثم رجع بنا القول إلى ما يحدث اللهُ عزَّ وجلّ من خلْقه من غير ذكرٍ ولا أنثى . فقلنا : إنّه لابدَّ فى ذلك من تلاقى أمرينِ يقومانِ مقامَ الذّكر والأنثى ، ومقامَ الأرضِ والمطر . وقد تقرب الطّبائعُ من الطبائع ، وإن لم تتحوَّلْ فى جميع معانيها ، كالنطفة[3] والدَّم ، وكاللّبنِ والدَّم . ١١٥

وقد قال صاحبُ المنطقِ : أقول بقولٍ عامٍّ : لابدَّ لجميع الحيوان من دم ، أو من شىء[4] يشاكل الدَّم .

ونحن قد نجد الجيفَ يخلق[5] منها الدِّيدان ، وكذلك العذرة . ولذلك المجوسىُّ كلما تبرَّز ذرَّ على بُرازه شيئاً من التراب ؛ لئلا يخلق منها

(١) الزيادة من ل ، س .

(٢) ط ، س : « يجلب » .

(٣) النطفة : ماء الرجل . ط ، س : « كالنقطة » ، وصوابه فى ل .

(٤) ط ، س : « شكل » .

(٥) ل : « تخلق » .

دِيدان[1] . والمجوسىُّ[2] لايتغوَّط فى الآبار والبلاليع لأنّه بزعمه يُكرم بطنَ الأرض عن ذلك ، ويزعم أنّ الأرضَ أحَدَ الأركان التى بُنِيَتِ العوالمُ الخمسةُ عليها[3] بزعمهم : أبرسارس[4] وأبرمارس[5] وأبردس[6] وكارس[7] وحريرة أمنة[8] . وبعضهم يجعل العوالم ستة ويزيد أسرس[9] ، ولذلك لايدفنون موتاهم ولا يحفرون لهم القبور ، ويضعونهم فى النّواويس وضْعا . قالوا : ولو استطعنا أنْ نخرج تلك الجيف من ظهور الأرضين وأجواف الأحراز ، كما أخرجْناها من بطون الأرَضين[10] لفعلنا . وهم يسمُّون يوم القيامة روز رستهار[11] ، كأنّه يوم تقوم الجيف .

فمن بُغضهم لأبْدَان الموتى سمَّوها بأسمج أسمائهم[12] . قالوا : وعلى هذا المثال أعظمْنا النّار والماء[13] ، وليسا بأحقَّ بالتعظيم من الأرض .

---

(١) « ولذلك المجوسى » . . الخ ، ساقط من س . وفى ط : « وكذلك » .

(٢) ل : « ولذلك المجوسى » .

(٣) كذا فى س . وفى ط : « تنبت » محرفة . ل : « عليها يثبت العوالم الخمسة » .

(٤) ط : « البرسارس » وفى رسائل الجاحظ ١٠٨ ساسى : « ابرشارش » .

(٥) ط : « البرمارس » وفى رسائل الجاحظ : « ابربارش » .

(٦) ابردس هى فى الرسائل : « ايددش » :

(٧) س : « كاومرة » .

(٨) كذا .

(٩) الكلام من مبدإ « ابرسارس » ساقط من ل . وانظر الاستدراكات .

(١٠) الأرضين : جمع أرض . ط ، س : « الأرض » فى الموضعين . والأحراز : جمع حرز ، وهو المكان الحصين . ط . « الأحرار » س : « الأحرا » ل : « الأجواء » ، ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(١١) س : « روز سرهار » ، ط : « روز سهرهار » .

(١٢) ل : « أسمائها » .

(١٣) ل : « عظمنا الماء فالنار » .

وبعد فنحن ننزِع الصِّمامة من رءوس الآنية التى يكونُ فيها بعضُ الشراب ، فنَجد هنالك من الفراش مالم يكن عن[١] ذكر ولا أنثى ، وإنما ذلك لاستحالة بعضِ أجزاءِ الهواء وذلك الشرابِ إذا انضمَّ عليه ذلك الوعاء[٢]. وهذا قولُ ذى الرمَّة وتأويلُ شعره ، حيث يقول :

وأبصَرْنَ أن القِنْعَ صارتْ نِطافُهُ   فَرَاشاً وأنَّ البَقلَ ذاوٍ ويابِسُ[٣]

وكذلك كلُّ ما تخلَّق من جُمَّارِ النَّخلة وفيها[٤] ، من ضروب الخلَق والطَّير ، وأشباه [الطير] ، وأشباه[٥] بناتِ وَردان ، وَالذى يسمَّى بالفارسية فاذو[٦] ، وكالسُّوس ، والقوادح[٧] ، والأَرَضة ، [وَبَنَاتِ وَرْدانَ اللاتى يخلقْن من الأَجذاع والخشب والحشوش[٨] . وقد نجد الأَزَج[٩] الذى يكبس فيه اليخُّ[١٠] بخراسان ، كيف يستحيل كله ضفادِعَ . وما الضِّفدع بأدَلّ عَلَى الله من الفَراش .

---

(١) ط ، س : « عند » والوجه ما أثبت من ل .

(٢) ل : « وإنما ذلك استحالة » . ط : « إذا انضم » ، وصواب الأخيرة فى ل ، س .

(٣) سبق شرح البيت فى ص ٣٤٨ من هذا الجزء . وصدر البيت محرف فى ط هكذا :
* وأبصرت أن النقع صارت لطافة *

(٤) ل : « وكذلك ما يخلق » . . الخ .

(٥) ط ، س : « وأشباه ذلك » .

(٦) ط ، س : « وأن الذى » ، والوجه حذف « أن » كما فى ل . و « فاذو » هى فى ط ، س : « تارداد » .

(٧) القوادح : جمع قادحة ، وهى الدودة . ل: « القوارح » محرفة .

(٨) الحشوش : جمع حش بالضم ، وهو بيت الخلاء .

(٩) الأزج . بالتحريك : بيت يبنى طولا .

(١٠) اليخ : الثلج بالفارسية .

وإنما يستحيل ذلك الثَّلجُ إذا انفتح فيه كقدْر منخر الثَّور ، حتَّى تَدْخُلَه الرِّيح التى هى اللاقحة ، كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾ ، فجعلها لاقحةً ولم يجعلها ملقحة .

ونجد وسْط الدَّهناء — وهى أوسع من الدوِّ ومن الصَّمَّان[1] — وعلى ظهر مسجد الجامع[2] فى غبِّ المطر من الضَّفادِع مالا يُحصى عدُده . وليس أنَّ ذلك كان عن ذكرٍ وأنثى ، ولكنَّ اللهَ خَلقها تلك الساعةَ من طِباع تلك التُّربَةِ وذلك المطر وذلك الهواءِ المحيطِ بهما ، وتلك الرِّيح المتحرِّكةِ . وإنْ زعموا أن تلك الضَّفادعَ كانت فى السَّحاب ، فالذى أقرُّوا به أعجبُ من الذى أنكروه . وإنما تقيم الضَّفادعُ وتتربَّى وتتوالَدُ فى مناقع المياه ، وفى أرض تلاقى ماءً . والسَّحابُ لا يوصف بهذه الصفة . قد نجد الماء يزيد فى دِجْلةَ والفُراتِ فتنزُّ البطون والحفائر التى تليها من الأَرض ، فيُخْلق من ذلك الماءِ السَّمكُ الكثير ، ولم يكن فى تلك الحفائر الحدث[3] ، ولا فى بحر تلك الأرضين شىءٌ من بيض السَّمك .

ولم نجد أهلَ القاطول[4] يشكُّون فى أنَّ الفأر تخلَّق من أرضهم ، وأنَّهُمْ ربَّما أبصروا الفأرَة من قبل أن يتم خلْقُها . فنسبوا بأجمعهم خلق الفأرِ إلى الذكر والأنثى ، وإلى بعض المياه والتُّرَبِ والأجواء والزمان ، كما قالوا فى السمك ، والضَّفادعِ ، والعقارب .

---

(١) الدهناء : اسم لواد فى بادية البصرة . والدو : أرض ملساء بين البصرة ومكة . والصمان : بفتح الصاد ، أرض غليظة فيها ارتفاع قريبة من الدهناء

(٢) يقال المسجد الجامع ومسجد الجامع ، كما فى القاموس . والمراد به مسجد البصرة .

(٣) الحدث : واحد الأحداث ، وهى الأمطار الحادثة فى أول السنة .

(٤) قال ياقوت : نهر كان فى موضع سامرا قبل أن تعمر .

(ضعف اطراد القياس والرأى فى الأمور الطبيعية)

فإن قاس ذلك قائسٌ فقال][1] : ليسَ بين [الذِّبَّان و] بنات وردان و [بين] الزَّنَابير فرق، ولا بين الزَّنَابير والدَّبْر والخنافس[2] فرق ، [ولا بين الزّرازير والخفافيش] ولاَ بين العصافير والزّرازير فرق : فإذا فرغوا من خشاش الأرض صاروا إلى بغاثها ثم إلى أحرارها ، ثم إلى الطواويس والتّدارجِ[3] والزمامج[4] حتى يصعدوا إلى الناسِ . قيل لهم : ليس ذلك كذلك ، [و] ينبغي لكم بَدِيًّا أن تعرفوا الطّبيعة والعادة ، والطبيعة الغريبة[5] من الطبيعة العامّية[6] ، والممكنَ من المُمْتَنِعِ ، وأَنَّ المُمْكِنَ على ضربَين : فمنه الذى لا يزال يكون ، ومنه الذى لا يكاد يكون ، وما علة الكثرة والقلة ، وتعرفوا[7] أنّ الممتنع أيضا عَلَى ضربَين : فمنه ما يكُون لعلةٍ موضوعة يجوز دفعها ، وما كان منه لعِلة لا يجوز دفعها[8] ، [وفصلَ ما بين العلة التى لا يجوز دفعُها] وهى عَلَى كل حالٍ علة ، وبين الامتناع الذى لا علة له إلّا عينُ الشيء وجنسهُ[9] .

---

(١) إلى هنا تنتهى الزيادة التى ابتدأت من ص ٣٧١ س ٨ .

(٢) ل : « وعين الزنابير والخفافيش »، والكلمة الأخيرة محرفة .

(٣) التدارج : جمع تدرج ، وهو طائر مليح مغرد . ط ، س : « التداريج » .

(٤) الزمامج : جمع زمج ، وهو من أنواع البزاة ، وفارسيته « دوبرادران » كما فى القاموس .

(٥) بدل هاتين الكلمتين فى ط ، س : « الغريزة » تحريف .

(٦) المراد بالعامية العامة ، التى لاغرابة فيها ولا شذوذ .

(٧) ط ، س : « يعرفون » ل : « يعرفوا » ووجهه ما أثبت .

(٨) هذه ساقطة من ل وفى ط : « للعلة التى » .

(٩) ط ، س : « الذى لا علة له غير الشيء وجنسه » .

١١٦ وينْبَغِى أنْ تعرفوا فَرْقَ ما بين المحال [و] الممتنع ، وما يستحيل كونُه من الله عزَّ وجلَّ ؛ وما يستحيل كونه من الخلق .

وإذا عرفتم الجواهرَ وحظوظها من القوى ، فعند ذلك فتعاطَوا الإنكارَ والإقرار ، وإلاّ فكونوا فى سبيل المتعلم ، أو فى سبيل [من[1]] آثَرَ الرَّاحة ساعةً عَلَى ما يورِث كدُّ التعلُّم من راحة الأبد . قد يكون أن يجىءَ عَلَى جهة التوليد شىءٌ[2] يبعُد فى الوهم [مَجيئُه ، ويمتنع شىءٌ هو أقربُ فى الوهم[3]] من غيره ؛ لأنّ حقائق الأمور ومغيَّبات الأشياء ، لا تُردُّ إلى ظاهر الرَّأىِ ، وإنما يردُّ إلى الرَّأى ما دخل فى باب الحَزْم والإضاعَة[4] وما هو أصوَبُ وأقربُ إلى نَيل الحاجة . وليس عنـدَ الرَّأى علْمٌ بالنُّجْح والإكداء[5] ؛ كنحو مجىء[6] الزُّجَاج من الرَّمل ، وامتناع الشَّبَهِ والزئبق من أن يتحوَّل فى طبع الذّهب والفضّة[7] . والزئبق أشبـهُ بالفضّة المايعة من الرَّمل بالزجاج الفرعونىّ[8] . والشَّبه الدمشقى بالذهب الإبريز أشبه من الرَّمل بفِلَق[9] الزجَاج النقىِّ الخالص الصافى .

---

(١) الزيادة من ل ، س .

(٢) ط ، س : « قد يكون أو يجىء على جهة التوليد وشىء » ، تحريف .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) كذا فى ل ، س . وفى ط : « الجزم والإضافة » محرف .

(٥) النجح بالضم : النجاح . ط ، س : « بالنصح » محرفة . والإكداء : الخيبة .

(٦) ط : س : « مخارج » ، وصوابه فى ل .

(٧) الشبه نوعان : أحدهما طبيعى يكون بجبال أصبهان . والآخر صناعى يؤخذ جزء من النحاس وعشرة من التوتيا يطعمها بالسبك بعد التنقية . عن تذكرة داود .

(٨) الزجاج الفرعونى : ضرب من الزجاج الصناعى ، تجد صفته فى تذكرة داود . وانظر الاستدراكات .

(٩) فلق : جمع فلقة ، وهى القطعة .

ومن العجب أنّ الزُّجاجَ — وهو مولَّد — قد يجرى مع الذهب فى كثيرِ مفاخِرِ الذّهب ؛ إذْ كان لا يغيِّر طبعَهُ ماءٌ ولا أرض ؛ والفضّة التى ليسَتْ بمولدة[١] إذا دفنت زماناً غير طويلٍ استحالتْ أرضاً . فأمَّا الحديد فإنّه فى ذلك سريعٌ غير بطىء .

وقد زعمَ نَاسٌ أنّ الفرقَ الذى بينهما إنما هو أنّ كلَّ شيءٍ له فى العالم أصلٌ وخميرةٌ ، لم يكن كالشيء الذى يكتسب[٢] ويجتَلب ويلفَّق ويلزّق ، وأن الذّهب لا يخلو من أن يكون ركناً من الأركان قائما منــذ كان الهواء والمـاء والنار والأرض . فإن كان كذلك فهو أبعد شيءٍ من أن يولِّد النّاسُ مثلَه[٤] . وإن كان الذّهب إنمـا حدث فى عمق الأرض[٥] ، بأن يصادف من الأَرض جَوْهَرًا[٦] ، ومن الهواءِ الذى فى خلالهـا جوهرا ، ومن المـاءِ الملابِس لها جوهرا ، وَمن النار المحصورة فِيها جوهرا ، مَع مقدار من طول مُرور الزمان ، ومقدارٍ من مُقَابلات البروج . فإن كان الذّهب إنمـا هُوَ نتيجة [هذه] الجواهِرِ عَلَى هذه الأَسباب[٧] ، فَواجب ألاّ يكون الذهب أبداً إلاّ كذلك .

---

(١) ط ، س : « ليست بمواده » ، ل : « والفضة مولدة » وجعلتها كما ترى .
(٢) ط : « يكتب »، وصوابه فى ل ، س .
(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « قديما » .
(٤) ل : « فهو أبعد للناس من أن يؤلفوا مثله » .
(٥) س : « فى عين الأرض » .
(٦) ط : « جواهر أو » فى المواضع الأربعة . وصوابه فى ل ، س .
(٧) ل : « الأصناف » !

فيقال لهؤلاء : أرأيتم الفأرة التى خُلِقَتْ من صُلْب جُرَذٍ ورحم فأرة ، وزعمتم أنَّها فأرة على[1] مقابلة من الأمور السَّماويّة والهوائيَّة والأرضيَّة ، وكانت نتيجة هذه الخصال ، مع استيفَاء هذِه الصِّفات[2] ؟ أَلَسْنا قَدْ[3] وجدنا فأرة أخرى تهيَّأ لها من أرحام الأرَضِين ، ومن حَضانة الهواء ، ومن تلقيح الماء ، ومن مُقابلات[4] السماويَّات والهوائيَّات ، فالزَّمان أصَارَ[5] جميع ذلك سبباً لفأرة [أخرى] مثلها . وكذلك كلُّ ما عددناه[6]

١١٧ فمن أين يستحيل أن يخلط الإنسانُ[7] بينَ مائيَّة طبيعية ومائيَّةِ جوهَر[8] ؟ إمَّا من طريق التبعيد والتقريب ، ومن طريق الظُّنون والتجريب ، [أ] وْ من طريق أنْ يقع ذلك اتّفاقا ، كما صنع النَّاطف الساقط من يد الأجير فى مُذَاب الصُّفر[9] حتى أعطاه ذلك اللّون ، وجلَب ذلك النَّفع[10] ، ثم إنَّ

---

(١) س : « عن » .

(٢) ط : « مع استبقاء مده صفات » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٣) ط : « التسافد » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٤) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « المقابلات » .

(٥) أصار : جعل . ل : « من الزمان ما صار » .

(٦) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « كلما عددنا » .

(٧) ط ، س : « يحلها إنسان » ، وصوابه فى ل .

(٨) ط ، س : « مأية » ، وصوابه فى ل .

(٩) الناطف : ضرب من الحلوى يصنع من اللوز والجوز والفستق ، ويسمى أيضا القبيطى والقباطى والقبيط — بضم القاف وتشديد الباء فيهن — والقبيطاء كحميراء . انظر القاموس واللسان مع الألفاظ الفارسية ١٢٣ وحاشية الصبان على شرح الأشمونى للألفية (٤ : ٨٨) وحواشى تهذيب الصحاح (نطف) . والصفر ، بالضم : النحاس .

(١٠) ل : « البقع » .

الرِّجالَ دبرْته وزادَتْ ونقَصَتْ ، حتى صارَ شَبَهَا ذهبيًّا . هذا مع النّوشاذر المولّد من الحجارة السُّود[1] .

فلو قلتم: إنَّ ذلك قائمُ الجوازِ فى العقل[2] مطّرد فى الرَّأى ، غير مستحيل فى النَّظَر[3] . ولكنَّا وجدْنا العالَمَ بما فيه من النَّاس منذ كانا فإِنَّ النَّاس يلتمسون [هذا] وينتصبون له[4] ، ويَكلَفون به . فلو كان هذا الأمرُ يجيء من وجه الجمع والتوليد[5] والتركيب [والتجريب ، أ[6]] وْ من وجه الاتفاق ، لقد كان ينبغى أنْ يكونَ ذلك قد ظهر من ألوفِ سنينَ وألوف ؛ إذْ كان هذا المقدارُ أقلَّ ماتؤرِّخ به الأمم ، ولكان[7] هذا مقبولاً غيرَ مردود . وعلى أنَّه لم يتبينْ لنا منه أنَّه يستحيل أنْ يكون الذَّهبُ إلاّ من حيث وجد[8] . وليس قُربُ كونِ الشىءِ فى الوهْم بموجب لكونِه ، ولا بعدُه فى الوهْم بموجبٍ لامتناعه .

ولو أنَّ قائِلاً قال : إنَّ هذا الأَمرَ[9] [إذ] قد يحتاج إلى أنْ تتهيّأ له طباع الأَرض، وطباع الماء ، [وطباع الهواءِ]، وطباع النار، ومقادير حركات

---

(١) النوشاذر ، كذا جاء بالذال المعجمة . وانظر ما سيأتى فى ٥ : ٣٤٩ ط ، س : « والحجارة السود » .

(٢) ل : « القائم الجواز » . ط ، س : « قائم الجوهر فى العقل » ، وجمعت بينهما .

(٣) ل : « العقل » .

(٤) ل : « وينصبون له » .

(٥) ط ، س : « والتفريق »، والأشبه ما أثبت من ل .

(٦) الزيادة من ل ، س .

(٧) ط ، س : « وكان » .

(٨) ل : « وجه »، محرفة .

(٩) ل : « الأصل » .

الفلك ، ومقدارٌ من طول الزمان . فمتى لم تجتمعْ هذه الخصالُ وتكمُلْ هذه الأُمور لم يتمَّ خلق الذَّهب . وكذلك قد يستقيم أنْ يكون قد تهيَّأ لواحدٍ أن يجمع بين [مائتى] شكلٍ [من] الجواهِرِ ، فمزجها على مقاديرَ ، وطبخَها على مقادير ، وأغبّها مقدارًا[١] من الزمان ، وقابلت مقدارًا من حركات الأجرام السماويَّة ، وصادفت العالم بما فيه على هيئة[٢] ، وكان بعضُ ماجرى على يده اتفاقا وبعضه قصدًا ، فلما اجتمعت جاء منها ذهبٌ فوقَعَ ذلك فى خمسة آلاف سنة مرّة ، ثمَّ أراد صاحبُه المعاوَدَة فلم يقدِرْ على أمثال مقادير طبائع تلك الجواهِرِ ، ولم يضبط مقاديرَ ماكان قصَدَ إليه فى تلك المرَّة[٣] ، وأخطأ ما كان وقَعَ له اتِّفاقا[٤] ، ولم يقابل من الفلك مثلَ تلك الحركات ، ولا من العالَم مثل تلك الهيئة ، فلم يُعَدْ له ذلك .

فإن قال لنا هذا القَول [قائل] وقال : بَيِّنُوا[٥] لى موضعَ إحالته ، ولا تحتجُّوا بتباعد [اجتماع] الأُمور فيه ، فإنَّا نقر لكم بتباعدها . هل كان عندنا فى ذلك قولٌ مقنع ، والدَّليل الذى تَثْلج به الصُّدور ؟! وهل عندنا فى استطاعة النَّاس أن يولِّدوا مثل ذلك[٦] ، إلاَّ بأن يُعرَض هـذا القول على العقول

(١) أغبها : جعلها تغب ، أى تمكث . ط ، س : « وأعانها مقدار » .
(٢) س : « هيئته » .
(٣) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « المدة » .
(٤) ل : « وأخطأ ما وقع له اتفاقا » .
(٥) ط ، س : « أثبتوا » .
(٦) ل : « أن يولدوا ناسا » ، وهو تحريف .

السليمة ، والأفهام التّامّة ونردّه إلى الرسُل[١] والـكتب ؟ ! فإذا وجدنا هذه الأُمورَ كلها نَافِيَةً له[٢] كانَ ذلك عندنا هُوَ المقنع . وليس الشأن فيما يظهر اللِّسانُ من الشكّ فيه والتّجويز له ، ولـكن ليردَّه إلى العقل[٣] ؛ ١١٨ فإنّه سيَجده منـكرا ونافيا [له] ، إذا[٤] كان العقل سليماً من آفة المرض ، ومن آفة التخبيل .

(ضروب التخبيل)

والتخبيل ضروب[٥] : تخبيلٌ من المِرَار[٦] ، وتخبيل من الشّيطان ، وتخبيل آخر كالرجل يعمِدُ إلى قَلبٍ رَطْبٍ لم يتوقّح ، وذهن لم يستمِرَّ[٧] ، فَيَحْمِله على الدقيق وهُو بَعْدُ لايفى بالجليل ، ويتخطّى المقدِّمات متسكِّعا[٨] بلا أمَارة ، فرجَع حَسيراً[٩] بلا يقين، وغبَرَ زَمَاناً لايعرف إلّا [الشكوك و]

---

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٢) كذا على الصواب فى ل ، وفى ط ، س : « باقية » .

(٣) ل : « ذهنه » .

(٤) فى الأصل : « فإذا » .

(٥) ل : « ضربان » ، وإنما هى « ضروب » .

(٦) المرار : جمع مرة بالـكسر ، وهى مزاج من أمزجة البدن إذا قوى اختل معه التفكير .

(٧) يتوقح : يصلب . يستمر : يقوى .

(٨) متسكعا : متحيرا . ط ، س : « متكشفا » محرفة عن « متكسعا ». يقال تسكع وتكسع .

(٩) الحسير : المتعب المعيى . ط : « حيران » .

الخواطرَ الفاسدة ، التى متى لاقت القلبَ على هذه الهيئة ، كانت ثمرتها[١] الحيرة . والقلبُ الذى يفسُد فى يومٍ لا[٢] يداوَى فى سنة ، والبناءُ الذى يُنقَضُ فى ساعةٍ لايبنى[٢] مثله فى شهر .

(قولهم : نبيذٌ يمنع جانبه)

ثم رجع بنا القول إلى ذكر الذبان

قيل لِعَلُّويه كلبِ المطبخ : أىُّ شىءٍ معنى قولهم : « هذا نبيذٌ يمنع جانِبَه » ؟ قال : يريدُون أن[٣] الذّبّان لايدنو منه . وكان الرّقاشى حاضراً ، فأنشدَ قول ابن عبدل[٤] :

عَشَّشَ الْعَنْكَبُوتَ فى قَعْرِ دَنِّى ... إنَّ ذا مِنْ رَزِيَّتِي لَعَظِيمْ

لَيتنى قد غَمَرْتُ دَنى حتَّى ... أُبْصِرَ العَنْكبُوتَ فيهِ يَعُومْ[٥]

غَرقاً لا يُغِيثُهُ الدَّهْر إلَّا ... زَبَدٌ فوقَ رأسِهِ مركومْ[٦]

---

(١) س : « ثمرته » ، تحريف .

(٢) ط : « ولا » والوجه حذف الواو كما فى ل ، س .

(٣) ط ، س : « يريدان » .

(٤) هو الحكم بن عبدل الأسدى تقدمت ترجمته فى (٢ : ١٥٤) . وانظر أبياتاً من هذه القصيدة فى ٥ : ٢٩٧ . وهى مقيدة الروى ، أى ساكنته .

(٥) غمرته : ملأته حتى نهايته . وفى الأصل : « عمرت » . والدن ، بالفتح : الراقود العظيم . ط : « ذنى » وصوابه فى ل ، س . وفى ل : « تعوم » والعنكبوت مؤنثة وتذكر قليلا ، وابن عبدل قد جعلها هنا مذكرة بقرائن كثيرة .

(٦) الزبد : ما يعلو الخمر ونحوها . س : « وبز » محرفة . والمركوم : المتجمع .

مخرجاً كفَّه ينادى ذُباباً أن أغِثْنى فإنَّنى مَغْمومْ[1]

قال : دَعْنى فلَنْ أُطِيقَ دُنُوًّا من شَرابٍ يشَمُّهُ المزكومْ[2]

[قال] : والذِّبّان يضرَب به المثلُ فى القَذَرَ وفى استطابة النَّتْن ، فإذا عَجزَ الذُّبابُ عن شمِّ شيءٍ فهو الذى لايكون أنتنُ منه .

ولذلك حينَ رمى ابنُ عبدلٍ محمَّدَ بنَ حَسَّان بنِ سعْد[3] بالبخر ، قال :

وما يدنُو إلى فيـهِ ذبابٌ ولو طُلِيَتْ مَشافِرُه بقَنْد[4]

يَرَيْنَ حَلاوةً ويخفْنَ مَوتاً وَشِيكاً إنْ هَمَمْنَ له بوِرْد[5]

(أبو ذبّان)

ويقال لكلِّ أبخر : أبو ذبَّان ، وكانت فيما زعموا كنيةَ عبدِ الملك بن مروان[6] وأنشدوا[7] قولَ أبى حُزابة[8] :

---

(١) ط ، س : « مخرج » . ل : « مظلوم » .

(٢) لا يشم المزكوم إلا ماكان غاية فى ظهور الرائحة . ل : « يقطر المزكوم » .

(٣) ط ، س : « سعيد » والصواب ما أثبت من ل والأغانى (٣ : ١٤٥) والبيان (٣ : ٧٤) ونهاية الأرب (١٠ ، ٣٠٠) وعيون الأخبار (٤ : ٦٢) حيث يوجد الشعر .

(٤) ل : « فما » . ومشافره أراد بها شفتيه ، ولكنه تهكم . والقند بالفتح : عسل قصب السكر إذا جمد ، معرب : « كند » .

(٥) ط : « يرون » وصوابه فى ل ، س . ل : « ذعافا » بدل : وشيكا » وقد تقدمت أبيات من هذه القصيدة فى (٢ : ٢٥٠ - ٢٥٣) .

(٦) قالوا : كنى بذلك لشدة بخره ، وموت الذبان إذا دنت من فيه . ويحكى أنه عض يوما تفاحة ورمى بها إلى بعض نسائه ، فدعت بسكين فقطعت موضع عضته ، فقال لها : ما تصنعين ؟ قالت : أميط عنها الأذى ! فطلقها من وقته . انظر ثمار القلوب ١٩٧ .

(٧) ط ، س : « وأنشد » :

(٨) ط ، س : « ابن خرابة » ، وتصحيحه من ل . وقد تقدمت ترجمته فى (١ : ٢٥٥) .

أمسى أبو ذبّانَ مخلوعَ الرَّسَنْ[1] خَلْعَ عِنانٍ قارحٍ مِنَ الُحصُنْ[2]

* وقد صفَتْ بَيْعَتنا لابن حسن[3] *

١١٩ (شعر فيه هجاء بالذباب)

وقال رجلٌ يهجو هلالَ بنَ عبد الملك الهُنَائيَّ[4] :

ألا مَن يَشْتري مِنِّى هِلالاً مَوَدَّتَه وخُلَّتَه بفَلْسِ

وأبرأ للذى يبتاعُ مِنِّى هلالاً مِن خصالٍ فيه خَمْسِ[6]

فمنهنَّ النغانِغُ والمكاوِى وآثارُ الجروحِ وأكْلُ ضِرْسِ[7]

ومن أخْذِ الذباب بإصبعَيهِ وإن كانَ الذُّبابُ برأسِ جَعْسِ[8]

---

(١) ل : « أضحى » . والرسن ، بالتحريك : الزمام للدابة يوضع على الأنف .

(٢) س : « خلع عناق » ، وهو تحريف صوابه فى ل ، ط . والقارح : الذى انتهت أسنانه ، وإنما تنتهى فى خمس سنين . والحصن : جمع حصان . ط ، س : « الرش » تحريف .

(٣) ط ، س : « لابن الحسن » ، وهما وجهان جائزان فى العربية . جاء فى المخصص (٧١ : ٤٦) فى الكلام على إدخال (أل) ونزعها من الأعلام التى كانت فى أصلها صفات : « والعرب قد تفعل هذا ؛ لأنهم ربما قالوا : العباس وعباس ، والحسن وحسن » .

(٤) الهنائى : نسبة إلى هناءة ، كثمامة ، وهى قبيلة يمنية . انظر المعارف ٤٩ . ط ، س : « الهنانى » ، ل : « الهنأى » ، ووجهه ما كتبت .

(٥) ل : « وخلطته » .

(٦) ل : « ويشترط الذى » ، تحريف .

(٧) النغانغ : جمع نغنغ ، كبرقع ، وهو لحمة فى الحلق . أراد أنه يمرض بها أبداً . والمكاوى : جمع مكواة ، التى يعالج بها الجروح ونحوها . ل : « والمكادى » ولا تصح . و : « آثار » بدلها فى ل : « آلات » . وأكل الضرس : أراد به فساده .

(٨) الجعس ، بالفتح : الرجيع . ل : « ولو كان » .

(قولٌ فى آية)

قالوا: وضرب الله عزَّ وجلَّ لضعف النَّاسِ وعجْزهم مثلاً، فقال: ﴿يا أيُّها النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فاسْتَمِعُوا لَهُ إنَّ الذينَ تَدْعون مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَه وَإنْ يَسْلُبْهُمَ الذُّبَابُ شَيْئاً لايَسْتَنْقِذوهُ مِنْه ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمطْلُوبُ﴾ فقال بَعْضُ النَّاس: قَدْ سَوّى بين الذِّبّان والنَّاسِ فى العجْز. وقالوا: فقدْ يولِّد النّاس من التَّعفين الفَراشَ [وغيرَ الفَراش[1]] وهذا خلقٌ، على قوله: ﴿وَإذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾، وعلى قوله: ﴿أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾، وعلى قول الشاعر[2]:

وأرَاكَ تَفْرِى مَا خَلَقْتَ وبَعْـ ... ـضُ الْقوْمِ يخْلُقُ ثمَّ لايَفرى[3]

قيل لهم: إنما أراد الاختراع، ولم يرد التَّقدير[4].

---

(١) الزيادة من ل، س.

(٢) هو زهير، من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان. فى ديوانه ص ٦٠ - ٦٤.

(٣) تفرى: تقطع. خلقت: قدرت وهيأت. يقول: إذا تهيأت لأمر أمضيته وأنفذته.

(٤) أى إن المراد من الخلق فى الآية الأولى هو الاختراع لا التقدير. وأما فى الآيتين بعدها والشعر فالمراد التقدير، لا الاختراع والابتداع.

(قولٌ فى شعر)

وأمّا قول ابن ميّادة :

ألا لانُبالى أنْ تُخندِفَ خندِفٌ   ولسْنا نُبالِى أن يَطِنّ ذُبابها[1]

فإنّما جعل الذُّباب هاهنا مثلا ، وقد وضعَه[2] فى [غير] موضع تحقير [له] و [موضع] تصغير . وهو مثل قوله :

بنى أسَدٍ كونُوا لمن قد علمتُم   مَوَالِىَ ذلّتْ للهَوَانِ رِقابُها[3]

فلو حاربتْنا الجنُّ لم نرفع العَصَا   عن الجنِّ حتّى لاتَهرَّ كلابُها[4]

وليس يريد [تحقير[5]] الكلاب .

(استطراد لغوى)

ويقال : هو ذباب العين ، وذباب السَّيف . ويقال تلك أرضٌ مَذَبَّة ، أىْ كثيرة الذُّباب .

---

(١) تخندف : تمشى مشية كالهرولة ، ومن ذلك ما سميت القبيلة خندفا . ل : « تخندق » س : « تجيد » ، والوجه ما فى ط . وفى س : « تطن ذبابها » ، والذباب يذكر ويؤنث ؛ إذ كل جمع يكون بينه وبين واحده الهاء فإنه يذكر ويؤنث .

(٢) ط ، س : « وصفه » ، وصوابه فى ل .

(٣) ل : « كن » ، ويتجه بها المعنى أيضاً .

(٤) ط ، س : « ولو » ط : « القنا » وهو جمع قناة .

(٥) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إلى مثلها .

وقال أبو الشَّمقْمَقِ فى هِجائه لبعض من ابتُلى به :

أسمج النّاسِ جميعاً كلِّهم كذُبَابٍ ساقطٍ فى مَرَقَهْ

[ويقال إن اللبن إذا ضرب بالكندس[1] ونضح به بيت لم يَدْخله ذبّان] .

(أبو حكيم وثمامة بن أشرس)

وسمعت أبا حكيم الكيمائى[2] وهو يقول لثمامةَ بنِ أشرس : قلنا لكم إنّنا ندلكم على الإكسير[3] ، فاستثقلتم الغُرْم ، وأردتم الغُنم بلا غُرم . وقلنا لكم : دَعُونا نصنع هذه الجسور [صنعةً لاتنتقض أبداً ، فأبيتم . وقُلنا لكم : ماترجُون من هذه المسنّيات[4]] التى تهدمها المُدود[5] ، وتخرِّبها المراديّ[6] ؟ ! نحنُ نعمَل لكم مسنّياتٍ[7] بنِصف هذه المئُونةِ ، فتبقى لكم

(١) الكندس ، كقنفذ : عروق نبات داخله أصفر وخارجه أسود .

(٢) ط : « الكيماوى » . س : « الكيمائى » .

(٣) فى مفاتيح العلوم ١٥٠ : « ملح الإكسير : هو الدواء الذى إذا طبخ به الجسد المذاب جعله ذهبا أو فضة ، أو غيره إلى البياض أو الصفرة » .

(٤) المسنيات : الأحباس تبنى فى الأودية .

(٥) المدود : جمع مدّ ، بالفتح ، وهو السيل أو كثرة الماء .

(٦) المرادى : جمع مردى ، كشرطى ، وهو خشبة تدفع بها السفينة . ويسميها عوام مصر « المدرى » بكسر الميم والقصر . ط ، ل : « المدارى » وصوابه فى س .

(٧) المسنيات قد فسرت . ط : « مسببات » س : « مسنات » وصوابه فى ل .

أبداً . ثمَّ قولوا للمُدرد أن تجتهد جهدَها ، وللمَرَادِيِّ[١] أنْ تبلغ غايتها [فأبيتم] . وقولوا لى:[٢] الذُّباب ماترجَون منها[٣] ؟ و [ما] تشتهون من البَعُوض ؟ وما رغْبَتُكُمْ فى الجرجِس[٤] ؟ لم لاتَدَعُونى أخرجُها من

١٢٠ بيوتكم بالمُئونَة اليسيرة ؟ وهو يقول هذَا القولَ وأصحابُنا يضحكون ، وابن سافرى جالسٌ يسْمع[٥] ، فلما نزلنا أخذ بيده ومضى به إلى منزله ، فغدَّاه وكساه وسَقاه ، ثمَّ قال له : أحببتُ[٦] أنْ تخرج البَعُوضَ من دارى . فأمَّا[٧] الذُّباب فإنى أحتمله . قال : ولم تحتمل الأذى وقد أتاك اللهُ بالفَرج[٨] ؟ قال : فافعلْ . قال : لابدَّ لى من أن أخلط أدوية [وأشترى أدوية]. قال : فكم تريدُ ؟ قال : [أُريد] شيئاً يسيراً . قال : وكم ذاك[٩] ؟ قال : خمسون ديناراً[١٠] . قال : ويحك ! خمسون يقال لها يسير[١١] ؟ ! قال:

---

(١) المرادى سبق تفسيرها فى ٣٨٥ . ط ، ل : « للمدارى » وصوابه فى س .

(٢) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « إلى » .

(٣) ط ، س : « منه » .

(٤) الجرجس : لغة فى القرقس ، وهو البعوض الصغار . ط ، س : « رغبكم » .

(٥) ابن سافرى ، هو كذلك فى ل والبخلاء ١٧٦ . وفى ط ، س : « ابن مسافر » . وفيهما أيضاً : « يستمع » .

(٦) ل : « أحب » .

(٧) ط فقط : « وأما » .

(٨) كذا فى ل . وفى ط ، س : « قد جاءك الله بالفرج » .

(٩) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فكم مبلغه » .

(١٠) ط ، س : « أريد خمسين ديناراً » .

(١١) ل : « وخمسون يسير » .

أنت ليسَ[١] تشتهي الرَّاحـة من قذَر الذِّبَّان ولسع البعوض ! ثمَّ لبس نعليه[٢] وقام على رجليه . فقال له : اقعد . قال : إن قعدْتُ قبل أن آخذَها ثمَّ اشتريت دواءً بمائَة دينار لم تنتفعْ به[٣] ؛ فإنّى لست أدَخِّنُ هـذه الدُّخْنة[٤] ، إلاَّ للذين إذا أمرتهم بإخراجهنَّ أخرَجُوهن . ولا أُكتمكَ ما أُريدُ ؛ إنِّى لست أقصد إلاَّ إلى العُمَّار[٥] . فما هو إلاَّ أنْ سمع بِذكر العُمَّار[٦] حتى ذهب[٧] عقله ، ودعا له بالـكيس [وذهب][٨] ليزن الدَّنانير ، فقال له : لا تشقَّ على نفسك ! هاتها بلا وزنٍ عددًا[٩] ، وإنَّما خاف أن تحدث حادثَةٌ ، أو يقع شغل ، فتفوت . فعدَّها وهو زَمِعٌ[١٠] فغلط بعشرة دنانير ، فلمـا انصرف وزنها وعدَّها فوَجَدَ دَنانيرَه[١١] تنقص ، فبكَرَ عليه يقتضيه الفَضْل[١٢] ، فضحك أبوحكيم حتَّى كاد يموت ، ثُمَّ قال :

---

(١) كذا فى ل ، س . وفى ط : « لست » .

(٢) ل : « خفه » .

(٣) ط ، ل : « تنفع » .

(٤) ط : « أدخل » ل : « الدخن » .

(٥) العمار : سكان البيوت من الجن فيما يزعمون . ط ، س : « القمار » وتصحيحه من ل .

(٦) ط ، س : « فما هو إلا صلك سمعه بذكر القمار » ، وفيه تحريف .

(٧) ط ، س : « فذهب » .

(٨) هذه من س .

(٩) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « وعدد » .

(١٠) زمع : دهش . ل : « فيعدها وهو زيغ »، تحريف .

(١١) ط : « فوجدنا دنانير »، محرف .

(١٢) بكر عليه ، جاء إليه بكرة فى أول النهار . ط ، س : « فكتب إليه »، محرف والفضل : الفرق .

تسألني عن الفرع وقد استُهلكَ الأصل ؟ ! [ولم يزل] يختلفُ إليه ويدافعُه حتَّى قال له ثمامة : ويلك أمجنونٌ[1] أنت ؟ ! قد ذهب المالُ والسُّخريه مستورة . فإن نافرْتَه فضَحْتَ نفسَك ، وربحتَ عداوة شيطانٍ هُوَ واللهِ أضَرُّ عليكَ من عُمَّارِ بيتِك ، الذين ليسَ يخرجون عنك[2] الذبابَ والبعوضَ بلا كُلفة ، مع حقِّ الجوار . قال : هم سكَّانى وجيرانى . قالوا : لو كان سمع منك أبو حكيم هذه الكلمة لكانت الخمسون دينارًا مائةَ دينار ! !

(شعر فى أصوات الذُّباب وغنائها)

ومما قيل فى أصوات الذباب[3] وغِنائها ، قال المثقِّب العبدىُّ[4] :

وتسمَعُ للذِّبابِ إذا تغنَّى كتغريد الحمامِ على الغُصونِ

وقال آخر :

حُوٌّ مَسارِبُهُ تَغَنَّى فى غَياطِله ذبابُه[5]

---

(١) ط ، س : « ويلك يامجنون » .

(٢) ط : « ليسوا يخرجون عنه » .

(٣) س : « الذبان » .

(٤) المثقب العبدى : شاعر جاهلى من شعراء البحرين ، مسكن قبيلة عبد القيس . واسمه محصن ، بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الصاد المهملة . وأبوه ثعلبة ابن وائلة بن عدى . والمثقب : اسم فاعل من ثقب ، سمى بذلك لقوله :

ردِدن تحية وكنن أخرى وثقبن الوصاوص للعيون

خزانة البغدادى (٤ : ٤٣١ بولاق) ومعجم المرزبانى ٣٠٣ والشعراء ٨٨ .

(٥) حو : جمع أحوى ، وهو الضارب إلى السواد لشدة خضرته . والمسارب : المراعى والغيطل : الشجر الملتف .

وقال أبو النجم :

أُنفٌ تَرى ذُبَابها تعَلّهِ(1) من زَهَرِ الرَّوْضِ الذى يكَلِّلُهْ(2)

وقال أيضاً :

[والشيخ تهديه إلى طحمائه](3) فالرَّوضُ قد نوَّر فى عَزَّائه(4)

مختلفَ الألوان فى أسمائِه(5) نَوْرًا تخال الشَّمْسَ فى حمرائِه(6)

مكلَّلاً بالوردِ من صفرائِه يجاوب المكَّاءَ من مُكَّائِه(7)

صوتُ ذُبابِ العُشْبِ فى دَرْمائِه(8) يَدْعُو كأنَّ العَقْبَ مِنْ دُعائه(9)

صوتُ مُغَنٍّ مَدَّ فى غِنائه

١٢١

وقال الشَّماخ :

يكلفها ألاَّ تخفِّضَ صَوْتَها أَهازيجُ ذِبَّانٍ عَلَى عُودِ عَوْسَجِ(10)

بعيدُ مَدَى التّطريبِ أوَّلُ صَوْتِه سَحِيلٌ وأَعلاهُ نَشِيجُ المحْشرجِ(11)

---

(١) أنف : أى روضة أنف بضمتين ، وهى التى لم يرعها أحد . وأسكن النون للشعر . ط : « أتعترى » وصوابه فى ل ، س ، واللسان (أنف) . وتعلّه : من علله بالطعام : شغله به . وضمير « ذبابها » عائد إلى الروضة الأنف . ط ، س : « ذبابة » محرفة . وفى اللسان : « ذبانها » .

(٢) يكلله : يحفه من كل جانب . ل : « من زهر النور »، تحريف .

(٣) فى هذه الزيادة تحريف .

(٤) العزاء : الأرض التى لبدها المطر فشددها . انظر اللسان . ط : « عزائنه » وتصحيحه من س . ل : « حوائه » .

(٥) ل : « من أسمائه » .

(٦) أى تخال أنت الشمس فى أزهاره الحمراء ، فلونهما واحد . ل : « تحار الشمس » .

(٧) المكاء بضم الميم والتشديد : ضرب من القنابر له صفير حسن .

(٨) الدرماء : نبت ليس بشجر ولا عشب ، ينبت على هيئة الكمء .

(٩) العقب ، بالفتح : بمعنى التوالى والملاحقة . ط ، س : « كذى العقب من بكائه » ، صوابه من ل .

(١٠) أهازيج : جمع أهزوجة ، وهو هنا صوت طيران الذباب . ط : « أهاريج » بالراء وصوابه فى س . والبيتان ساقطان من ل . ولم أجد هذا البيت فى ديوان الشماخ ، وبدله فى صفة امرأة :

منعمة لم تلق بؤس معيشة ولم تغتزل يوماً على عود عوسج

(١١) مدى التطريب : غاية ترجيع الصوت . والسحيل : أشد نهاق الحمار . ط : =

(المغنّيات من الحيوان)

والأجناس التي توصف بالغِناء أجناسُ الحمام والبعوض ، وأصناف الذِّبّان من الدَّبْر ، والنَّحلِ ، والشَّعْراء ، والقَمَع[١] والنُّعَر[٢] . وليس لذِبّان الكلب غِناء ، ولا لما يخرُجُ من الباقلاء . قال الشاعر :

تذبّ عنها بأثيثٍ ذائِلِ ذِبّان شَعْرَاءَ وَصيفٍ ماذِلِ[٣]

(ألوان الذِّبّان)

وذِبّان الشَّعْرَاء حُمر . قال : والذّبّان التي تُهلِكُ الإبلَ زُرق . قال الشاعرُ[٤] :

تربَّعَتْ والدَّهرُ ذو تصفُّق[٥] حَاليةً بذى سَبِيبٍ مونِقِ[٦]

إلاَّ منَ أصواتِ الذبّاب الأزرق[٧] أو من نقانق الفَلا المنقْنق[٨]

= « سيحل » س : « سجل » وصوابه في الديوان ١٤ . والنشيج : الصوت يتردد في الصدر . والمحشرج : الذي يغرغر عند الموت . والبيت في صفة حمار .

(١) القمع بالتحريك : ذباب يركب الإبل والظباء إذا اشتد الحر .

(٢) النعر : ذباب أزرق يلسع الدواب . س : « الثعر » ل : « النغر » وهما تصحيف مافي ط .

(٣) الأثيث : الكثير الشعر . والذائل : الطويل . وقد عنى به : الذيل . وانظر ص ٣١٤.

(٤) الأولى أن يقول : الراجز . والكلام من « قال الشاعر » إلى نهاية الرجز ساقط من ل .

(٥) تربعت : يعنى الإبل أكلت الربيع . والتصفق : التقلب والتحول .

(٦) حالية : مزينة ، أراد روضة . والسبيب واحدته سبيبة ، وهى العضاه تكثر في المكان . أو أراد بالسبيب : ذوائب الأشجار . والمونق : المعجب .

(٧) ط : « الأزق » ، تطبيع صوابه في س .

(٨) « نقانق » بدلها في س : « تفانع » . وأحسبهما محرفتين .

والذِّبَّان الذى يسقط على الدواب صُفر (١) .

وقال أرطاة بن سُهَيَّة ، لزُميل بن أمِّ دينار (٢) :

أزميل إنِّى إن أكنْ لك جازيا أَعْكِرْ عليكَ وإن ترُحْ لاتسْبِقِ (٣)

إنِّى امروٌّ تجد الرِّجال عدَاوتى وجْدَ الرِّكاب من الذُّبابِ الأزْرق

وإذا مرَّ بك الشِّعر الذى يصلح للمثل وللحفظ (٤) ، فلاَ تَنْسَ حظَّكَ من حِفظه .

وقال المتلمِّس :

فهذا أوَانُ العِرْض حَيَّ ذُبَابُهُ زنابيرُه والأزرَقُ المتلمِّسُ (٥)

وبه سمِّى المتلمِّس .

---

(١) ط : « أصفر » .

(٢) زميل بن أم دينار : أحد بنى مازن بن فزارة ، أحد بنى عبد مناف . وأبوه أبير بالتصغير ، أو وبير ، أو دبير ، وهو قاتل ابن دارة فى خلافة عثمان ، وهو من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام . المؤتلف والمختلف ١٢٩ ، والإصابة ٣٩٧٣ ، والخزانة ٢ : ١٢٨ سلفية . ط ، س : « بن أم زبير » ، وصوابه فى ل ، والخزانة . وأرطاة بن سهية : هو ابن زفر بن عبد الله الغطفانى المزنى ، شاعر مشهور . وسهية أمه . أدرك الجاهلية ، وعاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان . وكان يكنى أبا الوليد ، وهى أيضاً كنية عبد الملك . فقال من شعر :

وما تبغى المنية حين تأتى على نفس ابن آدم من مزيد

وأعلم أنها ستكر حتى توفى نذرها بأبى الوليد

فارتاع عبد الملك وظن أنه أراده . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما عنيت نفسى فسكت . ونسب فى الحماسة ١ : ١٤٩ إلى سالم بن دارة .

(٣) ل : « يازمل » ى : « جازيا » بدلها فى ل : « حاديا » ، وهذه الأخيرة لاتصح وأعكر عليك : أغلبك أو أكر عليك . و « ترح » هى فى ط : « تزع » .

(٤) ل : « يصلح لمكانه ، ولأن تحفظه » .

(٥) بهذا البيت سمى المتلمس . وهو شاعر جاهلى اسمه جرير بن عبد المسيح الضبعى كما فى الشعراء . والعرض — بالكسر — : كل واد فيه شجر . وحى ذبابه : من الحياة والمراد هنا الانتعاش ، ويروى : « جن ذبابه » وجنونه : كثرة طنينه . ط : « ذبابة » صوابه فى ل ، س . س : « حتى » وهى تحريف .

وقال ابن ميّادة :

بعَنْتَريسٍ كأنَّ الدَّبْرَ يلسَعُها إذا تغــرَّدَ حادٍ خلفَها طَرِدُ ،[1]

(ما يسمَّى بالذِّبّان)

والدَّليل على أنَّ أجناسَ النَّحْل والدَّبْر كلّها ذِبَّان ، ما حدث [بِه] عبَّاد بن صُهيب ، وإسماعيل المكّيّ[2] عن الأعمش ، عن عطيَّة بن سعيد العَوْفى[3] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كلُّ ذُبابٍ فى النارِ إلاَّ النَّحلة » .

وقال سليمان : سمعت مجاهدًا يكرهُ قتل النَّحل وإحراقَ العِظام . يعنى فى الغزو .

وحدثنا عَنْبسة قال : حدّثنا حنْظَلة السّدُوسىُّ قال : أنبأنا[4] أنسُ ابن مالك ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : « عمر الذّبابِ أربعون يوما . والذُّبَاب فى النار » .

---

(١) العنتريس : الناقة الصلبة القوية الجريئة . وانظر الأغانى ٢ : ١٠٢ .

(٢) ل : « عن إسماعيل المكى » .

(٣) ل : « العونى » وصوابه فى ط ، س كما فى تقريب التهذيب . قال ابن حجر : عطية بن سعد بن جنادة – بضم الجيم بعدها نون خفيفة – العوفى الجدلى – بفتح الجيم والمهملة – ، الكوفى ، أبو الحسن . صدوق يخطئ كثيراً . مات سنة إحدى عشرة يعنى بعد المائة . وترى أنه جعل أباه سعداً لاسعيدا .

(٤) ل : « حدثنا » .

(بحث كلامىّ فى عذاب الحيوان والأطفال[١])

وقد اختلف النّاس فى تأويل قوله : « والذباب فى النار » وقال قوم : الذّباب خلقٌ خُلق للنّار ، كما خلق الله تعالى نَاساً كثيراً للنّـار ، وخلق أطفالاً للنَّار . فهؤلاء قومٌ خلعوا عُذُرَهم[٢] فصارَ أحدهم إذا قال : ذلك ١٢٢ عَدْلٌ من الله عزَّ وجلّ ؛ فقد بلغ أقصى العذر ، ورأى أنَّه إذا أضاف إليه عذابَ الأطفال فقد مجَّده . ولو وجد سبيلاً إلى أَنْ يقول إنَّ ذلك ظُلم لقاله[٣] ولو وجد سبيلاً إلى أن يزعم أنَّ الله تعالى يخبرُ عن شَىْءٍ[٤] أنّه يكون وهو لا[٥] يكون ، ثم يقول إلاّ[٥] أنّ ذلك صدق لقاله . إلاّ أنّه[٦] يخاف السَّيف عند هذه ، ولا يخاف السَّيف عند تلك . وإن كانتِ تلكَ أعظمَ فى الفِريةِ مِن هذه .

وبعضهم يزعُم أنَّ الله عزَّ وجلَّ إنَّمَا عذَّبَ أطفالَ المشركين ليغمَّ بهم آباءهم[٧] . ثمَّ قال المتعاقِلون منهم : بل عذّبهم لأنّه هكذا شاء ، ولأنَّ هذا له . فليت شعرى [أ] يحتسب بهذا القول فى باب التمجيد لله تعالى ؛ لأنّ

---

(١) انظر مثل هذا البحث فى الفرق بين الفرق ١٣١ .

(٢) جمع عذار ، وهو من اللجام ماسال على خد الفرس . وخلع العذار كناية عن التشاطر كما فى الأساس .

(٣) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٤) ط : « الشىء » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٦) بدلهما فى ل : « ولكن » .

(٧) كلمة : « بهم » ساقطة من ل . و « آباءهم » رسمت فى ط ، س : « آبائهم » خطأ .

كل من فعل ما يقدر عليه فهو محمود ، وكل من لم يخف سوط أمير فَأتى[١] قبيحاً فالذى يحسن[٢] ذلك القبيحَ أنّ صاحبَه كان فى [موضع][٣] أمن ، أو لأنّه آمنٌ يمتنع[٤] من مطالبة السلطان . فكيف وكون الكذب والظُّلم والعبث واللهو والبُخْل[٥] كلِّه محال ممَّن لا يحتاج إليه ، ولا تدعوه[٦] إليه الدواعى ! !

وزعم أبو إسحاقَ أنّ الطّاعاتِ إذا استوَتْ استوى أهلُها فى الثَّواب ، وأنّ المعاصىَ إذا استوتْ استوى أهلُها فى العقاب . وإذا لم يكن منهم طاعةٌ ولا معصية استوَوْا فى التفضُّل[٧] .

وزعم أنَّ أجناس الحيوان [وكلَّ شىءٍ] يحسُّ ويألم ، فى التفضُّل[٧] سواء .

وزعم أنّ أَطفالَ المشركين والمسلمينَ كلَّهم فى الجنّة . وزعم أَنّه ليس بينَ الأطفالِ ولا بينَ البهائم والمجانين فرق ، ولا بين السِّباع فى ذلك وبين البهائم فرق .

---

(١) ط : « أتى » تحريف .

(٢) ط : « يحس » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٣) من ل ، س :

(٤) ل : « أم لأنه يمتنع » و « أم » تحريف .

(٥) ط ، س : « والضحك » .

(٦) ط ، س : « تدعو » .

(٧) أى تفضل الخالق بالثواب . ط ، س : « بالتفضيل » محرف .

وكان يقول : إنّ هذه الأبدان السبُعيّة والبهيمية لا تدخل الجنّة ، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ ينقُل تلك الأرواحَ خالصةً من تلك الآفات ؛ فيركِّبها فى أىِّ الصُّور أَحبَّ[1] .

وكان أبو كلدة[2] ، ومَعْمَر ، وأبو الهُذَيل ، وصحصح[3] ، يكرهون هذا الجواب ، ويقولون : سواءٌ عند خواصِّنا[4] وعوامِّنا ، أَقلنا : إنَّ أَرواحَ كلابنا تصيرُ إلى الجنّة ، أم قلنا : إنَّ كلابَنا تدخل الجنّة[5] . ومتى ما اتَّصل كلامُنا بذكر الكلب على أىِّ وجهٍ كان ؛ فكأنّا عِنْدَهم قد زعمنا أنّ الجَنّة فيها كلاب . ولكنّا نزعم أنّ جميع ما خلقَ الله تعالى مِنَ السِّباع والبهائم والحشَرات والهمج [فهو] قبيح المنظرة مؤلم، أَو حسن المَنظرةِ[6] مُلِذّ؛ فما كان كالخيل والظباء، والطواويس ، والتّدارِجِ[7] فإنَّ تلك [فى] الجَنّة ، ويَلَذُّ[8] أَولياءُ الله عَزَّ وجلَّ بمَناظرها . وما كان منها قَبيحاً فِى الدُّنيا مؤلِمَ النظر

---

(١) ط ، س : « الصور الحسان أحب » . وكلمة « الحسان » مقحمة .

(٢) أبو كلدة : سبق له حديث فى الجزء الأول ص ٢٣٤ .

(٣) كان صحصح ذا مذهب غريب فى « تفضيل النسيان على كثير من الذكر ، وأن الغباء فى الجملة أنفع من الفطنة ، وأن عيش البهائم أحسن موقعاً فى النفوس من عيش العقلاء » . وتجد حجته لذلك فى البخلاء ص ٥ .

(٤) ل : « خصومنا » .

(٥) ط ، س : « تدخل » بدل : « تصير إلى » . والكلام من « أم » ساقط من س : وبدلها فى ط : « أو » ، والوجه « أم » كما فى ل .

(٦) المنظرة : المنظر ، وبهذه الأخيرة جاءت فى ط ، س .

(٧) التدارج : جمع تدرج ، وهو ضرب من الطير . ط ، س : « التداريج » .

(٨) ط ، س « وتلك » وصوابه فى ل .

جعله الله عذاباً إلى عذاب أعدائه فى النَّار . فإذا[1] جاء فى الأثر : أنَّ الذّباب فى النّار ، وغير ذلك من الخلق ، فإنّما يراد به هذا المعنى .

١٢٣ وذهب بعضهم إلى أنها تكون فى النَّـار ، وتلَذُّ ذلك[2] ، كما أنَّ خَزَنَةَ جهنَّمَ والذين يتولَّون من الملائكة التَّعذيبَ ، يلذُّون موضعَهم من النار .

وذهب بعضهم إلى أنَّ الله تعالى يطبَعهُم على استلذاذ النَّار والعيشِ فيها ، كما طبع ديدان[3] الثَّلج والخلِّ على العيش فى أماكنها .

وذهب آخرون إلى أنَّ الله عزَّ وجلَّ يحدث لأبدانهما علَّةً لاتصل النّار إليها ، وتنعم قلوبهما وأبدانهما من وجه آخر كيف شاء[4] . وقالوا: [و] قد وجدْنا النّاسَ يحتالون لأنفسهم فى الدُّنيا حِيلاً ، حتى يدخُل أحدُهم بَعضَ الأتاتين[5] بذلك الطلاء ، ولا تضرُّه النار ، وهو فى معظمِها ، وموضع الجاحم[6] منها . ففَضْلُ ما بينَ قدرةِ الله وقُدرة عباده أكثر من فضل ما بينَ حَرّ نار الدُّنيا والآخرة[7] .

---

(١) ل ، ط : « إذ » ، ووجهه من س .

(٢) ط ، س : « تلذ بذلك » وأثبت مافى ل . وهما صحيحتان . قال الزبير بن العوام يرقص ابنه عروة (البيان ١ : ١٨٠) :

أبيض من آل أبي عتيق مبارك من ولد الصديق
ألذه كما ألذ ريقى

(٣) ط : « حيوان » ، وصوابه : فى ل ، س . وديدان الخل سبق الكلام عليها فى ٢ : ١١١ .

(٤) ط ، س : « كما شاء » . وجاءت الضمائر فى ط ، س للعاقل ، أى « لأبدانهم » و « قلوبهم وأبدانهم » وصوابه فى ل .

(٥) الأتاتين : جمع أتون ، كتنور ، وهو : أخدود الخباز والجصاص ونحوه . ط ، س « الناس » وصوابه فى ل .

(٦) الجاحم : التوقد والالتهاب . ط ، س : « الجماجم » وتصحيحه من ل .

(٧) كذا فى ل . والفضل : الزيادة . ط ، س : « كفضل مابين قوة حر نار الدنيا والآخرة » .

وَذهب بعضهم إلى أنَّ سبيلها[1] فيها كسبيل نار إبراهيم ؛ فإنّه لما قُذِف فيها بَعَثَ الله عزَّ وجلَّ مَلَكًا يقال له [ملك] الظلِّ ، فكان يحدِّثه ويُؤْنسه ؛ فلم تصل النار إلى أذاه ، مع قرْبِه من طباع ذلك الملَك .

وكيفَمَا دار الأمرُ[2] فى هذه الجَوَابات ؛ فإن أخسَّها وأشنَعَها أحسَنُ مِن قَولِ مَنْ زَعمَ أنّ الله تَعالى يُعَذِّب بنار جهنَّمَ من لم يسخطه ولا يَعقِلُ كيف يكون السخط . ومن العَجَب أنَّ بَعضهُمْ يزعمُ أَن الله تعالى إنما عذّبه ليغمَّ أباهُ[3] . وإنما يفعل ذلك من لا يقدر على أن يُوصِلَ إليهم ضعف الاغتمام ، وضعفَ الألم[4] الذى ينالهم بسبب أبنائهم . فأمّا مَن يقدِرُ على إيصال ذلك المقدارِ إلى من يستحقّه ، فكيف يوصله ويصرفه إلى من لا يستحقّه ؟ ! وكيف يصرفُه عمَّن أسخطه إلى من لم يُسْخِطْه[5] ؟ ! [هذا] وقد سمعوا قولَ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَوَدُّ الْمجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ . وَمَنْ فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ . كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى . نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ﴾ . وكيف يقولُ هــذا القَوْلَ مَنْ يتلو القرآن ؟ !

ثمَّ رجع بنا القولُ إلى الذبّانِ وأصنافِ الذّبّان .

---

(١) ط ، س : « سبيلهم » ، وصوابه فى ل .

(٢) ط ، س : « وكيف دار الأمر » .

(٣) ط : « آباءه » ، وصوابه فى ل ، س .

(٤) ل : « ضعف اغتمامهم والألم » .

(٥) ط : « إلى من لا يستخطه دون من أسخطه » س : « إلى من استحقه » ، وهما تحريف ما أثبت من ل .

(جهل الذِّبّان وما قيل فيها من الشعر)

والذِّبَّان أجهلُ الخلْق ؛ لأنَّها تَغْشَى النَّارَ من ذات أنفُسِها حتّى تحترق.

وقال الشاعر :

خَتَمْت الْفُؤَادَ عَلَى حُبِّها كذَاكَ الصَّحيفةُ بالخاتَمِ [١]

هَوتْ بى إلى حبها نظرةٌ هُوِىَّ الْفَرَاشَةِ للجاحمِ

وقال آخر :

كأنَّ مَشافِرَ النَّجَدَاتِ منها إذا ماَمسَّها قَمَعُ الذُّبابِ [٢]

بأيدى مأْتم متساعداتٍ نعال السبت أو عَذَبَ الثِّياب [٣]

١٢٤ (نقد بيت من الشعر)

وقال بعض الشعراء[٤] ، يهجو حارثَة بنَ بدرٍ الغُدَانىَّ :

زعمَتْ غُدَانَةُ أنَّ فيها سيِّدًا ضخْمًا يُوَارِيهِ جَنَاحُ الْجُنْدُبِ [٥]

---

(١) كذا فى ط ، س : وثمار القلوب ٣٩٩ . وفى ل : « على حبها كختم » . وكانوا يختمون الرسائل بالخاتم على طين خاص ، يسمى طين الختم .

(٢) النجدات : جمع نجدة ، وهى الناقة تكون نجدة على صاحبها . والقمع : ذباب الإبل .

(٣) المأتم : جماعة النسوة فى الحزن . ط : « بأيد متائم » صوابه فى ل ، س . والعذاب : جمع عذبة ، وهى خرقة النائحة . ط ، س : « عرب » محرف . أما « نعال السبت » فلم أجد لها علاقة بالكلام . وماذا عسى تفعل النوائح بنعال السبت ؟ ل : « فعال السبت » !

(٤) هو الأبيرد الرياحى ، كما فى الأغانى (١٢ : ١٠) . وانظر (٦ : ٣٥١) .

(٥) غدانة بالضم : قبيلة . يواريه : يستره . ط ، س : « يوازنه » ، أى يماثله ويساويه . وأثبت ما فى ل وثمار القلوب ٣٢٥ .

وزعم ناسٌ أنّه قال :

يُروِيهِ ما يُرْوِى الذُّبابَ فينتَشى   سُكْراً ، وتُشْبِعُه كُراعُ الأرنب[1]

قالوا : لايجوز أنْ يقول : « يرويه مايروى الذباب » و « يوارِيه جَناحُ الجندب[2] » ثم يقول : « ويشبعه كراع الأرنَب » :

وإنما[3] ذكر كُراعَ الأرنب ؛ لأنّ يد الأرنب قصيرة ، ولذلك تسرع [فى] الصُّعود ، ولا يلحقها مِن الـكلاب إلَّا كلُّ قصير اليد[4] . وذلك محمودٌ من الـكلب . والفرس تُوصَف[5] بقصر الذِّراع .

(قصة فى الهرب من الذّباب)

وحدّثنى الحسنُ بن إبراهيم العلوىُّ قال : مررتُ بخالى ، وإذا هو وحده يضْحك ، فأنـكرتُ ضحكه ؛ لأنِّى رأيتُه وحده ، وأنـكرته[6] ؛ لأنَّه كان رجلا زمِّيتاً ركِيناً[7] ، قليلَ الضَّحِك . فسألته عن ذلك فقال : أتانى فلانٌ

---

(١) ط ، س : « ويشبعه كراع الجندب » . والـكراع بالضم : قائمة الدابة . وتجمع على أكرع ثم على أكارع . وهى مؤنثة يصح فى فعلها التذكير والتأنيث . لـكن كلمة « الجندب » تحريف صوابه من ل والثمار ومن سياق الـكلام .

(٢) الجندب : ضرب من الجراد . ط ، س : « يوازنه جناح الجندب » .

(٣) قبل هذا فى ط ، س : زيادة لا حاجة إليها ، وهو : « وأما سماعى فهو الرواية الأولى :

يرويه ما يروى الذباب فينتشى   سكراً وتشبعه كراع الأرنب»

(٤) ل : « اليدين » .

(٥) ط ، س : « يوصف » .

(٦) ط س : « فأنـكرته » .

(٧) الزميت : العظيم الوقار . والركين : الرزين . ل : « سكيتا » .

يعنى شيخاً مدينيًّا[(١)] — وهو مذعورٌ فقلت له : ما وراءك ؟ فقال : أنَا واللهِ هاربٌ من بيتى ! قلت ولِمَ ؟ قال : فى بيتى ذبابٌ أزرق ، كلما دخلتُ ثَارَ[(٢)] فى وجهى ، وطار حولى وطنَّ عند[(٣)] أذنى ، فإذا وجد منِّى غفلةً لم يُخطئ مُوقَ عينى . هذا واللهِ دأبُه ودأبى دهراً معه[(٤)] . قلت له : إنّ شبه الذباب بالذباب كشبه الغرابِ بالغُراب ؛ فلعلَّ الذى آذاك اليومَ أن يكونَ غيرَ الذى آذاك أمسِ ، ولعلَّ الذى آذاك أمسِ غيرُ الذى آذاك أوَّل [من[(٥)]] أمسِ ، فقال : أعتِقُ ما أملك إن لَمْ أكن أعرفه [بعينه] منذُ خمس عَشرة سنة[(٦)] . فهذا هو الذى أضحكنى !

(قصة فى سفاد الذباب)

وقال الخليلُ بن يحيى : قد رأيت الخنزيرَ يركَبُ الخنزيرةَ عامَّة نهارِه ، ورأيتُ الجمل يركبُ النّاقَة ساعةً من نهاره[(٧)] . وكنت قبل ذلك أغبِط

---

(١) ل : « مدنيا » وانظر ما أسلفت من التحقيق فى (٢ ، ٢٩٢) .

(٢) ط : « دار » وهو تحريف .

(٣) ط : « على » .

(٤) ل : « منذ دهر » .

(٥) من ل ، س .

(٦) ل : « حجة » ، وهى بالكسر : السنة .

(٧) ل : « من نهار » .

العصفور والعصم(١) — فإنَّ الذَّكرَ وإنْ كان سريعَ النُّزولِ عن ظهر الأنثى فإنّه لِسُرعةِ العودة ، ولكثرةِ العدد، كأنّه فى معنى الخنزير والجمل — حتّى رأيتُ الذُّبابَ وفطِنت له، فإذا هو يركب الذُّبابَة عامَّة نهارِه . فقال له محمد ابن عمر البكراوى(٢) : ليس ذلك هو السِّفاد(٣) . قال : أمّا الذى رأت العينانِ فهذا حكمُه . فإنْ كنتَ تريدُ أنْ تطِيب نفسُك بإنكار ما تعرفُ ممّا قسَم الله عزّ وجلّ بين خلقه ، من فضول اللَّذَّة(٤) ، فدونك .

(سفاد الورل)

ويزعمون أن للوَرل(٥) فى ذلك ما ليس عند غيره .

---

(١) كذا فى ط ، س . ولم أجد « العصم » مفرداً أو جمعا ، فيما لدى من مراجع الحيوان ، ووجدت « المصع » كصرد وقفل جمعا . ل : « مصعة » كهمزة وغرفة . وهو طائر أخضر، كما فى القاموس . وانظر المخصص (٨ : ١٤٣) . وفى ل : « الصعو والخنزير » ، وكلمة : « الخنزير » خطأ . وأما الصعو فهو ضرب من صغار العصافير .

(٢) البكراوى : نسبة إلى بكرا باذ . وانظر ما سبق فى ٣٤ . قال الإصطخرى : « جرجان قطعتان : إحداهما المدينة، والأخرى بكرا باذ، وبينهما نهر يجرى يحتمل أن تجرى فيه السفن». كذا فى معجم البلدان . قال ياقوت: « ينسب إليه البكراوى والبكرا باذى ». ل : « محمد ابن عمرو النكراوى » . وفى النسبة تصحيف كما رأيت .

(٣) ل : « لعل ذلك ليس هو السفاد » .

(٤) ط : « فضل الله » س « فضول الله » وأثبت ما فى ل .

(٥) الورل : دابة على خلقة الضب ، لكنه أعظم منه ، وهو من أكثر الحيوان سفاداً ط ، س : « للولى » وصوابه فى ل .

١٢٥ (قصّة آكل الذِّبّان)

وأنشدَ ابن داحة فى مجلس أبى عُبيدة ، قولَ السَّيِّد الحميرىِّ :

أترى ضهاكا وابنها وابن ابنها[١] وأبا قحافة آكِلَ الذِّبّان

كانوا يَرون ، وفى الأمور عجائبٌ يأتى بهنّ تصرُّفُ الأزمانِ

أنّ الخِلافةَ فى ذؤابةِ هاشمٍ فيهم تصير وهَيْبَةَ السُّلطانِ[٢]

وكان ابن داحة رافضيًّا ، وكان أبو عبيدة خارجيًّا صُفْريا ، فقال له: مامعناه فى قوله : « آكل الذِّبّان » ؟ فقال : لأنّه كان يذبُّ عن عطر ابن جُدْعان[٣] . قال : ومتى احتاج العطّارون إلى المذابّ ؟ ! قال : غلطتَ إنّما كان يذبُّ عن حَيْسة ابن جُدْعَان . قال : فابن[٤] جُدعان وهشامُ

---

(١) ل : « أترى صهاكا وابنها وأب ابنها » .

(٢) س : « من ذؤابة » . ل : « من وراثة » ، وفيها أيضا : « فيهم تكون » .

(٣) ابن جدعان ، هو عبد الله بن جدعان ، وكان من أشراف قريش فى الجاهلية وممن وفد على كسرى . وهو صاحب الجرادتين : المغنيتين المشهورتين فى الجاهلية . ومدحه أمية بن أبى الصلت بقصيدته التى أولها :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى حياؤك إن شيمتك الحياء

فأعطاها إياه . وكان مشهوراً بالكرم . قالوا : كان سمى بحاسى الذهب ؛ لأنه كان يشرب فى إناء من الذهب ، فقالوا فى المثل : « أقرى من حاسى الذهب » . الأغانى (٨ : ٢ — ٤) وبلوغ الأرب (١ : ٨٧) . س : « جذعان » وفى المواضع الثلاثة ، تصحيف .

(٤) ل : « فإن ابن » .

ابن المغيرة ، كان يُحاسُ لأَحدهما الحَيْسةُ على عدَّة أنطاع[1] ، فكان يأكلُ منها الرَّاكبُ والقائمُ والقاعدُ[2] فأين كانت تقعُ مِذَبَّةُ أبى قُحافَةَ من هذا الجبل ؟! قال : كان يذبُّ عنها ويدورُ حوالَيها . فضحكوا منه ، فهجر مجلسهم سنةً[3] .

(تحقير شأن الذُّبابة)

قال : وفى باب تحقير [شأن] الذبابة وتصغير قدرها، يقول الرسول[4] : « لو كانت الدُّنيا تُساوى عند الله تعالى جَناحَ ذبابةٍ[5] ما أعطى الكافرَ منها شيئاً » .

---

(١) الحيسة : المرة من الحيس ، وهو أن يخلط التمر بالسمن والأقط فيعجن ثم يندر نواه ، وربما جعل فيه سويق . والأنطاع : جمع نطع ، بالكسر ، وبالفتح ، وبالتحريك وكعنب ؛ وهو بساط من الجلد المدبوغ .

(٢) قالوا أيضاً : « كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب ، بل كانت جفنة يأكل منها الراكب على البعير وسقط فيها صبى فغرق ومات » . بلوغ الأرب (١ : ٨٩) . وقد يبدو هذا الخبر غريبا ، لكنا نجد تعزيزاً له من الحديث ، جاء فى غريب الحديث لابن قتيبة أن الرسول قال : « كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمى »، يعنى فى الهاجرة .

(٣) ط ، س : « مجلسه » . س : « ثم هجر » .

(٤) هذا الحديث الآتى ، حديث صحيح رواه الترمذى ، ونقله عنه السيوطى فى الجامع الصغير ٧٤٨٠ ولفظه : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء » . فى الأصل : « يقول الرجل » . وهو تحريف كما رأيت

(٥) ط ، س : « ذباب »، ووجهه ما أثبت من ل .

(أعجوبة فى الذّبان بالبصرة)

وعندنا بالبصرة فى الذبّان[١] أعجوبة، لو كانت بالشّاماتِ[٢] أو بمصر لأدخلوها فى باب الطِّلّسْم ؛ وذلك أنّ التّمْرَ يكونُ مصبوباً فى بيادر التمر فى شقّ البساتين ، فلا ترى على شيءٍ منها ذُبَابَةً لَافى اللّيل ، ولا فى النّهار ، ولا فى البَرْدَين[٣] ، ولا فى أنصاف النهار . نعم وتكون هناك المعاصر[٤] ، ولأصحاب المعاصر ظِلال ، ومن شأن الذُّباب الفِرارُ من الشّمس إلى الظِّلّ . وإنّما تلك المعاصر بين تَمْرة [و] رُطَبَة ، ودِبْس [وتجير][٥] ، ثمّ لاتكاد تَرَى فى تلك الظّلال والمعاصر ، فى انتصاف[٦] النهار ، [ولا] فى وقت طلب الذِّبَّان الكِنَّ ، إلّا دونَ ما تَراه فى المنزل الموصوف بقلّة الذبّان .

وهذا شيءٌ يكون موجوداً فى جميع الشِّقّ الذى فيه البساتين . فإن تحوّل[٧] شيء من [تمر] تلك الناحية[٨] إلى جميع ما يقابلها فى نواحى البصرة ، غشيَه من الذّبان ما عسى ألاّ يكون بأرض الهند أكثرُ منه

---

(١) ط : « الذباب » .

(٢) الشامات : هى بلاد الشام . وانظر ما سبق فى حواشى ١ : ٧٣ .

(٣) البردان : الغداة والعشى . ط ، س : « البرد » وتصحيحه من ل .

(٤) المراد بالمعاصر هنا معاصر التمر ، وكانوا يعصرونه لاستخراج الدبس ، وهو عسل التمر .

(٥) التجير : ثفل كل شيء يعصر . وهو فارسى معرب، كما فى المعرب للجواليقى ٤١ .

(٦) ل : « أنصاف » ، كما سقطت كلمة « تكاد » .

(٧) ل : « حول » .

(٨) ط ، س : « البادية » ، والوجه ما أثبت من ل

وليس بين جزيرة نهر دُبَيس[١] ، وبين موضع الذبّان إلاّ فيض البصرة ، ولا بين مايكون من ذلك بنهر أذرب[٢] وبين موضع الذبّان ممّا يقابله ، إلّا سيحان[٣] ، وهو ذلك التمر وتلك المعصرة ، ولا تكون تلك المسافة إلاّ مائة ذراع أو أزيَدَ شيئاً أو أنقَصَ شيئاً .

(نوم عجيب لضُروبٍ من الحيوان)

وأعجوبة أُخرى ، وهى عندى أعجبُ من كلٍّ شيءٍ صدَّرنا به جملة القَوْل فى الذباب . فمن العجب أن يكون بعض الحيوان لاينامُ كالصافر[٤] والتُّنَوِّط[٥] ؛ فإنَّهما إذا كان اللّيلُ فإن أحدهما يتدلَّى من غصن الشّجرة ، ويضمُّ عليه رجليه ، وينكِّس رأسه، ثمَّ لايزال يصيحُ حتَّى يبرُقَ النُّور . والآخرُ لايزالُ يتنقَّل فى زوايا بيته ، ولا يأخذه القرار ، خوفاً على نفسه ، فلا يزال كذلك . وقد نتفَ قبلَ ذلك ممَّا على ظهور ١٢٦

---

(١) نهر دبيس ، بالتصغير ، نهر بالبصرة . ودبيس : مولى لزياد ابن أبيه . كما فى معجم البلدان .

(٢) كذا فى ط . س : « أدرب » ، ل : « أردر » .

(٣) قال البلاذرى : سيحان نهر بالبصرة ، كان للبرامكة وهم سموه سيحان . وقد سمت العرب كل ماء جار غير منقطع : سيحان . معجم البلدان . ط ، س : « فرسخان » وصوابه فى ل .

(٤) الصافر : طائر من أنواع العصافير ، وسيكمل الجاحظ نعته . ط : « كالعصافير » ووجهه ما أثبت من ل ، س .

(٥) التنوط : طائر شبيه بالصافر المتقدم ذكره . وانظر ما سيأتى .

الأشجار مما يشبه الليف[1] فنفشَه ، ثمَّ فتَلَ منه حبلاً ، ثمَّ عمِلَ منه كَهَيئَةِ القُفَّة ، ثمَّ جعله مُدَلًّى بذلك الحبل ، وعقَدَه بطَرَف غُصنٍ من تلك الأغصان ؛ إلاَّ أنَّ ذلك بترصيعٍ ونسْج ، ومُدَاخَلَةٍ عجيبة ؛ ثمَّ يتَّخذ عشَّه فيه ، ويأوى إليه مخافة على نفسه .

والأعرابُ يزعمون أنَّ الذِّئبَ شديدُ الاحتراس ، وأنَّه يُراوح بينَ عينَيه ، فتكونُ واحدة مطبقة[2] نائمة ، [وتكون] الأُخرى مفتوحة حارسةً . ولا يشكُّون أنَّ الأرنب تنامَ مفتوحة العينين .

وأمَّا الدَّجاج والكلاب فإنما تعزُب[3] عقولهما فى النَّوم ، ثمَّ ترجع إليهما بمقدار رجوع الأنفاس . فأمَّا الدَّجاج فإنها تَفْعَلَ ذلك من الجبن[4] وأمَّا الكلب فإنَّه يفعل ذلك من [شدّة] الاحتراس .

وجاءوا كلهم يخبرون أن الغرانيقَ والكراكيَّ لاتنامُ أبداً إلاَّ فى أبعدِ المواضعِ من النَّاس ، وأحْرَزِها مِن صغار سباع الأَرض ، كالثعلب وابن آوى . وأنها لا تنام حتى تقلِّد أمرَها رئيساً وقائدا ، وحافظاً وحارساً ، وأن الرئيس إذا أعيا رفعَ إحدى رجليه ؛ ليكون أيقَظَ له .

---

(١) ط ، س : « يشتبه بالليف » .

(٢) ل : « منطبقة » .

(٣) تعزب : أى تبعد وتغيب . ل ، ط : « تعرف » س : « يعرف » وصوابه ما أثبت مطابقا لما سيأتى ص ٤٠٨ س ٦ .

(٤) ط ، س : « فإنه يفعل » ، والوجهان جائزان .

(سلطان النوم)

وسلطان النَّوم معروف . وإن الرَّجل ممن يغزو[١] فى البحر ، ليعتصمُ بالشِّراع وبالعُود ، وبغير ذلك ، وهو يعلم أن النَّومَ متى خالطَ عينَيهِ استرخَتْ يدُه، ومتى استرخَتْ يَدُه بايَنَهُ الشيءُ الذى كان يركبه ويَستَعْصِمُ به[٢] ، وأنه متى بايَنه[٣] لم يقدرْ عليه، ومَتَى عَجز عن اللَّحاق [به] فقد عطِب[٤] . ثمَّ هو فى ذلك لايخلو ، إذا سَهِر ليلة أو ليلتين ، من أنْ يغلِبه النَّومُ ويقهرَه ، وإمَّا أنْ يحتاج إليه الحاجةَ التى يريه الرأى الخوّانُ ، وفسادُ العقْلِ المغمُورِ بالعِلَّة الحادثة ، أنّه قد يُمكن[٥] أنْ يُغفِيَ وينتبهَ فى أسرع الأَوقات ، وقبلَ أنْ تَسترخِيَ يَدُهُ كلَّ الاسترخاء ، وقبلَ أن تباينَه الخشَبةُ إن كانتْ خشبة .

---

(١) ط ، س : « يغرق » وصوابه فى ل . وفى س أيضاً « فأى رجل » تحريف .

(٢) كذا فى س . وفى ط : « يركبه واستعصم به » ل : « مركبه واستعصم به » .

(٣) باينه : فارقه ، وبعد عنه . ط : « يأتيه » وصوابه فى ل ، س .

(٤) عطب : هلك . ط ، س : « ومن عجز » وصوابه فى ل .

(٥) « يريه » هى فى ط ، ل : « يريد » محرفة . و « الخوان » هى فى ل : « الفاسد » . و « يمكن » هى فى ط ، س : « تمكن » محرفة .

(العجيبة فى نوم الذباب)

وليس فى جميع ما رأينا وروَينا ، فى ضروبِ نومِ الحيوان ، أعجبُ من نَوم الذِّبّان ؛ وذلك أنَّها ربما جعلت مأْواها [بالليل] دَرْوَنْد الباب [١] وقد غشَّوه ببطانَةِ ساجٍ أملسَ كأنَّه صَفاةٌ ، فإذا كان اللَّيلُ لزقت [٢] به ، وجعلت قوائمها مما يليه ، وعلَّقت أبدانها إلى الهواء . فإن كانتْ لا تنام البتَّةَ ولا يخالطُها عُزُوب [٣] المعرفة فهذا أعجب [٤] : أنْ تكونَ أمّةٌ من أمم الحيوانِ لا تعرف النَّومَ ، ولا تحتاج إليه . وإن كانت تنام ويعزُب عنها ما يعزُب [٥] عن جميع الحيوان سوى ما ذكرنا ، فما تخلو من أن تكون قابضةً على مواضع قوائمها [٦] ، ممسكة [٧] بها ، أو تكون مرسلةً لها [مخلّية عنها] . فإنْ كانت مرسِلةً لها فكيف لمَ تسقطْ وهى أثقلُ من الهواء ؟ ! وإن كانت ممسكةً لها فكيف يجامع التشدُّد والتثبيت [٨] النَّوم ؟ !

١٢٧

---

(١) الدروند كلمة فارسية. وفى اللسان (نجف): «ابن الأعرابى: النجاف هو الدروند والنجران. وقال ابن شميل : النجاف الذى يقال له الدوارة ، وهو الذى يستقبل الباب من أعلى الأسكفة» . وانظر نهاية الأرب ١ : ٣٧٦ ومعجم البلدان (سد يأجوج ومأجوج) ط : « دورة » تحريف .

(٢) ط : « لزمت » .

(٣) العزوب : البعد . وفى ل : « غروب » .

(٤) ل : « عجب » .

(٥) ل : « يغرب » فى الموضعين .

(٦) فى الأصل : « قائمها » .

(٧) ل: «متمسكة » .

(٨) س : « والتثبت » .

(بعض ما يعترى النائم)

ونحن نرى كلَّ مَن كان فى يده كيس أوْ[1] دِرهم أو حبلٌ ، أو عصا فإنَّه متى خالط عينَيْه[2] النَّومُ استرخَتْ يده وانفتحت أصابعُه[3] . ولذلك يتثاءب المحتالَ للعبْد الذى فى يده عِنان دابَّةِ مولاه ، ويتناوم له وهو جالس ؛ لأنَّ مِن عادة الإنسان إذا لم يكن بحضرتِه مَن يشغله ، ورأى إنساناً[4] [قُبَالَتَه] يتثاءبُ أوْ يَنْعس، [أن يتثاءب وينعَس مثله[5]] . فمتى استرخَتْ يدُه أو قبضته عن طَرَف العِنان ، وقد خامَرهُ سُكْرُ النَّوم ، ومتى صار إلى هذه الحال — ركب المحتالُ الدّابَّة ومرّ بها .

باب
القول فى الغربان

اللهم جنِّبنا التكلُّفَ ، وأعِذْنَا مِن الخطَأ ، واحْمِنا العُجْبَ بما يكون منه ، والثِّقةَ بما عندنا ، واجعلْنا من المحسنين .

---

(١) ط ، س : « كيس دراهم » .
(٢) ط ، س : « عينه » .
(٣) ط فقط : « وتفتحت أنامله » .
(٤) س : « من » . وفى ل : « ينود » بدل : « يتثاءب » . ينود : يتمايل من النعاس .
(٥) هذه التكملة من س .

نذكر على اسم الله جُمَلَ القولِ فى الغِربان ، والإخبار عنها ، وعن غريبِ ما أُودِعتْ من الدّلالة ، واستُخْزِنت من عجيب الهداية[1] .

وقد كُنَّا قدَّمنا ما تقول العربُ فى شأنِ منادَمةِ الغُراب الدِّيكَ وصداقتِه له، وكيف رهَنه عند الخَمَّار، وكيف خاسَ به وسخِر منه وخدعه[2] وكيف خرج سالماً غيرَ غارم ، وغانماً غيرَ خائب[3] ، وكيف ضربت به العربَ الأمثالَ ، وقالت فيه الأشعار ، وأدخلتْه فى الاشتقاقِ لزجْرها عند عيافتها وقيافتها ، وكيف كان السبب فى ذلك[4] .

(ذكر الغراب فى القرآن)

فهذا إلى ماحكى اللهُ عزَّ وجلَّ من[5] خبر ابنَىْ آدمَ ، حينَ قرَّبا قرباناً فحسَدَ الذى لم يُتقبَّلْ منه المتقبَّلَ منه ، فقال عند ما همَّ به مِن قتلِه ، وعند إمساكِهِ عنه ، والتَّخليةِ بينَه وبين ما اختارَ لنفسه : ﴿ إِنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ . ثمَّ قال : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ .

---

(١) الكلام من مبدإ : « اللهم » ساقط من ل .

(٢) خاس به : غدر به وخانه .

(٣) « وغانما غير خائب » ساقطة من ل .

(٤) انظر لمثل هذا الكلام (٢ : ٣١٩ ، ٣٢٠) . والكلام من : « وقالت » ساقط من ل .

(٥) ل : « عن » .

﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ حتّى قال القائل ، وهو أحد ابنَيْ آدم ما قال . فلولا أنّ للغُراب[1] فضيلةً وأمورًا محمودةً ، وآلةً وسبباً ليس[2] لغيره من جميع الطَّير لَمَا وضعه اللهُ تعالى في موضعِ تأديبِ الناس ، ولَمَا جعله الواعِظَ والمذَكِّرَ بذلك .

وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿فبَعَثَ اللهُ غَرَاباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ ، فأخْبر أنّه مبعوثٌ ، وأنّه هو اختاره لذلك مِنْ بينِ جميعِ الطَّير . ١٢٨

قال صاحب الدِّيك : جعلتَ الدَّليلَ على سوء حاله وسقوطِهِ[3] الدَّليلَ على حُسنِ حاله وارتفاعِ مكانه . وكلما كان ذلك المقرَّعُ به أسفلَ كانت الموعظةُ في ذلك أبلغَ . ألا تَرَاهُ يقول : ﴿يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هٰذا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِين﴾ .

ولو كان في موضعِ الغُرابِ رجلٌ صالحٌ ، أو إنسانٌ عاقلٌ ، لما حَسُن به أن يقولَ : يا ويْلَتَى أعجَزت أنْ أكونَ مثلَ هذا العاقِلِ الفاضلِ الكريمِ الشَّريف . وإذا[4] كان دوناً وَحقيراً فقال : أعجزتُ وأنا إنسانٌ أن أُحسِنَ ما يحسنه هذا الطائر ، ثمّ طائرٌ من شِرار الطير . وإذا أراهُ[5] ذلك

---

(١) ل : « في الغراب » .

(٢) ط ، س : « وأشياء ليست » .

(٣) ط : «وسقوط» وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « إذ » وصوابه في ل ، س .

(٥) ط : « أراد » .

فى طائرٍ أسودَ محترقٍ[1] ، قبيحِ الشَّمائلِ ، رديء المِشْيَة[2] ، ليس من بهائم الطَّير المحمودة ، ولا من سباعها الشريفة ، وهو بَعْدُ طائرٌ يتنكَّد به ويتطيَّر منه ، آكلُ جيف[3] ، رديءُ الصَّيد . وكلما كان أجهلَ وأنْذَل[4] كان أبلغَ فى التَّوبيخ والتَّقريع .

وأمَّا قوله : ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ فلم يكنْ به على جهة الإخبار أنّه كانَ قَتَاهُ ليلاً ، وإنما هو كقوله : ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ﴾. ولو كانَ المعنى وقع على ظاهر اللَّفظ دونَ المستعمَلِ فى الكلامِ من عادات الناس ، كان مَن فرَّ مِن الزَّحفِ ليلاً لم يلزمْه وَعيد[5] . وإنما وقع الكلامُ على ما عليه الأغلبُ من ساعاتِ أعمال الناس ، وذلك هو النّهارُ دون اللَّيل .

وعلى ذلك المعنى قال صالح بن عبد الرحمن[6] ، حين دفَعوا إليه جوَّاباً[7] الخارجىَّ ليقتله ، وقالوا : إن قتله برئت الخوارجُ منه ، وإن ترك قتْله فقد

---

(١) ل : « محرق » .

(٢) للغراب مشية رديئة . وفى القصص التمثيلى أنه أعجبه مشية العصفور أو القطاة فرام تقليدها ففعل . ثم أراد الرجوع إلى مشيته الأولى فنسى ، فلا هو حافظ على مشيته الأولى ، ولا هو أدرك مشية العصفور . انظر شعراً فى ذلك بطراز المجالس ١٩٩ . ط : « الشبه » وصوابه فى ل ، س .

(٣) ط ، س : « الجيف » .

(٤) ل : « أخمل وأنزل » .

(٥) ل : « وعيده » .

(٦) صالح بن عبد الرحمن هو كاتب الوليد بن عبد الملك .

(٧) ط ، س : « خواتا » .

أبدى لنا صفحتَه . فتأوّل صالحٌ عند ذلك تأويلاً مستنكراً[١] : وذلك أنّه قال : قد نجِدُ التّقيَّة تَسيغ ٱلكفر[٢] ، والكفر باللّسان أعظمُ من القتـل والقذْفِ بالجارحة . فإذا جازت التّقيَّة[٣] فى الأعظم كانت فى الأصغر أجوَزَ . فلما رأى هذا التأويل يطّرد له ، ووجد على حالٍ بصيرته ناقصة ، وأحسّ[٤] بأنّه إنما التمس عُذْراً ولزّق الحجَّة تلْزِيقا [فلمَّا عزمَ على قتل جوّاب ، وهو عنده واحدُ الصُّفرية فى النُّسك والفضل] قال : إنى[٥] يومَ أقتُل جَوَّاباً على هذا الضّربِ من التأويل لَحريصٌ[٦] على الحياة ! ولو كان حين قال إنى[٥] يوم أقتل جوّاباً إنما عنى النهارَ دون اللَّيل ، كان عنـد نفسه إذا قتلهُ تِلكَالقِتلة ليلاً لم يأثم بهِ . وهذا أيضاً كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

ولو كان هذا المعنى إنما يقع على ظاهر اللّفظ دونَ المستعمَلِ بين الناس ، لكان إذا قال من أوّل الليل : إنى فاعِلٌ ذلك غداً فى السَّحر ، أو معَ الفجر ١٢٩ أو قال الغداة[٧] : إنى فاعِلٌ يومى كلَّه ، وليلتى كلها ، لم يكنْ عليه حِنْث ، ولم يكن مخالفاً إذا لم يستثنِ[٨] ، وكان إذن لا يكون مخالفاً إلاّ فيما وقع عليهِ

---

(١) ل : « مستكرها » .

(٢) التقية : الخوف والخشية من الهلاك . تسيغ الكفر : تبيحه . أى إن من هدد بالقتل إن لم يكفر ، ساغ له الكفر ظاهرا . ل : « أجد البقية تسع فى الكفر » ط ، س : « نجد التقية تسيغ بالكفر » . والوجه فى العبارة ما ذكرت .

(٣) ل : « البقية » . وانظر التنبيه السابق .

(٤) ط ، س : « وأخبر » وصوابه فى ل .

(٥) ط : « أى » وتصحيحه من ل ، س .

(٦) ط : « الحريص » وله وجه .

(٧) ل : « بالغداة » .

(٨) المراد بالاستثناء هنا ، قول : « إن شاء الله » . ط : « يستسن » محرفة .

اسمُ غد . فأمَّا كلٌّ[1] ما خالفَ ذلك فى اللَّفظ فلا . وليس التَّأويل كذلك لأنَّه جلَّ وعلاَ إنما أَلزَمَ عبدَه أنْ يقول : إن شاء الله ؛ ليتَّقىَ عادةِ التألِّى[2] ولئلاَّ يكونَ كلامُه ولفظُهُ يشبه لفظَ المستبدِّ والمستغْنى ، وعلى أن يكون عِنْد[3] ذلك ذاكرَ اللهِ ؛ لأنهُ عبــدٌ مدبَّرٌ ، ومقلَّب ميسَّر[4] ، ومصرَّفٌ مسخَّر .

وإذا كان المعنى فيه ، والغايَةُ التى جَرَى إليها اللفظ ، إنمـا هو على ما وصفنا ، فليس بينَ أن يقول أفعَلُ ذلك بعْدَ طرْفَةٍ ، وبين أن يقولَ أفعَلُ ذلك بَعْدَ سنةٍ فرقٌ .

وأمَّا قوله : ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ فليس أنَّه كان هنالك ناسٌ قتَلوا إخوتَهُـمْ ونَدِموا فصارَ هذا القاتلُ واحداً منهم ؛ وإنما ذلك على قوله لآدمَ وحَوَّاء عليهما السلام : ﴿ وَلا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، على معنى أن كلّ مَن صَنَعَ صنيعكما فهو ظالم .

(الاستثناء فى الحلف)

وعجبت من ناسٍ ينكرون قولَنا فى الاستثناء ، وقد سمعوا اللهعزَّ وجلَّ يقُولُ : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ . وَلاَ

(١) ط ، ل : « كلما » ، وصوابه فى س .
(٢) التقى : الحذر . ط ، ل : « لبقى » س : « لتقى » ، ووجهته بما ترى . والتألى : الحلف . ل : « التالى » ط ، س : « المتألى » ، والوجه ما ذكرت . والمعنى : ليحذر تعود الإنسان الحلف واستسهاله .
(٣) ط ، س : « عنده » وصوابه فى ل .
(٤) انظر الاستدراكات .

يَسْتَثْنُونَ . فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ . فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ ، مع قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾ .

(تسمية الغراب ابن دأية)

والعربُ تسمِّى الغرابَ ابن دأية ؛ لأنَّه إذا وجَدَ دَبَرَةً[1] فى ظهر البعير ، أو فى عنقه قرحة سقط عليها، ونقَرَهُ وأكله[2] حتَّى يبلغ الدَّايات[3] .

قال الشاعر[4] :

نَجيبةُ قَرْمٍ شادَهَا القَتُّ والنَّوَى ... بيثربَ حتَّى نَيُّهَا متظَاهر[5]

فقلتُ لها سِيرِى فما بِكِ عِلَّة ... سنَامكِ ملمومٌ ونابُكِ فَاطِرُ[6]

فمِثْلَكِ أو خيراً تركْتُ رذِيَّة ... تقلِّب عينيها إذا مرّ طائر[7]

---

(١) الدبرة ، بالتحريك : القرحة .

(٢) ط ، س : « وعقره » وهى صحيحة أيضاً ، يقال عقر الكلأ : أكله ، ويقال أيضاً : عقره : جرحه .

(٣) جاءت هذه الكلمة ومفردها فى السطر السابق خالية من الهمز ، وأصلها الهمز . والدأيات : فقر الكاهل والظهر .

(٤) هو أبو الربيس الثعلبى ، أو الجون المحرزى . خزانة الأدب (٢ : ٥٣٢) حيث قصة الشعر .

(٥) نجيبة قرم : يقول: هذه الناقة قد أنجبها قرم من الإبل ، وهو بالفتح والراء : الفحل الكريم . ط ، س : وكذا أصل البيان (٣ : ٣٠٦): « قوم » ، وصوابه ما أثبت من ل . شادها القت والنوى : أى نماها تناول هذا العلف . والنى المتظاهر : الشحم الذى ركب بعضه بعضاً .

(٦) ملموم : مجتمع . وفطر ناب الناقة : انشق وظهر .

(٧) الرذية ، بالذال : الناقة المهزولة من السير . وإنما تقلب عينيها خوف أن تنقرها الطير . وانظر شرح القصائد السبع الطوال ص ٣٩ .

ومثله قول الرَّاعى :

فلو كنت معذوراً بنصْرِك طيَّرت صقورِىَ غِرْبان البَعـيرِ المقيدِ

هذا البيت لعنترة ، فى قصيدةٍ له[1] . ضرب ذلك مثلاً للبعير المقيَّد ذى الدَّبَر ، إذا وقعَت عليه الغِرْبان .

(غرز الريش والخِرق فى سنام البعير)

وإذا كان بظهر البعير دَبَرَةٌ غرزوا فى سَنامه إمَّا قوادمَ رِيش[2] أسود وإمَّا خرَقا سُوداً[3] ؛ لتفزع الغِرْبانُ منْهُ ، ولا تسقط عليه . قال الشاعرُ ، وهو ذو الخِرَق الطُّهَوىّ[4] :

لمـا رَأتْ إبِلِى حَطت حمولتهـا هَزْلَى عِجافاً عليها الرِّيشُ والخِرَقُ[5]

---

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) قوادم الريش : أربع أو عشر فى مقدم الجناح . ط ، س : « قوادم » وانظر ما سيأتى .

(٣) كذا فى ل . وفى ط « خرقة سوداء » . وفى س : « خرقاء سوداء » وهذه الأخيرة محرفة .

(٤) هذه الجملة ساقطة من ل . وذو الخرق قائل هذا الشعر : اسمه خليفة بن حمل ابن عامر بن حميرى ؛ فإن من لقب بهذا اللقب من بنى طهية ثلاثة شعراء أحدهم هذا ، والثانى قرط بن قرط ، والثالث شمير بن عبد الله بن هلال . انظر الخزانة (١ : ٥٠ — ٥١ سلفية) والمؤتلف والمختلف ١٠٩ ثم ١١٩ . وجاء فى الخزانة أن الآمدى لم يذكر الشعر الذى منه البيت الآتى . وقدسها البغدادى ؛ فإن الشعر مذكور فى ص ١٠٩ من المؤتلف والمختلف ، فى غير مظنه .

(٥) العجاف : جمع أعجف وعجفاء على الشذوذ ؛ لأن أفعل وفعلاء لايجمعان على فعال . والأعجف : الذى ذهب سمنه . وقبل البيت :

ما بال أم حبيش لاتكلمنا لما افترقنا وقد نثرى فنتفق

قالتْ ألا تبتغى عيشاً نعيشُ به عمَّا نلاقى ، فشرُّ العِيشة الرَّنَقُ ١٣٠

[الرَّنَق ، بالرَّاء المهملة ، وبالنون ، هو الكدِرُ غير الصافى] .

وقال آخر[1] :

كأنَّها رِيشَــةٌ فى غاربٍ جَرَزٍ فى حيثُما صرفَته الرِّيح ينصرف[2]

[جَــرَز : عظيم . قال رؤبة :

* عن جَرَزٍ منه وجوزٍ عارِ *[3]]

(غرز الريش فى أسنمة إبل الملوك وخرائطهم)

وقد توضع[4] الرِّيش فى أسنمتها وتغرَز فيها لغير ذلك ؛ وذلك أنَّ الملوك كانت تجعل الرِّيشَ علامــةً لحباء الملك[5] ؛ تحميها بذلك وتشرِّف صاحبها[6] .

---

(١) ل : « وفى ذلك يقول الآخر » .

(٢) الغارب : أعلى مقدم السنام . ل : « غارز » وليس له وجه . والجرز بالتحريك سيفسر . ط ، س : « جرد » تحريف ما فى ل . ط ، س : « ضربته الريح » ، وأثبت ما فى ل .

(٣) الجوز : الوسط . والبيت فى صفة جمل سمين فضخه الحمل الثقيل . وقد نسب فى اللسان (جرز ، ورى) إلى العجاج لا رؤبة . وقد روى البكرى الأرجوزة فى أراجيز العرب ١٥٧ منسوبة إلى العجاج كما فى اللسان . وقبل البيت :

* وانهم هاموم السديف الوارى *

(٤) ط : « يوضع » ، والأولى التوحيد فى التأنيث كما أثبت من ل ، س .

(٥) كذا فى ل . والحباء ، بالكسر : العطاء . ط ، س : « لجمالها » .

(٦) ط : « تحميها بذلك بشرف أصحابها » . ل : « تحميها بذلك ويشدن صاحبها » .

قال الشاعر :

يَهَبُ الجِلادَ بِرِيشِها ورِعَائِها كاللَّيْلِ قبلَ صَبَاحِهِ المتبلِّجِ[1]

ولذلك[2] قالوا فى الحديث : فرجع النَّابغة من عند النُّعمان وقد وهبَ له مائةً من عَصَافيره[3] بِرِيشها :

وللرِّيش مكانٌ آخر : وهو أنَّ الملوكَ إذا جاءتْها الخرائطُ بالظَّفَر[4] غرزَتْ فيها قوادمَ ريشٍ سُود .

(غربان الإبل)

وقال الشاعر :

سأرفَعُ قولاً للحُصــين ومَالكٍ تطيرُ به الغِربان شَطْرَ المواسمِ[5]

---

(١) الجلاد من الإبل : الغزيرات اللبن . والرواية فى البيان (٣ : ٩٦) : « الهجان » . والرعاة بالضم والرعاء بالضم ويكسر : جمع راع . وقد روى البيت بالوجه الأول فى ط ، س . وبالثانى فى ل ، والبيان . وجعلها كالليل لما فوق أسنمتها من الريش السود ، كما جعل أبدانها كالصبح تحت الظلام . وهو خيال ركب تركيبا بارعا . أو جعلها كالليل لأنها سود ، كما فى الشعراء ١١٠ . وفيها أيضا : « ولم يكن بأرض العرب بعير أسود إلا له » : أى للنعمان .

(٢) س : « وكذلك » .

(٣) هى إبل نجيبة كانت له ، وقال ابن سيده : أظنه أراد من فتايا نوقه . قالوا : كان النعمان غاضبا على النابغة لقصيدته المشهورة التى وصف فيها المتجردة ، ثم ذهب غضبه عليه عند ماغنت النعمان قينة بشعر للنابغة ، ووهب له العصافير . انظر الأغانى (٩ : ١٦٥) والتنبيه السابق وما سيأتى فى (٥ : ٢٣٣) .

(٤) الخرائط : جمع خريطة ، وهى وعاء من أدم وغيره يشرج على ما فيه ، أى يشد .

(٥) رواية اللسان عن ابن الأعرابى : « للحصين ومنذر » . والمواسم : أسواق العرب فى الجاهلية حيث كانوا يجتمعون .

وتروَى به الهيمُ الظِّماءُ ، ويَطَّبِي بأمْثَالِهِ الغازِينَ سَجْعُ الحمائِمِ [1]

يعنى غِرْبان الإبل [2] . وأمَّا قوله : « وتروى به الهيمُ الظِّماء » فمثل قول الماتحِ [3] :

عِلِقْتَ يا حارث عِنْدَ الوِرْدِ بجــاذِلٍ لارَفِلِ التَّرَدِّى [4]

* ولا عَيِيٍّ بابتِناء المَجْدِ [5] *

(١) يطبيهم سجع الحمائم : يستميلهم غناء الحمام الذى يسجع بهذا الشعر . و « الغازين » هنا بمعنى القاصدين . ط ، س : « بأمثالها » ، وإنما الضمير راجع إلى القول . ل : « الغاوين » .

(٢) فى الأصل : « الليل » ، وإنما هى غربان الإبل ، وغراب البعير هو حد الورك الذى يلى الظهر . أى إن هذا الشعر يذهب به على الإبل إلى المواسم . ومعنى تطير : تسرع . وإنما خص الأوراك لأنهم كانوا يحملون الرسائل فى حقيبة تحتقب ، وتشد على عجز البعير . كما قال الآخر :

وإن عتاق العيس سوف يزوركم ثناء على أعجازهن معلق

(٣) الماتح ، بالتاء : الذى ينزع الدلو وهو بجوار البئر . والمائح ، بالهمز : الذى يدخل البئر فيملأ الدلو . ط : « المسائح » ل : « المايح » والأولى تحريف ، والثانية ليست مرادة . والرجز فى البيان (١ : ٤) مسبوقا بعبارة : « وقال الراجز وهو يمتح بدلوه » . ووجه المثلية أن كلا منهما خاطب نفسه ، قال الأول « وتروى » يخاطب نفسه ، وكذا الثانى : « علقت » .

(٤) الجاذل : الواقف مكانه لايبرح ، شبه بالجذل الذى ينصب فى المعاطن لتحتك به الإبل الجربى . ومثله « الجاذى » ، وبهذه الأخيرة جاء فى س مع الهمز أى « جاذئ » وفى البيان : « بجابئ » . والجابئ . الذى يطلع فجأة . وقد عنى رجلا . والرفل : الذى يجر ذيل ثوبه . والتردى : لبس الرداء . وفى الأصل : « لاوجل التود » وصوابه من البيان . وجاء بعد هذا البيت فى ل :

* فجاءنى لارفل التردى *

وأقول : إنه مقحم وإن به تصحح نهاية هذا البيت .

(٥) العيى : العاجز . ط : « يمنى » س : « يمينى » ، وصوابه ماأثبت من البيان . وفى ل : « عييا » .

(شعر فى تعرض الغِربان للإبل)

وقالوا فى البعير إذا كان عليه حِملٌ من تمْـر أو حبٍّ ، فتقَدَّم الإبلَ بفضل قُوَّته ونشاطه(١) ، فعرض ما عليه للغربان(٢) . قَال الرَّاجز :

قد قلتُ قولاً للغُرابِ إذْ حَجَلْ   عليكَ بالقَود المسانِيف الأُوَل(٣)

* تَغَدَّ ما شئتَ على غير عَجَلْ(٤) *

ومثله(٥) :

يقدُمُها كلُّ أَمُونِ مظعان(٦)   حمراءَ من مُعَرِّضَاتِ الغِرْبَانْ(٧)

---

(١) ط : « فيقدم » . ل : « لفضل » : مكان « بفضل » .

(٢) س : « الغربان » .

(٣) القود : الطوال الأعناق . ط ، س : « بالعود » وصوابه فى ل والمخصص (١٠ : ١٦٧) وتنبيه البكرى ٤٨ والمحاسن للبيهق (٢ : ٨٤) . وفى مجالس ثعلب ١٣٦ : «عليك بالإبل» . والمسانيف : المتقدمة، جمع مسناف . س ، ط : « المسانف » .

(٤) ط ، س : « من بعد مامشت على غير عجل » ، وتصحيحه من المراجع المتقدمة . قال الكسائى — وقد سأله الرشيد عن هذا الشعر — : « إن العير إذا فصلت من خيبر وعليها التمر يقع الغراب على آخر العير فيطردها السواق . يقول هذا ، تقدم إلى أوائل العـير فكل على غير عجل » المحاسن للبيهق . وللرجز بقية فى تنبيه البكرى ، فراجعه .

(٥) الرجز الآتى يروى للأجلح بن قاسط ، كما فى اللسان (عرض) . وقال ابن برى : « وهذان البيتان فى آخر ديوان الشماخ » . قلت أنا : هما فى أخرياته ص ١١٦ منسوبان إلى الجليح بن شميذ رفيق الشماخ. ونسبا فى مشارف الأقاويز ٢٠٨ — ٢٠٩ إلى الجعيل . وجاء قوله فى آخر الرجز يخاطب نفسه :

* يا ابن جليح كن دليل الركبان *

ويظهر أنه اجتلب كلمة : « ابن » تحسيناً للكلام ، وضبطا للوزن .

(٦) ل : « تقدمها » . والأمون : الوثيقة الخلق . س : « أموق » تصحيف . ل : « علاة » ، وهى رواية القالى والبكرى . والعلاة : الشديدة الصلبة ، مشبهة بالعلاة وهى السندان . والمظعان ، السهلة السير . ل : « مدعان » ، صوابه « مذعان » بالذال ، وهى المنقادة لقائدها .

(٧) قال البكرى : « الحمر أجلد الإبل » . والمعرضات : التى تقدم الإبل فتقع الغربان عليها فتأكل ما حملته ، كأنها عرضت ماتحمله للغربان .

(أمثال فى الغراب)

ويقال : « أصحُّ بدناً مِنْ غُراب » ، و « أبصَرُ مِنْ غُراب » ، و « أصفى عيناً من غراب » .

وقَال ابن ميَّادة :

ألا طرَقَتنَا أُمُّ أوسٍ ودونَها حِرَاجٌ من الظلْماء يعشى غُرَابُها[1]

فبِتْنا كأنَّا بَيْنَنا لَطَمِيَّةٌ من المِسْكِ ، أو دارِيَّةٌ وعِيابُها[2]

يقول : إذا كان الغراب لايبصر فى حِراج الظَّلْماء[3] . وواحد الحِراج حَرَجة ، وهى هاهنا مثَلٌ ، [حيث[4]] جعَلَ كلَّ شىءٍ التفَّ وكثُفَ من الظلام حِراجا ، وإنَّما الحِراجُ من السِّدْرِ وأشباه السِّدر .

يقول : فإذا لم يبصِرْ فيها الغرابُ مع حِدَّةِ بَصره ، وصفاء مُقْلته فما ظنُّك بغيره ؟ !

١٣١

وقالأبو الطَّمَحان القَيْنىُّ[5] :

إذا شاء راعيها استقى مِنْ وَقِيعةٍ كَعين الغراب صَفْوُها لم يكدَّرِ

---

(١) س : « جراح من الظلماء يغشى »، وصوابه فى ط ، ل .

(٢) اللطمية : العنبرة لطمت بالمسك فتفتقت به . ل وكذا فى كتاب الصيدنة ص ٦ : « بيتتنا لطيمة » . واللطيمة : العير تحمل الطيب . والتبييت أصله من بيت العدوّ : أوقع بهم ليلا . والدارية : منسوبة إلى دارين ، فرضة بالبحرين كان يحمل إليها المسك من ناحية الهند . وعنى بها العطور ، أو العير . والعياب : جمع عيبة ، وهى وعاء من أدم يوضع فيه الثياب ونحوها . ط ، س ، وكذا كتاب الصيدنة : « كعابها » ولم أر لها وجها .

(٣) ط : « الظماء »، وصوابه فى ل ، س ، وثمار القلوب ٣٦٤ .

(٤) الزيادة من ثمار القلوب .

(٥) من أبيات فى الأغانى (١١ : ١٢٨) .

(استطراد لغوى)

والوقيعة : المكان الصلب الذى يُمسك الماء ، والجمع الوقائع . قال : وأنشَدَنا أبو عمرٍو[1] بن العلاء ، فى الوقائع :

إذا ما استبالوا الخيلَ كانَتْ أكفُّهم وقائعَ للأَبْوالِ والماءُ أبرَدُ

يقول : كانوا[2] فى فلاةٍ فاستبالوا الخيل فى أكفهم ، فشربوا أبوالها من العطش .

ويقال شهدَ الوقِيعة والوقْعَة بمعنًى واحد . قال الشاعِرُ[3] :

لعمرى لقد أبقَتْ وقِيعةُ راهطٍ على زُفَرٍ داءً من الشَّرِّ باقيا[4]

وقال [زُفَر بنُ[5]] الحارث :

لَعَمرى لقد أبقتْ وقِيعةُ راهطٍ لِمَرْوانَ صدْعاً بيننا متَنائِيا[6]

---

(١) أبو عمرو بن العلاء تقدمت ترجمته فى (٢ : ٢٢٥) . ط ، س : « وأنشد أبو محمد » وصوابه فى ل . وانظر الاشتقاق ١٧٧ من تحقيقى .

(٢) ط ، س : « إذا كانوا » ، والوجه حذف « إذا » كما فى ل .

(٣) هو جواس بن القعطل الكلبى . المؤتلف والمختلف ٧٤ والتنبيه والإشراف ٢٦٨ .

(٤) وقعة راهط هى المعروفة بوقعة مرج راهط . انظر لها الأغانى (١٧ : ١١١ — ١١٤) والعقد (٣ : ١٤٥) ومروج الذهب (٢ : ١٠٧ بهية) . ط ، س : « على دفر » ، وصوابه فى ل ، والعقد (٣ : ١٤٧) والمؤتلف ٧٤ .

(٥) هذه الزيادة الضرورية اعتمدت فيها على المراجع المتقدمة وحماسة البحترى ١٧ .

(٦) مروان هذا هو ابن الحكم الأموى والد عبد الملك . ط : « بينا » ، وصوابه فى ل ، س ، والمراجع المتقدمة . ط ، س : « متباينا » وصوابه فى ل والمراجع المتقدمة ؛ فإن البيت من قصيدة يائية ، منها البيت المشهور :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وقال الأخطل :

لقَدْ أوقَع الجحَّافُ بالبِشْرِ وقْعَةً إلى اللهِ مِنها المشتَكَى والمعوَّلُ(١)

(أمثال من الشعر والنثر فى الغراب)

وفى صحَّة بدَن الغراب يقولُ الآخر(٢) :

إنَّ مُعاذَ بنَ مسلِمٍ رجُلٌ قدْ ضَجَّ مِنْ طُولِ عُمْرِهِ الأَبَدُ(٣)

[قَدْ(٤)] شاب رأسُ الزَّمانِ واكتَهَل الدَّهْرُ وأثْوابُ عُمْرِهِ جُدُدُ

يا نَسْرَ لُقْمانَ كَمْ تَعِيشُ وكَمْ تَسْحَبُ ذَيلَ الحَيَاةِ يا لُبَدُ(٥)

---

(١) الجحاف هذا هو ابن حكيم السلمى، قاد قومه وأغار على بنى تغلب بموضع يسمى البشر بين الفرات والشام ، فقتل منهم مقتلة عظيمة . انظر معجم البلدان والعمدة ١٦٧ وأمثال الميدانى (٢ : ٣٦٧ ، ٣٥٥) . ط ، س : « الجحاب بالشر » صوابه فى ل والمعجم . وانظر نقد البيت فى الموشح ١٦٥ — ١٦٦ .

(٢) هو الخزرجى كما فى الحيوان (٦ : ٣٢٧) ، وقد ذكر ابن خلكان (فى ترجمة معاذ بن مسلم) أن صاحب الشعر هو أبو السرى سهل بن أبى غالب الخزرجى . قال ابن خلكان فى ترجمته (وذكرها فى نهاية ترجمة معاذ) : إنه نشأ بسجستان وادعى رضاع الجن ، وزعم أنه بايعهم للأمين بن هارون الرشيد بالعهد ، فقرّبه الرشيد وابنه الأمين وزبيدة ، وله أشعار حسان وضعها على الجن والشياطين والسعالى . وقال له الرشيد : إن كنت رأيت ما ذكرت فقد رأيت عجبا ، وإن كنت ما رأيته فقد وضعت أدبا . وتجد الأبيات فى العقد (٣ : ٥٢) وبغية الوعاة ٣٩٣ منسوبة إلى محمد بن مناذر . وهى بدون نسبة فى المعانى الكبير ٥٨ وأمالى الزجاجى ١٧ من تحقيق .

(٣) معاذ بن مسلم هذا هو المعروف بالهراء ، كان نحويا كوفيا ، وكان يتشيع . قرأ عليه الكسائى وروى عنه . عمر معاذ بن مسلم طويلا . وتوفى سنة سبع وثمانين ومائة ، وهى سنة نكبة البرامكة .

(٤) من ل ، س ، والجزء السادس ، وعيون الأخبار (٤ : ٥٩) وثمار القلوب ٣٧٧ وأمثال الميدانى (١ : ٤٥٤) .

(٥) لبد ، كزفر : آخر نسور لقمان ، قالوا فى أساطيرهم : عمر لقمان عمر سبعة أنسر =

قد أصبحَتْ دارُ آدمٍ خرِبَتْ وأنتَ فيها كأنَّك الوَتِدُ[١]
تسألُ غِربانَها إذا حَجَلَتْ كيفَ يكونُ الصُّدَاعُ والرَّمَدُ

ويقال : « أرضٌ لا يَطير غرابها[٢] ». قال النَّابغة :

وَلِرَهْطِ حرّاب وقدٍّ سَوْرَةٌ في المجدِ ليس غرَابُها بمُطَارِ[٣]

جعله مثلاً . يعني أنَّ هذه الأرضَ تبلُغ مِن خِصبها أنَّه إذا دخلَها الغرابُ لم يخرُج منها ؛ لأنَّ كلّ شيءٍ يريدُه فيها[٤] .

وفى زهوِ الغُراب يقول حسَّان ، فى بعضِ قريش[٥] :

إنَّ الفَرافِصَةَ بنَ الأَحْوَصِ عِندَه شَجَنٌ لأُمِّك مِن بَناتِ عُقابِ[٦]
أجَمَعْتَ أنَّكَ أنتَ ألأمُ مَنْ مشى فى فحش مُومِسةٍ وزهْوِ غُرَابِ[٧]

= كلما مات واحد خلفه آخر ، وكان كل منها يعيش ثمانين سنة . انظر الدميرى .

(١) الوتد يبقى بعد دروس المنزل .

(٢) ط : « ويقال فى أرض لا يطير غرابها » ، والوجه حذف (فى) كما فى ل ، س

(٣) حراب : رجل من بنى أسد ، وكذلك قد ، بالفتح ، وهو أحد شعرائهم ترجمه المرزبانى فى المعجم ٣٣٩ . والسورة ، بالفتح : الارتفاع . والرواية فى الديوان بشرح البطليوسى : « ليس غرابهم » .

(٤) قال البطليوسى : « وقيل الغراب ها هنا سوادهم » . ونقل الميدانى عن أبى عبيد أن المراد بالمثل الشدة . انظر الأمثال (٢ : ٣١٦) .

(٥) ط ، س : « فى بعض بنى قريش » ، وكلمة « بنى » مقحمة . والشخص المراد هو الحارث بن هشام بن المغيرة ، كما فى الديوان ٥٩ .

(٦) عقاب : عبد كان لبنى تغلب ، وكان له بنات وقع بعضهن عند الفرافصة بن الأحوص الكلبى فكنّ إماء له ، وكانت واحدة منهن ولدت لرجل من بنى تغلب ابنة تزوجها مخربة بن جندل . ومخربة هذا والد أسماء والدة الحارث بن هشام . فحسان يهجو الحارث بأن له نسباً فى الإماء . و « عنده شجن » أراد أنه يجلب لها الشجن عند ماتتذكر نسبها . ط ، س : « بن أحوص » وأثبت ما فى ل والديوان.

(٧) يقال : « أزهى من غراب ؛ لأنه إذا مشى اختال ونظر فى عطفيه » . ثمار القلوب ٣٦٥ . ورواية المخصص (٣ : ١٠٣) : « فى فحش زانية » ، وفيه وفى الديوان ٦٠ : « وزوك غراب » . والزوك : المشى المتقارب الخطو مع تحرك الجسد .

ويقال: «وجَد فلانٌ تَمْرَةَ[1] الغُراب» ، كأنّه يتّبع عندهم أطيَب التمر[2].

ويقال: «إنّه لأَحْذَرُ مِنْ غراب» و: «أشدُ سَواداً من غراب». ١٣٢

وقد مَدحوا بسَوادِ[3] الغراب. قال عنترة:

فيها اثنتانِ وأرْبعُون حَلوبَةً سُودا كَخَافِيةِ الغرابِ الأسْحَمِ

وقال أبو دوَاد[4]:

تنفى الحصى صُعُداً شَرْقِيَّ مَنْسِمِها نَفْيَ الغُرابِ بأعلى أنفه الغَرَدا[5]

والمغاريد: كَمْءٌ[6] صِغار. وأنشد[7]:

يَحُجُّ مأمومةً فى قَعْرِها لَجَفٌ فاستُ الطَّبيبِ قذَاها كالمغارِيدِ[8]

وقد ذكرنا شدَّة منقاره، وحدَّةَ بصره فى غير هذا المكان.

---

(١) كذا فى ل واللسان (ت م ر) ومثله فى أمثال الميدانى (١ : ٣٦٩ ، ٢ : ٢٨٧) . يضرب لمن يظفر بالشىء النفيس ، ولمن يجد أفضل ما يريد . ط ، س وكذامحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) : «ثمرة» بالمثلثة .

(٢) ط ، س ، «الثمر» بالمثلثة . وانظر التنبيه السابق .

(٣) ما عدا ل : «سواد» .

(٤) كذا على الصواب فى ط . وفى ل ، س : «أبو داود» تحريف . وأبو دواد : شاعر جاهلى اسمه جارية بن الحجاج أو حنظلة بن الشرق . وهو أحد نعات الخيل المجيدين . وكانت العرب لا تروى شعره ولا شعر عدى بن زيد لأن ألفاظهما ليست بنجدية . خزانة الأدب (٤ : ١٩٠ بولاق) والشعراء لابن قتيبة .

(٥) ل : «ينفى» ويصح إذا قرئ بالبناء للمجهول . ومنسم الناقة كمجلس : خفها . والغرد : ضرب من الكمأة صغار ، وأراد بالأنف هنا المنقار . ط : «نق الغراب» وصوابه فى ل ، س . ل : «الغردة» .

(٦) ط : «كم» ، صوابه فى ل ، س . والمغاريد : جمع مغرود ، بالضم : لغة فى الغرد .

(٧) البيت الآتى قائله عذار بن درة الطائى . اللسان (ح ج ج) .

(٨) وصف هذا الشاعر طبيبا يداوى شجة بلغت أم الرأس فى قعرها . تلجف أى تقلع ، كما تتلجف البئر فينقلع طيها من أسفلها . وذلك الطبيب يجزع من هولها فالقذى يتساقط من استه كالمغاريد . انظر اللسان (ح ج ج) والكامل ٦٤ ليبسك ، ومعجم الأدباء (١٥ : ٧٣ — ٧٤) حيث الكلام طويل فى البيت . ط ، س : =

(شعر فى مديح السواد)

وقالوا فى مديح السَّواد ، قال امرؤ القيس :

العينُ قادحةَ واليدُّ سابحةَ   والأُذْنُ مصْغِيةٌ واللَّونُ غِربيبُ [١]

وفى السَّواد يقول رَبيِّعة أبُو ذؤابٍ [٢] الأسدىّ ، قاتل عتيبة بن الحارث ابن شهاب :

إنَّ المودة والهوادةَ بيننَا   خلقٌ كسَحْقِ اليُمْنَةِ المنجَابِ [٣]

إلَّا بجيشٍ لا يكَتُّ عديدُه   سُودِ الجلودِ من الحديدِ غِضابِ [٤]

= « فحج » ، وصواب الرواية من ل والمراجع المتقدمة . ل : « لحف » مصحف. ط : « قاسى الطبيب » محرف . ويروى : « كالغماريد » مقلوب عن « المغاريد » المخصص (١٣ : ١٨٢) .

(١) ط ، س : « والعين » . واليد ، بالتشديد : لغة فى اليد . س : « والرجل » .

(٢) كان ذؤاب قتل عتيبة بن الحارث اليربوعى فى يوم خو ، وأسرت بنو يربوع فى ذلك اليوم ذؤابا ، أسره الربيع بن عتيبة بن الحارث وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه ، فأتى ربيعة أبو ذؤاب إلى الربيع ، فافتدى ولده بشىء معلوم، ووعده أن يأتى بذلك سوق عكاظ . وساق ربيعة الفداء إلى السوق فى الموعد فلم يجد الربيع وابنه الأسير ، وكان الربيع تخلف لغرض له ، فقدر ربيعة فى نفسه أن الربيع علم بقتل أبيه فقتله فرثاه بأبيات منها البيتان الآتيان ، وسارت عنه . فبلغت بنى يربوع ، فعرفوا أنه قاتل عتيبة فأقادوه به . ولولا ذلك لنجا . انظر الخبر فى شرح التبريزى للحماسة (٢ : ١٦٦) . والشعر والخبر فيه وفى أمالى القالى (٢ : ٧٢ - ٧٣) . وربيعة أبو ذؤاب هو بضم الراء ، قال أبو محمد الأعرابى : « ليس فى العرب ربيعة غيره » وهو ابن عبيد بن سعد (أو هو ابن أسعد) بن جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين . شرح الحماسة والمؤتلف ١٢٥ ط ، س : « ربيعة بن أيوب » ، تحريف صوابه فى ل .

(٣) الهوادة : اللين . كسحق اليمنة ، أى كالثوب السحق البالى منها . اليمنة بالضم : نوع من برود اليمن .

(٤) إلا بجيش : يقول لانهدأ إلا إذا حكمنا الحرب . لا يكت : لا يعد ولا يحصى .

(شعر ومثل فى شيب الغراب)

وفى المثَل : « لا يكونَ ذلك حتَّى يشيبَ الغُراب » . وقال العرْجىُّ :

لا يحولُ الفؤادُ عنـــه بوُدٍّ أبداً أو يَحولَ لون الغُرابِ

وقال ساعدةَ بن جُؤَيّة :

شابَ الغراب ولا فؤادك تَاركٌ عَهْدَ الغَضُوبِ ولا عتابُكَ يُعتِبُ[١]

(معاوية وأبو هوذة الباهلىُّ)

وممـا يُذكَر للغراب ما حدّث به أبو الحسن[٢] ، عن أبى سليم[٣] ، أنَّ معاويةَ قال لأبى هوذة[٤] بن شمّاس الباهلىِّ[٥] : لقد هممت أن أحمِلَ جمْعاً من باهلةَ فى سفينةٍ ثم أغرقهم ! فقال أبو هَوْذة : إذَنْ لا ترضى باهلةُ بعِدّتِهِـمْ من بنى أمية ! قال : اسكت أيُّها الغرابُ الأبقع ! وكان به برص —

(١) أراد : طال عليك الأمر حتى كان مالا يكون أبداً، وهو شيب الغراب . عن اللسان . ط ، س : « تاركا » ولا تصح وصوابها فى ل واللسان (شيب وعتب) . و « عهد » هى فى ل : « ذكرى » وفى اللسان « ذكر » . ويعتب ، بالضم والبناء للفاعل ، بمعنى يجلب إليك العتبى ، وهى الرضا ، يقول : إن عتابك فى غير طائل . وقد ضبطت فى اللسان بالبناء للمفعول فى الموضعين . وفسرها بقوله : « أى لا يستقبل بعتبى » .

(٢) أبو الحسن ، يريد به على بن محمد المدائنى الأخبارى المعروف .

(٣) ل : « أبى سليمان » .

(٤) هذه الكلمة جاءت فى الأصل بالدال المهملة فى مواضعها الثلاثة . والوجه ما أثبت .

(٥) « ابن شماس » ساقطة من ل .

فقال أبو هوذة : إنّ الغراب [الأبقع] ربّما درج إلى الرَّخمةِ حتى ينقرَ دِماغها ، ويقلع[١] عيذ ا ! فقال يزيد بن معاوية : ألا تقتُله يا أمير المؤمنين ؟ فقال : مَهْ ! ونهض معاوية . ثمَّ وجّهه بعدُ فى سرِيَّة فقتل . فقال معاوية ليزيد : هذا أخفَى وأصوب !

(شعر فى نقر الغراب العيون)

وقال آخرُ[٢] فى نقْر الغراب العُيونَ :

أتوعد أسرتى وتركتَ حُجْراً يُرِيغُ سـوادَ عَينيهِ الغُرابُ[٣]

ولو لاقيت عِلباءَ بنَ جَحْشٍ رضِيتَ من الغَنيمةِ بالإيابِ[٤]

١٣٣ وقال أبو حيَّة — فى أنَّ الغراب يسمُّونه الأعور تطيُّرا منه — :

وإذا تَحَـلُّ قَتودها بتَنوفـةٍ مَرَّت تلِيح من الغُرابِ الأعورِ[٥]

لأنَّها تخاف من الغربان ؛ لمَا تعلمُ من وقوعها على الدَّبر .

---

(١) س : « ويقتلع » .

(٢) هو عبيد بن الأبرص يرد على امرئ القيس . انظر الخزانة (٢ : ٤٠٣ بولاق) والعمدة (١ : ٦٥) .

(٣) يريغ : يطلب . س « يريع » مصحفة .

(٤) س : « علياء » تصحيف . وفى البيت إقواء كما ترى . ومن عجيب ماروى فى شأن الإقواء : قول صاحب القاموس : « وقلت قصيدة لهم بلا إقواء » ، يعنى العرب .

(٥) قتود الناقة : أدوات رحلها . والتنوفة : الفلاة . وتليح : تشفق وتحاذر . ط ، س : « يحل قتودها » . ط : « غرت » مكان « مرت » والأولى تحريف .

(شعر فيه مدح بلون الغراب)

ومما يَمْـدَح به الشُّعراءُ بلون الغراب[1] قال أبو حيَّة :

غرابٌ كانَ أَسْوَدَ حالـكِيًّا ألَا سَقْيًا لِذلِك مِنْ غُرابِ

وقال أبو حيَّة[2] :

زمانَ عَلَيَّ غرابٌ غــدَافٌ فَطيَّرهُ الدَّهْرُ عَنِّى فطَارا

فلا يُبعِدِ الله ذاك الغُـدافَ وإن كان لا هو إلَّا ادِّكارا[3]

فأصبــحَ موضــعهُ بائضاً مُحِيطا خِطاماً مُحيطا عذارا[4]

وقال أبو حيَّةَ فى غير ذلك ، وهو مما يُعدّ للغراب :

كأَنَّ عَصِيم الدَّرس منهنَّ جاسدٌ بما سال من غربانهنَّ من الخَطْر[5]

---

(١) ط ، س : « الشعر » وليست مرادة ، بل المراد الشعراء كما فى ل . ط : « لون » وصوابه فى ل ، س .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وقال آخر » . وقد روى المرتضى فى أماليه (٢ : ١٠٠) تسعة أبيات من قصيدة أبى حية منسوبة إليه . وقبل البيت الأول :

زمان الصبا ، ليت أيامنا رجعن لنا الصالحات القصارا

(٣) كذا فى الأصل . وفى أمالى المرتضى : « وإن هو لم يبق إلا ادكارا » .

(٤) بائضا، من باض النبت : إذا صوح . ل ، س : « محيطا غدارا » .

(٥) العصيم : الدرن والوسخ والبول إذا يبس على فخذ الناقة . الدرس : الجرب أول مايظهر. وفى الأصل : « الورس » ووجهه ما أثبت . انظر اللسان (درس ٣٨٣) والمخصص (٧ : ١٦٣). وجاسد : لاصق، وفى الأصل: « حاسد » . والخطر : بالفتح ويكسر : ما يتلبد على أوراك الإبل من أبوالها وأبعارها .

(استطراد لغوى)

والغراب ضروب، ويقع هذا الاسمُ فى أماكن، فالغراب[1] حدُّ السكين والفأسِ ، [يقال] فأسٌ حديدة الغراب . وقال الشّماخ :

فأَنحَى عليها ذاتَ حدٍّ غرابها ... عَدُوٌّ لِأَوْسَاطِ العِضَاهِ مشارزُ[2]

المشارزة : المعاداة والمخاشَنة .

والغراب : حدُّ الورِك ورأسه الذى يَلِى الظهر[3] ، ويبْدأ[4] من مؤخَّر الرِّدف . والجمعُ غِربان . قال ذو الرُّمَّة :

وقَرَّبْنَ بالزُّرقِ الحمائِل بعدَ ما ... تَقَوَّب من غِربانِ أوراكِها الخَطْرُ[5]

تقوَّب[6] : تقشر ماعلى أوراكها من سلْحِها وبَولها ؛ من ضَربها بأَذنابها .

---

(١) ط : « فالغرب » ، وصوابه فى ل ، س .

(٢) أنحى : أمال . وذات حد : الفأس . والعضاه : شجر عظيم . والبيت فى صفة قواس تناول فرعا وجعل يشذبه بالفأس ليصنع قوسا . ل : « عدوا لأوساط » ، صوابه فى ط ، س والديوان ٤٧ .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ورأسه الفقارة التى تلى الظهر » .

(٤) ط ، س : « تبدأ » ، ل : « ويبدو » ، وجعلته كما ترى .

(٥) الزرق : أكثبة رملية بالدهناء . والحمائل ، بالحاء المهملة : جمع حمولة بالفتح ، وهى الإبل التى تحمل . ومثل هذه الرواية فى اللسان (خطر ، زرق) . ورواه ابن سيده فى المخصص (٧ ، ٢٣ ، ١٤ : ١١٧) : « الجمائل » بالجيم ، وقال هو جمع جمال بالكسر . والخطر فسر فى الصفحة السابقة .

(٦) س : « يقول » .

(غراب البيْن)

وكلٌّ غراب فقد يقال له غراب البين إذا أرادوا به الشؤم ، أمَّا غراب البين نفسه ؛ فإنَّه غرابٌ صغير . وإنَّما قيل لكلِّ غراب غراب البَين ، لسقوطها فى مواضعِ منازلهم إذا بانوا عنها . قال أبو خَوْلة الرِّياحِىّ[1] :

فليس بِيربوع إلى العَقْل فاقَةٌ ولا دَنَس يَسودُّ منه ثيابُها[2]

فكيف بنَوكىَ مالك إن كفَرتم لهم هذه ، أم كيف بعدُ خِطابها[3]

مَشَائم ليسُوا مُصلِحِين عشيرةً ولا ناعبٍ إلّا ببينٍ غرابها[4]

(الوليد بن عقبة وعبد الله بن الزبير)

١٣٤ ومن الدَّليل على أنّ الغرابَ من شرارِ الطَّير ، ما رواه أبو الحسن قال : كان ابنُ الزبير يقعُد مع معاويَةَ على سريره ، فلا يقدر معاويةَ أن يمتنع

(١) أبو خولة : كنية الأخوص ، بالخاء المعجمة ، الرياحى اليربوعى ، كما فى الخزانة (٤ : ١١٩ سلفية) . ل : « أبو خوالة » محرف . وفى البيان (٢ : ٢٦٠) « أبو الأحوص الرياحى » ، صوابه : « الأخوص الرياحى » كما فى الخزانة (٤ : ١١٨ سلفية) . وروى السيوطى فى شرح شـواهد المغنى ٢٩٥ نسبته إلى أبى ذؤيب الهذلى . وقد ذكر صاحب الخزانة سبب الشعر وقصته . والأخوص الرياحى شاعر إسلامى .

(٢) المراد بالعقل هنا : الدية . والرواية فى الخزانة والبيان : « سوى دنس » . و « منه » هى فى الأصل « منها » وتصحيحه من البيان وشرح شواهد المغنى .

(٣) أراد بمالك : بنى دارم بن مالك ، وكانوا قتلوا رجلا من بنى غدانة بن يربوع .

(٤) أراد بالمشائم بنى مالك لا بنى يربوع . وفى الخزانة : « مشائيم » . وأنت تراه قد جر « ناعب » توهما منه أن الباء قد دخلت على المعطوف عليه وهو « مصلحين » فإن الباء تزاد فى خبر ليس . وقد رواه سيبويه فى كتابه (١ : ١٥٤ ، ٤١٨) بالجر كما هنا . ورواه فى (١ : ٨٣) ، « ولا ناعبا » على الأصل .

منه ، فقال ذات يومٍ : أمَا أحدٌ يكفينى ابنَ الزبير ؟ فقال الوليدُ بن عقبة : أنا أكفِيكه[1] يا أميرَ المؤمنين . فسبق فقعَد فى مقعَدِه على السرير ، وجاء ابنُ الزبير فقعَدَ دونَ السرير ، ثمَّ أنشد ابنُ الزبير :

تسمَّى أباناً بعد ما كان نافِعاً وَقَدْ كانَ ذَكْوانُ تَكَنَّى أبا عمرِو[2]

فانحدَرَ الوليدُ حتى صار معه ، ثم قال :

ولولا حُرَّةٌ مهدَتْ عَلَيْكمْ صفيَّةُ ما عُدِدْتم فى النَّفِيرِ[3]

ولا عُرِفَ الزبيرُ ولا أبوه ولا جلسَ الزبير على السريرِ

ودِدْنَا أنَّ أمَّكمُ غرابٌ فكنتم شرَّ طيرٍ فى الطّيورِ

(القواطع والأوابد)

قال أبو زيد : إذا كان الشتاء قطعت إلينا الغِربانُ ، أى جاءت بلادنا[4] ، فهى قواطعُ إلينا ، فإذا كان الصيف فهى رواجع . والطير التى تقيم بأرض[5] شتاءَها وصيفها أبداً فهى الأوابد . والأوابد أيضاً

---

(١) ط ، س : « أكفيك » .

(٢) ط ، س : « يسمى » و « يكنى » .

(٣) صفية هذه هى بنت عبد المطلب ، عمة الرسول . وهى أم الزبير بن العوام . يقول لولا ما أدركتم من شرف الأم ما عددتم فى النفير . والعبارة تنظر إلى المثل السائر « فلان لا فى العير ولا فى النفير » ، يضرب لمن لايستصلح لأمر من الناس ، ولمن هو صغير القدر . انظر اللسان (نفر) وأمثال الميدانى (٢ : ١٥٤ — ١٥٥) .

(٤) ل : « من بلادنا » ، تحريف .

(٥) ل : « بأرضنا » .

هى الدواهى، يقال جاءنا بآبدةٍ . ومنها أوابد الوحْش . ومنها أوابد الأشعار . والأوابد أيضاً : الإبل إذا توحَّش منها شىءٌ فلم يُقدَر عليه إلّا بعقْر . وأنشد أبو زيدٍ فى الأوابد(١) :

ومَنْهل وَرَدْته التِقَاطَا(٢) طامٍ فلمْ ألْقَ به فُرَّاطَا(٣)

* إلّا القطا أوابداً غَطَاطا(٤) *

(صوت الغراب)

ويقال نغق الغراب ينغِق نغيقا ، بغين معجمة ؛ ونعب ينعب نعيباً بعين غير معجمة . فإذا مرَّت عليه السِّنونَ الكثيرةَ وغلُظ صوته قيل شحَج يشحَج شحيجاً(٥) . وقال ذو الرُّمَّة :

ومُسْتَشْحِجَاتٍ بالفِراقِ كأنَّها مَثَاكِيلُ من صُيَّابةِ النُّوبِ نُوَّحُ(٦)

والنُّوبة توصف بالجزع .

---

(١) صاحب الرجز نقادة الأسدى ، كما فى اللسان (فرط ، لقط) .

(٢) التقاطا : فجأة بدون احتساب أو رجاء .

(٣) الفراط : المتقدمات إلى الماء . ط ، س : « فلم نلف » . اللسان : « لم أر إذ وردته » و « لم ألق إذ وردته » . ل : « قراطا » بالقاف ، تصحيف .

(٤) ل : « أبدا » . والغطاط ، بالفتح : الطوال الأرجل ، البيض البطون ، الغبر الظهور ، الواسعة العيون . ورواية اللسان فى الموضعين : « إلا الحمام الورق والغطاطا » .

(٥) س : « سحج يسحج سحيجا » ، تصحيف .

(٦) يعنى الغربان . س : « مستسحجات » تصحيف . والصيابة ، بضم الصاد وتشديد الياء : الصميم والخيار . س : « صبابة الثوب » وصوابه فى ل ، ط ، واللسان والمخصص (٣ : ١٥٣ ، ٤ : ٣٠ ، ٨ : ١٣٤) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٦٩) .

(أثر البادية فى رجال الروم والسند)

وأصحابُ الإبل يرغبون فى اتّخاذ النوبة والبربر والرُّوم للإبل ؛ يرون أنهم يصلُحون على معايشها ، وتصلح على قيامهم عليها .

ومن العجب أنَّ رجال[١] الرُّوم تصلح فى البدْو مع الإبل ، ودخول الإبل بلادَ الروم هو هلاكها .

فأمَّا السِّندَ فإنَّ السِّندِىَّ صاحبَ الخَرْبَة[٢] إذا صار إلى البدو ، وهو طفل ، خرجَ أفصحَ من أبى مَهْدِيّة[٣] ، ومن أبى مطَرِّف[٤] الغنَوىّ . ولهم طبيعةٌ فى الصَّرْفِ ؛ لاترى بالبصرة صـيْرَفِيًّا إلَّا وصاحب كِيسه[٥] سِنْدِىٌّ .

---

(١) ط ، س : « حال » .

(٢) خربة السندى : ثقب شحمة أذنه . ط ، س : « الحربة » مصحفة . قال ذو الرمة من بائيته المشهورة :

كأنه حبشى يبتغى أثراً أو من معاشر فى آذانها الخرب

وقد سبقت هذه الكلمة فى (٢ : ٣٤٠، ٣٤١) ، وفى أول رسالة فخر السودان : «خرتة» وهى والخربة بمعنى .

(٣) أبو مهدية سبقت ترجمته فى (٢ : ٢١٤) . س : « أبى مهرية »، تصحيف .

(٤) ل : « ومن مصرف » .

(٥) س : « كسبه » . تحريف ما فى ط ، ل . وجاء فى رسائل الجاحظ ٨١ ساسى : « ومن مفاخرهم أن الصيارفة لا يولون أكيستهم وبيوت صروفهم إلا السند وأولاد السند . . . ولا يكاد أحد أن يجد صاحب كيس صيرفى ومفاتيحه ، ابن رومى ولا ابن خراسانى » .

(نبوغ السِّند)

واشترى محمّد بنَ السّكن ، أبا رَوْح[١] [فَرَجاً] السِّندى ، فكسب له المالَ العظيم . فقَلَّ صيدَلانىٌّ[٢] عندنا إلّا وله غلامٌ سِندىٌّ . فبلغوا أيضاً فى البَرْبَهار[٣] والمعرفة بالعقاقير ، وفى صحّة المعاملة ، واجتلاب الحُرفاء مبلغاً حسنا . ١٣٥

وللسِّندِ فى الطّبخ طبيعةٌ ، ما أكثرَ ماينجبُون فيه .

وقد كان يحيى [بن خالد] أراد أن يحوِّل إجراءَ الخيل عن صبيان الحُبشان والنُّوبة ، إلى صبيان السند ، فلم يفلحوا فيه ، [وأراد تحويل رجال السّند إلى موضع الفرّاشين من الرُّوم[٤] ، فلم يفلحوا فيه] .

وفى السِّند حلوق[٥] جِياد ، وكذلك بنات السِّند .

---

(١) ط ، س : « أبا رواح » ، وصوابه من ل ورسائل الجاحظ ٨١ ساسى .

(٢) الصيدلانى : بائع الأدوية ، وتبدل اللام نونا فيقال « صيدنانى » أيضاً . وجاء فى ل : « صيدنانى » .

(٣) كذا ضبطها العلامة المحقق الأب أنستاس مارى الكرملى ، وقال : المراد بها توابل بر الهند . قلت : وجاءت هذه الكلمة فى رسائل الجاحظ ٨١ ساسى : « صيارفة البصرة وبنادرة البربهارات » . وانظر أنساب السمعانى ٧١ . وفى ط ، س : « البربها » ، بإسقاط الراء محرفة .

(٤) يراد بالفراش من يتعهد فراش البيت وأثاثه . انظر حول ديوان البحترى ص ٣٩ .

(٥) أراد أصحاب حلوق : جمع حلق ، أى أن لهم أصواتا حسنة . ل : « أخلاق » تحريف . وجاءت مثل هذه العبارة فى رسائل الجاحظ ٦٣ ، قال : « وليس فى الأرض أحسن حلوقا منهم » وفى ص ١١٨ : « ومن مفاخر الزنج حسن الحلق وجودة الصوت » .

(استطراد لغوى)

والغراب يسمَّى أيضاً حاتماً . وقال عَوف بن الخَرِع[1] :

ولكنَّما أهْجُو صفىَّ بنَ ثابت مَثَبَّجةً لاقت من الطَّيرِ حاتما[2]

وقال المرقِّش ، من بني سَدُوس[3] :

ولقد غَدَوتُ وكنتُ لا أغـدُو على وَاقٍ وحاتِم

[فإذا الأشائمُ كالأيا مِنِ والأيامِنُ كالأشائمْ

وكذاك لا خير ولا شرٌّ على أحدٍ بدائمْ]

---

(١) هو عوف بن عطية بن الخرع (وزان كتف) التيمى ، نسبة إلى تيم بن عبد مناة ، شاعر جاهلى . الخزانة (٣ : ٨٢ بولاق) . فى الأصل « الجزع » تصحيف ، صوابه فى القاموس (خرع) والخزانة والمفضليات ، وقد اختار له المفضل الضبى فى ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٤١٢ ثلاث قصائد حسان .

(٢) المثبجة : البوم ، كما فى القاموس . ط ، س : « منيحة » ، وفى ل : « متيحة لاقته من الطير » ، صوابه من الأصمعيات ١٦٩ .

(٣) بدله فى ط ، س : « وقال آخر » . وتجد الشعر منسوبا إلى المرقش فى عيون الأخبار (١ : ١٤٥) وتأويل مختلف الحديث ١٢٩ . ولم يعين المراد أهو المرقش الأصغر أم الأكبر ، لكن إطلاقه يرجح أنه الأصغر فإنه « أشعرهما وأطولهما عمراً » . معجم المرزبانى ٢٠١ . وتجد الشعر فى حماسة البحترى ٢٥٥ معزوا إلى المرقم الذهلى ، وهو خزز بن لوذان كما فى المؤتلف ١٠٢ حيث توجد هذه النسبة أيضاً . والشعر بدون نسبة فى أمالى القالى (٣ : ١٠٦) وزهر الآداب (٢ : ١٦٩) .

وأنشد خُثيم بن عَدِيٍّ[(١)] :

وليس بهيَّابٍ إذا شدَّ رحْلَه يقولُ عدانِي اليومَ واقٍ وحاتمُ[(٢)]

ولكنَّه يَمضِي على ذاكَ مُقْدِماً إذا صَدَّ عَنْ تِلكَ الهَنَاتِ الخُثارِمُ[(٣)]

والخُثَارم : هو المتطيِّر[(٤)] من الرِّجال . وأما قوله : « واقٍ وحاتمُ » فحاتم هو الغراب ، والواق هو الصُّرَد ؛ كأنَّه يرى أنَّ الزَّجْر بالغُراب إذا اشتقَّ مِن اسمه الغَرْبة[(٥)] ، والاغتراب ، والغريب ، فإنَّ ذلك حتم . ويشتق من الصُّرَد التصريد[(٦)] ، والصَّرَد [و] هو البرد . [ويدلك[(٧)]] على ذلك قوله :

دعا صرَدٌ يوماً على غصْنِ شوْحَطٍ وصاح بذاتِ البَيْنِ منها غرابُها[(٨)]

فقلتُ : أتصريدٌ وشَحْطٌ وغرْبَةٌ فهذا لعمرى نأيُها واغترابُها[(٩)]

---

(١) كذا على الصواب فى ل والاقتضاب ٣٥٤ واللسان (وق ، وحتم ، وخثرم) . ويعرف أيضاً بالرقاص الكلبى ، كما نقل مصحح اللسان عن التكملة . وفى ط ، س : « لحاتم بن على » ، وهو تحريف . يمدح بالشعر مسعود بن بحر الزهرى . وقبله :

وجدت أباك الخير بحراً بنجوة بناها له مجداً أشم قماقم

(٢) عدانى : منعنى عن المضى إلى ما أقصد . والواق ، كالقاضى : الصرد ، وهو طائر أبقع ضخم الرأس ضخم المنقار شديده ، فوق العصفور ويصيد العصافير ، غذاؤه من اللحم .

(٣) عن تلك الهنات : أى بسبب تلك الأمور . ط ، س : « الهناة » ، صوابها فى ل واللسان والاقتضاب والمخصص (١٣ : ٢٥) وتأويل مختلف الحديث ١٢٨ . والخثارم ، بضم الخاء ويروى بفتحها . فالأول مفرد والثانى جمع ، مثله جوالق وجوالق ، وقراقر وقراقر ، وعذافر وعذافر .

(٤) ط ، س : « المتكبر » ، وصوابه فى ل واللسان والقاموس وتأويل مختلف الحديث ١٢٨ .

(٥) ط ، س : « عن اسمه الغرابة » محرفة .

(٦) التصريد : التقليل ، وفى السقى : دون الرى .

(٧) الزيادة من ل ، س .

(٨) الشوحط : شجر تتخذ منه القسى . وفى زهر الآداب (٢ : ١٦٨) : « على غصن بانة » ، ولا يستقيم هذا مع البيت الآتى . ط ، س : « فيها » ، وصوابه من ل وزهر الآداب . وضمير « منها » للحبيبة .

(٩) التصريد فسر قريباً . والشحط : البعد .

[فاشتَقَّ التَّصْرِيدَ مِنَ الصُّرَدِ ، وَالْغُرْبَةَ مِنَ الْغُرَابِ ، والشَّحْطَ مِنَ الشَّوْحَطِ] .

ويقال أُغْرِب الرّجُل : إذا اشتدَّ مرضُه ، فهُوَ مُغْرَب[1] .

قال : والعنقاء المغْرِب ، العُقاب ؛ لأنَّها تجيء من مكانٍ بعيد .

(أصل التطير فى اللغة)

قال : وأصل التطيُّر إنما كان من الطَّير [و] من جهة الطَّير ، إذا مرَّ بارحًا [أ] وْ سانحا[2] ، أو رآه يتفلى وينتَتِف ، حتَّى صاروا إذا عاينوا الأعورَ من النَّاس أو البهائم ، أو الأعضبَ أو الأبترَ ، زجَروا عند ذلك وتطيَّروا عندها ، كما تطيَّروا من الطير إذا رأوها على تلك الحال . فكان زجر الطَّير هو الأصــل ، ومنه اشتقوا التطيّر ؛ ثمَّ استعملوا ذلك فى كلِّ شىء .

(أسماء الغراب)

والغراب لسواده إن[3] كان أسود ، ولاختلاف لونه إن[3] كانَ أبقَع ، ولأنَّه غريب يقطع إليهم[4] ، ولأنّه لا يوجد فى موضع خيامهم

(١) ل : « أغرب على الرجل » وليس مراداً ، فى القاموس : أغرب عليه : صنع به صنع قبيح . ط ، س : « اشتد ضحكه » ، وهو تحريف صوابه فى ل ؛ فى القاموس : « أغرب بالضم : اشتد وجعه » .

(٢) البارح : مامر من ميامنك إلى مياسرك . والسانح عكسه . وكان يتشاءم بالأول ويتيمن بالثانى عند أهل نجد ، وكان أهل الحجاز يتفاءلون بالأول ويتشاءمون من الثانى .

(٣) ل : « إذا » .

(٤) ط : « لايقطع » تحريف ، وانظر ما سبق فى ص ٤٣٢ .

يتقمَّم ، إلَّا عندَ مباينتِهم لمساكنهم ، ومزَايَلَتِهِمْ لدُورهم ؛ ولأنّه ليس شيءٌ ١٣٦
من الطّير أشدَّ على ذوات الدَّبَر من إبلهم من الغِربان ، ولأنّه حديدُ البصر
فقالوا عند خوفهم من عينه « الأعور » . كما قالوا : « غراب » لاغترابه وغربته
« وغراب البَين » ؛ لأنَّه عندَ بينونتهم يوجَد فى دُورهم .

ويسمُّونه « ابنَ داية » ؛ لأنَّه ينقُب عن الدَّبَر حتَّى يبلغ إلى دايات العنق
وما اتّصل بها من خرُزات[1] الصُّلبِ ، وفَقَار الظهر .

(مراعاة التفاؤُل فى التسمية)

وللطِّيَرة[2] سمَّت العربُ المنهوش بالسَّليم ، والبرّيّة بالمفازة ، وكنَوا
الأعمى أبا بصير ، والأسود أبا البيضاء ، وسمّوا الغراب بحاتِم ؛ إذْ كان
يحتِم الزَّجر به على الأمور . فصار تطيُّرهم من القَعيدِ والنَّطيح[3] ومن جَرْد
الجراد[4] ، ومن أنَّ الجرادة[5] ذاتُ ألوان ، وجميعِ ذلك — دونَ
التَّطيُّرِ بالغراب .

---

(١) الخرزات : جمع خرزة ، بالضم وتجمع أيضاً على خرز ، كغرف ، وهى مابين الفقرات . ط : « خرزان » ، وصوابه فى ل ، س . وانظر ماسبق من الكلام على ابن دأية فى ص ٤١٥ .

(٢) الطيرة : مايتشاءم به من الفأل الردىء .

(٣) القعيد : ماجاء من ورائك من ظبى ، أو طائر . والنطيح : ماجاء من أمامك من الطير والوحش .

(٤) ل : « وجرد الجرادة » .

(٥) ط ، س : « الجراد » .

(ضروب من الطِّيَرة)

ولإيمان العرب بباب الطِّيَرَة [والفأل] عقَدُوا والرَّتائم[1] ، وعشَّروا إذا دخَلوا القُرى تَعشِيرَ الحِمار[2] ، واستعملوا فى القِداح الآمر ، والناهى ، والمتربِّص[3] . وهنَّ غيرُ قداح الأيسار .

(قاعدة فى الطِّيَرة)

ويَدُلُّ على أنهم يشتقُّون من اسم الشىء الذى يعاينونَ ويسمَعون ، قولُ سَوَّار بن المضرَّب[4] :

تغنَّى الطَّائرانِ ببينِ لَيلَى   على غصنينِ من غَرْبٍ وبَانِ

---

(١) الرتائم : جمع رتيمة : وهى أن يعقد الرجل إذا أراد سفرا شجرتين أو غصنين ويقول: إن رجع وهما على حالهما كانت زوجته محتفظة بوفائها ، وإلا فلا . أو هى خيط يشد على الإصبع تستذكر به الحاجة . والمعنى الأول هو المراد فى الطيرة والفأل .

(٢) عشر الحمار : تابع النهيق عشر نهقات ووالى بين عشر ترجيعات فى نهيقه . وكانوا يزعمون أن من قرب أرضا وبئة فوضع يده خلف أذنه وعشر ثم دخلها أمن الوباء . قال عروة فى ديوانه من مجموع خمسة الدواوين ص ٩٩ :

لعمرى لئن عشرت من خشية الردى   نهاق الحمير إننى لجزوع

ويظهر أن أصله عادة لليهود من العرب ، كما قال عروة :

وقالوا احب وانهق لا تضيرك خيبر   وذلك من دين اليهود ولوع

(٣) تحدث ابن قتيبة فى كتاب الميسر ٣٩ - ٤٠ عن الآمر والناهى ولم يذكر « المتربص » .

(٤) قال التبريزى : « مضرب بفتح الراء ، أى ضرب مرة بعد مرة » وقد ذكره =

فكان البانُ أن بانَتْ سُلَيمَى وفى الغَرْب اغترابٌ غيرُ دانِ

فاشتقّ كما ترى الاغتراب من الغَرْب ، والبينونَة من البان .

وقال جران العَود :

جَرَى يوم رُحْنا بالجمَال نُزِفُّها عُقابٌ وشَحَّاجٌ من البين يَبْرَحُ[1]

فأمَّا العُقاب فهى منها عقوبةٌ وأمّا الغُراب فالغَريبُ المطوَّحُ[2]

فلم يجد فى العُقاب إلّا العقوبة . وجعل الشَّحاجَ[3] هو الغراب البارح وصاحب البين ، واشتقّ منه الغريب المطوَّح .

ورأى السَّمهريُّ[4] غرابا عَلَى بانةٍ ينتف رِيشَه ، فلم يجد فى البان إلّا البينونة ، ووجد فى الغُراب جميعَ معانى المكروه ، فقال :

رأيتُ غراباً واقِعاً فوقَ بانَةٍ يُنتِّفُ أعلى ريشهِ ويُطايِرُهْ[5]

= صاحب المؤتلف فقال : « سوار بن المضرب السعدى أحد بنى ربيعة بن كعب ابن زيد مناة بن تميم ، الشاعر المشهور، القائل :

وإنى لا أزال أخا حروب إذا لم أجن كنت مجن جانى »

ط ، س : « بشار بن المضرب » صوابه فى ل . والشعر فى عيون الأخبار (١ : ١٤٩) منسوب إلى الملوط ، وفى الكامل ٨٤ ليبسك ونثار الأزهار ٧٥ إلى جحدر العكلى . وانظر أمالى القالى (١ : ٢٨١ — ٢٨٢) .

(١) ل والشعراء ٦٩٧ : « يوم جئنا » . نزفها : نحثها على السير السريع ، يقال أزفه : حمله على الزفيف . ط ، س : « يزفها » ، وأثبت مافى ل والديوان ٣ والشعراء .

(٢) المطوح : البعيد .

(٣) ط : « السحاج » ، وصوابه فى ل ، س . شحج : نعق .

(٤) كذا فى ل وهو المطابق لما فى شرح التبريزى للحماسة ١ : ٢١١. وهو السمهرى بن بشر العكلى . وفى ط ، س : « السهمى » ، تحريف . والمعروف نسبة هذه الأبيات إلى كثير عزة فى قصة طويلة تجدها فى زهر الآداب (٢ : ١٦٩) ومحاسن البيهقى (٢ : ٢٢ — ٢٣) والمستطرف (٢ : ١٦٩) وعيون الأخبار (١ : ١٤٧) والشريشى (٢ : ٢١٥) .

(٥) الرواية فى المخصص (٨ : ١٣١) وشرح التبريزى للحماسة : « ينشنش أعلى ريشه » نشنش ريشه : نتفه فألقاه .

فقلتُ ، ولو أنى أشاء زَجَرْتُه بنفسى ، للنهدىِّ : هل أنتَ زاجرُه[(١)]

فقال : غرابٌ باغتراب من النَّوى وبالبان بينٌ من حبيب تعاشرُه[(٢)]

فذكر الغرابَ بأكثرَ ممَّا ذُكر [به] غيرُه ، ثمَّ ذكر بعدُ شأنَ الرِّيش وتطايرَه . وقال الأعشى :

ما تَعيف اليَومَ فى الطَّيرِ الرَّوَحْ مِنْ غرابِ البَينِ أو تيسٍ بَرَحْ[(٣)]

فجعل التَّيس من الطَّير ، إذ تَقدَّمَ ذكر الطَّير ، وجعله من الطَّير فى معنى التطيُّر .

وقال النَّابغة :

١٣٧ زَعَمَ البوارِحُ أنَّ رِحْلَتَنَا غدًا وبِذَاكَ خبَّرَنا الغرابُ الأسْوَدُ

وقال عنترة :

ظَعَنَ الذين فراقَهُمْ أتوقَّعُ وَجَرَى بِبَيْنِهِمُ الغُرابُ الأبقَعُ

حَرِقُ الجَناحِ كأنَّ لَحْيَىْ رأسِه جَلَمانِ بالأخْبارِ هَشٌّ مُولَعُ[(٤)]

---

(١) النهدى : رجل من بنى نهد ، وهم من أزجر العرب ، كان لقى كثيرا فى الطريق وزجر له ، أى تكهن . ط : « للهندى » تحريف .

(٢) كذا فى ل والمراجع المتقدمة ، خلا زهر الآداب ، ففيه : « تجاوره » . وفى ط ، س : « نحاذره » ، أى نحاذر البين .

(٣) ط : « نعيف » س : « يعيف » ، والرواية ما أثبت من ل واللسان (روح عيف) ، والمخصص (٩ : ٥٧) ، ومحاسن البيهقى (١ : ٩٩) وتعيف : من العيافة وهى الزجر والتطير . والروح بالتحريك : اسم جمع لرائح أو أراد الروحة مثل الكفرة فطرح الهاء ، كما فى المخصص . والبيت صدر قصيدة للأعشى فى ديوانه ١٥٩ يمدح بها إياس بن قبيصة الطائى . وانظر قصة الشعر فى محاسن البيهقى .

(٤) ط ، س : « خرق » ، تصحيف . وقد أسلفت القول على هذا البيت فى (١ : ٣٤) .

فزَجَرتُه ألاَّ يُفرِّخَ بيضُـه[1] أبَدًا ويُصْبِـحَ خائفاً يتفجَّعُ

إنَّ الذين نعَبْتَ[2] لى بفراقِهمْ هُمْ أسهرُوا ليلى التِّمامَ فأَوْجَعُوا[3]

فقال : « وجرى ببينهم الغراب » لأنَّه غريب ، ولأنه غراب البين ، ولأنّه أبقع . ثم قال : « حَرِق[4] الجناح » تطيرًا أيضاً من ذلك . ثمَّ جعل لَحْيَىْ رأسِهِ جِلمَين ، والجلَم يقطع . وجعله بالأخبار هَشًّا مُولَعًا ، وجعَل نعيبه [و] شحِيجَه كالخبر المفهوم .

(التشاؤم بالغراب)

قال : فالغراب أكثرُ من جميعِ ما يُتَطيَّرُ بِهِ فى باب الشؤم . ألا تراهم كلما ذكروا ممَّايتطيرُون منه شيئاً ذكروا الغراب معه ؟!

وقد يذكرون الغرابَ ولا يذكرون غيره ، ثمَّ إذا ذكروا كلَّ واحدٍ من هذا الباب لايمكنهم أنْ يتطيرُوا منه إلاّ من وجهٍ واحد ، والغراب كثيرُ المعانى فى هذا الباب ، فهو المقدَّم فى الشؤم .

---

(١) ط : « طيره » . وفى الديوان ١٥٧ : « عشه » . والبيت ساقط من ل .

(٢) س : « نعيت » ، تصحيف .

(٣) ليلى التمام : الشديد الطول . وهذه رواية ط ، س والديوان . وفى ل : « ليل التمام » وكلاهما صحيح . وفى حديث عائشة : « كان يقوم الليلة التمام » .

(٤) ط ، س : « خرق » ، وصوابه فى ل . وانظر التنبيه الرابع من الصفحة السابقة .

(دفاع صاحب الغراب)

قال صاحبُ الغراب : الغرابُ وغير الغراب فى ذلك سواءٌ . والأعرابىُّ إن شاء اشتقَّ من الكلمة ، وتَوَهَّمَ فيها الخيرَ ، وإن شاء اشتقَّ منها الشرَّ .

وكلُّ كلمةٍ تحتمِلُ وجوهاً .

ولذلك قال الشاعر :

نظرتُ وأصحابى ببطن طويلع ضُحَيًّا وقد أفْضى إلى اللَّبَبِ الحَبْلُ (١)

إلى ظبيةٍ تَعطو سَيَالاً تَصورُه يجاذِبها الأفنانَ ذو جُدد طِفل (٢)

فقلتُ وعِفت : الحبلُ حبلُ وِصالها تجذَّذ من سلماك وانصرَم الحَبْل (٣)

وقلت : سيال ! قَدْ تسلَّت مودَّتى. تصورُ غُصُوناً ! صارجثمانها يَعلو (٤)

---

(١) ل : « وقد جاوزت بطن طويلع » . الحبل : الرمل المستطيل . واللبب : ما كان قريبا من حبل الرمل . يقول : وقدجزنا الحبل إلى اللبب . ويصح أن يراد لبب الناقة وحبلها ، وأن الحبل قطع حتى صار إلى اللبب . ط ، س : « إلى اللبب الحمل » ، ووجهه ما فى ل .

(٢) السيال ، كسحاب : ضرب من الشجر تحبه الظباء . تصوره : تميله . الجدد : الخطوط والعلامات . س : « ذو حرحر » . ل : « ذو جدل » ، تحريف ما فى ط .

(٣) عفت ، من العيافة والزجر . تجذذ : تقطع . ط ، س: « تجدّد » ، يقال جده قطعه . سلماك : نسب سلمى الحبيبة إليه . س : « ساماك » ل : « سامال » صوابه ما أثبت من ط . ل : « وانصرم الوصل » .

(٤) ط : « سيالا » ، خطأ .

وعِفت الغريرَ الطِّفلَ طِفلاً أتت به ... فقلت لأصحابى : مضيُّكم جَهْلُ[1]
رُجوعِىَ حَزْمٌ وامترائِىَ ضِلَّةٌ ... كذلك كانَ الزَّجْرُ يَصْدُقُنى قَبْلُ[2]

وقال ابن قيس الرُّقَيَّات :

بَشَّرَ الظَّبىُ والغُرابُ بسُعْدَى ... مَرحَبًا بالذى يَقُول الغرابُ

وقال آخر[3] :

بَدَا إذ قَصَدْنَا عَامِدِينَ لأَرضنا ... سنيحٌ فَقال القَوْم : مرَّ سنيحُ[4]
وهابَ رجالٌ أن يقولوا وَجَمْجَموا ... فَقلت لهم : جارٍ إلَىَّ ربيحُ[5]
عُقابٌ بإعقاب من الدّار بَعْدَ مَا ... مَضَت نِيَّةٌ لاتسْتطاعُ طَرُوحُ[6] ١٣٨
وقالوا : دمٌ ! دامت مودَّة بيننا ... وعادَ لَنا غضِ الشبابِ قريحُ[7]
وقال : صحابى : هُدهُدٌ فوق بانَة ! ... هدًى وبَيانٌ فى الطريق يَلوحُ
وقالوا : حمامات ! فحُمَّ لقاؤُها ... وطلحٌ ! فنيلت والمطىُّ طَلِيحُ[8]

---

(١) ط : « الطفل طفل » صوابه فى ل ، س . توقع أنها زوجت وولدت فانقطع أمله من ودها .

(٢) الامتراء : الشك . والضلة بالكسر : الضلال ، وبالفتح : الحيرة . س : « خلة » .

(٣) هو أبو حية النميرى . زهر الآداب (٢ : ١٦٧ — ١٦٨) والشريشى (٢ : ٢١٥) .

(٤) ط ، س : « لأهلها » ، وأثبت ما فى ل وزهر الآداب . السنيح : ما جاء من المياسر إلى الميامن .

(٥) الجمجمة : ألا يبين المرء كلامه . ل : « ورجعوا » وجار ، من الجرى .

(٦) الإعقاب : التبديل . يقول : سيبدلون الدار . ط ، س : « النار » ، وصوابه فى ل وزهر الآدب . ونية طروح : بعيدة .

(٧) س : « قريح » ل : « غض الشباب قديح » ، ولم أهتد إلى الوجه فى ذلك . وفى زهر الآداب : « ودام لنا حلو الصفاء صريح » .

(٨) حم : قدر وقضى . المطى : الإبل . طليح : أعياه السفر . ط ، س : « فزيرت » وأثبت ما فى ل ومحاسن البيهقى (٢ : ٢٤) .

قالوا : فهو إذا شاء جعل الحمام من الِحمام والحميم والحمى. وإن شاء قال : « وقالوا حماماتٌ فحُمَّ لقاؤها » . وإذا شاء اشتق[١] البين من البان . وإذا شاء اشتقَّ منه البيان[٢] .

وقال آخر[٣] :

وقالوا: عقابٌ ! قلتُ عُقْبَى من الهوى دنَتْ بعد هَجْرٍ منهمُ، ونزوحُ[٤]

وقالوا : حمامات ! فحُمَّ لِقاؤُها وعادَ لنا حُلوُ الشَّبابِ رَبِيحُ[٥]

وقالوا : تَغَنَّى هدهدٌ فوقَ بانة ! فقلتُ : هُـدًى نغدُو به ونَرُوحُ

ولو شاء الأعرابىّ [أن يقول[٦]] إذا رأى ســوادَ الغراب : سواد سودد ، وسواد الإنسان : شخصه ، وسواد العراق : سعَف نخله ، والأسودان الماء والتمر ، وأشباه ذلك — لقاله .

قال : وهؤلاء بأعيانهم الذين يصرِّفون الزَّجر كيف شاءوا ، وإذا لم يجدوا مِن وقوع شىءٍ بعدَ الزَّجر بُدًّا — هم الذين إذا بدا لهم فى ذلك بَداء[٧] أنكروا الطِّيرَةَ والزَّجْرَ البتّة .

---

(١) ط ، : « أشق » ، وصوابه فى ل .

(٢) يشير إلى البيت الخامس من الأبيات السابقة .

(٣) كذا جاء . والحق أنه من القصيدة الأولى، وأنه رواية أخرى فى بعض أبياتها .

(٤) النزوح : البعد .

(٥) ل : « وقالوا حمام قلت حم لقاؤها » .

(٦) الزيادة من س .

(٧) بدا له فى الأمر بدوا ، وبداء ، وبدأ ، وبداة : نشأ له فيه رأى . ط : « بده » محرفة . س : « بدأ » ، وأثبت ما فى ل .

(تطير النابغة وما قيل فيه من شعر)

وقد زعم الأصمعيُّ أنَّ النَّابِغَةَ خرج مع زَبَّان بنِ سيَّار[1] يريدان الغَزو ، فبينما هما يريدان الرحلة إذْ نظر النَّابغةُ وإذا على ثوبه جرادةٌ تجرد ذاتُ ألوان ، فتطيَّر وقال : غيرى الذى خَرجَ فى هذا الوجه ! فلما رجع زَبَّان من تلك الغَزْوة سالمًا غانماً ، قال :

تخـبَّر طيْرَهُ فيهـا زيادٌ   لتخْبِرَه وما فيها خَبِيرُ[2]

أقام كأنَّ لقْمان بنَ عادٍ   أشار له بحكْمته مُشـير

تعـلَّمْ أنَّه لا طـيْرَ إلاَّ   على متطيرٍ وهو الثُّبـور

بلى شيءٌ يوافِقُ بعضَ شيءٍ   أحايينا وباطله كـثيرُ[3]

فزعم كما ترى زَبَّان — وهو من دهاة العرب وساداتهم — أنَّ الذى يجِدونه إنَّما هو شيءٌ من طريق الاتفاق ، وقال :

تعـلَّمْ أنَّه لا طـيْرَ إلاَّ   على متطيِّر وهو الثُّبُور

---

(١) هو زبان بن سيار بن عمرو الفزارى ، ذكره ابن قتيبة فى المعارف ٥١ . وهو صهر للنابغة ، قال فى شعر له :

ألا من مبلغ عنى خزيما   وزبان الذى لم يرع صهرى

وكانت أخت هرم بن سنان تحت زبان . ط ، ل : « يسار » ، وصوابه فى س والحيوان (٥ : ٥٥٥) والبيان (٣ : ٣٠٤) .

(٢) تخبر طيره : سألها أن تخبره . ط : « تخبر طيره » ، س : « تخير طيره » ، والطيرة بالكسر الاسم من تطير . وزياد هو النابغة ، ابن معاوية الذبيانى .

(٣) كذا فى ل والبيان (٣ : ٣٠٥) والحيوان (٥ : ٥٥٥) والعمدة (٢ : ٢٠٢) والمستطرف (١ : ٨٤) وعيون الأخبار (١ : ١٤٦) . وفى ط : « وأحيانا » . وفى س : « وأحيانا رداك » ، وما فى س محرف .

وهذا لاينقض الأوّلَ من قوله : أمّا[1] واحدة فإنه إنْ جعل ذلك من طريق العِقاب للمتطير[2] لم ينقُضْ قوله فى الاتّفاق . وإن ذهب إلى أنّ مثلَ ذلك قد يكون ولا يشعر بهِ اللاّهى عن ذلك والذى[3] لا يؤمن بالطيرة ، فإنّ[4] المتوقِّع فهو فى بلاء مادامَ متوقعا . وإن وافق بعضُ المكروه جعَله من ذلك .

١٣٩

(تطير ابن الزبير)

ويقال إنَّ ابن الزبير لما خرج مع أهله من المدينة إلى مكّة ، سمع بعضَ إخوته ينشد :

وكلُّ بنى أُمٍّ سيُمْسُون ليلةً ولم يَبْقَ من أعْيانِهِمْ غيْرُ وَاحِدِ

فقال لأخيه : مادعاك إلى هذا ؟ قال : أما إنى ما أردته ! قال : ذلك أشدُّ له .

وهذا منه إيمانٌ شديد بالطيرة كما ترى .

---

(١) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « إلا » .

(٢) س : « للتطير » .

(٣) ل : « وأنه » محرف .

(٤) فى الأصل : « فأما » .

(بعض من أنكر الطيرة)

ومِمَّن كان لا يرى الطيرة شيئاً[1] المرقش ، من بنى سدوس ، حيثُ قال :

[إنى غدوتَ وكنت لا أغدو على واقٍ وحاتمْ]

فإذا الأشائمُ كالأيا مِنِ والأيامِنُ كالأشائمْ

فكذَاكَ لا خيْرٌ ولا شرٌّ على أحدٍ بدائمْ[2]

قال سَلامة بنُ جندل[3] :

ومَن تعرَّض للغِرْبان يزْجُرُها على سلامَتِه لا بدَّ مشئوم

ومِمَّن كان ينكر الطِّيرة ويوصى بذلك ، الحارثَ بن حلّزة ، وهو قوله — قال أبو عبيدة : أنشدَنيها [أبو] عمْرو ، وليست إلاّ هذه الأبيات ، وسائرُ القصيدهِ مصنوع مولّد — وهو قوله :

يا أيها المزْمِعَ ثم انثَنَى لايَثْنِكَ الحازِى ولا الشاحِجُ[4]

---

(١) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « ومن كان لا يرى الطير » .

(٢) سبقت الأبيات والقول فيها ص ٤٣٦ .

(٣) كذا والصواب أن البيت لعلقمة الفحل كما فى أمالى المرتضى (٣ : ٣٧) والديوان ١٣١ من قصيدته التى مطلعها :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

(٤) الحازى : زاجر الطير ، أو الكاهن . ط ، س : « الحادى » محرف . والشاحج : الغراب يشحج بصوته .

ولا قعيد أعضبُ قَرْنُهُ هاجَ له من مَرْبَعٍ هَائِجُ[١]

بينا الفَتَى يَسْعَى ويُسْعى له تَاحَ له من أَمْرِه خَالِجُ[٢]

يترك مارَقَّح من عيشه يعيثُ فيه هَمَجٌ هامِجُ[٣]

[لا تكسع الشَّول بأغبارها إنكَ لا تَدْرِى من الناتجُ[٤]]

وقال الأصمعى : قال سَلْم بن قتيبة[٥] : أضللت ناقةً لى عَشراء ، وأنَا بالبدو[٦] ، فخرجت فى طلبها ، فتلقانى رجلٌ بوجهه شَينٌ من حَرْق النار ، ثمَّ تلقَّانى رَجُلٌ آخذ بخِطام[٧] بَعيره ، [وإذا][٨] هو ينشد :

فَلئِنْ بغَيت لهـ البغا ةَ فما البغاةَ بواجِدِينا[٩]

---

(١) القعيد : ما جاء من ورائك من ظبى أو طائر . والأعضب : المكسور القرن . ل : والبيان (٣ : ٣٠٣) : « من مرتع » . س : « مربع » محرفة .

(٢) تاح : قدر ، أوتهيأ . والخالج : الموت يختلج المرء وينتزعه .

(٣) رقح : أصلح . ط ، س : « يعيش فيه » وأثبت ما فى ل واللسان والبخلاء ١٣٨ . وفى البيان : « يعبث فيه » .

(٤) الكسع : ضرب الماء على الضرع ليرتفع اللبن فتسمن الناقة ، أو يسمن أولادها فى بطنها . والشول ، بالفتح : جمع شائلة ، وهى التى أتى عليها من حملها ، أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها . والغبر بالضم : بقية اللبن فى الضرع . انظر الكامل ٢١٣ ليبسك وأمثال الميدانى (١ : ٣٣٦) .

(٥) سلم بن قتيبة بن مسلم ، كان واليا على خراسان أيام هشام بن عبد الملك . وأبوه قتيبة ابن مسلم كان واليا عليها زمن الحجاج . تهذيب التهذيب وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٤٦ . ط : « سلام بن قتيبة » وفى سائر النسخ : « مسلم بن قتيبة » ، تحريف . والقصة الآتية فى تأويل مختلف الحديث ١٢٩ وسندها : « أبو حاتم قال نا الأصمعى عن سعيد بن مسلم عن أبيه » ، صوابه « بن مسلم » .

(٦) فى تأويل مختلف الحديث : « وأنا بالطف » . والطف : ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق .

(٧) ط ، س : « آخر » صوابه فى ل . والرجل هو هانئ بن عبيد من بنى وائل كما فى تأويل مختلف الحديث .

(٨) من س .

(٩) البغاة : جمع باغ ، وهو هنا الذى يطلب الشىء ويبحث عنه . ل : « بغت له » . وقد نسب البيت فى عيون الأخبار ١ : ١٤٥ إلى لبيد .

ثم من بعد هذا كلِّه ، سألت عنها بعضَ من لقِيتُه ، فقال لى : التمسْها عند تلك النار . فأتيتهم فإذا هُمْ قد نتجوها حُوارًا[١] ، وقد أوقدُوا لها نارًا فأخذْتُ بخِطامها وانصرفتُ .

(النَّظَّام وعدم إيمانه بالطيرة)

وأخبرنى أبو إسحاقَ إبراهيم بنُ سيَّارٍ النَّظَّام قال : جعْت حتَّى أكلت الطين ، وما صِرت إلى ذلك حتَّى قلبت قلبِى[٢] أتذَّكر : هلْ بها رجلٌ أصيبُ عنده غَدَاءً أو عَشاء[٣] ، فما قدرت عليه . وكان علىَّ جُبَّةٌ وقميصان ، فنزعتُ القميصَ الأسفلَ فبعته بدريهمات ، وقصدْتُ إلى فُرْضَةِ الأهواز ، أريد قَصبةَ الأهواز ، وما أعرف بها أحدا . وما كان ذلك إلاّ ١٤٠ شيئًا[٤] أخرجه الضَّجَرَ وبعضُ التعرُّض . فوافيتُ الفُرضةَ فلم أصِبْ فيها سفينةً ، فتطيَّرتُ مِن ذلك . ثم إنى رأيتُ سفينةً فى صدرها خَرْقٌ وهشم فتطيرتُ من ذلك أيضًا ، وإذا فيها حمولة ، فقلت للملاَح : تحملنى ؟ قال : نعم قلت : ما اسمك ؟ قال : «داوداذ[٥]» ، وهو بالفارسية الشَّيطان ، فتطيرت من

---

(١) الحوار ، بالضم ويكسر : ولد الناقة حين تضعه ، أو إلى أن يفطم .

(٢) قلبت قلبى ، أى فكرت كثيرا . والقلب : العقل .

(٣) بها ، أى بالبصرة ، أو بهذه الدنيا . ط : « وعشاء » .

(٤) ط ، س : « شىء » .

(٥) ط ، س : « داود » .

ذلك . ثم ركِبت معه ، تصلكّ الشَّمالَ وجْهى ، وتُثير بالليل[1] الصَّقيعَ على رأسى . فلمَّا قرُبنا من الفرْضة صِحْت : ياحمَّال ! ومعى لحافٌ لى سَمَل ، ومضْربةُ خلق ، وبعضُ مالا بُدَّ لمثلى منه . فكان أوّل حمَّال أجابنى أعور فقلتُ لبقَّار كان واقفا : بكم تكرى[2] ثورَك هذا إلى الخان ؟ فلما أدناه من متاعى إذا الثَّورَ أعضبُ القرن ، فازدَدْتُ طيرة إلى طيرَة ، فقلت فى نفسى : الرَّجوعَ أسلمُ لى . ثمّ ذكرتُ حاجتى إلى أكل الطين فقلت : ومن لى بالموت ؟! فلما صرتُ فى الخان وأنا جالس فيه ، ومتاعى بينَ يدَىَّ وأنا أقول : إنْ أنَا خلَفته فى الخانِ وليس عنده من يحفُظه فُشّ[3] البابُ وسرق ؛ وإن جلست أحفظُه لم يكن لمجيئى[4] إلى الأهوازِ وَجْه . فبينا أنا جالسٌ إذ سمعتُ قرْعَ البابِ ، قلت : من هذا عافاك الله تعالى ؟ قال : رجلٌ يريدُك ، قلت[5] : ومن أنا ؟ قال : أنت إبراهيم . فقلتُ : ومَن إبراهيم؟ قال : [إبراهيم] النَّظَّام . قلت : هذا خنّاقٌ ، أو عدوٌّ ، أو رسولُ سلطان ! ثم إنى تحامَلتُ وفتحتُ البابَ ، فقال : أرسَلَنى إليك إبراهيمَ بن عبد العزيز ويقول :

نحنُ وإن كُنَّا اختلفْنَا فى بعضِ المقالة ، فإنَّا قد نَرجِعُ بعد ذلك إلى حقوقِ الأخلاق [و] الحرِّيّة[6] . وقد رأيتك حينَ مررتَ [بى][7]

---

(١) ط ، س : « وينثر الليل » .
(٢) س : « تكرينى » . والكراء : الأجرة. وانظر الاستدراكات .
(٣) فش القفل ؛ فتحه بدون مفتاح . شفاء الغليل .
(٤) ط س : « لمجىء » .
(٥) ط : « قتلت » تحريف .
(٦) الحرية : كون الإنسان حراً ، وهو من أقدم المصادر الصناعية .والحر : العتيق الكريم .
(٧) من ل ، س .

على حال كرهتُها منك ، وما عرفتُك حتّى خبَّرنى عنك بعضُ مَن كان معى وقال : ينبغى أنْ يكونَ قد نزَعَتْ[1] [بك] حاجة . فإنْ شئتَ فأقِمْ بمكانك شهرًا أو شهرين ، فعسى أنْ نبعثَ إليكَ ببعضٍ ما يكفيك زمنًا[2] مِن دهرك . وإن اشتَهيت الرُّجوعَ فهذه ثلاثون مِثقالاً ، فخذْها وانصرف ، وأنتَ أحقُّ مَن عَذَرَ .

[قَال] : فهجم والله علىَّ أمرٌ كاد ينقضنى[3] . أما واحِدَةً : فأنِّى لم أكنْ ملكتُ قبلَ ذلك ثلاثينَ دينارًا فى جميع دهرى . والثَّانية : أنّه لم يطَلْ مقامى وغيبتى عَن وطنى ، وعن أصحابى الذين هم على حال أشكل بى وأفهَمُ عنِّى . والثَّالثة : ما بيّن لى من أنَّ الطيرَة باطل ؛ وذلك أنّه قَدْ تتابع علىَّ منها ضروبٌ ، والواحدة منها كانت عنْدَهُمْ مُعْطِبة .

قال : وعلى مثل ذلك الاشتقاقِ يعمَلُ الذين يعبِّرون الرُّؤيا .

(عجيبة للغربان بالبصرة)

وبالبصرة من شأنِ الغِرْبانِ ضروبٌ من العجَب ، لو كان ذلك بمصر أو ببَعض الشامات[4] : لـكان عنـدَهم من أجوَدِ الطِّلَّسم . وذلك أنّ

(١) ط ، س : « نزعته » صوابه فى ل .

(٢) ل : « زمينا » تصغير زمن .

(٣) ينقضنى : أى يذهب قوتى وعزمتى . س : « ينقض » ط : « ينغصنى » تحريف ما أثبت من ل .

(٤) الشامات هى بلاد الشام . وانظر ما سبق فى ص ٤٠٤ .

١٤١ الغِربانَ تقطع إلينا فى الخريف ، فترى النَّخْلَ وَبَعضُها مَصرومة[١] ، وعلى كلِّ نَخلةٍ عدَدٌ كثيرٌ من الغربانِ ، وليس منها شيءٌ يقرُب نَخْلةً واحدةً من النّخل الذى لم يُصرَم ، ولو لم يَبقَ عليها إلاّ عِذقٌ واحد . وإنّما أوكار جميع الطير المصوِّت فى أقلاب[٢] تلك النّخل ، والغراب أطيَرُ وأقوى منها ثم لايجترىء أن يسقُطَ علَى نخلةٍ منها ، بعْدَ أنْ يكون قَدْ بقى عليها عِذْق واحِدٌ .

(منقـار الغراب)

ومنقار الغُرَاب معْوَل ، وهو شديدُ النَّقْر . وإنّه ليَصِلُ إلى الكَمأةِ المنْدَفِنَة فى الأَرض بنَقْرَة واحِدَة حتى يشْخِصها . ولهوَ أبْصرُ بمواضع الكماة مِن أعْرابىٍّ يطلبها فى منبتِ[٣] الإجرِدِّ والقَصِيص[٤] ، فى يَوم ٍ له شمس حارَّة . وإنَّ الأعـرَابىّ ليحتاجُ إلى أن يرى ما فوقها من الأرض فيه بَعْضُ الانتفاخِ والانصدَاع ،وما يحتاجُ الغُرَاب إلى دليل[٥] . وقال أبودُوادٍ الإيادىّ:

تَنْفِى الحَصَى صُعُدًا شرقِىَّ منْسِمها ... نَفْىَ الغرَابِ بأعلى أنْفِهِ الغَـرَدَا[٦]

---

(١) مصرومة : قطع ثمرها . ل : « فترى الأرض ونصفها مصرم » .

(٢) الأقلاب : جمع قلب ، وهو السعف الذى يطلع من قلب النخلة .

(٣) ط ، س : « منبعث » .

(٤) الإجرد : نبت يدل على الكمأه . والقصيص : شجر ينبت فى أصله الكمأة ، قالوا : سمى بذلك لدلالته على الكمأة كما يقتص الأثر .

(٥) ل : « إلى ذلك الدليل »

(٦) سبق الكلام فى هذا البيت ص ٤٢٥ . ل : « الغرده » .

ولو أنّ الله عزَّ وجلَّ أذِن للغراب أن يسقط عَلَى النَّخاة وَعلى ا الثَّمَرة لذهبت ، وفى ذلك الوقت لو أنّ إنساناً نقَر العِذْقَ نقرةً واحِدَةً لانتَثَرَ عامَّةُ ما فيه ، ولهلكتْ غَلّاتُ الناس . ولكنّك ترى منها على كلِّ نخلة مصرومةٍ الغِربانَ الكثيرة ، ولا ترى على التى تليها غرابا واحدا ، حتى إذا صرموا ماعليها تسابقْن إلى ما سقط من التمر فى جوف اللِّيف[1] وأصولِ الكرَب[2] لتَستخرجَه كما يستخرج المِنْتَاخُ الشّوكَ[3] .

(حوار فى نفور الغربان من النخل)

فإن قال قائل : إنما أشباح تلك الأعذاقِ المدلاّةِ كالخِرَق السُّود التى تُفزع الطيرَ أنْ يقعَ عَلَى البُرُور[4] ، وكالقوادمِ السُّودِ تغرَزُ فى أسنمةِ ذواتِ الدّبَرِ من الإبل ؛ لكيلا تسقط عليها الغِربان . فكأنّها[5] إذا رأتْ سوادَ الأعذاقِ فزِعت كما يفزَع الطيرُ من الخِرَق السُّود .

(١) ل : « اللب » .

(٢) الكرب ، بالتحريك : أصول السعف الغلاظ العراض .

(٣) المنتاخ ، كمنفاخ : المنقاش الذى ينزع به الشوك . ط ، س : « كما يستخرج الشاك الشوكة » ، وفيها تحريف .

(٤) كذا على الصواب فى ل . وفى ط : « التى تغرز والطيران يقع على البزور » وهى عبارة مختلة . والكلام من مبدإ « تفزع » إلى : « السود » ساقط من س. وانظر لمثل هذا الكلام ص ٤١٦ .

(٥) ط : « وكأنها » .

قال الآخر : قَدْ نجدُ جميعَ الطير الذى يفزَع بالخرق السُّود فلا يسقط عَلَى البزور ، يقعُ كله عَلَى النّخل وعليهِ الحمل ، وهلْ لعامَّة الطَّير وُكور[١] إلّا فى أقلابِ[٢] النَّخلِ ذواتِ الحمل .

قال الآخر : يشبه أن تكونَ الغِربانُ قطعَتْ إلينا من مواضعَ ليس فيها نَخْلٌ ولا أعذاق ، وهذا الطير الذى يُفزَع بالخِرَقِ السُّود إنَّما خُلِقتْ ونشأت فى المواضع التى لم تَزل تَرَى فيها النَّخِيلَ والأعذاق . ولا نعرف لذلك علة سوى هذا .

قال الآخر : وكيف يكون الشأن كذلك [و] من الغِربانِ غربانٌ أوابدُ بالعِراق فلا تبرَحُ تَعشِّش فى رءوس النَّخل ، وتبيضَ وتفْرخُ ، إلاّ أنَّها لا تقرب النَّخلة التى يكون عليها الحمل .

والدّليل عَلَى أنها تعشش فى نخل البصرة، [و] فى رءوس أشجار البادية قَولُ الأَصمعىّ :

١٤٢ ومن زردَكٍ مثلِ مكنِ الضِّبابِ يُناوح عِيدانَه السيمكان[٣]
ومن شَكر فيه عُشُّ الغرابِ ومن جَيْسَرانٍ وبنْدَاذجان[٤]

---

(١) ل : « أوكار » . ويجمع الوكر أيضاً على أوكر ، ووكر ، كغرف .

(٢) الأقلاب : جمع قلب بالضم ، وهو السعف الذى يطلع من قلبها . ط : « أقلال » وصوابه فى ل ، س .

(٣) الزردك : كلمة فارسية . ومعناها الجزر ، وهو نبات معروف تؤكل أصوله وتربى . والجزر ليس عربى اللفظ ، معرب . كما فى القاموس . ط ، س : « زرنك » محرف . والضباب : بالكسر : جمع ضب . ومكنه ، بالفتح : بيضه . و « السيمكان » هى فى ل : « التشمكان » .

(٤) شكر ، هو من شكرت النخلة شكراً — من باب تعب : كثر فراخها . وفى الأصل : « سكر » ويصح بتأول؛ فإن من النخل يصنع بعض السكر ، بالتحريك : وهو ما يسكر من النبيذ . واو « ومن » الثانية ساقطة من ل . و « جيسران » هى فى ط ، س : « خيشوان » وفى ل : « جيسوان » ، صوابه ما أثبت. والجيسران : جنس من أفخر النخل ، فارسيته « كيسران » الألفاظ الفارسية ٤٩ وعيون الأخبار (٣ : ٢٩٧) . و « بنداد جان » هى فى ط ، س : « بيذان جان » .

وقال أبو محمَّد الفقعسِيُّ ، وهو يصف فحلَ هَجْمة[(١)] :

يتبعُها عَدَبَّسٌ جُرَائِضُ[(٢)] أكلفُ مربدٌّ هَصُورٌ هائضُ[(٣)]

* بحيثُ يعتَشُ الغرابُ البائِضُ[(٤)] *

(ما يتفاءل به من الطير والنبات)

والعامَّة تتطيَّرُ من الغراب إذا صاح صيحةً واحـدةً ، فإذا ثَنَّى تفاءلتْ به .

والبُوم عند أهل [الرَّيِّ وأهل] مَرْوٍ يُتفاءَل بهِ ، [وأهل البصرة يتطيرُون منه . والعَربيُّ يتطيَّر من الخلاف ، والفارسيّ يتفاءَل إليه] ؛ لأنَّ اسمه بالفارسيـة « باذامك » أي يَبقى[(٥)] ، وبالعربيـة خِلاف ، والخِلاف غيرُ الوفاق .

والريحان يُتفاءل به ؛ لأنَّه مشتقٌّ من الرَّوح ، ويتطيَّر منه لأنَّ طعمه مُرٌّ ، وإنْ كان فى العَينِ والأنفِ مقبولا .

---

(١) الهجمة : جماعة من الإبل أقلها أربعون .

(٢) العدبس : الشديد الموثق الخلق . والجرائض ، بالضم : الأكول الذى يحطم كل شيء بأنيابه . ورواية اللسان (جرض) :

* يتبعها ذوكدنة جرائض *

(٣) المربد : الذى لونه بين السواد والغبرة . ط ، س : « أكلف نهاض هصور ناهض » .

(٤) تكلم فى هذا البيت صاحب المخصص (٩ : ١٢٥) . وفى ط ، س : « بحيث يفتش » ل : « بحيث يعيش » وصوابهما فى اللسان والمخصص . و « البائض » هى فى ط ، س : « النابض » ، وصوابه من ل واللسان والمخصص .

(٥) هذه العبارة جاءت فى ط ، س : « بارمال يريد تبقى » وفى ل : « بيذاى يبقى » . وقد حورتها إلى ما ترى معتمداً على معجم النبات ص ١٦٠ . والخلاف : جنس من الصفصاف . وفى تذكرة داود : « باذامك من الصفصاف » .

وقال شاعرٌ من المحدَثين (١) :

أهدَى له أحبابُهُ أُتْرُجَّةً فبَكَى وأشْفقَ مِنْ عِيافَةِ زَاجرِ (٢)
متطيِّرًا ممَّا أتاه ، فطعْمه لونانِ باطنُه خلافَ الظَّاهرِ (٣)

والفُرْس تحبُّ الآسَ (٤) وتكره الوَرد؛ لأنَّ الوردَ لا يدومُ، والآسَ دائم.

قال : وإذا صاح الغرابُ مرَّتين فهو شرٌّ ، وإذا صاح ثلاثَ مرَّاتٍ فهو خير ، على قدر [عدد (٥)] الحروف (٦) .

(عداوة الحمار للغراب)

ويقال : إنَّ بينَ الغراب والحمار عداوةً . كذا قال صاحب المنطق .
وأنشدني بَعْض النحويِّين (٧) :

عاديتنا لا زلْتَ في تَبابِ عداوة الحمار للغراب (٨)

---

(١) هو العباس بن الأحنف ، كما في زهر الآداب (٤ : ٨٧) .
(٢) في العقد (١ : ٢٩٨) : « أهدى إليه حبيبه » . وانظر الاستدراكات .
(٣) في العقد :
« خاف التبدل والتلون إنها لونان باطنها . . . »
وفي زهر الآداب :
«متطيراً منها السقام وجسمها لونان باطنها . . . »
(٤) الآس : ضرب من الريحان يسمى بمصر « مرسين » .
(٥) الزيادة من ل وحياة الحيوان .
(٦) كذا في ل وحياة الحيوان . وفي ط : « الجزاء » وفي س : « الجزء » . والمراد عدد حروف الكلمتين : « شر » و « خير » ، فالأولى مركبة من حرفين ، والثانية مؤلفة من ثلاثه . وقد تبدو هذه العبارة مناقضة لما سبق في ٤٥٧ س ٥ . لكن يظهر أنهما زعمان متخالفان بحكيهما .
(٧) كذا في ل . وفي ط : « وأنشد لبعض » وفي س : « وأنشدت لبعض » .
(٨) ط ، س: « عداوة الغراب للحمار » : ووجهه في ل و (٢ : ٥٢) .

(أمثال فى الغراب)

[ويقال : « أصحُّ مِن غراب » . وأنشد ابن أبى كريمة لبعضهم ، وهو يهجو صريع الغوانى مسلم بنَ الوليد :

فما ريحُ السَّذاب أشدُّ بُغْضاً   إلى الحيَّاتِ منك إلى الغوانى]

وأنشد[1] :

وأصْلَب هامةً من ذى حُيُود   ودُون صداعه حُمَّى الغراب[2]

وزعم لى داهيةٌ من دُهاة العرب الحوَّائِين ، أنَّ الأفاعىَ وأجناسَ الأحناش ، تأتى أصولَ الشِّيح والحَرْمَل ، تستظل [به] ، وتستريحُ إليه .

ويقال : « أغرَبُ من غراب » . وأنشد قول مضرِّس بن لَقيط[3] :

كأنّى وأصحابى وكرِّى عليهمُ   على كلِّ حال من نشاطٍ ومن سَأَمْ[4]

غرابٌ من الغِرْبانِ أيَّامَ قِرَّةٍ   رأيْنَ لِحَاماً بالعِراص علَى وَضَمْ[5]

---

(١) ل : « وأنشد فيه » .

(٢) ط : « هامة من ذى جنود » محرف . والحيود : ماشخص من نواحى الرأس . والبيت ساقط من س .

(٣) نسبه إلى جده ، وإنمـا هو مضرس بن ربعى بن لقيط الأسدى ، له خبر مع الفرزدق كما فى معجم المرزبانى ٣٩٠ ، فيكون إسلاميا أو مخضرما . لـكن قال صاحب الخزانة (٢ : ٢٩٣ بولاق) : إنه جاهلى .

(٤) ل : « وكرى إليهم » .

(٥) القرة ، بالكسر : البرد . ط ، س : « فره » صوابه فى ل . واللحام : جمع لحم . والعراص : جمع عرصة بالفتح ، وهى البقعة الواسعة بين الدور . ط : « بالعراض » وتصحيحه من ل ، س . والوضم ، ما وقيت به اللحم عن الأرض من خشب أو حصير .

(حديث الطيرة)

وقد اعترض قومٌ علينا فى الحديث الذى جاء فى تفرقةِ ما بينَ الطيرَةِ والفأل ، وزعموا أنّه ليس لقوله : «كان يعجبه الفألُ الحسنُ ويكره الطيرة» معنًى . وقالوا : إنْ كان ليس لقولِ القائل : يا هالك ، وأنت باغٍ ، وجهٌ ولا تحقيق ، فكذلك[1] إذا قال : يا واجد ، ليس له تحقيق ، وليس قوله ١٤٣ يا مضلّ ويا مهلك ، أحقَّ بأن يكون لا يوجبُ ضلالاً ولا هلا كا من قوله يا واجد ، ويا ظافر ، من ألاّ يكون يوجبَ ظفرًا ولا وُجودا . فإمَّا أنْ يكونَا جميعاً يوجبان ، وإما أن يكونَا [جميعاً] لا يوجبان . قيل لهم : ليس التأويل ما إليه ذهبتم . لو أن النّاس أمّلوا فائدة الله عزَّ وجلَّ ورجَوا عائدَتَه ، عند كلِّ سببٍ ضعيف وقوىّ ، لكانوا علَى خير . ولو غَلِطوا فى جهة الرَّجاء لكان لهم[2] بنفس ذلك الرَّجاء خير . ولو أنَّهُمْ بدل ذلك قَطعُوا أملهُمْ ورجاءَهم منَ الله تعالى[3] ، لكان ذلك من الشرّ والفأل ، أن يسمع كلِمَةً فى نفسها مستحسنة . ثمَّ [إن] أحبَّ بعدَ ذلك أو عند ذلك أنْ يحدث طمعاً فيما عند الله تعالى ، كان نفس الطمع خلافَ اليأس . وإنما خبَّر أنّه كان يعجبه . وهذا إخبارٌ عن الفطرة كيف هى ، وعن الطبيعة إلى أىِّ شىء تتقلب .

---

(١) س : «وكذلك» .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) كذا على الصواب فى ل ، س . وفى ط : «ولو أنهم بدلوا ذلك فعطوا» . . الخ .

وقد قيل لبعض الفقهاء[1] : ما الفأل ؟ قال : أن تسمع وأنت مُضِلٌّ : يا واجد ، وأنت خائف : يا سالم . ولم يقل إنَّ الفأل يوجب لنفسه السلامة . ولكنَّهم يحبُّون له إخراجَ اليأسِ وسوءِ الظنِّ وتوقُّعِ البلاءِ من قلبه عَلَى كلِّ حال — وحال الطِّيرةِ حال من تلك الحالات — ويحبون أن يكون لله راجيا ، وأن يكون حَسَنَ الظّنّ . فإن ظنّ أن ذلك المرجوّ يُوافقُ بتلك الكلمة ففرح بذلك فلا بأس[2] .

(تطير بعض البصريين)

وقال الأصمعيُّ : هرب بَعضُ البصريين من بَعض الطَّواعين ، فركب ومضى بأهله نحو سَفَوان[3] ، فسمع غلاماً له أسودَ يحدُو خلفه ، وهو يقول :

لن يُسْبَقَ اللهُ عَلَى حِمَارِ ولا عَلَى ذِى مَيْعَةٍ مَطَّارِ[4]
أو يأتىَ الحينُ على مِقدَارِ قَدْ يصبِحُ اللهُ أمامَ السَّارِى[5]

فلما سمع ذلك رجع بهم .

---

(١) هو ابن عون ، كما فى تأويل مختلف الحديث ١٣١ مع اختلاف فى اللفظ .

(٢) ل : « يوافق تلك الكلمة ففرح لذلك فلا بأس » .

(٣) سفوان ، بفتح أوله وثانيه : ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة .

(٤) الميعة : أنشط الجرى . والمطار ، بفتح الميم وتشديد الطاء : السريع العدو . ويصح أن تكون « مطار » بضم الميم وفتح الطاء . يقال : فرس مطار وطيار : حديد الفؤاد ماض . وانظر البيان (٣ : ٢٧٨) . وجاءت الرواية فى زهر الآداب (٤ : ١٣١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٢٥) : « ولا على ذى منعة طيار » .

(٥) الحين : الهلاك . وروى : « الحتف » كما فى زهر الآداب وأمالى المرتضى (٤ : ١١٢) وتأويل مختلف الحديث ١٢٥ . وتجد القصة فى هذه المراجع على وجوه شتى . وأنشد الثعالبى هذا الشطر فى التمثيل والمحاضره ص ٩ .

(معرفة فى الغربان)

قال : والغِربانُ تسقط فى الصَّحارى تلْتمس الطُّعْم ، ولا تزالُ كذلك ، فإذا وجَبَتِ الشمس(١) نهضت إلى أوكارها معاً . و [ما أ] قلّ ما تختلط البُقْع بالسُّود المصمتة(٢) .

(الأنواع الغريبة من الغربان)

قال : ومنها أجناسٌ كثيرة عظام كأمثال الحِدَاء(٣) السُّود، ومنها صغارٌ. وفى مناقيرها اختلاف فى الألوان والصُّور . ومنها غِربانٌ تحكى كلَّ شيء سمعته ، حتى إنَّها فى ذلك أعجب من الببغاء . وما أكثر ما يَتَخلَّف(٤) منها عندنا بالبصرة فى الصَّيف ، فإذا جاء القيظ قلَّتْ . وأكثر المتَخلِّفات(٥) منها البقع . فإذا جاء الخريف رجعتْ إلى البساتين ؛ لتنال مما يسقط من التمر فى كرَب النَّخل وفى الأَرض، ولا تقرب النَّخلة إذا كان عليها عذق واحد(٦) ، وأكثر هذه الغِربانَ سود ، ولا تكاد ترى فيهنَّ أبقَع .

---

(١) وجبت الشمس : سقطت للمغيب .

(٢) السود المصمتة : الخالصة السواد .

(٣) الحداء ، بكسر الحاء المهملة : جمع حدأة كعنبة . ط : «الحد» ، ل : « الجداء » بالجيم . والوجه ما أثبت من .

(٤) ط ، س : « يختلف » .

(٥) ط ، س : « المختلفات » .

(٦) ليس يفهم من هذا أنها تقرب من النخل ما كان عليه أكثر من عذق . بل المراد أنها لا تقرب النخلة ما دام بعض التمر فى أعذاقه . وانظر ما سبق فى ص ٤٥٤ س ٥ .

(قبح فرخ الغراب)

وقال الأصمعىّ: قال خلف: لم أرَ قَطُّ أقبح من فرخ الغراب! رأيته مرَّةً ١٤٤ فإذا هو صغير الجسم[١] ، عظيم الرَّأس ، عظيم المنقار ، أجردُ أسودُ الجلد ، ساقط النفس ، متفاوتُ[٢] الأعضاء .

(غربان البصرة)

قال : وبعضُها يقيم عندنا فى القيظ . فأمَّا فى الصَّيف فكثير . وأمَّا فى الخريف فالدُّهم. وأكثر ما تراه فى [أعالى][٣] سطوحِنا فى القيظِ والصَّيف البُقع ، وأكثر ما تراه فى الخريف [فى النخل] و [فى] الشتاء فى البيوت [السُّود] .

وفى جبل تكريت[٤] فى تلك الأيَّام ، غِرْبانٌ سودٌ كأمثال الحدَاءِ [السُّود] عِظَماً[٥] .

---

(١) ل : « فإذا صغير الجسم » .

(٢) متفاوت الأعضاء : مختلفها . ط : « متقارب » ، وصوابه فى ل ، س . وانظر ما سبق من مثل هذا الكلام فى (٢ : ٣١٨) .

(٣) من ل ، س .

(٤) تكريت : بلدة بين بغداد والموصل ، أقرب إلى بغداد .

(٥) الحداء سبق شرحها فى الصفحة السابقة . ط : « الحدء » تحريف . و « عظما » هى فى ، ط : « عظاء » وهو تحريف فكه ، صوابه فى ل ، س .

(تسافد الغربان)

وناس يزعمون أنَّ تسافدَها عَلَى[1] غير تسافُد الطير ، وأنّها تزَاقُّ[2] بالمناقير ، وتلقح من هناك .

(نوادر وأشعار مستحسنة)

نَذْكر شيئا من نوادر وأشعار[3] [وشيئا] من أحاديث ، من حارِّها وباردها .

قال ابنُ نُجيمٍ[4] : كان ابن ميّادة[5] يستحسن هذا البيت لأَرطاةَ ابن سُهَيّة[6] :

فقلت لها يا أمَّ بيضاءَ إنّه ... هُريقَ شبابى واستَشَنَّ أديمى[7]

[صار شنًّا] .

---

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) أصله : تتزاق . ط : « تزاف » ، صوابه فى ل ، س .

(٣) س : « نذكر نوادر أشعار » .

(٤) ط : « قال سحيم » س : « قال ابن سحيم » وصوابه ما أثبت من ل . وابن نجيم ، هو يحى بن نجيم الذى سبقت ترجمته فى (٢ : ٣٥١) .

(٥) « ابن ميادة » ساقط من ل .

(٦) س : « أرطاة بن سمية » ،وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة أرطاة فى ٣٩١ .

(٧) ط ، س : « استشق »، تحريف ما أثبت من ل .

وكان الأصمعيُّ يستحسن قولَ الطِّرمَّاح بن حكيم ، فى صفة الظَّليم[١] :

مجتاب شَمْلة بُرْجُدٍ لسَرَاتِه قَدْرًا وأسلم ما سِوَاهُ البُرجُدُ[٢]

ويستحسن قولَه فى صفة الثَّور :

يبدو وتُضمِره البلادَ كأنَّه سيفٌ عَلَى شرفٍ يُسلُّ ويغمد[٣]

وكان أبو نُواسٍ يستحسنُ قولَ الطِّرمَّاح :

إذا قُبِضَتْ نفسُ الطِّرمَّاحِ أخلَقَتْ عُرَى المجدِ واستَرخَى عنانُ القصائِد[٤]

وقال كثيِّر :

إذا المالُ لم يُوجِبْ عليكَ عطاؤُه صَنِيعَةَ بِرٍّ أو خليل تُوامِقُه[٥]

مَنَعْتَ وبعضُ المنْعِ حزْمٌ وقُوَّةٌ فلم يفتلتك المالَ إلَّا حقائقُه[٦]

---

(١) الظليم : الذكر من النعام . « بن حكيم » ساقط من ل .

(٢) يقول : قد لبس ذلك الظليم كساء أسود مخملا من الريش فوق ظهره ، وجعل الشملة على قدر ظهره . وأسلم ماسواه البرجد : أى ترك البرجد ما سوى الظهر : من الرجلين والعنق ، فلم يستره . وساقا الظليم وعنقه عارية من الريش . ط : « فدر وسلم » ، وصوابه فى ل ، س والعمدة (١ : ٢٠٣ ، ٢ : ٧٩) .

(٣) البلاد هنا : المواضع . والشرف : المكان العالى . وانظر الموازنة بين هذا البيت وأشباهه فى العمدة (١ : ١٩٨) والصناعتين ٨٣ وشرح ديوان النابغة ١٩ .

(٤) أخلقت : بليت . « عنان » هى فى ط : « عنا » وتكميلها من ل ، س .

(٥) ل : « صنيعة نعمى ، أو خليل توافقه » . وفى العقد (٦ : ١٧٥ تأليف) : « صنيعة قربى أو صديق توافقه » .

(٦) الحقائق : الحقوق . ورواية العقد : « ولم يستلبك المال » . وقد روى صاحب زهر الآداب البيتين برواية عجيبة فى (٣ : ٢٤٧) .

وقال سهل بن هارون ، يمدح يحيى بن خالد :

عدوُّ تِلادِ المـال فيما ينوبه   منوعٌ إذا ما منعُه كان أحزَما(١)

قال : وكان رِبعيُّ بن الجارود يستحسن قولَه :

فخير منكَ مَن لا خير فيه   وخير من زيارتك القُعودُ(٢)

وقال الأعشى :

قد نطعُن العَيْرَ فى مكنونِ فائله   وقد يَشِيطُ على أرماحنا البَطَلُ(٣)

١٤٥ لاتنتهون ولن يَنْهَى ذوى شَطَطٍ   كالطَّعْنِ يذهبُ فيه الزَّيتُ والفُتُل(٤)

---

(١) التلاد ، بالكسر : المال القديم الموروث . ط ، س : « إذا مانعته » تحريف ما فى ل . والبيت مع قرين له فى البيان (٣ : ٣٥٢) ، ومع بيتين فى الحيوان (٥ : ٦٠٤) .

(٢) ل : « من زيادتك » .

(٣) العير ، هنا : السيد . والفائل ، بالفاء : عرق فى الفخذ ، وهو مقتل . أراد أنهم حذاق فى الطعن . انظر المخصص (٢ : ٤٢) واللسان (فيل) والرواية فيه :

* قد نخضب العير من مكنون فائله *

ل : « نطعن الخيل » س : « مكنون قابله » ، كلاهما محرف . ويشيط : يهلك .

(٤) كذا فى ط ، س والخزانة (٤ : ١٣٢ بولاق) وفى ل : « لا ينتهون » والرواية فى الكامل ٤٤ ليبسك وأمالى ابن الشجرى (٢ : ٢٢٩ ، ٢٨٦) والخزانة (٤ : ٢٦٣ بولاق) والغيث المنسجم (١ : ٥٢) : « أتنتهون » وقد استشهد الجميع بالبيت على اسمية الكاف فى « كالطعن » وأن « الطعن » مجرور بالإضافة . والفتل : جمع فتيلة ، وهى فتيلة الجراحة . يقول : لا يزجرهم غير طعن جائف .

وقال العلاء بن الجارود[١] :

أظهروا للنَّاسِ نسكا وعلى المنقوش داروا[٢]
وَلَهُ صاموا وصَلَّوْا ولَهُ حَجُّوا وزاروا
وله قاموا وقالوا وله حلّوا وساروا
لو غدا فوق الثريَّا ولهم ريش لطاروا

وقال الآخر[٣] فى مثل ذلك :

شمر ثيابَك واستعدَّ لقابلٍ واحككْ جبينك للقضاء بثُوم[٤]
وامشِ الدَّبيبَ إذا مشَيت لحاجةٍ حتَّى تصيبَ وديعةً ليتيم

وقال أبو الحسن : كان يقال : « من رقّ وجهُه رقّ علمُه » .

وقال عمر : «تفقَّهوا قبلَ أن تسودوا» .

وقال الأصمعى : « وُصلت بالعلم ، وكسبت بالملح[٥] » .

ومن الأشعار الطيبة قول الشاعرِ فى السماك والخادم :

مقبل مدبر خفيف ذَفيف دسم الثَّوبِ قد شَوَى سَمكاتِ[٦]

---

(١) ل : « العلاء بن الحداد » . والأبيات منسوبة فى العقد (٢ : ١٤١) إلى محمود الوراق .

(٢) روى « سمتا » بدل « نسكا » فى ل والعقد (٤ : ٣٣٧) و : « دينا » فى العقد (٢ : ١٤١) . والمنقوش : الدينار . وبالأخيرة ، أى « الدينار » جاءت الرواية فى العقد (٢ : ١٤١) .

(٣) هو مساور الوراق كما فى العقد (٣ : ٢١٦) والبيان (٣ : ١٧٥) . ونسبا فى الشريشى (١ : ٢٠٦) إلى محمود الوراق .

(٤) القابل : المستقبل . والجبين إذا حك بالثوم ظهرت فيه سمة سمراء توهم الأغرار أن صاحبها عريق فى التقوى كثير السجود . ولا يزال بعض المتظاهرين بالصلاح يفعلون ذلك فى عصرنا هذا ؛ ليجعلوا أنفسهم ممن قيل فيهم : « سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » .

(٥) ط ، س : « وصلت بالملح وكسبت بالعلم » . وأثبت ما فى ل . وفى البيان (١ : ١٩٩) : « وصلت بالعلم ونلت بالملح » .

(٦) يقال خفيف ذفيف ، وخفاف ذفاف ، إتباع . والمراد بهما السريع . ط : « جفيف » س : « دفيف » وصوابه فى ل واللسان (٩ : ١٩٩) ل : « أدسم الثوب » .

من شبابيط لجـةٍ ذاتِ غَمْر حُدُب من شُحومها زَهِماتٍ[١]

ففكِّر فيهما فإنَّهما سيُمْتِعَانك ساعةً[٢] .

وقال الشاعر[٣] :

إنْ أجزِ علقمةَ بن سَيْفٍ[٤] سعيَهُ لا أجزِه ببلاءِ يومٍ واحدِ

لأَحَبَّنى حُبَّ الصبىِّ ورَمَّنى رَمَّ الهَدِىِّ إلى الغنىِّ الواجد[٥]

ولقَدْ شفيتُ غليلتى ونقَعتها من آل مسعودٍ بماءٍ بارد

وقال رجل من جرم :

نبئتُ أَخوالى أرادوا عمومتى بشنعاءَ فيها ثاملُ السُّمِّ مُنقَعا[٦]

سأركبها فيكم وأُدعَى مفرِّقاً وإن شئتم من بعدُ كنت مجمِّعا[٧]

---

(١) الشبابيط : جمع شبوط : ضرب من السمك سبق الـكلام عليه فى (١ : ١٥٠ ، ١٥١ ، ٢٣٣) . ط ، س : « شبابيك » محرفة . حدب : جمع حدباء وهى الخارجة الظهر الداخلة البطن والصدر . والزهمات : السمينة الـكثيرة الشحم . وفى الأصل : « زمنات » وليس لها هنا وجه .

(٢) ط : « ففـكر بينهما فانهما سميعتانك ساعة » ، تحريف وتطبيع .

(٣) هو رجل من بهراء اسمه فدكى بن أعبد ، وهو المرناق الطائى. معجم المرزبانى ٤٧٥ والصحاح (لمم). كان مجاورا لعلقمة بن سيف العتابى ، وكان له إبل فسرقت ، فلما علم علقمة بذلك سعى فى استردادها من مختلسها فلم يوفق ، فأخرج من ماله مائة بعير ودفعها إلى فدكى عوضا. فقال هذا الشعر يمدحه. الحماسة (٢ : ٢٦٧ وشرحها ٤ : ٧٠ - ٧١) والصحاح واللسان (لمم).

(٤) فى الأصل: « زيد » وصوابه فى البيان (٣ : ٢٣٣) والحماسة وشرحها .

(٥) رمنى ، بالراء : أصلح حالى . والهدى : العروس تزف وتهدى إلى زوجها . ط ، س : « ذمنى ذم البذى » ، ل : « زمنى زم الهدى » وصواب الرواية من الحماسة والبيان . ل : « إلى الفتى » . والفتى : الشاب .

(٦) فى ط ، س : « نبئت إخوانى » وأثبت ما فى ل ، وهو أشبه بقول العرب . ط : س ، « أرادوا نقيصتى بشنعة » و « بشنعة » تحريف . والثامل : هو المنقع ، أى المعتق . ط ، س : « تابل » .

(٧) ل : « فإن شئتم » .

وقال يونس بن حبيب : ما أكلتُ فى شتاءٍ شيئاً قطُّ إلاَّ وقد برد ، ولا أكلتُ فى صيفٍ شيئاً إلاَّ وقَدْ سخن .

وقال أبو عمرو المدينىّ[1] : لو كانت البلايا بالحِصَص، ما نالنى كما نالنى : اختلفت الجاريةُ بالشاة إلى التَّيَّاس اختلافًا كثيرًا ، فرجعت الجاريةُ حاملاً والشاة حائلا .

وقال جعفر بن سعيد[2] الخلافُ موكَّل بكلِّ شىء [يكون] ، حتى القَذاة[3] فى الماء فى رأس الكوز ، فإن أردتَ أن تشرب الماءَ جاءتْ إلى فيك ، وإن أردتَ أن تصبَّ من رأسِ الكوزِ لتخرُج رَجَعت . ١٤٦

(حديث أبى عمران وإسماعيل بن غزوان)

وقال إسماعيل بن غَزْوان : بكَرْتُ اليوم إلى أبى عمران ، [فلزمتُ الجادَّةَ] ، فاستقبلنى واحدٌ فلَزِمَ الجادَّةَ التى أنا عليها ، فلما غشينى[4] انحرفتُ عنه يَمْنَةً فانحرَفَ معى ، فعُدتُ إلى سَمْتى فَعاد ، فَعُدتُ فَعاد ثمَّ عُدت فَعاد . فلولا أنَّ صاحبَ بِرذون فرَّق بيننا لكان إلى الساعة يكدُّنِى[5] . فَدَخلت على[6] أبى عمران فَدعا بغَدَائه ، فأهويتُ بلقْمتى إلى

---

(١) ط ، س : « أبو عمر المدنى » . وهذا الخبر والخبر الذى قبله فى الحيوان (٥ : ٥٩١) .

(٢) كذا فى ل . وفى ثمار القلوب ٤٩٤ حيث نقل القول : « جعفر بن سعد » وفى ط ، س : « جعفر بن محمد » . وجعفر بن سعيد هذا أحد البخلاء الذين ذكرهم الجاحظ فى كتابه ٨٨ ، ١٠٩ . ونعته فى البيان (١ : ١٠٦) بأنه : « رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه » .

(٣) القذاة : مايقع فى الشراب . ط ، س : « القذا » وصوابه فى .

(٤) ل : « أغشبنى » تحريف .

(٥) يكدنى : يلح فى طلبى . ط ، س ، « يدكنى » تحريف .

(٦) ط ، س ، « إلى » .

الصِّباغ[١] فأهوى إليـه بعضُهم ، فنحَّيت يدى فنحَّى يده ، ثمَّ عُدْتُ فَعاد ، ثمَّ نحيتُ فنحَّى ، فقلت لأبى عمران : ألا[٢] ترى ما نحن فيه ؟ قال سأحدِّثك بأعجبَ من هـذا ، أنا منذُ أكثرَ مِنْ سنة[٣] أشفقُ أن يرانى [ابن أبى] عون الخيَّاط ، فلم يتَّفق لى أن يرانى مرَّةً واحدة ، فلما [أن] كانَ أمسِ ذكرتُ لأبى الحارث الصُّنع[٤] فى السلامةِ من رؤيته ، فاستقبلنى أمسِ أربعَ مرَّات !

(نوادر وبلاغات)

وذكر محمّد بن سلام ، عن محمّد بن القاسم قال : قال جرير[٥] : أنَا لا أبتدى ولكنِّى أعتدى[٦] .

وقال أبو عبيدة : قال الحجَّاج : أنَا حدِيدٌ حَقود حسود ![٧]

قال : وقال قدَيد بن مَنيع ، لُجدَيع[٨] بن علىٍّ : لكَ[٩] حكم الصبىّ على أهله !

---

(١) الصباغ ، بالكسر : ما يصطبغ به من الإدام ، وصبغ اللقمة صبغا : دهنها وغمسها . ل: « الصماغ » وليس لها وجه .

(٢) ل : « أما » .

(٣) ط ، س : « أنا أكثر منذ سنة » ل : « أنا منذ سنة » وقد جعلتها كما ترى .

(٤) أى ماصنع لى من السلامة من رؤيته . ط : « الصنيع » .

(٥) هو جرير الشاعر .

(٦) ط ، س : « ولكن أعتدى » ، وأثبت ما فى ل وما سبق فى ص ٩٩ . يقول : هولا يبتدئ بالهجاء ، ولكنه إذا ردّ على الهاجى اعتدى عليه ، وظلمه إرهابا له .

(٧) الحيوان (٥ : ٥٩٢) . وبلفظ آخر فى البيان (٣ : ٢٥٥) .

(٨) جديع هذا هو ابن خال يزيد بن المهلب . البيان (٢ : ٢٤٠ ، ٢٤٦) . ل : « الحديد » وفى ثمار القلوب ٥٣٨ — حيث نقل النص — : « لخديع » والصواب ما أثبت .

(٩) ط ، س : « لكم » ، وأثبت ما فى ل والثمار . وفى الثمار : « لك علىّ » .

وقال أبو إسحاق[١] — وذكرَ إنسانًا — : هو والله أَنزَقُ من رَبيب مَالِك[٢] ، وأخرق من امرأة ، وأظلم من صبى .

وقال لى أبو عبيدة : ما ينبغى أن يكون [كان] فى الدنيا مثل هـذا النَّظام[٣] . قلت : وكيف ؟ قال : مرَّ بى يوما فقلت : واللهِ لأمتحننَّه ، ولأسمعَنَّ كلامه ؛ فقلت له : ما عيبُ الزُّجاج — قال : يُسرِع إليه الكسر ، ولا يقبل الجبْر — من غير أن يكون فكَّر أو ارتدع !

قال : وقال جَبَّار بن سُلمى بن مالك[٤] — وذكر عامر بن الطفيل[٥] فقال : كان لا يضلُّ حتَّى يضلَّ النَّجم ، ولا يَعطشُ حَتَّى يَعْطَشَ البَعير[٦] ، ولا يهاب حتَّى يهاب السيل ؛ كان والله خيرَ ما يكون[٧] حينَ لا تظنُّ نفسٌ بنفسٍ خيرًا .

---

(١) هو النظام . وانظر البيان (١ : ٢٤٧) .

(٢) أنزق : من النزق وهو الطيش والتسرع . والربيب : المربوب ، وابن امرأة الرجل من غيره . وهذا المثل محرف فى ط ، س : فى الأولى : « أترف من زينب بنت مالك » وفى الثانية : « أنزق من زينب بنت ملكة » ، وتصحيحه من ل . وجاء فى أمثال الميدانى (١ : ١٣٦) : « أترف من ربيب نعمة » .

(٣) ط ، س : « قال لى أبو عبد الله » . س : « مثل ذلك » ل : « مثل ذاك » .

(٤) هو جبار بن سلمى (بضم السين ، وقيل بفتحها) بن مالك بن جعفر بن كلاب ، أحد الصحابة . أسـلم بعد وقعة بئر معونة لسبب طريف ، بعد ما كان شديد العداوة للمسلمين . انظر الإصابة ١٠٥١ والسيرة ٦٥٠ ، ٩٣٩ جوتنجن والبيان (١ : ٥٤) . فى ط ، س ، « حماد بن مالك بن سليمان مالك » ل : « جبار بن مالك ابن سلمى » . وانظر شروح سقط الزند ص٥٠٠ .

(٥) فى البيان : « حين وقف على قبر عامر بن الطفيل » .

(٦) ط ، س : « الجمل » ، وأثبت ما فى ل والبيان .

(٧) ل : « كان » .

وقال ابنُ الأعرابىّ : قال أعرابى : اللهمَّ لا تُنْزِلْنى ماءَ سَوءٍ فأكونَ امرأ سَوء ! يقول : يدعونى قِلّتُهُ إلى منعه .

وقال محمَّد بن سلاَّم ، عن حمّاد بن سلمة ، عن الأزرق بن قيس : إنّ الأحنف كان يكرَه الصَّلاة فى المقصورة ، فقال له بعضُ القوم : يا أبا بحر ، لم لا تصلى فى المقصورة ؟ قال : وأنت لم لاتصلِّى فيها ؟ قال : لاأُترك[1] !

وهذا الكلامُ يدل على ضروب من الخير كثيرة[2] .

ودخل عبد الله بن الحسن عَلى هشامٍ فى ثيابِ سفَرِه ، فقال : اذكر حوائجك . فقالَ عبد الله : ركابى مُناخةٌ ، وعَلَىَّ ثيابُ سفرى ! فقال : إنَّك لا تجدنى خيرًا [منِّى] لك الساعة[3] .

١٤٧ قال أبو عبيدة : بلغ عمرَ بن عبد العزيز قدومُ عبدِ الله بن الحسن ، فأرسل إليه : إنى أخاف عليك طواعينَ الشام ، وإنَّك لا تَغنِمَ أهلَكَ خيرًا لهم منك[4] فالحقْ بهم ، فإنّ حوائجهم ستسبقك[5] .

وكان ظاهر ما يكلِّمونَهُ بِهِ ويُرُونه إيَّاهُ جميلا مذكورًا[6] ، وكان معناهم الكراهة لمقامه بالشام ، وكانوا يرون جمالَهُ ، ويعرفون بيانَه وكمالَهُ ، فكان ذلك العَملُ من أجودِ التَّدبير فيه عندَ نفسه :

---

(١) ط : « لا ترك » .

(٢) ط : « على طرق » س : « على كنز من الخير كثير » .

(٣) ط ، س : « إنه لا تجدنى خيراً لك من الساعة » . وموقع هذه القصة فى ل بعد القصة الآتية .

(٤) ل : « لن تغنم أهلك خيرا منك » .

(٥) ل : « ستتبعك » . وانظر الحيوان (٤ : ١٣٨) .

(٦) كذا فى س . وفى ط : « مايكلمون به ويرونه جميلا مذكوراً » . وفى ل : « ما يتكلمون به ويبرونه جميلا مذكوراً » .

(شعر فى الزهد والحكمة)

وأنشـد :

تُليح من الموتِ الذى هو واقعٌ — وللموتِ بابٌ أنتَ لا بدَّ داخلُه (١)

وقال آخر :

[أكلكُمُ أقام على عجوزٍ — عشنْزَرَةٍ مقلَّدةٍ سِخابَا (٢)

وقال آخر]:

الموتُ بابٌ وكل الناس داخله — فليتَ شعرىَ بعدَ الباب ما الدَّارُ (٣)

لو كنتُ أعلم مَنْ يَدرى فيخبرَنى — أجنَّةُ الخُلْدِ مأوانا أم النَّارُ (٤)

وقال آخر :

اصبرْ لكلِّ مصيبةٍ وتجلّدِ — واعلمْ بأنَّ المرءَ غيرُ مخلَّدِ

فإذا ذكرتَ مصيبةً تشجى بها — فاذكُرْ مصابَكَ بالنبىِّ محمدِ

وقال آخر :

والشمس تَنْعَى ساكِنَ الـ — دُّنيا ويُسعِدُها القَمَر

---

(١) ألاح يليح : خاف وحاذر . ل : « لا شك داخله » . وانظر مجالس ثعلب ٣٤٩.

(٢) عنى بالعجوز الدنيا . والعشنزرة : السيئة الخلق ، بضم الخاء واللام . والسخاب : بالكسر : القلادة من سك وقرنفل ومحلب ، بلا جوهر .

(٣) كذا فى ل والأغانى (١٩ : ١٤) . وفى ط : « الموت باب لنا لا بد ندخله » وفى س : «لنا لابد لنا أن ندخله » وما فى س تحريف .

(٤) ل : « مثوانا » . قالوا : لم يتمثل الحسن البصرى بشعر إلا هذا البيت . انظر الأغانى .

أين الذين عليهمُ رَكَمُ الجنادِلِ والمَدَر[١]
أفناهُمُ غَلَس العِشا ء يهزُّ أَجْنِحَةَ السَّحَرْ[٢]
ما للقلوب رقيقـــةً وكأنَّ قلبَك مِن حَجَرْ
ولقلَّما تَبْقى وعو دُكَ كلَّ يومٍ يُهتَصر[٣]

وقال زهير :

ومَن يُوفِ لايُذمْ ومَنْ يُفْضِ قلبه إلى مطمئِن البرِّ لا يتجمجمِ[٤]
ومن يَغترب يحسَب عدوًّا صديقه ومن لا يكرِّم نفسَه لا يكرَّمِ
ومهما تـكنْ عندَ امرئٍ من خايقةٍ وإنْ خالها تخْفَى على النَّاسِ تُعلِمِ
ومن لا يزلْ يسترحِلْ النَّاسَ نفسَه ولا يُعفِها يوماً من الذَّمِّ يندَمِ[٥]

[وقال زهير أيضاً :

يطعنهم ما ارتَمَوا حتى إذا طُعِنُوا ضارب حتَّى إذا ماضارَبُوا اعتنقا[٦]]

---

(١) الركم ، بالتحريك : المتراكم .
(٢) الغلس : الظلام آخر الليل . والعشاء من زوال الشمس إلى طلوع الفجر . ل : « العشى » . وهى بمعنى العشاء المتقدم ؛ فى المصباح : « العشى من الزوال إلى الصباح » .
(٣) اهتصار الغصن : عطفه . ل : « يمتصر » . وفى ط : « ولعل ما تبقى » صوابه فى ل ، س .
(٤) لا يتجمجم : لا يتردد .
(٥) يسترحل الناس نفسه : يجعل نفسه كالراحلة للناس يركبونه ويذمونه . وروى : « يستحمل الناس » ، أى يحمل الناس على عيبه .
(٦) انظر الكلام على هذا البيت فى الاستدراكات .

وقال[١] :

وجارُ البيتِ والرَّجلُ المنادِي[٢] أمامَ الحيِّ عَقدُهما سواءُ
جوارٌ شاهدٌ عدْلٌ عليكم وسِيَّانِ الكَفالةُ والتَّلاءُ[٣]
فإنَّ الحقَّ مَقْطَعُهُ ثلاثٌ : يَمينٌ ، أو نِفارٌ ، أو جِلاءُ[٤]

فتفهَّمْ هذه الأقسامَ الثَّلاثة ، كيف فصَّلها هذا الأعرابيُّ !

وقال أيضاً :

فلو كان حمدٌ يُخلِدُ النَّاسَ لم تمُتْ ولكنَّ حمْدَ المرءِ ليس بمُخْلِدِ ١٤٨
ولكنَّ منهُ باقياتٍ وِراثَةً فأورِثْ بنيك بعضَها وتزوَّدِ
تزوَّدْ إلى يوم المماتِ فإنَّه وإنْ كرِهتْه النَّفسُ آخِرُ معْهَدِ

وقال الأسديُّ :

فإنِّى أحبُّ الُخلْدَ لو أستطيعُه وكالُخلْد عندى أن أموتَ ولم أُلَمْ[٥]

وقال الحادرة :

فأثنُوا علينا لا أبا لأبيكمُ بإحساننا إنَّ الثَّناءَ هو الُخلْد[٦]

وقال الغنوىّ :

فإذا بلغتمْ أهلَكم فتحدَّثوا ومن الحديثِ مهالكٌ وخُلودُ[٧]

---

(١) أى زهير بن أبى سلمى .
(٢) المنادى : المجالس ؛ من النادى والندى وهو المجلس . ط : « المناوى » وهو تحريف . يقول : حق الجليس كحق الجار .
(٣) التلاء ، بالفتح : الضمان . وانظر اللسان (تلا) .
(٤) انظر الكلام على هذا البيت فى الصناعتين ٣٣١ والعمدة (١ : ٣٠) والعقد (٣ : ٣٨٦) والبيان (١ : ٢٤٠) وعيون الأخبار (١ : ٦٧) .
(٥) وكذا فى البيان (٣ : ٣٢٠) . ل : « لو أموت » .
(٦) البيان (٣ : ٣٢٠) .
(٧) ما عدا ل : « بلغتم أرضكم » ، و « متآلف وخلود » .

وقال آخر (١) :

فقتلاً بتقتيلٍ وعقرًا بعقرِكم جزاءَ العُطَاسِ لا يموت من اتَّأَرْ (٢)

وقال زهير :

والإثمُ من شرٍّ ما تصولُ بِه والبرُّ كالغَيثِ نبتُه أَمِرُ (٣)

أي كثير . ولو شاء أن يقول :

* والبرُّ كالماءِ نبتُه أمرُ *

استقام الشعر ، ولكن كان لا يكون له معنى . وإنّما أراد أن النبات يكون على الغيثِ أجود (٤) . ثمَّ قال :

قد أشهَدُ الشَّاربَ المعذَّلَ لا معروفُهُ مُنكَرٌ ولا حصِرُ (٥)

في فتيةٍ ليِّني المآزرِ لا ينسَوْنَ أحلامَهم إذا سَكِرُوا (٦)

يشوُون للضَّيف والعُفاةِ ويُو فون قضاءً إذا هُمُ نَذَروا (٧)

---

(١) هو مهلهل كما في البيان (٣ : ٣٢٠) .

(٢) س : « وعقدا بعقدكم » . محرف . ما عدا ل : « جزاء العطاش » تحريف. وانظر حواشي البيان ، واللسان (عقب ١١٠ جزي ١٥٩) . واتأر : أدرك ثأره . والمعروف في المعجمات : « اثأر » بالثاء المثلثة . لكن ما أثبت من ل جائز في العربية . انظر الاستدراكات والتذييل . وفي ط ، س : « ارتا » محرف .

(٣) ط : « امره» وصوابه في ل ، س . والرواية عند القالي (١ : ١٠٣) والبحتري ٣٤٧ : « من شر يصال به » .

(٤) الغيث : المطر الغزير . ط ، س : « أراد أن يكون عن الغيث أجود » .

(٥) المعذل : الذي يبذل كثيرا ويلام لإسرافه . س : « المعدل » وليس بشيء . والحصر : البخيل .

(٦) المآزر : جمع مئزر ، والمراد بها هنا النفوس ، كما قال نفيلة – وأراد بالإزار النفس :

ألا أبلغ أبا حفص رسولا فدى لك من أخي ثقة إزاري

(٧) العفاة : جمع عاف : وهو كل طالب فضل أو رزق .

يمدحُ كما ترى أهلَ الجاهليّة بالوفاء بالنُّذور[١] .

أنشدنى حبّان بن عِتْبان[٢] ، عن أبى عبيدة ، من الشّوارد التى لا أربابَ لها ، قوله :

إن يغْدِرُوا أو يفجُروا أو يبخَلوا لم يحفِلوا

يَغــدُوا عليكَ مرجَّلِيـ ـنَ كأنَّهُمْ لم يفعَلُوا

كأبى بَراقِشَ كلَّ يو مٍ لونَه يتخيَّلُ[٣]

وقال الصَّلَتان السعدىُّ ، وهو غير الصَّلتان العبْدىِّ :

أشابَ الصغيرَ وأفنى الكبيـ ـرَ كرُّ الغَداةِ ومرُّ العشِى ١٤٩

إذا ليــلةٌ هرَّمَت يومــها أتى بعــد ذلك يوم فَتِى[٤]

نروح ونغــدُو لحاجاتنــا وحاجةُ مَن عاشَ لا تنقضى[٥]

تموت مــعَ المرءِ حاجاتُه وتبقى له حَاجــةٌ ما بقِى[٦]

إذا قلتَ يَوْماً لدى مَعْشرٍ أرُونى السَّرِىَّ أرَوْكَ الغنى

---

(١) ط ، س : « بالنذر » ولا تصح .

(٢) ل : « حيان بن عيينة » .

(٣) أبو براقش : طائر كالعصفور حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار يتلون فى كل ساعة ، يكون أحمر وأزرق وأخضر وأصفر . ولعل السبب فى ذلك ما قال الأزهرى : أنه شبيه بالقنفذ أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود فاذا انتفش تغير لونه ألوانا شتى . والرواية فى اللسان : « كل لون لونه » ط ، س : « يتبدل » . وانظر الأبيات ورواياتها وما قيل فيها ، فى ديوان المعانى (١ : ١٨٢) والبيان (٣ : ٣٣٣) وأمالى القالى (٣ : ٨٣) وعيون الأخبار (٢ : ٢٩) وخزانة الأدب (٣ : ٦٦٠ بولاق) والصناعتين ١٠٣ ومحاضرات الراغب (١ : ١٥٠) .

(٤) هذا البيت ساقط من ل .

(٥) ط : « لحاجتنا » تحريف .

(٦) ط ، س : « يموت » .

أَلم تَرَ لقمانَ أوصَى بنيـ ـهِ وأوصيت عمرًا فنعم الوَصى[١]

وسِرُّك ما كانَ عندَ امرئٍ وسرُّ الثَّلاثَةِ غير الخفى

أنشدنى محمَّدُ بن زياد الأعرابىّ :

ولا تَلبِثُ الأطماعُ مَن ليس عنده من الدِّين شىءٌ أن تميل به النَّفْسُ

ولا يُلْبثُ الدَّحْس الإهاب تحوزه بجُمْعِك أن ينهاه عن غيرك الترس[٢]

وأنشدنى أبو زيدٍ النحوىُّ لبعض القدماء[٣] :

وَمهْمَا يكنْ رَيْب المَنُونِ فإنَّنِى أرى قَمرَ اللَّيلِ المعذَّرَ كالفتَى[٤]

يعودُ ضئيلاً ثم يرجعُ دائباً ويعظم حتَّى قيل قد ثابَ واستوَى

كذلك زَيْدُ المرءِ ثمَّ انتقاصه وتكرارُه فى إثره بَعْدَ مامضَى[٥]

وقال أبو النَّجم :

---

(١) ل : « ونعم الوصى » . وانظر الأبيات ورواياتها فى عيون الأخبار (٣ : ١٣٢) ومعاهد التنصيص (١ : ٢٧) والعقد (٢ : ١٢٣) والحماسة (٢ : ٥٦) والكامل ٥٤٠ ليبسك .

(٢) الدحس : الفساد . والشطر الأخير محرف . ل : « أن تنهاه كعبرة الرأس » .

(٣) هو حسان السعدى كما فى نوادر أبى زيد ١١١ — ١١٢ . ونسب الشعر فى أمالى المرتضى (٢ : ٧٦) إلى بعض شعراء طيىء . وعينه ياقوت فى (دير حنظلة) بأنه حنظلة بن أبى عفراء . وساق نسبه إلى طيىء . وقال فى شأن حنظلة هذا « كان قد نسك فى الجاهلية وتنصر وبنى هذا الدير » .

(٤) المعذر : ذو العذار ، وهو هنا الهالة التى تطيف به . وفى الجزء السادس من الحيوان ص ٥٠١ : « المقدر » ، وما هنا صوابه . والرواية فى النوادر والأمالى والمعجم و ل : « المعذب » وكأن عذابه فيما يتكرر من طلوعه واختفائه ودءوبه على ذلك . وفى مثل ذلك قال أمية فى عذاب الشمس :

تأبى فلا تبدو لنا فى رسلها إلا معذبة وإلا تجلد

لاتستطيع أن تقصر ساعة وبذاك تدأب يومها وتشرد

(٥) الزيد : الزيادة . ط : « بعد ماضى » ، وصوابه فى ل ، س .

مَيَّزَ عَنهُ قُنْزُعاً عن قُنْزُعِ[١] مَرُّ اللَّيالِي أبْطئِي وأسرعي[٢]

أفناهُ قِيلُ اللهِ للشَّمْسِ اطلُعى ثمَّ إذا واراكِ أُفْق فارجِعِى

وقال عمرو بن هند[٣] :

وإنَّ الذى ينها كم عن طلابِها يُناغِى نِسَاءَ الحىِّ فى طُرَّةِ البُرْدِ[٤]

يعَلَّلُ والأيَّام تَنْقُص عُمْرَه كماتَنقُصُ النِّيرَانُ من طَرَفِ الزَّنْد[٥]

وقال ابن ميَّادة :

هل ينطقُ الرَّبع بالعَلياءِ غيَّره سافِى الرِّياحِ ومستنٌ له طُنُب[٦]

وقال أبو العتاهية :

* أسرَعَ فى نقص امرئ تمامُه *

وقال :

ولمرِّ الفناءِ فى كلِّ شيءٍ حركاتٌ كأنَّهنَّ سكُون[٧]

وقال ابن ميَّادة[٨] :

---

(١) القنزع : الشعر حوالى الرأس . ل : « قزعا عن قزع » . والقزع : كل شيء يكون قطعا متفرقة . ورواية اللسان : « طير عنها » .

(٢) كذا فى ل واللسان . فى ط ، س : « جذب الليالى أبطئى أو أسرعى » .

(٣) كذا فى ط و س : وص ٤٨ من هذا الجزء . وفى ل : « عبد هند » .

(٤) يناغى : يغازل . س : « عن طلائها » .

(٥) س : « يعلل بالأيام » .

(٦) المستن : أراد به السحاب السريع الإمطار . والطنب : حبل السرادق . وقد جعل السحاب كالسرادق فكأنه قد ضرب على الأرض لإحاطته . يقول : قد أفسد ذاك الربع الرياح والأمطار . ط ، س : « ومستف » ، تحريف ما أثبت من ل ومعجم الأدباء (١١ : ١١٤) والأغانى (٢ : ١٠٢) .

(٧) س : « ولمر القناء » ط : « ولمر القناة » ، ووجهه ما أثبت من ل .

(٨) روى فى معجم البلدان برسم (قنع) نسبته إلى مزاحم العقيلى .

أشاقَك بالقِنْعِ الغَداةَ رُسومُ　　دَوارِسَ أدنى عهدِهنَّ قديمُ (١)
يَلُحْنَ وقد جرَّمْنَ عشرين حِجَّةً　　كما لاح فى ظهرِ البنَان وشُوم (٢)

وقال آخر :

فى مرفَقيها إذا ما عُونِقتْ حَجَمٌ　　عَلَى الضَّجيع وفى أنيابها شنَب (٣)

وقال ابن ميَّادة فى جعفر [ومحمد] ابنى سليمانَ (٤) ، وهو يعنى أمير المؤمنين المنصور :

وفَى لكما يا ابْنَى سليمان قاسم　　بِجَدِّ النُّهَى إذيقسِم الخيرَ قاسِمُهْ (٥)
فبيتكُمَا بَيتٌ رفيع بناؤهُ　　متى يَلق شيئاً مُحْدَثاًفهو هادمُهْ (٦)
لكُمْ كبْش صِدق شذَّبَ الشَّولَ عنكُم　　وكسَّر قَرْنَىْ كلِّ كبشٍ يصادمُهْ (٧)

---

(١) القنع ، بالكسر : جبل وماء باليمامة . والرسوم : آثار الديار .

(٢) جرمن عشرين حجة : قطعن عشرين سنة . ط ، س : « حرمن » ط : « عتبى حجة » وصوابهما فى س .

(٣) فى المعجم : « إذا ماعولجت » . والحجم بالحاء ثم الجيم المفتوحتين : لم أجد نصا فيه . ولعله من حجم ثدى الجارية : نهد وارتفع . أراد أنها مكسوة المرفقين باللحم . ل وكذا الأغانى : « جم » وهو كثرة اللحم ، أو عدم ظهور العظم . س : « حم » محرف . والشنب : بالتحريك : الرقة والحدة .

(٤) ط ، س : « فى جعفر بن سليمان » وتصحيحه وإكماله من ل .

(٥) يقول : ذلك القاسم حين قسم الخير وفى لكما بحظ العقل . وفى بالشىء : أعطاه كاملا . وهذا البيت شديد التحريف فى الأصل . فى ط ، س : « وما لكم » وفى ل : « وفاه لكما » وفى ط ، س : « بجد النبى » وفى ل : « تجد النهى » . وقد عالجته بما ترى .

(٦) فى الأصل : « فبينكما » محرف : ل : «متى يلق بيتا مجدكم » .

(٧) الكبش : عنى به المنصور . شذب : طرد . والشول من الإبل : التى نقصت ألبانها . يريد : طرد عنكم الحساس من الناس . ط فقط : « شذب الشوك » وهو معنى لايصح فى المدح .

باب

فى من يهجى ويذكر بالشؤم

قال دِعبِل بن علىّ ، فى صالح الأفقم[١] — وكان لا يصحبُ رجلاً إلَّا ماتَ أو قُتِل ، أو سقَطَتْ منزلته — :

قل للأمينِ أمينِ آل محمَّدٍ قول امرئٍ شفقٍ عليه محامِ[٢]
إيَّاكَ أن تُغترَّ عنك صنيعة فى صالح بن عطيَّة الحجَّامِ[٣]
ليس الصَّنائعُ عندَه بصنائعٍ لـكنهنَّ طوائلُ الإسلامِ[٤]
أَضربْ به نحرَ العدوِّ فإنَّه جيشٌ من الطَّاعونِ والبِرسامِ[٥]

وقال محمد بن عبد الله فى محمد بن عائشة[٦] :

لِلهـلالِىِّ قتيـلٌ أبدًا فى كُلِّ عامِ
قَتَلَ الفضلَ بنَ سهلٍ وعلىَّ بنَ هشامِ
وعجيفاً آخر القو مِ بأكناف الشّآمِ

---

(١) الأفقم : الذى تقدمت ثناياه العليا فلم تقع على السفلى . وفى الأغانى : « الأضجم » ، وهو المعوج الفم . ل : « صالح بن على الأفقم » صوابه «ابن عطية» كما فى الأغانى ، والشعر .

(٢) يريد بالأمين الخليفة المعتصم ، كما فى الأغانى (١٨ : ٦٤) وروايته :
قل للإمام إمام آل محمد قول امرئ حدب عليك محام
والتعبير عن الخليفة بلفظ « أمين » سبق مثله فى ص ٦٣ س ٤ .

(٣) تغتر : تؤخذ وتنال على غرة . ل : « يفتر » . وفى الأغانى (١٨ : ٤٦) : « أنكرت أن تفتر » !

(٤) طوائل : جمع طائلة ، يقال بينهم طائلة أى عداوة وترة .

(٥) البرسام ، بالكسر : علة يهذى فيها . قلت : هى بالفارسية برسام بالفتح ، بمعنى التهاب الصدر ، مركب من بر وهو الصدر ، وسام بمعنى الالتهاب ، وهو بالمعنى الدقيق : التهاب غشاء الرئة : The pleurisy .

(٦) ل : « بن محمد بن عائشة » .

وغدا يطلب مَن يقـ ـتَل بالسَّيفِ الُحسامِ[١]
فأعَاذَ اللهُ منـه أحمدًا خيرَ الأنام

[يعنى أحمد بن أبى دواد] .

وقال عيسى بن زينب فى الصخرى[٢] ، وكان مشئوما :

يا قوم مَنْ كان له والدٌ يأكلُ ما جمَّعَ مِنْ وَفْرِ[٣]
فإنَّ عندى لابنِه حيلةً يموتُ إن أُصْحِبَهُ الصخرى[٤]
١٥١ كأنمـا فى كفّه مِبردٌ يبرُد ما طال من العُمْر

(شعر فى مديح وهِجاء)

وقال الأعشى :

فمـا إنْ على قلبه غَمرةٌ وما إن بعظمٍ لهُ من وَهَنْ[٥]

وقال الكميت :

ولم يقلْ عِنْدَ زَلَّةٍ لهمُ كُرُّوا المعاذيرَ إنَّما حَسِبُوا[٦]

وقال آخر :

فلا تعذرانى فى الإساءةِ إنَّه شِرارُ الرِّجال مَنْ يسىءُ فيُعذرُ

---

(١) ل : « وبدا يطلب » .

(٢) ط ، س : « الصحرى » .

(٣) الوفر : المال الكثير . ط ، س : « مايجمع فى الدهر » .

(٤) أصحبه : جعل صاحبا له . ط : « صحبة » . ط ، س : « الصحرى » .

(٥) س : « يعظم » ، تحريف.

(٦) الواو فى أول البيت ساقطة من ط ، س . ل : « بعد زلة » . ط : « حسوا » س : « حسنوا » وصوابه فى ل .

وقال [كلثوم بن عمرو] العتّابى[١] :

رحـــل الرَّجاءُ إليك مغتربا حُشِدَتْ عليه نوائبُ الدَّهرِ[٢]

ردَّت عليك ندامتى أمَـلى وَثَنى إليك عِنانَه شُكرِى[٣]

وجعلت عَتْبَكَ عتْب موعظةٍ ورجاءَ عفوك مُنْتَهى عُذْرِى

وقال أعشى بكر[٤] :

قَلَّدتك الشِّعرَ يا ســلامة ذا الـــإفضالِ والشَّىءُ حيثُ ماجُعلا[٥]

والشِّعرُ يَسْتَنْزِلُ الكريمَ كما اسْـ تَنْزَلَ رعْدُ السَّحابةِ السَّبَلا[٦]

لو كنت ماءً عِدًّا جَمَمتَ إذا ما وردَ القومَ لم تكُنْ وشلا[٧]

أنجَبَ آباؤه الـكرامُ به إذْ نجلاهُ فَنِعْمَ ما نجلا

استأثَرَ اللهُ بالبَقاءِ وبالحمْـ ـدِ وَوَلَّى المَلامَةَ الرَّجُلا[٨]

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) ط : « مرتغبا » س : « مرتقبا » . حشدت : جمعت . ط ، س : « حسدت »، وليس بشىء .

(٣) ل : « ردت إليه » و « ثنى إليه » .

(٤) ل : « وقال الأعشى » . وهما سيان ، فإن الأعشى المشهور يقال له أعشى بكر ، ويقال له أيضاً أعشى قيس . فهو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف ابن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل . ينسب حينا إلى قيس بن ثعلبة ، وآخر إلى بكر بن وائل . وقد أخطأ دى ساسى فى جعلهما شخصين فى فهرس الأغانى .

(٥) كلمة « الشعر » ساقطة من ط . وفى الخزانة (٤ : ٣٥٨) : « ذو التفضال » ، وفى العمدة (١ : ١٠) : « ذا فائش ». وسلامة ذو فائش : أحد ملوك حمير .

(٦) السبل ، بالتحريك : المطر .

(٧) الماء العد ، بكسر العين : القليل ، بلغة بكر بن وائل . جم : كثر . س : « جمعت » تحريف . والوشل : الماء القليل .

(٨) يروى : « بالوفاء وبالعد » . وبهذا البيت يستشهد على أن الأعشى كان مذهبه مذهب أهل العدل . انظر أمالى المرتضى (١ : ١٦) .

وقال الكذَّاب[١] الحِرْمازىُّ [لقومه ، أو لغيرهم[٢]] :

لو كنتمُ شاءً لكنتمْ نَقَدَا[٣] أو كنتمُ ماءً لكنتم ثَمَدا[٤]

* أو كنتمُ قولاً لكُنْتُم فَنَدا[٥] *

وقال الأعشى فى الثياب[٦] :

فعلى مثلها أزورُ بنى قيـ ـسٍ إذا شَطَّ بالحبيبِ الفِراقُ[٧]

المهينين ما لَهُـم فى زمانِ الـ ـسَّوءِ حتَّى إذَا أفاقَ أفاقوا

وإذا ذو الفُضول ضنَّ على المو لىوصارتْ لِخيمها الأخْلاقُ[٨]

ومشَى القومُ بالعِمادِ إلى الرَّزْ حَى وأعيا المُسيمَ أيْنُ المَساقِ[٩]

أخذوا فضْلَهمْ هناكَ وقد تَجـ رى على عِرْقِها الكِرامُ العِتاقُ[١٠]

---

(١) وكذا فى الحيوان (٥ : ٤٦٢) . ونسب فى الأزمنة والأمكنة (٢ : ٢٧٧) إلى العين المنقرى . والكذاب هو عبد الله بن الأعور ، أحد بنى الحرماز بن مالك بن تميم . ط : « الكرار » س : « الكراز » وهو على الصواب فى ل . قالوا : سمى بذلك لكذبه .

(٢) هم بنو فقيم ، كما جاء فى أول الرجز فى كل من أمثال الميدانى (١ : ٢٦٠) والأضداد ٣٥٦ :

* فقيم ياشر تميم محتداً *

(٣) النقد : جنس من الغنم قصار الأرجل ، قباح الوجوه ، يكون بالبحرين .

(٤) الثمد : الماء القليل . وهذه الرواية انفردت بها ل . وفى ط ، س وأمثال الميدانى والأضداد وثمار القلوب : « زبدا » .

(٥) الفند : الكذب . وفى الرجز زيادة فى ثمار القلوب وأمثال الميدانى (١ : ٢٦٠ ، ٤١٣) .

(٦) « فى الثياب » ساقط من ل . والحديث عن الثياب فى آخر بيت من هذه المقطوعة .

(٧) شط به : بعد . س : « شك » تحريف .

(٨) الخيم ، بالكسر : السجية والطبيعة . وفى الديوان : « لحقها » أى لحقيقتها . ل : « بحقها » .

(٩) العماد : الأخبية . والرزحى : النوق الشديدات الهزال . والمسيم : الذى يرعى الإبل . والأين : الإعياء . والمساق : السوق .

(١٠) قد ، هنا ، تحقيقية .

وإذا الغيثُ صَوبُهُ وضَعَ القِدْ ... حَ وجُنَّ التِّلاعُ والآفاقُ[(١)] ١٥٢

لم يزِدْهُمْ سفاهةً شُرْبُ الخمْ ... رِ ولا اللَّهْوُ فيهمُ والسِّباقُ[(٢)]

واضِعًا فى سَرَاةِ نَجْرانَ رَحْلِى ... ناعماً غيرَ أنَّنِي مُشتاقُ

فى مطايا أربابُهنَّ عِجَالٌ ... عن ثَواءٍ وهَمُّهنَّ العِراقُ

دَرْمَكٌ غُدوةً لنا ونشيلٌ ... وصَبُوحٌ مباكِرٌ واغتِبَاقُ[(٣)]

وندامى بيضُ الوُجوهِ كأنَّ الـ ... ـشَّرْبَ مِنْهُمْ مَصاعِبٌ أفناقُ[(٤)]

فيهمُ الخِصْبُ والسَّماحةُ والنجْ ... دَةُ جَمْعاً والخاطِبُ المِسْلاقُ[(٥)]

وأبِيُّونَ لا يُسامُون ضَيْمًا ... ومَكِيثُون والحُلومُ وِثاقُ[(٦)]

وترى مجلساً يَغَصُّ به المِحْ ... رابُ بالقَوْمِ والثِّيابُ رِقاقُ

---

(١) القدح ، بالكسر ، هو قدح الميسر . كانوا ينحرون ويضربون بالقداح ، فإذا أخصبوا تركوا ذلك ؛ وذلك أن الميسر إنما يكون فى الجدب . شرح ديوان الأعشى ١٤٤ فينا . جنت التلاع : كثر فيها النبت وحسن .

(٢) ليس يريد أنهم كانوا ذوى سفاهة فزادهم الشرب ، ولكن أراد أن الشرب لايجلب إليهم السفاهة ، بل يحتفظون معه بحميد خصالهم :

وإذا شربت فاننى مستهلك ... مالى وعرضى وافر لم يكلم

(٣) الدرمك : لباب الدقيق ، أراد الطعام المصنوع منه . و « غدوة » هى فى الأصل : « غدره » ، وتصحيحها من الديوان . والنشيل : ماانشل من لحم القدر بمائه .

(٤) الشرب ، بالفتح : جماعة الشاربين . ل : « الشرب فيهم » . والمصاعب : الفحول المكرمة . والأفناق : جمع فنيق ، وهو بمعنى المصعب .

(٥) ل واللسان : « فيهم الحزم » . والخاطب المسلاق : الخطيب البليغ . ويروى : « السلاق » بمعناه ، كما فى اللسان . ورواية س : « المصلاق » بالصاد ، وهى لغة . يقال : مصلاق وصلاق أيضاً .

(٦) المكيث : الرزين . والحلوم وثاق : أى عقولهم محكمة .

وقال أيضاً فى الثِّياب (١) :

أزورُ يزيدَ وعبدَ المسيحِ وقيساً هُمُ خَيرُ أربابها

وكعبةَ نَجْرَان حَتم عليـ ـك حتَّى تناخِى بأبوابِها (٢)

إذا الحِبَرَاتُ تلوّتْ بِهِمْ وجرُّوا أسافلَ هُدَّابِها

وفى الثِّياب يقول الآخر :

أُسَيْلِم ذا كمْ لاخفا بمكانه لعينٍ تُرَجِّى أو لأذن تَسَمَّعُ (٣)

من النَّفَرِالبيضِ الذين إذا انْتَمَوْا وهابَ الرِّجال حَلْقَةَ البابِ قَعْقَعوا (٤)

جلاالأذْفر الأحوى من المِسك فرقَه وطيب الدِّهانِ رأسَه فهو أنْزَع (٥)

إذا النَّفر السُّود اليَمانون حاوَلوا له حَوك بِرديْهِ أجادُوا وأوسعَوا (٦)

[وقال كثيِّر :

يجرِّر سِرْبالا عليه كأنّه سبىٌّ هلالٍ لم تفتق شرانقه (٧)]

وقال الجعدى :

أتَانِى نصرهمْ وَهمُ بَعِيدٌ بِلادُهُم بأرضِ الخيْزُرَانِ

---

(١) الأبيات منسوبة إلى أعشى بنى تغلب فى معجم الأدباء (١١ : ١٣٢) .

(٢) يخاطب ناقته . تناخى : تبرك . ط ، س : « تحل » ولها وجه .

(٣) خفا : مقصور خفاء . ط ، س : « حقا » ، وصوابه فى ل والبيان (١ : ١٩٦ و ٣ : ٣٠٥) والكامل ١٠٣ والعقد (٥ : ٣٤٣) ورسائل الجاحظ ٧٩ ساسى والبخلاء ٢١٣ . « ترجى » من الرجاء وهو الأمل . ل : « تدحى » ، البيان « تدجى » الرسائل : و « تداحى » ولعلها « تراعى » .

(٤) الرواية فى المراجع المتقدمة : « من النفر الشم » وجعلهم نفرا لقلتهم . والكرام قليل .

(٥) الأذفر : الشديد سطوع الرائحة . ط : « فوقه » تحريف . والأنزع : الذى انحسر الشعر عن جانبى جبهته . ل : « فهو أفرق أنزع » .

(٦) اليمانية يوصفون بالسواد . ل والعقد : « أرقوا وأوسعوا » ، وفى خزانة الأدب (٢ : ٥٢٣ بولاق) نقلا عن البيان : « أدقوا » ، وفى البيان : « أطالوا » . وانظر ما كتب البغدادى عن الشعر فى الخزانة .

(٧) السبى : جلد الحية تسلخه . والهلال : الحية . والشرانق : ما تسلخه . وانظر ماسيأتى فى (٤ : ١٧٧) .

يريد أرضَ الخِصب والأغصانِ اللَّيِّنَةِ[1] .

وقال الشاعر[2] :

فى كفِّهِ خَيْزُرانٌ ريحُها عَبِقٌ بكَفِّ أرْوَعَ فى عِرنينه شمم[3]

لأن المَلِكَ لا يَختَصِرُ[4] إلَّا بِعُودٍ لدْنٍ ناعِمٍ . وقال آخر :

تجاوبُها أخرى على خَيْزُرانَةٍ يكادُ يدنيها من الأرضِ لينها[5]

١٥٣

وقال آخر[6] :

نَبتُّم نَباتَ الخيزُرانىِّ فى الثَّرَى حديثاً، متى مايأتِكَ الخيرُ يَنْفَعِ[7]

وقال المُسَيَّبُ بن علس[8] :

قِصارُ الهمِّ إلَّا فى صديقٍ كأنَّ وطابَهُمْ مُوشَى الضِّبابِ[7]

(١) فى اللسان : « وذلك أنه كان بالبادية وقومه الذين نصروه بالأرياف والحواضر . وقيل : أراد أنهم بعيد منه كبعد بلاد الروم » .

(٢) ط ، س : « وقال أصحر الشاعر » وانظر ما أسلفت من التحقيق فى ص ١٣٣ .

(٣) كذا فى ط ، س . وفى ل : « ريحه عبق » . وانظر الاستدراكات .

(٤) الاختصار : أخذ المخصرة ، بالكسر ، وهى مايتوكأ عليه الخطيب ويشير به من عصا ونحوها . ل : « يتخصر » وهى صحيحة أيضاً . جاء فى الحديث : « فإذا أسلموا فاسألهم قضبهم الثلاثة التى إذا تخصروا بها سجد لهم » .

(٥) انظر حواشى البيان (٣ : ٦٢) .

(٦) هو النجاشى الشاعر ، كما فى خزانة الأدب (٤ : ٥٦٤ بولاق) والعقد (٤ : ١٢) .

(٧) ط والعقد : « ثبتم ثبات » ط . ل « بنتم بتات » تحريف ما أثبت من س والخزانة وكتاب سيبويه (٢ : ١٥٢) . والخيزرانى : لغة فى الخيزران ، وهو الطرى الناعم من النبات . حديثا : أى نباتا حديثا . يقول : لستم ذوى حسب قديم ، يهجوهم بذلك . والنجاشى صاحب الشعر قحطانى من بنى الحارث بن كعب المذحجى يهجو بهذا الشعر بنى صعصعة بن معاوية العدنانيين . وقبل البيت :

يا راكبا إما عرضت فبلغن بنى عامر منى وأبناء صعصع

« ينفع » هى فى ط : « ينفعا » . وهى رواية سيبويه استشهد بها على إلحاق نون التوكيد الخفيفة بينفع مع أنها جواب شرط ، وليس ذلك من مواضع دخولها .

(٨) س : « وقال آخر » ل : « وقال الآخر » .

(٩) ط ، س : « فصار » ل « قصاد » يقول : ليس لهم هم إلا فى رعاية صديقهم وإكرامه . والوطاب : سقاء اللبن . والضباب ، بالكسر : جمع ضب . الموشى : الذى استخرج من جحره برفق . ط ، ل : « موق » ، والأشبه ما أثبت من س .

(عين الرضا وعين السخط)

وقال المسيب بن علس :

تامتْ فؤادك إذ عَرَضت لها حَسَنٌ برأى العين ما تَمِقُ[1]

وقال ابن أبي ربيعة :

* حَسَنٌ فى كلِّ عَينٍ من تودّْ[2] *

وقال عبد الله بن معاوية[3] :

وعَين الرِّضا عن كلِّ عَيبٍ كليلةٌ ولـكِنّ عَينَ السُّخطِ تُبْدِى المساوِيَا

وقال رَوْح أبو همَّام[4] :

وعينَ السُّخْطِ تبصِرُ كلَّ عيبٍ وعينُ أخِى الرِّضَا عن ذاكَ تَعْمى[5]

---

(١) تامت الفؤاد : استعبدته . ط ، س : « قادت » . ومق يمق : أحب .

(٢) صدر هذا البيت كما فى الديوان ٧٦ :

* فتضاحكن وقد قلن لها *

(٣) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ولد فى خلافة معاوية، ومعاوية هو الذى سماه . وقد خرج عبد الله فى أيام يزيد بن الوليد ، وقصد إلى خراسان وكان قد ظهر بها أبو مسلم فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده ثم قتله . وكان شاعراً مجيداً ، أكثر البحترى من الاختيار له فى حماسته ..والبيت الآتى من أبيات قالها فى الحسين ابن عبد الله بن عبيد الله بن العباس ، وكان الحسين وعبد الله يتهمان بالزندقة ، فقال الناس : إنما تصافيا على ذلك ، ثم دخل بينهما ما تهاجرا من أجله . انظر الأغانى (١١ : ٧٢) وثمار القلوب ٢٦١ وسرح العيون (٢ : ١١٣) .

(٤) اسمه روح بن عبد الأعلى، وكنيته أبوهمام ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ١٦٤ ليبسك ٢٣٤ مصر . وديوانه خمسون ورقة . ط ، س : « بن همام » وهو على الصواب فى ل . وانظر تزيين الأسواق ص ١٤ .

(٥) ل : « تظهر كل عيب » .

(شعر وخبر)

وقال الفرزدق :

أَلَا خَبِّرُونى أيُّها النَّاسُ إنَّما سألتُ ومَنْ يَسْأَلْ عن العِلمِ يَعْلَمِ [(١)]

سؤالَ امرئٍ لم يُغْفِلِ العِلْمَ صدرُهُ وماالسائلُ الواعِى الأحاديثَ كالعَمِى [(٢)]

وقيل لِدَغْفَلٍ [(٣)] : أنَّى لك هذا العلم ؟ قال : لسانٌ سَئُولٌ ، وقلبٌ عقول [(٤)] .

وقال النابغة :

فآبَ مُضِلُّوهُ بعينٍ جليَّةٍ وغُودِرَ بالجَوْلَانِ حَزْمٌ ونائلُ [(٥)]

---

(١) ط ، س : « ومن يسأل من الناس يعلم »، وأثبت رواية ل والديوان ٧٥٩ . وصدره فى الديوان : « ألا يا اخبرونى » .

(٢) ط ، س : « لم يعقل »، تحريف ما أثبت من ل والديوان . وفى الديوان : « وما العالم الواعى » . والسؤال الذى عناه الفرزدق فى بيت بعد هذا . وهو :

ألا هل علمتم ميتا قبل غالب قرى مائة ضيفاً ولم يتكلم

غالب : أبو الفرزدق . مائة ضيفاً : أى مائة ضيف .

(٣) هو دغفل بن حنظلة النسابة الذى سبق ذكره فى ص ٢٠٩ . أدرك النبى ولم يسمع منه شيئاً ، ووفد على معاوية فسأله عن مسائل فأجابه ، وكان منها هذا السؤال . انظر أمثال الميدانى (٢ : ٢٧٣) ط ، س : « لرجل » . على أن الجاحظ فى البيان (١ : ٨٤) قد نسب القول إلى عبد الله بن عباس ، وعقب على ذلك بقوله : « وقد رووا هذا الكلام عن دغفل بن حنظلة العلامة . وعبد الله أولى به » . قلت : ونسبته إلى دغفل مذكورة فى عيون الأخبار (٢ : ١١٨) .

(٤) سئول : كثير السؤال . عقول ، شديد الفهم أو الحفظ .

(٥) بعين جلية : أى بخبر صادق وأنه مات . والجولان : موضع بالشام دفن فيه النعمان ابن الحارث بن أبى شمر الغسانى . غودر الحزم والنائل : أى دفن بدفن النعمان الحزم والعطاء .

مُضِلوه: دافنوه، على حدِّ قوله تعالى[1] : ﴿ أَءِذا ضَلَلْنَا فى الْأَرْضِ ﴾

وقال المخبَّل :

أضلَّتْ بنو قيسِ بنِ سَعْدٍ عميدَهَا   وفارسَها فى الدَّهْرِ قيسَ بنَ عاصمِ

وقال زهيرٌ — أو غيره — فى سِنانِ بن أبى حارثة :

إن الرَّزيَّةَ لا رزِيَّةَ مثلها   ما تبتغى غطفانُ يومَ أضلَّتِ

ولذلك زعم [بعضُ النَّاس] أنَّ سِنانَ بنَ أبى حارثةَ خَرِفَ فذَهبَ على وجهه ، فلم يُوجَد .

(من هام عَلَى وجهه فلم يوجد)

ويزعمون أنَّ ثلاثةَ نفَرٍ هامُوا على وُجوههم فلم يُوجَدُوا : طالب بن أبى طالب ، وسنان بن أبى حارثة[2] ، ومرداس بن أبى عامر .

وقال جرير :

وإنى لأستَحْيِي أخى أنْ أرى له   علىَّ من الفضلِ الذى لا يَرى ليا

١٥٤ وقال امرؤ القيس :

وهل يَعِمَنْ إلَّا خَلِىٌّ منَعَّمٌ   قليلُ الهمومِ ما يبيتُ بأوْجالِ[3]

وقال الأصمعى . هو كقولهم : « استرَاحَ مَنْ لا عَقْلَ له ! » .

وقال ابن أبى ربيعة[4] :

---

(١) ل : « على قوله » .

(٢) انظر الحيوان (٦ : ٢٠٩) والأغانى (٩ : ١٤٤) .

(٣) ل : « وهل ينعمن » . والأوجال : المخاوف .

(٤) انظر البيان (٣ : ٣١٨) .

وأعجبَها مِنْ عيشها ظِلُّ غرفةٍ وريّانُ مُلتفُّ الحدائق أخضَرُ
ووالٍ كفاها كلَّ شيءٍ يَهُمُّها فليستْ لشيءٍ آخِرَ اللّيلِ تسهَرُ[1]

باب
في مديح الصّالحين والفُقَهاء

قال ابنُ الخيّاط[2] ، يمدح مالك بنَ أنس :

يأبى الجوابَ فما يُراجَعُ هَيْبَةً والسائلونَ نَوَاكِسُ الأذْقَانِ
هَدىُ التقيِّ وعزّ سلطانِ التُّقى فهو المطاعُ وليس ذا سُلْطانِ[3]

وقال ابن الخياط[2] في بعضهم :

فتًى لم يجالس مالكاً مُنْذُ أنْ نَشَا ولم يقتبِسْ من علمه فهو جاهلُ

وقال آخر :

فأَنْتَ باللّيل ذئبُ لا حَرِيمَ له وبالنّهارِ على سمْتِ ابن سِيرِين[4]

وقال الخليل بن أحمد وذكروا[5] عندَه الحظَّ والجِدَّ ، فقال : أمّا الجِدُّ

---

(١) ط ، س : « الدهر »، صوابه من ل والديوان والخزانة (٢ : ٤٢١ بولاق) .

(٢) اسمه عبد الله بن سالم المكى ، كما فى زهر الآداب (١ : ٦٩) . ط ، س : « أنس بن الخياط » . وفى الكامل ٤٠٩ ليبسك : « ابن الخياط المدينى » . فلعله مكى مدينى . والبيتان يرويان أيضاً لعبد الله بن المبارك ، فى العقد (١ : ٢٦٨) وزهر الآداب فى رواية . وانظر عيون الأخبار (١ : ٢٩٤) .

(٣) قال المبرد : « أراد : له هدى التقى » . وفى محاسن البيهقى (٣ : ١٢١) : « هذا التقى » . وانظر للبيت السابق الاستدراكات .

(٤) السمت : الطريق وهيئه أهل الخير . وأراد أن يقول ، « على ورع ابن سيرين » فلم يستقم له . هذا ما رأى الثعالبى فى ثمار القلوب ٧٠. وانظر البيان (٣ : ١٧٣) .

(٥) س : « وذكر » . ط : « وكان » ، وهذه تحريف عجيب .

فلا أقول فيه شيئا ، وأمّا الحظُّ فأخزَى اللهُ الحظَّ ؛ فإنه يبلِّد الطالبَ إذا اتّكل عليه ويبعد[1] المطلوب إليه من مذمّةِ الطّالب .

وقال ابن شبرمة[2] :

لو شئت كنت كـكرْز في تعبُّدِه ... أو كابنِ طارق حولَ البيت والحَرم

قد حالَ دونَ لذيذِ العَيش خوفهما ... وسارعَا فى طلاب العزِّ والكرَمِ[3]

وقال آخر[4] يرثى الأصمعىّ :

لا درَّ درُّ خطوبِ الدّهرِ إذْ فجعَتْ[5] ... بالأصمعىِّ لقدْ أبقتْ لنا أسَفَا

عِش ما بدا لك فى الدُّنيا فلستَ ترى ... فى الدّهر منهُ ولا مِن عِلْمِه خَلَفا

وقال الحسنُ بن هانىء ، فى مرثية خَلفٍ الأحمر :

١٥٥ لو كان حَىٌّ وائلاً من التّلَف ... لوألتْ شغْوَاءُ فى أعلى الشَّعف[6]

أمُّ فُريخٍ أحرزَتْه فى لَجف[7] ... مُزَغّبِ الألغادِ لم يأْكل بكفّ[8]

---

(١) ط ، س : « ويبعد » .

(٢) هو عبد الله بن شبرمة بن حسان القاضى ، كان قاضياً لأبى جعفر المنصور على سواد الكوفة وكان شاعراً ، حسن الخلق ، جواداً ، ولد سنة ٧٢ وتوفى سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب.

(٣) ل : « فى طلاب الفوز » .

(٤) هو أبو العالية الحسن بن مالك الشامى ، كما فى وفيات الأعيان (١ : ٢٩٠) وتاريخ بغداد ٥٥٧٦ .

(٥) ط : « إذا فجعت » ، تحريف .

(٦) ط : « لو كان حى » صوابه فى ل ، س . وألت : نجت . ط ، س : « لواءلت » وهى صحيحة بمعنى الأولى . والشغواء : العقاب ، سميت بذلك لتعقف منقارها . ط ، س : « شعواء » ، صوابها فى ل . والشعف : جمع شعفة بالتحريك ، وهى رأس الجبل . ط « فى ذرى الشعف » .

(٧) يقول : لها فرخ حفظته فى صخرة مشرفة على غار . كلمة « فى » ساقطة من ل .

(٨) الألغاد : جمع لغد ، وهو هنا ظاهر لحم الحلق . ط : « الأكفاو » ل ، س : « الألفاد » ، وصوابه ما أثبت موافقا لما فى ديوان أبى نواس ١٣٢ .

هاتيك أم عصماءُ فى أعلَى الشَّرَف (١)

تظلُّ فى الطُّبَّاق والنَّزْعِ الألفْ (٢)

أودى جماعُ العِلم مُذ أودَى خلف قلَيْذَمٌ من العيالم الخُسُف (٣)

وقال يرثيه فى كلمةٍ [له](٤) :

بتُّ أعزِّى الفؤادَ عن خَلفِ وباتَ دمْعى إلّا يَفِض يَكِفِ (٥)

أنسى الرَّزايا مَيتٌ فجعتُ به أضحَى رهينًا للتُّربِ فى جَدَفِ (٦)

كان يسنِّى برفْقه غلَقَ الـأفهَامِ فى لا خرقٍ ولا عُنفِ (٧)

يجوبُ عنك التى عَشِيتَ لها حَيْرَان، حتّى يشفيكَ فى لُطفِ (٨)

---

(١) العصماء من الوعول : ما فى ذراعيها أو إحداهما بياض وسائرها أسود أو أحمر . والشرف : المكان المرتفع .

(٢) الطباق ، كرمان : شجر ينبت فى جبال مكة . والنزع : نبت . س: «والمنزع » ل: « والنذع » محرفتان . والألف : الملتف . ل : « الأقف » تحريف .

(٣) القليذم : البئر الغزيرة الكثيرة الماء . ط : « قلندم » س : « فلتدم » صوابه فى ل والديوان . والعيالم : جمع عيلم ، وهى البئر الواسعة الكثيرة الماء عنى أنه غزير العلم . وفى الديوان ومحاضرات الراغب (١ : ٤٩ ، ٢ : ٢٣٦) : « العياليم » . والخسف : جمع خسيفة ، وهى البئر حفرت فى حجارة ، فنبعت بماء غزير لاينقطع .

(٤) رثاه بها قبل موته ، وكان خلف أستاذه ، فعرضها عليه فاستجودها . وأنشدها أبا عبيدة فقال : ما أحسنها ! وطوبى لمن يرثى بمثلها ! فقال : مت راشداً وعلىّ أن أرثيك بخير منها .

(٥) وكف الدمع : قطر . ط ، س : « أن لا يغفض » ، صوابه فى ل والديوان .

(٦) الجدف : الجدث ، وهو القبر . ل: « رهين التراب » .

(٧) يسنى : يفتح . والغلق : ما يغلق به الباب . ط : « كما ينسى برفقه خلق » كما البيت محرف بالديوان .

(٨) يجوب : من جاب الرجل المفازة : قطعها . عشى : لم يبصر . ل والديوان : « من قبل » موضع « حيران » .

لا يَهِمُ الحاء فى القراءة بالخا ء ولا لا مَها مع الألف[١]
ولا مضلًّا سُبْلَ الكلامِ ولا يكون إسناده عن الصُّحُفِ[٢]
وكان مِمَّن مضى لنا خَلَفا فليسَ إذْ مات عنهُ مِن خلفِ[٣]

وقال آخر فى ابن شبرُمة[٤] .

إذا سأَلتَ النَاسَ أينَ المكرمَهْ والعزُّ والجُرثومةُ المقدَّمَهْ[٥]
وأينَ فاروقُ الأُمورِ المحكمه[٦] تتابَعَ النَّاسُ على ابن شُبرُمَهْ

(شعر مختار)

وقال ابن عرفطة :

ليَهنِيكَ بُغْضٌ للصَّديق وظِنَّةٌ وتحديثُك الشَّىْءَ الذى أنتَ كاذبُه[٧]
[وَأنَّكَ مشنوءٌ إلى كلِّ صاحبٍ بَلاكَ ، ومثلُ الشرِّ يكره جانبُهْ]
وإنَّك مِهْدَاءُ الخنا نَطِفُ النَّثَا شديدُ السِّبابِ رافعُ الصَّوتِ غالبُه[٨]

---

(١) كذا، فى ط ، س ، والديوان ، وأخبار أبى نواس ٢٧ : « يهم » من الوهم ، وفى ل : « يهمر » .

(٢) كانوا يقولون : « لا تأخذوا العلم من صحفى » . ط ، س : « على الصحف » ورواية الديوان وأخبار أبى نواس :

ولا يعمى معنى الكلام ولا يكون إنشاده عن الصحف

(٣) ط، س : « وكان فيما مضى لنا خلف »، وصوابه فى ل والديوان والأخبار .

(٤) سبقت ترجمته فى التنبيه الثانى من ص ٤٩٢ .

(٥) الجرثومة : الأصل .

(٦) الفاروق : الذى يفرق ويفصل .

(٧) ل : « ليهنك بعض فى الصديق » . وانظر القول فى الشعر وشرحه ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٨) ط ، س : « وأنك مهدى الخنا نطف الحشا » ، تحريف صوابه فى ل . وانظر ١٠٣ .

وقال النّابغة الجعدىّ :

أبَى لِى البَلاءُ وأنِّى امروٌ إذا ما تَبَيَّنتُ لَمْ أرْتب

وليس يريد أنّه فى حال تبيُّنُه[1] غيرَ مُرتاب ، وإنّما يعنى أنّ بصيرتَه لا تتغيّر .

وقال ابنُ الجَهم ، ذات يوم : أنا لا أشكُّ[2] ! قال له المكىُّ : وأنا لا أكاد أوقن !

وقال طرَفة :

وكرِّى إذا نادى المُضَافُ مُحَنَّبا كسِيد الغَضَى فى الطَّخْية المتوَرِّدِ[3]

وتقصيرُ يَوم الدَّجنِ والدّجنَ معجِب ببَهكنةٍ تحتَ الخِباءِ الممَدَّدِ[4]

أرى قَبرَ نَحّامٍ بخيلٍ بماله كقَبْرِ غَوِىٍّ فى البَطَالةِ مُفْسِدِ ١٥٦

لَعمرُك إنّ الموتَ ما أخطأَ الفتَى لكالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْياه باليَد[5]

أرى الموتَ أعـدادَ النُّفوسِ ولا أرَى

بعيدًا غدًا ، ما أقربَ اليومَ من غد

---

(١) ط ، س : « بيانه »، تحريف ما فى ل .

(٢) ل : « أنا أكاد أشك » .

(٣) المضاف : الذى أضافته الهموم . والمحنب : فرس محدودب الذراع قليلا. س : « مجنبا » تحريف . والسيد : الذئب . والغضى : شجر . والطخية : الظلمة . والمتورد : الذى يطلب أن يرد الماء . ل : «كسيد الغضا نبهته» .

(٤) البهكنة : المرأة التامة الخلق . ط ، س : « ببكهنة » ، محرف . ل : « الخباء المعمد » أى ذى العمد .

(٥) الطول : الحبل . وثنياه : طرفاه . س : « لكالطول المرجى » تحريف .

وظلْم ذَوِى القربَى أشدُّ مضاضة على المرْء من وقع الحسامِ المهنَّد[١]
وفى كثرة الأيدى عن الظلم زاجرٌ إذا خطرَتْ أيدى الرِّجَالِ بمشهد[٢]

باب
القول فى الجعلان والخنافس[٣]

وسنقولُ فى هذه[٤] المحقرات من حشرات الأرض ، وفى المذكور من بغاث الطَّير وخشاشه ، مِمَّا يقتات العذِرَة ويُوصفَ باللؤم[٥] ، ويُتَقَزَّزُ من لمسه[٦] وأكلِ لحمِه ؛ كالخنفساء والجُعَل ، والهَدَاهِدِ[٧] والرَّخَم ؛ فإنَّ هذه الأجناس أَطلَبُ للعذرة من الخنازير .

فأوَّل ما نذْكُرُ من أعاجيبها صداقةُ ما بين الخنافس والعقارب ، وصداقةَ ما بين الحيّات والوزَغ .

وتزعُم[٨] الأعرابُ أنْ بين ذكورةِ الخنافس وإناث الجعلان تسافدًا[٩] وأنهما ينتجان خلْقا ينزع إليهما جميعا .

---

(١) قيل إن هذا البيت لعدى بن زيد وليس لطرفة . التبريزى .

(٢) لم يروه التبريزى ولا الزوزنى . ووجدته فى محاضرات الراغب (١ : ١٣٣) وحماسة البحترى ١٥٤ منسوبا إلى عدى بن زيد العبادى . ط ، س : « على الظلم » . خطرت : تحركت واهتزت . ط ، س : « حضرت » وليس بشىء . والمشهد : محضر الناس .

(٣) ل : « القول فى المحقرات من حشرات الأرض » .

(٤) ط ، س : « باب » .

(٥) ط : « يقتات » و « يوصف » .

(٦) ط ، س : « يتقذر بلمسه » .

(٧) الهداهد بالفتح : جمع هدهد . وبالضم : لغة فى الهدهد . ل : « الهدهد » .

(٨) ط ، س : « وزعم » .

(٩) ط ، س : « وذكورة الجعلان تسافد » ، وصوابه فى ل .

وأَنشد خُشْنَامُ[1] الأعور [النحْوىُّ] عن سيبويه النَّحوىّ ، عن بعض الأعراب فى هِجَائِهِ عدوًّا له كان شديدَ السَّواد :

عاديتَنا يا خُنْفسا كام جُعَلْ[2] عداوةَ الأوعالِ حيَّاتِ الجَبَلْ

من كلِّ عَوْدٍ مُرهَفِ النّابِ عُتُلْ[3] يخْرِقُ إنْ مسّ وإنْ شمَّ قَتَلْ[4]

ويُثبت أكلَ الأوعالِ للحيَّـات الشِّعرُ المشهور ، الذى فى أيدى أصحابنا ، وهو :

عَلَّ زيـدًا أن يُلاقى مَرَّةً فى التماسٍ بعضَ حيَّاتِ الجَبَلْ[5]

غايرِ العينينِ مَفْطوحِ القَفا ليس مِن حيّات حُجْرٍ والقلل[6]

يتوارَى فى صُـدوعٍ مَرَّةً رَبِذُ الخطْفةِ كالقِدْحِ المُؤَلّ[7]

وترى السمّ على أشـداقِه كشعاعِ الشَّمْسِ لاحَتْ فى طَفَلْ[8]

طرد الأرْوَى فما تقربُهُ ونَفَى الحيَّاتِ عن بيضِ الحَجَلْ

---

(١) ط ، س : « حسام » .

(٢) كامها : سفدها . ط ، س : « أم الجعل » محرف .

(٣) العود ، بالفتح ، أصله المسن من الجمال . والعتل : الشديد . وعنى به الحية .

(٤) مثله قول يحيى بن أبى حفصة فى الحية — والحية تذكر وتؤنث فتقول : هى الحية ، وهو الحية — :

أصم ما شم من خضراء أيبسها أو مس منحجر أو هاه فانصدعا

وانظر الحيوان (٢ : ١٣٧ — ١٣٨) . ل : « يحرق » بالحاء .

(٥) ط ، س : « فى التماسى » ، صوابه فى ل .

(٦) مفطوح : عريض . ط ، س : « مقطوع » تحريف . ل : « والغلل » .

(٧) الربذ : السريع . ل : « وترى » ط ، س : « وبذى » ، والوجه فيهما ما أثبت . والقدح أراد به السهم . والمؤل : أصله المؤلل ، وهو المحدد .

(٨) ط : « وترى السهم » ، صوابه فى ل ، س . والطفل ، بالتحريك : الغروب .

وإنّما ذكر الأروى من بين جميع ما يسكن الجبالَ من أصناف الوحش ، لأنّ الأرْوَى من بينها تأكُلُ الحيّات ؛ للعداوة التى بينها وبين الحيّات .

(استطراد لغوى)

١٥٧ والأرْوَى : إناث الأوعال ، واحدتها أُرْوِيّة . والناسُ يُسمُّون بناتِهم باسم الجماعة ، ولا يسمُّون البنتَ الواحدةَ باسم الواحدة منها : لا يسمُّون بأرويَّة ، ويسمُّون بأرْوَى . وقال شمّاخ بن ضِرَار :

فما أرْوَى وإنْ كَرُمَتْ علينا بأدنَى من مُوَقَّفةٍ حَرُونِ[1]

وأنشد[2] أبو زَيدٍ فى جماعة الأورِيّة :

فمالكِ من أرْوى ، تعاديت بالعَمَى ولاقَيتِ كلاباً مُطِلاًّ ورَاميا[3]

يقال : تعادى القومُ وتفاقَدُوا : إذا مات بعضُهم على إثْرِ بعض .

وقالت فى ذلك ضُباعةُ بنتَ قُرْط[4] ، فى مرثية زوجِها هشام ابن المغيرة :

---

(١) الموقفة : الأروية التى فى قوائمها خطوط كأنها الخلاخيل . والوقف : الخلخال . والحرون : التى لاتبرح أعلى الجبل . يقول : ليست هذه المرأة بأقرب منالا من هذه الأروية الصعبة المنال .

(٢) ط ، س : « وقال » ، وصوابه فى ل .

(٣) ل : « تداعيت » تحريف يخالف السياق. والبيت فى اللسان (عدا) . والكلاب : الصائد بالكلاب . والمطل : من قولهم أطل فلان على فلان بالأذى ، إذا دام على إيذائه . س : « مظلا » .

(٤) هى ضباعة بنت عامر بن قرط ، كان تزوجها عبد الله بن جدعان فى الجاهلية ، ثم طلقها وتزوجها هشام بن المغيرة ، فلما مات أسلمت وهاجرت ، وخطبها الرسول ثم بدا له فتركها . انظر الإصابة . ٦٧٠ قسم النساء .

إنَّ أبا عثمانَ لم أنسَه وإنَّ صمتاً عن بُكاهُ لَحُوب[1]
تفاقدُوا من معشَرٍ ما لهمْ أىَّ ذَنوب صَوَّبُوا فى القَليب[2]

(طلب الحيَّات البيض)

وأما قوله :

* وَنَفَى الحَيَّاتِ عَنْ بَيْضِ الحجَل *

فإنَّ الحيَّات تطلبُ بَيضَ كلِّ طائرٍ وفِراخَه . وبيضُ كلِّ طائرٍ ممَّا يبيض على الأرض أحبُّ إليها . فما[3] أعرفُ لذلك عِلَّةً إلّا سهولةَ المطْلَب . والأيائِل تأكل الحيَّاتِ ، والخنازيرُ تأكل الحيَّاتِ وتعاديها .

(عداوة الحمار للغراب)

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ بينَ الحمارِ والغراب عداوة . وأنشدنى بعضُ النحويِّين[4] :

عَاديتَنَا لا زِلْتَ فى تَبابِ عَدَاوَةَ الحِمَارِ للغُرابِ

---

(١) ط : « صمتى » ، وأثبت ما فى ل ، س والعمدة (١ : ١٨٨) . والحوب ، بالضم : الإثم . وفى الكتاب : « إنه كان حوبا كبيراً » . ل : « لجوب » تحريف .

(٢) الذنوب ، بالفتح : الدلو العظيمة . والقليب : البئر . إن أطلق الروى بالتحريك كان فى الشعر إقواء ، وإن قيد بالإسكان امتنع الإقواء .

(٣) ل : « ولا » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وأنشدنى » . وانظر ما سبق فى ص ٤٥٨ .

وأنشد ابنُ ابى كريمةَ لبعض الشُّعراء فى صريع الغوانى :

فما ريحُ السَّذَابِ أشَدُّ بُغْضاً إلى الحيَّاتِ مِنْكَ إلى الغَوَانِى [١]

(أمثـال)

ويقال : « ألجُّ من الخنفساء » ،و «أفحَشُ من فاسية» ، وهى الخنفساء و « أفحش من فَالية الأفاعى [٢] » .

والفساء يُوصف به ضربانِ من الخَلْق : الخنفساء ، والظَّرِبان .

وفى لجاج الخنفساء يقولُ خَلفٌ الأحمر [٣] :

لَنا صاحِبٌ مُولَعٌ بالخلافِ كثِيرُ الخطاءِ قَلِيلُ الصَّوابِ [٤]

ألجُّ لجاجاً من الخنفَسَاء وأزْهى إذا مَامَشَى مِنْ غرابِ [٥]

(طول ذَماء الخنفساء)

وقال الرقاشي : ذكرت صبر الخنزير على نفوذ السهام فى جنبه [٦] ، فقال لى أعرابىٌّ : الخنفساء أصبر منه ، ولقد رأيت صبيًّا من صبيانكم البارحة

---

(١) ط ، س : « منه إلى الغوانى » ،وأثبت ما فى ل . وانظر ص ٤٥٩ .

(٢) فالية الأفاعى : ضرب من الخنافس رقط تألف الحيات والعقارب فى جحرة الضب.

(٣) يهجو العتبى ، كما فى الدميرى . وللعتبى ترجمة فى (١ : ٥٣ — ٥٤) . وفى معجم الأدباء (١٦ : ١٦١) أنهما فى هجاء أبى العيناء . وبعدهما هناك بيتان آخران .

(٤) الخطاء : الخطأ .

(٥) أعاد إنشاده فى (٦ : ٤٦٩) .

(٦) ل : « جنبيه » .

وأخذَ شوكةً وجعل فى رأسها فَتيلةً ، ثمَّ أوقد فيها ناراً[1] ، ثمَّ غرزها فى ظهر الخنفساء ، حتَّى أنفذ[2] الشَّوْكة . فغبَرْنَا ليلتَنا[3] وإنَّها لَتجولُ فى الدَّارِ وتُصْبِح[4] لنا . و [اللهِ] إنِّى لأظنُّها كانتْ مُقْرِباً[5] ؛ لانتفاخ بطنها ١٥٨

(استطراد لغوى)

قال : وقال القَنَانىُّ[6] : العَوَاساء : الحامل من الخنافس ، وأنشد :

* بَكْرًا عواساءَ تَفاسا مُقْرِبا[7] *

---

(١) ط ، س : « أوقدها نارا » .

(٢) س : « أبعد » .

(٣) غبر : مكث . ط ، س : « فعبرنا » ، ووجهه من ل .

(٤) تصبح : تضىء . وانظر ماسيأتى فى ص ٥٠٨ .

(٥) المقرب : الحامل التى دنا ولادها .

(٦) القنانى هذا هو أستاذ الفراء ، كما فى معجم البلدان (قنان) . وله ذكر فى اللسان (نبل ١٦٣) ، وهو بفتح القاف بعدها نون مفتوحة . ط ، س : « العتابى » وهو كلثوم ابن عمرو العتابى المترجم فى (٢ : ٢٩٦) ، وصوابه ما أثبت من ل ؛ لمطابقته لما فى المخصص (٢ : ١٨) والمقصور ٧٨ والغريب المصنف ١٥٧ ؛ ٢٤٤ فى كل منها : « وأنشد القنانى » .

(٧) العواساء ، بالفتح : الحامل من الخنافس . تفاسا : أصلها تتفاسا ، أى تخرج ظهرها . وروى : « تفاسى » أصلها تتفاسى ، كما فى اللسان (عوس ، فسى) والمقصور لابن ولاد ، أى تخرج هنها . وروى : « تبازى » أصلها تتبازى ، كما فى المخصص ، أى تخرج عجيزتها . ط : « قماسا » س : « نفاسا » ، صوابهما فى ل .

(أعاجيب الجعل)

قال : ومن أعاجيب الجعل[١] أنَّه يموت من ريح الوَرد ، ويعيشُ إذا أعيد إلى الرَّوث . ويضرَب بشدَّة سوادِ لونِه المثل . قال الرَّاجزُ وهو يصفُ أسودَ سالخا[٢] :

مُهَرَّت الأشداق عَود قد كَمَلْ[٣] كأنَّما قُمِّصَ من لِيطِ جُعَلْ[٤]

والجُعَل يظَلُّ دهراً لا جَناحَ له ، ثم ينبت له جناحان ، كالنمل الذى يَغْبُر دهْرا لا جناح له ، ثم ينْبت له جناحان ، وذلك عند هَلَكتِه[٥] .

(الدعاميص)

والدّعاميص[٦] قد تغبُر حيناً بلا أجنِحة ، ثم تصير فراشاً وبَعوضاً . وليس كذلك الجراد والذِّبَّان ، لأنَّ أجنحتَها تنبتُ على مقدار من العمر ومرور من الأيام[٧] .

---

(١) ط ، س : « ومن أول أعاجيب الجعل » .

(٢) الأسود : الحية العظيمة . والسالخ : الذى يسلخ جلده ، وذلك يكون فى كل عام .

(٣) مهرت الأشداق : واسعها . ط ، س : « منهرت الشدقين » ، وهى رواية البيان (٣ : ٢٢٥) .

(٤) قص : ألبس قيصاً . والليط ، بالكسر : قشر الجعل . ط ، س : « قصص » صوابه فى ل والبيان .

(٥) ل : « علامة هلكته » . و « زمانا » مكان « دهراً » المتقدمة . والكلام من « كالنمل » إلى « جناحان » ساقط من س .

(٦) الدعموص : خلق يكون فى الماء ثم يستحيل بعوضاً وفراشا .

(٧) كلمة « من » ساقطة من ل .

وزعم ثمامة ، عن يحيى بن خالد : أنّ البرغوث[1] قد يستحيلُ بعوضة .

(عادة الجعل)

والجعل يحرسُ النّيام ، فكلما قام منهمْ قائمٌ فمضى لحاجته تبِعه ، طمعاً فى أنّه إنّما يريد الغائط. وأنشد بعضهم قول الشاعر[2] :

يبيتُ فى مجلس الأقوامِ يرْبؤُهم كأنّه شرطىٌّ باتَ فى حَرَسِ[3]

وأنشد بعضهم[4] لبعض الأعراب فى هجائه رجلا بالفسولة ، وبكثرة الأكل ، وبعِظَم حَجْم النَّجو :

حتّى إذا أضْحَى تدرّى واكتَحَلْ[5]

لجارَتيــه ثمَّ وَلّى فنَثَلْ[6]

* رِزْقَ الأُنَيْوقَيْنِ القرَنْبَى وَالُجعَلْ[7] *

---

(١) ل : « أنه زعم أن البرغوث » .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وأنشد لبعضهم » .

(٣) يربؤهم : يرقبهم ، أو يكون لهم ربيئة أى عينا . ط ، س : « فى منزل » ، وأثبت مافى ل وما سبق فى (١ : ٢٣٦) .

(٤) ط ، س : « وأنشدوا » .

(٥) تدرى : سرح شعره . ط : « تلدى » ، صوابه فى ل ، س . وفى ط : « ثم إذا أضحى » . وسبق الرجز فى (١ : ٢٣٥) .

(٦) نثل : أصله للفرس ، يقال نثل : راث . وفى الأصل : « نشل » ، وتصحيحه من الجزء الأول .

(٧) ل : « روق » ، صوابه فى ط ، س . وقد سبق فى الجزء الأول : « ذرق » وما هنا صوابه .

سَمِّي القَرَنبي والجُعل – إذ كانا يقتاتان الزِّبْل – أَنُوقين[١] . والأنوق : الرَّخمة ، وهى [أحد ما] يقتات[٢] العَذرة . وقال الأعشى :

يا رَخَماً ، قاظ على يَنْخوب[٣]   يُعْجِلُ كفَّ الخارئ المُطِيبِ

المطيب : الذى يستطيب[٤] بالحجارة ، أى يَتَمَسَّح[٥] بها . وهم يسمُّون بالأنوق كلَّ شىء يقتات النّجْو والزِّبل ، إلَّا أنَّ ذلك على التشبيه لها بالرَّخم فى هذا المعنى [وحدَهُ] . وقال آخر :

يا أيهذا النّابحى نَبْحَ القَبَلْ[٦]   يدعُو علىَّ كلما قام يُصَلْ

رافعَ كفَّيهِ كما يفرى الجُعَلْ[٧]   وقد ملأتُ بطْنَهُ حتى أتل

* غيظاً فأمسى ضغْنُه قد اعْتدل *

والقَبَل : ماأقبل عَليكَ من الجبل . وقوله أتَلَ ، أى امتلأ [عليك] غَيْظا فقصَّر فى مِشيتِه . وقال الجعدىّ :

١٥٩ منَعَ الغدرَ فلم أهمُمْ به   وأخُو الغَدْر إذا هَمَّ فعَلْ

خشيةُ الله وأنّى رجلٌ   إنما ذكرى كنار بقَبَلْ[٨]

---

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) كذا فى ل . وفى س : « وهى مايقتات » ط : « وهى تقتات » .

(٣) قاظ بالمكان : أقام به صيفا . وينخوب : موضع ، ذكره ياقوت ، وأنشد البيت . والرواية المعروفة : « مطلوب » كما فى اللسان (طيب ، قاظ) والدميرى وأمثال الميدانى (٢ : ٢٥٠) ، وهو اسم جبل . ط ، س : « منجوب » تحريف مافى ل .

(٤) ط ، س : « يتطيب » ، صوابه فى ل .

(٥) ط : « يتطيب » ، وليست صحيحة . س : « يمسح » ، وأثبت مافى ل .

(٦) القبل : الجبل يستقبلك . أى كن ينبح الجبل . ط ، س : « المانحى نهج » صوابه فى ل ، واللسان (قبل) ونوادر أبى زيد ٤٩ .

(٧) يفرى ، بالفاء : يصنع . ط ، س : « يقرى » صوابه فى ل والنوادر .

(٨) ل : « نار بقبل » ، أراد أنه معروف مشهور .

وقال الرَّاجز — وهو يهجو بعضهم بالفُسولة ، وبكثْرة الأكل ، وعِظَم[1] حجْم النَّجْو — :

* باتَ يعشِّى وَحْدَه ألْفَى جُعَل[2] *

وقال عنترة :

إذا لاقيتَ جمعَ بنى أبان فإنِّى لائمٌ للجعْدِ لاحِى
كسوتُ الجَعْدَ جَعْدَ بنى أبان رِدائى بعد عُرْىٍ وافتضاحِ[3]

ثم شبَّهه بالجعل فقال :

كأنَّ مؤشَّرَ العَضدَيْنِ جَحْلا هدُوجا بينَ أقلبةٍ مِلاحِ[4]
تضمنَ نعمتى فغدا عليها بُكورًا أو تهجَّر فى الرَّواحِ

وقال الشمَّاخ :

وإن يُلقِيَا شأوًا بأرْضٍ هوَى له مُفرَّضُ أطراف الذِّرَاعَينِ أفلجُ[5]

---

(١) س : « وبعظم » .

(٢) قبله كما سبق فى (١ : ٢٣٦) :

* إذا أتوه بطعام وأكل *

(٣) الرداء : هنا السيف ، وكان الرجل إذا قتل رجلا مشهوراً وضع سيفه عليه ليعرف قاتله . فن ذلك ماسمى السيف رداء ، وفى ذلك يقول متمم :

لقد كفن المنهال تحت ردائه فتى غير مبطان العشيات ، أروعا

والرواية فى ديوان عنترة : « سلاحى » . وكان عنترة أعار الجعد سلاحا فأمسكه الجعد ولم يرده إليه . ط : « بعد عراى وافتضاحى » . وصوابه فى ل ، س والديوان ٥٤ . والمراد : بعد عرى الجعد وافتضاحه .

(٤) مؤشر : مرقق . والجحل بتقديم الجيم : العظيم من الجعلان . ط ، س : والديوان ، واللسان (أشر) : « حجلا » صوابه فى ل واللسان (جحل ، قلب) والمخصص (١٧ : ٣٥) . والهدوج : الذى يمشى رويدا فى ضعف . ط ، س : « عروجا » صوابه ما أثبت من جميع المصادر السابقة . والأقلبة : الآبار ، جمع قليب . ملاح : جمع ملح : ذى ملوحة .

(٥) يلقيا : من الإلقاء . والضمير عائد إلى عير وأتانه . انظر ديوان الشماخ =

(استطراد لغوى)

والشأو هاهنا : الرَّوث ؛ كأنّه كثر [هُ] حتّى ألحقَه بالشأوِ الذى يخرج من البئر ؛ كما يقول أحدهم إذا أراد أن يُنْقِى البئر : أخرِجْ من تلك البئر شأْوًا أو شأْوين ، يعنى من التراب الذى قد سقَط فيها ، وهو شىءٌ كهيئة الزَّبِيل[1] الصَّغير .

والشأو : الطِّلْق[2] . والشأو : الفَوْت[3] .

والمفرّض الأفلج[4] الذى عنى ، هو الجعل ؛ لأنَّ الجعلَ فى قوائمه تحزيز ، وفيها تَفْريج[5] .

= (١٢ — ١٦) . ط ، س : « تلفيا » صوابه فى ل والديوان . والمفرض : المحزز . س : « معرض » ط : « معرف » ، صوابه فى ل والديوان واللسان (فرض) . والأفلج : البعيد مابين القوائم . ط ، س : « أفلح » بالحاء ، وهو تحريف مافى ل والديوان . والبيت من قصيدة جيمية مطلعها :

ألا ناديا أظعان ليلى تعرج فقد هجن شوقاً ليته لم يهيج

وفى البيت كما ترى إقواء ، إذ رويها الجيم المكسورة .

(١) كذا فى ل ، س . وفى ط : « الزنبيل » وهما صحيحتان ، يقال زبيل ، وزبيل كسكين ، وزنبيل وزنبيل بكسر الزاى أو فتحها ، وهى القفة أو الجراب .

(٢) الطلق ، بالكسر وبالتحريك : الشوط ، تقول : عدا طلقا أو طلقين .

(٣) الفوت ، بالفتح : السبق . شآه : سبقه . ط ، س : « القوت » صوابه فى ل .

(٤) ط ، س : « المعرض الأفلح » ، صوابه فى ل . وانظر أوائل الشرح من هذه الصفحة .

(٥) ط ، س : « تعريج » ، تصحيحه من ل .

(معرفة فى الجعل)

وللجعل جناحان لايكادان يُرَيانِ إلَّا عند الطَّيران ، لشدَّةِ سوادهما ، وشبَهِهما بجلده ، ولشِدَّة[1] تمكُّنهما فى ظهره .

قال الشاعر ، حيثُ عدَّدَ الخوَنَة ، وحثَّ الأميرَ[2] على محاسبتهم :

واشدُدْ يديكَ بزيْدٍ إن ظفِرْتَ به

واشْفِ الأراملَ من دُحروجة الجُعلِ

والجعل لايدحرج إلاّ جعرًا[3] يابساً ، أو بعرة .

وقال سعد بن طريف[4] ، يهجو بلالَ بنَ رَباح مولى أبى بكر[5] :

وذاكَ أسـودُ نوبىٌّ له ذفَرٌ كأنَّه جُعَلٌ يمشى بِقِرْواحِ[6]

وسنذكر شأنَه وشأن بلالٍ فى موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

---

(١) ط ، س : « وشدة » .

(٢) ط ، س : « الأمين » .

(٣) الجعر ، بالفتح : النجو . ط ، س : « بعرا » .

(٤) سعد بن طريف : صحابى ، ترجم له فى الإصابة ٣١٦٣ . ل : « سعد بن مطر » ، صوابه فى ط ، س .

(٥) هو بلال بن رباح الحبشى ، المؤذن ، كان أبو بكر اشتراه إنقاذاً له من عذاب سيده المشرك ، ثم أعتقه فلزم الرسول وأذن له وشهد معه جميع المشاهد . مات سنة عشرين . ط ، س : « بنى بكر » ، صوابه فى ل .

(٦) الذفر ، بالتحريك : خبث رائحة الإبط . ط : « زفر » س : « ظفر » صوابه فى ل . والقرواح ، بالكسر : الفضاء من الأرض .

(أبو الخنافس وأبو العقارب)

وكان بالكوفة رجلٌ من ولد عبد الجبَّار بن وائل بن حُجْر الحضرمىّ[١] يكنى أبا الخنافس راضياً بذلك[٢] ، ولم تكن الكنية لقبا ولا نَبَزًا ، وكان من الفُقَهاء ، وله هيئةٌ ورُواءٌ. وسأَلتُه[٣] : هل كان فى آبائه من يكنى أبا الخنافس؟ فإنَّ أبا العقارب[٤] فى آل سلم مولى[٥] بنى العباس كثيرٌ على اتّباع أثر . وكان أبو الخنافس هذا اكتنى به ابتداءً .

١٦٠

(طول ذَماء الخنفساء)

وقال لى [أبو] الفضل العنبرىّ : يقولون : الضَّبُّ[٦] أطول شىءٍ ذَماء ، والخنفساء[٧] أطولُ منه ذَماء ؛ وذلك أنّه يُغرَز فى ظهرها شوكةٌ ثاقِبة[٨] ، وفيها ذُبالةٌ تستوقدُ وتُصْبِحُ[٩] لأهل الدَّار ، وهى تدِبُّ بها

---

(١) عبد الجبار ، ذكره ابن حجر فى الإصابة فى أثناء ترجمته لوالده : (وائل بن حجر بضم الحاء — الحضرمى المتوفى فى خلافة معاوية) ، ولم يذكره بشىء سوى أنه روى هو وأخوه علقمة عن أبيهما وائل . الإصابة ٩١٠١ .

(٢) ل : « وهو راض بكنيته » .

(٣) ل : « وسألت » .

(٤) ل : « أبا العقاب » ، تحريف .

(٥) س : « موالى » .

(٦) ط ، س : « الضب » .

(٧) ط ، س : « والخنافس » .

(٨) ل : « نافذة » .

(٩) تصبح : تنير . وانظر ص ٥٠١ .

وتجول ! وربَّما كانت فى تضاعيف حبل قَتٍّ ، أو فى بعض الحشيش والعُشب والَخلا ، فتصيرُ فى فم الجمل فيبتلعها من غيرِ أن يَضْغَمَ الخنفساء[1] ، فإذا وصلت إلى جوفه وهى حيَّةٌ جالت فيه ، فلا تموت حتّى تقتله .

فأصحاب الإبل يتعاورون تلك الأوارىَّ[2] والعُلوفاتِ ؛ خوفاً من الخنافس .

(هجاء جواس لحسَّان بن بحدل)

وقال جَوَّاس بن القَعْطل[3] فى حسَّان بن بَحْدَل[4] :

هل يُهلكنِّى لا أبالكم ... دَنِسُ الثِّيابِ كطابخِ القِدْرِ[5]

جُعَلٌ تمطَّى فى عَمَايته ... زَمِرُ المروءةِ ناقصُ الشِّبْرِ[6]

لزَبابَةٍ سوداء حنظلةٍ ... والعاجزِ التَّدبيرِ كالوَبْرِ[7]

---

(١) ضغم يضغم ، من باب منع : عض .

(٢) الأوارى : جمع آرى ، وهو محبس الدابة . ل : « الأوانى » تحريف . وفيها : « يتعهدون » مكان « يتعاورون » .

(٣) هو جواس بن القعطل بن سويد بن الحارث الكلبى ، وله شعر فى وقعة مرج راهط سبق بعضه فى ص ٤٢٢ . ط ، س : « حواس » ط : « ابن المتعطل » ل ، س : « المقعطل » صوابه ما أثبت من المؤتلف ٧٤ والأغانى (١٧ : ١١٢) والقاموس فى مادتى (جوس ، قعطل) . وانظر اشتقاق الاسم فى شرح التبريزى للحماسة (٤ : ٣٣) .

(٤) ط : « بجدل » س : « نحدل » وصوابه فى ل . وكان حسان بن بحدل أحد ولاة بنى أمية على فلسطين والأردن . ولما جاءت بيعة مروان بن الحكم سنة ٦٤ ، امتنع عنها وأراد عقدها لخالد بن يزيد بن معاوية . وكان هوى كلب مع مروان بن الحكم .

(٥) ل : « لا أبا لأبيكم » ، تحريف يفسد الوزن . وانظر (٦ : ٣٦٩) .

(٦) العماية ، بالفتح : الضلال والجهالة . ل : « عبايته » . زمر المروءة : ضعيفها . والشبر ، بالفتح : القد ، والعطاء .

(٧) الزبابة : ضرب من الفأر ، يشبه بها الجاهل ، كما فى اللسان والدميرى . يقول : =

فأمَّا الهجاءُ والمدح ، ومفاخرة السُّودان [و] الحمران ، فإنَّ ذلك كلَّه مجموعٌ (فى كتاب الهجَناء والصُّرَحاء) .

و [قد] قدَّمنا فى صدر هذا الكتاب جملةً فى القول فى الجِعْلانِ وغيرِ ذلك من الأجناس اللئيمة والمستقْذَرة ، فى باب النَّتن والطِّيب ، فكرهنا إعادته فى هذا الموضع [1] .

باب

القول فى الهدهد

وأما القول فى الهدهد ، فإنَّ العربَ والأعرابَ كانوا يزعمون أنَّ القَنزعةَ التى على رأسه ثوابٌ من الله تعالى على ما كان من بِرِّه لأُمِّه ! لأنَّ أمَّه لما ماتتْ جَعل قبرَها على رأسه ، فهذه القنزعة عوضٌ عن تلك الوَهْدة .

والهدهد طائرٌ مُنتن الرِّيحِ والبدَن ، من جوهره وذاته ؛ فربَّ شىءٍ يكونُ مُنتِنا من نفسه ، من غيرِ عرَض يعرِضُ له [2] ، كالتيوس والحيَّاتِ وغير ذلك من أجناس الحيوان .

فأمَّا الأَعراب فيجعلون ذلك النَّتْنَ شيئاً خامرَه بسبب [3] تلك الجيفةِ

= أمه كأنها زبابة : دويبة على قدر السنور غبراء حسنة العينين شديدة الحياء . وقد جعل أباه كالوبر تحقيراً له . ومنه قول أبان بن سعيد بن العاص : « واعجبا لوبر تدلى علينا من قدوم ضأن ! » . قدوم ضأن : موضع . ط : « الوبر » وصوابه من ل ، س .

(١) بعد هذا فى ط ، س : « والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب » .

(٢) ل : « من عرض » ، صوابه فى ط ، س .

(٣) ط ، س . « لسبب » .

التى كانت مدفونةً فى رأسه . وقد قال فى ذلك أميَّة أو غيرُه[١] من شعرائهم :

فأمَّا أميَّة فهو الذى يقول :

تَعَلَّمْ بِأَنَّ اللهَ ليس كصُنْعِهِ صَنيعٌ ولا يَخْفَى على الله مُلحِدُ[٢] ١٦١

وبكلِّ منكرةٍ لهُ مَعْرُوفةٌ أخرى عَلَى عينٍ بما يتعمَّدُ[٣]

جُدُدٌ وتوشيم ورسمُ علامةٍ وخزائنٌ مفتوحةٌ لا تنفدُ[٤]

عمن أراد بهـا وجاب عيانَه لا يستقيم لخالق يتزيَّد[٥]

غيم وظلماء وغيث سَحابةٍ أزْمانَ كفَّنَ واسترَادَ الهدهُدُ[٦]

يبغى القَرَارَ لأمِّـهِ ليُجنَّها فبنى عليها فى قفاهُ يُمَـهدُ[٧]

مَهْدًا وَطيئاً فاستقلَّ بحمْلِهِ فى الطَّيرِ يحملها ولا يتأوَّدْ[٨]

من أمِّهِ فجُزى بصالحِ حملها ولدًا ، وكلف ظهره ما تفقد[٩]

فتراه يَدْلَحُ ما مشى بجنازةٍ فيها وما اختلف الجَديد المسند[١٠]

---

(١) ط ، س : « أو » ، والوجه الواو كما فى ل .

(٢) ل : « عليه ملحد » ولعل فى البيت تحريفا ، فإنه مخالف لما بعده فى الوزن .

(٣) فى الديوان : « فى كل منكرة » ، ل : « بها يتعمد » .

(٤) ط ، س : « وتوسيم » . س : « لاتفلد » ، ل : « لاتقلد » صوابه من ط ، والديوان .

(٥) ل : « وحاد غياية » . الديوان : « وجاب عنانها » .

(٦) ط ، س : « وغيم سحابة » . ط : « أن مان » ، صوابه فى س ، ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٤٧) . ط ، س : « كفر واستزاد » ل : « كفن واستزار » ، وأثبت ما فى نهاية الأرب والديوان . استراد : أصل معناها الخروج لطلب الكلأ .

(٧) ط ، س : « يبقى » ، صوابه فى ل والديوان ونهاية الأرب . يجنها : يضعها فى الجنن ، بالتحريك ، وهو القبر . ط والديوان : « فى قفاها » صوابه فى ل ، س ونهاية الأرب .

(٨) يتأود : يتعطف ويتلوى . يقول : هى خفيفة المحل .

(٩) الديوان : « فجرى لصالح حملها » . ط : « لاتعقد » : نهاية الأرب : « ما يعقد » .

(١٠) يدلح ، بالحاء : يمشى بحمله مثقلا . ط : « يضبح » أصله من ضبح الخيل . ل ، =

(معرفة الهدهد بمواضع المياه)

ويزعمون أنَّ الهدهد هو الذى كان يدلُّ سليمان عليه السلام على مواضع المياه فى قعور الأرَضين[1] إذا أرادَ استنباط شىءٍ منها .

(سؤال ومثل فى الهدهد)

ويروُونَ أنَّ نَجْدَةَ الحَرُورىَّ أو نافعَ بن الأزرق قالَ[2] لابن عباس : إنَّك تقول إنَّ الهدهُدَ إذا نقرَ الأرضَ عرَفَ مسافةَ ما بينَهُ وبين الماء ، والهدهُدُ لا يُبْصِر الفخَّ دُوَينَ التراب ، حتى إذا نقر التَّمْرَة[3] انضمّ عليه

= س ونهاية الأرب : « يدلج » ولا تصح ، صوابها من الديوان . المسند : الدهر . والجديد : الدائم الجـدة لايبلى أبداً . وجاءت مثل هذه العبارة فى قول الهذلى :

وقالت : لن ترى أبداً تليدا بعينك آخر الدهر الجديد

ومنه الجديدان : الليل والنهار ؛ لأنهما لايبليان أبداً . ط : « ا لجديد المنشد » صوابه فى جميع المصادر المتقدمة .

(١) ط ، س : « المياه » . ل : « قعود الأرضين » ، وما فى ل تحريف .

(٢) ط ، س : « ونافع بن الأزرق قالا » . ونجدة هو ابن عامر الحرورى الحنفى ، كان من الخوارج الحرورية ، وإليه تنسب الفرقة النجدية . خرج باليمامة سنة ٦٦ فى جماعة كبيرة ، فأتى البحرين وقاتل أهلها ، وقتل شابا . ولد سنة ٣٦ وتوفى سنة ٦٨ . وأما نافع فهو ابن الأزرق الحنفى ، أحد الشجعان الأبطال ، كان أمير قومه وفقيههم . وإليه تنسب فرقة الأزارقة التى اشتبكت مع المهلب بن أبى صفرة فى حروب قاسية . قتل يوم دولاب على مقربة من الأهواز سنة ٦٥ .

(٣) فى ثمار القلوب ٣٨٤ : « نقر الحبة » .

الفخُّ ! فقال[١] ابنُ عبَّاس : « إذا جاء القدرُ عمىَ[٢] البَصرُ » .

ومن أمثالهم : « إذا جاءَ الحَيْنُ غطَّى العين[٣] » .

وابن عباسٍ إن كان قال ذلك فإنّما عنى هدهُدَ سليمانَ عليه السلام بعينه ؛ فإنَّ القولَ فيه خلافُ القولِ فى سائر الهداهد .

وسنأتى على ذكر هذا الباب من شأنه فى موضعه إن شاء الله تعالى[٤] .

وقد قال الناس فى هُدهُدِ سُليمانَ ، وغرابِ نوح ، وحِمَار عُزَير ، وذئبِ أُهبان بن أوس[٥] ، وغير ذلك من هذا الفنّ ، أقاويلَ[٦] ، وسنقول فى ذلك بجملةٍ من القول فى موضعه [إن شاء الله] .

(بيت الهدهد)

وقد قال صاحبُ المنطق وزعَمَ فى كتاب الحيوان ، أنَّ لكلِّ طائرٍ يعشِّش شكلاً يتَّخذ عشَّه منه ، فيختلف ذلك على قدر[٧] اختلاف المواضع

---

(١) ط ، س : « فقال لها » .

(٢) كذا فى ط ، س وثمار القلوب . ل : « عشى » .

(٣) الحين ، بالفتح : الهلاك . ط : « إذ جاء » صوابه فى ل ، س .

(٤) انظر الحيوان (٤ : ٧٧ — ٨٠) .

(٥) أهبان هذا ، هو أحد الصحابة . زعموا أن الذئب كلمه ثم بشره بالرسول . قالوا : كان فى غنم له ، فعدا الذئب على شاة منها ، فصاح فيه أهبان ، فأقعى الذئب وقال له : أتنزع منى رزقا رزقنيه الله ! ! . وانظر بقية الخبر فى ثمار القلوب ٣٠٩ . مات أهبان بن أوس فى ولاية المغيرة بن شعبة حيث كان واليا عليها لمعاوية . وذكر ابن الكلبى وأبو عبيد والبلاذرى والطبرى ، أن مكلم الذئب صحابى آخر اسمه أهبان ابن الأكوع . الإصابة ٣٠٥ .

(٦) ل : « بأقاويل » .

(٧) ل : « حسب » .

وعلى [قدر] اختلاف صور تلك القراميص والأفاحيص . وزعم أنَّ الهدهُدَ من بينها يطلب الزِّبل ، حتَّى إذا وجده نَقَلَ منه ، كما تنقل الأَرَضَةُ من التُّراب ، ويبنى منه بيتاً ، كما تبنى الأَرَضَة ، ويضع جُزْءًا على جُزْء[1] ، فإذا طال مُكثه فى ذلك البيت ، وفيه أيضاً ولد ، أو فى مثله[2] ، وتربّى ريشه وبدنه[3] بتلك الرائحة ، فأخلِقْ به[4] أيضاً أن يُورِث ابنَه[5] النَّتْنَ الذى عَلِقَه ، كما أورث جدُّهُ أباه ، وكما أوْرَثَه[6] أبوه . قال : ولذلك يكون منتِناً .

١٦٢

وهذا وجهُ أنْ كان معلوماً أنَّه لا يتَّخِذ عشَّه إلَّا من الزِّبل .

فأمَّا ناسٌ كثير ، فيزعمون أن رُبَّ بدنٍ يكونُ طيِّبَ الرَّائحة ؛ كفأرة المسك التى ربّما كانت فى البيوت . ومن ذلك ما يكونُ مُنْتِنَ البَدَنِ[7] ، كالذى يحكى عن الحيَّاتِ والأفاعى والثَّعابين[8] ، ويُوجَدُ عليه التُّيوس .

---

(١) كذا فى ل . وفى س : « خرءا على خرء » ط : « خرء على خرء » .

(٢) ط ، س : « وفى مثله » ، صوابه فى ل .

(٣) ط ، س : « تربى وبدنه ينمو » ، صوابه فى ل .

(٤) ط ، س : « وأخلق »؛ والوجه ما أثبت من ل . إذ هو جواب « إذا » .

(٥) ل : « يرث أباه »؛ صوابه فى ط ، س .

(٦) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٧) « ما يكون » سقط من ل .

(٨) ل : كالذى يحكى عن الحيات » فقط .

(اغتيولس)

وذكر صاحب المنطق أنَّ الطير الكبير ، الذى يسمى باليونانية اغتيولس[١] ، يحكم عُشَّه ويُتقنُه ، ويجعله مستديراً مُداخَلاً كأنَّهُ كُرَة معمولة[٢] .
وروى[٣] أنَّهم يزعمون أنَّ هذا الطائرَ يجلِبُ الدَّارَصِينِيَّ من موضعه ، فيفرُشُ به عشَّه ، ولا يعشِّش إلَّا فى أعالى الشَّجَرِ[٤] المرتفعةِ المواضع .

قال : وربَّما عَمَد الناسُ إلى سهامٍ يشدُّونَ عليها[٥] رَصاصاً ، ثمَّ يرمون بها أعشتها ، فيسقط عليهم الدَّارصينيُّ ، فيلتقطونَه[٦] ويأخذونَه .

(من زعم البحريين فى الطير)

ويزعَمُ البحْرِيُّونَ أنَّ طائرَين يكونان ببلاد السُّفَالة[٧] ، أحدُهما يظهر قبلَ قُدوم السفن إليهم ، وقبل أن يُمكِنَ البحرَ من نفسه ، لخروجهم فى متاجِرِهم[٨] فيقول الطائرُ : قُرب آمَدْ[٩] ، فيعلمون بذلك أنَّ الوقت قدْ دنَا ، وأنَّ الإمكان قد قرب .

---

(١) ط ، س « : اعتيولس » .
(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل .
(٣) ط ، س : « ورووا » وصوابه فى ل .
(٤) ل : « الشجرة » .
(٥) ط ، س : « فيشدون بها » .
(٦) ل : « فليقطونه » .
(٧) السفالة ، بالضم : آخر مدينة تعرف بأرض الزنج . ياقوت . ط ، س : « الصقالبة » ل : « السقالة » . والصواب ما أثبت .
(٨) ط ، س : « ومتاجرهم » صوابه فى ل .
(٩) قرب : بالفارسية ، هى كلفظها العربى وبمعناها العربى. وآمد بالفارسية : بفتح الميم بمعنى الوصول والقدوم . ل : « أرت آمذ » . وانظر مثيل هذا فى كامل ابن الأثير (٩ : ١٧) فى حوادث ٣٧٥ .

قالوا : ويجيء بِهِ طائرٌ آخر ، وشكل آخر ، فيقول: سمارو[١] . وذلك فى وقت رجوع من قد غابَ منهم ، فيسمُّون هذين الجنسين من الطَّير : قرب[٢] ، وسمارو ، كأنَّهم سمَّوهما بقولها ، وتقطيع أصواتهما ، كما سمَّت العرَبُ ضرباً من الطَّير القطا ؛ لأن القَطاَ كذلك تصيح[٣] ، وتقطيع أصواتها[٤] قَطاَ ، وكما سمَّوا الببغاء بتقطيع الصَّوتِ الذى ظهر منه[٥] .

فيزعمُ أهلُ البحر أَنّ ذينك الطائرين لا يطير أحدهما أبداً[٦] إلّا فى إناث ، وأنّ الآخَر لا يطير أبداً إلّا فى ذكورة .

(وفاء الشفنين)

وزعم لى بعضُ الأطبَّاء ممّن أصدّق خبره ، أنّ الشِّفنينَ إذا هلكت أنثاه[٧] لم يتزوَّج وإن طال عليه التعزُّب . وإن هاج سَفد[٨] ولم يطلب الزّوَاج .

---

(١) ط ، س : « سماروا » .

(٢) ل : فسموا هذين الجنسين من الطير بأرت » .

(٣) ل : « لأن ذلك الطائر كذلك يصيح » .

(٤) ل : « صوته » .

(٥) كذا جاءت بضمير المذكر . والببغاء مؤنثة .

(٦) ل : « أن أحد ذينك الطائرين لا يطير أبداً » .

(٧) ط ، س : « امرأته » .

(٨) ط : « تسفد » تحريف مافى ل ، س .

(من عجائب الطير)

وحكوا أنَّ عندهم طائرين ، أَحدهما وافى الجناحين وهو لم يطِرْ قطّ ، والآخر وافى الجناحين ، ولكنه من لدُنْ ينهض للطَّيرانِ فلا يزالُ يطيرُ ويقتات [من[1]] الفراش وأشباه الفراش ، وأنَّه لا يسقط إلاّ ميِّتاً . إلَّا أنَّهم ذكروا أنّه قَصير العمر .

(كلام فى قول أرسطو)

ولست أدفع خبرَ صاحب المنطق عن صاحب الدارصينى[2] ، وإن كنت لا أعرف الوجهَ فى أنَّ طائرا ينهَض مِن وكره فى الجبال[3] ، أو بفارسَ أو باليمن ، فيؤمُّ ويعمَد نحوَ بلاد الدارصينى[4] ، وهو لم يجاوز موضعه ولا قرُبَ منه . وليس يخلو هذا الطائرُ من أن يكون من الأَوابد [أو من القواطع[5]] . وإنْ كان من القواطع فكيف يقطع الصَّحصانَ الأملس[6]

---

(١) من ل ، س . وانظر ما سبق من الكلام على هذا الطير ص ٢٣٤ .

(٢) ط ، س : « عن خبر صاحب الدراصينى » ، وكلمة « خبر » مقحمة .

(٣) الجبال : اسم للإقليم الذى يمتد ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والرى . عن ياقوت .

(٤) هو شجر هندى يكون بتخوم الصين ينتفع بقشره ذى الرائحة العطرية . ولفظه معرب من « دارجينى » الفارسية .

(٥) ليست بالأصل .

(٦) الصحصحان : البرية الواسعة .

١٦٣ وبطونَ الأَوْدِيَةِ ، وأهضامَ الجبال(١) بالتَّدويم فى الأَجواء ، وبالمضىِّ على السَّمت ، لطلب مالم يرَهُ ولم يشمَّه ولم يذقْه . وأخرى فإنَّه لايجلب منه بمنقاره ورجليه(٢) ، ما يصير فِراشاً له ومِهاداً ، إلاّ بالاختلاف الطويل(٣) . و [بعد فإنّه] ليس بالوطىء الوثير(٤) ، ولا هو له بطعام .

فأنا وإن كنت لا أعرفُ العلَّة [بعينها] فلست أنكر الأُمورَ من هذه الجهة . فاذكرْ هذا(٥) .

(قول أبى الشيص فى الهدهد)

وقال أبو الشِّيص فى الهدهد(٦) :

لا تأْمننَّ على سِرِّى وسِرِّكمُ غَيرى وغَيْرَك أوطىَّ القَرَاطِيسِ(٧)

أو طائرٍ سأحَلِّيهِ وأنعتُه مازال صاحبَ تنقيرٍ وتدسيسِ(٨)

---

(١) أهضام الجبال : ما دنا إلى السهل من أصلها . فى الأصل : « أهضاب » ، ولا تصح . والكلام من « ولا قرب » إلى هنا ساقط من ل .

(٢) ل : « وبعده فهو لا يجلب بمنقاره ورجليه » .

(٣) ل : « باختلاف طويل » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٥) ط ، س : « فأنكر هذا » صوابه فى ل .

(٦) الأبيات فى نهاية الأرب (١٠ : ٢٤٨) والدميرى وعيون الأخبار (١ : ٤١) والمختار من شعر بشار ١٥٧ .

(٧) أى وغيرطى القراطيس .

(٨) فى الأصل وعيون الأخبار : « أو طائراً » ؛ وبها يفسد إعراب البيت الآتى . وأثبت ما فى نهاية الأرب والدميرى . سأحليه ، بالحاء : سأنعته . وهذه الرواية أوفق من رواية ل والدميرى ونهايه الأرب : « سأجليه » . والتدسيس : الدس والإدخال ، يدخل منقاره فى الأرض بحثا عن قوته . فى الأصل : « تأسيس » ، وصوابه فى النهاية . وفى الدميرى : « تدريس » !

سودٍ براثِنه ، مِيلٍ ذَوائبُه صُفرحمالِقه ، فى الحسنِ مَغمُوس[١]
قد كانَ هَمَّ سليمانٌ ليذبَحه لولا سِعايته فى ملك بلقيس[٢]

وقد قدَّمنا فى هذا الكتاب فى تضاعيفه[٣] ، عدَّة مقطَّعات فى أخبار الهدهُد[٤] .

باب

القول فى الرخم

[و] يقال : إنّ لئامَ الطير ثلاثة : الغِربانُ ، والبوم ، والرَّخَم .

(أسطورة الرخم)

ويقال : إنّه قيل للرَّخمة : ما أحمقك ! قالت : وما حُمْقى ، وأنا أقطَعُ فى أوّلِ القواطع ، وأرْجِع فى أوّلِ الرَّواجِع ، ولا أطير فى التَّحسير[٥] ،

---

(١) براثنه : أظفاره . ذوائبه : ريش تاجه . حمالقه : جفونه .

(٢) ل : « لولا سياسته » .

(٣) فى ط ، س : « تضاعفه » .

(٤) الكلام من « وقد قدمنا » ساقط من ل . وانظر ما سبق فى (١ : ٢٤٨) .

(٥) س : « ولا أطير إلا فى التخيير » ، وصوابه فى ط والجزء السابع ١٩ ولمثال الميدانى . والتحسير : سقوط ريش الطائر .

ولا أغتر بالشَّكير[١] ، ولا أسقط على الجفِير[٢] .

وقد ذكرْنا تفسير هذا[٣] . وقال الكميت :

إذْ قيل يا رَخَمَ انطقى فى الطَّير ، إنَّك شرُّ طائرْ[٤]

(بعض ملوك العجم والجُلَنْدى الأزدى)

وقال أبو الحسن المدائنى : أمَر بعضُ ملوك العجمِ الجُلَنْدَى بنَ عبدِ العزيز الأزدىَّ ، وكان يقال له فى الجاهلية عرجدة[٥] ، فقال له : صِد لى شرَّ الطير ، واشوِه بشرِّ الحطب ، وأطعِمْه شرَّ الناس . فصادَ رخمةً وشوَاهَا ببَعْر ، وقرَّبها إلى خوزىٍّ[٦] . فقال له الخوزىُّ[٧] : أخطأت

---

(١) الشكير : أول ما ينبت من الريش . أى لايغرها الشكير فتطير حين ظهوره ، بل تنتظر حتى يصير قصبا . ط : « بالتبكير » س : « بالتكبير » صوابه فى الجزء السابع ونهاية الأرب (١٠ : ٢٠٨) وأمثال الميدانى (١ : ٢٠٦) .

(٢) الجفير : جعبة السهام . ط : « الحقير » صوابه فى ل ، والجزء السابع وأمثال الميدانى . وهى لا تسقط على الجعبة لعلمها أن فيها سهاما .

(٣) انظر الجزء السابع ١٩ — ٢٠ . والكلام من أول الفقرة إلى هنا ساقط من ل .

(٤) ط ، س : « إن قيل » . والبيت يشير إلى المثل : « أنطق يارخم فإنك من طير الله » ، يضرب للرجل الذى لا يلتفت إليه ولا يسمع منه . أصله أن الطير صاحت فصاحت الرخمة ، فقيل لها يهزأ بها : إنك من طير الله فانطقى ! انظر الدميرى .

(٥) ل : « عجردة » . وفى الإصابة ١٢٩٢ : « عبد جمل » . والجلندى بضم أوله وفتح اللام وسكون النون وفتح الدال ، كان ملك عمان . وأرسل إليه الرسول عمرو بن العاص ليدعوه إلى الدين فأسلم .

(٦) الخوزى : نسبة إلى خوزستان ، وهى بلاد بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان ، كما فى معجم البلدان . قال ياقوت : « والخوز ألأم الناس وأسقطهم نفسا » . ط ، س : « خوزنى » ل : « حوذى » وصوابه ما أثبت .

(٧) ط ، س : « الخوزنى » ، ل : « الحوذى » . وانظر التنبيه السابق وصفحة ١٦٤ .

فى كلِّ شىء أمرك بِهِ الملك : ليس الرَّخمةُ شرَّ الطير ، وليس البعرةُ شرَّ الحطَب ، وليس الحوزىُّ شرَّ الناس . ولكن اذهب فصِد بومة[١] ، واشوها بدفلَى[٢] ، وأطعمْها نبطيًّا ولدَ زِنى . ففعل ، وأتى الملكَ فأخبره ، فقال : ليس يُحْتَاجَ إلى ولد زِنًى ! يكفيه أن يكون نبطيًّا[٣] !

(الغراب والرخمة)

والغراب يقوَى على الرَّخمة ، والرخمة أعظم من الغراب وأشدُّ . والرَّخمة تلتمس لبيضها المواضعَ البعيدة ، والأماكنَ الوحشيَّة ، والجبالَ الشامخة ، وصُدوعَ الصَّخر . فلذلك يقالُ فى بيضِ الأنوقِ مايقال .

(ما قيل فى بيض الأنوقِ)

وقال عُتبة بن شَمّاس[٤] :

إنَّ أولَى بالحقِّ فى كلِّ حقٍّ ثمَّ أولَى بأنْ يكونَ حَقِيقَا[٥] ١٦٤

---

(١) ط ، س : « ولكن صد له بومة » .

(٢) الدفلى ـ كذكرى : نبت مر قتال .

(٣) جاءت هذه القصة على الوضع الآتى فى معجم البلدان : « روى أن كسرى كتب إلى بعض عماله : ابعث لى بشر طعام على شر الدواب مع شر الناس . فبعث إليه برأس سمكة مالحة على حمار مع خوزى » .

(٤) كذا فى س والكامل ٣٩٩ ليبسك والعقد (٣ : ٣٩٣) . وفى ل : « عيينة بن أسماء » وكتب بعدها بخط صغير « أخرى : عتيبة بن شماس » . ط : « عتيبة بن شماس » .

(٥) وكذا فى سيرة عمر بن عبد العزيز ٨ . ورواية الكامل والعقد : « ثم أحرى » .

مَنْ أبوهُ عبد العزيزِ بنُ مروا نَ وَمَنْ كانَ جَدُّهُ الفارُوقا[1]

ردَّ أموالَنا عَلَيْنَا وكانَتْ فى ذُرى شاهقٍ تفُوت الأنُوقا[2]

وطلبَ رجلٌ من أهل الشام الفريضةَ من معاوية فجادَ له بها[3] ، فسأل[4] لولَدِه ، فأبى ، فسأل لعشيرته ، فقال معاوية :

طلَبَ الأبْلَقَ العَقوقَ ، فلمَّا لَمْ يَجِدْهُ أرادَ بَيضَ الأَنُوق[5]

وليس يكونُ العَقُوق إلَّا من الإناث ، فإذا كانت من البُلْق كانت بلقاء . و [إنّما[6]] هذا كقولهم : « زَلَّ فى سَلَى جمل[7] » ، والجمل لا يكون له سلًى[8] .

---

(١) يقول هذا الشعر فى عمر بن عبد العزيز بن مروان . ووالدة عمر هى أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . وهذا البيت مع أبيات أخرى من القصيدة وبدون نسبة فى كتاب البغال ٢٨٦ من رسائل الجاحظ .

(٢) ط ، س : « رد أموالنا إلينا » . وفى ل ، س : « تفوق الأنوقا » . ويروى : « يفوت » التأنيث للذرى ، والتذكير للشاهق .

(٣) « فجاد له بها » ساقط من ل . والخبر برواية أخرى فى الإصابة ١٠٩٨ .

(٤) ط : « فقال » تحريف . س : « فسأله » ، وأثبت ما فى ل .

(٥) ط ، والكامل والشريشى (٢ : ٢٠٤) : « لم ينله » . وقد وضع البيت فى ط وضع النثر خطأ . والأبلق من صفات ذكور الخيل ، وهو ما ارتفع التحجيل فيه إلى فخذيه . والعقوق : من صفات إناثها ، وهى الحامل التى امتلأ بطنها . والأنوق : هى الرخمة . وانظر ما سبق من الكلام على الأنوق فى (١ : ٢٣٥) .

(٦) من ل ، س .

(٧) السلى : ما تلقيه الناقة إذا وضعت : وهى جليدة رقيقة يكون فيها الولد . والمثل يضرب فى بلوغ الشدة منتهى غايتها ، أى وقع فى شر لا مثيل له . زل : زلق . ولفظ المثل فى الميدانى واللسان : « وقع القوم فى سلى جمل » . ويقال : « وقع فى سلى جمل » . وفى القاموس : « وقعوا فى سلى جمل » .

(٨) كتبت هذه الكلمة فى الأصل فى الموضعين بالألف . وصواب كتابتها بالياء .

وقد يرون بَيض الأنوق ، ولـكنَّ ذلك قليلاً[1] ما يكون ، وأقلَّ من القليل ؛ لأنَّ بيضها فى المواضع الممتنعة ، وليست فيها منافع فيتعرض فى طلبها[2] للمكروه .

وأنا أظنُّ أنَّ معاوية لم يقل كما قالوا ، ولكنَّهُ قدم فى اللَّفظ بيض الأَنوق ، فقال : « طلب بيضَ الأَنُوقِ ، فلما لم يجدْه طلبَ الأَبْلَقَ العقوق » .

(ما يسمَّى بالهدهد)

وأمَّا قول ابن أحمر :

يمشى بأَوظفَةٍ شديدٍ أسْرُها ... شمٍّ السنابك لا تَقِى بالجدجَد[3]

إذ صبَّحتَه طاوياً ذا شِرَّةٍ ... وفؤادُه زجِلٌ كَعَزْفِ الهُدْهُد[4]

---

(١) ط : « قليل » .

(٢) ط ، س : « طلبه » ، صوابه فى ل .

(٣) ط ، س واللسان (وقى) : « تمشى » صوابه فى ل . الأوظفة : جمع وظيف ، وهو ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق . شم : عاليات . والسنبك : طرف الحافر وجانباه من قدام . ويقال : وقى الحافر يقى وقيا ، من باب رمى : حفى ورق من غلظ الأرض . وقيل : لاتقى بالجدجد : لا تتوقاه ولا تهيبه . والجدجد ، بفتح الجيمين : الأرض الصلبة . ط : « رثم السنابك » صوابه فى ل ، س واللسان (وقى) . وروى : « صم » كما فى اللسان (جدد) . ط : « لا يفى » س : « لا تفى » ، صوابه فى ل واللسان فى موضعيه .

(٤) ط : « قد أصحبته طائراً » س : « قد صبحته طائراً » ، وأثبت ما فى ل . وفى اللسان : « ثم اقتحمت مناجدا ولزمته » . زجل : له صوت . ط : « رجل » محرف . والعزف : الصوت . ط ، س : « كعرف » ل : « كعرق » محرفتان عما أثبت من الحيوان (٧ : ٢٦٠) واللسان (هدد) .

فقد يكون ألاّ يكون غَنى بهذا الهدهدَ[١] ، لأنَّ ذكورَةَ الحمامِ وكلَّ شيء غَنَّى[٢] من الطير وهدَر ودعا ، فهو هُدهُد. ومَنْ رَوَى « كَعَزْفِ الهَدْهَدِ » فليس من هذا فى شيء[٣] .

وقد قال الشاعر فى صفة الحمام :

وإذا اسْتَشَرنَ أرَنَّ فيها هدهدٌ   مِثْلُ المَدَاكِ خضبتَه بِجِسَادِ[٤]

(قصة فى ميل بعض النساء إلى المال)

وخطب رجلٌ جميلٌ امرأةً ، وخطبها [معه] رجل دَميم[٥] فتزوّجت الدَّميم[٦] لماله ، وتركته ، فقال[٧] :

---

(١) كذا على الصواب فى ل . ط : « فقد يكون ألا أن يكون عنا هذا الهدهد » ، س : « فقد يكون إلا غنا إلا يكون غنا هذا الهدهد » .

(٢) ط ، س : « غنا » ، صوابه فى ل .

(٣) الكلام من مبدإ « ومن روى » ساقط من ل . والعبارة فى أصلها : « ومن أراد كعرف » . . الخ . والصواب فيها ما أثبت . وهذه الرواية مثبتة فى اللسان (هدد) . قال فى تفسيرها : « والهدهد قيل فى تفسيره : أصوات الجن . ولا واحد له » وفى القاموس عند الكلام على الهدهد : « وبفتحتين : أصوات الجن ، بلا واحد » .

(٤) استشارت : لبست حسنا وسمنا . والمداك ، بالفتح : حجر يسحق به الطيب . ط ، س : « المداد » صوابه فى ل . والجساد ، بالكسر : الزعفران . جعله كالمداك فى ملاسته وصلابته .

(٥) الدميم : القبيح . ط : « ذميم » صوابه فى ل ، س .

(٦) ط : « الذميم » صوابه فى ل ، س .

(٧) الشعر منسوب فى حياة الحيوان ، إلى الأخطل يصف جارية وبعلها . والبيتان فى الكامل ٢٧٢ ليبساك .

ألاَ يا عبادَ اللهِ ما تأْمُرُونَنِي بأَحسنِ مَنْ صَلَّى وأقبَحِهِمْ بَعلاَ
يدِبُّ على أحشائها كلَّ ليلة دَبِيبَ القَرَنْبي بات يقرو نقاً سَهْلاَ [١]

(ما يطلب العذرة)

والأَجناس التي تريد العذِرَةَ وتطلبُها كثيرة ، كالخنازير ، والدَّجاج والكلاب ، والجراد ، وغير ذلك . ولكنها لا تبلغ مبلغ [٢] الجُعَل والرَّخمة .

(بعض ما يأكل الأعرابُ من الحيوان)

وقال ابن أبي كريمة : كنتُ عند أبي مالك عمرِو بن كِرْكِرَة [٣] ، وعنده أعرابيٌّ ، فجرى ذكر القَرَنْبيَ . قال : فقلت له : أتعرف القرنْبَى ؟

---

(١) القرنبى : دويبة على هيئة الخنفس منقطة الظهر ، وفى قوائمها طول على الخنفس . وهو مذكر ، ألفه للإلحاق لا للتأنيث . يقرو : يسير متتبعاً . ط ، س ، والدميرى : « يعلو » .

(٢) ل : « بلغ » ، صوابه فى ط ، س .

(٣) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « عمر » . وقد ترجم له ياقوت فى معجم الأدباء (١٦ : ١٣١ ، ١٣٢) ونقل عنه السيوطى فى بغية الوعاة قال : كان يعلم فى البادية ، وورق فى الحضرة . ويقال : إنه كان يحفظ لغة العرب قال أبو الطيب اللغوى : كان ابن مناذر يقول : كان الأصمعى يجيب فى ثلث اللغة ، وأبو عبيدة فى نصفها ، وأبو زيد فى ثلثيها ، وأبو مالك فيها كلها . وإنما عنى توسعهم فى الرواية والفتيا ؛ لأن الأصمعى كان يضيق ولا يجوز إلا أصح اللغات . وقد جلس إليه الجاحظ كما فى البيان (٤ : ٢٣) . ط ، س : « عمر ابن كركرة » ، صوابه فى ل والقاموس والمراجع المتقدمة .

قال : ومالى لا أعرف القرنْبَى ؟ ! فوالله لربّما لم يكنْ غَدائى[1] إلّا القرنبَى يُحَسْحَسُ لى[2] . قال : فقلت [له] : إنّها دويْبَّة تأكل العذرة . قال : ودجاجكم تأْكل[3] العذرة !

١٦٥ [وقال] : قال بعض المدنيِّين لبعض الأَعراب : [أ] تأْكلون الحيّاتِ والعقاربَ والجِعْلاَن والخنافس[4] ؟ فقال : نأكل كُلَّ شىءٍ إلّا أمَّ حُبين . [قال] : فقال المدنىّ : « لتهْنِ أمَّ الحُبَينِ العافِيَة[5] » .

قال : وحدثنا ابن جُريجٍ[6] ، عن ابن شهاب[7] ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة ، عن ابن عباس ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مِن الدوابِّ أربعٌ لا يُقْتَلن : النملة ، والنَّحلة ، والصُّرَد ، والهدهُد » .

القول فى الخفاش

فأوَّل ذلك أنّ الخفّاش طائر ، وهو مع أنّه طائرٌ من عَرَضِ الطير فإنَّه شديدُ الطَّيَران ، كثير التكفّى فى الهواء ، سريع التقلُّب فيه ، ولا

---

(١) الغداء ، بالفتح : الأكل أول النهار . ط ، ل : « غذائى » وأثبت ما فى س .

(٢) يحسحس : يوضع على الجمر . ط : « يخشخش » محرف يحشحش التى هى بمعنى « يحسحس » . س : « تخشخش فى فى » ، وله وجه .

(٣) ط : « يأكل » ، وهما صحيحتان .

(٤) كذا على الوجه فى ل . وفى ط ، س : « الخنفساء » .

(٥) أم حبين : دويبة على قدر الكف تشبه الضب . وانظر (٥ : ١٤٣) .

(٦) ط : « وأخبرنا ابن جريج » . وابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشى ، قالوا : أول من صنف الكتب فى الإسلام . ولد سنة ٨٠ وتوفى سنة ١٥٠ . ففى قول الجاحظ نظر .

(٧) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى ، المتوفى سنة ١٢٥ .

يجوز أن يكون طُعمه إلا من البعوض ، وقوتُه إلا من الفَراشِ[1] [وأشباه الفَراش] ، ثُمَّ لا يصيده إلّا فى وقت طيرانه فى الهواء ، وفى وقت سلطانه ؛ لأَنَّ البعوضَ إنَّما يتسلَّط بالليل . ولا[2] يجوز أن يبلغ ذلك إلاَّ بسرعة اختطافٍ واختلاس ، وشدَّةِ طيَرَان ، ولينِ أعطاف وشدَّة متن ، وحُسْن تأَتٍّ ، ورفقٍ فى الصّيد[3] . وهو مع ذلك كلِّه[4] ليس بذى ريش ، [و] إنما هو لحم وجلد . فَطيَرانُه بلا ريش عَجَب ، وكلما كان أشدَّ كان أعجب .

(من أعاجيب الخفاش)

ومن أعاجيبه أنّه لا يطير فى ضوء ولا فى ظلمة . وهو طائر ضعيفُ قُوَى البصرِ ، قليلُ شعاعِ العين الفاصِلِ[5] من النَّاظِر . ولذلك لا يظهر فى الظُّلمة ؛ لأَنَّها تـكون غامرة لضياء بصره ، غالبةً لمقدار [قوى] شعاعِ ناظره . ولا يظهر نهاراً ؛ لأَنَّ بَصرَه لِضَعفِ ناظِرِه يلتمع فى شدة بياض النهار[6] . ولأَنَّ الشيءَ المتلألئَ ضارٌّ لِعيونِ[7] الموصوفين بحدَّة البصر ،

---

(١) ل : « وطعمه من البعوض وقوته من الفراش » .

(٢) ل : « فلا » .

(٣) التأتى : الترفق . س : « تأتى » ط : « تأنى » ل : « التأنى » ، ووجهه ما أثبت . ل : « إلا بسرعة الاختطاف والاختلاس ، وشدة الطيران ، ولين الأعطاف ، وشدة المتن ، وحسن التأنى والرفق فى الصيد » .

(٤) ل : « وهو فى ذلك » .

(٥) ل : « الفاضل » ، تحريف .

(٦) ط ، س : « يضعف ناظره ويلتمع فى شدة ضوء النهار » ، وصوابه من ل .

(٧) ط ، س : « بعيون » ، وما أثبت من ل أوجه ؛ تفاديا من تـكرار الباء .

ولأَنَّ شعاعَ الشمس بمخالفة[١] مخرج أصوله وذهابه ، يكون رادعاً لشُعاع ناظره ، ومفرِّقاً[٢] له . فهو لا يبصر ليلاً ولا نهاراً . فلما علم ذلك واحتاج إلى الكسْب والطُّعم ، التمس الوقتَ الذى لا يكون فيه من الظلام ما يكون غامراً قاهراً ، وعالياً غالباً . ولا من الضِّياء ما يكون مُعْشيا[٣] رادعاً ، ومفرِّقا قامِعاً[٤] . فالتمسَ ذلك فى وقت غروب القُرص ، وبقيّةِ الشّفق ؛ لأَنّه وقت[٥] هيْج البعوض وأشباهِ البعوض ، وارتفاعها[٦] فى الهواء ، ووقت انتشارها فى طلبِ أرزاقها[٧] . فالبَعوض يخرج للطَّعم ، وطعْمُه دماء الحيوان ؛ وتخرج الخفافيش[٨] لطلب الطَّعم ، فيقعُ طالبُ رزق على طالب رزق ، فيصير ذلك هو رزقه[٩] . وهذا أيضاً ممَّـا جعل اللهَ فى الخفافيش[١٠] من الأعاجيب .

---

(١) ل : « مخالفة » .

(٢) ط : « ومغرقا » س : « ومفرقة » ، صوابه من ل .

(٣) ل : « ولأن من الضياء » ، محرف . ط : « ما يكون مغشيا » ، صوابه فى ل ، س .

(٤) ط : « ومغرقا » ، صوابه فى ل ، س . و « قامعا » هى فى ط ، س : « مانعا » ، والأشبه ما أثبت من ل .

(٥) ط ، س : « لأنه فى وقت » ، صوابه فى ل .

(٦) ط ، س ، « وهو وقت ارتفاعها » .

(٧) ط ، س : « وطلب أرزاقها » .

(٨) ط ، س : « الخنافيس » ، صوابه فى ل .

(٩) ل : « مرزقه » .

(١٠) ط ، س : « الخفاش » .

(علاقة الأذن بنتاج الحيوان)

ويزعمون أن السُّكَّ [١] الآذان والممسوحة ، من جميع الحيوان ، ١٦٦ أنّها تبيضُ بيضاً ، وأنّ كلَّ أشرفِ [الآذان] فهو يلد ولا يبيض . ولا نَدْرِى لِمَ [كان] الحيوانُ إذا كان أشرفُ الآذان [٢] [وَلَد] ، وإذا كان ممسوحاً باض .

ولآذان الخفافيش حَجْمٌ ظاهر ، وشُخُوص [٣] بيِّن . و [هى و] إنْ كانتْ من الطَّير فإنَّ هذا لها ، وهى [٤] تحبل وتلِد ، وتحيض ، وترضع .

(ما يحيض من الحيوان)

والناس يتقزّزون [٥] من الأرانب والضِّباع ؛ لمكانِ الحيض .

وقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ ذواتِ الأربع كلَّها تحيضُ ، على اختلافٍ فى القلَّة والكثْرة [٦] .

---

(١) السك : جمع أسك : وهو الذى صغرت أذنه ولصقت برأسه .

(٢) الأشرف الآذان : الطويلها . ل : « الأذن » .

(٣) شخوص : ارتفاع . ط ، س : « شخص » .

(٤) ط : « فهى » ، صوابه فى ل ، س .

(٥) ط : « يتقذرون » . والتقذر : أن يرى الشىء قذراً ، يقال تقذره لاتقذر منه . فالصواب « يتقززون » . كما أثبت من ل ، س .

(٦) ط ، س : « على اختلاف أجناسها » .

[والزَّمان] ، والحمرة والصفرة ، والرِّقَّة والغلظ . قال : ويبلغ من ضنِّ أنثى الخفافيش بولدها ومن خوفها عليه ، أنَّها تحمله تحتَ جناحها ، وربَّما قبضت عليه بفيها ، وربَّما أرضعته وهى تطير ، وتقوى من ذلك ، ويقوى ولدُها على مالا يقوى عليه الحمام والشَّاهْمُرْك[1] ، وسباع الطير .

(معارف فى الخفاش)

وقال معمرٌ أبو الأشعث : ربَّما أتأمتِ الخفافيشُ[2] فتحمل معها الولدَين جميعاً ، فإنْ عظُمَا عاقبَتْ بينهما .

والخفّاش من الطَّير ، وليس له مِنقار مخروط[3] ، وله فمٌ فيما بين مناسر السِّباع[4] وأفواه البوم . وفيه أسنانٌ حــداد صِلاب [مرصوفة[5]] من أطراف الحنكِ ، إلى أصول الفلك ، إلاَّ ما كان فى نفس الخطم[6] .

وإذا قبضَتْ على الفرخ وَعضَّتْ عليه لتطير به ، عرفت ذَرَب[7] أسنانها ، فعرَفت أىّ نوعٍ ينبغى أن يكون ذلك العضّ ، فتجعله أَزْمًا ،

---

(١) الشاهمرك سبق تفسيره فى ص ٣٣٦ .

(٢) أتأمت : ولدت اثنين فى بطن واحد . ط ، س : « أرتمات » ، صوابه فى ل .

(٣) ط : « مخروطة » ، تصحيحه من ل ، س .

(٤) المراد : سباع الطير . والمناسر : جمع منسر ، كمجلس ومنبر ، وهو المنقار .

(٥) فى الأصل ، وهو هنا ل : « موصوفة » ، ولعل صوابه ما أثبت .

(٦) ط ، س : « إلا ما كان من نفس الفلك الخطم » .

(٧) الذرب : الحدة . ط ، س : « درب » ، صوابه فى ل .

ولا تجعله عضًّا ولا تنْيِيباً ولا ضَغْماً[١] ، كما تفعل الهرَّة بولدها ؛ فإنَّها مع ذَرَبِ أنيابها ، وحدَّة أظْفارِها ودِقَّتِها[٢] ، لا تخدش[٣] لها جلداً ؛ إلا أنها تُمْسِكُها ضربا من الإمساك ، وتأزم عليها[٤] ضربا من الأزْم قد عَرَفْته .

ولكلِّ شيءٍ حدٌّ به يصلَح ، وبمجاوزته والتقصيرِ دُونَه يفسُد .

وقد نرى الطَّائر يغوصُ فى الماء نهارَه ، ثم يخرج منه كالشَّعرَة سَلَلْتَها من العجين ، غيرَ مبتلِّ الرِّيش ، ولا لثِقِ الجناحَين . ولو أنَّ أرفقَ الناس رِفقاً ، راهَنَ على أن يغمس طائراً منها فى الماء غمسةً واحدة ثمَّ خلَّى سِربه[٥] ليكون هو الخارج منه ، لخرج وهو متعجِّن[٦] الريش ، مُفْسَد النظم[٧] ، منقوضُ[٨] التأليف . ولكان أجودَ ما يكون طيراناً أن يكون كالجادفِ[٩] . فهذا أيضاً من أعاجيب الخفاش .

---

(١) الأزم : القبض بجميع الفم . والتنييب : العض بالناب . والضغم : العض الشديد . ط ، س : « ولا نشباً ضغطيا » س : « ولا نشباً ضغطا » ، ووجهه ما أثبت من ل .

(٢) ل : « وحدة أطرافها » ، صوابه فى ط ، س . ط ، س : « ورقتها » صوابه فى ل .

(٣) ط : « تندش » ، صوابه فى ل ، س .

(٤) عليها : أى على ولدها . والمراد بالولد هنا الجمع . فى المصباح : « والولد بفتحتين كل ما ولده شىء . ويطلق على الذكر والأنثى ، والمثنى والمجموع » . ط ، س : « عليه » ، صوابه فى ل . ط ، س : « لأنها تمسكها » الخ ، صوابه فى ل .

(٥) السرب : الطريق . ط : « حلى سرتها » س : « خلى سربها » ، صوابه فى ل .

(٦) ط ، س : « منعجن » .

(٧) ط ، س : « النظر » ، صوابه فى ل .

(٨) ط : « منقوص » محرف .

(٩) الجادف : الذى يطير وهو مقصوص الجناحين . ط ، س : « كالجاذف » ، محرف .

(من أعاجيب الخفافيش)

ومن أعاجيبها تركَها ذرى الجبال وبسيط الفيافى[1] ، وأقلابَ النخل، وأعالى الأغصان ، ودَغَل[2] [الغياض و] الرياض ، وصُدوعَ[3] الصّخر ، وجزائر البحر ، ومجيئها تطلب مساكن الناس وقربهم ، ثم إذا صارت[4] إلى بيوتهم وقربهم ، قصدت إلى أرفع مكان وأحصَنه ، وإلى أبعد المواضع من مواضع الاجْتِياز[5] ، وأعراض الحوائج .

(طول عمر الخفاش)

ثمّ الخفّاشُ بعد ذلك من الحيوان الموصوف بطول العمر ، حتى يجوز في ذلك[6] العُقابَ والوَرَشان إلى النسر ، ويجوز[7] حد الفِيَلة والأُسْد وحَمير الوحش ، إلى أعمار الحيّات . ١٦٧

(١) ط ، س : « ومن أعاجيبها تركه ذروة الجبال » ، ل : « ومن أعاجيبه تركه ذرى الجبال » ، كلاهما محرف ، ووجهته بما ترى . والبسيط : المنبسط الفسيح . ط : « وتبسط » صوابه فى ل ، س .

(٢) الدغل ، بالتحريك : الشجر الملتف . س : « ودخل » ، وهى صحيحة بضبط الأولى ومعناها .

(٣) ط : « وصدع » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « أصات » ، صوابه فى ل ، س .

(٥) ط ، س : « الاختبار » ، صوابه فى ل .

(٦) ل : « حتى تجوز حد » .

(٧) ل : « وتجوز » .

ومن أعاجيب الخفافيش[١] أنّ أبصارها تصلُح على طول العمر ، ولها صبرٌ[٢] على [طول] فقْد الطُّعم . فيقال[٣] إنّ اللواتى يظهرن فى القَمَر[٤] من الخفافيش المسنَّاتُ المعمَّرات ، وإنّ أولادَهن إذا بلغن لم تقو أبصارُهنّ على ضياء القمر .

ومن أعاجيبها أنّها تضخَم وتجسُم وتقبلُ الشَّحم[٥] على الكبر وعلى السنّ .

(القدرة التناسلية لدى بعض الحيوان)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ الكلابَ السلوقيَّةَ كلما دخلتْ فى السنِّ كان أقوى لها عَلَى المعاظلة .

وهذا غريبٌ جدا ، وقد علمنا أنّ الغلام أحدُّ ما يكون وأشبَقُ وأنكحُ وأحرصُ ، عندَ أوّل بلوغه . ثم لا يزالُ كذلك حتى يقطعه الكبر [أو إصفاء] أو تعرض له آفة[٦] .

ولا تزال الجاريةُ من لدُنْ إدراكها وبلوغِها وحركة[٧] شهوتها عَلَى شبيه بمقدارٍ واحد من ضعف الإرادة . وكذلك عامَّتهنّ[٨] . فإذا اكتهلن

(١) ط ، س : « الخفاش » .

(٢) ط ، س : « والصبر » .

(٣) ط : « فتقول » س : « فنقول » ، صوابه فى ل .

(٤) ل : « العمر » ، صوابه فى ط ، س .

(٥) ل : « اللحم » .

(٦) ل : « حتى يعطفه الكبر » . والإصفاء : نفاد الماء . وكلمة « له » ساقطة من ل .

(٧) ط ، س : « وحدة » صوابه فى ل .

(٨) ل : «علامتهن» ، وتصحيحه من ط ، س .

وبلغت المرأة حدّ النَّصَف[١] فعند ذلك يقوى عليها سلطانُ الشَّهوةِ والحرصِ على الباهِ ؛ فإنّما تهيج الكهلة عندَ سُكونِ هيْج الكهل[٢] وعند إدبار شهوته ، وكلالِ حدِّه .

(قول النساء وأشباههنّ فى الخفافيش)

وأما قول النّساء وأشباه النساء فى الخفافيش ، فإنهم يزعُمون أنّ الخفاش إذا عضّ الصبىّ لم ينزِعْ سِنّه من لحمه حتى يسمعَ نهيقَ حِمارٍ وحشىٍّ[٣] . فما أنسَى فزَعى مِن سِنٍّ[٤] الخفّاش ، ووَحشتى من قربه ! إيماناً بذلك القول ، إلى أن بلغت .

وللنساء وأشباه النساء فى هذا وشبهه خرافاتٌ ، عسى أن نذكر منها شيئا إذا بلغنا إلى موضعه [إن شاء الله] .

(ضعف البصر لدى بعض الحيوان)

ومن الطير [و] ذواتِ الأربع ما يكون فاقد[٥] البصر بالليل ، ومنها ما يكون سَيِّئَ البصر . فأمّا [قولهم] : إنَّ الفأرة والسنّورَ وأشياءَ أُخَرَ أبصرُ بالّليل ، فهذا باطل[٦] .

---

(١) النصف ، بالتحريك : ما بين الشابة والكهلة ، ويقدر عمرها بخمس وأربعين سنة .

(٢) الكهلة ، هى فى ط ، س : « الشهوة » ، والوجه ما أثبت من ل . « هيج » هى فى ط : « تهيج » .

(٣) ل : « حمار وحش » ، وهما وجهان صحيحان .

(٤) ل : « من مس » ، وأثبت ما فى ط ، س .

(٥) كذا على الصواب فى س . وفى ط : « ناقد » وفى ل : « نافذ » . وانظر سياق الكلام .

(٦) ليس يناقض هذا القول ما سبق فى ٢٣٧ س ١٣ .

والإنسان رديء البصر باللَّيل ، والذى لا يبصر منهم [1] باللَّيل تسمِّيهِ الفرْس شَبْ كُور [2] وتأويلُهُ أنَّهُ أعْمَى لَيْلٍ [3] ، وَلَيْسَ لَهُ فِى لُغَةِ العَرَبِ اسم أكْثَرُ مِنْ أنَّه يُقالُ لِمَنْ لا يُبْصِرُ باللَّيل [بعينيه] : هُدَبِد [4] . ما سمعتُ إلاَّ بهذا ؛ فأمَّا الأغطش [5] فإنَّه السَّيِّئُ البصر بالليل والنهار جميعاً .

وإذا كانت المرأة مُغْرَبَةَ الْعَيْنِ [6] فكانت رديَّة البصر ، قيل لها : جَهْرَاء . وأنشد الأصمعىُّ فى الشاء [7] :

جهراء لا تألو إذا هى أظهَرَتْ   بَصَرًا ولا مِنْ عَيْلَةٍ تُغنينى [8]

---

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) هذه الكلمة مكونة من مقطعين ، أولهما « شب » بفتح الشين ومعناه الليل . والآخر : « كور » بضم الكاف ، ومعناه الأعمى . عن معجم Palmer ، والألفاظ الفارسية ٩٨ . ط : « بشكور » س : « سيكون » محرفتان صوابهما فى ل وقد زيد فى ل ألف بعد الراء ، مع أن المراد حكاية قول الفرس . وكتبت كذلك متصلة « شبكورا » والوجه فصلها كما ذكرت ، وكما فى القاموس المحيط والمعجم السابق . وقد اشتق العرب منها مصدراً فقالوا : « الشبكرة » أرادوا بها العشاء . وفى اللسان : « المفضل : الهدبد : الشبكرة . وهو العشاء يكون فى العين » .

(٣) ط ، س : « أعمى بالليل » .

(٤) ط ، س : « هديد » صوابه فى ل . وهم يسمون الداء نفسه أيضاً « الهدبد » وكانوا إذا أصاب أحدهم ذلك عمد إلى سنام فقطع منه قطعة ، ومن الكبد قطعة وقلاهما ، وقال عند كل لقمة يأكلها ، بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبابته :

فياسناما وكبد   ألا اذهبا بالهدبد
ليس شفاء الهدبد   إلا السنام والكبد

ويزعمون أنه يذهب العشاء بذلك . انظر بلوغ الأرب (٢ : ٣٤٠) .

(٥) س : « الأعكش » ، صوابه فى ل ، ط .

(٦) مغربة ، بفتح الراء : بيضاء . ط ، س : « مقربة » ، وصوابه فى ل . و « العين » هى فى ط : « العنق » محرفة .

(٧) ط ، س : « فى غير النساء » وأثبت ما فى ل . والبيت الآتى قاله أبو العيال الهذلى ، يصف منيحة منحه إياها بدر بن عمار الهذلى . انظر بقية أشعار الهذليين ١٣٠ .

(٨) كلمة « هى » ساقطة من ط ، س . « بصرا » هى فى ط ، س : « نظراً » .

وذكروا أنَّ الأجهر الذى لا يبصر فى الشمس[1] . وقوله لا تأْلو أى لا تستطيع . وقوله أظهرت : صارت فى الظهيرة . والعَيْلة : الفقر . قال : يعنى به شاة[2] .

وقال يحيى بن منصور ، فى هجاء بعض [آل] الصَّعِق :

يا ليتنى ، والمنى ليستْ بمغْنِيةٍ ، كيفَ اقتصاصك من ثأْرِ الأحابيش[3]

١٦٨ أتنكحون مواليهم كما فَعلوا أمْ تَغْمِضُون كإغماضِ الخفافيش[4]

وقال أبو الشمقمق ، وهو مرْوان بن محمد[5] :

أنا بالأهواز محزونٌ وبالبَصْرَة دارِى[6]

فى بنى سعدٍ وسعد حيثُ أهلى وقَرارى

صرتُ كالخفاش لا أُبْصِرُ فى ضوء النهار[7]

وقال الأخطل التغلبىّ :

وَقد غَبَرَ العَجْلانُ حيناً إذَا بكى عَلَى الزَّادِ ألقته الوليدة فى الكِسرِ[8]

---

(١) ل : « أن الجهراء التى لاتبصر فى الشمس » .

(٢) ط ، س : « نساهه » ، صوابه فى ل .

(٣) ط ، س : « من نار » ، صوابه فى ل . والأحابيش : طائفة من قريش ، هم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة .

(٤) ل : « تنحضون كإنحاض » ، صوابه فى ط ، س .

(٥) تقدمت ترجمته فى (١ : ٢٢٥) . ل : « وقال مروان بن محمد هذا أبو الشمقمق الغث البارد » .

(٦) ل : « مخزون » .

(٧) كذا على الصواب فى ل . ط : « إلا فى النهار » ، س : « إلا فى نهارى »

(٨) ألقته : أى الزاد . والكسر ، بالكسر : جانب البيت . وفى شرح الديوان ١٢٩ : « الهاء فى ألقته عائدة إلى العجلان » ، ولعل وجه التفسير ما ذكرت .

فيصبح كالخُفَّاش يدلك عينَه فقبِّحَ من وجهٍ لئيمٍ ومن حَجْرِ[١]

وقالوا : السحاة مقصورة : اسم الخفاش[٢] ، والجمع سحاً[٣] كما ترى .

(لغز فى الخفاش)

وقالوا فى اللُّغز ، وهم يعنون الخفّاش :

أَبَى شُعَرَاءُ النَّاسِ لا يُخبرونَنى وقد ذَهَبُوا فى الشِّعر فى كلِّ مذهبِ[٤]

بجلدةِ إنسانٍ وصُورَةِ طائرٍ وأظْفَارِ يَرْبُوعٍ وَأنيابِ ثعلبِ[٥]

(النَّهى عن قتل الضفادع والخفافيش)

هشامٌ الدَّسْتَوائِىُّ[٦] قال : حدَّثنا قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن عبد الله بن عمر أنّه قال : « لاتقتلوا الضَّفادِعَ فإنَّ نقِيقَهُنَّ تسبيح . ولاتقتلوا الخُفَّاش فإنَّه إذاخرب بيت المقْدِس قال : يارَبِّ سلِّطنى على البحرِ حتَّى أغرقَهم » .

---

(١) الحجر بالفتح ، قال ابن الأعرابى : « أراد محجر العين » . ومحجر العين : مادار بها من العظم . ط : « من وجهه » محرفة . ل : « لعين » بدل « لئيم » وما أثبت من ط ، س واللسان (مادة حجر) .

(٢) ط ، س : « اسمع الخفافيش » صوابه فى ل . ل : « وقال : السحاة » الخ .

(٣) سحا ، بفتح السين ، ويقال سحاء بكسرها مع المد . اللسان ، والمقصور والممدود .

(٤) ط ، س : « أيا » ل : « أبا » ، صوابه فى نهاية الأرب (١٠ : ٢٨٤) . وفيها أيضاً : « علماء » مكان « شعراء » ط ، س : « تخبروننى » ، صوابه فى ل . وفى نهاية الأرب : « أن يخبروننى » وما هنا أجود . وفيها أيضاً : « وقد ذهبوا فى العلم » .

(٥) اليربوع : حيوان طويل الرجلين قصير اليدين ، على العكس من الزرافة ، له ذنب كذنب الجرذ يرفعه صعدا ، فى طرفه شبه النوارة ، لونه كلون الغزال .

(٦) هو أبو بكر هشام بن أبى عبد الله سنبر — كجعفر — الدستوائى البصرى البكرى . وكان يرمى بالقدر . روى عن قتادة ، وروى عنه يحيى القطان . ونسبته إلى بيع =

حماد بن سلمة[1] قال : حدَّثنا قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، قال : قال عبد الله بن عمر : « لا تقتلوا الخُفَّاش ؛ فإنّه استأذَنَ فى البحر[2] : أنْ يأخذ من مائه فيطفىء نار بيت المقدسِ حيثُ حرق . ولا تقتلوا الضِّفادعَ فإنَّ نقيقها تسبيح » .

[قال] : و [حدثنا] عثمان بن سعيد القرشى[3] قال : سَمعت الحسن يقول : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الوَطْوَاطِ ، وأمر بقتل الأوزاغ » .

قال : والخفاش يأتى الرُّمّانة وهى على شجرتها ، فينقب عنها[4] ، فيأكل كلَّ شىءٍ فيها حتى[5] لا يدع إلاّ القشر وحده . وهم يحفظون الرُّمَّان من الخفافيش بكلِّ حيلة .

= الثياب الدستوائية ، التى كانت تجلب من دستوا ، بفتح الدال والتاء بينهما سين ساكنة ، وهى من بلاد فارس . مات سنة ١٥٢ أو ١٥٤ وله ثمان وسبعون سنة . ط : « صاحب الدستواى » . والكلمة الأولى صحيحة ، يقال : الدستوائى ، وصاحب الدستوائى ، كما فى تذكرة الحفاظ للذهبى (١ : ١٥٥) . وأما الكلمة الثانية فهى تحريف ما أثبت من ل ، س والمعجم والمعارف ٢٢٣ والتهذيب وتذكرة الحفاظ . وانظر الخبر فى (٥ : ٥٣٦) .

(١) حماد ، هذا ، هو ابن سلمة بن دينار البصرى ، كان من ثقات رواة الحديث . ويقال : إنه كان عالما بالنحو والعربية ، وإن سيبويه استملى عليه . توفى سنة ١٦٤ أو ١٦٧ . ط ، ش : « حماد عن سلمة » صوابه فى ل وتقريب التهذيب والمعارف ٢٢٠ . ل : « قال وحدثنا حماد بن سلمة » . وفى العبارة نظر .

(٢) ل : « استأذن البحر » .

(٣) ط : « عثمان بن سعد القرشى » ، صوابه فى ل ، س وتقريب التهذيب .

(٤) ل : « فيثقب عليها » .

(٥) إلى هنا ينتهى الجزء الثالث من نسخة كوبريلى ، المشار إليها برمز « ل » .

قال : ولحوم الخفافيش موافقةٌ للشواهين والصُّقورة والبوازى[١] ، ولكثير من جوارح الطير ، وهى تسمن عنها ، وتصحّ أبدانُها عليها . ولها فى ذلك عملٌ محمودٌ نافعٌ عظيمُ النَّفْع ، بيِّنُ الأثر . والله سبحانه وتعالى أعلم .

تمَّ المصحف الثالث من كتاب الحيوان

ويليه المصحف الرابع

[وأوله[٢]] فى الذَّرّ

---

(١) ط ، س : « قال والبازى » . وصوابه من نهاية الأرب (١٠ : ٢٨٤) .

(٢) ليست بالأصل .



تذييل واستــــدراك

صفحة	سطر	
٢٠	٤	« كُسير وعوَير » . هو مثل عربىّ قديم . وهو بتمامه : « كُسَير وعُوَير وكلٌّ غيرِ خير » . أصله أن امرأة منهم تزوجها أعور فولدت منه خمسة ، ثمَّ طلَّقها فتزوّجت آخرَ ظهر أنّه أعرج . فقالت المثل المذكور . يُضرَب فى الشيء يكره ويذمٌّ من وجهين . كذا فى أمثال الميدانى ، ولكن المناسب هنا ماقال العسكرىُّ فى جمهرة الأَمثال ١٦٥ : « يُضرَب مثلا فى الخلَّتين المكروهتين ، والرَّجُلين الرَّدِيَّيْنِ » . ونصُّ المثل عنده كما عند الميدانى . وصاحب معجم البلدان رواه : « كُسَير وعوير وثَالثُ ليس فيه خيْرٌ » ، ورأى أنّ كُسيراً وعويراً جبلان فى البحر ، بين البصرة وعُمَـان يشفقون عَلَى المراكِبِ منهما . انظر فيه « كسير » و « عوير »
٩١	٤	معنى هذا البيت مأخوذ من قول أحد الحكماء اليونانيين ، حين وقف يؤبن الاسكندر ، أو الموبذ حين كان يرثى قباذ الملك : « كان أمس أنطقَ منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس » انظر المراجع التى أشرنا إليها فى التعليق ، وكذا مروج الذهب (٢ : ٣٦٨) والمستطرف (٢ : ٢٩٤)
١٠١	٢	« بجوع » هى كذلك فى ط، س . وفى ل : « بجّوخَى » ، وهما موضعان ، أحدهما « جوخاء » بالفتح والمدّ : موضع بالبادية فى ديار بنى عجل كان يسلكه حاجّ واسط ، وقد قصره بعض الشعراء.

صفحة	سطر	
		والثانى جُوخَى بالضم والقصر : اسم نهر عليه كورة واسعة فى سواد بغداد . انظر معجم البلدان
١٧٠	١	سألت حضرة المحقق الكبير الأب أنَستاس مارى الكرملى عن « أبى ريانوس » فكتبَ إلى : « هو على الحقيقة : (أبيرْيُونِيـــدِس) أى منســوب إلى : Hyperion المسمّى أيضاً : Helios ، أى الشمس ، وتلفظ « عاليوس » . وما «عاليوس » إلا «عالى» أو «عالٍ» كسعت بعلامة الإعراب فى كلام اليونان . ويطلق هذا اللفظ على كل مايرادوصفه بالعلو أو الطول أو الارتفاع. فالدجاج «أبى ريونوس»أو«أبيريونوس» هو ما يسمّيه اليوم العراقيون بالدجاج الهَرَاتى بمعنى الهَرَوىّ ؛ لأن ديكتها جلبت من هراة ، المشهورة بحسن دجاجها وعلوها وكبرها . فالكلمة إذن يونانية وقد صحفها النساخ لجهلهم إياها .
١٨٧	٩	« الطبرزين » قال العلامة الآب أنستاس : ليس فى العربية طائر باسم طبرزين . والاسم الصحيح هو « طبرادران » وأصح منها بالدال ، أى «دُبْرَادران» أو « دُبرادَران» ومعناهما الأخَوَان ؛ لأن « دو » بالفارسية معناها اثنان ، و « بَرَادر » الأخ ، و «ان» للجمع أو للتثنية ؛ إذ لا فرق عند الفرس بين المثنى والجمع . والحمام لايخاف الدبرادران ولا الكركىّ ، كما هو مقرر فى علم الطير . واسم الدبرادران العربىّ هو الزُّمَّج ، وسمّاه الفرس ما معناه الأخوان ؛ لأنّه إذا عجز عن صيده أعانه أخوه على أخذه ، واسمه

صفحة سطر

بلسان الغربيين من الإنجليز: Goshawk وبالفرنسية : Autour ؛

٣٧٠ ٣، ٤ كنت قد كتبت إلى المحقق الأب أنستاس مارى الكرملى لتحقيق هذه الكلمات الواردة فى عوالم المجوس ، فكتب إلى فى ٣٩/٨/٢٧ ما نصه : « وعندى أن هذا المجوسىّ استعمل ألفاظاً يونانية فى كلامه ، تعميةً للأبصار ، وغشاوة للأفكار ، وتبياناً للباحثين ، أنه على صلة دائمة بعلوم اليونانيين ، ووقوفِه وقوفاً تاماً على مصطلحاتهم وأوضاعهم ، مع أنك لو تدبّرتَ أحسنَ تدبُّر هذه الأوضاعَ التى نفثها صدره ، أو سمعها سماعاً من أحد أبناء مذهبه من أهل التلفيق والتمويه ، لشَفَّت لك عن كذبها وزورها وزيفها ، وبانت لك الحقيقة بثوبها الذى ألبسَتْه .

ونحن نؤيد لك صدق كلامنا هذا ، بنقل تلك الحروف على ما هى فى اليونانية ، مع دقة ضبطها العَرَبى والغرْبى وشرح معانيها ، فنقول :

١ ــ أبُو سَالُس : hyposalos أى تحت البحر ، وهو أقرب عالم إلى أرضنا .

٢ ــ أبَرْمَا كِس : hyhermakèc أى العالم الممتد امتداداً فاحشاً .

٣ ــ أُبَرِيدُس : hyperèdus أى الطيب فى النهاية ، أو الطيِّب غاية الطيب .

صفحة سطر

٤ ـ كارِس : kherès أى السيىء الممقوت .

٥ ـ حَرِيرهْ آمِنِس : arèra amenès أى المناسب الحوار .

وزاد بعض علمائهم من فرقة أخرى أَسرِس asyrès أى النجس.

ومنهم من زاد على هذه العوالم الستة عالما سابعاً ليقابل بهذه العوالم السبعة سبعة عوالم السماء المعروفة بالسيارات السبعة أو الأفلاك السبعة ، وسمَّوه : أَبُوجَايُوس : hypogaios أى العالم الذى تحت الأرض .

الأب أنستاس مارى الكرملى

القاهرة فى ٣٩/٨/٢٧.

٣٧٤ ٩ قال البيرونى فى كتاب (الجماهر) عند الكلام على الألماس : « وشبهه الكندى بالزجاج الفرعونى » انظره ص ٩٣ . وكلمة « الألماس » هى الوجه فى « الماس » . وللمحقق الكبير الأب أنستاس بحث ممتع فى تحقيق هذه الكلمة . انظر نخب الذخائر ص ٢٠ . ويظهر لى أن المراد بالزجاج الفرعونى هو الألماس الصناعى . وانظر التبصر بالتجارة للجاحظ ص ١٦ .

٤١٤ ٤ كلمة « ميسر » جاءت فى الأصل هكذا ، والمعنى مستقيم بها . ومثلها فى (٤ : ٨٥ س ٩) . وهى تنظر إلى الحديث المشهور : « اعملوا فكلٌّ ميسَّر لما خلق له » . انظر الجامع الصغير ١٢٠٢. ولا موجب للقول بأنها « مسيَّر » .

صفحة	سطر	
٤٥٢	٤	« فقلت لبقّار » كلمة « بقار » ذات مغزًى خاصٍّ فى التشاؤم وتجد فى نهاية الأرب (٣: ١٣٦) هذه العبارة : « وإن خرج فلقى بقرا فليرجع »، يريد أن البقر مما يتشاءم به ، وهذا النصّ نقله النويريُّ عن الجاحظ . انظر باب الزجر فى نهاية الأرب (٣ : ١٣٤–١٤٣) .
٤٥٨	٢	الأُتْرُجُّ : ضرب من الفاكهة يكثر بأرض العرب ، وهو مما يغرس غرسا ولا يكون بريًّا ، وقد تبقى شجرته عشرين سنة ، وهو صنفان : تفه وحامض، وهو أبيض الجوف أصفر القشرة ، فيه يقول أبو القاسم الزاهى : وذات جسم من الكافور فى ذهب دارت عليه حواشيه بمقدار كأنها وهى قُدّامى ممثلة فى رأس دوحتها تاج من النار ويقول آخر : يا حبذا أترجّة تحدِث للنفس الطرب كأنها كافورة لها غشاءٌ من ذهب ويسمَّى أيضاً « تفاح ماهى » وتفاح مائى . واسمه العلمى : Citrus medica Risso . ورواية البيت الثانى فى حلبة الكميت ٢٦٤ ونهاية الأرب (١١ : ١٨٣) تشبه رواية العقد : خاف التلوُّن إذ أتته لأنها لونان باطنها خلاف الظاهر

صفحة سطر

ويشبه هذين البيتين ما قيل فى التطير من السفرجل (حلبة الـكميت ٢٥٨) :

أهدى إليه سفرجلا فتطيَّرا   منــه فظلَّ نهارَه متحيِّرَا

خاف الفراق لأن شطر هجائه   سَفَرٌ وحُقَّ له بأن يتطيَّرا

٤٧٤ ١١ « حتَّى إذا طعنوا » هكذا جاءت الرواية فى ط ، ش ، ل ، وكذا العمدة (٢ : ٢٠) والوساطة ٤٤ . والأجود من هذه الرواية رواية الديوان ص ٤١ وعيون الأخبار (١ : ١٩٠) والعمدة (٢ : ٢٢٠) ونقد النثر ص ٩٠ : « حتى إذا طعنوا » . قال الشنتمرىُّ فى تأويل البيت : « يقول : إذا ارتمى الناس فى الحرب بالنبل دخل هو تحت الرمى فجعل يطاعنهم ، فإذا تطاعنوا ضارب بالسيف ، فإذا تضاربوا بالسيوف اعتنق قِرنَه والتزمه » .

٤٧٦ ٤ ش تاء الافتعال إذا وردت بعد الثاء المثلثة ، كان لك فيها أوجه ثلاثة : أولها البيان ، وهو الأصل . وثانيها تحويلها مع الثاء إلى تاء مثناة مدغمة . وثالثها تحويلهما إلى ثاء مثلثة مدغمة . وتقول فى الافتعال من « ثأر » : اثتأر ، واتّأر ، واثّأر . وفى مفتعل من « ثرد » مثترد ، ومثّرد ، ومتّرد . انظر شرح المفصل لابن يعيش (١٠ : ١٨٤ س ٢٦–٣٠) .

٤٨٧ ٣ « خيزران ريحها عبق » هذه رواية ط ، ش وكذا ديوان الفرزدق من خمسة دواوين العرب ١٩٩ وعيون الأخبار (١ : ٢٩٤) .

صفحة سطر

وأنّث الخيزران لتقدير : « عصا خيزران » . والرواية المعروفة « ريحه عبق » وهى رواية ل . وانظر ص ١٣٣ .

٤٩١ ٦ « نواكس » : جمع ناكس ، وهو من الجمع الشاذّ . وقد أسهب البغدادى فى الحديث عن نحو هذا الجمع فى الخزانة (١ : ١٩٠ – ١٩٥ سلفية) . وفى مجلة الرسالة العدد ٣١٥ ص ١٣٩٤ بحث قيم ، واستدراك طيِّب لهذا الشذوذ الصرفى .

٤٩٣ ١٠ ش « فاستجودها » كذا جاءت العبارة فى كلام حمزة بن الحسن الأصبهانى فى ديوان أبى نواس ١٣٢ ، والقياس والمعروف : « استجادها » ، كما أن المسموع من الشاذ « أجوده » أى وجده جيداً . انظر شرح الشافية للرضى ١٩١ .

٥٣٧ ٤ ش وجاء أيضاً فى تهذيب الكمال ج ١١ من مخطوطة دار الكتب المصرية (٢٥ مصطلح) فى ترجمة هشام الدستوائى : « ودستوا : كورة من كور الأهواز ، كان يبيع الثياب التى تجلب منها فنسب إليها . ويقال له صاحب الدستوائى أيضاً » .

كتبه

مصر الجديدة فى { ٢٠ من رمضان من سنة ١٣٨٥ / ١٢ من يناير من سنة ١٩٦٦ } عبد السلام محمد هارون

أبواب الكتاب

صفحة

مكتبة الجاحظ
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول

الحيوان

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى نظمها المجمع اللغوى ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء الرابع

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
عباس ومحمد محمود الحلبى وشركاهم - خلفاء





تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الرابع

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م

تنبيه :

كل تكملة موضوعة بين معقفين فى هذا الجزء خاصة ، متروكة بدون تعليق وتنبيه ، فهى من النسخة الشنقيطية المرموز لها بالرمز (س) .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى اللهُ على سيِّدِنا مُحمّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبه وسلَّم

نَبدأ فى هذا الجزءِ ، بعَوْنِ اللهِ وتأييدِه ، بالقول فى جُمْلة الذّرّة والنملة ، كما شرَطنا به آخِرَ المصحَفِ[1] الثَّالث . ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا بِاللهِ العلىِّ العظيم[2] .	٢

(خصائص النملة)

قد علمْنا أنْ ليس عندَ الذَّرّةِ غَناءُ الفرَسِ فى الحرب ، والدَّفْع عن الحريم . ولكنّا إذا أردْنا موضِعَ العجَبِ والتَّعجيب ، والتَّنْبيهَ على التدبير ، ذكرنا الحسيسَ القليلَ ، والسَّخيفَ المَهِين ؛ فأرَيْناكَ ما عنده من الحِسِّ اللطيفِ والتَّقْديرِ الغريب ؛ ومِنَ النَّظر فى العواقب ، ومشاكلةِ الإنسان ومزاحَمَتِه .

والإنسانُ هو الذى سُخِّر له هذا الفَلَكُ بما يشْتمل عليه .

وقد علِمْنا أنَّ الذَّرَّةَ تدّخرُ للشتاء فى الصَّيف ، وتتقدَّمُ فى حال المُهلةِ ، ولا تُضيعُ أوقاتَ إمكانِ الحزم . ثم يبلغ [من][3] تفقُّدها وحُسْنِ خُبرِها ، والنَّظَرِ فى عواقبِ أمْرها ، أنها تخافُ على الحبوب التى ادَّخَرَتْها للشّتاءِ

(١) س ، ه : « الجزء » . وما أثبت من ط هو ما اختاره الجاحظ فى تسمية أجزاء هذا الكتاب . انظر تقديم الكتاب ص ٢٨ فى صدر الجزء الأول .

(٢) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٣) الزيادة من س ، ه وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد (٣ : ١٩٩) .

فى الصيف ، أنْ تعفَنَ وتُسَوِّسَ[1] ، ويقبَلَهَا بطنُ الأرض ؛ فتخرِجُها إلى ظهرها ؛ لتُيبِّسها وتُعيدَ إليها جَفوفها[2] ، وليضربَها النَّسِيمُ وَينفىَ عنها اللَّخَنَ والفَساد .

ثمَّ ربّما كان ـ بل يكون[3] أكثرَ مَكانُها نَدِيًّا . و [إنْ[4]] خافتْ أن تنبت نَقَرتْ موضع القِطْمِير[5] من وسط الحبّة ، وتعلم أنّها من ذلك الموضع تبتدئُ وتنبتُ وتنقلب ، فهى تفلق الحبّ كلَّه أنصافاً . فأمّا إذا كان الحب من حبِّ الكزبُرة[6] ، فلقته أَرباعاً ؛ لأنَّ أنصافَ حبِّ الكزبرة ينبت مِنْ بين جميع الحبوب . فهى على هذا الوجه مجاوزةٌ لفِطنةِ جميع الحيوان ، حتَّى ربَّمَا كانت فى ذلك أحزمَ مِن كثيرٍ من الناس .

ولهـا مع لطافة شخْصِها وخِفَّة وزنها ، فى الشمِّ والاستِرواح[7] ما ليس لشىءٍ .

٣ وربَّما أكلَ الإنسانُ الجرادَ أو بعضَ ما يشبه الجرادَ ، فتسقط[8] من يدِه الواحدةُ أو صدرُ الواحدة ، وليس يرى بقُربِهِ ذَرَّةً ولا له بالذَّرِّ عَهْدٌ

---

(١) يقال : ساس الطعام يساس سوسا ، بالفتح ؛ وسوس كسمع ، وسيس كقيل ، وسوس بفتح السين وتشديد الواو المفتوحة .

(٢) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، هـ : « ليبسها ويعيد إليها جفوفها » .

(٣) س : « لكون » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ١٧٥) .

(٥) القطمير : شق النواة ، وهو يريد هنا شق كل حبة . ط ، هـ : « أن ينبت بقرب » وأثبت ما فى س .

(٦) الكزبرة والكسبرة ، بضم الكاف والباء فى كل منهما – وقد تفتح الباء – : ضرب من الأبازير معروف .

(٧) الاسترواح : التشمم .

(٨) س : « فيسقط » .

فى ذلك المنزِلِ ، فلا يلبثُ أن تقبِل ذَرَّةٌ قاصدةٌ إلى تلك الجرادة ، فترومَها وتحاولَ قَلْبها ونقلها ، وسحبها وجرَّها ، فإذا أعجزَتْها بَعْدَ أنْ بَلَغَتْ عُذرًا ، مَضَتْ إلى جُحرِها راجعةً ، فلا يلبَثُ ذلك الإنسانُ أنْ يراها قد أقبَلَتْ ، وخَلفَها صُوَيْحِباتها كالخيطِ الأسْوَدِ الممدُود ، حتى يتعاوَنَّ عليها ، فيحملنها .

فأوَّلُ ذلك صِدْقُ الشَّمّ لما لا يشَمُّه الإنسانُ الجائع . ثمَّ بُعْدُ الهِمّةِ ، والجراءةُ على محاولةِ نقل شيءٍ فى وزْنِ جسمِها مائةَ مرَّة ، وأكثَرَ من مائةِ مرّة .

وليسَ شيءٌ من الحيوان يقْوَى على حمْلِ ما يكونُ ضعف وزنه[1] مراراً غيرَها . وعَلَى أنَّها لا ترضى بأضْعافِ الأضعافِ ، إلّا بَعدَ انقطاعِ الأنفاس .

(كلام النمل)

فإنْ قلت : وما علَّم الرَّجُلَ أنَّ الَّتى حاولتْ نَقْل الجرادَةِ فعجَزَت ، هى التى أخبَرَتْ صُوَيْحِباتِها من الذرّ ، وأنها كانت على مقدَّمتهن ؟ قلنا : لِطُول التَّجرِبة ، ولأنّا لم نرَ ذَرَّةً قط حاولَتْ نقْلَ جرادةٍ فعَجَزتْ عنها ، ثم رأيناها راجعةً ، إلّا رأينا مَعها مِثْلَ ذلك ، وإنْ كنَّا لا نَفْصِلُ فى العينِ بَيْنَها وبَيْنَ أخوَاتِها ؛ فإنَّه ليس يقَعُ فى القلبِ غيرُ الذى قلْنا . وَعَلَى أنَّنا لم نرَ ذرَّةً قَطُّ حملت شيئاً أو مَضت إلى جُحرِها فارغةً ، فتلقاها

---

(١) ط ، ه : « ضعفه » .

ذَرّةٌ ، إلّا واقفتْها ساعة وخبّرتْها بشيء . فدلَّ ذلك على أنَّها فى رجوعِها عن الجرادة ، إنّما كانت لأشْباهِها كالرّائدِ لا يكذِبُ أهلَهُ (١) .

ومن العجَب أنّكَ تُنْكِرُ أنَّها توحى إلى أخْتِها بشيء ، والقرآن قد نطقَ بما هو أكثرُ من ذلك أضعافا . وقال رُؤْبة بن العجّاج (٢) :

لو كنْتُ عُلِّمْتُ كلامَ الحُكْلِ (٣) ... عِلْمَ سُلَيْمانَ كلامَ النَّمْلِ

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ حَتَّى إذا (٤) أتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ (٥) سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ

(١) الرائد : من يرود الكلأ والمنزل : أى ينظره ويطلبه ويختار أفضله . والعبارة إشارة إلى المثل المعروف : « الرائد لا يكذب أهله »، يضرب للذى لايكذب إذا حدث . وإنما قيل ذلك للرائد لأنه إن لم يصدقهم فقد غرر بهم .

(٢) كذا جاءت النسبة فى الصحاح وثمار القلوب ٣٤٩ ، ٥١٥ وأمثال الميدانى (١ : ٤٥٤ ، ٢ : ٨٥) وبلوغ الأرب (٣ : ٢٢٠) وستأتى أيضاً فى ص ٢٣ . لكن قال ابن برى : « الرجز للعجاج » . انظر اللسان (حكل) . ومثل هذه النسبة عند الدميرى (حسل) .

(٣) ابن برى : « صوابه : أو كنت ». وقبله :

تسألُنى من السِّنينَ كمْ لِى ... فقلتُ : لو عُمِّرتُ عُمرَ الحِسْلِ

وقد أتاه زمن الفِطَحْلِ ... والصَّخْرُ مبتلٌّ كطين الوحلِ

أو كنت قد أوتيت علم الحكل ... كنتُ رهينَ هَرَمٍ أو قتلِ

والحكل من الحيوان، بالضم : مالايسمع له صوت، كالذر والنمل . والحسل ، بالكسر : ولد الضب ، زعم الأصمعى أنه يبلغ مائة سنة ثم يسقط سنه ، فعند ذلك يسمى ضبا. انظر ثمار القلوب ٣٣٢ .

(٤) فى الأصل : « فلما أتوا » . وهو تحريف من الناسخين، وستأتى صحيحة فى ص١٥ ، ٢٠ وقد اتفق السبعة على القراءة المثبتة .

(٥) تحتمل أن تكون جوابا للأمر ، وأن يكون نهيا بدلا من الأمر . والمعنى لاتكونوا حيث أنتم فيحطمنكم ، على طريقة : لا أرينك هنا .

وهُمْ لا يَشْعُرُونَ . فَتَبسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشكُرَ نِعمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ . فقد أخبر القرآنُ أنها قدْ عرفتْ سليمانَ وَأَثْبَتَتْ عينَــهُ[1] ، وأنَّ علمَ منطقها عندَه ، وأنها أمرتْ صُوَيحباتها[2] بما هو أحزَم وأسلم . ثمَّ أخبَرَ أنها تعرفُ الجنودَ من غير الجنود ، وقد قالت : ﴿ وهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ . ونَخَالُكَ أيها المنكِرُ تبسُّمَهُ بحالهنَّ[3] ، أنَّك لم تعرفْ قبْلَ ذلك [الوقتِ وبَعْدَهُ ، شيئاً مِنْ هذا الشكل من الكلام ، ولا تدْبيراً في هذا المقدار . وأمَّا ما فوقَ ذلك فليس لك أن تدَّعِيَــه . ولكن ، ما تنكِرُ من أمثاله وأشباهه وما دُونَ ذلك ، والقرآنُ يدلُّ على] أنَّ لَهَا بياناً ، وقولاً ، ومنطقا يَفصِلُ بينَ المعاني التي هي بسَبيلها ؟ ! فلعلها مكلَّفة ، ومأمورةٌ منهيَّة ، ومُطِيعةٌ عاصية . فأوَّل ذلك أنَّ المسألةَ من[4] مسائلِ الجهالاَت ، وإنَّ مَنَ دخلَتْ عليه الشُّبهة من هذا المكانِ لَنَاقِصُ الرَّوِيَّة[5] رَدِئُّ الفِكْرة[6] . وقد علمنا ، وهم ناس ولهم [بذلك] فضيلةٌ في الغريزةِ وفي الجنسِ والطَّبيعة . وهم ناسٌ إلى أن ينتهوا إلى وقت البلوغِ ونزولِ الفرْض[7] حتَّى لو وَرَدَتْ ذرَّة لشربتْ مِنْ أعلاه .

٤

(١) أي ذاته . ط ، ه : « فأثبت » .

(٢) س : « صواحباتها » على طريقة جمع الجمع .

(٣) كذا في س . أي تبسم سليمان بما رأى من حال النمل . ط ، ه : « تشبه بحالهن » .

(٤) ه ، ط : « عن » . وأثبت مافي س .

(٥) الروية : النظر والتفكير . ط ، ه : « الناقص الرؤية » صوابه في س .

(٦) في الأصل : « ودنى الفكرة » ، ولعل صوابه ما أثبت .

(٧) ط ، ه : « الغرض » محرف . وفي العبارة وسابقتها ولاحقتها اضطراب .

(شعر فيه ذكر النمل)

وقال أبو دهْبَلٍ[1] :

آبَ هــذا اللَّيلُ فاكتَنَعا ... وأمَرَّ النَّــومُ فامتَنَعَا[2]

فى قِبابٍ وَسْـطَ دَسْكَرَةٍ ... حَوْلَهَا الزَّيْتون قد يَنَعَا[3]

[ولهــا بالماطرون إذا ... أكلَ النملَ الذى جَمعَا[4]]

خــرْفةٌ ، حتى إذا ارتَبَعَتْ ... سَكنتْ مِنْ جِلَّقٍ بِيَعَا[5]

---

(١) اسمه وهب بن زمعة الجمحى ، وفى الأغانى (٦ : ١٥٠) أنه قال الشعر فى آخر خلافة على . ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير . وقد كان ابن الزبير ولاه بعض أعمال اليمن . وأنه كان سيداً شريفاً ، يحمل الحمالات ، ويعطى الفقراء ، ويقرى الضيف . . . وقد انفرد الجاحظ بنسبة الأبيات الآتية إلى أبى دهبل . والصحيح أنها ليزيد بن معاوية ، يتغزل بها فى نصرانية كانت قد ترهبت فى دير خراب ، عند الماطرون . انظر الكامل ٢١٧ ليبسك وخزانة البغدادى (٣ : ٢٧٩ بولاق) ومعجم ياقوت (الماطرون) واللسان (كنع) . وفى الكامل أيضاً أن بعضهم ينسبه إلى الأحوص .

(٢) ط : « أرب هذا » ،وصوابه فى س ، ه والمعجم واللسان. ورواية الأخفش فى حواشى الكامل : « طال هذا الهم » ورواية ياقوت : « آب هذا الهم » . واكتنع : حضر ودنا . وأمر : صار مرا . وضبطه البغدادى بالبناء للمفعول ، ولست أذهب مذهبه .

(٣) الدسكرة ، بفتح الدال : بناء يشبه قصراً حوله بيوت ، وجمعها دساكر ، تكون للملوك . والوجه فى ترتيب هذا البيت أن يكون بعد الرابع ، كما ورد فى الخزانة والمعجم .

(٤) الماطرون ، بكسر الطاء ، ويروى بفتحها ؛ وبفتح النون ، ويروى بكسرها . ويروى أيضاً : « بالماطرين » وهى رواية المبرد . الذى جمعا : أى الذى جمعه . والنمل يأكل فى وقت الشتاء ما جمعه فى زمن الصيف .

(٥) الخرفة ، بالضم : مايجتنى . ورواية العباب والمقاييس والمخصص (١١ : ٩) : « خلفة » بكسر الخاء وباللام بعدها . والخلفة : الثمر يظهر بعد الثمر الكثير . وهذا اللفظ لايزال مستعملا عند زراع مصر . وارتبعت : دخلت فى الربيع . وجلق بكسر الجيم واللام المشددة المكسورة ، قال ياقوت : اسم لكورة الغوطة كلها ، وقيل بل هى دمشق نفسها ، وقيل موضع بقرية من قرى دمشق .

عِنْدَ غيرِى فالتمس رَجلاً ... يأكلُ التَّنُّوم والسَّلَعَا[١]
ذاكَ شيءٌ لستُ آ ِكله ... وأُرَاهُ مَأْكَلاً فَظِعا[٢]

وقال أبو النَّجم فى مثل ذلك[٣] :

وكانَ نُشَّابَ الرِّياحِ سُنبُلهْ[٤] ... واخضرَّ نَبتاً سِدْرُهُ وحَرْمَلُهْ[٥]
وابيضَّ إلاَّ قاعه وجَدْوَلُهْ[٦] ... وأصبحَ الرَّوضُ لَوِيّا حَوْصَلُه[٧]
واصفَرَّ من تَلْعٍ فليجٍ بَقَلُه[٨] ... وانحتَّ من حَرْشَاءِ فَلْجٍ خَرْدَلُه[٩]

---

(١) التنوم ، بفتح التاء وتشديد النون المضمومة : شجر له حمل صغار كمثل حب الخروع ، ويتفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكذا النعام ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق . قلت : كأنه ما يسمى اليوم بعباد الشمس . والسلع ، بالتحريك : شجر يرتقى حبالا خضرا لا ورق لها ، وقضبانه تلتف على الغصون وتتشبك ، وله ثمر مثل عناقيد العنب صغار ، فإذا أينع اسود ، فتأكله القرود .

(٢) الفظع ، ككتف : الفظيع .

(٣) انظر بعض أشطار هذا الرجز فى جمهرة ابن دريد (٢ : ١٣٣) والاشتقاق ١٨٢ والمزهر (٢ : ٣٥٨) .

(٤) جعل سنابل الزرع كأنها رماح للرياح تشرعها فى كل جهة . س : « نشات » وهو محرف .

(٥) السدر ، بالكسر : شجر النبق . والحرمل ، كجعفر : نبت يرتفع ثلث ذراع وله ورق كورق الصفصاف .

(٦) ابيض الروض : صوح نباته . وإنما سلم نبت القاع والجدول من ذلك لما بقى من الماء فيهما . وقد اضطره الشعر فرفع ما بعد إلا . وحقه النصب .

(٧) حوصل الروض : قراره ، وهو أبطأ هيجا . واللوى : ما بين الرطب واليابس .

(٨) التلع ، بالفتح : جمع تلعة ، وهى مجرى الماء من أعلى الوادى . والفليج ، بالجيم : عنى به المتسع . ط : « فليح » وقد حرك قاف « بقله » لوزن الشعر .

(٩) ط ، هـ : « فلح » ، صوابه فى س واللسان (حرش ، قطر) . والفلج : النهر الصغير . والحرشاء بفتح الحاء وبالشين : خردل البر . وهى فى الأصل ، « خرساء » ، صوابها من اللسان فى موضعيه .

وانشقّ عن فصح سواء عنطله[١]　　وانتفض البَرْوَقُ سُوداً فلفله[٢]

واختلفَ النَّمْلُ قِطارًا يَنقُلُه[٣]　　طارَ عَنِ المُهر نَسيلٌ يُنْسِلُه[٤]

(استطراد لغوى)

قال أبو زيد : الحمكة القمْلة ، وجمعه حَمَك . وقد ينقاسُ ذلك فى الذَّرّةِ .

قال أبو عبيدة : قرية النمل من التُّراب[٥] ، وهى أيضاً جُرثومة النمل .

وقال غيره : قرية النمل ذلك التراب والُجحرُ[٦] بما فيه من الذرِّ والحبِّ والمازِنِ . والمازِنُ هو البيض ، وبه سَمَّوا مازن .

---

(١) كذا فى الأصل . ولعل صواب : « عنطلة » : « عنصله » ، والعنصل ، كقنفذ : البصل البرى .

(٢) البروق ، بفتح الباء والواو بينهما راء ساكنة : شجر ضعيف له ثمر حب أسود صغار . وهو الذى يقال فيه المثل : « أشكر من بروقة » ؛ لأنها تعيش بأدنى ندى يقع من السماء . ط ، ھ : « البرذون » صوابه فى س . وانظر لهذا الشطر الاشتقاق والمزهر .

(٣) اختلف : أقبل وأدبر . والقطار : أصله للإبل أن يتلو بعضها بعضاً على نسق . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « فطار » وفى س ، ھ : « فطاراً » ، وصواب روايته من اللسان . ولفظ « ينقله » هى فى ط ، ھ : « نيقله » بتقديم النون . صوابه فى س . وفى اللسان : « تنقله » .

(٤) النسيل ، بفتح النون : مايسقط من الصوف والشعر والريش . وأنسل الحيوان الصوف والشعر والريش : أسقطه . وكلمه « طار » أراها جوابا لشرط فى أبيات قبل هذه . وفى الأصل : « يسيل سنبله » ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(٥) ط ، ھ : « الزاب » ولا وجه له . وصوابه فى س . وفى اللسان : « وقرية النمل : ما تجمعه من التراب » . وفى المخصص (٨ : ١٢٠) : « أبو عبيد : قرية النمل وجرثومته : ما يجمع من التراب » .

(٦) فى الأصل : « الحجر » ووجهه ما أثبت .

قال أبو عَمْرو[1] : الزِّبال ما حملت النملةُ بفِيها ، وهو قولُ ابنِ مُقبل :

كريم النِّجارِ حَمَى ظَهرَه فلم يُرْتزَأ برُكوب زبالا[2]

(شعر فى التعذيب بالنمل)

وأنشد ابن نُجَيْم[3] .

هَلَكُوا بالرُّعافِ والنمل طَوْرًا ثمَّ بالنَّحس والضِّبابِ الذُّكورِ[4]

وقال الأصمعىُّ فى تسليط اللهِ الذَّرَّ على بعضِ الأمم :

لحقوا بالزهْوَيَينِ فأمسَوْا لا ترى عُقْرَ دارهم بالمبِينِ[5]

سلَّط الله فازِرا وعُقَيفَا نَ فجازاهُمُ بدارِ شَطون[6]

---

(١) هو أبو عمرو بن العلاء . س : « أبو عمر » .

(٢) البيت فى صفة فحل من فحول الإبل . والنجار ، بالكسر : الأصل . حمى ظهره : أى منع ظهره من الركوب . ويرتزأ ، بالبناء للمفعول : ينقص . وفى ط ، هـ : « يرنو » و س : « يوتوا » تحريف ما أثبت من اللسان (زبل) والمخصص (٨ : ١٢٠) . و « كريم » هى فى الأصل « كرم » وصوابها فى المرجعين السابقين .

(٣) فى ط ، هـ : « نخيم » . وفى س : « لحيم » . وصوابه ما أثبت . واسمه يحيى بن نجيم . وأسلفت ترجمته فى (٢ : ٣٥١) .

(٤) الرعاف ، بالراء المضمومة : سيلان الدم : وقد تحدث الجاحظ عن الإهلاك بالرعاف فى (٦ : ١٥٠) . س : « بالعرف » تصحيف . والضباب : جمع ضب ، ذلك الحيوان .

(٥) لعل « الزهويين » اسم مكان . س : « بالزهوتين » . هـ : « بالزهوبين » وعقر الدار : أصلها . وقيل : وسطها . ط : « عقد » صوابه فى س ، هـ .

(٦) يقال عقفان ، كعثمان ، وعقيفان بهيئة التصغير ، وسيأتى شرحه . وفى الأصل : « عقيقان » بقافين ، وهو تصحيف صوابه فى اللسان . والرواية فيه :

سُلِّطَ الذَّرُّ ، فازرٌ أو عُقيفا نُ فَأَجلاهم لدارِ شَطُون

ط : «فجازاهم به إشطون» صوابه فى س ، هـ .

٥ يَتبَعُ القَارَّ والمسافرَ مِنْهُمْ تحتَ ظلِّ الهدى بذات الغصون[١]

فازر ، وعقَيفَان[٢] : صِنفان من الذَّرّ ، وكذلك ذكروه عن دغفل [بن حنظلة] الناسب[٣] . ويقال : إنّ أهل تِهامَة هلَكوا بالرُّعافِ مرّتَين . قال : [وكان آخِرُ من مات بالرُّعاف من سادة قريش ، [٤]] هِشامَ ابنَ المغيرة .

قال أميّةُ بن أبي الصَّلت في ذلك :

نُزِعَ الذِّكْرَ في الحياةِ وغنا وأراهُ العذاب والتَّدميرا[٥]

أرسَلَ الذَّرَّ والجرادَ عليهم وسنِيناً فأهلكَتْهُمْ ومُورَا[٦]

ذَكَرُ الذَّرِّ إنَّه يفعل الشَّـــرَّ وإن الجرادَ كان ثُبُورا[٧]

---

(١) القار ، تقرأ باختلاس الألف ليستقيم الوزن . وهو مقابل المسافر . وفى الأصل: « الفار » بالفاء . و « الهدى » هى فى ط ، هـ : « الندى » .

(٢) عقيفان بقاف تليها ياء ثم فاء ، وبهيئة التصغير .

(٣) النص فى لسان العرب : « قال دغفل النسابة : ينسب النمل إلى عقفان والفازر . فعقفان جد السود ، والفازر جد الشقو » .

(٤) هذه الزيادة الضرورية أثبتها اعتماداً على ما ورد فى الحيوان (٦ : ١٥٠) حيث يتحدث الجاحظ عن الرعاف .

(٥) أى سلبه الله حسن الذكر فى حياته . و « غنا » هى كذلك فى ط ، هـ . وفى س : « غنى » وأراها محرفتين . ورواية الديوان ٣٤ : «سلب الذكر فى الحياة جزاء » . والضمير عائد إلى فرعون ، إذ يقول أمية قبل هذا البيت :

وبفرعون إذ تشاق له المـا ء فهلا لله كان شـكورا

قال إنى أنا المجير على النا س ولا رب لى على مجيرا

فمحاه الإله من درجات ناميات ، ولم يكن مقهورا

وأما البيت الآتى ، فهو من أمية حديث عن العذاب الذى ألحقه الله ببعض الأمم ، انظر الديوان .

(٦) السنين : جمع السنة ، وهى القحط والأزمة . والمور ، بالضم : الغبار بالريح . س: « دموراً » ولها وجه ؛ فالدمور بالضم . أصله أن يهجم الرجل على القوم ، أو يدخل عليهم بغير إذن ، وأثبت مافى ط ، هـ والديوان ، والحيوان ، (٦ : ١٥٠) .

(٧) الثبور : الهلاك .

(نملة سليمان)

وقرأ أبو إسحاقَ[١] قولَه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إذا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ ﴾ فقال : كان ذلك الوادِي معروفاً بِوادِي النملِ ؛ فكأنَّهُ كانَ حِمى . وكيف نُنْكِرُ[٢] أن يكونَ حمى ؟ ! [و][٣] النَّمْلُ ربَّما أجْلَتْ أُمَّةً من الأُمَمِ عن بلادهم .

ولقد سألْتُ أهل كسكر[٤] فقلت : شَعِيرُكُمْ عَجَبٌ ، وأرْزُكُمْ عَجبٌ ، وسمكُكم[٥] عجب ، وجِداؤُكمْ عجب ، وبطُّكم عجَبٌ ، ودَجَاجُكم عجب ، فلوكانَتْ لَكم أعناب ! فقالوا : كلُّ أرْض كثيرةِ النَّمْلِ لا تصلُح فيها الأعناب . ثمَّ قرأَ : ﴿ قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ ، فجعل تلك الجِحَرَةَ[٦] مَسَاكِن . والعربُ تسميها كذلك . ثمَّ قالَ : ﴿ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ﴾ فجمعَتْ من اسمه وعينه ،

---

(١) هو إبراهيم بن سيار النظام .

(٢) ط ، هـ : « فكيف ينكر » .

(٣) الزيادة من ثمار القلوب ٣٤٥ .

(٤) كسكر ، بوزن جعفر : كورة من كور فارس . عن معجم ياقوت .

(٥) هذا هو الموافق لما سبق فى ج ٣ ص ٢٩٥ س ٢ . وفى ط ، هـ : « سمنكم » وفى س : « صحتكم » وربما كانت هذه الأخيرة محرفة عن : « صحناكم » وقد سبق تفسيرها فى حواشى (٣ : ٢٩٥) .

(٦) الجحرة ، بجيم مكسورة تليها حاء مفتوحة : جمع جحر . وفى الأصل : « الحجرة » محرف .

وعرَفتِ الُجندَ من قائد الجند ، ثم قالت : ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ فكانوا معذورينَ وكنتم ملومينَ ، وكان أشدَّ عليكم . فلذلك قال : ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَولِهَا﴾ لِمَا رَأَى مِنْ [بُعْدِ[1]] غوْرِها وتَسْدِيدِها ، ومعرفَتِها . فعند ذلك قال : ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَالِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ .

(أمثال فى النمل)

قال : ويقال : « ألطف[2] من ذَرَّةٍ » و : « أَضْبطَ مِنْ نملة[3] » .

قال : والنَّملة أيضاً : قرحَةٌ تعرضُ للسَّاق ، وهى معروفةٌ فى جزيرة العرب[4] .

قال : ويقال : « أنْشبُ مِنْ ذَرَّة[5] » .

(قول فى بيت من الشعر)

فأمَّا قَوْلهُ[6] :

لَوْ يَدِبُّ الحَوْلِيُّ مِنْ وَلدِ الذَّ ... رِّ عَليْهَا لأنْدَبَتْهَا الكلومُ[7]

---

(١) الزيادة من س ، هـ .

(٢) ألطف ، من اللطافة ، وهى الدقة . س : « ألحف » من الإلحاف ، وهو الإلحاح ؛ لأنها تلح فى طلب قوتها .

(٣) أضبط ، من الضبط ، وهو شدة اللزوم . ويقال أيضاً « أضبط من ذرة ، ومن الأعمى ، ومن صبى » انظر أمثال الميدانى (١ : ٣٩١) .

(٤) فسرها صاحب القاموس بقوله : « قروح فى الجنب . . . . وبثرة تخرج فى الجسد بالتهاب واحتراق ، ويرم مكانها يسيراً ، ويدب إلى موضع آخر كالنملة » .

(٥) فى الأصل : « أنسب » .

(٦) هو حسان ، كما فى الموشح ٦٣ ، من قصيدة فى ديوانه ٣٧٦ — ٣٨٠

(٧) أندبتها : أثرت فيها . والكلوم : جمع كلم ، بالفتح وهو الجرح . قالوا : وأفضل من قول حسان هذا ، قول امرئ القيس (انظر الموازنة ١٣٦) :

من القاصرات الطرف لودب محول ... من الذر فوق الإتب منها لأثرا

فإنَّ الحولىَّ منها لا يُعْرَفُ مِنْ مَسَانِّهَا[1] ، وإنمــا هو كما قال الشاعر :

تلقّط حَوْلِىّ الحصى فى منازلٍ مِن الحىِّ أمْسَتْ بالحَبِيبَين بلْقعا[2]

قال : وحولىُّ الحصى : صغارها . فشبَّهه بالحولىِّ من ذوات الأربع .

(أحاديث وآثار فى النمل)

ابن جُريجٍ ، عن ابن شهاب ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلَّم قال : « مِنَ الدَّوابِّ أربَعٌ لا يُقْتَلْنَ : النَّملة ، والنَّحْلة ، والصُّرَد ، والهُدهُد » . ٦

وحدَّثنا عبدُ الرحمن بنُ عبدِ الله المسعودىّ ، قال : حدّثنا الحسن ابن سعد ، مولى على بن عبد الرحمن بن عبد الله[3] قال : « نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزِلاً فانطلق لحاجته ، فجاء وقد أوقَدَ رجلٌ على قريَةِ نَمْلٍ ، إمَّا فى شجرةٍ وإمَّا فى أرض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ فَعَلَ هذا ؟ ! أَطْفِئْهَا أَطْفِئْهَا ! » .

ويحيى بن أيوب ، عن أبى زُرعة بنِ جرير[4] ، قال : أنبأنا أبو زرعة

---

(١) المسان : الكبار السن . ط ، هـ : « مسكنها » ، وصوابه فى س .

(٢) ط : « بالجبيبين » . وفى الموازنة ١٣٧ : « باللحيين » .

(٣) س : « مولى عبد الرحمن بن عبد الله » .

(٤) هو أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلى الكوفى ، اختلف فى اسمه ، فقيل هرم ، وقيل عمرو ، وقيل عبد الله ، وقيل عبد الرحمن ، وقيل جرير . من الرواة الثقات . تقريب التهذيب .

عن أبى هريرة قال : « نزل نَبِىٌّ من الأنبياء تحتَ شَجَرةٍ ، فعضَّتْه نملةٌ ، فقام إلى نَمْلٍ كثير تحتَ شجرةٍ فقتَلَهُنَّ ، فقيل له : أفلا نَمْلَةً واحدة ؟ ! » .

وعبد الله بنُ زيادٍ المدنىُّ ، قال : أخبرنى ابنُ شهابٍ ، عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة قال : « سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نزَلَ نبىٌّ من الأنبياء تحتَ شجَرةٍ ، فقرَصَتْهُ نَمْلَةٌ ، فأمَرَ بجَهَازِه[١] فأُخرجَ مِنْ تحتها ثمَّ أَمَرَ بقَرْيَةِ النَّمْلِ فأُحرِقتْ ، فأوْحَى اللهُ إليه : أفى أنْ قَرَصَتْكَ نملةٌ أهلَكْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ يسبِّحونَ الله تعالى ؟ ! فهلاَّ نملةً واحدة ! » .

يحيى بن كثير ، قال : حدّثنا عُمر بن المغيرة بن الحارث الزِّمَّانىّ[٢] ، عن هشامٍ الدَّسْتَوَائىّ[٣] قال : إنَّ النَّمْلَ والذَّرَّ إذا كانا فى الصَّيفِ كلِّه ينقُلْن الحبَّ ، فإذا كان الشتاءُ وخِفْنَ أن ينبت فلقْنَه .

هشام بن حسَّان ، أنّ أهلَ الأحنفِ بن قيس لَقُوا من النَّمْلِ أذًى ، فأمرَ الأحنف بكرْسِىٍّ [فوُضِع عند جُحْرهنَّ ، فجلَسَ عليه ثمَّ تشهَّد] فقال : لَتَنْتَهُنَّ أَوْ لَنُحرِّقَنّ عليكُنَّ ، أَوْ لَنَفْعَلَنَّ أَوْ لنفعَلَنَّ[٤] ! قال : فذهبن .

---

(١) الجهاز ، بالفتح : المتاع . والكسر لغة رديئة . وانظر إسناد هذا الحديث والقول فيه عند الدميرى .

(٢) ط ، ه : « الزناقى » . وأثبت ما فى س ، وكتب فى جانب منها : « خ : الزناقى » .

(٣) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، ه . « ابن الدستواى » . وانظر ما أسلفت من تحقيق فى هذا الراوى (٣ : ٥٣٧ — ٥٣٨) وكذا تذييل الجزء الثالث .

(٤) ط ، ه : « أو لتفعلن » بالتاء ، وليس بشىء . والتكرار لتأكيد الوعيد

. وعوف بن أبي جميلة[١] عن قسامة بن زُهير[٢] قال : قال أبو موسى الأشعَرِيّ : إنَّ لكلِّ شيءٍ سادةً، حتَّى إنَّ للنمل سادة .

عبد الله بن زيادٍ المدنيُّ ، قال : أنبأنا ابن شهابٍ ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول : خرج نبيٌّ من الأنبياء بالناسِ يستَسقون ، فإذا هُمْ بِنَملة رافعةٍ رأسها إلى السماء ، فقال ذلك النبيُّ : ارجعُوا فقد استَجِيبَ لكم مِن أَجْلِ هذا النَّمْلِ ! » .

مِسْعَر بن كِدَام[٣] ، قال . حدَّثنا زيد القمِّيُّ[٤] عن أبي الصِّدِّيق النَّاجِي[٥] قال « خرج سليمانُ بنُ داوُدَ — عليهما الصلاة والسلام — يستسقى فرأى نملةً مستلقِيةً على ظهرها ، رافعةً قوائمَها إلى السماء وهى تقول :

---

(١) عوف بن أبي جميلة ، بفتح الجيم ، الأعرابى العبدى البصرى ، ثقة رمى بالقدر وبالتشيع . مات سنة ست ، أو سبع وأربعين بعد المائة ، وله ست وثمانون . تقريب التهذيب .

(٢) قسامة ، بفتح القاف ، ابن زهير المازنى البصرى ، راو من التابعين البصريين ، وكان ممن افتتح الأبلة مع عتبة بن غزوان . الإصابة ٧٢٨٠ .

(٣) مسعر ، بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح المهملة ، ابن كدام ، ككتاب ، ابن ظهير الهلالى ، أبو سلمة الكوفى . ثقة ثبت فاضل مات سنة اثنتين ، أوثلاث أو خمس وخمسين بعد المائة . تقريب التهذيب ، والمعارف ٢١١ . قال ابن قتيبة : « وكان يقول : من أبغضنى فجعله الله محدثا ! » . لعله يريد ما يعانون من مشقة التثبت . وفى الأصل : « مسعود »، وهو تحريف .

(٤) كذا ورد فى الأصل بالقاف ، ولعله « العمى » البصرى قاضى هراة ، الذى ترجم له ابن حجر فى التقريب ١٧٣ . قالوا : إنما قيل له العمى لأنه إذا سئل عن شىء قال : لا حتى أسأل عمى .

(٥) أبو الصديق بتشديد الدال المكسورة : هو بكر بن عمرو — وقيل ابن قيس — الناجى بالنون والجيم المكسورة ، وهو لقب له ، بصرى ثقة مات سنة ثلاث ومائة . وفى الأصل : « الباجى » وصوابه فى القاموس والتقريب .

اللهمَّ إنَّـا خلقٌ من خَلْقِك ، ليس بنا غنًى عن سقْيِك ؛ فإمَّا أنْ تسقِيناَ وترزقَنـا ، وإمَّا أنْ تُميتَنا وتُهلكنا ! فقال : ارجعوا فقَـد سُقِيتمْ بدعوةِ غيركم ! » .

(تأويل آية)

وحدثنى أبو الجهجاه قال : سأل أبو عمرو المكفوف[1] عن قوله تعالى :

٧ ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا ﴾ . فقلت له : إنَّ نذيراً يعجب[2] منه نبيٌّ من الأنبياء ثمَّ يعظُمُ خطرُهُ حتى يُضحِكه لَعَجيب ! قال : فقال : ليس التأويل ماذهبتَ إليه . قال : فإنَّه قد يضْحَك النبىُّ ، عليه السلام ، من الأنبياء مِنْ كلامِ الصبىِّ ، ومِنْ نادرةٍ غريبة . وكلُّ شىءٍ يظهَرُ من غير معدِنه ، كالنَّادرة تُسمع من المجنون ، فهو يُضْحِك . فتبسُّمُ سُليمانَ عندى على أنَّه استظرف ذلك المقدارَ من النَّملة ، فهذا هو التأويل .

(سادة النمل)

وقال أبو الجهجاه : سألتُه عن قول أبى موسى[3] : إنَّ لكلِّ شىءٍ سادةً حتى الذَّرِّ . قال : يقولون : إنّ سادَتها اللَّواتى يخرُجْنَ من الُجحْر ، يرتَدْنَ بجماعتها ، ويستبقنَ إلى شمٍّ الذى هُو مِنْ طعامهنَّ .

---

(١) المعروف : أبو عمر ، وهم جماعة فى تقريب التهذيب . س : « المكفولى » .

(٢) س : « إن تدبيراً يتعجب » .

(٣) هو أبو موسى الأشعرى ، كما سبق فى الصفحة التى مضت .

(تأويل شعر لزهير)

وقال زهَير :

وقَالَ سأقضى حاجَتى ثمَّ أتَّقى عَدُوِّى بألْفٍ مِنْ وَرَائى مُلَجَّمِ
فشَدَّ ولم تَفْزَع بُيُوتٌ كثيرةٌ لَدَى حيثُ ألقَتْ رَحْلهَا أمُّ قشْعَمِ (١)

قال بعض العلماء : قرية النمل .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال فى لسانه حُبْسة : إذا كان فى لسانه ثِقَلٌ يمنَعُه من البيان . فإذا كان الثِّقَلُ الذى فى لسانه من قِبَل العُجْمة (٢) قيل : فى لسانه حُكْلة . والُحكلُ من الحيوان كلّه ما لم يكن له صوتٌ يُستَبَان باختلاف مخارجه ، عند حَرَجِه ، وضجَره ، وطلبِهِ ما يغذوه ، أو عندَ هِيَاجه إذا أراد السِّفاد ، أو عند وعيدٍ لقتالٍ ، وغيرِ ذلك من أمره .

(رأى الهند فى سبب اختلاف كلام الناس)

وتزعم الهندُ أنّ سبَبَ مالَه كثُرَ كلامُ الناس واختلفَتْ صُوَرُ ألفاظِهم (٣) ، ومخارجُ كلامهم ، ومقاديرُ أصواتهم فى اللِّينِ والشّدّةِ ،

---

(١) يقول : شد على عدوه وحده فقتله ، ولم تفزع بيوت كثيرة ، أراد أنه لم يستعن عليه بأحد . س : « يفزع » هـ : « يقرع »، وهذه الأخيرة محرفة . وأم قشعم: الحرب ، أو المنية ، أو الضبع ، أو العنكبوت ، أو الذلة . وبكل فسر قول زهير .

(٢) فى الأصل : « العجمية » .

(٣) بعد هذه فى كل من ط ، هـ : « واتسعت على قدر اتساع معرفتهم » . وهو=

وفى المـدِّ والقطْع – كثرةُ [١] حاجاتهم . ولِـكثرِ [٢] حاجاتهم كثرتْ خواطرُهم وتصاريفُ ألفاظِهم ، واتّسعت على قدْرِ اتِّساع معرفتهم .

قالوا : فحوائـج السَّنانير لاتعدُو خمسةَ أوجه : منها صياحُها إذا ضربت ، ولذلك صورة . وصياحُها إذا دعت أخَواتها وآلافها[٣] ، ولذلك صورة[٤] . وصياحُها إذا دعَتْ أولادَها للطُّعْم ، ولذلك صورة . وصياحُها إذا جاعَتْ ، ولذلك صورة[٥] . فلما قلَّت وجوهُ المعرفةِ ووجوهُ الحاجات ، قلَّتْ وجوهُ مخارج الأصواتِ . وأصواتها تلك فيما بينها هو كلامها .

وقالوا : ثمَّ من الأشياء ما يكونُ صوتها خفيًّا فلا يفهمهُ عنها إلا ما كان مِن شـكلها . ومنها [٦] ما يفهم صاحبَه بضروبِ الحركاتِ والإشاراتِ والشمائل . وحاجاتها ظاهرةٌ جليَّة ، وقليلةُ العددِ يسيرة . ومعها من المعرفة مالا يقصِّر عن ذلك المقدار ، ولا يجوزه . ٨

[و] رَاضَةُ الإبلِ ، والرِّعاءُ ، وَرُوَّاضُ الدَّوَابِّ فى المُروجِ ، والسُّوَّاسُ ، وأصحابُ القنْص بالـكلابِ والفهود ، يعرِفون باختلاف الأصواتِ والهيئاتِ والتشوُّف ، واستحالةِ البصرِ ، والاضطرابِ ، ضروباً من هذه الأصناف ، مَا لا يعرف مِثلَه من هو أعقلُ منهم[٧] ، إذا لم يكن له مِنْ مُعَايَنَةِ أصنافِ

= تـكرار لعبارة ستأتى بعد سطرين . وإثباتها هنا يفسد الكلام . فالوجه حذفها كما فى س .

(١) ط ، هـ : « كثرت » ، ووجهه ما أثبت من س .

(٢) ط ، هـ : « ولـكثرت » ، صوابه ما كتبت من س .

(٣) الآلاف بمد الهمزة فى أوله : جمع إلف بالـكسر وهـو الأليف . ط : « آلافهات » صوابه فى س ، هـ .

(٤) ط : « وجه » . وسياق القول يقتضى ما أثبت من س ، هـ .

(٥) ذكر الجاحظ ، كما رأيت ، أربعة أوجه ، لاخمسة . فهو سهو منه .

(٦) فى الأصل : « ومنتهى » .

(٧) فى الأصل : « منه » .

الحيوان ما لهُمْ[١] . فالُحكْلُ من الحيوان [من[٢]] هذا الشكل . وقد ذكرناه مرَّة. قال رُؤبة[٣] :

لَوْ أَنَّنِي عُمِّرْتُ عُمْرَ الحِسْلِ   أَوْ أَنَّنِي أُوتِيتُ علمَ الُحكْلِ

عِلْمَ سُليمانَ كَلامَ النَّمْلِ

(تأويل بيت للعُمَانى)

وقال أبو العباس محمَّد بن ذؤيب الفُقَيمىُّ وهو الذى يقال له العُمانىُّ[٤] فى بعض قصائده فى عبد الملك بن صالح . والعُمانىُّ ممن يُعَدُّ ممن جمَع الرَّجز والقصيد ، كعُمَرَ بنِ لجإ[٥] ، وجرير بن الخَطفى ، وأبى النَّجم وغيرهم . قال العُمانىّ :

وَيَعْلَمُ قَوْلَ الُحكْلِ لو أَنَّ ذَرَّةً   تسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفُتْهُ سِوادُها[٦]

يقول : الذَّرُّ الذى لا يُسمَع[٧] لمناجاته صوت ، لو كان بينها سِوَادٌ[٨] لفهمَه . والسِّواد هو السِّرار[٩] . [قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم لابن مسعود :

---

(١) فى الأصل : « لغيرهم » .
(٢) ليست بالأصل .
(٣) انظر ماسبق من التنبيه فى ص ٨ .
(٤) سبقت ترجمته فى (٢ : ١٦٦)
(٥) فى الأصل : « كعمرو » وصوابه ماأثبت ، وقد سبقت ترجمته فى (١ : ٣٤٩). و « لجأ » هو والد عمر ، وأصل اللجإ المعقل ، والملاذ . فهو اسم مصروف ، وليس مما أتى على وزن الفعل ، وانفرد صاحب القاموس بقوله إنه جد عمر ، وأن والده يسمى الأشعث .
(٦) ط : « تساور أخرى » وصوابه فى س ، هـ والبيان (١ : ٤٠ ، ٣٢٥) .
(٧) ط ، هـ : « لم يسمع » . والأوجه ما أثبت من س .
(٨) ط : « سواء » صوابه فى س ، هـ .
(٩) ط ، هـ : « السواد » والماء لا يفسر بالماء ! صوابه فى س . والسرار ، بالكسر : التحادث سراً .

« أُذُنَكَ حتى أساوِدَك» أى تسمع سِوادِى . وقالت ابنةُ الُخسِّ : «قربُ الوسادِ] وطولُ السِّواد[1] » .

قال أبو كبير الهذلىُّ :

ساودت عنْها الطَّالبِينَ فلمْ أنَمْ حَتَّى نَظَرْتَ إلى السِّماكِ الأعْزَلِ[2]

وقال النمرُ بنُ تَوْلَب :

ولقَدْ شهِدْتَ إذا القِدَاحُ تَوَحَّدَتْ وشَهِدْتُ عندَ اللَّيل مُوقِدَ نَارِها[3]

عَنْ ذاتِ أَوْلِيَـةٍ أساوِدُ رَبَّهَا وكَأَنَّ لَوْنَا المِلْحِ تحتَ شِفَارِها[4]

وقد فسَّرْنا شأنَ الحكل[5] .

وقال التيمىُّ الشاعرُ[6] المتكلم ــ وأنشد لنفسه وهو يهجو ناساً من بنى تَغْلِبَ معروفين ــ :

عُجْم وحُكْلٌ لاتُبِينُ ، ودِينُها عِبادَةُ أعلاجٍ عليها البرانسُ[7]

(١) قالت هـذا حين سئلت : « ما حملك على أن زنيت بعبدك ؟ » . انظر البيان (١ : ٣٢٤) ، والحيوان (١ : ١٦٩) ، والصناعتين ٣٢٠ .

(٢) ط ، هـ : « ساورت » ، صوابه فى س . والسماك الأعزل : منزلة من منازل القمر ، وهو نجم يظهر مع الفجر .

(٣) القداح هنا قداح الميسر . توحدت : أى أخذ كل رجل قدحا ولم يقدر على غيره ؛ لشدة الزمان وغلاء اللحم .

(٤) عن ذات أولية : أى من أجل ناقة ذات أولية ، رعت وليا بعد ولى من المطر فسمنت . أساود ربها : يقول : أساره وأناجيه لأختدعه عنها فيسمح بها ليجرى عليها الميسر . وكأن لون الملح فوق شفارها : أى أن الشفار التى تذبح بها وتقطع يعلق بها شحم هذه الناقة السمينة فيحكى ذلك لون الملح . ط : « أساور » صوابه فى س ، هـ ، والميسر والقداح ص ١١٨ والمعانى الكبير ١١٦٠ .

(٥) انظر ص ٢٣ وكذا ص ٢١ .

(٦) ذكره الصولى فى الأوراق ٧٦ باسم « التيمى بن محمد » .

(٧) الأعلاج : جمع علج ، بالكسر ، وهو الرجل من كفار العجم . والبرانس : جمع برنس ، وهو القلنسوة الطويلة ، وكان النساك يلبسونها فى صدر الإسلام . والبرنس أيضاً : كل ثوب رأسه منه ملتزق به ، دراعة كان أو ممطراً أو جبة . وفى حديث عمر : « سقط البرنس عن رأسى » هو من هذا . والرواية فى البيان (١ : ٤٠) : « ولكن حكلا لا تبين » .

ففصَلَ بينَ الحُكْلِ والعُجْم ، فجعل العُجْمَ[1] مثلَ ذواتِ الحافر والظِّلْف والخفِّ ، وجعل الحُكْلَ كالذّرِّ والنَّمل والخنافس ، والأشكال التى ليست تصيحُ من أفواهها . فقال لى يومئذ حفصٌ الفَرْدُ[2] : [أشهدُ] أنَّ الذى يقال فيه حقٌّ[3] ، كان والله نصرانيًّا ، ثمَّ صار يخبر عن النصارى كما يخبر عن الأعراب !

(بين الأصمعى والمفضَّل)

٩ [و] قال الأصمعىّ للمفضَّل ، لما أنشد المفضَّلُ جعفرَ بنَ سليمانَ[4] قولَ أوسِ بن حجر :

وذاتِ هِدمٍ عارٍ نواشِرُها تُصْمِتُ بالماءِ تَوْلَباً جَدِعا[5]

---

(١) ط ، هـ : « ذوات العجم » وكلمة « ذوات » مقحمة .

(٢) من المجبرة ، وكان من أهل مصر ، قدم البصرة فسمع بأبى الهذيل واجتمع معه وناظره ، فقطعه أبو الهذيل . وله عدة تصانيف سردها ابن النديم فى الفهرست ٢٥٥ مصر ١٨٠ ليبسك .

(٣) ط ، هـ : « حتى » ، وهو على الصواب فى س .

(٤) كذا أيضاً فى التنبيهات على أغاليط الرواة فى نسختنا الخطية . وفى اللسان أنه سليمان ابن على الهاشمى .

(٥) الهدم ، بالكسر : الثوب الخلق المرقع . هـ ، س : « عدم » والعدم ، بالضم الفقر وفقدان المال ، ولم أجد هذه الرواية فيما عندى . والنواشر : عصب الذراع من داخل وخارج . وعريت نواشره : فقدت ما يكسوها من لحم ، وهو علامة المجاعة . تصمت بالماء تولبا : أى تسكت ولدها الذى يبكى من الجوع بشىء من الماء . وأصل التولب : ولد الحمار ؛ لكن أوساً أساء الاستعارة لجعله الطفل تولباً انظر العمدة (٢ : ٢٠٤) . وهذا البيت قد وهم فيه قدامة فظن أن سوء الاستعارة، هذا يسمى معاظلة وقال : لا أعرف المعاظلة إلا فاحش الاستعارة . وانظر الرد عليه فى كل من الصناعتين ١٥٥ وسر الفصاحة ١٥١ . والبيت من قصيده جيدة يرثى بها فضالة بن كلدة مطلعها :

أيتها النفس أجملى جزعا إن الذى تحذرين قد وقعا

وقبل البيت :

ليبكك الشرب والمدامة وال فتيان طرا وطامع طمعا

وانظر ما قيل فى مجالس العلماء للزجاجى وحواشيه ص ١٤ والمقاييس (جدع) .

فجعل الذَّال معجمة ، وفتحها ، وصحَّف ، وذهب إلى الأجذاع[1] .

قال الأصمعيّ : إنما هي : « تَوْلَباً جَدِعا » الدَّال مكسورة . وفي الجَدِع يَقُول أبو زبيد :

ثُمَّ استقاها فلم يقطعْ نظائمها عن التضبُّبِ لا عَبْلٌ ولا جَدِعُ[2]

وإنَّما ذلك كقول ابن حَبْنَاء الأشجعيّ[3] :

وأرْسَلَ مُهْمَلاً جَدِعاً وخَفًّا ولا جَدِعُ النَّباتِ ولا جَدِيبُ[4]

فنفخ المفضَّلُ ، ورفع بها صوتَه ، وتكلَّم وهو يصيح . فقال الأصمعيّ : لو نفخْتَ بالشَّبُّور لَمْ ينفعك ! تكلَّمْ بكلامِ النَّمل وَأَصِبْ[5] !

---

(١) الأجذاع : جمع جذع بالتحريك ، وهو من الحافر ما كان فى الثالثة .

(٢) التضبب : السمن وكثرة اللحم . ه فقط : « التضبيب » . والجدع ، ككتف : فعل بمعنى مفعول ، ولا يعرف مثله . وهو السيئ الغذاء .

(٣) ابن حبناء ، يطلق على (خمسة من الشعراء) ثلاثة منهم إخوة ، وحبناء ، اسم أمهم كما فى القاموس ومعجم المرزبانى ٣٦٩ والمؤتلف والمختلف ١٠٥ ، أو هو لقب لأبيهم لقب به لحبن أصابه . والحبن : داء فى البطن يعظم منه ويرم. الأغانى (١١ : ١٥٦). وأعرف هؤلاء الإخوة الثلاثة هو المغيرة بن حبناء ، وكان بينه وبين أخيه صخر مناقضات شعرية روى بعضها أبو الفرج (١١ : ١٦٢ — ١٦٣) . وثالث هذين الأخوين هو يزيد بن حبناء وكان من الخوارج ، وكان أخوه المغيرة من رجال المهلب ابن أبى صفرة . ويعرف بهذا الاسم أيضاً أخوان آخران ، أحدهما بلعاء بن قيس الكنانى وأخوه جثامة . وأمهما الحبناء بنت وائلة . وقد تقدمت ترجمة بلعاء فى (٣ : ٦٠) . جاء فى ط : « حنباء » صوابه فى ه ، س . على أنى أستبعد صحة العبارة هنا إذ ليس أحد من هؤلاء الشعراء الخمسة من تصح له نسبة « الأشجعى » . والمعروف بهذه النسبة من الشعراء هو جبهاء (ويقال أيضاً جبيهاء بالتصغير) وهو شاعر بدوى من مخاليف الحجاز ينتهى نسبه إلى بكر بن أشجع . نشأ وتوفى فى أيام بنى أمية ، وهو من المقلين ، وله حديث مع الفرزدق فى الأغانى (١٦ : ١٤١) .

(٤) المراد بالخف هنا الإبل .

(٥) تجد هذه القصة مع بسط وتفصيل ، فى اللسان (جدع) .

والشَّبُّور : شىء مثل البُوق ، والكلمة بالفارسيّة[١] . وهو شىءٌ يكون لليهود ، إذا أراد رأسُ الجالوت[٢] أن يحرِّم كلامَ رجلٍ منهم نفَخُوا عليه بالشَّبُّور .

(تحريم الكلام لدى اليهود والنصارى)

وليسَ تحريمُ الكلام مِن الحدود القائمةِ فى كتبهم ، ولكنَّ الجاثَلِيقَ[٣] ورأسَ الجالوتِ ، لا يُمكنُهما فى دار الإسلام حبسٌ ولا ضرْب ؛ فليس عندهما إلّا أنْ يغرِّما المالَ ، ويُحرِّما الكلام . على أنَّ الجاثليق كثيراً ما يتغافل عن الرَّجلِ العظيمِ القدْر ، الذى له من السُّلطان ناحيةٌ .

وكان طيمانو[٤] رئيس الجاثليق ، قدْ همَّ بتحريم كلام عَون العباديِّ[٥] ، عند ما بلغه من اتِّخاذ السَّرارىّ[٦] ، فتوعَّده وحلف : لئن فعل ليُسْلِمَنَّ ! وكما ترك الأشقيل[٧] وميخاييل[٨] وتوفيل[٩] ،

---

(١) الصحيح أنها مأخوذة من العبرية. انظر الاستدراكات .

(٢) انظر لتفسير هذه الكلمة تذييل هذا الجزء .

(٣) الجاثليق ، بفتح الثاء : رئيس من رؤساء النصارى يكون تحت يده المطران ، ثم الأسقف ، ثم القسيس ، ثم الشماس .

(٤) كذا . ولعله : « طيمانؤس » كما أفادنيه حضرة المحقق القدير الأب أنستاس .

(٥) العبادى : نسبة إلى العباد ، بكسر العين ، وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة .

(٦) السرارى : جمع سرية ، وهى الأمة المملوكة التى بوئت بيتا . ونظام التسرى ، أى اتخاذ السرارى ، نظام إسلامى يقصد به تكثير نسل المسلمين . والتسرى محظور على النصارى. انظر رسائل الجاحظ بهامشة الكامل (٢ : ١٧٦) .

(٧) كذا فى س ، هـ . وفى ط : « الأشفيل » .

(٨) س : « متخاييل » .

(٩) وجه الصواب فيه : « ثيوفيل » أو « تيوفيل » .

سَمْلَ عَيْنِ مَنْوِيل[١] — وفى حكمهم أنَّ من أعان المسلمين على الرُّوم يقتل ؛ وإن كان ذا رأى سَمَلوا عينَيه ولم يقتلوه — فتركوا سُنَّتَهم فيه .

وقد ذكرنا شأنَهم فى غير ذلك ، فى كتابنا على النَّصارى[٢] . فإن أردتَه فاطلبْه هنالك .

(تأويل بيت لابن أبى ربيعة)

وقال عُمر بن أبى ربيعة :

لَوْ دَبَّ ذرٌّ فوقَ ضاحِىَ جِلْدِها لَأَبَانَ مِنْ آثارِهنَّ حُدُورُ[٣]

والحَدْر : الورَم والأثرُ[٤] يكون عن الضَّرْب .

---

(١) سمل عينه : فقأها . وبدل هذه العبارة فى ط : « وسموعين ومنويل » وفى هـ : « سمل عين ومنويل » ، وصوابه فى س .

(٢) فى الأصل : « النصرى » ، وهو تحريف . وكتابة الجاحظ عن النصارى وثيقة تاريخية هامة ، تظهرنا على حقائق غريبة ، وتبين لنا مدى اتصال النصارى بالمسلمين فى عصره . وقبل عصره . وتجد فقراً منها بهامشة الكامل (٢ : ١٤٨ - ١٩٨) .

(٣) ضاحى جلدها : أى جلدها الضاحى المشرق . وأبان هنا فعل لازم بمعنى بان وظهر . و « حدور » فاعل أبان ، ومنه فى الكتاب : « حمٓ والكتاب المبين » أى البين الظاهر ، فى أحد وجهى تأويله . وفى ط ، وكذا اللسان (مادة حدر) والمخصص (٢ : ٨٠) « حدورا » بالنصب ، وهو خطأ صوابه فى هـ ، س ؛ إذ أن البيت من قصيدة مضمومة الروى ، كما فى ديوان عمر ص ١٢ ، مطلعها :

لمن الديار كأنهن سطور تسدى معالمها الصبا وتنير

وقبل البيت :

تلك التى سبت الفؤاد فأصبحت والقلب رهن عندها مأسور

(٤) فى الأصل : « والحدر والورم الأثر » ، وصوابه ما أثبت .

(التسمية بالنمل)

وقد يسمَّى بِنملة ونُمَيْلة ، ويكتنون بها . وتسمَّوا بذَرٍّ ، واكتنوا بأبى ذرّ . ويقال : سيفٌ فى مَتْنِه ذرٌّ ، وَهُوَ ذرِّىُّ السَّيف[١] .

(شعر فى صفة السيف)

وقال ابن ضبَّة[٢] :

وقد أغدُو مع الفتيا ... نِ بالمنجردِ التَّرِّ[٣]

وذى البِرْكةِ كالتَّابو ... تِ والمَحْزِمِ كالقَرِّ[٤]

---

(١) فى الأصل : « ذر السيف » وأصلحته معتمداً على لسان العرب ، وفيه : « وفرى السيف : فرنده وماؤه ، يشبهان فى الصفاء بمدب النمل والذر . قال عبد الله ابن سبرة :

كل ينوء بماضى الحد ذى شطب ... جلى الصياقل عن ذريه الطبعا

(٢) ذكره الجاحظ فى البيان (٣ : ٧٦) مع الشعراء العرجان . وهو القائل :

وكنت أمشى على رجلين معتدلا ... فصرت أمشى على أخرى من الشجر

(٣) المنجرد من الخيل : القصير الشعر ، وذلك من علامات العتق والكرم . ط ، هـ : « بالخنجر » س : « بالمتجرد » ، وصوابه ما أثبت كما فى اللسان (ترر) . والتر من الخيل : المعتدل الأعضاء ، الخفيف ، الدرير . ط ، هـ : « والبتر » وأثبت الصواب من س واللسان . وقد روى ابن الشجرى هذا البيت فى أماليه (١ : ٨٢) :

وقد أغدو إلى الهيجا ... ء بالمحتنك الثر

روى الكلمة الأخيرة بالثاء المثلثة قال : « يقال سحاب ثر ، للكثير الماء . واستعاروه للفرس الكثير الجرى » .

(٤) البركة ، بالكسر : الصدر . والتابوت : الصندوق يحرز فيه المتاع ، وهى كلمة عبرية الأصل . والمحزم ، كمجلس : موضع الحزام . والقر ، بالفتح : الهودج :

معِى قاضبة كالمِلْـ حِ فى مَتْنَيْهِ كالذَّرِّ[1]

١٠ وقد أعْتَسِرُ الضَّرْبَةَ تَشْنى شَتْنَ الشَّتْرِ[2]

وقال الآخر :

تَكادُ الرِّيح ترمِيهَا صرارا وتَرْجَفُ إن يُلَثِّمها خِمارُ[3]

وتحسَبُ كلَّ شئٍ قيلَ حَقًّا وَيُرعِبُ قلبَها الذَّرُّ الصِّغارُ

وقال أوسُ بنُ حجَر ، فى صفة السَّيْفِ :

كأَنَّ مدَبَّ النَّمْلِ يَتَّبِعُ الرُّبَا وَمَدْرَجَ ذَرّ خافَ بَرْدًا فأَسْهَلاَ[4]

على صفحتيه بعد حِينِ جِلائه كَفَى بالَّذِى أبلى وأنعَتَ مُنْصُلاَ[5]

---

(١) القاضبة ، أراد به السيف القاضب ، فالتاء فيه للمبالغة ، كراوية . ولم أر هذه اللفظ لهذا المعنى فى كتاب . وجعله كالملح فى بياضه . والعرب يشبهون الشىء الأبيض بالملح كما سبق تشبيه الشحم به فى ص ٢٤ س ٧ . وجاء هذا البيت مخروما فى اللسان (مادة ترر) . ويمكن تصحيحه وإكماله مما هنا .

(٢) أعتسر الضربة ، أصله من اعتسر الرجل الكلام : إذا اقتضبه قبل أن يزوره ويهيئه . يقول : يفاجىء عدوه بالضربة السريعة . ط ، س : « أعسر » صوابه فى ﻫ . والشتر ، بالفتح : الجرح . وفى الأصل : « الشبر » ولا وجه له وأما « شتن » فهى فى ط : « شنن » والكلمتان غير واضحتين .

(٣) س : « تلثمها » ، والوجه ما أثبت من ط ، ﻫ .

(٤) الربا : جمع ربوة ، وهو المكان المرتفع . وفى الأصل : « الدبا » ولا وجه له وصوابه فى ديوان أوس وعيون الأخبار (٢ : ١٨٧) ومعاهد التنصيص (١ : ٤٨) والشعراء ١٥٧ . وأسهل : صار فى السهل من الأرض .

(٥) ط : « على صفحة من » ، والوجه « صفحتيه » مع حذف « من » كما فى س ، ﻫ والديوان . ورواية الديوان : « على صفحتيه من متون جلائه » .

(انتقام عقيل بن عُلَّفة ممَّا خطب إحدى بناته)

قال : وخطب إلى عَقيل بن علّفة بعضَ بناتِه رجلٌ من الُحرَقة[١] من جُهينة ، فأخذَه فشَدَّهُ قِماطاً ، ودهن آسته برُبٍّ وقَمَطهُ[٢] وقرَّبه من قريةِ النَّمل ، فأكل النملُ حُشوَةَ بطنِهِ[٣] .

(شِعرٌ فيه ذِكر النمل)

وقال ذو الرُّمّة :

وقَرْيَةٍ لاجنٍّ وَلاَ أَنَسِيّةٍ مُدَاخَلَةٍ أبوابُها بُنِيَتْ شَزْرَا[٤]

نَزَلْنَا بها مانبتغى عندَها القِرَى ولـكنَّها كانت لمنزلنا قَدْرا[٥]

وقال أبو العتاهية :

أَخْبِثْ بدارٍ هَمُّهَا أَشِـــبٌ جَثْلِ الفُرُوعِ كثيرةٌ شعَبُـــه[٦]

إنَّ استِهانَتَها بِمَنْ صرَعَتْ لَبِقَـــدْرِ مَا تَعْلو بِهِ رُتَبُه[٧]

---

(١) كذا على الصواب فى ط ، ﻫ وهى قبيلة . وفى س : « الحدقة » محرف . وفى الأغانى (١١ : ٨٢) أنه من بنى سلامان بن سعد .

(٢) قمطه : جمع بين يديه ورجليه . والرب بضم الراء ، هو الدبس ، أو هو ثفل السمن والزيت . وفى الأغانى : « ودهن استه بشحم » .

(٣) القصة فى الأغانى برواية تختلف كثيراً عن هذه .

(٤) أراد بالقرية قرية النمل . مداخلة : مخالفة فى بعضها بعضاً . شزرا : على غير استقامة فهى معوجة .

(٥) رواية الديوان ١٧٧ : « لا نبتغى عندها » .

(٦) أشب : كثير ، من قولهم شجر أشب : ملتف . جثل : كثير الورق . ط ، ﻫ : « جبل » صوابه فى س .

(٧) فى الأصل : « أزرا سياستها بمن صرعت » وهو تحريف صوابه من ديوان =

وإذا استوَتْ للنَّمل أجنِحَةٌ حتى يَطيرَ فقدْ دنَا عَطبُه[1]

وقال البَعيث :

وَمَوْلًى كَبَيْتِ النملِ لاخيْرَ عندَه لمولاه إلَّا سَعْيُــه بنَمــيمِ

(بعض ما قيل فى النمل)

قال : وقد سمعت بعضَ الأعراب[2] يقول : إنهُ لنمامٌ نمْــلىٌّ . على قولهم : « كذبَ علىَّ نَمِلٌ[3] » إذا أرادُوا أنْ يخبرُوا أنهُ نمام . وقال حميد بن ثَوْر ، فى تهوين[4] قوَّة الذّرّ :

منعَّمَة ، لو يُصْبِــحُ الذَّرُّ سارياً على جِلْدِها بضَّتْ مدارِجُهُ دما[5]

وقال الله عز وجل : ﴿ فمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ خيْرًا يرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ شرًّا يَرَهُ ﴾ .

قال : وقيل لعائشةَ ـ رضى الله تعالى عنها ، وقد تصدَّقتْ بحبَّةِ عنب ـ : أتَصَدّقينَ[6] بحبَّةِ عنب ؟ ! قالت : إن فيها لَمَثَـاقِيلَ ذَرّ[7]

= أبى العتاهية ص ٣٥ وثمار القلوب ٣٤٦ . « لبقدر » هى فى الأصل : « فبقدر » وأثبت ما فى الديوان والثمار ومروج الذهب (٣ : ٣٩٢) . و« تعلو » هى فى ط : « نقلوا » ، وتصحيحه من س ، ه والثمار والمروج . وبدلها فى الديوان : « تسمو » .

(١) فى الديوان : « وإن استوت » وانظر الكلام على البيت عند الدميرى .

(٢) س : « قال : وسمعت أعرابيا » .

(٣) النمل كـكتف والنامل والمنمل – كمحسن – والمنمل ـ كمنبر – والنمال ، كل أولئك بمعنى النمام .

(٤) س : « توهين » والتهوين : التقليل . والتوهين : الإضعاف . وهما متقاربان .

(٥) مدارج الذر : موضع دروجه . بضت : خرج منها الدم .

(٦) تصــدقين بمعنى تتصــدقين ، حذفت إحدى التاءين تخفيفاً . ط فقط : « أتتصدقين » .

(٧) مثاقيل : جمع مثقال ، بمعنى مقدار . س : « مثاقيل ذرة » صوابه فى ط ، ه . وعائشة رضى الله عنها ، تنظر إلى الآية السابقة .

(لغز فى النّمْل)

ومّما قيل فى الشِّعر من الُّلغز[1] :

فما ذو جَناحٍ له حافرٌ وليس يضَرُّ ولا ينفعُ

يعنى النَّمل . فزعم أنَّ للنَّمل حافرًا ، وإنَّما يحْفِرُ جُحره ، وليس ١١ يَحْفِرُه بفمه[2] .

(التعذيب بالنمل)

وعذَّب عُمَرُ بن هُبيرة[3] سعيدَ بن عَمْرو الحَرَشىّ[4] بأنواع العذاب فقيل له : إن أردت ألاَّ يُفْلِحَ أبدًا فمُرْهُمْ أن ينفُخوا فى دُبُرِه النَّمل . ففعلوا فلم يفلِحْ بعدها .

---

(١) البيت الآتى فى محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) .

(٢) وإنما يحفره بقوائمه الست . انظر الدميرى .

(٣) فى الأصل : « عمرو بن هبيرة » ، وصوابه ما أثبت . وعمر هذا ، أمير من الدهاة الشجعان ، ولى الجزيرة فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، ثم ولاه يزيد بن عبد الملك إمارة العراق وخراسان ، ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ فلم يعرف له خبر بعد ذلك ، وكان قائد أسطول المسلمين فى غزوة القسطنطينية سنة سبع وتسعين . انظر التنبيه والإشراف ١٤١ . وكان عمر يكنى أبا المثنى ، وفيه يقول الفرزدق ليزيد (المعارف ١٧٩) :

أوليت العراق ورافديه فزاريا أحذ يد القميص

تفنق بالعراق أبو المثنى وعلم قومه أكل الخبيص

(٤) سعيد بن عمرو الحرشى ، أحد قواد العرب ، وهو الذى قتل شوذبا الخارجى وفتك بمن معه ، وولاه ابن هبيرة خراسان سنة ١٠٣ ، ثم بلغه أنه يكاتب الخليفة مباشرة ولا يعترف بإمارته فعزله وعاقبه . والحرشى ، بفتح الحاء والراء ، نسبة إلى الحريش بن كعب بن ربيعة . وفى الأصل : « بن عمر » وصوابه من البيان (١ : ٣٨٩) وكتاب الوزراء (٦١) . و « الحرشى » هى فى الأصل : « الجرشى » بالجيم ، وصوابه فى البيان والطبرى (٨ : ١٧٥) ، وقد أورد الطبرى القصة .

(ما يدّخر قوته من الحيوان)

قالوا : وأجناسٌ من الحيوان تَدَّخرُ ، وَتُشَبَّهُ فى ذلك بالإنسان ذى العقل والرَّوِيَّة[١] وصاحبِ النَّظَرِ فى العواقب ، والتفكير فى الأمور : مثلُ الذّرّ ، والنّمل ، والفأر ، والجرذان ، والعنكبوت ، والنّحل . إلّا أنَّ النحل لا يدَّخر من الطعام إلّا جنساً واحداً ، وهو العسل .

(أكل الذَّرِّ للنمل)

وزعم اليقطرىّ[٢] أنَّك لو أدخَلْتَ نملةً فى جُحر ذرٍّ لأكلتها ، حتى تأتىَ على عامَّتها . وذكر أنَّه جرَّب ذلك .

(أكل الضِّباع للنمل)

وقال صاحب المنطق : إنَّ الضِّباع تأكل النمل أكلًا ذريعا ؛ وذلك أنَّ الضِّباعَ تأتى قريَةَ النَّمْلِ فى وقتِ اجتماعِ النّمل ، فتلحَس ذلك النَّملَ بلسانِها ، بشهوةٍ شديدةٍ ، وإرادة قويّة .

(أكل النمل للارضة)

قالوا : وربَّما أفسدت الأَرَضة على أهل القرى منازلَهم ، وأكلتْ كلَّ شىءٍ لهم . ولا تَزالُ كذلك حتى يَنْشو[٣] فى تلك القرى النَّمل ،

---

(١) الروية : النظر والتفكير . ط ، هـ : « الرؤية » صوابه من س .

(٢) يروى عنه الجاحظ فى البيان ، وكنيته أبو عثمان .

(٣) كذا فى س . وفى هـ : « ولا يزال » . وفى ط « ولا يزالوا » وهذه الأخيرة محرفة . و « ينشو » هى « ينشؤ » سهل همزها ، وهى بمعنى ينشأ ، فهذا =

فيسلط الله ذلك النّملَ على تلك الأَرَضة ، حتى تأتىَ على آخرها . وعلى أنَّ النَّمْلَ بعد ذلك سيكونُ له أذى ، إلاّ أنَّه دونَ الأرضةِ تعدِّيا . وما أكثرَ ما يذهَبُ النَّمل أيضاً من تلك القُرى ، حتى تتمَّ لأهلها السَّلامــةُ من النَّوعينِ جميعاً .

وزعم بعضهم أنَّ تلك الأَرَضَة بأعيانها تستحيل نَمْلاً ، وليسَ فَناؤُها لأكلِ النَّمْلِ لها ، ولكنَّ الأرضةَ نفسَها تستحيلُ نملًا . فعلى قدْرِ ما يَستحيل منها يُرَى النقص[1] فى عددِها ومضرَّتِها على الأيام .

(مثل فى النمل)

قال : وبالنَّمْلِ يُضرب المثل ؛ يقال : « جاءوا مِثْلَ النَّمْل » .

والزِّنْج نوعان ، أحدهما يفخَر بالعدد ، وهم يسمَّون النَّمل ، والآخَر يفخَر بالصَّبرِ وعِظَم الأبدان ، وهم يسمَّون الكلاب . وأحدهما يكبو والآخرُ ينبو . فالكلابُ تكْبو ، والنَّمل تنبو[2] .

(أجنحة النمـل)

قال : ومن أسـبابِ هلاك النَّمْلِ نباتُ الأجنحة له . وقد قال الشاعرُ[3] :

= الفعل يقال من باب منع ومن باب كرم ، كما فى القاموس . ط ، س : « ينشبوا » ولا تصح إلا بتكلف . وأثبت ما فى هـ .

(١) س : « النقصان » .

(٢) انظر البيان (٣ : ٥١) . وليس « تكبو » و «تنبو» لفظين عربيين ، بل هما من ألفاظ الزنج فيما يظهر ، فقول الجاحظ : « فالكلاب تكبو » لعل معناه تسمى « تكبو » بالزنجية . وتجد اضطرابا فى رسم هاتين الكلمتين ، فمرة بدئتا بالياء ، ومرة بدئتا بالتاء وعسى أن يهدينا إلى صوابهما أحد الصوماليين .

(٣) هو أبو العتاهية كما سبق ص ٣٢ .

وإذا استَوَتْ للنّمْلِ أجنحةٌ حتى يَطِيرَ فقَدْ دَنَا عَطبُه[١]

وإذا صارَ النَّمل كذلك أخصبَتِ العصافير ؛ لأنها تصطادها فى حال طـيرَانها .

(وسيلة لقتل النمل)

[قالوا[٢]] : وتُقْتَلُ بأنْ يصبَّ فى أفواه بيوتها القَطِران والكِبريتُ الأصفر ، ويُدَسَّ فى أفواهها[٣] الشَّعر . وقد جرَّبنا ذلك فوجـدناه باطلا . انتهى .

١٢ باب

جملة القول فى القِرْدِ والخِنزير

وفى تأويل المَسْخ ، وكيف كان ، وكيف يُمسخُ الناس على خلقتهما[٤] دونَ كلِّ شيء ، وما فيهما من العِبرة والمحنة ؛ وفى خصالها المذمُومة ، وما فيهما من الأُمورِ المحمودة ؛ وما الفَصْل[٥] الذى بينهما فى النَّقص ، وفى الفَضْل ، وفى الذمِّ وفى الحمد .

---

(١) س ، ه : « دنا أجله » وهو خطأ . انظر ص ٣٢ .

(٢) بمثل هذه الزيادة يستقيم الكلام ، وينسجم أوله مع آخره .

(٣) أى أفواه بيوتها .

(٤) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٥) فى الأصل : « الفضل » بالضاد المعجمة ، ووجهه ما أثبت .

(ما ذكر فى القرآن من الحيوان)

وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ فى القرآن العنكبوتَ ، والذّرَّ والنَّملَ ، والكلبَ ، والحِمار ، والنَّحلَ ، والهُدهدَ ، والغرابَ ، والذئب[1] ، والفيلَ والخيل ، والبغال ، والحمير ، والبقرَ ، والبعوضَ ، والمعز ، والضأن ، والبقرة ، والنعجة ، والحوت ، والنُّون[2] . فذكر منها أجناساً فجعلها مثلاً فى الذِّلَّة والضَّعف ، وفى الوهْن ، وفى الْبَذَاءِ ، والجهل .

(هَوانُ شأن القرد والخنزير)

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِى أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ ، فقلّلها كما ترى وحقّرها ، وضرب بها المثل. وهو مع ذلك جلَّ وعلا ، لم يمسخ أحداً من حَشْو أعدائه وعظمائهم بعوضة .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَن يَخْلُقوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شيئاً لَا يَسْتَنْقِذوهُ مِنْهْ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالَمطْلُوبُ ﴾ . إنّمَا قرّع الطالب فى هذا الموضعِ[3] بإنكاره وضعفه ، إذ عجز ضعفه عن ضَعْفِ

---

(١) س : « الدب » صوابه فى ط ، هـ . وليس فى القرآن الكريم ذكر للدب ، وإنما هو « الذئب » ورد فى قصة يوسف .

(٢) النون : الحوت العظيم ، وقد سمى يونس عليه السلام : ذا النون فى قوله تعالى : « وذا النون إذ ذهب مغاضبا » لأن النون كان قد التقمه فى اليم ، انظر مفردات الراغب . والجاحظ لم يستوعب ماورد فى القرآن من الحيوان ، وإلا فقد أغفل ذكر الإبل ، والثعبان ، والجراد ، والحية ، والسلوى ، والضفادع ، والغنم ، والفراش ، والقمل .

(٣) ط فقط : « الموضوع » .

مطلوبٍ لا شيءَ أضعفُ منه ، وهو الذباب . ثمّ مع ذلك لم نجدْه جلَّ وعلا . ذَكَرَ أنَّهُ مسخ أحدًا ذُبابا .

وقال : ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ ، فَدَلَّ بوهْن بيتِه على وهْن خلْقه ، فكان هذا القولُ دليلًا على التَّصغيرِ والتَّقليل . وإنما لم يقل : إنِّى مسختُ أحدًا من أعدائى عنكبوتاً .

وقال تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ ، فكان فى ذلك دليلٌ على ذمِّ طباعه ، والإخبار عن تسرُّعِهِ وبذائِه . وعن جهله فى تدبيره ، وترْكِهِ وأخْذه . ولم يقل إنى مسختُ أحدًا من أعدائى كلباً .

وذكر الذَّرَّة فقال : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ، فكان ذلك دليلاً على أنَّه من الغايات فى الصِّغَر والقِلَّة ، وفى خِفَّة الوزْن وقلة الرجحان . ولم يذكرْ أنه مسَخَ أحدًا من أعدائِه ذرَّة .

وذكر الحِمار فقال : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ، فجعله مثلًا فى الجهل والغفلة ، وفى قلةِ المعرفةِ وغِلَظِ الطَّبيعة . ولم يقلْ إنِّى مسختُ أحدًا من أعدائى حمارًا .

وكذلك جميع ما خَلَق وذَكَر من أصناف الحيوان بالذمِّ والحمد . فأمَّا غيرَ ذلك ممَّا ذكر من أصناف الحيوان[1] ، فإنّه لم يذكرْهُ[2] بذمٍّ ولا نقص ، بل قد ذكر أكثرَهنّ[3] بالأمور المحمودة ، حتَّى صار إلى ذكر ١٣

(١) الكلام من مبدإ : « بالذم والحمد » ساقط من س .
(٢) س : « يذكر » .
(٣) س : « أكثرها » .

القرد فقال : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنازِيرَ ﴾ فلمْ يكنْ لهما فى قلوبِ النَّاس حال . و [لو][1] لم يكن جعل لهما فى صُدور[2] العامّة والخاصّة من القُبْح والتَّشويه ، ونذالةِ النَّفس ، ما لم يَجعلْهُ لشيءٍ غيرهما من الحيوان ، لما خصَّهما الله تعالى بذلك .

وقد علمْنا أنَّ العقربَ أشدُّ عداوةً وأذًى ، وأفسَدُ ، وأنَّ الأفعى والثُّعْبانَ وعامَّةَ الأحناش[3] ، أبغَضُ إليهم وأقتَلَ لهم ، وأنَّ الأسَدَ أشَدُّ صَوْلةً ، وأنَّهم عن دفعهم له أعجز ، وبغضهم له على حسب قوّته عليهم ، وعجزِهم عنه ، وعلى حَسبِ سوءِ أثره فيهم . ولم نَرَهُ تعالى مسَخَ أحداً من أعدائه على صورة شيءٍ من هذه الأصناف . ولو كان الاستنذالَ والاستثقالَ والاستسقاطَ أراد ، لـكان المسخ على صورة بناتِ وَرْدانَ أولى وأحقَّ[4] . ولو كان التَّحقيرَ والتَّصغيرَ أرَادَ ، لـكانت الصُّؤابة والجِرْجِسَة[5] أولى بذلك . ولو كان إلى الاستصغار ذهَبَ لـكان الذَّرُّ والقمْل والذُّبابُ أولى بذلك . والدَّليل على قولنا قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ ، ولَيْسَ أن النَّاسَ رأوْا شيطاناً قطُّ على صورة ، ولـكنْ لمـا كان الله [تعالى] قد جعل[6] فى طِباع جميع الأمم استقباحَ جميعِ صُورِ الشَّياطين ، واستسماجَه وكراهتَهُ ، وأجرى على ألسنة جميعهم ضرْبَ المثـل فى ذلك — رجـع بالإيحاش والتّنفـير ، وبالإخافة

(١) ليست بالأصل .

(٢) س : « قلوب » .

(٣) الأحناش : الحيات ، جمع حنش بالتحريك . وفى الأصل : « الأجناس » محرف .

(٤) « على صورة » ساقط من س . و « أراد ، لـكان » هى فى س : « إذا كان » ، محرف .

(٥) الجرجس ، بكسر الجيمين : البعوض الصغار . فى الأصـل : « الخرجسة » صوابه ما أثبت .

(٦) فى الأصل : « جعل لها » وكلمة : « لها » مقحمة .

والتفزيع (١) ، إلى ما قد جعله اللهُ فى طباع الأوّلين والآخِرين وعندَ جميعِ الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم (٢) .

وهذا التأويل أشبهُ مِن قولِ مَنْ زعَمَ مِن المفسِّرين ، أنّ رءوسَ الشّياطين نبات ينبت باليمن (٣) .

وقال الله عزّ وجلّ لنبيّه : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ، أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ ، فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فذكر أنه رِجْس ، وذكر الخنزير ، وهو أحد المسوخ (٤) ، ولم يذكر فى هذه الآية التى أحصى فيها أصنافَ الحرام ، وأباح ما وراء ذلك ـــ القردَ .

وصار بعضهم إلى تحريمه من جهة الحديث . وهو عند كثيرٍ منهم يحتمل المعارَضة .

(مساوى الخنزير)

فلولا أنَّ فى الخنزير معنًى متَقَدِّماً (٥) سوى المسخ ، وسِوى ما فيهِ من قبح المنظر وسَماجة التمثيل ، وقبح الصوت ، وأكل العَذِرة ، مع الخلاف الشديد

---

(١) فى الأصل : « والتقريع » .

(٢) الخلاف بمعنى الاختلاف .

(٣) ممن ذكر هذا التأويل ، فخر الدين الرازى فى تفسير سورة الصافات ، ولكنه مع ذلك استظهر تأويل الجاحظ ، وهو الذى مال إليه أكثر المفسرين . ومما أولوا به الآية أيضاً أن تكون « الشياطين » ضربا من ضروب الحيات .

(٤) المسوخ : جمع مسخ ، ط : « الممسوخ » . والأوجه ما أثبت من س ، هـ .

(٥) ط ، هـ : « منقداً مما » تصحيحه من س .

واللِّواط المفْرط[1] والأخلاقِ السمجة ، ما ليس فى القرد الذى هو شريكه فى المسخ ــ لَمَا ذَكَرَه دونه .

١٤

(علة النص على تحريم الخنزير فى القرآن ، دون القرد)

وقد زعم ناسٌ أنَّ العربَ لم تَكنْ تأكلُ القرودَ . وكان من تنصَّرَ[2] مِن كبار القبائِل وملوكِها يأكلُ الخِنزير ، فأظهر لذلك تحريمَهُ ؛ إذ كان هناكَ عالَمٌ من الناس ، وكثير من الأشراف والوضعاء ، والملوكِ والسُّوقة ، يأكلونهُ أشدَّ الأكْل ، ويرغبون فى لحمه أشدّ الرغبة . قالوا : ولأنَّ لحم القرد يَنْهَى عن نفسِهِ . ويكفِى الطبائعَ فى[3] الزّجرِ عنهُ غَثَثُه[4] . ولحم الخنزير ممّا يُسْتَطابُ ويُتواصَف ، وسَبيلُ لحم القردِ كسَبيلِ لحمِ الكلب بل هو شرٌّ منهُ وأخبَث . وقد قال الشاعر[5] للأَسديِّ الذى لِيمَ بِأكل لحمِ الكلب[6] :

يا فقعسىٌّ لِمْ أكلْتَه لِمَهْ لو خافكَ اللهُ عليهِ حَرَّمَهْ

فما أكلْتَ لحمَهُ ولاَ دَمَهْ

وليس يريد بقوله : « لو خافك الله عليهِ » أنّ الله يخافُهُ على شيءٍ أو يخافه[7] من شيء . ولكنَّهُ لمّا كانَ الكلبُ عندَهُ مما لا يأكله أحد

---

(١) ط ، هـ « واللواطة المفرطة » : وإنما هو « اللواط المفرط » كما فى س .

(٢) ط : « تنصر » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) الغنث بالتحريك : ثقل الطعام على النفس ، وفى الأصل : « غثه » .

(٥) الشاعر هو سالم بن دارة كما سبق فى (١ : ٢٦٧ ، ٢ : ١٥٩) .

(٦) أى لامه الناس بأكله لحم الكلب ، وفى الأصل : « لم يأكل لحم الكلب » وهو عكس المراد .

(٧) ط ، هـ : « يخاف » فى الموضعين . وأثبت ما فى س .

وَلاَ يُخَافُ عَلَى أَكْلِهِ إلاّ المضطرُّ ، جعل بدل قوله : أَمِنَ الكلبَ على أكْل لحمه ، أنّ الله هو الذى لم يَخَفْ ذلك فيحرِّمه . وهذا ممّا لا تقف الأعرابُ عليه ، ولا تَتبَّعَ الوهمُ مواضِعَه ؛ لأنّ هذا بابٌ[١] يدخل فى باب الدِّين ، فيما يُعرَف بالنَّظر .

(ما قيل فى جودة لحوم الكلاب)

وقد يأكل أجْراءَ[٢] الكلاب ناسٌ ، ويستطيبونها فيما يزعمون . ويقولون : إنّ جرو الكلب أسمنُ شىء صغيراً ، فإذا شبَّ استحال لحمه ، كأنّه يشبّه بفرخ الحمام ما دام فرخا وناهضا ، إلى أن يستحكم ويشتدّ .

(ذكر من يأكل السنانير)

وما أكثر من يأكل السَّنانير . والذين يأكلونها صِنفان من الناس : أحدهما الفتى المغرور ، الذى يقال له أنت مسحور ، ويقال له : من أكل سِنّوراً أسودَ بهيما لم يعمَلْ فيه السِّحر ، فيأكله لذلك . فإذا أكله لهذه العلَّة ، وقد غسل ذلِكَ وعصره ، أذهب الماءُ زُهُومَته ، ولم يكن ذلك المخدوعُ بمستقذِرٍ ما استطابه . ولعلّهُ أيضاً أن يكون عليه ضربٌ من الطَّعام[٣] فوق الذى هو فيه ، فإذا أكله على هذا الشَّرط ، ودبّر هذا التدبير ، ولم ينكره ، عاوده . فإذا عاوده صار ذلك ضراوة له .

---

(١) ط : « فى باب »، والوجه حذف « فى » كما فى س ، هـ .

(٢) أجراء ، بفتح الهمزة وسكون الجيم : جمع جرو ، وهو هنا ولد الكلب .

(٣) س : « من حيث الطعام » ! .

والصِّنف الآخر أصحاب الحمام ، فما أكثر ماينصِبُون المصائدَ[1] للسَّنانير ، التي يُلقَّوْن منها في حمامهم[2] . وربَّما صادف غيظُ أحدهم وحَنَقُه وَغَضَبُهُ عليه ، أن [يكون] السِّنَّور مُفرِطَ السِّمن ، فيدعُ قتْله ويذبَحُهُ . فإذا فعل ذلك مرَّةً أو مرتين ، صار ضراوةً عليها . وقد يتقَزَّز[3] الرَّجلُ من أكل الضَّبِّ والورَل والأرنب ، فما هو إلاَّ أنْ يأكُله مرَّةً لبعض التَّجرِبة ، أو لبعض الحاجة ، حتى[4] صار ذلك سبباً إلى أكلها ، حتى يصير بهم الحال[5] إلى أن يصيروا أرغبَ فيها من أهلها . ١٥

(طيب لحم الجراد)

وهاهنا قومٌ لا يأكلون الجرادَ الأعرابيّ السمين ، ونحن لانعرف طعاماً أطيبَ منه . والأعراب إنَّما[6] يأكلون الحيَّاتِ على شبيهٍ بهذا الترتيب ولهذه العوارض .

(أكل الأفاعي والحيات)

وزعم بعضُ الأطبَّاء والفلاسفة ، أنَّ الحيَّاتِ والأفاعيَ تؤكل نِيئةً[7] ومطبوخة ، ومشويَّة ، وأنها[8] تغذو غِذَاءً حسَنا .

---

(١) كذا بالأصل . والوجه : « المصايد » بلا همزة ، مثل معايش .
(٢) أي يصيبهم الشر من السنانير .
(٣) ط ، هـ : « يتقذر » وهذا الفعل لا يحتاج إلى « من » ، فيقال « تقذر الشيء » .
(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .
(٥) س : « تصير بهم الحال » ، والحال تذكر وتؤنث .
(٦) ساقطة من س .
(٧) ط ، هـ : « نية » ، وهي صحيحة أيضا . انظر الاستدراكات .
(٨) ط ، هـ : « فإنها » .

(رؤبة وأكله الجرذان)

وزعم أبو زيد ، أنَّه دخل على رؤبةَ ، وعنده جِرذَانٌ قد شَوَاهُنّ ، فإذا هو يأكلهنّ ، فأنكر ذلك عليه ، فقال رؤبة : هُنّ خيرٌ من اليرابيعِ والضِّباب وأطيَبُ ، لأنها عندكم تأكُلُ الخبزَ والتمرَ وأشباهَ ذلك . وكفاك بأكل الجرذان !

ولولا هولَ الحيَّاتِ[1] في الصُّدور من جهة السُّموم ، لكانت من جهة التقذُّر[2] أسهلَ أمرًا من الجرذان .

(أكل الذِّبان والزنابير)

وناسٌ من السُّفالة[3] يأكلون الذِّبَّان . وأهلُ خُراسانَ يُعجَبون باتّخاذ البَزْماوَردِ[4] من فِراخ الزَّنابير ، ويعافون أذنابَ الجرادِ الأعرابيِّ السمين . وليسَ بين رِيح الجَرادِ إذا كانت مشويَّةً وبينَ رِيح العقارِبِ مشْويَّةً فرق . والطَّعْمُ تبعٌ للرائحة[5] : خبيثُها لخبيثها ، وطيِّبها لطيِّبها .

وقد زعم ناسٌ ، ممن يأكلون العقاربَ مشويَّة ونِيئةً ، أنها كالجراد[6] السِّمان .

---

(١) ط : « أن الحيات » وتصحيحه من س ، هـ .

(٢) س : « التقزز » .

(٣) السفالة ، بالضم : من بلاد الزنج في شرقي إفريقية . وفي الأصل : « الصقالبة » . وهو تحريف ، صوابه مما سبق في (٣ : ٣٢٣ س ٧) .

(٤) انظر ما أسلفت من شرح هذه الكلمة في (٢ : ٢٤٩ التنبيه الرابع) .

(٥) س : « الرائحة » .

(٦) في الأصل : « كالفراخ » ، وصوابه ما أثبت ، كما سيأتي واضحاً في (٥ : ٣٥٦) حيث يقول الجاحظ « وريح العقارب إذا شويت مثل ريح الجراد . وما زلت أظن أن الطعم أبداً يتبع الرائحة ، حتى حقق ذلك عندي بعض من يأكلها مشوية ونية أنه ليس بينهما وبين الجراد الأعرابي السمين فرق » .

وكان الفضلُ بنُ يحيى يوجِّه خدمَهَ فى طلب فراخِ الزَّنابير ليأكها . وفراخُها ضربٌ من الذِّبَّان .

(أكل لحوم البراذين)

فأمَّا لحوم البراذين فقد كثُر علينا وفِينا ، حتى أنِسْنا به . وزعم بعضهم أنَّه لم يأكلْ أطيبَ من رأس بِرْذَونٍ وسُرَّتِه . فأمَّا السُّرَّةُ والمَعْرَفة[1] فإنهم يزاحِمون بها الجِدَاءَ والدَّجاج . ويقدِّمون الأسرامَ المحشوَّة .

(أكل السراطين ونحوها)

ومِن أصحابنا مَن يأكل السَّراطين أكلاً ذريعاً . فأما الرَّقُّ[2] والكوسج[3] فهو من أعجب طعام البحْرِيِّين . وأهل البَحر يأكلون البلبل[4] وهو اللَّحم الذى فى جوف الأصداف .

والأعرابىُّ إذا وجد أسودَ سانخاً[5] ، رأى فيهِ مالا يرى صاحب الكسمير فى كسميره[6] .

---

(١) المعرفة ، كمرحلة : موضع العرف من الفرس .

(٢) الرق : سلحفاة المياه .

(٣) الكوسج : جنس من الأسماك الغضروفية كبير يخشى شره ، وهو فى الماء شر من الأسد فى البر ، يقطع الحيوان فى الماء بأسنانه ، كما يقطع السيف الماضى . ويسمى بالقرش فى سواحل البحر الأحمر . وكلب البحر Dogfish نوع صغير منه . وذكر الأب أنستاس فى مجلة المشرق أن القرش معرب : Karcharias اليونانية . انظر معجم المعلوف ٢٢٥ — ٢٢٦ .

(٤) ط : « اللبل » ، وأثبت ما فى س ، هـ .

(٥) الأسود السالخ : ضرب من الحيات .

(٦) كذا بالأصل ، وانظر ما سيأتى فى حواشى (٦ : ٨٤) .

(أكل ديدان الجبن)

وخَبَّرنى كم شِئْتَ[١] من الناس ، أنَّه رأى أصحابَ الجبْن الرَّطبِ[٢] بالأهوازِ وقراها ، يأخذون[٣] القِطعةَ الضَّخمة من الجبْن الرَّطب[٤] ، وفيها ككواء الزنابير[٥] ، وقد تولَّدَ فيها الدِّيدان ، فينفضها وسْطَ رَاحتِه ، ثمَّ يقمَحُها[٦] فى فيهِ ، كما يقمَحُ السَّويق والسُّكَر ، أو ماهو أطيبُ منهُ .

(ذكر بعض أنواع العذاب)

وقد خبَّر الله تعالى عن أصحاب النِّقم ، وما أنزل الله من العذاب ، وما أخذ من الشكل والمقابلات ، فقال : ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾ ، وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ

---

(١) وردت هذه العبارة أيضاً فى ص ١٤٠ من هذا الجزء . كما ورد مثلها فى ص ٢٤ : « وقد خبرنا من لايحصى من الناس » . واستعمال « كم » فاعلا ، هو لغة رديئة حكاها ابن عصفور ، وخرج عليها هو قوله تعالى : « أو لم يهد لهم كم أهلكنا » . انظر مغنى اللبيب .

(٢) فى الأصل : « الجبن والرطب » ، وأثبت الصواب موافقاً ما سبق فى (٣ : ٣٢٣ س ٩) . والمراد به ذلك النوع المعتق من الجبن ، الذى يسميه عامة مصر : « المش » بكسر الميم . وجاء فى القاموس : « والأرنة بالضم : الجبن الرطب » . وهناك الجبن اليابس كانوا يملحونه ويجففونه . انظر تذكرة داود .

(٣) س : « يأخذ أحدهم » .

(٤) ط ، هـ : « والرطب » ، والصواب من س . وانظر التنبيه الثانى من هذه الصفحة .

(٥) الكواء ، بالكسر : جمع كوة بالفتح ، وهى الخرق فى الحائط ، أو الثقب فى البيت .

(٦) قمح السويق ونحوه ، من باب سمع : استفه .

بِأَصْحَابِ الفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيل . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا ١٦
أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴾ .

وليس من هـذه الأصنافِ شيءٌ أبلغُ فى المُثْـلة والشُّنْعةِ ، ممَّن[1] جَعَلَ منهم القِرَدَة والخنازير .

(ما يقبل الأدب من الحيوان)

فالخنزير يكون أهليا ووحشيا ، كالحمير[2] والسَّنانير مما يعايش النَّاس . وكلها لاتقبل الآداب . وإنَّ الفُهُودَ وهى وحشيَّةٌ تقبل كلها ، كما تقبَلُ البوازِى ، والشَّواهين ، والصقورة[3] ، والزُّرَّق ، واليُؤيؤ ، والعُقَاب ، وعَنَاق الأرض[4] ، وجميعُ الجوارحِ الوحشيَّات . ثمَّ يفضلها الفهدُ بخَصْلةٍ غريبة وذلك أنَّ كبارَها ومَسانَّها أقبلُ للاداب ، وإن تقادَمَتْ فى الوحْش[5] ، مِنْ أولادها الصغار ، وإن كانت تقبل الآداب ؛ لأنَّ الصغير إذ أُدِّبَ

---

(١) فى الأصل : « من أن » .

(٢) ويجمع الحمار أيضاً على أحمرة ، وحمر — بضمتين وبضمة — وحمور ، وحمرات ، ومحموراء . جاء فى ط : « كالحمامير » وهو تحريف ، صوابه ما أثبت من هـ ، س .

(٣) الصقر يجمع على أصقر وصقور وصقورة ، وصقار وصقارة بكسر صاديهما ، وصقر بالضم . ط ، هـ : « والصقور » . وأثبت ما فى س . والجاحظ يميل إلى هذا الجمع كما سبق فى (٣ : ١٨٢ ، ٥٣٩) .

(٤) عناق الأرض ، بفتح العين : دويبة أصغ من الفهد حسن الصورة ، لونه أحمر ، وفى أعلى كل من أذنيه شعرات سود ، يصيد كل شىء حتى الطير ، ويسمى أيضاً التفة ، وهو بالفارسية سياه كوش ، وبالإفرنجية : Caracal . وفى الأصل : « عتاق الأرض » بالتاء . صوابه ما أثبت .

(٥) فى مباهج الفكر ، نسختى الخطية : « التوحش » والعبارة تتجه بكل منهما .

فبلغ ، خرج خِبًّا مُوَاكِلا(١) ، والمسنّ الوحشىّ يخلُص لك كُله ، حتى يصير أصيدَ وأنفعَ . وصغارُ سباعِ الطَّير وكبارُها على خلاف ذلك ، وإن كان الجميع يقبل الأدب . والخنزيرُ وإن كان أهليًّا فإنهُ لايقبل الأدبَ على حال ، حتى كَأَنَّهُ ـ وإن كان بهيمةً ـ فى طباع ذئب .

وذلك أنَّ أعرابيًّا أخذَ جرْوَ ذئب وكان التقطه التقاطا ، فقال : أخذْتهُ وهو لا يعرف أبويَهِ ولا عملَهُما ، وهو غِرٌّ لم يصِدْ شيئاً ، فهو إذا ربَّيناه وألَّفناه ، أنفعُ لنا مِن الكلب . فلمّا شبَّ عدا على شاة لهُ فقتلَها وأكل لحمها ، فقال الأعرابىُّ :

أَكَلْتَ شُوَيهَتى وَرَبِيتَ فِينَا ... فَمَنْ أَدْرَاكَ أَنَّ أباكَ ذِيبُ(٢)

فالذئب وجرو الذئب إذا كانا سبعين وَحْشِيَّيْنِ [كانا(٣)] ثمَّ من أشدِّ الوحْش توحُّشا ، وألزمِها للقِفار ، وأبعَدِها من العمران .

والذِّئب أغدَر من الخنزير والخِنَّوص(٤) ، وهما بهيمتان .

---

(١) الخب ، بالفتح ويكسر : الخداع الخبيث . ط : « حبيبا » ، هـ : « جبنا » ، صوابه فى س . وانظر ما سيأتى فى (٦ : ٤٧١) .

(٢) س : « فن أنباك » ومثل هذه الرواية فى (٦ : ٢٤ ، ٧ : ١٨٧ ، ٢٥٣) حيث تعاد القصة . وانظر محاضرات الراغب (١ : ١٢٢) ومثل هذه القصة عن عجوز أعرابية عند الدميرى . والشعر فيه :

بقرت شويهتى وفجعت قلبى ... وأنت لشاتنا ولد ربيب
غذيت بدرها وربيت فينا ... فن أنباك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء ... فلا أدب يفيد ولا أديب

(٣) مثل هذه الزيادة ضرورى ليستقيم الكلام .

(٤) الخنوص ، كسنور : ولد الخنزير .

(ضرر الخنزير)

وأمّا ضرره وإفساده ، فَمَا ظنّك بشيءٍ يُتَمَنَّى له الأسَد ؟ ! وذلك أن الخنازير(١) إذا كانت بقرب ضِيَاعِ قومٍ هلَكتْ تلك الضِّياع ، وفسَدتْ تلك الغَلَّات . وربَّما طلب الخنزير(٢) بعضَ العروقِ المدفونَةِ فى الأرض فيخرِّب مائةَ جريبٍ(٣) ، ونابه ليس يغلبه مِعْول . فإذا اشتدَّ عليهم البلاءُ تَمنَّوا أن يصير فى جَنَبتهم(٤) أسد . ولربَّما صار فى ضياعهم الأسد فلا يَهِيجونَه ، ولا يؤذونَه ، ولو ذهب إنسانٌ ليحفر له زُبيةً(٥) منعوه أشدَّ المنع ؛ إذ كان ربَّما حَمَى جانبَهم من الخنازير فقط . فما ظنّك بإفسادها ، وما ظنّك ببهيمةٍ يُتَمَنَّى أن يكون بدلها(٦) أسد ؟ ! ثمَّ مع ذلك إذا اجتمعوا للخنازير بالسِّلاح ، وبالآلاتِ والأدوات التى تقتل بها ، فربَّما قتل الرَّجُلَ منهم ، أو عقرَهُ العقرَ الذى لا يندمِل ؛ لأنَّه لا يضرب بنابه شيئاً إلاَّ قطعَه ، كائناً ما كان . فلو قَتلوا فى كلِّ يوم منها مائةً وقتلتْ فى كلِّ يومٍ إنساناً واحداً ، لما كان فى ذلك عِوض .

---

(١) ط ، هـ : « الخنزير » بالإفراد . والوجه الجمع كما أثبت من س .

(٢) ط ، هـ : « الخنازير » بالجمع . والوجه الإفراد كما أثبت من س .

(٣) الجريب ، يقال فى الأرض كما هنا ، ومقداره عشرة آلاف ذراع ، أو ثلاثة آلاف وستمائة ذراع ، يختلف ذلك باختلاف البلدان . وأما جريب الطعام ، فهو أربعة أقفزة .

(٤) الجنبة ، بالفتح : الناحية . س ، هـ : « جنتهم » وليست مرادة فيما أرى . وأثبت المراد من ط .

(٥) الزبية ، بالضم : حفرة يصاد بها الأسد .

(٦) س : « مكانها » .

١٧ والخنازير تطلب العَذِرَة ، وليست كالجلاَّلة[1] ؛ لأنها تطلب أحَرَّها وأرطبَها وأنتنَها ، وأقربَها عهداً بالخروج . فهى فى القرى تعرِف أوقاتَ الصُّبحِ والفجْر ، وَقبلَ[2] ذلك وبعدَه ؛ لبُروزِ[3] النَّاس للغائط . فيعرف من كان فى بيته نائماً فى الأسحار ومع الصُّبح ، أنَّه قد أسْحَرَ[4] وأصبح ، بأصواتها ومرورِها ، ووقْعِ أرجلها فى[5] تلك الغيطان ، وتلك المتبرَّزات . ولذلك ضربُوا المثلَ ببكور الخنزير ، كما ضربوا المثل بحذَرِ الغراب ورَوَغان الثَّعلب .

على أنَّ الثَّعلبَ ليس بأرْوَغَ من الخنْزير ، ولا أكَدَّ للفارس ، ولا أشدَّ إتعاباً لصاحبه .

(بعض أسباب المسخ)

فأمَّا قُبحُ وجهِه فلو أنَّ القُبح والإفلاس، والغَدْر والكذب ، تجسَّدت ثمَّ تصوَّرتْ[6] لمَا زادتْ على قبح الخنزير . وكلّ ذلك بعضُ الأسباب التى مُسِخ لها الإنسان خنزيراً .

وأنَّ القرد لَسَمِجُ الوجْه ، قبيحُ كلِّ شيء[7] . وكفاك به أنَّه للمثل المضروب — ولكنَّهُ فى وجهٍ آخَرَ مليحٌ . فمِلْحهُ[8] يعترض على قُبْحه

---

(١) الجلالة من الحيوان : التى تأكل الجلة والعذرة .

(٢) الواو ليست بالأصل، وأثبتها من مباهج الفكر، وفيها أيضاً : « قبيل » مكان : « قبل » .

(٣) كذا فى ط ، هـ ومباهج الفكر . وفى س : « لخروج » .

(٤) أسحر ، بالسين : صار فى السحر ، والسحر : الوقت قبيل الصبح . ط ، هـ : « أصحر » بالصاد ، ولا تليق هنا . وأثبت الصواب من س ومباهج الفكر .

(٥) فى الأصل : « إلى »، وصوابه فى مباهج الفكر .

(٦) كذا فى ثمار القلوب ٣٢١ نقلا عن الجاحظ . ط ، هـ : « تجسم وتصور » س : « تحشد ثم تصور »، وصوابهما ما أثبت . وانظر سائر القول .

(٧) فى ثمار القلوب : « قبيح فى كل شىء » .

(٨) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحة ، يقال : ملح ملحاً وملاحة .

فيمازجه ويُصلِح منه . والخِنزيرُ أقبح منه ؛ لأنّه ضربٌ مُصمَتٌ بهيم ، فصار أسمجَ ببعيدٍ .

(وثب الذكورة على الذكورة)

وحدّثنى بعضُ أهل العلم ، ممّن طال ثَواؤه فى أرض الجزيرة ، وكان صاحبَ أخبارٍ وتجربة ، وكان كلفاً بحبِّ التبيّن[1] ، معترضاً للأُمور ، يحبُّ أنْ يُفْضِيَ إلى حقائقها ، وتثبيت أعيانها بعللها ، وتمييز[2] أجناسها ، وتعرّف مقاديرِ قَواها ، وتصرُّف أعمالها ، وتنقُّل حالاتها ؛ وكان يعرِفُ للعلم قَدْرَهُ ، وللبيان فضلهُ .

قال : ربّما رأيت الخنزير الذّكر وقد ألجأه أكثرُ مِن عِشرينَ خنزيرا إلى مَضِيق ، وإلى زاوية ، فينزُون عليه واحداً واحداً[3] ، حتى يبلغ آخرُهم .

وخبَّرنى هذا الرَّجل وغيرُه من أهل النّظر وأصحابِ الفكر ، أنّهم رأوا مثلَ ذلك من[4] الحمير . وذكروا أنّ ذلك إما تأنيثٌ فى طبعه ، وإمّا أنْ يكون له فى أعينها من الاستحسان شبيهٌ بالذى يعترى عيونَ بعضِ الرجال فى الغلمان ، والأحداثِ الشّبَاب .

وقد يكون هذا بين الغَرانِق والكَرَاكِيّ . والتَّسافُد بين الذَّكر والأنثى . والسافد والمسفود إذا كانا من جميع الذكورة ، كثيرٌ فى جميع أصناف

---

(١) فى الأصل : « التبيين » ، وهو تحريف يتكرر كثيراً . وإنما هو « التبين » بمعنى التفهم والاكتناه .

(٢) فى الأصل : « وتميز » .

(٣) بدله فى مباهج الفكر ، وكذا نهاية الأرب (٩ : ٣٠٠) : « ثم ينزو عليه الأمثل فالأمثل » .

(٤) س : « فى » .

الحيوان ، إلَّا أنَّه فى جميع الخنازير والحمير أفشى . وأمَّا[١] تسافُد الحمام الذَّكر والأنثى للذَّكر[٢] ، فأكثرُ من أن يكون فيه تنازع .

(معارف فى الخنزير)

وباب آخر ممَّا ذكر صاحب المنطق ، فزعم أنّ من الخنازير ماله ظِلف واحد[٣] ، وليس لشىء من ذوات الأنياب فى نابه من القوَّة والذَّرَب ما للخنزير الذكر ، وللجملِ ، والفهد ، والكلب .

قال : والإنسان يلقى أسنانه[٤] ، وكذلك الحافر والخفّ .

قال : والخنزير لايلقى أسنانَه ألبتّة .

(من لم يثغر)

١٨ ويقال : إنّ عبد الصَّمد بنَ علىٍّ[٥] لم يُثغر قط[٦] ، وأنَّه دخل قبره بأسنان الصِّبا .

---

(١) ط ، هـ : « فأما » .

(٢) كذا فى س . وفى ط ، هـ : « الذكر للأنثى والأنثى للذكر » .

(٣) يعنى ظلفا غير مشقوق كأنه الحافر . وجاء فى (٧ : ٢٤٠) : « وفى الخنازير ماليس ظلفه بمنشق » .

(٤) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، هـ : « والإنسان لايلقى أسنانه » .

(٥) هو عبد الصمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ويكنى أبا محمد ، ولى الجزيرة لأبى جعفر المنصور ، وكان أقعد بنى هاشم فى عصره . المعارف ١٦٣ .

(٦) يقال ثغر ، بالبناء للمجهول ، وأثغر ، بالبناء للفاعل : سقطت أسنانه . وانظر العقد (٦ : ٢٣١) .

(أسنان الذئب والحية والضبع)

وزعم بعضهم أنَّ أسنان الذِّئب مخلوقَةٌ فى الفكّ ، ممطولةٌ [١] فى نفس العظم . وذلك ممَّا توصف به أسنان الحيَّة . قال الشَّاعرُ :

مُطِلْنَ فى اللَّحْيَيْنِ مَطْلاً إلى الـــرَّأسِ وَأَشْدَاقٍ رَحِيبَاتِ [٢]

والشَّاعِرُ يمدحُ الشىءَ فيشدِّدُ أمرَه ، ويقوِّى شأنهُ ، وربَّما زاد فيه ، ولعلَّ الذى قال فى الذِّئب ما قال ، هذا أراد .

ولا يشكُّون أنّ الضبع كذلك .

(مرق لحم الحيوان)

قال : وليس يجمُدُ [٣] مرق لحم الحيوان السَّمين ، مثل الخنزير والفرس ، وأمَّا ما كان كثير الثَّرب [٤] فمرقته تجمد [٥] ، مثل مرق لحم المِعْزَى .

---

(١) المطل : أصله السبك والطبع . ط ، هـ : « مطوطة » وصوابها من س ومما سبق فى (٢ : ٢١٤ س ٢) .

(٢) سبق البيت فى (٢ : ٢١٤) ، وسيعاد فى هذا الجزء ص ١٨٠ ، ٢٨٢ .

(٣) يجمد ، بالجيم : أى يصير جامداً ، والمراد يجمد ما يكون فوقه من الإهالة ، أى الدسم . وسيأتى مثل هذا المعنى بصورة أخرى فى ص ٩٤ . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، س « يحمل » وفى هـ : « يحمد » . وكتب فى هامشة س : « خ يحمد خ تحمد » وكل أولئك محرف .

(٤) الثرب : شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء .

(٥) فى الأصل : « تحمل » . وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(طباع الخنزير)

قال : والخنزير الذَّكر يقاتِل فى زمن الهيْج ، فلا يدَعُ خنزيراً إلاَّ قتله ، ويدنُو من الشَّجرة ويدلُكَ جلدَه ، ثمَّ يذهب إلى الطين والحمأة فيتلطخ به ، فإذا تساقط عاد فيه .

قال : وذكورة الخنازير تطرد الذُّكورة عن الإناث ، وربَّما قتل أحدُهما صاحبه وربّما هلكا جميعا ، وكذلك الثِّيرانُ والكِبَاشُ والتُّيوس فى أقاطيعها ، وهى قبل ذلك الزَّمان[1] متسالمة .

(ما يعرض لبعض الحيوان عند الهيج)

والجمل فى تلك الحالة[2] لا يدَعُ جملاً ولا إنساناً يدنُو من هَجْمَتِه[3] . والجمل خاصَّةً يكره قُربَ الفَرَس ، ويقاتله أبدا .

ومثل هذا يعرِض للذِّئبة والذِّئب . والأُسد ليس ذلك من صفاتها ؛ لأنَّ بعضَها لا يأوى إلى بعضٍ ، بل ينفرد كلُّ واحدٍ بلبؤته . وإذا كان للذِّئبة الأنثى جِرَاء[4] ساءت أخلاقُها وصَعُبت ، وكذلك إناث الخيل والفيل : يسوءُ خلقَها فى ذلك الزَّمان ، والفيَّالون يحمونها النَّزْو ؛ لأنها إذا نزت جهِلت جهلاً شديداً ، واعتراها هَيْجٌ لا يُقام له . وإذا كان ذلك الزَّمان أجادوا عَقْله ، وأرسلوه فى الفِيَلة الوحشيّة . فأمَّا الخنزير والكلبُ فإنهما لا يجهلان على النَّاس ؛ لمكان الألفة .

---

(١) أى زمان الهيج .

(٢) ط ، هـ : « الحالات » .

(٣) الهجمة ، بالفتح : جماعة الإبل من الأربعين إلى المائة .

(٤) جراء : جمع جرو ، وهو ولدها . س : « جرى » ، مصغر جرو .

قال : وزعم بعضُ النَّاس أنَّ إناثَ الخيلِ تمتلئ ريحاً فى زمان هيْجها ، فلا يباعدون الذُّكورة عنها ، وإذا اعتراها ذلك ركضَتْ ركضاً شديدا ، ثمَّ لا تأخذ غرباً ولا شرقاً ، بل تأخذ فى الشَّمالِ والجنوب .

ويعرض مثل هذا العَرَضِ لإناث الخنازير . فإذا[1] كان زَمَنُ هَياج الخنازير ، تطأطئ رءوسها ، وتحرِّك أذنابهَا تحريكاً متتابعا ، وتتغيّر أصواتها إذا طَلبت السِّفاد . وإذا طلبت الخنزيرةُ السِّفادَ بالت بولاً متتابِعا .

(تناسل الخنازير)

قال : وإناث الخنازير تحمل أربعة أشهر . وأكثرُ ما تحمل عشرون خِنَّوصا[2] . وإذا وضعت أجراءً كثيرةً لم تَقْوَ على رَضاعها وتربيتها .

قال : وإناث الخنازير تحمل مِنْ نزوةٍ واحدة ، وربما كان من أكثر . وإذا طلبت الذكرَ لم تنزع حتى تطاوع وتسامحَ ، وترخىَ أذنابها . فإذا فعلت ذلك[3] تكتفى بنزْوةٍ واحدة .

ويُعلَفُ الذَّكرُ الشَّعيرَ فى أوان النَّزْو ، ويصلح للأُنثى .

١٩

(مدد الحمل للحيوان)

والخنزيرة تضع فى أربعةِ أشهر ، والشَّاة فى خمسة ، والمرأة والبقرة فى تسعة أشهر ، والحافر كله فى سنة .

---

(١) س : « وإذا » .

(٢) الخنوص ، كسنور : ولد الخنزير .

(٣) س : « فعند ذلك » .

(خصائص الخنزير)

قال : ومتى قلعت العينَ الواحدة من الخنزير هلك . وكثيرٌ من الخنازير تبقى خمسة عشر عاما . والخنزير ينزو إذا تمّ له ثمانية أشهر ، والأنثى تريد الذّكر إذا تمّت لها ستّة أشهر . وفى بعض البلدان ينزو إذا تمّ له أربعة أشهر ، والخنزيرة إذا تمّت لها ستّة أشهر ، ولكنَّ أولادهما لا تجىء كما يريدون . وأجود النَّزْو أن يكون ذلك منه وهو ابن عشرة أشهر إلى ثلاث سنين . وإذا كانت الخنزيرة[1] بكرًا ولدت جِراءً ضعافا ، وكذلك [البكر] من كل شىء .

وقالَ اللهُ تبارك وتعالى : ﴿ كُلوا مِنْ طيِّبَاتِ مارَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا للهِ إنْ كُنْتُمْ إيّاهُ تَعْبدُونَ ﴾ ثمّ ذكر [غيرَ[2]] الطيِّبات فقال : ﴿ حرِّمَت عَلَيْكمُ المَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغيْرِ اللهِ بِهِ وَالمُنخَنِقَة وَالمَوْقوذة وَالمُترَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إلَّا ما ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ، وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلَامِ ، ذٰلكُمْ فِسْقٌ[3] ﴾ .

---

(١) ط : « الخنيزيرة » بالتصغير .

(٢) ليست بالأصل : وبها يصح الكلام .

(٣) الدم : أى الدم المسفوح ، وكان أهل الجاهلية يصبونه فى الأمعاء ويشوونها . وانظر ص ٩٦ . وما أهل به لغير الله : أى مارفع الصوت لغير الله به ، كقولهم : باسم اللات والعزى عند ذبحه . والموقوذة : المضروبة بنحو خشب ، أو حجر ، حتى تموت . والمتردية : التى تردت من علو أو فى بئر فماتت . والنطيحة : التى نطحتها غيرها فماتت . وما أكل السبع : أى ما أكل منه سباع الحيوان الصائد . والنصب : واحد الأنصاب ، وهى أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويتقربون بذلك . والاستقسام بالأزلام : ما كانوا يفعلونه من التياسر بالأقداح على الجزور .

ثمّ قال : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنهُمُ الْقِرَدَةَ وَالخنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغوتَ[1] أُولٰئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ ، وقال : ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ ما أَحَلَّ اللهُ لَكمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمعْتَدِين ﴾ .

(استطراد لغوى)

وقوله تعالى : ﴿ طيِّبَاتِ ﴾ تحتمل وجوهاً كثيرة ، يقولون : هذا ماءٌ طيِّب ، يريدون العُذوبة . وإذا قالوا للبُرِّ والشَّعيرِ والأرز طيِّب ، فإنما يريدون أنَّه وسَطٌ ، وأنّه فوقَ الدُّون . ويقولون : فمٌ طيِّب الرِّيح ، وكذلك البُرّ ، يريدون أنّه سليم من النَّتْن ، ليس أنَّ هناك ريحاً طيبة ولا ريحاً منتنة . ويقولون : حلالٌ طيِّب ، وهذا لا يحل [لك[2]] ، ولا يَطيب لك ، وقد طاب لك : أى حلَّ لك ، كقوله : ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاث وَرُبَاعَ ﴾ .

---

(١) عطف على : « من لعنه الله » أى « ومن عبد الطاغوت » . وقرئ : « عابد الطاغوت » ، و « عبد الطاغوت » نعت كفطن ويقظ ، و « عبدة الطاغوت » ، و « عبد الطاغوت » جمع كخدم . والطاغوت منصوبة فى قراءة حفص ، مجرورة فى القراءات الأربع التى سردتها . والمراد به الكهنة ، أو من أطاعوه فى معصية الله .

(٢) الزيادة من هـ ، س .

(٣) س : « انكحوا » ، وهو وجه جائز فى الاستشهاد حيث يصح ترك الواو والفاء ونحوهما ، فى أول الاستشهاد ، وقد سبق مثله فى (٣ : ١٥) ، وسيأتى نظيره فى ٢٧٦ . وقد كتب إلى حضرة المحدث الكبير الأستاذ أحمد محمد شاكر ، أن الشافعى جرى على هذا النحو فى ثلاثة مواضع من « الرسالة » وهى : رقم ٦٤٣ قول الشافعى : « لقول الله : يحل لهم الطيبات » والتلاوة « ويحل » . ورقم ٩٧٤ قول الشافعى : « وقال : قاتلوا المشركين كافة » والتلاوة : « وقاتلوا » . ورقم ٩٧٥ قوله : « وقال : اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » والتلاوة : « فاقتلوا » .

قال طُوَيْسٌ المغنِّى لبعضِ[١] ولد عثمانَ بنِ عفّان[٢] : لقدْ شَهِدْتُ زِفاف أمِّك المبارَكةِ إلى أبيك الطيِّب . يريد الطَّهارَة . ولو قال : شهدت زِفاف أمِّك الطيِّبة إلى أبيك المبارك ، لم يحسُنْ ذلك ؛ لأنَّ قولك طيِّب إنَّما يدلّ على قدر ما اتَّصلَ به من الكلام . وقد قال الشّاعرُ[٣] :

والطيِّبون مَعاقِدَ الأُزرِ[٤]

وقد يخلو الرَّجلُ بالمرأة فيقول : وجدتها طيِّبة . يريد طَيِّبة الكَوْم[٥] لذيذة نفس الوطء . وإذا قالوا : فلان طيِّب الخُلُق ، فإنما يريدون الظَّرْفَ والمِلْح[٦] .

وقال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ حَتَّى إذا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ ، يريد ريحاً ليستْ بالضعيفة ولا القويّة .

---

(١) طويس هذا ، هو الذى يقال فيه : « أشأم من طويس » وذاك أنه – كما يقولون – ولد يوم قبض الرسول ، وفطم يوم وفاة أبى بكر ، وختن يوم مقتل عمر ، وزوج يوم مصرع عثمان ، وولد له ولد يوم قتل على . وهو أول من تغنى بالمدينة غناء يدخل فى الإيقاع . وعمر حتى مات فى ولاية الوليد بن عبد الملك .

(٢) هو سعيد بن عثمان بن عفان ، وكان سأل طويساً : أينا أسن ، أنا أو أنت ياطويس ؟ فأجابه طويس بالجواب الآتى . انظر البيان (١ : ٢٦٣) . وأول الجواب فى البيان : « بأبى أنت وأمى ، لقد . . . » إلخ .

(٣) هو الخرنق بنت هفان ، من مرثية لها ترثى بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد الضبعى ، وابنها علقمة ، وأخويه حسان وشرحبيل ، ومن قتل معهم من قومهم . الخزانة (٢ : ٣٠٦ بولاق) .

(٤) صدر البيت :

* النازلين بكل معترك *

والأزر : جمع إزار ، وسكن الزاى للشعر . وهو ما ستر النصف الأسفل من الإنسان . والمعنى أنهم أعفاء . ط : « الأرز » ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) الكوم ، بالفتح ، بمعنى الوطء .

(٦) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحة .

ويقال : لا يحلُّ مال امرئٍ مسلمٍ إلّا عن طيبِ نفْسٍ منه . وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً ﴾ وقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ ، وذلك إذْ[١] كانت طيِّبة الهواء والفواكهِ ، خصيبةً . ٢٠

وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ثمَّ قال : ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

وفى هذا دليلٌ على أنّ التأويلَ فى امرأةِ نوحٍ وامْرأة لوط ، عليهما السلام ، على غير ما ذهب إليه كثيرٌ من أصحاب التفسير : وذلك أنهم حينَ سمِعوا قوله عزّ وجلّ : ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا ﴾ فدلَّ ذلك على أنَّه لم يَعْنِ الخيانةَ فى الفرْج .

وقد يقع اسمُ الخيانة على ضروب : أوّلها المالُ ، ثمَّ يشتقُّ من الخيانة فى المال الغشُّ فى النصيحةِ والمشاورةِ . وليس لأحدٍ أنْ يوجِّه الخبرَ إذا نزل فى أزواج النبى صلّى الله عليه وسلّم وحرَم الرُّسُل ، على أسمَجِ الوجوه ، إذا كان للخبر مذهبٌ فى السّلامة ، أو فى القُصُور على أدنى العيوب[٢] . وقد علمْنا أنّ الخيانةَ لا تتخطَّى إلى الفرج حتّى[٣] تبتدئ بالمال . وقد

(١) فى الأصل : « إذا » .

(٢) القصور ، بمعنى الانتهاء . وفى الأصل : « المقصود » ، وليس لها وجه .

(٣) ط ، هـ : « قد » .

يستقيم أن يكونا من المنافقين فيكون ذلك منهما خيانة عظيمة . ولا تكون نساؤهم زوانيَ ، فيلزمهم أسماءٌ قبيحة . وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ إذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدَ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ وقال : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالا طَيِّباً ﴾ وقال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ وقال : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ و : ﴿ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ وقال : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ فقوله : طيِّب ، يقع فى مواضعَ كثيرةٍ ، وقدْ فصَّلنا بعض ذلك[1] فى هذا الباب .

ثم رجع بنا القولُ إلى موضعنا من ذِكْر الخنزير

ثمَّ قال : ﴿ قُلْ لاَ أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . ٢١
ألَا تراه قد ذكر أصنافَ ما حرَّم ولم يذكرْها بأكثرَ من التَّحريم ، فلمَّا ذكر الخنزير قال : ﴿ فإنَّهُ رِجْسٌ ﴾ ؟ ! فجعل الخنزير وإن كان غير ميتة أو ذكر الذّابح عليه اسم الله ، أنّه رِجسٌ[2] . ولا نعلم لهذا الوجه إلَّا الذى خصّهُ الله به من ذكر المسخ ، فأراد تعظيمَ شأنِ العِقاب ونزولِ الغضَب ، وكان ذلك القول ليس مما يضرّ الخنزير ، وفيه الزّجر عن محارمه ، والتّخويفُ

---

(١) ط ، ه : « بعضها » .

(٢) ط : « رجسا » موضع : « أنه رجس » .

من مواضع عذابه . و [إن قِيلَ(١)] : ينبغى أن يكون مسَخَ صورة القرد ، فهلَّا ذكره فى التحريم مع أصناف ما حرَّم ، ثمّ خصَّهُ أيضاً أنَّه من بينها رجس ، وهو يريد مذهبه وصفته ؟ قلنا : إنّ العربَ لم تكن تأكلُ القرودَ ، ولا تلتمسُ صيدَها للأكل . وكلُّ مَن تنصَّرَ من ملوك الرُّومِ والحبشةِ والصِّين ، وكلُّ مَن تمجَّس من مَلكٍ أو سُوقة ، فإنَّهُـمْ كانوا يرون لِلحْمِ الخنزير(٢) فضيلة ، وأنّ لحومَها ممّـا تقوم إليهِ النفوسُ ، وتنازِع إليـه الشّهوات . وكان فى طباع الناس من التكرُّه للحوم القِرَدةِ ، والتقذُّر(٣) منها ما يُغنى عن ذكرها . فذكر الخنزير إذْ كان بينهما هذا الفرق ، ولو ذكر ذلك وألحقَ القردَ بالخنزير لموضع التحريم ، لكان ذلك إنما كان على وجه التوكيد لمـا جعله الله تعالى فى طبائعهم من التكرُّه والتقذّر ، ولا(٤) غير ذلك .

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ(٥) ﴾ .

---

(١) زيادة يقتضيها الكلام . وجواب الاعتراض فى السطر الثالث .

(٢) ط ، هـ : « لحم الخنزير » وصوابه فى س .

(٣) خير منه : « التقزز » .

(٤) س : « لا » بحذف الواو .

(٥) الذين هادوا : اليهود . والمراد بالظفر المخلب والحافر أيضاً . والمراد بالشحوم شحوم الثروب وشحوم الكلى . حملت ظهورهما : أى ما علق بظهورهما من الشحم . والحوايا : الأمعاء ، واحدها حاوية . والشحم الذى اختلط بالعظم هو شحم الألية . لاتصاله بالعصعص . ط بعد : « . . . عليهم شحومهما » : كلمة « الآية » . وجاءت معرودة فى س ، هـ إلى « وإنا لصادقون » .

(وجوه التحريم)

وقد أنبأك[1] كما ترى عن التّحريم أنّهُ يكون مِنْ وجوه : فمنها مايكون كالكذب والظلم والغَشم[2] والغدْر ؛ وهذه أمورٌ لا تحلُّ على وجهٍ من الوجوه. ومنها ما يحرم فى العقْل مِن ذبح الإنسانِ الطِّفلَ . وجعَلَ فى العقول التبيُّنَ[3] بِأَنّ خالق الحيوانِ أو المالكَ له ، والقادرَ على تعويضه ، يقبح[4] ذلك فى السماع على ألسنة رسله .

وهذا مِمّا يحرم بعَينِهِ وبذاتِهِ، لَأنهُ[5] حرِّم لعلة قد يجوز دفعها . والظلم نفسُه هو الحرام ، ولم يحرَّم لعلة غير نفسهِ .

وباب آخر ، هو ما جاء من طريق التعبُّد ، وما يعرف بالجملة ، ويعرف بالتفسير .

ومنهُ ما يكون عقاباً ، ويكون مع أنهُ عِقابٌ امتحاناً واختباراً ، كنحو ما ذكر من قوله : ﴿ ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ ﴾ وكنحو أصحاب البقرةِ الذين قيلَ لَهُمْ : اذْبَحُوا بَقَرَةً ؛ فإِنِّى أريد أن أضرِبَ بها القتيل ثم أحْيِيهما جميعا . ولو اعترضوا مِن جميع البقر بقرة فذبحوها ، كانوا غير مخالفين ؛ فلمّا ذهبوا مذهب التلكّؤ والتعلّل[6] ، ثم التعرُّض ، والتعنُّت[7] فى طريق التعنّت ، صار ذلك سبب تغليظ الفرض[8] .

---

(١) كذا على الصواب فى س ، هـ . وفى ط : « أنبأناك » .

(٢) الغشم : الظلم .

(٣) فى الأصل : « التبيين » وانظر التنبيه ١ ص ٥١ .

(٤) س ، هـ : « أن يقبح » وكلمة « أن » مقحمة .

(٥) فى الأصل : « وأنه » ، والوجه ما أثبت .

(٦) التلكؤ : الإبطاء والاعتلال . ط ، س : « التلكى » هـ : « التلظى » صوابه ماأثبت . والتعلل : بمعنى التماس العلل . ط : «التعليل» ؛ صوابه ماأثبت من س ، هـ .

(٧) كذا . ولعلها : « التعلل » .

(٨) وذلك أنهم سألوا موسى أسئلة ثلاثة ، فكلما سألوا سؤالا زاد عليهم التكليف = .

وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ . ومثله : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا ﴾ ، يجوز أن يكونَ إنَّمَا يريدون صَرْفَ العذاب ، ويجوز أن يكون إنما يريدون تخفيف الفرائض . وقد يجوز أن يكونَ[١] على قول من قال : لا أستطيع النظرَ إلى فلانٍ ، على معنى الاستثقال[٢] . ٢٢

وبابٌ آخرُ من التّحريم ، وهو قَوْله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ[٣] ﴾ .

(شعر في الخنزير)

وقال مروان بن محمد[٤] :

يَمْشِي رُوَيْدًا يُرِيدُ ختلكم[٥] ... كمشي خِنزيرةٍ إلى عَذِرَةْ[٦]

= انظر الآيات ٦٧ – ٧١ من سورة البقرة . ولو أنهم أطاعوا الأمر باديء بدء لما عرض لهم هذا التشديد .

(١) في الأصل : « يجوز إذا » وانظر ماسبق .

(٢) في الأصل : « الاستقبال » .

(٣) إسرائيل هو يعقوب عليه السلام . وكان حرم على نفسه بعض الطعام ، كلحوم الإبل وألبانها .

(٤) هو أبو الشمقمق الذي سبقت ترجمته في (١ : ٢٢٥) .

(٥) كذا في ط . وفي س ، هـ : « خلعكم » ، وصوابه « حلقتكم » كما سبق في (١ : ٢٣٩) .

(٦) ط : « غذرة » ، وتصحيحه من س ، هـ .

وقال آخر [١] :

نِعْمَ جَارُ الخنزيرةِ المرضِعُ الغَرْ ثَى إذا ما غـــدا ، أبُو كلثوم [٢]
طاوياً قد أصاب عند صـــديق من ثريد مُلَبَّـــدٍ مَأْدُوم [٣]
ثمّ أنْحَى بِجَعْرِهِ حاجبَ الشَّمْ س فَأَلْقَى كالمِعْلَفِ المهْدُوم

(جرير والحضرمي)

وقال أبو الحسن [٤] : وفد جريرٌ على هشامٍ ، فقال الحضرمى : أيُّكُمْ يشتمهُ ؟ فقالوا : ما أحدٌ يقْدِمُ عليهِ ! قال : فأنا أشتمهُ ويرضَى وَيَضْحَكُ ! قال : فقام إليهِ فقال : أنت جرير ؟ قال : نعم . قال : فلا قرّبَ اللهُ دارَك ولا حيَّا مَزَارك ! يا كَلْب ! فجعل جريرٌ ينتفخ ، ثمَّ قال لهُ : رَضيتَ فى شرفك وَفضْلك وَعَفافك أنْ تهاجِى القردَ العاجز [٥] ؟ ! يعنى الفرزدق . فضحك.

فحدَّث صديقٌ لى أبا الصَّلَع السِّندىَّ [٦] بهذا الحديث ، قال : فشِعرى أعجبُ من هذا ؛ لأنى شتمت البُخَلاءَ ، فشتمت نفسى بأشدَّ ممّا شتمتهم . فقال : وَما هو ؟ قال قولى :

لا تَرَى بيتَ هجاءٍ أبداً يُسْمَعُ مِنِّى
الهِجَا أَرْفَعُ مِمَّنْ قَدْرُهُ يصغرُ عنِّى [٧]

---

(١) هو الحكم بن عبدل ، كما سبق فى (١ : ٢٣٦) .
(٢) الغرثى ، بالغين : جمع غرثان ، وهو الجائع . ﻫ : « الفرثى » صوابه فى ط ، س والبيان (٣ : ٣١١) .
(٣) فى الجزء الأول : « من ثريد ملبق » . والمأدوم : المخلوط بالأدم بالضم ، وهو ما يخلط به الخبز .
(٤) هو أبو الحسن المدائنى الأخبارى الراوية .
(٥) ط : « الفاجر العاجز » وأثبت ما فى س ، ﻫ .
(٦) ذكره ابن النديم فى الشعراء المقلين ١٦٤ ليبسك ٢٣٣ مصر ، وذكره المرزبانى فى المعجم ٣١١ باسم « أبو الضلع » فى حرف الضاد المعجمة . ﻫ : « الهندى » .
(٧) س : « ينقص غنى » .

(طريفة)

قال أبو الحسن : كان واحدٌ يسخَر بالنَّاس ، ويدَّعى أنَّه يَرقِى من الضِّرس إذا ضربَ على صاحبه . فكان إذا أتاه مَن يشتكى ضِرسه قال له إذا رقاه : إيَّاك أنْ تذكر إذا صِرتَ إلى فِراشك القِردَ ؛ فإنَّك إنْ ذكرته بَطلَتِ الرُّقية ! فكان — إذا أوَى إلى فراشه — أوَّلَ شىء يخطر على باله ذِكرُ القرد ، ويبيت على حاله من ذلك الوَجَع ، فيغدو إلى الذى رقَاه فيقول له : كيف كنت البارحة ؟ فيقول : بِتُّ وَجِعًا ! فيقول : لعلَّك ذكرْت القرد ! فيقول : نعم ! فيقول : مِنْ ثَمَّ لم تنتفع بالرُّقية ! ٢٣

(شعر لبعض ظرفاء الكوفيين)

وقال بعضُ ظُرَفاءِ الكوفيِّين :

فإنْ يشْرَبْ أبو فَرُّوخَ أشْرَبْ ... وإنْ كانت معتَّقَــةً عُقَارَا[1]

وإن يأكلْ أبو فــرُّوخَ آكُلْ ... وإن كانت خَنانِيصاً صِغــارَا[2]

---

(١) انظر للكلام على صرف «فروخ» اللسان (فرخ) حيث أنشد البيت الثانى برواية أخرى . والعقار ، بالضم : الخمر ؛ لمعاقرتها ، أى ملازمتها الدن ، أو لعقرها شاربها عن المشى .

(٢) الخنانيص : جمع خنوص ، كسنور ، وهو ولد الخنزير . والبيتان فى عيون الأخبار (٣ : ١٦) . والثانى منهما فى اللسان (فرخ) .

(قرد يزيد بن معاوية)

وقال يزيد بن معاوية[1] :

فَمَنْ مبلِغُ القِردِ الذى سَبَقتْ به   جيَادَ أميرِ المؤمنين أتَانُ
تَعَلَّقْ أبا قَيْس بها إنْ أطعتَنى   فليس عليها إن هلَكْتَ ضَمَانُ[2]

(جزع بشار من شعر حماد)

وزعم الجودانى أنَّ بشَّاراً الأعمى ، لم يجزَعْ من هجاءٍ قطُّ كجزَعِه مِن بيتِ حمَّادِ عَجْرِدٍ ، حيث يقول :

ويا أقبَحَ مِن قردٍ   إذا ما عَمِى القِرْدُ

(١) س : « أبو يزيد بن معاوية » ، وصوابه ما أثبت من ط ، ﻫ وأمالى الزجاجى ٤٦ والمخصص (١٣ : ١٧٧) . ونهاية الأرب (٩ : ٣٣٧) وفى مروج الذهب (٣ : ٧٧) أن القائل بعض شعراء الشام ، وكذا فى مباهج الفكر ١٢٢ . وللبيتين قصة طريفة فقد ذكروا أن يزيد بن معاوية كان له قرد يلعب به ، فلامه الناس على اتخاذه ، فأمر به فشد على أتان وحشية ، ثم أطلقت ، وأمر أن تطلبه الخيل ، فركض الخيل ، وتنادت الفرسان فى طلبه فنجا ولم يدرك . وأنشد يزيد البيتين الآتيين (برواية أخرى) :

تمسك أبا قيس على أرحبية   فليس علينا إن هلكت ضمان
فقلت من الشخص الذى سبقت به   جياد أمير المؤمنين أتان

قلت : ومعنى اللعب بالقرد هو السباق به . ويتضح ذلك من النص الآتى عن نهاية الأرب : « وفى القرد من قبول التأديب والتعليم مالاخفاء به عن أحد ؛ حتى إنه درب قرد ليزيد بن معاوية على ركوب الحمير والمسابقة عليها » .

(٢) أبو قيس : كنية القرد ، كما فى المخصص . بها : أى بالأتان .

(شعر فى الهجاء)

وقال بُشَير بن أبى جَذِيمة العَبسىّ[١] :

أَتَخْطِرُ لِلْأَشْرافِ حِذْيَمُ كبرة   وهل يستعدُّ القِرْدُ للخَطَرانِ[٢]

أبى قِصرُ الأذنابِ أن يَخطِرُوا بها   ولُؤْمُ قُرودٍ وَسْط كلِّ مكانِ

لقد سِمِنَتْ قِرْدانُكُم آلَ حِذْيَم   وأحسابُكم فى الحىِّ غيرُ سِمانِ[٣]

الأصمعىُّ[٤] عن أبى الأشهب[٥] عن أبى السليل قال : ما أبالى أخنزيراً رأيتُ يَجُرُّ برجله[٦] ، أو مثل[٧] عبيد ينادى : يالَ فُلان !

---

(١) هو بشير ، بهيئة التصغير ، ابن أبى جذيمة بن الحكم بن مروان بن زنباع بن جذيمة العبسى ، ذكره الآمدى فى المؤتلف والمختلف ٦١ . وروى له أبو تمام الأبيات الآتية فى حماسته (٢ : ١٨٢) . وفى الأصل : « بشر بن المنذى » ، وهو تحريف غير صالح .

(٢) تخطر : من خطر البعير : ضرب بذنبه يمينا وشمالا . والكبرة ، بالكسر : العظمة ، أو التجبر . يقول لقبيل حذيم : أتحدثون أنفسكم بمباراة الأشراف ؟ ! وجعلهم قرودا لخستهم . والقرد لاذنب له يخطر به . ورواية الحماسة : « أتخطر للأشراف يا قرد حذيم » .

(٣) سئل أبو الندى عن معنى هذا البيت فقال : كنى بالقردان هنا عن القمل . أى سمنت أجسامكم وعظمت ، ودقت أحسابكم ولؤمت . وأصل القردان ، بالكسر : جمع قراد بالضم ، وهو دويبة تلزم الإبل ومعاطنها . ورواه أبو تمام : « قعدانكم » جمع قعود ، وهو الذكر الشاب من الإبل . جعل قعدانهم سمينة لأنهم يؤثرونها باللبن على الضيف والجار ، فأحسابهم غير سمان . وقد رد أبو محمد الأعرابى رواية أبى تمام . التبريزى (٤ : ٩) .

(٤) ط : « وقال الأصمعى » ، صوابه ما أثبت من س ، هـ .

(٥) س : « ابن الأشهب » .

(٦) س : « برجليه » .

(٧) س : « قتيل » .

(استطراد لغوى)

الأصمعىُّ عن أبى ظبيان[1] قال : الخُوز[2] هم البُناة[3] الذين بنوا الصَّرح[4] واسمُهم مشتقٌّ من الخنزير . ذهب إلى اسمه بالفارسية [خوك[5]] ، فجعلت العرب خُوك[6] خُوزاً[7] . إلى هذا ذهب .

(تناسل المِسخ)

و [قد] قال النَّاسُ فى المِسْخ بأقاويلَ مختلفة : فمنهم من زعم أنّ المِسْخ لا يتناسل ولا يبقى إلاَّ بقدر ما يكون موعظةً وعِبْرة ، فقطعوا على ذلك[8] الشهادةَ . ومنهم مَن زعم أنَّه يبقَى ويتناسل ، حتى جعل الضَّبَّ والجِرِّىَّ[9] ، والأرانب ، والكلاب وغيرَ ذلك ، من أولادِ تلك الأمم التى مُسِخت فى هذه الصُّور . وكذلك قولُهم فى الحيَّات .

وقالوا فى الوزَغ : إن أباها[10] ، لمَّا صنع فى نَار إبراهيمَ وبيت المقْدِس ماصنع[11] ، أسَمَّه الله وأبرصَه ، فقيل : « سامّ أبرص » . فهذا الذى

---

(١) لم أعثر له على تعريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من س . وبدلها فى ط : « الخزر » صوابه ما أثبت من هـ ومن معجم البلدان . والخوز بالضم : أهل خوزستان .

(٣) البناة ، بالضم : جمع بان . وبدله فى المعجم : «الفعلة» . ط ، هـ : « البنات » محرفة .

(٤) الصرح ، بالفتح : بناء عظيم قرب بابل ، يقال إنه قصر بختنصر . عن المعجم .

(٥) فى الأصل ، وهو هنا س : « هزر » وتصحيحه من معجمى استينجاس وريتشاردسن ، والمعارف لابن قتيبة ص ٢٧٠ . وانظر معجم البلدان (خوز) .

(٦) فى الأصل : « خزر » وصوابه ما أثبت . انظر التنبيه السابق .

(٧) فى الأصل : « خنزيرا » . والوجه ما كتبت .

(٨) ط ، هـ : « تلك » . والشهادة معمول قطعوا .

(٩) الجرى : ضرب من السمك . زعم أصحاب الخرافة أنه كان أمة من الأمم مسخها الله انظر الحيوان (١ : ٢٩٧ س ٥) .

(١٠) س ، هـ : «أباهم» . وقديستعمل ضمير العاقلين لغيرهم. وقد عقد الثعالبى فى سر العربية فصلا لذلك ، عنوانه : (فصل فى إجراء غير بنى آدم مجراهم فى الإخبار عنه) .

(١١) فى سنن ابن ماجه ، عن عائشة رضى الله عنها ، أنه كان فى بيتها رمح موضوع ، فقيل =

نرى[1] هو من ولده ؛ حتَّى صار فى قتله الأجرُ العظيم ، ليس على أنّ الذى يقتُله كالذى يقتل الأُسْدَ والذِّئاب ، إذا خافها على المسلمين .

وقالوا فى سهيل [2] ، وفى الزُّهَرة[3] ، وفى هارُوت وماروت[4] ، وفى قيرى وعيرى أبَوَىْ ذِى القرنين[5] ، وجُرْهم[6] ، ماقالوا .

= لها : ما تصنعين بهذا ؟ فقالت : أقتل به الوزغ فإن النبى صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقى فى النار لم يكن فى الأرض دابة إلا أطفأت عنه ، غير الوزغ فإنه كان ينفخ عليه النار ، فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله . وكذا رواه الإمام أحمد فى مسنده . وكذا رووا أنه لما أحرق بيت المقدس كانت الأوزاغ تنفخه . الدميرى .

(١) س : « يرى » .

(٢) سهيل ، ذاك النجم . زعموا أنه كان عشاراً باليمن . الحيوان (١ : ٢٩٧) وتأويل مختلف الحديث ١٠ . ومما يشبه هذه الخرافة مازعموا أن ذئباً دخل الجنة لأنه أكل عشاراً .

(٣) الزهرة : ذاك الكوكب . زعموا أنها كانت بغيا عرجت إلى السماء باسم الله الأعظم فسخها الله شهابا . تأويل مختلف الحديث ١٠ .

(٤) زعم العوام ، متتبعين حكاية اليهود ، أنهما ملكان مثلا بشرين ، وركب فيهما الشهوة ، فتعرضا لامرأة يقال لها الزهرة ، فحملتهما على المعاصى والشرك ، ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما من السحر — انظر التنبيه السابق وتفسير البيضاوى — وقال الجاحظ فى شأنهما : « وكان الملك من الملائكة إذا عصى ربه فى السماء ، أهبطه إلى الأرض فى صورة رجل وفى طبيعته ، كما صنع بهاروت وماروت ، حين كان من شأنهما وشأن الزهرة — وهى أناهيد — ما كان » . انظر الحيوان (١ : ١٨٧ س ٤) . والمذهب القرآنى فيهما أنهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ، ابتلاء من الله للناس ، وتمييزاً بين السحر والمعجزة ، وكانا يقولان لمن يعلمانه : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » ، أى نحن نعلم العلم لا للعمل ؛ فعلم السحر لا بأس به ، وأما العمل به فحظور ممنوع .

(٥) وكذا جاءا بالباء الموحدة فى فقه اللغة بدون اختلاف فى النسخ ، وثمار القلوب ٢٢٦ وكذا فى الجزء الأول من نسخة كوبريلى . راجع هذه الطبعة (١ : ١٨٨) وفى رسائل الجاحظ ٩٧ ساسى : « قيرى وعيرى » بالمثناة التحتية . وفى ط : « فزى وعبرى » و هـ : « فزى وعزى » و س (صرى — مهملة — وعبرى) أما أولها فزعموا أنها أم ذى القرنين ، وأنها كانت آدمية ، وأما الآخر فهو أبو ذى القرنين ، وكان من الملائكة فيما زعموا . انظر الحيوان (١ : ١٨٨) وثمار القلوب . جاء فى الأصل بعده : « وفى أبوى » . وكلمة : « فى » مقحمة كما ظهر لك . وجاء فى ط ، هـ : « ذوى القرنين » تحريف صوابه فى س .

(٦) جرهم هذا هو ابن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام ، فيما يرى نساب =

(القول فى المَسْخ)

٢٤ فأمَّا القول فى نفس المَسْخ فإنَّ النَّاس اختلفوا فى ذلك : فأمَّا الدُّهريّة فهم فى ذلك صِنفان : فنهم مَن جَحَد المسْخَ وأقرَّ بالخسْف[1] والرِّيح والطُّوفان ، وجعل الخسْف كالزَّلازل ، وزعم أنَّه يقِرُّ منَ القذْف بما كان من البَرَد الكِبَار[2] ؛ فأمَّا الحجارة فإنّها لا تجىء من جهة السَّماء . وقال : لستُ أجوِّز إلَّا ما اجتمعت عليهِ الأمّة أنّه قد يحدث فى العالم . فأنكَر المسْخَ البتّة .

(أثر البيئة)

وقال الصِّنف الآخَر : لا ننكر أنْ يفسُدَ الهواءُ فى ناحيةٍ من النواحى فيفسدَ ماؤهم[3] وتفسُدَ تُربتهم ، فيعملَ ذلك فى طباعهم[4] على الأيَّام ،

= العرب . قالوا : ولما ترك إبراهيم ولده إسماعيل وأمه بمكة ، جاءت رفقة من جرهم فنزلوا شعاب مكة ، فنشأ إسماعيل مع أولادهم وتعلم الرمى ونطق بلسانهم ثم خطب إليهم فزوجوه امرأة منهم ، قال ابن إسحاق : هى بنت مضاض بن عمرو الجرهمى . والزعم الذى أشار إليه الجاحظ هو قولهم : إن بعض الملائكة عصى الله فأهبط إلى الأرض فى صورة رجل تزوج أم جرهم فولدت له جرهما . انظر الحيوان (١ : ١٨٧ س ٧) . والعرب يسمون ما تولد بين الملك والآدمى — فى زعمهم — « العلبان » بالعين . فقه اللغة ٨٢ الحلبى .

(١) يقال خسف الله به الأرض : جعلها تسوخ به . قال تعالى فى شأن قارون : « فخسفنا به وبداره الأرض » .

(٢) أى أنه يجوز عنده أن تقذف السماء على الناس برداً كبارا . فأما سقوط الحجارة من السماء للتعذيب فهو ينكره . والانتقام بمطر الحجارة جاء فى القرآن الكريم على أنه عقاب لقوم لوط : « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود » . هود ٨٢ . « فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل » . الحجر ٧٤ . « لنرسل عليهم حجارة من طين » . الذاريات ٣٣ . فى الأصل : « أنه يقرب من القذف » ، وصوابه ما أثبت .

(٣) ط ، هـ : « ماتهم » ، صوابه فى س .

(٤) س : « طبائعهم » .

كما عمل ذلك فى طباع الزِّنج ، وطباع الصَّقالبة[1] ، وطباع بِلادِ يأجوج ومأجوج[2] . وقد رأينا العَرب وكانوا أعراباً حينَ نزلوا خراسانَ ، كيف انسلخوا من جميع تلك المعانى ، وترى طباعَ بلاد الترك كيفَ تطبَعُ الإبلَ والدَّوابَّ وجميعَ ماشيتهم : من سبُعٍ وبهيمةٍ ، على طبائعهم . وترَى جرادَ البقولِ والرَّياحِين ودِيدانها خُضْراً ، وتراها[3] فى غير الخُضرة على غير ذلك . وترى القمْلة فى رأس الشابِّ الأسودِ الشَّعر سوداء ، وتراها فى رأس الشَّيخ الأبيضِ الشَّعر بيضاء ، وتراها فى رأس الأشْمط شمطاء ، وفى لون الجملِ الأورق[4] . فإذا كانت فى رأس الخَضِيب بالحمرةِ تراها حمراء . فإنْ نَصَلَ خضابه صار فيها شُكْلةٌ من بين بيضٍ وحُمْر[5] .

وقد نرى حَرَّة بنى سُلَيم[6] ، وما اشتملت عليه من إنسانٍ وسبع ، وبهيمةٍ وطائر ، وحشرة فتراها كلَّها سوداء .

---

(١) الصقالبة : جنس يسكن بين بلاد بلغار وقسطنطينية . معجم البلدان . وقد بين خصائصهم المسعودى فى التنبيه والإشراف ٢٢ .

(٢) جنس من الآسيويين ، بنى من أجلهم سد الصين الذى بناه الإسكندر ، وبين المسعودى طباعهم بأنهم فى عداد البهائم .

(٣) ط ، هـ : « أو تراها » س : « وتراها » .

(٤) الشمط محركة : بياض الرأس يخالط سواده ، ويستعمل أيضاً فى غير الرأس . وكلمة « شمطاء » والواو بعدها ليستا فى س ، هـ . وفى التنبيه والإشراف ص ٢٧ حيث تجد مثل هذا الكلام : « شهباء » . والشهبة نحو الشمط . والأورق من الإبل : ما فى لونه بياض إلى سواد . وانظر رسائل الجاحظ (٢ : ٢١٩ - ٢٢٠) .

(٥) الشكلة ، بالضم : اختلاط البياض بالحمرة . وفى الأصل : « شكله » محرف .

(٦) الحرة ، بالفتح : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار . وسليم ، هو بهيئة التصغير — ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، وهذه الحرة فى عالية نجد . وانظر الكلام بتفصيل فيما اشتملت عليه هذه الحرة ، فى رسائل الجاحظ ٧٨ ساسى وثمار القلوب ٩٦ .

وقد خبَّرَنَا من لا يُحصَى من النَّاس أنّهم قد أدركوا رجالاً من نبَط بَيسان[1] ، ولهم أذنَابٌ إلاّ تكنْ كأذنَاب التماسيح والأسد والبقر والخيل وإلّا كأَذنَابَ السَّلاحف والجِرْذان ، فقد كان لهم عُجوبٌ[2] طِوالٌ كالأذنَاب .

وربَّما رأينا الملاّح النَّبَطِى فى بعض الجعفريّات[3] على وجههِ شبهُ القِرْد . وربَّما رأيْنا الرَّجلَ من المغرِب فلا نجد بينَهُ وبين المِسخ ، إلاّ القليل .

وقد يجوز أن يصادف ذلك الهواء الفاسدُ ، والماءُ الخبيث ، والتربةُ الرديَّةُ ، ناساً فى صفةِ هؤلاء المغربيِّين[4] والأنباط ، ويكونون جُهّالاً ، فلا[5] يرتحلون ؛ ضَنانَةً[6] بمساكنهم وأوطانهم ، ولاينتقلون . فإذا طال ذلك عليهم زادَ فى تلك الشعور ، وفى تلك الأذناب ، وفى تلك الألوان الشُّقْر ، وفى تلك الصُّوَر المناسبةِ للقرود .

قالوا : ولم نعرفْ ، ولم يثبُتْ عندنا بالخبر الذى لايعارَض ، أنّ الموضع الذى قلب صُوَرقوم إلى صورالخنازير ، هو الموضع الذى نقل صُوَر قَوْمٍ إلى صُوَرِ القرود . وقد يجوز أن تكون هذه الصُّورُ انقلبت فى مهبِّ الريح الشمالى، والأخرى

---

(١) بيسان : هذه قرية من قرى الموصل . وانظر الخبر فى معجم ما استعجم ١٢٨٣ فى رسم (ميسان) بالميم .

(٢) العجوب : جمع عجب ، بالفتح ، وهو أصل الذنب .

(٣) كذا . والمعروف « الجعفر » وهو النهر الصغير ، أو الكبير ، أو الملآن ، أو فوق الجدول .

(٤) ط ، ه : « المشوهين » . وأثبت ما فى س .

(٥) س : « ولا » .

(٦) الضنانة بالفتح : مصدر ضن يضن ، بالفتح والكسر : بخل .

في مهبِّ الجنوب[١] . ويجوز أن يكون ذلك كان في دهرٍ واحد ؛ ويجوز أن يكون بينهما دهرٌ ودهور . ٢٥

قالوا : فلسْنا ننكر المِسْخ إن كان على هذا الترتيب ؛ لأنَّه إن كان على مجرى الطَّبائع ، وماتدور به الأدوار ، فليس ذلك بناقضٍ لقولِنا ، ولا مثْبتٍ لقولكُمْ .

قال أبو إسحاق[٢] : الذى قلتم ليسَ بمُحالٍ ، ولا يُنْكَر أن يحدُثَ في العالَم برهاناتٌ ، وذلك المِسخ كان على مجرى ماأُعطوا من سائر الأعاجيب ، والدَّلائل والآيات . ونحن إنَّما عرفنا ذلك من قِبَلهم . ولولا ذلك لكان الذى قلتمْ غيرَ ممتنِع . ولو كان ذلك المِسْخُ في هذا الموضع على ما ذكرتم ، ثمَّ خبر بذلك نبىٌّ ، أو دَعا بِهِ نبىٌّ ، لَكان ذلك أعظَمَ الحُجَّة .

فأما أبو بكر الأصمّ[٣] ، وهشام بن الحكم[٤] ، فإنَّهُما [كانا[٥]] يقولان بالقلْب ، ويقولان : إنَّه إذا جاز أنْ يقلب اللهُ خَرْدلةً من غير أن يزيد فيها جسماً وطولا[٦] [أو عرضا[٧]] جاز أن يقلب ابنَ آدمَ قِرداً من غير أن ينقص من جسمه طولا أو عرضاً[٨] .

---

(١) انظر لتوضيح هذا الكلام ما سبق في (٣ : ١٧٢ — ١٧٣) . وانظر أيضاً الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٦٩) .

(٢) هو النظام .

(٣) اسمه عبد الرحمن بن كيسان ، كان من أئمة المعتزلة ؛ ذكره عبد الجبار الهمدانى في طبقات المعتزلة وقال : كان من أفصح الناس وأورعهم وأفقههم ، وله تفسير عجيب . قال ابن حجر : وهو من طبقة أبي الهذيل العلاف وأقدم منه . لسان الميزان (٣ : ٤٢٧) .

(٤) سبقت ترجمته في (٣ : ١١) .

(٥) هـ : « فكانا » .

(٦) س : « طولا » بحذف الواو .

(٧) الزيادة من س ، هـ .

(٨) كذا في ط . وفي س : « منه طولا جسما أو عرضا » هـ : « من جسم طولا أو عرضاً » .

وأمّا أبو إسحاق فقد كان — لولا ماصَحّ عنده من قول الأنبياء وإجماع المسلمين على أنّه[١] قد كان ، وأنّه قد كان حُجّةً وبرهاناً فى وقته — لكان لا ينكر مذهبهم فى هذا الموضع .

وقوله هذا قولُ جميعِ من قال بالطَّبائع ولم يذهَبْ مذهب جهمٍ[٢] ، وحفص الفَرْدِ[٣] .

وقال ابن العنسىّ[٤] يذكر القرد :

فهلاّ غَدَاةَ الرَّمْلِ يا قِرْدَ حِذْيمٍ تؤامِرُهَا فى نَفْسها تَسْتَشِيرُها

(القول فى تحريم الخنزير)

قال : وسأل سائلون[٥] فى تحريم الخنزير عن مسألةٍ ؛ فمنهم من أراد الطَّعن ، ومنهم من أراد الاستفهام ، ومنهم مَنْ أحبَّ أن يعرف ذلك من جهة الفُتيا ؛ إذ[٦] كان قولُه خلافَ قولنا .

قالوا : إنَّما قال الله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ فذكر اللَّحمَ دونَ الشّحم ، ودونَ الرَّأس ، ودونَ المخّ ، ودونَ العصَب ،

---

(١) أى القلب والمسخ .

(٢) هو جهم بن صفوان السمرقندى ، رأس الجهمية . وكان يتولى القضاء فى عسكر الحارث بن شريح ، الخارج على أمراء خراسان : فقبض عليه نصر بن سيار فقتله .

(٣) الفرد ، بفتح الفاء ، لقب له . وفى الأصل : « القردى » ، وفى لسان الميزان ٢ : ٣٣٠ وكذا الفرق بين الفرق ٢٠٢ : « القرد » وصوابه ما أثبت من القاموس وفهرست ابن النديم فى غير ماموضع . قال ابن النديم : « من المجبرة ومن أكابرهم . . . وكان من أهل مصر ثم قدم البصرة ، فسمع بأبى الهذيل واجتمع معه فناظره ، فقطعه أبو الهذيل » .

(٤) كذا فى س . وفى ط ، هـ : « ابن العيسى » بالياء بعد العين .

(٥) فى الأصل : « سائل » والوجه الجمع ، كما يطلب التفريع الآتى .

(٦) فى الأصل : « إذا » .

ودون سائرِ أجزائه ؛ ولم يذكره كما ذكر المَيْتة بأسرها ، وَكذلك[١] الدَّم ؛ لأنَّ القول وقع على جملتهما ، فاشتمل على جميع خصالها بلفظٍ واحد ، وهو العموم . وليس ذلك فى الخنزير ؛ لأنّه ذكر اللّحم من بين جميع أجزائه وليس بين ذِكْر اللَّحْم والعظْم فرق ، ولا بينَ اللَّحْمِ والشَّحم فرق . وقد كان ينبغى فى قياسكمْ هذا لو قال : حرِّمت عَلَيكُمُ الميتَة والدَّم وشَحْم الخنزير ، أن تحرِّموا الشحم ، وإنَّما ذكر[٢] اللّحم ، فلِمَ حرّمتم الشحم ؛ وما بالُكمْ تحرِّمونَ الشّحم عند ذكْر غيرِ الشّحم ! فهلاّ حرَّمتم اللّحم بالكتاب ، وحرّمتم ما سِواه بالخبر الذى لا يُدْفَع ! ؟ فإن بقيَتْ خصلة أو خَصلتانِ ممَّا لم تُصيبوا ذِكْره فى كتابٍ منزَّل ، وفى أثرٍ لا يدفع ، رددتموه إلى جهة العقل . ٢٦

قلنا : إنّ للنّاس عاداتٍ ، وكلاماً[٣] يعرِّف كلَّ شىءٍ بموضعه ، وإنما ذلك على قدر استعمالهم له وانتفاعهم به .

وقد يقول الرجل لوكيله : اشتر لى بهذا الدِّينارِ لحماً ، أو بهذه الدراهم ، فيأتيهِ باللّحم فيهِ الشّحم والعظْم ، والعِرق والعصب والغضروف ، والفؤاد والطِّحال ، والرِّئة ، وببعض أسقاط الشّاة وحشو البطن . والرأس لحمٌ ، والسَّمك أيضاً لحم . وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَأْكُلوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها ﴾ . فإنْ كانَ الرَّسول ذهب إلى المستعمَل من ذلك ، وترَكَ بَعضَ مايقع عليهِ اسمُ لحم فقد أخذ بما عليه صاحبه. فإذا قال حرمت عليكم لحما فكأنه قال : لحم الشّاة والبقرة

---

(١) فى الأصل : « فكذلك » .

(٢) س : « حرم » .

(٣) ط : « وكل ما » هـ : « وكلاما ما » ، وأثبت الصواب من س .

والجزور . ولو أنّ رجُلاً قال : أكلت لحما – وإنما أكل رأساً أو كبداً أو سمكاً – لم يكنْ كاذباً . وللنّاس أن يضعُوا كلامَهم حيث أحبُّوا ، إذا كان لهم مجازٌ ، إلاّ فى المعامَلات .

فإنْ قُلت : فما تقول فى الجِلد ؟ فَلَيس للخنزير جلد ، كما أنّه ليس للإنسان جلدٌ إلاّ بقطع ما ظهر لك منه بما تحتَه ، وإنّما الجلْد ما يُسْلخُ ويُدْحَس [١] فيتبرأ ممَّا كان بِه مُلتزقا [٢] ولم يكن مُلتحما ، كفرق ما بين جلد الحَوْصَلة والعِرْقين [٣] .

فإنْ سألتَ عن الشَّعر ، وعن جلد المُنخَنِقة والمَوقُوذةِ والمتردِّيَة والنَّطِيحة وما أكل السَّبُع [٤] ، فإنِّى أزعم أنّ جلدهُ لاَ يُدْبَغ وَلاَ يَنْتَفِعُ بِه إلاّ الأساكفة ، والقول فى ذلك أنّه كلَّهُ محرّم . وإنما ذلك كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ ﴾ ، وكقَوْله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَدًا إلاّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾ .

والعربُ تقول للرَّجُل الصانع نجَّاراً ، وإن كان لاَيعمل بالمِثْقَبِ والمنشار ونحوه ولاَ يضرب بالمضلع ونحو ذلك . وتسمِّيه خبَّازا إذا كان يطبخ ويعجن . وتسمِّى العِيرَ لطيمة [٥] ، وإن لم يكن فيها ما يحمل العِطْر إلاّ واحد . وتقول : هذه ظُعُنُ فلاَنٍ ؛ للهوادج إذا كانت فيها امرأةٌ واحدة . ويقال : هؤلاء بنو فلان ؛ وإن كانت نساؤهم أكثرَ من الرجال .

---

(١) دحس الرجل الشاة : أدخل يده بين جلدها وصفاقها للسلخ .

(٢) هـ : « ملتصقا » ، وهما سيان .

(٣) هـ : « والعرفين » ، محرف .

(٤) سبق تفسير هذه الكلمات فى ص ٥٦ .

(٥) العير ، بالكسر : القافلة . أو الإبل تحمل الميرة ، لا واحد لها من لفظها = واللطيمة : العير تحمل المسك والعطر .

فلما كان اللحم هو العمود الذى إليه يُقْصَد ، وصار فى أعظم الأجزاء قَدْرًا ، دَخَل سائرُ تلك الأجزاءِ فى اسمِهِ . ولو كان الشّحمُ معتزلاً من اللَّحم ومفْرَدًا فى جميع الشِّحام ، كشحوم الكلى[1] والثُّروب ، لم يجزْ ذلك . وإذا تكلمتَ على المفردات لم يكن المخُّ لحما ، ولا الدِّماغ ، ولا العظم ، ولا الشّحم ، ولا الغضروف ، ولا الكروش ، ولا مَا أشبه ذلك . فلما قال : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ ، وكانت هذه الأشياء المشبَّهة باللَّحم تدخل فى باب العموم فى اسم اللحم ، كان القَوْلُ واقعًا على الجميع . ٢٧

وقال الشاعر :

مَنْ يَأْتِنَا صُبحاً يُرِيدُ غَدَاءَنَا ... فالهَامُ مُنْضَجَةٌ لَدَى الشَّحَّامِ[2]

لحمٌ نَضِيجٌ لَا يُعَنِّى طابخا ... يُؤْتَى به مِنْ قبْلِ كلِّ طعامِ[3]

(مسألة الهدهد)

وإذْ قد ذكرْنا بَعض الكلامِ ، والمسائلَ فى بعْض الكلام ، فسنذكر شأْنَ الهدهُد والمسأَلة فى ذلك. قال الله عزَ وجلَّ : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الهدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ[4] ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ يعنى الهدهُد . فقال لسليمان المتوعد له بالذَّبح عقوبة له ـــ والعقوبة لا تكون

(١) فى الأصل : « الكلا » وصواب كتابتها بالياء ، وهى جمع كلية ، بالضم .

(٢) الغداء ، بفتح الغين بعدها دال مهملة : طعام الغدوة ، بالضم ، وهى أول النهار . والهام : الرءوس ، واحدها هامة . والشحام : مطعم الشحم .

(٣) لا يعنى ، بالنون ، من العناء . وفى ط ، س : « لا يعيى » بالياء .

(٤) فى الأصل : « أولا يأتينى » .

إلاّ على المعصية لبشرىٍّ آدمىّ لم تكن عقوبته الذّبح ، فدلّ ذلك على أنّ المعصية إنما كانت له ، ولا تكون المعصيةُ لله إلاّ ممّن يعرف الله ، أو ممّن كان يمكنه أن يعرفَ الله تعالى فترَكَ ما يجبُ عليه من المعرفة — وفى قولِه لسليمان : ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ . إِنِّى وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ . ثمّ قال بعد أنْ عرفَ فصْل[1] ما بين الملوك والسُّوقة ، وما بين النِّساء والرجال ، وعرف عِظَم[2] عرشِها ، وكثرةَ ما أوتيت[3] فى ملكها ، قال : ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ، فعَرَف[4] السُّجود للشمس وأنكرَ المعاصى . ثمّ قال : ﴿ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلهِ الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ[5] ﴾ ، ويتعجَّبُ من سجودهم لغير الله . ثمَّ علمَ أنّ الله يعلم غيبَ السَّموات والأرض ، ويَعلم السِّرَّ والعلانية . ثمَّ قال : ﴿ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ،وهذا يدلُّ على أنّهُ أعلمُ مِن ناسٍ كثيرٍ من المميِّزين المستدلِّين الناظرين .

قال سليمان : ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ثمَّ قال : ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِى هٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّى أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ . إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ

---

(١) فى الأصل : « فضل » بالضاد المعجمة ، وإنما هو بالصاد المهملة ، بمعنى الفرق .

(٢) فى ط : « عظيم » . والوجه ما أثبت من ه ، س .

(٣) س : « أعطيت » .

(٤) أى الهدهد .

(٥) قرأ حفص وعلى والكسائى بالتاء الفوقية على الخطاب ، والباقون بالتحتية على الغيبة غيث النفع ٢٤٥ وابن القاصح ٣٠١ .

وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِي[1] بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ وذلك أنَّها قالت : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ . وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ ، [ثمَّ[2]] قال سليمان للهدهد : ﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [و] قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ . فطعن في جميع ذلك طاعنون ، فقال بعضهم : قد ثبتَ أنّ الهدهد يحتمل العقاب والعتاب ، والتّكليف والثّواب ، والوَلاية[3] ، ودخولَ الجنّة بالطّاعة ، ودخولَ النّار بالمعصية ؛ لأنَّ المعرفةَ تُوجِب الأمرَ والنهيَ ، والأمرَ والنهيَ يوجبان الطاعةَ والمعصية ، والطاعةَ والمعصيةَ يوجبان الوَلاية والعَداوة ، فينبغي للهداهد أنْ يكون فيها العدوُّ والوليُّ ، والكافر والمسلم ، والزِّنديق والدَّهريّ[4] . وإذا

٢٨

---

(١) قرأ نافع والبصري بإثبات ياء بعد النون الثانية وصلا لا وقفا ، والمكي وحمزة بإثباتها وصلا ووقفا ؛ إلا أن حمزة يدغم النون الأولى في الثانية . والباقون بحذفها وصلا ووقفا . غيث النفع ٢٤٥ .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) الولاية ، بالفتح وتكسر : مقابل العداوة .

(٤) الدهري ، بفتح الدال : الذي يقول بقدم الدهر ، ولا يؤمن بالبعث . وهناك الدهري =

كان حُكمُ الجنس حُكما واحداً لزم[1] الجميعَ ذلك . وإن كان الهدهدُ لا يبلغ عندَ جميع الناس فى المعرفة مبلغَ الذرّة ، والنملة ، والقملة ، والفيل ، والقرد ، والخنزير ، والحمام — وجميع هذه الأمَمِ ، تُقَدِّمُهَا عليه فى المعرفة — فينبغى أن تكونَ هذه الأصنافُ المتقدِّمَةَ عليه ، فى عقول هذه الأمّة والأنبياء.

وقد رأينا العلماء يتعجَّبون من خُرافات العَرَب والأعراب فى الجاهليَّة ومن قولهم فى الدِّيك والغراب[2] ، ويتعجَّبون من الرِّواية فى طوق الحمام؛ فإنّ الحمام كان رائدَ نوح على نبينا وعليه السلام[3] .

وهذا القول الذى تؤمنون به فى الهدهد ، من هذا النوع[4] .

قلنا : إنّ الله تعالى لم يقل : وتَفَقَّدَ الطَّير فقال ما لى لا أرى هدهدًا من عُرْض الهداهد[5] ، فلم يوقع قولَه على الهداهد جُملة ، ولا على واحدٍ منها غير مقصودٍ إليه ، ولم يذهب إلى الجنس عامَّة ، ولكِنَّهُ قالَ : ﴿وتَفقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الهُدْهُدَ﴾ فأدخلَ فى الاسم الألفَ واللام ، فجعله معرفة فدلَّ بذلك القصد على أنَّه ذلك الهدهدُ بعينه . وكذلك غرابُ[6] نوح ، [وكذلك] حمارُ عُزَير ، وكذلك ذِئب أُهبانَ بنِ أوس[7] ؛ فقد كان لِلهِ فيه وفيها تدبيرٌ ، وليجعَل ذلك آيةً لأنبيائه ، وبرهاناً لرسله .

= بضم الدال ، وهو الرجل المسن منسوب إلى الدهر أيضاً ، فخالفوا بينهما ، رفعا للالتباس . شرح الشافية ٨٩ . وفى القاموس : « الدهرى ويضم : القائل ببقاء الدهر » .

(١) ط : « ألزم » .

(٢) انظر ص ٣١٨ من الجزء الثانى ، و ص ٤١٠ من الجزء الثالث .

(٣) انظر ص ٣٢١ من الجزء الثانى .

(٤) س : « الشكل » .

(٥) من عرض الطير : بضم العين ، أى من عامة الطير .

(٦) ط ، هـ : « وكان كغراب نوح » . وانظر لغراب نوح ص ٣٢١ من الجزء الثانى .

(٧) انظر ما أسلفت من الكلام فى (٣ : ٥١٣) .

ولا يستطيع أعقلُ الناس أن يعملَ عمل أجرإ النَّاس ، كما لا يستطيع أجرأُ النَّاس أن يعملَ أعمالَ أعقلِ الناس . فبأَعمال المجانينِ والعُقلاءِ عرَفنا مقدارهما من صحّة أذهانهما وفسادها[1] ، وباختلاف أعمالِ الأطفالِ والكهول عرفْنا مقدارَهما فى الضعْف[2] والقوَّة ، وفى الجهل والمعرفة . وبمثل ذلك فَصَلنا[3] بين الجماد والحيوان ، والعَالِمِ وأعلمَ منه ، والجاهلِ وأجْهلَ منهُ[4] .

ولو كان عند السِّباعِ والبهائمِ ما عند الحكماء والأدباء ، والوزَراء والخلَفاء والأمَمِ[5] والأنبياء ، لأثمرت تلك العقول ، باضطرار ، إثمارَ تلك العقول . وهذا بابٌ لايخطئْ فيهِ إلاَّ المانِيَّةُ[6] وأصحابُ الجهالات فقط . فأَمَّا عوامٌّ

٢٩

---

(١) فى الأصل : « وفسادهما » . والضمير عائد إلى الأذهان . وفى س : « عرفنا ماغاب من صحة أذهانهم » .

(٢) ط ، هـ : « فى الضعيف » ووجهه ما أثبت من س .

(٣) فصلنا ، بالصاد المهملة ، بمعنى ميزنا . وفى الأصل : « فضلنا » بالضاد المعجمة ، محرف .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) الأمم : جمع أمة بالضم ، والأمة : الإمام ، ومنه قول الله : «إن إبراهيم كان أمة» فى تفسير أبى عبيدة . س : «والأمة» ، وهذه محرفة عن « الأئمة » .

(٦) المانية : أتباع مانى ، متنبىء زعم أنه الفارقليط الذى بشر به عيسى عليه السلام واستخرج مذهبه من المجوسية والنصرانية ، وكان يقول : إن مبدأ العالم من كونين أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأنهما فى صراع مستمر لا ينتهى إلا بانتهاء الدنيا . وفرض على أتباعه صلوات معينة وصوما رسمه لهم . وقتل مانى فى مملكة بهرام بن سابور ، وأتباعه يزعمون أنه ارتفع إلى جنان النور . وكان ملوك الفرس يطاردون أتباعه ، فلما انتثر أمر الفرس وقوى أمر العرب ، وجدوا لديهم سعة صدر ، فنزحوا إليهم فى أيام بنى أمية ؛ فإن خالد بن عبد الله القسرى كان يعنى بهم ، وكان يرمى بالزندقة . حتى كانت أيام المقتدر فانهم جلوا إلى خراسان . انظر ابن النديم ٤٥٦ — ٤٧٤ . وقد جعل ابن النديم النسبة إليه (منانى) وهى نسبة شاذة ، و (مانوى) وهى نسبة جائزة . ومثل الأولى فى الشذوذ : « حرنانى » نسبة إلى مدينة حران . و « عنانى » نسبة إلى عانى من اليهود . وانظر مفاتيح العلوم ٢٥ .

الأمم ، فضلا عن خواصهم ، فهم يعلمون مِن ذلك مثلَ مانعلم . وإنّما يُتفاضَل بالبيان والحِفظ ، وبنسق المحفوظ[١] . فأَمَّا المعرفة فنحن فيها ســواء . ولم نعرف العقلَ وعدمه ونقصانه ، وإفادته ، وأقدارَ معارفِ الحيوان إلاَّ بِماَ يظهر منها[٢] . وبتلك الأدلَّة عرفنا فرقَ مابين الحىِّ والميت ، وبين الجماد والحيوان .

فإن قال الخصم : مانعرف كلامَ الذِّئب ، ولا معرفة الغُراب ، ولاعلم الهدهد . قلنا : نحن ناسٌ نؤمن بأَنَّ عيسى عليه السلام خَلِق من غير ذكرٍ وإنّما خُلِق من أُنثى ؛ وأنَّ آدمَ وَحَوَّاءَ خُلقا من غير ذكرٍ وأنثى ، وأنَّ عيسى تكلَّم فى المهد ، وأنَّ يحيى بن زكريَّا نطق بالحكمةِ فى الصِّبا ، وأنَّ عقيماً ألقَحَ ، وأنَّ عاقرًا ولدت[٣] ؛ وبأَشياءَ كثيرةٍ خرجت خارجيةً من نَسَقِ العادة[٤] . فالسَّبب الذى به عرَفنا أنَّه قد كان لذلك الهدهد مقدارٌ من المعرفة ، دونَ ماتوهَّمتم وفوق مامع الهدهد . ومتى سأَلتمونا عن الحجَّة فالسبيل واحدة . ونحن نقرُّ بأَنّ مَن دخــل الجنة من المجانين والأطفال يدخلون عقلاَءَ كاملين ، من غير تجارِبَ وتمرينٍ وترتيب . فسأَلتكُمْ عما ألهم الهدهد ، هى المسألة عمَّا ألهم الطفل فى الجنة .

---

(١) كذا فى هـ . وفى ط ، س : « المحفوظة » .

(٢) أى من المعرفة . وفى الأصل : « وأقدار معارف أسباب الحيوان وما يظهر منها » .

(٣) إشارة إلى زكرياء عليه السلام وزوجه ، فإنه كان كبيراً حين ولد له يحيى ، وكانت امرأته عاقراً : « قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر» . وإلى إبراهيم عليه السلام وزوجه أيضاً : « قالت ياويلتى ءألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا » .

(٤) كذا فى س . وفى ط : « وبأشياء كثيرة خارجة عن نسق العادة » و هـ : « وبأشياء كثيرة خارجة من . . » الخ .

فإن قال قائل : فإنْ [كانَ [١]] ذلك القولُ كلُّه ، الذى كان من الهدهد ، إنما كان على الإلهام والتّسْخير ، ولم يكن ذلك عن معرفةٍ منه ، فلم قال ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ ﴾ ؟ قلنا : فإنه قد يتوعَّد الرَّجُلُ ابنَه - وَهو بَعْدُ لم يَجرِ عَلَيْهِ الأحكامُ - بالضَّرب الوجيعِ ، إن هو لم يأْتِ السُّوق أو يحفظْ سورَةَ كَذَا وَكَذَا ؛ فلا يعنِّفُهُ أحدٌ على ذلك الوعيد . ويكذبُ فيضربه على الكذب . ويضرب صبيًّا فيضربه لأَنه ضربه . وهو فى ذلك قد حَسُنَ خطّه ، وجاد حسابُه ، وشدَا من النَّحو [والعروض [٢]] والفرائض [٣] شدْوًا حسنا ، ونفع أهلَه ، وتَعلم أعمالاً ، وتكلَّم بكلام ، [و [٤]] أجاب فى الفتيا بكلامٍ فَوْقَ معانى الهدهد فى اللّطافة وَالغموض . وَهُوَ فى ذلك لم يكمل لاحتمال الفرض [٥] وَالْوِلاية وَالعَدَاوَة .

فإن قال : فهل يجوز لأحدٍ أن يقول لابنهِ : إنْ أنت لم تأتِ السُّوق ذبحتك ؛ وهُوَ جادّ ؟ قُلنا : لا يجوز ذلك . وَإِنَّما جاز ذلك فى الهدهد لأن سليمان — وَمَنْ هو دونَ سليمان من جميع العالم — له أن يذبح الهدهدَ والحمامَ والدِّيك ، والعَناق [٦] والجدْى . والذَّبحُ سبيلٌ من سُبُل مناياهم . فلو ذبحهُ سليمانَ لم يكن فى ذلك إلاَّ بقدر التَّقديم والتأخير ، وإلاَّ بقدْر صَرفِ [٧] مابين أن يموت حتْفَ أنفِهِ ، أو يموتَ بالذَّبح . ولَعَلَّ صَرْفَ مابينهما

٣٠

(١) ليست بالأصل . وبها يستقيم الكلام .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من هـ . وفى ط : « العرائض » ، صوابه فى س .

(٤) ليست بالأصل . وهى ضرورية .

(٥) ط : « الغرض » ، صوابه فى س ، هـ .

(٦) العناق ، كسحاب : الأنثى من ولد المعز .

(٧) الصرف : الزيادة . ط ، هـ : « ضرب » ، صوابه فى س .

لايكون إلاَّ بمقـدار ألم عِشرين دِرَّة[١] . ولعـلَّ نتْف جناحِه يَفى بذلك الضرب . وإذا قلنا ذلك فقد أعطينا ذلك الهـدهدَ بعينه حقَّ ما دلَّت عليه الآية ، ولم نجزْ ذلك فى جميع الهداهد ، ولم نكُنْ[٢] كَمَنْ ينكر قدرة الله على أن يُرَكِّبَ[٣] عصفورًا من العصافـير ضربًا من التراكيب يكون أدهى من قيس بن زهير[٤] . ولو كان الله تعالى قد فعـل ذلك بالعصافير لظهرت كذلك دلائل .

على أنَّا لو تأوَّلنا الذَّبحَ على مثالِ تأويلِ قولنا فى ذبْح إبراهيم إسماعيلَ[٥] عليهما السلام — وَإنما كان ذلك ذبحاً فى المعنى لغيره[٦] — أو على معنى قول

(١) أى عشرين ضربة بالدرة . والدرة ، بالكسر : السوط ، ويغلب استعمالها فى سياط السلاطين . وكلمة « إلا » ساقطة من س .

(٢) فى الأصل : « ولم يجز ذلك فى جميع الهداهد ولم يكن » .

(٣) ط ، هـ : « تركب » ، ولا تصح إلا بتقديم « على » على كلمة : « قدرة » وصوابها من س .

(٤) الدهاء : جودة الرأى وكمال العقل . وقيس بن زهير هو سيد عبس ، وكان له ضلع كبيرة فى حرب داحس والغبراء ، وهو صاحب داحس . ذكروا من دهائه أنه مر ببلاد غطفان ، فرأى ثروة وعديدا ، فكره ذلك ، فقال له الربيع بن زياد العبسى : إنه يسوءك ما يسر الناس ! فقال : يابن أخى ، إنك لاتدرى . إن مع الثروة والنعمة التحاسد والتباغض والتخاذل ، وإن مع القلة التعاضد والتوازر والتناصر . وكان يقول : « أربعة لايطاقون : عبد ملك ، ونذل شبع ، وأمة ورثت ، وقبيحة تزوجت ! » . انظر أمثال الميدانى (١ : ٢٥٠) . ولحرب داحس والغبراء ، الأغانى (٧ : ١٤٣ ، ١٦ : ٢٣) والعقد (٣ : ٣١٣) والكامل لابن الأثير (١ : ٣٤٣) والميدانى (١ : ٣٥٩ ، ٢ : ٥١) . هـ : « أدمى » وهو تحريف .

(٥) س : « إسحاق » . وقد اختلف المؤرخون المسلمون ، وكذلك أصحاب التفاسير فى الذبيح منهما ، والأعرف عندهم أنه « إسماعيل » بأدلة سردها البيضاوى فى تفسيره . انظر سورة الصافات ، وليس فى القرآن الكريم نص على أحد منهما . وفى سفر التكوين ، الأصحاح الثانى والعشرين ، ماينص صراحة على أن الذبيح إسحاق . وإلى هذا الرأى مال معظم الصحابة . انظر المعارف ١٧ وآكام المرجان ٢٠٩ وابن سلام ١٥٨ .

(٦) وهو الكبش ، فإن إسماعيل ، أو إسحاق ، لم يذبح ، وإنما هم أبوه بذبحه ، ووقع الذبح فعلا على الكبش . س : « ذبحا فى العين » ، صوابه فى ط ، هـ .

القائل : أمَّا أنا فقد ذبحتــه وضربت عنقَه ، ولـكن السيف خانني . أو على قولهم : المِسْك الذَّبيـح[1] ، أو على قولهم : فجئت وقدْ ذَبَحَنِي العطش — لـكان ذلك مجازًا .

ولو أنَّ صَبيًّا مِن صبياننا سُئل ، قبل أن يبلُغَ فرضَ البلوغ بساعة ، [وكان[2]] رأى مَلِـكة سبإ[3] في جميـع حالاتها ، لمـا كان بعيدًا ولا ممتنعا أن يقولَ : رأيتُ امرأةً مَلِكَةً ، ورأيتها تسجُد للشَّمس من دون الله ، ورأيتُها تُطِيـعُ الشَّيطانَ وتَعْصِي الرَّحمن . ولا سيا إنْ كانَ من صِبيان الخلَفاء والوُزراء ، أو مِنْ صبيان الأعراب .

والدَّليل على أنَّ ذلك الهدهدَ كان مسخَّرا وميَسَّرًا ، مُضِيُّه إلى اليمن ، ورجوعُه من ساعته .

ولم يكن من الطَّير القواطعِ فرجع إلى وكره . والدَّليل على ذلك أنَّ سليمان عليه السلام لم يقل : نعم قد رأيت كلَّ ما ذكرتَ ، وأنت لم تعلم حين مضَيت بطّالاً هاربا من العمل ، أتُـكْدِي أم تنجح ، أو ترى أُعجــوبةً أو لا تراها . ولـكنَّهُ توعَّدهُ على ظاهر الرَّأى ، ونافره القول ؛ ليُظهَرَ الآيَةَ والأعجوبة .

(طعن الدهرية في ملك سليمان)

ثمَّ طعَن في مُلك سُليمانَ ومَلِـكةِ سبإ ، ناسٌ من الدُّهريَّة، وقالُوا[4] : زعمتم أنَّ سُليمان سأل ربَّه[فقال]: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مُلْـكًا لاَيَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾

(١) أي الذي شقت فأرته . وفأرة المسك : نافجته، أي وعاؤه .
(٢) ليست بالأصل ، وبها يصلح الكلام .
(٣) ليست في س . وبدلها في هـ : « سبباً »، محرفة عما أثبت من ط .
(٤) في الأصل : « وقاله » .

وأنَّ الله تعالى أعطاه ذلك ، فملَّكه على الجنِّ فضلاً عن الإنْس ، وعلَّمه منطِق الطَّير ، وسخَّر له الرِّيح ، فكانت الجِنُّ له خوَلاً ، والرِّياحُ له مسخرة ثمَّ زعمتم — وهو إمَّا بالشَّام وإمَّا بسَوَادِ العِراق — أنَّه لا يعرف باليمن مَلِكةً هذه صفتُها . وملوكُنا اليومَ دونَ سليمانَ فى القدْرة ، لا يخفى عليهم صاحب الخزَر ، ولا صاحبُ الروم ، ولاصاحبُ الترك ، ولاصاحب النُّوبة . وكيف يجهل سليمانُ موضِعَ هذه المِلكة ، مع قرْبِ دارِها واتِّصَالِ بلادها ! وليس دونَها بحارٌ ولا أوعارٌ ؛ والطريق نهجٌ للخفِّ والحافر والقدَم[1] . فكيف والجنُّ والإنسُ طوعُ يمينه . ولوكان ، حين خبَّره الهدهدُ بمكانها ، أضرَبَ عنها صفْحًا ، لكان لقائلٍ أن يقول : ما أتاه الهدهدُ إلَّا بأمرٍ يعرفه . فهذا وما أشبهَهُ دليلٌ على فساد أخباركم .

٣١

قُلنا : إنّ الدُّنيا إذا خلاَّها الله وتدبيرَ أهلها ، ومجارىَ أمورِها وعاداتها كان لعمرى كما تقولون . ونحن نزعمُ أنَّ يَعْقوبَ بنَ إسحاق بنِ إبراهيمَ كانَ أنبهَ أهْلِ زمانِه ؛ لأنَّه نبيٌّ ابنُ نبيٍّ . وكان يوسُف وزير مَلِكِ مصر من النَّباهة بِالموضع الذى لا يُدفَع[2] ، وله البُرُدُ[3] ، وإليهِ يرجع جوابُ الأَخبار ، ثمَّ لم يعرِفْ يَعقوبُ مكانَ يوسُفَ ، ولا يوسفُ مكانَ يَعقوبَ عليهما السلام — دهرًا من الدُّهور ، مع النَّباهةِ ، والقُدْرةِ ، واتِّصال الدار .

وكذلك القولُ فى موسى بنِ عمرانَ ومَنْ كَانَ معه فى التِّيه[4] ، فقد

---

(١) طريق نهج : واضح . والخف : أى الإبل . ط ، هـ : « الخف » صوابه فى س .

(٢) النباهة : الشهرة . ط ، هـ : « ومن » والوجه حذف الواو ، والنص فى س « وللملك النباهة فى الموضع الذى لايدفع » . وليس بشىء .

(٣) البرد : جمع بريد .

(٤) التيه ، هو الموضع الذىضل فيه موسى عليه السلام وقومه . قال ياقوت : « وهى أرض بين أيلة ومصر وبحر القلزم جبال والسراة من أرض الشام » .

كانوا أمّةً من الأمم يتَكَسَّعُونَ [١] أربعين عاماً ، فى مقدارِ فراسخَ يسيرةٍ ولا يهتدون إلى المخرج . وماكانت بِلادُ التِّيه إلاّ من ملاعبهم ومُنْتَزَهاتهم [٢] . ولا يعدم مثلُ [ذلك [٣]] العسكرِ [٤] الأَدلاّءَ والجَمَّالين [٥] ، والمُكارِينَ [٦] ، والفُيُوجَ [٧] ، والرُّسلَ ، والتّجار ؛ ولكنّ الله صَرَفَ أوهامَهم ، ورفع ذلك الفصْل [٨] مِن صدورهم .

وكذلك القول فى الشَّياطين الذين يسترِقون السّمْعَ فى كلِّ ليلة ، فَنقُولُ [٩] : إنَّهم لو كان كلما أراد مَرِيدٌ [١٠] منهم أن يصعَدَ ذكَرَ أنَّه قد رُجم صاحبه [١١] ، وأنَّه كذلك منذ كان لم يصل معه أحدٌ إلى استراقِ السَّمْع [١٢] ، كان محالاً أن يرومَ ذلك أحَدٌ منهم مع الذِّكر والعِيان .

---

(١) تكسع : ذهب فى ضلاله . ومثله تسكع بتقديم السين . ط ، ه : « يكسعون » والوجه ماأثبت من س .

(٢) كذا بتقديم النون فى الأصل .

(٣) الزيادة من س ، ه .

(٤) كان بنو إسرائيل قد خرجوا ليملكوا الأرض المقدسة بالقتال . انظر تفسير سورة المائدة للآيات ٢٠ — ٢٦ وسفر العدد ، الأصحاح ٣٢ ، ٣٣ .

(٥) الجمالين ، بالجيم . وفى (٦ : ٢٦٨) : « الحمارين » .

(٦) المكارين : جمع مكار . والمكارى : من يكترى الناس منه دابته ، أى يستأجرونها .

(٧) الفيوج ، بالضم وفى آخره جيم : جمع فيج بالفتح ، وهو رسول السلطان المسرع فى مشيه ، يحمل الأخبار من بلد إلى بلد ، معرب من « پيك » بالفارسية . ط ، س : « الفيوح » ، صوابه فى ه .

(٨) الفصل هنا بمعنى التمييز . ط ، ه : « القصد » وأثبت مافى س .

(٩) ط ، ه : « فتقول » بالتاء ، صوابه فى س .

(١٠) إن قرئت بالضم ، كانت من أراد بمعنى شاء . وإن قرئت بالفتح كانت من التمرد .

(١١) ط ، ه : « قد رجم أو رجم صاحبه » ، والوجه ما أثبت من س .

(١٢) س : « سمع » .

ومثل ذلك [أنّا] قد علمْنا أنّ إبْليسَ لا يزالُ عاصياً إلى يومِ البَعث . ولو كان إبْليسُ فى حال المعْصيَة ذَاكِراً لإخبار الله تَعالى[1] أنَّه لايزالُ عاصياً وهو يَعلم أنّ خَبرَه صِدقٌ ، كان محالاً أنْ تدعُوَه نفسُه إلى الإيمانِ ، ويطمَعَ فى ذلك ، مع تصديقِهِ بأنّه لا يختار الإيمانَ أبداً .

ومن المحال أن يجمَع بين وجود[2] الاستطاعة وعدم الدَّواعى وجواز الفعل .

ولو أنّ رجلاً عَلِم يقيناً أنّه لاَ يخرُج من بيتِه يومَه ذلك ، كان محالاً أن تدعُوَه نفسه إلى الخروج ، مع علمه بأنّه لا يفعل . ولكِنَّ إبْليس لما كانَ مصروفَ القَلبِ عن ذِكْر ذلك الخبر[3] ، دخل فى حَدِّ المستطيعين .

ومثل ذلك أنّ النبى صلى الله عَليه وسلم لَمّا بشره الله بالظَّفرِ وتمام الأمر[4] بشَّر أصحابَه بالنَّصر ، ونزولِ الملائكة . ولو كانوا لذلك ذاكرين فى كلِّ حالٍ ، لم يكن عليهم مِنَ المحاربة مؤونة . وإذا لم يتكلفوا المؤونة[5] لم يؤجَروا . ولكِنّ الله تَعالى بنظره إليهم رفَع[6] ذلك فى كثيرٍ من الحالات

---

(١) كذا فى س . وفى ط : « ذكر إخبار الله تعالى » وفى هـ : « ذاكرا لأخبار الله تعالى » . وما فى هـ محرف .

(٢) فى الأصل : « وجوب » بالباء .

(٣) أى عن تذكر ذلك الخبر .

(٤) الكلام من أول الفقرة إلى هنا ساقط من س . والجاحظ يشير بكلامه هذا إلى ما كان فى وقعة أحد ، مما تشير إليه الآيات ١٢٢ — ١٢٦ من سورة آل عمران .

(٥) س ، هـ : « المؤن » .

(٦) س : « دفع » بالدال .

عن أوهامهم ؛ ليحتملوا(١) مشقّة القِتال ، وهم لايعلمون : أيغلِبُون أم يُغْلَبون أو يَقْتلُونَ أم يُقتلون .

٣٢ ومثل ذلك ما رفع من أوهام العَرب ، وصرف نفوسهم عن المعارَضة للقرآن ، بَعْدَ أنْ تحدَّاهم الرَّسولُ بنظْمه . ولذلك لم نجِدْ أحَداً طمِع فيه . ولو طمِعَ فيه لتَكلفه ، ولو تكاف بَعضهُمْ ذلك فجاء بأمر(٢) فيه أدنى شُبهة لعظمت القضيَّةُ(٣) على الأعراب وأشباهِ الأَعْراب ، والنِّساءِ وأشباه النساء ، ولأَلْقى ذلك للمسلمين عملاً ، ولطَلبوا المحاكمةَ والتراضى ببعض العرب ، ولكثرُ القيلُ والقال .

فقد رأيتَ أصحابَ مُسيْلِمة(٤) ، وأصحاب ابن النوَّاحة(٥) إنما تعَلّقُوا بما ألَّف لهُمْ مُسَيلمة من ذلك الكلام ، الذى يَعلمُ كلُّ مَن سمِعه أنَّه إنما عَدا على القرآن فسلَبه ، وأخَذَ بَعضَه ، وتَعاطى أن يُقَارِنَه . فكان لله ذلك التَّدبيرُ ، الذى لا يبلغه العِبادُ ولو اجتمَعوا له .

فإنْ كان الدَّهرىُّ يريدُ من أصحابِ العِبادَاتِ والرُّسُلِ ، ما يريد من

---

(١) س : « ليتحملوا » .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) فى الأصل : « القصة » .

(٤) هو أبو ثمامة ، مسيلمة بن حبيب الحنفى من أهل اليمامة ، ادعى النبوة بمكة قبل الهجرة ، وصنع أسجاعا ، عارض فيها بزعمه القرآن ، منها قوله : « والشمس وضحاها . فى ضوئها ومجلاها . والليل إذا عداها . يطلبها ليغشاها . فأدركها حتى أتاها . وأطفأ نورها ومحاها »، وقوله : « ياضفدع نقى نقى . كم تنقين . لاالماء تكدرين . ولا الشرب تمنعين » . وكان قد قوى أمره فى اليمامة ، وظهر جدا بعد وفاة الرسول ، فأرسل أبو بكر خالد بن الوليد فى جيش لمقارعته ، فكان له النصر على بنى حنيفة فى يوم اليمامة ، وقتل مسيلمة وكثير من أتباعه ، واستشهد من المسلمين ألف ومائتا رجل .

(٥) فى الأصل : « بنى النواحة » . وانظر الاستدراكات .

الدُّهريِّ الصِّرفِ ، الذى لا يُقِرُّ إلا بما أوجدَه العِيان ، وما يَجرى مَجرَى العِيان — فقَدْ ظلَمَ .

وقَد علم الدُّهريُّ [أنّنا نعتقِد[١]] أنّ لنا ربًّا يخترع الأجسامَ اختراعا وأنّهُ حَيٌّ لا بحياة ، وعالِمٌ لابعلم[٢] ، وأنّه شيءٌ لا ينقسم ، وليس بِذِي طُول ولا عرْض ولا عُمق ، وأنّ الأنبياء تحيي[٣] الموتى . وهذا كلُّه عنْدَ الدهريِّ مستنكَر ، وإنما كان يكون له عَلَيْنَا سبيل[٤] لو لم يكن الذى ذكرنا جائزا فى القِياس ، واحتجْنا إلَى تثبيت الرُّبوبيَّةِ وتصديقِ الرِّسالة ، فإذا كان ذلك جائزاً ، وكانَ كونُه غيرَ مستنكَرٍ ، ولا محالٍ ، ولا ظلم ، ولاعيب ، فلم يبقَ له إلاّ أن يسألَنَا عن الأصْلِ الذى دعا إلى التَّوحِيدِ ، وإلَى تثبيت الرسل .

وفى كتابِنا المنزل الذى يدلُّنا على أنّه صِدْقٌ ، نَظْمُه البدِيع الذى لا يقدِر على مثله العباد ، مَعَ ما سِوَى ذلك من الدّلائِلِ التى جَاء بها مَنْ جَاء به .

وفيه مسطور أنّ سليمانَ بنَ داودَ غبرَ حِيناً — وهو ميّت — معتمِداً على عصاه ، فى الموضع الذى لا يُحْجَب عنه إنْسِيٌّ ولا جِنِّيٌّ ، والشَّياطينُ منهُم المَكْدودُ بالعَمَل الشديد[٥] ، ومِنهُمَ المحبوسُ والمستعبد ، وكانوا كما قال

---

(١) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إلى مثلها .

(٢) هذا مذهب المعتزلة ؛ إذ ينفون عن الله عز وجل صفاته الأزلية ، فيقولون : ليس لله علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا أى صفة أزلية .

(٣) ط ، ه : « تحى » صوابه فى س .

(٤) بدله فى س : « وإنما كان يكون له علة » .

(٥) المكدود : المرهق المتعب . ط ، ه : « بالغل الشديد » ، والأوجه ماأثبت من س .

الله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَايَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِي [١] وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ وقال : ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ . وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ وَأَنَّهُ غَبَرَ كذلك حيناً وهو تُجَاهَ أعيُنِهِمْ [٢] ، فلاهُمْ عرَفُوا سجيَّةَ وُجوهِ الموتى ، ولا هو إذْ كان ميِّتاً سقَط سُقوطَ الموتى . وثبتَ قائماً معتمداً [٣] على عصاه ، وعصاه ثابتةٌ قائمةٌ فى يده ، وهو قابضٌ عليها . وليستْ هذه الصِّفَةَ صفةَ مَوتانا .

وقال : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَالَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ . ونحنُ دونَ الشَّياطينِ والجنِّ فى صِدْق الحسِّ ، ونُفوذِ البصر ، ولوْ كُنَّا مِن بعضِ الموتى بهذا المكان ، لمَا خَفِيَ علينا أَمرُه وكان أدنى ذلك أنْ نظنَّ ونرتاب . ومتى ارتابَ قومٌ وظَنُّوا وماجُوا [٤] وتكلموا وشاوروا ، لَقِنُوا وثبَّتُوا [٥] . ولا سيَّما إذا كانوا فى العذاب ورأَوْا تباشيرَ الفرَج .

٣٣

---

(١) الجوابى : جمع جابية ، وهو الحوض الجامع . وإثبات الياء فى آخر الكلمة وصلا ووقفا قراءة ابن كثير ومجاهد ، وإثباتها وصلا فقط قراءة ورش وعاصم . وحذفها وصلا ووقفا قراءة الباقين . وهذه القراءة الأخيرة هى مافى س ، هـ . وما أثبت من ط هو القراءة الأولى .

(٢) تجاه ، يصح ضبطها بالضم والكسر والفتح . عن القاموس .

(٣) ط : « معتمد » ، وهو خطأ ظاهر .

(٤) هـ : « وناجوا »، أى ناجى بعضهم بعضا .

(٥) لقنوا : عرفوا وفهموا . فى الأصل : « ولقنوا » وإنما هو جواب الشرط . و « ثبتوا » أى سكنت قلوبهم بقوة البرهان والدلالة . وفى الكتاب : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك » .

ولولا الصَّرْفة[١] التي يُلقيها الله تعالى على قَلْبِ مَنْ أَحَبَّ ، و [لولا[٢]] أنّ الله يقدِرُ على أنْ يشغَلَ الأوهامَ كيف شاء ، ويذ كِّر بما يشاء ، ويُنَسِّىَ مايشاء ، لما اجتمع أهلُ داره وقصْره ، وسُورِه ورَبَضِه[٣] ، وخاصَّتُه ، ومن يخدُمه من الجنِّ والإنْس والشّياطين ، على الإطباق بأنَّه حَيٌّ . كذلك كان عندهم . فحدث ما حَدَث من موته ، فلمَّا لم يشعُروا به كانوا على ما لم يزالوا عليه . فعلِمْنا أنَّ الجنَّ والشّياطينَ كانت تُوهِم الأغبياء والعَوَامَّ ، والحَشْوَة[٤] والسِّفلة ، أنَّ عندهما شيئاً من عِلْمِ الغيب — والشياطين لا تعلم ذلك — فأراد الله أَنْ يكشِف من أمْرهم للجُهَّال ما كان كَشَفَه للعلماء . فبهذا وأشباهه من الأمور نحنُ إلى الإقرار به مضطرُّون[٥] بالحجَج الاضطراريَّة فليس لخصومنا حِيلةٌ إلاَّ أن يواقِفونا[٦] ، وينظروا في العلَّة التي اضطرتنا إلى هذا القول ؛ فإن كانت صحيحةً فالصَّحيحُ لا يُوجِب إلا الصحيح . وإن كانت سقيمةً علِمْنا أنَّما أُتينا من تأويلنا[٧] .

وأما قوله : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ ﴾ فإنَّ التَّعذيبَ يكون بالحبس ، كما قال الله

---

(١) الصرفة ، بالفتح : أن يصرف الله عبده عن أمر . ط : « المعرفة » س : « الصدقة » صوابهما في هـ .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) الربض ، بالتحريك : سور المدينة .

(٤) الحشوة ، بالضم والكسر : أصله الدغل في الأرض . أراد به الدون من الناس .

(٥) س : « مضطرين » .

(٦) يواقفونا ، بتقديم القاف ، من المواقفة ، وهي أن يقف المرء مع غيره في خصومة ومجادلة . وفي الأصل : « يوافقونا » بتقديم الفاء ، وليس بشيء .

(٧) أتينا : أي قهرنا وغلبنا . وفي الأصل : « أوتينا » ولا يصح بها الكلام . ط ، هـ : « أن ما » والوجه ما أثبت من س . وفي س أيضاً « علم » مكان « علمنا » و « أقاويلنا » موضع « تأويلنا » .

عزَّ وجلَّ : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِى الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ . وإنَّما كانوا مُخَيَّسِينَ[1] .

وقد يقول العاشق لمعشوقته : يا معذّبتى ! وقد عذّبتنى[2] !

ومن العذَاب مايكُونُ طويلاً ، ومِنْه مايكُونُ قصيرَ الوقْت . ولوخسفَ الله تَعالى بقومٍ فى أقلَّ من عُشْر ساعة[3] لجاز لقائل أن يقول : كان ذلك يوم أحلَّ الله عذابَه ونِقمتَه ببلاد كذا وكذا .

(قوة الخنزير وشدة احتماله)

وقال أبو ناصرة : الخنزير ربَّما قتل الأسد ، وما أكْثَرَ ما يَلْحقُ بصاحب[4] السَّيفِ والرُّمح ، فيضربُه بِنابِهِ ، فيقطَعُ كلّ ما لقِيه من جسَده : من عظمٍ وعصَبٍ ، حتى يقتلَه . وربَّما احتال أن ينبَطح[5] على وجهِه على الأرض ، فلا يغنى ذلك عنْه شيئاً .

وليس لشىءٍ من الحيوان كاحتمال بدنِه لوَقْع السهام ، ونفوذِها فِيهِ .

(بعض طباع الخنزير)

وهو مع ذلك أرْوَغُ من ثعلب ، إذا أراده الفارس . وإذا[6] عدا أطمَعَ فى نفْسه كلّ شىء ، وإذا طولب أعيا الخيْلَ العِتاق . والخنزيرُ مع ذلك أنْسَلُ

---

(١) المخيس ، هو من قولهم : إبل مخيسة : لا تسرح . ط : « محبوسين » وهى صحيحة بمعنى « مخيسين » . س ، هـ : « محبسين » ، تحريف ما أثبت .

(٢) ط ، هـ : « عذبتينى » . وانظر الاستدراكات .

(٣) ط ، س : « ساعات » ، والوجه فيه ما أثبت من هـ .

(٤) س : « صاحب » .

(٥) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، هـ : « ينتطح » .

(٦) س : « فإذا » .

الخلْق ؛ لأنَّ الخِنزِيرَةَ تَضَعُ عِشرين خِنَّوْصاً ، وهو مع كَثْرة إنساله — مِن أقوَى الفحُول على السِّفاد ، ومعَ القُوّة على السِّفاد هو أطولها مُكْثاً فى سفادِهِ ، فهْوَ بذلك أجمَعَ للفحُولة[1] .

٣٤ وإذا كانَ الكلبَ والذِّئبُ موصوفَينِ بشدّة القلْبِ؛ لطُول الخطْم[2] ، فالخنْزِيرُ أولى بذلك .

وللفِيل نابٌ عجيب ، ولكِنَّهُ لقصر عنقه لا يبلغ النَّابُ مبلغا[3] ، وإنَّمَا يستعينُ بخُرطومِهِ ، وخرطومُهُ هو أنفه ، والخطْمُ غير الخرطوم .

(ما قيل فى طيب لحمه وإهالته)

قال أبو ناصرة : وله طيب ، وهُو طِيبُ لحمهِ ولحمُ أولاده[4] . وإذا أرادُوا وصفَ اختلاط[5] ودَك الكُرْكِىِّ[6] فى مَرَق طبيخ ، قالُوا : كأَنَّ إهالتَه إهالة خنزير[7] ؛ لأنّه لا يسرع إليها[8] الجمود . وسرعةُ جمودِ إهالة

(١) فى الأصل : « أجمع الفحولة » ولا تصح . وفى ط ، ﻫ زيادة : « بهذا » فى آخر الجملة ولا وجه لها كما فى س .

(٢) سبق مثل هذا الكلام فى (٢ : ٢١٣ س ١) .

(٣) ط : « لقصر عنقه لايبلغ الباب يقصر عنه ولا يبلغ » الخ . وأثبت صوابه من س ، ﻫ .

(٤) بدل هذه العبارة فى ﻫ : « وله طيب لحمه » فقط . وجملة « وله طيب » ساقطة من س .

(٥) كذا على الصواب فى ﻫ . وفى ط ، س : « اختلاف » .

(٦) الكركى ، بالضم : طائر كبير أغبر اللون أبتر الذنب طويل العنق والرجلين : Crane . قال الدميرى : « وللملوك مصر وأمرائها فى صيده تغال لايدرك حده ، وإنفاق مال لايستطاع حصره وعده » . ط : « الكركى » ، صوابه فى س ، ﻫ .

(٧) الإهالة ، بالكسر : الشحم . والودك : الدسم . ﻫ : « أهاله إهال خنزير » ، محرف .

(٨) س : « إليه » محرف .

الماعز فى الشِّتاء عيب . وللضَّأن فى ذلك بعضُ الفضيلة على الماعز ؛ ولا يلحق بالخنزير .

(قبول عظم الخنزير للالتحام بعظم الإنسان)

وإذا نقص من الإنسان عَظْمٌ واحْتِيجَ إلى صِلتِهِ فى بعض الأمراض لم يلتحِمْ بِهِ إلاّ عَظْمُ الخنْزِير .

(صوت الخنزير)

وإذا ضُرِب فصاح لم يكن السَّامِعُ يفصِلُ بينَ صوتِه وبينَ صوت صبىٍّ مضروب[١] .

(طيب لحمه)

وفى إطباقِ جميع الأممِ على شهوةِ أكله واستطابَةِ لحمِهِ ، دليلٌ على أنَّ له فى ذلِكَ ما ليس لغيْره .

(زعم المجوس فى المنخنقة ونحوها)

والمجوس تزعم أنَّ المُنخنقَة والموقوذَة والمتردِّية[٢] ، وكلَّ ما اعْتُبط ولم يمت حَتْف أنفِه[٣] ، فهو أطْيب لَحْماً وأحلى ؛ لأَنَّ دَمَه فِيهِ ، والدم حُلوٌ

(١) وقد تهيأ لابن آوى مثل هذا الصوت كما سيأتى فى (٥ : ٢٨٨) .

(٢) س : « المنخنق والموقوذ والمتردى » . وانظر ماسبق ص ٥٦ .

(٣) اعتبط ، بالبناء للمفعول : مات من غير علة . ويقال مات حتف أنفه : أى بلا ضرب ولا قتل . ط ، هـ : « وكلما اعتبط » الخ ، وصواب كتابته ماأثبت . وبدلها فى س : « إذا اعتبط » الخ .

دَسِم . وإنما عافَه مَن عافَه من طَريق العادة والدِّيانة ، لا من طريق الاستقذار والزُّهْدِ الذى يكُون فِى أصل الطبيعة .

(اختلاف ميل الناس إلى الطعام)

وقد عافَ قومٌ الجِرِّىَّ والضِّبابَ[١] على مثل ذلك ، وشُغِف بهِ آخرون .

وقد كانت العربُ فى الجاهليَّة[٢] تأكل دمَ الفصْد[٣] ، وتفضِّل طَعمه ، وتُخبر عَمَّا يورثُ من القوَّة .

قال : وأىُّ شىءٍ أحسَنُ من الدّم ، وهل اللَّحمُ إلا دَمٌ استحالَ كما يستحيل اللَّحمُ شحما ؟ ! ولكنّ الناس إذا ذكروا معناه ، ومن أين يخرج وكيف يخرج ، كانَ ذلِكَ كاسِرا لَهُمْ ، ومانعاً من شهوتِه .

(بعض مايغير نظر الإنسان إلى الأشياء)

وكيف حال النَّار فى حسنها[٤] ، فإنّه ليس فى الأرض جسمٌ لم يصبغ أحسن منْه[٥] . ولَوْلَا معرفتهُمْ بقتْلها وإحْراقِها وإتلافها ، والألم والحُرْقةِ المولدين[٦] عنها ، لتضاعف ذلك الحُسْن[٧] عِنْدَهُمْ . وإنَّهم ليَرَوْنَها

---

(١) الجرى ، بالجيم المكسورة بعدها راء مشددة مكسورة : ضرب من السمك سبق الكلام عليه فى (١ : ٢٣٤) . والضباب ، بالكسر : جمع ضب .

(٢) ط : « فالجاهلية »، صوابه فى س ، هـ .

(٣) وذلك بأن يضعوا الدم ، بعد فصده فى الأمعاء ويشوونها . انظر ص ٥٦ .

(٤) س : « جنسها »، وأراه تحريفاً .

(٥) كذا فى ط ، س . وفى . هـ : « لم يصنع أحسن منه » .

(٦) ط : « المولودين » صوابه فى س ، هـ .

(٧) س : « الحس »، محرف .

فى الشِّتاء بغير العُيونِ التى يرونَها بها فى الصَّيف . ليس ذلك إلَّا بقدْر ما حدَث من الاستغناءِ عنها .

وكذلك جِلاءُ السَّيف ؛ فإنَّ الإنسانَ يَستحسِنُ قَدَّ السَّيفِ وخَرْطَه ، وَطبْعَهُ وبريقَه . وإذا ذكر صنيعَهوالذى هُيئ له ، بدَا لهُ فى أكثرِ ذلك[١] ، وتبدَّل فى عينه ، وشغَلَه ذلك عن تأمُّل محاسنه .

ولولا علْم النَّاس بعداوة الحيَّاتِ[٢] لهم ، وأنَّها وحشيَّة لا تَأْنَس ولاتقبل أَدَباً ، ولا تَرْعَى حقَّ تربِية ، ثمَّ رأَوا شيئاً من هذه الحيَّاتِ[٢] البيض ، المنقَّشَةِ الظُّهور — لَمَا بَيَّتُوها ونوَّمُوها إلَّا فى المهد ، مع صِبيانهم .

(ردٌّ على من طعن فى تحريم الخنزير)

فيقال لصاحب هذه المقالة[٣] : تحريم الأغذيَةِ إنَّمَا يكونُ من طريق العبادة والمحْنة ، وليس أنَّ جوهرَ شىء من المأكول[٤] يوجِبُ ذلك . وإنَّمَا قلنا : إذا وجدْنا الله تعالى قد مسَخَ عباداً من عباده فى صُوَر الخنزير [دونَ بقِيَّة[٥] الأجْناس ، فعلمنا أنَّه لم يَفْعَلْ ذلك إلَّا لِأُمُورٍ اجتمعتْ فى الخنزير[٦]] . فكان المسخ على صورته أبلَغ من التَّنكيل . لم نقُلْ إلاّ هذا   ٣٥

(١) بدا له : أى نشأ له رأى آخر .

(٢) ط : « الحياة » ، وإنما هو جمع حية كما فى س ، ه .

(٣) هذا البحث الآتى متعلق بما سبق فى ص ٧٤ — ٧٧ ساسى وليس له ارتباط بما مر قريباً .

(٤) إلى هذه الكلمة ينتهى المجلد الأول من النسخة الخطية المرموز إليها برمز « س » وتبتدئ المعارضة بعدها من أول المجلد الثانى منها .

(٥) ه : « جميع » .

(٦) الزيادة من س ، ه .

(طباع القرد)

والقرد يَضْحَكُ ويَطْرَب ، ويُقْعِى ويَحكى ، ويتناولُ الطَّعامَ بيديه ويضعه فى فيه ، ولَهُ أصابعُ وأظفار. وينقى[١] الجوز ، ويأنس الأُنْسَ الشَّديد ، وَيَلْقَنُ بالتَّلقين الكثير ، وإذا سقط فى الماء غرق ولم يسبَحْ ؛ كالإنسانِ قبل أنْ يتعلَّمَ السِّباحة . فلم تجد النَّاسُ للذى اعترى القِرْد من ذلك — دونَ جميعِ الحيوان عِلّةً — إلّا هذه المعانى التى ذكرتها[٢] ، من مناسبَة الإنسانِ مِن قِبَلِها .

ويُحكى عنه من شدَّة الزِّواج ، والغَيرةِ على الأزواج ، ما لا يحكى مثلُه إلَّا عن الإنسان ؛ لأنَّ الخنزيرَ يَغَارُ ، وكذلك الجملُ والفرَسُ ، إلاّ أنها لا تزاوج . والحمارُ يَغارُ ويحمى عانَتَهُ الدَّهر كُلَّهُ[٣] ، ويضرِبُ فيها كضربه لو أصابَ أَتَاناً من غيرها . وأجناس الحمام تزاوج ولا تَغار .

واجتمَع فى القرد الزِّواج والغَيرة ، وهما خَصلتانِ كريمتان ، واجتماعهما من مفاخرِ الإنسانِ على سائر الحيوان. ونحن لم نرَ وجْهَ شيءٍ غيرِ الإنسان أشبَهَ صورةً وشبها ، على ما فيه من الاختلاف ، ولا أشبَهَ فماً ووجْهاً بالإنسان، من القِرْد . ورُبّما[٤] رأينا وجهَ بَعْضِ الحمر[٥] إذا كان ذا خطْمٍ ، فلا نَجِدُ بَيْنَهُ وبين القِرْدِ إلّا اليسيرَ .

---

(١) أصله من قولهم : نقى العظم نقيا : استخرج نقيه . والنقى بالكسر : مخ العظام وشحمها . فالمعنى يستخرج لب الجوز .

(٢) س : « ذكرناها » .

(٣) العانة : جماعة الحمر الوحشية .

(٤) ط : « وبما » ، تصحيحه من س ، ه .

(٥) لعل المراد بالحمر هنا الروس . وجاء فى التنبيه والإشراف ١٢٢ : « والروم تسميهم روسيا . معنى ذلك : الحمر » . فى الأصل : « بعض وجه الحمر » .

(أمثال فى القرد)

وتقول[1] الناس : « أكْيسُ من قِشَّة[2] » ، و « أمْلَحُ مِنْ رُبَّاح[3] » ولم يقل أحد : أكيس من خِنْزيرٍ ، وأملَحُ من خِنّوص . وهو قول العامّة : « القرد قبِيحٌ ولكنّه مليح » .

(كفّ القرد وأصابعه)

وقال النَّاس فى الضبِّ : إنه مِسخٌ . وقالوا : انْظُر إلى كفِّه وأصابعه . فكَفّ القرد وأصابعهُ[4] أَشْبَهُ وأصنَعُ . فقدَّمْتِ القردَ على الخنزير من هذا الوجه .

(علة تحريم لحم الخنزير)

وأمّا القولُ فى لحمه ، فإنَّا لم نزعمْ أنّ الخنزيرَ هو ذلك الإنسان الذى مُسخ ، ولا هو من نَسله ، ولم ندَعْ لحمهُ من جهة الاستقذارِ لشهْوته فى العَذِرة ، ونحن نجد الشّبُّوط والجرّىَّ[5] ، والدّجاج ، والجَرادَ ، يشاركْنهُ فى ذلك ، ولكن للخصال التى عدّدنا من أسباب العبادات . وكيف صار أحقَّ بأنْ تمسخ الأعداء[6] على صورته فى خلقتِه .

---

(١) س : «ويقول» .

(٢) القشة ، بالكسر : القردة ، أو ولدها الأنثى .

(٣) الرباح ، كرمان : القرد الذكر .

(٤) ط : « فكيف والقرد أصابعه » ، وهو — لاجرم — تحريف .

(٥) الشبوط والجرى : ضربان من ضروب السمك . وانظر مثل هذا الكلام فى (١ : ٢٣٥) .

(٦) أى أعداء الله .

(حديث عبيد الكلابى)

قال : وقلت مرّةً لعبيد الكلابيّ — وأظهرَ مِن حُبِّ الإبل والشّغَفِ بها ما دَعانى إلى أن قلت لَهُ — : أبينها وبينكم قرابة[١] ؟ قال : نعم ، لها فينا خُؤولة . إنّى والله ما أعنى البَخاتىّ ، ولكنى أعنى العِرَاب، التى هى أعرب! قلت لَهُ : مَسَخَكَ الله تعالى بعيرًا ! قال : الله لا يمسخُ الإنسَانَ على صُورةِ كريمٍ ، وإنما يمسخه على صورةِ لئيم ، مثل الخنزير ثم القرد[٢] .

فهذا قولُ أعرابيٍّ جِلْفٍ[٣] تكلّم على فِطرته .

(قول فى آية)

٣٦ وقد تكلم المخالِفون فى قولِهِ تعالى: ﴿ وَٱسْأَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ[٤] ﴾ .

وقد طعَنَ ناسٌ فى تأويل هذه الآيَةِ ، بغيرِ علمٍ ولا بيانٍ ، فقالوا : وكيف يكون ذلك وليس بين أن تجىء[٥] فى كلِّ هلال فرقٌ ، ولا بينها إذا جاءت فى رأس الهلال فرقٌ ، ولا بينَها إذا جاءتْ فى رأس السَّنَةِ فرق .

---

(١) س : « أبينكم وبينها قرابة » .

(٢) ط ، هـ : « الخنزير والقرد » .

(٣) الجلف ، بالكسر : الرجل الجافى .

(٤) هذه القرية هى أيلة ، أو مدين ، أو طبرية : وكل منها حاضرة البحر، أى قريبة منه . « يعدون فى السبت » : يتجاوزون حدود الله بالصوم يوم السبت . « يوم سبتهم » أى يوم تعظيمهم أمر السبت ، سبتت اليهود : عظمت سبتها . « شرعا » : ظاهرة على وجه الماء .

(٥) كذا الصواب فى س . وفى ط ، هـ : « يجىء » .

(هجرة السمك)

وهذا بحرُ البَصرةِ والأُبلَّة ، يأتيهم ثلاثةَ أشهرٍ معلومة معروفة [من السنة] السَّمكُ الأسْبور (١) ، فيعرفون وقتَ مجيئهِ وينتَظِرُونه ، ويَعرِفون وقتَ انقِطاعِهِ ومجئَ غيره ، فلاَ يمكث بهم الحالُ إلاَّ قليلاً حتَّى يُقْبِلَ السَّمك من ذلك البحر ، فى ذلِكَ الأوان ، فَلاَ يَزالونَ فى صَيْدٍ ثَلاَثَةَ أشهر معلومةٍ من السَّنَةِ ، وذلِكَ فى كلِّ سنةٍ مرَّتين لكل جنس . ومعلومٌ عندهم أنه يكون فى أحد الزمانين أسْمَنَ ، وهو الجواف(٢) ، ثمَّ يأتيهم الأسْبور(٣) ، على حساب مجىء الأسبور(٤) والجُوَافِ . فأمّا الأسْبور فهو يقطع إليهم من بلادِ الزِّنج . وذلِكَ مَعْرُوفٌ عند البحْرِيِّينَ . وأنّ الأسْبور فى الوقت الذى يقطع إلى دِجلةِ البصرة لا يوجَد فى الزِّنج ، وفى الوقت الذى يُوجَدُ فى الزنج لا يوجد فى دِجلة (٥) . وربَّما اصطادوا منها شيئا فى الطريق فى وقت قطعِهَا المَعْروفِ(٦) ، وفى وقت رجوعها . ومَع ذلكَ أصنافٌ من

(١) سبق الكلام عليه فى (٣ : ٢٥٩) . وفى الأصل : « الأشبور » محرف .

(٢) فى الأصل : « الجراف » . وانظر ما أسلفت من التحقيق فى (٣ : ٢٥٩) .

(٣) فى الأصل : « الأشبول » . وهو تحريف . انظر له (٣ : ٢٥٩) .

(٤) ط ، هـ : « الأشبول » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) س : « الدجلة » ، وإدخال « أل » على « دجلة » خطأ ، فإن المعرفة لا تعرف . وانظر لأشباه هذا الوهم درة الغواص ٢٥ .

(٦) يقال قطع الطائر والسمك : إذا انتقل من بلد إلى بلد .

السمك كالإرْبِيان[١] ، والرَّقّ[٢] ، والكَوْسَج[٣] ، والبرد[٤] ، والبَرَستُوج[٥] . وكلُّ ذلك معْرُوفُ الزَّمانِ ، متوقعُ المخرَج .

وفى السَّمكِ أوابدُ وقواطعُ ، وفيها سيّارةٌ لا تقيم . وذلك الشبَهُ يُصابُ . ولذلك صارُوا يتكلمُونَ بخَمْسةِ السنة[٦] ، يهذُونها[٧] ، سوى ما تَعَلَّقُوا به من غيرها .

ثمَّ القواطع من الطير قد تأتينا إلى العِراق منهم[٨] فى ذلك الإبَّان جماعاتٌ كثيرةٌ ، تَقْطعُ إلينا ثمَّ تَعُودُ فى وقتها .

---

(١) الأربيان ، بالكسر : ضرب من السمك ، يعرف فى مصر باسم ، « الجنبرى » ، كما فى معجم المعلوف . وقد سبق للجاحظ كلام فيه ، انظر (١ : ٢٩٧ س ٦) وفى الأصل : « الأرسان » ، محرف عما أثبت .

(٢) الرق : السلحفاة المائية .

(٣) الكوسج : سمك بحرى كبير عظيم الضرر تخافه دواب البحر ، ويعرف باسم « القرش » أيضا فى سواحل البحر الأحمر .

(٤) كذا . ولعله : « البز » أو «البزون» ، وهو نوع من السمك معروف بالعراق .

(٥) البرستوج : سمك قدمت تحقيقا فيه بالجزء الثالث ص ٢٥٩ — ٢٦٠ ، وهو من السمك الذى يقطع إلى البصرة كما فى (٣ : ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣) . وهذه الكلمة مضطربة فى الأصل : فهى فى ط : « الكرنوح » و س : « الكونوح » و هـ : « الكرموح » وهى تحريفات عجيبة لما أثبت .

(٦) لعله إشارة إلى الأصناف الخمسة المتقدمة .

(٧) هذ الحديث يهذه : سرده . وفى الأصل : « يهدونها » بالدال المهملة ، ولا وجه له .

(٨) جعل لغير العاقل ضمير العاقل ، وهو جائز . فى القرآن : « يأيها النمل ادخلوا مساكنكم » ، « والله خلق كل دابة من ماء فنهم من يمشى على بطنه » ، « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » ، « إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » .

(رد على المعترض)

قُلْنا لهؤلاء القوْم : لَقَدْ أَصبتم فى بَعْض ماوصفتم ، وأخْطأْتم فى بَعضٍ . قال الله تعالى : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ ﴾ ،ويومُ السبتِ يدورُ مَعَ الأَسابيعِ ، والأَسابيعُ تدور مع شهورِ القَمرِ [١] . وهذا لا يكونُ مَعَ استواءٍ من الزمان . وقد يكون السبتُ فى الشتاء والصَّيف والخريف ، وفيما بين ذلك . ولَيسَ هذا من باب أزمان قواطع السَّمكِ [٢] وهَيْجِ الحَيَوان وطلب السِّفاد ، وأزمان الفلاحَةِ ، وأوقاتِ الجزْر والَمدِّ ؛ وفى سبيل الأَنواء ، والشجر كيْفَ يَنْفَضُ [٣] الوَرَق والثمار ؛ والحيّاتِ كَيف تَسلُخُ [٤] ، والأيائِلِ كَيف تلقى قرونَها [٥] والطيرِ كيف تَنطق ومتى تسكت .

٣٧ ولو قال لَنَا قائل : إنى نَبِيٌّ [و [٦]] قُلْنَا لَهُ : وما آيتك ؟ وماعلامتك ؟ فقال : إذا كان فى آخر تَشرينَ الآخِرِ أقبل إليكم الأسْبُور [٧] ، من جهة البحر — ضحكوا منه وسخِروا بهِ . ولو قال : إذا كانَ يَوْمُ الجمعَة أو يومُ الأحَد أقبل إليكم الأسْبُور [٧] ، حَتَّى لا يزالُ يصنع ذلك فى كلِّ

---

(١) ط : « القمرية » ، صوابه فى س ، هـ .

(٢) س : « وليس هذا مرتين كأزمان قواطع السمك » .

(٣) ينفض ، بالفاء : يسقط الورق أو الثمر . ط ، هـ : « ينقض » ، صوابه فى س . وقد سبق مثله فى (٣ : ٢٣٢ س ١٤) .

(٤) يقال سلخت الحية تسلخ من بابى نصر ومنع ، وانسلخت تنسلخ : إذا انسرت من جلدتها . جاء فى س : « تنسلخ » وكلمة « الحيات » ساقطة من س وموضعها فى ط ، هـ بعد كلمة « تسلخ » ، وقد رددتها إلى موضعها الطبيعى الملائم .

(٥) الأيل ينصل قرنه فى كل سنة كما سبق فى (٣ : ٢٣٢ س ١٣ ، ١٤) .

(٦) ليست بالأصل ، والكلام فى حاجة إليها .

(٧) فى الأصل : « الأشبور » . وانظر التنبيه الأول من الصفحة ١٠١ .

جمعة – علِمْنا اضطراراً إذَا عايَنَّا الذى ذَكَرَ على نَسَقه أنّه صادق ، وأنَّه لم يعلمْ ذلك إلاّ من قِبَلِ خالِقِ ذلك[١] . تعالى الله عن ذلك .

وقد أقرَرْنا بعجيب ما نرى من مطالع النُّجوم ، ومن تناهى المدِّ والجزْر على قدر امتلاءِ القمر ونُقصانه ، وزيادته ومحاقه[٢] ، واستسراره[٣] . وكلُّ شىءٍ يأتى على هـــذا النَّسقِ من المجارِى ، فإنَّمَا الآيةَ فيه لِلّهِ وحدَه على وحدانيَّته .

فإذا قال قائلٌ لأهل شريعةٍ[٤] ولأهل مُرسًى ، من أصحابِ بحرٍ أو نهر أو وادٍ ، أو عينٍ ، أو جدول : تأتيكم الحِيتانُ فى كلِّ سبت . أو قال : فى كلِّ رمضان . ورمضانُ متحوِّلُ الأزمانِ فى الشِّتاءِ والصيف ، والرَّبيعِ والخريفِ . والسَّبت يتحوّل فى جميع الأزمان . فإذا كان ذلك كانتْ تلك الأعجوبةُ[٥] فيــه دالةً على توحيد الله تعالى ، وعلى صِدقِ صاحب الخبَر ، وأنَّه رسولُ ذلك المسخِّر لذلك الصِّنف . وكان[٦] ذلك المجىءُ خارجاً من النَّسق القائم ، والعادةِ المعروفة . وهذا الفرقُ بذلك بَيِّنٌ . والحمدُ لله .

---

(١) بدله فى ط ، هـ : « السمك » .

(٢) المحاق ، مثلثة : آخر الشهر ، أو ثلاث ليال من آخره ، أو أن يستسر القمر فلا يرى غدوة ولا عشية .

(٣) استسرار القمر : أن يختفى ، وذلك ليلة ثمان وعشرين ، وإذا كان الشهر ثلاثين فسراره ليلة تسع وعشرين . فى ط ، هـ : « إسراره » س : « استراره » ، والوجه ماأثبت . انظر اللسان (سرر ٢١) . وبعد هذه الكلمة فى ط : « واستدارته » .

(٤) الشريعة ، هنا مورد الماء .

(٥) س : « فإن كان ذلك كانت أعجوبة » .

(٦) ط ، هـ : « فكان » .

(شنعة الخنزير والقرد)

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ . وفى الموضعِ الذى ذكَرَ أنّه مسَخَ ناساً خنازير قد ذكر القُرُود[١] . ولم يذكُرْ أنَّهُ مَسَخَ قوماً خنازير ، ولم يمسَخْ منهم قروداً[٢] . وإذا كان الأمر كذلك فالمسخ على صورة القِرَدة[٣] أشنَع ؛ إذْ كان المسخ على صورتِها[٤] أعظمَ[٥] ، وكان العقابُ به أكبر . وإنّ الوقت الذى قد ذكر أنّه قد مسخ ناساً قروداً فقد كان مسخَ ناساً خنازير . فلم يدَعْ ذِكرَ الخنازير وذكَرَ القرودَ[٦] إلاّ والقرودُ فى هذا الباب أوجَعُ وأشنَع وأعظمُ فى العُقوبة ، وأدلُّ على شدَّة السَّخْطة[٧] . هذا قول بعضهم .

---

(١) س : « قرودا » ، وفى ط ، ه زيادة واو قبل « قد » ، وهو تحريف .

(٢) أى أنه عند ذكره مسخ قوم خنازير قرنه أيضاً بالمسخ بالقرود ، وذلك قوله تعالى فى الآية الستين من سورة المائدة : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير » . وفى الأصل : « ولم يذكر أنه مسخ قوما قرودا ولم يمسخ منهم خنازير » . وأصلحته بما ترى .

(٣) فى الأصل : « القرد » بالإفراد . ووجه الجمع كما سترى .

(٤) فى الأصل : « على صورتهما » ، وإنما الضمير عائد إلى جماعة القردة .

(٥) فى الأصل : « أعم » ، ولا وجه له . وانظر ما سيأتى .

(٦) أى وحدها ؛ إذا قال فى سورة البقرة ، الآية الخامسة والستين : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ، ولم يذكر الخنزير . وقال فى سورة الأعراف ١١٦ : « فلما عتوا عن مانهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ولم يذكر الخنزير .

(٧) السخطة ، بالفتح : الكراهة ، يقال سخطه سخطا ، بالضم ، والتحريك ، وبضمتين ، وسخطة . وفى حديث هرقل : « فهل يرجع أحد منهم سخطة لدينه »

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لموضع الأنف من السِّباع الخَطم ، والخرطوم — وقد يقال ذلك للخنزير — والفِنْطِيسة[١] ، والجمع الفناطيس . وقال الأعرابىّ : «كأنّ فناطيسها كراكِرُ الإبل[٢] » .

(خصائص بعض البلدان)

وقال صاحب المنطق : لا يكونَ خِنزيرٌ ولا أيِّلٌ بحريًّا . وذكر أنّ خَنازِيرَ بعض البُلدانِ يكون لها ظلفٌ واحد ، ولا يكون بأرضِ نهاوَنْدَ حِمارٌ ؛ لشدَّة بردِ الموضع ، ولأنَّ الحِمار صَرِدٌ .

وقال : فى أرضِ كذا وكذا لا يكون بها شىءٌ من الخُلْدِ[٣] ، وإن نقله إنسانٌ إليها لم يحفر ، ولم يتَّخذ بها بيتا . وفى الجزيرة التى تسمَّى صِقِلِّية[٤] لا يكُونُ بها صنفٌ من النمل ، الذى يسمَّى أفرشان[٥] . ٣٨

---

(١) الفنطيسة ، بالكسر : خطم الخنزير . وفى اللسان : « وروى عن الأصمعى : إنه لمنيع الفنطيسة والفرطيسة والأرنبة ، أى هو منيع الحوزة حمى الأنف . أبو سعيد : فنطيسته وفرطيسته : أنفه » ، فهى قد تستعمل لغير الخنزير .

(٢) كذا على الصواب فى ط . وفى هـ : « قناطيسها » ، وفى س : « فناطيسه » . والكراكر : جمع كركرة ، بالكسر ، وهى صدر كل ذى خف .

(٣) الخلد ، بالضم : ضرب من الفأر .

(٤) صقلية ، بكسرات ولام مشددة : تلك الجزيرة الأوربية الإيطالية . س ، هـ : « أصقلية » ولعلها لغة فى تعريبها .

(٥) س : « أفرشان » بالفاء .

(قول أهل الكتابين فى المسخ)

وأهل الكتابَين[١] يُنكرون أنْ يكونَ الله تعالى مسخَ النَّاس قروداً وخنازير ، وإنما مسخ امرأة لوط حَجَراً[٢] . كذلك يقولون .

القول فى الحيات

اللهمَّ جنِّبنا التكلفَ ، وأَعِذْنَا من الخطَل ، واحمِنا من العُجْبِ بمَا يكونُ منَّا ، والثقةِ بمَا عندنا ، واجعلْنا من المحسنين .

(احتيال الحيات للصيد)

حدثنا أبو جعفرٍ المكفوفُ النحويُّ العنبريُّ ، وأخوه رَوحٌ الكاتب ورجالٌ من بنى العنبر ، أن عندهم فى رمال بلْعنبرِ حيَّةً تصيد العصَافير وصِغَارَ الطيرِ بأعجبِ صيدٍ. زعموا أنها إذا انتصَفَ النهارُ واشتدَّ الحرُّ فى رمالِ بلعنبر ، وامتنَعت الأرض على الحافى والمنتعل ، ورَمِض الجندب[٣] ،

---

(١) التوراة والإنجيل .

(٢) الذى فى سفر التكوين من التوراة ، الأصحاح ١٩ : ٢٤ — ٢٦ : « فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا من عند الرب من السماء ، وقلب تلك المدن ، وكل الدائرة ، وجميع سكان المدن ونبات الأرض ، ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح » .

(٣) الجندب ، وزان برقع ودرهم ، وبضم الجيم وبفتح الدال : ضرب من الجراد صغير : Grasshopper . ورمض : آلمه الرمض وأحرقه ، وهو بالتحريك شدة وقع الشمس على الرمل ونحوه .

غمست هذه الحيَّةُ ذنبَها في الرَّمل ، ثم انتصبَتْ كأنها رمحٌ مركوز ، أو عودٌ ثابت[١] ، فيجيء الطائرُ الصغيرُ أو الجرادَةُ ، فإذا رأى عوداً قائماً وكرِه الوُقُوعَ على الرَّمل لشدَّة حرِّه ، وقعَ على رأس الحيَّة ، على أنّها عُود . فإذا وقعَ على رأسها قبضَتْ عليه . فإن كان جرادةً أو جُعَلاً أو بَعْضَ مالا يُشْبعها مثلُه ، ابتلعته[٢] وبقيت على انتصابها . وإن كان الواقعُ على رأسها طائراً يُشبِعها مثلُه أكلتْهُ وانصرفت . وأنَّ ذلك دأبُها ما مَنَعَ الرَّملُ جانِبَه[٣] في الصَّيفِ والقَيْظ ، في انتصاب النهار والهاجرة . وذلك أنَّ الطائرَ لا يشكُّ أنَّ الحيَّةَ عودٌ ، وأنهُ سيقُوم له مقام الجِذْل للحِرْباء[٤] ، إلى أنْ يسكن الحرُّ ووَهَجُ الرَّمْلِ .

وفي هذا الحديثِ من العَجَبِ أنْ تكون هذه الحيَّةُ تهتَدِي لمثل هذه الحيلة . وفيه جَهلَ الطائرِ بفرقِ ما بين الحيوانِ والعُود . وفيه قلةَ اكتراثِ الحيَّة بالرَّمْل الذى عادَ كالجمر[٥] ، وصلحَ أن يكون مَلةً وموضِعا للخبزة[٦] ، ثمَّ [أن [٧]] يشتمل ذلك الرَّمل على ثلث الحيَّة ساعاتٍ من النَّهار ، والرملُ على هذه الصفة . فهذه أعجوبةٌ من أعاجيب مافى الحيّات .

---

(١) فى نهاية الأرب (١٠ : ١٣٩) : « نابت » بالنون .

(٢) س : « أكلته » .

(٣) س : « جانبها » ، محرف .

(٤) الجذل ، بالكسر ويفتح : ما عظم من أصول الشجر ، وما على مثال شماريخ النخل من العيدان . والحرباء : بالكسر : دويبة من العظاء بطيئة الحركة تتلون ألوانا : Chameleon . وهى إذا احتمت بجذل شجرة لم يميزها الرائى ؛ لأنها تتلون سريعاً بلون الجذل ، فيحسبها نتوءا فيه لا أنها شيء غريب عنه ، فتحفظ نفسها بذلك .

(٥) عاد هنا ، بمعنى صار .

(٦) الملة ، بالفتح : الرماد الحار . والخبزة ، بالضم : عجين يوضع فى الملة حتى ينضج .

(٧) ليست بالأصل .

(رضاع الحية وإعجابها باللبن)

وزعم لى رِجَالٌ من الصّقالبةِ ، خصيانٌ وفحول ، أنّ الحيَّة فى بلادهم تأتى البقرةَ(١) [المحفَّلةَ(٢)] فتنطوى على فخِذيْها(٣) ورُكبتيها إلى عراقيبها ، ثمّ تُشْخص صدرها نحو أخلافِ ضَرْعِها ، حتى تلْتقم الخِلف ؛ فلا تستطيع البقَرَةُ [مع قوّتها(٤)] أن تَترَمْرَمَ(٥) . فلا تزالُ تمصُّ اللبن ، وكلما مصّت استرخت . فإذا كادت تتلفُ أرسلتها .

وزعموا أن تلك البقَرةَ إمّا أن تموتَ(٦) ، وإمّا أنْ يصيبَها فى ضرعها فسادٌ شديدٌ تَعْسُرُ مداواته(٧) .

والحيَّةُ تُعْجَبُ باللبن . وإذا وجدت الأفاعى(٨) الإناء غير مخَمَّر(٩)

---

(١) ط : « البقر » ، وأثبت ما فى س ، هـ ونهاية الأرب (٩ : ١٣٩) .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب . والمحفلة ، بفتح الفاء المشددة : الناقة أو البقرة أو الشاة لا يحلبها صاحبها أياما حتى يجتمع لبنها فى ضرعها ، فإذا احتلبها المشترى وجدها غزيرة اللبن فزاد فى ثمنها . وفى الحديث : « من اشترى شاة محفلة فلم يرضها ردها ورد معها صاعا من تمر » . وبدلها فى س ، هـ : « المحتفلة » تحريف ما أسلفت .

(٣) ط : « فخذى البقرة » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب .

(٥) تترمرم : تتحرك .

(٦) بدلها فى نهاية الأرب : « تتلف » .

(٧) س ونهاية الأرب : « يعسر دواؤه » .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٩) خمر الإناء : غطاه .

٣٩ كرعت فيه[١] ، ورُبَّمَا مجَّت فيه ما صار فى جوفها ، فيصيبُ شاربَ ذلك اللَّبَنِ أذًى ومكروهٌ كثير .

ويقال إنَّ اللبن محتَضر[٢] . وقد ذهب ناسٌ إلى العمَّار ، على قولهم إنَّ الثوبَ المعصْفَر محْتَضَر[٣] . فظنَّ كثيرٌ من العلماء أنَّ المعنى فى اللبن إنمَا رَجَعَ إلى الحيَّات .

(ما تعجب به الحيات)

والحيَّةُ تَعْجَبُ باللُّفَّاح[٤] والبِطِّيخ[٥] ، وبالحُرْف[٦] ، والخردل المرْخُوف[٧] ؛ وتكره ريحَ السَّذاب[٨] والشِّيح ، كما تكره الوَزَغُ ريحَ الزَّعفَران .

---

(١) كرع فى الماء أو فى الإناء ، كمنع وسمع ، كرعا وكروعا : تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء .

(٢) محتضر ، بالضاد المعجمة المفتوحة : تحضره الجن فيما يزعمون ؛ قالوا : ولذلك يسرع إليه الفساد . وفى الأصل : « محتصر » بالمهملة . وليس صوابا .

(٣) ط : « مختصر » س : « محتصر » . وصوابه ما أثبت من ه . وانظر التنبيه السابق .

(٤) اللفاح بالضم وتشديد الفاء : نبت عريض الورق ؛ وله ثمر فى حجم التفاح إلا أنه أصفر شديد العفوصة والقبض ، فإذا نضج مال إلى حلاوة ما . ويسمى بالشام تفاح الجن . وأصله يتكون كصورة الإنسان بيديه ورجليه ، ولذلك يسمى بالسريانية : « يبروحا » أى ينقصه الروح : ويسمى بالفارسية : « هزار كشاى » أى يحل ألف عقدة .

(٥) لا يزال هذا الزعم باقيا فى مصر ، والعامة عندنا إذا أرادوا أن يحفظوا البطيخ المشقوق من أذى الحيات والهوام ، غيبوا نصل السكين فى جوفه ، فيعصمه ذلك من شر الهوام فيما يرون .

(٦) الحرف ، بالضم : هو المعروف بحب الرشاد .

(٧) المرخوف ، بالخاء المعجمة : الذى وضع عليه المـاء فاسترخى . وهذه الكلمة محرفة فى أصلها ، فهى فى ط ، ه : « المزخرف » وفى س : « المرحوف » بالحاء المهملة .

(٨) ه : « السداب » بالمهملة ، تصحيف . وانظر العقد (٦ : ٢٤٣) .

(قوة بدن الحية)

وليس فى الأرض شىءٌ جسمه مثلُ جسم الحيَّةِ ، إلا والحيّةُ أقوى بدناً مِنه أضعافا . ومن قوَّتها أنها إذا أدخلَتْ رأسها فى جُحْرِها ، أو فى صَدْعٍ إلى صدرها ، لم يستطعْ أقوى النّاس وهو قابضٌ على ذنبها بكلتَا[1] يديه أنْ يخرجها ؛ لشدَّةِ اعتمادها ، وتعاونِ أجزائِها . وليست بذاتِ[2] قوائم لَهَا أظفارٌ أو مخالبُ أو أظلافٌ[3] ، تُنْشِبُهَا فى الأرض ، [و[4]] تتشبث بها[5] ، وتعتمد عليها . وربما انقطَعَتْ فى يدى[6] الجاذِب لها ، مَعَ أنها لدْنَةٌ ملساءُ عَلِكَة[7] فيحتاج الرفيق[8] فى أمرها عند ذلك ، أنْ يُرسلها من يديهِ بعضَ الإرسال ، ثم ينشطُها[9] كالمختطف والمختلس ، وربما انقطع ذنبها فى يد الجاذب لها . فأمَّا أذنابُ الأفاعى فإنها تنبُت .

---

(١) كذا على الصواب فى س ؛ إذ أن كلا وكلتا إذ أضيفتا إلى اسم ظاهر ألزمتا الألف . وفى ط ، هـ : « بكلتى » ، وهو خطأ .

(٢) فى الأصل : « بذى » ، ووجهه ما أثبت .

(٣) ط ، هـ : « لها أظلاف » ، صوابه فى س .

(٤) الزيادة من س ، هـ .

(٥) س : « تثبت فيها » .

(٦) ط : « يد » . وانظر السطر الرابع من هذه الصفحة .

(٧) علكة ، كفرحة : من قولهم طعام عالك وعلك ، ككتف : متين الممضغة . ط ، هـ : « من أنها » ، وذا عكس المراد ، إذ المعنى أن ملاستها تقتضى انزلاقها من يد الجاذب ، وكونها علكة يستلزم أن تكون متينة تعز على القطع .

(٨) س : « فتحتاج إلى الرفق » ، وهى عبارة لاتساير باقى الكلام .

(٩) نشط الشىء ، من باب نصر : اختلسه .

ومن عجيب [١] ما فيها من هذا الباب ، أنَّ نابَها يُقطَع بالكاز [٢] ، فينبت حتى يتمَّ نباته فى أقلَّ من ثلاث ليال .

(نزع عين الخطاف)

والخُطَّاف فى هذا الباب خلافُ الخنزير ، لأنَّ الخطاف [٣] إذا قُلعتْ إحدى عينيه رجَعت . وعينُ البِرْذَوْنِ يركبها البَياضُ ، فيذهب فى أيَّامٍ يسيرة .

(الاحتيال لناب الأفعى)

وناب الأفعى يحتالُ له بأن يُدخلَ فى فيها حُمَّاض أترُجّ [٤] ، ويطبق لحيُها [٥] الأعلى عَلَى الأسفل ، فلا تقتل بِعَضّتها أياماً صالحة .

والمِغْناطيس الجَاذب [٦] للحديد ، إذا حُكَّ عليه الثُّوم [٧] ، لم يجذب الحديد .

---

(١) س : « أعاجيب » .

(٢) الكاز ، بالزاى : هو المقص بالفارسية . ط : « بالكار » صوابه فى س ، هـ ومعاجم بالمر ، واستينجاس ، وريتشاردسن .

(٣) س : « الخنزير » صوابه فى ط ، هـ . وسيأتى فى ص ١٤٣ : « فإن نازعا لو نزع عيون فراخ الخطاطيف وفراخ الحيات لعادت بصيرة » .

(٤) الأترج ، سبق الحديث عنه فى (٣ : ٥٨١) . وحماضه : شحمه .

(٥) اللحى ، بالفتح : العظم الذى فيه الأسنان من داخل الفم . ط ، هـ : « لحييها » بالتثنية ، صوابه الإفراد كما فى س .

(٦) المغنطيس والمغناطيس ، بكسر الميم من كل منهما ، وكذا المغنيطس بفتح الميم وكسر النون وفتح الطاء : حجر يجذب الحديد ، معرب . وفى الأصل أيضا : « الجاذبة » صوابه ما أثبت .

(٧) الثوم ، بالضم ، ذاك النبت المعروف . س : « عليها » وهى على الصواب فى ط ، هـ . وجه مناسبة هذه الفقرة لما قبلها ، هو أن بعض المواد إذا اقترنت بمادة أخرى فقدت بعض خواصها .

(خصائص الأفعى)

والأفعى لا تدورُ عينها فى رأسها ، وهى تلد وتبيض ، وذلك أنها إذا طرَّقت ببيضها[١] تحطَّمَ فى جوفها ، فترمى بفراخِها أولادًا ، حتى كأنها من الحيوان الذى يلد حيواناً مثلَه .

وفى الأفاعى من العجَب أنَّها تُذبح حتى يُفرَى منها كلُّ ودَج ، فتبقى كذلك أيَّاماً لا تموت . وأمرتُ[٢] الحاوىَ فقبض على خرَزَة[٣] عنقها ، فقلت له : اقبضها من الخرَزَة التى تليها قبضاً رفيقا[٤] . فما فتَحَ بينها بقدر سَمِّ الإبرة حتَّى بَرَدَتْ ميّتة[٥] . وزعم أنّه[٦] قد ذبحَ غيرَها من الحيَّات فعاشَتْ على شبيهٍ بذلك ، ثمَّ إنّه فَصَلَ تلك الخرَزة عَلَى مثالِ ما صنع بالأفعى ، فماتت بأسرعَ من الطَّرْف .

---

(١) طرقت ببيضها ، بتشديد الراء : حان لها أن يخرج بيضها . ط : « طرقت بيضها » صوابه فى س ، ه .

(٢) ط ، ه : « فأمرت » بالفاء .

(٣) الخرزة ، بالتحريك : الفقرة من فقرات الظهر أو العنق .

(٤) س : « من الفقرة » والفقرة والخرزة سيان . ه : « فصلا رقيقا » محرف .

(٥) سم الإبرة : ثقبها . بردت : ماتت .

(٦) الضمير المستكن ، للحاوى الذى سبق ذكره .

(قوة بدن الممسوح)

وكلُّ شيءٍ ممسوحِ البَدن[١] ، ليس بِذِى أيدٍ ولا أرْجُل[٢] ، فإنّه يكون شديدَ البدن ، كالسَّمكة[٣] والحيَّة .

(حديث فى سم الأفعى)

وزعم أحمد بن غالب[٤] قال : باعنى حَوّاءٌ ثلاثين أفعى بدينارين ، ٤٠ وأهدى إلىَّ خمساً اصطادها من قُبالة القلب[٥] ، فى تلك الصحارى على شاطئ دجلة . قال : وأرَدْتها للتِّرياق . [قال] : فقال لى حين جاءنى بها : قل لى : مَن يعالجها ؟ [قال] : فقلت له : فلان الصيدلانىّ . فقال : ليس عن هذا سألتك ، قل لى : من يذبحها ويسلُخها ؟ قال : قلت : هذا الصيدلانىُّ بعينه . قال : أخاف أن يكون مغرورًا من نفسه ؛ إنّه والله إن أخطأ موضع المفصِل من قفاه[٦] ، وحركته أسرعُ من البرق ، فإن كان لا يحسن[٧]

(١) هذه الكلمة ساقطة من هـ . و « ممسوح » بالحاء المهملة ، وقد فسره بما سيأتى . وفى الأصل : « ممسوخ » بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف .

(٢) ط : « رجل » والوجه الجمع كما فى س ، هـ .

(٣) ط ، هـ : « كالسمك » .

(٤) س : « أحمد بنى غالب » . والصواب ماأثبت من ط ، هـ . ويؤيده اتفاق النسخ على إثبات « ابن غالب » فى الصفحة ١١٦ .

(٥) موضع أو ماء ، لم أهتد بعد إلى ضبطه أو تعيينه .

(٦) ط : « قفاها » صوابه فى س ، هـ .

(٧) س : « يحس » .

ولايدرى كيف يتغفله ، فينقُرُه نَقْرَةً[١] لَمْ يُفْلِحْ بَعْدَهَا أَبَدًا . ولكنى سَأَتَطَوَّعُ لك بِأَنْ أعمل ذلك بين يديه . قال : فبعثت إليه . وكان رأسه [إلى[٢]] الُجونة[٣] ، فَيُغْفِلُ[٤] الواحدةَ فيقبِض على قفاها بأسرع من الطَّرْفِ[٥] ، ثمَّ يذبحها . فإذا ذبحها سال من أفواهها لُعابٌ أبيض ، فيقول : هذا هو السم الذى يقتُل ! قال : فجالت يدُه جَوْلة . وقطرت من ذلك اللُّعاب قطرةٌ عَلَى طرَف قميصِ الصيدلانىِّ . قال : فَتَفَشَّى[٦] ذلك القاطرُ حتَّى صار فى قدر الدِّرهم العظيم . ثم إنَّ الحوّاء امتَحَن ذلك الموضعَ فتهافت

---

(١) النقر ، بالقاف : أصله للطير ، واستعماله فى الحيات غريب ، لم أر مثله إلا فيما ورد فى ص ١٠٩ ، وكذا فى أثناء قصة رواها الجهشيارى (فى كتاب الوزراء والكتاب) بشأن حية مر بها رجل فقالت له : أدخلنى فى كمك حتى أدفأ ثم أخرج . فأدخلها فلما دفئت قال لها : اخرجى ! فقالت : إنى ما دخلت فى هذا المدخل قط فخرجت حتى أنقر نقرة . وبعدها : « وواللّه لئن دخل أسامة لينقرنك نقرة » . كل أولئك بالقاف . انظر الجهشيارى ٥٦ س ١٤ ، ١٥ . والمعروف فى الأفاعى : نكز ينكز ، بالنون ثم الكاف بعدها زاى معجمة ، كما سيأتى فى ص ٢٥٣ .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) الجونة ، بضم الجيم : سليلة (تصغير سلة) مغشاة أدما (أى جلدا مدبوغا) تكون مع العطارين . ذاك أصلها . ط ، ه : « الحونة » بالحاء ، صوابه فى س .

(٤) يقال أغفلت الرجل : أصبته ووجدته غافلا ، وعلى ذلك فسر بعضهم قوله عز وجل « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » : اللسان . س ، ه : « فيتغفل » . يقال تغفلته واستغفلته : تحينت غفلته . والرواية المثبتة من ط .

(٥) الطرف : مصدر طرف بصره : أطبق أحد جفنيه على الآخر . والطرف أيضاً : العين . س : « فى أسرع من الطرف » .

(٦) تفشى بالفاء : انتشر واتسع . وفى اللسان : « تفشى الحبر : إذا كتب على كاغد رقيق فتمشى فيه » . ط ، س : « فتغشى » بالغين بدل الفاء ، ووجهه ما أثبت من ه .

فى يده ، وبقيت الأَفاعى مُذَبَّحة[1] [تجول] فى الطست ويكدم[2] بعضها بعضاً ، حتى أمسينا .

قال : وبكرت على أبى رجاء إلى باب الجِسر ، أحَدِّثه بالحديث ، فقال لى : وددْت أنّى رأيت موضع القطْرة من[3] قميص الصَّيدلانى ! قال : فو الله ما رِمْتُ[4] حَتَّى مرَّ مَعى إلى الصَّيدَلانىِّ ، فأَرَيْتُه موضعَه .

وأصحابُنا يزعمون أنّ لعابَ الأفاعى لا يَعمَلُ فى الدَّم . إلّا أنّ أَحْمَدَ ابنَ المثنَّى زعم أنّ من الأفاعى جنساً لا يضُرُّ الفراريج من بينِ الأشياء ، ولا أدرى أَىُّ الخبرين أبعد : أخبَرُ ابن غالب فى تفسيخ الثَّوب ، أو خبر ابن المثنى فى سلامة الفَرُّوجِ علَى الأَفعى ؟

(ما تضىء عينه من الحيوان)

وزعم محمد بن الجهم أنّ العيون التى تضىء بالليل كأَنها مَصابيحُ ، عيونَ الأُسْد والنمور ، والسَّنانيرِ والأفاعى ، فبينا نحنُ عنده إذْ دخل عليه بعضُ من يجلب الأفاعىَ من سِجِسْتان ، ويَعْمَلُ التِّرياقات ، ويبيعها أحياءً ومَقْتُولة[5] ، فقال له : حَدِّثهم بالذى حَدَّثتنى به من عينِ الأفعَى . قال : نَعَم ، كنتُ فى مَنْزِلى نائما فى ظلمة . وقد كنت جمعتُ رءوس أفَاعٍ[6]

---

(١) ط : « مذبوحة » وأثبت مافى س ، ه .
(٢) يكدم : يعض . ط : « يكدم » بدون واو قبلهما .
(٣) س ، ه : « فى » .
(٤) مارمت ، بكسر الراء من « رمت » : أى مابرحت .
(٥) فى الأصل : « معمولة » .
(٦) فى الأصل : « أفاعى » بإثبات الياء . والوجه حذفها .

كنَّ عندى ، لأرمىَ بها ، وأغفلتُ تحت السَّرير رأساً واحداً ، ففتحْتُ عينى تجاهَ السَّريرِ فى الظلمةِ فرأيت ضياءً إلاَّ أنَّه ضئيلٌ ضعيفٌ رقيق ، فقات : عينُ غولٍ أو بعضِ أولادِ السَّعالى ، وذهبتْ نفسى فى ألوانٍ من المعانى ، فقمت فقدَحْت ناراً ، وأخذتُ المصباح معى ، ومضيت نحوَ السرير فلم أجِدْ تَحْتَهُ إلاّ رأسَ أفعى[1] ، فأطفأتُ السِّراج ونمتُ[2] وفتحْتُ عينى ، فإذا ذلك الضوء على حاله ، فنهضْتُ فصَنعتُ كصنيعى الأوَّل ، حتى فعلتُ ذلك مِرارا . قال : فقلت آخر مرَّة : ما أرى[3] شيئاً إلَّا رأسَ أفعى ، فلو نحَّيتُه ! فنحَّيتُه وأطفأتُ السِّراج ، ثمّ رجعْتُ إلى منامى ، ففتحْتُ عينى فلم أرَ الضَّوء ، فعلمت أنَّه من عين الأفعى ، ثمَّ سألتُ عن ذلك ، فإذا الأمرُ حَقٌّ ، وإذا هو مشهورٌ فى أهل هذه الصِّناعة . ٤١

(قوة بدن الحية وعلة ذلك)

قال : وربَّماَ قبضَ الرَّجلُ الشديدُ الأسْرِ والقُوّةِ القبضةَ على قفا الحيَّة فتلتفُّ عليه فتصرعُهُ . وفى صُعودِها وفى سعيها خلفَ الرَّجلِ الشديدِ الُحضْر ، أو عند هربها حتّى تفوتَ وتسبق ، وليستْ بذاتِ قوائم ، وإنما

---

(١) الأفعى مؤنثة ، وقد استعملت اسما ووصفا . فن جعلها وصفا لم يصرف كما لا يصرف أحمر ، ومن جعلها اسما صرف ، كما صرف أرنبا وأفكلا . المخصص (١٦ : ١٠٦) . هذا قول الفارسى . وقال غيره : « الأفعى تقع على المذكر والمؤنث » . المخصص (١٦ : ١٠٥) .

(٢) س : « ونمنا » ، ونام هنا بمعنى رقد .

(٣) ط ، هـ : « لا أرى » .

تنسابُ عَلى بطنها . وفى تدافُعِ أجزائها وتَعاونها ، وفى حرَكةِ الكلِّ[١] من ذاتِ نفسها ، دليلٌ على إفراطِ قوَّةِ بدنها .

ومن ذلك أنها لا تمضغ ، وإنما تبتلع ، فربَّما كان فى البَضْعة أو فى الشيء الذى ابتلعَتْه عَظْمٌ ، فتأتى جِذْمَ شجرةٍ ، أو حَجرًا شاخصا[٢] فتنطوى عليه انطواءً شديدا فيتحطَّم[٣] ذلك العَظْمُ حتَّى يَصير رُفاتاً .

ثمَّ يُقطعُ ذنبُها فينبت . ثمَّ تعيشُ فى المـاء ، إن صارت فى الماء ، بَعد أنْ كانَتْ بريّة ، وتعيشُ فى البرِّ بَعْدَ أن طال مُكثُها فى المـاء وصارتْ مائيَّة .

قال : وإنَّمَا أتتْها هذه القُوَّة ، واشتدَّت فِقَرُ ظهرِها هذه الشِّدَّة ؛ لكثْرةِ أضلاعِها ، وذلك أنّ لها من الأضلاع عددَ أيَّامِ الشَّهر. وهى مع ذلك أطولُ الحيوان عمرًا .

(موت الحية)

ويزعمون أنَّ الحيَّة لا تموتُ حَتْفَ أنفها ، وإنَّمَا تموتُ بِعَرَض يَعْرِضُ لَها . ومع ذلك فإنه ليس فى الحيوان شىءٌ هُوَ أصبرُ عَلَى جوعٍ من حَيَّةٍ ، لأنَّها إنْ كانتْ شابَّةً فَدَخلتْ فى حائط صخر ، فتتبَّعُوا موضعَ مَدْخَلها بوتِدٍ أو بحجر[٤] ، ثمّ هدمُوا هذا الحائط ، وجدُوها هنَاك منطوِية

(١) أى كل أجزائها . ط ، هـ : « حركتها الكل » صوابه فى س . والواو التى قبل « فى » ساقطة من ط .

(٢) شاخصا : مرتفعا . س : « حجر شاخص » صوابه فى ط ، هـ .

(٣) س : « فيحطم » .

(٤) س : « حجر » .

وهى حَيَّةٌ . فالشّابةُ تُذكر بِالصَّبْر عند هذه العلّة[١] . فإن هَرِمَتْ صغُرَت فى بدنها ، وأقنَعَهَا النَّسِيم ، ولم تشتَهِ الطعم . وقد قَالَ الشاعرُ : — وهوَ جَاهلىٌّ[٢] — :

فابْعَثْ له من بعض أعراض اللَّمَمْ[٣] لُمَيْمَةً من حَنَشٍ أعْمَى أصمّْ

قَدْ عاشَ حتى هُوَ لا يَمشى بدمّْ فكُلَّمَا أقْصَدَ مِنْهُ الجُوعُ شَمّْ[٤]

وهذا[٥] القولُ لهذا المعْنى . وفى هذا الوجه يقُول الشاعِرُ[٦] :

داهية قَدْ صغُرَتْ من[٧] الكِبَرْ صِلّ صفاً ماينطوى من القِصَر[٨]

---

(١) أى تذكر بالصبر على الجوع . والعبارة ساقطة من هـ . وفى ط ، س : « تذكر الضمر » . وصوابه ما أثبت .

(٢) مثله فى ص ٢٨٣ . وبعض هذا الرجز سيأتى فى (٦ : ١٢٩ ، ٤٠٢) .

(٣) اللمم ، بالتحريك : مايلم بالإنسان من شدة ، ومثله « اللمة » بالفتح . وقد صغرها فيما سيأتى .

(٤) أى شم الهواء ، يطعمه بدل الطعام ، كما سبق . ط ، هـ : « سم » بالمهملة ، صوابه فى س وفى ص ٢٨٣ . وأقصده : أصابة إصابه محققة .

(٥) س : « فهذا » .

(٦) هو خلف الأحمر كما سيأتى فى ص ٢٨٥ — ٢٨٦ ، أو هو النابغة كما فى ديوان المعانى (٢ : ١٤٥) وأصل نهاية الأرب (١٠ : ١٤٥) وحماسة ابن الشجرى ٢٧٣ — ٢٧٤ . وفى مجموعة المعانى ، لمؤلف مجهول ١٩٥ : « وقال النابغة ، ونسبت إلى خلف الأحمر » .

(٧) ضبطت : « داهية » بالنصب فى المخصص (٨ : ١٠٩) . وروى صاحب المخصص أيضاً « حارية » بالنصب كذلك .

(٨) الصفا : الحجر الصلد الضخم لاينبت شيئاً . ط : « صفا » صوابه فى س ، هـ . يقول : قد قصر حتى مايمكن انطواؤه . فى نهاية الأرب : « لاتنطوى » ، وفى ديوان المعانى : « لاينطوى » ، وفى حماسة ابن الشجرى : « ماينطوى » ، وهذه مصحفة .

طويلة الإطراقِ من غير خَفَرْ[١] كأنما قد ذهبت بهاَ الفِكر[٢]

جَاء بهاَ الطوفان أيَّامَ زَخَرْ[٣]

(صَبْرُها على فَقْدِ الطُّعْم)

ومن أعاجيبهاَ أنها وإن كانتْ مَوْصُوفةً بالشَّرَهِ والنَّهَم ، وسُرعَةِ

٤٢ الابتلاع ، فلها فى الصَّبرِ فى أيَّامِ الشِّتاء ما ليس للزَّهِيدِ[٤] . ثمَّ هى بَعْدُ [مِمَّا[٥]] يصير بها الحالُ إلى أن تستغنِيَ عن الطُّعم[٦] .

(النمس والثعابين)

ثمّ قدْ يزعمون أنَّ بمصرَ دويْبَّةً يقال لها النمس[٧] يتخذهَا الناطور[٨] إذا اشتَـدّ خوفه مِنَ الثّعَابين ؛ لأنّ هـذه الدَّابَّةَ تنقبضُ وتنضمُّ ،

---

(١) الإطراق ، بالقاف : إرخاء العينين والنظر بهما إلى الأرض . ط ، ه : « الأطراف » بالفاء . ومثله فى ديوان المعانى ، ونهاية الأرب . وهو تصحيف لاوجه له ، والصواب المثبت من س وحماسة ابن الشجرى . والخفر : شدة الحياء ، وهذه الـكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « تفر » وفى س ، ه : « نفر » وفى أصل نهاية الأرب « حفر » ، وصوابها فى ديوان المعانى وحماسة ابن الشجرى . والرواية فى ص ٢٨٦ : « حسر » . وقد أنث « طويلة » لأن الصل بمعنى الحية ، وهى مؤنثة .

(٢) كذا فى ط ، ه . ورواية س : « كمطرق قد ذهبت به الفكر » .

(٣) زخر ، بالزاى المعجمة : كثر ماؤه وعظمت أمواجه . ه : « ذخر » محرف .

(٤) فى التهذيب : « رجل زهيد وامرأة زهيدة ، وهما القليلا الطعم » . والطعم ، بالضم : الطعام .

(٥) من س ، ه .

(٦) ط : « الطم » صوابه فى س ، ه .

(٧) النمس ، بالـكسر : حيوان أكدر اللون أحمر العينين قصير القوائم طويل الجسم والذنب ، ولا يزال معروفا فى مصر ، يراه الفلاحون فى بعض المزارع ، ويستأنسه بعض التجار فى حوانيتهم . والعامة يضربون بعينه المثل ، فيقولون : « عينه كعين النمس » ، وفلان نمس ، يعنون بالأول أنه حديد البصر سريعه ، وبالثانى أنه ألمعى حاذق لاتفوته الفرصة .

(٨) الناطور : حافظ النخل والشجر ، قيل إنه دخيل . وقال الأصمعى : هو الناطور =

وتَتَضاءَلُ[١] وتستدقّ ، حتّى كأنها قُدَيْدَة[٢] أو قطعة حبْل ، فإذا عضَّها الثُّعبان وانطوى عليها زَفَرتْ ، وأخذتْ بنَفَسِها وزَخَرت[٣] جوفها فانتفخ . فتفعل ذلك وقد انطوى عليها ، فتقطعه قِطَعاً من شِدّةِ الزَّخْرة[٤] .

وهذا من أعجب الأحاديث .

(القواتل من الحيات)

والثَّعابينَ إحدَى القواتِل . ويزعُمون أنها ثلاثةُ أجناسٍ لا ينجعُ فيها رُقيةٌ ولا حِيلة ، كالثعبان ، والأفعى ، والهنديَّة[٥] . ويقال : إنَّ ما سِواها فإنما يقتُلُ مع ما يُمدُّها من الفزع ؛ فقد يفعل الفَزَع وحدَه ؛ فكيف إذا قارنَ سُمَّها[٦] ؟ ! [وسُمُّهَا][٧] إن لم يقتُلْ أمرَضَ .

= والنبط يجعلون الظاء طاء ، ألا تراهم يقولون « برطلة » وإنما هو ابن الظل . قلت : ذاك معناها التفصيلي الاشتقاقي ، وكلمة « بر » بمعنى الابن بالنبطية ، فهو يريد أن النبط ألفوا الكلمة من لفظهم ومن كلام العرب . ومعنى الكلمة : المظلة الضيقة . انظر المعرب ص ١٤٧ ثم ص ٢٩ .

(١) تتضاءل : تنقبض وينضم بعضها إلى بعض . وهذه الكلمة ساقطة من س ، ومحرفة فى ط ، ھ برسم « تنصال » .

(٢) قديدة : مصغر القدة بالكسر ، وهى واحدة القد ، كما فى القاموس . والقد : سيور تقد من جلد فطير غير مدبوغ ، فتشد بها الأقتاب والمحامل ، كما فى اللسان . ط ، ھ : « فريدة » صوابه فى س . وانظر أواخر مفاخرة الجوارى والغلمان من رسائل الجاحظ .

(٣) زخر الشىء : ملأه ، كما فى القاموس . س : « زخَرت » ، وكتبت النقطة العليا بالمداد الأحمر ، والسفلى بالأسود ، ولم أستطع توجيه : « زجرت » بالجيم .

(٤) ھ : « الزجرة » وانظر التنبيه السابق . س : « الزحرة » مصحفة .

(٥) فى العبارة نقص وتشويه . وانظر ما نقل الدميرى عن الجاحظ (١ : ٤١١) .

(٦) ط ، ھ : « قارنه » .

(٧) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

(ما يفعل الفزع فى المسموم)

ويزعمون أنَّ رجلاً قال[١] تحتَ شجرةٍ ، فتدلَّت عليه حيَّةٌ منها فعضَّت رأسَه ، فانتبه محمرَّ الوَجْهِ ، فحكَّ رأسَه ، وتَلَفَّتَ[٢] ، فلم يَرَ شيئاً ، فوضع رأسَه ينامُ ، وأقام مدَّةً طويلةً لا يرى بأساً ، فقال له[٣] بَعْضُ مَنْ كان رأى تدلِّيَهَا عليه ثمّ تقلُّصَها عنه وهروبَها منه[٤] : هل علمتَ مِنْ أيِّ شيءٍ كان انتباهك تحتَ الشَّجرة ؟ قال : لا والله ، ما علمت . قال : بلى ، فإنَّ الحيّةَ الفُلانيَّة نزلت عليك حتّى عضّتْ رأسَك ، فلما جلست [فزعا] تقلَّصتْ عنك وتراجعَت . ففَزع فَزْعَةً وصَرَخَ صرخةً كانَتْ فيها نَفْسُهُ . وكأنهُـمْ توهَّمُوا أنَّه لمـا فزِع واضطربَ ، وقد كان ذلك السُّمُّ مغمورًا ممنوعا فزال مانِعُهُ ، وأوغله ذلك الفزَع ، حِينَ[٥] تفتَّحت منافسُه ، إلى موضع الصَّميم والدِّماغِ وعُمْقِ البدَن ، فانحلَّ موضعُ العَقْد الذى انعقدَت عليه أجزاؤه وأخلاطُه .

وأنشد الأصمعىُّ :

نَـكِيثة تنهشه بمنبذ[٦]

---

(١) قال ، هنا ، بمعنى نام فى القائلة ، وهى نصف النهار .

(٢) ط ، هـ : « ويلتفت » ، وأثبت ما فى س والدميرى .

(٣) بدل هذه العبارة فى س : « فلما كان ذلك قال » .

(٤) « وهروبها منه » ساقط من س . وفى ط ، هـ : « من كان رأى حاله » الخ .

(٥) فى الأصل : « حتى » .

(٦) ط ، هـ : « ونكهشة » .

وأنشدَ لأبى دُوادٍ الإيادىِّ :

فأَتانى تَقْحِيمُ كَعْبٍ لىَ المنـ طقَ إن النَّكِيثة الإقْحَام(١)

(أثر الفزع فى فعل السم)

قال : فالفزَعُ إمّا أنْ يكونَ يُوصِلِ السمَّ إلى المَقاتِل ، وإمَّا أن يكون معيناً له ، كتعاون الرَّجُلين على نزع وتِد . فهم(٢) لا يجزمون على أنّ الحيَّة من القواتل البتّة(٣) ، إلّا أنْ تقتلَ إذا عضَّت النائمَ والمغشىَّ عليه ، والطفلَ الغريرَ ، والمجنونَ الذى لا يَعْقِل ، وحتّى تجرَّبَ عليهِ الأدوية .

(الترياق وانقلاب الأفعى)

وكنت يوماً عند أبى عبد الله أحمد بن أبى دُواد ، وكان عنده سلْمويه(٤) وابن ماسويه ، وبختيشوع بن جبريل ، فقال : هل ينفع التِّرياق من نهشة

---

(١) التقحيم : أن يجعله يقحم أى يدخل فى الأمر فجأة بلا روية . فى الأصل : « تفخيم » صوابه فى الشعراء ١٨٩ . وكعب ، هو كعب بن مامة ، الرجل الجواد ، وكان قد بلغ أبا دواد شىء عنه . الشعراء ١٨٩ . وفى الأصل : « إلى المنطق » تصحيحه من الشعراء . والنكيثة : الخطة الصعبة ، ط ، ه : « النكهشة » صوابه فى س والشعراء . والإقحام بمعنى التقحيم ، ط ، ه : « الافحام » تصحيحه من س والشعراء ، وقد روى ابن قتيبة أربعة عشر بيتا من هذه القصيدة .

(٢) بدل هذه الكلمة والتى قبلها فى ط : « وتراهم » ، تحريف صوابه فى س ، ه .

(٣) يقال : جزم على الأمر ، بفتح الزاى مخففة ، أو مشددة : أى سكت . س : « لايجزمون أن الحية » الخ ، ومؤدى العبارتين واحد عند التأمل .

(٤) فى الأصل : « وكان أخذ داود عنده سلمويه » ، والكلمة الثانية والثالثة يفسدان الكلام .

أفعى ؟ فقال بعضهم : إذا عَضّتِ الأفعى فأُدرِكَتْ قبل أن تنقَلب[١] نفع الترياق ، وإن لَمْ تُدْرَك لَمْ يَنْفعْ ؛ لأنهم إنْ قلّلوا مِنَ التِّرياقِ قتلَهُ السُّمُّ ، وإن كثّروا مِنْهُ قتَله الفاضلُ عن مقدار الحاجة . ٤٣

قلت : فإنَّ ابنَ الْعجوزِ[٢] خبّرَنى بأنها[٣] ليست تنقلب لِمَجِّ السمِّ وإفراغهِ ، ولكنَّ الأفعى فى نابها عَصَل[٤] ، وإذا عضّت استفرغت إدخالَ النَّابِ كلِّه ، وهو أحْجَنُ أعْصَل[٥] ، فيهِ مشابه من الشِّص[٦] ، فإذا انقلبَتْ كان أسهلَ لنزْعه وسلِّه . فأمَّا لصبِّ السّمّ وإفراغه فلا . قَالَ : والله لعلّه ما قلت ! [قلتُ] : مَا أسْرَعَ ما شككْتَ ! !

ثمّ قلت له : فكأنما[٧] وضعوا الترياق واجتلَبُوا الأَفاعىَ وضنُّوا[٨] وعزمُوا على أنه لاينفع إلاّ بدرْك الأَفْعَى قبلَ أنْ تَنقلب ! وكيف صار التِّرياقُ بعد الانقلاب لا يكونَ إلّا فى إحْدَى منزلتين : إمّا أن يقتل بكثرته ، وإمّا ألاّ يَنْفَعَ بقلّته ! فكأَنَّ الترياقَ ليس نفعُه إلّا [فى[٩]] المنزلةِ الوسطى التى لا تكون فاضلةً ولا ناقصة ! ولكنى أقولُ لك : كيف يكون نفعه إذا كان الترياقُ جَيِّدًا قويًّا ، وعُوجل فسُقى المقْدَارَ الأَوسط ، قبْلَ أنْ يَبْلُغَ الصَّميمَ ، ويغوصَ فى العُمْقِ[١٠] . وعلى هذا وُضع ، وهم كانوا أحْزَم

(١) س : « تقلب » .
(٢) فى ص ٤١٩ : « ابن أبى العجوز » . وهو أحد الحوائين .
(٣) س : « بأن الأفعى » .
(٤) العصل ، بالصاد المهملة والتحريك : الاعوجاج . س ، ه : « عضل » مصحف .
(٥) س : « أعضل » ، بالصاد المهملة كما فى ه ، ط .
(٦) هذه العبارة ليست فى ه ، وفى ط ، س : « النقص » . ووجهه ما أثبت .
(٧) فى الأصل : « فإنما » .
(٨) كذا .
(٩) ليست بالأصل .
(١٠) أى عمق البدن ، كما مر فى ١٢٢ س ١١ . وفى الأصل : « العميق » .

وأحْذَقَ مِنْ أن يتكلفوا شيئاً ، ومقدارُه من النَّفعِ لا يُوصَل إلى معرفته .

ويقول بعضُ الحذاق : إنَّ سقىَ التِّرياقِ بعدَ النهش بساعةٍ أو ساعتَين مَوْت المنهوش .

ثم قلتُ له : وما عَلَّمك ؟ وبأىِّ سببٍ أيقنتَ[١] أنها تمجُّ من جوفِ نابها شيئاً ؟ ! ولعله ليس هنالك إلاَّ مخالطة جوهَرِ ذلك النَّابِ لدم الإنسان ! أَوَلسْنَا قد نَجِدُ من الإنسانِ مَنْ يَعَضُّ صاحِبَه فيقتُلُهُ ، ويكونُ معروفاً بذلك ؟! وقد تقِرُّون أنَّ الهنديَّة والثُّعبانَ يقتلان ، إمَّا بمخالطة[٢] الرِّيق والدم ، وإمَّا بمخالطة السِّنِّ والدَّم ، من غير أن تدَّعوا أنَّ أسنانَهما مجوَّفة[٣] . وقد أجمع جميعُ أصحابِ التِّجارب أنَّ الحيَّة تضْرَبُ بقصَبَةٍ[٤] فتكون أشدَّ عليها من العصا وقد يضرَبُ الرجلُ على جسَده بقضبان اللَّوْزِ وَقضبَان الرُّمان ، وقضبانُ اللَّوْزِ أعلك[٥] وألْدن ، ولكنَّها أَسلَمُ[٦] ، وقُضبان الرُّمَّان أخفُّ وأسخَفُ ولكنها أعطب .

وقد يطأ الإنسان على عَظْمِ حَيَّةٍ أو إبْرَةِ عقْرَبٍ ، وهما مَيْتَتان ، فيلقى الجهد . وقد يُخْرَجُ السِّكِّينُ من الكِيرِ وهو مُحمًّى ، فيُغْمَسُ فى اللبن

---

(١) كذا فى س . وفى ط ، هـ : « علمت » .

(٢) ط ، هـ : « لمخالطة » .

(٣) س : « جوف » : جمع جوفاء .

(٤) س : « بعصية » : تصغير عصا ، صوابه فى ط ، هـ .

(٥) أعلك بمعنى أشد وأمتن . ويقال : طعام عالك وعلك ـ ككتف : متين الممضغة . وألدن . من اللدونة ، وهى اللين . واللدن : اللين .

(٦) ط ، س : « اسم » صوابهما فى هـ .

فتى خالط الدّم قامَ مقامَ السمّ ، من غير أن يكون مَجَّ فى الدّم رطوبةً غليظةً أو رقيقَةً .

وبعض الحجارة يُكْوَى بها — وهو رِخْوٌ — الأوْرَامُ حتى يفَرِّقها ويُحْمِصهاَ [١] من غير أن يكونَ نفذَ إليْهَا شىءٌ مِنْهُ ، وليس إلاّ الملاقاة .

قلت : [٢] ولعلَّ قوًى قد انفصلت من أنيابِ الأفاعى إلى دماء النَّاس .

وقد رَوَوْا أنَّه قيل لجالينوس : إنّ هاهُنا رجلاً يَرقى العقاربَ فتموتُ ، أو تنحلّ فلا تعمل ، فرآه يرقيها ويتفل عليها ، فدعا به بحضرةِ جماعةٍ وهو على الرِّيق ، ودعا بغَدائه فتغَدّى مَعَه ، ثمَّ دعِىَ له بالعقاربِ فتَفَل عليها ، فلم يَجِدْ لعابه يصنَعُ شيئاً إلاّ أنْ يكون ريقاً . وهُوَ حَدِيثٌ يدورُ بينَ أهل الطبِّ ، وأنت طبيب . فلم أَرَهُ فى يومه ذلك قال شيَئاً إلاَّ مِن طريق الحزْر والحدْس ، والبلاغات . ٤٤

(السُّموم)

وسمومُ الحيَّاتِ ذواتِ الأنياب ، والعقاربِ ذواتِ الإبر ، إنمَا تَعْمَلُ فى الدّمِ بالإجمادِ والإذابة . وكذا سمومَ ذواتِ الشعر والقُرُونِ والُجمِّ ، إنمَا تَعْمَلُ فى العصب ، ومنها ما يعمل فى الدم .

---

(١) ط : « حتّى يفرقها » س : « حتى يعرقها » صوابه فى ﻫ . ويحمصها : يجعلها تنحمص أى تنقبض وتتضاءل وتسكن . ﻫ : « يخمصها » بالخاء المعجمة ، وهى صحيحة بمعنى الأولى .

(٢) فى الأصل : « فإن قلت » . وصوابه حذف « فإن » . وقراءة الفعل بضمير المتكلم ، وهو الجاحظ . وانظر انتصار الجاحظ للقول بالقوى الفاصلة من بعض الأشياء ، فى الجزء الثانى من الحيوان ص ١٣٥ — ١٤٠ .

(شرب المسموم لِلَّبن)

وحدثني بعضُ أصحابنا قال : كنتُ إمَّا برماى[١] وإما ببارى[٢] وهما بلادُ حيّاتٍ وأفاعٍ[٣] ، ونحن فى عُرْس ، إذ أدخلوا الخِدْرَ العروسَ[٤] فأبطئوا عليه شيئاً ، فأغفى وتلَوّتْ على ذراعه أفعى[٥] ، فذهبَ ينفضها وحَجَمَتْ على ذراعه ــ وقد يقال ذلك إذا كانت العضَّة فى صورةِ شَرْطِ الحجَّام ــ فصَرَخَ وجاءوا يتعادَوْن[٦] فوجدُوها فقتلوها ، وسقَوه فى تلك اللَّيلةِ لبَن أربعينَ عنزاً ، كُلَّمَا استقرّ فى جوفه قَعْبٌ من ذلك اللَّبَن قاءَ فَيَخْرُجُ مِنْهُ كأمثال طَلْعِ[٧] الفُحال الأبيض[٨] ، فيه طرائق من دَسَمٍ تعلوه خضرة ، حتّى استَوْفى ذلك اللَّبَن كله . قال : فعندها قال شيخٌ من أهل القرية : إن كنتم أخرجْتم ذلك السمَّ فقد أخرجتم نَفْسَهُ معَه ! قال : فغبَرَا أيَّاماً بأسوإ حالٍ ثمَّ مات . قال : وكنتُ أعجَبُ من سُرعة استحالة اللَّبَنِ وجُموده .

---

(١) ﻫ : « برمار » .

(٢) س : « بهارى » .

(٣) فى الأصل : « أفاعى » بإثبات الياء ، وصوابه ما أثبت .

(٤) العروس ، يقال للرجل والمرأة ، والمراد هنا : الرجل .

(٥) انظر ما كتبت عن هذا اللفظ فى ص ١١٧ .

(٦) يتعادون : يتبارون فى العدو .

(٧) هذه الكلمة ليست فى الأصل ، وهى ضرورية . والطلع : نور النخل مادام فى الكافور ، أى الغلاف .

(٨) الفحال ، كرمان : الذكر من النخل . والأبيض صفة للطلع لا للفحال .

(اكتفاء الحيات والضباب بالنسيم)

قلتُ : والحيَّاتُ البرِّيَّة إذا هرِمَت تنسَّمت النَّسيمَ فاكتفَتْ به[١] ، وكذلك الضِّبابُ إذا هرِمت .

قال : ولا يكون ذلك للمائيّة من حيَّاتِ الغياضِ[٢] وشُطوطِ الأنهار ، ومناقع[٣] المياه .

(الحيات المائية)

قال : والحيَّات المائيَّة ، إمَّا أن تكون برِّيَّةً أو جبليّةً ، فاكتَسحتها السُّيولُ واحتملَتْها فى كثيرٍ مِنْ أصناف الحشَرَاتِ والدَّوابِّ والسِّباع ، فتوالدت تلك الحيّاتُ وتلاقحَتْ هناك . وإمَّا أنْ تكون كانت أمهاتُها وآباؤُها فى حيَّاتِ المـاء . وكيف دارت الأمور فإنَّ الحيَّاتِ فى أصل الطَّبع مائيّة . وهى تعيشُ فى النَّدَى ، وفى الماء ، وفى البرِّ وفى البحر ، وفى الصَّخر والرَّمل . ومن طباعها أن ترقّ وتلطف على شكلين : أحدهما لطول العمر ، والآخر للبُعد من الرِّيف . وعلى حسب ذلك تعظم فى المياه والغياض :

---

(١) س : « واكتفت بذلك » .

(٢) الغياض : جمع غيضة بالفتح ، وهى مجتمع الصخر فى مغيض ماء . ﻫ : « الغيات » محرف .

(٣) مناقع ، بالقاف : جمع منقع بالفتح ، وهو الموضع يستنقع فيه المـاء . ط : « منافع » ، صوابه فى س ، ﻫ .

(ما أشبه الحيات من السمك)

قال : وكلُّ شيء فى الماء ممّا يعايش السمك ، مما أشبه الحيَّات كالمارماهى[١] والأنكليس[٢] فإنها[٣] كلها على ضربين : فأحدهما من أولاد الحيات ، انقلبت بما عرض لها من طباع البلد والماء . والآخر من نسل سمك وحيات تلاقَحَت[٤] ؛ إذ[٥] كان [طِبَاعُ[٦]] السمك قريباً من طباع تلك الحيّات . والحيّاتُ فى الأصل مائيَّة، وكلّها كانت حيّات . ٤٥

---

(١) المارماهى : ضرب من السمك الشبيه بالحيات ، وليس بحيات . واللفظ فارسى وضبطت راؤه بالكسر فى معجم Palmer . ط ، هـ : « كالماء ما هى » صوابه فى س .

(٢) الأنكليس : ضرب من حيات الماء . وقد جعل الجاحظ هذا وما قبله نوعين . وقد وجدت الدميرى يقول إنهما نوع واحد . انظر رسمى (الأنكليس ، والجرى) فيه . وقال داود فى التذكرة : « مارماهى هو حيات الماء المعروف عندنا بالأنكليس ، سمك شبيه بالحيات » . ولفظه يونانى معرب كما فى معجم المعلوف ١١ . وضبطه صاحب القاموس ، وكذا الدميرى ، بفتح الهمزة واللام وبكسرها ، ويقال فيه أيضا « أنقليس » بالقاف .

(٣) فى الأصل : « وإنها » .

(٤) ط ، هـ : « وتلاقحت » والصواب حذف الواو كما فى س .

(٥) س : « إذا » ، صوابه ما أثبت من ط ، هـ .

(٦) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(قرابة بعض النبات لبعض)

وقد زعم أهلُ البصرة أنّ مُشَان(١) الكوفة قريبٌ(٢) من بُرْنىّ(٣) البصْرَة ، قلبته البلدة .

ويزعمُ أهلُ الحجاز أنَّ نخلَ النارجيل(٤) هو نخل المُقْل(٥) ، ولكنّه انقلب لطباعِ البلدة . وأشباهَ ذلك كثير .

ويزعمون أنَّ الفيَلة مائيّة الطِّباع بالجاموسيَّة والخِنزيرية التى فيها .

---

(١) المشان كغراب وكتاب : نوع من أطيب الرطب ، واللفظ معرب « موشان » الفارسية معناه أم الجرذان ، وقد ترجم الفرس هذا اللفظ العربى إلى لغتهم . وكلمة « موش» معناها الفأر بالفارسية . والألف والنون علامة الجمع عندهم . وأم جرذان : نوع من التمر كبار ، قيل إن نخله يجتمع تحته الفأر ، وروى صاحب اللسان عن أبى حنيفة أن أم جرذان آخر نخلة بالحجاز إدراكا ، قال الساجع : « إذا طلعت الخراتان ، أكلت أم جرذان » . وروى عنه — أى عن أبى حنيفة — صاحب المخصص أنها نخلة تحبها الجرذان فتصمدها فتأكل منها .

(٢) فى الأصل : « قريبا » .

(٣) البرنى ، بالضم وبالفتح : ضرب من التمر ، جاء فى المخصص (١١ : ١٣٣) : « وأم جرذان بالمدينة مثل البرنى بالبصرة ، تلقط أبدا حتى لا يبقى عليها شىء » وهو معرب من « برنيك » الفارسية ، « بر » بمعنى حمل ، و « نيك » بمعنى جيد ، فمعناه الحمل الجيد . وهذه الكلمة محرفه فى الأصل ، فهى فى ط ، ﻫ : « مسان » وفى س : « قرنبا » والوجه فيه ما ذكرت ، انظر التنبيه الأول من هذه الصفحة .

(٤) النارجيل : الجوز الهندى ، تعريب « نارگيل » . وضبط بفتح الراء ضبط قلم فى القاموس واللسان . ط : « النارجيلى »، صوابه فى س ، ﻫ .

(٥) المقل ، بالضم : حمل شجرة الدوم .

(الذئب والنسيم)

قال : والذِّئبُ أيضاً ، وإن كان عندهم[١] مِمَّا لا يجتزى بالنَّسيم[٢] ، فإنَّه من الحيوان الذى يفتح فاه للنَّسيم ؛ ليبرد جوفه من اللهيب[٣] الذى يعتَرِى السِّباع ؛ ولأنّ ذلك يمدّ قوّته ، ويقطع عنه ببرودته[٤] ولطافته الرِّيق . فإن كان ذا سُعْر[٥] [إذا عدا[٦]] احتشى ريحاً .

(اختلاف صبر الذئب والأسد على الطعام)

وربّما جاعَ الأسد ففعل فِعْلَ الذِّئب ، فالأسد والذِّئب يختلفان فى الجوع والصبر ؛ لأنَّ الأسدَ شديدُ النَّهَمِ ، رغيبٌ حريص شَرِهٌ ؛ وهو مع ذلك يحتمِلُ أنْ يبقى أيّاماً لا يأكلُ شيئاً . والذِّئبُ وإن كان أقفر[٧] منزلاً ، وأقلَّ خِصْبا ، وأكثَرَ كَدًّا[٨] وإخفاقا ، فلا بدَّ له من شىءٍ يُلقِيه فى جوفه ، فإذا لم يجدْ شيئاً استعار النسيم .

---

(١) ط ، س : « عنده » صوابه فى هـ .

(٢) فى الأصل : « الهرم منها لا يجتزى بالنسيم » ، وكلمة « الهرم » مقحمة . وكلمة « منها » محرفة عما أثبت .

(٣) س : « اللهث » .

(٤) س : « ببرده » .

(٥) السعر ، بالضم : الجوع والحر . وفى الأصل : « سحر » . ولا وجه له .

(٦) الزيادة من س ، هـ .

(٧) كذا على الصواب فى ط ، هـ ومباهج الفكر والدميرى وثمار القلوب ٣١٠ وفى س : « أقعد » ولا وجه له .

(٨) كذا فى الأصل ومباهج الفكر والدميرى . والكد : الشدة فى العمل ، والإلحاح فى محاولة الشىء . وربما كانت هذه الكلمة : « إكداء » ، والإكداء بمعنى الإخفاق .

(حيلة بعض الجائعين)

والنَّاس إذا جاعُوا واشتدَّ جوعُهم شدُّوا على بطونهم العمائم . فإن استقلوا ، وإلاَّ شَدُّوا الحجَر[(١)] .

(شعر فى الذئب)

وأنشَد[(٢)] :

كَسِيدِ الغضَى العَادِى أضلَّ جِراءَهُ[(٣)]

على شَرَفٍ مُسْتَقْبِلَ الرِّيحِ يَلْحَبُ[(٤)]

كأنّه يجمع استِدْخالَ الرِّيحِ والنَّسيم ، فلعلَّه أن يجِدَ ريحَ جِرائه .

وقالَ الرَّاجز[(٥)] :

يَسْتَخْبِرُ[(٦)] الرِّيحَ إذا لم يَسْمَعِ ... بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصَّفَا الْموقَّعِ[(٧)]

---

(١) روى ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث ٣١٨ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما دعا على مضر بقوله : « اللهم اشدد وطأتك على مضر . . . » الخ — نال الجدب رسول الله وأصحابه حتى شد هو وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . ط : « الحجز » صوابه فى س ، هـ .

(٢) ط ، : « وأنشدوا » ،

(٣) السيد : الذئب ، والغضى : الجمر بالتحريك ، وهو ما واراك من شجر وغيره ، وذئب الغضى أخنث الذئاب . العادى ، بالدال : الذى يعدو . أضل جراءه : فقد أولاده ، والجراء ، بالكسر : جمع جرو . ط ، هـ : « أصل » ، ط ، هـ ، س : « جراءة » ، وذانك تصحيفان .

(٤) الشرف : ما علا من الأرض ، وإنما يستقبل الريح ليتشمم ريح أولاده . يلحب : يسرع .

(٥) هو أبو الرديني العكلى ، كما أسلفت فى الجزء الأول ص ٣٤ نقلا عن البيان .

(٦) ط : « يستبخر » صوابه فى س ، هـ والبيان (١ : ٨٢) . وفى اللسان : (مخر ، قرع) « يستمخر » وقال : «استمخرها : قابلها بأنفه ليكون أروح لنفسه » .

(٧) المقراع : الفأس يكسر بها الصخر . الموقع : المحدد . وقع الحديدة : حددها .

(شمّ الظليم)

والظَّليم يكون على بيضه فيشمُّ ريح القانص من أكثَرَ من غَلْوَةٍ ، ويبعُد عَنْ رئالِهِ[١] فيشمُّ ريحَها من مكان بعيد.

وأنشدنى يحيي بن نُجَيم[٢] بن زَمَعة قال :

أشمُّ من هَيَقٍ وأهْدَى من جَمَلْ[٣]

وأنشدنى عَمْرُو بن كِركِرة[٤] :

مَا زالَ يشـتمُّ اشـتمامَ الهَيْقِ

قال وإنَّمَا جعله ذئبَ غَضًى لأنهم يقولون : ذئبُ الخَمَر[٥] أخبث . ويقولون : شَيْطان الحماطة[٦] . يريدون الحيّة .

(بعض ضروب الحيّات)

وكلُّ حيّةٍ خفيفةِ الجسم فهى شَيطان[٧] . والثِّقالُ لا تنْشط من أرضٍ إلى أرض ، وتثقل عمَّا تبلُغه المستطيلاتُ الخِفاف . وقال طرَفة :

تلاعِبُ مَثْـنَى حَضْرَمِيٍّ كأنَّهُ تَعَمُّجُ شَيْطانٍ بذى خِرْوعٍ قَفْرِ[٨]

---

(١) الرئال : جمع رأل ، وهو فرخ النعام .

(٢) فى الأصل : « لحيم » باللام ، وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة يحيى بن نجيم فى (٢ : ٣٥١) .

(٣) الهيق ، بالفتح : ذكر النعام . وأهدى : من الهداية .

(٤) سبقت ترجمته فى (٣ : ٥٢٥) . ط : « عمر » صوابه فى س ، هـ .

(٥) الخمر ، بالتحريك : ما واراك من شجر وغيره .

(٦) الحماطة ، بالفتح : واحدة الحماط ، وهو شجر التين الجبلى ، والحيات تألفه .

(٧) قال الجاحظ فى (١ : ١٥٣) : « ويسمون الحية إذا كانت داهية منها شيطانا » .

(٨) ط : « خضرمى » ، صوابه فى س ، هـ . تعمج : تلو . ط ، هـ : « تقمح » صوابه فى س . وقد سبق البيت فى (١ : ١٥٣) وسيعاد فى (٦ : ١٩٢) .

الـكِرْمانى عن أنَس — ولا أدرى مَنْ أنسٌ هذا — فى صفة ناقة :

شَنَاحِيَةٌ فيهــا شنــاحٌ كأنّهــا
حَبَابٌ بكفِّ الشَّأْوِ من أسطعٍ حَشْرِ[1]

والحَباب : الحيّة الذّكر .

(بعض المضاف إلى النبات من الحيوان)

وكما يقولون : ذئب الخَمر ، يقولون : أرنب الخلَّة[2] ، وتيس الرَّبْل[3]

٤٦ وضبُّ السَّحَا[4] . والسَّحَا[4] بقلةٌ تحسُنُ حالُه[5] مَنْ أكلها .

وكذلك يقولون : « ماهو إلاّ قُنْفُذُ بُرْقة[6] » لأنه يكون أخبثَ له :

وذلك كلّه على قَدْر طبائع البُلدانِ والأغْذِيَة العاملةِ فى طبائع الحيوان .

---

(١) الشناحية : الطويلة الجسيمة . والشأو : الزمام . ط : « الشاء » صوابه فى س ، ﻫ والجزء الأول ص ١٥٣ . والأسطع : العنق الطويل . والحشر : المستوى .

(٢) الخلة ، بالضم : شجرة شاكة ، وفى ثمــار القلوب ٣٣٠ : « الحلة » بالحاء المهملة وهى بالــكسر : شجرة شاكة أيضا .

(٣) المراد بالتيس هنا : الذكر من الظباء أو الوعول . والربل بالفتح : ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر . وفى الأصل : « الرمل » ، وهو تحريف صوابه فى (٦ : ١٢٣) ، وجاء فى شعر امرئ القيس :

وراح كتيس الربل ينفض رأسه أذاة به من صــائك متحلب

(٤) السحا ، بالفتح : جمع سحاة ، وهى شجرة شاكة . س : « السحاء » وهى بالــكسر نبت شائك يرعاه النحل ، عسله غاية .

(٥) س : « حالة » .

(٦) البرقة ، بالضم : غلظ من الأرض فيه حجارة و رمل وطين مختلطة .

(بعض طبائع البلدان)

ألا تَرى أنَّهم يزعُمون أنَّ مَن دخَلَ أرضَ تُبَّتَ[١] لم يزَلْ ضاحكا مسروراً ، من غير عَجَب[٢] حتّى يخرجَ منها .

ومن أقام بالموصِل حولاً ثم تفقَّد قوَّته وجد فيها فضلاً . ومن أقام بالأهواز حَوْلاً فتفقَّد عقلَه[٣] ذُو فِراسةٍ وجد النُّقصانَ فيه بيِّنا . كما يقال فى حُمَّى خيبر[٤] ، وطِحال البحرين[٥] ، ودماميل الجزيرة[٦] ، [وجَرَب الزِّنج[٧]] . وقال الشَّمَّاخ[٨] .

---

(١) تبت ، بضم التاء وتشديد الباء المفتوحة : ذاك الإقليم الصينى .

(٢) العجب : مايتعجب منه . وتجد مثل هذا الكلام فى معجم البلدان وثمار القلوب ٣١٠ وعيون الأخبار ١ : ٢١٩ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٦٤ . قال ياقوت فى نعت أهلها : « والتبسم فيهم عام حتى إنه ليظهر فى وجوه بهائمهم » ! .

(٣) ط ، هـ : « قوته » ، صوابه فى س وعيون الأخبار ومحاضرات الراغب . قال ياقوت : « ومن أقام بها سنة نقص عقله » .

(٤) خيبر ، هى الولاية التى كانت عندها الغزوة المشهورة ، وكانت ذات سبعة حصون ولذلك تسمى « خيابر » أيضاً ، كما ورد فى شعر لابن قيس الرقيات . ومعنى « خيبر » الحصن باللغة العبرية كما فى معجم البلدان . ويقال لها أيضاً « خيبرى » كما ورد فى الأمثال : « به الورى . وحمى خيبرى » . أمثال الميدانى (١ : ٩٥) وفى العقد (٤ : ٣٠١) ما يفهم منه أن يهود خيبر كانوا يتبعون نظاما صحيا كفل لهم قلة التعرض لحماها : « سئل يهود خيبر : بم صححتم على وباء خيبر ؟ قالوا : بأكل الثوم ، وشرب الخمر ، وسكون اليفاع ، وتجنب بطون الأودية ، والخروج من خيبر عند طلوع النجم وعند سقوطه » .

(٥) قالوا : من سكن بالبحرين عظم طحاله ، وقال شاعرهم :

ومن يسكن البحرين يعظم طحاله ويغبط بما فى بطنه وهو جائع

(٦) هذه الجزيرة هى المسماه « جزيرة أقور » ، وهى التى بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار بكر وديار مضر ، ومن أمهات مدنها حران والرها والرقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور ، وماردين وآمد وميافارقين والموصل . انظر معجم البلدان .

(٧) هذه الزيادة من هـ . وفى ثمار القلوب ٤٣٥ : « طرب الزنج » حيث تحدث فى ذلك حديثا طويلا . وكل منهما خاصة من خواص الزنج . وسيأتى فى ١٣٩ فى الكلام على بلاد الزنج : « ألا يزال جربا ما أقام بها » .

(٨) س : « شماخ » .

كأنَّ نَطــاة خيْبَرَ زَوَّدَتْه بَـكُورَ الوِرْدِ رَيِّثَةَ القلُوعِ [١]

وقال أوسَ بن حجَر :

كأنَّ به إذْ جئتَهُ [٢] خَيْبَرِيَّةً يَعُودُ عَلَيْهِ وِرْدُهَا وقلاَلُهَا [٣]

وقال آخر :

كأنّ حمَّى خيبر تَمُلُّهُ [٤]

وكذلك القول فى وادى جَحفة [٥] ، وفى مَهْيَعَةَ [٦] ، وفى أصول النخل حيث كان .

وقال عبد الله بن همام السَّلوليُّ فى دماميل الجزيرة :

---

(١) نطاة ، بالنون المفتوحة : عين ماء بقرية من قرى خيبر . وفى الأصل : « قطاة » صوابه فى معجم البلدان حيث روى البيت ، وديوان الشماخ ٥٧ . زودته : أعطته زادا . بكور الورد : يعنى حمى تباكر بوردها جسمه . ريثة القلوع : بطيئة الانكشاف والبرد . فى الأصل : « رنقه » مكان « ريثه »، صوابه فى المعجم والديوان . وقبل البيت :

ألا تلك ابنة الأموى قالت أراك اليوم جسمك كالرجيع

والرجيع : الحبل الذى نقض ثم فتل مرة ثانية .

(٢) فى الأصل : « كأن به أدحية » . وفى ديوان أوس ٢٤ : « أرخية » صوابهما ما أثبت من معجم البلدان (نطاة) وثمار القلوب ٤٣٦. وعنى بالخيبرية الحمى.

(٣) الورد ، بكسر الواو : اسم من أسماء الحمى ، أو هو يوم ورودها . « قلالها » : كذا جاءت بالأصل : وفى المعجم والثمار : « ملالها » . والملال ، بالضم : حرارة الحمى ، أو التقلب من المرض . وما فى الأصل هو الموافق ما فى الديوان .

(٤) تمله : كأنها تضعه فى الملة ، وهى بالضم : الرماد الحار .

(٥) الجحفة بين مكة والمدينة . روى أنه لما قدم الرسول المدينة استوبأها ، وحم أصحابه فقال : « اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة ، أو أشد ، وصححها ، وبارك لنا فى صاعها ومدها ، وانقل حماها إلى الجحفة » .

(٦) مهيعة : موضع قريب من الجحفة .

أُتِيحَ له مِنْ شُرْطَةِ الحَيِّ جَانِبٌ غَلِيظُ الْقُصَيْرَى لحمُهُ مُتَكَاوِسُ[١]

تَرَاهُ إذا يَمْضِي يحكُّ كَأَنَّمَا به من دَماميل الجَزيرةِ ناخسُ[٢]

فحدَّثني أبو زُفَرَ الضِّراري[٣] قال : مات ضِرار بن عمرو وهو ابن تسعين سنةً بالدَّماميل . قلت : والله إنّ هذا لعجب ! قال : كلاَّ إنَّمَا احتملها من الجزيرة .

وكذلك القولُ فى طواعِين الشّام . قال أحدُ بنى المغيرة[٤] ، فيمن مات منهم بِطَوَاعِين الشام ، ومن مات منهم بطَعْن الرِّماح أيَّامَ تلك المغازى :

مَنْ يَنْزِلِ الشَّأْمَ وَيَعْرَسْ بِهِ[٥] فالشَّأمُ إنْ لَمْ يُفْنِهِ كَاذِبُ

أفْنَى بنى رَيْطَةَ فُرسانَهمْ عِشرينَ لم يُقْصَصْ لهم شارِبُ[٦]

ومن بنى أعمامِهِمْ مِثْلَهم لِمِثْلِ هذا عجِبَ العاجِبُ[٧]

طَعْنٌ وطاعُونٌ مَنَايَاهُمُ ذلك ما خَطَّ لنا الكاتِبُ

---

(١) شرطة كل شىء : خياره ، ومنه شرط السلطان ، وهم خيار جنده . فى الأصل : « سوطة » وتوجيهه من معجم البلدان . والجانب : القصير . والقصيرى بضم القاف وفتح الصاد مع القصر : أعلى الأضلاع . ط : « القيصرى » س : « القصير » صوابه فى هـ ومعجم البلدان ، والرواية فيه : « عريض القصيرى » . متكاوس : متراكب متراكم . ط ، هـ : « متفاوس » س . « متقاوس » تصحيحه من معجم البلدان .

(٢) الحكك : مشية فيها شبه بمشية المرأة القصيرة إذا تحركت وهزت منكبيها . ورواية المعجم : « أبد إذا يمشى يحيك » . الأبد : السمين . يحيك : يتبختر ويختال . ط : « كما نما » صوابه فى س ، هـ والمعجم .

(٣) ط : « الضارى » صوابه فى س ، هـ . وبدله فى ثمار القلوب ٤٣٨ : «أبو زرعة» فقط .

(٤) هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى . الإصابة ٨٣٢٩ .

(٥) عرس به ، كفرح : لزمه .

(٦) فرسانهم ، بدل من بنى ريطة . لم يقصص لهم شارب : أى إنهم فى مقتبل الشباب . وريطة هى زوج المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . انظر الاستدراكات .

(٧) العاجب : المتعجب . وفى ثمار القلوب ٤٣٥ : « يعجب العاجب » وفى س : « عجب عاجب » ، وهو مثل من أمثلة المبالغة ، كقولهم يوم أيوم ، وليل أليل ، وروض أريض ، وظل ظليل ، وحرز حريز ، وداء دوى .

(قدوم عبد الله بن الحسن على عمر بن عبد العزيز وهشام)

قال : ولمّا قَدِمَ عبدُ الله بن الحسن بن الحسين رضى الله عنهم ، على عمرَ بنِ عبد العزيز رضى الله عنه — فى حَوَائجَ له ، فلمَّا رأى مكانَه بالشام ، وعرَفَ سِنَّه وسمْتَه وعقلَه ، ولسانَه ، وصلاته وصيامه ، فلم يكنْ شىءٌ أحبَّ إليه من ألاَّ يراه أحــدٌ من أهل الشام ، فقال له : إنِّى أخافُ عَلَيكَ طَواعينَ الشَّام ؛ فإنَّكَ لن تُغْــنِمَ أهلَكَ أكثرَ منك[1] ، فالحَقْ بهم ؛ فإنَّ حوائجك ستسبِقُك إليهم[2] . ثمّ قدم على هشامٍ ، فكره عبدُ الله أن يدخل منزلا له[3] حتّى يأتيَه فى ثيابِ سفَره ؛ مخافة سوء ظنِّه[4] . فلما أعلمه الحاجبُ مكانَه ، ودخل عليه وعايَنه ، كره أن يقيم بها طرْفَة عين . قال : اذكر حوائجك . قال : أحطُّ رَحْلى وأضَعُ ثيابَ سفرى ، وأتذكَّرُ حوائجى . قال : إنَّك لنْ تجِدَنى فى حالٍ خيراً لك منِّى الساعة ! يريد أن القُلوبَ أرقُّ ماتكونُ إذا تلاقت العيونُ عن بُعْدِ عَهد . وليس ذلك أراد[5] .

٤٧

(١) فى ثمار القلوب : « وإنك لم يغنم أهلك خيراً منك » . وسبق مثل هذه الرواية فى (٣ : ٤٧٢) .

(٢) ثمار القلوب : « فإن حوائجك ستتبعك » ، وفى الحيوان (٣ : ٤٧٢) : « فإن حوائجهم ستسبقك » .

(٣) ط ، هـ : « منزله » .

(٤) أى لئلا يظن به العداء . وفى ط ، هـ : « شرطته » ، وما أثبت من س أوجه .

(٥) انظر لتوضيح هذا ما سبق فى (٣ : ٤٧٢ س ١٣ ، ١٤) .

(طحال البحرين)

والعامّة تنشد :

مَنْ يَسْكنِ البَحْرَينِ يعظُمْ طِحالُهُ ويُغْبَطْ بما فى بَطْنِهِ وَهْو جائِعُ [١]

ونظر دُكينٌ الرّاجزُ ، إلى أبى العباس [٢] محمَّدِ بنِ ذؤيبٍ الفُقيميِّ الرّاجز ، وهو غُلَيِّمٌ مصفرٌّ مَطحُول [٣] ، وهو يمتَحُ على بَكرةٍ [٤] ويرتجز . فقال : من هذا العُمانىّ [٥] ؟ فلزمته هذه النِّسبة .

(جرب الزنج)

وحدَّثنى يوسفُ الزِّنجى أنّه لا بدَّ لكلِّ مَن قدِم من شِقِّ العراق إلى بلادِ الزِّنج ألاّ يزالَ جَرِباً ، ما أقام بها . وإنْ أكثَرَ من شُرْب نبيذِها ، أو شَراب النَّارَجِيل ، طمَسَ الْخمارُ على عقله ، حتَّى لا يكونَ بينه وبين المعتُوه إلاَّ الشَّىء اليسير .

---

(١) انظر أمثال الميدانى (١ : ٢٥٥) فى قولهم : « الذئب مغبوط بما فى بطنه » . الشعر والشعراء ٧٣١ .

(٢) ط ، س : « ابن العباس » صوابه فى س ، وقد تقدمت ترجمته فى (٢ : ١٦٦) : وفى الأغانى (١٧ : ٨١) : « ويكنى أبا عبد الله » ، فهما كنيتان له . ومثل ذلك فى العرب كثير . وفى المعارف ٢٥٩ فصل خاص بمن له كنيتان أو ثلاث .

(٣) المطحول : الذى يشكو مرض طحاله .

(٤) البكرة ، بالفتح وتحرك : خشبة مستديرة فى وسطها محز يستقى عليها .

(٥) العمانى نسبة إلى عمان ، بضم العين بعدها ميم مفتوحة مخففة ، وهى بلاد عربية فى جنوب خليج فارس . وضبطت بتشديد الميم فى (خريطة) الممالك الإسلامية ، خطأ . وكانت البحرين وعمان منفصلتين قبل الدولة العباسية . قال ياقوت : « فلما ولى بنو العباس صيروا عمان والبحرين واليمامة عملا واحداً » . ومما يجدر ذكره أن أصل نسبة أبى العباس إلى البصرة ، أى هو بصرى ، كما فى الأغانى . وقد عقد ابن قتيبة فصلا لمثل هذه النسب فى المعارف ٢٥٧ — ٢٥٨ .

(طبيعة المصيصة)

وخبَّرنى كم شئتَ من الغُزاة ، أن مَن أطالَ الصَّومَ بالمصيصة[١] فى أيَّام الصّيف ، هاج به المِرار . وأنَّ كثيراً منهم قد جُنُّوا عن[٢] ذلك الاحتراق .

(طبيعة قصبة الأهواز)

فأمَّا قصَبَة[٣] الأَهواز ، فإنها قلبتْ كلَّ مَن نزَلها من بنى هاشم إلى كثيرٍ من طِباعهم وشمائلهم[٤] ، ولابدَّ للهاشميِّ ، قبيحَ الوجهِ كان أو حسناً ، أو[٥] دميما كان أو بارعاً رائعا ، مِنْ أن يكون لوجْهه وشمائله طبائعُ يَبينُ بها من جميعِ قريشٍ وجميعِ العرب . فلقد كادَتِ البلْدة أن تنقل ذلك فتبدِّله[٦] ، ولقد تَخَيَّفَتْه[٧] وأدخلَت الضَّيمَ عليه ، وبيَّنَتْ أثرَها فيه ؛ فما ظنُّك بصنيعها فى سائر الأجناس[٨] ؟ !

ولفسادِ عُقولِهم ، ولؤمِ طبْع بلادِهم ، لاتراهم مع تلك الأموالِ الكثيرةِ ،

---

(١) يقال مصيصة ، بالفتح والصاد المشددة المكسورة ، ومصيصة بالتخفيف ، والأول أصح ، وهى بين أنطاكية وبلاد الروم .

(٢) ط ، ه : « من » .

(٣) ط ، ه : « قضية » ، صوابه فى س . وقصبة الأهواز ، أى أكبر مدنها . قال صاحب العين : « الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس » .

(٤) أى طبائع الأهوازيين وشمائلهم . وفى معجم البلدان : « فانقلبوا إلى طباع أهلها » .

(٥) الأفضل إسقاط هذا الحرف كما فى ثمار القلوب ٤٣٧ .

(٦) هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من س .

(٧) تخيفته وتخوفته : تنقصته . ط : « تخفيه » صوابه فى س ، ه .

(٨) فى ثمار القلوب ٤٣٥ نقلا عن الجاحظ : « ولقد تخفيه وتدخل الضنى عليه وتبين أثرها فيه » . الخ .

والضِّياع الفاشية ، يحبُّون من البنينَ والبناتِ ما يحبُّه أوساطُ أهلِ الأمصار على الثَّروة والْيَسار ، وإن طال ذلك . والمال مَنْبَهةٌ كما تعلمون .

وقد يكتسبُ الرَّجُل ، من غيرهم ، الُمَوَيل[1] اليسير ، فلا يرضى لولده حتَّى يفرضَ له المؤدِّبين[2] ، ولا يرضى لنسائه مثل الذى كان يرضاه قبل ذلك[3] . وليس فى الأرض صناعةٌ مذكورةٌ ، ولا أدبٌ شريفٌ ، ولا مذهبٌ محمودٌ ، لهم فى شيءٍ منه نصيبٌ وإن خَسّ[4] . ولم أرَ بها وَجْنةً حمراءَ لصبىٍّ ولا صبيّةٍ ، ولا دماً ظاهراً ولا قريباً من ذلك . وهى قتَّالَةٌ للغُرَباء .

٤٨ وعلى أَنَّ حُمَّاها خاصَّــةً ليست للغريب بأسرَعَ منها إلى القريب . ووباؤها[5] وحُمَّاها ، فى وقت انكشافِ الوَباءِ و نُزوعِ الحمَّى عن جميع البُلدانِ.

وكلٌّ محمومٍ فى الأرض فإنَّ حُمَّاه لا تنْزِع عنه ، ولا تفارقه ، وفى بدنه منها بقيَّة ؛ فإذا نزَعَتْ عنه فقد أخَذَ منها عند نفسه البراءةَ ؛ إلى أنْ يعود إلى الخلْط ، وأنْ يجمعَ فى جوفه الفسادَ[6] . وليست كذلك الأهواز

(١) مويل : تصغير مال .

(٢) المؤدبون ، جمع مؤدب ، بكسر الدال . والجاحظ ومن نحا نحوه يجعل المؤدب فوق المعلم . قال فى رسالة المعلمين (هامشة الكامل ١ : ٢) : « لو استقصيت عدد النحويين والعروضيين والفرضيين والحساب والخطاطين ، لوجدت أكثرهم مؤدب كبار ومعلم صغار » س : « المودين » محرف .

(٣) كذا فى س . وفى ط ، ﻫ : « ولا يرضى للسانه بمثل الذى كان يرضاه قبل ذاك » ،وتصح مع إعادة الضمير إلى ولده ، أى هو يختار لولده الممتازين من المؤدبين .

(٤) خس : قل . وفى الأصل وكذا فى معجم البلدان : « حسن » . وبعدها فى المعجم «أودق أوجل » ، وياقوت بدون ريب ينقل كلام بالجاحظ :

(٥) ط ، ﻫ : « ووباها » ،

(٦) بدله فى معجم البلدان : « إلا أن تعود لما يجتمع فى بطنه من الأخلاط الرديئة » .

لأنها تعاوِد من نزَعتْ عنه من غير حدَث ، كما تعاود أصحابَ الحدَث ؛ لأنَّهم ليسوا يُؤْتَوْن من قبل النَّهَمِ[١] ، ومن قِبَل الخلْط والإكْثار ، وإنَّما يُؤتَوْن من عينِ البلدة .

وكذلك جمعَت سوقُ الأهوازِ الأفاعىَ فى جبلِها الطَّاعِنِ فى منازلها ، المطِلِّ عليها ؛ والجرَّاراتِ[٢] فى بيوتِها ومقابرها ومنابرها . ولو كان فى العالَم شىءٌ هو شرٌّ من الأفعَى والجرَّارة ، لما قصَّرَت قصَبة الأهواز عن توليدِه وتلقيحه . وبَليتُها[٣] أنَّها من ورائها سِبَاخٌ[٤] ومناقعُ مياهٍ غليظةٍ وفيها أنهارٌ تشُقُّها مَسَايِلُ كُنُفِهم[٥] ، ومياهُ أمطارهم ومُتَوَضَّآتِهِمْ[٦] فإذا طلَعت الشَّمسُ فطالَ مُقامُها ، وطالت مقابلتُها لذلك الجبل ، قبل

---

(١) الأولى : « التخم » جمع تخمة . كما جاء فى معجم البلدان .

(٢) الجرارات : ضرب من العقارب .

(٣) كذا على الصواب فى س . وفى ط : « تليينه » وفى هـ : « تليينها » . وفى معجم البلدان زيادة : « من » قبل : « بليتها » .

(٤) سباخ ، بالكسر : جمع سبخة بالتحريك ، وهى الأرض تعلوها ملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر . هـ : « سباحة » س : « سباخة » محرفتان عما أثبت من س .

(٥) كذا فى س ومعجم البلدان . ونحوه فى ثمار القلوب ٢٣٧ . وفى ط : « لسقيها مسائل كنفهم » و هـ : « تسبقها مسائل كنفهم » ، والكلمة الأولى فى ط لها وجه وفى هـ محرفة . أما الكلمة الثانية : « مسائل » فهمزها خطأ ، لأن ياء مفرده مسيل ياء أصلية . ولم يرد الهمز إلا فى كلمتين ، إحداهما : « مصائب » وهذه لا يعترف بها الأصمعى ويقول : إنها من لغة أهل الأمصار ، والمعروف : « مصيبات » . والثانية لم ترد إلا فى بعض القراءات غير السبع ، من قول الله : « وجعلنا لكم فيها معايش » . انظر المصباح . وقال السفاقسى : « وشذ خارجة فرواه عن نافع ، وهو ضعيف جداً ، بل جعله بعضهم لحنا » . غيث النفع ١٣٠ .

(٦) كذا فى معجم البلدان . وفى الأصل : « ومتوضئهم » بالإفراد . فى ثمار القلوب « ميضآتهم » .

بالصَّخْرِية التى فِيـه(١) تلكَ الجرّارات . فإذا امتلأت يُبسًا وحرارةً ، وعادتْ جمرةً واحدةً ، قذفت ما قَبلت من ذلك عليهم .

وقد تُحدِث [تلك] السِّباخ(٢) وتلك الأنهار(٣) بُخاراً فاسداً ، فإذا التقى عليهم ما تُحدِث السِّباخُ وما قذفه ذلك الجبلُ ، فسَدَ الهواء . وبفساد الهواء يفسُد(٤) كلُّ شيءٍ يشتملُ عليه ذلك الهواء .

وحدَّثنى إبراهيمُ بن عبَّاسٍ بن محمدِ بن منصورٍ ، عن مَشْيخةٍ(٥) من أهل الأهواز ، عن القوابل ، أنهنَّ ربّما قَبِلْنَ(٦) الطِّفلَ المولودَ ، فيجدْنَهُ فى تلك السَّاعةِ محموماً . يعرِفْنَ ذلك ويتحدَّثْن به .

(عيون الحيات والخطاطيف)

[قال(٧)] : ويعرِض لفراخِ الحيَّــات مثلُ الذى يعرِض لِفراخِ الخطاطِيف ؛ فإنَّ نازعاً لو نَزَع عيونَ فراخ الخطاطيفِ ، وفراخِ الحيّاتِ ، لعادتْ بصيرةً(٨) .

---

(١) ط ، هـ : « بالصخرة » صوابه فى س . ط : « فيها » صوابه فى س ، هـ .

(٢) مضى تفسير هذه الكلمة فى الصفحة السابقة .

(٣) س فقط : « الأمطار » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س ، هـ .

(٥) مشيخة ، كرحلة ، وأيضا بفتح الميم وكسر الشين : جمع شيخ . ط فقط : « شيخة » وهى صحيحة أيضاً ، وضبطها كعنبة وسدرة .

(٦) قبلت القابلة الولد : تلقته عند خروجه .

(٧) الزيادة من س ، هـ .

(٨) ذاك زعم .

(مفارقة السلحفاة والرق والضفدع للماء)

وزعم(١) أنَّ السُّلحفاةَ والرّقّ ، والضّفدع ، ممّا لا بدَّ له من التنفُّس ، ولا بدَّ لها من مفارقةِ الماء ، وأنَّها تبيض وتكتسب الطعم وهى خارجة(٢) من الماء ؛ وذلك لِلنَّسب الذى بينها وبين الضّبّ(٣) ، وإن كان هذا بَرِّيًّا وهذا بحريًّا .

(شبه بعض الحيوان البرى بنظيره من البحرى)

ويزعُمون أنّ ما(٤) كان فى البرِّ من الضبِّ والورَل والحِرباء ، والحلكاء(٥) ، وشحْمة الأرض ، والوزَغِ والعَظاء(٦) مثلُ الذى فى البحر من السُّلَحفاة والرَّقّ ، والتِّمساح ، والضِّفدع ؛ وأنَّ تلك الأجناسَ البرّيّةَ وإن اختلفَتْ فى أُمورها ، فإنّها قد تتشابه فى أمور ؛ وأنّ هذه الأجناسَ البحرية من تلك ، ككلب الماء من كلب الأرض .

---

(١) نسى الجاحظ أن يذكر صاحب الزعم ، أو سقط من الناسخين . وقد يكون الزاعم صاحب المنطق .

(٢) ط : « خراجة » ، تحريف ما فى س ، هـ .

(٣) س : « وذاك النسب » الخ . ط ، هـ : « التى » صوابها فى س .

(٤) ط : « أنما » صوابه فى س ، هـ .

(٥) الحلكاء ، بالضم ، وبالفتح ، وبالتحريك : ضرب من العظاء . ط فقط : « الحلكى » ، وهى صحيحة فى ذاتها ، وضبطها بضم الحاء واللام ، وتشديد الكاف المفتوحة . ولكنى لا أحسب الجاحظ استعمل هذه اللغة ، وإنما هو تحريف من الناسخ .

(٦) العظاء ، بالفتح : جمع عظاءة ، وهى دويبة كسام أبرص . س : « والقطاة » هـ : « والقطا » صوابه فى ط .

(صوم بعض الحيوان)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنّ الحيَّة وسامّ أبْرَص[١] من العَظَاء ، والتِّمساح ، تسكنُ فى أعشّتها[٢] الأربعةَ الأشهر الشديدةَ البرد[٣] ، لا تطعم شيئاً ؛ وأنّ سائرَ الحيّاتِ تسكنُ بطنَ الأرض . فأمَّا الأفاعى فإنّهَا تسكُن فى صُدوعِ الصَّخر . ٤٩

وليس لشىءٍ من الحيوانِ من الصَّبر عن الطُّعمِ ما لهذه الأجناس . وإنَّ الفيل ليناسبُها من وجهين : أحدهما من طول العمر ، فإنَّ منها ما قد عاش أربعَمائةِ سنة . والوجه الآخر : أنّ الفيلة مائيَّة [وهذه الأجناس مائيَّة[٤]] وإن كان بعضُها لا يسكن الماء .

(داهية الغَبَر)

قال : وسَمِعتُ يونُسَ بنَ حَبيبٍ[٥] يقول : « داهية الغَبَر[٦] » . قال : وقيل

---

(١) ط : « تلك الحية » والوجه حذف الكلمة الأولى كما فى س ، ه . ط ، ه : « من سام أبرص » صوابه فى س .

(٢) كذا ، وأصل العش للطائر . وانظر حواشى ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٣) ط : « أربعة أشهر شديدة البرد » . س : « الأربع الأشهر الشديدة البرد » وأثبت ما فى ه لكن فيها « الأربعة أشهر » .

(٤) هذه الزيادة من ه .

(٥) فى الأصل : « حرب » ، والصواب ما أثبت . وقد تقدمت ترجمته فى (١ : ٣٢٩) .

(٦) الغبر بالتحريك وبغين معجمة فى أولها : الماء يغبر حينا فى المستنقع ، كما يفهم من التعليل الآتى . وفى أمثال الميدانى (١ : ٤٠) : « وسمعت أن الغبر عين ماء بعينه تألفه الحيات » . وفى معجم البلدان : « الغبر آخر محال سلمى بجانب جبل طيىء ، وبه نخل ، ومياه تجرى أبداً » . ط : « القبر » صوابه فى س ، ه .

ذلك لأنها ربَّما سكنَتْ بقُربِ ماءٍ ، إمَّا غديرٍ وإمَّا عينٍ ، فتَحْمِى[١] ذلك الموضعَ . وربما غبر ذلك الماءُ فى المنْقَع حيناً وقد حمتْــه .

وقال الـكذَّابُ الحِرمازىّ[٢] :

يا ابنَ المعلَّى نزَلَتْ إحدَى الكُبَرْ[٣] دَاهيةُ الدَّهرِ وصَمَّاءُ الغَبَرْ[٤]

قال : وسأل[٥] الحكم بنُ مروانَ بنِ زنباعٍ ، عن بنى عبد الله ابن غطَفان ، قال : [أفعى[٦]] إنْ أيقظْتهـا لسعَتْك ، وإن تركْتَها لم تَضِرْك .

(نادرة تتعلق بالحيات)

وذكر عن سعيد بن صخر[٧] قال : نُهِش رجلٌ من أهل البادية كثيرُ المال ، فأشفى على الموت ، فأتاهم رجلٌ فقال : أنا أرْقيه ، فما تُعطونى[٨] ؟

---

(١) كذا على الصواب فى س . وفى ط : : « فتحس » وفى هـ : « فتنحى » محرفتان .

(٢) سبقت ترجمته فى (٣ : ٤٨٤) .

(٣) كذا الرواية أيضاً فى ثمار القلوب ٣٣٦ . والرواية فى اللسان (غبر) وكذا فى أمثال الميدانى : « أنت لها منذر من بين البشر » ، أى يامنذر . وفى اللسان أنه يمدح بهذا الشعر بن المنذرالجارود .

(٤) ط : « العبر » بالعين المهملة ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) كذا . ولعلها : « وسئل » .

(٦) الزيادة من س ، هـ . وانظر ما سبق من الـكلام على « أفعى » فى ص ١١٧ .

(٧) سبقت ترجمته فى (٢ : ٣٦٣) .

(٨) ط : « فان تعطونى » صوابه ، فى س ، هـ . وقد حذف إحدى نونى : « تعطونى » وهو جائز . وفى المغنى : « ونحو تأمرونى يجوز فيه الفك والإدغام والنطق بنون واحدة » .

فشارطوه عَلَى ثلاثين درهماً[١] ، فرقاه وسقاه أشياء ببعض الأخلاط ، فلمّا أفاقَ قال : الرّاقى والمداوى: حق ! قال الملدوغ : وما حقه ، قالوا : ثلاثون درهما . قال أُعطيه من مالى ثلاثينَ درهما فى نَفَثَاتٍ نفثها، وَحَمْضٍ سَقاه[٣] ! لا تُعطوه شيئاً !

(حديث سكر الشطرنجى)

وحـدَّثنى بعضُ أصحابِنــا عن سُـكَّرٍ الشِّطرنجىّ ، وكان أحمقَ القاصِّين[٣] ، وأحذقهم بلعب الشِّطرنج ، وسألته عن خرق كان فى خَرَمَةِ أنفه[٤] فقلت له : ماكان هذا الخرق ؟ فذكر أنّه خرج إلى جَبُّلَ[٥] يتكسَّب بالشِّطْرنج ، فقدم البلدةَ وليس معه إلاّ درهمٌ واحد ، وليس يَدرِى أينجَح أم يُخْفِق ، وَيجِدُ صاحبَه الذى اعتمَدَه أمْ لاَ يجده[٦] ؟ فورد على حَوَّاءٍ وبين يديه جُوَنٌ عِظامٌ[٧] فيها حياتٌ جليلة .

والحيّة إذا عضَّت لم تـكنْ غايتُها النَّهش أو العضّ[٨] ، وأن ترضى بالنَّهش ،

---

(١) ط : « فارقوه عن ثلاثين درهما » ، تصحيحه من س ، هـ .

(٢) الحمض ، بالفتح ، أصله كل نبت مالح أو حامض ، وجعله هنا للدواء الذى فيه حموضة . هـ : « وحرس سق » والـكلمة الأولى فى هـ محرفة .

(٣) جمع قاص للقصص . س ، هـ : « العالمين » .

(٤) الخرمة ، بالتحريك : موضع الخرم من الأنف . وفى الأصل : « الخزامة » ، وهى كـكتابة : البرة تجعل فى الأنف . ولا وجه لها .

(٥) جبل ، بفتح الجيم وتشديد الباء المضمومة : بليدة بشاطىء دجلة . وفى الأصل : « الجبل » ولا تصح ؛ فإن الجبل اسم لبلاد كثيرة تمتد ما بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم . القاموس ومعجم البلدان .

(٦) ط : « ويجدو صاحبه الذى اعتمده أيجده أم لا » ، س : « ويحده أجبه » الخ صوابهما فى هـ .

(٧) جون ، بضم الجيم وفتح الواو : جمع جونة ، بالضم . وقد سبق تفسيرها فى ١١٥ .

(٨) ط : « والعض » .

ولـكنَّها لا تعضُّ إلاَّ للأَكل والابتلاع . وربَّما كانت الحيَّات عِظاماً جدًّا ولا سمومَ لهـا ، ولا تَعْقِر[1] بالعضّ ؛ كحيات الجَوْلانِ[2] .

وفى البادية حيَّة يقال لها الُحفَّاث[3] والُحفَّاث من الحيَّات تأكل الفأر وأشباهَ الفأر ، ولها وعيدٌ مُنكَرٌ ، ونفْخٌ وإظهارٌ للصَّولة ؛ وليس وراء ذلك شَىْء[4] . والجاهل ربَّمـا ماتَ من الفزَع منها . وربَّما جمعت الحيَّة السَّمَّ وشدَّةَ الجَرْح ، والعضَّ والابتلاعَ ، وحَطْمَ[5] العظْم .

فوقف سُكَّرٌ على الحوّاءِ وقد أخرج من جُونتِه أعظمَ حيَّاتٍ فى الأرض ، وادّعى نُفوذَ الرُّقيةِ وجودةَ التِّرياق ، فقال له سُكَّرٌ[6] : خذْ منِّى هذا الدِّرهمَ وارقنى رُقْيةً لاتضرُّنى مَعَها حيّةٌ أبداً ! قال : فإنِّى أفعل . قال : فأرْسِلْ قبل ذلك حَيَّةً ، حتّى ترقِيَنى بعدَ أن تعضَّنى ؛ فإنْ أفقْتُ علمتُ أنَّ رُقْيتَك صحيحة . قال : فإنِّى أفعـل ، فاختَرْ أيَّتَهنَّ شئت . فأشار إلى واحدةٍ ممَّـا تعضُّ للأَكلِ دونَ السَّمّ ، فقال : دعْ هذه ؛ فإنَّ هذه إن قبضَتْ على لحمك لم تفارقكَ حتى تقطعك[7] ! قال : فإنِّى لا أريد غيرَها . وظنَّ أنّه إنّما زَوَاها عنه لفضيلةٍ فيها . قال : أمّا إذْ أبيتَ إلاَّ هذه فاخترْ موضعاً من جَسَدِكَ حَتَّى أرسلها عليه . فاختارَ أنفه ، فناشده وخوَّفه ، فأبى إلّا ذلك ٥٠

---

(١) تعقر : تجرح . وفى ط : « تنفر » ، تحريف ما فى س ، هـ .

(٢) الجولان ، بالفتح : جبل من نواحى دمشق . معجم البلدان .

(٣) الحفاث ، بحاء مضمومة بعدها فاء مشددة مفتوحة . ط : « الخناث » س ، هـ : « الحفاث » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) ط : « سيما » ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، هـ : « خطم » وفى س : « حكم » .

(٦) ط : « سكن » صوابه فى س ، هـ .

(٧) س : « لم تفارقه » فقط .

أو يردَّ عليه دِرْهَمَهُ . فأخذها الحوّاءُ وطواها على يده ؛ كى لايدعَها تنكُزُ[١] فتقطع أنفَه من أصله . ثمَّ أرسلها عليه . فلما أنشبت أحَدَ نَابَيْهَا فى شِقِّ أنفه صرَخ عليه صَرخةً جمعتْ عليه أهلَ تِلك البَلْدة ، ثُمَّ غُشِى عليه ، فأُخِذَ الحَوَّاءُ فوُضع فى السِّجن ، وقتلوا تلك الحيَّات ، وتركوه حتّى أفاقَ كأنّه أجنُّ الخلْق ، فتطوَّعوا بحمله فحملوه مع المُكَارِى[٢] ، ورَدُّوه إلى البصرة ، وبَقِىَ أَثَرُنَا بِهَا فى أنفه إلى أن مات .

(ما يغتصب بيت غيره من الحيوان)

قال : وأشياءُ من الحشراتِ لا تتخذ لنفسها ولا لبيضها ولا أولادها[٣] بيوتاً ، بل تظلم كلَّ ذى جُحر جُحرَه ، فتخرجُه منه ، أو تأكُلَه إنْ[٤] ثبتَ لها .

والعربُ تقول للمُسيء : « أَظْلَمُ مِنْ حَيّةٍ » ؛ لأنَّ الحيَّة لا تتَّخذ لنفسها بيتاً . وَكلُّ بيتٍ قصدَت نحوَه هرب أهلُه منه ، وأخْلَوْه لها .

(عداوة الورل للحيات)

والورَل يقْوَى[٥] على الحيَّاتِ ويأكلُها أكلاً ذريعاً . وكلُّ شِدَّةٍ يلقاها

---

(١) تنكز ، آخره زاى، كما فى س . وفى ط ،ﻫ : « تنكر » محرفة . وانظر ٢ : ١٣٨ .
(٢) المكارى : من يكرى الناس دابته . والكراء : الأجرة . س : « مكارى » صوابه : « مكار » بحذف الياء .
(٣) س : « ولبيضها ولأولادها » .
(٤) ط : « إذ » .
(٥) ط : « يقول » صوابه فى س ، ﻫ .

ذو جُحْر منها فهى تَلقَى مِثلَ ذلك من الورَل . والورَلُ أَلْطَفُ جِرْماً من الضّبّ .

وزعم أَنَّهُمْ يقولون : « أَظلَمَ مِنْ وَرَل » كما يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ حَيّةٍ » ، وكما يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ ذِئْبٍ » ويقولون : « مَنْ اسْتَرْعَى الذِّئْبَ ظلم[١] » .

(الورل والضبّ)

وبراثن الوَرَل أقوى مِن براثِنِ الضّبّ . والضِّبابُ تَحفِر جِحَرَتَها فى الـكُدَى[٢] . والوَرَل لا يحفِرُ لنفسه بل يُخْرِجُ[٣] الضّبّ من بيته . فتزعم الأعرابُ أنّه إنّما صار[٤] لا يحفر [لنفسه إبقاءً على براثنه . ويمنع الحَيَّةَ أن تَحفِر بيتها] أنّ[٥] أسنانَها أَكَلُّ من أسنان الفأر [ومن التى تحفر بالأفواه والأيدى ؛ كالنمل والذّرّ وما أشبه ذلك] . والحيّة[٦] لا ترى أن تعانىَ ذلك ، وَحَفْرُ غيرِها ومعاناتُه يكفيها .

---

(١) استرعاه : جعله راعيا . وظلم : أى ظلم الغنم ، أو ظلم الذئب حيث كلفه ما ليس فى طبعه . وأصل المثل فى الميدانى (٢ : ٢٣٠) .

(٢) جحرة ، كعنبة : جمع جحر . وفى الأصل : « أجحرتها » ، وليس قياسا ولا مسموعا . والصواب ما أثبت . والـكدى : جمع كدية ، بالضم : وهى الأرض الصلبة . وكتبت فى الأصل بالألف خطأ ؛ إذ أصلها الياء .

(٣) ط ، هـ : « تخرج » ، صوابه فى س .

(٤) ط : « أنها إنما صارت » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٥) ط ، هـ : « لأن » صوابه فى س .

(٦) ط ، هـ : « فهى » .

(شعر فى ظلم الحية)

وفى ضَرْبِ المثل بظُلْم الحيّة ، يقول مضرِّس بن لقيط[(١)] :

لَعَمْرُكَ إِنِّى لَوْ أُخاصِمُ حَيّــةً إلى فَقْعَسٍ مَا أَنْصَفَتْنِىَ فَقْعَسُ[(٢)]

إذا قلتُ ماتَ الدّاءُ بينى وبينَهُمْ سَعَى حَاطِبٌ منهم لآخَرَ يقْبِسُ[(٣)]

فَما لَكُمْ طُلْساً إلىَّ كأَنّكُمْ ذِئَابُ الغَضَى والذِّئْبُ باللَّيْلِ أَطْلَسُ[(٤)]

وجعله أطلس ؛ لأنّه حين تشتدُّ ظُلمة اللّيل فهو أخفى له ، ويكونُ حينئذٍ أخبثَ له وأضْرَى .

٥١ وقال حَرِيزُ بن نَشْبَةَ العَدَوىّ[(٥)] ، لبنى جعفر بنِ كلاب ، وضَرَبَ جَوْرَ الحيَّةِ والذِّئبِ فى الُحكْمِ مثلاً ، فقال :

---

(١) سبقت ترجمته فى (٣ : ٤٥٩) . وقد نسب البحترى الشعر فى حماسته ٣٨٠ إلى عامر بن لقيط الأسدى . وهذه النسبة الأخيرة أيضاً فى محاضرات الراغب (١ : ١٧٤) . وفى البيان (٢ : ١٦٠) : « قال الأسدى » .

(٢) قال الجاحظ فى البيان : « يقول : بلغ من ظلم قومنا لنا أننا لو خاصمنا الذئاب والحيات وبها يضربون المثل فى الظلم — لقضوا لها علينا » . وفقعس ، هو ابن طريف ، أبو حى من قبيلة أسد .

(٣) الحاطب : الذى يجمع الحطب . فى البيان : « أتى حاطب » .

(٤) طلسا : جمع أطلس ، وهو الذى فى لونه غبرة إلى سواد . ط : « طلسى » صوابه فى س ، هـ والمراجع المتقدمة . وقد روى البحترى أبياتا بعد هذا فى حماسته .

(٥) هو حريز ، بحاء مهملة وزاى ، ابن عبدة ، أحد بنى زيد بن نشبة بن عدى بن أسامة ابن مالك بن بكر بن حبيب ، كما فى المؤتلف ٧٢ . وفى الأصل : « جرير » مصحف . ونشبة ، بضم النون بعدها شين معجمة ، هو جده لا أبوه . س : « نسة » محرفة .

كأَنِّي حينَ أحبُو جَعْفرًا مِدَحِى ... أسقِيهِم طُرْقَ مَاءٍ غيرَ مَشْروبِ (١)

ولو أخاصِمُ أفْعَى نَابُهَا لَثِقٌ ... أو الأساوِدَ من صُمِّ الأهاضيبِ (٢)

لكنتم معها إِلْباً ، وكان لهَا ... نَابٌ بأسفل ساقٍ أو بِعُرْقُوبِ (٣)

ولو أخاصمُ ذِئْباً فى أكِيلته ... لجاءنى جمعُكمْ يسعَى مع الذِّيبِ (٤)

(فم الأفعى)

قال : والحيَّة واسعةُ الشَّحْوِ والفم ، لها خطم (٥) ، ولذلك ينفُذ نابُها . وكذلك كلُّ [ذى (٦)] فمٍ واسعِ الشَّحو ؛ كفم الأسد . فإذا اجْتَمَعَ له سعَة الشَّحو وطولُ اللَّحيينِ ، وكان ذا خَطمٍ وخُرطومٍ فهو أشدُّ له كالخنزير ، والذِّئب والكلْب . ولو كان لرأس الحيَّة عَظْمٌ كان أشدَّ لعضَّتها (٧) ، ولكنَّه جلدٌ قد أطبقَ (٨) على عظمين رَقِيقَينِ مستطيلين بفكِّها الأعلَى والأسفل . ولِذَلِكَ (٩) إذا أهوَى الرَّجُلُ بحجرٍ أو عصًا ، رأيتَها تلوِّى رأسها

(١) ماء طرق ، بالفتح : بالت فيه الإبل وبعرت ، وقد طرقته . غير مشروب : غير صالح لذاك .

(٢) أفعى : سبق الكلام فى تنوينها ص ١١٧ . لثق : مبتل بما ينطف من السم .

(٣) هم ألب عليه ، بالفتح والكسر : مجتمعون عليه بالظلم والعداوة . ط ، ه : « إلبا معها » وبذا يختل الوزن . والوجه ما أثبت من س . و « ناب » هى بالنون فى س . وفى ط ، ه : « باب » ، ولهذه وجه .

(٤) الأكيلة : شاة تنصب ليصاد بها الذئب ونحوه ، كالأكيلى ، والأكولة بالضم .

(٥) ط ، ه . « له خطم » صوابه فى س .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) عظم : المراد عظم شديد . ه ، ط : « خطم » ولا تصح . وانظر ما سبق قريبا .

(٨) كذا فى س ، ه . وفى ط : « انطبق » .

(٩) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، ه : « وكذلك » .

وتحتال فى ذلك ، وتمنعه بكلِّ حيلة ؛ لأنَّها تعلم وتحس بِضَعْفِ ذلك الموضع منها ، وهو مَقْتَلٌ . وما أكثَرَ ما يكون فى أعناقها تخصيرٌ[١] ولصدورها أغباب[٢] ، وذلك فى الأفاعى أعمُّ . وذلك الموضعُ المستدقّ إنَّما هو شىءٌ كهيئة الحريطة ، وكهيئة فم الجِراب ، مُنضَمُّ الأثْناء[٣] ، مُثَنَّى[٤] الغضُون . فإذا شئتَ أن تفتَح انفتح لك فمٌ واسع .

ولذلك قال إبراهيم بن هانئٍ : كان فتْحُ فمِ الجرابِ يحتاجُ إلى ثلاثة أيدٍ[٥] ، ولولا أنّ الحمالين قد جعلوا أفواهَهم بدل اليد الثَّالثةِ لقد كان ذلك ممتنعاً حتى يستعينوا[٦] بيدِ إنسان .

وهذا ممَّا يعدُّ فى مُجون ابن هانئ .

وكذلك حُلوقَ الحَيَّاتِ وأعناقها وصدورُها ، قد تراها فتَراها فى العَين دقيقةً ، ولا سيَّما إذا أفرطَتْ فى الطُّول .

(شراهة الحية والأسد)

وهى تبتلعُ فراخ الحمام . والحَيَّةُ أنهَمُ وأشره من الأسد . والأسدُ يبلَعَ البَضْعَةَ العظيمةَ من غير مضْغٍ ؛ وذلك لما فيه من فضْل الشرَه . وكذلك الحيّة . وهما واثقان بسهولةِ وسَعَةِ المخرج .

---

(١) تخصير : أى دقة فى وسطها .

(٢) جمع غبب ، وهو اللحم المتدلى تحت الحنك .

(٣) الأثناء : التغضنات . ط : « ضم » ، صوابه فى س ، هـ . وفى ط : « الأنستاء » وفى س ، هـ : « الانثناء » صوابهما ما أثبت .

(٤) س ، هـ : « منثنى » .

(٥) س ، هـ : « أيدى » صوابه فى ط

(٦) ط : « يستعين » صوابه فى س ، هـ .

(تِنِّينُ أنطاكية)

[و] ممَّا عظَّمها وزادَ فى فَزَع النَّاس منها ، الذى يرويه أهلُ الشام ، وأهْلَ الْبَحْرَيْن ، وأهل أنطاكِيَةَ[١] ؛ وذلك أنّى رأيتُ الثلثَ الأعلى من منارةِ مسجد أنطاكِيَة أظهَرَ جِدَّةً من الثلثين الأسفلين ، فقلت لهم : ما بالُ هذا الثلثِ الأعلَى أَجدَّ وأطْرَى[٢] ؟ قالوا : لأَنَّ تِنِّينا[٣] ترَفَّعَ مِنْ بَحْرِنَا هذا ، فكان ، لا يمرُّ بشيءٍ إلاَّ أهلكه ، فمرَّ على المدينة فى الهواء ، محاذياً لرأس هذهِ المنارة ، وكانَ أعلى ممَّا هى عليه ، فضربَه بذنَبِهِ ضَرْبَةً ، حَذفت[٤] من الجميع أكثَرَ من هذا[٥] المقدار ، فأعادوه بعد ذلك ، ولذلك اختلَفَ فى المَنْظَر . ٥٢

---

(١) أنطاكية ، بالفتح ثم السكون ، والياء مخففة . قال ياقوت : وليس فى قول زهير :

علون بأنطاكية فوق عقمة ... وراد الحواشى لونها لون عندم

وقول امرئ القيس :

علون بأنطاكية فوق عقمة ... كجرمة نخل أو كجنة يثرب

دليل على تشديد الياء ؛ لأنها للنسبة . وكانت العرب إذا أعجبها شيء نسبته إلى أنطاكية .

(٢) أطرى : من الطراوة ، وهى الغضاضة والحداثة . هـ ، س : « أطوى » صوابه فى س . والكلام بعد هذه الكلمة إلى : « هذه المنارة » ساقط من س .

(٣) التنين ، كسجيل : حية عظيمة . ط : «تسميتنا» صوابه فى هـ .

(٤) ط : « خرقت » صوابه فى س ، هـ .

(٥) ط : « هذه » صوابه فى س ، هـ .

(الخلاف فى التنين)

ولم يزل أهلُ البِقاع[١] يتدافعون أمْرَ التِّنِّين . ومن العجب أنّك تكون فى مجلسٍ وفيه عشرون رجُلاً ، فيجرى ذكرُ التِّنِّين فينكرُه بعضهم . وأصحاب التثبت[٢] يدَّعون العِيان . والموضع قريب ، ومَنْ يعاينُه كثير . وهذا اختلافٌ شديد .

(قول الأعراب فى الأصَلة)

والأعرابُ تقول فى الأصلة[٣] قولاً عجيباً : تزعمُ أنَّ الحيَّة التى يقال لها الأصَلة لاتمرّ بشىء إلا احترق . مع تهاويلَ كثيرةٍ ، وأحاديث شنيعةٍ .

(الأجدهانى)

وتزعم الفُرْس أنّ الأجدِهانى[٤] أعظم من البعير ، وأنّ لها سبعةَ رءوس ، وربما لَقِيَتْ ناساً فتبتلع من كلِّ جهةِ فمٍ ورأسٍ إنسانا . وهو من أحاديث الباعة والعجائز[٥] .

---

(١) البقاع : موضع يقال له بقاع كلب ، قريب من دمشق ، وهى أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق . ياقوت .

(٢) ط ، هـ : « التشبيت » ، ووجهه ما فى س .

(٣) الأصلة : حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم . واللغويون يختلفون فى تحليتها ، أى نعتها .

(٤) انظر الاستدراكات .

(٥) ط : « أو العجائز » وتصحيحه من س ، هـ .

(الحية ذات الرأسين)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنه قد ظهَرَتْ حيَّةٌ لها رأسان . فسألتُ[١] أعرَابِيًّا عن ذلك فزعَمَ أنّ ذلك حقٌّ . فقلت له : فمن أيِّ جهة الرَّأسين تسعى ؟ ومن أيِّهما تأكلُ وتَعَضّ ؟ فقال : فأمّا السَّعْيُ فلا تَسْعَى ، ولكنّها تَسْعى إلى حاجتها بالتقلب ، كما يتقلَّب الصِّبيان على الرَّمْل . وأمّا الأكل فإنها تتعشى بفمٍ وتتغدَّى بفم . وأمّا العضُّ فإنها تعضُّ برأسيها معاً !!
فإذا به أكذبُ البَرِيَّة .

وهذه الأحاديثَ كلها ، ممَّا يزيد فى الرعب منها ، وفى تَهْويل أمرها[٢] .

(فُرانق الأسد)

ومِثلُ شأنِ التِّنِّين مثلُ أمرِ فُرَانِقِ الأسد[٣] ؛ فإنّ ذكرَه يجرى فى المجلس ، فيقول بعضهم : أنا رأيته وسَمِعْتُه !

---

(١) ط ، هـ : « فسئلت » صوابه فى س .
(٢) س : « والاستهالة لمنظرها » . والكلام من بعد هذه الكلمة ، إلى « لمنظرها » الآتية ، ساقط من س .
(٣) الفرانق ، بضم الفاء . وفى الأصل « غرانق » صوابه ما أثبت . ولفظه معرب من « پَرْوَانَكْ » الفارسية . القاموس المحيط ، ومعجم استينجاس . وهو ضرب من الوحش ، يتقدم الأسد ويرشده إلى فريسته .

(فزع الناس من الحية)

وربما زاد فى الرعب منها والاستهالة لمنظرها قولُ جميعِ المحدِّثين : إنَّ من أعظم ماخلَق الله الحَية والسّرطانَ والسَّمك .

(طول عمر الحية)

وتقول الأعراب : إنَّ الحَية أطولُ عمراً من النَّسر ، وإن الناس لم يجِدُوا حَيةً قطُّ ماتت حتْفَ أنفِها ، وإنما تموت بالأمر يعرض لها[١] . وذلك لأمور : منها قولهم إنَّ فيها شياطينَ ، وإنَّ فيها مِنْ مِسخ ، وإنْ إبليسَ إنما وسوس إلى آدم وإلى حوَّاء من جَوْفِها .

(زعم الفضل بن إسحاق)

وزعم لى الفضلُ بن إسحاق ، أنهُ كان لأبيه [نُخَّان [٢]] ، وأنّ طولَ كُلِّ نخّ تسعة عشرَ ذراعا[٣] .

---

(١) ط : « بالأمر الذى يعرض لها » .

(٢) موضع هذه الكلمة بياض فى الأصل . وقد أثبتها اعتمادا على سياق الكلام . والنخ ، بالضم : بساط طوله أكثر من عرضه ، فارسى معرب . اللسان ، والألفاظ الفارسية . وضبطه صاحب القاموس بالفتح .

(٣) ط : « وأن طول كليهما » ، وأثبت ما فى س ، ه . وفى س : « كليما » بدل « ذراعا » وهو خطأ . وقد أتى الجاحظ بهذا الخبر شاهدا على المبالغة والتهويل ، فيما يظهر . انظر ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(ضروب الحيات)

ومن الحيَّات الجُرد والزعْر ، وذلك فيها من [الغالب[١]] .

ومنها ذواتُ شعر ، ومنها ذواتُ قرون . [وأرسطو يَنْـكِرُ ذلك[٢]] وإنما يتخلق لها فى كلِّ عام قشرٌ وغِلاف ، فأمَّا[٣] مقادير أجسامها فقط .

(انسلاخ جلد الإنسان)

وأما الجلودُ فإنّ الأرمِنِيَّ زعم أنه كان عندهم رجلٌ ينقَشِر من جلده وينسلخُ فى كلِّ شهرٍ مرَّةً . قال : فجمع ذلك فوُجد فيه مِلْءُ جراب أو قال : أكثرُ .

(علة الفزع من الحية)

٥٣ وأما الذى لا أشك فى أنه قد زاد فى أقدارها فى النفوس ، وعظَّم من أخطارها ، وهوّل من أمْرها ، ونبَّه على مافيها من الآيةِ العجيبةِ والبرهان النـــيِّر ، والحجَّةِ الظاهرة ، [فَما[٤]] فى قلب العصا حَيَّةً ،

(١) موضع هذه الـكلمة بياض فى الأصل . وجاء فى حياة الحيوان : « ومن أنواعها الأزعر ، وهو الغالب فيها » .

(٢) هذه الزيادة عن الدميرى . ومكانها بياض بقدر نصف سطر فى س . ولم يبيض لها فى ط ، هـ .

(٣) بعد هذه الـكلمة بياض نحو نصف سطر فى س فقط .

(٤) ليست بالأصل ، وبها يتم الـكلام .

وفى ابتلاعها ماهوَّلَ به القومُ وسحَروا منْ أعْيُنِ الناس، وجاءوا به من الإفك قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَافِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَاأَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ [قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ[1]] فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِى إِسْرَائِيلَ . قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾، إلى قوله : ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ[2] ﴾ .

فإن قلت : إنه إنما حَوَّل العصا ثُعباناً لأنهم جاءوا بحبال وعِصِىٍّ فحوَّلوها فى أعين الناس كلهاَ[3] حيَّات ، فلذلك قلبَ اللهُ العصَا حَيةً[4] على هذه المعارضة . ولو كانوا حين سحرُوا أعيُن الناس جَعَلوا حبالهم وعصيَّهُمْ ذِئَاباً فى أعْيُنِ الناس ونمُورا، لجَعَل الله عصا موسى ذئباً أو نَمِرًا ، فلم يكن ذلك لخاصَّةٍ فى بدَن الحَية .

قلنا : الدّليل على باطل ماقلتم ، قوْلُ الله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى . قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى . قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَى . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ وقال الله عزّ وجلّ[5] : ﴿ إِذْ قَالَ موسى لِأَهْلِهِ إِنِّى آنَسْت نَارًا[6] ﴾

---

(١) هذه التكملة ليست فى س : ﻫ . وإسقاطها تحريف شنيع . وبدلها فى ط كلمة : « إلى » . وهذه الآية وسابقتها ولاحقتاها ، هى الآيات ١٠٤ – ١٠٧ من سورة الأعراف .

(٢) هذا سهو من الجاحظ ، فإن هذه الآية من سورة أخرى هى سورة الشعراء ، وهى الآية الرابعة والأربعون .

(٣) ط ، ﻫ : « كأنها » وأثبت ما فى س .

(٤) س ، « قلت إن العصاحية » وهو تحريف ما فى ط ، ﻫ .

(٥) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من ﻫ .

(٦) هذه هى الآية السابعة من سورة النمل . وتمامها : « سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون » .

إلى قوله : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يامُوسَى لَاتَخَفْ إِنِّى لَايَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ[١] ﴾ فقلبت[٢] العصا جانًّا ، وليس هناك حبالٌ ولا عِصىٌّ . وقال الله[٣] : ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهاً غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ . قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُبِينٍ . قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ فقلبُ[٤] العصا حيّة كان فى حالات شَتَّى[٥] . فكان هذا مِمّا زاد فى قدْر الحية .

وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال فى دعائه أن لايميته اللهُ لَديغا . وتأويل ذلك : أنّه صلى الله عليه وسلم ما استَعاذَ بالله من أن يموت لديغاً[٦] وأنْ تكونَ مِيتته بأكْل هذا العدوِّ ، إلا وهو من أعداء الله ، بل مِنْ أشدّهم عداوة .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم ، « أَشدُّ الناس عذاباً يوم القيامةِ مَنْ قتلَ نَبِيًّا أو قتَلهُ نبىٌّ » ، كأنَّهُ كان فى المعلوم[٧] أنَّ النبىّ لايقتُل أحداً ،

---

(١) سها الجاحظ مرة أخرى فجعل عقب الآية هكذا : « يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » ، فخلط بين هذه الآية وبين الآية ٣١ من سورة القصص : « وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ياموسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » . ومن العجب أن يمر على هذا السهو والذى قبله نحو أحد عشر قرنا فلا يتهيأ أحد لإصلاحه ورده إلى نصابه . والحمد لله .

(٢) ﻫ : « فقلب » ولها وجه .

(٣) سقطت هذه الكلمة من س . وسقطت الكلمة الأولى فى الآية من ط . وهما مثبتتان فى ﻫ . والآيات هى ٢٩ — ٣٢ من سورة الشعراء .

(٤) س : « فقلبت » ، ولا تصح .

(٥) رسمت هذه الكلمة بالألف فى ط . وهى بقية من بقايا الرسم الأول .

(٦) ط : « مستعاذ بالله أن يموت لديغا » ، وتصحيحه وإكماله من س ، ﻫ .

(٧) كذا فى ط . وفى س ، ﻫ : « العلوم » وهى ركيكة .

ولا يَتّفِق ذلك إلاّ فى أشْرَار (١) الخلْق . ويدلُّ على ذلك الذى اتّفق من قتل أُبَيٍّ بن خلفٍ بيدِه (٢) ، والنَّضر بن الحارث (٣) ، وعَقبة بن أبى مُعيط (٤) ، ومعاوية بن المغيرة بن أبى العاصى (٥) ـــ صبراً (٦) .

---

(١) أشرار : جمع شرير ، كشريف ، وهو ذو الشر . أو هو جمع شر ، مثل زند وأزناد . اللسان والقاموس . ط ، هـ : « شرار » ولم أجدها فيهما فى مادة (شرر) ورأيتها فى شعر صخر أخى الخنساء (الخزانة ١ : ٣٩٣ سلفية) :

* والله لا أمنحها شرارها *

(٢) هو أبى بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، كان أدرك الرســول فى الشعب يوم أحد ، وهو يقول : أى محمد ! لا نجوت إن نجوت ! فقال القوم : يارسول الله أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال : دعوه : فلما دنا منه تناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصمة ، وطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرســه مراراً — أى تقلب فجعل يتدحرج . سيرة ابن هشام (يوم أحد) .

(٣) هو النضر بن الحارث بن كلدة ، أحد بنى عبد الدار . أسر يوم بدر كافراً فضرب الرسول عنقه صبراً . حماسة البحترى ٤٣٤ . أو قتله على وهو قافل مع الرسول من غزوة بدر إلى المدينة . السيرة ٥٠٨ . ورثته أخته قتيلة بأبيات ، هى من أروع آيات البيان العربى ، رواها ابن هشام فى السيرة ٥٣٩ وأبو تمام فى الحماسة (١ : ٤٠١) والبحترى فى حماسته ٤٣٤ والجاحظ فى البيان (٤ : ٤٤) . وقيل إن الرسول لما بلغه الشعر قال : « لو بلغنى هذا قبل قتله لمننت عليه ! » . فيقال إن قتيلة بنته ، كما فى حماسة البحترى والإصابة ٨٨٤ من قسم النساء .

(٤) عقبة بن أبى معيط — بهيئة التصغير — كان ممن أسر يوم بدر من المشركين ، قتل فى أثناء قفول الرسول من غزوة بدر ، قتله عاصم بن أبى الأقلح الأنصارى . وكان عقبة قد احتج قبل قتله فقال : « أأقتل من بين قريش صبراً ؟ » فقال عمر ابن الخطاب : « حن قدح ليس منها ! » يعرض بنسبه . الروض الأنف (٢ : ٧٧) .

(٥) هو معاوية بن المغيرة بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس ، وهو جد عبد الملك ابن مروان ، أبو أمه : عائشة بنت معاوية ، كان أسره الرسول بعد غزوة حمراء الأسد ، عند رجوعه إلى المدينة ، فلجأ إلى عثمان بن عفان ، فاستأمن له الرسول فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاث قتل ، فأقام بعد ثلاث وتوارى ، فبعث الرسول زيد بن حارثة وعمار بن ياسر إليه ، وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا . فوجداه فقتلاه . السيرة ٥٩١ . ط : « معاوية بن أبى المغيرة » ، صوابه فى س ، هـ كما فى السيرة .

(٦) قتله صبراً : حبسه ورماه حتى مات . صبره : نصبه وحبسه ليقتل . ومما ينبغى =

وحدِّثت[١] عن عبد الله بن أبى هند ، قال : حدّثنى صيفى بن أبى أيُّوب ، أنه سمع أبا بَشِيرٍ الأنصارىّ[٢] يقول : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوّذ من هؤلاء السَّبْع : كان يقول : اللهمَّ إنى أعوذُ بك من الهَدْم[٣] وأعوذُ بك من التردِّى[٤] ، وأعوذ بك من الغَمِّ والغَرَق[٥] ، وأعوذ بك من الحَرَقِ والهَرَم[٦] ، وأعوذ بك أن يتخبَّطنى الشَّيطانُ عند الموت[٧] وأعوذ بك من أن أموتَ فى سبيلك مُدْبراً ، وأعوذ بك من أن أموتَ لديغاً » . ٥٤

وطلحة بن عمرو قال : حدثنى عطاء أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللَّهُمَّ إنى أعوذ بك من الأسَد [و[٨]] الأسْوَدِ ، وأعوذ بك من الهَدْم » .

= ذكره هنا ، أن الجاحظ قد صرح فى كتاب العثمانية ص ٤٦ بأن الرسول « لم يقتل بيده إلا رجلا واحداً » . فهؤلاء الثلاثةقد أمرالرسول بقتلهم ، ولم يقتلهم بيده .

(١) فى الأصل : « حدث » . والوجه ما أثبت .

(٢) أبو بشير الأنصارى ، ذكره ابن حجر فى الإصابة ١٣٠ (قسم الكنى) . وقيل اسمه قيس بن عبيد بن الحرير بمهملتين مصغراً ، أورده ابن سعد فيمن شهد الخندق . وقيل مات سنة أربعين .

(٣) فى رواية أخرى : « اللهم إنى أعوذ بك من الأهدمين » قيل فى تفسيره : هو أن ينهدم على الرجل بناء ، أو يقع فى بئر ، حكاه الهروى فى الغريبين . اللسان (هدم) .

(٤) تردى : سقط فى بئر أو نهر أو هوة .

(٥) كذا فى هـ واللسان (غرق) ، والجامع الصغير ١٥٤١ رواية عن النسائى والحاكم . وفى ط ، س : « الفرق » بمعنى الخوف .

(٦) الحرق ، بالتحريك : النار أو لهبها . والهرم ، بالتحريك : أقصى الكبر . ط ، س : « الهدم » صوابه فى هـ .

(٧) تخبطه الشيطان : صرعه ولعب به .

(٨) هذه الزيادة الضرورية من الدميرى (رسم الأسود السالخ) . وفيه : روى أبو داود =

(استطراد لغوى)

قال : ويقال للحيَّة : صفَرَتْ تَصْفِرُ صفيراً ، والرجل يصفِر بالطير للتنفير ، وبالدوابِّ وببعض الطير للتعليم . وتتخذ الصَّفّارة [يُصْفَرُ بِهاَ(١)] للحمام وللطير فى المزارع . قال أعشى هَمْدان يهجُو رَجُلاً :

وإذا جَثَـــا للزَّرع يوم حَصادِه قَطَعَ النَّهارَ تأوُّهاً وصَفِيرَا

(لسان الحية)

والحيَّة مشقوقة اللسان سوداؤه . وزعم بعضهم أن لبعض الحيَّات لسانين وهذا عندى غلطٌ ، وأظنُّ أنّهُ لما رأى افتراق طرف اللسان(٢) قضى بأنّ له لسانين .

(عجيبة الضب)

ويقال : إن(٣) للضَّبِّ أيْرَيْن ، ويسمَّى أَير الضَّبِّ نِزْكًا(٤) . قال الشاعر(٥) :

= والنسائى والحاكم وصححه ، عن عبد الله بن عمر قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال : يا أرض ، ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك ، وشر ما فيك ، وشر ماخلق فيك ، وشر مايدب عليك ! أعوذ بالله من أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ومن والد وما ولد ! » . الأسود : نوع من الأفاعى شديد السواد ، يقال له أسود سالخ ؛ لأنه يسلخ جلده كل عام .

(١) الزيادة من ه فقط .

(٢) ط : « طرفى اللسان » . وأثبت ما فى س ، ه .

(٣) ط : « بأن » .

(٤) النزك ، بكسر النون وتفتح . ط : « طرك » ه : « ترك » س : « نزك » صوابه ما أثبت وانظر الجزء السادس ص ٧٤ حيث صرح الجاحظ بضبطه .

(٥) هو أبو الحجاج . وقال ابن برى : « هو لحمران ذى الغصة ، وكان قد أهدى =

كَضَبٍّ له نِزْكانِ كانا فَضِيلةً على كلِّ حافٍ فى الأنام ونَاعِلِ(١)

قال أبو خَلفٍ النمرىّ : سئل أبو حيّة النميرى عن أير الضّبِّ ، فزعم أنّ أيرَ الضّب كلسان الحيّة : الأصل واحدٌ ، والفرع اثنان .

(زعم بعض المفسرين فى عقاب الحية)

وبعض أصحاب التفسير يَزْعُمُ أنّ الله عاقبَ الحيّةَ حين أدخلت إبليس فى جوفها ، حتى كَلَّمَ آدم وَحَوَّاءَ وخدعهما على لسانها ، بعشرِ خِصال : منها شقُّ اللسان(٢) . قالوا : فلذلك ترى الحيّةَ إذا ضُرِبَتْ للقَتْل كيف تخرج لسانها لتُرِىَ الضَّارِبَ عقوبَةَ الله ، كأنها تَسْترحم . وصاحب هذا التفسير لم يقلْ ذلك إلّا لحيَّةٍ كانت عنْدَه تَتكَلَّمُ ، ولولا ذلك لأنكر آدمُ كلامها ، وإن كان إبليسَ لايحتال إلّا من جهة الحيَّة ، ولا يحتال بشىءٍ غير مموّه ولا مشبَّه .

= ضبابا لخالد بن عبد الله القسرى » . انظر اللسان (مادة نزك) حيث تجد أبيات الشاهد . وقال ابن السيد فى الاقتضاب ٣٥٥ : « كان خالد ولاه بعض البوادى فلما جاء المهرجان أهدى كل عامل إليه ماجرت عادة العمال بإهدائه ، وأهدى إليه حمران قفصاً مملوءا ضبابا وكتب إليه » . وأنشد الأبيات التى رواها الجاحظ أيضاً فى الجزء السادس .

(١) الرواية : « سبحل له نزكان » انظر الحيوان (٦ : ٧٣) واللسان (نزك ، سبحل) والمخصص (٨ : ٩٧) وعيون الأخبار (٢ : ٩٨) وأدب الكاتب ١٥٤ ومعجم الأدباء (٩ : ١٦١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٣) . وفى ط « طركان » و ه : « تركان » صوابه فى س والمراجع . والناعل : من يلبس نعلا . س : « وفاعل » محرف .

(٢) انظر ماسيأتى فى ص ٢٠٠ .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال أرضٌ مَحْوَاةٌ وَمَحْيَاة من الحيَّات[١] كما يقال أرض مَضَبَّة وَضَبِبَة من الضِّباب[٢] ، وفَئِرة من الفأر[٣] .

(قولهم : هذا أجل من الحرش !)

وقال الأصمعيُّ فى تفسير قولهم فى المثل : « هذا أَجَلُّ مِنَ الحَرْش[٤] » : إنّ الضّبّ قال لابنه : إذا سمعتَ صَوتَ الحَرْش فلا تخرُجَنّ ! قال : وذلك أنّهمْ يزعمونَ أن الحَرْش تحريك[٥] اليدِ عندَ جُحْر الضّبِّ ؛ ليخرج إذا ظَنَّ أنه حية ــ قال : وسمع ابنه صوت الحفْر فقال : يَا أَبَهْ هذا الحرش ؟ قال : يابنيَّ ، هذا أجلُّ من الحرْش ! فأرسَلها مثلاً .

أسماء ما يأكل الحيات

بين الحياتِ وبين الخنازير عداوة ، والخنازير تأكُلها أكلا ذريعاً . ٥٥

(١) وذلك إذا كانت كثيرة الحيات .

(٢) أرض مضبة ، بفتح الميم والضاد وتشديد الباء . وفى ط ، س : « مضببة » و هـ : « مضبته » صوابهما ما أثبت . وضببة ، كفرحة ، وهو من شواذ المضعف . ط ، هـ : « ضبية » صوابه فى س . والضباب ، بالكسر : جمع ضب .

(٣) فى الأصل : « فائرة » تحريف . وانظر (٦ : ١٣٤) ، واللسان (فأر) .

(٤) انظر هذا المثل وما قيل فيه ، عند المرتضى فى أماليه (١ : ١٧٠) والميدانى (١ : ١٧٠) والبغدادى فى الخزانة (٤ : ٥٩٤ ــ ٥٩٥ بولاق) .

(٥) هـ : « تحريد » بالدال . والتحريد : التعويج .

وسمومُ ذواتِ الأنيابِ من الحيَّات ، وذوات الإبر[1] ، سريعةٌ فى الخنازير ، وهى تَهْلِكُ عند ذلك هلاكاً وشيكا ؛ فلذلك لاترضى بقتلها حتى تأكلها . وتأكلُ الحيَّاتِ العِقْبانُ ، والأيائِلُ ، والأراوىُّ[2] ، والأوعالُ ، والسَّنانير والشّاهُمُرْك[3] ، والقنفذُ . إلَّا أن القُنْفُذَ أكثرُ مايقصدُ إلى الأفاعى ، وإنما يظهر بالليل . قال الرّاجز :

* قنفذ ليـل دائم التَّجْآبِ[4] *

وهذا الراجز هو أبو محمد الفقعسىُّ .

(التشبيه بالقنفذ)

وكذلك يُشبَّه النَّمَّامُ ، والمُـدَاخِلُ ، والدَّسِيس[5] ، بالقنفذ ؛ لخروجه بالليل دون النهار ، ولاحتياله للأفاعى . قال عَبْدة بن الطبيب :

اعْصُوا الذى يُلقِى القَنافِذَ بَيْنَكُمْ ... مُتَنَصِّحاً وهُوَ السِّمامُ الأنقعُ[6]

يُزْجِى عَقَارِبَهُ ليبعَثَ بينكم ... حَرْباً كما بَعَثَ الْعُرُوقَ الأخْدَعُ[7]

---

(١) أى وسموم ذوات الإبر . وفى الأصل : « ومن ذوات الإبر » .

(٢) الأراوى : جمع أروية ، وهى أنثى الوعول .

(٣) سبق الكلام عليه فى (٣ : ٣٣٦) .

(٤) التجآب : تفعال من جاب يجوب ، وأصله « التجواب » . ولم أجد من نبه عليه إلا مايفهم من عبارة صاحب اللسان : « وفلان جواب جأب : أى يجوب البلاد ويكسب المال » . ط : « التجأب » هـ : « التجارب » صوابه فى س .

(٥) الدسيس ، بسينين بينهما ياء : من تدسه ليأتيك بالأخبار . ط : « الدبيس» صوابه فى س ، هـ .

(٦) س ، هـ : « أعصى » .

(٧) يزجى : يسوق ويدفع . ط : « يرخى » س ، هـ : « تزخى » صوابهما =

حرَّانَ لايَشْفِى غَلِيلَ فؤادِهِ عَسَلٌ بماءٍ فى الإناءِ مُشَعْشَعُ[(١)]

لا تأمَنوا قوماً يشبُّ صبيهم بَيْنَ القوابِلِ بالعَداوَةِ يُنْشَعُ[(٢)]

وهذا البيت الآخِر يضم إلى [قول[(٣)]] مجنونِ بنى عامر :

أتانى هَوَاهَا قَبْلَ أنْ أَعرِفَ الهوَى فَصادَفَ قَلْباً خَالِياً فَتَمَكنا

ويضم إليه قول ابْنِ أوْدٍ[(٤)] : « الطينة تَقْبَلُ[(٥)] الطبائع ما كانت لَيِّنَــةً » .

ثم قال عبْدة بنُ الطَّبيب ، فى صلة الأبيات التى ذكر فيها القُنفذَ والنَّميمَةَ :

إنَّ الذين تُرَوْنَهم خُلَّانَكُمْ يَشْفِى صداعَ رُءُوسِهم أَنْ تُصرَعُوا

قومٌ إذا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيهِمُ جَدَعُوا قَنافِذَ بالنميمة تَمزَعُ[(٦)]

= ما أثبت ، والرواية فى حماسة البحترى ٢٤٠ : « يهلى » . والأخدع : واحد الأخدعين ، وهما عرقا الرقبة . س ، هـ : « الفروق » صوابه فى ط والحماسة .

(١) شعشع العسل بالماء : مزجه به وخلطه .

(٢) القوابل : جمع قابلة ، وهى التى تتلقى الولد عند ظهوره . س ، هـ : « القرامل » وهى الإبل ذوات السنامين . وليس يتجه بها المعنى . ينشع بالعداوة : كأنه يوجر بها ، أى توضع فى فه ليشربها .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « ابن أمر » .

(٥) فى الأصل : « تقتل » ، ووجهه ما أثبت . وفى س زيادة واو ، قبل : « الطينة » .

(٦) دمس : اختلطت ظلمته . الحماسة : « فهم إذا دمس » . وجدعوا : هو من =

وهذا الشعر من غُرر الأشعار . وهو مِمّا يحفظ .

وقال الأوديُّ[١] :

كقنفذ القنِّ لاتخفى مدَارجُهُ   خبٌّ إذا نامَ عَنْهُ الناس لم ينمِ[٢]

(عهد آل سجستان على العرب)

وفى عهد آل سجستان على العرب حين افتتحوها[٣] : لاتقتلوا قُنْفُذًا

= جذع بين البعيرين : قرنهما فى قرن ، أى حبل . ورواية الحماسة ، واللسان « مادة مزع » وديوان المعانى (٢ : ١٤٤) والأزمنة والأمكنة (١ : ٣٤٠ ، ٢ : ٣٠) : « حدجوا » . وهو من حدج البعير والناقة : شد عليهما الحدج ، بالكسر ، وهو نحو الهودج والمحفة . والمعنى أعدوا تلك القنافذ . وتمزع ، من المزع ، وهو شدة السير . وفى اللسان : « ابن الأعرابى : القنفذ يقال لها : المزاع » بتشديد الزاى . س ، ه : « تمرع » بالراء صوابه فى ط ، والحماسة ، واللسان (مادة مزع) .

(١) اسمه صلاءة بن عمرو . والأودى : نسبة إلى أود بن الصعب بن سعد العشيرة . كان من كبار الشعراء القدماء فى الجاهلية ، وله شعر حكمى سائر . انظر الشعراء والأغانى (١١ : ٤١ — ٤٢) . والبيت فى ديوان المعانى (٢ : ١٤٤) منسوب إلى أيمن بن خريم .

(٢) القن ، بالضم : موضع ، وفى ديوان المعانى : « الرمل » . والخب ، بالفتح ويكسر : الخداع . « عنه » هى فى الأصل : « عند » محرفة . وفى ديوان المعانى : « ليل » .

(٣) كان ذلك سنة إحدى وثمانين ، حين أرسل الحجاج ، عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فى جيش كثيف حسن العدة ، وكان يسمى « جيش الطواويس » ، إلى سجستان لغزو رتبيل ، ملك زابلستان ، ففتح كثيراً من بلادهم .

ولا وَرَلاً وَلاَ تَصِيدُوا[١] ؛ لأنها بلادُ أفاعٍ[٢] . وأكثرُ ما يجتلبُ أصحاب صنعة الترياق والحواءون الأفاعىَ من سِجِستان . وذلك كَسْبٌ لهم وحِرْفَةٌ ومَتجرٌ . ولولا كثْرَةُ قنافِذِها لما كان لهم بها قرارٌ .

(أكل القنفذ للحية)

والقنفذُ لا يبالى أىَّ موضع قبضَ من الأفعى . وذلك أنه إن قبض على رأسها أو على قفاها فهى مأكولةٌ على أسهل الوُجوه ، وإن قَبَضَ على وسَطها أو على ذنَبها ، جذَبَ ماقبض عليه ، فاستدار وتجمَّع ، ومنحه سائرَ بدَنِهِ ، فمتى فَتَحَتْ فاها لتقبضَ على شىء منه ، لم تصلْ إلى جلده مع شوكِهِ النَّابت فيه . والأفعى تهرُب منه ، وطلبُه لها وجراءتُه عليها ، على حَسَبِ هرَبِها منه وضعْفها عنه . ٥٦

(أمثال فى الحية والوَرَل والضَّبِّ)

وأمَّا قولهم : « أضَلُّ من حَيَّةٍ » ، و « أضَلُّ من وَرَلٍ » ، و « أضَلُّ من ضبٍّ » ــ فأمَّا الحيَّة فإنَّها لاتتَّخذ لنفسها بيتاً ، والذَّكرُ لايقيم فى الموضع ، وإنما يقيم على بيضها بقدر ما تخرج فراخُها وتقوى على الكَسْب والتماس الطعم ، ثمَّ تصير الأنثى سَيَّارَةً ، فمتى وَجَدَتْ جُحْراً دخلتْ واثقةً بأنَّ

---

(١) أى ولا تصيدوا شيئاً منها . ط : « ولا ورلا تصيدونه » س : « ولا ورلا » تصيدوه » . وصوابه ما أثبت من هـ . وعند ياقوت : « ألا يقتل فى بلدهم قنفذ ولا يصطاد » .

(٢) فى الأصل : « أفاعى » ووجهه ما أثبت . قال ياقوت فى سجستان : « فما من بيت إلا وفيه قنفذ » .

السَّاكِنَ فيــه بين أمرَين : إمَّا أقام فصار طُعْماً لها ، وإمَّا هرَب فصــار البيتُ لها ما أقامت فيه ساعةً ، كان ذلك من ليلٍ أو نهار .

(بيض الحيات)

وقد رأيتُ بيض الحيَّاتِ[١] وكسرتها لأتعرَّفَ مافيها ، فإذا هو بيضٌ مستطيلٌ أكدرُ اللون أخضر ، وفى بعضه نَمَشٌ ولمَع[٢] . فأمَّا[٣] داخلَه فلم أرَ قَيْحًا قطُّ ، ولا صدِيداً خَرَجَ من جُرحٍ فاسدٍ ، إلاَّ والَّذِى فى بيضها أسمجُ منـــه وأقذر . ويزعمون أنها كثيرةُ البيض جِدًّا ، وأنَّ السلامة فى بيضها [على[٤]] دونِ ذلك ، وأنَّ بيضها يكون منضَّداً فى جوفها طُولاً على غِرار[٥] واحد ، وعلى خيط واحد .

(جسم الحية)

وهى طويلة البطن والأرْحامِ . وعددُ أضلاعِها عددُ أيام الشهر . وكان ذلك بعضَ ما زاد فى شدَّة بدنها[٦] .

---

(١) ط : « الحياة » صوابه فى س ، ه .
(٢) النمش ، بالتحريك : نقط بيض وسود . وفى الأصل : « هش » وليس بشىء . وأثبت الصواب موافقا ما فى الدميرى (١ : ٤١٠) . واللمع : جمع لمعة ، بالضم ، وهى كل لون خالف لونا .
(٣) ط ، ه : « فإذا » صوابه فى س .
(٤) الزيادة من س ، ه .
(٥) على غرار : أى على قالب . ط ، ه : « عرار » س : « عراد » صوابهما ما أثبت .
(٦) بعد هذا فى كل من ط ، ه عبارة دخيلة على الكتاب ، أثبتها هنا إثباتا تاريخيا : « كنت بعجت بطن عقرب إذ كنت بمصر فوجدت فيه أكثر من سبعين عقارب صغار كل واحدة نحو أرزة . حرره أبو بكر السروكى » . وقد سلمت س من إثبات هذا التشويه الدخيل .

(أكثر الحيوان نسلا)

والخلْق الكثير الذّرء[١] الدَّجاجُ . والضَّبُّ أكثرُ بيضاً من الدَّجاجة . والخنزيرة تَضَعُ عشرين خِنَّوْصاً .

ويخرُج من أجوافِ العقاربِ عقاربُ صغارٌ ، كثيرةُ العدد جدًّا . وعامَّة العقارب إذا حَبِلَتْ كان حَتْفُها فى وِلادها[٢] ؛ لأنَّ أولادها إذا اسْتَوَى خَلْقُهَا أكَلَتْ بطونَ الأمَّهَاتِ حتّى تثقبها[٣] . وتكونُ الولادةُ من ذلك الثَّقب ، فتخرجُ والأمهاتُ ميِّتة .

وأكثرُ من ذلك كله ذَرْءُ السَّمك ؛ لأنَّ الإنسان لو زَعَمَ أنّ بيضة[٤] واحدة من بَعْضِ الأسْبور[٥] عشرة آلاف بيضة ، لكان ذلك لعظَمِ ما تحمِلُ ، ولدِقَّة حَبِّه[٦] وصِغره . ولكن يعتريها أمران : أحدهما الفساد ، والآخر أنَّ الذكورةَ فى أوانِ ولادة الإناث تَتْبَعُ أَذْنَابَهَا ، فكُلَّما زَحَرَتْ بشىء التقمته والتهمته .

ثمَّ السَّمك بعد ذلك فى الجملة إنما طبعها أن يأكل بعضُها بعضاً .

---

(١) الذرء : النسل . ط ، س : « الذر » صوابه ما أثبت من هـ .

(٢) الولاد ، بالكسر : الولادة . ط ، هـ : « أولادها » صوابه فى س . وفى نهاية الأرب (١٠ : ١٤٧) نقلا عن الجاحظ : « ولادتها » .

(٣) كذا على الصواب فى س . وفى ط : « تثقفها » و هـ : « يثقفها » محرفتان . وفى نهاية الأرب : « تنقبها » .

(٤) البيضة هنا : اسم للمرة من باض يبيض.

(٥) الأسبور ، سبق الكلام عليه فى (٣ : ٢٥٩) ، وفى الأصل : « الأشبور » مصحف .

(٦) أى حب البيض . ط ، هـ « جثته » تحريف ما أثبت من س .

(علة كثرة الأولاد)

ويزعمون أن الكَثْرَةَ فى الأولادِ إنّمَا تكون من العفَنِ واللَّخَن ، وعلى قدْر كثرةِ المائيَّة وقِلّتِهَا . فذهبوا إلى أنَّ أرحامَ الرُّوميَّاتِ والنَّصرانيَّاتِ أكثرُ لخناً ورُطوبة ؛ لأنّ غَسْلَ الفُرُوجِ بالماء البارِدِ مراراً فى اليوم ، ممَّا يطيِّب الأرحامَ ، ويَنفِى اللَّخنَ والعفَن . ويزعمون أنَّ المرأةَ إذا كان فرجُها نظيفاً ، وكانت مُعَطَّرَة قويّةَ المُنّةِ قلَّ حملُها ، فإنْ أفرطتْ فى السِّمَنِ عادتْ عاقراً . وسِمَانُ الرِّجال لا يكاد يعتريهم ذلك . ٥٧

وكذلك العاقر من إناث الإبل والبقر والغنم والنَّخْل . إذا قويت النَّخلة وكانت شابّةً ، وسَمِنَ جُمَّارُها ، صارت عاقِراً لا تحمل ، فيحتالون عند ذلك بإدخال الوَهَن عليها .

(اعتراض على التعليل السابق)

وقد طعن فى ذلك ناسٌ فقالوا : إنّ فى الضّبِّ على خلاف ماذكرتم : قد تبيضُ الأنثى سبعين بيضة فيها سبعون حِسْلا[١] . ولولا أنّ الضَّبَّ يأكلُ ولدَه لانتفشت الصحارى ضِباباً . والضبُّ لا يحفر إلاّ فى كُدْية[٢] وفى بلادِ العَرَاد[٣] . وإذا هرمت تبلّغتْ بالنّسيم . وهذا كله ممَّا يستدلُّ

---

(١) الحسل ، بالكسر : ولد الضب .

(٢) الكدية ، بالضم : الأرض الصلبة الغليظة .

(٣) العراد : حشيش طيب الرائحة . ط ، هـ : « العرار » محرفة ، صوابه بالدال =

به على بُعْدِ طبعها من اللَّخَن والعفن[(١)] .

قيل لهم : قد يمكنُ أن يكون ذلك كذلك[(٢)] فى جميع صفاتها إلاّ فى أرحامها فقط .

(سفاد الحيات)

وليس للحيَّات سِفادٌ معروف يَنْتَهِى إليه علمٌ ، ويقف عليه عِيان ، وليس عند الناس فى ذلك إلاَّ الذى يَرَوْنَ من ملاقاة الحيّة [للحية[(٣)]] والتواءِ كلٍّ منهما على صاحبه ، حتى كأنهما زوجُ خيزرانٍ مفتولٌ ، أو خَلخَالٌ مفتولٌ . فأمَّا أن يقفوا على عضوٍ يدخل أو فرج يدخل فيه فَلاَ .

(ذكر الأيم والجرادة الذكر فى الشعر)

والعرب تذكُرُ الحيّاتِ بأسمائها وأجناسها . فإذا قالوا : أَيْم ، فإنما يريدون الذَّكرَ دونَ الأنثى . ويذكرونه عِنْدَ جودةِ الانسياب ،

= كما أثبت من س . وانظر « اللسان » (صرد) . ومن تكاذيب الأعراب قولهم على لسان الضب :

أصبح قلبى صردا لايشتهى أن يردا
إلا عرادا عردا أو صليانا بردا
* أو عنكثا ملتبدا *

(١) أى أن سكنى الضباب فى الكدى وهى بعيدة عن الرطوبات ، وفى تلك البلاد التى تنبت الحشيش الطيب الرائحة — من شأنه أن يبعد طباعها من اللخن والعفن . وفى الأصل : « على بعض طبعها » الخ . وقد ظهر لك صوابه مما بينت .

(٢) كذا فى ط . وفى س : « قد يكون أن كون ذلك » فقط . وفى هـ : « قد يكون أن يكون ذلك كذلك » .

(٣) هذه الزيادة الضرورية من س ، هـ .

وخِفةِ البدن ، كما تذكر الشُّعراءُ فى صفة الخيل الجرادةَ الذَّكَرَ(١) دُونَ الأنثى . فهم وإن ألحقُوا الهاءَ فإنما يريدون الذَّكَرَ . قال بِشْرُ ابنُ أبى خازم :

جَرَادَةَ هَبْوَةٍ فيها اصفرارُ(٢)

لأنّ الأنثى لاتكون صفراء ، وإنما الموصوفُ بالصُّفْرة الذَّكر(٣) ؛ لأنّ الأنثى تكون بين حالتين(٤) : إمّا أنْ تكون حُبْلى بِبَيْضِها(٥) فهى مُثْقلَة وإمّا أن تكون [قد(٦)] سرأت وقذفت بيضها(٧) ، فهى أضعفُ ما تكون .

قال الشاعر :

أَتذهَبُ سَلْمَى فى اللِّمَامِ وَلاَ تُرَى ... وفى اللَّيلِ أَيْمٌ حيثُ شاءَ يسيبُ(٨)

---

(١) ط : « والجرادة الذكر » . وإثبات الواو يفسد المعنى . وإنما يعنون الذكر دون الأنثى ؛ لأن الجرادة الذكر أسرع من الأنثى ، وأخف ، كما فى الموازنة للآمدى ٧٥ .

(٢) الهبوة : الغبرة . وصدر هذا البيت كما فى المفضليات ٣٤٣ والأساس (هرش) :

* مهارشة العنان كأن فيها *

وانظر الاستدراكات .

(٣) أى كون الشاعر ذكر الصفرة ، قرينة لأنه عنى الذكر . ومثل الشعر المتقدم قول علقمة ابن هبيرة الأسدى (الموازنة ٧٥ والمخصص ١٦ : ١١٥) ، أو قد بن مالك . (معجم المرزبانى ٣٣٩) :

كأن جرادة صفراء طارت بألباب الغواضر أجمعينا

(٤) هذا تعليل من الجاحظ لاختيار الشعراء فى كلامهم الجرادة الذكر ، دون الأنثى .

(٥) ط : « إن جلى بيضها » س ، هـ : « إن حبلى ببيضها » ، وأصلحت الكلام وأكملته بما ترى .

(٦) الزيادة من هـ .

(٧) سرأت الجرادة والسمكة ، من باب منع : باضت .

(٨) اللمام ، بالكسر : اللقاء اليسير .

(آثار الحيات والعظاء فى الرّمال)

وإذا انسابت فى الكُثْبانِ والرّملِ ، يبينُ مواضعُ مَزَاحِفِها ، وعُرِفت آثارُهَا .

وقال آخر (١) :

كأَنْ مَزَاحِفَ الحيَّاتِ فيها قُبيلَ الصُّبْحِ آثارُ السِّيَاطِ (٢)

وكذلك يعرفون آثار العَظاء . وأنشدَ ابن الأعرابىّ :

بها ضربُ أذناب العَظاء كأَنْها مَلاعِبُ وِلْدَانٍ تخطّ وتمصع (٣)

وقال الآخر ، وهو يصف حيّات :

كأَنْ مَزَاحِفهَا أَنسعٌ جُرِرْنَ فُرَادَى ومَثْناتها (٤)

٥٨

وقال ثمامة الكلبىُّ :

كأَنَّ مَزَاحِفَ الهِزْلَى (٥) صباحاً خُدُودُ رَصَائع جُدِلتْ تؤاما (٦)

---

(١) هو المتنخل الهذلى ، ديوان الهذليين ٢ : ٢٥ و جمهرة أشعار العرب ص ١٢٠ . وقبله :

كأن وغى الخموش أميم فيها وغى ركب أميم أولى زياط

(٢) رواية المخصص (١٦ : ١٠١) والمؤتلف ١٧٩ : « كأن مزاحف الحيات فيه » ، ونهاية الأرب (١٠ : ١٤٦) : « وهنا » مكان : « فيها » .

(٣) تمصع : تسرع .

(٤) ط : « مراحفها » . هـ : « مراجفها » صوابه فى س . والأنسع : جمع نسع بالكسر ، وهو سير يضفر ويجعل زماما للبعير وغيره . وانظر رواية البيت فى نهاية الأرب (١٠ : ١٤٦) ، ومثيله فى أمالى القالى (٢ : ٢٣٧) .

(٥) الهزلى ، بالزاى : الحيات . ولا يعرف لها واحد . جاءت فى الأصل بالذال فى هذا السطر والسطرين بعده ، وهو تحريف .

(٦) الخدود هنا بمعنى : آثار الجر والسحب . والرصائع ، بالصاد المهملة : جمع رصيعة =

والهِزْلى من الحيَّات . قال جرير أو غيره :

ومِن ذات أصْفَاءٍ سُهُوب كأَنَّها مَزَاحِفُ هَزْلَى بينها متباعدُ (١)

وقال بعضُ المحدثين ، وذكر حال البرامكةِ كيفَ كانتْ ، وإلى أيِّ شيءٍ صارت :

وإذا نَظرْتَ إلى الثَّرَى بِعِرَاصِهم

قلتَ : الشجاعُ ثوى بها والأرقمُ (٢)

وقال البَعيث :

لَقًى حَمَلتْهُ أُمُّهُ وهى ضَيْفَةٌ فجاءتْ بيَتْنٍ للضيافةِ أرشَما (٣)

مُدامِنُ جَوْعَاتٍ كأنّ عروقَهُ مَسَارِبُ حَيَّاتٍ تَسَرَّبْنَ سَمْسَمَا (٤)

= وهى سير مضفور فى أسفل حمالة السيف . ط ، هـ : « وضائع » س . « صابع » كذا . وهما تحريف ما أثبت . جدلت : أحكم فتلها . ط : « خذلت » هـ : « خزلت » س : « حذلت » والوجه ما كتبت . تؤاما : جمع توأم . والمراد : أزواجا . وانظر (٦ : ٢٥٩) .

(١) ذات أصفاء : أى أرض ذات صخور ملساء . والأصفاء : جمع صفا . والصفا : جمع صفاة . ط ، هـ : « إصغاء » صوابه فى س . وفى اللسان (صوى) : « أصواء » مع تفصيل فى الشرح . والسهوب : المستوية الواسعة . والبين : البعد ، إن جعل « بينها » مبتدأ مرفوعا . ويصح أن تكون ظرفا منصوبا ، أى مزاحف متباعد بينها . ط ، هـ : « بيتها » صوابه فى س .

(٢) الشجاع : الحية الذكر . والأرقم : حية فيها بياض وسواد ، وهى أخبث الحيات وأطلبها للناس . ط : « الشجاع بها ثوى » .

(٣) اللقى ، بالفتح : الذى لا يدرى لمن هو ، وابن من هو . ط ، هـ : « فتى » س : « لقد » ، وصواب الرواية ما أثبت من الجزء الأول ص ٢٥٨ والاقتضاب ٣٤٦ واللسان (ضيف ، رشم ، يتن ، لقى) . ضيفة : أراد أن أمه حملت به وقد دعيت إلى ضيافة ، فجاء حريصاً على الدعوات محبا للضيافات . وكنى عن زنى أمه . واليتن : الذى يخرج رجلاه عند الولادة قبل رأسه ، وكان يتشاءمون به ، لخروجه مقلوبا . والأرشم : الذى يتشمم الطعام ويحرص عليه . ط : « أرثما » ، س ، هـ : « أرسما » محرفان عما أثبت من المراجع المتقدمة وأدب الكاتب ١٢٧ .

(٤) مدامن جوعات : أى هو يدمن الجوع . وفى الأصل : « مدافع جرعات =

(روعة جلد الحية)

ولا ثوبَ ولا جَناحَ ، ولا سِتْرَ عنكبوتٍ[١] ، إلا وَقِشْرُ الحيَّةِ أَحْسَنُ منه وأرقُّ ، وأخفُّ وَأَنْعَمُ ، وأعجبُ صنعةً وتركيباً . ولذلك وصفَ كُثَيِّرٌ قميصَ ملِكٍ ، فشبَّهه بِسَلخ الحيَّة ، حيث يقول :

إذ ما أفادَ المَالَ أودَى بِفَضْلِهِ حقوقٌ ، فكُرْهَ العاذلاتِ يوافقُه
يجرِّر سِرْبالاً عليـه كأنَّه سَبِيءُ لهِزْلَى لم تُقطَّعْ شَرَانِقُهْ[٢]

والسَّبِىء : السَّلْخُ والجلد . قال الشاعر :

* وقد نَصَلَ الأظْفارُ وانسَبَأ الجِلْدُ[٣] *

= كأن عروقها » ، وصوابه من الاقتضاب ٣٤٧ واللسان (سمسم) ، ومعجم البلدان (سمسم) . جعل عروقه كأنها مسارب الحيات ، أى آثارها فى الرمال ، وهى ملتوية دقيقة . و « سمسم » بفتح السينين : اسم موضع . وتسربنه : مشين فيه . وفى الأصل : « يسر بن » ، وصوابه من المراجع المتقدمة . ويروى : « تشربن سمسما » بالشين المعجمة . والسمسم ، بفتح السينين أيضاً : السم . أى كثر فيهن السم فدقت أجسامهن ، لأن الحية إذا كثر سمها دق خلقها .

(١) المراد بستر العنكبوت : بيته الذى ينسجه . وقد نقل هذا الكلام فى ثمار القلوب ٣٤٠ . وانظر (٥ : ٤١١) .

(٢) السبىء : جلد الحية تسلخه . وجاءت هنا مهموزة ، يؤيد همزها الشعر بعدها . والهزلى بالزاى : الحيات . وجاءت فى الأصل بالذال ، وهو تحريف . والشرانق : سلخ الحية إذا ألقته . ط : « سرادقه » س ، هـ : « سرائفه » ، صوابه من اللسان (سبى) ومما فى (٣ : ٤٨٦) . وانظر المخصص (١ : ٢٤) .

(٣) نصلت أظفاره : خرجت . وانسبأ الجلد : انسلخ .

(صمم النعام والأفعى)

ونزعمُ العربُ أنَّ النَّعامَ والأفعى صُمٌّ لا تسمَع ، وكذلك هما من بين جميعِ الخَلْقِ . وسنذكرُ من ذلك فى هذا الموضع طرَفاً ، ونؤخر الباقِيَ إلى الموضعِ الذى نذكر فيه جملة القَوْل فى النَّعام .

(أصحاب الدعاوى الكبيرة)

وقد ابتَلِينا بضَرْبين من الناس ، ودعواهما كبيرة[١] ، أحدهما يبلغ من حبه للغرائب[٢] أن يجعل سمْعه هدَفاً لتوليد[٣] الكذَّابين ، وقلبَه قراراً لغرائب الزُّور . ولكَلَفِهِ بالغريب ، وشَغَفِهِ بالطُّرَف ، لا يقفُ على التَّصحيح والتمييز ، فهو يدخل الغثَّ فى السمين ، والممكنَ فى الممتنع ، ويَتَعَلَّقَ بأدنى سببٍ ثمَّ يدفع عنه كلّ الدَّفعِ .

والصِّنف الآخَر ، وهو أنَّ بعضهم يرى أنَّ ذلك لا يكون منه عنْدَ من يسمعه يتكلم إلا من خاف التقزُّزَ[٤] من الكذب .

(قول فى صمم الأفعى وعماه)

فزعم ناسٌ أنّ الدَّليلَ على أنّ الأفاعىَ صُمٌّ ، قولُ الشاعر :

---

(١) س ، هـ : « وعودها كثير » ؛ صوابه فى ط .

(٢) ط : « للغريب » .

(٣) هـ : « لتوكيد » ، وجهه ما أثبت من ط ، س .

(٤) ط ، س : « التقذر » هـ : « التقزر » صوابهما ما أثبت . وفى العبارة قبله اضطراب .

أَنْعَتُ نضناضا من الحيَّاتِ أصمَّ لا يسْمَـعُ للرُّقَاة(١)

وقد ذكروا بالصَّممِ أجناساً من خبيثات الحيَّات ، وذهبوا إلى امتناعها من الحروج عند رُقيةِ الرَّاقى عند رأس الجحْر ، فقال بعضهم :

٥٩

وذاتِ قَرْنَيْنِ من الأفاعى صَمَّاء لاَ تَسْمَعُ صَوْتَ الدَّاعِي

ويزعمونَ أنّ كلّ نَضْنَاضٍ أفعًى . وقال آخَر :

ومِنْ حَنَشٍ لا يُجِيبُ الرُّقَا ةَ أَرْقَشَ ذِى حُمَةٍ كالرِّشا(٢)

أصمَّ سَميـعٍ طـويلِ السُّبَا تِ مُنْهَرتِ الشِّدقِ عارِى النساَ(٣)

فزعم أنّه أصمُّ سميع ، فجاز له أن يجعله أصمّ بقوله : « ومِنْ حَنَشٍ لا يُجِيبُ الرُّقاة » . وقال الآخر :

أَصمَّ أَعْمَى لاَ يُجِيبُ الرُّقَى يَفْتَرُّ عَنْ عُصْلٍ حدِيداتِ(٤)

والأفعى ليس بأعمى ، وعينه لا تنطبق ، وإنْ قُلِعَتْ عينُه عادت . وهو قائمُ العَيْنِ كَعَيْنِ الجرادة ، كأنها مِسمارٌ مضروب . ولها بالليل شُعاع خفىٌّ . قال الرَّاعى يصفُ الأفعى :

---

(١) الرقاة : جمع راق . ورسمت فى الأصل بالتاء المفتوحة خطأ .

(٢) الحمة : إبرة الحية. والرشاء : الحبل . جعل الحمة كالرشاء فى الطول ؛ وهى مبالغة ظاهرة . ورويّ البيتين هو الألف .

(٣) منهرت الشدق : واسعه . والنسا ، بالفتح : عرق .

(٤) عصل : جمع أعصل بمعنى الملتوى . س ، هـ : « عضل » صوابه فى ط . وقبله كما سيأتى فى ٢٨٢ :

وكم طوت من حنش راصد للسفـر فى أعنى الثنيات

ويُدنى ذِرَاعَيهِ إذا ما تبادَرَا إلى رأسِ صِلٍّ قائمِ العَيْنِ أسفع [١]

وهذه صفةُ سَليمِ الأفعى [٢] فيجوز أنْ يكون الشاعِرُ وصفها بالتمنع من الخروج بالصَّمَم ، كما وصفَها بالعمَى ؛ لمكان السُّبات وطُول الإطراق .

قال الشاعِرُ :

أصمَّ سميـــع طويل السُّبات مُنهرت الشِّدْقِ عَارِى القَرَا [٣]

وقال آخر :

منهرتِ الشِّدقِ رَقُودِ الضُّحى سارٍ طَمُـورٍ بالدُّجُنَّاتِ [٤]

وَتَارَةً تَحْسَبُــــهُ مَيِّتاً مِنْ طُولِ إطْرَاقٍ وإخباتِ [٥]

يُسْبِتُهُ الصُّبْحُ وَطَـوْرًا لَهُ نَفخٌ وَنَفثٌ فى المغارات [٦]

وَيُعْلَمُ أَنَّهُ وَصفَ أفعى بقوله :

أصمَّ أعمَى لا يُجيبُ الرُّقَى يَفْتَرُّ عن عَصْلٍ حَدِيداتِ [٧]

مُنْهَرِتِ الشِّدْقِ رَقُودِ الضَّحَى « إلخ »

ثم ذكر أنيابَهُ ، فقال :

قُدِّمْنَ عَنْ ضِرْسِيْهِ وَاسْتَأْخَرا إلى صِمَاخَيْنِ وَلَهْوَات

---

(١) الأسفع : الأسود . ه : « أسقع » صوابه فى ط ، ه .

(٢) السليم : الملدوغ .

(٣) القرا : الظهر . وقد سبق نظير هذا البيت فى ١٧٩ س ٧ .

(٤) الطمور : الوثاب . طمر : وثب . والدجنات : الظلمات .

(٥) الإخبات : الاطمئنان والسكون .

(٦) يسبته الصبح : ينيمه . ط : « يثبته » صوابه فى س ، ه . والنفث : النفخ وفى الأصل : « نقب » . وهو تحريف صوابه مما سيأتى ص ٢٨٣ . ولا تنقب الحيات بل تنفث . والمغارات : جمع مغارة ، وهى الجحر . س : « المفارات » ولا وجه له .

(٧) مضى هذا البيت فى الصفحة السابقة .

فجعله أعصل[١] الأنيابِ ، منهرتَ الأشْداق ، ثمَّ وصفَها بالسُّباتِ وطولِ الإطراق ، وبِسُرْعَةِ النَّشْطَةِ[٢] ، وخفَّة الحركة ، إذا همَّت بذلك وكانت تعظم[٣] .

(شعر امرأة جمع صِفَةَ الحية)

وقد وصفتها امرأةٌ جاهليَّةٌ بجميع هذه الصِّفةِ[٤] ، إلاَّ أنها زادت شيئاً . والشِّعرُ صحيح . وليس فى أيدى أصحابِنَا مِنْ صِفَةِ الأفاعِى مثلها . ٦٠

وقد رأيتُ عندَ داودَ بن محمَّدٍ الهاشمىِّ كتاباً فى الحيَّات ، أكثَرَ من عشرةِ أجلادٍ ، ما يصحُّ منها مقدارُ جلد ونصف .

ولقدْ ولَّدُوا على لسانِ خلفٍ الأحْمَرِ ، والأصمعىِّ ، أرجازاً كثيرة . فما ظنُّكَ بتوليدِهم على ألسِنَةِ القدَماء !

ولقدْ ولَّدُوا على لسانِ جَحْشَوَيْهِ فى الحُلاَق أشعاراً ما قالها جَحْشَوَيه قط . فلو تَقَذَّرُوا من شيءٍ تقذروا من هذا الباب .

والشِّعر الذى فى الأفعَى[٥] :

قَدْ كاد يقتلنى أصمُّ مُرَقَّشٌ   من حُبِّكُمْ ، والخطبُ غيرُ كبير[٦]
خُلِقَتْ لَهَـازِمُهُ عزينَ ورأسُهُ   كالقُرْصِ فُلْطِحَ مِنْ دقيقِ شَعيرِ[٧]

---

(١) أعصل : أعوج . هـ : « أعضل » مصحف .
(٢) نشطت الحية تنشط وتنشط : عضت بنابها .
(٣) كذا بالأصل .
(٤) هذا المثبت فى س ، هـ أجزل من : « الصفات » المثبتة فى ط .
(٥) انظر نسبة الشعرفيما أسلفت فى (٢ : ٢١٤) .
(٦) رواية المؤتلف والأصمعيات : « من حب كلثم والخطوب كثير » .
(٧) ط : « أفطح » س : « فصلح » ، تحريف ما أثبت من هـ . وانظر شرح البيت فى (٢ : ٢١٤) .

وَيُدِيرُ عَيْناً لِلْوقاع كأنَّهَا سَمْرَاءُ طاحَتْ مِنْ نَفِيضِ بَرِيرِ [١]
وكأَنَّ ملقـــاه بكلِّ تَنوفةٍ مَلْقَاكَ كفَّةَ مُنْخلٍ مأطورِ [٢]
وكأنَّ شِدْقَيْهِ إذا اسْتَعْرَضْتَهُ شِدْقَا عَجُوز مَضْمَضَتْ لِطُهُورِ [٣]

فقد زعمتْ [٤] كما ترى أنها تدير عينا [٥] ، وزعم الأوَّلُ [٦] أنها قائمة العين . إلاَّ أنْ تزعُمَ أنها لم تَرِدْ بالإدارة أنْ مقلتَها تزولُ عن موضعها ، ولـكنّها أرادتْ أنّها جوّالةٌ فى إدراك الأشخاص ، البعيدةِ والقَريبة ، والمتيـامِنَة والمتياسِرَة .

وقد يجوزُ أنْ يكونَ إنَّمَا جعَلَهَا سميعةً [٧] لدقّةِ الحِسِّ ، وكثرةِ الاكتراث وجودةِ الشمِّ ، لا جَوْدَةِ السَّمْعِ ؛ فإنَّ الذين زعموا أنّ النعامة صمَّاءُ زعمُوا أنّها تَدْرِك مِن جهة الشمِّ والعَيْنِ ، جميعَ الأمورِ التى كانت تعرِفها [من [٨]] قِبَلِ السَّمْعِ لو كانتْ سَمِيعَة . وقد قال الشاعرُ [٩] فى صفة الحيَّة :

---

(١) فى الأصل : « للوقاح » ، صوابه من (٢ : ٢١٥) والمؤتلف والأصمعيات وعيون الأخبار (٢ : ١٠٢) . وسبق شرح البيت فى (٢ : ٢١٥) .

(٢) التنوفة : الأرض الفسيحة المتباعدة الأطراف . كفة المنخل : إطاره المستدير . والمأطور : ذو الإطار . وفى الأصل : « منجل »، والأوفق ما أثبت من المؤتلف ومن الأصل المصور لعيون الأخبار ؛ إذ أن إطار المنجل أصدق تصويراً للاستدارة والتحوى ، وهما مما توصف به الحيات . انظر لذلك ص ٢٠٠ س ١٢ - ١٤ ساسى . ورواية صدر البيت فى المؤتلف :

« وكأن مرصده بكل ثنية تلقاك . . . »

(٣) انظر ما سبق فى (٢ : ٢١٥) . والطهور ، بالضم : التطهر .

(٤) أى الشاعرة . وفى ط : « زعم » .

(٥) عنى الحية هنا. والحية تذكر وتؤنث .

(٦) هو الراعى . انظر ١٧٩ — ١٨٠ .

(٧) ه : « سميعاً » وهما وجهان جائزان . وفى القاموس : وأذن سمعة ويحرك وكفرحة ، وشريفة وشريف » .

(٨) ليست بالأصل.

(٩) هو الزيادى كما سيأتى فى ص ٢٨١ .

تهْوِى إلى الصّوْتِ والظلماءُ عاكِفَةٌ   تَقوُّرَ السَّيْلِ لاقَى الحَيْدَ فاطّلَعَا(١)

هذا بعد أن قال :

إنى وما تَبْتَغِى منى كملتمس   صيداً وما نالَ مِنْهُ الرِّىَّ والشِّبَعا

أهْوَى إلى بابِ جَحْرٍ فى مقدّمِه   مِثْلُ العَسيب تَرَى فى رَأسِه نَزَعَا(٢)

اللَّوْنَ أربَدُ والأنيابُ شابكةٌ

عصْلٌ تَرَى السمَّ يجرى بيْنَها قِطَعَا(٣)

أصم ماشمَّ مِنْ خَضراءَ أيبَسها   أو شمّ من حَجَرٍ أَوْهَاهُ فانْصَدَعَا(٤)

فقد جَعَلَ(٥) لها أنياباً عُصْلا ، ووصَفها بغاية الخُبْثِ وزعَمَ أنها لا تسمعَ .

فهؤلاء ثلاثة شعراء .

(الثقة بالعلماء)

فإن قلت : إنَّ المولَّدَ لا يؤمن عليه الخطأ إذْ كان دخيلاً فى ذلك الأمر ، وليس كالأعرابىِّ الذى إنمَا يحكى الموجودَ الظاهرَ له ، الذى عليه   ٦١

(١) التقور : التثنى . وفى الأصل : « قعود » ، ولم أجد له وجها ، وصوابه فى اللسان (قور) : والحيد بفتح الحاء : ما شخص من الجبل . وفى الأصل : « الجيد » وصوابه مما سيأتى ص ٢٨١ واللسان. واطلع : أشرف . جعل انسياب الحية فى سرعتها وتلويها كانسياب السيل إذا لاقاه حيد تثنى وأشرف على طريق آخر .

(٢) فى مقدمه : فى مقدم الجحر . والعسيب : السعف لم ينبت عليه خوص .

(٣) ط ، س : « شائكة » والأوجه ما أثبت من هـ . وشابكة : مشتبكة . وعصل : معوجات . هـ : « عضل » مصحف .

(٤) سبق الكلام على هذا البيت فى (٢ : ١٣٧ - ١٣٨) . ط : « ثم » موضع « شم » فى الموضعين ، وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « جعلوا » .

نَشَـأَ ، وبِمَعْرِفَتِهِ غَذى . فالعلماء الذينَ اتَّسَعُوا فى علم العرب ، حتى صاروا إذا أخبروا عنهم بخبر كانوا الثقاتِ فيما بيننا وبَينَهم ، هم الذين نقَلُوا إلينا . وسواءٌ علينا جعلوهُ كلاماً وحديثاً منثوراً[١] ، أو جعلوه رجزاً وقصيداً موزوناً[٢] .

ومَتَى أخبرنى بعضُ هؤلاء بخبر لم أسْتَظْهِرْ عليه بمسألة[٣] الأعراب . ولـكنهُ إنْ تَـكَلمَ وتحدَّثَ ، فأنـكرتُ فى كلامِهِ بعضَ الإعراب ، لم أجْعَلْ ذلك قُدوَةً حتى أُوقِفه عليه ، لأنه ممَّنْ لا يُؤْمَنَ عَلَيْهِ اللَّحْنُ الخفىّ قبْلَ التفـكر . فهذا وما أشبههُ حكمه خلافُ الأوَّل .

(الرُّقْيَـة)

والرّقْيَةَ تـكون على ضروب : فمنها الذى يدّعيه الحَوَّاءُ والرَّقَّاء ؛ وذلك يُشْـبِه بالذى يدَّعى[٤] ناسٌ [من[٥]] العزائمَ على الشياطين والجن ؛ وذلك أنهم يزعمون أن فى تلك الرّقْيَةِ عزيمة لا يمتنع منها الشيطان ، فـكيف العامر[٦] ؟ ! وأن العامِرَ إذا سُئل بها أجَاب ، فيكونَ هو الذى يتولى إخراجَ الحياتِ من الصّخْر . فإن كان الأمْرُ على ما قالوا فما ينبغى أن يكون بين خُـروجِ الأفاعى الصمِّ وغيرِها فرقٌ ، إذا كانت العزائم والرّقى

(١) ط : « أو حديثاً منثوراً » .

(٢) ط : « أو قصيدا موزونا » . وانظر الاستدراكات .

(٣) كذا فى ط ، هـ . والمسألة : مصدر ميمى من سأل . وفى س : « بمساءلة » .

(٤) ط فقط : « يدعيه » .

(٥) زيادة يفتقر إليها الـكلام .

(٦) العامر : ما يسكن بيوت الناس من الجن ، فيما يزعمون .

والنَّفْثُ ليس شيئاً[١] يعمل فى نفس الحيَّة ، وإنَّما هو شىءٌ يَعْملُ فى الّذِى يُخْرِجُ الحيَّة . وإذا كان ذلك [كذلك[٢]] فالسَّميعُ والأصمُّ فيه سواءٌ .

وكذلك يقولون فى التَّحبيب والتَّبغيض ، وفى النُّشرة[٣] وحلِّ العُقدة وفى التَّعقيد والتحليل .

(العزيمة)

ويزعمونَ أنَّ الجنَّ لا تجيبُ صاحبَ العزيمةِ حتى يَتوحَّشَ ويأتىَ الخراباتِ والبَرَارِىَّ ، ولا يأنَسَ بالناس ، ويَتَشَبَّهَ[٤] بالجنِّ ، ويغسل بالماء القَرَاح[٥] ، ويتبخَّر باللُّبانِ الذَّكر ، ويراعى المشترِىَ[٦] . فإذا دقَّ ولطُفَ ، وتوحَّش وعزم ، أجابتْهَ الجنُّ ، وذلك بَعْدَ أنْ يكون بدنه يصلُح هيكلاً لها ، [و[٧]] حتَّى يَلَذَّ دُخوله وَادِىَ[٨] منازلَها ، وألَّا يكرَهَ ملابستَه والكَوْنَ فيه . فإنْ هو ألَحَّ عليها بالعزائم ، ولم يأخُذْ لذلك أهبتَه خبلَتْه ، وربَّمَا قتلتْه ؛ لأنها تَظُنَّ أنَّهَ متَى توحَّش لها ، واحتمى ، وتَنَظف[٩]

(١) هـ ، س : « شىء » بالرفع ، صوابه فى ط .

(٢) زدتها مطاوعة لأسلوب الجاحظ .

(٣) النشرة ، بالضم : رقية يعالج بها المجنون والمريض .

(٤) فى الأصل : « ويشبه » .

(٥) ماء قراح ، كسحاب : خالص لا يخالطه شىء .

(٦) هو ذاك الكوكب : سماه المنجمون السعد الأكبر ؛ لأنه فوق الزهرة فى السعادة وأضافوا إليه الخيرات الكثيرة ، والسعادة العظيمة . عجائب المخلوقات .

(٧) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٨) كذا على الصواب فى س ، هـ . وفى ط : « وأرى » .

(٩) ط : « وتنطق » ، صوابه فى س ، هـ .

فقد فرغ . وهى لا تُجيب بذلك فَقَطْ[١] ، حتى يكونَ المعزِّمُ مشاكلاً لها فى الطِّباع .

فيزعمون أنّ الحيَّاتِ إنما تُخْرَجُ إخراجاً ، وأنَّ الذى يخرجها هو الذى يخرِج سمومَها مِنْ أجسادِ النّاس ، إذا عَزمَ عليها[٢] .

(التعويذ)

والرُّقيَةَ الأخرى بمَا يُعْرَفُ من التعويذ[٣] . قال أبُو عُبَيْدَةَ : سَمِعْتَ أَعْرَابِيًّا يقول[٤] : قد جاءكم أحَدُكُمَ يستَرْقِيكمْ فارْقوه . قال : فَعَوَّذُوهُ ببعض العوائذ[٥] .

والوجه الآخر مشتقٌ من هذا ومحمولٌ عَلَيْهِ ، كالرّجُلِ يقول : مازال فلانَ يرقى فلاناً حتّى لانَ وأجابَ .

(قول الشعراء والمتكلمين فى رقى الحيات)

وقد قالت الشعراء فى الجاهلِيَّةِ والإسلامِ فى رُقى الحيات ، وكانوا يؤمنون بذلك ويصدقون به ، وسنخبر بأقاويلِ المتكلمين فى ذلك ، ٦٣ وبالله التوفيق .

---

(١) أى أن الجن لا تجيب بالعزيمة فقط ، بل لا بد لها مع ذلك من أن يشاركها المعزم فى طباعها . وفى الأصل : « وهو لا يجيب » ، والوجه ما أثبت .

(٢) كذا على الصواب فى ط . وفى ه ، س : « عليه » .

(٣) س ، « التعويذة » .

(٤) ط ، « وقال سمعت أبا عبيدة يقول » ه : « وقال أبو عبيدة : سمعت يقول » وصوابهما ما أثبت من س .

(٥) كذا جاءت هذه الكلمة ، ولم أرها فى غير هذا الموضع ، والمعروف : « التعاويذ » جمع تعويذة ، و « العوذ » : جمع عوذة بالضم . و « المعاذات » بالفتح : جمع معاذة .

و [منهم[١]] مَنْ زعم أنَّ إخراجَ الحيّةِ من جُحْرها إلى الرّاقى ، إنما كان للعزيمة والإقْسام عليها ، ولأنها إذا فهمَتْ ذلك أجابَتْ ولم تمتنع .

وكان أميَّةَ بنُ أبى الصَّلت ، لايعرف قولَهم فى أنَّ العُمَّارَ هم الذين يُجيبون العزائم بإخراج الحيّاتِ من بُيوتها ، وفى ذلك يقول :

والحيّة الذَكر الرَّقشاءُ أخْرجَهَا   مِنْ جُحْرِها أَمَنَاتُ اللهِ والقَسَمُ[٢]

إذا دعا باسمها الإنسانُ أَوْ سَمِعَتْ   ذات الإلٰهِ بدا فى مشيها رَزَمُ[٣]

مِنْ خَلْفها حُمَّـةٌ لولا الَّذِى سَمِعَتْ   قد كانَ ثبتها فى جُحرها الحمَمُ[٤]

نابٌ حديدٌ وكفٌّ غيرُ وَادِعَةٍ   والخلقُ مختلفٌ فى القَوْلِ والشِّيَمِ[٥]

إذا دُعِينَ بأسماءٍ أَجَـبْنَ لهـا   لنَافثٍ يعتـديه اللهُ والـكَلِمُ

لولا مخافةَ رَبٍّ كان عذَّبَها   عرجاء تظْلَعُ ، فى أنْيابها عَسَمُ[٦]

---

(١) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الـكلام

(٢) فى اللسان : « ووصف أمية الحية بالحتفة فقال :

والحية الحتفة الرقشاء أخرجها   من بيتها أمنات الله والـكلم » .

وهى رواية الخصائص (١ : ١٥٤)، قال : « أنثوا المصدر لما جرى وصفا على المؤنث » ، يعنى الحتفة .

(٣) فى اللسان : « رزم البعير والرجل وغيرهما يرزم رزوما ورزاما : إذا كان لا يقدر على النهوض رزاحا وهزالا » . ورواية الديوان ٥٧ : « يرى فى سعيها رزم » .

(٤) كذا فى ط ، هـ والديوان ، وقد اسـتعمل المجاز فى « خلفها » كما يقول القائل : « من خلفه الشر والأذى » ، أى هو صاحب شر وأذى . والحمة ، بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة : السم ، وتجمع على حمم ، انظر اللسان . وفى س : « من خلفها حية » ولا توافق ما سيأتى من تعقيب الجاحظ فى الصفحة التالية س ٤ .

(٥) ناب حديد : حاد . وليس للحية كفٌ ، وإنما أراد كثرة ما يصيب الناس من شرها .

(٦) تظلع : تعرج وتغمز فى سيرها . وفى الأصل : « تطلع » ، صوابه فى الديوان . والعسم ، بالتحريك : أصل معناه يبس فى المرفق تعوج منه اليد ، فهو أراد به هنا الاعوجاج والانعقاف ، وهو من صفة ناب الحية . وفى الأصل والديوان أيضاً : « غشم » ، وأراها تحريفاً .

وقد بَلَتْهُ فذاقَتْ بَعْضَ مَصْدَقِهِ فليسَ في سَمْعِها ، من رَهْبَةٍ صَمَمُ[(١)]
فكيفَ يأمنها أَمْ كيف تألَفهُ وليس بينهما قُربَى ولا رَحِمُ !

يقول : لو أنَّها أخرجت[(٢)] حين اسْتُحْلِفَتْ بالله لما خرجت ؛ إذ ليس بينهما قُربَى ولا رَحِم . ثمَّ ذكر الحَمَّةَ[(٣)] والنّاب .

وقال آخرون : إنما الحيَّة مثل الضبّ والضّبع ، إذا سمع بالله والهدْم والصَّوت خرج ينظر . والحوَّاء إذا دنا من الجحْر رفع صوتَه وصفَّقَ بيديه ، وأكثرَ من ذلك ، حتى يخرج الحيّة ، كما يُخرجُ الضبَّ والضَّبع .

وقال كثيِّر :

وسَوداءَ مِطراق إلىَّ مِنَ الصَّفَا[(٤)] أَنِيٍّ[(٥)] إذا الحاوى دنَا فَصَدَا لها[(٦)]

والتَّصدية : التَّصفيق ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلاَتهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ الآية . فالمُكاء : صوتٌ بين النَّفخ والصَّفير . والتَّصْدِيَة : تصفيق اليد باليد .

فكان الحَوَّاء يحتالُ بذلك للحيّة ، ويُوهم مَنْ حَضَرَ أَنَّهُ بالرُّقية

---

(١) بلا الشئ يبلوه : اختبره . والمراد هنا عرفته بعد الاختبار . والضمير عائد إلى « نافث » فى البيت الذى قبل السابق . س ، هـ : « قد أبلته » ، وفى الديوان : « وقد بكته » ، صوابهما ما أثبت من ط .

(٢) س : « خرجت » .

(٣) الحمة ، بالضم الحاء وفتح الميم ، ويقال الحمة ، بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة أيضاً ، بمعنى السم .

(٤) الصفا : جمع صفاة ، وهى الصخرة الملساء الصلبة . ط ، س : « الصفا » صوابه فى هـ .

(٥) أنى ، من الأناة بمعنى البطء . ط ، هـ : « أتى » صوابه فى س .

(٦) ط : « إذا الحانوت » تصحيحه من س ، هـ . ورسمت « فصدا » بالألف وهى من الصدو ، بمعنى التصفيق . وفى ط : « فضدا » ، مصحفة .

أخرجها ، وهو فى ذلك يتكلَّمُ ويعرِّض ، إلا أنَّ ذلك صوتٌ رفيع . وهو لو رَفَعَ صوتَه ببيتِ شِعْرٍ أو بخرافةٍ ، لَكان ذلك والذى يظهر من العزيمة عندَ الحيَّة سَواءً . وإنَّما يُنْكر الصَّوتَ ، كما يُنكره الضّبُّ وغيرُ ذلك من الوحش .

ثمَّ قال :

كفَفْتَ يَداً عنها وأرضَيْتُ سَمْعَهَا من القَوْل حتَّى صدَّقَتْ ما وعى لها

وأشْعَرَتها نَفْثاً بليغاً ، فلو ترى وقد جعلت أن ترعنى النَّفْثَ بالها[1]

تسلَّتُها من حيث أدرَكَها الرّقى إلى الكَفّ لما سالمت ، وانسلالها ٦٣

فقال كما ترى :

* كففت يداً عنها وأرضيتُ سمْعَها * (البيت)

ثم قال :

* وأشعرتها نَفْثاً بليغاً فلو تَرَى *

وقال الأعشى[2] :

أبا مِسْمَعٍ إنى امرؤ مِن قَبِيلةٍ بَنَى لِيَ عِزًّا مَوْتها وحياتها

فلا تُلْمِس الأفعَى يديك تريدها إذا ما سعت يوما إليها سَفَاتُها[3]

---

(١) هـ : « يالها » .

(٢) النسبة فى المخصص (١٥ : ١٢٥) إلى أبى ذؤيب الهذلى . وفى معجم المرزبانى ٣٧١ ومجموعة المعانى ١٥٨ إلى خالد بن زهير الهذلى — وهو ابن أخت أبى ذؤيب الهذلى يخاطب معقل بن خويلد الهذلى ، فى قصة دخل فيها أبو ذؤيب الهذلى . وهذا هو الصواب فى النسبة .

(٣) السفاة ، بالفتح ، سيفسرها الجاحظ بعد . وفى ط ، هـ ، س : « سعى لها » وهو تحريف عجيب يفسد به الكلام ، ولا يستقيم به الشعر ، صوابه فى المرجعين المتقدمين وكذا المقصور والممدود ٥٣ والمخصص (١٠ : ٦٣) أيضاً . والرواية فى الجميع ماعدا معجم المرزبانى :
=

وقال آخر :

يَدْعُو بِهِ الحَيَّةَ فى أقطارِهِ[١] فإنْ أبَى شَمَّ سَفَا وِجَارِهِ[٢]

والسَّفا : التراب اليابس بين التربين. يقال سَفاً وسَفاة .

(تمويه الحواء والراقى)

والحوَّاء [و[٣]] الرَّاقى يُرِى[٤] النَّـاس أنَّهُ إذا رأى جحراً[٥] لم يخْفَ عليه : أجحر حيَّةٍ هو أمْ جُحر شيء غيره ، فإن كان جُحر حيَّةٍ لم يخف عليه أهى فيـه أم لا . ثمَّ إذا رَقى وعزَّم فامتنعت من الخُرَوجِ ، وخاف أنْ تـكون[٦] أفْعى صَمَّاءَ لا تسمَعُ ، وإذا أَرَاغَها[٧] ليأخذَها فأخطأ لم يأمن من أن تنقره نَقْرَةً[٨] لايُفْلِـحُ بعدها أبدا ، فهو عند ذلك يستبرى[٩] بأن يشمَّ من تراب الجحر ، فلا يخْفى عَلَيْهِ : أهى أفْعى أم حَيَّةٌ من سائر الحيات . فلذلك قال :

= فلا تلمس الأفعى يداك تريدها ودعها إذا ماغيبتها سفاتها

لـكن فى مجموعة المعانى : « صفاتها » . وانفرد المرزبانى بروايته :

ولا تبعث الأفعى تداور رأسها ودعها إذا ماغيبتها سفاتها

(١) ضمير أقطاره عائد إلى الحية ، والحية تذكر وتؤنث . وأقطار الحية : النواحى التى يسكن فيها . وضمير يدعو ، هو للراقى أو الحاوى .

(٢) أى إن أبى الحية أن يخرج ، شم الحاوى تراب جحره ، ليعلم : أهو فيه أم لا ؟ .

(٣) ليست بالأصل . وبها يلتئم الـكلام .

(٤) كذا على الصواب فى ط . وفى س ، ه : « يرق » محرفة .

(٥) ط ، س : « جحر حية » . والوجه حذف : « حية » للتعميم ، كما فى ه .

(٦) ط ، س : « يكون » أى مافى داخل الجحر . فله وجه . وأثبت مافى ه .

(٧) أراغها : طلبها . وفى الأصل : « راعها » والوجه ماأثبت .

(٨) انظر ماسبق فى تحقيق هذه الـكلمة ص ١١٥ .

(٩) مخففة من يستبرئ بمعنى يختبر . وبمعناها الدقيق : يطلب براءة الجحر مما قد يكون به من الأفاعى الصم والمؤذية .

* يدعو به الحَية فى أقطاره * (البيت)

والوجار : الجحر .

(ريح الأفعى)

وزعم لى بَعْضُ الحوَّائين أنَّ للحيَّات نَتْناً وسهَكاً ، وأن ريحَ الأفعى معروفَةٌ . وليس شىءٌ أعلقَ ، ولا أعْنقَ[1] ، ولا أسرعَ أخذاً لرائحةٍ من طينٍ أو تراب ، وَأَنَّهُ[2] إذا شمّ من طينة الجحْر لم يخْفَ عليه . وقال : اعتبرْ ذلك بهذا الطين السدانى[3] والرَّاهطى[4] إذا أُلقى فى الزَّعفران والكافور ، أو غير ذلك من الطِّيب ، فإنّه متى وُضع إلى جنب رَوْثَةٍ أو عَذِرَة ، قبِلَ ذلك الجسم .

والرَّقاء يوهم النَّاسَ إذا دَخَل دورهم لاستخراج الحيَّاتِ أَنَّهُ يعرف أماكنها برائحتها ، فلذلك يأخذ قصبة ويَشْعَب رَأسَها ، ثم يطْعن بها فى سقف البيت والزَّوايا ، ثمّ يشمها ويقول مرة : فيها حيَّات ؛ ويقول مَرَّةً : بلى ، فيها حيّات ، على قدْر الطمع فى القوم ، وفى عقولهم .

(تأثير الأصوات)

وأَمْرُ الصَّوتِ عجيبٌ ، وتصرُّفه فى الوجوه عجب . فمن ذلك أنَّ منه

---

(١) أى أسرع . ط : « أعق » س ، هـ : « اعتق » ولعل صوابهما ما أثبت .

(٢) ط ، هـ : « فإنه » والصواب فى س .

(٣) كذا بالأصل . ولعله : « السيرافى » نسبة إلى سيراف . وقد ذكره صاحب المعتمد فى الكلام على (طين قيموليا) .

(٤) الراهطى : نسبة إلى راهط ، وهو موضع فى غوطة دمشق ، كانت عنده الوقعة المشهورة : « مرج راهط » .

مايقتل ، كصوت الصاعقة . ومنها ما يسرُّ النفوس حتى يُفْرِط عليها[١] السُّرُورُ فتقلَقُ حتى ترقُص ، وحَتّى رُبما رمى الرَّجل بنفْسه مِن حالق[٢] . وذلك مثلُ هذه الأغانى المطرِبة . ومن ذلك ما يُـكْمِد . ومن ذلك ما يزيل العقْل حتى يُغْشَى على صاحبه ، كنحو هذه الأصواتِ الشجيةِ ، والقراءات الملحَّنة[٣] . وليس يعتريهم ذلك مِنْ قِبَلِ المعانى ؛ لأنهم فى كثير من ذلك لا يفهمون معانىَ كَلاَمهم . وقد بَكَى َما سرجويه[٤] من قراءة أبي الخوخ ، فقيل له : كيفَ بكيتَ من كتاب الله ولا تصدِّقَ به ؟ قال : إنما أبكانى الشجا !

٦٤

وبالأصوات ينوِّمون الصِّبيانَ والأطفالَ .

---

(١) ط : « عليه » صوابه فى س ، هـ .

(٢) الحالق : الجبل المرتفع . والمراد : مكان مرتفع .

(٣) من التلحين . ولابن قتيبة فى المعارف ٢٣٢ بحث جيد فى تلحين القرآن ، منه : « وكان القراء كلهم : الهيثم ، وأبان ، وابن أعين ، يدخلون فى القراءة من ألحان الغناء ، والحداء والرهبانية . فنهم من كان يدس الشيء من ذلك دساً رقيقا ، ومنهم من كان يجهر بذلك حتى يسلخه . فن ذلك قراءة الهيثم : أما السفينة فـكانت لمساكين يعملون فى البحر . سلخه من صوت الغناء كهيئة :

أما القطاة فإنى سوف أنعتها نعتا يوافق نعتى بعض مافيها

(٤) ما سرجويه : طبيب بصرى يهودى ، وكان أحد المترجمين من السريانية إلى العربية وهو الذى فسر كناش القس أهرن بن أعين ، وزاد عليه مقالتين .

وكلمة : « بكى » هى فى ط ، س : « بكاى » . وفى هـ : « بكا » وقد صححته .

(أثر الأصوات فى الحيوان)

والدَّوابُّ تَصُرُّ آذانها[١] إذا غنَّى المَكارِى . والإبل تصرُّ آذانَها إذا حدا فى آثارها الحادى ، وتزداد نشاطاً ، وتزيد فى مشيها[٢] . ويَجمع[٣] بها الصَّيَّادُونَ السَّمك فى حظائرهم التى يتَّخذونها له . وذلك أنَّهم يضربون بعصيٍّ معهم ، ويُعَطْعِطُونَ[٤] ، فتُقبِل أجناسُ السَّمكِ شاخصةَ الأبصار مصغيةً إلى تلك الأصوات ، حَتَّى تدخُلَ فى الحظيرة . ويُضْرَب بالطِّساس للطَّير ، وتُصاد بها . ويضرَبُ بالطِّساس للأُسْدِ وقد أقبلتْ ، فتروعُها تلك الأصوات .

وقال صاحب المنطق : الأيائِلُ تُصَادُ بالصَّفيرِ والغناء . وهى لا تنامُ مادامت تسمَعُ ذلك من حاذق الصوت . فيشغلونها بذلك ويأتون من خلفِها فإنْ رأوْها مسترخيةَ الآذانِ وثَبُوا عليها ، وإن كانت قائمة الأذنين فليس إليها سَبيل .

والصَّفير تُسْقى به الدوابُّ الماءَ ، وتنفِّرُ به الطير عن البذور .

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ الرَّعدَ الشَّدِيدَ إذا وافق سِبَاحَةَ السَّمك

---

(١) صرت الدابة أذنها : نصبتها للاستماع .

(٢) س : « مشيتها » .

(٣) ط ، هـ : « وتجمع » . وتأنيث الفعل مع جمع المذكر المكسر جائز ، ولكن جمع التصحيح المذكر كما هنا ؛ لايجوز فى فعله إلا التذكير ، خلافا للكوفيين الذين احتجوا بقوله تعالى : « إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل » ، ورد عليهم احتجاجهم بأن « بنو » ليس جمع تصحيح .

(٤) العطعطة : تتابع الأصوات واختلاطها .

فى أعلى الماء رمَتْ ببيضها[١] قبلَ انتهاء الأجل . [وربما تمّ الأجل[٢]] فتَسمعُ[٣] الرّعدَ الشّدِيدَ ، فيتعضَّل[٤] عليها أيّاما بعدَ الوقت .

(قول لأبى الوجيه العكلى)

وقال أبو الوجيه العُكْلِيُّ : أحِبُّ السّحابةَ الخَرْسَاءَ وَلا أُحِبهَا ! فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : لأنها لا تخرَسُ حتى تمتلئَ ماءً وتصبّ صَبًّا كثيراً ، ويكونَ غيثاً طَبَقاً[٥] . وفى ذلك الحَيَا[٦] . إلاّ أنّ الكماةَ لا تكون على قدْرِ الغيث . ذهب إلى أنّ للرَّعدِ فى الكمأة عملا .

(دعابة لجعفر بن سعيد)

وقال جعفر بن سعيد[٧] : سأل كسرى عن الكَمْأة فقيل له : لا تكون بالمطر دونَ الرَّعد ، ولا بالرّعْد دونَ المطر . قال : فقال كسرى : رشّوا بالماء واضربوا بالطبول ! وكان من جعفر على التمليح[٨] . وقد علم جعفرٌ أنّ كسرَى لا يجهل هذا المقدار .

(أثر الصوت فى الحية)

فالحيَّة واحدةٌ من جميع أجناس الحيوان الذى للصَّوتِ فى طبعه عمل .

---

(١) ط . هـ : « بيعضها » صوابه ، فى س .
(٢) الزيادة من س ، هـ .
(٣) فى الأصل : « فيسمع » .
(٤) يتعضل : يعسر خروجه . وفى الأصل : « فيتمطل » ، تحريف .
(٥) طبقاً : أى مالئا للأرض مغشيا لها .
(٦) الحيا ، بالقصر ، ويمد أيضاً : الخصب .
(٧) تقدمت ترجمته فى (٣ : ٤٦٩) .
(٨) التمليح : أن يأتى بشىء مليح . وأصل ذلك فى الشاعر ، وقد جعله هنا للمتحدث ط : « التملح » وهو التزود بالملح ، أو التجارة به ، وليس يليق بهذ الموضع ، وصوابه فى س ، هـ .

فاذا دنا الحوَّاء وصفق بيديه ، وتكلم رافعا صوتَه حتى يزيِّد[١] ، خرج إليه كلُّ شيء كان فى الجُحْر ، فلا يشكُّ من لا علم له أنَّ الحيّةَ خرجت من جهة الطاعةِ وخوْف المعصيَةِ ، وأنّ العامرَ أخرجها تعظيماً للعزيمة ، ولأنَّ المعتزم مُطاعٌ فى العُمَّار . والعامّة أسرعُ شيءٍ إلى التَّصديق .

(شعر فى الروح وهيكلها)

وفى [الرُّوح ، وفى[٢]] أنّ البدنَ هيكلٌ لها ، يقول سليمانُ الأعمى[٣] وكان أخا مسلم بن الوليد الأنصاريِّ . وكانوا لا يشكون بأنَّ سليمانَ هذا الأعمى ، كان من مُسْتَجيبى[٤] بشارٍ الأعمَى ، وأنّه كان يختلف إليه وهوغلَام فقبل عنه ذلك الدِّين . وهو الذى يقول :

إنّ فى ذَا الجِسمِ[٥] مُعْتَبَرًا لِطَلُوبِ الْعِلمِ مُقْتَبِسِهْ ٦٥

(١) يقال زيده ، بالتشديد ، فزاد وازداد .

(٢) زيادة تقتضيها صحة الكلام وسياق الحديث . وليست بالأصل . انظر الشعر الآتى .

(٣) سليمان الأعمى ، أو الضرير ، جعله الجاحظ أخا لمسلم بن الوليد ، كما هنا وكما فى البيان (٣ : ٢٠٢) حيث يقول : « وقال سليمان بن الوليد » . أما ياقوت وكذا الصفدى فى نكت الهميان ١٦٠ فقد جعلا مسلم بن الوليد أباه . قال ياقوت فى ترجمته : « وهو ابن مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغوانى ، الشاعر المعروف كان كأبيه شاعراً مجيداً . وكان ملازما لبشار بن برد يأخذ عنه ، ولذا كان متهما بدينه . مات سنة تسع وسبعين ومائة » . وأنشد له الشعر الآتى . انظر معجم الأدباء (١١ : ٢٥٥) . وفى عيون الأخبار (٣ : ٦١) : « سليمان الأعجمى » صوابه ما هنا .

(٤) من مستجيبى بشار : أى من قبلوا دعوته . ط ، ه : « محبى » س : « مستحى » صوابهما ما أثبت .

(٥) كلمة « فى » ساقطة من ط ، ه . وكلمة : « الجسم » هى فى الأصل : « العلم » ولا يتجه بها الشعر ، ولا المعنى الذى سيق من أجله الشعر . وأثبت الصواب من معجم الأدباء ونكت الهميان ص ١٦٠ . وكلمة « معتبرا » هى فى ط فقط « معتبر » محرفة .

هَيْـكَلٌ لِلرُّوحِ ينطقه عِرْقُهُ والصَّوْتُ من نَفَسِهْ[١]
لا تَعِظْ إلاّ اللَّبِيبَ فما يُعْدَلُ الضِّلعُ عَلَى قَوَسِهْ
رُبَّ مَغْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ فقَدَتْهُ[٢] كَفُّ مُغْتَرِسِهْ
وكذَاكَ الدَّهْرُ مأتَمُهُ أقربُ الأشياءِ مِنْ عُرُسِهْ

(قول فى شعر لأمية بن أبى الصلت)

وكانت العربُ تقول : كان ذلك إذ كان كلُّ شيء ينطق ، وكان ذلك والحجارةُ رَطبةٌ .

قال أُمَيّةَ :

وإذ هم لا لَبُوسَ لهم تَقِيهم وإذْ صمٌّ السِّلامِ لهم رِطابُ[٣]
بآيةِ قامَ ينطِقُ كلُّ شيءٍ وخانَ أَمانَةَ الدِّيك الغُرَابُ
وأُرْسِلَتِ الحمامَةُ بَعْدَ سَبْعٍ تدلُّ على المهالك لا تَهابُ
تَلَمَّسُ هَلْ ترى فى الأَرضِ عيناً وعاينة بها الماء العبابُ[٤]
فجاءَتْ بَعْدَمَا رَكَضَتْ بِقِطفٍ عليها الثَّأْطُ والطِّينُ الكُبابُ[٥]

---

(١) عرقه : يشير إلى أوتار الصوت . ط ، هـ ونكت الهميان : « عرفه » صوابه فى س والمعجم .

(٢) فى البيان والمعجم ونكت الهميان وعيون الأخبار : « عدمته » . ورواية الكامل ٧٧٣ موافقة لرواية الحيوان .

(٣) اللبوس ، بالفتح : الثياب والسلاح ، مذكر . فإن ذهبت به إلى الدرع أنثت . ويظهر من تأنيث الفعل بعده أن المراد بها هنا الدرع . والسلام ، بالكسر : جمع سلمة بكسر اللام ، وهى الحجارة .

(٤) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « وعانية بها أبناء العباب » . وانظر ما سبق من التحقيق فى (٢ : ٣٢١) .

(٥) فى الأصل : « عليها الناط » . وانظر ما أسلفت من التحقيق والشرح فى (٢ : =

فَلما فرَّسوا الآيات صَاغُوا لها طَوْقاً كما عُقِدَ السِّخابُ [١]

إذا ماتَتْ تُوَرِّثُه بنيها وإنْ تُقْتَلْ فليس له انْسِلابُ

فذكر رُطوبة الحجارة ، وأنّ كلّ شيء قد كان ينطِق . ثمّ خبّرَ عن منادمةِ الدِّيك الغرابَ ، واشتراطِ الحمامة على نوح ، وغيرِ ذلك ممّا يدلُّ على ما قُلْنَا . ثمّ ذكر الحيَّةَ ، وشأنَ إبليسَ وشأنَها ، فقال :

كذى الأَفْعَى ترَبَّبَهَا لَدَيْهِ وذى الجِنِّيِّ أرْسَلَهَا تَسَابُ [٢]

فلا رَبٌّ البريّة يأمَنَنْهَا ولا الجنىُّ أَصبح يُسْتَتَابُ

فإن قُلْتَ : إنَّ أميّة كانَ أعرابيًّا ، وكان بَدَوِيًّا [٣] ، وهذا من خرافاتِ أَعرَاب الجاهليَّة ، وزعمتَ أنّ أُمَيّةَ [٤] لم يأخذ ذلك عن أهْل الكتاب — فإنى سأنْشِدُك لعدِىِّ بنِ زيدٍ ، وكان نصرانيًّا دِيَانيًّا [٥] ، وتَرْجُمَاناً ، وصاحبَ كتب ، وكان من دُهاةِ أهل ذلك الدَّهر .

قال عدىُّ بن زيدٍ ، يذكرُ شأنَ آدم ومعصيتِه ، وكيف أَغواه ، وكيف دخل فى الحية ، وأنَّ الحَية كانت فى صورة جَمَل فمسخها الله عقوبة لها ، حين طاوعت عَدُوَّه على وليِّه . فقال :

= ٣٢١) . وقد سبقت رواية « عليه الشاط » أى على القطف . وأما ضمير « عليها » هنا فعائد إلى الحمامة .

(١) طوق الحمامة ، سبق القول فيه فى (٢ : ٣٢١) .

(٢) تربها : رباها . والتربيب : التربية . وفى الأصل : « تربها » محرف . وانظر لرواية الشطر الثانى ما سبق فى (٢ : ٣٢٢) .

(٣) فى الأصل : « مدربا » .

(٤) الكلام من مبدأ كلمة « كان » إلى هنا ساقط من س .

(٥) نسبة إلى الديانة . وفى الأصل : « ديانا » . والديان بمعنى الحاكم ، ولا وجه له هنا .

قضى لِستَّةِ أَيَّامٍ خَلِيقَتَهُ[١]   وكان آخرَها أَنْ صَوَّرَ الرَّجُلا

٦٦ دعاه آدمَ صوْتاً فاستَجَاب له
بِنَفْخَة الرُّوحِ فى الجسم الذى جَبَلَا[٢]

ثُمَّتَ أَوْرَثَهُ الفِرْدَوْسَ يَعْمُرُهَا   وزوجه صنعةً مِنْ ضِلْعِهِ جعَلَا

لم يَنْهَهُ رَبُّهُ عن غيرِ واحدةٍ   من شَجرٍ طَيِّبٍ: أَنْ شَمَّ أَوْ أَكَلَا[٣]

فكانت الحَيَّةُ الرَّقْشَاء إذْ خُلِقت   كما ترى نَاقَة فى الخلقِ أَوْ جَمَلا

فعَمَدَا للتى عن أَكلِهَا نُهِيَا   بأَمْرِ حَوَّاءَ لم تأْخُذْ لَهُ الدَّغَلا

كلاهما خاط إذ بُزَّا لَبُوسَهما   مِنْ ورَقِ التِّينِ ثوباً لم يكن غَزِلا[٤]

فلاطَهَا الله إذ أغْوَتْ خَلِيفَتَهُ   طولَ اللَّيالى ولم يجعَل لها أجلَا[٥]

تمشى على بطنها فى الدَّهر ما عَمِرَتْ   والتُّرب تأْكُلُهُ حزنا وإن سهُلَا[٦]

فأُتعِبـا أبوانَا فى حـياتِهما
وأوْجَدَا الجُوعَ والأوصابَ والعِلَلَا[٧]

---

(١) ط ، س : « خليقة » صوابه فى هـ .

(٢) ط : « فاسجاب له » ، تصحيحه من س ، هـ . وجبل : خلق .

(٣) أى عن شمها وأكلها .

(٤) بزا لبوسهما : أى سلبا ثيابهما . وفى الكتاب الكريم : « فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما » و : « لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما » . وفى ط ، هـ : « برا » وفى س : « بر » والوجه ما أثبت .

(٥) لاطها : ألصقها . وخليفة الله : آدم : « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة » . وقول عدى : « ولم يجعل لها أجلا » إشارة إلى ما يزعمون من أن الحية لا تموت إلا بعرض يعرض لها من قتل ونحوه .

(٦) عمر ، كفرح ونصر وضرب : بقى زمانا .

(٧) جرى الشاعر على نحو مذهب « أكلونى البراغيث » فى « فأتعبا أبوانا » . ط فقط : « فأبقيا » محرفة . وفى س ، هـ : « ووجد الجوع » .

وأوتيا الملك والإنجيلَ نقرؤه نَشْفى بحكمته أحْلامَنَا عِلَلَا[١]

مِنْ غيرِ ما حاجةٍ إلَّا لِيَجْعَلَنَا فوقَ البريَّةِ أرْبَاباً كما فَعَلَا[٢]

(عقاب حواء وآدم والْحية)

فرَوَوْا أنَّ كعبَ الأحبارِ قال : مكتوبٌ فى التوراة أنَّ حوَّاءَ عِنْدَ ذلك عُوقبت بعشر خصالٍ ، وأنّ آدم لمَّا أطاع حوَّاء وعصى رَبَّه عُوقب بعشر خصال ، وأنَّ الحيَّة التى دخل فيها إبليس عُوقبت أيضاً بعشْر خِصال[٣] .

وأوَّلُ خِصال حوّاء التى عُوقبتْ بها وجَع الافتضاض ، ثم الطلق ، ثمَّ النَّزْع[٤] ثمّ بقناع الرَّأس[٥] ، وما يصيبُ الوحَمى[٦] والنفساء من المكروه ، والقَصْرُ فى البيوت[٧] ، والحيض ، وأنَّ الرِّجال هم القوَّامون عليهنَّ ، وأن تكونَ عنْدَ الجماع هى الأسفل .

---

(١) الأحلام ، العقول . وعللا ، بدل من أحلامنا ، والضمير فيها مقدر ، أى : عالا فيها .

(٢) البرية : الخلق . وأربابا : جمع رب ، جاء فى اللسان : « الرب يطلق فى اللغة على المالك والسيد والمربى والقيم والمنعم . قال : ولا يطلق غير مضاف إلا على الله عزّ وجلّ . وإذا أطلق على غيره أضيف فقيل رب كذا . قال : وقد جاء فى الشعر مطلقا على غير الله تعالى ، وليس بالكثير ، ولم يذكر فى غير الشعر » .

(٣) هذا القول غير مطابق لما فى التوراة ، وبينه وبين ما فيها تفاوت . انظر سفر التكوين ، الأصحاح الثالث الآيات ١٤ — ١٩ . وانظر تنبيه الجاحظ على مرويات كعب فى ص ٢٠٢ .

(٤) أى نزع الولد .

(٥) أى لبس غطاء الرأس ، وحق هذه الخصلة أن تكون بعد تاليتها .

(٦) وحمت المرأة : حبلت واشتهت الطعام ، فهى وحمى من وحام ووحامى . ط ، س : « الوحم » ﻫ : « وما يصب الرحم » صوابه ما أثبت .

(٧) أى حبسهن فى البيوت . هذا . ومن عد هذه الخصال وجدها تسعا ، فلعله جعل الخامسة منهن اثنتين .

وأمّا خصال آدم صلى الله عليه وسلم : فالذى انتقص من ضُلوعه[1] ، وبما جعله الله يخافُ من الهوامِّ والسِّباع ، ونـكَد العَيش ، وبتوقع الموت ، وبسكنى الأرض ، وبالعُرْى من ثياب الجنَّة ، وبأوجاع أهل الدنيا ، وبمقاساة التحفظ من إبليس ، وبالمحاسبة بالطّرف[2] ، وبما شاع عليه من اسم العصاة .

وأمَّا الحيَّة فإنها عوقبت بنقص جَناحها ، وقطْع أرجلها ، والمشى على بطنها ، وبإعراء جلدها — حتى يقال : « أعْرَى مِنْ حَيَّة » وبشقٍّ لسانها — ولذلك كلما خافَتْ من القتل أخرجَتْ لسانها لتريَهم العُقوبة — وبما ألقِى عليها من عَداوةِ النَّاس ، وبمخافة الناس ، وبجعله لها أوَّلَ ملعون من اللَّحم والدَّم ، وبالذى يُنسب إليها من الـكذب والظلم .

(ظلم الحية وكذبها)

فأمّا الظلمفقولهم : « أظلم من حَيَّةٍ » . وأما الـكذب فأنها تنطوى فىالرَّمْلِ على الطَّريق وتَدْخِلُ بعض جسدِها فى الرَّمل ، فتظهر كأنها طَبقُ خيزُران ، ومنها حَيَّاتٌ بيضٌ قِصَارٌ تجمعُ بين أطرافها على طُرُقِ الناس ، وتستديرُ كأنها طَوْقٌ [أوْ[3]] خلخالٌ ، أو سوارُ ذهب أو فضةٍ — ولما تلقى على نفسها من السُّبات[4] ، ولمـا تَظهر من الهَرَب من الناس . وكلّ ذلك إنما تغرُّهُمْ وتصطادُهَمْ بتلك الحيلة ، فذلك هو كِذبُها . ٦٧

---

(١) فى الأصل : « من طوله » .

(٢) لعل المراد المحاسبة على ما تجنيه العين من جنايات النظر . وفى س : « وبالمحاسبة الطرف » .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) السبات ، بالضم : النوم .

(عقاب الأرض)

قال : وعُوقبت الأرضُ حين شَربَتْ دم ابن آدم[١] بعشرِ خِصال : أنبَتَ فيها الشّوك ، وصيَّر فيها الفيافىَ ، وخرق فيها البحار ، وملَّح أكثرَ مائها ، وخَلقَ فيها الهوامَّ والسِّباع ، وجَعَلَها قرارًا لإبْلِيسَ والعاصِين ، وجعل جهنَّمَ فيها ، وجعَلها لا ترْبِى ثمرتَها إلَّا فى الحرِّ ، وهى تعذَّب بهم إلَى يوم القيامة ، وجعلها توطأ بالأخْفافِ ، والحوافِر ، والأظلافِ والأقدام[٢] ، وجَعَلها مالحةَ الطَّعم .

(شرب الأرض للدم)

ثم لم تشرب بعد دمِ ابنِ آدمَ دَمَ أحدٍ من ولده ، ولا من غير ولده . قَالَ : وَلِذلك قال عمر بنَ الخطاب رضى الله تعالى عنه لأبى مريم الحنفيِّ[٣] : « لأنا أشَدُّ لك بُغْضاً مِنَ الأرْضِ للدم ! » .

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ الأرض لا تشرب الدَّم ، إلَّا يسيرًا من دماء الإبل خاصَّة .

(اختبار العسل)

وإذا أرادُوا أن يمتحنُوا جَوْدَة العسل من رداءته ، قَطَرُوا على الأرض

---

(١) هو الذى تسميه التوراة : « هابيل » . الأصحاح الرابع من سفر التكوين ، وقصته فى سورة المائدة ٢٧ - ٣١.

(٢) فى الأصل : « القوادم » .

(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ١٣٦) ، حيث تجد كلمة عمر الآتية . وتجدها كذلك فى عيون الأخبار (٣ : ١٣) والبيان (٢ : ٨٩) وبقية الحديث فيه : « قال : أفتمنعنى لذلك حقا ؟ قال لا ! قال : لاضير ؛ إنما يأسف على الحب النساء ! » .

منه قَطْرَةً . فإذا استدارت[1] كأنها قطعةُ زِئبقٍ ، ولم تأْخُذْ مِنَ الأَرْضِ ولم تُعْطِهَا[2] فهو الماذيُّ الخالصُ الذَّهبيُّ . فإن كان فيه غشوشةٌ[3] نفشت القَطْرة على [قدر] ما فيها ، وأخَذَتْ من الأرض وأعطتها . وإن لم يقدِرُوا على اللَّحم الغَريض[4] دَفَنُوهُ وغرّقوه فى العسل ، فإنهم متى رجعوا فغسلوه عنه وجَدُوهُ غضًّا طريًّا ؛ لأنّهُ ذهبيُّ الطِّباع ، ليس بينه وبين سائر الأجرام شيء . فهو لا يعطيه شيئاً ولا يأخذ منه . وكذلك الذَّهَبُ إذا كان مدفونا .

(زمن الفطحل)

وهذه الأحاديثُ ، وهذه الأشعارُ ، تدلُّ على أنَّهُمْ قد كانوا يقولون : إنَّ الصُّخورَ كانت رَطْبَةً ليِّنة ، وإنَّ كلَّ شيءٍ قد كانَ يعرِفُ وينطق ، وإنَّ الأشْجَارَ و النَّخل لم يكن عليها شوكٌ . وقد قال العجَّاج ، أو رُؤبه[5] :

أوْ عُمْرَ نُوحٍ زَمَنَ الْفِطَحْلِ ... وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كَطِينِ الوَحْلِ

(مرويات كعب الأحبار)

وأنا أظنُّ أنَّ كثيرًا مِمَّا يُحكى عن كعبٍ أنَّهُ قال : مكتوبٌ فى التوراة أنّهُ إنّما قال : «نجدُ فى الكتب» ، وهو إنَّما يعنى كتبَ الأنبياء ، والذى يتوارثونه من كتب سليمان ؛ وما فى كتبهم من [مثل[6]] كتب إشَعْياء[7] [وغيره[8]] .

---

(١) ط ، هـ : « فإن استدارت » .

(٢) س ، هـ : « يعطه » ط : « تعطه » وصوابه ما أثبت .

(٣) كذا فى الأصل . والمعروف : غشه غشا .

(٤) اللحم الغريض : الطرى .

(٥) انظر ما سبق من التحقيق فى ص ٨ .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) هو إشعياء ، بكسر أوله وفتح ثانيه وإسكان ثالثه كما ضبط فى العهد القديم . كان أحد أنبياء بنى إسرائيل . وقد تحدث عنه ابن الأثير فى الكامل (١ : ١٤٣ — ١٤٥) حديثاً طويلا ، وكتابه يشتمل على ستة وستين أصحاحا .

(٨) بمثل هذه الكلمة يصلح الكلام . وإلا فإن لإشعياء كتابا واحداً كما مر =

والذين يروون عنه فى صفة عُمَرَ بن الخطاب رضى الله عنه ، وأشباهِ ذلك ، فإن كانوا صَدَقوا عليه ، وكان الشيخ لا يضعُ الأخبارَ[١] فما كان وجهُ كلامه عندنا إلاّ على ما قلتُ لك .

٦٧

(نطق الحيّة)

وفى أنّ الحيّةَ قد كانت تسمعُ وتنطق ، يقول النّابِغَةُ[٢] فى المَثَل الذى ضَرَبَهُ[٣] ، وهو قوله :

أليس لنا مولًى يحبُّ سَرَاحَنا فيعذِرَنا من مُرَّةَ المتناصِرَه[٤]

لِيَهْنِكمُ[٥] أنْ قَدْ نَفَيْتُمْ[٦] بيُوتَنا مَحَلَّ عُبَيْدَانَ المحلِّإِ باقِرُه[٧]

= فى التنبيه السابق . فمن هذه الكتب كتب إرميا ، وحزقيال ، ودانيال ، ويوشع وعاموس ، وغيرهم .

(١) س : « وكان الشيخ يصنع الأخبار » .

(٢) من قصيدة له يعاتب بها بنى مرة . انظر الخزانة (٣ : ٥٥٦ بولاق) وخمسة دواوين العرب ٤٧ . ووهم الدميرى فى نسبة الشعر إلى النابغة الجعدى .

(٣) انظر قصة الشعر فى المصدرين المتقدمين ، والشعراء ١١٢ — ١١٣ والمحاسن والمساوى (٢ : ١٣٤) والدميرى (١ : ٤١٦) وأمثال الميدانى (١ : ٨٢) ومروج الذهب (٢ : ١٢٩) . وهى مما وضعه العرب على ألسنة الحيوان .

(٤) س : « يجيب سراحنا » .

(٥) كذا فى هـ . وفى س : « ليهنكمو » وهما كتابتان جائزتان ، وفى ط : « ليهنأكم » ، وفى خمسة دواوين العرب واللسان (مادة عبد) : « ليهنأ لكم » وهذه لغة غريبة .

(٦) فى الأصل : « لقيتم » . وتصحيحه من الديوان واللسان (عبد) .

(٧) فى البيت إقواء . وقال ابن برى : صواب إنشاده : « المحلئ باقره » بكسر اللام من المحلِّىء ، وفتح الراء من باقره . وعبيدان : ماء منقطع بأرض اليمن لا يقربه أنيس ولا وحش . أو هو بمعنى الفلاة . أو هو رجل له قصة ، ذكرها صاحب اللسان . والباقر : البقر . س ، هـ : « المحلات » محرف . وانظر الاستدراكات .

وإنى للاقٍ من ذَوِى الضِّغْنِ نَكْبَةً بلا عثْرَةٍ والنفس لابدّ عاثِرَه[1]

كما لَقِيَتْ ذاتَ الصَّفَا مِنْ حَلِيفها

وما انفَكَّتِ الأمْثَالُ فى الناسِ سَائِرَهْ[2]

فقالت له : أدْعُوك للعقْل وافرًا ولا تَغْشَيَنِّى منك للظّلمِ بادِرَهْ[3]

فواثَقهَا بالله حتَّى تَرَاضَيَا فكانَتْ تديه الجزْع خفْياً وظَاهِرَه[4]

فلما تَوَفَّى العَقْلَ إلّا أَقَلَّه وجارَتْ بِهِ نَفْسٌ عن الخيرِ جائِره[5]

تفكّرَ أنّى يَجْمَعُ اللهُ شَمْلَهُ[6] فيصبِحَ ذا مال ويقْتُلَ واتِرَه

فَظَلَّ على فأسٍ يُحِدُّ غُرابها[7] ليقتُلَها، والنَّفْسُ للقَتْلِ حَاذِرَهْ[8]

فلما وقاها اللهُ ضربةَ فأْسِهِ ولِلهِ عَيْنٌ لا تَغَمَّضُ ساهره[9]

فقَالَ : تعالَىْ نجعلِ اللهَ بينَنا على العَقْلِ حتى تُنْجِزِى لِىَ آخِرَه[10]

---

(١) الخزانة : « فإنى لألقى من ذوى الضغن منهم » .

(٢) ذات الصفا : الحية التى كان لها هذا المثل : وسميت بذلك لأنها تسكن فى الصفا ، وهى الحجارة الملس الصلاب .

(٣) العقل هنا بمعنى الدية . زعموا أن الحية قتلت أخا ذلك الحليف .

(٤) تديه الجزع : أى تعطيه دية أخيه من الجزع ، بالفتح ، وهو ضرب من الخرز فيه بياض وسواد . هـ : « تديه الجرح » محرف . ورواية الخزانة والديوان : « وكانت تديه المال غبا » . والغب بالكسر : أن تعطيه فى يوم ولا تعطيه فى الثانى . والظاهرة أصله من ظمء الإبل ، وهى أن تشرب كل يوم نصف النهار .

(٥) توفى العقل : أى أخذ الدية وافية كاملة .

(٦) رواية الديوان والخزانة : « تذكر أنى يجعل الله جنة » . والجنة بالضم : الوقاية . ورواية الشعراء : « تذكر أنى يجعل الله فرصة » .

(٧) غراب الفأس : طرفها . ورواية الميدانى والخزانة والشعراء : « أكب على فأس » .

(٨) والنفس : أى ونفسه . ورواية العجز فى الخزانة والميدانى والديوان : « مذكرة من المعاول باتره » .

(٩) ط : « ناظره » . ورواية الميدانى : « وللشر عين لا تغمض ناظره » .

(١٠) قال للحية : تعالى نجعل الله شاهداً بيننا على دية أخى حتى تنجزيها . س ، هـ : =

فقالت : يمينُ اللهِ ، أفعَلُ ؛ إنَّنى رأيتُك خَتَّارًا يَمِينُكَ فاجِره[1]
أَبَى لَكَ قبرٌ لا يزال مُواجِهاً وضربة فأْسٍ فوقَ رأسِى فاقِرَه[2]

فذهبَ النَّابِغَةُ فى الحيَّاتِ مذهبَ أميّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ ، وعدىٍّ ابنِ زيدٍ ، وغيرِهما من الشعراء .

(الصخور والأشجار فى ماضى الزمان)

وأنشدنى عبدُ الرحمن بن كيسان :

فكانَ رَطِيباً يومَ ذلك صخْرُها وكانخَضِيدًا[3] طَلْحُهاوَسَيَالُهَا

فزعمَ كما ترى أنّ الصُّخورَ كانت ليِّنَةً ، وأنّ الأَشجارَ : الطَّلْحَ والسَّيالَ كانت خَضِيدًا[4] لا شوكَ عليها .

وزعم بعضُ المفسِّرين وأصحاب الأخبار ، أنَ الشّوك إنما اعتراها فى صبيحة اليوم الذى زعمَتِ النَّصارَى فيه أنّ المسيح ابنَ الله .

= « فقالت لعلى يجمل » صوابه ، فى ط والديوان والخزانة والميدانى . ويروى : « على المال » و « على مالنا » .

(١) يمين الله : قسم من الأيمان . و « أفعل » أى : لا أفعل . وحذف « لا » بعد القسم كثير فى كلامهم . وفى الكتاب : « تالله تفتؤ تذكر يوسف » أى لا تفتأ . وانظر لهذا البحث أمالى المرتضى (٣ : ١٣٧) والمخصص (١٣ : ١١٥) والأضداد ١٤٨ . والختار : الغدار .

(٢) تقول : أبى لك أن تكون وفيا ما أسلف إلى أخوك الذى قبره مواجه لنا وكان أخوه فيما زعموا — ضربها بفأس ، فانتقمت منه بأن قتلته . ورواية الديوان والخزانة والشعراء : « أبى لى » أى أبى لى أن أخدع أو أن أضمن وفاءك وصدق التعاهد والتواثق . والضربة الفاقرة : القاطعة ، كأنها تقطع الفقار .

(٣) فى الأصل : « نضيدا » ، صوابه ما أثبت . وانظر تعقيب الجاحظ .

(٤) خضيد : فعيل بمعنى مفعول من خضد الشوك : أى قطعه . وفى الأصل : « خضيدة » وفعيل إذا كان بمعنى مفعول وذكر معه الموصوف استوى فيه المذكر والمؤنث .

(أثر قدم إبراهيم عليه السلام)

وكان مقاتلٌ يقولُ – حَدَّثَنا بذلك [عنه[١]] أبو عقيل السّواق، وكان أحدَ رواتِه والحاملين عنه – إنَّ الصُّخورَ كانَتْ لَيِّنَةً ، وإنّ قدمَ إبراهيم عليه السلام أثرت[٢] فى تلك الصخرة ، كتأثير أقدامِ الناس فى ذلك الزّمان .

٦٩ إلَّا أنَّ الله تعالى توّفى تلك الآثارَ ، وعفَّى عليها ، ومسَحَها ومحاها ، وترك أثرَ مقامِ إبراهيمَ صلى الله عليْهِ وسلم . والحجَّةُ إنما هى فى إفراده بذلك ومَحْوِ ما سواهُ من آثار أقدام الناس . ليس أنّ إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان وطئ على صخرةٍ خلقاءَ[٣] يابسةٍ فأثّرَ فيها .

(فضل المتكلمين والمعتزلة)

وأنا أقول على تثبيت ذلك بالحجة[٤] . ونعوذ بالله من الهَذر والتكلف وانتحالِ ما لا أقوم به . أقول : إنّهُ لولا مكانُ المتكلمين لهلكت العوامُّ من جميع الأمم ، ولولا مكانُ المعتزِلة لهلكت العَوَامُّ من جميع النِّحل . فإن لم أقل : ولولا أصحابُ إبراهيمَ وإبراهيمُ لهلكت العوامُّ من المعتزلة ، فإنى أقول : إنهُ قد أنهج لَهُمْ سُبُلاً ، وفَتَقَ لهم أمورًا ، واختصر لهم أبوابا ظهرتْ فيها المنفعة ، وشملتهم بها النعمة .

(١) الزيادة من س ، ه .

(٢) ط : « وإن قدما إبراهيم عليه السلام أثرتا » ، ويكون صواب ما فى ط : « وإن قدمى » الخ .

(٣) صخرة خلقاء : ملساء .

(٤) س : « الحجة » .

(ما يحتاج إليه الناس)

وأنا أزعُمُ أن الناس يحتاجون بَدِيًّا[1] إلى طبيعةٍ ثم إلى معرفة ، ثم إلى إنصاف . وأوَّل ماينبغى أنْ يبتدئ به صاحبُ الإنصافِ أمرَه ألاَّ يعطىَ نفسه فوقَ حقها ، وألاَّ يضعها دونَ مكانها ، وأن يتحفظَ من شيئين ، فإن نجاته لا تتمّ إلاّ بالتحفظ منهما : أحدهما تهمة الإلف ، والآخر تُهمة السَّابِقِ إلى القلب — والله الموفق .

(حديث عن تأليف هذا الكتاب)

وما أكثرَ ما يعرض فى وقت إكبابى[2] على هذا الكتاب ، وإطالتى الكلام ، وإطنابى فى القول ، بيتُ ابن هَرْمة ، حيث يقول :

إنَّ الحديثَ تغر القَوْمَ خَلوتُه ... حَتى يَلجَّ بهم عِىٌّ وإكثارُ[3]

وقولهم فى المثل : « كل مُجْر فى الخَلاءِ يُسَرُّ »[4] .

---

(١) بديا : أى بدءا . وفى الأصل : « ندبا » .

(٢) أكب على الشىء : أقبل عليه ولزمه . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « الباب » و س : « باب » و هـ : « أكبائى » .

(٣) خلوته : أى أن يختلى بعضهم ببعض لمداورته وتبادله . وفى الأصل : « حلوته » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف صوابه فى الجزء الأول ص ٨٨ حيث تجد موضع الاستشهاد بهذا البيت .

(٤) كذا الرواية الجيدة للمثل كما سبق فى الجزء الأول ص ٨٨ وأمثال الميدانى (٢ : ٧٣) وأمالى القالى (٢ : ٨٩) . وأصله أن الرجل يجرى فرسه فى المكان الخالى لا مسابق له فيه ، فهو مسرور بما يرى من فرسه . يضرب مثلا للرجل تكون فيه الخلة يحمدها من نفسه ، ولا يشعر بما فى الناس من الفضائل . وقد روى المثل أيضاً : « كل مجر فى الخلاء مسر » ، بجعل « مسر » اسم مفعول من « أسره » أى أفرحه . وهو فعل لم تنطق به العرب ، وإنما توهمه القائل ، كما أنشد الآخر فى عكسه : =

وأنا أعوذ بالله أنْ أُغَرَّ من نفسى ، عند غَيبةِ خَصمى ، وتصفحِ العلماء لكلامى ، فإنى أعلم أن فِتنةَ اللسانِ والقلمِ ، أشدّ من فِتنة النساء ، والحرص على المال .

وقد صادف هذا الكتابُ منى حالاتٍ تمنعُ من بلوغِ الإرادة فيهِ ، أوَّلُ ذلك العِلة الشديدة ، والثانية قلة الأعوان ، والثالثة طول الكتاب ، والرابعة أنى لو تكلفت كتاباً فى طوله ، وعددِ ألْفاظِهِ ومعانيهِ ، ثمَّ كان من كتب العَرَض والجوهر ، والطَّفرة[1] ، والتولد[2] ، والمداخَلة[3] ، والغرائز[4]

= وبلدة يغضى على النعوت يغضى كإغضاء الروى المثبوت

أراد : المثبت ، فتوهم : ثبته . انظر اللسان (سرر) وما أسلفت من التحقيق فى (١ : ٨٨) .

(١) الطفرة : مسألة كلامية تنسب إلى إبراهيم النظام ، كما فى الفصل (٥ : ٦٤) ، وهى قوله : إن المار على سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان بينهما أماكن لم يقطعها هذا المار ، ولا مر عليها ، ولا حاذاها ، ولا حل فيها . وانظر لذلك أيضاً الفرق بين الفرق ١٢٤ س ٦ — ٧ ، ١٥ وتأويل مختلف الحديث ١٦ س ٢ . وفى الأصل : « الصفرة » تحريف ظاهر .

(٢) التولد : مبحث كلامى ، وذلك أنهم اختلفوا فيمن رمى سهما فجرح به إنسانا ، أو غيره ، وفى حرق النار ، وتبريد الثلج ، وسائر الآثار الظاهرة من الجمادات ، فقالت طائفة : ماتولد من ذلك عن فعل إنسان أو حىّ ، فهو فعل الإنسان والحى . واختلفوا فيما تولد من غير حى ، فقالت طائفة : هو فعل الله . وقالت طائفة : هو فعل الطبيعة . وقال آخرون : كل ذلك فعل الله . وقد فصل ابن حزم الكلام فيه فى كتابه (٥ : ٥٩ — ٦٠) . وانظر مذهب الجبائى والنظام فى الفرق ١١٥ وبشر ، فى الفرق ١٤٣ . وفى الأصل : « التوليد » وصوابه مما سبق ومن تأويل مختلف الحديث ١٦ س ٣ .

(٣) المداخلة : مقالة كلامية لقوم زعموا أن الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والأصوات والخواطر ، أجسام ، وأن تلك الأجسام بزعمهم تتداخل فى حيز واحد . الفصل (٥ : ٦٠ – ٦١) . وقد ذهب النظام إلى ذلك . الفرق ١٢٢ .

(٤) الغرائز ، أى الطبائع الموجودة فى الأشياء ، كالحر للنار ، والبرد للثلج ، والإسكار =

والتماسّ (١) ــ لكان أسهلَ وأقصرَ أياماً ، وأسرعَ فراغاً ؛ لأنى كنت لاأفزَعُ فيه إلى تلقُّط الأشعار (٢) ، وتتبُّعِ الأمثال ، واستخراج الآىِ من القرآنِ ، والحجَجِ من الرِّواية ، مع تفرُّقِ هذه الأمورِ فى الكتب ، وتباعُدِ ما بين الأشكال . فإنْ وجَدْتَ فيه خالاً من اضطرابِ لفظٍ ، ومن سوءِ تأليف ، أو من تقطيعِ نظامٍ (٣) ، ومن وقوع الشىء فى غير موضعه (٤) ــ فلا تنكِرْ ، بعدَ أنْ صوَّرتُ عندك حالى التى ابتدأتُ عليها كتابى .

٧٠

ولولا ما أرجو من عَوْنِ الله على إتمامه ؛ إذْ كنتُ لم ألتمسْ به إلاَّ إفهامَك مواقعَ الحجَج لله ، وتصاريفَ تدبيره ، والذى أَوْدَعَ أصنافَ خلْقه من أصناف حكمته ــ لَمَا تعرَّضْتُ لهذا المكروه .

فإنْ نَظَرْتَ فى هذا الكتاب فانظُرْ فيه نظَرَ مَنْ يلتمس لصاحبه المخارجَ ، ولا يَذهَبُ مذهبَ التعنُّتِ ، ومَذْهَبَ مَنْ إذا رأى خيراً كتَمَهُ ، وإذا رأى شرًّا أذاعه .

وليعْلم منْ فَعَلَ ذلك أنَّه قد تعرَّض لباب إن أُخِذَ بمثله ، وتَعَرَّض له

= للخمر . أثبت ذلك قوم، ونفاه آخرون منهم الأشاعرة. الفصل (٥ : ١٤ — ١٥). وللجاحظ كلام طويل فيها فى هذا الجزء ٣١٣ — ٣١٩ ساسى .

(١) التماس ، ويقال أيضاً : المجاورة . باب من الكلام ، يبحث فى اتصال الأجسام بعضها ببعض ، كالماء باللبن ، والدقيق بالماء ، والزيت بالخل . وتجد أقسامه موضحةفى الفصل (٥ : ٦١). وانظر تماس العرش ومالكه فى الفرق بين الفرق ٢٠٤. ط ، هـ : « النحاس » س : « النخاس » وهما تحريف ما أثبت .

(٢) أفزع إليه : أى ألجأ . وفى الأصل : « أفرع » محرفة . والتلقط : التقاط الشىء من هنا وهناك . وفى الأصل : « التلفظ » ، وليس صوابا .

(٣) ط ، س : « ومن تقطيع نظام » ، وأثبت ما فى هـ .

(٤) هـ : « أو من وقوع » . . الخ ، وأثبت مافى ط ، س .

فى قوله وكتبه ، أنْ ليس ذلك إلاّ من سبيل العُقوبة ، والأخْذ منه بالظلامة .
فلينظرْ فيه على مثال ما أدَّب الله به ، وعرَّف كيف يكون النظر والتفكير والاعتبار والتعليم ؛ فإنَّ الله عزَّ وجلّ يقول : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ .

(الحكم الجليلة فى دقيق الأشياء)

فينبغى أنْ تكون إذا مررْتَ بذكر الآية والأعجوبة ، فى الفراشة والجِرجسَة[1] ، ألاّ تحقِرَ تلك الآية ، وتصغِّر تلك الأعجوبة ؛ لصغر قدرهما عندك ، ولقلَّة معرفتهما عِنْدَ معرفتك[2] ، ولصِغَر أجسامهما عند جسمك .
ولكن كنْ عند الذى يظهَرُ لك من تلك الحكم ، [و[3]] من ذلك التَّدبير ، كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِى الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكلِّ شَيْءٍ ﴾ قال ثمّ قال : ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ ثمَّ قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ .
وقد قال عامرُ بن عبد قيس[4] : « الكلمة إذا خرجتْ من القَلْبِ وقعتْ فى القَلب ، وإذا خَرجَتْ من اللسانِ لم تجاوز الآذان » .

---

(١) الجرجس ، بالكسر : البعوض الصغار . ط : « الحرجسة » ، صوابه فى س ، هـ .

(٢) فى الأصل : « عندك معرفتك » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) س : « عبد القيس » بإثبات « أل » وهو جائز فى العربية ، كما أسلفت فى (٣ : ٣٨٢) . وهو عامر بن عبد قيس بن ثابت التيمى العنبرى . تابعى ثقة من كبار التابعين =

(حث على الإخلاص والتنبّه عند النظر)

وأنا أعيذ نفسى بالله أنْ أقول إلاّ لهُ ، وأعيذك بالله أن تسمع إلاّ لهُ . وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلى الْهُدَى لَا يَهْتَدُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ . فَاحْذرْ من أنْ تكونَ منهم ، وممَّن يَنْظرُ إلى حكمة الله وهو لا يبصرها ، وَممَّنْ[1] يبصرها بفَتْح العَيْنِ واستماعِ الآذان ، ولكن بالتوقف من القلْب ، والتثبت من العقل ، وبتحفيظه وتمكينه من اليقين ، والحجَّة الظاهرة . ولا يراها من يُعرِضُ عنها . وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَا تَكونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ . وقال : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ولو كانوا صمًّا بُكماً وكانوا هم لايعقلون ، لَما عيَّرهم بذلك ، كما لم يعيِّر مَنْ خلَقهُ معتوهاً كيف لم يعقل ، وَمَنْ خَلَقهُ أعمى كيف لم يبصر ، وكما لم يَلُمِ[2] الدوابَّ ، ولم يعاقب السِّباع . ولكنَهُ سمّى البصير المتعامىَ أعمى ، والسميعَ المتصامِمَ[3] أصمَّ ، والعاقلَ المتَجاهلَ جَاهلاً .

٧١

وقد قال الله عزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

= وعبادهم . وكان غاية فى الزهد ، روى عنه فى ذلك روايات تدخل فى حدود المبالغة . انظر الإصابة ٦٢٨٠ . وكان من الأبيناء الفصحاء ، كما ترى ذلك فى مواضع كثيرة ، من بيان الجاحظ . ومات عامر فى خلافة معاوية . والخبر فى البيان ١ : ٨٣ .

(١) فى الأصل : « وأن » ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) ط ، هـ : « يكرم » صوابه فى س .

(٣) كذا جاءت بالفك .

فَانْظُرْ كما أمرك الله ، وانظرْ من الجهة التى دلّك مِنْهَا ، وخذْ ذلك بقوّة . قال تعالى : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَافِيهِ[1] ﴾ .

(عود إلى الحيات)

ثمَّ رَجَعَ بنا القولُ إلى مافى الحيَّات من العِلم والعِبرة ، والفائدةِ والحِكمة ؛ ولذلك قال أبو ذَرٍّ الغِفارىُّ : « لقد تركَنَا رسولُ الله صلى الله عليهِ وسلم ، وما يمرُّ بنا طائرٌ إلا وعِنْدَنَا من شأنه عِلْمٌ » . وهذا القول صحيح عن أبى ذر ، ولم يخصَّ أبو ذرٍّ خَشاش الطّيرِ من بُغاثها وأحرارها ، ولا ما يدخل فى بابةِ[2] الهمَج . وقد أريْناك من تحقيق قولهِ طرَفا . ولعلك إن جمعْتَ نظرك إلى نظرنا ، أنْ[3] تستتمَّ هذا الباب ، فقد قال الشاعر :

خليلىَّ ليس الرأىُ فى رأى واحدٍ[4] أشِيرَا عَلَىَّ الْيَوْمَ مَا تَرَيَانِ

وقال الأحنَف : « مامِنَ الناس أحدٌ إلاَّ وقد تعلَّمْتُ منه شيئاً ، حتَّى من الأمَةِ الوَرْهاءِ والعبْدِ الأوْرَه[5] » .

(أنواع الحيات)

والحيَّات مختلفاتُ الجهاتِ جدًّا ، وهى من الأمم التى يكثُرُ اختلافُ أجناسِها فى الضَّررِ والسمّ ، وفى الصِّغرِ والعِظَم ، وفى التعرُّضِ للنَّاسِ

(١) ما آتيناكم : أى الكتاب . وأصل الخطاب لبنى إسرائيل . بقوة : بجد وعزيمة . اذكروا مافيه : ادرسوه ولا تنسوه ، أوتفكروا فيه .
(٢) س ، هـ : « باب » ط : « بابه » ، وأثبت تصحيح مافى ط .
(٣) فى الأصل : « لم » .
(٤) رواية الراغب فى المحاضرات (١ : ١٢) : « فى صدر واحد » .
(٥) الأوره : الأحمق ، والأنثى ورهاء .

وفى الهرب منهم . فمنها مالا يؤذى إلَّا أنْ يكونَ النـاس قد آذَوْهَا مَرَّة . وأمَّا الأسوَدُ فإنّهُ يحقِدُ ويُطالب ، ويكمُـن (١) فى المتاع حتى يُدْرِك بطائلته . وله زمانٌ يقتلُ فيه كلَّ شىءٍ نهشَه .

وأمَّا الأفعى فليس ذلك عندَها ، ولـكنها تَظهر فى الصَّيفِ مع أوَّل الليل ، إذا سكَنَ وهَجُ الرَّمْل وظاهِرُ الأرض ؛ فتأتى قارِعَةَ الطَّريق حتى تستديرَ وتَطْحَنَ (٢) كأنَّها رَحًى ، ثمَّ تُلصِقُ بَدَنَهاَ (٣) بالأرض وتُشْخِصُ رأسها ، لئلاّ يدركَها السُّبات؛ معترضة ، لِئلاّ يطأها إنسانٌ أو دابَّةٌ فتنهشَه . كأنَّها تريد ألاّ تنهشَ إلّا بأن يُتَعَرَّضَ (٤) لها ، وهى قد تعرَّضت لنَهْشه باعتراضها فى الطَّريقِ وتناوُمها عليه ! وهى من الحيَّات التى ترصد (٥) وتوصف بذلك . قال مَعْقِل بن خَويلد (٦) :

أبا مَعْقِـلٍ لا تُوطِئَنْـكُمْ بَغَاضَتى
رُءُوسَ الأفاعِى فى مَراصِدِهَا الْعُرْمِ (٧)

---

(١) كمن يكمن ، من بابى نصر وسمع : استخفى . س : « ويكن » محرفة .

(٢) فى الأصل : « تنطحن » وصوابه ما أثبت . الجوهرى : طحنت الأفعى : ترحت واستدارت ، فهى مطحان . قال الشاعر :

بخرشاء مطحان كأن فحيحها ... إذا فزعت ماء هريق على جمر

(٣) ط : « بذنبها » ، والوجه ما أثبت من س ، هـ .

(٤) ط : « يعترض » ، والأشبه ما كتبت من س ، هـ .

(٥) ترصد : أى تكمن . والمراصد : المكامن .

(٦) معقل بن خويلد بن واثلة بن عمرو بن عبد ياليل الهذلى ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان أبوه رفيق عبد المطلب إلى أبرهة . معجم المرزبانى ٣٧١ والإصابة ٨١٣٠ .

(٧) يخاطب أبا معقل عبد الله بن عتيبة ، كما فى شرح أشعار الهذليين للسكرى ٣٨٣ تحقيق فراج . والبغاضة ، بالفتح : البغض . ورواية اللسان (رصد ، بغض ، عرم) والمخصص (٧ : ١٩٤) : « لاتوطئنك » .

يريد : الأفاعى فى مراصدها[1] . وكلُّ منقّطة[2] فهى عَرْماء ، مِنْ شاةٍ أو غير ذلك .

وقال آخر :

وكم طوَتْ من حَنَشٍ وراصِدٍ للسّفْرِ فى أعلى البيات قاصِدِ

والأفعى تقتُلُ فى كلِّ حالٍ وفى كلِّ زمان . والشُّجاع[3] يواثِبُ

٧٢ ويقوم على ذَنَبه ، وربّما بَلَغَ رأسُه رأسَ الفارس .

(ما يقتل الحية والعقرب من الحيوان)

وليس يقتلها — إذا تطوّقت على الطّريق وفى المناهج ، أو اعترَضتْها لتقطعها عابرةً إلى الجانب الآخر — شىءٌ كأقاطيع الشِّياهِ إذا مرَّت بها ، وكذلك الإبلُ الكثيرة إذا مرّت ، فإن الحيَّةَ إذا وَقَعَتْ بين أرجلها كان همتَها نفسَها ، ولم يكن لها همةٌ إلّا التَّخَلصَ بنفسها ؛ لئلاّ تعجلها بالوطء . فإن نجَتْ من وطء أيديها ، لم تنجُ من وطء أرجلها . وإنْ سلمَتْ مِن واحدةٍ لم تسلم من التى تليها ، إلى آخرها .

وقال عمر بن لَجَأ ، وهو يصف إبله :

* تَعَرُّض الحيَّاتِ فى خِرشائها[4] *

---

(١) ط : « بافالاعى » س ، ه : « بالأفاعى » صوابه ما أثبت من الجزء الخامس من الحيوان ص ٥٧٤ إذ لاداعى للباء . ويعنى الجاحظ أن العرم صفة للأفاعى ، لا للمراصد . ومراصدها : مكامنها .

(٢) فى الأصل : « منقطعة » ، تحريف . وفى المخصص (٨ : ١١١) : « الحية العرماء التى فيها نقط سود وبيض . وأنشد :

* رءوس الأفاعى فى مرابضها العرم * »

(٣) الشجاع : حية عظيمة .

(٤) فى اللسان (عفر ٢٦٤) : « تفرش » ، وفى الأغانى (٧ : ٦٤) : « تفرس » ، لعل صوابهما « تقرش » . والتقرش : التجمع . والخرشاء : جلد الحية وسلخها . وفى الأصل : « عساسها » ، صوابه من اللسان والأغانى .

وقال ذو الأهدام[1] :

* تُعْجِلها عن نهشها والنَّكْزِ[2] *

ومن ذلك أنَّ العقربَ تَقَعُ فى يد السِّنّور ، فيلعب بها ساعةً من اللَّيل وهى فى ذلك مسترخيةٌ مستخذِيةٌ لا تضربه . والسَّنانير من الخلْق الذى لا تسرع[3] السُّموم فيه .

(مسالمة الأفعى للقانص والراعى)

وربَّما باتت الأفعى عندَ رأسِ الرَّجل وعلى فراشه فلا تنهشُه . وأكثَرُ مايُوجَدُ ذلك من القانِص[4] والرَّاعى . قال الشاعرُ[5] :

تبيتُ الحيَّةُ النَّضْنَاضُ مِنهُ مكانَ الِحبِّ مستَمِعَ السِّرارِ[6]

قال : الِحبُّ : الحبيب[7] . والنضناض من الحيَّات : الذى يحرِّك

(١) ذو الأهدام ، هو متوكل بن عياض بن حكم بن طفيل ، ويسمى المتوكل الكلابى . وهو كذلك لقب لنويفع ، أو نافع بن سوادة الضبابى ، وقد هجا كل منهما الفرزدق بشعر ، فرد عليهما الفرزدق بنقيضة طويلة ، فى النقائض . وانظر المؤتلف ١٧٩ ومعجم المرزبانى ٤١٠ والقاموس المحيط .

(٢) نكزته الحية : لسعته بأنفها . والنكاز : ضرب من الحيات ينكز بأنفه ولا يعض بفيه. فى الأصل : « والمنكر » .

(٣) س : « تسرح »، وليست هناك .

(٤) القانص : الصائد . ط : « القاص » ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) هو الراعى الشاعر ، كما فى اللسان (حبب ، نضض) وأمالى القالى (٢ : ٢٣) والاشتقاق ٣٠٨ من تحقيق .

(٦) كذا . وصواب الرواية : « يستمع السرارا » . انظر المصدرين المتقدمين والمخصص (٨ : ٤٣ ، ٨ : ١١٠) .

(٧) وقيل الحب ، هنا : القرط . عن الأصمعى أنه سأل جندل بن عبيد الراعى ، عن معنى قول أبيه الراعى :

تبيت الحية النضناض منه مكان الحب يستمع السرارا

ما الحب ؟ فقال : القرط . فقال : خذوا عن الشيخ فإنه عالم . وقال صاحب العين : « الحب والحباب : القرط من حبة » .

لسانَه . وعن عيسى بن عمر قال : قلتُ لذى الرُّمّة : ما النضناض ؟ فأخرَجَ لسانَه يحرِّكه[١] .

وإنما يصف القانصَ وأنَّه يبيت بالقفْر . ومثلَه قولُ أبى النجم[٢] :

تحكى لَنَا الْقَرْنَاءُ فى عِرْزالها جَرْىَ الرَّحَى تَجْرى على ثِفالها[٣]

العِرْزال[٤] : المكان .

وفى ذلك يقول أبو وَجْزَة[٥] :

تبيت جارتَه الأفعَى وسامرَه رُمْدٌ به عاذرٌ منهنّ كالجَرَب[٦]

وقوله : رُمْد[٦] ، يريد البعوض . وعاذر : أثر[٧] .

(قصة فى مسالمة الأفعى)

قال : وبات يحيى بن منقاش مع دارم الدارمىّ ، فلما أصبح يحيى

---

(١) فى المخصص : « أبو حاتم : قيل لذى الرمة : وما الحية النضناض ؟ فحرك لسانه فى فيه ، يديره إدارة خفيفة : يحكيه » .

(٢) ويروى للأعشى ، كما فى اللسان .

(٣) الحية القرناء : التى لها لحمتان فى رأسها كأنهما قرنان ، وأكثر مايكون ذلك فى الأفاعى . هـ : « الفرماء » س : « الغرماء » ط : « الغروال » ، وهو تصحيف ما أثبت من اللسان (عرزل ، قرن) . و « لنا » هى فى ط : « بها » وفى اللسان : « له » . و « عرزالها » بكسر العين بعدها راء ساكنة وزاى . وفى الأصل : « غروالها » تصحيحه من اللسان . و « جرى » مفعول « تحكى » . وثفال الرحى : الجلد يبسط تحتها ليقى الطحين من التراب .

(٤) فى الأصل : « الغروال » تحريف . وفى اللسان : « عرزال الحية : جحرها » .

(٥) فى الأصل : « أبو وجرة » بالراء ، وإنما هو بالزاى المعجمة . وقد تقدمت ترجمته فى (١ : ٩٦) . وانظر أيضاً المعارف ٢١٥ والأغانى (١١ : ٧٥) .

(٦) فى الأصل : « ربد » بالباء ، صوابه من (٥ : ٤٠٥) .

(٧) العاذر : أثر الجرح . كما فى اللسان) .

رأى بينهما أفعَى مستويةً ، فوثب يحيى ليقتلها ، فقال له دارم . قد أعتقتُها وحرَّرتها ! ولِمَ تقتُلُها وهى ضجيعتى من أول الليل ؟ فقال يحيى :

أعوذُ بربِّى أن ترَى لى صحْبَتِى يُطِيفُ بنا ليلًا مُحَرَّرُ دارم
من الخرْسِ لاينجو صحيحاً سَليمُها وإن كان معقوداً بحلى التمائم[1]

(مسالمة العقارب للناس)

والعقاربُ فى ذلك دون الحيَّات ، إلا الجرَّارات ، فإنها ربَّما باتت فى لحافِ الرَّجُل الليلةَ بأسرها ، وتكونُ فى قميصه عامَّة يومها ، فلا تلسعه . فهى بالأفعى أشبَه .

٧٣ فأمَّا سائرُ العقارب فإنها تقصدُ إلى الضَّرر[2] ، فإذا ضربَتْ إنساناً فرَّتْ كما يصنع المسىءُ الخائف لِلعقابِ[3] .

والعقرب لاتضرب الميتَ ولا المغشىّ عليه ، ولا النائم إلَّا أن يحرك شيئاً من جسَدِه ، فإنها عند ذلك تضربُه .

(مسالمة العقارب للخنافس والحيات)

ويقال إنها تأوى مع الخنافس وتسالمُها ، ولا تصادق من الحيَّات إلا كلّ أسودَ سالِخٍ .

(عقارب نصر بن الحجاج)

وحدَّثَ أبو إسحاق المكى قال : كان فى دار نَصْر بن الحجاج السُّلمى

---

(١) السليم : اللديغ . وأراد معقودا به حلى التمائم ، فقلب .

(٢) فى الأصل : « الصوت » .

(٣) ط : «للمقارب» ، صوابه فى س ، ه .

عقاربُ إذا لسعَتْ قَتَلَتْ ، فدبّ ضيفٌ لهم على بعضِ أهلِ الدّار فضربَتْه عقربٌ على مذاكيره ، فقال نصرٌ يعرِّض به :

وَدَارِى إذا نَام سـكَّانُها أقامَ الحُدُودَ بهَا العَقْرَبُ
إذا غَفلَ الناسُ عن دينهم فإن عقاربهـا تضرب[1]

قال : فأدخَلَ النَّاسُ بها حَوَّاءً ، وحَكَوْا لهُ شأنَ تلك العقاربِ ، فقال : إن هذه العقاربَ تستقى منْ أسوَدَ سالِخٍ . ونظر إلى موضعٍ فى الدار فقال : احفِرُوا هاهنا . فحفَرُوا عن أسودَيْنِ : ذكرٍ وأنثى ، وللذَّكر خُصيتان ورَأَوْا حولَ الذَّكر عقاربَ كثيرةً فقتلوها .

(حديث عقرب والفضل بن العباس)

قال : وقال الفضلُ بن عبَّاس حين راهنه عقرب بالشِّعر[2] ، وقيل لكلِّ واحدٍ منهما : لسْتَ فى شيءٍ حَتَّى تغلِبَ صاحبك . فقال الفضل :

قَدْ تجَرَ العقربُ فى سوقِنا[3] لامَرْحَباً بالعقْرَبِ التَّاجِرَه

---

(١) فى المحاسن والأضداد ١٧١ : « فإن عقاربنا تغضب » . والقصة فيه وفى محاضرات الراغب (٢ : ١١٥) مخالفة لما هنا . ونقل الدميرى ما أثبت الجاحظ هنا . وزاد بعد هذا البيت :

فلا تأمنن سرى عقرب بليل إذا أذنب المذنب

(٢) عقرب هذا ، كان تاجراً من تجار المدينة ، ضرب به المثل فى المطل والتسويف ، فقالوا . « أمطل من عقرب » و : « أتجر من عقرب » . وكان الفضل بن عباس ابن عتبة بن أبى لهب ، من أشد الناس اقتضاء ، فاتفق أن عقربا عامل الفضل ، وماطله ، ولم يستطع الفضل مغالبته ، حتى اضطر إلى هجاء عرضه بالشعر الآتى . ﻫ : « راهنته عقرب »، وإنما هو رجل كما أسلفت . انظر اللسان (عقرب) وأمثال الميدانى (١ : ١٣٣) وعيون الأخبار (١ : ٢٥٦) والمحاسن والمساوى (١ : ٢٢٨) . و « عقرب » إذا سمى به رجل جاز صرفه ومنعه . وانظر الاستدراكات .

(٣) فى اللسان وأمثال الميدانى وشرح شواهد الشافية ٦٥ : « قد تجرت فى سوقنا عقرب » .

كل عَدُوٍّ يُتَّقَى مُقْبِلاً وعَقْرَبٌ تُخْشَى من الدّابِره[1]

كلُّ عدوٍّ كيدُه فى استِه فغيرُ ذى أيْدٍ ولا ضائرَه[2]

قَدْ ضاقت العقْرَبُ واستيقَنَت بأنَّ لادُنْيا ولا آخِرَه

إنْ عادت العقْرَبُ عُدْنا لها وكانتِ النَّعْلُ لها حاضِرَه

(من سمى بعقرب)

واسم أم حارثة بن بدر[3] ، عقرب . وآل أبى موسى يكتنون بأبى العقارب ومن هؤلاء الذين يكتنون بالعقرب : ابن أبى العقرب الليثىُّ الخطيب الفصيح ، الراوِية .

(حديث وخبر فى العقرب)

ورَوَوْا أنّ عقرباً لسعت النبىَّ صلى الله عليه وسلم فقال : « لَعَنَهَا اللهُ ، فإنَّها لاتُبَالى مَنْ ضربت ! » .

وقال الضبىّ : أنا عقربٌ ، أضرُّ ولا أنفع .

(الجرارات)

وكان الرَّجُلُ تلسعه الجرَّارة[5] بعسكر مُكْرَم[6] ، أو بجنديسابور ،

---

(١) وكذا الرواية فى عيون الأخبار . ورواية اللسان والأمثال : « وعقرب يخشى » .

(٢) الأيد : القوة . و : « ضائرة » أى غير ذى ضائرة . والضائرة : ماتضير ، أى تضر . ورواية عيون الأخبار : « لغير ذى كيد ولانائره » . والنائرة : الحقد والعداوة ، والكائنة تقع بين القوم .

(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ٧٧) .

(٤) فى (٥ : ٣٥٣) : « القينى » .

(٥) الجرارة : ضرب من العقارب الصغار تجرر بأذنابها . ط : « الجرادة » ، صوابه فى س ، هـ .

(٦) بضم الميم وفتح الراء ، بلد من بلاد خوزستان . منها أبو هلال العسكرى .

فتقتله ؛ وربما تناثر لحمه ، وربما تعفَّنَ وأنتن ، حتى لايدنُوَ منه أحدٌ إلا وهو مُخَـمِّرٌ أنفه[١] ، مخافة إعْدائه ، ولا سيما إن كان قد نال من اللحم وهو لايعلم أنَّ الوخْزَة التى وُخِزها كانت من جَرَّارة .

٧٤ وكانوا إذا شعَرُوا بها دَعَوا حجاماً ، يحجُم ذلك الموضعَ ويمصُّه ، قبلَ أن يتفشى فيه السّمُّ ويدخلَ تلك المداخل . فكان الحجَّام لايجيئهم حتى يقبضَ دنانيرَ كثيرةً . وإنما كانوا يجودون له بذلك ؛ لِمَا كانَ لصاحبهم فى ذلك من الفَرَج ، وما على الحجام فى ذلك من الضَّرَر . وذلك أنّ وجهه ربما اسمارَّ واربَدَّ ، وربما عطّلت مقاديم أسنانه وتوجّعت عليه ، فيلقى من ذلك الجهد ، وذلك لما كان يتّصل إلى فيه من بُخار الدَّم ، ومن ذلك السمّ المخالط لذلك الدّم . ثمَّ إنَّهم بعد ذلك حشَوْا أذناب[٢] المحاجِم بالقُطْن ، فصار القُطْنُ لايمنع قُوَّةَ المص والجذْب ، ولم يدَعْه يصلُ إلى فم الحجام . ثمَّ إنهم بَعْدَ مدَّة سُنَيَّاتٍ[٣] أصابوا نَبْتةً فى بعض الشُّعب[٤] ، فإذا عالجوا الملسوعَ بها حَسُنت حالُه .

والجرَّارات تألف الأخواء[٥] التى تكون بحضرة الأتاتين[٦] ، وتألف الحشوش[٧] والمواضع الناريّة . وسمُّها نار .

---

(١) خمر أنفه : غطاه .

(٢) ط : « أذباب » ، صوابه فى س ، هـ .

(٣) جمع سنية : تصغير سنة .

(٤) الشعب : جمع شعبة بالضم ، وهى المسيل فى الرمل ، أو التلعة الصغيرة .

(٥) الأخواء : جمع خوى ، بالتحريك والقصر ، وهو اللين من الأرض . وفى الأصل : « الأحواء » بالمهملة !

(٦) الأتاتين : جمع أتون ، بالفتح وتشديد التاء المضمومة ، وهو أخدود النار ، أو موقدها . وفى الأصل : « الأتانين » بنونين بينهما ياء ، محرف .

(٧) الحشوش : مواضع قضاء الحاجة ، جمع حش بالضم .

(قول ماسرجويه فى العقرب)

وقيل لماسرجويه : قد نجِدُ العقربَ تلسَعُ رجُلين فتقتلُ أحدَهما ويقتُلها الآخرُ[1] ، وربما نَجَتْ ولم تمُتْ ، كما أنّهُ ربما عُقِرت ولم تفتْ ، ونجدُها تضربُ رجُلين فى ساعةٍ واحدة ، فيختلفان فى سوءِ الحال . ونجدُها تختلف مواضعُ ضررِها على قدْر الأغذية ، وعلى قدر الأزمان ، وعلى قدْر مواضعِ الجسَد. ونجدُ واحداً يتعالج بالمَسُوس[2] فيحمَدُه ، ونجد آخرَ يُدخلَ يده [فى[3]] مدخلٍ حارٍّ من غير أنْ يكون فيهِ ماءٌ فيحمده ، ونجدُ آخر يعالجه بالنّخالة الحارَّة فيحمدها ، ونجد آخرَ يحجم ذلك الموضعَ فيحمَده ، ونجد كلّ واحدٍ من هؤلاء يشكو خلافَ مايوافقه ، ثم إنَّا نجدُه يعاود ذلك العلاج عند لسعةٍ أخرى فلا يحمده !

قال ماسرجويه : لما اختلفت السُّمومُ فى أنفسها بالجنس والقدر ، وفى الزَّمان ، وباختلاف ما لاقاهُ[4] اختلفَ الذى وافقه على حسب اختلافه .

وكان يقول : إنّ قولَ القائل فى العقرب : شرٌّ ماتكون حين تخرج من جُحرها ، ليس يعنون من ليلِتّها ــ إذْ[5] كان لابدَّ من أن يكون لها

(١) انظر الاستدراكات .

(٢) المسوس ، كصبور : الترياق الذى يعالج به الملسوع والملدوغ . ومنه قول كثير :
فقد أصبح الراضون إذ أنتم بها مسوس البلاد يشتكون وباها
ولفظ الترياق مأخوذ من اليونانية : Thériaké . وهذه مشتقة من : Thérion وهو اسم لما ينهش من الحيوان كالأفاعى ونحوها . انظر مفاتيح العلوم ١٠٣ وقاموس القرن العشرين ١٠٠٦ . وفى الأصل : « بالأمسوس » تحريف .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) ط ، هـ : « مالقاه » ، صوابه من س .

(٥) فى الأصل : « وإذا » .

نصيبٌ من الشدة — ولكنَّهُمْ إنما يَعْنُونَ : فى أوَّل ماتخرج من جُحرها عند استقبال الصَّيف ، بَعْدَ طولِ مُكْثِها فى غير عالَمِنَا وغذائِنا وأنفاسنَا ومعايشنَا .

(زعم العامة فى العقرب)

والعامّة تزعم أنها شرُّ ما تكون إذا ضربت الإنسانَ وقد خرج من الحمام؛ لتفتح المسامِّ[١] ، وسعَة المجارى ، وسخونة البدن . ولذلك صار سمها فى الصيف أشدَّ . هذا قولُ أبى إسحاق . كأنَّهُ كان يَرَى[٢] أنَّ الهواءَ كلما كان أحرَّ ، وكان البدنُ أسخنَ كان شَرًّا .

ونحن نجدهم يصرُخُون مِنْ لسعتها اللَّيْلَ كلَّه ، وإذا طلعت الشمسُ سكن مابهم . فإذا بقيت فضْلةٌ من تلك الجارحة فى الشمس فما أكثر ما يسكن. ٧٥ وسمومها باللَّيل أشدُّ ، إلَّا أن يزعم أنَّ أجوافَ الناس فى برد الليل أسخن وفى حرِّ النهار أفتر .

(الدّساس)

وزعم لى بعضُ العلماء[٣] ممّن قدْ روَى الكُتب ، وهو فى إرثٍ منها ، أنّ الحية التى يقال لها : الدسّاس[٤] ، تلد ولا تبيض ؛ وأنَّ أنثى النمور لم تضَعْ نمراً قط إلاّ ومعه أفعًى .

---

(١) س : « فى تفتح المسام » وهى عبارة جيدة .

(٢) ط : « يروى » ، صوابه فى س ، هـ .

(٣) ط : « وزعم لى فى بعض العلماء » ، والوجه حذف « فى » كما جاء فى س ، هـ .

(٤) الدساس : حية خبيثة . وفى الدميرى : « الدساسة بفتح الدال : حية صماء تندس =

(زعم استحالة الكمأة إلى أفاع)

والأعرابُ تزعم أنّ الكمْأة تبقَى فى الأرض فتُمْطر مَطْرَةً صَيفيّة ، فيستحيل بعضُها أفاعىَ . فسمِعَ هذا الحديثَ منّى بعضُ الرُّؤساءِ الطَّائيِّين[1] ، فزعم لى أنّه عايَنَ كمأةً ضخْمة فتأمَّلها ، فإذا هى تتحرَّك ، فنهض إليها فقَلَعها ، فإذا هى أفعًى . هذا ما حُدِّثته عن الأعراب ، حتّى برئت إلى الله من عيب الحديث .

(معارف فى الحيات عن صاحب المنطق)

وزعم صاحب المنطق أنّ الوزَغة والحيَّاتِ تأكُلُ الَّلحمَ وَالعُشب . وزعَمَ أنَّ الحيَّاتِ أظهَرُ كلَباً من جميع الحيوان ، مع قلَّة شربِ الماء . وأنَّ الأسدَ مع نَهمه قليلُ شرب الماء . قال : ولا تضبِطُ الحيَّاتُ أنفسَها إذا شمَّت ريحَ السَّذاب ، وربَّما اصطِيدَتْ به . وإذا أصابوها كذلك وجدُوها وقدْ سكِرَتْ .

قال : والحيات تبتلع البيض ، والفراخَ ، والعُشب .

وزعم أنَّ الحياتِ تسلَخُ جلودَها فى أوّل الرَّبيع ، عند خروجها من أعشّتها[2] وفى أوّل الخريف .

= تحت التراب اندساساً ، أى تندفن » . وفى اللسان : « أبو عمرو : الدساس من الحيات الذى لا يدرى أى طرفيه رأسه ، وهو أخبث الحيات ، يندس فى التراب فلا يظهر للشمس . وهو على لون القلب من الذهب المحلى » . وانظر لولادة الدساس ، مافى الاستدراكات . ط : « أن حية يقال لها الدساس » ، وأثبت ما فى س ، هـ .

(١) جمع طائى ، نسبة إلى قبيلة طيىء على الشذوذ . س : « الكمابيين » هـ : « الكمايين » . وكنت حسبتها : « الكميائيين » لكن وجدت تعقيب الجاحظ لايسعف بهذا .

(٢) المعروف فى جمع العش : عشاش وأعشاش وعششة ــ كعنبة ــ فهذا جمع رابع . =

وزعم أن السَّلْخ يبتدئ من ناحية عيونها أوّلاً . قال : ولذلك يظنُّ بعض من يُعانِيهَا[1] أنهَا عمياء .

وهى تسلَخُ من جلودها فى يوم وليلةٍ من الرَّأس إلى الذَّنَب ، ويصير داخل الجِلْد هو الخارج ، كما يُسلخ الجَنينُ من المشيمَة ؛ وكذلك[2] جميع الحيوان المحزَّز[3] الجسَد ، وكلُّ طائرٍ لجناحه غِلَافٌ مثل الجُعَل والدّبْر[4] وكذلك السَّرطان ، يسلخ أيضا ، فيضعف عند ذلك عن المشى .

وتسلخ جلودها مِرارًا .

(سلخ الحيوان)

والسَّلخ يصيب عامّة الحيوان : أمَّا الطير فتحْسيرها[5] ، وأمّا ذوات الحوافر فسلخُها عقائِقها[6] ، [وسلخ الإبل طرحُ أوْبارها ، وسلخُ الجراد انسلاخ جلودها[7]] ، وسلخ الأيائِل إلقاء قرونها ، وسلخ الأشجار إسقاط ورقها

= ولعل من غير المعهود استعمال العش لجحر الحية ؛ إذ العش خاص بالطائر . لكن الجاحظ جعله هنا للحية ، كما جعله أبو حيان التوحيدى للثعلب . قال فى الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٧١) : « الثعلب يهيئ عشه ووكره ، ذا سبعة أجحرة » . فقد زاد على الجاحظ باستعمال (الوكر) للثعلب أيضاً .

(١) بتقديم النون على الياء ، أى يقوم عليها ويهتم بشأنها . وفى القاموس : « ما يعانون مالهم : مايقومون عليه » .

(٢) ط ، هـ : « ولذلك » صوابه فى س .

(٣) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « المخرز » .

(٤) الدبر ، بفتح الدال ويكسر ، المراد به هنا أولاد الجراد . اللسان (دبر ٣٦٠) .

(٥) التحسير : سقوط ريش الطائر . ط : « فحسيرها » س ، هـ : « فحسرها » والصواب ما أثبت . وانظر ماسبق فى (٣ : ٥١٩ س ١٠) .

(٦) العقائق : جمع عقيقة ، وهى شعر المولود .

(٧) هذه التكملة من س ، هـ .

(أصل الأسروع)

والأسروع : دويْبَّةٌ تنسلِخُ فتصيرُ فَرَاشَةً . وقال الطِّرِمَّاح شعرًا :

وتجرَّدَ الأسْرُوعُ واطَّرَدَ السَّفَا وجرت بجالَيْهَا الحِدَابُ القَرْدَدُ[1]

وانسابَ حيَّاتُ الكَثِيبِ وأقْبَلَتْ وُرْقُ الْفَراشِ لما يَشُبُّ المَوقِدُ[2]

يصف الزَّمان .

والدُّعْمُوص ينسلخُ ، فيصير إمَّا بعوضةً وإما فراشةً .

(انسلاخ البرغوث)

وزعم ثمامةُ عن يحيى بن برمك[3] أنّ البرغوث ينسلخ فيصير بعوضة ، وأنّ البعوضةَ التى من سَلْخ دعموص رُبّمَا انسلخت[4] برغوثا .

والنمل تحدث لها أجنحةٌ ويتغيَّر خَلْقها ، وذلك هو سلخُها . وهُلْكُها يحين عند طيرانها .

٧٦

(١) الجالان : الجانبان . ط ، هـ : « بجاليها » س : « بحالبها » ، وصوابه ما أثبت من الديوان ص ١٤١ . والحداب : جمع حدب ، وهو ما أشرف من الأرض وغلظ . والقردد : المرتفعة الغليظة . وفى الأصل : « الجراد القردد » ، صوابه من الديوان ومما سيأتى ص ٢٥٦ . وقبل هذا البيت :

حتى إذا صهب الجنادب ودعت نور الربيع ولاحهن الجدجد

(٢) يقول : أقبل ذلك الفراش الذى فى لونه سواد وبياض ، إلى النار التى يشبها موقدها .

(٣) نسبه إلى جده ، وهو يحى بن خالد بن برمك ، سيد البرامكة ، وكان مؤدب الرشيد ومعلمه ، وكان الرشيد يدعوه بيا أبى ، فلما ولى هارون الخلافة دفع إليه الخاتم وقلده أمره . وكان جواداً حسن السياسة . ولما نكب الرشيد البرامكة قبض عليه وسجنه بالرقة إلى أن مات ، سنة مائة وتسعين .

(٤) فى الأصل : « تصلحت » ، والوجه فيه ما أثبت .

(انسلاخ الجراد)

والجراد ينسلخ على غير هذا النوع . قال الرَّاجز (١) :

* مَلْعُونَةٍ تسْلَخُ لَوْناً لَوْنَيْنِ (٢) *

(أثر البلدان فى ضرر الأفاعى ونحوها)

قال : وعضُّ السِّباع ذواتِ الأربع ، ولدغُ الهوامّ ، يختلفُ بقدر اختلافِ البُلدان ؛ كالذى يبلغُنا عن أفاعى الرَّمْل (٣) ، وعن جَرَّارات قرى الأهواز ، وعقارب نَصِيبين (٤) ، وثعابين مصر ، وهِنْدِيَّات (٥) الخرابات .

وفى الشِّبثان (٦) ، والزَّنابير ، والرُّتَيْلاَت (٧) ما يقتل . فأمَّا الطَّبُّوع (٨) فإنَّهُ شديدُ الأذى . وللضَّمج (٩) أذًى لا يبلغُ ذلك .

---

(١) هو عوف بن ذروة ، كما فى نوادر أبي زيد الأنصارى ص ٤٨ . وقد روى من الرجز تسعة أبيات .

(٢) رواية النوادر وما سيأتى فى (٥ : ٥٥٨) : « تسلخ لونا عن لون » . وقبل البيت :

* من كل سفعاء القفا والخدين *

(٣) الرمل : موضع بعينه ، كما فى ياقوت .

(٤) نصيبين : مدينة من بلاد الجزيرة ، كانت عندها وقعة مشهورة . وقد عرفت بكثرة عقاربها . انظر ما كتبت فى (٣ : ٣٥٣) . وفى الأصل : « الصين » ، وهو تحريف .

(٥) الهنديات : ضرب من الأفاعى ، سبق ذكرها فى ١٢١ . ط ، س : « هنذرايات » وأثبت صوابه من هـ .

(٦) الشبثان : جمع شبث بالتحريك ، وهو ضرب من الرتيلات .

(٧) الرتيلات : نوع من العناكب قتال .

(٨) الطبوع ، كتنور : دويبة ذات سم ، أو من جنس القردان ، لعضته ألم شديد .

(٩) الضمج : دويبة منتنة تلسع ، تسمى فى مصر بالبق . وهى : Cimex . وفى الأصل : « الصمخ » محرفة .

(أقوال لصاحب المنطق)

وقال صاحب المنطق : ويكون بالبلدة التى تسمَّى باليونانية : « طبقون » حيَّةٌ صغيرة شديدة اللَّدْغ ، إلا أن تُعالج بحجر ، يُخرَج من بعض قبور قدماء الملوك .

ولم أفهم هذا ، ولم كان ذلك .

وإذا أكل بعض ذوات السموم من جسَد بعضها ، كانت أردأ ما تكون سما ، مثل العقارب والأفاعى .

قال . والأيِّلُ إذا ألقى قُرونَه علم أنَّهُ قد ألقَى سلاحَه ، فهو لا يظهر . وكذلك إن سمن علم أنَّهُ يُطْلَبُ ، فلا يظهر . وكذلك أوَّلَ ما ينبت قرْنُهُ يعرِّضُه للشمس ؛ ليصلُب ويجفّ . وإن لدغت الأيِّلَ حيّةٌ أكلَ السَّراطينَ ؛ فلذلك نَظُنُّ أنَّ السَّراطينَ صالحةٌ لِلدَّيغ من الناس .

قال : وإذا وضعت أنثى الأيّل ولدًا أكلت مشيمتها . فَيُظَنُّ[1] أنّ المشيمَة شىءٌ يتداوَى به من عِلّة النفاس .

[قال] : والدُّبَّةُ إذا هربت[2] دفعت جِراءَها[3] بين يديها ، وإن خافت على أولادها غيَّبتها ، وإذا لُحقت[4] صعِدَتْ فى الشجر وحملَتْ معَها جِرَاءَهَا .

---

(١) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، ه : « فتظن » . وانظر السطر السابق .

(٢) ط ، س : « والدبة فإنها إذا هربت » . والأوفق حذف الكلمة الثانية كما فى ه .

(٣) كتبت هذه الكلمة ونظيرتها بدون همز فى الأصل . والجراء : جمع جرو : وهو ولدها .

(٤) يقال لحقه وألحقه : أدركه . وقرئ فى القنوت : « إن عذابك الجد بالكفار =

قال : والفهْدُ إذا عراه الدّاءُ الذى يقالُ له : « خانِق الفهود » أكل العَذِرَة فبرئ منه[1] .

قال ، والسِّباع تشتهى رائحةَ الفهودِ ، والفهدُ يتغيّب عنها ، وربّما فرَّ بعضها منه فَيُطْمِعُ فى نفسه ، فإذا أراده السّبعُ وثَبَ عليه الفهد فأكله .

قال : والتمساح يفتح فاه إذا غمّهُ ما قد تعلق بأسنانه ، حتى يأتى طائرٌ[2] فيأْكلَ ذلك ، فيكونَ طعاماً له وراحةً للتّمساح .

قال : وأمّا السُّلحفاة فإنّها إذا أكلت الأفعى أكلت صَعْتَرًا جبليًّا . وقد فَعَلت ذلك مرارًا ، فربما عادت فأكلت منها ثمّ أكلت من الصَّعتر مرارًا كثيرة ، فإذا أكثرت من ذلك هلكت .

قال : وأمّا ابنُ عِرس ، فإنّه إذا قَاتَلَ الحيَّةَ بدأ بأَكْلِ السَّذاب ، لأنّ رائحَةَ السَّذاب مخالفَةٌ للحيَّةِ ، كما أن سامَّ أبرصَ لا يدخلُ بيتاً فيه زعفران .

قال : والكلاب إذا كان فى أجوافها دُودٌ أكلت سُنبل القمح .

قال : ونَظُنُّ أنّ ابنَ عِرس يحتالُ للطيرِ بحيلة الذئب للغنم ؛ فإنهُ يذبحها[3] كما يفعل الذئب بالشاة .

قال : وتتقاتل الحيّات المشتركة فى الطُّعم .

= ملحق » بكسر الحاء ، أى لاحق . قال صاحب القاموس : « والفتح أحسن ، أو الصواب » . ط ، هـ : « ألحقت » وهى اللغة الضعيفة . وأثبت ما فى س .

(١) وجاء فى كتاب الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٦٧) : « الفهد إذا أكل العشبة التى تسمى خانقة الفهود ، يطلب زبل الإنسان فيأكله ويتعالج به » .

(٢) هذا الطائر هو المعروف بالقطقاط ، وهو أرقط صغير فى رأسه شوكة ، إذا أطبق التمساح فمه عليه نخسه بها فيفتحه .

(٣) انظر ما سيأتى فى (٥ : ٣٢٠) .

وزعَمَ أنَّ القنافِذَ لا يخفى عليها شيءٌ من جهة الرِّيح وتحوُّلها وهُبُوبها ، ٧٧
وأنهُ كان بِقسْطنْطِينِيَّةُ رجلٌ يُقَدّمُ وَيُعَظّمُ ؛ لأنه كان يعْرِفُ هُبُوبَ الرِّيح ويُخبرهم[1] بذلك . وإنما كان يَعرف الحالَ فيها بما يَرَى مِنْ هيئةِ القنافذ .

(العيون الحمر)

والعيُونَ الحمرُ لِلعَرَض المفارق ، كعين الغضبان ، وعينِ السّكران ، وَعَيْنِ الْكلْبِ ، وعَيْنِ الرَّمِدِ .

(العيون الذهبية)

والعيُون الذهبيَّةُ : عيونَ[2] أصناف البزاة من بين العُقاب[3] إلى الزُّرَّق.

(العيون التى تسرج بالليل)

والعيُون التى تَسْرِج بالليل : عيون الأسْد ، وعيون النمور ، وعيون السّنانير ، وعيون الأَفاعى[4] .

(خبر وشعر فى العين)

قال أبو حيَّة :

غضابٌ يُثِيرُونَ الذُّحُولَ ، عُيُونُهمْ كجَمْر الغَضَى ذَكَّيتُه فتوقّدَا[5]

---

(١) ط ، هـ : « ويخبر » .

(٢) ط ، هـ : « وعيون » ، والصواب حذف الواو كما فى س .

(٣) ط ، هـ : « المقارب » ، صوابه فى س .

(٤) سبق مثل هذا الكلام فى ص ١١٦ ، وسيأتى مثله فى (٥ : ٣٢٩) .

(٥) الذحول : جمع ذحل بالفتح ، وهو الثأر . س ، هـ : « الدخول » صوابه =

وقال آخر [١] :

وَمدَجِّجٍ يَسْعَى بشِكَّتِه محمرةٍ عيناه كالكلب [٢]

رجع بالكلب إلى صفة المدجَّج .

وقالَ معاويةَ لصُحارٍ العبدىِّ : يا أحمر ! قال : والذهب أحمر ! قال : يا أزرق ! قال : والبازى أزرق !

وأنشدوا :

ولا عيبَ فيها غيرُ شُكْلَة عينها

كذاك عِتاقُ الطيرِ شُكْلٌ عُيونُها [٣]

وقال آخر :

وشُكْلة عينٍ لَوْ حُبيت بِبَعْضِهَا

لكنت مكانَ العَيْنِ مرْاى وَمَسْمَعَا [٤]

= فى ط . وذكى النار : ألقى عليها ما تذكو به وتزيد اشتعالا . ط ، هـ : « ذكينه » ، ووجهه ما أثبت من س .

(١) انظر ماسبق فى (١ : ٣١٣) .

(٢) المدجج ، بكسر الجيم وفتحها ، كما فى المخصص (٨ : ٩٥) نقلا عن العين . وأراد به القنفذ ، لما عليه من الشوك . المخصص واللسان (دجج) . والشكة : السلاح . ورواية الكامل ٦٠٩ ليبسك :

ومدججا يسعى بشكته محمرة عيناه كالكلب

وهى الصحيحة ؛ لأن قبله فى الأغانى (١٢ : ٥٠) :

إذ لا ترى إلا مقاتلة وعجانسا يرفلن بالركب

(٣) يروى : « غير شهلة عينها » كما فى اللسان (شكل) ، وانظر تحقيقاً دقيقا فيه . وسيعاد البيت فى (٥ : ٣٣٠) .

(٤) هـ : « لو خبيت » ، صوابه فى ط ، س ورسائل الجاحظ ١٩٦ الرحمانية . والعين ، هنا : الشمس . ورواية الرسائل : « مكان النجم » .

(بعض ألوان العيون)

ومن العيون المغْرَب[١] ، والأزرق ، والأشكل[٢] ، والأسجر[٣] ، والأشهل[٤] ، والأخْيَف[٥] . وذلك إذا اختلفا .

(عين الفأر)

وعين الفأرة كَحْلاء ، وهى أبصَرُ بالليل من الفرَسِ والعقاب .

(شعر فى حمرة العينين وضيائهما)

وفى حمرة العينين وضيائهما يقول محمَّدُ بنُ ذُؤيب العُمانىُّ ، فى صفة الأسـد :

أجرأُ مِنْ ذى لِبْدَةٍ هَمَّاسِ[٦] عَضَنْفَرٍ مضبَّرٍ رهَّاسِ[٧]

---

(١) المغرب ، بفتح الراء : الأبيض . هـ : « الغرب » س : « العذب » صوابه فى ط .

(٢) الشكلة ، بالضم : حمرة فى بياض العين .

(٣) السجرة ، بالضم : مخالطة الحمرة لبياض العين ، فهى نحو الشكلة . ط ، هـ : « الأسحر » بالحاء ، صوابه فى س .

(٤) الشهلة ، بالضم : الحمرة فى سواد العين .

(٥) الخيف ، بالتحريك : زرقة إحدى العينين وسواد الأخرى . هـ : « والأحتف » ط : « والأخف » س : « و الأخسف » بإهمال الياء . وصواب أولئك ما أثبت .

(٦) الهماس : الشديد الغمز بضرسه .

(٧) المضبر : الموثق الخلق . وفى الأصل : « مضير » محرف . والرهاس : الذى يطأ الأرض وطئاً شديداً .

مَنَّاعِ أخْيَاس إلى أخْيَاس[١] كأنَّمَا عيناهُ فى مِراس[٢]

* شعاعُ مِقْبَاسٍ إلى مِقباس[٣] *

وقال المرَّار :

* مِثل ما وَقَّدَ عَيْنَيْهِ النَّمِر[٤] *

أصوات خشاش الأرض

نحو الضبّ ، والورل ، والحيَّة ، والقنفذ ، وما أشبه ذلك

يقال للضبّ والحيَّة والورَل : فَحَّ يفِحُّ فحيحاً . وقال رؤبة :

٧٨ فِحِّى فلا أفْرَقَ أنْ تَفِحِّى[٥] وَأنْ تَرَحَّىْ كَرَحَى المرحِّى[٦]

أصْبَحَ مِنْ نحنحةٍ وأَحِّ[٧] يحكى سُعالَ النَّشَزِ الأبحِّ[٨]

(١) أخياس : جمع خيس ، بالكسر ، وهو الأجمة يكون فيها الأسد . وإلى هنا بمعنى مع . ط : « أجناس إلى أجناس » س : « أخياس إلى أجناس » صوابهما فى ه .

(٢) أى فى أثناء ممارسته الصيد .

(٣) المقباس : شعلة النار تقتبس . وإلى ، بمعنى : مع .

(٤) فى الأصل : « كأنما وقد » ، . وصواب روايته من المفضليات ٨٧ . وصدره :

* حنق قد وقدت عيناه لى *

(٥) أفرق : أخاف . والفرق ، بالتحريك : الخوف . ورواية اللسان : « ياحى لا أفرق » ، أى يا حية .

(٦) يقال رحت الحية ترحو ، وترحت تترحى : إذا استدارت . وأما رحت ترحى بالتشديد فلم أره فى معجم ، وهذا لا ينفى صوابه . والمرحى : الذى يسوى الرحى . وهذا البيت وما قبله سيماادان فى (٦ : ٤٢) ،ورواية اللسان : « أو أن » .

(٧) أح يؤح : إذا سعل . وكلمة « أصبح » هى فى الأصل : « أصح » تحريف . ورواية اللسان : « يكاد من تنحنح وأح » . قال : « يصف رجلا بخيلا إذا سئل تنحنح وسعل » .

(٨) النشز ، محركة : المسن القوى . والأبح : الذى غلظ صوته من داء . ورواية اللسان :

* يحكى سعال النزق الأبح *

قال : الفحيح : صوتُ الحيَّة منْ فيها . والكشيش والقشيش[1] : صوتُ جلدها إذا حكّت بعضه ببعض . قال الرّاجز[2] فى صفة الشّخْب والحلب :

حَلبْت لِلأَبْرَش وهو مُغْضِ حمراءَ منها شخْبَةٌ بالمحض[3]
ليستْ بذات وَبَرٍ مبيضٍ كأنَّ صَوتَ شخْبها المرْفَضِّ[4]
* كشيشُ أفعَى أجْمعت لعَضٍّ[5] *

ويقال للضَّبِّ والورل : كش يكِش كشيشا . وأنشد أبو الجرّاح :

ترَى الضَّبَّ إن لم يرهب الضبُّ غيرَه يكِشُّ له مُستكبرًا ويُطاوِلُه[6]

باب

من ضرب المثل للرَّجُلِ الداهية وللحى الممتنع بالحيَّة

قال ذو الإصبع العَدْوانىُّ :

عَذِيرَ الحىِّ مِنْ عَدْوا نَ كانوا حَيَّةَ الأرض[7]

---

(١) فى الأصل : « النشيش » ، صوابه من (٦ : ١٣٩) .

(٢) هو معتمر بن قطبة ، كما فى تاج العروس (كشش) .

(٣) حمراء : أى ناقة حمراء .

(٤) المرفض : الذى يتتابع سيلانه وترششه . وفى الأصل : « كأن شخب صوتها » صوابه فى المخصص (٨ : ١١٥) والخزانة (٤ : ٥٧١ بولاق) وأدب الكاتب ١٢٥ والاقتضاب ٣٤٥ واللسان (كشش) .

(٥) أجمعت : من الإجماع ، وهو العزم على الشىء . وفى الكتاب : « فأجمعوا أمركم » . س ، هـ : « جمعت » ، وأثبت ما فى ط والمصادر المتقدمة . وبعد هذا البيت :

* فهى تحك بعضها ببعض *

ومثل هذا المعنى قول الآخر فى الاقتضاب وأمالى الزجاجى ١٢٠ واللسان (فا) :

كأن صوت شخبها إذا همى صوت الأفاعى فى خشى أشخما

(٦) فى الأصل : « مستنكرا » صوابه فى (٦ : ٦٨ ، ١٣٩) . والبيت لابن ميادة .

(٧) فى ثمار القلوب ٤٠٩ : « العرب تقول للرجل المنيع الجانب : حية الأرض » .

بَغَى بعضُهمُ ظلماً فلم يُرْعِ على بَعْضِ [١]
وفيهم كانَتِ السَّادا تُ والموفُون بالقرْضِ [٢]

يقال: «فلانٌ حَيّةُ الوادى»، و«ماهو إلّا صِلُّ أصلال [٣]». والصِّلُّ: الداهية والحيَّة. قال النَّابِغَةُ:

ماذَا رُزِئْنَا بهِ من حَيَّةٍ ذَكَرٍ نَضْنَاضَةٍ بالرَّزايا، صِلِّ أصلالِ [٤]

وقال آخر:

صِلٍّ صفًا تَنْطِفُ أنيابُهُ بِمِام ذيفانٍ مجيرات [٥]

وقال آخر [٦]:

مُطْرِقٌ يرشَحَ سمًّا، كما أطْرَقَ أفْعَى يَنْفُثُ السمَّ صِلٌّ

ومن أمثالهم: «صَمِّى صَمامِ [٧]» وَ«صَمِّى ابْنَةَ الجبل [٨]» وهى الحيَّة.

---

(١) روايته فى حماسة البحترى ١٦٩: «بغى بعضهم بعضا * فلم يرعوا».
(٢) القرض: ما يتجازى به الناس بينهم من إحسان، أو إساءة. يقول: هم قادرون على مقابلة الإحسان بالإحسان، والإساءة بمثلها. وفى ذلك المروءة، والقدرة. س: «بالعرض»، وأثبت ما فى ط، هـ. والشعراء ٦٩٠.
(٣) ويقال ضل أضلال، كما فى اللسان (ضلل) والمزهر (١: ٣٢٣).
(٤) رزئنا به: أصبنا. وفى ط، هـ: «رأينا» و س: «رأيت»، وصوابه من اللسان (صلل) وثمار القلوب ٣٣٦ وأمثال الميدانى (١: ٢٤). من حية: يقول: هو حية. والنضناضة: التى تحرك لسانها. أنثها ناظرا للفظ الموصوف.
(٥) تنطف أنيابه: يقطر منها السم. ط: «تنظف»، صوابه فى س، هـ. والسمام: جمع سم. والذيفان بالفتح والكسر: السم الناقع.
(٦) هو تأبط شرا، كما سبق فى (٣: ٦٨) والحماسة (١: ٣٤١)، وشرحها (٢: ١٦٠ - ١٦١).
(٧) صم يصم، بفتح الصاد فيهما. وصمام كقطام: الداهية. والمثل يضرب للرجل يأتى بالداهية. اللسان وأمثال الميدانى (١: ٣٦٢).
(٨) ابنة الجبل: الحية. أى لاتجيبى الراقى ودومى على حالك. يضرب للفريقين إذا أبيا الصلح ولجا فى الخلاف. أمثال الميدانى. وتكون ابنة الجبل أيضاً الداهية العظيمة، والصدى، أو الصخرة. اللسان (صمم).

قال الكميت :

إذا لَقِيَ السَّفِيرَ لها ونادَى بها : صَمِّى ابْنَةَ الجَبَلِ ، السَّفِيرُ [١]

(قولهم : جاء بأم الرُّبيق على أريق)

ومن أمثالهم : « جاء بأمِّ الرُّبَيق على أُرَيق [٢] » أمُّ الرُّبيق : إحدى الحيات . وأُرَيق : أمُّ الطَّبَق [٣] . ضربوا به مثلاً فى الدواهى . وأصلها من الحيَّات قال : ٧٩

إذا وجدْتَ بواد حَيَّةً ذَكَرًا

فاذْهَبْ وَدَعْنِى أُمارسْ حيةَ الوادى [٤]

---

(١) يقول : إذا لقى السفير السفير ، فأخر الفاعل . و « بها » و « لهـا » يرجعان إلى الحرب . اللسان وأمثال الميدانى . والمعنى : إذا فشل السفيران المتدبان - بكسر الدال - للصلح وفض النزاع ، وتركا الحرب فى شدتها لا يستطيعان لها دفعا . فى الأصل : « إذا أتى » ، وتصحيحه من اللسان وأمثال الميدانى .

(٢) رواه الفراء : « لقيت منه أم الربيق على وريق » .

(٣) فى الأصل : « وأريق الطبق » وهو كلام ناقص . وأم طبق من كنى الحيات . ومنه قول خلف الأحمر ، حين نعى إليه المنصور :

قد طرقت ببكرها أم طبق فذمروها وهمة ضخم العنق

انظر اللسان (طبق) وثمار القلوب ٢٠٧ . وسميت أم طبق لترحيها وتحويها كالطبق ، أو لإطباقها على من تلسعه . و « أريق » من الحيات ، كما فى قول العجاج :

وقد رأى دونى من تهجمى أم الربيق والأريق الأزنم

بدلالة قوله : « الأزنم » وهو الذى له زنمة من الحيات . اللسان (أرق) ، وفيه كلام صرفى خاص بهذه الكلمة .

(٤) حية الوادى : مثل للرجل المنيع الجانب ؛ فإن حية الوادى تحميه فلا يقربه شىء . ثمار القلوب ٣٣٥ وفيه البيت . وروى فى المخصص (١٦ : ١٠١) : « إذا رأيت » . . . الخ .

(قولهم : أدرك القويمة لا تأكلها الهويمة)

وفى المثل : « أدرك القُوَيْمَّة لا تأكلها الهوَيْمَّة » ، يعنى[١] الصبى الذى يدرُج ويتناول كلَّ شيءٍ سنَح له ، ويَهوى به إلى فيه . كأنه قال لأمِّه : أدركيه لاتأكلْه الهامَّة ! وهى الحيَّة . وهو قوله[٢] فى التعويذ : « ومن كلِّ شطان وهَامَّة ، ونَفسٍ وعينٍ لامَّة[٣] » :

(شعر للأخطل فى الحية)

وقال الأخطل ، فى جعلهم الرَّجلَ الشجاعَ وذا الرَّأى[٤] الدَّاهية حية ــ وكذلك يجعلون إذا أرادوا تعظيمَ شأنها . وإذا أرادوا ذلك فما أكثر مايجعلون الحَيَّةَ ذكرا . قال الأخطل :

أنبئت كلباً تمنَّى أنْ يسافهنا ‏ ‏ ‏ ‏ وطالَما سافهُونا ثمَّ ماظفِرُوا[٥]

---

(١) أى بقوله : « القويمة » ، وهو تصغير « قامة » بتشديد الميم . اللسان (قم ٣٩٥) وفى أمثال الميدانى (١ : ٢٤٢) : « ويعنى بها – أى القامة – الصبى ؛ لأنه يقمّ كل ما أدرك ، يجعله فى فيه ، فربما أتى على بعض الهوام ، كالعقرب وغيرها . . . يضرب فى حفظ الصبى وغيره . والمراد به إدراك الرجل الجاهل لا يقع فى هلكة » .

(٢) أى فى الحديث النبوى . روى ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول : « أعيذكما بكلمات الله التامة ، من شر كل شيطان وهامة ، ومن شر كل عين لامة » . ويقول : « هكذا كان إبراهيم يعوذ إسماعيل وإسحاق عليهم السلام » .

(٣) اللامة : التى تصيب بسوء .

(٤) ط : « وإذا لرأى » ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) كذا الرواية فى الأصل . وأراد بكلب : القبيل ، فذكره . ورواية الديوان ٢٦٨ : « أن تسافهنا * وربما » .

كلفتمونَا رجالا قاطِعِى قَرَنٍ   مُسْتَلْحَقِينَ كما يُسْتَلْحَقُ اليَسَر[1]

ليست عليهم إذا عُدَّت خصالهم   خَصْلٌ وليس لهم إيجابُ ماقرُوا[2]

قد أُنْذِرُوا حَيّةً فى رأس هضبتِهِ   وقد أتتهم به الأنباء والنذُرُ[3]

باتُوا رُقودًا علَى الأمْهَادِ لَيْلَهُم   ولَيْلُهُم ساهرٌ فيها ، وما شعَرُوا[4]

ثَمَّتَ قالوا أماتَ المساءُ حَيَّتَهُ   وما يكادُ يَنامُ الحَيةَ الذَّكَرُ[5]

(حيَّة المـاء)

وما أكثرَ مايذكرون حيّة الماء ؛ لأنّ حَيَّاتِ الماء[6] فيها تفاوت . إمّا أن تكون لاتضُرُّ كبيرَ ضررٍ ، وإمّا أن تكونَ أقتَلَ من الحيَّاتِ والأفاعى .

---

(١) اليسر ، بالتحريك : صاحب القدح من قداح الميسر . وكانوا ربما جاء الرجل بقدحه بعد ما فاز منهم الواحد والاثنان ، فيسألهم أن يدخلوا قداحه فى قداحهم ، فيفعلون ذلك ، ويسمونه المستلحق . انظر الميسر والقداح ١٥٣ . وقوله : « قاطعى قرن » يعنى قيسا . وذلك أن كليا لاموا تغلب فقالوا : أعنتم قيسا علينا ! فقال الأخطل : حملتمونا ذنب هؤلاء ، وألزمتموناه ، وليسوا منا ولا نحن منهم ، كما يستلحق الأيسار رجلا لم يكن معهم . ط ، س : « مستلحقين كما يستلحق السرر » ، هـ : « مستلحقين كما يستلحف السرر » ، صوابهما ما أثبت من الديوان والميسر والقداح .

(٢) س ، هـ : « انجاب ما قروا » ، صوابه فى ط والديوان . والرواية فيه .

ليست عليهم ديات يؤخذون بها   ولا يكون لهم إيجاب ما قروا

(٣) س : « بها الأنباء » ، والديوان : « به الأخبار » .

(٤) الأمهاد : جمع مهد بالضم ، وهو النشز من الأرض ، أو ما انخفض منها فى سهولة واستواء . ورواية الديوان : « باتوا نياما على الأنماط ليلهم * وليله » .

(٥) فى الديوان : « هناك قالوا أنام الماء حيته » .

(٦) هذه الكلمة ونظيرتها ، هى فى الأصل : « المساء » محرفة . وفى الأصل : « حية » .

(الهنديات)

ويقال إنَّ الهنديّات[١] إنما تصير فى البيوت والدُّور ، والإصطبلات ، والخرابات ؛ لأنَّها تُحمَلُ فى القُضُب[٢] وفى أشباه ذلك .

(علة وجود الحيَّات فى بعض البيوت)

والحيات تأكل الجرادَ أكلًا شديداً ، فربما فتَحَ رأس كُرْزه[٣] وجرابه وجوالقه ، الذى يأتى الجراد[٤] ، وقد ضَرَّبَه بَرْدُ السَّحَر ، وقد تراكم بعضه على بعض ؛ لأنها موصوفةٌ بالصَّرَدِ[٥] .

والحيّاتُ توصَفُ بالصَّرَد ، وكذلك الحمير ، والماعزُ من الغنم . ولذلك قال الشاعرُ[٦] :

---

(١) الهندية : ضرب من الأفاعى ، ذكر فى ص ١٢١ . وفى هـ : « الهندبات » مصحف .

(٢) أى فى قضب الشجر . والقضيب : الفرع . وذلك أن الحاطب ربما علقت الحيات ببعض ما يجمعه . وقالوا فى أمثالهم : « كحاطب ليل » ، فهو يجمع القضب والحيات وقد يصيبه منها الضرر الشديد .

(٣) الكرز ، بالضم وتقديم الراء : ضرب من الجوالق ، أو هو الخرج الكبير يحمل فيه الراعى زاده ومتاعه . ط ، هـ : « كزره » س : « كذده » وهما تحريف ما أثبت .

(٤) كلمة « الذى » هى فاعل « فتح » المتقدمة . وما سيأتى إلى السطر الخامس من الصفحة الآتية ، استطراد معترض ، وتبدأ صلة الكلام بكلمة : « فربما » الآتية .

(٥) من صرد ، كفرح : وجد البرد سريعاً .

(٦) هو صخر بن الجعد الخضرى ، كما فى نقد الشعر ٤٣ والأغانى (١٩ : ٦٧) ومعجم البلدان (رسم جنان ، ذروة) . وهو شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية . وكان مغرما بكأس بنت جبير بن جندب ، وهى ابنة عمه . قالوا : وكانت كأس تشرب من غدير يقال له جنان ، وبحضرته أهلها ، فوقف طويلا عليه يبكى ، وقال الشعر الآتى .

بليت كما يبلى الوِكاءُ ولا أرى جَنَاناً ولا أكنافَ ذروة تخلقَ[1]
ألوِّى حَيازِيمى بهنّ صبابةً كما تتلوّى الحيَّة المتشرِّق[2]

وإنما تَشرّقُ إذا أدركها بَرد السَّحر ولم تصر بعدُ إلى صلاحها ٨٠ و [إذا[3]] خرجت بالليل تكتسب الطعم كما يفعل ذلك سائر السِّباع .

فربما اجترف صاحبُ الكرز الجراد[4] ، فأدخله كَرْزَه ، وفيه الأفعَى وأسودُ سالخٌ ، حتّى يُنقلَ ذلك إلى الدُّور ، فربما لقِى الناسُ منها جهداً .

وقال بشر بن المعتمِر ، فى شعرِه المزاوَج :

ياعجَبَا والدَّهرَ ذو عجائب مِنْ شاهدٍ وقلبُه كالغائبِ
وحاطب يَحْطِبُ فى بجادِهِ[5] فى ظلمة الليل وفى سَوادِهِ
يحْطب[6] فى بجاده الأيْمَ الذَّكر والأسودَ السَّالخ مكروهَ النَّظَرْ

(شعر فى حية المـاء)

فمن ذكر حَيّة الماء ، عبد الله بن هَمَّام السلولىُّ فقال :

كَحَيّة الماء لاتنحاش مِنْ أحَدٍ صُلْبُ المراس إذا ماحُلَّتِ النُّطق[7]

---

(١) الوكاء ، بالكسر ، أراد به هنا السقاء ، وهو بالكسر جلد السخلة يتخذ للماء . والرواية فى المصادر المتقدمة : « كما يبلى الرداء » . وجنان ، كسحاب : جبل أو واد بنجد . وفى الأصل : « جنابا » ، صوابه من معجم البلدان . وذروة ، بفتح أوله ويكسر : مكان حجازى .

(٢) ط : « يتلوى » . وفى نقد النثر : « تتطوى » . واستشهد ابن رشيق فى العمدة (٢ : ٤٧) بهذا البيت على ما سماه « الإيغال » ، وهو المبالغة التى يكون موضعها قافية البيت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى الأصل : « للجراد » وفى س : « فربما احترف » محرفان .

(٥) البجاد ، بالكسر : الكساء .

(٦) ط ، هـ : « يخطب » صوابه فى س . حطب الحطب : جمعه .

(٧) تنحاش : تنفر . وحلت النطق : كناية عن اشتداد الأمر . والنطق : جمع نطاق ، وهو شبه إزار فيه تكة .

وقال الشَّماخ بنُ ضِرار :

خُوصُ العيونِ تبارَى فى أزِمَّتها إذا تفصَّدْنَ من حرِّ الصَّيَاخيدِ[1]

وكلُّهن تُبارِى ثِـنْـىَ مُطَّرِدٍ كحيةِ الماءِ وَلَّى غيْرَ مَطْرُودِ[2]

وقال الأخطل :

ضفادعُ فى ظَلْماءِ ليلٍ تجاوَبَت فدل عليها صوتُها حَيَّةَ البَحْرِ[3]

وقال أيضاً :

هَـلُمَّ ابنَ صَفّارٍ فإنَّ قتالَنا جِهاراً وما مِنَّا مُلاوَذَةُ العُذْر

فإنَّكَ فى قيسٍ لَتَالٍ مُذَبْذَبٌ وغيرُك منهم ذو الثَّنَاءِ وذو الفخرِ

ونحن منعْنَا ماءَ دِجْلَةَ مِنْكُمُ ونمنَعُ مَا بينَ العِرَاقِ إلى البِشْرِ[4]

ألا يا ابنَ صَفّارٍ فلا تَرُمِ العُلَى[5] ولا تذْكُرَنْ حَيَّاتِ قَوْمِكَ فى الشِّعْرِ

فما تركَتْ حَيَّاتُنا لَكَ حَيَّـةً تَحَرَّكُ فى أرض بَرَاحٍ ولا بَحرِ[6]

وقال نُفَيع[7] [يعيِّره[8]] بالكُحَيل[9] :

---

(١) يقول : تلك الإبل الغائرة العيون تتسابق ، وقد تصبب عرقها من حر الهواجر . ورواية الديوان ٢٢ : « إذا تقصدن » بالقاف ، والتقصد أصل معناه الهلاك ، وأراد به تغيرها بعد السمن .

(٢) أى كل منها يسابق طرف زمامه . س ، هـ : « فى مطردة » ، صوابه فى ط والديوان .

(٣) سبق الكلام على هذا البيت فى (٣ : ٢٦٨) .

(٤) البشر ، بالكسر : جبل بالجزيرة . هـ : « البصر » ، صوابه فى ط ، س .

(٥) لا ترم : لا تطلب . يقول له : ليس ذلك من شأنك .

(٦) البراح ، كسحاب : المتسع من الأرض ، لا زرع به ولا شجر .

(٧) نفيع ، بالفاء وهيئة التصغير ، هو ابن سالم بن صفار المحاربى ، وقد هجاه الأخطل بالشعر المتقدم ، فقال هو الشعر الآتى . وفى الأصل : « تقيع » مصحف . انظر المؤتلف والمختلف ١٩٥ .

(٨) ليست بالأصل ، والكلام يشعر بالحاجة إليها .

(٩) الكحيل ، بهيئة التصغير : نهر أسفل الموصل ، كانت عنده وقعة هزمت فيها تغلب وألقوا بأنفسهم فى الماء . الأغانى (١١ : ٥٥) .

فإن تك قتلاكُم بدِجلةَ غَرِّقَت فما أَشْبَهَتْ قَتلَى حُنينٍ ولا بَدْر

ثَوَوا إذ لَقُونا بالكحَيلِ كما ثوى شَمامِ إلى يوم القيامة والحشر[1]

بدِجلةَ حالتْ حربُنَا دُونَ قومِنا وأوطاننا ما بين دِجْلَةَ فالحضْر[2]

٨١ ولو كنتمُ حَيّاتِ بحرِ لكنتمُ غَدَاةَ الكَحَيْلِ[3] إذ تقُومُون فى الغَمْر[4]

(ما يشبَّه بالأَيم)

فالأَيْم الحيَّةُ الذكر يشبهون به الزِّمام ، وربَّما شبَّهُوا الجاريَةَ المجدولة الخميصة الخواصرِ[5] ، فى مشيها ، بالأيم ؛ لأنَّ الحيَّة الذّكرَ ليس له غَبَبٌ ، وموضعُ بطنِه مجدولٌ غيرُ متراخٍ . وقال ابنُ ميَّادة :

---

(١) شمام ، كقطام : جبل له رأسان يسميان ابنى شمام ، يضرب بهما المثل فى البقاء . قال لبيد :

فهل نبئت عن أخوين داما على الأحداث إلا ابنى شمام
وإلا الفرقدين وآل نعش خوالد ما تحدث بانهدام

(٢) الحضر ، بالفتح : مدينة بإزاء تكريت فى البرية ، بينها وبين الموصل والفرات . ياقوت . وفى الأصل : « فالحصر » ، وهو تحريف .

(٣) أى لكنتم حيات غداة الكحيل فاستطعتم السباحة . ط : « كذات الكحيل » س : « كذات الكحيل » صوابه من المؤتلف ١٩٥ .

(٤) تقومون : تقفون وتثبتون غير متقدمين ولا متأخرين ، وذلك فى الماء معطبة . هـ : « تعومون » ولا يصح به المعنى . ورواية الآمدى : « يلبون » من ألب بالمكان : أقام به ولزمه . والغمر : الماء الكثير . وفى الأصل : « القمر » وتصحيحه من المؤتلف .

(٥) الخاصرة : مافوق الحصر من الجلدة الرقيقة . وهما خاصرتان . فهو قد جمع وأراد الاثنتين . انظر المزهر (٢ : ١٢٥) .

قعدت على السِّعلاة تنفض مسحَهَا وتجذب مِثْلَ الأَيم ِ في بلدٍ قَفْرِ [(١)]

تيمِّمُ خيْرَ النَّاسِ مِنْ آل حاضر وتحمِلُ حاجاتٍ تضمَّنهَا صَدْرِى [(٢)]

(شعر فى حمرة عين الأفعى)

وقال الآخر فى حمرة عين الأفعى :

لولا الهــراوةُ والكِفّاتُ أَوْرَدَنِى حَوْضَ المنيَّة قَتَّالٌ لِمَنْ عَلِقَا [(٣)]

أصمُّ منهــرتُ الشِّدْقين ملتبـِـدٌ لم يُغْذَ إلاّ المنايا مِنْ لَدُنْ خُلِقَا [(٤)]

كأنّ عينيــه مِسْمَارَانِ[(٥)] مِنْ ذَهَبٍ جلاهُما مِدْوسُ التَّألاقِ فائتَلَقَا [(٦)]

(شعر فى حمرة عيون الناس)

قال فى حمرة عُيون النَّاس فى الحرْب وفى الغضب ، ابنُ ميَّادة :

---

(١) السعلاة : اسم ناقة ابن ميادة ، كما فى الأغانى (٢ : ١١٤) . ومثل الأيم ، عنى به الزمام . يقول : هى تجذب زمامها من شـدة نشاطها . وفى الأغانى : « فى برة الصفر » .

(٢) رواية الأغانى : « تيمم خير الناس ماء وحاضراً » . وبعد البيت خمسة أخرى فى الأغانى .

(٣) الكفات : جمع كفة ، بالكسر ، وهى من آلات الصيد . ط ، ه : « السفاة » ، صوابه فى س .

(٤) منهرت الشدقين : واسعهما . ط ، ه ، « منهرة » ، صوابه فى س . فى س : « لم يغذ » ، من الغذاء . ط ، س : « يفد » ه : « يغد » صوابهما ما أثبت .

(٥) فى الأصل : « مسماكان » . ولا تصح ؛ فإن المسماك : عود الخباء . وقد ذكر الدميرى فى كلامه على الحية : « وعينها لا تدور فى رأسها ، بل كأنها مسمار مضروب فى رأسها » . وانظر ما أسلف الجاحظ فى ص ١٧٩ س ١٢ .

(٦) المدوس ، بالكسر : خشبة يشد عليها مسن ، يدوس بها الصيقل السيف حتى يجلوه . والتألاق : تفعال من ألق ، بمعنى لمع . وفى الأصل : « التلاق » ! وائتلقا : لمعا وبرقا . وفى الأصل : « فابتلقا » . والوجه ما أثبت . وانظر البيان (٣ : ٦٠) .

وعند الفَــزَارى العراقى عارض ... كأَنَّ عيونَ القَوْم فى نبضة الجمرِ [١]

وفى حمرة العين من جهة الخِلْقةِ ، يقول أبو قُرْدُودة ، فى ابن عمــارٍ [٢] حينَ قتله النُّعمان :

إنِّى نهيتُ ابنَ عَمَّارٍ وقلتُ له : ... لا تأمَنَنْ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ والشعَرَهْ

إنَّ المــلوك متى تنزِل بساحتِهِمْ ... تَطِرْ بنارك مِنْ نيرانهــم شَرَرَهْ

ياجفنَةً كإزاء الحَوْض قد هُدِمَتْ ... ومَنْطِقًا مِثْلَ وَشْيِ الْيَمْنَةِ الحَبِرَهْ [٣]

(معرفة فى الحية)

وأكثرُ ما يذكرون مِنَ [٤] الحيــات بأسمائها دون صفاتها : الأفعى ، والأسود ، والشجاع ، والأَرقم . قال عمر بن لجأ :

* يلزق بالصّخرِ لُزُوقَ الأرقَمِ *

وقال آخر :

ورفَّع أولى القوم وقعُ خرادِلٍ [٥] ... ووقعُ نبال مثل وقْــع الأساوِدِ

(١) ط ، س : « القرارى » ، صوابه فى هـ .

(٢) هو عمرو بن عمار الطائى ، كان شاعراً خطيباً ، فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادمته ، وكان النعمان أحمر العينين والجلد والشعر ، وكان شديد العربدة ، قتالا للندماء ، فنهاه أبو قردودة عن منادمته ، فلما قتله النعمان رثاه بالشعر الآتى . البيان (١ : ٣٢٢ ، ٣٤٩) والحيوان (٥ : ٣٣٢) ومعجم المرزبانى ٢٣٦ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢) .

(٣) كانت العرب تسمى السيد المطعام جفنة ؛ لأنه يضعها ويطعم الناس فيها . اللسان (جفن) . وإزاء الحوض : مصب الدلو فيه .

(٤) ط : « مر » صوابه فى س ، هـ .

(٥) لعلها : « خوازق » جمع خازق ، وهو السهم النافذ ، أو السنان . اللسان .

(ذكر الأفاعى فى بعض كتب الانبياء)

وفى بعض كتب الأنبياء ، أنّ الله تبارك وتعالى قال لبنى إسرائيل :

« يا أولادَ الأفاعى [1] » .

(أمثالٌ وشعر فى الحية)

ويقال : « رَماهُ الله بأفْعَى حَارية [2] » وهى التى تحرى [3] ، وكلما كبرت فى السن صغُرت فى الجسم . وأنشد الأصمعىُّ فى شِـدَّة اسوداد أسود سالخ :

مُهَرَّت الأشداق عَوْدٍ قد كمل [4] كأنما قيظ من لِيط جُعَـل [5]

وقال جريرٌ فى صفة عُرُوقِ بَطْنِ الشَّبْعَانِ [6] :

٨٢ وأعـور من نَبْهَانَ أمَّا نهـارُه فأعْمَى ، وأمَّا ليـله فبصـيرُ [7]

---

(١) هذه العبارة التى يشير إليها الجاحظ ، تجدها فى إنجيل متى (الأصحاح ٣ : ٧) والنص فيه : « فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته قال لهم : ياأولاد الأفاعى ! من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ؟! » . ومثل هذا النص فى إنجيل لوقا أيضاً (الأصحاح ٣ : ٧) . وضمير (قال) عائد إلى يوحنا المعمدان — وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام — يعظ اليهود مبشراً بعيسى عليه الصلاة والسلام .

(٢) ط ، هـ : « جارية » صوابه بالحاء المهملة كما فى س .

(٣) حرى يحرى ، كرمى : نقص . وفى ط ، س : « تجرى » ، صوابه فى هـ .

(٤) فى الأصل : « مهروتة » ، والوجه ما أثبت من (٣ : ٥٠٢) .

(٥) كذا . وانظر رواية البيت وشرحه فى (٣ : ٥٠٢) .

(٦) س : « عروق بطن » . ط ، هـ : « عروق بطن السنان » . ولا وجه للعبارتين . والصواب ما أثبت .

(٧) الأعور ، هو النبهانى ، واسمه عدى بن أوس ، أو سحمة بن نعيم ، وكان بينه وبين جرير مناقضة . انظر المؤتلف ١٦١ والمرزبانى ٢٥٣ . وصـواب رواية هذا البيت :

رَفَعْتُ له مشبوبةً يلتوى بها يكادُ سناها فى السماءِ يَطِيرُ[١]

فلما استَوَى جنباه لاعَبَ ظِلَّهُ عريضُ أفاعى الحالبَين ضريرُ[٢]

قال : ويقال : « أبْصَرُ من حَيّـةٍ » كما يقال : « أسمعُ مِنْ فرس » ، و : « أسمعُ مِنْ عُقاب » . وقال الراجز :

* أسمَعُ مِنْ فَرْخِ العُقابِ الأسحمِ[٣] *

وقال آخر[٤] :

أسودُ شَرًى لاقَتْ أُسودَ خفيَّةٍ تساقَوْا عَلَى حَرْد دِماءَ الأساوِدِ[٥]

= وأعور من نبهان يعوى ودونه من الليل بابا ظلمة وستور

كما هو عند الآمدى والمرزبانى وفى الديوان ٢٦٥ . والذى أوهم الجاحظ ذلك أن فى القصيدة بيتا آخر ، يروى بهذه الرواية التى أثبتها ، ولكن موضعه فى نهاية القصيدة ، ويتضح لك ذلك من مطالعة الديوان ص ٢٦٦ س ٣ ، ٥ .

(١) مشبوبة : أى ناراً . وكانوا يرفعون النيران لترشد إليهم الضيفان . يلتوى : كذا جاءت الرواية هنا . وهى فى الديوان والمؤتلف : « يهتدى » .

(٢) استوى جنباه : أى برزا من امتلائهما . فى الأصل : « استوت » محرفة . لاعب ظله : أى جعل ذلك النبهانى يلاعب ظله مما طرأ عليه من السرور . وضمير « ظله » راجع إلى « عريض » . والحالبان : عرقان أخضران يكتنفان السرة إلى البطن . وفى الأصل : « عروض أفاعى الحالتين » ، تصحيحه من النقائض . وانظر الرواية فى الديوان .

(٣) الأسحم : الأسود . وفى الأصل : « الأشجع » ، صوابه فى (٦ : ٤٣٩). وفى الدميرى « فأما العقاب فمنها السود والخوخية والسفع والأبيض والأشقر » .

(٤) هو الأشهب بن رميلة ، كما فى البيان (٤ : ٥٥) والكامل ٣٣ ، ٤٣٨ ليبسك والعقد (١ : ٥٣) واللسان (حرد) .

(٥) شرى : جبل بنجد ، أو تهامة ، مشهور بكثرة السباع . وخفية : أجمة فى سواد الكوفة . هـ : « حفية » بالحاء المهملة صوابه فى ط ، س والمراجع المتقدمة وكذا الأضداد ١٩٨ والمقصور ٥٨ والمخصص (١١ : ٤٨) . والحرد : الغضب . وروى فى المقصور : « لوح » . واللوح ، بالضم ، ويفتح : العطش . وقبل البيت : =

ضَرَبَ المثَلَ بجنسين من الأسْود ، إذْ كانَا[1] عندَه الغايةَ فى الشدَّة والهوْل ، فلم يقنع بذلك حتى ردَّ ذلك كُلَّهُ إلى سموم الحيّات .

(مايشبَّه بالأسوَد)

وفى هَوْل منظر الأسْوَد يقول الشاعرُ[2] :

مِنْ دُونِ سَيْبِكَ لونُ ليـلٍ مُظلمٍ وحَفِيفُ نافجةٍ وكَلْبٌ مُوسَدُ[3]

والضَّيْفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أسوَدَ سالخٍ لابَلْ أحَبُّهُما إليكَ الأسْوَدُ[4]

ويصِفُون ذوائبَ النساء ، فإذا بلغوا الغايةَ شبهوها بالأساود . قال جِرانُ العَوْدِ :

ألا لا تَغرَّنَّ امرأً نَوْفَلِيَّـةٌ على الرَّأس منها ، والترائبُ وُضَّحُ[5]

ولا فاحِمٌ يُسْقَى الدِّهانَ كأنَّهُ أساوِدُ يزهاها لعينك أبْطحُ[6]

= وإن الذى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد
هم ساعد الدهر الذى يتّقى به وما خير كف لاتنوء بساعد

(١) فى الأصل : « كان »، وصوابه ما أثبت .

(٢) هو حسيل بن عرفطة ، الذى تقدمت ترجمته فى (٣ : ١٠٢) . انظر نوادر أبى زيد ٧٥ وديوان المعانى (١ : ١٠٦) والحيوان (١ : ٣٨٣) .

(٣) النافجة ، بالجيم بعد الفاء : الريح تبدأ بقوة . وفى الأصل وكذا ديوان المعانى : « نافحة » ، وصواب الرواية من النوادر . و : « كلب » هى فى الأصل : « قلب » صوابه من المراجع المتقدمة .

(٤) مكان : « أحبهما » بياض فى س .

(٥) النوفلية : ضرب من الامتشاط ، وفسره صاحب التهذيب بأنه شىء يتخذه نساء الأعراب من صوف يكون فى غلظ أقل من الساعد ، ثم يحشى ويعطف ، فتضعه المرأة على رأسها ، ثم تختمر عليه . ورواية الديوان واللسان : « على الرأس بعدى ». والترائب . جمع تريبة ، وهى موضع القلادة . وضح : جمع واضحة بمعنى مشرقة .

(٦) الأبطح : بطن واد فيه رمل وحجارة . الديوان : « لعينيك » ، واللسان : « مع الليل أبطح » .

(استطراد لغوى)

قال : والخرشاء[١] : القشرة الغليظة بعد أن تنقب فيخرج مافيها ، وجماعهُ الخراشيّ[٢] ، غير مهموز. قال : وخرشاء الحيّة : سلخها حين تَسْلخ[٣] وقال . هذا أسود سالخ ، وهذان أسودان سالخان ، وأساود سالخة .

وقال مرَقِّش :

إن يَغْضَبُوا يغضب لِذَا كُمْ كما يَنْسلُّ عَنْ خِرْشَائِهِ الأَرْقمْ

(تعليق الحلى والخلاخيل على السليم)

وكانوا يرَوْنَ أنّ تعليقَ الحَلْىِ ، وخَشخشَةَ الخلاخيل على السّليم ، ممّا لايفيق ولا يَبْرَأ إلاّ به ، وقال زَيْدُ الخيل :

أيم يكون النعل منه ضَجِيعَه كما عُلِّقت فوقَ السليمِ الخَلاَخِلُ[٤]

وخبّرنى خالد بن عقبة ، من بنى سلمة بن الأَكوع ، وهوَ من بنى المسبع ، أنّ رجُلاً من حَزْن ، من بنى عذرة ، يسمَّى أسْباط ، قال فى تعليقهم الحَلْىَ على السَّليم :

---

(١) جاءت هذه الكلمة مقصورة فى الأصل ، وصوابها المد .

(٢) جماعه : أى جمعه . وفى ط ، هـ : « جماعة » س : « جماعته » وصوابه ما أثبت . وكلمة « الخراشى » هى فى ط ، س : « الخراش » وفى هـ : « الخراشاء » تحريف ، صوابه من اللسان والقاموس والمقصور ٣٨ .

(٣) س : « تنسلخ ». وخرشاء، هى مقصورة فى الأصل، والصواب مدها ، كما فى المفضليات ٢٤٠ والمقصور والممدود ٣٨ وما سيأتى فى ص ٣٤٠ .

(٤) الخلاخل : جمع خلخل، وهو الخلخال ، ذاك الحلى . وكان العرب يعلقون الجلاجل أيضاً على اللديغ ، جمع جلجل ، وهو الجرس الصغير . انظر لذلك بلوغ =

أرِقْتَ فلم تَطْعَمْ لى الْعَيْنُ مَهْجَعَا وبِتُّ كما بَاتَ السليمُ مُقَرَّعَا[١]

كأَنّى سلـيمٌ نالهُ كَلْمُ حَيَّـةٍ تَرَى حَوْلَهُ حَلْىَ النِّسَاءِ مُرَصَّعَا[٢]

٨٣ وقال الذُّبيانىُّ :

فبتُّ كأنّى ساورتْنى ضَئيـلةٌ من الرُّقْشِ فى أنيابها السّمُّ ناقعُ

يُسَهَّـدُ من ليـل التَّمام سليمُها لحـلْى النِّساءِ فى يديه قَعاقِـعِ

(استطراد فيه لغة وشعر)

قال : ويقال لسان طلْق ذلقٌ[٣] . ويقال للسليم إذا لُدِغ : قد طلِّق ، وذلك حين تَرْجع إليه نفسُه . وهو قول النابغة :

تنـاذَرها الرَّاقُون من سُوءِ سمِّها تطلِّقُه طوراً وطوراً تُراجِـعُ[٤]

وقال العبدى[٥] — إن كان قاله — :

= الأرب (٢ : ٣٠٤) وما أورد من الشواهد . وجاء فى شرح الوزير أبى بكر لديوان النابغة ٥٢ : « كان الحلى فى الزمان الأول له جلاجل يسمع صوته من المرأة إذا مشت » .

(١) مقرعا ، بالقاف بعدها راء : من التقريع ، وهو الإقلاق .

(٢) مرصعاً : معقوداً . وفى نهاية الأرب (٢ : ٣٠٥) : « موضعاً » وهى صحيحة من وضع البانى الحجر ، بالتشديد : نضد بعضه على بعض .

(٣) فى القاموس : « وطلق اللسان بالفتح والكسر ، وكأمير . ولسان طلق ذلق — ضبط كل منهما ككتف ، بالقلم — وطليق ذليق ، رطلق ذلق بضمتين ، وكصرد وكتف : ذو حدة » .

(٤) تناذرها الراقون : أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا لها . فى الأصل : « تبادرها » ، وصوابه من الديوان ٥٢ والمخصص (٩ : ٦٥) واللسان (نذر) والكامل ٥٠٧ ليبسك . ويروى : « من سوء سمعها » بفتح السين وبكسرها ، بمعنى الشهرة . تطلقه : أى تطلق « السليم » المذكور فى البيت السابق ، والمعنى تخف الأوجاع عنه تارة وتشتد أخرى . قال المبرد : « وذاك أن المنهوش إذا ألح الوجع تارة وأمسك عنه تارة فقد قارب أن يوأس من برئه » .

(٥) يعنى بالعبدى هنا ، الممزق العبدى ، صاحب البيت السائر (انظر الشعراء ٣٦٠) : فإن كنت مأكـولا فـكن أنت آكلى وإلا فأدركنى ولمـا أمزق =

تبيتُ الهُمُـومُ الطَّارِقاتُ يَعُدْنَنِي كمَاتَعْتَرِى الأَهْوَالُ رَأْسَ المطلَّق [١]

وأنشد :

تُلاقِي مِنْ تَذَكُّرِ آلِ لَيْـلى كما يَلْقَى السَّـلِيمُ مِنَ العِدَادِ [٢]

والعِداد : الوقت . يقال : إنّ تلك اللَّسعة لتعَادّه [٣] : إذا عاده الوجَع في الوقت الذى لَسِع فيه .

(حديث الحَمْل المصْلىّ)

وذكر النبىُّ صلى الله عليه وسلم السمَّ الذى كان فى الحَمَلِ المَصْلِىِّ [٤] ، الذى كانت اليهوديَّةُ قدّمته إليه فنالَ منـه ، فقال : « إنّ تِلك الأَكْلَة لتعَادُّنى [٥] » .

---

(١) ط : « تعدننى » س : « تفدنى » ﻫ : « تعدنى » ، وصوابه ما أثبت من الكامل ٥٠٧ ليبسك . وفيه أيضاً : « كما تعترى الأوصاب » .

(٢) الرواية فى المخصص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عدد) : « يلاقى من تذكر » . وقد أقحم الشاعر كلمة « آل » ، فهى زائدة فى الكلام، وأراد : من تذكر ليلى نفسها . مثله ما جاء فى الحديث : « لقد أعطى مزماراً من مزامير آل داود » أراد : من مزامير داود نفسه .

(٣) ط : « لتعتاده »، صوابه فى س، ﻫ .

(٤) المصلى : المشوى . صلى اللحم وغيره صليا : شواه . والمعروف فى الرواية أنها شاة ، لا حمل . تأويل مختلف الحديث ٢٢٥ ، والسيرة ٧٦٤ جوتنجن ، والتنبيه والإشراف ٢٢٣ . والذى أهدى الشاة هو زينب ابنة الحارث اليهودية ، امرأة سلام بن مشكم اليهودى ، وقيل : هى أخت مرحب اليهودى . الروض الأنف (٢ : ٢٤٣) ، وكانت سألت : أى عضو من الشاة أحب إلى الرسول ؟ فقيل لها : الذراع ، فأكثرت فيها من السم . وانظر بقية الخبر فى السيرة (غزوة خيبر) .

(٥) ط : « لتعتادنى » وصوابه فى س ، ﻫ والروض الأنف ، وتأويل مختلف الحديث ، والمخصص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عدد) . والرواية فى هذه المصادر : « ما زالت أكلة خيبر تعادنى فهذا أوان قطعت أبهرى » . =

(جلد الحية)

وفى الحيَّة قِشْرُها ، وهو أحسنُ من كلِّ ورقةٍ وثوبٍ ، وجَناحٍ ، وطائر ؛ وأعجبَ من سِتْر العنكبوت ، وغِرْقِئ[1] البيض .

(ما يشبَّه بلسان الحية)

ويقال فى مثلٍ ، إذا مدحوا[2] الخفَّ اللَّطيف ، والقدَمَ اللَّطِيفة ، قالوا : كأنّه لِسَانُ حَيَّة .

(نفع الحية)

وبالحيّة يُتداوَى من سمّ الحيّة . ولِلدغ الأفاعى يُؤْخَذ التِّرياقُ الذى لا يُوجَدُ إلاّ بمتون[3] الأفاعى . قال كثيِّر :

وما زالَتْ رُقَاك تَسُلُّ ضِغْنِي ... وتُخْرِجُ مِنْ مَكامِنِهَا ضِبَابى[4]

وترْقِينى لك الحاوُون حتَّى ... أجابَكَ حيَّةٌ تحْتَ الحجاب[5]

= وقد قال هذا القول فى مرضه الذى توفى فيه . وهو دليل على أنه صلى الله عليه وسلم مات شهيداً .

(١) الغرقىء ، كزبرج : القشرة الملتزقة ببياض البيض .

(٢) فى الأصل : « مدح » .

(٣) ط : « لا يؤخذ إلا بمنون » ، س ، هـ : « لا يؤخذ إلا بمتون » وصوابهما ما أثبت . والمتن : الظهر .

(٤) الضباب ، بالكسر : جمع ضب ؛ بالفتح والكسر ، وهو الضغن والعداوة . وهو يخاطب بهذا الكلام عبد العزيز بن مروان كما فى الموشح ١٤٣ والصناعتين ٧٢ وزهر الآداب (٢ : ٦٣) وابن سلام ٤٦٤ . وفيها جميعاً نقد جيد لهذين البيتين .

(٥) ترقينى ، كذا فى الأصل ، وهى صحيحة . وفى الكتاب : « إلا الذى آمنت به =

(قصة امرأة لدغتها حية)

جويبر بن إسماعيل ، عن عمّه ، قال : حججتُ فإنّا لفى وَقْعَةٍ مع قوم[١] نزلوا منزلنا[٢] ، ومعنا امرأة ، فنامت[٣] فانتبهتْ وحيّةٌ منْطوية عليها ، قد جمعتْ رأسَها مع ذنبها بين ثدييها[٤] ، فهالها ذلك وأزعجَنا ، فلم تزلْ مُنطويةً عليها لا تضُرُّها بشيء ، حتّى دخلنا أنصاب الحرم[٥] ، فانسابت فدخلتْ مكّة ، فقضَينا نسكنا وانصرفْنا ، حتّى إذا كنّا بالمكان الذى انطوتْ عليها فيه الحيّة ، وهو المنزل الذى نزلناه ، نزلتْ فنامت واستيقظت ، فإذا الحيّةَ منطويَةٌ عليها ، ثم صَفَرت الحيّــةَ فإذا الوادى يسيلُ حيّاتٍ عليها ، فنهشتْها حتّى نَقَتْ[٦] عظامَها ، فقلت لجاريةٍ كانت لها : ويْحَكِ ! أخبرينا عن هذه المرأة . قالت : بغَتْ ثلاثَ مرّاتٍ ، كلّ مرّة تأتى بولدٍ ، فإذا وضعَتْه سَجرت التّنّور[٧] ، ثمّ ألقته فيه . ٨٤

= بنو إسرائيل » . انظر لذلك ما أسلفت فى ص ١٩٣ . والرواية فى المراجع : « ويرقينى » . والحاوون : جمع حاو . وفى ط ، س : « الحادون » . و هـ : « الحاؤن » محرفان ، صوابهما فى المراجع المتقدمة .

(١) الوقعة ، بالفتح : النومة فى آخر الليل . ط : س : « من قوم » ، صوابه فى هـ .

(٢) ط ، س : « إذ نزلوا منزلنا » هـ : « إذ أنزلوا منزلنا » ، وكلمة « إذ » مقحمة .

(٣) س : « فقامت » .

(٤) ط ، هـ : « ثديها » س : « أيديها » ، وصوابه ما أثبت .

(٥) أنصاب الحرم : حدوده ، كما فى القاموس واللسان .

(٦) نقى العظم نقياً : استخرج نقيه . والنقى بالكسر : مخ العظام .

(٧) سجرت التنور : أحميته وأوقدته . والسجور ، بالفتح : الوقود . وفى الأصل : « شجرت » ، وهو تصحيف . والتنور : ما يخبز فيه .

(قول امرأة فى علىٍّ والزّبير وطلحة)

قال : ونظرت امرأةٌ إلى علىٍّ ، والزُّبير ، وطلحة ، رضى الله تعالى عنهم ، وقد اختلفَتْ أعناقَ دوابّهم حين التقَوا ، فقالت : من هذا الذى كأنه أرقَمُ يتلمَّظ ؟ قيل لها : الزُّبير . قالت : فمن هذا الذى كأنَّه كُسِر ثمَّ جُبر[1] ؟ قيل لها : علىٌّ . قالت : فمن هذا الذى كأنَّ وجهه دينارٌ هِرَقْلىّ[2] ؟ قيل لها : طلحة .

(استطراد لغوى)

وقال أبو زيد : نهشت أنْهشُ نهشاً . والنَّهش : هو تناولك الشَّىءَ بفيك ، فتمضَغُه فتؤثِّر فيه ولا تجْرحه . وكذلك نهْش الحيَّة . وأمَّا نهْش السَّبع فتناوله من الدَّابَّةِ بفيه ، ثمَّ يقطع ما أخذَ منه فوه . ويقال نهشت اللحم أنهَشُه نهشاً[3] ، وهو انتزاع اللَّحم بالثَّنايا ؛ للأكل . ويقال نَشَطت العَقْد نَشْطاً : إذا عقدته بأُنْشوطة[4] . ونَشَطت الإبلُ تنشِط نَشْطاً : إذا ذهبتْ على هدًى أو غير هدى ، نزعاً أو غير نزْع . ونشطتْه الحيَّةُ فهى

---

(١) وذلك أن علياً كان قصيراً حادراً ضخم البطن ، أفطس الأنف ، دقيق الذراعين . المعارف ٩١ .

(٢) الدينار الهرقلى نسبة إلى هرقل . قال الأب أنستاس مارى فى حواشى النقود العربية ٢٥ : « وكان ذهبه من أحسن الذهب ، وشكله حسناً بديعاً » . وقد روى ابن قتيبة حديث هذا المرأة فى عيون الأخبار (٤ : ٢٥) برواية أخرى .

(٣) فرق بعض اللغويين بين (النهش) و (النهس) فقالوا : نهش اللحم : أخذه بأضراسه . ونهسه : أخذه بأطراف الأسنان . وسوى بعضهم بينهما .

(٤) الأنشوطة ، بالضم : عقدة يسهل انحلالها . ط ، هـ « بالنشوطة » ، صوابه فى س . وفى اللسان : « ونشطت العقد : إذا عقدته بأنشوطة » .

تنشِطهُ نَشْطاً ، وهو أن تَعضَّه عضًّا . ونكزَتْهُ الحَيَّةَ تنكُزه نكْزاً ، وهو طعنُها الإنسان بأنفها[1] . فالنَّكْز من كلِّ دَابَّةٍ سوى الحيَّة العضّ. ويقال : نَشطَتْه شَعُوبُ نَشْطاً[2] وهى المنيَّة :

قال : وتقول العرب . نشطهُ الشَّعوب ، فتدخل عليها التعريف

(علة تسمية النَّهيش بالسَّليم)

ويسمون النهيش سليماً على الطيرَة[3] . قال ابنُ ميَّادة :

كأنِّى بها لمَّا عرَفْتَ رُسومَها   قتيلٌ لدَى أيدِى الرُّقاةِ سَليمُ

(شعر فى الحية)

وممَّا يضربون به المَثَلَ بالحيَّات فى دواهى الأمر ، كقول الأقيْبل القينِيّ[4] :

لَقَدْ علِمْتُ ، وخيرُ القَوْلِ أنْفعه[5]   أنّ انطـــلاقى إلى الحجَّاج تغْريرُ

---

(١) فى الأصل : « بفيها » . وهو تحريف ، تصحيحه من اللسان والقاموس .

(٢) شعوب ، بالفتح ومنع الصرف : علم للمنية ، سميت بذلك لأنها تشعب، أى تفرق . ودخول (أل) عليها ، مثل دخولها على العباس ، والحسن ، والحارث .

(٣) الطـيرة ، كعنبة : مايتشـاءم به من الفأل الردىء . فالمعنى على تشاؤمهم من تسميته بالنهش .

(٤) هو الأقيبل بن نبهان بن خنيف ، شاعر إسلامى كان فى زمن الحجاج . وكان الأقيبل مع الحجاج بن يوسف حين خرج إلى ابن الزبير ، فهرب من الحجاج لمـا رأى البيت يضرب بالمجانيق ، وقال شعراً أغضب الحجاج، فطلبه فاحتمى بقبر مروان ، فأمنه عبد الملك وكتب إلى الحجاج ألا يعرض له، فقال قومه: إنك إن أتيت الحجاج قتلك ، فطرح الـكتاب وهرب ، وقال الشعر الآتى . وفى الأصل ، وكذا الجزء السابع ص ١٠٢ : « العتيبى » وصوابه من المؤتلف ٢٤ ومن نسخة كوبريلى الجزء السابع . وهو نسبة إلى بنى القين بن جسر .

(٥) رواية الآمدى :

* إنى لأعلم والأقدار غالبة *

لَئِنْ ذَهَبْتَ[1] إلى الحجَّاج يقتُلُني ... إني لأحمقُ مَنْ تُحْدَى به العِيرُ
مستحقباً صُحُفاً تَدْمَى طوابِعها[2] ... وفي الصَّحائف حَيَّاتٌ مَناكِيرُ

(استطراد لغوى)

وقال الأصمعيّ : يقال للحيَّة الذَّكر أيِّم وأيم ، مثقَّل ومخفف ، نحو لَيِّن ولين ، وهيِّن وهَين . قال الشَّاعر[3] :

هَيْنُونَ لَيْنُون أيسارٌ ذَوُو يسَرٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أبْنَاءُ أيْسَارِ

وأنشد في تخفيف الأيم وتشديده[4] :

ولقد وَرَدْتَ الماء لم تشْرَبْ بهِ ... زَمَنَ الرَّبيع إلى شهور الصَّيِّفِ[5]
إلاّ عوَاسِرُ كالمِراط مُعِيدَةٌ ... باللَّيل مَوْرِدَ أيِّم متغضِّف[6]

---

(١) رواية الآمدى :

* لئن حدى بى . . . . . *

(٢) استحقب الشيء : حمله فى مؤخرة الرحل . ط : « مستحليا » س : « مستخفيا » هـ : « مستحفيا » وهو تحريف ما أثبت من المؤتلف والجزء السابع . والطوابع ، جمع طابع ، بفتح الباء وكسرها ، وهو الخاتم الذى يختم به الرسائل ونحوها . ط ، هـ : « طوائعها » س : « طوالعها » صوابهما من الجزء السابع .

(٣) انظر تحقيق اسمه فى (٢ : ٨٩) ، وكذا شرح البيت ورواياته فى : (٢ : ٩٢) .

(٤) قائل البيتين هو أبو كبير الهذلى ، كما فى ديوان الهذليين (٢ : ١٠٥) واللسان (صيف ، غضف) وأمالى القالى (٢ : ٨٩) .

(٥) وردت ، بفتح تاء المخاطب ، يخاطب رجلا رثاه من قومه . وقبل البيت ، كما فى تنبيه البكرى ٩٩ :

أزهير إن أخا لنا ذا مرة ... جلد القوى فى كل ساعة محرف
فارقته يوما بجانب نخلة ... سبق الحمام به زهير تلهفى

وفاعل « تشرب » هو « عواسر » فى البيت الآتى . وروى فى الأمالى ، واللسان : « يشرب » .

(٦) « بالليل » هى فى الأصل : « بالعسل » وتصحيحه من اللسان (عسر ، صيف ، غضف) والأمالى .

٨٥ الصَّيِّف ، يعنى مَطَرَ الصيف[١] . والعواسر : يعنى ذئابا رافعة أذنابها . والمِراط : السهام التى قد تمرَّط ريشها . ومُعيدة : يعنى معاودة للوِرْد . يقول هو مكانٌ لخلائه[٢] يكون فيـه الحيَّاتُ ، وتَرِدُه الذِّئابْ . ومتغضِّف يريد بعضَهُ على بعض ، يريد تثنى الحيَّة .

وأنشد لابن هند[٣] :

أودَى بأمِّ سُليمَى لاطِئٌ لَبِدٌ كحيَّةٍ منْطوٍ من بينِ أحجار[٤]

وقال محمد بن سَعيد[٥] :

قريحة لم تَدنِّيها السِّيـاط ولم تورَدْ عِراكاً ولم تعصرعلى كَدَرِ[٦]
كمْنطوَى الحيَّةِ النَّضناضِ مكمنها فى الصَّدر مالم يهيِّجْها على زَوَرِ
الليث للَّيثِ منسوبٌ أظافرُهُ[٧] والحيَّـةَ الصِّلُّ نجلُ الحيَّةِ الذَّكَرِ

---

(١) فى الأصل : « مطرا الصيف »، وتصحيحه من اللسان (صيف) والأمالى .

(٢) فى الأصل : « هو مكان الخلاية » ، تحريف ما أثبت . وعبارة القالى : « هذا المكان لخلائه ، من موارد الحيات » ، أى لكونه خاليا ترده الحيات .

(٣) هو عبد الله بن هند ، كما فى العقد (٦ : ١٢٧)

(٤) الحية تذكر وتؤنث . وفى العقد : « بجب سليم » ؛ وهو الصواب .

(٥) ط ، ه : « سعد » ، وأثبت ما فى س . وقد ذكر المرزبانى من اسمه محمد بن سعد الكاتب التيمى ، وهو عربي بغدادى وأنشد له الأبيات التى أولها :

سأشكر عمراً إن تراخت منيتى أيادى لم تمنن وإن هى جلت

وقد روى الجاحظ الأبيات بعينها ، فى الرسائل ٢٣ ساسى ، ونسبها إلى محمد بن سعيد ، قال: « وهو رجل من الجند » . فإن صدق حدسى كان محمد هذا هو صاحب الأبيات المشار إليها بعينه .

(٦) القريح : الخالص . وعنى أن هذه الإبل أو الناقة التى ينعتها خالصة النسب . ويقال أورد إبله العراك وأوردها عراكا : أى أوردها المـاء مزدحمة . وجاء فيه قول لبيد (وهو من شواهد النحويين) :

فأوردها العراك ولم يذدها ولم يشفق على نغص الدخال

وفى الأصل : « ولم تردد »، وصوابه ما أثبت .

(٧) ط : « أظافره » ، صوابه فى س ، ه .

وقال ذو الرّمّةِ :

وأَحْوَى كأيم الضَّالِ أطْرَقَ بَعْدَمَا حَبَا تحتَ فينانٍ من الظِّلِّ وارفِ [١]

قال : ويقال انبسَّت الحيَّات[٢] : إذا تفرَّقت وكثرت . وذلك عند إقبال الصَّيف . قال أبو النَّجم :

* وانبسَّ حيَّات الكثيبِ الأهْيَلِ [٣] *

وقال الطِّرِمَّاح :

وتجَرَّدَ الأسروعُ واطَّرَدَ السَّفا وجرَتْ بجاليْها الحداب القَرْدَدُ [٤]

وانسابَ حيَّاتَ الكثيبِ وأقبلَتْ وُرْق الفَرَاشِ لما يَشُبُّ المُوقِدُ [٥]

قال : ويقال جبأ عليه الأسودُ من جحره : إذا فاجأه . وهو يجبأ جبْئاً وجَبْوًا .

وقال رجلٌ من بنى شيبان :

وما أنا مِنْ رَيْبِ المَنونِ بجبَّإٍ وما أنا مِنْ سيْبِ الإلهِ بيائِس [٦]

---

(١) الأحوى ، عنى به زمام الناقة ، كما فى المخصص (١٠ : ٩٥) . والأحوى : الذى يضرب سواده إلى الحمرة . والضال : نبت. وحبا : دنا ، كما فى اللسان (حبا) حيث استشهد بالبيت .

(٢) انبست ، بالسين ، كما فى س واللسان . وفى ط ، ﻫ : « أنبشت » مصحف . وكلمة « الحيات » هى فى س ، ط : « الحية » وتصحيحها من ﻫ .

(٣) ط ، ﻫ : « وانبش » صوابه فى س . وفى س ، ط : « الكثيف » صوابه فى ﻫ . والكثيب الأهيل : الرمل السائل الذى لا يثبت .

(٤) فى الأصل : « وجرت بحالتها » . وانظر ما سبق فى ص ٢٢٥ حيث تجد شرح البيت .

(٥) فى الأصل : « زرق الفراش »، وتصحيح الرواية مما سبق ص ٢٢٥ .

(٦) الجبأ ، بضم الجيم وتشديد الباء المفتوحة : الهيوب الجبان . وقد وهم أبو عمرو الشيبانى فى تفسير هذه الكلمة من هذا البيت فجعلها الناجى من الأمر الذى انفلت منه . وقد اعترضه صاحب التنبيهات على أغلاط الرواة . وروى فى المخصص =

(ما يَشرع فى اللبَن)

قال : ويقال : اللَّبن مُحْتَضَرٌ[1] فغطِّ إناءك . كأَنَّهم يَروْنَ أنّ الجنَّ تشْرعُ فيه[2] ، على تصديق الحديث فى قول المفقود[3] لعمر ، حين سأله وقد استْهوتْهُ الجانّ : ما كان طعامهم ؟ قال: الرِّمَّة . يريد العظم البالى . قال : فما شرابهم ؟ قال: الَجدَف . قال: وهو كلُّ شراب لا يُخمَّر[4] .

وتقول الأعراب : ليس ذلك إلاّ فى اللَّبَن . وأمَّا النَّـاس فيذهبون إلى أنَّ الَحيَّات تشرع[5] فى اللَّبَن ، وكذلك سامٌّ أبرص ، وكذلك الحيَّات تشرع فى كثير من المرق .

(حديث فى المعصفر)

وجاء فى الحديث : « لا تَبيتوا فى المعَصْفر[6] ؛ فإنها مُحْتَضَرَةٌ » ، أى يحضرها الجنُّ والعُمَّار .

= (١٦ : ١٢) : « فما أنا من ريب الزمان » . والسيب ، بالفتح : العطاء . وروى فى المخصص (٣ : ٧٠) : « وما أنا من سيب الإلـه بآيس »، على القلب.

(١) محتضر : يحتضره الجن ، والدواب وغـيرها من أهل الأرض . س : « فقد أتاك » محرف .

(٢) تشرع فيه : تدخل فيه لتشرب . وفى الأصل : « تسرع فيه »، مصحف .

(٣) أى الذى كان قد استهوته الجن : فيما يروون .

(٤) لا يخمر : أى لا يغطى .

(٥) فى الأصل : « تسرع » . وانظر ما سبق قريباً .

(٦) المعصفر : المصبوغ بالعصفر ، وهو زهر القرطم . ط : « العصفر » ، صوابه فى س ، ﻫ . وقد أعاد إليه ضمير المؤنث لما فيه من معنى الثياب .

وقال الشاعر فيما يمجنون[1] به ، من ذكر الأفعى :

رَمَاكَ اللهُ مِنْ أيرٍ بأَفْعًى ... ولا عافاك من جَهدِ البَـلاء[2]

٨٦ أجُبْناً فى الكريهة حِين تَلْقَى ... ونَعْظاً ما تفـتِّرُ فى الخـلاء ! !

فـلولا الله ما أمسى رَفيـقى ... ولولا البـولُ عُوجلَ بالخِصاء

وقال أبو النَّجم[3] :

نظرَتْ فأعجَبها الذي فى دِرْعها ... من حُسْنها ونظرتُ فى سِرباليا[4]

فرأتْ لهـا كفلا ينوءُ بخَصْرها ... وعثًـا روادفهُ وأخْثَمَ ناتيا[5]

---

(١) يمجنون ، من المجون . وفى الأصل : « يحكون » ، وصوابه ما أثبت . والشعر الآتى وما بعده مجونى .

(٢) سبقت هذه الأبيات فى (١ : ١٧٦) .

(٣) كان أبو النجم قد دخل على هشام بن عبد الملك ، وقد أتت له سبعون سنة ، فقال له : يا أبا النجم ! كيف أنت والنساء ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما أنظر إليهن إلا شزرا ، ولا ينظرن إلى إلا كرها ! وعلى رأس هشام وصيفة تذب عنه ، فقال : يا أبا النجم : خذ هذه الوصيفة فابل بها نفسك ، واغد على بخبرك . فانصرف بها . فلما كان من الغد غدا عليه ، فقال : ما الذى صنعت يا أبا النجم ؟ فقال : لا والذى أكرمك بالخلافة يا أمير المؤمنين ، ما صنعت شيئاً ولا قدرت عليه ! وقد قلت فى ذلك أبياتا . ثم أنشده الشعر الآتى . فضحك هشام وأمر له بخمسة آلاف درهم وقال له : خذ هذه فاجعلها عوضاً مما فاتك . الأغانى (٩ : ٧٧) وكتاب المختار من شعر بشار ص ٢٠٩ .

(٤) الدرع : القميص . رواية الأغانى : « من حسنه » والمختار : « خلقها » .

(٥) ينوء بخصرها : أى ينوء خصرها بحمل كفلها ويثقل عليه ذلك . وهذا الضرب من التعبير يسمى القلب . وعثا روادفه : أصل الوعث : المكان السهل الدهس تغيب فيه الأقدام . وهذه هى رواية ط والأغانى والمختار . وفى س ، هـ : « وعسا » بالسين ، وهى بمعنى الأول . والأخثم : المرتفع الغليظ . وناتيا ، أى بارزاً ، وأصله ناتئا . ورواية الأغانى والمختار : « جاثيا » .

ورأيتُ منتشرَ العِجان مُقبَّضا رِخْـوا حمائله وجِلْدًا باليا(١)

أُدْنِى له الرَّكَب الحَلِيقَ كأنما أُدنِى إليـه عقاربًا وأفاعيـا(٢)

وقال آخر(٣) :

مريضــةَ أثنــاءِ التَّهادى كأنما تخافُ على أحشائها أنْ تَقطَّعا(٤)

تسيبانسيابَ الأيْم أخصَرَه النَّدَى يرفِّع من أطرافه ما ترفَّعـا(٥)

(شعر فى العقربان)

وقال إياسُ بن الأرَتِّ(٦) :

كأنَّ مَرْعَى أمِّكمْ ســوءة عقــرَبةٌ يَكُومُها عُقْرُبانْ(٧)

---

(١) فى المختار : « منتفخ العجان مقلصا »، و الأغانى: « رخوا مفاصله » . وبين هذا البيت والذى قبله بيت رواه صاحب المختار ، وهو :

ارفع جبينك فيم أنت منكس أفضحتنى وطردت أم عياليا

(٢) الركب ، بالتحريك : الهن . وفى المختار « أدنى لك . . . . كما أدنى إليك » على الخطاب . وبعد هذه الأبيات خمسة أخرى فى الأغانى ، منها اثنان فى المختار .

(٣) بدله فى محاضرات الراغب (٢ : ١٣٩) : « ويستحسن للسعدى »، أى رجل من بنى سعد .

(٤) التهادى : مشى فى تمايل وسكون . ه : « التهاوى » صوابه فى س ، ط والمحاضرات والحماسة (٢ : ٩٣) ومجموعة المعانى ٢١٢ . والرواية فى المحاضرات والحماسة : « مريضات أوبات التهادى » . ينعتها أو ينعتهن بلين المشية ودقة الخصر .

(٥) يقول : تتدافع فى السير تدافع تلك الحية التى أثر فيها برد الندى ، فهى فى مشيتها البطيئة وتدافعها ذلك ، ترفع من أجزائها بعضاً . ورواية المحاضرات والحماسة ومجموعة المعانى : « فرفع من أعطافه » .

(٦) لم أجد له ترجمة إلا ما قال صاحب القاموس فى (رتت) : « وإياس بن الأرت ، كريم ، شاعر » . والأرت اسمه خالد ، كما فى ذيل اللآلىء ص ٢٤ .

(٧) مرعى : اسم أمهم . يكومها : يخالطها . والعقربان ، بالضم : ذكر العقارب ، أو دويبة صفراء طويلة كثيرة القوائم ، تسمى فى مصر (أم أربعة وأربعين) =

إكليلُها زَوْلٌ وفى شَـــوْلِها وَخْزٌ حَدِيدٌ مِثْلُ وخز السنانْ [١]

كلُّ امرئٍ قدْ يُتَّقَى مُقبِــلاً وأُمُّكم قــد تُتَّقَى بالعِجانْ [٢]

وقال آخَرُ [٣] لمُضِيفِهِ :

تَبيتُ تُدَهْـدِهُ القِذَّانَ حَوْلى كأنَّكَ عِنْـدَ رأسى عَقْرُبانُ [٤]

فلو أطعمتنى حَمَلاً سَمِيناً شكرْتُكَ ؛ والطَّعامُ له مكانُ [٥]

= ويسميها العرب أيضاً دخال الأذن ، ويسميها علماء الإفرنج : Centipede . وعلى الوجه الثانى من التفسير استشهد صاحب اللسان بالبيت . ولست أستجيده . وقد أسلفت كلاما على هذا الشعر فى (٢ : ٢٨٦) .

(١) كنى عن قرنى العقرب بالإكليل . التبريزى (٤ : ٢٤) . والزول : الخفيف الحركة ، أو العجب . والشول : رفع الذنب . والوخز ، بالزاى : طعن لاينفذ. حديد : قوى . س ، هـ . « وخذ حديد » ، وصوابه فى ط والحماسة . وفى س : « مثل وخذ » و هـ : « مثل خز » وهما تصحيفان .

(٢) أى إذا أدبرت . ولعله يعنى أنها إذا غابت نمت بين الناس .

(٣) قائل الشعر الآتى هو الهيردان بن اللعين المنقرى . والهيردان ، بفتح الهاء بعدها مثناة تحتية وراء مضمومة . وقد ذكره المرزبانى فى معجمه ٤٨٨ . وأما أبوه اللعين المنقرى فقد أسلفت ترجمته فى (١ : ٢٥٦) . وكان من قصة الهيردان أنه نزل فى البصرة على رجل من الصلحاء يقال له ثبيت ، فأطعمه تمراً وأسقاه لبنا وقام يصلى ، فقال الهيردان الشعر الآتى. وقبلالبيت الأول :

لخبز يا ثبيت عليه لحم أحب إلى من صوت الأذان

انظر معجم المرزبانى . وقد روى القالى فى أماليه (٣ : ١٧) هذه القصة ، ولم يذكر فيها اسم الهيردان ، وقال: إن ثبيتا هذا نزل به قوم ليلة فلم يعشهم وقام يصلى ، فقال رجل منهم الشعر الآتى .

(٤) يدهده : يدحرج أو يقلب بعضه على بعض . والقذان : البراغيث ، واحدها قذة ، كقوة . والرواية الجيدة : « تدهور القرآن »، ودهور كلامه : قحم بعضه فى إثر بعض . والعقربان سبق شرحه فى التنبيه السابع من الصفحة السابقة . وقال القالى فى شرح هذا البيت : « واختلفوا فى العقربان ، فقال قوم : هو ذكر العقارب ، وقال قوم : هو دخال الأذن . وهو الوجه » . وانظر التنبيه المشار إليه .

(٥) كذا الرواية أيضاً فى عيون الأخبار (٣ : ٣٢٠)، ولم يروه المرزبانى . ورواية القالى :

فلو أطعمتنى خبزاً ولحماً حمدتك والطعام له مكان

(شعر فى الحيات والأفاعى)

وقال النّابغة :

فلو يستطيعون دبَّتْ لنا مَذاكى الأفاعى وأطفالَها[١]

وقال رجلٌ من قريش :

ما زالَ أَمْرُ وُلاةِ السُّوءِ مُنْتشِرًا حتَّى أظلّ[٢] عليهم حَيّةٌ ذكَرُ

ذو مِرّةٍ تَفْرَقُ الحيَّاتَ صَوْلَتَه عفُّ الشَّمائلِ قد شُدَّتْ له المِرَرُ[٣]

لم يأتِهمْ خَبرٌ عنْهُ يلينُ له حتَّى أتاهم به عن نفْسهِ الخبرُ

وقال بشار :

تزِلُّ القوَافِى عنْ لسانى كأَنّها حُماتُ الأفاعى ريقهنَّ قَضاءُ[٤]

[وقال[٥]] :

فكم من أخٍ قد كان يأمُلُ نفعكَمْ شجاعٍ له نابٌ حديدٌ ومخْلبُ[٦]

أخٍ لو شكرْتمْ فعْلهُ لوْ عَضَضتُمُ رءُوسَ الأفاعى عَضّ لايتهيَّبُ[٧]

٨٧

(١) المذاكى : جمع المذكى، بتشديد الكاف المكسورة ، وهو المسن من كل شىء .

(٢) كذا فى الأصل بالظاء المعجمة .

(٣) المرر : جمع مرة ، بالكسر ، وهى القوة . أراد أنه قوى الشكيمة .

(٤) الحمات : جمع حمة بضم ففتح ، وهى ماتلدغ به الأفعى . وفى الأصل : « حماة » محرف . ريقهن قضاء : أى فيه القضاء على من سرى فيه . ط : هـ : « قضاب »، صوابه ما أثبت من س والمختار من شعر بشار ص ٩٠ . وقبل هذا البيت :

وقد علمت عليا معد بأننى إذا السيف أكدى كان فى مضاء

(٥) هذه الكلمة ليست بالأصل . وقد يكون القائل بشاراً ، وقد يكون غيره .

(٦) حديد : قوى .

(٧) فى الأصل : « لعضضتم »، وبذا يضطرب نسج البيت. والوجه ما أثبت . وقد حذف =

وقال الحارث دعيُّ الوليد، في ذكر الأسْوَدِ بالسمّ من بين الحيَّات :

فإنْ أنتَ أقرَرْتَ الغـداة بنِسْبتي عُرِفْتَ وإلاّ كنتَ فقْعاً بقَرْدَدِ [(١)]

ويشْمَتَ أعداءٌ ويجذَلُ كاشحٌ عَمَرْتَ لهم سُمًّا على رأس أسْودِ [(٢)]

وقال آخر :

ومعشرٍ منْقَعٍ لى فى صُدُورِهِمُ سمُّ الأساوِدِ يغـلى فى المواعيدِ

وسَمْتُهم بالقوافى فـوْقَ أعينهم وسْمَ المعيدىِّ أعناقَ المقاحيد [(٣)]

وقال أبو الأسود [(٤)] :

ليتَـكَ آذنتنى بواحــدةٍ جَعَلْتَها مِنْكَ آخِرَ الأَبَدِ [(٥)]

= جواب الشرط الأول ، اكتفاء بما يدل عليه جواب الشرط الثانى . أى لوشكرتم فعله لشاركـكم فى جميع ما أنتم فيه، حتى لو تقحمتم الصعبة لتقحمها معكم .

(١) الفقع : كمأة رخوة بيضاء . ويقال للذليل : « أذل من فقع بقرقرة »، وذاك أن الفقع لا يمتنع على من جناه ، أو أنه يوطأ بالأرجل . أمثال الميدانى (٢ : ٥٩) . والقردد : الأرض المستوية . وأما القرقرة فى المثل فهى الأرض المطمئنة اللينة .

(٢) عمرت لهم : أى أبقيت للأعداء .

(٣) أى جعل هجوه إياهم بالشعر السائر كالسمة الظاهرة فى جباههم . والمقاحيد : جمع مقحاد ، بالـكسر ، وهو ما عظم سنامه من الإبل . و « المعيدى » كذا بالأصل . ولعلها « المعبد » بتشديد الباء الموحدة المـكسورة ، وهو الذى يعبد الإبل ، أى يطليها بالقطران ليعالج جربها ؛ فان المعيدى تصغير المعدى نسبة إلى معد ابن عدنان ، وليس له وجه مناسب .

(٤) مثل هذه النسبة فى عيون الأخبار (٣ : ١٨٩) . ونسبه ياقوت فى معجم الأدباء (١ : ١٩٣) إلى إبراهيم الصولى فى محمد بن عبد الملك الزيات . وصاحب العقد (٣ : ٣٩٧) إلى أبى زبيد . وصواب نسبته أنه لأبى الأسد نباتة بن عبد الله ، كما فى طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٤٨ والأغانى (١٢ : ١٦٨)وديوان المعانى (٢ : ٢٠٣) إذ يقول فى القصيدة :

فصرت من سوء ما رميت به أكنى أبا الـكلب لا أبا الأسد

وأبو الأسود ، قال الجاحظ : اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان . وقال عمر بن شبة : اسمه عمرو بن سفيان بن ظالم . المزهر (٢ : ٢٦٣) . وأبو الأسود الدؤلى البصرى ، أول من أسس النحو ، وأول من نقط المصحف . وكان من سادات التابعين ، وكان شيعيا . انظر بقية نعته فى بغية الوعاة ٢٧٤ . توفى سنة ٦٧ بطاعون الجارف .

(٥) آذنه بالأمر : أعلمه . ورواية ابن قتيبة : « تجعلها منك » .

تَحْلِفُ ألاّ تَبَرَّنى أبدًا   فإنّ فيها بَرْدًا على كَبِدِى[١]

إن كان رزقِى إليك فارْم به   فى نَاظِرَىْ حيّةٍ على رَصَدِ[٢]

وقال أبو السَّفّاح[٣] يرثى أخاه يحيى بن عميرة[٤] ويسمِّيه بالشجاع[٥] :

يَعْدُو فلا تكذبُ شَدَّاتُهُ   كما عدا اللّيْثُ بوادى السِّباعْ

يجمعُ عَزْماً وأَنَاةً معاً   ثُمّتَ يَنْبَاعُ انْبِيَاعَ الشجاعْ[٦]

وقال المتلمِّس :

فأطْرَقَ إطرَاقَ الشجَاعِ ، ولو يَرَى   مَسَاغا لنَابَيْهِ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا[٧]

وقال مَعْمَر بن لقيط[٨] أو ابن ذى القروح[٩] :

شموسٌ يظلُّ القوم معتصما به   وإن كان ذا حزْمٍ من القَوْم عاديَا

---

(١) يقول : ليتك تحلف ألا تبرنى ؛ فقد سئمت برك وما تحملنى من المن .

(٢) فى معجم الأدباء : « فى ماصفاحبه » . وصواب ما فى المعجم : « فى ماضغى حية » .

(٣) كذا فى الأصل ومقطعات مراث ص ١١٦ . وكذا فى الموفقيات للزبير بن بكار طبعة وستنفلد . واسمه بكير بن معدان بن عميرة بن طارق اليربوعى . والشعر منسوب فى المفضليات ١٥٤ إلى السفاح بن بكير الثعلبى . نسبة إلى ثعلبة بن يربوع.

(٤) وقال أبو عبيدة : هى لرجل من بنى قريع ، يرثى بها يحيى بن ميسرة ، صاحب مصعب بن الزبير ، وكان وفى له حتى قتل معه . انظر شرح المفضليات ٦٣٠ ، وكذا خزانة الأدب (٢ : ٥٣٧ بولاق) .

(٥) الشجاع : ضرب من الحيات .

(٦) ينباع : يثب ويسطو .

(٧) روى : « وأطرق » فى حماسة البحترى ١٥ ولباب الآداب ٣٩٣ والميدانى (١ : ٣٩٥) . وروى فى سر الصناعة : « لناباه » . وبه يستشهد النحويون على إلزام المثنى الألف فى أحوال الإعراب الثلاث عند بعض القبائل . انظر الخزانة (٣ : ٣٣٧ بولاق) ، وقد أخذ هذا البيت عمرو بن شأس فقال (انظر معجم المرزبانى ٢١٣) :

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى   مساغا لنابيه الشجاع لقد أزم

(٨) كذا . ولعله : « لقيط بن يعمر » .

(٩) المعروف فى الشعراء : « ذو القروح » ، وهو امرؤ القيس .

أبيت كما بات الشجاع إلى الذُّرَى وأغدُو على همٍّى وإن بتُّ طَاوِيَا

وإنّى أهُضُّ الضَّيم منّى بصارمٍ رهيفٍ وشيخٍ ماجدٍ قدْ بَنَى ليا[1]

وهكذا صفة الأفعَى ؛ لأَنها أبدًا نابتةٌ مستوية ، فإنْ أنكرَتْ شيئاً فَنَشْطَتُها كالبَرْقِ الخاطِف .

ووصف آخرُ أفعًى ، فقال :

وقَدْ أُرانى بطوىِّ الحسِّ وذاتِ قرْنَيْنِ طَحُونِ الضِّرْس[2]

نضناضةٍ مثل انثناء الَمرْسِ[3] تدير عَيْناً كشهاب القَبْسِ

٨٨ لمّا التقَيْنَا بمَضِيقٍ شَكْسِ[4] حتى قَنَصْتُ قرْنَها بِخَمْسِ[5]

وهم يتهاجوْنَ بأكل الأفاعى والحيّات . قال الشاعر :

فإيا كُمُ والرِّيفَ لا تقربُنَّهُ فإن لديه الموتَ والحتمَ قاضيَا

هُمُ طردوكم عن بلادِ أبيكم وأنتمْ حُلولٌ تشتَوون الأَفاعيَا

وقال عمر بن أبي ربيعة :

ولمَّا فقَدْتُ الصَّوتَ منهم وأُطْفِئَتْ مصابيح شُبَّت بالعِشَاء وأنؤُر[6]

---

(١) أهض الضيم : أدفعه . وأصل الهض : الكسر والدق .

(٢) فى الأصل : « كجون الترس » . وأثبت ماعند الدميرى .

(٣) المرس ، وأصله المرس بالتحريك : الحبل . وقد سكن الراء للشعر . وفى الأصل : « الرس » ولا وجه لها .

(٤) شكس : ضيق . وانظر نهاية مادة (شكس) فى اللسان .

(٥) أى بخمس أصابع . س : « حتى قضت » وفى س : ط : « قبوتها » وصوابهما فى هـ .

(٦) أنؤر ، بالهمزة : جمع نار . قال المبرد فى الكامل ٣٨٣ ليبسك : « وقوله : وأنؤر ، إن شئت همزت ، وإن شئت لم تهمز » . ورويت : « أنور » عند العينى (١ : ٣١٨) .

وغاب قُميرٌ كنت أرجو مَغِيبَه ... وروَّح رُعيان وهَوَّمَ سُمَّرُ
ونفَّضتُ عنّى اللّيلَ[١] أقبلتُ مِشْيَةَ الـ ... حُبَابِ ، ورُكنى خيفَةَ القومِ أزْوَرُ[٢]

(ضرب المثل بسم الأساود)

[و] [٣] ضَرَبَ كلثومُ بن عمرو المثلَ بسمِّ الأساود ، فقال[٤] :

تلوم على تَرْكِ الغنى[٥] بَاهليَّة[٦] ... طوى الدَّهْرُ عنها كلَّ طِرْفٍ وتالِدِ
رأت حولهـا النِّسوانَ يرفُلْنَ فى الـكُسَا[٧] ... مقلَّدةً أجيـادُها بالقـلائِدِ
يسرُّكِ أنِّى نلتُ ما نالَ جعفرٌ ... من الملك ، أو ما نال يحيى بنُ خالد[٨]

---

(١) يروى : « ونفضت عنى العين » ، أى احترست منها وأمنتها . وقد أفرد العين وأراد بها العيون . والرواية هنا جيدة أيضا ، بل هى أطيب وألطف . ورواية العينى : « وخفض عنى الصوت » .

(٢) الحباب ، بالضم : الحية . أزور : مائل ، فهو يتخفى .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى الأغانى (١٢ : ٨) : « وكانت تحته امرأة من باهلة ، فلامته وقالت : هذا منصور النمرى قد أخذ الأموال ، فحلى نساءه ، وبنى داره ، واشترى ضياعا ، وأنت ههنا كما ترى ! فأنشأ يقول . . » . وهو بهذا الشعر « يعرض بالبرامكة ، ويذكر عاقبة صحبة السلطان ، وأنه ما للمتعلق بها من غدر الزمان أمان » . غرر الخصائص الواضحة للوطواط ٤٠٨ . والشعر متداول فى مراجع كثيرة ، منها عيون الأخبار (١ : ٢٣١) والعقد (٢ : ١٣٦) والبيان (٣ : ٣٥٣) ومروج الذهب (٢ : ٤٩٥) وزهر الآداب : (٣ : ٣٩) وحماسة ابن الشجرى ١٤٠ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢ ، ٢١٣) .

(٥) ط ، هـ : « الغناء » ، صوابه فى س والمراجع المتقدمة .

(٦) ط : « لأهله » هـ : « بأهلية » ، صوابه فى س والمراجع المتقدمة . والباهلية : امرأته .

(٧) الكسا : جمع كسوة . يرفلن : يتبخترن .

(٨) يعنى جعفرا البرمكى ، ويحيى بن خالد البرمكى . أما جعفر وهو ابن يحيى بن خالد =

وأنّ أميرَ المؤمنين أعَضَّـنِي مَعَضَّهما بالمرْهَفَاتِ البَوَارد ![1]
ذريني تجئْـنى ميتتى مُطْمئنَّةً ولم أتَقَحَّمْ هَوْلَ[2] تلكَ الموارِدِ
فإن كريمـاتِ المعالى مَشُـوبَةٌ بمستَوْدَعاتٍ فى بطونِ الأساوِدِ[3]

(حيات الجبل)

وفى التشنيع لحيَّـات الجبل ، يقول اللَّعِينُ المِنْقَرِىُّ[4] لرؤبة ابن العجَّاج[5] :

= البرمكى فقد قتله الرشيد فى قصه مؤسفة ، يرويها المسعودى فىمروج الذهب . وأما والده يحيى فقد حبسه الرشيد هو والفضل بن يحيى ، حتى ماتا فى حبسهما .

(١) أعضه الشىء : جعله يعضه . ومن عض السيف فقد أهلكه . وروى فى البيان والغرر وعيون الأخبار وحماسة ابن الشجرى والأغانى : « أغصنى مغصهما » . والمرهفات : السيوف المرققات . والبوارد : التى تثبت فى الضريبة ، لا تنثنى . وهم يمدحون السيف بذلك ، قال طرفة :

أخى ثقة لا ينثنى عن ضريبة إذا قيل مهلا قال حاجزه قدى

وفى الأصل : « الفوارد » بالفاء ، وصوابه فى البيان وعيون الأخبار وحماسة ابن الشجرى والمروج والزهر . وفى العقد : « الحدائد » .

(٢) كذا فى ط وسائر المراجع . وانفردت س ، هـ برواية : « حول » ووجهها ضعيف .

(٣) كذا الرواية أيضاً فى البيان وعيون الأخبار . وفى الزهر : « فإن رفيعات المعالى » ، والمروج : « فإن نفيسات الأمور » ، والحماسة : « فإن رفيعات الأمور » ، والعقد : « وجدت لذاذات الحياة » ، والأغانى : « رأيت رفيعات الأمور » ، وديوان المعانى (١ : ١٣) : « وإن جسيمات الأمور منوطة » . وهو مثل من أمثلة تصرف الرواة ، وروايتهم لبعض الشعر بالمعنى دون اللفظ . وانظر مأخذ البيت فى محاضرات الراغب (١ : ٢١٣) .

(٤) روى البحترى فى حماسته ص ٨ البيتين منسوبين إلى المكعبر الضبى . واللعين المنقرى سبقت ترجمته فى (١ : ٢٥٦) .

(٥) أنشد الثانى من البيتين برواية : « خلت اللؤم والخور » فى سيبويه ١ : ٦١ والعينى ٢ : ٤٠٤ منسوبا إلى اللعين .

إنى أنا ابن جلا إن كنت تعرفنى   يا رُوبُ ، والحيَّةَ الصَّماء فى الجَبَلِ[١]
أبا الأراجِيزِ يا ابنَ اللؤمِ توعدنى   وفى الأراجيز جَلْبُ اللؤمِ والكَسَلِ[٢]

(خبران فى الحيات)

الأصمعىُّ ، قال : حدَّثنى ابن أبى طرفة[٣] ، قال : مرَّ قومٌ حُجَّاجٌ من أهل اليمن مع المسَاء ، برجلٍ من هُذيل ، يقال له أبو خِراش ، فسألوه القِرَى ، فقال لهم : هذه قدرٌ ، وهذه مِسْقَاةٌ ، وبذلك الشِّعب ماء ! فقالوا : ما وفَّيتنا حقّ قِرانا ! فأخذ القِرْبَة فتقلّدَها يسقيهم ، فنهشته حَيَّة .

قال أبو إسحاق : بلغنى وأنا حدث ، أن النبى صلى الله عليه وسلم « نَهَى عن اخْتِناث فمِ القِرْبة ، والشربِ[٤] منه » . قال : فكنت أقولُ : إنّ لهذا الحديث لشأناً ، وما فى الشرب من فم قِرْبَةٍ حتّى يجىء فيها هذا النهى ؟ ! حتّى قيل : إنّ رجلاً شربَ من فمِ قِربةٍ ، فوكعته[٥] حيَّةٌ فمات ، وإنَّ الحيَّاتِ تدخُل فى أفواه القِرَب . فعَلِمْتُ[٦] أنّ كلّ شىء لا أعرفُ تأويله من الحديث ، أنّ له مذهباً وإن جَهِلْتُه[٧] .   ٨٩

---

(١) يقولون للرجل الظاهر لا يخفى مكانه : ابن جلا . وروى البحترى : « إن كنت تنكرنى » . قوله : « والحية الصماء » أى وأنا الحية الصماء .

(٢) كذا . والمراد : يا أبا الأراجيز . ورواية البحترى : « أبا لأراجيز » . فى س ، ط : « يوعدنى » صوابه فى هـ وحماسة البحترى . وروى : « خلت اللؤم والفشل » برفع اللؤم والفشل ، على الإقواء . وعند البحترى : « إن الأراجيز رأس النوك والفشل » .

(٣) الخبر فى الأغانى (٢١ : ٤٧ — ٤٨) والإصابة ٢٣٤١ .

(٤) اختنث فم القربة والسقاء : ثناه إلى خارج فشرب منه . وفى الأصل : « اجتثاث » بدل : « اختناث » وهو تحريف ، صوابه فى نهاية ابن الأثير واللسان (مادة خنث) من كل منهما . وانظر الجامع الصغير ٩٤١١ .

(٥) وكعته الحية : لدغته .

(٦) فى الأصل : « علمت » ووجهه ما أثبت .

(٧) وعلله أصحاب الحديث أيضاً ، بأن دوام الشرب هكذا مما يغير ريحه ، وبأنه يجعل الماء يترشش على الشارب لسعة فم السقاء . انظر النهاية واللسان (خنث) .

(شعر في سلخ الحية)

وقال الشاعرُ في سَلْخ ِالحيَّة :

حتَّى إذَا تَـابَعَ بَيْنَ سَلْخَيْنْ وعادَ كالميسَمِ أحماهُ الْقَـيْنْ[1]

أقبَلَ وهـو واثقٌ بِثنْتَيْنْ : بِسَمِّهِ الرَّأسَ وَنَهْشِ الرِّجْلَيْنْ[2]

قال : كأنَّهُ ذهب إلى أنّ سمَّـه لا يكونَ قاتِلاً مُجْهِزاً حتَّى تأتىَ عليه سنتان .

(قول في سلخ الحية)

وزعم بعضهم أنّ السّلخَ للحيّةِ مثلُ البزُولِ والقروح للخف والحافر .

قال : وليس ينسلخ إلاّ بعد سِنِين َكثيرةٍ ، ولم يقِفُوا من السِّنين على حَدٍّ .

وزعم بعضهم أنّ الحيةَ تَسْلخ في كلِّ عام ٍمرَّتين — والسلخ في الحيات كالتَّحسير من الطيرِ — وأنّ الطير لا تجتمع قويّةً إلاّ بعـد التحسيرِ وتمـام نباتِ الرِّيش . وكذلك الحيَّة ، تضعُف في أيام ِالسَّلخ ثمَّ تشتدُّ بعد .

(تأويل رؤيا الحيات)

قال الأصمعيّ : أخبرني أبو رفاعة[3] ، شيخٌ من أهل البادية ، قال : رأيتُ في المنام كأني أتخطّى حيّات . فمطَرت السماء ، فجعلت أتخطى سُيولاً .

---

(١) الميسم بالكسر : أداة الوسم . والقين : الحداد .

(٢) في الأصل : « بسمة الرأس » ، والسمة بمعنى العلامة ، وهي لا تلائم نظام الكلام .

(٣) س ، ه : « أبو رقاعة » بالقاف .

وحكى الأصمعىُّ أنَّ رجلاً رأى فى المنام فى بيوته حَيَّاتٍ ، فسأل عن ذلك ابن سيرِينَ أو غيره ، فقال : هذا رجلٌ يدخل منزلَه أعداءُ المسلمين . وكانت الخوارجُ تجتمعُ فى بيته .

(شعر للعرجى والشماخ فى الحيات)

قال العرْجِىُّ ، فى دبيب السمِّ فى المنهوش :

وأُشْرِبَ جِلْدِى حُبَّهَا وَمَشَى بِهِ ... كمشى حُمَيَّا الكأسِ فى جِلد شاربِ
يَدِبُّ هَوَاهَا فى عظامى وحبُّها ، ... كما دَبَّ فى الملسوع سمُّ العَقاربِ

وقال العرجىُّ فى العرماء[1] من الأفاعى ، وكونها فى صُدوعِ الصَّخْر ، فقال :

تَأَتَّى بليلٍ ذُو سَعاة[2] فَسَلَّها ... بها حافظ هاد ولم أرق سلما[3]
كمثل شِهاب النَّار فى كفِّ قابسٍ ... إذا الرِّيحُ هبت من مكانٍ تَضَرَّمَا
أَبرَّ على الحُوَّاءِ[4] حتى تَنَاذَرُوا ... حِمَاهُ[5] محاماة من الناس ، فاحتمى[6]

---

(١) العرماء ، بالفتح : الحية الرقشاء . وفى الأصل : « العرما » . وكلمة « فى » قبلها ساقطة من س ، هـ .

(٢) السعاة ، بالفتح : التصرف . ط : « سعاده » س : « سعاه » بدون إعجام . وصوابهما فى هـ .

(٣) كذا جاء هذا الشطر ، وفيه تحريف .

(٤) أبر عليهم : غلبهم واستعصى عليهم . والحواء ، بضم الحاء : جمع حاو . وهذا الجمع ليس قياسياً ولا مما ذكرته المعاجم . وسمع نظيره : غاز وغزاء ، وسار وسراء . انظر همع الهوامع (٢ : ١٧٧) . والعرجى ممن يحتج بكلامه ، فانه توفى نحو سنة ١٢٠ . وهو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان شاعراً غزلا ينحو نحو ابن أبى ربيعة ، وكان من الفرسان الظرفاء . ولقب بالعرجى لسكناه قرية العرج فى الطائف . وفى س ، هـ : « الجواد » ط : « الأجواد » . وهما تحريف ما أثبت .

(٥) تناذروا حماه : أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا له . وقد سبق مثل هذا فى بيت للنابغة ص ٢٤٨ س ٩ . وفى الأصل : « تبادروا » ، وهو تحريف .

(٦) فى الأصل : « فاحتما » .

يظلّ مُشيحاً سامعاً ، ثمّ إنها إذا بُعِثت لَمْ تَألُ إلاّ تَقَدُّما[1]

قال : ويقال : تطوّت[2] الحيَّة . وأنشد العرجيُّ :

ذكرَتْنى إذْ حَيَّةٌ قد تطوّتْ برقا عند عرسه فى الثياب[3]

وقال الشّماخ ، أو البَعيث[4] :

وأطرَقَ إطراقَ الشجاعِ وقَدْجَرَى على حَدِّ نَابَيْهِ الذُّعافُ المسمَّمُ[5]

(ما ينبح من الحيوان)

٩٠ والأجناس التى تُذْكَرُ بالنُّبَاح : الكلب ، والحيَّةُ ، والظَّبْىُ إذا أسنَّ ، والهُدهُد . وقد كتبنا ذلك مرة ثمَّ[6] .

قال أبو النَّجم :

والأسد قد تَسْمَعُ مِنْ زئيرها وباتت[7] الأفعى على مَحْفُورِها

تأسِيرُها يحتَكُّ فى تأسيرها[8] مرّ الرَّحَى تجرى على شَعيرها

(١) المشيح : الحذر . وقد ذكرها مرة وأنثها أخرى . والحية مما يذكر ويؤنث .

(٢) س : « انطوت » . والأوفق ما أثبت من ط ، هـ .

(٣) كذا جاء هذا الشطر فى ط ، هـ . وفى س : « عند عريسه » ، وكلا النصين محرف . وانظر ديوان العرجى ١١٥ .

(٤) ليس البيت فى ديوان الشماخ .

(٥) فى الأصل : « ولو جرى » . وانظر مثيل هذا البيت فى ص ٢٦٣ .

(٦) انظر لنباح الظبى ما سبق فى (١ : ٣٤٩) ولنباح الهدهد ما سبق فى (١ : ٣٥٠) . وأما نباح الحية فلم يسبق له ذكر ، وانظر له الاستدراكات .

(٧) هـ : « وبانت » بالنون . وانظر بعض أشطار من الأرجوزة فى اللسان (عفر) .

(٨) التأسير : واحد التآسير ، وهى فى أصل معناه السيور يؤسر بها السرج ، وجعله هنا لجلدها . و « يحتك » هى فى الأصل « يحنك » بالنون . وصوابه ما أثبت .

كرَعْدَة الجِرَاء أو هديرِها[1] تضرُّمَ القَصْباء فى تَنُّورها[2]
توقّر النَّفس على توقيرها تعلّم الأشيـاء فى تنقيرها
* فى عاجل النفْسِ وفى تأخيرها *

(قول فى آية)

وسنذكر مسألةً وجوابها . وذلك أنَّ ناسا زعموا أنّ جميع الحيوان على أربعة أقسام : شىء يطير ، وشىءٍ يمشى ، وشىءٍ يعوم ، وشىءٍ ينساح .

وقد قال الله عزَّ وجلّ : ﴿ وَاللهُ خَلَقَ كلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلَى بَطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلَى رِجْلَيْن ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلَى أَرْبَعٍ ، يَخْلقُ اللهُ مَا يَشَاءُ ﴾ .

وقد وَضَعَ الكلامَ على قسمة أجناس الحيوان ، وعلى تصنيف ضروبِ الخلْق ، ثمَّ قَصَّرَ عن الشىء الذى وضَعَ عليه كلامَهُ[3] ، فلم يذكر ما يطير وما يعومُ . ثمَّ جعل ما ينساحُ ، مثلُ الحيَّاتِ والدَيدان ، ممَّا يمشى ، والمشى لا يكون إلاّ برجل ، كما أنَّ العضّ لا يكون إلَّا بفمٍ ، والرَّمْح لا يكون إلَّا بحافر . وذكر ما يمشى على أربعٍ ، وهاهنا دوابٌّ كثيرةٌ تمشى

---

(١) الجراء : جمع جرو ، أراد به ولد الكلب . ورعدتها : صوتها ، وكذلك هديرها . وفى الأصل : « الجزاء »، ولا وجه له .

(٢) القصباء : جماعة القصب ، ويسمى أيضاً الأباء بالفتح . وبه يضرب المثل فى شدة الصوت عند التضرم . ومنه قول ابن أبى الحقيق :

من سره ضرب يرعبل بعضه بعضاً كمعمة الأباء المحرق

وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « القضاء » و : ه : « الغضا » و س : « القضباء » . وفى س : أيضاً « تنور » مكان « تضرم » .

(٣) هذا حكاية من الجاحظ لقول المعترضين على الآية الكريمة ، وسيرد عليهم فى السطر الثالث من الصفحة الآتية .

على ثمانِ قوائمَ ، وعلى ستٍّ ، وعلى أكثرَ من ثمانٍ . ومَن تفقَّدَ قوائمَ السَّرطانِ وبناتِ وَرْدَانَ ، وأصنافَ العناكب — عرَفَ ذلك .

قلنا : قد أخطأتم فى جميع هذا التَّأويل وحَدِّه . فما الدَّليلُ على أنَّهُ وضع كلامَهُ فى استقصاءِ أصناف القوائم ؟ وبأىِّ حُجةٍ جزَمْتم على ذلك ؟ وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ ﴾ وتَرَكَ ذِكْرَ الشَّيَاطِينِ والنَّارُ لهمْ آكلُ ، وعذابُهم بها أشدُّ . فتَرَكَ ذِكرَهم من غير نسيانٍ ، وعلى أنَّ ذلك معلومٌ عند المخاطب . وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً[1] ﴾ ، أخرج من هذا العموم عيسى بنَ مريم ، وقد قَصَدَ فى مخرَجِ هذا الكلام [إلى[2]] جميعِ ولدِ آدمَ . وقال : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكورًا ﴾ أدخَلَ فيها آدمَ وحوَّاء . ثم قال على صلة الكلام : ﴿ إنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ﴾ ، أخرج منها آدمَ وحوَّاءَ وعيسى بنَ مريم . وحَسُن ذلك إذ كان الكلام لم يُوضَع على جميع ما تعرفه النُّفوسُ من جهةِ استقصاءِ اللَّفظ . فقوله : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ يَمْشِى عَلَى أَرْبَعٍ[3] ﴾ كان على هذا المثال الذى ذكرنا . وعلى أنَّ كلَّ شيءٍ يمشى على أربع فهو مما يمشى على رجلين ، والذى يمشى على ثمان هو ممـا يمشى على أربعٍ ، وعلى رجلين .

٩١

---

(١) من الآية الحادية عشرة فى سورة فاطر .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) بين هذه الآية والكلام بعدها ، جملة : « فهو مما يمشى على أربع » فى ط ، س . وهى عبارة مقحمة ليس لها وجود فى هـ .

وإذا قلت : لى على فلان عشرة آلاف درهم ، فقد خبَّرت أنّ لك عليه ما بين درهمٍ [1] إلى عشرة آلاف .

وأمّا قولكم : إنّ المشى لا يكون إلّا بالأرجل ، فينبغى أيضاً أنْ تقولوا ﴿ فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ : إنّ ذلك خطأ ؛ لأنّ السَّعى لا يكون إلاّ بالأرجل .

وفى هذا الذى جهلتموه ضروبٌ من الجواب : أمّا وجهٌ منه فهو قولُ القائل وقول الشّاعر : « ما هُوَ إلّا كأَنهُ حيّة » ، و : « كأَنّ مِشيته مِشْيةُ حيَّة » يَصِفُونَ ذلك ، ويذكرون عِنْدَهُ مِشيةَ الأيم والحُباب ، وذكورِ الحيَّات . ومَن جَعَلَ للحيّاتِ مَشياً من الشعراء ، أكثرُ من أن نقف [2] عليهم . ولو كانوا لا يسمُّون انسيابَها وانسياحَها مشياً وسَعْياً ، لكان ذلك مما يجوزُ على التشبيه والبدل ، وأَنْ قَام الشىءُ مقام الشىءِ أو مقام صاحبه ؛ فمن عادة العرب أن تشبِّه به فى حالاتٍ كثيرة . وقال الله تعالى : ﴿ هٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّين ﴾ والعذاب لا يكون نُزُلاً ، ولكِنّهُ أجرَاه مُجْرَى كلامهم ، كقول حاتمٍ حينَ أمرُوهُ بِفَصْدِ بعيرٍ ، وَطَعَنه فى سَنامه ، وقال : « هذا فَصْدُهُ [3] ! »

---

(١) كلمة « عليه » ساقطة من هـ . وفى هـ أيضا : « مائتين » بدل « مابين » وهو تحريف .

(٢) هـ : « تقف » بالخطاب .

(٣) أى هذا فصد البعير ، والفصد : شق العرق لاستخراج دمه . وكان أهل الجاهلية فى شدة الأزمان يفصدون الإبل ويسخنون دم الفصد حتى يجمد ويقوى فيطعمونه ويطعمونه الضيفان ، أو يجعلون ذلك الدم فى معى من الأمعاء ويشوونه ويأكلونه . ويروى المثل عند الميدانى (٢ : ٣١٧) : « هكذا فصدى » وقال : « قيل إن أول من تكلم به كعب بن مامة . وذلك أنه كان أسيراً فى عنزة فأمرته أم منزله أن يفصد لها ناقة ، فنحرها ، فلامته على نحره إياها فقال : هكذا فصدى ! يريد أنه لايصنع إلا ما تصنع الكرام » . عنزة : قبيلة . وأم المنزل : ربته .

وقال الآخر :

فقلتُ ياعمرُو أطْعِمْنِيِّ تَمْرَا[1] فكان تمْرى كَهْرَةً وزَبْرَا[2]

وذمّ بعضهم[3] الفأرَ وذكرَ سوءَ أثَرِها فى بيته ، فقال :

ياعَجِّلَ الرَّحمنُ بالعقابِ لِعامراتِ البيتِ بالخرابِ

يقول : هذا هو عمارتها . كما يقول الرَّجُل ، « مانَرَى مِنْ خيْرِك ورِفْدِك إلاّ مايبلغُنا مِنْ حَطبك[4] علينا ، وفتِّكَ فى أعضادِنا[5] ! »

وقال النَّابغة فى شبيهٍ بهذا ، وليس به :

ولا عيبَ فيهم غير أنَّ سيوفهم بِهِنّ فلولٌ من قِراع الكتائب

ووجهٌ آخر : أنَّ الأعرابَ تزعُمُ — وكذلك قال ناسٌ من الحوَّائين والرَّقائين — إنَّ للحيَّة حزوزا[6] فى بطنه ، فإذا مَشى قامت حُزُوزه[7] ،

---

(١) روى فى البيان (١ : ١٥٣) : « فقلت أطعمنى عمير » ، والحيوان (٥ : ٣٣) : « قالت ألا فاطعم عميرا » . وروى فى المخصص (٢ : ١٣٤) : « فقلت أطعمنى عميم تمراً » ، وهى رواية الأضداد ١٥٢ ، وفيها : « قال أبو بكر : عميم : تصغير عم » . أى ياعمى .

(٢) الكهرة : الانتهار . والزبر : الزجر والمنع .

(٣) هو أعرابى دخل البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر . انظر الحيوان (٥ : ٢٥٨) وديوان المعانى (٢ : ١٥١) حيث تجد أيضاً بقية هذه الأرجوزة .

(٤) فى القاموس : « حطب فى حبلهم يحطب : نصرهم » . وفى اللسان : « وحطب فلان بفلان : سعى به » ؛ فالمراد هنا : من حطبك علينا بالشر ، وتأليب الناس علينا . وفى الأصل وكذا فيبعض نسخ البيان (١ : ١٥٣) : « خطبك » بالخاء . ولا تتجه إلا بتكلف . وما يبلغنا : أى مايصل إلينا .

(٥) فت فى عضده : رام إضراره بتخونه أهل بيته . وعضد الرجل : أهل بيته . ط : « وفتنك » صوابه فى س ، ه والبيان . وفى ط ، ه : « أعضائنا » صوابه فى س والبيان .

(٦) ط ، س : « خزوزا » صوابه فى ه .

(٧) ط ، س : « خروزه » صوابه فى ه .

وإذا تَرَكَ المشْىَ تراجعتْ إلى مكانها ، وعادتْ تلك المواضعُ مُلْساً . ولم تُوجَدْ بِعينٍ ولا لَمْسٍ ، ولا يبلُغها إلَّا كلُّ حَوَّاءٍ دقيقِ الحِسِّ .

وليس ذلك بأعجَبَ من شِقْشِقَةِ الجملِ العربىِّ ؛ فإنَّه يظهرُها كالدَّلْو ، فإذا هو أعادها إلى لَهاَتِه تراجع ذلك الجِلدُ إلى موضعه ، فلا يقدرُ أحدٌ عليه بلمْسٍ ولا عَين . وكذلك عروق الكُلَى[1] إلى المثانة التى يَجْرى فيها الحَصَى المتولِّد فى الكُلية إذا قذَفتهْ[2] تلك العروقُ[3] إلى المثانة ، فإذا بال الإنسانُ انضمَّتِ العروقُ واتَّصلت بأماكنها ، والتحمتْ حتى كان موضعُها كسائرِ ما جاوز تلك الأماكن .

92

ووجهٌ آخر : وهو أنَّ هذا الكلام عربىٌّ فصيح ؛ إذ كانَ الذى جاء به عربيًّا فصيحاً ، ولو لم يكنْ قرآناً من عند الله تبارك وتعالى ، ثمَّ كان كلامَ الذى جاء به ، وكان مِمَّن يجهل اللَّحنَ ولا يعرفُ مواضعَ الأسماء فى لغته ، لكان هذا ــ خاصَّةً ــ مِمَّا لا يجهلُه .

فلو أنَّنا لم نجعل لمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، فضيلةً فى نُبُوَّةٍ ، ولا مزيَّةً فى البيان والفصاحة ، لكنَّا لا نجد بُدًّا من أن نعلم أنَّهُ كواحدٍ من الفصحاء . فهل يجوز عندكم أن يخطئ أحدٌ منهم فى مثلِ هذا فى حديثٍ ، أو وصفٍ ، أو خُطبةٍ أو رسالة ، فيزعُمَ[4] أن كذا وكذا يمشى أو يسعى أو يطير ، وذلك الذى قال[5] ليس من لُغته ولا من لغة أهله ؟ ! فمعلومٌ عندَ هذا الجواب ، وعند ماقبله ، أنَّ تأويلَكُمْ هذا خطأ .

---

(١) ط : « الكلإ » . س ، هـ : « الكلا » ، صوابه ما أثبت . وهو جمع كلية ، بالضم .

(٢) ط ، هـ : « تجرى » . والحصى ، كتبت فى ط ، س بالألف . وفى هـ : « الحصا » صوابهما ماأثبت . وفى الأصل : « قذفتها » بدل : « قذفته » .

(٣) فى الأصل : « فى تلك العروق » . والوجه حذف « فى » كما أثبت .

(٤) فى الأصل : « فزعم » .

(٥) أى الذى قاله من الكلام المتقدم .

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾ وأصحابُ الجنّة لا يوصفون بالشُّغل ، وإنما ذلك جوابٌ لقول القائل : خبِّرنى عن أهل الجنَّة ، بأىِّ شىءٍ يتشاغلون ؟ أم لهم فراغٌ أبداً ؟ فيقول المجيب : لا ، ماشُغُلهم إلّا فى افتضاضِ الأبكار ، وأكْلِ فواكه الجنَّة ، وزيارةِ الإخوانِ على نجائب الياقوت !

وهذا على مثالِ جَوابِ عامر بنِ عبد قيس ، حين قيل له وقد أقبل مِنْ جهة الحلبة[1] ، وهو بالشام : مَنْ سَبَقَ ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ! قيل : فَمَنْ صَلَّى ؟ قال : أبو بكر ! قال : إنَّمَا أسألُك عن الخَيل ! قال : وأنا أجيبك عن الخير !

وهو كقول المفسِّر حين سُئل عن قوله : ﴿ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ فقال : ليس فيها بُكرةٌ وعشىٌّ . وقد صدَقَ القرآنُ ، وصَدَق المفسِّر ، ولم يتَناكرا ، ولم يتنافيا ؛ لأنَّ القرآنَ ذهبَ إلى المقادير ، والمفسِّرَ ذهبَ إلى الموجودِ ، مِن دوَران ذلك مع غروب الشَّمس وطلوعها .

وعلى ذلك المعنى رُوِى عن عمر أنَّهُ قال : « مُتْعتان كانتا على عهدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا أنْهَى عنهما وأضربُ عليهما[2] » .

---

(١) الحلبة ، بالفتح : الدفعة من الخيل فى الرهان . وقد روى الجاحظ هذا الحديث فى البيان (٣ : ١٦٠) برواية أخرى مع نسبته إلى عامر . كما رواه فى البيان (٢ : ٢٨٢) منسوبا إلى بلال برواية أخرى .

(٢) المتعتان : هما متعة النساء ومتعة الحج ، كما جاء هذا الخبر مفصلا فى كتاب العباسية من رسائل الجاحظ ٣٠٢ الرحمانية .

أما متعة النساء ، فهى مايسميه رجال الفقه : نكاح المتعة ، وهو الزواج بأجل مسمى فى العقد ، كيوم ، أو شهر ، أو سنة ، أو سنوات . وكان ذلك مباحا فى أول الإسلام ، وفيه نزل قوله تعالى : « فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة » ، ثم نسخ ذلك بنهى الرسول .

=

قد كان المسلمون يتـكلمون فى الصَّلاة ويطَبِّقُون[١] إذا ركعوا ، فنَهَى عن ذلك إمامٌ من الأئمَّـةِ ، وَضَرَبَ عليه ، بعد أن أظهَرَ النَّسخ ، وعرَّفهم أن ذلك من المنسوخ ، فـكأَنَّ قائلاً قال : أتنهانا عن شىءٍ ، وقد كان على عهد النبىِّ صلى الله عليه وسـلم ؟ فيقول : نعم . وقد قدَّم الاحتجاجَ فى النَّاسخ والمنسوخ[٢] . ٩٣

ومن العجَب أنَّ ناساً جعلوا هذا القولَ على المِنبرِ من عيوبه . فإن لم يكن المعنى فيه على ما وصفنا ، فما فى الأرضِ أجهلُ من عُمَرَ حِين يُظهِرُ الـكُفْرَ فى الإسلام على مِنبر الجماعةِ ، وهو إنمَا علاه بالإسلام . ثمَّ فى شىءٍ ليس له حُجَّةٌ فيه ولا عِلة . وأعجَبُ منه تلك الأمّة ، وتلك الجماعة [التى[٣]] لم تنْـكِرْ تلك الـكلمةَ فى حياته ، ولا بَعْدَ موته ؛ ثمّ تَرَكَ ذلك جميعُ التَّابعين وأتباعِ التَّابِعينَ، حتَّى أفضَى الأمرُ إلى أهْلِ دهرنَا هذا .

وتلك الجماعة هم الذين قتلوا عُثمان على أن سيَّرَ رجلاً[٤] .

= وأما متعة الحج فهو ما يعرف بالتمتع ، وعنى عمر تحريمها على سكان مكة ؛ إذ قال فى حديث آخر : « ليس لأهل مكة تمتع ولا قران » . وأراد الجاحظ أن قول عمر : « كانتا على عهد رسول الله » ليس على ظاهره ، بل المراد أنهما كانتا على عهد رسول الله وحرمتا أيضاً فى عهد رسول الله . وكذلك قوله « أنا أنهى عنهما » ، فالمراد « أنا أنهى عنهما كما نهى الرسول » .

(١) فى الأصـل : « يضبعون » ، وهو تحريف صوابه مما فى البيان (٢ : ٢٨٢) . والتطبيق : أن يجمع بين أصابع يديه ويجعلهما بين ركبتيه فى الركوع والتشهد ، وقد كان ذلك من فعل المسلمين فى أول ما أمروا بالصلاة ، ثم أمروا بإلقام الـكفين رأس الركبتين . وانظر لسان العرب (طبق) .

(٢) انظر لتوضيح هذه الفقرة ما جاء فى البيان (٢ : ٢٨٢) .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) هذا الرجل الصحابى الجليل ، أبو ذر الغفارى . وكانت له ثورة مشهورة على الأغنياء ، غضب عليه من أجلها عثمان ، وسيره إلى الربذة ، وهى من قرى =

وهذا لا يقوله إلاّ جاهلٌ أو معاند .

وعلى تأويل قوله : ﴿هٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ قال : ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ، وقال تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا ، قَالُوا بَلَىٰ وَلٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، فجعل للنّار خزائن ، وجعل لها خزنة ، كما جعل فى الجنّةِ خزائن وجعل لها خزَنة .

ولو أنَّ جهنّمَ فُتِحَتْ أبوابُهَا ، ونُحِّى[1] عنها الخزَنة ، ثمّ قيل لكلِّ لصٍّ فى الأرض ، ولكلِّ خائن فى الأرض : دونَكَ ؛ فقد أُبيحَتْ لك ! لَمَا دنا منها ، وقد جُعِل لهــا خزائنُ وخَزَنة . وإنَّمَا هذا على مثالِ ما ذكرنَا . وهذا كثيرٌ فى كلَامِ العرَب .

والآىُ التى ذكرنا فى صِدْقِ هذا الجواب ، كلها حُجَجٌ على الخوارج فى إنكارهم المنْزِلة بين المنزلتين[2] .

= المدينة على ثلاثة أميال ، قريبة من ذات عرق ، فأقام بها إلى أن مات سنة ٣٢ . واسم أبى ذر جندب بن جنادة . وانظر تفصيل الخلاف بينه وبين عثمان فى مروج الذهب (ذكر خلافة عثمان) ، حيث تجد أسبابا أخر لمصرعه ، رضى الله عنهما .

(١) ط ، س : « نحيى » ، صوابه فى ﻫ . ونحى : أبعد .

(٢) القول بالمنزلة بين المنزلتين ، أصل من أصول المعتزلة . إذ يقولون إن الفاسق ليس بمؤمن ولا بكافر ، بل هو فى منزلة بين الإيمان والكفر . ويقولون : ليس فى الآخرة إلا الفريقان : فريق فى الجنة وفريق فى السعير ، فرتكب الكبيرة إذا لم يتب فهو خالد فى النار ، لكنه يخفف عنه العذاب ، وتكون دركته فوق دركة الكفار . ومن أجل ذلك سماهم المسلمون المعتزلة ؛ لاعتزالهم قول الأمة بأسرها . وجمهور الخوارج على أن الفاسق كافر ، لا كما يقول المعتزلة بأنه فى منزلة بين المنزلتين .

(شعر لخلف الأحمر فى الحيات)

وقال خَلفٌ الأحمرُ فى ذِكْر الحيّات :

يَرَوْنَ المَوتَ دونى إن رأَوْنى وصِلٌّ صَفاً لِنَابَيْهِ ذُبَابُ[١]
مِنَ المُتَحَرِّماتِ[٢] بكَهْفِ طَودٍ حَرَامٍ ما يُرَامُ له جَنَابُ[٣]
أبى الحاوُونَ أن يطئوا حِمَاهُ ولا تَسْرِى بعَقوته الذِّئابُ[٤]
كأنَّ دمًا أُمِيرَ على قَرَاهُ وَقَطْرَاناً أُمِيرَ به كُبَابُ[٥]
إذا ما استجرس[٦] الأصواتَ أبدى لساناً دونه الموتُ الضبابُ[٧]

(١) ذباب الناب : طرفه الحاد .

(٢) المتحرمات ، من قولهم : تحرم فلان بفلان : إذا دخل فى ذمته وحمايته . يقول : هو من تلك الحيات التى تحرمت بذاك الكهف المنيع ، فلا يستطيع أن يحاولها أحد . فى الأصل : « المتجربات » . ولا وجه له .

(٣) طود حرام : جبل لا يستطاع القرب منه ، كأنه محرم . وفى الأصل : « عرام » . يرام : يطلب .

(٤) ط : « الحاوون » ، صوابه فى س ، هـ . والعقوة ، بالفتح : الساحة ، وما حول الدار .

(٥) أمار الدم : أجراه وأساله . وفى الأصل « أمر » فى الموضعين ، بمعنى جعل يمر ، وما كتبت أشبه . وجاء فى الحديث : « أمر الدم بما شئت » . والمائرات : الدماء . قال رشيد بن رميض :

حلفت بمائرات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير

والقرا ، بالفتح : الظهر . والكباب ، بالضم : التراب .

(٦) استجرس ، بمعنى طلب الجرس ، وهو بالفتح بمعنى الصوت . وفى الأصل : « استجرش » ولم أجد له وجها ، ومما يعزز هذا التصحيح ما جاء فى ص ١٠٢ من قول عنترة :

رقود ضحيات كأن لسانه إذا سمع الإجراس مكحال أرمدا

(٧) كذا ولعله : « الصهاب » بالصاد المضمومة . وفى اللسان : « والموت الصهابى : الشديد ، كالموت الأحمر ، قال الجعدى :

فجئنا إلى الموت الصهابى بعدما تجرد عريان من الشر أحدب » .

إذا ما الليلُ ألبسَــهُ دُجاهُ   سَرَى أصمى تَصِيحُ له الشِّعاب[1]

فقلت لحيّــان[2] بن عتبى[3] : [لِمَ[4]] قال موسى بنُ جابر الحنفىُّ[5] :

طَـرَدَ الأرْوَى فما تقرَبُهُ   وَنَفَى الحيّاتِ عَنْ بَيْض الحجل[6]

قال : لأنَّ الذِّئاب تأكلُ الحيَّات . [قلت[7]] : فلم قال خلفٌ الأحمر :

* ولا تسرى بعَقوته الذئاب * ؟

قال : لأنَّ الذِّئاب تأكَل الحيّات . فَظننت أَنَّه حَدَسَ[8] ولم يقل بعلم .

---

(١) الأصمى : الشديد الوثاب . ط : « أسمى » صوابه فى س ﻫ . و « تصيح » هى فى س : « تضج » . ولو كانت « تصيخ » لزادت حسنا .

(٢) ط : « لحيات » صوابة فى س ، ﻫ .

(٣) كذا جاء هذا الاسم . ولم أعثر له على تحقيق . وجاء فى عيون الأخبار (٢ : ٤٣) من اسمه : (حيان بن غضبان) وهو الذى ورث نصف دار أبيه ، فقال : أريد أن أبيع حصتى من الدار وأشترى النصف الباقى فتصير كلها لى ! فلعله هذا .

(٤) زيادة يقتضيها السياق . وليست بالأصل .

(٥) هو أحد شعراء بنى حنيفة ، يقال له ابن الفريعة ، وهى أمه ، كما أن حسان ابن ثابت يقال له ابن الفريعة . المؤتلف ١٦٥ . وقال المرزبانى فى معجمه ٣٧٦ إنه نصرانى جاهلى ، يلقب أزيرق اليمامة . والحق أنه إسلامى ، وأنه قال شعراً فى الإسلام . انظر الأغانى (١٠ : ١٠٧) ، كما أن شعره فى الحماسة (١ : ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠) يشعر بما تقدم . وفى شرح الحماسة للتبريزى (١ : ١٨٩) : « قال أبو العلاء : موسى منقول من العبرية . ولم أعلم أن فى العرب من سمى موسى زمان الجاهلية . وإنما حدث هذا فى الإسلام ، لما نزل القرآن وسمى المسلمون أبناءهم بأسماء الأنبياء ، على سبيل التبرك » .

(٦) ط : « ونفا » ، صوابه فى س ، ﻫ .

(٧) ليست بالأصل ، والكلام فى حاجة إليها .

(٨) الحدس : الحزر والتخمين .

(مناقضة شعرية للزيادى ويحي بن أبى حفصة)

وقال الزِّياديُّ فى يحيي بن أبى حفصة[١] :

إنى ويحيي وما يبغى كملتَمِسٍ ... صَيْداً وما نال منه الرِّىَّ والشِّبَعَا ٩٤

أَهْوَى إلى باب جُحْرٍ فى مقدَّمهِ ... مِثْلُ العَسِيبِ تَرَى فى رأسه قَزَعَا[٢]

اللَّوْنُ أَرْبَدُ والأنيابُ شابِكَةٌ ... عُصْلٌ تَرَى السُّمَّ يجرى بينها قِطَعَا[٣]

يَهْوِى إلى الصَّوتِ والظلماءُ عاكفةٌ ... تَقوُّرَ السَّيْلِ لاقى الحَيْدَ فاطَّلَعَا[٤]

لو نَالَ كفَّكَ آبَتْ منه مخضبة ... بَيْضاءَ قد جللت أنيابها قزعا[٥]

بِيعَتْ بوَكْسٍ قليلٍ فاستقلّ بها ... من الهُزَالِ أبوها بعد ما ركعا

فردَّ عليه يحيي فقال :

كم حيّةٍ ترهَبُ الحيَّاتُ صَوْلتَهُ ... يَحْمَى لِرَيْدَيْهِ[٦] قد غادرتُه قِطَعا

---

(١) هو جد مروان بن أبى حفصة الشاعر المشهور ، وقال أبو الفرج فيه (٩ : ٣٧) : « وليحيى أشعار كثيرة » .

(٢) العسيب : أصل الذنب ، أو الجريدة المستقيمة الدقيقة من النخل يكشط خوصها . والقزع ، بالتحريك : خفة شعر الرأس .

(٣) شابكة : مشتبكة . ط ، س : « شائلة » هـ : « سايلة » . وصوابه ما أثبت . وانظر ما سيأتى فى (٥ : ٣٣٤) . والعصل : الملتويات . وفى الأصل : « عصلا » صوابه مما سبق ص ١٨٣ .

(٤) الحيد ، بالفتح : ما شخص من الجبل ومن كل شىء . والتقور : التثنى . وفى الأصل : « تعود » . وانظر ما سبق فى ١٨٣ . يقول : هذا الحية يتلوى فى مشيه كما يتلوى ماء السيل إذا لاقى حيدا فأشرف منه على أرض منخفضة ، فهو أسرع لجريه وتلويه .

(٥) كذا ورد هذا البيت . وفى ط : « قذعا » بالذال المعجمة .

(٦) أى تدركه الحمية والأنفة إذا اعتلى على ريديه . والريد ، بالفتح : الحرف الناتئ من الجبل . س : « لذيذيه » .

يلقَيْنَ حيَّةَ قفٍّ ذا مُساوَرَةٍ يُسْقَى به القِرْنُ من كأس الرَّدى جُرَعا [1]

تـكاد تسقُطُ منهنَّ الجلودُ ؛ لِمَا يَعلَمْنَ منه إذا عايَنَّهُ ، قَزَعَا [2]

أصمَّ ما شمَّ من خَضْرَاءَ أيبسها أو مسّ من حجرٍ أوْهاه فانْصَدَعَا [3]

(شعر فى الحيات)

وقال آخر :

وكم طَوْتَ من حَنَشٍ راصدٍ للسَّفْرِ فى أعلى الثَّنِيَّـــاتِ [4]

أصمَّ أعمَـــى لا يُجيبُ الرُّقى يفترُّ عن عُصْلٍ حديداتِ [5]

منهرتِ الشدقِ رَقُـــودِ الضحى سارٍ طَمُور فى الدُّجُنَّاتِ [6]

ذى هامَـــةٍ رَقْطَاءَ مَفْطوحة من الدَّواهى الجبليَّاتِ [7]

صِلٍّ صَفاً ، تنطِفُ أنيـــابُهُ سِمـــامَ ذَيْفـــانٍ مجـــيرات [8]

---

(١) القف : بالضم : مرتفع حجرى . و « يسقى » هى فى الأصل : « تسقى » . والوجه ما أثبت .

(٢) قزعا : أى قطعاً متفرقة . وأصل القزع : القطع من السحاب . ط ، س : « قذعا » بالذال المعجمة ، صوابه فى ه .

(٣) سبق الكلام على هذا البيت فى (٢ : ١٣٧) وفى هذا الجزء ص ١٨٣ .

(٤) الثنية : الطريق العالى فى الجبل .

(٥) الأنياب العصل : الملتوية . ه : « عضل » ، صوابه فى س ، ط .

(٦) منهرت الشدق : واسعه . والطمور ، كصبور : الوثاب . ط : « طمورا » صوابه فى س ، ه .

(٧) مفطوحة ، بالفاء : عريضة . ط : « منطوحة » بالنون ، تصحيحه من س ، ه .

(٨) تنطف أنيابه ، بكسر الطاء وضمها : تقطر . والسمام ، بالكسر : جمع سم . والذيفان بالفتح والكسر : السم القاتل . و « مجيرات » كذا جاءت بالجيم ، ولعلها « مبيرات » بمعنى مهلكات . وقد سبق البيت فى ٢٣٤ .

مُطلِنَ فى اللَّحْيَين مَطْلاً إلى رأسٍ وأشـــداقٍ رَحيبات(١)

قَدِّمْنَ عن ضِرْسَينْ واستأخَرَا إلى سِمَــاخين ولَهْوات(٢)

يُسْبِتُهُ الصُّبْحُ وطوراً له نَفخٌ ونفثٌ فى المغارات(٣)

وتارةً تحسبُـــه ميِّـــتاً من طول إطـراق وإخبات(٤)

وقال آخر ، وهو جاهلىٌّ :

لاهُمَّ إنْ كان أَبو عمرٍو ظلَمْ وخاننى فى عِلمه وقد عَلِمْ

فابعث له فى بعض أعراض اللَّمَمْ لميمةً مِنْ حَنَشٍ أعمَى أصمّْ(٥)

أسْمَرَ زَحَّافاً من الرُّقْط العُرُمْ(٦) قد عاش حتى هو لا يَمشِى بدَمْ ٩٥

فكلَّمَا أقصد منه الجوعُ شمّْ(٧) حتى إذا أمسى أبو عمرٍو ولم

يمسّ منه مَضَضٌ ولا سَقَمْ قامَ وودَّ بعـدَها أنْ لم يَقُمْ

---

(١) سبق هذا البيت فى ص ٥٣ .

(٢) ط : « واستأخرت » ، صوابه فى س ، ه . والضمير عائد إلى الضرسين . والسماخ بكسر السين : لغة فى الصماخ بكسر الصاد ، وهو ثقب الأذن . واللهوات جمع اللهاة ، وهى اللحمة المشرفة على الحلق . وقد سكنت الهاء للشعر ، كما أنه جمعها والمراد بها الواحد ؛ إذ أن له لهاة واحدة .

(٣) س : « المغارات » ، صوابه فى ط ، ه . يسبته الصبح : ينيمه .

(٤) الإطراق : السكوت والنظر إلى الأرض مع إرخاء العينين . وفى الأصـل : « إشراق » بالشين . ولا وجه له . قال :

مطرق ينفث سما كما أطرق أفعى ينفث السم صل

والإخبات : من أخبت بمعنى خشع . وأصله من الخبت ، وهو المطمئن من الأرض .

(٥) سبق فى ص ١١٩ .

(٦) العرم : جمع أعرم ، وهو ما كان منقطا بسواد وبياض ، ومثله الأرقط . وقد ضمت الراء فى (العرم) لضرورة الوزن . وفى الأصـل : « القدم » ، ووجهه ما أثبت .

(٧) فى الأصل : « فكل ما » ، تحريف . أقصده الجوع : أصابه . وفى الأصل : « أفضل » ووجهه ما أثبت ، كما سبق فى ١١٩ . وشم ، أى تسم الهواء ليغتذى به . وانظر ما سبق فى ص ١١٩ .

ولم يَقُمْ لإبْلٍ ولا غنَمْ ولا لخوفٍ راعَهُ ولا لِهَمّْ
حتَّى دنَا من رأسِ نضناضٍ أصم[(١)] فخاضه بين الشِّراكِ والقَدَمْ[(٢)]
بمِـذْرَبٍ أخرَجَهُ من جَوْفِ كُمّْ[(٣)] كأَنَّ وخْزَ نَابِهِ إذا انتظَمْ
* وَخزَةَ إشفَى فى عطوف من أدَمْ[(٤)] *

ومخالب الأسد وأشباهِ الأسد من السِّباع ، تـكون فى غُلُفٍ[(٥)] ، إذا وطئت على بُطون أكُفها ترفَّعت المخالبُ ، ودخلَتْ فى أكمام لها . وهو قولُ أبى زُبَيْدٍ :

بُحُجْنٍ كالمحاجِن فى فتوخ يَقِيهاَ قِضَّةَ الأرْض الدَّخيسُ[(٦)]

وكذلك أنياب الأفاعى ، هى مالم تعضَّ مَصُونَةٌ فى أكمام . ألا تراه يقول :

فَخَاضَهُ بَينَ الشِّرَاكِ والقَدَمْ بِمِذْرَبٍ أخرَجَهُ من جَوْفِ كَمّْ[(٧)]

---

(١) النضناض : الحية ينضنض لسانه ، أى يحركه . ط : « من أس » ، صوابه فى س ، هـ .

(٢) هو من خاضه بالسيف خوضاً : وضعه فى أسفل بطنه ، ثم رفعه إلى فوق .

(٣) عنى بالمذرب ناب الحية . هـ . « لمذوب » ، صوابه فى س ، هـ . والكم ، بالضم : غشاء مخالب السبع . اللسان (١٥ : ٤٣٠) .

(٤) الإشفى : المخرز ، يذكر ويؤنث . والعطوف ، بالفتح : المعطوف . وذا أظهر لأثر الخرز . والأدم ، بالتحريك : الجلد ، أو أحمره ، أو مدبوغه .

(٥) غلف : جمع غلاف . ط : « غلق » ، صوابه من س ، هـ .

(٦) الحجن : عنى بها مخالب الأسد . وقد اشتهر أبو زبيد بنعته . والمحاجن : جمع محجن ، وهو العصا المعوجة . والفتوخ بضم الفاء ، وبالخاء المعجمة فى آخره : هى من الأسد مفاصل مخالبه ، كما فى القاموس . وفى الأصل : « فتوح » بالحاء المهملة مصحف . والقضة ، بكسر القاف وتفتح ، بعدها ضاد معجمة مشددة : الحصى الصغار . وفى الأصل : « قصة » بالصاد ، محرف . والدخيس : لحم باطن الكف .

(٧) سبق شرح البيت فى التنبيه الثالث من هذه الصفحة . ط : « مخاضه » صوابه فى س ، هـ . هـ : « بمذوب » ، محرف .

(رجز وشعر في لعاب الحية)

وقال آخر :

أنعتُ نضناضاً كثيرَ الصَّقْرِ[١] مولده كمولِدِ ابن الدَّهْرِ[٢]

كانَا جميعاً وُلِدَا في شَهْرِ يظلُّ في مَرْأًى بَعيدِ القَعْر

* بَيْنَ حَوَافي سَدِرٍ وصَخْرِ[٣] *

وقال :

وكيفَ وقد أسهَرْتُ عَيْنَكَ تبتغي عِنادًا لِنَابَىْ حيَّةٍ قد تَربَّدَا[٤]

من الصُّمِّ يكفي مرَّةٌ من لُعَابِهِ وما عَادَ إلاَّ كانَ في العَوْدِ أَحْمَدَا[٥]

(شعر خلف في الأفعى)

وقال خلفُ الأحمر — وهي مخلوطةٌ فيها شيءٌ ، وله شيء ، من الغبرة[٦]

---

(١) الصقر ، أراد به سمه ولعابه . وفي الأصل : « كبير الظفر » ، وليس للحية ظفر . وصواب الرواية ما أثبت من المخصص (١٣ : ٢٠٨) .

(٢) ابن الدهر ، فسره ابن سيده بأنه الموت . المخصص (١٣ : ٢٠٨) . وقد فسره الثعالبي في ثمار القلوب ٢١٤ بأنه النهار ، واستشهد ببيت ابن الرومي :

وما الدهر إلا كابنه ، فيه بكرة وهاجرة مسمومة الجو قاتله

في الأصل : « ومولد ابن الطهر » ، وتصحيحه من المخصص . وقد عنى الراجز أن ذلك الحية متقادم الميلاد ، وذاك مما يزيد في شدة سمه .

(٣) الحوافي : جمع حافة ، بفتح الفاء المخففة ، وهو من نادر الجمع . والحافة : الجانب . والسدر ، ككتف : البحر . وحيات الماء معروفة بالجرأة والنكر . وفي الأصل : « صدر » ، ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(٤) تربد : صار أربد . والربدة : لون إلى الغبرة . وضمير « تربد » عائد إلى الحية ، والحية تذكر وتؤنث .

(٥) ط ، س : « مرة » . هـ : « مرءة » ، صوابهما ما أثبت . والشطر الثاني فيه تهكم .

(٦) كذا جاءت هاتان الكلمتان . وحقهما أن تكونا في صدر الفقرة مسبوقتين بنحو كلمة : « تربد » ، فتكونا شرحا لها ، كما أسلفت في التنبيه الرابع من هذه الصفحة .

وما علمتُ أنّ أحَداً وصف عَيْنَ الأفعى على معرفةٍ واختبار غيره — وهو قولُه :

أفعَى رَخُوف العينِ مِطْراق البُكَرْ[1]

داهية قد صغرت من الكِبرْ

صِلّ صَفاً ماينطوى من القِصَرْ[2] طويلة الإطراقِ[3] من غير حسرْ

كأنَّمَا قَدْ ذهبَتْ بِهِ الفِكَرْ شُقَّتْ له العَيْنانِ طُولاً فى شَتَرْ

مهروتة الشدقَينِ حولاء النظرْ جاءَ بها الطُّوفان أيامَ زَخَرْ[4]

كأَنَّ صوتَ جلدِها إذا استدرْ[5] نشِيشُ جمر عندَ طاهٍ مقتَدِرْ

(أحاديث فى الوزغ)

٩٦ هشام بن عروة قال : أخبرنى أبى أنَّ عائشة أمَّ المؤمنين رضى الله عنها كانَتْ تَقْتُلُ الأوْزَاغ .

يحيى بن أبى أُنَيسةَ[6] ، عن الزُّهرى ، عن عروة[7] ، عن عائشة

---

(١) الرخوف : من رخف بمعنى استرخى . ط ، هـ ، « زحوف » صوابه فى س . ومطراق البكر : أى يطرق إطراقا فى الغدوات . وذلك من صفة الأفعى . أما انتباهها فيكون على أشده فى الليل .

(٢) صلال الصفا من أخبث الحيات . وقد بالغ الراجز فى جعله الصل لا ينطوى من شدة قصره . فى الأصل : « صل صفاء ينطوى » ، وصوابه ما سبق فى ص ١١٩ .

(٣) فى الأصل : « الأطراف » بالفاء ، والوجه فيه ما أثبت . والإطراق : السكون مع النظر فى الأرض .

(٤) زخر : ارتفع . وقد عنى أن تلك الأفعى معمرة ، أدركت أيام نوح عليه السلام !

(٥) استدرّ : كثرت حركته .

(٦) يحيى بن أبى أنيسة ، بهيئة التصغير ، الجزرى ، ضعيف من السادسة ، مات سنة ست وأربعين ومائة .

(٧) هو عروة بن الزبير بن العوام ، أحد فقهاء المدينة السبعة . أمه أسماء بنت أبى بكر =

قالت : « سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للوزغ : فويسِق » . قالت : « ولم أسمَعْ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَ بقتله » .

قال[1] قالت عائشة رضى الله عنها : « سمعت سعداً يقول : أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله » .

عبد الرحمن بن زياد قال : أخبرنى[2] هشامٌ عن عروة عن عائشة « أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للوَزَغ : الفُويسق » .

أبو بكر الهذلىُّ ، عن مُعاذ عن عائشة قالت : « دخلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم علىَّ وفى يدى عُكَّازٌ فيه زُجٌّ ، فقال : ياعائشة ، ماتَصنعِين بهذا ؟ قلت : أقتلُ به الوَزَغ فى بيتى . قال : إن تفعلى فإنّ الدَّوابَّ كلُّها حين ألقى إبراهيمُ صلى الله عليه وسلم فى النّار ، كانت تُطفئ عنه ، وإنّ هذا كانَ ينفخُ عليه ، فَصَمّ وبَرِص » .

وهذه الأحاديثُ كلها يحتجُّ بها أصحابُ الجهالات ، وَمَنْ زَعَمَ أنّ الأشياءَ كلهاكانتْ ناطقةً ، وأنها أممٌ مجراها مجرى الناس .

(تأوُّل آيات من الكتاب)

وتأوّلوا قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ﴾ ، وقالوا :

= وسمع من عائشة خالته ، وروى عنه الزهرى . ولد سنة ٢٢ أو ٢٦ الهجرية . وتوفى سنة ٩٣ أو ٩٤ . وكان عبد الملك يقول فيه : « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة . فلينظر إلى عروة بن الزبير ! » .

(١) ليست فى س ، هـ .

(٢) ط : « وأخبرنى » .

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السموٰاتِ وَالْأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ وقال(١) تعالى : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُ وَالطَّيْرَ(٢) ﴾ وقال : ﴿ وَإِنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾ .

فذهبت الجهْمية وَمَنْ أنكَرَ إيجاد الطّبائع مذهباً ، وذهب ابنُ حائِطٍ(٣) ومن لَفَّ لَفّهُ من أصحابِ الجهالاتِ مذهباً ، وذهب ناسٌ من غير المتكلمين ، واتّبعوا ظاهِرَ الحديثِ وظاهِرَ الأشعَار ، وزعموا(٤) أنّ الحجارة كانت تعْقِلُ وتَنْطِقُ ، وإنما سُلبت المنْطِقَ فقط . فأمَّا الطّير والسِّباع فعلى ما كانَتْ عليه .

قَال : والوَطواط ، والصُّرد ، والضفدعُ ، مطيعاتٌ ومُثابات(٥) . والعقرب ، والحيَّةُ ، والحِدَأة ، والغراب ، والوَزَغ ، والكلب ، وأشباهُ ذلك ، عاصياتٌ معاقَبات .

---

(١) فى الأصل : « وقوله » .

(٢) لا خلاف بينهم فى نصبه . وما روى عن البصرى وعاصم وروح من رفعه وإن كانت له أوجه صحيحة فى العربية ، لا يقرأ به ؛ لضعفه فى الرواية . السفاقسى .

(٣) هو أحمد بن حائط ، صاحب مذهب الحائطية ، وكان من أصحاب النظام وأخذ عنه وأتى فى مذهبه بمنكرات عجيبة . ومما قاله : إن كل نوع من أنواع الحيوان أمة على حيالها ؛ لقوله تعالى : « ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم »، وقال : إن فى كل أمة منها رسولا من نوعها ؛ لقوله تعالى : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » . انظر الملل والنحل (١ : ٨٠ — ٨١) والفرق ٢٥٥ — ٢٥٩ حيث تجد قولا فكها ضارباً فى الخيال . وفى الأصل : « ابن حافظ »، وصوابه ما أثبت .

(٤) هـ : « فزعموا » .

(٥) ط : « مثانات » بالنون ، صوابه فى س ، هـ .

ولم أقف(١) على واحدٍ منهم فأقولَ له : إنّ الوزَغةَ الّتى تقتلها على أنّها كانت تُضْرِم النّار على إبراهيم ، أهى هذه أم هى مِن أولادِها فمأخوذةٌ هِيَ بذنب غيرها ؟ أم تزعم أنَّهُ فى المعلوم أنْ تكون تلك الوزَغُ لا تلد ولا تَبِيضُ ولا تُفْرِخُ إلاَّ من يدين بدينها ، ويذهبُ مذهبها ؟ !

وليس هؤلاء مِمّنْ يَفْهَمُ تأويلَ الأحاديث ، وأىَّ ضرب منها يكون مردوداً ، وأىَّ ضربٍ منها يكون متأوَّلاً ، وأىَّ ضرب منها يقال إنَّ ذلك إنّما هو حكايةٌ عن بَعْضِ القبائل . ٩٧

ولذلك أقولُ : لولاَ مكانُ المتكلمين لهلكت العوامُّ ، واختُطِفَتْ واستُرِقتْ ، ولولا المعتزلة لهلك المتكلمون(٢) .

(أحاديث فى قتل الوزغ)

شريكٌ عن النَّخَعِىِّ ، عن ليثٍ ، عن نافع ، أنّ ابْنَ عمرَ كان يقتُلُ الوزَغ فى بيته ويقول : هو شيطان !

هشام بنُ حسَّان ، عن خالد الرَّبعىِّ ، قال : لم يكن شىءٌ من خَشاشِ الأرض إلاّ كان يُطفئُ النّار عن إبراهيم ، إلاّ الوزَغ ؛ فإنّهُ كان ينفخ عليه .

حنظلة بن أبى سفيان ، قال : سمعت القاسمَ بنَ محمَّدٍ يقول : إنّ الأوزاغَ كانت يومَ حُرِق بيت المَقْدِس تنفُخُه والوطاوِطَ(٣) بأجنِحَتِها .

شريكٌ عن النَّخَعىِّ ، عن جابرٍ ، عن ابن عباسٍ ، قال : الوَزَغ شَرِيكُ الشّيطان .

---

(١) ط : « أفق » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٢) انظر ماسبق فى ص ٢٠٦ .

(٣) يجمع الوطواط على وطاويط ووطاوط . كذا هنا وكما فى القاموس .

أبو داود الواسطىّ قال : أخبرنا أبوهاشم ، قال : مَنْ قَتَلَ وزغةً حطّ الله عنه سَبعين خَطيئةً ، ومن قتل سبعاً[1] كان كَعتْقِ رقَبة .

هشامُ بن حسّان ، عن واصل مولى أبى عيينة[2] ، عن عقيل ، عن يحيى بن يعمر ، قال : لَأَنْ أقتُلَ مائةً من الوَزغ أحبُّ إلىَّ من أنْ أعتِقَ مائةَ رقبة .

وهذا الحديثُ ليس من شكل الأوّل ؛ لأنّ يحيى بنَ يعمر لم يزعمْ أنّهُ يقتله لكفره أو لكفر أبيه ، ولكنها دابّةٌ تُطاعمُ الحيّاتِ وتُزَاقُّها وتقارِبُها ، وربّما قتلَتْ بعضَّتها ، وتكرَع فى المرَقِ واللّبن ثُمَّ تمجُّه فى الإناء فينالُ النّاسَ بذلك مكروهٌ كبيرٌ ، من حيث لا يعلمون . وقتْلُه فى سبيل قَتْلِ الحيّاتِ والعقارب .

(صنع السم من الأوزاغ)

وأهلُ السِّجْنِ[3] يعملون منها سموماً أنفَذَ من سمِّ البِيشِ[4] ، ومن ريق

---

(١) تحتمل الرواية أن تكون سبعاً بإسكان الباء ، أى هذا العدد من الوزغ . وتحتمل أيضا أن تكون سبعاً بضم الباء ، بمعنى المفترس من الحيوان . والصدر الأول رواه الطبرانى فى الأوسط ، عن عائشة . ورمز له السيوطى فى الجامع الصغير ٨٩١٥ بحرف (ح) أى حسن .

(٢) واصل مولى أبى عيينة ، بتحتانية مصغر ، قال ابن حجر : صدوق من السادسة تقريب التهذيب .

(٣) أى القوامون بأمر السجن . ولعلهم كانوا يصنعون هذا السم ليتخلصوا ممن يلون أمرهم من المساجين ، أو لتخف عنهم مؤنة المراقبة ، أو تنفيذا لما يوحى به إليهم أولو الأمر . وفى الأصل : « أهل السحر »، والأوفق ما أثبت كما فى عيون الأخبار (٢ : ٩٩) . وسيأتى من الكلام أن « المسجون » هو الذى يطعم هذا السم .

(٤) البيش ، بالكسر : نبت صينى وهندى ، يطول إلى ذراع ، سبط الأوراق . وهو سم قتال ، أسرع فتكا بالإنسان من سم الأفاعى .

الأفاعى ؛ وذلك أنَّهم يُدخِلون الوزَغ قارورةً ، ثمَّ يصبُّون فيها من الزَّيْت ما يغمُرها ، ويضعونها فى الشَّمسِ أربعين يوماً ، حتَّى تختلط بالزَّيت وتصيرَ شيئاً واحداً . فإنْ مسَحَ السَّجين منه على رغيفٍ مَسْحةً يسيرةً فأكَلَ منه عشرةُ أنفس ماتوا[1] . ولا أدرى لِمَ توَخَّوْا من مواضع الدَّفْنِ عَتَبَة الأبواب[2] .

(حديث فيه نصائح)

يحيى بن أبى أُنَيسة ، عن أبى الزُّبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال : « أمرَنَا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بأرْبَعٍ ونهانا عن أربع : أمرَنا أن نُجيفَ أبوابنا ، وأنْ نخمِّر آنيتَنَا ، وأنْ نوكىَ أسقيَتَنا ، وأنْ نُطفِئَ سُرُجَنا[3] فإنَّ الشَّيطانَ إذا وجد باباً مُجَافاً لم يفتحْه ، وإناءً مخمَّراً لم يكشِفْه ، وسقاءً مُوكًى[4] لم يحلّه . وإنَّ الفُوَيسِقَة[5] تأتى المصباح فتُضْرِمُه على أهل البيت . ونهانا عن أربع : نهانا عن اشتمال الصَّمَّاء[6] ، وأنْ يمشىَ أحدُنا فى النَّعْلِ

(١) ط : « ماترا » ، صوابه فى س ، هـ .

(٢) أى دفنهم مايقتلون من الأوزاغ تحت عتب الأبواب .

(٣) أجاف الباب : رده عليه . وتخمير الآنية : تغطيتها . ويقال أوكى السقاء يوكيه : أى شده بالوكاء ، بالكسر ، وهو سير ، أو خيط . والسرج : جمع سراج ، وهو المصباح .

(٤) ط ، هـ : « موكا » ، ووجه كتابته بالياء . وفى س : « موكأ » بالهمز . ولعلها لغة .

(٥) المراد بالفويسقة : الفأرة ، تصغير فاسقة .

(٦) اشتمل الصماء : رد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ، ثم رده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيهما جميعا ، فن ذلك ماقيل الصماء . وللفقهاء تفسير آخر ، وهو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه ، فيبدو منه ما لا يليق أن يبدو . س « الصماد » محرف .

الواحدةِ أو الخُفِّ الواحد ، وأنْ يَحْتَبِىَ الرَّجُلُ مِنَّا فى الثوبِ الواحِدِ[١] ليس عليه غيره ، وأنْ يستلقىَ أحدُنا على ظهره ويرفَعَ إحدى رجليه على الأخرى[٢] » .

٩٨ وهذا الحديثُ ليس هذا موضعَه ، وهو يقع فى باب جملة القول فى النّار ، وهو يقع [بعد[٣]] هذا الذى يلى القول فى النعام .

(ماجاء فى الحيات من الحديث)

شعبة أبو بسطام ، قال : أخبرنى أبو قيس ، قال : جلست إلى علقمة ابن قَيْس[٤] ، وربيع بن خثيم[٥] فقال ربيع : قولوا وافعَلُوا خيْراً[٦] تُجْزَوْا خيراً . وقال علقمة : مَن اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ ألاَّ يَرَى الحَيَّةَ ، إلاَّ قَتلَها ، إلاَّ التى مثل الميل[٧] ، فإنَّها جانٌّ[٨] . وإنَّهُ لا يضرُّه قتل حَيَّةٍ أو كافر .

(١) أى أن يضم رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما ، فربما تحرك ، أو زال الثوب فيقع صاحبه فى الحرج . ط : « أن يجتبى الرجل منا فى المثوب الواحد » ، وهو على الصواب فى س ، هـ .

(٢) روى هذا الحديث بروايات مختلفة فى (٥ : ٤١) .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعى الكوفى . ثقة ثبت فقيه عابد . وكان من كبار التابعين . توفى بعد الستين أو بعد السبعين . تقريب التهذيب .

(٥) هو الربيع بن خثيم ، بضم المعجمة الفوقية وفتح المثلثة ، ابن عائذ بن عبد الله الثورى الكوفى . ثقة عابد من كبار التابعين ، قال له ابن مسعود . « لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك » . مات سنة إحدى وقيل ثلاث وستين . عن تقريب التهذيب . وفى الأصل : « خيثم » ، وهو تحريف يتعرض له هذا الاسم كثيراً . وقد نبهت عليه فى تذييل الجزء الأول ص ٤٢٣ .

(٦) ط : « فقلت افعلوا خيرا » ، وتصحيحه وإكماله من س ، هـ .

(٧) الميل ، بالكسر : ذاك الذى يكتحل به . والنص مضطرب فى الأصل . فى ط ، س : « إلى مثل الميل » وفى هـ : « إلى مثل » بدون ذكر « الميل » . ولعل الصواب فيه ما أثبت . ويؤيده ماورد فى نهاية ابن الأثير من الحديث : « أنه نهى عن قتل الجنان » ، قال : « هى الحيات التى تكون فى البيوت ، واحدها جان ، وهو الدقيق الخفيف » .

(٨) هـ : « فانه جانى » .

إسماعيل المكى[١] ، عن أبي إسحاق ، عن علقمة قال : قال عبد الله ابن مسعود : من قتل حيَّةً فقتل كافرًا .

ثم سمعت عبد الرحمن بن زَيد[٢] يقول : من قتل حَيَّةً أو عقرباً قَتَلَ كافرًا .

وهذا ممَّا يتعلق به أصحابُ ابن حائِطٍ[٣] ، وتأويله فى الحديث الآخَر[٤] .

عبد الرحمن بن عبد الله المَسْعُودِىُّ[٥] قال : سمعت القاسم بن عبدالرحمن ، يقول : قال عبد الله[٦] : من قَتَلَ حَيَّةً أو عقرباً فكأنَّمَا قَتَلَ كافرًا . فعلى هذا المعنى يكونُ تأليف الحديث .

سعيد بن أبي عَرُوبة[٧] ، عن قتادة أن رسول الله صلى الله عَلَيْهِ وسلم قال : « مَا سَالَمْنَاهُنَّ مُذْ حَارَبْنَاهُنّ[٨] » .

---

(١) فى الأصل : « المكنى » .

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوى ، ولد فى حياة الرسول ، وولى إمرة مكة ليزيد بن معاوية . ومات سنة بضع وستين . ط ، ه : « عبد الرحمن بن يزيد » ، ممن ولد فى عهد الرسول أيضا . وترجم له ابن حجر فى الإصابة ٦٢٣٠ .

(٣) فى الأصل : « ابن حافظ » . وصوابه ما أثبت . وانظر ما سبق فى ص ٢٨٨ .

(٤) إشارة إلى ماذهب إليه ابن حائط وأتباعه ، من أن الحيوان مكلف ، كما أن الإنسان مكلف ، وأن الله يرسل إليه رسلا منه كما يرسل إلى الناس ؛ فلذلك يكون من الحيوان المؤمن ، والكافر ، والصالح ، والطالح .

(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفى المسعودى ، مات سنة ستين أو خمس وستين بعد المائة . فى الأصل : « السعودى » ، وصوابه ما أثبت .

(٦) يعنى عبد الله بن مسعود .

(٧) سعيد بن أبي عروبة اليشكرى — مولاهم — البصرى . وكان من أثبت الناس فى قتادة . مات سنة ست أو سبع وخمسين ومائة . وأبوه أبو عروبة ، بفتح العين المهملة وضم الراء . واسم أبي عروبة مهران . عن تقريب التهذيب .

(٨) س : « حاوينا هن » ، وهو تحريف . وسيعاد هذا الحديث قريبا .

سعيد بن أبي عروبة[١] عن قتادة ، قالت عائشة : « مَنْ [تَرَكَ[٢]] قَتْلَ حَيَّةٍ مخافَةَ أثْـآرِهَا[٣] فعليه لَعْنَةُ الله والملائكة » .

الرَّبيعُ بن صَبيحٍ[٤] عن عَطاء الخراسانيّ[٥] قال : كان فيما أُخِذ على الحيّات ألاَّ يَظْهرْن . فمَنْ ظهَرَ منهنَّ حلَّ قتلُه . وقتالُهنَّ كقتال الكفّار ، ولا يَتْرُكُ قتلَهُنّ إلا شاكٌّ .

وهذا مَّما يتعلَّق به أصحابُ ابنِ حائطٍ .

محمَّد بن عَجْلاَنَ قال : سمعت أبي يحدِّث عن أبي هُريرة قال : قال رسُول الله صلَّى الله عليه وسلم : «ما سَالَمْنَاهُنَّ مذْ حارَبْناهُنَّ» .

ابن جُرَيج قال : أخبرني عبد الله بن عُبيد بنِ عميْر[٦] قال :

---

(١) ط : « سعيد بن عروبة » ، صوابه ماأثبت من س ، ب . وانظر التنبيه الذي قبل السابق .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . ولا يصح المعنى ولا الرواية بدونها . أما عدم صحة المعنى فلقوله : « مخافة أثآرها » ، فالخوف من الثأر يقتضى عدم قتلها . وكان أهل الجاهلية يقولون : « إن الجن تطلب بثأر الجان إذا قتل ، فربما قتلت قاتله ، وربما أصابته بخبل ، وربما قتلت ولده » . انظر تأويل مختلف الحديث ١٤٦ . وأما الرواية فقد رواه ابن قتيبة على هذا الوجه : « من ترك قتل الحيات مخافة الثأر فقد كفر » . وفي محاضرات الراغب : « من قتل حية فخاف أثآرها فعليه لعنة الله » .

(٣) ط : « إثارها » س ، ب « اثارها » ، صوابهما ما أثبت من محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) . وهى جمع ثأر . وانظر التنبيه السابق .

(٤) الربيع بن صبيح : بفتح المهملة ، السعدى البصرى ، صدوق سيىء الحفظ . قالوا : أول من صنف الكتب بالبصرة ، كان من كبار أتباع التابعين . توفى سنة ستين ومائة .

(٥) هو عطاء بن أبي مسلم ، أبو عثمان ، الخراساني . واسم أبيه ميسرة أو عبد الله . مات سنة خمس وثلاثين ومائة .

(٦) عبد الله بن عبيد بن عمير ، بتصغير الأخيرين ، من الطبقة الوسطى من التابعين ، استشهد غازيا سنة ١١٣ . وفي الأصل : « عبد الله بن عمر » . وليست تصح رواية ابن جريج عن عبد الله بن عمر فإن الأول ولد سنة ٨٠ على حين توفى عبد الله بن عمر سنة ٧٣ . والتصويب مما سبق في (٢ : ٢٩٣) .

أخبرَنى أبو الطفيل أنَّهُ سمع علىَّ بنَ أبى طالب رضى الله عنه يقول : « اقتلوا من الحيَّات ذا الطفيتين[١] ، والكلب الأسودَ البهيم[٢] ذا الغُرّتَين[٣] » . قال : والغُرّة[٤] : حُوّةٌ تكون بعينيه .

(طعام بعض الحيوان)

قال صاحب المنطق : الطير عَلَى ضربين : أوابدُ وقواطعُ . ومنه ما يأكل اللحم لا يأكل غيرَه وإن لم يكن ذَا سِلاح . فأمَّا ذُو السِّلاح فَوَاجِبٌ أن يكون طعامُهُ اللَّحم . ومن الطَّيرِ ما يأكُلُ الحُبُوبَ لا يَعْدُوها ، ومنه المشترك الطِّباع ؛ كالعصفُور والدَّجاج والغُراب ، فإنها تأكُلُ النوعين جميعاً ، وكطير المــاء ، يأكُلُ السمَكَ ويلقط الحبّ . ومنه ما يأكل شيئاً خاصًّا ، مثل جنس النّحل المعَسِّل[٥] الذى غذاؤه شيء واحد ، وجنس العنكبوت ؛ فإن طَعْمَ النَّحل المعسِّل العسل[٦] ، والعنكبوت يعيشُ من صيد الذباب[٧] .

---

(١) الطفيتان ، بالضم : خطان أسودان على ظهر الحية .

(٢) البهيم : الذى لا شية فيه .

(٣) فى الأصل : « القرنين » ، وهو تحريف صوابه ما أثبت . وانظر ما أسلفت فى (٢ : ٢٩٣) .

(٤) ط ، ب : « والفرة » س : « والقرة » صوابهما ما أثبت . وانظر ما كتبت فى (٢ : ٢٩٣) .

(٥) المعسل : الذى يصنع العسل . وإنما قال ذلك لأن النحل قبل أن يصنع العسل ، يتخذ غذاءه من مختلف أنواع الأزهار . ط : « العسل » ، صوابه فى س ، هـ .

(٦) ط ، هـ : « فإن طعم النحل العسل » س : « فإن طعم النحل المعسل » ، وقد جمعت بينهما .

(٧) هـ : « الذبان » .

(ماله مسكن من الحيوان)

ومن الحيوان ماله مسكنٌ ومأوًى ؛ كالخُلْد[1] والفأر ، والنَّملِ ، والنَّحل ، والضَّبّ . ومنه ما لا يتَّخذُ شيئاً يرجعُ إليه [كالحيَّاتِ[2]] ؛ لأنَّ ٩٩ ذُكورةَ الحيَّاتِ سَيَّارةٌ ، وإناثُها[3] إنَّما تُقيم فى المكانِ إلى تمامِ خُروجِ الفِرَاخِ من البَيضِ ، واستغناءِ الفِرَاخِ بأنفُسِها . ومنها ما يكونُ يأوى إلى شُقوقِ الصُّخورِ والحِيطانِ ، والمداخِلِ الضَّيِّقة ، مثل سامِّ أبْرَص .

قال : والحيَّات تألفها كما تألفُ العقاربُ الخنافس . والعَظايا تألف المزابِلَ والخرابات . والوزَغُ قريبةٌ من النَّاس .

(زعم زرادشت فى العظايا وسوامّ أبرص)

[وزعم[4]] زَرَادشْت[5] أنَّ العظايا ليستْ من ذواتِ السُّموم ، وأنَّ سامَّ أبرصَ من ذواتِ السُّموم ، وأنّ أهرمن[6] لما قعد ليقسِمَ السُّمومَ ،

---

(١) الخلد ، بالضم ويفتح : ضرب من الفأر أعمى .

(٢) ليست بالأصل . والسياق يقتضيها .

(٣) فى الأصل : « وإنها » . والوجه ما أثبت . وعند الدميرى : « والذكر لا يقيم بموضع واحد . وإنما تقيم الأنثى على بيضها حتى تخرج فراخها وتقوى على الكسب » .

(٤) ليست بالأصل .

(٥) زرادشت : رجل ظهر فى عهد كيبشتاسب من ملوك الفرس الكيانيين ، ودعا إلى دين المجوسية ، وهو صاحب الأبستا ، وشرحه : الزند بستا ، وقد ظهر قبل الإسكندر بنحو ثلثمائة سنة ، على ما فى التنبيه والاشراف ٨٥ . وقد ظهر من بعده مزدك الموبذ ، فتأول الأبستا ، وجعل لظاهرها باطناً ، واستخلص من ذلك الديانة المزدكية . فى ط ، س : « درادشت » و ب : « درادست » ، صوابه ما أثبت .

(٦) أهرمن ، هو فى مذهب زرادشت : رمز لقوة الشر ، كما أن (أرموزد) رمز لقوة الخير . وكان يرى أن الاثنين يظلان فى نزاع دائم ، حتى يتغلب أرموزد على أهرمن فى نهاية الأمر . وبدل هذه الكلمة والتى قبلها فى كل من ط ، هـ : « لأنه » صوابه فى س .

كانَ الحظ الأوْفرُ لكلِّ شيءٍ سبقَ إلى طلبه ؛ كالأفاعى ، والثَّعابين والجرّارات . وأنَّ نصيبَ الوزَغ نصيبٌ وسَطٌ قصْد ، لا يكمل أن يقتُل ، ولكنّه يزاقُّ الحيَّةَ[١] ، فتُميرُهُ[٢] مِمَّا عندها . ومتى دَبَرَ[٣] الوزَغُ جاءَ منه السمُّ القاتل ، أسرَعَ من سمِّ البِيش ، ومن لُعاب الأفاعى . فأمَّا العَظاية[٤] فإنّها احتبسَتْ عن الطَّلبِ حتى نَفِدَ السمُّ ، وأخذ كلُّ شيءٍ قِسْطَهُ ، على قَدْرِ السَّبق والبكور ، فلما جاءت العظاية وقد فَنِيَ[٥] السمُّ ، دخلها من الحسْرَةِ ، ومِمَّا علاها من الكرْب ، حتى جعلت وجهَها إلى الخراباتِ والمزابِل . فإذا رأيْتَ العظايةَ تمشى مشْياً سريعاً ثمّ تَقِفُ ، فإنَّ تلك الوقْفة إنَّمَا هى لمـا يعرضُ لها من التذكُّرِ والحسْرة على ما فاتها مِنْ نصيبها من السمّ .

(ردّ عليه)

ولا أعلم العَظايةَ فى هذا القياس إلاَّ أكثر شُرورًا من الوزَغ ؛ لأنها لولا إفراط طباعها فى الشَّرارة[٦] ، لم يدخلها من قوَّة الهمِّ مثلُ الذى دخلَها

---

(١) يزاق الحية : مفاعلة ، من زق الطائر فرخه : أطعمه . س ، ب : « بزاق » صوابه فى ط .

(٢) ماره يميره ، وأماره يميره : جلب الطعام إليه . س : « فيميزه » ، صوابه فى هـ ، ط .

(٣) دبر ، من باب نصر : أدركه الهرم والشيخوخة . ومنه فى الكتاب : « والليل إذا دبر » ، فى بعض القراءات .

(٤) العظاية ، بالفتح : دويبة كسام أبرص . ط : « الفظاية » ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) ط ، هـ : « قنى » بالقاف ، ولا وجه له . وتصحيحه من س .

(٦) يقال شر يشر ويشر شراً وشرارة ، فهو شرير — بفتح الشين وكسر الراء — وشرير ، كسكيت .

ولم يستَبن للنَّاس[١] من اغتباط الوزَغ بنصيبه من السمِّ ، بقدْرِ ما استبان من ثُكل العظاية ، وتسلُّها وإحضارها[٢] وبكائها وحُزْنِها ، وأسَفِها على ما فاتها من السُّمِّ .

(زعم زرادشت فى خَلْق الفأرة والسِّنَّور)

ويزعم زَرَادشْت[٣] ، وهو مذهبُ المجوسِ[٤] ، أنَّ الفأرةَ مِنْ خلق الله ، وأنَّ السِّنّورَ من خَلْق الشَّيطان ، وهو إبليس ، وهو أَهْرمَن[٥] . فإذا قيل له : كيف تقول ذلك والفأرةُ مُفسِدةٌ ، تجذب فَتيلةَ المِصباحِ فتحرق بذلك البيتَ والقبائلَ الكثيرةَ ، والمُدنَ العِظامَ ، والأرباضَ الواسعة ، بما فيها من النَّاسِ والحيوانِ والأموال ، وتقرِضُ دفاترَ العلْم ، وكتبَ الله ، ودقائق الحساب ، والصِّكاكَ[٦] ، والشُّروطَ ؛ وتقرِضُ الثِّيابَ ، وربَّما طلبت القُطنَ لتأكُلَ بزْرَه فتدَعُ اللِّحاف غِرْبالاً ، وتقرِض الجُرُب[٧] ، وأوْكِية الأسقيَةِ والأزْقاقِ والقِربِ فتخرجُ جميعَ ما فيها ؛ وتقع فى الآنية

---

(١) فى الأصل : « الناس » . وسياق القول يقتضى ما أثبت . واستبان بمعنى ظهر .

(٢) الإحضار : سرعة الجرى .

(٣) فى الأصل : « زرادست » وهو تحريف . وانظر ما سبق فى ص ٢٩٦ التنبيه الخامس .

(٤) ذاك الزعم مذهب المجوس ؛ لأن زرادشت صاحب مذهبهم .

(٥) ط : « وهرمن » ، وتصحيحه وإكماله من س ، هـ . وانظر التنبيه السادس من صفحة ٢٩٦ .

(٦) الصك بمعنى الوثيقة ، معرب جك ، وهو بالفارسية : كتاب القاضى . وقيل : الصك عربى . شفاء الغليل .

(٧) الجرب ، بضمتين وبضمة أيضاً : جمع جراب ، بالكسر ، وهو الوعاء ، أو وعاء زاد المسافر .

وفى البئر ، فتموت فيه ، وتُحوِج النّاسَ إلى مُؤَنٍ عِظام ، وربّما عضّت رِجْلَ النّائم ؛ وربّما قتلت الإنسان بعضّتها . والفأر[١] بخُراسانَ ربّما قطعَتْ أذن الرَّجُل . وجِرذانُ أنْطاكِيةَ تَعْجِزُ[٢] عنها السَّنانير ، وقد جلا عنها قومٌ وكرِهَها آخرون لمكانِ جِرْذانها . وهى التى فجرت المسنّاة[٣] ، حتى كان ذلك سببَ الحَسْر[٤] بأرض سبأ ؛ وهى المضروب بها المثَلَ . وسَيل العَرِم ممّا تؤرِّخُ بزمانه العَرب . والعَرِم : المسنّاة . وإنما كان جُرَذا .

١٠٠

وتقتل النَّخْل والفسِيل[٥] ، وتخرِّب الضَّيعة ، وتأتى على أَزِمَّةِ الركاب والخُطُم[٦] ، وغير ذلك من الأموال .

والنّاسُ ربما اجتلبوا السَّنانيرَ ليدفعوا بها بوائق الفأر[٧] — فكيفَ صار خَلقُ الضّارِّ المفسِدِ من الله ، وخَلقُ النّافِع من الضَّرَرِ مِنْ خَلق الشيطان ؟ !

---

(١) أراد بالفأر هنا الجماعة . ط : « القار » صوابه فى س ، هـ .

(٢) ط : « تفجر » ، تصحيحه من س ، هـ .

(٣) المسناة : السد الذى يعترض به الوادى لتنظيم تدفق المياه . وفجر ، تقال بالتخفيف والتشديد ، بمعنى جعله ينفجر ويسيل .

(٤) الحسر : مصدر حسر الماء عن الأرض : نضب حتى بدا ماتحته . وجاء فى معجم البلدان (برسم مأرب) : « وجاء السيل بالرمل فطمها » . وطمها : من قولهم : جاء السيل فطم الركية : أى دفنها وسواها . ط : « الخسر » بالخاء المعجمة . وأثبت ما فى س ، هـ .

(٥) الفسيل : جمع فسيلة ، وهى النخلة الصغيرة . س : « النحل والعسيل » ، صوابه فى ط ، هـ .

(٦) الركاب ، بالكسر : الإبل . والأزمة : جمع زمام . وهو مقود البعير . والخطم : جمع خطام ، وهو ما يوضع على مخطم البعير ليقاد به . وفى الأصل : « على أقرحة الركاب والخضر » . وهى عبارة لا تتجه . والصواب ما أثبت .

(٧) بوائق : جمع بائقة ، وهى الداهية ، أو الشر .

والسِّنَّور يُعدَى به على كلِّ شيءٍ خَلَقَهُ الشَّيطانُ[1] من الحيَّاتِ ، والعقارب ، والجِعلان ، وبناتِ ورْدان . والفأرةُ لا نَفْعَ[2] لها . ومُؤْنَتُها عظيمــة .

قال : لأنَّ السِّنَّورَ لو بالَ في البحر لَقَتَلَ عَشْرَةَ آلافِ سمكة !

فهَلْ سمعت بحُجَّةٍ قطُّ ، أو بحيلةٍ ، أو بأضحوكةٍ ، أو بكلامٍ ظهر على تلقيح هرة[3] ، يبلغ مُوَّن هذا الاعتلال ؟ !

فالحمد لله الذى كان هذا مقدارَ عقولهم واختيارهم[4] .

وأنشد أبو زَيْد :

والله لو كُنْتُ لهــذا خالِصاً   لكنْتُ عبداً آكل الأبارصا[5]

يعنى جماعَ[6] سامٍّ أبْرص : أبارص .

---

(١) هذا مجاراة من الجاحظ للمجوسى الذى يعارضه .

(٢) فى الأصل : « لا تقع » .

(٣) كذا . والعبارة غير واضحة .

(٤) ظن بعض الناس أن مثل هذا التركيب فاسد ؛ لانعدام الرابط فى الصلة ، ومنهم الحريرى فى درة الغوص ١٠٠ . وقد رد عليه الخفاجى فى الشرح ٢٠٩ بأن حذف الرابط فى مثل هذا جائز ، كما هو معروف فى كتب النحو . فالتقدير هنا : الذى كان هذا منه . . . الخ .

(٥) يصح أن تقرأ : « آكل » قراءة الفعل ، فتكون فعلا مرفوعا . وتجوز أيضاً أن تقرأ « آكل » قراءة اسم الفاعل المنصوب ، مع حذف التنوين كما جاء حذفه فى قوله :

فألفيته غــير مستعتب   ولا ذاكر الله إلا قليلا

بنصب لفظ الجلالة ، وحذف التنوين مما قبله . انظر ابن السيد فى الاقتضاب ٣٥٥ .

(٦) الجماع ، بالكسر ، بمعنى الجمع .

(أثر أكل سامّ أبرص ونحوه)

وسامُّ أبرص ربّما قتلَ أكله[1] ، وليس يُؤكل إلاّ من الجوع الشّديد . وربّما قتلَ السّنانيرَ وبناتِ عِرْس ، والشّاهُمْرَكَ ، وجميعَ اللقّاطات[2] .
وقال آخر[3] :

كَأَنَّ الْقَوْمَ عُشُّوا لَحْمَ ضَأْنٍ فهُمْ نَعِجُونَ قد مالَتْ طُلاَهم[4]

وهو شيءٌ يعرِض عن أكْلِ دَسَم الضّأن ، وهو أيضا يلقى على دسمه[5] النّعاس . وقد يفعل ذلك الحَبَق[6] ، والخشخاش .

[والخشخاشُ] يسمَّى بالفارسيّة « أنارْ كِبُو[7] » ، وتأويله رمّان الحسّ . وإنّما اشتقّ له ذلك إذ كان يورث النّعاس ، كما يورثه الحسّ .

---

(١) يصح قراءتها على المصدرية ، أو على أنها اسم فاعل : (أكله) و : (آكله) .

(٢) أى الحيوان الذى يلتقط غذاءه . ط : « اللفاهات » ، صوابه ما أثبت من س ، هـ .

(٣) هو ذو الرمة ، كما فى لسان العرب (مادة نعج) .

(٤) فى المخصص (٥ : ٨٠) : « فان أكل لحم ضأن فثقل على قلبه فهو نعج » . ومثل هذا النص فى فقه اللغة ١٣٩ طبعة الحلبى ، ولسان العرب (نعج) ، مع رواية البيت فى كل منها ، وفى الأصل : « يعجون » بالباء ، وهذه الرواية مع احتمال صحتها لا تصلح مع تعقيب الجاحظ للبيت بما سيأتى من الكلام . والبعج : المتسع البطن . والطلى ، بالضم : الأعناق ، جمع طلية بالضم . وإنما مالت طلاهم لما غلب عليهم من النوم . س : « كلاهم » وهو تحريف . وانظر (٥ : ٤٧٩) .

(٥) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « رسمه » ، ولعل صوابهما : « يلقى عن دسمه » .

(٦) الحبق ، بالتحريك : ضرب من الرياحين .

(٧) هذه الكلمة الفارسية ، مركبة من مقطعين ، أحدهما (أنار) ومعناه الرمان . ويقال فيه أيضاً (نار) . ومنه (جلنار) بمعنى زهر الرمان . و (جل) بمعنى زهر =

(أكل السمانى)

وأكلُ الطّعام الذى فيه سمَانَى يُورِثُ الدُّوَار . وزعموا أنَّ صبيًّا من الأعراب فيما مضى من الدَّهر ، صادَ هامةً[١] عَلَى قبر ، فظنها سُمَانَى ، فأكلها فغثَتْ نفسه ، فقال :

* نفسى تَمَقَّسُ مِنْ سُمَانَى الأقبرِ[٢] *

(استطراد لغوى)

ويقال : غَثَت نفسه غَثَياناً وغَثْياً[٣] ، ولَقِستْ تَلْقَسُ لَقَساً ، وتَمَقَّست[٤] تَتَمَقَّسُ تمقسا : إذا غَثِيت[٥] .

(أكل الأعراب للحيات)

وأخبرنى صباح بن خاقان ، قال : كنتُ بالبادية ، فرأيت ناساً حَولَ نَارٍ فسأَلتُ عنهم ، فقالوا : قد صادوا حياتٍ فهم يشوُونها ويأكلونها ؛ إذْ نَظَرْتُ إلى رجلٍ منهم ينهش حَيَةً قد أخرجَها من الجمر ، فرأيته إذا

= والثانى (كبو) ومعناه الخس . وفيه لغات : (كيبو ، كيبو ، كبو ، جيو) . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل . فهى فى ط ، ﻫ : « أباركوا » وفى س : « أباركو » . واعتمدت فى تصحيحها على معجمى بالمر وريتشاردسن .

(١) الهامة : ضرب من البوم .

(٢) الأقبر : جمع قبر . والخبر فى اللسان (مقس) بصورة أخرى .

(٣) س : « عثت نفسه عثيانا وغثيا » بالعين المهملة فى الكلمة الأولى والثانية ، والمعجمة فى الثالثة . صوابه فى ط ، ﻫ .

(٤) فى الأصل : « وتمقس » . والوجه ما أثبت .

(٥) س : « عثيت » محرف .

امتنعَتْ عليه يمدُّها كما يُمَدُّ عصبٌ لم ينضَجْ . فما صرفْتُ بصرى عنه حتى لُبِطَ به[١] ، فما لبِثَ أن مات ، فسألتُ عنْ شأنه ، فقيلَ لى : عجَّلَ عليها قبلَ أن تنضَج وتَعْمَلَ النّار فى مَتْنها . ١٠١

(أكل الحوائين للحيات)

وقد كان فى بَغدادَ وفى البَصْرةِ جماعةٌ من الحوّائين ، يأكل أحدُهم أىَّ حيّةٍ أشرتَ إليها فى جُونَتِه ، غير مشويَّة . وربّما أخذَ المرَارَةَ[٢] وسْط راحِته ، فلَطَعها بلسانه ، ويأكلُ عِشرين عقربانة[٣] نِيَّةً[٤] بدرهم . وأما المشوىُّ فإنَّ ذلك عنده عُرْسٌ[٥] .

(شعر فى الحيات)

وقال كثيِّر :

وما زَالَتْ رُقَاكَ تَسُلُّ ضِغْنِى ... فتُخْرِجُ من مكامِنِها ضِبابى[٦]

وتَرْقِينِى لك الحاوُونَ حتّى ... أجابَتْ حَيَّةٌ خَلْفَ الحِجَاب[٧]

---

(١) لبط به : صرع . وفى الأصل : « ليط به »، بالياء ، وهو تحريف .
(٢) أى مرارة الحية ، أو لعلها « الجرارة» ه : « النواه » محرفة .
(٣) كذا فى الأصل . ولعلها : « عقربا » .
(٤) النىء بالكسر والهمز : اللحم الذى لم ينضج . وفى اللسان : « وقد يترك الهمز ويقلب ياء ، فيقال : نى ، مشددا » . فما هو هنا صواب . وانظر (٥ : ٣٥٦) .
(٥) العرس ، بالضم وبضمتين : طعام الوليمة .
(٦) س : « وتخرج » . وفى الأصل : « من مكانها » ، محرف . وانظر ما سبق فى ص ٢٥٠ .
(٧) انظر ما أسلفت من الكلام على هذين البيتين فى ص ٢٥٠ .

وقال أبو عَدنان[1] ، وذكر ابنَ ثَرْوانَ[2] الخارجيَّ ، حين [كان] صار إلى ظَهْر البصرة ، وخرج إليه منْ خرج مِنْ بنى نُمير :

حَسِبْتَ نُميرًا يا ابن ثَرْوَان كالأُلَى لَقِيتَهُمُ بالأمْس : ذُهلاً ويَشْكُرَا[3]

كما ظَنَّ صَيَّادُ العَصافِيرِ أنَّ فى جَمِيعِ الكُوَى ، جَهْلاً ، فِرَاخا وأطيُرَا[4]

فأدْخَلَ يوماً كفَّهُ جُحْر أسودٍ فشَرْشَرَهُ بالنَّهش حتى تشَرْشَرَا[5]

أراد قول رؤبة :

كنتُمْ كمن أدْخَلَ فى جُحْرٍ يَدَا فأخطأ الأفْعَى ولاَقَى الأسْوَدَا

لو مسّ حَرْفَىْ حجرٍ تَقَصَّدَا[6] بالشَّمِّ لا بالسمِّ منه قصدا[7]

فَقَدَّم الأسوَدَ على الأفعَى . وهذا لا يقوله مَن يَعرف مقدار[8] سُمِّ الحيات .

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ١٨٤) . هـ : « أبو عجنان » ، محرف .

(٢) فى الأصل : « أبا ثروان » . وأثبت ما يقتضيه الشعر الآتى .

(٣) ط ، هـ : « حسبت غيرا » ، صوابه فى س . وذهل ويشكر : قبيلتان .

(٤) الكوى ، بالضم : جمع كوة بالضم ، وهى الخرق فى الحائط .

(٥) شرشره : قطعه تقطيعاً .

(٦) يقال قصده فتقصد : أى كسره فتكسر . وفى الأصل : « تفصد » ، وتفصد بمعنى سال لا وجه له هنا .

(٧) كذا فى ط ، هـ فيكون المراد بهذه قصد الحجر — بالقاف — بمعنى كسره وفى س : « أقصدا » ، من أقصدته الحية : بمعنى قتلته مكانه .

(٨) س : « أقدار » . وانظر نقد هـذا المعنى فى الصناعتين ٨٨ والوساطة ١٧ والشعراء ٥٧٩ .

وقال عنترة :

حلَفْنا لهُمْ والخيلُ تَرْدِى بنا معاً نزايلُكُمْ حتَّى تهِرُّوا العَواليا(١)

عَوَالِيَ سُمْرٍ مِنْ رماحِ رُدَينةٍ هَرِيرَ الكلابِ يتَّقِينَ الأفاعيا(٢)

(حديث فى الحية)

وقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : « اتَّقُوا ذَا الطُّفَيْتَيْنِ والأبتَرَ » . شبّه الخيطينِ على ظهره بخُوص المقْل(٣) وأنْشِدْتُ لأبى ذُؤيب :

عَفَتْ غيْرَ نُؤْيِ الدَّارِ لأْياً أُبِينُهُ وأقْطاعِ طُفْىٍ قدعَفَتْ فى المعاقل(٤)

(١) ردت الخيل تردى : رجمت الأرض بحوافرها . نزايلكم ، أى لا نزايلكم . فحذف النافى . وهو جائز مع القسم . وفى الكتاب : « تالله تفتؤ تذكر يوسف » أى لا تفتأ . وقال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

وانظر لهذه المسألة المخصص (١٣ : ١١٥) وأمالى المرتضى (٣ : ١٣٧) والأضداد ١٤٨ والصناعتين ١٧٦ . ويقال : هرت إليه الكلاب وهرته : أى نبحته . انظر أساس البلاغة . والعوالى ، رءوس الرماح . وليس المعنى أنهم ينبحونها ، ولكنه يريد إظهارهم بغضها والخوف منها . والكلب إذا خاف شيئا نبحه ، حتى إنه لينبح السحاب مما يلقى منه من أذى المطر . انظر (٢ : ٧٣ — ٧٤) .

(٢) سمر : أى رماح سمر . ورُوى فى الديوان والكامل ١٧٥ ليبسك : « عوالى زرقا » فتكون زرقا صفة للعوالى ، أى أسنة زرقا . والسنان الأزرق هو الشديد الصفاء ، فكأنه مرآة ينطبع فيها لون السماء . والبيتان من قصيدة لعنترة يقولها فى يوم (الفروق)، وهو يوم كان لبنى عبس على بنى سعد بن زيد مناة ، ومطلع القصيدة :

ألا قاتل الله الطلول البواليا وقاتل ذكراك السنين الخواليا

(٣) انظر ما أسلفت فى ص ٢٩٥ .

(٤) النؤى : حفير حول الخباء أو الخيمة يمنع السيل ، والأقطاع : جمع قطع ، بالكسر بمعنى المقطوع . والمعاقل : جمع معقل ، كمجلس ، وهو المكان تعقل فيه الإبل —

والطُّفْىُ[1] : خُوص المقْل .

وهمْ يَصِفُونَ بَطْنَ المرأةِ الهيفاءِ الخميصَةِ البطْن، ببطن الحيَّةِ. وهى[2] الأيْم . وقال العجَّاج :

* وبَطْنَ أيمٍ وقَوَاماً عُسْلُجا[3] *

(مناقضة شعرية)

وقال أدْهَمُ بنُ أبى الزَّعْراء[4] ، وشبَّه نفسَه بحيَّةٍ :

١٠٢ وما أســودُ بالبأس ترتاحُ نفسُهُ إذا حَلْبَةٌ جاءتْ ويُطْرِقُ للحِسِّ

به نَقَطٌ حمــرٌ وسودٌ كأنما تنضَّحَ نَضْحاًبالكُحَيل وبالوَرْسِ[5]

= أى تشد ، وفى الأصل : « المعالف » وهو خطأ ؛ إذ أن البيت من قصيدة لامية ، مطلعها :

لمن طلل بالمنتضى غــير حائل عفا بعد عهد من قطار ووابل

انظر اللسان (طفى) ومعجم البلــدان (المنتضى) . ويروى أيضا : « فى المناقل » ، و : « فى المنازل » كما فى اللسان .

(١) جمع طفية بالضم ، وتجمع أيضاً على طفى بضم ففتح . قال (انظر اللسان) :

وهم يذلونها من بعد عزتها كما تذل الطفى من رقية الراقى

أى ذوات الطفى ، بمعنى الحيات .

(٢) س : « وهو »، والحية تذكر وتؤنث .

(٣) قوام عسلج ، بضم العين واللام ، أى ناعم ينثنى ويميل .

(٤) أدهم بن أبى الزعراء الطائى ، شاعر محسن ، له أشعار جياد فى أوصاف الحيات ، كما ذكر ذلك الآمدى فى المؤتلف والمختلف ٣١ . وهــو من شعراء الحماسة . وهو كذلك شاعر إسلامى له شعر فى وقعة المنتهب ، التى كانت فى أيام مروان ابن محمد آخر خلفاء بنى أمية . انظر شرح التبريزى (٢ : ٨٢) . وفى ط : « أدهم بن أبى الزيعرى » و س : « أدهم بن أبى الزبعرى » . و هـ : « ابن أبى الزبعرى » ، والصواب فى ذلك ما أثبت .

(٥) الـكحيل ، بهيئة التصغير : القطران يطلى به الإبل ، وهو أسود اللون . والورس ، بالفتح : نبت يصبغ به ، فيعطى صفرة إلى حمرة .

أصَمُّ قَطَارِيٌّ يكون خروجُه ... قُبيلَ غُروبِ الشَّمسِ مُختَلَطَ الدَّمْس[١]

له منزلٌ ، أنفُ ابن قِتْرَةَ يغتذى ... به السمّ ، لم يظهر نهارا إلى الشَّمس[٢]

يَقِيلُ إذا ما قَالَ بين شواهق ... تزِلُّ العُقَابُ عن نَفَانِفها الملس[٣]

بأَجْرَأَ مِنِّى يا ابْنَةَ القَوْمِ مُقْدِماً[٤] ... إذا الحربُ دبَّتْ أولَبِسْتُ لها لِبْسى[٥]

فأجابه عَنْتَرَةَ الطائى[٦] ، فقال :

عَسَاكَ تمنى مِنْ أَراقمِ أرْضِنَا ... بأَرْقَمَ يُسْقَى السمَّ مِنْ كلِّ مَنْطِفِ[٧]

---

(١) قطارى ، بالضم : يقطر سمه من كثرته ، أو ضخم . مختلط الدمس : أى عند اختلاط الظلام . وروى هذا البيت فى اللسان (قطر ٤١٨) منسوبا إلى تأبط شرا برواية :

* بعيد غروب الشمس مختلف الرمس *

(٢) ابن قترة ، بكسر القاف وإسكان التاء : حية خبيثة إلى الصغر ، تنطوى ثم تنقز ذراعاً أو نحوها ، لا تجرى . ط ، ه : « ابن قترة » س : « ابن قنرة » صوابهما ما أثبت . يقول : إن تلك الحية الصغيرة الخبيثة تقصد إلى منزل ذلك الأسود فتغتذى بأنفها السم . و : « به » بمعنى منه ، وفى الكتاب : « عيناً يشرب بها عباد الله » ، أى يشرب منها .

(٣) قال : أمضى وقت القائلة ، أى الظهر . والشواهق : الجبال العالية . والنفانف جمع نفنف ، بفتح النونين ، وهو صقع الجبل الذى كأنه جدار مبنى مستو .

(٤) مقدما ، بضم الميم وفتح الدال ، أى إقداماً . ويصح أن يقرأ « مقدما » بضم الميم وكسر الدال ، نصب على الحال .

(٥) اللبس ، بالكسر : ما يلبس ، والمراد لباس الحرب : من الدرع والبيضة ونحوهما . ط ، ه : « لبس » صوابه فى س .

(٦) هو عنترة بن عكبرة الطائى ، وعكبرة أم أمه ، وهو عنترة بن الأخرس بن ثعلبة . وساق نسبه الآمدى فى المؤتلف ١٥٢ قال : « شاعر محسن وفارس » . والبيت الآتى من أبيات خمسة فى الحماسة (٢ : ٣٨١) . وفى الأصل : « عنترة الصابى » وتصحيحه من المؤتلف وشرح التبريزى للحماسة (١ : ١١٨) .

(٧) تمنى ، أراد يقدر لك ، منى الله له الشىء : قدره . ولم أر تضعيف هذه النون إلا فى هذه الرواية . ورواية الحماسة ، وكذا محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) . « لعلك تمنى » . والمنطف : الموضع ينطف منه السم ، أى يقطر . وروى : « أنطف » على وزن أفعل ، قال التبريزى (٤ : ١٥١) . « وأفعل يوضع موضع فعل وفاعل » . ونطف يقال من بابى نصر وضرب .

(شعر فى الأسود)

وقال عنترة :

أترجُو حياةً يا ابن بشْرِ بن مُسهِرٍ وقد علِقَتْ رجلاك فى ناب أســودا

أصمَّ جِبالىٍّ[١] إذا عضَّ عضّةً تزايَلَ عنــه جلدُهُ فتبدَّدا[٢]

بِسَلْعٍ صَفاً لم يبدُ للشَّمس قبلَها إذا ما رآه صاحب اليَمِّ أُرْعِدَا[٣]

له رِبْقَةَ فى عنقه مِنْ قميصِــه وسائِرُه عن مَتْنِهِ قد تَقَدَّدا[٤]

رَقُودِ ضُحَيَّاتٍ ، كأَن لِسانَهُ إذا سمِع الإِجْرَاس مِكْحَالُ أرْمَدَا[٥]

يُفيتُ النُّفوسَ قبل أن يقع الرُّقى وإن أبرق الحاوِى عليه وأرْعَدَا[٦]

---

(١) كذا . ويقال للحية : « ابنة الجبل » . ورواية اللسان (مادة قطر) : « قطارى » بمعنى ضخم .

(٢) رواية اللسان : « تزيل آعلى جلده فتربدا » .

(٣) السلع ، بالفتح والكسر : الشق . واليم : البحر . وفى اللسان (سلع) : « راكب » بدل « صاحب » . وأرعد ، بالبناء للمجهول : أصابته الرعدة .

(٤) الربقة ، بالكسر : الحبل . وقيصه : جلده المنسلخ . والمتن : الظهر .

(٥) يقول : هو ينام فى الضحى ، وذاك من شأن الحيات ، وإنما تستيقظ فى الظلام . والأجراس : جمع جرس ، بالفتح : وهو الصوت . وتقرأ أيضاً : « الإجراس» بالكسر ، وهو التصويت . ومكحال الأرمد : ما يكتحل به . وجعل لسانه كالمكحال فى دقته ، وفى سواده أيضاً . ومكحال الأرمد أشد سوادا من غيره ؛ لكثرة ما يستعمل .

ومن طريف ما جاء فى وصف لسان الحية بالسواد ، قول الآخر :

كأنما لسانه عــلى فــيه دخان مصباح ذكت ذواكيه

قال أبو العباس ثعلب : » يقال إنه لم يسمع فى صــفة الحية أحسن من هــذا البيت ». انظر ديوان المعانى (٢ : ١٤٦). وقد سبق الكلام على لسان الحية فى ١٦٣ .

(٦) يفيت النفوس : يميتها موت الفجاءة . و « يقع الرق » كذا فى الأصل . ولعلها : =

(شعر فى الحية)

وقال آخر :

لاَيَنْبُتُ العُشْبُ فى وادٍ تكون به[1] ولا يجاورها وحْشٌ ولا شجر

رَبْداء شابكة الأنياب ذابلة ينبو ، من اليُبْس ، عن يافوخها الحجَرُ[2]

لو سرّحت بالنَّدَى ما مسَّها بلَلٌ ولو تكنَّفها الحاوُون ما قدَرُوا[3]

قد حاوَرُوها فما قام الرُّقاةُ لها وخاتلوها فما نالوا ولا ظفِرُوا[4]

تقصِّدُ الورَلَ العادِي بضَرْبَتها نكزاً ، ويهرُب عنها الحيَّةُ الذَّكَرُ[5]

= « يسمع الرقى » . وأبرق وأرعد : تهدد وأوعد ، بما يتلو من العزائم .

(١) تكون به : أى تكون تلك الحية به . وليس يعنى أنها تمنع العشب من أن ينبت ، ولكنه يريد أنها تختار موضعها فى القفر .

(٢) ربداء : من الربدة ، وهى الغبرة . شابكة : مشتبكة . س ، ه : « شائكة » وانظر ما سبق فى ص ٢٨١ س ٥ . وذابلة : دقيقة . ويعرض للحية الدقة عند الكبر فيكون ذلك أشد لسمها . ينبو : يرتد . س : « يا فوخة » ، صوابه فى ط ، ه . واليافوخ : ملتقى عظم مقدم الرأس ومؤخره .

(٣) يقول : ينزلق عنها الندى لملاستها ، ولو أحاط بها الحاوون ليستخرجوها من جحرها ما أمكنهم ذلك . والحيات الخبيثة لا تستجيب لدعوة الراقى .

(٤) خاتلوها : خادعوها . س ، ه : « فما نابوا » ، صوابه فى ط .

(٥) الورل : حيوان من الزحافات طويل الأنف والذنب دقيق الحصر لا عقد فى ذنبه كعقد ذنب الضب ، وهو أطول من الضب وأقصر من التمساح : Varanus والعادى : الذى يعدو ، أى يجرى. تقصده : تقطعه وتفصله تفصيلا . انظر اللسان (قصد) وما سبق فى ص ٣٠٤ . ط ، ه : « تقصر » ، س : « تذكر » ، والوجه ما أثبت . والنكز : طعن الحية الحيوان بأنفها .

جملة القول فى الظليم

فممّا فيه من الأعاجيب أنه يغتذى الصَّخرَ ، ويبتلع الحِجارةَ ، ويعمِد إلى المرْوِ ، [والمرْوُ] من الحجارة للتى توصف بالملاسة ؛ ويبتلع الحصى ، والحصى أصلبُ من الصَّخْر ، ثمّ يُميعه ويُذيبه فى قانصته[1] ، حتَّى يجعلَه كالماء الجارى . ويقصِدُ إليه وهو واثقٌ باستمرائه وهضْمه ، وأنّه له غذاءٌ وقِوامٌ . ١٠٣

وفى ذلك أعجوبتان : إحداهما التَّغذِّى بما لا يُتَغذَّى[2] به . والأخرى : استمراؤه وهضمُه للشىء الذى لو أُلقِىَ فى شىءٍ ثمّ طبخ أبداً ما انحلّ ولا لان . والحجارة هو المثل المضروبُ فى الشدَّة . قال الشاعر :

* حتى يلين لِضِرْسِ المَاضغِ الحَجرُ *

وقال آخر[3] :

مَا أطْيَبَ الْعَيْشَ لو أنَّ الْفتَى حَجَرٌ تنبُو الحوادثُ عنه وهو ملمومُ[4]

ووصف اللهُ قلوبَ قومٍ[5] بالشدَّة والقسوة ، فقال: ﴿ فَهِىَ كَالحِجَارةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ، وقال فى التشديد : ﴿ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ[6] ﴾

---

(١) فى الأصل : « من قانصته » .

(٢) بدله فى س : « بما لا يغذو » .

(٣) هو تميم بن أبى مقبل ، كما فى ديوانه ٢٧٣ وشرح شواهد المغنى ٢٢٧ .

(٤) الحجر الملموم : هو المجتمع الشديد .

(٥) هم بنو إسرائيل . انظر الآية الرابعة والسبعين من سورة البقرة .

(٦) وقع تحريف فى هذه الآية فى النسخ الثلاث . ففى ط : « النار » وفى س ، هـ : « نار » . وهذه الآية هى السادسة من سورة التحريم : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » . وفى سورة البقرة أيضاً : « فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » . الآية ٢٤ .

لأنه حين حذَّر النَّاسَ أعلمهم أنَّه يُلقِى العُصاة فى نارٍ تأكلُ الحجارةَ .

ومن الحجارةِ ما يتّخذه الصفّارونَ[١] عَلاةً[٢] دونَ الحديد ؛ لأنّه أصبرُ على دقّ عِظام المطارق والفِطّيسات[٣] .

فجوفُ النَّعامة يُذيب هذا الجوهر الذى هذه صفته .

(شواهد لأكل النعام الحصى والحجارة)

وقال ذو الرُّمّة :

أذَاكَ أمْ خاضبٌ بِالسِّىِّ مرتَعُه أبو ثَلاَثِينَ أمْسى وهو منْقَلِبُ[٤]

شخت الجزارة مثلُ البيتِ سائرُه من المُسوحِ خِدَبٌّ شوقَبٌ خَشِبُ[٥]

---

(١) الصفارون : جمع صفار ، وهو من يعمل الصفر ، وهو بالضم : النحاس الجيد أو الأصفر . ط ، هـ : «الصائغون» ، والوجه ما أثبت من س ؛ إذ أن السياق يأبى ما فى ط ، هـ .

(٢) العلاة ، بالفتح : السندان ، وهو بالفتح ما يطرق عليه الحديد ونحوه .

(٣) جمع فطيس ، كسكيت ، وهى المطرقة العظيمة . ط : «الغطيسات» س : «العظيسات» ، صوابهما ما أثبت من هـ .

(٤) أذاك : يقول أذاك الثور يشبه ناقتى أم خاضب صفته كذا وكذا . والخاضب : الظليم ، أى ذكر النعام ، الذى احمرت ساقاه . والسى بكسر السين بعدها ياء مشددة : ما استوى من الأرض . وجاء فى الأصل بالهمزة ، صوابه فى اللسان (سى) والمخصص (٨ : ٥٢) وأمالى القالى (٣ : ١٦٤) وديوان ذى الرمة ص ٢٨ كمبردج . أبو ثلاثين : أى أبو ثلاثين فرخا . والنعام يبيض نحو العشر فما فوقها ، فأراد بالثلاثين أنه قد حضن أبطنا فعرف ما يصلح البيض وما يفسده ، فهو حينما ينتهى من الرعى يهرع إلى أدحيته . وقال : أمسى ، ليعبر عن جده فى اللحاق قبل الليل ، ولأنه يكون فى ذلك الوقت قد رعى فاشتدت قوته . منقلب : منصرف . ط ، هـ : «وذاك» ، صوابهما فى س والمخصص والأمالى والديوان . ط : «مرتعة» صوابه فى جميع المصادر . ط ، هـ : «فهو منقلب» ، وهى رواية المخصص أيضاً .

(٥) شخت الجزارة : أى دقيق القوائم . والجزارة ، بالضم : أجر الجزارة ، كالعمالة أجر العامل . وكانوا يأخذون القوائم فى أجرة الجزار فسميت القوائم جزارة . مثل =

كأنّ رجليه مِسْماكانِ من عُشَرٍ صَقْبانِ لَمْ يَتَقَشَّرْ عنهما النَّجَبُ[١]

ألهاهُ آءٌ وتَنُّــومٌ ، وعُقْبَتُهُ مِنْ لائحِ المرْوِ ، والمَرْعى له عُقَبُ[٢]

وقال أبو النَّجْم :

والمَرْوُ يُلْقِيهِ إلى أمعائه[٣] في سرْطم مادَ على التوائِه[٤]

= البيت ، هوالبيت من بيوت العرب من المسوح . قال المبرد : « يعني إذا مد جناحيه . وإنما أخذه من قول علقمة بن عبدة :

صعل كأن جناحيه وجوجؤه بيت أطافت به خرقاء مهجوم »

والمسوح : جمع مسح ، بالكسر ، وهو الكساء من الشعر . والحدب : الضخم . والشوقب : الطويل . خشب : غليظ خشن . ط : « حدب » صوابه في س ، هـ والديوان والكامل ٤٤٩ ليبسك .

(١) المسماك : عود يكون في الخباء . والعشر : ضرب من كبار الشجر ، له صمغ حلو. صقبان : طويلان . والنجب : لحاء الشجر ، أي قشره . جعل رجليه كالمسماكين الطويلين الخشنين . وفي الأصل : « كأن عينيه » وهو من عجيب التحريف . وصوابه ماكتبت من الديوان . ط : « لم يتشر » صوابه في س ، هـ والديوان .

(٢) الآء : شجر له ثمر يأكله النعام . والتنوم : شجر له حمل صغار مثل حب الخروع ، وينفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق . عقبت الماشية في المرعى : رعت الخلة عقبة ثم تحولت إلى الحمض عقبة أخرى ، أو العكس . أي هو بعد أن يأكل هذين يجعل عقبته من لائح المرو . والمرو : الحجارة البيض . واللائح : اللامع .

(٣) المرو فسر قريباً . في الأصل : « والمره » ، تصحيحه من عيون الأخبار (٢ : ٨٦). والأمعاء : جمع معى بالتحريك ، وبكسر الأول وفتح الثاني . في الأصل : « معائه » ، تحريف ما أثبت من عيون الأخبار ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) .

(٤) السرطم ، كجعفر : البلعوم . في الأصل : « سرطه » وصوابه من عيون الأخبار. ماد البلعوم : مال واضطرب . في الأصل : « مار » ويصح بها المعنى ، لكن يستترك بها الرجز لما سيأتي في البيت بعده . وفي عيون الأخبار : « هاد » والوجه ما أثبت . على التوائه : أي بسبب التواء بلعوم هذا الظليم .

يَمُورُ فى الحلْقِ على عِلْبَائِه(١) تَمعُّجَ الحَيَّةِ فى غِشَائِهِ(٢)

* هادٍ ولو حَارَ بَحوصَلائِهِ *

(إذابة جوف الظليم للحجارة)

ومَنْ زَعَمَ أنَّ جَوفَ الظَّلِيمِ إنما يُذيب(٤) الحِجارة بقَيظ الحرارة فقد أخطأ . ولكنْ لابدَّ من مقدارٍ للحرارة [و(٥)] نحو غرائزَ أخر ، وخاصّيّات أخر . ألا تَرَى أنَّ القُدورَ التى يُوقَد تحتها الأيَّامَ واللَّيالىَ ، لا تذوب .

(القول فى الخاصيات والمقابلات والغرائز)

وسأدلُّك على أنْ القولَ فى الخاصّيّاتِ والمقابلات والغرائز حقٌّ . ألا ترى أنّ جوفَ الكلْبِ والذِّيبِ يذيبان العِظام ولا يذيبان نَوَى التمر ، ونَوَى التمر أرخَى وألين وأضعَفُ من العظام المصْمَتة . وما أكثر ما يَهضِم

---

(١) يمور : أى يضطرب ويتردد ، والضمير للمرو . ط ، س : « تمر » هـ : « يمر » صواابهما من المخصص (١٦ : ٦٣) وهو ما يقتضيه ارتباط هذا البيت بما بعده . والعلباء ، بالكسر : عصب العنق . فى الأصل : « علبائه » بالياء ، والوجه ما أثبت موافقاً لما فى المخصص .

(٢) التمعج : التلوى . ورواية المخصص (١٦ : ٢٨ ، ٦٣) : « تعمج » بتقديم العين ، وهما بمعنى واحد . وغشاء الحية : غلافه . والمراد جلده الذى يسلخه . والحية يذكر ويؤنث ، جعل حركة المرو يتردد فى حلق الظليم كحركة الحية حين تضطرب فى جلدها قبل تمام انسلاخه . فى الأصل : « عشائه » صوابه من المخصص .

(٣) يقول : ذلك المرو ، ولو حار قليلا فى وصوله إلى حوصلة الظليم ، فهو هاد بها فى آخر الأمر ، أى مهتد . ط ، هـ : « جاد » محرفة . س : « حاد » . والأوفق ما أثبت من المخصص (٨ : ١٢٢) . و « بحوصلائه » : أى هو مهتد بحوصلائه ، كأنها علم له . ورواية المخصص والفصول ٤٦٢ : « لحوصلائه » .

(٤) ط ، هـ : «تذيب» ، صوابهما فى س .

(٥) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

١٠٤ العظم . وقد يهضم العظمَ جوفُ الأسد وجوفُ الحيَّةِ ، إذا ازدردت بضع اللحْمِ[١] بالشَّرَهِ والنَّهَم ، وفيها بعضُ العِظام .

والبراذين التى يُحِيلُ[٢] أجوافُها القتَّ والتِّبْنَ[٣] رَوْثاً ، لا تستمرِى الشعير .

والإبلُ تقبضُ بأسنانِها على أغْصانِ أمِّ غَيْلاَن ، وله شوكٌ كصياصِى البقر[٤] ، والقُضبانُ علكة[٥] يابسةٌ جرد ، وصلاب متينة ، فتستمرئُها[٦] وتجعَلها ثَلْطاً[٧] ولا تقْوَى على هضْم الشَّعِير المنقع . وليس ذلك إلاَّ بالخصائص والمقَابلات .

وقد قُدِّرَ كلُّ شيءٍ لشيء . ولولا ذلك لما انفذ خرطومُ البعوضةِ والجِرجسة فى جلد الفيل والجاموس ، ولَما رأيت الجاموسَ يهرُب إلى الانغماس فى الماء مرّةً ومرّةً يتلطَّخ بالطِّين ، ومرّةً يجعله أهله ربيثَ الدكان[٨] . ولو دفعوا إليك مِسَلّةً شديدةَ المتْن ، لَما أدخلْتَها فى جلْد الجاموسِ إلاّ بَعدَ التكلُّفِ ، وإلاّ ببَعْضِ الاعتماد .

والذى سخَّر جلدَ الجاموسِ حتَّى انفرَى وانصدع لطعْنةِ البعوضة ،

---

(١) البضعة ، بالفتح وقد تكسر : القطعة من اللحم، جمعها بضع بالفتح ، وكعنب ، وصحاف ، وتمرات .

(٢) فى الأصل : « يحل » .

(٣) القت : يابس الفصفصة ، والفصفصة ما يعرف فى مصر بالبرسيم . فى الأصل : « ألقت » صوابه ما أثبت .

(٤) صياصى البقر : قرونها ، مفردها صيصية .

(٥) علكة : شديدة .

(٦) فى الأصل : « تستمرئها » .

(٧) الثلط ، بالفتح : الروث . س ، ه : « ثلكا » صوابه فى ط .

(٨) الربيث : المحبوس . وفى الأصل : « على ربيث » وهذا التصحيح للأب أنستاس .

وسخَّر[١] جلد الحمار لطعْنة الذُّباب ، وسخَّر الحجارةَ لجوف الظليمِ ، والعَظْمَ لجوف الكلبِ — هو الذى سخَّر الصَّخْر الصُّلْبَ لأذناب الجراد ، إذا أرادتْ أن تُلقِىَ بيضها ؛ فإنَّها فى تلك الحال مَتَى عقدَتْ ذنبها فى ضاحى صخْرةٍ[٢] انصدعَتْ لها . ولو كان انصداعُها من جهة الأَسْر[٣] ، ومن قوَّة الآلة[٤] ، ومن الصَّدم[٥] وقوَّةِ الغمْز ، لانصدعت لما هُو فى الحسِّ أشدُّ وأقوى . ولـكنَّه على جهة التَّسخير ، والمقابلات ، والخصائص .

وكذلك[٦] عُود الحلْفاء ، مع دقَّته ورَخاوته ولِين انعطافه ، إذا نبَتَ فى عُمق الأرضِ ، وتلقَّاه الآجُرُّ والخزَفُ الغليظ ، ثَقَبَ ذلك ، عند نباته وشبابه ؛ وهو فى ذلك عبقَرٌ نَضير .

وزعم لى ناسٌ من أهل الأُرْدُنِّ ، أنهم وجَدوا الحلْفاء قد خرَّق جوف القار[٧] .

وزعم لى أبو عتَّاب الجرَّار[٨] ، أنَّه سمع الأكَرَة يُخبِرونَ أنهم وجدوه قد خَرَقَ فلسًا[٩] بصْريًّا .

---

(١) ط : « وسخر » صوابه فى س ، هـ .

(٢) ضاحى الصخرة : ظاهرها . س ، هـ : « صاحى » صوابه فى ط .

(٣) الأسر ، بالفتح : القوة .

(٤) س : « الأيد » .

(٥) ط ، هـ : « الصدع » صوابه فى س .

(٦) س : « ولذلك » .

(٧) القار : الزفت . ط : « الفار » س : « نمار » كذا . صوابهما فى هـ .

(٨) ط : « الجرار » وأثبت مافى س ، هـ . وانظر ما سبق فى (٣ : ٣٤) .

(٩) الفلس : جزء من أجزاء الدرهم . وقد تحـدث عنه المحقق الكبير الأب أنستاس مارى فى حواشى النقود العربية ٦٧ — ٦٨ . ط : « وقد قلع فلسا بصريا » .

وليس ذلك لشدَّةِ الغمزِ وحِدَّة الرأس ، ولـكنه يكون على قدْر ملاقاة الطباع .

ويزعمون أنَّ الصَّاعقة تسقُطُ فى حانوت الصَّيْقل[١] فتُذيب السُّيوفَ بطبعها[٢] ، وتدع الأغمادَ عَلَى شبيهٍ بحالها . وتسقُطُ عَلَى الرَّجُلِ ومعه الدراهمُ فتَسبك الدَّراهم ، ولا يصيبُ الرجُلَ أكثرُ من الموت .

والبحريُّون عندنا بالبصرة والأُبُلَّة التى تـكون عليها الصَّواعق[٣] ، لايدعون فى صُحُون[٤] دُورهم وأعالى سُطوحهم ، شيئاً من الصُّفر إلَّا رفعوه ؛ لأنها عندهم تنقضُّ من أصل مخارجها ، على مقدارٍ من محاذاة الأرض ، ومقابلةِ المـكان ، فإذا كان[٥] الصُّفر لها ضاحياً ، عدلَتْ إليه عن سَنَنها[٦] .

وما أنـكر ما قالوا . وقد رأيتهم يستعمِلون ذلك .

وقد يَسْقط النَّوَى[٧] فى تُرَابِ المتوضَّإ ، فَإذَا صُهرِجَ نَبَتَ[٨]

١٠٥ فإذا انتهى إلى الصَّاروج أمسك . وإن كان الصَّاروج رقيقاً فإنْ قُيِّرَ ، وجُعلَ غِلظُهُ بقدر طول الإبهام ، نبت ذلك النَّوى حتَّى يخرِق ذلك القار .

---

(١) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها .

(٢) س : « وطبعها » .

(٣) فى الأصل : « عنها الصواعق » .

(٤) صحن الدار : وسطها .

(٥) فى الأصل ، « كائنة » .

(٦) السنن : الطريق . ط : « سنتها » . والوجه ما أثبت من س ، ه .

(٧) فى الأصل : « وقد تسقط النواة » ، والسياق يقتضى ما كتبت .

(٨) صهرج المتوضأ : عمل بالصاروج ، وهو النورة أو أخلاطها .

(٩) أى جعل فوقه القار . ط : « وإن كان الصارج » ، صوابه فى س ، ه .

ولورام رَجُلٌ خرْقَه بمسمارٍ أو سِكّة[١] ، لما بلغ إرادتَه حتى يشقَّ على نفْسه .

والذى سخَّرَ هذه الأمورَ القويَّةَ فى مذْهب الرَّأى وإحساسِ النَّاس ، هو الذى سخَّر القُمقُم ، والطَّيجن ، والمِرْجَل ، والطَّستَ ، لإبرة العقرب . فما أحصِى عدَدَ مَنْ أخبرنى من[٢] الحوَّائين ، من أهل التَّجارب ، أنها ربَّما خرجتْ من جُحرها فى اللَّيل لطلَب الطُّعم[٣] ، ولها نشاط وعُرَام[٤] ، فتضرِب كلَّ مالقِيَتْ ولقِيها : من حيوانٍ ، أو نباتٍ ، أو جماد .

وزعم لى خاقانُ بن صبيح — واستشهد المثنَّى بنَ بِشْر ، وما كان يحتاجُ خبَرُه إلى شاهدٍ ؛ لصدقه — أنَّه سمعَ فى داره نَقْرَةً وقعتْ على قُمقُم — وقد كان سمع بهذا الحديث — فنهض[٥] نحوَ الصوت ، فإذا هو بعقربٍ فتعاورها هو والمثنى بنعالها[٦] حتى قتلاها ، ثمَّ دعَوَا بماءٍ فصبَّاه فى القُمقُم فى عشِيَّتِهِما ، وهو صحيحٌ لايسيلُ منه شىء .

فمن تعجَّبَ من ذلك فليصرِفْ بَدِيًّا[٧] تعجُّبَه إلى الشىء الذى

---

(١) السكة : الحديدة . وأصلها حديدة المحراث ط : «سلة» ، وأثبت ما فى س ، هـ .

(٢) فى الأصل : «عن» .

(٣) ط ، هـ : «الطعام» ، وما أثبت من س أشبه بلغة الجاحظ . والطعم ، بالضم : الطعام .

(٤) العرام ، بضم العين المهملة : الحدة والشدة . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، س : «غرام» و هـ : «عزام» .

(٥) هـ : «فناهض» ، صوابه فى ط ، س .

(٦) التعاور : التداول والتناوب . س ، هـ : «بنعلهما» وهو وجه جائز ، وأثبت ما فى ط .

(٧) بديا : أى بدءا وأولا . وجاء فى س : «بدءا» .

تقذفه بنعبها[1] العقربُ فى بدَن الإنسان والحميرِ والبغال ، فليفكِّرْ[2] فى مقدارِ ذلك من القلة والكثرة . فقد زعم لى ناسٌ من أهل العَسْكر[3] أنهم وزنوا جَرَّارةً[4] بعد أنْ ألْسَعُوها[5] فوجدوا وَزنها على تحقيق الوزن على مقدارٍ واحد . فإن كان الشيء المقذوفُ من شكل [الشيء] الحارّ ، فلم قصَّرت النَّارُ عن مبلغ عمله ؟ ! وإن كان من شِكل الشيء البارد فلم قصَّر الثلج عن مَبْلغ عمله ؟ ! فقد وَجَبَ الآن أنَّ السمَّ ليس يقتل بالحرارة ، ولا بالبرودة إذا كان بارداً . ولو وجَدْنا فيما أردنا شيئاً بلغ مبلَغَ الثَّلجِ والنار لذكرْناه .

فقد دلَّ ما ذكرنا على أنّ جوفَ النَّعامةِ ليس يُذيبُ الصخرَ الأملسَ بالحرارة ، ولكنَّه لابدَّ على كلِّ حالٍ من مقدارٍ من الحرارة ، مع خاصِّيَّات أُخَرَ ، ليستْ[6] بذاتِ أسماءٍ ، ولا تعرفُ إلَّا بالوهم فى الجملة .

---

(١) ط ، ه : « بديها » س : « بدبها » ، ولعل الوجه ما أثبت .

(٢) كذا فى س . وفى ط ، ه : « فيفكر » .

(٣) هو عسكر مكرم ، بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء : بلد من نواحى خوزستان . قال الجاحظ عند ذكر الجرارات : « وهى تكون بعسكر مكرم وجنديسابور » . وقال الدميرى عند ذكر الجرارات : « وهى عقارب صغار صفر على مقدار ورق الأنجذان . وتكون بعسكر مكرم » .

(٤) الجرارة : واحدة الجرارات . وهى ضرب من العقارب صغار تجرر أذنابها وفى الأصل : « جرادة » تحريف . انظر التنبيه السابق .

(٥) ألسعوها : أى مكنوها من لسع حيوان . ط ، ه : « التقوها » ، صوابه ما أثبت من س .

(٦) ط ، س : « ليسب » تصحيحه من ه .

(علة قتل السم)

والسمّ يقتل بالكمّ والكَيف والجِنس . والكَمُّ : المقدار . والكيف : الحدّ . والجنس : عَيْنُ[1] الجوهرِ وذاتُه .

وتزعمُ الهنْدُ أنّ السّمّ إنما يقتُل بالغَرابة ، وأنّ كلَّ شيء غريب خالَطَ جَوْفَ حيَوَانٍ قَتَلَهُ . وقد أبى ذلك ناسٌ فقالوا : وما بالُه يكون غريباً إذا لاقى العصَبَ واللّحم ، وربما كان عاملًا فيهما جميعا . بل ليس يقتل إلّا بالجنس ، وليس تُحسُّ النفسُ إلّا بالجنس . ولو كان الذى يميت حِسَّهُما إنما يميتُه لأنه غريبٌ ، جَازَ أيضاً أنْ يكون الحَسَّاس إنما حَسَّ[2] لأنه غريب . ولو كان هذا جائزاً لقيل فى كلِّ شيء .

وقال ابن الجهم : لولا أنّ الذهب المائعَ ، والفِضَّة المائعة ، يجمدان إذا صارا فى جوف الإنسان ، وإذا جَمُـدَا لم يجاوزَا مكانهما ــ لكانَا[3] من القواتل بالغرابة . ١٠٦

وهذا القول دَعْوَى فى النفس ، والنفْسُ تضيق جدًّا . وما[4] قرأت للقدماءِ فى النفْس الأجلادَ الكثيرة . [و[5]] إنما يستدلُّ ببقاء تلك الكتب على وَجْهِ الدّهر إلى يومنا هـذا ، ونَسْخِ الرِّجَال لهـا أُمَّةً بعدَ أمّة ، وعمرًا بعد عمر ، على جهل أكثَرِ النّاسِ بالكلام . والمتكلمون

---

(١) فى الأصل : « غير » ، وصوابه ما كتبت .

(٢) هى صحيحة . وفى القاموس : « وحسست الشيء : أحسسته » .

(٣) فى الأصل : « لكان » . والوجه إلحاق ألف الاثنين .

(٤) لعلها : « وقد » .

(٥) ليست بالأصل .

يريدون أن يَعْلمُوا كل شيء ، ويأبى الله ذلك . فهذا بابٌ من أعاجيب الظليم .

بابٌ آخر
وهو عندى أعجب من الأول

وهو ابتلاعُهُ الجمرَ حتى ينفُذَ إلى جوفه ، فيكونَ جوفه هو العامل فى إطفائه ، ولا يكونَ الجمرُ هو العامل فى إحراقه .

وأخبرنى أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن سَيَّارٍ النَّظَّام — وكنّا لانرتاب بحديثه إذا حكَى عن سماعٍ أو عِيان — أنَّهُ شَهِدَ محمد بن عبد الله ، يلقى الحجَرَ فى النَّار ، فإذا عاد كالجمر قَذَف به قُدَّامَهَ ، فاذا هو يبتلعه كما يبتلع الجَمْرَ . وكنتُ قلت له : إنَّ الجَمْرَ سخيفٌ سريعُ الانطفاءِ إذا لقى الرُّطوباتِ ، ومتى أطبقَ عليه شىء يحُولُ بيْنهُ وبين النَّسيم خَمَدَ ، والحَجَر أشدُّ إمساكاً لما يتداخَله من الحرارة ، وأثقَلُ ثِقَلًا ، وألزقَ لزُوقاً وأبطأ انْطِفَاءً ، فلو أحميْتَ الحجارة ! فأحماها ثم قذف بها إليه ، فابتلع الأولى فارتَبت به ، فلما ثنَّى وثلّثَ اشتدَّ تعجبى له ، فقلت له : لو أحميت أواقىَّ الحديدِ ، ما كان منها رُبْعَ رِطلٍ ونصف رطل ! ففعل ، فابتلعه ، فقلت : هذا أعجبُ من الأوّلِ والثّانى ، وقد بقيَتْ علينا واحدةٌ ، وهو أن ننظر : أيَسْتَمْرِى[1] الحديدَ كما يستمْرِى الحجارة ؟ ولم يتركنا بعضُ السفهاء

---

(١) يستمرى : يستسيغ . وأصلها الهمز .

وأصحاب الخُرْق (١) أن نتعرَّفَ ذلك على الأيَّام . وكنتُ عَزَمْتَ على ذبْحه وتفتيش جَوْفِه وقانصته ، فلعلّ الحديد يكون قد بقى هناك لا ذائباً ولا خارجاً فعمَد بعضُ نُدمائه إلى سِكّين فأُحْمِىَ ، ثم ألقاه إليه فابتلعه ، فلم يجاوزْ أعلى حلقه حتى طلعَ طرفُ السِّكين من موضع مَذْبَحِه ، ثمَّ خرَّ ميِّتاً .

فَمَنَعَنا بخُرقِه من استقصاء ما أردْنا .

(شبه النعامة بالبعير وبالطائر)

وفى النَّعامة أنَّها لا طائرٌ ولا بعير . وفيها من جهة المَنْسِم [والوظيف (٢)] والخَرَمَةِ (٣) ، والشقّ الذى فى أنفه ، ما للبعير . وفيها من الرِّيش والجناحَين والذَّنبِ والمِنْقارِ ، ما للطائر . وما كان فيها من شكل الطَّائر أخرَجَهَا ونَقَلَها إلى البيض (٤) ، وما كان فيها من شكل البعير لم يخرجها ولم ينقلها إلى الوُلدِ (٥) . وسماها أهل فارس : « أشْتُرْمُرْغ (٦) » ، كأنّهم قالوا : هو طائر وبعير . ١٠٧

---

(١) الخرق ، بالضم : الحمق وسوء التصرف .

(٢) الوظيف : مستدق الذراع والرجل من الخيل والإبل . وهذه الزيادة من س .

(٣) الخرمة ، بالتحريك : موضع الخرم من الأنف . وفى كل أنف خرمات ثلاث ، ثنتان خارجتان عن اليمين واليسار ، والثالثة الوترة التى بين المنخرين . ط : « الخزامة » ، وهى بالكسر : ما يوضع فى خرمة الأنف ، وليست مرادة . س ، هـ : « الخرامة » ، صوابه ما أثبت . وانظر العقد (٦ : ٢٣٧) .

(٤) البيض ، ككتب ، وبالكسر أيضاً : جمع بائض وبيوض . والعبارة محرفة فى الأصل . فى جميع النسخ : « وفيها إلى ما فيها من شكل الطائر » ، وبعد كلمة « الطائر » فى كل من ط ، هـ : « حذقها » ، وفى س : « حذفها » وهو تحريف جد مضلل ، وقد هدانى إلى تصحيح العبارة ، ما تقتضيه المقابلة بين هذه الجملة والجملة التى تتلوها .

(٥) الولد ، بالضم وكسكر : جمع والد بمعنى والدة . وفى اللسان : « وشاة والدة وولود : بينة الولاد . ووالد ، والجمع ولد » . وانظر تاج العروس . ط ، هـ : « الواعر » ، وصوابه ما أثبت من س .

(٦) « أشتر » بضم الهمزة والتاء ، ويقال أيضاً : « شتر » بحذف الهمزة ونقل =

(شعر فى شبه النعامة بالبعير والطائر)

وقال يحيى بن نوفل :

فأنتَ كساقطٍ بين الحَشَايا تَصير إلى الخَبيثِ من المَصيرِ[1]

ومثلُ نَعامةٍ تُدْعَى بعيراً تعاظُمِها إذا ما قِيلَ طِيرِى[2]

فإن قيل احْمِلى قالت فإنِّى مِنَ الطَّيرِ الْمُرِبَّةِ بالوُكورِ[3]

ثمَّ هجا خالدا[4] فقال :

وكنتَ لَدَى الْمغيرة عَيْرَ سَوْءٍ تَصُول ، من المخافةِ ، للزَّئيرِ[5]

= الضمة إلى الشين : معناه البعير . ومرغ ، بالضم : معناه الطائر .

(١) جعله ممن يلازم الفراش ، ويقعد عما تقتضيه الشجاعة والرجولة . وجاء فى حديث على « من يعذرنى من هؤلاء الضياطرة ، يتخلف أحدهم يتقلب على حشاياه ! » . وقال عمرو بن العاص : « ليس أخو الحرب من يضع خور الحشايا عن يمينه وشماله » . الخور : اللينات . « تصير » هى فى الحيوان (٧ : ٢٠) والبيان (٢ : ٢٦٦) : « يصير » .

(٢) تعاظمها : أى ادعاؤها العظمة والفوق على الطيور . وجاءت الرواية كذلك فى الجزء السابع ، والبيان ، وأصل عيون الأخبار (٢ : ٨٦) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) . وروى : « تعاصينا » كما هى عند الدميرى . وروى فى اللسان (مادة نعم) : « تعاظمه » ، أى تعاظم البعير .

(٣) أرب الطائر بوكره : لزمه ولم يفارقه .

(٤) هو خالد بن عبد الله القسرى . وروى الجاحظ فى البيان (١ : ١١٢) بيتين ليحيى بن نوفل فى هجاء خالد بن عبد الله القسرى :

بل السراويل من خوف ومن وهل واستطعم الماء لما جدّ فى الهرب
وألحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق فى الخطب

(٥) المغيرة هذا هو المغيرة بن سعيد ، صاحب فرقة المغيرية ، وهو متنبىء خرج فى إمارة خالد بن عبد الله القسرى ، وكان يقول بالإلاهية على ، وتكفير أبى بكر ، وعمر وسائر الصحابة إلا من ثبت مع علىّ . وظفر به خالد بن عبد الله آخر الأمر ، فأحرقه وأحرق أصحابه فى سنة ١١٩ من الهجرة . والعير : الحمار الوحشى =

لأعلاجٍ ثمــانيةٍ وعِلْــجٍ كَبيرِ السِّنِّ ذى بصَرٍ ضَرِيرِ (١)
هتَفْتَ بكلِّ صَوْتِكَ أطْعِمُونِى شراباً ؛ ثم بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ (٢)

وإنما قيــل ذلك فى النَّعامةِ ؛ لأنَّ النَّاسَ يضربون بها المثلَ للرّجل إذا كان مِمَّنْ يعتلُّ فى [كُلِّ] شىءٍ يكلفونه بعِلة ، وإن اخْتَلَفَ ذلك التــكليف، وهو قولهم: « إنما أنتَ نعامةٌ ، إذا قيل لها احملى قالت: أنا طائر ، وإذا قيل لها طيرى قالتْ : أنا بعير » .

(قصة أذنى النعامة)

وتزعمُ الأعرابُ أنَّ النَّعامةَ ذهبَتْ تطلُبُ قرنَين ، فرجَعت مقطوعةَ الأذنين ؛ فلذلك يسمُّونه « الظليم (٣) » ، ويصفونه بذلك .

وقد ذكر أبو العِيالِ (٤) الهُذَلىّ ذلك ، فقال :

= جعله عند ملاقاته للمغيرة كالعير ، إذا سمع زئير الأسد دفعته شدة الجبن والذعر إلى أن يهاجم هو الأسد ، مما ضاع من صوابه وطار من رشده ، وهذا معروف من طباع العير . والبيت محرف فى الأصــل وفى البيان أيضاً . فهو فى الأصل : « عبد سوء تصول من المخافة للزمير »، وفى البيان : « تبول من المخافة للزئير » . وصوابهما ما أثبت .

(١) يشير إلى المغيرة وكبار أتباعه . وللمرزبانى حديث عن هذا البيت فى الموشح ٢٣٥ .

(٢) انظر لتوضيح هذا البيت ما سبق فى (٢ : ٢٦٧ س ١٠) والحواشى .

(٣) الظليم ، أى المظلوم ، كقتيل وجريح . وانظر ما سيأتى فى ٣٩٨ — ٣٩٩ . وجاء فى هذا قول بشار : كما فى محاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) :

وكنت كالهيق غدا يبتغى قرنا فلم يرجع بأذنين

وانظر مع هذا التذييل فى آخر الجزء .

(٤) أبو العيال ، شاعر من شعراء هذيل ، مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم فيمن أسلم من هذيل ، وعمر إلى خلافة معاوية . الأغانى (٢٠ : ١٦٧) . الجمحى : « كان رجلان من هذيل يسكنان مصر — أحدهما يقال له بدر بن عامر والآخر يقال له أبو العيال بن أبى غثير . فبينا ابن أخ لأبى العيال قائم عند قوم =

وإخال[1] أن أخاكم وعِتَابَهُ[2] إذ جاءكم بتعطُّفٍ وسكونِ[3]

يُمْسِي إذا يُمسِي ببطن جائع صِفْرٍ ووجهٍ ساهمٍ مَدْهُونِ[4]

فغدَا يُمُثُّ[5] ولا يُرَى فى بَطْنِهِ مثقالُ حَبَّةِ خَرْدل موزونِ[6]

أو كالنّعامةِ إذْ غدت من بيتها لِيُصاغَ قَرْنَاهَا بِغَيْرِ أذِينِ[7]

فاجتثت الأذْنَانِ منها فانْثَنَتْ صَلْماءَ ليستْ مِنْ ذَواتِ قُرُونِ[8]

= ينتضلون إذ أصابه سهم فقتله . فخاصم فى دمه أبو العيال ، وأنه اتهم به بدر ابن عامر ، أن يكون ضلعه مع القوم الذين يخاصمهم ، وخاف أن يعينهم عليه ».
وقد قال بدر بن عامر يبرئ نفسه مما قيل لأبى العيال وقرف به ، شعراً روى فى (أشعار الهذليين) المطبوع فى لندن ١٨٥٤ ، فأجابه أبو العيال مرة فرد عليه بدر أخرى ، وهكذا حتى تجاوبا عدة مرات . انظر أشعار الهذليين ص ١٣٦ .
وهذا الشعر الآتى هو المجاوبة الخامسة من أبى العيال الهذلى . وروى قصة الشعر أبو الفرج فى الأغانى (٢٠ : ١٦٧) معزوة إلى الأصمعى وأبى عمرو . وفيها زيادة : أن ذينك الرجلين الهذليين خرجا إلى مصر فى خلافة عمر بن الخطاب . وهذا الاسم هو فى الأصل : « أبو العباس » وصوابه ما ذكرت .

(١) س : « وأخاك »، صوابه فى ط ، ه وبقية أشعار الهذليين .

(٢) فى الأصل : « رعنانة » ، تصحيحه من بقية أشعار الهذليين .

(٣) قال ابن حبيب : يقول : جاءكم متعطفا ساكنا يريكم أن باطنه صالح ، وهو باطن سيئ .

(٤) ط : « يمشى إذا يمشى » صوابه فى س ، ه والمرجع المتقدم . والصفر بالكسر : الخالى الذى لاطعام فيه . ساهم : ضامر مهزول . وقد دهن وجهه ليرى الناس أنه مخصب وليخدعهم عن سهومه وتغيره .

(٥) يمث : يرى على سحنته وجلده مثل الدهن . فى الأصل : « يموت »، وهو تحريف صوابه فى بقية أشعار الهذليين . والرواية فيه : « فيرى يمث » .

(٦) مثقال : مقدار . وحب الخردل من أصغر الحبوب . يريد مثقال حبة خردل من طعام . وجعله موزونا مبالغة منه وإظهارا للمعنى .

(٧) بغير أذين : أى من غير أن يؤذن لها . فى الأصل : « لتصاغ »، ووجهه ما أثبت من بقية أشعار الهذليين .

(٨) اجتثت : قطعت من أصلها . والصلماء : المقطوعة الأذنين .

(تقليد الغراب للعصفور)

ويقولون : ذهَبَ الغُراب يَتَعَلَّمُ مِشْيَةَ العُصفور (١) ، فلم يتعلّمْها ، ونسِى مِشيتَه ، فلذلك صارَ يحجِلُ ولا يَقْفِزُ قَفَزَانَ العُصْفور (٢) .

(مشى طوائف من الحيوان)

والبُرغوث والجرادةُ ذاتُ قفْزٍ ، ولا تمشى مِشْيَةَ الدِّيكِ والصقرِ والبازى ، ولكن تمشى مِشية المقيَّد أو المُحَجَّل (٣) [خِلْقَةً (٤)] .

قال أبو عِمران الأعمى (٥) ، فى تحوُّل قضاعة إلى قحطانَ (٦)

---

(١) الشعر الذى رواه الدميرى يشير إلى أنهم زعموا أيضاً أنه رام تقليد القطاة . وهو :

إن الغراب وكان يمشى مشية ... فيما مضى من سالف الأجيال
حسد القطاة ورام يمشى مشيها ... فأصابه ضرب من العقال
فأضل مشيته وأخطأ مشيها ... فلذاك سموه أبا المرقال

(٢) هى صحيحة . يقال قفز يقفز قفزاً وقفزانا وقفازاً — بضم ففتحة خفيفة — وقفوزاً . والأسير والأعرف : نقز العصفور ينقز نقزاً ونقزانا .

(٣) المحجل : الذى قيدت قوائمه . وفى الأصل : « الحجل » محرف .

(٤) هذه الزيادة من س ، هـ . وهى فى أصلها : « خلقته » .

(٥) كذا فى ط ، هـ ، وفى س : « أبو عمروان الأعمى » ، تحريف . واسمه يحيى بن سعيد كما فى كتاب العققة والبررة لأبى عبيدة ، فى نوادر المخطوطات (٢ : ٣٥٢) :

(٦) قضاعة ، هو قضاعة بن معد بن عدنان . وقد تحولت إلى حمير فعدت فى اليمن . انظر المعارف ص ٢٩ . وقد وضح ابن الكلبى سبب هذا التحول بأن قضاعة ليس ولداً شرعياً لمعد بن عدنان ، بل والده هو مالك بن حمير من اليمن ، فلما توفى والد قضاعة تزوجت أمه — وكان اسمها عكبرة — بمعد بن عدنان ، فتبناه حينئذ وتكنى به ، فنسب إليه ، أى إلى معد ، فى أول الأمر . ثم عاد النسب إلى حقيقته فصار يعرف بقضاعة بن مالك بن حمير . انظر النص فى الروض الأنف (١ : ١٦) . وقد قال عمرو بن مرة يذكر هذا النسب :

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر ... قضاعة بن مالك بن حمير =

عَنْ نزار(١) :

كما اسْتَوحَشَ الحىُّ المقيمُ ففارقُوا الْ   خَليطَ فلا عزَّ الَّذين تَحَمَّلوا

كتاركِ يوماً مِشْيَةٍ مِنْ سَجِيَّةٍ   لأخرى ففاتَتْهُ فأصبَحَ يَحْجِلُ(٢)

(عظام النعـامة)

١٠٨ ومن أعاجيبها أنَّها مع عِظَمِ عظامها ، وشدّة عدْوها ، لا مخَّ فيها . وفى ذلك يقول الأعلم الهذلىُّ :

عَلى حتٍّ البُرايَةِ(٣) زَمْخَـرِىِّ الـ   سَّوَاعِدِ(٤) ظَلَّ فى شَرِيٍ طِـوالِ(٥)

يعنى ظليماً شبّه [بهِ(٦)] عدْوَ فرسِه . والحَتُّ(٧) : السريع . والشَّرى :

= النسب المعروف غير المنكر فى الحجر المنقوش تحت المنبر

وقال الكميت يعاتب قضاعة فى انتسابهم إلى اليمن :

علام نزلتم من غير فقر ولا ضراء منزلة الحميل

والحميل : السبى يحمل من بلد إلى بلد .

(١) أى عن إخوتهم نزار بن معد بن عدنان . وفى الأصل : « بن نزار » وليس شيئاً ؛ فان قحطان هو ابن عابر ؛ كما اتفقت على ذلك كتب الأنساب .

(٢) المشية ، بالكسر : الهيئة من المشى . وقد فصل بين المتضايفين بالظرف ، وهو جائز . وفى الأصل : « مشيه » والصواب ما أثبت ؛ لقوله : « أخرى » أى لمشية أخرى . وانظر العققة و البررة لأبى عبيدة ٣٥٥ .

(٣) حت ، بحاء مفتوحة بعدها تاء مثناة . وفى الأصل : « حث » بالمثلثة ، وهو وهم وتحريف ، صوابه من اللسان (حتت ، زمخر ، برى) وحماسة البحترى ٦٦ حيث يتوسط البيت خمسة أبيات مروية هناك . س : « البرية » تحريف .

(٤) الزمخرى : سيفسره الجاحظ . س : « ذمخرى » ، صوابه بالزاى كما أثبت .

(٥) تقرأ بالكسر ، جمعا لطويل . وبالضم ، مفرداً بمعنى الطويل . قال ابن جنى « يريد أنهن إذا كن طوالا سترنه فزاد استيحاشه . ولو كن قصاراً لسرح بصره ، وطابت نفسه ، فخفض عدوه » .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) ط ، هـ : « الحث » س : « الحب » ، صوابهما بالمثناة . انظر التنبيه الثالث.

الحنظل . و بُرايته : قوّته على ما يَبْرِيه من السَّير[١] . والسَّواعد : مجارى مخِّـه فى العظم وكذلك مجارى عروق الضَّرْع ، يقال لها السَّواعد .

قال : ونظنّ أنّمَا قيل لها ذلك لأنّ بعضَها يُسْعِدُ[٢] بعضاً ؛ كأنّه من التّعاون أو من المواساة[٣] .

قال : والزَّمْخَرِىّ : الأجوف . ويقال : إنَّ قصب عظْم الظَّليم لا مخَّ له . وقال أبو النجم :

* هاوٍ يظلُّ المخُّ فى هَوائِه[٤] *

وواحد السَّواعد : ساعد .

وقال صاحب المنطق : ليس المخُّ إلاَّ فى المجوّفة[٥] ، مثل عِظم الأسد .

وفى بعض عظامه مخٌّ يسير . وكذلكِ المخُّ قليلٌ فى عِظام الخنازير ، وليس فى بعضها منه شىءٌ البتَّة .

(بيض النعام وما قيل فيه من الشعر)

ومِنْ أعاجيبها أنّها مع عِظم بيضها تكثِّرُ عدَد البيضِ ، ثمَّ تضَع بيضَها طولاً حتّى لو مددْت عليها خيطا لما وجدت لها مِنْهُ[٦] خُروجاً عن الأخرى ، تُعطى كلَّ بيضَةٍ من ذلك قسْطَه . ثمَّ هى مع ذلك ربَّما تركت

(١) ذهب ابن سيده فى تفسير هذا البيت إلى أن « حت البراية » بمعنى منحت الريش لما ينفض عنه عفاءه من الربيع . والبراية : النحاتة . وأنا أستحسن ما ذهب إليه .

(٢) أسعده بمعنى أعانه. وفى ط ، ه : « يساعده » ، وأثبت ما فى س.

(٣) ط ، ه : « المساواة » ، والوجه ما أثبت من س .

(٤) فى القرطين (٢ : ٧٧) : * هاو تضل الطير فى خوائه *

(٥) أى العظام المجوفة .

(٦) أى من الخيط . وفى الأصل : « منها » .

بيضها وذهبَتْ تلتمسُ الطَّعام ، فتجدُ بيضَ أُخرَى فتحضُنه . وربّما حضَنت هذه بيضَ تلك ، وربّما ضاع البيضُ بينهما .

وأمّا عددُ بيضِها ورئالها فقد قال ذُو الرُّمّةِ :

أذاك أم خاضبٌ بالسِّيِّ مرتعُه   أبو ثلاثِينَ أمْسَى وهو مُنْقلِبُ[1]

وفى وضْعها له طُولاً وعرضا على خطٍّ وسَطْرٍ ، يقول[2] :

وَمَا بَيْضَاتُ ذِى لِبَدٍ هِجَفٍّ   سُقِينَ بِزَاجَلٍ حَتَّى رَوِينَا[3]

وُضِعْنَ فكلُّهُنَّ على غِرارٍ   هِجانُ اللَّون لم تقرع جَنِينا[4]

يَبِيتُ يَحفهُنّ بِمِرفَقَيْهِ   وَيَلْحَفهُنّ هَفهَافاً ثَخِينا[5]

---

(١) سبق الكلام على هذا البيت فى ص ٣١١ . س : «أخاك». ه : «بالشى» ط : «بالسيء» وكل ذلك محرف . س ، ه : «فهو منقلب» .

(٢) القائل هو عمرو بن أحمر الباهلى ، كما سيأتى فى ص ٣٤١ والكامل ٢٥ ليبسك وعيون الأخبار (٢ : ٨٧) واللسان (هجف) .

(٣) عنى باللبد هنا الريش . والهجف ، بكسر ففتح : الطويل الضخم ، أو المسن . ط ، ه : «نجف» س : «بنجف» ، صوابه من اللسان والمخصص (٨ : ٥٥) . والزاجل ، بفتح الجيم ، ويقال بالهمز أيضاً : مايسيل من مؤخر الظليم على البيض إذا حضنه . س : «بداجل» ، صوابه فى ط ، ه والمخصص واللسان (هجف ، زجل) .

(٤) غرار ، بالكسر : أى حد واحد وقالب واحد . وأصل الغرار المثال الذى يضرب عليه النصل فتخرج النصال متساوية متشابهة . والهجان : البيض اللون . ولفظه بكسر الهاء يقال للواحد والجمع . و «لم تقرع» هكذا جاءت فى الأصل ، ورواية المبرد : «قد وسقت» ، بمعنى حملت . ولعل سبب تحريف الأصل اشتباه هذا البيت ببيت عمرو بن كلثوم :

ذراعى حرة أدماء بكر   هجان اللون لم تقرأ جنينا

فحدث فيه لذلك الوهم ثم التحريف . ثم إن العلامة المرصفى وهم أيضاً فى شرح هذا البيت من الكامل (رغبة الآمل ١ : ١٤٧) فجعله فى صفة نوق ، وإنما هو فى صفة بيض النعام .

(٥) لحفه ، من باب منع : غطاه باللحاف . هفهافا ، يعنى به الجناح . وثخينا : أى =

وقال الآخر[١] :

تهوِى بها مُكْرَبَاتٌ فى مَرافقِها ... فُتْلٌ صِلابٌ مَياسِيرٌ مَعَاجِيلُ[٢]

يَدَا مَهاةٍ ، ورِجْلا خَاضب سَنِق ... كأنَّهُ مِنْ جَنَاهُ الشَّرْىَ مخلولُ[٣]

هَيْقٍ هِجَفٍّ وَزِفَّانِيَّةٍ مَرَطَى ... زَعْراءَ ، رِيشُ جَناحَيها هَرَاميلُ[٤]

= تراكب ريشه بعضه فوق بعض . والبيت فى الأصل :

تبيت تحفهن بمرفقيها ... وتلحفهن هفهافا ثخينا

والوجه ما أثبت ، إذ أن الضمائر راجعة إلى الظليم . ورواية اللسان فى مادة (هفف) : « يبيت يحفهن بقفقفيه » . وفى مادة (قفف) : « فظل يحفهن بقفقفيه » . وقفقفا الظليم : جناحاه .

(١) هو الشماخ ، من قصيدة له فى ديوانه ٧٧ — ٨٢ مطلعها :

بانت سعاد فدمع العين مملول ... وكان من قصر من عهدها طول

(٢) تهوى بها : أى تسرع . والضمير عائد إلى الناقة فى بيت سابق . والمكربات : المشدودات ، يعنى أن أذرعها مشدودة بمرافقها . وفتل : جمع أفتل وفتلاء ، بمعنى مندمجة شديدة . ط ، ه : « ملزمات » ، س : « مكرمات » ، وهما تحريف ما أثبت .

(٣) المهاة : البقرة الوحشية . والخاضب : الظليم احمرت ساقه . والسنق : الذى أصابه السنق والبشم من الشبع . من جناه الشرى : أى من تناوله الحنظل ، وهو أطيب طعام عند النعام . يقال جنى الثمر يجنيه جنى ، بالتحريك . والمخلول ، هو الفصيل يجعل فى لسانه عود يمنعه من الرضاع . جعل الظليم ، فى امتناعه عن الطعام ، مما شبع ، كالفصيل المخلول الذى لا يستطيع الرضاع . والبيت محرف فى الأصل تحريفاً كبيراً ، فى الأصل : « أشق » موضع « سنق » ، والأولى لا وجود لها فى اللغة وتصحيحه من الديوان . س : « من حناه » ه : « من حناة » صوابه فى ط والديوان . س : « محلول » صوابه فى ط ، ه والديوان .

(٤) الهيق : الطويل . والهجف : الطويل الضخم . وفى الديوان واللسان (هرمل) والمخصص (٨ : ٥١) : « هزف » . والهزف : السريع . والزفانية ، بالكسر كما فى القاموس (زفف) — السريعة . ط ، ه : « زفافية » س : « زنافية » محرفتان . وضبطت فى المخصص ضبط قلم وكذا فى الديوان بالفتح . والمرطى ، بفتحات : السريعة . وفى الأصل والديوان : « مرطا » صوابه فى المخصص واللسان (هرمل) . والزعراء : القليلة الريش . والريش الهراميل : المتفرقات . وفى الأصل : « هذا ميل » ، صوابه فى الديوان والمخصص واللسان .

كأنما مُنثنى أقماعِ ما هَصَرَتْ مِنَ العِفَاءِ بِلِيتَيْهَا ثآليلُ (١)

تَرَوَّحا مِنْ سنام العِرقِ فالتَبَطَا إلى القِنَانِ التى فيها المداخِيلُ (٢)

١٠٩ إذا استهَلاَّ بشُؤبوب فقد فُعِلَتْ بما أصابَا مِنَ الأَرْضِ الأفاعيلُ (٣)

فصادَفَا البيْض قد أبدَتْ منَاكِبَها منها الرِّئالُ ، لها منها سَرَابيلُ (٤)

فَنكَّبَا ينقُفَانِ البَيْضَ عن بَشَرٍ كأنها ورقُ البَسْباسِ مَغْسُولُ (٥)

---

(١) يقول : كأن رءوس مغارز الريش الذى هصرته تلك النعامة ونزعته ، بثور ظاهرة . والليت ، بالكسر : صفحة العنق . فى الأصل : « من الفقار » وتصحيحه من الديوان . والعفاء ، بالكسر : الريش . س : «بليديها» ﻫ : « بليبها » بهذا الإهمال . وصوابهما فى ط والديوان .

(٢) تروحا : أى سارا فى الرواح . وسنام العرق : أعلاه . والعرق ، بالكسر : الأرض المرتفعة ، أو الحبل الرقيق المستطيل من الرمل . س : « العرف » بالفاء ، وهو بالضم : الأرض المرتفعة . وأثبت مافى ط ، ﻫ والديوان . والتبطا : توجها . والقنان : جمع قنة بالضم ، وهى الجبل السهل المستوى المنبسط على الأرض . وفى الأصل : « الفقار » وأثبت مافى الديوان . والمداخيل : المداخل ، وعنى بها المداخل التى تحت الجرف ، التى تسمى الدحال . وفى الديوان : « المداحيل » بالحاء المهملة .

(٣) أى إذا اشتدا فى الجرى بدفعة منه فإنهما يخددان الأرض بمناسمهما . وأصل الاستهلال شدة انصباب المطر . والشؤبوب : الدفعة منه . فى الأصل : « إذا استهل . . . . بما أصاب . . . . » وصوابه ما أثبت موافقا لما فى الديوان .

(٤) أى وجدا البيض وقد أخرجت منه الفراخ الصغار مناكبها ، وقد علاهن بعض قشر البيض ومائه ، فكان ذلك لهن كالسرابيل . فى الأصل : « فصادف » وصوابه ما أثبت من الديوان . وفى الديوان أيضا : « منه الرئال لها منه » وهما وجهان جائزان ؛ إذ أن كل جمع يكون بينه وبين واحده الهاء نحو بقر وبقرة ، فإنه يذكر ويؤنث . المصباح ص ٩٦٨ وهذا قول الزجاج . ولابن سيده تفصيل طيب فى هذا المعنى . المخصص (١٦ : ١٠٠) .

(٥) يقول : مالا إلى ذلك البيض ينزعان قشره عن بشر تلك الفراخ ، وكأن بشرها ورق ذاك النبت حين يغسل . مكان « عن بشر » فى ط : « أعينها » وفى س : « عن » فقط ، وفى ﻫ : « عنها » وتصحيحه وإكماله من الديوان . والبشر : جمع بشرة ، يذكر ويؤنث ، كما فى التنبيه السابق . والبسباس : نبت له أوراق متراكبة شقر . تذكرة داود . وفى الديوان : « كأنه ورق البسباس » .

(تشبيه القدر الضخمة بالنعامة)

والشُّعراء يشبِّهون القِدْرَ الضَّخْمَةَ التى تكون بمنزلِ العَظيم وأشباهِهِ من الأجواد ، بالنَّعامة . قال الرَّمّاحُ ، ابنُ مَيّادة[١] :

وقلت لها لاتعجلى كذلك تقرى الشوك مالم تُردد[٢]

إلى جامعٍ[٣] مثل النَّعامة يلتقى عوازبه[٤] فوق . . . . .

جامع : يعنى القدر . وجعلها مثلَ النَّعامة .

وقال ابن ميادة يمدح الوليدَ بن يزيد :

نتاج العشَار المنْقِيات إذا شتَتْ[٥] روابدُها مثلُ النَّعامِ العَواطِفِ[٦]

---

(١) هو الرماح بن أبرد . وهو المعروف بابن ميادة . وميادة : أمه . وهو مخضرم من شعراء الدولتين . س ، ه : « الرياحى ابن ميادة » ، صوابه فى ط .

(٢) س : « يقرى » . ط : « مالم تزدد » . وفى هذا البيت والذى بعده نقص وتحريف .

(٣) ط : « جامل » ، وأثبت صوابه من س ، ه . وفى القاموس : « وقدر جامع وجامعة وجماع ككتاب : عظيمة » . وفى اللسان : « وقدر جماع وجامعة : عظيمة . وقيل هى التى تجمع الجزور » .

(٤) س : « غواديه » ، ه : « عواربه » .

(٥) س ، ه : « انتاج » صوابه فى ط . والمنقيات : ذوات الشحم . والنقى ، بالكسر : الشحم . وشتت : دخلت فى الشتاء . ط : « إذا المنقيات شتت » ، ه : « العشار إذا شنت » س : « العشار إذا تثنت » ، وقد وجهته بما ترى .

(٦) الروابد : من ربد ربودا : أقام . وقد عنى بهن القدور المقيمة على النار . والعواطف : الحانيات على أولادها .

وقال[١] الفرزدق[٢] :

وقدرٍ كحيزُومِ النّعامة أُحْمِشَتْ[٣] بأجْذالِ خُشْبٍ زالَ عنْهَا هشيمها[٤]

(الذئب والنعام)

وضحك أبو كَلْدَةَ[٥] حين أُنشِد شعرَ ابن النَّطَّاح[٦] ، وهو قوله :

* والذِّئب يلعب بالنّعام الشّارد *

قال : وكيف يلعب بالنّعام والذِّئبُ لايَعْرِضُ لبيض النَّعام وفراخِه حين لايكونان حاضرَين ، أو يكونُ أحدهما ؛ لأنهمَا متى ناهضاه ركَضهُ الذَّكرُ فرماه إلى الأنثى ، وأعجلَتْهُ الأنثى فرَكَضَتْهُ ركضةً تلقيهِ إلى الذَّكر فلا يزالان كذلك حتى يقتُلاه أو يُعْجِزَهُماَ هَرَباً . وإذا حاوَلَ ذلك منه أَحَدُهُمَا لم يقْوَ عليه . قال : فكيف يقول :

---

(١) قبل هذا في ه : « فضحك أبو عبيدة » ، وهي زيادة لاموضع لها .

(٢) البيت في محاضرات الراغب منسوب إلى مضرس . وهو كذلك ليس في ديوان الفرزدق مع وجود أخواته في ص ٨٠٣ .

(٣) حيزوم النعامة : ما استدار ببطنها وظهرها . ويقال أحمش القدر وأحمش بها : أشبع وقودها . ط ، ه : « أحشمت » ، صوابه في س والبخلاء ١٩٠ وأمالي المرتضى (٤ : ٢٩) والحماسة (٢ : ٣٢٨) ، وأول البيت فيهما : « غضوبا » . جعل غليانها بمنزلة الغضب .

(٤) الأجذال : جمع جذل ، بالكسر ، وهو أصل الشجرة . وفي الأصل : « أجفال » تحريف ما أثبت من البخلاء ومحاضرات الراغب . ورواية أبي تمام والمرتضى : « بأجواز » أي أوساط . وهي أصلب الخشب وأبقاه ناراً . والهشيم : المتهشم . ط : « هيشما » ، صوابه في س ، ه وسائر المراجع . ط ، ه : « منها » وأثبت مافي سائر المراجع .

(٥) هذه العبارة ساقطة من ه . وأبو كلدة سبق ذكره في (١ : ٢٣٤) .

(٦) هو بكر بن النطاح ، سبقت ترجمته في (٣ : ١٩٦) .

* والذِّئب يلعبُ بالنَّعام الشَّارد *

وهذه حالُه مع النَّعام ؟ !

وزعم أنَّ نعامتين اعتَوَرَتا ذِئباً فهزَمتاه(١) ، وصعِد شجرةً ، فجالدهما ، فنقره أحدُهما ، فتناوَلَ الذِّئبُ رأسَه فقَطَعه ، ثمَّ نزل إلى الآخَر فساوَرَه فهزَمَه .

(جُبن الظَّليم و نِفاره)

والظَّليم يُوصف بالجُبْن ، ويوصف بالنِّفار والتَّوحُّش .

وقال سَهم بن حنظلة(٢) ، فى هجائه بنى عامر :

إذا ما رَأيتَ بنى عامرٍ رأيتَ جَفاءً ونُوكًا كثيرا(٣)

نعامٌ تَجُرُّ بأعْناقِها ويمنَعها نُوكها أن تَطيرا(٤)

(ضرر النعامة)

والنَّعامة تتخذها النَّاسُ فى الدُّور(٥) ، وضررُها شديدٌ ؛ لأنَّها ربَّما رأتْ فى أذن الجارية أو الصبيَّة قُرطاً فيه حجرٌ ، أو حبَّةَ لؤلؤٍ ، فَتَخْطَفُهُ

(١) اعتورتاه : تداولتاه . ه : « فهربتاه » .

(٢) فى الإصابة ٣٧٠٣ : « سهم بن حنظلة بن خاقان ـــ صوابه حلوان ـــ بن خويلد ابن حرمان ـــ كذا ـــ الغنوى . قال المرزبانى : شاعر شامى مخضرم » . وذكره صاحب المؤتلف والمختلف ١٣٦ .

(٣) النوك ، بالضم والفتح : الحمق . وفى عيون الأخبار : « ونوكا كبيراً » .

(٤) الرواية فى عيون الأخبار (٢ : ٨٧) : « تمد بأعناقها » . وهذه أجود .

(٥) الدور : جمع دار . س : « تتخذ فى الدور » .

١١٠ لتأكله . فكم أذنٍ قد خرَقتها ! وربّما رأتْ ذلك في لَبَّة [١] الصبيّ أو الصبيَّةِ ، فتضربه بمنقارها ، فربّما خرقت ذلك المكان .

(شعر في تشبيه الفرس بالظليم)

وممَّا يشبَّه به الفَرَسُ ممَّا في الظليم ، قولُ امرئِ القيس بن حُجْر :

وخدٌّ أسيلٌ كالِمسَنِّ وبِرْكةٌ كَجؤجؤِ هَيْقٍ دفُّه قد تموَّرا [٢]

وقال عُقْبَةُ بن سَابق [٣] :

وله بِركة كَجُؤجُؤُ هَيْقٍ ولَبانٌ مضرَّجٌ بالخضَابِ [٤]

وقال أبو دُوَاد [٥] الإياديٌّ :

---

(١) اللبة ، بالفتح وتشديد الباء : موضع القلادة من الصدر .

(٢) البركة ، بالكسر : الصدر . والجؤجؤ : الصدر أيضاً . والهيق : الذكر من النعام . والدف ، بالفتح : صفحة الجنب . وتمورّ : سقط منه النسيل أى الريش . وإنما يكون ذلك في أيام الربيع وجودة المرعى . ويحدث مثله أيضاً للحمار حيث يسقط عنه الشعر . انظر اللسان (مور) . والنعام في ذلك الوقت ينمو نمواً كبيراً . وقد سبق هذا البيت في (١ : ٢٧٢) وانظر ديوان امرئ القيس ٢٦٧ دار المعارف .

(٣) هو عقبه بن سابق الهزانى ، شاعر من شعراء الأصمعيات (٦ - ٧) . وفي الأصل : « عبدة بن شأس » ، وصوابه ما أثبت كما جاء باتفاق النسخ في الجزء الأول ص ٢٧٣ .

(٤) انظر لتفسير صدر هذا البيت ما سبق في تفسير البيت السابق . والرواية في الجزء الأول : « ولها » . واللبان ، بالفتح : وسط الصدر . مضرج بالخضاب : ملطخ بالدم . وكان العرب إذا ساقوا الخيل على الصيد ، فالسابق منها إليه يخضبون نحره بدم ما يمسكونه من الصيد ؛ علامة على أنه سباق غايات . بلوغ الأرب (٣ : ١٨) . وقد يكون المراد أن راكب هذا الجواد أو الفرس يعرض نفسه للمخاطر ، فيصيب فرسه نصيب من ذلك .

(٥) في الأصل : « أبو داود » وهو تحريف يتكرر كثيرا . والصواب ما أثبت . وترجمة أبي دواد تقدمت في (٣ : ٤٢٥) ، وهو أحد نعات الخيل المجيدين .

يَمْشِى كمشى نعامَتَيْــــنِ يُتابِعانِ أشقَّ شاخِصْ[1]

وقال آخر[2] :

كأَنَّ حَماتَه كُرْدُوسُ فَحْلٍ مقلَّصة على سَاقٍ ظَلِيمِ[3]

وقال أبو دُوادٍ الإيادىُّ :

كالسِّيدِ ما استقبلته وإذا وَلَّى تَقُولُ مُلَمْلَمٌ ضَرْبُ[4]

لَأْمٌ إذا استقبلته ومَشَى متتابعاً ما خانَهُ عَقْبُ[5]

يَمْشِى كَمْشِى نَعامَةٍ تَبِعَتْ أُخْرَى إذا مَا رَاعَهَا خَطْبُ

القولُ فيما اشتُقَّ له من البَيْض اسم

قال العدَبَّس[6] الكِنانىّ : باضت البُهْمَى[7] : أى سقطت نِصالُها[8]

---

(١) أشق : يعنى ظليما واسع ما بين الرجلين . والشاخص : المرتفع . وقد سبق البيت فى (١ : ٢٧٤) .

(٢) فى (١ : ٢٧٤) أنه خالد بن عبد الرحمن .

(٣) الحماة : عضلة الساق . والكردوس ، بالضم : واحد الكراديس ، وهى رءوس العظام . وفى الأصل : « نحل » ، صوابه ما أثبت من الجزء الأول ، ط ، هـ : « على شتى » س : « على سق » ، صوابه ما أثبت من الأول .

(٤) السيد ، بالكسر : الذئب . والململم : المجتمع المدور . والضرب : الخفيف اللحم .

(٥) اللأم : الشديد .

(٦) العدبس الكنانى : أعرابى فصيح ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ٤٧ ليدن ، ٧٠ مصر . وفى القاموس (مادة عدبس) ، أن العدبس رجل كنانى . وفى اللسان (مادة عدبس أيضاً) « ومنه سمى العدبس الأعرابى الكنانى » . وفى الأصل : « العديس » بالياء ، صوابه ما أثبته من المراجع المتقدمة .

(٨) البهمى ، كحبلى : نبت هيئته كالشعير ، ولكنه قصير . ويعرف أيضاً بالشوفان فى سوريا . وهو بالانجليزية : Wild - oat . عن معجم النبات ، وتذكرة داود ، والقاموس .

(٨) النصال : جمع نصل ، وهو سنبلة البهمى .

وباض الصَّيف ، وباض القَيظ : اشتدَّ الحر وخرج كلُّ مافيه ــ من ذلك .

وقال الأسَدِىّ :

فجِئنا وقد باضَ الـكَرَى فى عيونِنا[١] فَتًى مِنْ عُيُوب المقْرَفينَ مُسَلَّمَا[٢]

وقال أميَّةُ بنُ أبى الصَّلْتِ :

ركِبَتْ بيضةُ البَيَاتِ عليهم لم يُحِسُّوا منها سِواها نذيرا[٣]

وقال الرَّاعى ، يهجو ابنَ الرِّقاع[٤] :

لو كنْتَ مِنْ أَحَدٍ يُهجَى هجَوْتُـكُمْ

يا ابن الرِّقاع ، ولـكنْ لسْتَ مِنْ أَحَدِ

تأبَى قُضاعةُ لمْ تقبَلْ لـكمْ نسباً وابنَا نِزارٍ فأنتم بَيضــةُ البَلَدِ

وفى المديح قولُ علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه : « أنا بَيْضَةُ البَلد »

ومنه بيضة الإسلام . وبيضة القبّة : أعلاها ، وكذلك الصَّوْمَعَةُ[٥] .

والبيْض : قلانس الحديد .

(١) الـكرى : النوم والنعاس . فى الأصل : « من عيوننا » . محرف .

(٢) فى الأصل : « عيون المقرفين » والصواب ما أثبت . والمقرفين ، إن كسرت الراء كانت من أقرف الرجل : إذا كان هجينا ، بأن تـكون أمه عربية وأبوه غير عربى . وإن فتحت الراء كانت من أقرف الرجل غيره : وقع فيه وذكره بسوء .

(٣) البيات ، بالفتح : من بيت العدو القوم : قصدهم فى الليل من غير أن يعلموا ، فيأخذهم بغتة . ط والديوان ٣٤ : « سراها » صوابه فى س ، ه .

(٤) هو عدى بن الرقاع . وكلمتا : « ابن الرقاع » ساقطة من س . وانظر الـكلام على البيتين فى الحيوان (٢ : ٣٣٦) واللسان (بيض) وثمار القلوب ٣٩٢ والعمدة (٢ : ١٥٣) .

(٥) الصومعة ، كجوهرة : بيت للنصارى ، سمى بذلك لدقة فى رأسه .

وقال أبو حيَّة النُّميرِىّ(١) :

وصدَّ الغانياتُ البِيضُ عَنِّى   وما إنْ كان ذلك عن تَقَالى(٢)   ١١١

رأيْنَ الشَّيْبَ بَاضَ على لِدَاتى(٣)   وأفْسَدَ ما عَلَىَّ من الجَمَالِ(٣) !

وبَيضُ الجُرْح والُخرَاجِ والحِبْنِ(٤) : الوعاء الذى يجمع فيه الصَّديد ، إذا خَرَجَ برئَ وصلُح .

وقد يُسمُّون ما فى بطونِ إناث السَّمك بَيْضاً ، وما فى بطونِ الجَرادِ بيضاً ، وإن كانوا لا يَرَوْنَ قِشْرًا يشتمِلُ عليه ، ولا قَيْضاً يكونُ لما فيه حِضْنًا(٥) .

والخِرشاءُ : قشرة البيض إذا خرَجَ مافيه . وسَلْخ الحيَّةِ يقال له الخر شاء .

(١) اسمه الهيثم بن الربيع ، ونسبته إلى نمير بن عامر بن صعصعة ، وهو شاعر من مخضرمى الدولتين ، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعاً ، وكان مقصداً راجزاً من ساكنى البصرة ، وكانت به لوثة ، وكان من أجبن الخلق ، وله سيف يسميه : لعاب المنية ، ليس بينه وبين الخشبة فرق . توفى نحو سنة ١٦٠ . الشعراء ٧٤٩ والأغانى ١٥ : ٦١ . وفى الأصل : « النمرى » محرف .

(٢) التقالى : المباغضة . ه : « ثقالى » مصحفة .

(٣) لداتى : جمع لدة ، بالكسر . واللدة : من يولد معك .

(٤) الحبن ، بالكسر : الدمل . ط : « الجبن » تصحيف سبق مثله فى ٢ : ٣٣٦ ، وصوابه فى س ، ه .

(٥) القيض ، بالفتح : القشرة العليا اليابسة على البيضة . والحضن ، بالكسر : بمعنى مايحيط بالشىء . وأصله من حضن الجبل ، وهو مايطيف به .

(شعر فى التشبيه بالبيض)

وقال الأعشى فى تشبيه اللّفّاء[1] الحسناء بالبيضة :

أو بيضةٍ فى الدِّعصِ مكنونةٍ ... أو دُرَّةٍ سِيقَتْ إلى تاجرِ[2]

وقال فى بيض الحديد :

كأنَّ نَعامَ الدَّوِّ بَاضَ عليهمُ ... إذا شامَ يوماً للصَّريخ المندَّدِ[3]

وقال الأعشى :

أَتتْنَا مِنَ البطْحاءِ يَبْرُقُ بَيضُهَا ... وقد رُفِعَتْ نِيرانُها فاستقلَّتِ[4]

---

(١) فى الأصل: « الذلفاء » ، وهى القصيرة الأنف الصغيرته. ولا وجه لها هنا . وما أثبت هو أقرب تصحيح للكلمة . واللفاء : الضخمة الفخذين فى اكتناز واجتماع .

(٢) مكنونة فى الدعص : مخبأة فى الرمل المستدير . ورواية الديوان ١٠٤ : « أو درة شيفت لدى تاجر » . وشيفت : جليت . وضبط « بيضة » و « درة » بالكسر ؛ لأن قبل البيت :

كدمية صور محرابها ... بمذهب فى مرمر مائر

(٣) الدو : الفلاة . ورواية الديوان ١٣٢ : « إذا ريع شتى للصريخ المندد » .
والبيت فى صفة كتيبة . جعل البيض الذى يحمى رءوس الرجال شبيها ببيض النعام ؛ لكثرته . فإن كل نعامة تبيض نحو الثلاثين . ولذا يقال لها : أم ثلاثين . وللظليم : أبو ثلاثين . وقبل البيت :

بملمومة لا ينفض الطرف عرضها ... وخيل وأرماح وجند مؤيد

فضمير « شام » عائد إلى الجند . وشام : نظر ، أو سل سيفه. والصريخ : صوت المستصرخ المستغيث . والمندد ، بضم الميم وفتح الدال المشددة ؛ الصوت المبالغ فى رفعه وتشديده . ومنه قول طرفة : « لهجس خفى أو لصوت مندد » ، وفى الأصل : « الممدد »، وصواب الرواية ما أثبت من الديوان .

(٤) فى الأصل : « أتينا » صوابه من أمالى ابن الشجرى (٢ : ١٦٥ حيدر أباد) . ورواية الديوان : « أتتهم » . س ، هـ وحماسة ابن الشجرى ٤١ : « تبرق » ط ، س : « بيضنا » صوابها فى هـ وأمالى وحماسة ابن الشجرى وديوان =

وقال زيد الخيل :

كأنَّ نَعَامَ الدَّوِّ باضَ عليهمُ ... فَأَحْدَاقُهُمْ تَحْتَ الحَدِيدِ خوازرُ[1]

(استطراد لغوي)

قال : ويقال تقيَّضَت البيضةُ ، والإناءُ ، والقارورة ، تقيُّضاً[2] : إذا انكسرت فِلَقاً. فإذا هى لم تتَفَلَّقْ[3] [فِلَقاً] وهى[4] متلازقةٌ ، فهى منْقَاضَةٌ انقِياضاً . وقَيض البيضة : قشرتها اليابسة . وغِرْقئها : القشرة الرَّقيقة التى بين اللَّحم وبين الصَّميم . قال : والصَّميم : الجلدة .

= الأعشى ١٧٩ . ورواية العجز فى الديوان : « وقد رفعت راياتها فاستقلت » . ورواية ابن الشجرى : « وقد بذخت فرسانها وأدلت » . والبيت من قصيدة للأعشى يذكر فيها وقعة ذى قار ، التى كانت بين العرب والفرس . وهو فى صفة جيش الفرس وعظمته . وبعده (فى رواية ابن الشجرى) :

فثاروا وثرنا والمنية بيننا ... وهاجت علينا هبوة فتجلت
تحاسيهم كأساً من الموت مرة ... وقد رفعت راياتهم فاستقلت

ومثله للأعشى فى تعظيم شأن جيش الأعاجم حينئذ . (الأغانى ٢٠ : ١٤٠) :

لما أتونا كأن الليل يقدمهم ... مطبق الأرض تغشاها لهم سدف
بطارق وبنو ملك مرازبة ... من الأعاجم فى آذانها النطف
من كل مرجانة فى البحر أحرزها ... تيارها ووقاها طينها الصدف
وظعننا خلفنا تجرى مدامعها ... أكبادها وجلا مما ترى تجف

وانظر بقية الشعر فيها . ولوقعة ذى قار العقد (٣ : ٣٧٤) والعمدة (٢ : ١٦٩) والميدانى (٢ : ٣٥٢) ومعجم البلدان .

(١) جمع خازر : وهو من ينظر بلحاظ عينيه ، ويكون ذلك عند مايراد تحديد النظر . ورواية الشعراء ٢٢٠ : « وأعينهم تحت الحديد » . ورواية قدامة فى نقد الشعر ٣٩ والأغانى ١٠ : ٤٤ : « وأعينهم تحت الحبيك» . ونسب فى الأغانى لمعقر بن أوس .

(٢) ط ، هـ : « نقيضاً »، صوابه فى س .

(٣) ط ، هـ : « تنفلق » .

(٤) ط ، هـ . « فهى »، صوابه فى س .

قال : ويقال غرقَأَت البيضةُ : إذا خرجَتْ وليس لها قشر ظاهرٌ غير الغِرقِئة[1] .

قال الرَّدَّاد : غرقأَت الدَّجاجةُ بيضها ، فالبيضة مُغَرْقأة[2] . والخِرشاء : القشرة الغليظة[3] من البيضة ، بعد أن تُثقَب فيخرجَ ما فيها من البلل ؛ وجماعُها الخَرَاشيّ ، غير مهموز .

قال : وقال ردَّاد : خِرْشاءُ الحيّة : سَلْخها حين تنسَلخ[4] .

قال : وتغدّى أعرابيٌّ عندَ بعضِ الملوك ، فدبَّت على حلْقِه قملةٌ ، فتناولها فقصَعَها بإبهامه وسَبَّابتِهِ ، ثمَّ قتلها ، فقالوا له : ويلك! ما صنعت؟! فقال : بأبى أنتمْ وأمى ، ما بقى إلا خِرشاؤها !

وقال المرقِّش :

إن يَغْضَبُوا يَغْضَبْ لذاكم كما يَنْسَلُّ من خِرْشائه الأرقمْ[5]

وقال دُريد بن الصِّمَّةِ فى بَيض الحديد[6] :

قال : ويقال فى الحافر نزا[7] ينزو . وأمَّا الظليم [فيقال[8]] قعا يقعُو ، ١١٢

---

(١) كذا جاءت . والمعروف فى المعاجم : « الغرقىء » بالتذكير .

(٢) ط ، هـ : « غرقات » صوابه فى س .

(٣) ط : « والخرشاء مغرقات الجلدة الغليظة » ، هـ : « والخرشا الجلدة الغليظة » ، صوابهما فى س .

(٤) ط ، هـ : « يسلخ جلدها » . وما أثبت من س أشبه .

(٥) الأرقم من الحيات : الذى فيه سواد وبياض . فى الأصل : « خرشائها » ، صوابه من المفضليات ٢٤٠ والمقصور والممدود ٣٨ . وقد سبق البيت فى ص ٣٤٠ . ط ، هـ : « تنسل » تصحيحه من س والمقصور .

(٦) بعد هذا بياض فى الأصل . ولم اهتد بعد إلى شعر لدريد فى بيض الحديد .

(٧) فى الأصل : « نزى » بالياء .

(٨) ليست بالأصل .

مثل البعير . يقال قاع يقوعُ قَوْعا[1] وقِيَاعاً ، وقَعَا يقعُو قَعْوًا. فهذا مايسوُّون فيه بينه وبين البعير . ويقال : خفّ البعير ؛ والجمع أخفاف . ومنسِمُ البعير ، والجمع مناسم ؛ وكذلك يقال للنَّعامةِ .

وقال الرّاعى :

ورِجْلٍ كرجْلِ الأخْدَرىِّ يُشِيلُها وَظِيفٌ على خُفٍّ النّعامةِ أرْوحُ[2]

وقال جران العود :

لَهَا مثل أظفَارِ العقَاب ومَنْسِمٌ أزجُّ كظُنْبوب النّعَامةِ أروحُ[3]

قال : والزَّاجَل[4] : ماء الظليم ؛ وهو كالكِرَاضِ من ماءِ الفحْل .

وأُنْشد لابْنِ أحمر[5] :

وما بيضات ذى لبَدٍ هِجَفٍّ سُقِينَ بزَاجَل حَتَّى رَوِينَا[6]

وقال الطِّرِمَّاح :

سَوْفَ تُدْنيك مِنْ لَمِيسَ سَبَنْدَا ةٌ أمَارَتْ بالبَوْلِ مَاءَ الكِرَاضِ[7]

---

(١) كذا على الصواب فى هـ . وفى ط : « قعيا » و س : « قيعا » .

(٢) الأخدرى : الحمار الوحشى . يشيلها : يرفعها ويحملها . والوظيف : مستدق الذراع والساق . ووظيف أروح : اتسع مابينه وبين الوظيف الآخر .

(٣) السكرى : « يقول : أظفارها كمخالب العقاب . والمنسم : طرف خف النعامة . والأزج : المقوس . والظنبوب : أنف عظم الساق » . فى الأصل : « أظفار الكناء » تصحيحه من ديوان جران العود ص ٦ . والبيت وجملة : « وقال جران العود » ساقطان من س .

(٤) يقال بالهمز وبغير الهمز .

(٥) ط ، هـ : « ابن أحمر » ، صوابه فى س . وانظر ماسبق فى ص ٣٢٨ .

(٦) سبق شرحه فى ص ٣٢٨ .

(٧) السبنداة : الناقة الجريئة لاتقر للفحل . ورواية الديوان ٨١ : « سبنتاة » وهما لغتان يقال بالتاء وبالدال . أمارت : أسالت . وماء الكراض : مافى جوفها =

وربّما استعاروا المناسم . قال الشاعر :

توعدنى بالسِّجن والآدات[1] إذا عَدَت تأظبت أدات[2]

* تربطُ بالحبل أُكَيْرِعَاتِ *

قال : ويقال لولد النَّعام : الرَّأل ، والجمع رِئال ورئلان ؛ وحَفَّانٌ . وحَفّانة للواحدةِ ، والجمع حَفّان ؛ وحِسْكل . ويقالُ : هذا خَيطُ نعامٍ وخِيطان[3] . وقال الأسودُ بن يُعْفُرَ[4] .

وكأنّ مرجعهم مَنَاقفُ حَنْظَلٍ لِعبَ الرِّئالُ بهاوخَيطُ نَعامِ[5]

ويقال : قَطيعٌ من نَعام ، ورَعْلةٌ من نعام .

= من ماء الفحل . س ، هـ : « سوف يدنيك » ، وأثبت ما فى ط والديوان .

ط ، س : « أمارات » صوابه فى هـ والديوان . والبيت من قصيدة الطرماح ، مطلعها :

قل فى شط نهروان اغتماضى ودعانى هوى العيون المراض

(١) كذا بالأصل .

(٢) كذا . وفى ط : « غدت » .

(٣) الخيط ، بالفتح ويكسر : الجماعة من النعام .

(٤) الأسود بن يعفر ، شاعر مقدم فصيح من شعراء الجاهلية ليس بالمكثر . وكان ينادم النعمان بن المنذر . ولما أسن كف بصره ، فكان يقاد . واسمه فى أعاشى العرب : أعشى بنى نهشل . الأغانى (١١ : ١٢٨) والخزانة (١ : ٣٦٦ سلفية) والمؤتلف والمختلف ١٦ . و (يعفر) بفتح الياء وضم الفاء . وقال يونس سمعت رؤبة يقول : أسود بن يعفر بضم الياء - أى وبضم الفاء أيضاً - انظر الصحاح (عفر) والخزانة والأغانى وابن سلام ١٢٢ . وهو على الوجه الأول ممنوع من الصرف ، وعلى الآخر مصروف لزوال شبه الفعل عنه . ط : « يعقر » صوابه فى س ، هـ .

(٥) « مرجعهم » لعلها « مربعهم » . ومناقف الحنظل : حيث ينقف أى يشق ليستخرج حبه المسمى بالهبيد . يقول : قد صار موضع دارهم من وحشته مأوى للنعام .

وقال الأصمعيُّ : الرَّعلة : القِطعة من النَّعَام . والسِّرب من الظِّباء والقَطَا . والإجْل[1] من الظِّلف .

وقال طُفَيلٌ الغَنَوِىُّ فى بيضة الحَىِّ[2] وما أشبه ذلك :

ضَوَابِعُ تَنْوِى بَيْضَةَ الحَىِّ بعدما أذاعتْ برَيْعَانِ السَّوَام المعزَّبِ[3]

قال : ويقال : للظليم إذا رعَى فى هذا النَّبات ساعةً وفى هذا ساعةً : قد عقَّبَ يُعَقِّبُ تعقِيبا[4] . وأنشدنى لذى الرُّمَّة :

أَلهـاه آءٌ وَتَنُّومٌ وَعُقْبَتُهُ مِنْ لائحِ المَرْوِ والمَرْعَى له عُقَبُ[5]

قال : ويقال للرجل ، إذا كان صغير الأذنين لاصقتَين بالرَّأس : أصمع ؛ وامرأةٌ صَمْعاء . ويقال : خَرَجَ السهمُ متصَمِّعاً[6] : إذا ابتلَّتْ قُذَذه[7] ١١٣

(١) الإجل ، بكسر الهمزة . س : « الأرجل » ، صوابه فى ط ، هـ .

(٢) فى الأصل : « الحلى » ، صوابه ماأثبت . انظر البيت الآتى وشرحه .

(٣) ضوابع : تمد أضباعها فى سيرها ، أى أعضادها . ط ، س : « صوانع » هـ : « صوانع » صوابهما من الديوان ١١ . تنوى : تقصد . ط ، هـ : « تنبى » س « تبنى » صوابهما من الديوان . وفى الأصل : « الحلى » موضع « الحى » تحريف أيضاً . وفى شرح ديوان طفيل : « وبيضة الحى : معظمهم » أذاعت : فرقت . وريعان كل شىء : أوله » . والسوام ، كسحاب : مايسرح من إبل وبقر وغنم ، ولا واحد له . والمعزب ، بتشديد الزاى المفتوحة : الذى عزّب عن أهله لا يروح عليهم . ط ، س : « الشباب المغرب » هـ : « السقام المغرب » ، تصحيحه من الديوان .

(٤) ط : « عضب يعضب تعضيباً » صوابه فى س ، هـ .

(٥) سبق شرح هذا البيت فى ٣١٢ . ط ، هـ : « آه آه » بالتكرار . صوابه فى س .

(٦) ط : « أصمع » هـ : « صمعاء » س : « صمعاً » صوابه ماأثبت من القاموس واللسان . ويدل له الاستشهاد الآتى .

(٧) قذذ السهم : جمع قذة بالضم ، وهى ريشة السهم .

من الدَّم وانضمّت . وقال أبو ذُؤيب :

* سهماً فَخَرَّ وَرِيشُهُ متصمِّعُ[١] *

ويقال : أتانا بثريدةٍ مُصَمَّعَة[٢] : إذا دَقَّقَهَا[٣] وحدَّدَ رأسَها ؛ وصومعة الرّاهبِ منه ؛ لأنها دقيقة الرأس . وفلانٌ أصمع القلْبِ : إذا كان ذكيًّا حديدا [ماضياً] . وقال طرفة :

لعمرى لقد مَرَّتْ عواطِسُ جَمَّةٌ وَمَرَّ قُبَيْلَ الصُّبح ظبيٌ مصمِّعُ[٤]

أراد : ماضياً .

(شعر فى البيض)

وقال الشاعر فى بيضة البَلدِ[٥] :

---

(١) عجز بيت فى صفة صائد رمى أتانا بسهم فنفذ فيها بريشه ثم سقط . وصدره :

* فرمى فأنفذ من نحوص عائط *

فى الأصل : « ريشة » ، وصوابه من اللسان (صمع) وديوان الهذليين (١ : ٨) ، والمفضليات ٤٢٥ حيث تجد القصيدة .

(٢) فى الأصل : « متصممة » صوابه من اللسان والقاموس . ويقال أيضاً : « مصومعة » كما فى القاموس .

(٣) فى الأصل : « رققها » بالراء . وليست مرادة ، والمراد دقة الرأس . وانظر اللسان والقاموس (صمع) .

(٤) البيت من أبيات ثلاثة قالها طرفة ، فى أثناء رحلته المشهورة إلى عامل عمرو بن هند بالبحرين ، وكان قد سنحت له فى الطريق ظباء وعقاب . انظر ديوانه ٩ — ١٠ . والعواطس : جمع عاطس ، وهو مااستقبلك من الظباء . ورواية اللسان (مادة عطس) : « عواطيس » : جمع عاطوس ، وهى دابة يتشاءم بها . وفى مادة (صمع) : « عواطس » كما هنا . والمصمع : بكسر الميم المشددة : الذاهب السريع كما فسره الجاحظ . ويروى : « مصمع » بفتح الميم المشددة ، وهو الصغير الأذنين . وفى الأصل بدل : « ومر » : « ومنى » تحريف ، صوابه ما أثبت من اللسان فى موضعيه والديوان .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من س . وانظر لبيضة البلد ماسبق فى (٢ : ٣٣٦) .

أقبلت تُوضِع بِكْرًا لا خِطامَ لها حَسِبْتَ رَهْطك عندى بَيْضَةَ البَلَدِ(١)

ويشبَّه عظام جماجم الرءوس ببَيض النّعامِ . وقال الأعرج القينىّ(٢) :

بكَينا بالرِّماح غــداةَ طَرْق على قَتْلَى بناصفــةٍ كِرامِ(٣)

جَماجمَ غودِرَت بحمام عرق كأَنَّ فَرَاشها بَيضُ النّعامِ(٤)

وقال مقاتل بن طَلَبَةَ(٥) :

رأيتُ سحياً فاقدَ اللهُ بَيْنَهَا تَذِيكَ بأيديها وتَأْبَى أُيورُهَا(٦)

وقال السُّحيمى يردّ عليه :

مُقَاتِلُ ، بشِّرْها ببيض نَعامةٍ وإن لم تبشِّرْها فأنتَ أمــيرُها

وقال أبو الشِّيص الخُزاعى(٧) فى بيضة الخدْر :

---

(١) البكر ، بالكسر : الناقة لم تحمل ، أو التى ولدت بطنا واحداً . والبكر أيضاً ولدها ذكراً كان أو أنثى . وأوضع الناقة يوضعها : جعلها تضع فى سيرها ، أى تعدو عدوا خفيفاً . وفى الأصل: « ترضع بكراً »، وهو تحريف فكه .

(٢) كذا . والمعروف فى الشعراء : الأعرج المعنى، نسبة إلى معن طيىء . واسمه عدى بن عمرو ابن سويد . وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . وهو القائل :

تركت الشعر واستبدلت منه إذا داعى صلاة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والنداما

معجم المرزبانى ٢٥١ والإصابة ٦٤٠٩ ، ٣٧١٣ . والأعرج المعنى شعر فى البيان (١ : ٢٤٦).

(٣) ناصفة : موضع . س ، ه : « بناصية » ، صوابه فى ط .

(٤) الفراش ، بالفتح : كل عظم رقيق .

(٥) هو مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم ، كما فى عيون الأخبار (٤ : ٩٦). وطلبة ، بالتحريك . انظر القاموس واللسان . ه : «كلبة » محرفة .

(٦) سحيم : بطن من بنى حنيفة . وفاقد الله بينها : جعل بعضهم يفقدون بعضا . ورواية عيون الأخبار : « وتعيا » موضع : « وتأبى » .

(٧) اسمه محمد بن عبد الله بن رزين ، وهو عم دعبل بن على الخزاعى . وكان معاصرا =

وأبرزَ الخِدْرُ من ثِنْيَيْهِ بَيْضتَهُ   وأعجلَ الرَّوْعُ نصلَ السَّيفِ يُخترَطُ[1]

ثمَّ تَفديك مِنّا كلُّ غانيةٍ   والشَّيخُ يفديك والوِلدان والشُمُط[2]

وقال جحش بن نصيب :

كأنَّ فلاق الهامِ تحتَ سُيوفِنا   خَذاريفُ بيض عَجَّلَ النقف طائرُه[3]

وقال مهلهلٌ في بيضة الخدر :

وتجولُ بيضاتُ الُخدورِ حواسرًا   يمسَحْنَ فَضْلَ ذَوائِبِ الأيتامْ[4]

وهو وما قبله يدلاَّن[5] على أنَّهم لا يشبِّهون ببيض النَّعام إلاَّ الأبكار .

قال الشاعِرُ[6] :

= لأبي نواس ومسلم بن الوليد . وذكره الصفدى فى نكت الهميان ٢٥٧ وذكر أنه توفى سنة مائتين أو قبلها .

(١) الثنى ، بالكسر : واحد الأثناء ، وهى المحانى والمعاطف . وقد ثنى وأراد الجمع ، وهو معروف فى كلامهم . س : « من ثنيته بيضة » ، صوابه فى ط ، هـ . يخترط : أى يستل من غمده . يقول : استعجل الخوف نصل السيف فى حال اختراطه . فى الأصل : « مخترط » . ولا يستقيم بها إعراب البيت . فلعل الوجه ماأثبت .

(٢) الشمط ، بالضم : جمع أشمط وشمطاء . وهو من اختلط بياض رأسه بسواده . وقد ضم الميم للشعر ، وأصلها السكون .

(٣) الفلاق ، بالضم ، جمع فلاقة بالضم أيضا ، وهى القطعة . والهام : الرءوس . والخذاريف : جمع خذروف بالضم ، وهى كل شى مبعثر من شىء . س : « حذاريف » صوابه فى ط ، هـ . ونقف الطائر البيضة : ثقبها ليساعد الفرخ فى الظهور .

(٤) حواسرا : كاشفات رءوسهن . وفى الأصمعيات ١٧٦ : « عرض ذوائب » .

(٥) س ، هـ : « يدل » .

(٦) هو ذو الرمة ، كما فى الخزانة (٤ : ٤٥١ بولاق) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) وكتاب سيبويه (١ : ٥٦) .

وَبيض أفقْنَا(١) بالضُّحَى من مُتونها سَماوةَ بيضٍ (٢) كالخباء المقوَّضِ(٣)

هجومٌ عليْهَا نَفْسَهُ ، غيْرَ أنَّهُ مَتَى يُرْمَ فى عَيْنيْهِ بِالشَّخْصِ ينهض(٤)

يعنى بالبِيضِ بَيْض النَّعام . وسَماوة الشىء : شخصه . لأنّ الظَّليم لما رآهم فزِع ونهَضَ . وهذا البيت أيضاً يدلّ على أنَّهُ فَرُوقَةٌ(٥) . ١١٤

وقال ذو الرُّمَّة فى بيض النَّعام :

تَراه إذا هبّ الصَّبا دَرَجَتْ به غرابيبُ من بِيضٍ هَجَائنَ دَرْدَقُ(٦)

قال : والصَّبَا والجنوبُ تهبَّان فى أيام يُبس البقْل ، وهو الوقتُ الذى

---

(١) كذا فى س ، هـ . وفى ط : « فلقنا » . وفى محاضرات الراغب : « كشفنا » ورواية القالى (٢ : ٢٩٤) : « رفعنا »

(٢) كذا . ولعلها : « هيق » وهو الظليم . ورواية القالى : « جون » بمعنى ظليم أسود .

(٣) الخباء ، بالكسر : البيت من وبر أو صوف أو شعر . س ، هـ : « كالحياء » صوابهما فى ط ، والمحاضرات والأمالى . والمقوض : المهدوم . وجعله كذلك حين حضنه للبيض وقوده عليه .

(٤) هجوم عليها نفسه : أى يهجم على البيض نفسه ويلقيها حاضنا لها . وقد أنث البيض هنا . واستشهد به سيبويه على إعمال صيغة فعول عمل اسم الفاعل . وفى الأصل : « هجوم علينا » وصوابه فى المصادر السابقة . وروى القالى وسيبويه : « بالشبح » مكان : « بالشخص » ، وهما بمعنى . والشبح والشبح ، بالفتح ، وبالتحريك ، لغتان .

(٥) الفروقة ، بالفتح : الكثير الفزع ، يقال للمذكر والمؤنث . وله نظائر فى المزهر (٢ : ١٣٤) وانظر شواهد ذلك فى اللسان (فرق) . وفيه أيضاً أنه يقال للمؤنث « فروق » بنزع الهاء . وفى أصل الكتاب : « روحه » وهو تحريف لايستقيم .

(٦) فى الأصل . « ذرفت به » ، وتصحيحه من ديوان ذى الرمة ٣٩٨ ومن الشرح الآتى للجاحظ . و « دردق » صفة لكلمة « غرابيب » فهى مرفوعة . والبيت من قصيدة لذى الرمة ، أولها :

أدارا بحزوى هجت للعين عبرة فماء الهوى يرفض أو يترقرق

وقبل البيت :

بمشتبه الأرباء يرمى بركبه يبيس الثرى نائى المناهل أخوق

يثقُبُ النَّعام فيه البيض . يقول : درجت به رِئلانٌ سودٌ غرابيب ، وهى من بِيضٍ هجائن : أى بَيْض . والدَّردَق : الصِّغــار ، وهو من صُغَرِ (١) الرِّئْلاَن .

(الحصول على بيض النعام)

قال طفيل بن عوفٍ الغنوىّ (٢) ، وذكر كيف يأخذون بيضَ النّعام :

عَوازبُ لم تسمَعْ نُبُوحَ مَقَامَةٍ ولم تَرَ نارًا تِمَّ حَوْلٍ مجرَّمِ (٣)

سِوى نارِ بَيض أو غَزَالٍ مُعَفَّرٍ أغَنَّ من الخُنْس المناخِرِ تَوْأَمِ (٤)

---

(١) جمع صغرى . وفى اللسان : « والصغرى تأنيث الأصغر ، والجمع الصغر . قال سيبويه : يقال نسوة صغر ولا يقال قوم أصاغر ، إلا بالألف واللام » .

(٢) طفيل بن عوف الغنوى : شاعر جاهلى فحل ، قالوا : وهو أوصف العرب للخيل . ويقال له : طفيل الخيل ، ويسمى أيضا : المحبر الغنوى . المؤتلف ١٨٤ .

(٣) عوازب : عنى إبلا عوازب لا تروح على أهلها ، تبيت بالقفر . وقبل هذا البيت بأربعة أبيات :

أرى إبلى عافت جدود فلم تذق بها قطرة إلا تحلة مقسم

والنبوح ، بالضم : أصوات الكلاب . والمقامة ، بالفتح : الحى المقيمون . يريد : أصوات كلاب الحى المقيمين . تم حول مجرم : أى حول تام . س ، هـ : « بنوح » صوابه من الديوان ٤٥ ومما سبق فى (١ : ٣٤٨) . هـ : « حامة » موضع « مقامة » صوابه فى س ، ط والديوان . ورواية القالى : « نُبُوحَ مُقَامَةٍ » قال : « النبوح : أصوات الناس . والمقامة : حيث يقيم الناس » ، ثم قال : « يقول : هذه الإبل عوازب ، لعز أربابها ، ترعى حيث شاءت لا تمنع ولا تخاف ، فلم تسمع أصوات أهل مقامة ولم تر ناراً سنة كاملة سوى نار بيض نعام يصيبه راعيها فيشويه ، أو غزال يصيده » .

(٤) معفر : مقتول ممرغ فى العفر . س : « معقر » بالقاف . والأغن : الذى فيه غنة ، وهو من صفة الظباء . وفى الأصل : « أغر » وصوابه من الديوان ، والأمالى . والأخنس : القصير الأنف . والتوأم : الذى ولد مع غيره . وذلك أشد لضؤولته وصغر جسمه .

هذه إبلُ راعٍ معزبٍ[١] صاحب بوادٍ[٢] وبدوةٍ ، لا يأتى المحاضر والمياهَ حيثُ تكون النيران[٣] . وهو صاحب لبنٍ وليس صاحبَ بقْل ، فإبله لا ترى نَارًا سوى نَارِ بَيض أو غزالٍ .

(نار الصَّيد)

وهذه النَّارُ هى النَّارُ التى يُصطاد بها الظِّباء والرئلان وبَيْض النَّعام[٤] لأنَّ هذه كلَّها تعشى إذا رأتْ ناراً ، ويحدُثُ لها فكرةٌ فيها ونظر . والصبىُّ الصغير كذلك . وأوَّلُ ما يعابِثُ[٥] الرَّضيعُ ، أوَّلَ ما يناغى ، المصباحُ[٦] .

وقد يعترى مثلُ ذلكَ الأسـدَ ، ويعترى الضِّفدعَ ؛ لأنَّ الضِّفدعَ ينقّ ، فإذا رأى ناراً سكت . وهذه الأجناس قد تغترُّ[٧] بالنَّار ، ويُحْتالُ لها بهـا .

---

(١) هـ : « معرب » ، صوابه فى ط ، س .

(٢) كتبت فى الأصل بإثبات الياء . وهو جائز فى العربية فى حالة الوقف فقط . وفى كتاب سيبويه (٢ : ٢٨٨) : « وحدثنا أبو الخطاب ويونس أن بعض من يوثق بعربيته من العرب يقول : هذا غازى ورامى وعمى . أظهروا فى الوقف ، حيث صارت فى موضع غير تنوين » .

(٣) ط ، هـ : « الثيران » بالثاء . صوابه بالنون كما فى س .

(٤) تسمح الجاحظ فى التعبير ؛ فإن بيض النعام ليس مما يصطاد ، بل هو مما يطلب ويبحث عنه . وكان العرب يطلبون بيض النعام فى أفاحيصها ومكامنها بالنار . جاء فى ثمار القلوب ٤٦٢ ، عند الحديث عن (نار الصيد) : « ويطلب بها أيضا بيض النعام فى أفاحيصها ومكامنها » .

(٥) يعابث ، من المعابثة ، وهى الملاعبة . وفى الأصل : « يعاتب » محرفة .

(٦) المناغاة : المحادثة والملاعبة . و « المصباح » هى فى ط ، هـ : « المصباع » صوابه فى س .

(٧) تغتر : تختدع ؛ فالأسد يرى النار فيستعظمها فتشغله عن السابلة ، وكذا الضفدع يشغل عن النقيق . ط ، س : « تفتر » ، صوابه فى هـ .

(تشبيه الغيوم بالنّعام)

وتوصف الغيومُ المتراكمة[1] بأنَّ عليها نعاماً . قال الشّاعر[2] :

كأنَّ الرَّبَابَ دُوَيْنَ السَّحابِ نَعـامٌ تَعَلَّقَ بالأَرْجُلِ[3]

وقال آخر :

خَلِيلَيَّ لا تَسْتَسْلِمَا وَادْعُوا الَّذِى له كلُّ أَمْرٍ أنْ يَصُوبَ ربيعٌ

حَياً لبلَادٍ أَبْعَدَ المَحْلُ أهلها وفى العَظْمِ شىءٌ فى شَظَاهُ صُدُوعُ[4]

بمنتضك[5] عر[6] النَّشَاص كأنها جِبالٌ عليهنَّ النُّسورُ وُقُوعُ[7]

---

(١) المتراكة : المتكاثفة . ط ، هـ : « المترامكة » تصحيحه من س .

(٢) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، كما فى اللسان (ربب) — عن الأصمعى — ومعجم الأدباء (١٦ : ٢٥٩) عن أبى عبيد . ونسبه الحصرى فى زهر الآداب (١ : ١٧٧) إلى حسان بن ثابت . والبيت منسوب فى الكامل ٤٨٥ ، ٧٥٨ وكذا فى شرح المفضليات ٢٤٨ (عن الأصمعى) إلى المازنى . قلت : المازنى الذى عنياه هو زهير بن عروة بن جلهمة المازنى ، كما فى الأغانى (١٩ : ٣٨٧) ، أو عروة بن جلهمة ، كما فى اللسان . وقبله :

إذا الله لم يسق إلا الكرام فأسق وجوه بنى حنبل
أجش ملثاغزير السحاب هزيز الصلاصل والأزمل
تكركره خضخضات الجنوب وتفرغه هزة الشمأل

(٣) الرباب ، بالفتح : السحاب المتعلق .

(٤) الحيا : الخصب . وفى الأصل : « جنا » . والمحل : الجدب وانقطاع المطر . والشظى : عظيم لاصق بالركبة . هـ : « شطاه » . س : « وفى الفطم فى شطاه صدوع » وأثبت ما فى ط . ولعل صوابه : « وعَى العَظْمُ حتّى فى شَظَاهُ صُدُوعُ » ، أى وعى العظم من المحل حتى ظهرت الشقوق فى شظاه . ووعى العظم : انجبر على عثم ، أى التواء . وهو كناية عن الشدة . والبيت وسابقه فى الزهرة ٢٠٣ .

(٥) هـ : « بمنتصك » س : « بمصك » وكلها صور محرفة . ولعلها « معتنك » وأصله البعير يحبو حبواً ولا يقدر على السير . فيكون قد جعله معتنكا لثقله وكثرة مائه .

(٦) كذا بالعين المهملة . ولعلها : « غر » .

(٧) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع بعضه فوق بعض .

(استطراد لغوى)

وقال آخر :

وَضعَ النَّعَامَاتِ الرِّجالُ بِرَيْدِهَا من بين مَخْفُوضٍ وبينِ مظَلَّل [1]

والنعائم فى السماء [2] . والنعائم والنّعامتان من آلات البئر [3] .

و [النعامة [4]] : بيت الصائد [5] .

وقال فى مثل ذلك عروة بن مُرَّة الهذلىُّ [6] :

---

(١) النعامة : ظلة أو علم يتخذ من خشب ، فربما استظل به وربما اهتدى به . المخصص (٥ : ١٣٥) . والرجال هنا فاعل (رفع) . والريد ، بالفتح : الحرف الناتئ من الجبل . فى الأصل : « برمدها »، وتصحيحه من المخصص . وشبيه بلفظه قوله :

لا شىء فى ريدها إلا نعامتها منها هزيم ومنها قائم باق

و « مظلل » هى فى الأصل « مضلل » وصوابه فى المخصص .

(٢) هى منزلة من منازل القمر بها ثمانية نجوم أربعة منها فى المجرة وتسمى الواردة ، وأربعة خارجة تسمى الصادرة .

(٣) النعامتان : خشبتان يضم طرفاها الأعليان ويركز طرفاهما الأسفلان فى الأرض ، أحدهما من هذا الجانب ، والآخر من ذاك الجانب ، يصقعان بحبل ويمد طرفا الحبل إلى وتدين مثبتين فى الأرض ، أو حجرين ، وتعلق القامة أى البكرة بين شعبتى النعامتين . قلت : فقد يضم إلى النعامتين ثالثة فيصرن نعائم . فى الأصل : « السر » وقد كشفت سر هذا التحريف بما أثبت .

(٤) ليست بالأصل .

(٥) ط ، هـ : « الصديد » . صوابه ما أثبت من س .

(٦) البيت الآتى منسوب فى اللسان (سرب) إلى أبى خراش الهذلى . وعروة وأبو خراش أخوان ، من عشرة إخوة أبوهم مرة الهذلى ، وكانوا جميعاً شعراء دهاة سراعاً لا يدركون عدوا . أما عروة فقتل فى الجاهلية ورثاه أبو خراش بأبيات ضادية ، فى الحماسة . وأما أبو خراش — واسمه خويلد بن مرة — فإنه أدرك زمان عمر ابن الخطاب ، وهاجر إليه ، وغزا مع المسلمين . ومات فى زمن عمر . الأغانى (٢١ : ٣٨ — ٤٨) والإصابة ٢٤١ والشعراء والخزانة (١١ : ٤٠٠ سلفية) .

وذاتِ رَيْدٍ كزَنْقِ الفأس مُشْرِفَةٍ طريقها سَرِبٌ بالنّاسِ مجبُوبُ[1]

١١٥ لم يَبْقَ من عَرْسِها إلاّ نعامتُها حالانِ منهزمٌ منها ومَنصوبُ[2]

(مسكن النعام)

وفى المثل : « ما يُجمَعُ بين الأرْوَى والنّعام[3] » ؛ لأنَّ الأرْوَى تسكن الجبال ولا تُسهِل[4] . والنّعامَ تسكن السهل ولا ترْقى فى الجبال . ولذلك قال الشاعِرُ[5] :

(١) الريد : ما شخص من الجبل : ط . « وذات فرند » س ، هـ : « وذات زند » صوابه ما أثبت من اللسان ، وانظر البيت السابق . والزنق ، بالتحريك : أصله أسلة نصل السهم . والأسلة : مستدق النصل . فيكون قد أسكن النون لضرورة الشعر . والمعنى أن ذلك الريد يشبه حد الفأس . ط ، هـ : « بزلف » س : « بدلف » . وفى اللسان : « كزلق الرخ » . وصواب الكلمة ما أثبت. وأما كلمة « الرخ » فى اللسان فصوابها « الزج » . والأرض المشرفة : العالية تشرف على ما حولها . والطريق السرب — ككتف — : الذى يتتابع فيه الناس . فى الأصل : « طويلها » تصحيحه من اللسان . والمجبوب . كأنه الممهد من قولهم : سنام مجبوب ، أى مقطوع . ط ، س : « مجنوب » صوابه فى هـ . ورواية اللسان : « دعبوب » بضم الدال ، وهو المذلل الواضح الذى يسلكه الناس

(٢) العرس ، بالفتح : حائط يجعل بين حائطى البيت الشتوى لا يبلغ به أقصاه ثم يسقف ليكون البيت أدفأ . والنعامة : الظلة . حالان أى تلك النعامة لها حالان فبعض أجزائها منهزم أى متكسر . تقول هزمت القربة فانهزمت : إذا غمزتها فتطامنت . ومنصوب : أى قائم . انظر مثيل هذا البيت فى حواشى الصفحة السابقة . فى الأصل : « مصبوب » والوجه ما أثبت .

(٣) نص المثل فى الميدانى (١ : ١٢٦) وكنايات الجرجانى ١١٨ والدميرى : « تكلم فجمع بين الأروى والنعام » . وقالوا : أى تكلم بكلمتين مختلفتين . وفى اللسان . « ومن أمثالهم : من يجمع بين الأروى والنعامة ؟ ! » . والأَرْوَى : جمع أُرْوِيَّة ، أو اسم جمع ، وهى أنثى الوعول .

(٤) أسهل : نزل فى السهل من الأرض .

(٥) هو مهلهل ، كما فى اللسان (ظهر ، كدس) أو عبيد بن الأبرص ، كما فى مختصر تهذيب الألفاظ ١٧١ واللسان (كدس) . والبيت بدون نسبة فى المقاييس (كدس) .

وَخَيْلٍ تَـكَرْدِسُ بالدَّارِعِينَ كَمشْيِ الوُعول على الظَّاهِرَهْ[١]

وقال كثيِّر :

يهدى مَطَايَا كالحَنِيِّ ضَوَامِرًا بنياطِ أغْبَرَ شَاخِصِ الأمْيَالِ[٢]

فَـكَأَنَّهُ إذْ يَغْتَدِى مُتَسَنِّماً وَهْدًا فَوَهْدًا نَاعِقٌ برِئالِ[٣]

(شعر فى التشبيه بالنعام)

وقال الأعشى ، فى تشبيه النَّعام بمـا يتدلَّى من السَّحاب من قطع الرَّباب :

---

(١) ط : « وتبلى » س ، هـ : « ونبل » ، صوابه من الحيوان (٦ : ٣٠٠) والمخصص (١٠ : ٦٩) واللسان . وتـكردس : تمشى مشية المقيد . ط : « يكردس » س ، هـ : « مكردس » ، صـوابهما من سادس الحيوان . والرواية فى المخصص واللسان والمختصر : « تَـكَدَّسُ » أى تتكدس . والتكدس : أن يمشى الفرس كأنه مثقل . والدارع : لابس الدرع الحديدى . والظاهرة : أعلى الجبل حيث يسكن الوعل . وفى الأصل : « الطاهر » صوابه من المخصص واللسان والمختصر . وانظر ما سيأتى فى (٦ : ٣٠٠) .

(٢) الحنى : كغنى : جمع حنية ، وهى القوس . جعلها كالقسى فى نحو لها . وانظر الاستدراكات . ونياط المفازة : بعد طريقها . ط ، س : « نباط » صوابه فى هـ . والأغبر : الطريق ذو الغبرة . شاخص : قائم . والأميال : جمع ميل ، بالكسر ، وهو المنار يبنى للمسافر فى أنشاز الأرض وأشرافها . وفى الأصل : « الأمثال » . ولا وجه له ، صوابه ما أثبت .

(٣) تسنم الشىء : علاه . س : « متنسما » صوابه فى ط ، هـ . والوهد ، بالفتح : الأرض المنخفضة . فعنى تسنم الوهد : أشرف عليه من الأنشاز التى حوله . ط : « وهد فوهد » س ، هـ : « وهدى فوهدى » صـوابهما ما أثبت . وناعق : هو من نعق الراعى بالغنم : دعاها وصاح بها . ط : « ناطق » تصحيحه من س ، هـ .

يا هَلْ تَرى بَرْقاً على الـ جَبَلَيْنِ يُعْجِبُنى انجِيابُه[١]

مِنْ ساقِطِ الأكنافِ ذِى زَجَلٍ أَرَبَّ به سَحابُه[٢]

مثـلِ النَّعامِ مُعَلَّـقاً لمـاَّ زَقَا ودنا ربابُه[٣]

وقال وشَبَّه ناقتَهُ[٤] بالظَّلِيم :

وإذا أطافَ لبابه بسَدِيسِهِ[٥] ومسافراً ولجا به وتَزَيَّدَا[٦]

شَبَّهتهُ هِقْلاً يُبارِى هِقْلَةً رَبْدَاءَفى خَيْطٍنَقَانِقَأربدا[٧]

---

(١) ياهل : أى ياصاح هل . حذف المنادى ، كما جاء فى الكتاب : « ألا يا اسجدوا » فى قراءة الكسائى ، وكقوله :

يالعنة الله والأقوام كلهم والصالحين على سمعان من جار

برفع « لعنة » . ورواية الديوان ١٩٨ : « بل هل » . والجبلان ، هما جبلا طيىء : أجأ وسلمى . وانجيابه : انكشافه . ويروى : « انتصابه » . وفى شرح الديوان : « الناصب من البرق ترى ضوءه ثابتا » . ط ، س : « انحيابه » تصحيحه من هـ والديوان .

(٢) من ساقط الأكناف : أى من سحاب ساقط النواحى . وفى الأصل : « متساقط » . و « الأكناف » هى فى س : « الأكتاف » وصواب هذين التحريفين من الديوان . والزجل ، بالتحريك : الصوت . أرب به : أقام .

(٣) معلقا ، فى موضع حال من النعام . فى الأصل : « معلق » ووجهه ما أثبت من الديوان . وانظر شبيه هذا المعنى فى البيت الذى سبق فى ص ٣٥٠ . زقا : صاح . وفى اللسان : « وكل صائح زاق . . . وقد تعدوا ذلك إلى مالا يحس فقالوا : زقت البكرة » . ط ، هـ : « رقا » ولا وجه له، وأثبت مافى س . ورواية الديوان :

« لمـا دنَا قَردًا ربابُه » القرد : المجتمع . والرباب : ما تدلى من السحاب .

(٤) كذا . والوجه : « بعيره » أو « جمله » . كما يفهم من الشعر . انظر الديوان ١٥٢ .

(٥) رواية الديوان : « وإذا يلوث لُغامَه بسَدِيسِهِ » و : « أطاف لغامه » .

(٦) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « ومسافر دلجا به » ، وكلاهما محرف . ورواية الديوان :

« ثنّى فهبَّ هِبَابُهُ وتَزَيَّدَا »

(٧) الهقل ، بالكسر : الفتى من النعام . ط ، س : « شبهته صعلا » . والصعل ، بالفتح : الطويل من النعام . ورواية الديوان : « وكأنه هقل يبارى هقلة » . والربداء : الرمادية اللون ، أو السوداء . وروى فى الديوان : « رمداء » =

وذكر زهيرٌ[١] الظَّليمَ وأولاده ، حتَّى[٢] شبَّه ناقته بالظَّليم :

كأنِّى وردْفِى والْقِرابَ ونُمْرُقِى على خاضبِ السَّاقين أرعَنَ نِقْنِقِ[٣]

تَرامى به حبُّ الصَّحارَى وقد رَأى سَماوةَ قَشْرَاءِ الوظيفَيْنِ عَوْهَقِ[٤]

تَحنُّ إلى مِثلِ الحبابيرِ جُثَّمٍ لَدَى سَكَنٍ مِنْ قَيضِها المتفلِّقِ[٥]

تَحطَّمَ عنها [قَيضُها] عَنْ خَراطمٍ وعن حَدَقٍ كالنَّبْخ لم يتفلَّقِ[٦]

النَّبْخ[٦] : الجُدَرِىّ[٧] .

= أى رمادية اللون . والخيط ، بالفتح والكسر : جماعة النعام . ط ، س : « نبط » ه : « نيط » تصحيحه من الديوان . والنقانق : جمع نقنق ونقنقة ، وهو الخفيف من النعام . فى الأصل : « تعانق » والوجه من الديوان . و « أربدا » صفة لخيط ، وجر بالفتحة لوزن أفعل . ه والديوان : « أرمدا » وهما بمعنى .

(١) الصواب نسبته إلى كعب بن زهير فى قصة رواها أبو الفرج فى ١٥ : ١٤١ . وفى ديوان زهير ٢٤٥ أن زهيرا وكعبا اشتركا فيها .

(٢) لعلها : « حين » ، أو : « حيث » .

(٣) الردف ، بالكسر : الحقيبة ونحوها . والقراب ، بالكسر : غمد السيف . ويروى : « والفتان » وهو غشاء الرحل . والنمرق : مايوضع فوق الرحل يقعد عليه الراكب . خاضب الساقين : عنى به ظليما احمرت ساقاه . والنقنق ، النافر أو الخفيف .

(٤) فى الديوان والأغانى : و « تراخى » ، أى تطاول . ط ، ه : « وقد أرى » . وأثبت مافى س ، والديوان والأغانى ، والسماوة : أعلى شخص الشىء . والقشراء : البينة القشر ، وهو شدة الحمرة . أو القشراء : المتقشرة الساق لاريش عليها . والوظيف : مستدق الساق . وفى ط ، س : « الوظيفة » و ه : « قشر الوظيفة » صوابه ماأثبت . والعوهق : الطويل : يستوى فيه المذكر والمؤنث . ط ، س : « عيهق » ه : « عبهق » محرفتان عما أثبت .

(٥) فى الأصل : « ميل الجناحين » ، صوابه من الديوان والأغانى . والحبابير : جمع حبارى ، يعنى فراخها . والجثم : الجاثمة المقيمة فى موضعها . والسكن : حيث تسكن . وفى الأصل : « عن بيضها » ، صوابه من الديوان والأغانى . والقيض : قشر البيض .

(٦) التكملة من الديوان والأغانى . وفى ط ، ه : « خراطم أسيح » . والنبخ : الجدرى . س ، ط : « كالمح » ، ه : « كالمخ » ، صوابهما من الديوان والأغانى واللسان (نبخ) .

(٧) س : « السح » . ط ، ه : « السيح » ، محرفتان .

(٨) فى الأصل : « الحدور » ، تحريف ماأثبت .

(النعامة فرس خالد بن نضلة)

وكان اسمُ فرس خالدِ بن نَضْلَةَ[1] : « النَّعامة » . قال :

تَدَارَكَ إرْخَاءُ « النَّعامةِ » حَنْثَرًا   وَدُودَانَ أَدَّتْهُ إلىَّ مُكَبَّلا[2]

(تشبيه مشى الشيخ بمشى الرئال)

وقال عُروة بن الوَرد[3] :

أليسَ ورائى أن أدِبَّ على العَصَا   فيأمَنَ أعدائى ويَسْأَمَنِى أهْلِى[4]

رهِينَةَ قَعْرِ البيتِ كلّ عَشِيَّةٍ   يُطِيفُ بِىَ الوِلْدَانُ أَهْدِجُ كالرَّألِ[5]

---

(١) خالد بن نضلة الأسدى ، فارس مشهور من فرسانهم ، وله ذكر فى يوم النسار ؛ إذ كان رئيس أسد يومئذ . كامل ابن الأثير ١ : ٣٧٧ . س : « فضلة » صوابه فى القاموس (نعم) وكامل ابن الأثير ، والبيان ٣ : ٢٥٠ ، ٢٦٩ وبلوغ الأرب ٢ : ١١٨ . وقد قال البيت الآتى يذكر فيه أنه أسر حنثر بن الأضبط ، ودودان ابن خالد . شرح المفضليات ٣٦٦ وبلوغ الأرب ٢ : ١١٨ .

(٢) الإرخاء : شدة العدو . ط : « أحساء » س ، هـ : « أرحاء » ، والوجه ماأثبت ، كما فى بلوغ الأرب . و « حنثراً » هى فى الأصل : « جيداً » صوابه فى بلوغ الأرب . وانظر التنبيه السابق . وفى الأصل أيضاً : « أردته » صوابه ماأثبت . وفى بلوغ الأرب : « ودودان أدت فى الحديد » . مكبلا : مقيداً .

(٣) عروة بن الورد شاعر من شعراء الجاهلية ، فارس ، صعلوك ، جواد . وكان يسمى عروة الصعاليك ، لجمعه إياهم ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا فى غزواتهم .

(٤) يقول : أليس ورائى إن سالمت الناس ، وتركت مخاطر التصعلك ، أن يلحقنى الكبر فأهون ويضجر منى أهلى ؟ ! فهو يحتج للتصعلك بما ترى . س ، هـ : « على الصفا » س : « وييأس بى » ، هـ : « وييأس أهلى » ، صواب ذلك فى ط والديوان ١٠٣ .

(٥) رهينة : أى ملازم لا يبرح . وهدج الشيخ فى مشيته : قارب الخطو وأسرع من غير إرادة . والرأل : فرخ النعام .

شبَّهَ هَدَجَانَ[1] الشَّيخ الضعيفِ فى مشيته بهدَجَان الرأل . ١١٦

وقال أبو الزَّحْف[2] :

أشكو إليك[3] وَجَعًا بركْبتى وَهَدَجَاناً لم يكنْ فى مِشْيتى[4]

* كَهَدَجَانِ الرَّألِ حَوْلَ الهَيْقَتِ[5] *

وقال آخر ، ولست أدرى أيُّهما حَمَل على صاحبه :

أشكُو إليكَ وَجعاً بمرفَقِى[6] وَهَدَجاناً لم يكنْ فى خُلُقى

* كَهَدَجَانِ الرَّألِ حَوْلَ النِّقْنِقِ *

ولم يفضحْه إلَّا قوله :

* أشكو إليك وجعاً بمِرْفَقِى *

لأنَّ الأوَّلَ حكى أنَّ وجعه فى المكان الذى يصيبُ الشُّيوخ ، ووجع المرفق مثلُ وجَعِ الأذُنِ ، وضربانِ الضِّرس ، ليس من أوجاع الكِبَرَ فى شىء .

---

(١) فى الأصل : « وشبيه بهذا أن » ، تحريف ما أثبت .

(٢) أبو الزحف ، سبقت ترجمته فى (٢ : ١٩٧) . وفى الأصل : « أبو المرهف » ، محرفة . والرجز فى الشعراء ٦٦٩ فى ترجمة أبى الزحف . وقد نسب فى نوادر أبى زيد ٢٥٥ إلى (ابن عُلْقَة التَّيمىّ) ، برواية أخرى . وأراه رجزاً آخر اتفق خاطرا القائلين فيه . وهو بغير نسبة فى أمالى القالى (١ : ١٨٩) . ونسب فى العقد (٢ : ٥٢) إلى أعرابى .

(٣) فى العقد : « إلى الله » .

(٤) فى الشعراء والنوادر والأمالى : « من مشيتى » .

(٥) الهيقة : النعامة الطويلة . وقد أراد : « الهيقة » فصير هاء التأنيث تاء فى المرور عليها . فى الأصل : « النقنق » ولا تتفق مع الرجز ، وتصحيحها من اللسان (هدج ، هيق) وسائر المصادر المتقدمة ماعدا العقد ، فالرواية فيه أشد تحريفاً . وروى : « خلف » مكان « حول » فى جميع المصادر ماعدا العقد .

(٦) المرفق ، كمنبر ومجلس : موصل الذراع فى العضد .

(شعر فيه ذكر النعامة)

وقال ابن ميّادة ، وذكر بنى نَعامةَ من بنى أسد — وقد كان قَطَرِىُّ ابن الفجاءة يكنى أبا نعامة (١) — :

فهل يمنَعَنِّى أنْ أسيرَ ببَلْدَةٍ نَعامةُ ، مِفْتاحُ المخازِى وبابُها

وهجا دُريدُ بن الصِّمّةِ رجُلاً فجعل البيضةَ الفاسدة مثلاً له ، ثمَّ ألحق النَّسرَ بأحرار الطَّيرِ وكرامها — وما رأيتُهُمْ يعرِفون ذلك لنسر — فقال :

فإنِّى على رغم العَذولِ لَنازِلٌ بحيث التَقَى عيط وبِيضُ بنى بدر (٢)
أيَا حَكَمَ السَّوْءاتِ لا تَهْجُ وَاضْطَجِعْ
فهل أنْتَ إن هاجَيْت إلّا من الْخضْرِ
وهل أنْتَ إلّا بَيْضةٌ مات فَرْخُها ثَوَتْ فى سُلوخ الطيرِ فى بلدٍ قفرِ (٤)
حَوَاهَا بغاثٌ : شرُّ طير علمتُها وَسُلَّاءُ ليستْ من عُقابٍ ولا نسْرِ (٥)

---

(١) قطرى ، بالتحريك : نسبة إلى موضع بين البحرين وعمان . وهى نسبة غير حقيقية ؛ فإن مولده بلد يقال له الأعدان . والفجاءة كذلك لقب لأبيه ، قالوا : قدم أهله فجأة فلقب بذلك . واسم قطرى جعونة ، واسم أبيه مازن . وأبو نعامة كنيته فى الحرب ، ونعامة فرسه ، وكنيته فى السلم أبو محمد . خرج قطرى فى زمن مصعب وكان بينه وبين الحجاج نضال مستمر طويل . وعثر به فرسه فاندقت فخذه فمات وجىء برأسه إلى الحجاج سنة ٧٨ . وفيه يقول الحريرى فى المقامة السادسة : « فقلدوه فى هذا الأمر الزعامة تقليد الخوارج أبا نعامة » . ابن خلكان والدميرى وشرح التبريزى للحماسة .

(٢) كذا . ولعله : « غيظ » أو « عيص » اسما قبائل .

(٣) الخضر : اسم قبيلة . ط ، س : « الحصر » هـ : « الحضر » . ولعل صوابه ما أثبت .

(٤) سلوخ : جمع سلخ ، بالفتح ، وهو مايسلخه الطائر من ريشه ، فهو يبطن به عشه ليضع فيه البيض . انظر ماسبق من القول فى سلخ الطيور ص ٢٢٤ . س : « شلوخ » ، ولا وجه لها .

(٥) السلاء ، كرمان : ضرب من الطير أغبر طويل الرجلين «

(استطراد لغوى)

ويقال للأنثى من ولد النَّعامة : قلوص ؛ على التشبيه بالنَّعام من الإبل . وهذا الجمع(١) إلى ماجعلوه له من اسم البعير ، وإلى ما جعلوا له من الخفِّ والمنسمِ ، والخَرَمَةِ(٢) ، وغير ذلك .

قال عنترة :

تأوِى له قُلُصُ النَّعامِ كما أوَت حِزَقٌ يمانِيَةٌ لأعجَمَ طِمْطِمِ(٣)

وقال شَمَّاخ بن ضِرار(٤) :

* قلوص نَعامٍ زِفُّها قد تَمَوَّرَا(٥) *

(وصف الرئال)

ووصف لبيدٌ الرِّئالَ فقال :

---

(١) كذا . ولعلها : « يجمع » .

(٢) الخرمة ، بالتحريك : سبق شرحها فى ص ٣٢١ . وفى الأصل : « الخزامة » محرفة .

(٣) تأوى له : أى تلجأ إليه . والضمير عائد إلى الظليم ، المفهوم من قوله قبل هذا البيت :

وكأنما أقص الإكام عشية بقريب بين المنسمين مصلم

وفى الأصل : « تأوى به » ، صوابه من المعلقات واللسان (قلص) . والقلوص الشابة من الرئال ، أى فراخ النعام . والحزق : الجماعات . والمراد بها جماعات الإبل . لأعجم طمطم : أى لإهابة راعيها الأعجم الذى لايفهم الكلام .

(٤) يصف ناقته ، من قصيدة له فى ديوانه ٢٦ — ٣٤ .

(٥) الزف ، بالكسر : صغار الريش . س ، ه : « زحها » محرفة . وتمور : سقط . وصدر البيت :

* وقد أنعلتها الشمس نعلا كأنه *

فأضْحَتْ قد خَلَتْ إلاّ عِرَارًا وعَزْفًا ، بعـد أحياءٍ حِلَالِ[(١)]

١١٧ وخَيِطاً من خَوَاضِبَ مُؤْلفاتٍ كأَنَّ رِئالها وُرْقُ الإفالِ[(٢)]

(قول فى بيت لحسان)

وقال حسانُ بن ثابتٍ ، رضى الله عنه[(٣)] :

لعمرُك إنَّ إلَّكَ فى قُريش كإلِّ السَّقْبِ منْ رَأْلِ النَّعَامِ[(٤)]

---

(١) العرار ، بكسر العين المهملة : صوت الظليم . يقال عريعر عرارا ، وعار يعار معارة وعرارا . ط : « غرارا » ، صـوابه فى س ، ه واللسان (عرر) . والعزف : صوت الرياح ، وقد يجعله العرب بزعمهم صوت الجن . وفى الأصل : « عرفا » تصحيحه من اللسان . وأحيال حلال : أى أقوام مقيمون متجاورون . ينعت تلك الديار بعد مارحل عنها أهلها .

(٢) الخيط بالفتح والكسر : جماعة النعام . والخواضب : الظلمان قد احمرت سوقها . مؤلفات : ألفت الرمل . وفى الأصل : « مزلفات » صوابه من الديوان . ورئالها : فراخها . والورق : جمع أورق ، وهو مالونه كلون الرماد . والإفال : جمع أفيل ، كأمير ، وهو الفصيل من الإبل . وفى الأصل : « الإمال » بالميم ، محرفة .

(٣) يهجو أبا سفيان بن الحارث . والبيت أول أبيات أربعـة فى ديوانه ٤٠٧ — ٤٠٨ . وبعده :

فإنك إن تمت إلى قريش كذات البو جائلة المرام
وأنت منوط بهم هجين كما نيط السرائح بالخدام
فلا تفخر بقوم لست منهم ولاتك كاللئام بنى هشام

(٤) الإل : القرابة . والسقب : ولد الناقة ساعة يولد . ط : « الفيل » ، س ، ه : « السيف » صوابهما ماأثبت من الديوان ، والمخصص (٣ : ١٥١) وأمالى القالى (١ : ٤١) والأضداد ٣٤٦ . والرواية فيها جميعاً : « من قريش » وهناك بيت آخر يشتبه بهذا البيت . وهو :

وأشهد أن إلك من قريش كإل الفيل من ولد الأتان

وصاحبه عبد الرحمن بن الحكم يقوله لمعاوية : كما فى الحيوان (١ : ١٤٦ ، ٧ : ٢٣٥) والخزانة (٢ : ٥١٨ بولاق) . أو صاحبه يزيد بن مفرغ ، كما فى الشعراء ٣٢٢ والموشح ٢٧٣ . أو هو عبد الرحمن بن حسان ، كما فى العقد (٤ : ١٨٢) .

وقد عاب عليْهِ هذا البيتَ ناسٌ ، وظَنُّوا أنَّهُ أراد التبعيد ، فذكر شيئين قد يتشابهان من وجوهٍ . وحسانُ لم يردْ هذا ، وإنما أراد ضَعْفَ نَسبه فى قُريش ، وأنَّه حينَ وَجَدَ أدنى نَسب[1] انتحل ذلك النَّسب .

(النعامة ، فرس الحارث بن عباد)

وقال الفرزدقُ ــ وذكَرَ الفرَسَ الذى يقال له : « النّعامة » ، وهو فرسُ الحارث بن عُبَاد ، التى يقول فيها :

قرِّبا مَرْبِطَ النّعامةِ مِنِّى   لَقِحَتْ حَرْبُ وائِلٍ عن حِيَالِ[2]

وقولُ الفرزدق[3] :

تُريكِ نُجُومَ الَّليل والشَّمْسُ حَيّةٌ[4]   كرامٌ[5] بناتِ الحارثِ بن عُبادِ

نساءٌ أبوهنّ الأغرّ ، ولم تَكُنْ   من الحُتِّ فى أجْبالها وهَدَادِ[6]

---

(١) كذا بالأصل . ولعلها : « سبب » .

(٢) عن حيال ، أى بعد حيال . والحيال ، بالكسر : ألا تحمل الناقة بولد . وقد قال الحارث هذا الشعر لمناسبة تجدها فى (يوم قضة) من أيامهم .

(٣) يقوله للنوار زوجه ، وكان تزوج عليها امرأة من ولد الحارث بن عباد ، فقالت له : تزوجتها أعرابية دقيقة الساقين ! .

(٤) كذا رواية صدر البيت فى الموشح ١٠٤ والأغانى (١٩ : ٩) . وروى : « أرتك » فى الأغانى (٨ : ٨٩) ، و : « أراها » فى الديوان ١٥٩ . يقول لها : إن بنات الحارث بن عباد يجلبن إليها الغيرة الممضة حتى يظلم عليها نهارها . والعبارة مثل ، كما جاء فى قول طرفة (ديوانه ٦٥) :

إن تنوله فقد تمنعه   وتريه النجم يجرى بالظهر

(٥) روى فى الديوان والموشح والأغانى (٨ : ٨٩) : « زحام » . وللمرزبانى كلام فى هذا اللفظ دقيق .

(٦) الحت ، بالضم ، وهداد : قبيلتان من الأزد . ط : « من الأزد فى جاراتها وهداد » . ولعله تصرف من المصحح اعتمد فيه على رواية الأغانى (١٩ : ٩) =

أبوها الذى آوى النّعامةَ بعد ما أبَتْ وَائِلٌ فى الحَرْبِ غيرَ تمادِ[١]

وقد مَدحوا بناتِ الحارث بن عباد هذا ، فمن ذلك قوله[٢] :

جاءُوا بحارِشَةِ الضِّبابِ كأنَّهمْ جَاءُوا ببنتِ الحارثِ بن عُباد[٣]

ويلحق[٤] هذا البيت بموضعه ، من قولهم : باضَ الصَّيفُ[٥] ، وباضَ القَيظُ[٦] . وقال مضرِّس :

بلمّاعةٍ قد باكَرَ الصَّيفُ ماءَها وباضت عليها شمسُه وحرائرُه[٧]

= لكن فى س ، هـ : « من الحب فى إحالها » ، وتصحيح هذا التحريف من الديوان .

(١) أبوها ، يعنى أبا زوجته . و « آوى النعامة » إشارة إلى قوله : قربا مربط النعامة » . ط : « قاد النعامة » ويظهر أيضاً أنه اعتماد من المصحح على رواية الأغانى (١٩ : ٩) . ورواية الديوان : « أدنى » . والتمادى : اللجاجة . ووائل هو والد بكر وتغلب اللتين أشعلتا نار حرب البسوس ، فكانت إحداهما تحارب الأخرى .

(٢) فى (٦ : ١٠٢) : وقائلة هذا الشعر امرأة من بنى مرة بن عباد . ونحوه فى ثمار القلوب ٢٣٩ — ٢٤٠ .

(٣) بحارشة الضباب : أى بامرأة تحرش الضباب ، أى تصيدها . وقد عدت هذه حرش الضباب لؤما ومسبة ، ولكن بعض العرب لا يرى فى ذلك شيئاً . انظر تفصيل هذا الخلاف فى (٦ : ٧٧ - ١١١) . أما بنت الحارث بن عباد فثل فى الكرم والشرف .

(٤) الكلام من مبدإ هذا إلى نهاية بيت مضرس ساقط من س . وربما دل هذا على أنه كلام دخيل من صنع أحد القراء . وكلمة « بموضعه » تشير إلى ماسبق فى ص ٣٣٥ — ٣٣٦ .

(٥) فى الأصل : وهو هنا ط ، هـ : « السيف » . وانظر ماسبق فى ٣٣٦ .

(٦) فى الأصل : « ومن باض القيظ » ، وكلمة « من » مقحمة .

(٧) لماعة : أى فلاة يلمع فيها السراب . ط : « بداعية » صوابه فى هـ ، واللسان (حرر) . وفى اللسان أيضاً : « قد صادف الصيف » . والحرائر : جمع حرور ، بالفتح ، وهو الحر . وباضت الشمس : أخرجت كل حرها . ورواية اللسان : « فاضت » .

(ابن النعامة ، فرس خُزز بن لوذان)

وابن النّعامة : فرس خُزَز بن لَوْذَان(١) . وهو الذى يقول لامرأته حين أنكرتْ عليه إيثاره فرسه باللبن :

كَذَبَ العَتِيقُ ومَاءُ شَنٍّ بارِدٌ   إنْ كنْتِ سائلتى غَبوقاً فاذهَبى(٢)

إنّى لَأَخْشَى أن تقولَ خليلتى(٣)   هــذا غبارٌ ساطعٌ فتَلَبَّبِ(٤)

---

(١) خزز بزايين وبوزن عمر ، ابن لوذان ، بفتح اللام وبذال معجمة : شاعر قديم جاهلى ، كما فى الخزانة (٣ : ١١ بولاق) . وفى الأصل : « حرز » ، صوابه فى القاموس (خزز ، لوذ) والمؤتلف ١٠٢ ، والبيان (٣ : ٣١٧) . ونسبة الشعر الآتى إلى خزز ، مثلها فى الخزانة والبيان وأمالى ابن الشجرى (١ : ٢٦٠) . ونسب إلى عنترة فى المخصص (١٣ : ٢٠٦) والعقد (٢ : ٢٥٦) وحماسة ابن الشجرى ٨ وأماليه (١ : ٢٦١) .

(٢) هو مثل صادق من عناية العرب بخيلهم ، وإيثارهم لها على أنفسهم وعلى أزواجهم ولو أدى ذلك إلى النزاع مع الحرم . وقال فى مثل هذا ، الأعرج المعنى (الحماسة ١ : ١٣٠) :

أرى أم سهل ما تزال تفجع   تلوم وماأدرى علام توجع

تلوم على أن أمنح الورد لقحة   وما تستوى والورد ساعة يفزع

أم سهل : امرأته . والورد : اسم فرسه . ولقحة : أى لبن ناقة لقحة . وما تستوى : أى ما تستوى امرأته وذلك الفرس ساعة الفزع للحرب .

(٣) يقول لها : عليك بأكل العتيق ، وهو يابس التمر ، وبشرب الماء البارد الذى فى القربة الخلق ، ولا تتعرضى لغبوق اللبن ، وهو شربه بالعشى ؛ لأن اللبن خصصت به مهرى الذى أنتفع به ويسلمنى وإياك من الأعداء . وكذب كذا ، وكذب عليك كذا : مثلان غريبان من أمثلة الإغــراء ، لكنه جاء مسموعا كثيراً فى كلامهم . انظر اللسان (كذب) وأمالى ابن الشجرى والمزهر (١ : ٢٢٥).

(٤) يعنى بخليلته زوجته . ط ، س : « خليلى » وتصح بالتصغير وإرادة النداء =

إنَّ العدوَّ لهم إليكِ وسيلةٌ إنْ يأخذوكِ تَكَحَّلِي وتخضَّبى [١]
ويكون مَرْكَبُكِ القَعودَ وحِدْجَه وابنُ النَّعامة يوم ذَلِكِ مَرْكَبى [٢]

(شعر فى النعامة)

وقال أبو كبير الهذلىّ :

١١٨ وَضَعَ النَّعاماتِ الرِّجالُ بِرَيْدِها يُرْفَعْنَ بَين مُشَعْشَعٍ وَمُهَلَّلِ [٣]

وقال ذُو الإصبع العَدْوانىّ :

ولى ابنُ عَمّ على ما كان مِنْ خُلُقٍ مخالفٌ لىَ أقْليه ويقلينى [٤]
أزْرَى بنا أنَّنا شالَتْ نعامتُنا فَخَالنى دُونَهُ بل خِلْتُهُ دُونى [٥]

= وأثبت مافى هـ والبيان واللسان (لبب) . ورواية ابن الشجرى فى الحماسة : « ظعينتى » . والظعينة : المرأة . والغبار الساطع الذى تعنى : هو مايتطاير من جرى خيل العدو المغير . والتلبب : التحزم بالسلاح وغيره .

(١) العدو ، من الكلمات التى تقال للواحد والاثنين والجمع ، والمثنى والمذكر ، بلفظ واحد . روى ابن الشجرى فى الأمالى : « أن يأخذوك » وقال : « موضعه نصب بتقدير حذف الخافض ، أى فى أن يأخذوك » . ثم قال : « قذفها بإرادتها أن تؤخذ مسبية ، فلذلك قال : تكحلى وتخضبى » .

(٢) أى يحملك الأعداء حين تسبين على القعود ، وهو الفصيل من الإبل . والحدج بالكسر : مركب من مراكب النساء . يقول : وأما أنا فأركب للقاء العدو فرسى المسمى بابن النعامة . وقيل : أراد بابن النعامة باطن القدم ، وقيل أراد الطريق . وأول الثلاثة أصحها .

(٣) « وضع » هى فى الأصل : « وقع » و « بريدها » هى فى ط ، س « بربدها » وفى هـ : « برمدها » . وانظر ما أسلفت من التحقيق فى ٣٥١ . و « يرفعن » هى فى الأصل : « يدفعن » . والمشعشع : المتفرق فيه فرج . والمهلل : المتقوس . وانظر عجز البيت وشرحه فيما سبق ص ٣٥١ .

(٤) أى أبغضه ويبغضنى .

(٥) شالت نعامة القوم : تفرقت كلمتهم وذهب عزهم ، أو لم يبق منهم إلا بقية . والبيتان من قصيدة فى المفضليات ١٥٩ — ١٦٤ .

وقال أبو دُوادٍ الإيادىُّ فى ذكر الصَّيد ، وذَكر فرَسه :

وأخذنا به الضرار وقلنا بحقير بنانه أضمار[1]

فأتانا يَسعَى تَفَرُّشَ أمِّ ال بَيضِ شَدًّا وقد تَعَالَى النهارُ[2]

غير جعف[3] أوابدٍ ونعامٍ ونعامٍ خِلالَها أثْوارُ

فى حوال العقارب[4] العمر فيها حين ينهضن[5] بالصباح عذارُ

ثم قال :

يتكشفن من صرائع ستٍّ قسِّمت بينهنَّ كأسٌ عُقَارُ

بين ربْدَاءَ كالمِظلَّةِ أفق وظليمٍ مع الظَّليم حمار[6]

ومهايين حربين ورِئال وسيوب كأنّه أوْتَارُ[7]

---

(١) كذا جاء البيت محرفا فى الأصل . س : « الضرا » . هـ : « فلسنا » موضع « وقلنا » . س : « بخفر » موضع : « بحقير » .

(٢) أم البيض ، عنى بها النعامة . والتفرش : أن ترفرف بجناحيها . فى الأصل : « وأتى يبتغى تفرس » ، صوابه فى المعانى الكبير ٧٧٥ واللسان والمقاييس (فرش) .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) كذا فى ط . وفى س ، هـ : « فى حو القارب » ، محرفتان .

(٥) س ، هـ : « ينهض » .

(٦) ربداء : أى نعامة رمادية اللون . والمظلة : بالكسر والفتح ، الكبير من الأخبية ، وقد جاء مثل هذا فى قول ذى الرمة ص ٣١١ :

* شخت الجزارة مثل البيت سائره *

وسيأتى مثله لذى الرمة ص ٣٦٨ . ط : « كالمصلتة » س ، هـ : « كالمظلة » صوابه ما أثبت . والأفق ، بضمتين : الرائع ، يقال للذكر والأنثى ، وقد سكن الفاء للشعر .

(٧) كذا فى س ، هـ . وفى ط :

ومهاتين حرس ورئال وسيوف كأنها أوتار

والنصان محرفان . وفى المعانى الكبير ٧٧٦ قطعة من البيت فقط « كأنه أوثار » . بالثاء المثلثة. قال ابن قتيبة : « قيل هو الثوب الأبيض المحشو ، وقيل : البرذعة » .

(شعر فى تشبيه الناقة بالظليم)

ووصف علْقمة بن عبدة ناقَته ، وشبّهها بأشياءَ منها[1] ثمّ أطنب فى تشبيه إيّاها بالظَّلِيم :

تلاحِظ السَّوْطَ شزْراً وهى ضامزة كما توجَّس طاوِى الكَشح مَوْشُومُ[2]

كأنَّها خاضب زُعْرٌ قوائمُه أجْنَى له باللِّوَى شَرْىٌ وَتنُّومُ[3]

يظلُّ فى الحنْظلِ الخطبان ينقفُه وما استَطَفَّ من التَّنُّوم مَخْذوم[4]

فُوه كشَقِّ العصاَ لأْياً تَبَيَّنُهُ أسَكُّ مايسمَعُ الأصواتَ مَصْلُومُ[5]

يكادُ منسمه يَختَلُّ مُقْلَتَهُ[6] كأنَّهُ حاذِرٌ للنَّخْس مَشهومُ[7]

---

(١) كذا . وقد تكون هذه الكلمة زائدة ، وقد تكون أصيلة يتلوها كلام سقط .

(٢) نظر شزراً : أى بمؤخر عينه . ضامزة ، بالزاى : أى ساكتة خائفة . س ، ه والديوان ١٣٠ : « ضامرة » وما أثبت من ط ، والمفضليات ٣٩٩ أجود . والتوجس : التسمع للصوت الخفى . س ، ه : « تزجر » ، محرف عما أثبت من ط ، والديوان ، والمفضليات . والموشوم : الذى فى ذراعيه خطوط . وعنى به الثور الوحشى . س ، ه : « مرشوم » ، محرف .

(٣) الخاضب : الظليم قد احمرت ساقاه . والزعر : القليلات الريش . ه : « ذعر » . مصحفة . روى فى المفضليات : « قوادمه » . والشرى : الحنظل . والتنوم : نبت . وأجنى : أى أدرك وأمكن من جنيه . س ، ه : « أحنى » صوابه فى ط والديوان وعيون الأخبار (٢ : ٨٧) والمفضليات ٣٩٩ حيث القصيدة .

(٤) الخطبان : بالضم والكسر : جمع خطبانة بالضم ، وهى الصفراء فيها خطوط خضر . فى الأصل : « الحبطان » صوابه فى الديوان والمفضليات واللسان (طفف) . ينقفه : يشقه ليستخرج لبه . واستطف : أى بدا للآخذ . والمخذوم : المقطوع . ه : « محدوم » وأثبت مافى ط ، س والمفضليات . ورواية الديوان : « محذوم » وهو المقطوع قطعاً وحياً .

(٥) لأيا تبينه ، أى لا تتبينه إلا بعد جهد ومشقة . ط : « لا يأتبينه » . س ، ه : « لأيايبنيه » صوابه من الديوان والمفضليات . والأسك : الأصم . والمصلوم : الصغير الأذنين أو المقطوعهما .

(٦) المنسم ، كمجلس : طرف خف النعامة . يختل مقلته : ينفذ فيها وينتظمها .

(٧) المشهوم : الفزع . س ، ه : « موسوم » س : « حازم النحيين » ه : =

حتى تذكَّرَ بَيْضَاتٍ وَهَيَّجَهُ ... يومُ رذاذٍ ، عليه الرِّيحُ مَغْيُومُ[1]

فلا تَزيُّدُه فى مَشْيِهِ نَفِقٌ[2] ... ولا الزَّفيفُ دُوينَ الشَّدِّ مَسْئُومُ[3]

يَأوِى إلى حِسْكِلٍ زُعْرٍ حَواصِلُها[4] ... كأنَّهنّ إذا بَرّكْنَ جُرثُومُ[5]

وضَّاعةٌ كعِصِيِّ الشِّرْعِ جُؤْجُؤُهُ ... كأنَّهُ بتناهى الرَّوْضِ عُلْجُومُ[6]

حَتى تَلافَى وقرنُ الشَّمْسِ مرتفعٌ ... أُدْحِىَّ عِرْسَيْنِ فيه البيضُ مَرْكُومُ[7]

= « حارم التبختر » تحريف ما أثبت من ط والديوان والمفضليات .

(١) فى المفضليات : « عليه الدجن » . هـ : « معتوم » .

(٢) التزيد : الزيادة . والنفق ، كفرح : المنقطع . س : « لغوا » . س ، هـ : « ولا تزيد وفى مشيه » ، صوابه فى ط والمصدرين السابقين .

(٣) الزفيف : المشى السريع . دوين ، تصغير دون : أى أقل . فى الأصل . « مشؤوم » صوابه فى المصدرين السابقين . س ، هـ : « إلا الرفيف دونه السك » ، محرف .

(٤) الحسكل ، كزبرج : الصغير من ولد النعام . س ، هـ : « درحق » صوابهما : « دردق » . فى الديوان : « حرق » .

(٥) الجرثوم : أصل الشجرة يجتمع إليه التراب . س ، هـ : « إذا ركبن مرثوم » .

(٦) الوضاع : الذى يعدو وضعا . والوضع : عدو سريع من عدو الإبل . وقد زاد التاء للمبالغة ، كما جاءت فى علامة ونسابة . والشرع ، بالكسر : جمع شرعة ، وهى وتر القوس أو العود . والجؤجؤ : الصدر . والتناهى : جمع تنهية ، وهى الأماكن المطمئنة لها من جوانبها ما يمنع الماء أن يخرج منها . والروض : جمع روضة . والعلجوم : البعير الطويل المطلى بالقطران . ولعمرى لقد دار علقمة على رأسه ، فشبه ناقته بالظليم ثم عاد فشبه الظليم بالبعير ، وقد دفعه إلى ذلك إفراطه فى الاستطراد . س ، هـ : « وصاعد كقصى الترع » و « بتناهى الروس » صوابه ما أثبت من ط والمفضليات والديوان .

(٧) تلافى ، بالفاء : أى تدارك . س ، والديوان : « تلاق » صوابه فى ط ، هـ والمفضليات واللسان (عرس) . والأدحى : موضع بيض النعامة . وأراد بالعرسين الذكر والأنثى . س : « أرحى عرينين » محرف . ومركوم : راكب بعضه بعضاً . هـ : « محجوم » ، ولا وجه له .

١١٩ يُومِي إليها بإنقاض وَنَقْنَقَةٍ كما تَرَاطَنُ فى أفْدانِهَا الرُّومُ(١)
صَعْلٌ ، كأنَّ جَناحَيْهِ وَجُؤْجُؤَهُ بيتٌ أطافَتْ به خَرْقَاءُ مَهْجُومُ(٢)
تحفُّهُ هِقْلَةٌ سَطْعاءَ خَاضِبَــةٌ تجيبُهُ بِزِمارٍ فيــه تَرْنِيمُ(٣)

(رؤيا النعامة)

الأصمعيّ ، قال : أخبرنى رجلٌ من أهل البَصرة قال : أرسلَ(٤) شيخ من ثقيفٍ ابنَه فلانا — ولم يحفظ اسمه — إلى ابن سِيرِينَ ، فكلمه بكلامٍ ، وأمُّ ابنِه هذا قاعدةٌ ، ولا يظنُّ أنّها تفطِنُ ، فقال له : يابنيَّ اذهبْ إلى ابن سِيرِينَ ، فقل له: رجلٌ رأى أنَّ له نعامةً تطحَن . قال : فقلت له ،

---

(١) يومى إليها : يشير . س ، هـ : « يرحى » صواب هذه : « يوحى » كما فى الديوان والمفضليات . والإنقاض : صويت مثل النقر . والنقنقة : صوت كصوت الدجاجة للبيض . وتراطن الروم : تكلموا برطانتهم . ويصح أن يكون حذف من الفعل إحدى التاءين تخفيفاً ، فيكون أصله : تتراطن . والأفدان : جمع فدن ، بالتحريك ، وهو القصر المشيد . هـ : « أفرايها » س : « أقرائها » ، صوابهما فى ط والديوان والمفضليات .

(٢) الصعل : الصغير الرأس . والجؤجؤ : الصدر . وخرقاء : أى ريح خرقاء لاتدوم على حال فى هبوبها . المخصص (٩ : ٨٧) . وفى الكامل ٤٤٩ : « والخرقاء : التى لا تحسن شيئاً ، فهى تفسد ماعرضت له » ، وفى اللسان : « وقال المازنى فى قوله : أطافت به خرقاء : امرأة غير صناع ، ولا لها رفق ، فإذا بنت بيتا انهدم سريعاً » . وتفسير ابن سيده أجود وأقرب . والمهجوم : المهدوم . وهو من صفة البيت الذى شبه به جناحى الظليم وجؤجؤه .

(٣) الهقلة : الفتية من النعام ، أو الطويلة الخرقاء . س ، هـ : « يحفه ىقلة » محرف . والسطعاء : الطويلة العنق . س ، هـ : « صعقاء » محرفة . والزمار ، بالكسر : صوت أنثى النعام .

(٤) س ، هـ : « أرسلنى » ، صوابه فى ط .

فقال : هذا رجلٌ اشترى جاريةً فَخَبَّأَهَا فى بنى حنيفة[1] . قال : فجئت أبى فأخبرتُه ، فنافَرَتْهُ أمِّى ، وما زالت به حتى اعترف أنّ له جارية فى بنى حنيفة .

وما أعرفُ هذا التأويل . ولولا أنّه من حديث الأصمعى مشهورٌ ما ذكرته فى كتابى .

(مسيلمة الكذاب)

وأمَّا قول الشاعرِ الهذلىِّ فى مسيلِمة الكذاب ، فى احتياله وتمويهه وتشبيهِ ما يحتال به من أعلام الأنبياء ، بقوله :

ببيضَة قَارُورٍ وَرَايَةِ شَادنٍ وتوصيلِ مَقصوصٍ من الطيرِ جادِفِ[2]

قال : هذا شعرٌ أنشدَنَاه أبو الزَّرقاء سَهْمٌ الخثعمى ، هذا [منذُ[3]] أكثرَ من أربعينَ سنة . والبيتُ من قصيدةٍ قد كان أنشدنيها فلم أحفَظْ منها إلاّ هذا البيت .

فذكر أنَّ مسيلمة طاف ، قبلَ التنبِّى ، فى الأسواق التى كانت بين دور العجم والعرَب ، يلتقُون فيها للتسوُّق والبِياعات[4] ، كنحو سُوق الأُبُلّة ، وسُوق بَقّة[5] ، وسوق الأنبار ، وسوق الحِيرة .

---

(١) أى فى حى بنى حنيفة .

(٢) الجادف من الطير : ما يطير وهو مقصوص ، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه ، كما يفعل الملاح بمجدافيه . وفى الأصل : « جائف » ، ولا وجه له .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى اللسان : « تسوق القوم : باعوا واشتروا » . س ، ه : « فيه » ه : « للسوق » ، محرفتان عما فى ط . والبياعات : الأشياء التى يتبايع بها فى التجارة .

(٥) بقة : اسم موضع قرب الحيرة كان ينزله جذيمة الأبرش . وفيه المثل : « ببقة خلفت الرأى» . ط ، ه : « لقة » س : « لفة » ، صوابه من معجم البلدان .

قال : وكان يلتمس تعلُّم الحِيَل والنِّيرَجَات(١) ، واختيارات النُّجوم والمتنبئين . وقد كان أحكَمَ حِيَل السَّدَنَةِ والحُوَّاءِ(٢) وأصحابِ الزَّجْر والخطّ(٣) ، ومذهبَ الكاهنِ والعَيَّاف(٤) والسَّاحر ، وصاحبِ الجنّ الذى يزعم أنّ معه تَابِعَهُ(٥) .

قال : فخَرَجَ وقد أحكم من ذلك أموراً . فمن ذلك أنّهُ صبّ على بيضَةٍ من خَلٍّ قاطع(٦) — والبيض إذا أطيل إنقاعُه فى الخلّ لانَ قشرُه الأعلى ، حتَّى إذا مددته استطال واستدقّ وامتدّ كما يمتدُّ العِلْكُ ، أو على قريب من ذلك — قال : فلمَّا تمَّ له فيها ما حاوَل وأمّل ، طَوّلها ثُمَّ أدخَلَها قارورةً ضيِّقةَ الرَّأسِ ، وتركها حتّى جفَّت ويبِست . فلمّا جفّت

(١) كذا فى الأصل . قال صاحب القاموس : « والنيرنج ، بالكسر : أخذ كالسحر وليس به »، وعقب عليه الشارح بقوله : « هكذا فى سائر النسخ ، والمنقول عن نص كلام الليث : النيرج ، بإسقاط النون الثانية » . وجاء فى المعارف ١٧٨ : « وكان صاحب نيرنجات » فهما مذهبان فى التعريب . وهو بالفارسية: «نيرنگ» .

(٢) السدنة : جمع سادن ، وهو خادم الكعبة ، أو خادم بيت الصنم . س : « السدانة » صوابه فى ط ، هـ . والحواء : جمع حاو . انظر ما سبق فى تحقيق هذه الكلمة فى التنبيه الرابع من ص ٢٦٩ .

(٣) الخط : ضرب من ضروب الكهانة ، يأتى صاحب الحاجة إلى الحازى فيعطيه حلوانا ، فيقول : اقعد حتى أخط لك . وبين يدى الحازى غلام له معه ميل له — أى قضيب — ثم يأتى إلى أرض رخوة ، فيخط الأستاذ خطوطاً كثيرة بالعجلة ، لئلا يلحقها العدد ، ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين ، فإن بقى من الخطوط خطان فهما علامة قضاء الحاجة والنجح ، وإن بقى واحد كان ذلك أمارة الخيبة ، وبينما الحازى يمحو يقول الغلام للتفاؤل : ابنى عيان ! أسرعا البيان ! .

(٤) العياف ، من العيافة ، بالكسر : وهى زجر الطير ، والتفاؤل بأسمائها ، وأصواتها ومرها .

(٥) هـ : « تابعة »، أى جنية تتبعه .

(٦) خل قاطع : أى شديد الحموضة .

انضمّت ، وكلما انضمّت استدارتْ ، حتى عادت كهيئتها الأولى . فأخرجها إلى مُجّاعَة[١] ، وأهل بيته ، وهم أعراب ، وادَّعى بها أعجوبةً ، وأنّها جُعلت له آية . فآمَنَ به في ذلك المجلس مُجّاعَة[٢] . وكان قد حمل معه ريشًا في لون ريشِ أزواجِ حمامٍ ، وقدكان يَراهُنَّ في منزل مُجّاعة مَقاصيصَ . فالتفت ، بعد أن أراهم الآيةَ في البيض إلى الحمام ، فقال لِمُجّاعَة : إلى كم ١٢٠ تعذِّب خَلْقَ الله بالقصِّ ؟ ! ولو أراد الله للطَّير خلافَ الطَّيَرانِ لَما خلَقَ لها أجنحةً ، وقد حَرّمْتُ عليكم قصّ أجنحة الحمام ! فقال لَهُ مُجّاعة كالمتعنت : فَسَل الذى أعطاك في البيضِ هذه الآية أنْ يُنبِتَ لك جَناحَ هذا الطائر الذَّكَرِ السَّاعةَ !

فقلت لسهم : أمَا كان أجوَدَ من هذا وأشبَهَ أنْ يقول : فَسل الذى أدْخَلَ لك هذه البيضة فَمَ هذه القارُورة أنْ يخرجها كما أدخَلها . قال : فقال : كأنَّ[٣] القَومَ كانُوا أعراباً ، ومثلُ هذا الامتحانِ من مُجّاعة كثير . ولَعَمْرِى إنَّ المتنبئَ لَيخدع[٤] ألفاً مثلَ قيس بن زهير[٥] ، قبل أن يَخْدَعَ

---

(١) هو مجاعة ، بضم الميم وتشديد الجيم ، ابن مرارة بن سلمى الحنفي اليمامى ، صحابى جليل ، كان من رؤساء بنى حنيفة، وأسلم ووفد . الإصابة ٧٧١٦ . وقد ذكره المرزبانى فى المعجم ٤٧٢ . وأثبت له الجاحظ بلاغة فى البيان (٤ : ٩٠) . وذكر المرزبانى أنه عاش إلى خلافة معاوية .

(٢) حدث هذا قبل أن يسلم مجاعة ، فلا تناقض . وكان مجاعة ممن أسره خالد بن الوليد يوم اليمامة ، فوجهه إلى أبى بكر الصديق ، فقال مجاعة من أبيات :

أترى خالداً يقتلنا اليو م بذنب الأصيفر الكذاب
لم ندع ملة النبى ولا نحـ ن رجعنا فيها على الأعقاب

(٣) ط ، هـ : « كان » ، وأثبت ما فى س .

(٤) ط : « يخدع » .

(٥) هو قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسى ، كان يلقب بقيس الرأى ؛ لجودة =

واحداً من آخِرِ المتكلمين ، وإن كان ذلك المتكلم لا يشقُّ غبارَ قيس فيما قيسٌ بسبيله .

قال مسيلمة : فإنْ أنا سألتُ الله ذلك ، فانتبِهْ له حتى يطيرَ وأنتم ترونَهُ ، أتعلمون أنى رسول الله إليكم ؟ قالوا[1] : نعم . قال : فإنى أريد أنْ أناجىَ ربِّى ، وللمناجاة خَلوةٌ ، فانهضوا عنِّى ، وإن شئتم فأدخلونى هذا البيت وأدخِلوهُ مَعِى[2] ، حتى أخرجه إليكم السَّاعةَ وافىَ الجناحَينِ يطير ، وأنتم ترونَهُ . ولم يكن القوم سَمِعُوا[3] بتغريز[4] الحمام ، ولا كان عندهم بابُ الاحتياط فى أمْر المحتالين . وذلك أن عُبَيداً الكيِّس[5] ، فإنّه[6] المقدَّم فى هذه الصناعة ، لو منعوه السِّتر والاختفاء . لَمَا وصل إلى شيءٍ من عمله جلّ ولا دَقَّ ؛ ولكان واحداً[7] من النَّاس . فلما خلا بالطائر أخرج الريش الذى قد هيَّأه ، فأدخل طرَفَ كلِّ ريشةٍ ممَّا[8] كانَ معه ، فى جَوف ريش الحمام المقصوص ، من عند المقطع والقَصِّ . وقَصَبُ[9]

= رأيه . وهو صاحب داحس التى راهن عليها حذيفة بن بدر صاحب الغبراء ، فلما سبق قيس تنازعا وشبت نار حرب داحس والغبراء فى الجاهلية .

(١) فى الأصل : « قال » ، والوجه ما كتبت .

(٢) ط : « فأدخلوه هذا البيت وأدخلونى معه » ، وأثبت ما فى س ، هـ . ومؤداهما واحد .

(٣) ط : « يسمعوا » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٤) تغريز الحمام : أى تغريز الريش فى جناحه . وأصله من تغريز النخل ، أى نقله من موضع إلى موضع . وهذا يقابل ما يعرف فى اصطلاح زراع مصر بالشتل ، بفتح الشين . ط : « بتغرير » هـ : « بتعزيز » ، وأثبت الصواب من س .

(٥) كذا فى الأصل . وفى أنساب ابن الكلبى من اسمه عبيد بن مالك بن شراحيل بن الكيس . انظر تاج العروس (كيس) .

(٦) ط : « فأته » س : « فاته » ، وصوابه فى هـ .

(٧) ط : « واجدا » .

(٨) ط : « كما » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٩) قصب الريش : أنابيبه . فى الأصل : « قضيب » محرفة .

الرِّيش أجوَفُ ، وأكثَرُ الأصـولِ حِدَادٌ وصلاب . فلما وَفَى الطَّائرَ ريشَهُ صارَ في العين كأنَّهُ بِرْذَوْنٌ موصولُ الذّنب ، لا يعرِف ذلك إلاَّ من ارتاب به . والحمام بنفسه قد كان له أصولُ ريشٍ ، فلما غُرِّزَتْ تمت[1] فلما أرسله من يده طار . وينبغي ألاَّ يكونَ فَعَلَ ذلك بطائرٍ قد كانوا قطوه[2] بعد أن ثبت عندهم . فلما فعل ذلك ازداد مَنْ كان آمَنَ به بصيرةً وآمَنَ به آخرون لم يكونوا آمنوا به ، ونزع منهم في أمْره[3] كلٌّ من كان مستبصِرًا في تكذيبه .

قال : ثمَّ إنَّهُ قال لهم — وذلك في مِثْل ليلةٍ مُنكَرَةِ الرِّيَاحِ مُظلمةٍ في بعض زمان البوارح[4] — إنَّ الملك عَلَى أن ينزل إليَّ[5] ، والملائكة تطير ، وهي ذوات أجنحة ، ولمجيء المَلَكِ زَجَلٌ وخشخشة[6] وقعقعة ، فمن كان منْكمْ ظاهرًا فَلْيَدْخُلْ منزلَه ؛ فإنَّ من تأمَّل اختطِفَ بصرُه ! ثم صـنَعَ رايةً من رايات الصِّبيان التي تعمل من الورق الصِّيني[7] .

---

(١) انظر التنبيه (٤) من الصفحة السابقة .

(٢) كذا في الأصل ، بالطاء . وقد تكون : « قصوه » .

(٣) أي صار في مذهبه ، وسار في نصرته .

(٤) البوارح : الرياح الشدائد التي تحمل التراب ، وخصها بعضهم بما كان منها في القيظ .

(٥) أي على وشك أن ينزل علي .

(٦) الخشخشة : صوت كصوت السلاح . ه : « حشحشة » بمهملتين ، وليس لها وجه .

(٨) من خواص الورق الصيني النعومة والحسن والرفق والرقة . انظر ثمار القلوب ٤٣١ . قال : « وذكر صاحب المسالك والممالك أنه وقع من الصين إلى سمرقند في سبي سباه زياد بن صالح في وقعه أطلخ — سنة ١٣٤ — من يصنع الكواغيد ثم كثرت الصنعة ، واستمرت العادة ، حتى صارت متجرا لأهل سمرقند » . وجاء في فهرست ابن النديم ٢١ ليبسك ٣١ مصر : « الورق الصيني ويعمل من الحشيش » .

١٢١ ومن الكاغَدِ[1] ، وتُجعَلُ لها الأذنابُ والأجنحة ، وتعلَّق فى صدورها الجلاجل[2] ، وترسَل يوم الرِّيح بالخيوط الطِّوال الصِّلاب .

قال : فبات القومُ يتوقَّعون نزولَ المَلَك ، ويلاحظون السَّماءَ ، وأبطأ عنهم حتَّى قام جلُّ أهلِ اليمامة ، وأطْنَبت[3] الرِّيح وقويت ، فأرسلها ، وهم لا يَرَوْنَ الخيوطَ ، واللَّيلُ لا يُبِينُ عن صورة الرَّقِّ[4] ، وعن دقَّةِ الكاغد . وقد توهَّموا قبل ذلك الملائكة . فلمَّا سَمِعُوا ذلك ورأوه تصارَخُوا وصاح : من صَرَفَ بصَره ودخلَ بيتَه فهو آمن ! فأصبح القومُ وقد أطبَقُوا على نصرتِه والدَّفعِ عنه . فهو قوله :

بِبَيْضَــةِ قَارُورٍ وَرَايَةِ شَـادنٍ وتوصيلِ مَقْصوصٍ من الطيرِ جادِفِ[5]

فقلت لسهم[6] : يكون مثلُ هذا الأمْرِ العجيب ، فَلاَ يقولُ فِيهِ شَاعرٌ ، ولا يَشِيعُ به خبر؟! قال : [أ[7]] وَكلما كان فى الأرض عجبٌ ، أو شىء

---

(١) الكاغد ، بفتح الغين ، كلمة فارسية أصلها صينى ، بمعنى القرطاس الذى يكتب فيه. والكاغذ لغة فيه . والقرطاس أيضاً معربة من اليونانى : χάρτης وتنطق : « خَارْطِيس » . انظر الألفاظ الفارسية لأدى شير ١٣٦ .

(٢) الجلاجل : جمع جلجل ، بجيمين ، وهو الجرس الصغير . س : « الخلاخل » ، محرفة .

(٣) أطنبت الريح إطنابا : اشتدت فى غبار . اللسان والقاموس . والكلمة محرفة فى الأصل فهى فى ط : « طلبت » ، وفى س ، هـ : « طابت » . أما الأولى فظاهرة التحريف ، وأما الثانية فإن معناها يناقض ما بعدها ، وهو « وقويت » إذ أن الريح الطيبة هى اللينة غير الشديدة .

(٤) الرق ، بالفتح ، ويكسر : الصحيفة البيضاء .

(٥) فى الأصل : « جائف » . وانظر شرح هذه الكلمة وتحقيقها فى ص ٣٦٨ حيث أنشد هذا البيت .

(٦) س : « لهم » محرفة . وسيترجم الجاحظ « سهما » فى ص ٣٧٩ .

(٧) ليست بالأصل .

غريبٌ ، فقد وجَبَ أن يشيع ذكرُه ، ويقالَ فيه الشِّعرُ ، ويجعلَ زمانُهُ تاريخاً ! أَلَسْنَا معشَرَ العربِ نزعُمُ أنَّ كسرى أبرويز ، وهو من أحرار فارسَ ، من الملوكِ الأعاظم ، وسليلُ ملوكٍ ، وأبو مُلوك ، مع حَزْمه ورأيه وكماله ، خطبَ إلى النُّعمان بن المنذر ، وإلى رجلٍ يرضى أن تكونَ امرأتُهُ ظِئرا لبعض ولدِ كسرى ، وهو عامله ، ويسمِّيه كسرى عبداً ، وهو مع ذلك أحَيْمِر أقَيْشِرُ ، إمَّا من أشلاء قصيّ بن معد ، وإما من عُرْض لخم . وهو الذى قالوا : تَزَوَّجَ مومسةً — وهى الفاجِرةُ ؛ ولا يقال لها مومسةٌ إلاَّ وهى بذلك مشهورة — وعَرَفها بذلك ، وأقام عليها ، وهُجِىَ بها ولم يَحفِلْ بهجائهم . وممَّا زاد فى شهرتها قصّة المرقش[1] . وناكها قُرَّة بن هُبيرة[2] حين سباها . فعلم بذلك وأقامَ عليها ، ثمّ لم يرضَ حتَّى قال لها : هل مَسَّكِ ؟ قالت : وأنت والله لو قَدَر عليك لَمَسَّك ! فلم يَرْضَ بها حتَّى قال لها : صِفيهِ لى . فوصَفَتْهُ حَتَّى قالتْ : كأنَّ شعر خَدَّيْهِ حَلَقُ الدِّرْع ! وبال على رأسه خلف بن نوالةَ الكنانى عامَ حَجّ ، وَنَصَّرَه عدىُّ بنُ

(١) هو المرقش الأصغر ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك ، أو عمرو ابن حنظلة بن سعد بن مالك، وهو ابن أخى المرقش الأكبر . واسمه عمرو — أو عوف — ابن سعد بن مالك . والمرقش الأصغر أشعر المرقشين وأطولها عمراً . والمعروف أنه عشق فاطمة بنت المنذر ، أخت النعمان لا زوجه . وقصتهما فى الأغانى (٥ : ١٨٣ — ١٨٤) . وفيها يقول — من قصيدة مفضلية مطلعها (انظر المفضليات ٢٤٤) — :

ألا يا اسلمى لا صرم لى اليوم فاطما ولا أبداً ما دام وصلك دائما

(٢) قرة بن هبيرة ، أحد بنى قشير ، وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأسلم . الإصابة ٧٠١٠ .

زيد بأحمقِ سَبَب[١] . وَخطَبَ أخوهُ المنذرُ إلى عبيدة بن همام ، فردّه أَقْبَحَ الرّدّ ، وقال[٢] :

أَتَوْنِى ولم أرْضَ ما بَيَّتوا[٣] وقد طَرَقُونى بأمرٍ نُكُرْ

لأنْكِحَ أيِّمَهُمْ مُنْذِراً وهل يُنْكِحَ العَبْدَ حُرٌّ لِحُرّ[٤]

ثمّ مع ذلك خطب إليه كسرى بعضَ بناتِه فرغِب بها عنه ، حتَّى كان ذلك سببَ هربه وعِلَّةً لقتله — فهل رَأيت شاعرًا فى ذلك الزَّمان ١٢٢ مع كثرة الشعراء فيه ، ومع افتخارهم بالذى[٥] كان منهم فى يوم جَلُولَى[٦] ويومِ ذى قار ، وفى وقائع المثنَّى بن حارثة ، وسعد بن أبى وقَّاص — فهل سَمِعْتَ فى ذلك بشعرٍ صحيحٍ طَرِيف[٧] المخرج ، كما سمعته فى جميع مفاخرهم ممّا لايدانى هذا المفخَر[٨] ؟ !

---

(١) نصره تنصيراً: أدخله فى النصرانية . وانظر خبر تنصير عدى بن زيد للنعمان بن المنذر فى الأغانى (٢ : ٣٢ — ٣٣) .

(٢) البيتان بدون نسبة فى الكامل ٤٤٦ ليبسك . ونسبا فى اللسان (نكر) إلى الأسود ابن يعفر .

(٣) ما بيتوا : أى مادبروه وفكروا فيه ليلا . هـ : « بينوا »، محرفة .

(٤) جعل أخا المنذر عبداً ، فقال : وهل يزوج الحر عبداً مثل أخى المنذر لحر مثل المرأة التى خطبها . فى الأصل : « حرا بحر » ، وصوابه من الكامل .

(٥) س ، هـ : « فى الذى » .

(٦) المعروف : « جلولاء » بالمد ، لكنها قد قصرت فى الشعر ، فنه قول القعقاع ابن عمرو :

ونحن قتلنا فى جلولا أثابرا ومهران إذ عزت عليه المذاهب

ويوم جلولاء الوقيعة أفنيت بنو فارس لما حوتها الكتائب

قال ياقوت : « فقصرها مرة ومدها أخرى » . وهى طسوج من طساسيج السواد . وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦ وقتلوا منهم مائة ألف فيما يروون .

(٧) س ، هـ : « ظريف » بالمعجمة .

(٨) ط ، س : « المفتخر » .

ولقد خَطَبَ بَعْضُ إخْوَتِهِ[(١)] إلى رجالٍ من نِزار ، من غير أهل البيوتات ، فرغبوا عنهم .

وأمّ النعمان سَلْمَى بنت الصَّائغ[(٢)] : يهوديّ من أنباط الشام ، ثمَّ كان نَجْلُهُ[(٣)] لفِعلٍ غيرِ محمود .

وقد قال جَبَلَةُ بن الأيْهم[(٤)] ، لحسَّان بن ثابت : قد دَخَلْتَ عليَّ ورأيتَنى ، فأينَ أنا من النّعمان ؟ قال : واللهِ[(٥)] . . . .

[فالنّعمان[(٦)]] مع هذه المثالب كلِّها قد رَغِبَ بنفسه[(٧)] عن مصاهرة كِسْرَى ، وهو من أنْبَهِ الكسور[(٨)] . وكما[(٩)] كان أَبْرَوِيزُ أعْظَمَ خَطَرًا ،

---

(١) ط ، ه : « إخوانه » . ولم يفصل صاحبا القاموس والمصباح بين الاثنين ، لكن جاء فى اللسان : « وأكثر ما يستعمل الإخوان فى الأصدقاء ، والإخوة فى الولادة » .

(٢) اسمه عطية ، كما فى الأغانى (٩ : ١٥٨) . وفى البيان (٣ : ٢٤٦) : « سلمى بنت عقاب » .

(٣) نجله ، أى ولادته . ط ، ه : « بخله »، صوابه فى س .

(٤) هو جبلة بن الأيهم الغسانى ، آخر ملوك الغساسنة بالشام . أسلم ثم تنصر فى أيام عمر بن الخطاب . وحديثه مع حسان معروف . الأغانى (١٤ : ٢) والعمدة (٢ : ١٧٨) والخزانة (٤ : ٢٩٧ — ٣٠٣ سلفية) . وفى الأصل : « خلف » محرف عما أثبت .

(٥) فى الكلام نقص ، تقديره كما فى الأغانى (١٤ : ٣): « ... لقفاك خير من وجهه ، ولشمالك خير من يمينه ، ولأخمصك خير من رأسه ، ولخطؤك خير من صوابه ، ولصمتك خير من كلامه ، ولأمك خير من أبيه ، ولخدمك خير من قومه » . كما أن صاحب الحديث (فى الأغانى) هو عمرو بن الحارث الأعرج ، لاجبلة .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) س : « قد ترغب بنفسه » .

(٨) الكسور : جمع كسرى : اسم للملك الفرس ، معرب « خُسْرَوْ » أى واسع الملك . ويجمع كسرى أيضاً على أكاسرة ، وكساسرة ، وأكاسر ، انظر القاموس . وجاء فى س فقط : « الأكاسرة » . وكسرى الذى يعنيه الجاحظ ، هو كسرى أبرويز . وانظر (٧ : ١١٢) .

(٩) فى الأصل : « وكلما » .

كانَتْ أَنَفَتُهُ[١] أَفْخَرَ للعَرَبِ ، وأدلَّ على مايدَّعون من العلوِّ فى النسب وكان الأمر مشهوداً ظاهراً ، ومُرَدَّدًا[٢] على الأسماع مستفيضا . فإذْ قد تهيَّأ أن يكون مثلُ هذا الأمر الجليل ، والمفْخرِ العظيم ، والعربُ أَفْخَرُ الأمم ، ومع ذلك قد أغفلوه — فشَأنُ مسيلمةَ أحقُّ بأن يجوزَ ذلك عليه .

وأنشدنى يوسفُ لبعضِ شعراءِ بنى حَنِيفة ، وكان[٣] يُسَمَّى مُسَيْلِمَةَ وَيُكْنَى أبا ثُمامة :

لهفى عَلَيْكَ أبا ثُمامَهْ　　لهفى على رُكْنَىْ شمامَهْ[٤]

كم آيةٍ لأبيهِمُ[٥]　　كالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ غَمامَهْ

وقد كتبنا قِصَّتَهُ وَقِصَّةَ ابن النَّوَّاحَةِ (فى كتابنا الذى ذكرنا فيه فَصْلَ ما بين النبىِّ والمتنبى) وَذَكَرْنَا جميعَ المتنبئين ، وشأنَ كلِّ واحدٍ منهم على حِدَتِهِ ، وبأىِّ ضربٍ كان يَحتالُ ، وَذَكَرْنَا جملةَ احتيالاتِهِمْ ، والأبوابَ التى تدور عليها مَخاريقهم[٦] . فإنْ أردتَ أَنْ تعرفَ هذا البابَ فاطلبْ هذا الكتاب ؛ فإنهُ موجود .

---

(١) أى أنفة النعمان من مصاهرة كسرى . ط ، هـ : « ألفته »، س : « الفتنة » . والأوضح ما أثبت .

(٢) فى الأصل : « ومورورداً » . ولا تتجه .

(٣) أى كان مسيلمة .

(٤) فى المعارف ١٧٨ : « على ركنى شهامة » .

(٥) كذا . ورواية المعارف : « كم آية لك فيهم » .

(٦) المخاريق : يراد بها تلك الألاعيب التى يلجأ إليهم المشعوذون . واحداها مخراق . قال التبريزى فى شرح المعلقات ٢٢١ : « قيل المخاريق : ما مثل بالشىء وليس به نحو ما يلعب به الصبيان » . وانظر التنبيه والإشراف ٢٤٠ س ١٩ والحيوان (١ : ١٠) .

(هجاء النعمان)

وقد هجا عبدُ القيس بنُ خُفَافٍ البُرْجُمِيُّ[1] ، النُّعْمَانَ بن المنذر ، فى الجاهليَّةِ ، وذكر ولادة الصائِغِ[2] [له] فقال :

لَعنَ اللهُ ثمَّ ثنَّى بِلَعنٍ ابنَ ذا الصَّائغِ ، الظلومَ الجهولا[3]
يجمعُ الجيشَ ذا الألوفِ ويغزُو ثمَّ لا يرزأُ العدُوّ فَتِيلا[4]

(سَهْمٌ الحنفى)

وكان سَهْمٌ الحنفيُّ يلى طَبَرَسْتان[5] ، لمعن بن زائِدة[6] ، مع حداثة سنه يومئذ ، وكان له مروءةٌ وَقَدْرٌ فى نفسه .

---

(١) عبد القيس بن خفاف البرجمى ، نسبة إلى البراجم : قبيلة من تميم . شاعر جاهلى ، وله خبران مع حاتم الطائى والنابغة الذبيانى . والخبر الأول فى الأغانى (٧ : ١٤٥ — ١٤٦) ومعجم المرزبانى ٣٢٥ . وأما خبره مع النابغة فهو أنه هو ومرة بن سعد بن قريع عملا هجاء فى النعمان على لسان النابغة — وهما البيتان الآتيان مع ثالث متوسط بينهما — فأفسد ذلك على النابغة أمره عند النعمان . الأغانى (٩ : ١٥٨) . وقد ذكره المرزبانى باسم (قيس) حيث ذكره فى من اسمه قيس . والمعروف عبد القيس كما فى الأغانى ونوادر أبى زيد ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٦ والمفضليات ٣٨٣ والحماسة (١ : ١١٣) . وفى الأصل : « عبد القيس خفاف » ، بإسقاط « بن » ، وصوابه ما أثبت . ويقال فيه أيضاً : « عبد قيس » .

(٢) ط : « والده الصائغ » ، س : « ولادة الصائع » ، صوابهما فى ه .

(٣) روى ابن قتيبة فى الشعراء ١١٢ ، ١١٧ « قبح الله » . وروى هو وصاحب الأغانى (٩ : ١٥٨) : « وارث الصائغ الجبان الجهولا » .

(٤) يرزؤه : ينقصه . ط : « يرزء » س : ه « يرز » ، صوابهما ما أثبت من الأغانى . والفتيل : الهنة التى فى شق النواة . ه ، س : « قليلا » . والأجود ما أثبت من ط و الأغانى .

(٥) طبرستان بفتح الطاء والباء وراء مكسورة : بلاد جنوبى بحر طبرستان ، المعروف أيضاً ببحر الخزر . انظر خريطة الممالك الإسلامية .

(٦) معن بن زائدة الشيبانى ، أحد أجواد العرب وفرسانهم . وكان فى أيام بنى أمية =

(كثرة الشعر وقلته فى بعض قبائل العرب)

وبنو حنيفة مع كثرة عددهم ، وشِدّةِ بأسهم ، وكثرة وقائعهم ، وَحَسَدِ العربِ لهم على دارهم وتُخومهم وَسْطَ أعدائهم ، حتى كأنهم وَحْدَهُمْ[1] يعدِلون بَكْراً كلها — ومع ذلك لم نَرَ قبيلةً قَطُّ أقلَّ شعراً منهم . وفى إخوتهم ١٢٣ عِجْلٍ قَصِيدٌ وَرَجَزٌ ، وَشُعَرَاء ورَجّازون . وليس ذلك لمكانِ[2] الخِصْب وأنّهم أهلُ مَدَر ، وأكّالو تمرٍ[3] ؛ لأنّ الأوْسَ والخزْرَج كذلك ، وهم فى الشعر كما قد علمت . وكذلك عبدُ القيس النّازلة قرى البحْرين[4] ، فقد تعرفُ أنّ طعامَهم أطيبُ[5] من طعام أهل اليمامة .

وثقيفٌ أهلُ دارٍ ناهيك بها خِصْباً وطِيباً ، وهم وإن كان شعرُهم أقلَّ ، فإنَّ ذلك القليلَ يدلُّ على طبْعٍ فى الشعر عجيب . وليس ذلك مِنْ

= متنقلا فى الولايات ، ومنقطعاً إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى ، أمير العراقين ، فلما انتقلت الدولة إلى بنى العباس ، وجرى بين أبى جعفر المنصور وبين يزيد ابن عمر ما جرى ، من محاصرة واسط ، أبلى معن مع يزيد بلاء حسنا . فلما قتل يزيد هرب معن خوفا من المنصور ، ثم دخل معن فى شيعة المنصور وصار من خواصه . وقتل معن بسجستان ، إذ كان واليا عليها ، سنة اثنتين ، أو ثمان وخمسين ومائة . ورثاه مروان بن أبى حفصه بمرثية ، هى من عيون الشعر العربى . وفيات الأعيان والأغانى وتاريخ بغداد ٧١٢٧ .

(١) ط : « وأحدهم » ، صوابه فى س ، هـ .

(٢) ط : « المكان » ، صوابه فى س ، هـ

(٣) أكالو تمر : أى لهم نخيل يأكلون تمرها . ط : « آكالو تمر » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٤) البحرين ، تلك البلاد الواقعة على بحر فارس . ط : « البحر » ، والوجه ما أثبت من س ، هـ .

(٥) فى الأصل : « أخبث » . وهو عكس المراد .

قِبَلِ رداءة الغِذاء ، ولا من قِلّة الخِصب الشّاغل والغِنى[1] عن النّاس ؛ وإنّمَا ذلك عن قدْر ما قسَمَ الله لهم من الحظوظ والغرائزِ ، والبلادِ والأعراقِ مكانَها .

وبنو الحارث بن كعب قبيلٌ شريفٌ ، يجرون مَجارِىَ ملوك اليمن ، ومجارىَ ساداتِ أعراب أهْلِ نَجْدٍ ، ولم يكن لهم فى الجاهليَّة كبيرُ حَظٍّ فى الشعر . ولهم فى الإسلام شعراءُ مفْلِقُونَ .

وبنو بَدْرٍ كانوا مفْحَمين[2] ، وكان ما أطلق الله به ألسنةَ العرب[3] خيرا لهم من تصيير الشعر فى أنفسهم .

وقد يَحْظى[4] بالشعر نَاسٌ ويخْرُج[5] آخَرون ، وإن كانوا[6] مثلهم أو فوقهم . ولم تُمْدَح[7] قبيلةٌ فى الجاهليَّة ، من قُريش ، كما مُدحت

---

(١) فى الأصل : « والغنا » .

(٢) فى القاموس : « المفحم كمكرم : العيى ومن لا يقدر يقول شعراً » ، كذا جاءت العبارة .

(٣) أى ماأطلق به ألسنة الشعراء فى مديحهم، فمن ذلك قول حاتم الطائى (الأغانى ١٦ : ١٠٤ والديوان ١١٦) :

إن كنت كارهة معيشتنا هاتا فحلى فى بنى بدر
جاورتهم زمن الفساد فنعـ ـم الحى فى العوصاء واليسر
فسقيت بالماء النمير ولم ينظر إلى بأعين خزر
الضاربين لدى أعنتهم والطاعنين وخيلهم تجرى
والخالطين نحيتهم بنضارهم وذوى الغنى منهم بذى الفقر

وانظر مديح دريد بن الصمة لهم فى ٣٥٨ .

(٤) ط ، هـ : «يحظا» ، س : «يخطأ» ، صوابهما ما أثبت .

(٥) كذا فى س ، ط ؛ وفى هـ : « يحرح » ، وربما كانت : « يحد » أى يسوء حظه .

(٦) س ، هـ : « كان » ، صوابه فى ط .

(٧) س ، هـ : « يمدح » .

مخزوم . ولم يتهيَّأ من الشَّاهد والمثل لمادح فى أحدٍ من العرب ، ما تهيَّأ لبنى بدر .

وقد كان فى ولد زُرارة[١] لصُلبه ، شعر كثير ، كشعر لقيط[٢] وحاجبٍ[٣] وغيرهما من ولده . ولم يكن لحذَيفة ولا حِصْن ، ولا عيينَة ابنِ حِصن ، ولا لحمَل بنِ بدْر — شِعْرٌ مذكور .

(حظوة الخلفاء والولاة بالشعر)

وقد كان عبدُ العزيز بن مَرْوَانَ أَحْظَى[٤] فى الشعر من كثير من خلفائهم . ولم يكنْ أحَــدٌ من أصحابنا ، من خُلفائنا وأئمتنــا ، أحْظَى

(١) هو زرارة بن عدس ، بضمتين ، ابن زيد . جد جاهلى . بنوه بطن من بنى دارم . وكان حكيما من قضاة تميم .

(٢) لقيط بن زرارة ، شاعر فارس من فرسانهم ، وله خبر فى يوم رحرحان ، وكان من الرؤساء فى يوم جبلة ، وقتل فى ذلك اليوم وجعل يقول عند موته :

يا ليت شعرى عنك دختنوس ... إذا أتاك الخبر المرموس

أتحلق القرون أم تميس ... لا بل تميس إنها عروس

دختنوس : بنته . وكان جبلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة . الأغانى (١٠ : ١٩ - ٤٤) . ط : « شعراء كلقيط » ، س : « شعرا كثيراً كشعر لقيط » . هـ : « شعراً كثيراً لقيط » ، وقد وجهت القول بما ترى .

(٣) وكان حاجب بن زرارة من رؤســاء يوم جبلة . وقد عاش إلى أن وفد على الرسول وأسلم وبعثه على صدقات بنى تميم . وهو الذى رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفى به . الإصابة ١٣٥٥ . وانظر قصة (قوس حاجب) فى بلوغ الأرب (١ : ١٢٥) فهى ممتعة . وممن رهن من العرب قوسه أيضاً ، سيار ابن عمرو بن جابر الفزارى ، احتمل للأسود بن المنــذر دية ابنه الذى قتله الحارث بن ظالم ، ألف بعير ، وهى دية الملوك ، ورهنه بها قوسه . انظر العقد (٣ : ٣١١ - ٣١٢) .

(٤) إشارة إلى المدائح الكثيرة الجيدة التى مدحه بها نصيب الشاعر ، وكذا عبد الله بن قيس الرقيات . ط ، س «أخطأ» ، هـ : «أحظا» ، صوابهما ما أثبت من العمدة (٢ : ١٤٨) حيث نقل عن الجاحظ نقلا كاملا .

فى الشعر من الرَّشيد[1] . وقد كان يزيد بن مَزْيَد[2] وعمُّه[3] ، ممَّن أحْظَاهُ[4] الشِّعْرُ .

وما أعلمُ فى الأرض نعمة بَعْدَ وِلاَيَةِ اللهِ أعْظَمَ من أنْ يكونَ الرَّجُلُ ممدوحاً .

الصُّمُّ من الحيوان

تقول العرب : ضربانِ من الحيوانِ لا يَسمعان الأصوات . وذلك عامٌّ فى الأفاعى والنَّعام .

واعتدَّ من ادَّعى للنّعام الصَّمَمَ بقول عَلْقَمة :

فُوهُ كَشَقِّ العَصاَ لأْياً تبيَّنُهُ   أَسَكُّ مايَسْمَعُ الأصْوَاتَ مَصْلومُ[5]

---

(١) وأما هارون الرشيد فقد أطنب فى مدحه أبو العتاهية ، وإبراهيم الموصلى ، وإسحاق الموصلى ، ومروان بن أبى حفصة ، والعتابى ، وابن مناذر ، وأشجع السلمى ، ومنصور النمرى ، ونصيب الأصغر وغيرهم . ط ، س : « أخطأ » هـ : « أحظاه » . والوجه فيهما ما كتبت .

(٢) يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى : أمير شجاع ، ندبه هارون الرشيد لقتال الوليد ابن طريف الشارى الخارجى ، فقتله وعاد إلى أرمينية ، حيث كان والياً عليها . توفى سنة ١٨٥ .

(٣) عمه ، هو معن بن زائدة الشيبانى ، الذى سبقت ترجمته فى ص ٣٧٩ — ٣٨٠ .

(٤) حظى يزيد بن مزيد بمديح مسلم بن الوليد ومنصور النمرى . ورثاه أبو موسى التيمى بمرثية سمعها الرشيد فبكى بكاء اتسع فيه ، حتى لو كانت بين يديه سكرجة لملأها من دموعه . الأغانى (١٨ : ١١٦ — ١١٧) . وأما عمه فقد حظى بمديح مروان بن أبى حفصة ، ومطيع بن إياس ، وعلى بن خليل ، والحسين ابن مطير ، وغيرهم . فى الأصل : « أخطأه » ، صوابه ما أثبت . وأحظاه : جعله ذا حظوة .

(٥) تقدم شرح هذا البيت فى ص ٣٦٦ . هـ : « يبينه » . س : « أسد » هـ : « أشد » كل منهما بدل « أسك » محرف .

قال[١] : ولا يصلح أن تكون « ما » فى الموضع الذى ذَكَر[٢] لأنَّ ذلك يصير كقول القائل : التمر حلو ، والثَّلج بارد ، والنّـار حارَّة . [و[٣]] لا يحتاج إلى أن يُخبر أنَّ الذى يُسْمَعُ هـذا الصَّوتُ ؛ لأنهُ لا مسموعَ إلاَّ الصَّوت .

قال خصمه : فقد قال عَلْقَمَةَ بن عَبَدَة

حَتَّى تلافَى وقرنُ الشَّمْسِ مرتفعٌ   أدحىَّ عِرْسَيْنِ فيه البَيضُ مَرْكومُ[٤]

يوحِى إليها بإنقاض وَنَقْنَقَةٍ   كما تَرَاطَنُ فى أفدانها الرُّومُ[٥]

١٢٤ ثم قال :

تحفُّهُ هِقْلةٌ سفعاء خاذلة   تجيبهُ بزِمارٍ فيه تَرنيمُ[٦]

واحتجَّ من زعم أنها تسمع ، بقوله[٧] :

وصُحْمٍ صِيَامٍ بينَ صَمْدٍ ورِجْلَةٍ   وَبَيْضٍ تُوَّامٍ بينَ مِيثٍ وَمِذْنَبِ[٨]

---

(١) القائل هو الجاحظ ، ينقد البيت .

(٢) س : « فى موضع الذى » ، مع حذف كلمة « ذكر » . ط : « فى الموضع لذى ذكر » ، صوابهما ما أثبت من هـ .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) سبق شرح هـذا البيت فى ص ٣٦٧ . س : « أرخى » هـ : « أرحى » محرفتان .

(٥) سبق شرحه فى ص ٣٦٨ . س : « فى أندائها » . وهى صحيحة ؛ فالأنداء : جمع النادى ، وهو مجتمع القوم . انظر اللسان . هـ : « أبدائهـا» ، محرفة عن سابقتها .

(٦) سبق شرحه فى ص ٣٦٨ . والسفعاء : السـوداء . هـ : « صفعاء » س : « صنعا » ، محرفتان عما فى ط . وخاذلة : مقيمة على ولدها .

(٧) هو لبيد . اللسان (صحم) .

(٨) الصحم : جمع أصحم ، وهو ماف لونه غبرة . وقد عنى بها الحمير ، كما فى اللسان . ط ، هـ : « ضخم » س : « صخم » محرفتان . والصتام : جمع صتم ، بالفتح ، وهو الغليظ الشديد ، وفى الأصل : « صنام » بالنون . وفى اللسان : =

مَتى مَا تَشَأْ تَسْمَـعْ عرارًا بِقَفْرَةٍ ... يُجِيبُ زِمَارًا كالْيَرَاعِ الْمُثَقَّبِ (١)

وقال الطِّرِمَّاح :

يدعو الْعِرَارُ بهـا الزِّمَارَ كأنَّهُ ... أَلِمٌ تجاوبُه النِّساءُ الْعُـوَّدُ (٢)

قال : وصَوْتُ النعامة الذَّكر : الْعِرارُ (٣) . وصوت الأنثى : الزِّمَار .

وأنشدَ الذى زَعَمَ أنَّهَا لا تسمع (٤) ، قولَ أسامَـةَ بنِ الحارث الهذلىِّ (٥) :

تذَكَّرْتُ إِخْوانى فَبِتُّ مُسَهَّـداً ... كما ذكرت بَوًّا من اللَّيل فاقِدُ (٦)

= « صيام » . وأثبت تصحيح ما فى الأصل . و « صمد » بالفتح ، و « رجلة » بالكسر : موضعان . وفى الأصل : « بين ضمر ورجله » تصحيحه من اللسان .

وبيض توأم : أى أزواج . والميث ، بالكسر : جمع ميثاء ، وهى الأرض السهلة . والمذنب ، كمنبر : مسيل الماء .

(١) العرار ، بالكسر : صياح الظليم . وفى الأصل : « عوارا » محرفة . والزمار ، بالكسر : صوت أنثى النعام . فى الأصل : « تجيب زمارا » ، صوابه ماأثبت . وسيعاد البيت فى ص ٤٠٠ .

(٢) يدعو ، هنا ، بمعنى يجيب ، كما فى شرح الديوان ٨٩ . وفى الأصل : « العوار » صوابها فى الديوان . والألم : الذى أصابه الألم . يقال رجل ألم ووجع — كلاهما كفرح — وفى الأصل : « أيم » ، تصحيحه من الديوان .

(٣) فى الأصل : « العوار » محرفة .

(٤) فى الأصل : « الذى زعم الهذلى أنها لاتسمع » . وكلمة « الهذلى » مقحمة بلا ريب .

(٥) ذكره المرزبانى فى معجمه وقال : مخضرم . الإصابة ٤٤٢ .

(٦) مسهد : من السهاد ، وهو الأرق . والبو : ولد الناقة . والفاقد : التى فقدت ولدها . س : « ذكر برأ » هـ : « ذكرت برا » ط : « ذكرت بردا » وفى الجميع : « فاقداً » بالنصب . وكل ذلك تحريف ، صوابه ما أثبت موافقا مافى بقية أشعار الهذليين (٢ : ١٠٦) .

لعمرى لقد أَمْهَلتُ فى نَهْىِ خالدٍ عَنِ الشَّامِ إمَّا يَعْصِيَنَّكَ خالدُ[1]

وَأَمْهَلْتَ فى إخوانه فكأَنَّما تَسَمَّع بالنَّهْىِ النَّعامُ الْمُشَرَّدُ[2]

وقال الذى زعم أنَّها تسمع : فقد قال الله عزَّ وجَلَّ : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾. ولو عنَى أنَّ عَماهم كعمى العُمْيان ، وصممَهم كصمَمِ الصُّمّان ، لما قال : ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ وإنّما ذلك كقوله : ﴿ إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ . وكيف تُسمِعُ المدبرَ عنك ! ولذلك يقال : « إنَّ الحبَّ يُعمِى ويُصِمُّ » . وقد قال الهذلىُّ :

* تَسمَّعَ بِالنَّهْىِ النَّعَامُ الْمُشَرَّدُ[3] *

والشارد النافر عنك لا يوصف بالفهم . ولو قال : تسمع بالنَّهْى ، وسكت — كان أبلغَ فيما يريد . وهو كما قال الله تعالى : ﴿ وَلاَ تُسْمِعُ الصمَّ الدُّعَاءَ إذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ . قال الرَّاجز :

رِدِى رِدِى وِردَ قَطَاةٍ صَمّا[4] كُدْرِيَّةٍ أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَا[5]

(١) فى الأصل : « خالداً » ، صوابه ما أثبت من اللسان . وفى الأصل أيضاً : « إلى الشام » ، تصحيحه من اللسان (مهل) وبقية أشعار الهذليين . وأول البيت فى ه : « وإنى قد أمهلت » . وأمهلت : بالغت . يقول : إن عصانى فقد بالغت فى نهيه.

(٢) تسمع : أى أصغى ليسمع . ويروى : « يُسَمَّعُ » . والنعام المشرد لا يصغى إلا ريثما يشرد ، وذلك لنفوره وتوحشه . فى الأصل : « المشردا » ، وصوابه ما أثبت .

(٣) فى الأصل : « المشردا » . وانظر التنبيه السابق .

(٤) يخاطب ناقته . والرجز فى الوساطة ٣٠١ حيث استشهد به على أن المتنبى سرق منه قوله : * ورود قطا صم تشايحن فى ورد * وانظر الاستدراكات .

(٥) الكدرية : واحدة الكدرى ، وهو ضرب من القطا غبر الألوان ، رقش الظهور ، صفر الحلوق . س ، ه : « كردية » ، تحريف طيب، صوابه فى ط —

أى لأنها [لا[1]] تسمع صوتاً يَثنيها ويَرُدُّهَا[2] .

وأنشد قول الشاعر :

دَعَوْتُ خُلَيْدًا دَعْوَةً فَكأنما[3] دعوت به ابنَ الطَّوْدِ أَوْ هُو أَسْرَعَ

والطَّود : الجبل . وابنُهُ : الحجر الذى يَتَدَهْدَهُ[4] منه ، كقوله[5] :

* كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ[6] مِنْ عَلِ *

وقال الرَّاجز :

وَمَنْهَلٍ أَعْوَرِ إِحْدَى الْعَيْنَيْنْ[7] بَصِيرِ الأُخْرَى وَأَصَمِّ الأُذْنَيْنْ[8]

= والوساطة واللسان (صمم) وشرح محب الدين أفندى لشواهد الكشاف . استشهد به الزمخشرى عند قوله تعالى : « ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا » من سورة مريم .

(١) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٢) وفى اللسان : « لسكك أذنيها . وقيل لصممها إذا عطشت »، ووجهه محب الدين أفندى بأنها لاتسمع صوت القانص حتى تنفر . وهو تعليل جيد .

(٣) فى اللسان (مادة طود) : « جليداً » . وفى أساس البلاغة : « كليبا » س ، ط : « وكأنما »، وأثبت مافى ﻫ واللسان والأساس .

(٤) يتدهده : يتدحرج . س ، ﻫ : « يمد هذا » ، ولعل هذه الأخيرة محرفة عن « يتدهدى » ، وهى لغة فى يتدهده .

(٥) هو امرؤ القيس ، من معلقته . وصدره :

* مكر مفر مقبل مدبر معا *

(٦) ط : « السيد »، وهو على الصواب فى س ، ﻫ .

(٧) المنهل : منزل السفار على الماء . أعور إحدى العينين : أى فيه بئران غاضت إحدهما .

(٨) بصير الأخرى : أى أن البئر الأخرى بها ماء . وفى الأصل : « بصيرة » تصحيحه من اللسان (عور) . والرواية فيه : « بصير أخرى » . وأصم الأذنين : أى ليس يسمع فيه صدى الصوت . فى الأصل: « أصم » بدون واو، وهى ضرورية لوزن الشعر . والبيت من مشطور السريع .

١٢٥ كأنَّهُ كانَ فى ذلك المنهَل بِيرَانِ[1] ، والآبارُ أعينٌ ، فَغُوِّرَتْ إحدى البِيرَين[2] وتُركت الأخْرى .

وقوله : « أصَمُّ الأُذنَيْنِ » لِمَا[3] أنْ كان عنده[4] فى الأرض فَضاءٌ وَخَلاءٌ[5] ، حيث لايسمع فيه صوت ، جعله أنْ[6] كان لايسمَعُ صوتاً أصمَّ ؛ وإنْ كان ذلك لفقْدِ الأصْواتِ .

(شاهد من الشعر لسمع النعامة)

قال : وقد قال الحارثُ بن حِلِّزَةَ[7] قولاً يدلُّ على أنها تسمع[8] ، حيث قال :

ولقد أسْتَعِينُ يوماً على الهـ مِّ إذا خفَّ بالثَّوِىِّ الثَّوَاءُ[9]

(١) كذا جاءت فى الأصل ، بتسهيل الهمزة .

(٢) كذا بالتسهيل .

(٣) ط : « لا » ، وصوابه فى س ، هـ .

(٤) أى عند المنهل .

(٥) فى الأصل : « فضل وخلا » ، وصوابه ما أثبت .

(٦) أى لأن . وحذف الجار مطرد فى مثل هـذا . ط : « إذ » ، وأثبت ما فى س ، هـ .

(٧) الحارث بن حلزة ، شاعر جاهلى من بنى يشكر . والأبيات الآتية من معلقته المشهورة ، التى قال فيها أبو عبيدة : « أجود الشعراء قصيدة واحدة جيدة طويلة ، ثلاثة نفر : عمرو ابن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وطرفة بن العبد » .

(٨) فى الأصل : « لا تسمع » ، وهو خلاف المراد .

(٩) الثوى : المقيم . والثواء ، هكذا جاءت بالأصل . والصواب : « النجاء » ، وهى السرعة . وأما « الثواء » فهى قافية لمطلع المعلقة :

آذنتنا ببينها أسمـاء رب ثاو يمل منه الثواء

بزفوفٍ كأنها هِقْلَةٌ أُ مُّ رِئالٍ دَوِّيَّةٌ سفعاء[١]

ثمَّ قال :

آنسَتْ نَبْأَةً وأَفْزَعَها الْقُنَّـاص عَصْرًا وقد دنا الإمْسَاء[٢]

فترى خَلْفَهُنَّ مِنْ سُرْعَةَ الْمَشْـ ى مَنِيناً كأنَّهُ إهباءُ[٣]

ولو قال : « أفْزَعَها[٤] القَنَّاصُ » ولم يقل : « آنَسَتْ نبأة » — والنَّبْأة الصَّوت — لكان لَكُمْ فى ذلك مَقَال[٥] .

(شعر فى معنى الصمم)

وقال امرؤ القيس :

وَصُمٌّ صِلَابٌ مايَقِين من الوَجَى كأنَّ مكان الرِّدْفِ منه على رالِ[٦]

---

(١) زفوف ، بالفتح : أى ناقة سريعة . والهقلة : النعامة . والرئال : أولادها . دوية : منسوبة إلى الدو ، وهى الأرض المترامية الأطراف . والسفعاء : السوداء . س : « صنعاء » هـ : « صفعاء » محرفتان . ورواية المعلقات : « سقفاء » أى عالية .

(٢) آنست نبأة : أحست صوتا خفيا .

(٣) قال التبريزى : « خلفهن : خلف الإبل ؛ لأن الناقة الموصوفة ، تسير مع غيرها ، فحمل الضمير على المعنى » . والمنين ، بالفتح : الغبار الدقيق . و « إهباء » روى بالفتح : بمعنى للغبار المرتفع فى الجو . وروى بالكسر : مصدر أهبى يهبى إهباء : أثار التراب .

(٤) فى الأصل : « أفزع » ، وهو مخالف لنص الشعر السابق .

(٥) فى الأصل : « فقال » ، والوجه ما أثبت .

(٦) يقول : ولذلك الفرس حوافر صم صلاب ما يضعفن فى سيرهن من الوجى . والوجى : أن يجد الفرس فى حافره وجعاً يشتكيه ، من غير أن يكون فيه صدع أو غيره . ط ، س : « تمين » هـ : « تمين » ، صوابهما من الديوان ٦٦ واللسان (وق) . ط : « الوجا » س ، هـ : « الرحا » صوابهما من المصدرين السابقين . والردف : الذى تردفه ، ومكانه الذى يقعد فيه يسمى القطاة ، ويستحب =

وإنما يعنى أنَّهَا مُصْمَتَةٌ غير جَوفاء . وقال الآخَر :

قُلْ ما بدا لك مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ   حِلْمِى أصمٌّ وَأُذْنِى غيْرُ صَمَّاءِ

يريد أنّ حلمَهُ ليس بسخيف متخلخِل، وليس بخفيف سَارٍ ، ولكنه مصمَت . وقال الشاعرُ :

* وأسأل[1] من صَمَّاء ذاتِ صَليل *

وإنما يريد أرضاً يابسة ، ورملةً نَشَّافَةً ، تسأل[2] الماء : أى تريده وتبتلعه ؛ وهى فى ذلك صمّاء .

(ذكر الصُّمِّ فى القرآن الكريم)

وقد قال الله لناسٍ يسمعون : ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ[3]﴾ وذلك على المثل . وقال : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَايَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَايَعْقِلُونَ[4]﴾ . وذلك كلّه على مافسّرنا . وقال : ﴿وَالَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا

= إشرافها ؛ فلذلك شبهها بعجز الرأل . والرال ، أصله الهمز ، وخففه لمكان القافية . وقبل البيت :

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا   له حجبات مشرفات على الفال

(١) س ، هـ : « وأسل » ، صوابها فى ط . وهى من السؤال ، كما سيأتى فى شرح الجاحظ ، وكما فى اللسان . وصدر البيت فى اللسان :

* أَجَلْ لاَ ، وَلٰكِنْ أَنْتَ أَلْأَمُ مَنْ مَشَى *

(٢) ط ، هـ : « تسال » ، صوابه فى س .

(٣) الآية الثامنة عشرة من سورة البقرة .

(٤) الآية ١٧١ من سورة البقرة .

عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَاناً[1] ﴾ ، وقال أيضا : ﴿ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ[2] ﴾ .

(شعر فى معنى الصمم)

وقال عَنترة :

ظَلِلْنَا نكرُّ المشْرَفيَّةَ فيهمُ ... وخُرْصَانَ صُمِّ السَّمْهرىِّ المثقَّفِ[3]

وقال العُجَيرُ السَّلولىّ :

وقد جَذَبَ القومُ العصائبَ مؤخراً ... ففيهنَّ عنْ صُلْع الرِّجال حُسُورُ[4]

فظلَّ رِداءُ العَصْبِ مُلقًى كأنَّه ... سَلَى فَرَس تحْتَ الرِّجال عَقِيرِ[5]

لَوَانَّ الصُّخُورَ الصُّمَّ يَسْمَعْنَ صَلْقَنا ... لَرُحْنَ وفى أعْرَاضِهنَّ فُطورُ[6] ١٢٦

وقال زهير[7] :

---

(١) الآية ٧٣ من سورة الفرقان .

(٢) الآية ٤٥ من سورة الأنبياء ، وأولها : « قل إنما . . . . » .

(٣) المشرفية : ضرب من السيوف ، منسوب إلى مشارف الشام . والخرصان ، بالكسر والضم : جمع خرص بالضم ويكسر ، وهو سنان الرمح . والسمهرى من الرماح : هو الصليب العود . والمثقف : المعدل المسوى بالثقاف . هـ : « المثقب » تحريف ، صوابه فى س ، هـ والديوان ١٦١ ، والرواية فيه :

فظلنا نكر المشرفية فيهم ... وخرصان لدن السمهرى المثقف

(٤) حسور : انكشاف .

(٥) العصب ، بالفتح : ضرب من البرود . وفى الأصل : « نداء العصب » ، صوابه من مجالس ثعلب ٥٩٣ . والسلى بالتحريك : الجلدة التى يكون بها الولد . وتكتب بالياء . وفى الأصل بالألف . والعقير : التى عقرت ، أى قطعت قوائمها . وفى الأصل : « عقور » صوابه من المجالس . وفى البيت إقواء .

(٦) يقول : لو أن تلك الصخور سمعن صوتنا الشديد فى تلك الحرب ، لرحن وقد تشققت أعراضهن . والأعراض : الجوانب والنواحى . ورواية الأغانى (١١ : ١٥٠) :

لوأن الجبال الصم يسمعن وقعها ... لعدن وقد بانت بهن فطور

(٧) والبيتان ليسا فى ديوان زهير .

لَيْتَنِي خُلِقْتُ للأَبَدِ صَخْرَةً صمَّاءَ فى كَبِدِ[1]
لا تَشَكَّى[2] شرًّا جارتها خُلِقَتْ غَلِيظَةَ الكَبِدِ

وقالت جُمْل بنتُ جَعْفَر :

بنى جَعْفَرٍ لاسِلْمَ حَتَّى نَزُورَكُمْ بكلِّ رُدينيٍّ وأبيضَ ذى أثْرِ[3]
وحَتَّى تَرَوْا وَسْطَ الْبُيُوتِ مُغيرةً تُصمُّكُمُ بالضَّرْبِ حَاشِيَةَ الذُّعْرِ[4]
تَبِينُ لِذِى الشَّكِّ الذى لم يكن دَرَى ويُبْصِرُهَا الأَعْمَى وَيَسْمَعُ ذو الْوَقْرِ[5]

وقال دريد :

متى كان الملوكُ لكم قَطِينًا[6] على ولاية صَمَّاءَ مِنِّى[7]

(مثل وحديث فى الصمم)

ومن الأمثال قولهم : « صمَّتْ حَصَاةٌ بِدَمٍ[8] »، قال : فأصله أنْ

---

(١) كبد ، بفتح فكسر : اسم جبل . فى الأصل : « كبدى » !

(٢) فى الأصل : « تشتكى » ، وبذلك ينكسر الوزن ؛ إذ البيت من بحر المديد .

(٣) الردينى : الرمح المنسوب إلى امرأة تدعى ردينة ، كانت هى وزوجها سمهر يقومان القنا بخط هجر . وعنت بالأبيض : السيف . والأثر ، بالفتح : فرند السيف . ط ، س : « أشر » ﻫ : « أسر » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) مغيرة : أى خيلا مغيرة هاجمة بأربابها . ط : « خاشية الذعر » . وأثبت صوابه من س ، ﻫ . وللعرب مجاز فى مثل هذا . يقولون : حشى الرجل غيظا ، وكبراً ، كما قال المرار :

وحشوت الغيظ فى أضلاعه فهو يمشى حظلانا كالنقر

وكما قال المسعودى :

ولا تأنفا أن ترجعا فتسلما فما حشى الإنسان شراً من الكبر

(٥) تبين : تظهر هى . والوقر ، بالفتح : ثقل الأذن ، أو ذهاب السمع كله .

(٦) القطين : تبع الرجل ومماليكه وخدمه .

(٧) كذا جاء هذا الشطر .

(٨) يضرب مثلا فى الإسراف فى القتل وكثرة الدم . الميدانى (١ : ٣٥٩) .

يكثُرَ القتْلُ وسفْكُ الدِّماءِ ، حتَّى لو وقَعَتْ حصاةٌ على الأرض لم يُسْمَعْ لها صوتٌ ؛ لأنها لاتلقى صلابةَ الأرض .

وقد جاء فى بعض الحديث : « إذا كانت تلك الملاحِمُ بلَغت الدِّماءُ الثُّنَنَ[1] » ، يعنى ثُنَنَ[2] الخيل ، وهو الشَّعر الذى خلف الحافر .

(صمت السيف)

وقال الزُّبير بن عبد المطَّلب[3] :

وَيُنْبِي نَخْوَةَ المختَالِ عنِّى ... جُرَازُ الحدِّ ضَرَبتُه صَمُوتُ[4]

لأنَّ السَّيْفَ إذا مرَّ فى العظْم مَرًّا[5] سريعاً فلم يكن له صوت — كان فى معنى الصامت[6] .

---

(١) الثنن ، بضم الثاء وفتح النون : جمع ثنة ، بضم الثاء وتشديد النون : الشعرات التى فى مؤخر رسغ الدابة . ط ، هـ : «السن» س : « الس »، صوابهما ما أثبت ، موافقا لما جاءت فى أمثال الميدانى فى أثناء الكلام على المثل السابق . وانظر : « بلغت الدماء الثنن » فى أمثال الميدانى (١ : ٨٣) . والملاحم : جمع ملحمة ، بالفتح ، وهى الحرب ذات القتل الشديد .

(٢) ط ، هـ : « سن »، س : « بين » محرفتان . وانظر التنبيه السابق .

(٣) هو الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ؛ سيد كريم وشاعر محسن ، وكان من رجالات قريش فى الجاهلية . وهو أكبر أعمام الرسول الكريم العشرة . وهو القائل :

ولولا الحمس لم يلبس رجال ... ثياب أعزة حتى يموتوا

المؤتلف (١٣٠ - ١٣١) والمعارف ٥٢ والروض الأنف (١ : ٧٨) .

(٤) ينبى : يبعد . ونخوة المختال : تكبر المتكبر وتعظمه . وسيف جراز الحد ، بضم الجيم : ماضيه ونافذه . وانظر ما سيأتى فى (٦ : ٤٣٧) . ورواية اللسان (صمت) :

وينفى الجاهل المختال عنى ... رقاق الحد ضربته صموت

وأنشده عن ثعلب على هذه الصورة :

ويذهب نخوة المختال عنى ... رقيق الحد ضربته صموت

(٥) ط ، س : « مر »، صوابه فى هـ .

(٦) وقيل : لرسوبه فى الضريبة ، وإذا كان كذلك قل صوت خروج الدم . انظر اللسان .

(شعر فى مجاز الصمم)

وقال ابن ميَّادة :

متى أدعُ فى قَيْسِ بن عَيْلَانَ خائفاً إلى فَزَعٍ تُرْكَبْ إلَىَّ خُيُولُهَا[1]

بملمومة كالطَّودِ شهْباء فَيْلَقٍ رَدَاحٍ يصمُّ السَّامعين صليلُها[2]

لأنَّ الصَّوت إذا اشتدَّ جدًّا لم يُفْهَمْ معناه ، إنْ كان صاحبه أراد أن يخبر عن شيءٍ . ومتى كثُرت الأصواتُ صارت وَغًى[3] ، ومنع بعضُها بعضاً من الفهم . فإذا لم يفهمها[4] صار فى معنى الأصمّ ، فجاز[5] أن يسمّى باسم الأصمِّ .

وعلى ذلك قال الأضْبَط بن قريع ، حين آذوه[6] بنو سعدٍ فتحوَّل من جوارهم فى آخرين فآذوه ، فقال : « بِكلِّ وادٍ بَنُو سَعْدٍ[7] » .

---

(١) المراد بالخيول هنا الفرسان الذين يركبون الخيول . ومنه فى الحديث : « ياخيل الله اركبى ». انظر البيان (٢ : ٢٧) . ويصح أن تقرأ « تركب » بالبناء للمفعول فلا يكون فيها مجاز .

(٢) ملمومة : أى كتيبة عظيمة مجتمعة . والطود : الجبل العظيم . والشهباء : البيضاء ، لما فيها من بياض السلاح . والكتيبة الفيلق : الكثيرة السلاح . والرداح ، بالفتح : الكثيرة الفرسان الثقيلة السير لكثرتها .

(٣) الوغى : الصوت والجلبة فى الحرب . ط ، س : « رغاء »، وإنما الرغاء ، بالضم : صوت ذوات الخف . هـ : « وعا »، صوابهما ما أثبت .

(٤) س : « نفهمها »، صوابه فى ط ، هـ .

(٥) س ، هـ : « لجاز » !

(٦) كذا فى س ، هـ . على لغة أكلوه البراغيث . ط : « آذاه » .

(٧) سبق المثل فى (١ : ٣٥٨) و (٣ : ١٠٤) .

وقال جران العَود :

وقَالَتْ لنا وَالْعِيسُ صُعْرٌ من البُرَى وأخفافها بالجَنْدَلِ الصُّمِّ تقذِفُ[١]

(قول منكر صمم النعام)

وقال الذى ينكر صَمَمَ شيءٍ من الخلق : اعتللتم فى صمَم النعام بقول زهير :

[أَصَكَّ مُصَلَّمِ الْأُذُنَيْنِ أَجْنَى لَهُ بِالسِّيِّ تَنُّومٌ وَآءٌ[٢]]

وبقول أوس بن حجر :

وَيَنْهَى ذَوِى الأحْلَامِ عنِّى حُلومُهم وَأَرْفعُ صَوْتِى للنَّعامِ المخزَّمِ[٣] ١٢٧

يريد خَرْقَ[٤] أنفه ، وهو فى موضعِ الخَرَمَةِ[٥] من البعير .

وأمّا قوله : « وَأَرْفَعُ صَوْتِى للنّعام » فإنما خصَّ بذلكَ النّعامَ لأنّها تَجْمَعُ الشُّرُودَ وَالنِّفار ، إلى الُموقِ وسوءِ الفهْم . ولو قال : وأرفع صَوتى للحَمير والدّوَاب لكان كذلك . والمصلَّمة : السُّكّ التى ليس لآذانها حَجم .

---

(١) العيس ، بالكسر : الإبل الخالصة البياض . صعر من البرى : موائل من جذب البرى : جمع برة ، وهى الحلقة توضع فى أنف البعير . والجندل : الحجارة .

(٢) هذا البيت ليس بالأصل . وبه يلتئم الكلام ويتم . وقد أثبته اعتماداً على ما سيأتى فى ص ٣٩٨ .

(٣) المراد بالأحلام هنا ، الألباب والعقول . وفى اللسان : « والمخزم من نعت النعام ، قيل له مخزم لثقب فى منقاره » . وعجز البيت فى المقاييس (خزم) .

(٤) فى الأصل : « عرض » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) فى موضع الخرمة ، أى ذلك الخرق بمكانة الخرمة ، شبيه بها . والخرمة ، بالتحريك ، سبق شرحها فى ص ٣٢١ . فى الأصل : « الخزامة » . ولا تصح ، فإن الخزامة هى الحلقة التى توضع فى الخرمة . وانظر ماسبق فى ص ٣٢١ .

(رد عليه)

قال : [قولُ[1]] الذى زعم أنها ليست بصماء لا يجوز ؛ لأنَّ الدوابَّ تسمعُ وتَفهم الزَّجْر ، وتجيب الدُّعاء . بل لو قال : وأرفع صوتى للصخور والحِجارة ، كان صواباً، وكان لِرَفْع صوته معنًى ؛ إذْ[2] كان الرَّفْعُ والوضْعُ[3] عند الصُّخور سَوَاءً . وليس كذلك الدوابُّ . ولو كان إنما جعله مصلَّما ، وجعلَ آذانَ النّعام مصلومةً ؛ لأنه ليس لآذانها حَجْم فالطِ كله كذلك إلاَّ الخفّاش[4] . وكلُّ شيءٍ يبيض من الحيوان فليس لها حَجْم آذان . فى قَصْدِهِم بهذه الكلمة إلى النّعامِ ، بين جميعِ ما ليس لأذنَيه حجْم ، دليلٌ على أنَّ تأويلَكم خطأ . قال عَلْقمة بن عَبَدَة :

فُوه كشَقِّ العَصَا لأْياً تبيِّنُه أَسكُّ ما يَسْمَعُ الأصواتَ مصلومُ[5]

وقالت كَبْشة بنت مَعْديكرِب[6] :

---

(١) ليست بالأصل . وبمثلها يستقيم الكلام .

(٢) فى الأصل : « إذ لو » . وكلمة « لو » لاوجه لوجودها .

(٣) أى رفع الصوت ووضعه . والوضع بمعنى التخفيض .

(٤) س : « لا الخفاش » ط : « الألخفاش » . وأثبت الوجه من ه .

(٥) كذا على الصواب فى ه . وفى س: « لأياً يبينه »،و ط : « الا يأتبينه » وسبق شرحه فى ٣٦٦، وإنشاده كذلك فى ٣٨٣ .

(٦) كبشة ، هى أخت عمرو بن معديكرب . وكذلك جاءت النسبة فى حماسة أبى تمام (١ : ٧١) والبحترى ٣٠ وأمالى القالى (٢ : ٢٢٦ ، ٣ : ١٩٠) والشعراء ٣٣٥ والخزانة (٣ : ٧٧ بولاق) . ونسبت فى لباب الآداب ١٨٢ إلى ريحانة أخت عمرو بن معديكرب . قال التبريزى : « كبشة اسم مرتجل علماً. وليس بتأنيث كبش لأن ذلك لامؤنث له من لفظه ، إنما هى نعجة » . وقد قالت الشعر حينما قتل أخوها عبد الله ، ولم يأخذ عمرو بثأره ، بل أخذ دية أخيه ، فغضبت هى وقالت الشعر تحضضه على الأخذ بالثأر ، فى أسلوب حسن بديع .

وَأَرْسَلَ عَبْدُ اللهِ إذ حانَ يومُهُ ... إلى قومه ألاَّ تَغُلُّوا لهمْ دمى[(١)]

ولا تأخُذُوا منهمْ إفالاً وَأَبْكُرًا ... وَأُتْرَكَ فى بيتٍ بِصعْدةَ مُظْلِمِ[(٢)]

جَدَعتُمْ بعبد الله آنفَ قَوْمِكمْ[(٣)] ... بنى مَازنٍ أَنْ سُبَّ راعى المخزَّم[(٤)]

فإن أنتمُ لم تثأرُوا لأخيكُمُ ... فَمشُّوا بآذانِ النّعامِ المصلَّمِ[(٥)]

فلو كانت إنّما تريد أنّه ليس لمسامِعِها حجمٌ ، كانت الدُّنيا لها مُعرضة .

وقال عنترة :

---

(١) تغلوا : تخونوا . كذا جاءت الرواية فى ﻫ . وفى س : « ألا تقلوا » محرفة . وفى ط : « لا تعقلوا » ، ومعناه لا تأخذوا بدل دمى عقلا . والعقل ، بالفتح : الدية . وهى رواية الحماسة وأمالى القالى (٢ : ٢٢٦) ولباب الآداب. وروى فى الأمالى (٣ : ١٩٠) : « ألا تخلوا » . وفى حماسة البحترى : « ألا يعلوا » تحريف رواية ﻫ .

(٢) الإفال : جمع أفيل ، وهو من أولاد الإبل ما أتى عليه سبعة أشهر أو ثمانية . والأبكر : جمع بكر بالفتح ، وهو ولد الناقة . وصعدة : مخلاف من مخاليف اليمن . وجعلت قبره مظلماً لما يزعمون من أن المقتول إذا ثأروا به أضاء قبره ، فإن أهدر دمه أو قبلت ديته أظلم . التبريزى . وإنما ذكرت الإفال والأبكر ، والديات لا تكون منها ، لما أرادت من معنى تحقير الدية .

(٣) جدعتم : قطعتم . آنف : جمع أنف . والمراد : أذللتم قومكم . ورواية الأمالى : « قومه » ، وفى الخزانة : « سيد قومه » .

(٤) بنى مازن ، أى يابنى مازن. والمخزم ، كذا جاء هنا بإعجام الخاء والزاى . وكذا فى الأمالى . لكن ضبطه صاحب الخزانة بتشديد الزاى المفتوحة والحاء قبلها مهملة. ومهما يكن فهو ، كما قالوا — : رجل من بنى مازن ، كان له عبد يرعى ، وجلس عبد الله مع بنى مازن فشرب ، فتغنى ذاك العبد الحبشى بشعر ، فيه تشبيب بامرأة من بنى زبيد ، فلطمه عبد الله وسبه ، فنادى الحبشى : يالمازن ! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه . عن الأمالى والأغانى (١٤ : ٣٢) . والرواية فى الأغانى :

أيقتل عبد الله سيد قومه ... بنو مازن أن سب راعى المخزم

(٥) ﻫ : « لم تتلدوا » محرفة . وروى : « لم تثأروا واتديتم » و : « لم تقتلوا واتديتم » . و : « لم تثأروا بأخيكم » .

وكأنما أَقِصُ الإكامَ عَشِيَّةً بقَرِيبِ بَيْنَ المَنْسِمَيْنِ مُصَلَّمِ[١]
تأوِى له حِزَقَ النَّعامِ كما أَوَتْ حِزَقٌ يمَانِيَةٌ لأَعْجَمَ طمطمِ[٢]

ولو كان عنترة إنَّمَا أراد عدَم الحجْم ، لقد كانت الدُّنيا له معرضة .

وقال زُهير :

بآرزةِ الفَقَارةِ لم يخنهـا قِطافٌ فى الرِّكاب ولا خِلاَءُ[٣]
كأنَّ الرَّحْلَ منها فَوْقَ صَعْلٍ من الظلمانِ جُؤجُؤه هَواءُ[٤]
أَصَكَّ مُصَلَّمِ الأُذُنَيْنِ ، أَجْنَى له بِالسِّىِّ تَنُّومٌ وَآءُ[٥]

(رد منكر صمم النعام)

قال القوم : فإنَّا لا نقول ذلك ، ولكنّ العربَ فى أمثالها تقول : إنَّ

١٢٨ النَّعامةُ ذهبَتْ تطلبُ قرنَين فقطعوا أذنيها[٦] . ليجعلوها مثلاً فى المُوق وسوء التدبير . فإذا ذكر الشَّاعِرُ الظَّليمَ ، وذكَرَ أنَّهُ مصلَّم الأذنين ،

---

(١) يقول : كأنما أكسر الإكام بظليم قريب بين المنسمين . والمنسم ، كمجلس : الظفران المقدمان فى الخف . وقرب المنسمين مما يجعل الخف صاباً . و « بين » تقرأ بالجر . ورواها بعض اللغويين بالنصب على تقدير « ما »، وهو وجه ضعيف .

(٢) سبق شرح هذا البيت فى ص ٣٥٩ .

(٣) الفقارة ، بالفتح : واحدة فقار الظهر ، بالفتح أيضاً . آرزة : متداخلة مدمجة . س : « ببارزة » ، هـ : « الفقاوة لم يجبها »، صوابه فى ط وديوان زهير ٦٧ واللسان (أرز ، قطف ، خلأ) والمخصص (٧ : ١٦٢) والمقصور ٣٨ . والقطاف : اسم من قطفت الدابة تقطف – من بابى ضرب ودخل – : أساءت السير وأبطأت . والخلاء ، بالكسر : مصدر خلأت الناقة تخلأ : حرنت من غير علة .

(٤) جؤجؤه هواء : أى صدره فارغ لاقلب فيه ، فهو كالمذعور يسرع العدو هربا .

(٥) الأصك : المتقارب العرقوبين . وأجنى الشجر : أدرك . والتنوم والآء : نبتان .

(٦) انظر ما سبق فى ٣٢٣ .

فإنما يريد هذا المعنى . فكثُرَ ذلك حتى صار قولهم : مصلم الأذنين ، مثلَ قولهم صَكَّاء . وسواءٌ قال صَكّاء ، أو قال نعامة ، كما أنّهُ سواء قال خنْساء أو قال مهاة وَنَعْجَةٌ وبقرة وظبية ؛ لأنَّ[1] الظِّباء والبقرَ كلها فُطْس خُنْسٌ. وإذا سَمَّوا امْرَأةً خنْساءَ فليسَ الخَنَسَ والفطَسَ يُريدون ، بل كأنهم قالوا : مَهاةٌ وَظَبية . ولذلك قال المسيَّبُ بنُ علَسٍ[2] في صفة النّاقة :

صَكّاءَ ذِعْلِبَةٍ إذا استَقْبَلْتَها حَرَجٍ إذا اسْتَدْبَرْتَهاهِلوَاعِ[3]

فتفهَّمْ هذا البيت ، فإنّهُ قد أَحْسَنَ فيه جدًّا .

والصَّكَكُ في الناس ، والاصطكاك في رجلي الناقة عيب[4] . فهو لم يكنْ ليصِفَها بما فيه عيب[5] ، ولكنّه لا يفرق بين قولهِ [صَكّاء ، وبين

---

(١) من مبدإ : « قال صكاء » إلى هنا ، ساقط من ه .

(٢) المسيب ، كمعظم ، بذا ضبطه صاحب القاموس والأنبارى فى شرح المفضليات ٩٢ ، جاء فيها : قال مؤرج : إنما لقب زهير بن علس بالمسيب ، حين أوعد بنى عامر بن ذهل ، فقالت له بنو عامر بن ضبيعة : قد سيبناك والقوم ! وضبطه صاحب الخزانة بصورة اسم الفاعل . واسمه زهير بن علس كما تقدم . وهو جاهلى لم يدرك الإسلام . انظر الخزانة (٣ : ٢١٧ سلفية) .

(٣) الذعلبة ، بكسر الذال واللام : الناقة السريعة . والحرج : الجسيمة الطويلة . والهلواع : ذات النزق والخفة . وهكذا ورد البيت فى الأصل : وصواب إنشاده ، كما فى اللسان (هلع) والمفضليات ١٦ :

صكاء ذعلبة إذا استدبرتها حرج إذا استقبلتها هلواع

إذ أن جسامتها وطولها ، ونزقها ، إنما تبين عند الاستقبال . وقبل هذا البيت :

فتسل حاجتها إذا هى أعرضت بخميصة سرح اليدين وساع

(٤) كذا فى ط . وفى س : « واصطكاك رجلى الناقة » . وفى ه : « واصطكاك رجلى الناقة » . وهذه محرفة .

(٥) كذا على الصواب فى ط ، س . وفى ه : « فلولم يكن يصفها » . . الخ .

قَوْلِهِ[1]] نعامة[2] ، وكذلك لايفرّقون بين قولهم : أعلم ، وبين قولهم : بَعِيرٌ[3] . قال الراجز :

إِنِّى لِمَن أنكَرَ أو تَوَسَّما أخو خَنَاثِيرَ يَقودُ الأعْلَمَا[4]

كأنه يقول : يقودُ بعيراً . وهو كقول عنترة :

وحَلِيلِ غانيةٍ تَرَكْتُ مجدَّلاً تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الأعْلَمِ[5]

(ردّ مدّعى الصَّمم)

فقال مَن ادّعى للنّعام الصَّمَم : أمَّا قولكم : من الدَّليل على أن النّعامة تسمعُ قولُ الشاعرِ :

* تدعُو النّعام به العِرار[6] *

وقوله :

متى ماتَشَأْ[7] تسمع عِراراً بقَفْرَةٍ يجيب زِماراً كاليَرَاعِ المثقَّبِ

وقوله[8] :

آنَسَتْ نَبْأَةً وأفْزَعها القَـنَّاصُ عَصْراً وَقَدْ دَنَا الإمْسَاءُ

فليس ذلك أراد . وقد يراك الأخرسُ مِن النّاس — والأخرسُ أصمُّ —

---

(١) ليست هذه الزيادة بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) فى الأصل : « نعم » . تحريف ، انظر له السطر الرابع .

(٤) الخناثير : الدواهى . والرجز رواه الجاحظ مرة أخرى فى (٦ : ٤١٢) .

(٥) انظر ما أسلفت من شرح هذا البيت ونقده فى (٣ : ٣٠٩) . ه : « وخليل » بالخاء المعجمة .

(٦) سبق البيت بتمامه فى ٣٨٥ برواية أخرى .

(٧) فى الأصل : « متى تأتنا » . وصوابه مما سبق فى ٣٨٥ .

(٨) هو الحارث بن حلزة اليشكرى ، من معلقته. وانظر ص ٣٨٩.

فيعرف ماتقول ، بما يرى مِنْ صُورة حَرَكَتِكَ[١] ، كما يعرف معانيكَ من إشارتك ، ويدعُوك ويطلُبُ إليك بصوتٍ ؛ وهو لم يسمَعْ صوتَك قطُّ فيقصدَ إليه ، ولكنه يريد تلك الحركةَ ، وتلك الحركةُ تولِّد الصوت ، أراده هو أو لم يرده[٢] . وَيُضْرَبُ فيصيح ، وهو لم يقصدْ إلى الصِّياح ، ولكنّه متى أدار لسانَهُ فى جَوْبَةِ[٣] الفم بالهواء الذى فيه . والنّفس الذى يحضِره جُمّاع الفم[٤] ، حدَثَ الصوت . وهذا إنّما غايَتَهُ الحركة فيعرف صورة تلك الحركة .

والأخرس يرى[٥] النّاس يصفِّقون بأيديهم ، عند دعاء إنسانٍ ، أو عند الغضب والحَدِّ[٦] ، فيعرف صورة تلك الحركةِ ؛ لطول تَرْدادِها على ١٢٩ عينيه ، كما يعرف سائر الإشارات . وإذا تعجَّبَ ضربَ بيدَيهِ كما يضربون .

فالنّعامة تعرفَ[٧] صورةَ إشارة الرِّئلان وإرادتها ، فتعقل[٨] ذلك ، وتجاوبها بما تعقل عنها من الإشارة [والحركة] ، وغدت[٩] لحركتها أصواتٌ .

ولوكانا يسمعان لم تزد حالهما[١٠] فى التَّفاهُم على ذلك .

---

(١) فى الأصل : « حركة » .
(٢) س ، ھ : « أم لم يرده » .
(٣) الجوبة : الحفرة . والمراد باطن الفم . س : « حوجة » . ط ، ھ : « جوحة » ، وأثبت ما سبق فى مثل هذا الموضع فى (١ : ٧٠) مطابقاً لما فى نسخة كوبريلى .
(٤) الجماع ، كرمان : مجتمع الأصل .
(٥) ط : « والأخرس من يرى » . ھ : « والآخر من يرى » ، صوابهما ما أثبت من س .
(٦) الحد ، بفتح الحاء : الحدة والغضب . وفى الأصل ، « الجد » بالجيم ، محرف .
(٧) ط : « تعرق » ، صوابه فى س ، ھ .
(٨) س : « فتفعل » ، صوابه فى ط ، ھ .
(٩) س : « ويحدث » .
(١٠) س : « حالتهما » .

(شمُّ النعامة)

والعرب تقول : « أَشَمُّ مِنْ نَعامةٍ » و : « أَشَمُّ مِنْ ذَرّةٍ » . قال الرَّاجز :

* أَشَمُّ مِنْ هَيْقٍ وَأَهْدَى مِنْ جَمَلْ[1] *

وقال الحِرْمازىُّ ، فى أرجُوزته :

* وهــو يَشْتَمُّ اشتِمام الهَيْقِ[2] *

قال : وأخبرنا ابنُ الأعرابىِّ أنَّ أعرابيًّا كلم صاَحِبَهُ ، فرآه لايفهَمُ عنه ولا يسمعُ كلامَهُ فقال : « أَصلَخُ كَصَلَخِ[3] النَّعَامَةِ » !

(شم الفرس والذئب والذَّرّ)

وقد يكون الفرَسُ فى الموكب وخلفه ، على قاب غَلوتين ، حِجْرٌ أو رَمكة[4] ، فيَتَحَصَّنُ[5] تحتَ راكبِه ، من غير أن تكونَ صهلَتْ .

والذِّئب يشتَمُّ ويستروح مِنْ مِيلٍ ، والذّرَّة تَشْتَمُّ ما ليس لهُ ريحٌ ، مما لو وضعْتَهُ على أنفِكَ ما وجَدْتَ لَهُ رائحة وإن أجَدْتَ التشمُّمَ ، كرِجْل

---

(١) سبق هذا البيت فى ١٣٣ . والهيق ، بالفتح : الظليم . وأهدى ، من الهداية . وذلك أنه يعرف مكامن الماء فى الصحراء ، فيعجه إليها بنفسه .

(٢) سبق البيت فى ١٣٣ .

(٣) الصلخ ، بالتحريك : الصمم وذهاب السمع . والوصف منه أصلخ . قال :

لو أبصرت أبكم أعمى أصلخا إذا لسمى واهتدى أنى وخى

وفى اللسان : « وإذا دعى على الرجل قيل : صلخاً كصلخ النعامة ! » . ط : « أصلم كصلم » ، صوابه فى س ، ه .

(٤) الحجر ، بكسر الحاء : الأنثى من الخيل . والرمكة ، بالتحريك : البرذونة تتخذ للنسل .

(٥) يتحصن : تبدو منه أمارات الذكورة. وقد سبق نحو هذا التعبير فى (٢ : ١٤١ س ٨) . ط ، س : « فيشخص » وليس بذلك . والأوفق ما أثبت من ه والبيان (٢ : ٢٥٧).

الجرادة تَنْبِذُها[1] من يدك فى موضع لم تَرَ فيه ذرَّة قطّ ، فلا تلبث أن ترى الذرّ إليها كالخيط الأسودِ الممدود .

وقال الشَّاعر ، وهو يصف استرْواح الناس :

وجاءَ كمِثْلِ الرَّألِ يتبع أَنْفَهُ لِعَقْبَيْهِ مِنْ وَقْعِ الصُّخورِ قَعاقعُ[2]

فإنَّ الرَّألَ يشتمُّ[3] رائحة أبيه وأمّه والسَّبُعِ والإنْسَانِ من مكانٍ بعيد . وشبَّهَ بِهِ رَجُلاً جاءَ يتَّبع الرِّيح فيَشتمُّ .

(استطراد لغوى)

وقال الآخر :

والمرء لم يغضَبْ لمطْلَبِ أَنْفِهِ أو عِرْسِهِ لِكَرِيهةٍ لم يَغْضَبِ[4]

ومطْلَب أنفه : فَرْجُ أمّه ؛ لأنَّ الولد إذا تمَّتْ أيَّامُهُ فى الرّحم ، قَلاَ مكَانَهُ[5] وكرِهَه ، وضاق به موضِعُهُ ، فطلبَ بأنفه مَوضع المخرَجِ مِمَّا هو فيه من الكرب ، حتَّى يَصِير أنفه ورأسُهُ على فم الرَّحم ، تِلقاءَ فم المخرج. فالأَناء[6] والمكانُ يرفعانه فى تلك الجهة ، والولد يلتمِسُ تلك الجهة بأنْفه

---

(١) نبذ ، من باب رمى : بمعنى ألقى ورمى . ط : هـ : « ينفذها » ، صوابه فى س وفى أمثال الميدانى (١ : ٣٥١) حيث نقل كلام الجاحظ ولم يصرح بذلك .

(٢) الرأل : فرخ النعام . هـ : « لعقبيه » محرفة .

(٣) س : « يشم » .

(٤) كذا جاء . وروى صدره فى كنايات الجرجانى ٢٧ : « من كان لا يغضب لمطلب أنفه » ، وكنايات الثعالبى ٧ : « وإذا الكريم أضاع مطلب أنفه » ، واللسان (أنف) : « وإذا الكريم أضاع موضع أنفه » . وعجزه عند الجرجانى « من أمه أو عرسه » ، والثعالبى : « أو عرسه لكريهة » أى كما عند الجاحظ . واللسان : « أو عرضه لكريهة » .

(٥) قلاه ، كرماه ورضيه ، قِلًى وقَلاءً ومَقْلِيَة : أبغضه وكرهه غاية الكراهة .

(٦) الأناء ، بالفتح : أن يحين الشىء .

ولولا أنَّه يطلبُ الهواءَ من ذاته ، ويكرهُ مكانَه من ذاته ، ثم خرج إلى عالَمٍ آخَرَ خلافِ عالمه الذى رُبِّى فيه ، لَمَاتَ ؛ كما يموت السَّمَكُ إذا فارقه الماء . ولكنَّ الماءَ لمَّا كانَ قابلاً لطباع السمك [غاذياً[١] لها ، والسَّمكُ[٢]] مريداً له ، كان فى مفارقته له عطَبُه . وكان فى مفارقة الولد لجَوْف البطن واغتذائه فضلاتِ الدَّم ، [مَالَا يَنْقُصُ[٣]] شيئاً من طباعِه وطباع المكان الذى كان له مَرَّةً مَسْكناً . فلذلك قال الشَّاعر الجاهلىّ :

والمرءُ لم يغضب لمطلَبِ أنفه أو عِرسه لكريهةٍ لَمْ يغضَبِ[٤]

يقول : متى لم يَحْمِ فرجَ أمِّه وامرأته ، فليس مِمَّن يغضب من شىء يؤُول إليه .

(قول المتكلِّمين فى صمم الأخرس)

١٣٠ وزعم المتكلِّمون أنَّ الأخرسَ أصمُّ ، وأنَّه لم يُوتَ من العجْز عن المنطق لشىءٍ فى لسانه ، ولكنَّه إنما أُتِى فى ذلك ؛ لأنَّه حين لم يسمع صوتاً قطُّ ، مؤلَّفاً أو غير مولَّف ، لم يعرف كيفيَّته فيقصدَ إليه . وأنَّ جميع الصُّمَّ ليس فيهم مُصْمَت[٥] ، وإنما يتفاوَتون[٦] فى الشِّدَّةِ واللِّين ؛ فبعضهم يَسمع الهدّة والصَّاعقة ، ونَهيق[٧] الحمار إذا كان قريباً منه ،

(١) س : « عاريا » صوابه فى هـ .
(٢) الزيادة من س ، هـ .
(٣) ليست بالأصل . وبمثلها يتم الكلام .
(٤) سبق هذا البيت فى ٤٠٣ . وموضع عجزه فى كل من ط ، هـ كلمة : « البيت » .
(٥) مصمت : أى تام الصمم خالصه .
(٦) فى الأصل : « يتقاربون » .
(٧) ط ، هـ : « ونعيق » ، وإنما النعيق للغراب والبوم . وصوابه فى س .

والرَّعد الشَّديدَ ، لا يسمَعُ غير ذلك . ومنهم من يَسمع السِّرار[١] ، وإذا رفَعْت له الصَّوتَ لم يسمَعْ . ومتى كلَّمته وقرَّت الشِّكاية[٢] فى أذنه ، فهِمَ عنك كلَّ الفهم . وإن تكلَّمْت على ذلك المقدارِ فى الهواءِ ، ولم يكن ينفُذُ فى قناةٍ تحصُرُه وتجمعُه ، حتّى تُؤَدِّيَه إلى دِماغه — لم يفهمه .

فالأصمُّ فى الحقيقة إنَّما هو الأخرس ، والأخرس إنَّما سمِّى بذلك على التشبيه والقرابة . ومتى ضَرَبَ الأصمُّ من النَّاس إنساناً أو شيئاً غيرَه ، ظنَّ أنّه لم يبالِغْ ، حتّى يسمعَ صوتَ الضربة . قال الشَّاعر[٣] :

أشَارَ بهِمْ لَمْعَ الأصمِّ فأقْبَلُوا عَرَانِينَ ، لا يأتيه للنَّصرِ مُحْلبُ[٤]

وقال الأسَدِىّ :

وَأُوصيكُمُ بطِعَانِ الكُمَاةِ فقَدْ تعلمُونَ بأنْ لا خُلُودَا[٥]

---

(١) السرار ، بالكسر : مصدر ساره يساره : حدثه فى أذنه .

(٢) كذا فى ط . وفى س : « وطرت السكابة »، ه : « وطرت الشكاية » .

(٣) هو بشر ، كما فى اللسان (صمم) . يعنى بشر بن أبى خازم . وهو شاعر جاهلى قديم . وبشر بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة . و خازم بالخاء والزاى المعجمتين . الخزانة (٤ : ٣٣٦ سلفية) .

(٤) فى اللسان : « ويقال للنذير إذا أنذر قوما من بعيد، وألمع لهم بثوبه : لمع بهم لمع الأصم . وذلك أنه لما كثر إلماعه بثوبه كان كأنه لا يسمع الجواب ، فهو يديم اللمع » . وعرانين الناس : وجوههم وسادتهم وأشرافهم ، مأخوذ من عرنين الأنف، وهو رأسه . والمحلب : من يعين المرء من غير قومه . يقول: هو لا يعينه أحد من غير قومه . فى الأصل: « مخلب » وتصحيحه من اللسان (حلب) . ويروى أيضاً : « مجلب » بالجيم ، كما فى اللسان (صمم) وفى اللسان (جلب) : « وأجلبه : أعانه » . والرواية بالحاء المهملة أجود وأصح . وقبل البيت :

وينصره قوم غضاب عليكم متى تدعهم يوما إلى الروع يركبوا

(٥) رواية اللسان (صمم) : « فأوصيكم » . وقبل هذا البيت :

فأبلغ بنى أسد آية إذا جئت سيدهم والمسودا

وضَرْبِ الجماجمِ ضَرْبَ الأصـَـ ـمِّ حَنْظَلَ شَابَةَ يَجنى الهبيدا[1]

وقال الهذلىُّ[2] :

فالطعْنُ شَغْشَغَةٌ والضَّرْبُ مَعْمَعَةٌ ضَرْبَ المُعوِّل تَحتَ الدِّيمَةِ العَضَدا[3]

وإنما جعله تحتَ الدِّيمة ؛ لأنَّ الأغصانَ والأشجارَ تصير ألْدَنَ وأعْلَكَ ، فيحتاج الذى يضربُ تلك الأُصولَ قبل المطر ، إلى عشْرِ ضَرَباتٍ حتَّى يقطع ذلك المضروب ؛ فإذا أصابه المطَرُ احتاج إلى أكثرَ من ذلك .

---

(١) وضرب الجماجم : أى وأوصيكم بضرب رءوس الأعداء . والأصم الذى عنى ، هو الظليم من النعام . وشابة : موضع بنجد . وفى الأصل : « شانه »، وصوابه من اللسان (شوب وصمم) . والهبيد : حب الحنظل ، وهو أحب طعام إليه . وفى الأصل : « الوليدا » وهو تحريف . وفى اللسان : « هبيدا » .

(٢) هو عبد مناف بن ربع الجربى ، شاعر جاهلى من شعراء هذيل . و (ربع) بكسر الراء بعدها باء موحدة ساكنة . والجربى ، كقرشى : نسبة إلى جريب ، كقريش ، وهو بطن من هذيل . والبيت من قصيدة ذكر قصتها البغدادى فى الخزانة (٣ : ١٧٢ بولاق) وهى اثنا عشر بيتا . وقد نسب صاحب العمدة : (١ : ٢٠١) البيت إلى أبى كبير الهذلى . وليس بذاك . وقد نسبه العسكرى فى ديوان المعانى (٢ : ٥٥) إلى عبد مناف بن ربعى . صوابه « ربع » كما فى الخزانة واللسان (شغشغ ، هقع ، عول ، عضد) . وفى اللسان (عول) : « قال ابن برى : الصحيح أن البيت لساعدة بن جؤية الهذلى » .

(٣) الشغشغة بغينين معجمتين : تحريك السنان فى المطعون ليتمكن منه . وفى الخزانة : « شفشفة » . وفى الأصل وديوان المعانى : « شعشعة » ، وهما تحريف ما أثبت من اللسان والمخصص (٥ : ١٣٥) والعمدة . والمعمعة : شدة الحرب والجد فى القتال . والمعمعة أيضاً : الدمشقة ، وهى عمل فى عجل . ط ، ه : « مقمعة » وأثبت ما فى س . والرواية فى جميع المصادر : « هيقعة » . والهيقعة : صوت السيوف . والمعول ، بكسر الواو المشددة : الذى يتخذ العالة ، وهى شجر يقطعه الراعى أو الرامى فيستظل به من المطر . « عضد » ، بالتحريك : ماقطع من الشجر .

(تحقيق معنى شعرى)

وأنشدنى يحيى الأغر[1] :

كَضَرْبِ القُيونِ سَبِيكَ الحديـــدِ يومَ الجنائب ضرباً وَكيدا[2]

فلم أعرفه ؛ فسألتُ بعضَ الصَّياقلة فقالَ : نعم ، هذا بَيِّنٌ معروف . إذا أَخْرَجْنا الحديدةَ من الكِيرِ فى يومِ شَمَال[3] ، واحتاجت فى القطْع إلى مائة ضربةٍ ، احتاجَت فى قطْعها يومَ الجَنُوب إلى أكثر من ذلك ، وإلى أشدّ من ذلك الضَّرب ؛ لأَنّ الشمالَ يُيَبِّسُ ويقصِف ، والجنوب يرطِّب ويلدِّن .

(الأخرس)

والإنسان أبداً أَخْرسُ ، إذا كان لا يسمع ولا يتبيَّن الأصواتَ التى تخرج من فيه ، على معناه[4] . ويقال فى غير الإنسان ، على غير ذلك . قال كثيِّر :

ألم تَسْألى يا أمّ عَمْرٍو فَتُخْبَرِى سَلِمْتِ وأسقاكِ السّحَابُ البوارقُ **١٣١**
بُكيًّا لصَوتِ الرَّعدِ خُرسٌ روائح ونعق ولم يُسْمَعْ لهن صواعق[5]

---

(١) ﻫ : « الأعز » .

(٢) القيون : جمع قين ، بالفتح ، وهو الحداد . والجنائب : جمع جنوب ، وهى الريح التى تقابل الشمال . والوكيد : الشديد الصائب .

(٣) أى يوم ريح شمال .

(٤) أى على المعنى الحقيقى للخرس .

(٥) ﻫ : « روامج » بدل : « روائح » . ونعق ، كذا وردت . وانظر ديوان كثير (١ : ١٤٠)

وتقول العرَب : « مازلت تحتَ عينٍ خرساء » . والعين : السحابة تبقى أيّاماً تمطــر . وإذا كثر ماؤها وكثُف ، ولم يكن فيهــا مخارق لم تمدح ببرق[1] .

(سرعة الضوء وسرعة الصَّوت)

ومتى رأيتَ البرقَ سَمِعتَ الرَّعْدَ بعدُ . والرّعدُ يكون فى الأصل قبلَه ولـكنَّ الصَّوتَ لا يصل إليك فى سرعة البرق ؛ لأنَّ البارقَ والبصر أشدُّ تقارباً من الصَّوتِ والسَّمْع . وقد ترى الإنسانَ ، وبينك وبينه رحْلةُ فيضرب بعَصًا إمَّا حَجَراً ، وإمّا دَابَّةً ، وإمَّا ثوباً ، فترى الضَّرْب[2] ثمّ تمكثُ وقتاً إلى أن يأتيَك الصَّوت .

(السحابة الخرساء)

فإذا لم تصوِّت السَّحابة لم تبشِّر بشىءٍ ، و [إذا[3]] لمْ يكن لها رِزٌّ[4] سمِّيت خَرْساءَ .

(الصخرة الصَّمَّاء)

وإذا كانت الصَّخرةُ فى هذه الصِّفة سمِّيت صماءَ . قالَ الأعشَى :

وإذَا تجىءُ كَتِيبــةٌ ملمُومَــةٌ مَـكْرُوهَةٌ يخشى الـكُمَاةُ نِزَالها

وعلى غير هذا المعنى قال كثيِّر :

كأنى أنادى صَخْرَةً ، حِينَ أَعْرضَتْ ، من الصُّمِّ لو تمشى بها العُصْمُ زَلَّتِ

(١) انظر الاستدراكات .
(٢) س : « الضربة » .
(٣) ليست بالأصل .
(٤) الرز ، بالـكسر : الصوت تسمعه من بعيد ، أو الصوت مطلقاً .

ومن هذا الشّـكل قولُ زُهير :

وتَنُوفَةٍ عَمْيــاءَ لا يَجْتــازُها إلا المشيَّعُ ذُو الفُؤَاد الهــادى[(١)]
قَفْرٍ هجَعْتُ بها ، ولستُ بنائمٍ ، وذِراعُ مُلْقِيَةِ الجِـرَانِ وِسادِى[(٢)]
ووقَعْتُ بَيْنَ قُتُودِ عنْسٍ ضَامِرٍ لَحَّاظَةٍ طَفَلَ العشىِّ سِنَادِ[(٣)]

فجعل التَّنُوفَةَ عَمْياءَ[(٤)] ، حين لَمْ تكن بها أمارات .

(الزَّبابَة)

ودابَّة يقال لهـا الزَّبابَة[(٥)] ، عمياء [صَمَّاء[(٦)]] ، تشبه الفأرة ؛ وليست

---

(١) المشيع ، بفتح الياء المشددة : الشجاع ؛ لأن قلبه لايخذله ، فكأنه يشيعه . والفؤاد الهادى : المهتدى ، أو الذى يهدى صاحبه .

(٢) قفر ، يقال أرض قفر ، ومفازة قفر وقفرة أيضاً . فهى مما يوصف به المؤنث ، صفة لتنوفة . والهجوع ، هنا ، بمعنى الاضطجاع ، نوما كان ، أو غير نوم . المخصص (٥ : ١٠٤) . وملقية الجران ، عنى بها ناقته . ألقت جرانها : وضعت باطن عنقها على الأرض ، تستريح بذلك . ومثل هذا البيت فى معناه قول الآخر (الخزانة ٤ : ٤٨٠ بولاق) :

يارب سار بات ماتوسدا إلا ذراع العنس أو كف اليدا

(٣) القتود : جمع قتد، بالتحريك ، وهو أداة الرحل . والعنس ، بالفتح وبالنون الساكنة : الناقة الصلبة . ووقعت ، هنا ، كأنه من الوقعة ، بالفتح : وهى النومة فى آخر الليل . وطفل العشى : آخره عند غروب الشمس واصفرارها . وإنما تكثر اللحظ فى ذلك الوقت لما يداخلها من الحنين إلى ولدها ، فتتعجل الأوبة ويظهر نشاطها . والسناد ، بالكسر : الشديدة الخلق ، قال ذو الرمة :

جمالية حرف سناد يشلها وظيف أزج الخطو ظمآن سهوق

وفى الأصل : « سنادى »، والوجه ما أثبت .

(٤) فى الأصل : « عيبا » ، تحريف .

(٥) الزبابة بفتح الزاى ، بعدها باء موحدة . ط ، س : « الزيابة » هـ : « الذيابة » ، صوابهما ما أثبت .

(٦) ليست بالأصل . وأثبت ماتقتضيه المقارنة الآتية .

بالخلد ؛ لأنَّ الخُلْدَ أعمى وليس بأصمّ .

والزَبَاب[1] يكون فى الرَّمل .

وقال الشاعرُ[2] :

وهُـــمُ زبَابٌ حائر لا تَسْمَعُ الآذَانُ رَعْــدَا[3]

(الأعمى من ولد الحيوان)

وكلُّ مولودٍ فى الأَرض يُولد أعَمى ، إن كان تأويل العمَى[4] أنّهُ لا يُبصر إلاّ بعد أيام . فمنه ما يفتح عينيه بعد أيَّامٍ كالجُــرْوِ[5] ؛ إلاّ أولادَ الدّجاج ؛ فإنّ فراريجها تَخرُجُ من البيض كاسِيَةً كاسِبة .

(شعر فيه مجون)

وقال أبو الشَّمقْمق ــ وجعل الأيْر أعمى أصمّ على التشبيه ــ فقال :

فسلِّمْ عليه فاترَ الطَّرْفِ ضَاحِكًا وصوِّت له بالحارثِ بن عُبادِ

---

(١) ط ، هـ : « النباب » ، صوابه فى س .

(٢) هو الحارث بن حلزة ، كما فى عيون الأخبار (٢ : ٩٥ ــ ٩٦) : واللسان (زبب) .

(٣) أى لا تسمع آذانهم صوت الرعد . والبيت محرف فى الأصل س ، هـ : « فهو رباب » ط : « فهو ذباب » ، وفى الجميع : « لايسمع » و هـ : « الأذانل » مكان : « الآذان » وأثبت صحة الرواية من الحيوان (٥ : ٢٦٠) وعيون الأخبار واللسان .

(٤) س : « أعمى » . هـ : « لعمى » وهذه محرفة . وأثبت ما فى ط .

(٥) الجرو ، مثلثة : ولد الكلب والأسد والسباع . ط ، هـ : « كالجرذ » س : « كالحرذ » ، صوابهما ما أثبت . وفى (٢ : ٢٨٨) : « وجرو الكلب يكون أعمى عشرة أيام وأكثر . وقد يعرض شبيه بذلك لكثير من السباع » .

بأصْلعَ مِثْلِ الجرْوِ جَهْمٍ غضَنْفَرٍ مُعَاوِدِ طَعْــنٍ جَائفٍ ومناد[1]
أصمّ وأعْمَى يُنْغِضُ الدَّهْرَ رَأْسَهُ يســير على مَيْلٍ بغير قيادِ[2] ١٣٢

(قولُ لمن زعم أن النعامة تسمع ، وردٌّ عليه)

و [قال] مَنْ زعَم أنَّ النَّعــامة تسمَع : يدلُّ على ذلك قول طَرَفَةَ :

هَلْ بِالدِّيارِ الغَدَاة من خرَسٍ أمْ هَلْ بِربْعِ الجميعِ مِنْ أَنَسٍ[3]
سِـــوَى مَهاة تَقْرُو أَسِرَّتَه وَجُؤْذُرٍ يَرْتَعِي على كُنُسِ[4]
أو خاضــبٍ يرتعي بِهِــقْلَتِهِ متى تَرُعْهُ الأَصْــوَاتُ يهتَجِس[5]

فقد قال طَرَفة كما ترى :

* متى ترُعْهُ الأصوات يهتجس *

وقال الآخر : جوابُنا فى هذا هو جوابنا فيما قبله .

---

(١) الطعن الجائف : الذى يصل إلى الجوف .

(٢) أنغض رأسه : حركه إلى أسفل وأعلى . فى الأصل : « ينفض » بالفاء ، وأراها محرفة . ط ، س : « على مهل » ، وأثبت ما فى ه ، وهو أجود .

(٣) الأنس ، بالتحريك : الحى المقيمون . س : « جرس » موضع : « خرس » تحريف .

(٤) المهاة : البقرة الوحشية . تقرو : تقصد . والأسرة : جمع سر ، بالكسر ، وهو من الوادى : أفضل موضع فيه . والجؤذر : ولد البقرة الوحشية . وفيه مع الهمز لغتان : الجؤذر بضم الجيم والذال، وبضم الجيم وفتح الذال . وانظر سائر اللغات فى القاموس . والكنس ، بضمتين : جمع كناس ، بالكسر ، وهو بيت الوحش كما فى فقه اللغة ٣٠٤ طبع الحلبى . وفى شرح التبريزى للمعلقات ١٣٠ : « وهو شىء يتخذه الظباء ، تجذب أغصان الشجرة ، فتقع إلى الأرض، فيصير بينها وبين ساق الشجرة مدخل تستظل به » .

(٥) الخاضب : الظليم احمرت ساقاه . يرتعى بهقلته : يرعى مع أنثاه الفتية . يهتجس : فى القاموس : « هجسه : رده عن الأمر فانهجس » . ونحوه فى اللسان . فلعل يهتجس وينهجس فعلان مطاوعان لهجسه ، وإن لم تذكر المعاجم أولها .

(فـكاهة)

وروى الهيثم بنُ عديٍّ ، وسمعه بعضُ أصحابنا من أبي عبيدة ، قال :
تضارَط أعرابيَّان عند خالد بن عبد الله[1] ، أحدُهما تميميٌّ والآخر أزْديٌّ ،
فضَرَط الأزْديُّ ضَرْطةً ضئيلة ، فقال التميميّ :

حَبَقْتَ عَجِيفاً مُحْثَلاً ولوَ أنَّنِي حَبَقْتُ لأَسْمَعْتُ النَّعامَ المشرَّدَا[2]
فمرَّ كمرِّ المنجَنِيق وصَوْتُهُ يبذُّ هَزيمَ الرَّعْدِ ، بدءًا عَمرّدَا[3]

(مَنْ لَقَبُه : نَعامة)

وزعم أبو عمرو الشَّيبانيُّ عن بعض العرب ، أنّ كلّ عربيّ [وأعرابيّ]
كان يلقَّب نَعامة ، فإنما يلقَّب بذلك لشدّةِ صَمَمِه . وأنَّهُ سأله عن الظليم :
هل يسمع ؟ فقال : يَعرِفُ بأنفه وعينِه ، ولا يحتاج معهما إلى سَمْع .
وأَنْشَدَنِي :

فَجِئْتُكَ مِثْلَ الهِقْلِ يشتمُّ رَأْلَهُ ولا عَرْفَ إلاّ سَوْفُهَا وَشَمِيمُها[4]

---

(١) هو خالد بن عبد الله القسري .

(٢) العجيف : المهزول . ولم يذكر في اللسان والقاموس بمادة (عجف) . والمحثل ، بالحاء المهملة بعدها مثلثة مفتوحة : الهزيل . وفي الأصل : « مجتلا » محرف .

(٣) المنجنيق ، وتكسر الميم : آلة ترمى بها الحجارة ، مؤنثة وقد تذكر ، فارسيتها : من جه نيك ، أي أنا ما أجودني . يبذ : يغلب ويفوق . وهزيم الرعد : صوته . والبدء ، بالفتح : أصل معناه السيد والشاب العاقل . وبدءا : حال ثانية من ضمير « مر » . ط ، س : « بدء » هـ : « بداء » محرفتان عما أثبت . والعمرد ، كعملس : الطويل . وانظر نحو هذا المعنى في (٦ : ٤٦٩) .

(٤) العرف ، بالفتح : الريح طيبة أو غير طيبة . والسوف ، بالفتح : الشم . وفي ط ، هـ : « شوءها » س : « ثوءها » . وهما كلمتان محرفتان لا تنبضان بمعنى . والوجه ما أثبت .

وزعم أنَ لَقَبَ بيهس[١] نَعامة ، وأنّه لقِّب بذلك لأنه كان فى خلق نعامة ، وكان شديدَ الصَّمَم مائقاً[٢] . فأنْشَدَ لعدىٍّ بن زَيد[٣] :

ومِنْ حَـذَرِ الْأَيَّامِ مَاحَزَّ أَنْفَهُ
قَصِيرٌ وَخَاضَ الموْت بالسَّيْفِ بَيهسُ[٤]

نعامةُ لَمَّا صرَّع القومُ رَهْطَهُ تَبَيَّن فى أَثْوَابِهِ كيفَ يَلْبَسُ[٥]

وقال المتنخِّل الهذَلىٌّ[٥] ، وذكر سَيْماً :

مُنْتَخَبُ اللّبِّ لهُ ضَرْبَة خَدْباءُ كالعَطِّ من الخِذْعِلِ[٦]

---

(١) بيهس : رجل من بنى فزارة بن ذبيان . وله حديث وقصة فى الأغانى (٢١ : ١٢٢ — ١٢٤)، ونقلها عنه صاحب الخزانة فى (٣ : ٢٧٢ — ٢٧٣ بولاق) . وذكره الميدانى فى مثل : « ثكل أرأمها ولدا » .

(٢) مائقاً : أى أحمق . والموق بالضم والفتح : الحمق . هذا . وقد زعم أبو الفرج أنه إنما سمى نعامة بقوله :

فلأَطرُقَنْ قَوْمًا وَهُمْ نِيَامٌ وَأَبْرُكَن بِرْكَةَ النَّعَامَهْ

(٣) الحق أن قائل الشعر هو المتلمس الضبعى ، من قصيدة فى ديوانه المخطوط ، وكما فى الأغانى وحماسة أبى تمام (١ : ٢٦٨) والبحترى ١٩ وأمثال الميدانى (١ : ١٣٨ ، ٢١٦) ومروج الذهب (١ : ٢٩٢) والخزانة ، ومعاهد التنصيص (١ : ٢٤٨) . وقد ذكر الجاحظ البيتين فى البيان (٤ : ٢٧) ولم ينسبهما .

(٤) قصة قصير متداولة فى الكتب . وانظر المراجع المتقدمة . واسمه قصير بن سعد اللخمى . ورواية البيان : « ولاقى الموت بالسيف » ، والمروج ، والأغانى، والخزانة، والميدانى : « ورام الموت » . رام : طلب .

(٥) المتنخل ، بكسر الخاء المشددة ، اسم فاعل من تنخل ، لقب مالك بن عويمر الهذلى شاعر من شعراء هذيل . وهو جاهلى كما فى الخزانة (٤ : ١١٠ سلفية) . وفى الشعراء من يقال له : (المتنخل السعدى) ذكره الآمدى فى المؤتلف ١٧٩ .

(٦) منتخب اللب : أى منتزع العقل ، فهو فى هوجه كالمجنون . ورواية اللسان : (خذعل) : « تنتخب اللب » . والخدباء ، بفتح الخاء : الهوجاء . وفى الأصل : « حدباء » ، تصحيحه من اللسان . كالعط من الخذعل : أى كالشق من ثوب الخذعل وهو بكسر الخاء والعين : المرأة الحمقاء ، أو ثياب من أدم يلبسها الرعن =

يقول : هذا السَّيف أهوجُ لاعَقْل له . والخَذَب[1] فى هذا الموضع : الهَوَج[2] ، وتهاوِى الشىءِ لاَيَتَمالك . ويقال للسَّيف : لايُبالى مالَقِىَ .

(شعر فى النعام والتشبيه به)

وقال الأعشى فى غير هذا الباب :

كَحَوْصَلةِ الرَّأْلِ فى جَرْيهَا إذا جُلِيَتْ بَعْدَ إقْعَادِها[3]

١٣٣ « كحوصلة الرَّأل » يصف الخَمْرَ بالُحمرة . جليت : أخرجت ؛ وهو مأخوذ من جَلوة العروس القاعدة ، إذا قَعَدَت عن الطَّلَب[4] . ومثله فى [غير[5]] الخمر قولُ علقمة :

تأوى إلى حِسْكِلٍ حُمْرٍ حواصِلُه كأنَّهُنَّ إذا بَرَّكْن جُرثومُ[6]

وقال الأخنس بن شهاب[7] :

تَظَلُّ بها رُبْدُ النَّعامِ كأنَّهَا إمَاءٌ تُزَجِّى بالمسَاءِ حَواطبُ[8]

= لتتحمل عبثهم وحمقهم . ط ، هـ : « الخزعل » صوابه بالذال ، كما فى س ، واللسان .

(١) فى الأصل : « الحدب » بالحاء، صوابه بالمعجمة .

(٢) الهوج ، بالتحريك : الحمق والرعونة . هـ : « الهدج » صوابه ما أثبت من س ، ط .

(٣) فى جريها : أى عند سيلانها وتدفقها من فم الدن . والرأل : فرخ النعام . وحوصلته حمراء ؛ لتجردها من الريش .

(٤) أى عن أن يطلبها الأزواج .

(٥) ليست بالأصل ، ولا يصح الكلام بدونها .

(٦) سبق هذا البيت وشرحه فى ص ٣٦٧ .

(٧) الأخنس بن شهاب ، شاعر جاهلى قبل الإسلام بدهر . الخزانة (٣ : ١٦٩ بولاق) نقلا عن شرح المفضليات ٤١٠ .

(٨) الربد : جمع أربد وربداء ، وهو ما فى لونه غبرة . والإماء : جمع أمة ، بالتحريك وهى المملوكة . والحواطب : اللاتى يجمعن الحطب . وخص المساء ؛ لأن الإماء =

تُزجّي: تَدْفَعُ[(١)] ؛ وذلك أنَّهُ يثقل حِملها فتمشى مِشْية النَّعامة .

وقال الرّاجز[(٢)] :

وإذا الرِّياحُ تَرَوَّحَتْ بِعَشِيَّةٍ رَتَكَ النَّعامُ إلى كَثِيفِ العَرْفَجِ[(٣)]

والرَّتْكُ : مشْىٌ سريع . يقول تبادرُ إلى الكثيف[(٤)] تستتر به[(٥)] من البَرْد . وقال :

* رَتْكَ النَّعامةِ فى طريقٍ حامِ[(٦)] *

= المحتطبات يرجعن فيه إلى أهاليهن وقد أعيين ، فهن يمشين على تؤدة . انظر شرح المفضليات. ورواية المفضليات : « بالعشى » مكان : « بالمساء » .

(١) فى الأصل : « ترفع »، صوابه من اللسان وشرح المفضليات ٤١١ . ويروى : « تَزَجَّى » بنزع إحدى التاءين .

(٢) كذا ، وصوابه : « الشاعر » . وهو الحارث بن حلزة اليشكرى ، من قصيدة مفضلية ٢٥٥ أولها :

طرق الخيال ولا كليلة مدلج سدكا بأرحلنا ولم يتعرج

(٣) كذا أنشد الجاحظ هذا البيت . وتفسيره الآتى يشهد لصحة هذا النص عنده هو ، وكذا صحة ماضبطت به البيت . لكن صواب الرواية والضبط ، هو كما فى المفضليات ٥٢٦ :

وإذَا اللِّقَاحُ تَرَوَّحَتْ بِعَشِيَّةٍ رَتْكَ النَّعامِ إلى كَنِيفِ العَرْفَجِ

وبعده :

ألفَيْتَنَا للضيف خَيْرَ عِمَارَةٍ إنْ لَمْ يَكُنْ لَبَنٌ فَعَطْفُ الْمُدْمَجِ

اللقاح : الإبل ، وأحدها لقوح ، بالفتح . تروحت بعشية : سارت فى آخر النهار راجعة إلى مأواها . رتك النعام : أى مثل رتك النعام . والرتك ، بالفتح والتحريك : مقاربة الخطو . والكثيف : الملتف. وأما الكنيف ، بالنون، فهو حظيرة تعمل من شجر تأوى إليها الإبل . والعرفج : شجر .

(٤) س : « الكثيب » محرف . وفى الكلام نقص ، لعله « الكثيف من العرفج » .

(٥) س : « تستتر به » . ولعلها صحيحة . وقالوا : انسرب الوحشى : دخل فى كناسه .

(٦) طريق حام : أى حمى رمله مما ضربت فيه الشمس . وهو أشد لرتك النعامة .

(استقبال الظليم للريح)

وليسَ لقولِ مَنْ زعم أنَّ الظليم إذا عدا استقبَل الرِّيح [وإنما ذلك مخافةَ أن تكونَ الرِّيحُ من خلفه فتكبِتَه[١] ـــ معنًى ؛ لأنَّا نجدُهم يصفون جميع مايستدعونه[٢] باستقبال الرِّيحِ] . قال عَبْدة بن الطَّبيب ، يصف الثَّور :

مستقبل الرِّيحِ يهفُو وهو مبترِكٌ   لسانُه عَنْ شِمالِ الشِّدْقِ مَعْدُولُ[٣]

ووصف الذِّيبَ طُفيلٌ الغَنَويُّ ، فقال :

كسِيدِ الغَضَا العادِي أضَلَّ جِراءَهُ   عَلَى شَرَفٍ مُسْتَقْبِلَ الرِّيح يلحَب[٤]

---

(١) تكبته : تصرعه لوجهه ، كبته يكبته كبتاً فانكبت . وممن ذهب هذا المذهب شارح ديوان طفيل ص ٢٣ قال : « وكل دابة أو ضامر إذا جرت استقبلت الريح ، لأنها إذا استدبرتها كسعتها وألقتها » .

(٢) كذا بالأصل . ولعلها : « يستسرعونه » ، أى يعدونه سريعا . وقد علل الأمر صاحب اللسان بقوله : « وامتخر الفرس الريح واستمخرها : قابلها بأنفه ؛ ليكون أروح له » .

(٣) يهفو : يشتد عدوه . قال بشر بن أبى خازم يصف فرساً :

يُشَبَّهُ شَخْصُها وَالخَيْلُ تَهْفُو   هُفُوًّا ظِلَّ فَتْخَاءِ الجَنَاحِ

وابترك : انتحى على أحد شقيه فى عدوه . ط : ھ : « مشتبك » س : « مشترك » صوابهما من المفضليات ١٤٠ . والشدق هى فى س : « السدق » ھ : « السدف » صوابهما فى ط والمفضليات . وأول البيت فى كل من ط ، ھ : « يستقبل » وأثبت رواية س والمفضليات .

(٤) السيد ، بالكسر : الذئب . والغضا : نبت تلجأ إليه الذئاب . وذئاب الغضا أخبث الذئاب . ط : « العاوى » ھ : « العارى » ، صوابهما فى س . ورواية الديوان : « الغادى » . أضل جراءه : فقد أولاده ، فهو يسرع فى عدوه مجتهدا ليبحث عنها . والشرف : الأرض العالية . ورواية الديوان : « عَلاَ شَرَفًا » . يلحب : =

(استطراد)

ويُلحَق(١) بموضع ذِكْر الضَّربِ الشديد ، قولهم فى المَثَل : « ضرَبْنَاهُمْ ضَرْبَ غَرَائبِ الإبِلِ » . قال أبو حيّة :

جَدِيرُونَ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْ يخضِبُوا القَنَا

وَأَنْ يتركوا الـكَبْشَ المدجَّجَ ثاويا(٢)

ضَرَبْنَاهُمُ ضرب الحساما غرائب

وإذا جاءك عطاشا لعسا حراراً ضواريا(٣)

وإذا جاءت عِطاشاً قَدْ بلَغ منها العطشُ واليُبْسُ ، قيل : جاءَتْ تَصِلُّ

= يمر مرا سريعاً . وفى الأصل : « يلهث » ، صوابه ماأثبت . والبيت من قصيدة بائية لطفيل ، أولها :

تَـأَوَّبَنِي هَمٌّ من الليلِ مُنْصِبُ وجَاءَ مِنَ الْأَخْبَارِ مالا أكذِّبَ

وهو قد نعت بالبيت الذى أنشده الجاحظ فرسا شبهه بالذئب . وقبل البيت :

كأنَّ على أعرافِهِ ولجامِهِ سَنَا ضَرَمٍ مِنْ عَرْفَجٍ يتلهبُ

(١) الـكلام من هنا إلى قوله فى الصفحة الآتية : « وزعم ابن أبى العجوز » ، استطراد من الجاحظ لاعلاقة له بالـكلام السابق .

(٢) القنا : الرماح . يخضبونها : أى بدماء الأعداء . والـكبش : القائد ، أو الرئيس . المدجج : ذو السلاح . ثاويا : مقتولا . ﻫ : « الـكيس » س : « الـكبس » س ، ﻫ : « المحـدد » مكان : « المدجج » ، ﻫ : « قاويا » . وصـواب رواية البيت من ط .

(٣) هذا البيت ساقط من س . ﻫ : « وإذا جاءت » . وهو كلام محرف مشيأ ، لم أجد له مرجعا يعين على تحقيقه .

أجوافِها صَليلا . قال الرَّاعى :

فَسَقَوْا صوادِىَ يَسْمَعُون عشِيَّةً ... لِلْماءِ فى أجوافِهِنَّ صَلِيلا

قال : وأنشدنا أبو مَهديَّة ، لمزاحمٍ العُقَيلى[(1)] :

غَدَتْ مِنْ عَليه بعدَ ماتمَّ ظِمْؤُها ... تَصِلُّ ، وعَنْ قَيْضٍ بِزَيزاءِ مَجْهَلِ[(2)]

قال : الزِّيزاءُ[(3)] : المكان الغليظ .

وقال آخر[(4)] :

ألَمْ تَعلمى يا أمَّ حَسَّانَ أنَّنِي ... إذا عَبْرَةٌ نَهنَهتُها فَتَجلَّتِ[(5)]

١٣٤ رجَعت إلى صَدْر كجرَّةِ حَنتم ... إذا قُرِعَتْ صِفْراً مِنَ الماءِ صلَّتِ[(6)]

---

(١) هو مزاحم بن عمرو ، شاعر بدوى إسلامى ، صاحب قصيد ورجز ، كان فى زمن جرير والفرزدق ، وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه . الأغانى (١٧ : ١٥٠) .

(٢) أى أقامت مع فرخها حتى عطشت وطلبت الماء ، فطارت لذلك عند تمام ظمئها . والظمء ، بالكسر : مابين الشربين أو الوردين . وروى فى الكامل والمخصص (١٤ : ٥٧) : « تم خمسها » . وهو بالكسر : ورود الماء فى كل خمسة أيام . قال أبو حاتم : ولم يرد أنها تصبر عن الماء خمسة أيام ، إنما هذا للإبل لا للطير ، ولكنه ضربه مثلا . ابن السيد فى الاقتضاب ٢٤٨ . وقد تكلم كثير من العلماء فى هذا البيت ، فى دخول : « من » على « على » . انظر أدب الكاتب ٣٨٣ وابن سيده (١٤ : ٥٧) والبغدادى (٤ : ٢٥٣ بولاق) واللسان (صلل) . ط : « يعدما » تحريف . والقيض ، بالفتح : قشر البيضة الأعلى . والزيزاء ، بالكسر والفتح : ماغلظ من الأرض . هـ : « عن قبض بزيراء » محرف . قال أبو حاتم : قلت للأصمعى : كيف قال : غدت من عليه ، والقطاة إنما تذهب إلى الماء ليلا ، لا غدوة ؟ فقال : لم يرد الغدو ، وإنما هذا مثل للتعجيل . والعرب تقول : بكر إلى العشية ، ولا بكور هناك .

(٣) هـ : « الزيراء » ، محرف .

(٤) هو عمرو بن شأس ، كما فى اللسان (حنتم) والأغانى (١٠ : ٦١) . وعمرو ابن شأس شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام وهو شيخ كبير . شرح التبريزى للحماسة (١ : ١٤٩ بولاق) .

(٥) أم حسان هى زوجه . والعبرة ، بالفتح : الدمعة . نهنهها : كفها . تجلت : ظهرت . وفى الأغانى : « فتخلت » ، والأولى أقوى وأطيب .

(٦) الحنتم : جرار خضر تضرب إلى الحمرة ، وقد يقال للخزف كله حنتم . =

(اختبار أمير المؤمنين المنصور لأحد الحوّاء)

وزعمَ ابن أبى العجوز الحوّاءُ ، أنَّ الأفاعىَ صُمٌّ ، فلذلك لاتجيب الرُّقى ، ثمَّ زعم لى فى ذلك المجلس[1] أنَّ أميرَ المؤمنينَ المنصورَ ، أراد امتحان رُقَى حَيَّةٍ[2] وأنْ يتعرَّف صحَّتها من سُقْمها ، وأنَّهُ أَمَرَ[3] فصاغوا له أَفْعًى من رَصاص ، فجاءَت ولا يَشُكُّ النَّاظر فيها ؛ وأنَّهُ أمر[4] بإلزاقها فى موضعٍ من السَّقف ؛ وأنَّهُ أحضرهُ وقال [له] : إنَّ هذه الأفعى قد صارَتْ فى هذه الدّارِ ، وقد كرِهْتُها لمكانِها ؛ فإن احْتَلْتَ لى برُقْيَةٍ ، أو بما أحببْتَ[5] أحسنتُ إليك . قال : إن أَرَدْتُ أَنْ آخذها هَرَبَتْ[6] ولكنْ أرقِيها حتى تنزل ! فرقاها فلما رآها لاتتحرَّكُ زادَ فى رفع صوته وألقى قِناعَهُ ، فلما رآها لاتتحرَّكُ نزعَ عِمامتَهُ وزاد فى رفعِ صوتِه ، فلما رآها لاتتحرّك نزَعَ قلنسوتَه وزادَ فى رَفْعِ صوتِه . فلما رآها لاتتحرَّك نَزَعَ ثِيابَهُ ، وزاد فى رَفْعِ صوْتِهِ[7] ، حتَّى أزْبدَ[8] ، وتمرَّغَ

= انظر اللسان والنهاية . صفراً من الماء : خالية منه . وجعل صدره كالجرة من الختم ، فى صلابتها وشدتها .

(١) بدل هذا الكلام من أول الفقرة فى س : « زعم ابن أبى العجوز فى ذلك المجلس » .

(٢) س ، هـ : « جده » ط : « جد » ، صوابهما ماأثبت . وانظر ٤٢٠ س ٢ .

(٣) ط ، هـ : « فأمرهم » .

(٤) ط ، هـ : « ثم أمر » .

(٥) ط ، هـ : « أحست » ، صوابه فى س .

(٦) س : « فعلت » .

(٧) الكلام من مبدإ : « وألقى قناعه » إلى هنا ساقط من س .

(٨) ط ، س : « أربد » . هـ : « أزيد » ، صوابهما ماأثبت . وأزبد بمعنى ظهر منه الزبد على جانبى الشفتين .

فى الأرض ، فلما فعل ذلك سال ذلك الرَّصاصُ وذابَ ، حتى صار بين أيديهم ، فأقرَّ عند ذلكَ المنصورُ بجودَةِ رُقيته .

فقلت له : ويلك ! زعمتَ قُبَيْلُ أنَّ الأَفاعِىَ لاتجيب الرُّقى ؛ لأنها لاتسمع ، وهى حيوان ، ثمَّ زعمتَ أنَّها أجابت ، وهى جماد ! !

(شعر وخبر فى نفار النعامة)

وقال الشَّاعِرُ :

وربداء يَكفِيها الشَّميمُ ومالها سِوى الرُّبْدِ من أنْسٍ بتلك المجاهِلِ

يخبر أنَّ النَّعامة لاتستأنسُ بشيءٍ من الوحْش ، وأنَّ الشَّمَّ يغنيها فى فهم ماتحتاج إليه .

وهى مع ذلك إذا صارتْ إلى دور النّاس ، فليس معها من الوحْشة منهم ، على قدر ما يذكرون .

وفى الوحش ما يأنس ، وفيها[1] مالا يأنس . وقال كثيِّر :

فأقْسَمْتُ لَا أَنْسَاكِ ماعِشْتُ لَيْلَةً وإنْ شَحَطَتْ دارٌ وَشَطَّ مَزارُهَا[2]

وما استَنّ رَقراقُ السَّراب وما جَرَتْ ببيض الرُّبا أنسيُّها وَنَوَارُها[3]

---

(١) س : « ومنها » .

(٢) شحطت : بعدت . وشط مزارها : بعد .

(٣) استن السراب : اضطرب . والسراب ، كسحاب : مايرى على وجه الأرض كأنه ماء وليس به ، وهو يبدو فى الفلوات فيخدع السفر يظنونه ماء . وفى الكتاب « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً » . وقد علله العلماء بما يكون من الانعكاسات الضوئية ، فتظهر صورة السماء فى صفحة الأرض ، أو تبدو صورة النخيل البعيدة ، فى وضع مقلوب يخدع الناظر ، فيحسبها ظلالا مرتسمة فى ماء . والأنسى من الحيوان ، يقال بفتح الهمزة والنون ، نسبة إلى الأنس =

ووصف بلادًا قفاراً [1] غيرَ مأنوسة فقال :

ما تَرَى الْعَيْنُ حولهَا مِنْ أنِيسٍ قُرْبَهَا غير رابداتِ الرِّئَال [2]

خصَّها بالذِّكْر ؛ لأنها أَنْفَرُ وأشْرَدُ ، وَأَقَلُّ أُنْساً من جميع الوحش .

وقال الأحيمر [3] : كنتُ آتى الظَّبْىَ حَتَّى آخُذَ بذراعيه ؛ وما كان شئٌ من بهائم الوحْش ينكرُنى إلاّ النّعام [4] .

وَأَنْشَدَ قَوْلَ ذى الرُّمَّةِ :

وكلّ أَحَمٍّ المقْلتين كأنَّهُ أخو الإنْسِ من طُول الخَلاءِ المغفّلِ [5]

= والأنسة بالتحريك فى كل منهما بمعنى الائتناس . ويقال بكسرها نسبة إلى الإنس، بالكسر ، وهم بنو آدم . ويقال بضمها نسبة إلى الأنس ، بالضم ، وهو ضد الوحشة . وأول هذه اللغات أضعفها . وقد أعاد الضمير فى « أنسيها » إلى الحيوان ، ولم يذكره ، ولكنه مفهوم ضمنا . والنوار ، بالفتح : النافر الذى لا يستأنس من الحيوان . والرواية فى ديوان كثير (١ : ٩١) : « وحشيها ونوارها ».

(١) س : « أقفارا » .

(٢) الرابدات : المقيمات . ربد ربودا : أقام . والرئال : جمع رأل ، بالفتح ، وهو ولد النعام . وفسرت « الرابدات » فى شرح ديوان كثير (١ : ١٤٨) بأنها « صفة بمعنى الربد جمع ربداء ، وهى التى فى سوادها نقط بيض أو حمر » . ولعل مافسرت به أقرب إلى الاشتقاق . فليس فى المعاجم التى بأيدينا « رابد » بمعنى « أربد » .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ١٣٣) . والخبر فى العقد (٤ : ٢٣٨) وعيون الأخبار (٢ : ٨٨) .

(٤) كذا أورد الجاحظ الخبر مقتضبا ، وهو بتمامه ، كما فى عيون الأخبار (٢ : ٨٨) « كنت حين خلعنى قومى ، وأطل السلطان دمى ؛ وهربت وترددت فى البوادى ظننت أنى قد جزت نخل وبار ، أو قريب منها . وذلك أنى كنت أرى النوى فى رجع الذئاب . وكنت أغشى الظباء وغيرها من بهائم الوحش فلا تنفر منى ؛ لأنها لم تر أحداً قبلى . وكنت أمشى إلى الظبى السمين فآخذه ؛ وعلى ذلك رأيت جميع تلك الوحوش ؛ إلا النعام ؛ فإنى لم أره قط إلا نافراً فزعا » .

(٥) أحم : أسود . والمقلة ، بالضم : حدقة العين . وأراد به الظبى . والخلاء المغفل : الذى لا علامة فيه ولا أثر . وضبط « كل » بالنصب ؛ لأن قبل البيت كما فى الديوان ٥٠٥ :

=

(نِفار الوحش وهربها من الصحارى)

١٣٥ يدلّ على ذلك فى قدْرِ ما شاهدنا أنّهم يخرجــون إلى الصّحارى الأغفال(١) ، التى لم يُذْعَر صيدُها ، ولا يطؤُّها النَّاس ، فيأتون الوحْشَ فوضَى هَمَلاً ، ومعهم كلابُهم وفهودُهم تتلوَّى(٢) بأيديهم ، فيتقدّمون إلى المواضع التى لو كانوا ابتدءوا الصّيْدَ مِنْ جهتها لأخَذُوا ما أخذوا . فإذا نفرَتْ وحوشُ هذه الأرْضِ ، ومرَّت بالأرْضِ المجاوِرَةِ لها ، نفرت سُكّان تلك الأرضِ مع هذه النّوافر ، ولا تعودُ تلك الصّحَارَى إلى مثل ما كانت عليه ، مِنْ كثْرَة الوَحْشِ حيناً :

ومتى لم تنفرِّها الأعرابُ بالكلابِ والقِسِيِّ ، ونَصْب الحبائل ، رتَعتْ بقُربهم ، ثمَّ دنتْ منهُـمْ أوّلاً فأوّلاً ، حـتى تطأ أكنافَ بيوتهم . وهى اليوم فى حَيْرِ(٣) المعتصم بالله(٤) والواثق بالله(٥) على هذه الصِّفة .

= دعت مية الأعـداد فاستبدلت بها خناطيل آجـال من العين خـذل
وبعده سبعة أبيات ، ثم :
وكل موشاة القوائم نعجة لها ذرع قد أحرزته ومطفل
تريع له ريع الهجان وأقبلت لها فرق الآجال من كل مقبل
ثم البيت : « وكل أحم المقلتين » .

(١) الأغفال : التى لاعلامة فيها ولا أثر .

(٢) س : « ملوى » ! .

(٣) الحير ، بالفتح : البستان ، أو الموضع المطمئن الوسط المرتفع الحروف . ومثله الحائر . جاء فى اللسان : « وبالبصرة حائر الحجاج ، معروف ، يابس لاماء فيه ، وأكثر الناس يسميه الحير ، كما يقولون لعايشة : عَيْشَةَ . يستحسنون التخفيف وطرح الألف » . فى ط ، س : « حيز » ه : « حد » صوابهما ماأثبت .

(٤) المعتصم بالله ، هو محمد بن هارون الرشيد ، بويع بالخلافة سنة ٢١٨ بعد وفاة المأمون ، وهو فاتح عمورية ، وأول من أضاف من الخلفاء اسمه إلى اسم الله تعالى. توفى بسامرا سنة ٢٢٧ .

(٥) الواثق بالله ، هو هارون بن محمد بن هارون الرشيد ، فهو ابن المعتصم . ولى بعد أبيه سنة ٢٢٧ وتوفى بسامرا سنة ٢٣٢ .

(هِجرة الظِّباءِ إلى الناس)

وخبّرنى إبراهيم بْنُ السِّندىِّ[١] قال : خبرنى عبدُ الملك بنُ صالح ، وإسحاقُ بن عيسى ، وصالحٌ صاحبُ الموصِل ، أنّ خالدَ بنَ بَرْمَكَ ، بينا هو على سطحٍ من سُطوح القُرى مع قَحْطبَةَ[٢] ، وهم يتغدّون[٣] ، وذلك فى بَعض منازلهم[٤] ، حين فصلوا من خُراسَانَ إلى الجبل . قال : وبين قَحْطَبَةَ وبينَ الأعداء مَسِيرَةُ أيّامٍ وليال . قال : فبينا خالد يتغدَّى معه وذلك حين نزلوا وبهم كلاَلُ السَّير ، وحينَ عَلّقُوا على دوابِّهم[٥] ، ونصبوا قُدُورَهُمْ ، وقَرّبُوا سُفَرَهُمْ[٦] .

---

(١) هو إبراهيم بن السندى بن شاهك ، يروى عنه الجاحظ كثيراً . وأبوه السندى ابن شاهك ، كان يلى الجسرين ببغداد للرشـيد . انظر الجهشيارى ٢٣٦ - ٢٣٧ . وقد نعت الجاحظ إبراهيم بأنه « مولى أمير المؤمنـين » . الرسائل ٤٧ ساسى .

(٢) هو قحطبة بن شبيب الطائى ، صحب أبا مسلم الخراسانى وكان شريكه فى إقامة الدعوة العباسية بخراسان ، وقاد جيوش أبى مسلم فـكان مظفراً ، غرق فى الفرات سنة ١٣٢ حين ابتدأت الخلافة العباسية . ﻫ : « قرطبة » محرفة . وقحطبة ، بفتح القاف والطاء .

(٣) أى يتناولون الغداء ، بالفتح ، وهو طعام الغدوة ، بالضم ، وهى البكرة ، أو ما بين الفجر وطلوع الشمس . س : « يتغذون » بالذال المعجمة .

(٤) بعد هذا فى س : « وذلك حين نزلوا وبهم كلال السير » ، وهو كلام مقحم سيأتى فى موضعه قريباً .

(٥) فى اللسان : « والعليق : القضيم يعلق على الدابة . وعلقها : علق عليها » . والقضيم : الشعير . ولا تزال هذه العبارة حية عندنا فى مصر ، يستعملها سواس البهائم . ﻫ : « علفوا على دوابهم » محرفة .

(٦) السفر : جمع سفرة ، بالضم ، وهى طعام المسافر ، وتقال لتلك التى تبسط ويؤكل عليها ، والتى يوضع فيها طعام المسافر .

قال : فَنَظَرَ خالدٌ إلى الصَّحراءِ ، فرأى أَقَاطِيعَ الظِّباءِ قد أقبلت من جهة الصَّحَارَى ، حتى كادت تخالِطُ العَسْكَرَ ، فقال لِقَحْطَبَةَ : أَيُّها الأمير ! نَادِ فى النَّاس : « يا خَيلَ الله ارْكَبى[١] » ؛ فإنّ العدوّ قد حَثَّ إليكَ السَّير ، وعامَّةُ أصحابك لن يسرِجوا ويُلجِموا قبل أن يروا سَرَعان الخيل[٢] . فقام قحطبة مذْعوراً ، فلما لم ير شيئاً يَرُوعه ، وَلَمْ يَرَ غُبارا قال لخالد : ما هذا الرّأىُ ! قال: أيُّها الأمير ! لا تتشاغل بى وبكلامى ، وَنَادِ فى النَّاس[٣] . أما تَرَى أقاطيعَ الوحْش قد أقبلت ، فارقت[٤] مواضعَها حَتَّى خالطت الناس ؟ ! إنّ وَرَاءهَا جَمْعاً عظيما[٥] ! . قال : فو الله ما ألجموا وَأَسْرَجُوا[٦] حَتَّى رَأَوْا ساطِعَ الغبَارِ ، ولا تلبَّسوا[٧] وتسلَّحوا حَتَّى رأوا الطليعة[٨] . فما التأموا حَتى استوى أصحابُ قحطبَة على ظُهورِ خيولهم . ولولا نَظْرَةُ خالد بنِ برمَكَ وفِراستُهُ ، لقد كان ذلك الجيش اصطُلِم[٩] .

---

(١) روى الجاحظ هذا الحديث فى أول ما اختاره « من كلام الرسول ، مما لم يسبقه إليه عربى ، ولم يشاركه فيه عجمى ، ولم يدع لأحد ، ولا ادعاه أحد ، مما صار مستعملا ومثلا سائراً » . البيان (٢ : ١٥) .

(٢) سرعان الخيل ، بالتحريك ، ويسكن : أوائلها . وفى الأصل : « وغاية أصحابك أن يسرجوا » ، صوابه من ابن أبى الحديد (٣ : ٤١٣) .

(٣) كذا فى هـ . وفى س : « ناد فى الناس » بإسقاط الواو . ط : « ونادى فى الناس » محرفة .

(٤) كذا بدون ذكر الواو قبله ، على الاستئناف . وفى ابن أبى الحديد بالواو .

(٥) س : « فظيعاً » . وفى ابن أبى الحديد : « وإن وراءها لجمعا كثيفا » .

(٦) أى وضعوا اللجم والسروج على الخيل .

(٧) تلبسوا ، لبسوا ثياب الحرب .

(٨) طليعة الجيش : أولهم . س : « الطلبة » .

(٩) اصطلم الجيش ، بالبناء للمفعول : أبيد ، واستؤصل .

(قصّة فى قوّة الشمّ)

وكان إبراهيم [بنُ[1]] السِّنديِّ يحدِّثنا مِنْ صدقِ حِسِّ أبيه فى الشَّمِّ ، بشيءٍ ما يحكى مثلُه إلاّ عن السِّباع والذَّرّ والنَّعام . وزعم أنَّ أباه قال ذات يوم : أجدُ ريحَ بولِ فأرة ! ثمَّ تشمَّمَ وأجالَ أنْفَهُ فى المجلس ، فقال : هو فى تلك الزَّاوية ! فنظروا فإذا على طرف البِساط من البلَلِ بقدْر الدِّرْهم ، أو أوْسَعَ شيئاً ، فقضَوْا أنَّه بولُ فأرة .

٦٣٦

قال : وشهِدْتُه مرَّةً وأشْرَاطُهُ[2] قيامٌ على رأسِه فى السِّمَاطين[3] ، فقال : أجدُ رِيحَ جَوْرَبٍ عَفِنٍ مُنْتن ! فتشمَّمْنا بأجمعنا ، فلم نَجِدْ شَيْئاً ، ثمَّ تشمَّمَ وقال : انزَعُوا خُفَّ ذاك . فنزعوا خُفَّه ، فكلَّما مدَّ النازعُ له شيئاً بدا من لِفافَته . فما زال النَّتْنُ يَكْثُفُ ويزدادُ ، حتَّى خَلَعَ خُفَّهُ ونزَعَهُ مِنْ رِجْله ، فظَهَرَ من نَتْنِ لِفافَتِهِ ماعُرِفَ به صِدْقُ حِسِّه . ثمَّ قال : انزَعُوا الآنَ أخفافَكُمْ بأجمعكم ، فلا بُدَّ من ألاَّ يكونَ فى جميع اللَّفائفِ مُنْتِنٌ غيرُ لِفافته ، أو تكونَ لِفافتُه أنتَنها ؛ فنَزَعُوا ، فلم يَجِدُوا فى جميعها لِفافةً منتنةً غيرها .

وأنْشَدُوا :

غزا ابْنُ عُميرٍ غَزوةً تركت لنا ... ثَناءً كنَتْنِ الجوربِ المتخرِّقِ[4]

---

(١) ليست بالأصل . وانظر ما سبق فى التنبيه الأول من ص ٤٢٣ .

(٢) الأشراط : الحرس ، مثله ماجاء فى قول حسان (اللسان : شرط) :

فى ندامى بيض الوجوه كرام ... نبهوا بعد هجعة الأشراط

(٣) السماطين : مثنى سماط ، بالكسر ، وهو الصف من الناس .

(٤) ابن عمير هذا ، اسمه عبد الله بن عمير ، كما سبق فى (١ : ٢٤٠) . وفيه وفى ثمار القلوب ٤٨٦ : « تركت له » . ورواية الوساطة ٢٩٩ : « لها » =

(أقوى درجات التشمّم)

وليس الذى يُحكَى من صِدق الحسّ فى الشّم – عن بعض النّاس ، وعن النّعام والسّباع ، والفأر والذّرّ ، وضروبٍ من الحشَرات – من شكل مانطق[١] به القرآنُ العظيمُ ، من شأن يعقوبَ ويوسفَ عليهما الصلاة والسّلام حين يقول تعالى : ﴿ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ . قَالُوا تَاللهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ . وكان هذا من يعقوبَ بعد أن قال يوسفُ : ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِى هٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . ولذلك قال : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ ، ثمّ قال : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ .

وإنما هذا علامةٌ ظهرَتْ له خاصة ؛ إذ كان النّاسُ لا يشتمّون أرواحَ أولادِهم[٢] إذا تباعَدوا عن أنوفهم ، وما فى طاقة الحصان الذى يجدَ ريحَ الحِجْر ممّا يجوز الغاوتين والثّلاثَ[٣] . فكيف يجدُ الإنسانُ وهو بالشّام ريحَ ابنه فى قميصه ، ساعةَ فَصَلَ من أرض مصر ؟ ! ولذلك قال : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَالَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

= والثناء ، بتقديم المثلثة : ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم ، وخص به بعضهم المدح ، ورواية الوساطة وثمار القلوب : « الجورب المتمزق » .

(١) كذا فى س : وفى ط ، هـ : « مما نطق » .

(٢) الأرواح ، هنا : جمع ريح ، بالكسر ، وهى بمعنى الرائحة .

(٣) أى ولا يشتمون ما فى طاقة الحصان . . . الخ . والحجر ، بالكسر : أنثى الخيل . يجوز : يزيد . والغاوة ، بالفتح : قدر رمية بسهم ، وانظر ما سبق من الكلام على تشمم الحصان فى ٤٠٢ وكذا (٢ : ١٤١) .

(بعض المجاعات)

وقد غَبَرَ موسى وهو يَسِير أرْبَعين عاماً[١] ، لايذوق ذَوَاقاً[٢] . وجاع أهل المدينة فى تلك الحُطَمَةِ[٣] ، حتّى كان أصحاب رسول الله صلى الله عَليه وسلم يشدُّون الحَجَر على بُطُونهم ، من الجُوعِ والجَهْدِ . وكان النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله الطَّيِّبين الطَّاهرين ــ يقول : « إنِّى لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ ، إنِّى أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّى ، يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينى » .

(حِجَاجٌ فى ذبح الحيوان وقتله)

ورجَالٌ مِمنْ ينتحِل الإسلام ، يُظهِرُون التقذُّرَ من الصَّيدِ ؛ وَيَرَوْنَ أنَّ ذلكَ من القَسوة . وإنَّ أصحاب الصَّيْدِ لَتُوَدِّيهم الضَّراوةُ التى اعترتهم

---

(١) غبر : مكث . س ، هـ : « وهو يسرى » . والوجه ما أثبت من ط . والسرى لايكون إلا بالليل . و « عاما » صوابه « يوما » . انظر الاستدراكات .

(٢) الذواق ، بالفتح : المأكول والمشروب . وفى الحديث : « لم يكن يذم ذواقا » فعال بمعنى مفعول من الذوق ، يقع على المصدر والاسم . وما ذقت ذواقاً : أى شيئاً .

(٣) الحطمة ، بالفتح والضم : الجدب والسنة الشديدة ، كأنها تحطم كل شىء . وكان النبى صلى الله عليه وسلم ، قد دعا على مضر فقال : « اللهم اشدد وطأتك على مضر وابعث عليهم سنين كسنى يوسف » . فتتابع عليهم الجدوبة والقحط سبع سنين ، حتى أكلوا القد والعظام والعلهز . فنال ذلك الجدب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وبدعائه عوقبوا ، حتّى شد وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . تأويل مختلف الحديث ٢٦٩ ، ٣١٨ والتجريد الصريح للزبيدى (١ : ٧١) وثمار القلوب ٣٧ . وفى صحيح البخارى : « فأخذتهم سنة حصت كل شىء » . عمدة القارى (٧ : ٢٧ ــ ٢٨) . وقد كان هذا الأمر فى مكة قبل الهجرة ، لا فى المدينة كما ذكر الجاحظ . عمدة القارى (٧ : ٤٦ س ١٣) .

مِنْ طرُوقِ الطَّـير فى الأوكار ، ونَصْب الحبائل للظِّباء ، التى تنقطع عن الخِشْفَانِ [١] حتى تموتَ هُزْلًا وجُوعا ، وإشلاء السِّباعِ على بهائم الوحش، وسَتُسْلِمُ [٢] أهلَها إلى القَسْوة ، وإلى التهاوُن بدماء النَّاس .

١٣٧

والرَّحمةُ شكلٌ واحد . ومَنْ لم يَرْحَم الْكَلْبَ لم يَرْحَمِ الظَّبىَ ، ومَنْ لم يرْحَمِ الظبىَ لَمْ يَرْحَم الجَدْىَ ،ومَنْ لَمْ يَرْحَمِ الْعُصْفُورَ لَمْ يَرْحَم الصَّبىَّ . وصغارُ الأمور تؤدِّى إلى كبارها .

وليس ينبغى لأحدٍ أن يتهاونَ بشىءٍ مما يؤدى إلى القَسْوة يوماً مَا . وأكثرُ ماسمعت هذا البابَ ، مِن ناسٍ من الصُّوفيَّة ، ومن النَّصارى ؛ لمضاهاة النَّصارى سبيلَ الزّنَادِقَةِ ، فى رفضِ الذبائح ، والْبُغضِ لإراقة الدِّماء ، والزُّهدِ فى أكل اللُّحْمَانِ .

وقد ــ كان يرحَمك الله ــ على الزِّنديق ألَّا يأتى ذلك فى سِباع الطير ، وذواتِ الأربع من السِّباع . فأما قتْلُ الحَيَّة والعقرب ، فما كان ينبغى لهم الْبَتَّةَ أَنْ يَقفوا فى قتلهما طرْفَة عَينٍ ؛ لأنَّ هذه الأمورَ لاتخلو منْ أن تكون شَرًّا صِرْفاً ، أو يكون مافيها من الخير مغْموراً بما فيها من الشّر . والشَّرُّ شيطانٌ والظُّلمة عدُوُّ النُّور . فاستِحْياءُ الظلمة وأنتَ قادرٌ على إماتتها ، لايكونُ من عمل النُّور . بل قد ينبغى أن تـكونَ رحمةُ النُّور لجميع الخلائق والنَّاس ، إلى استنقاذهما من شرور الظُّلمة .

---

(١) الخشفان : جمع غريب للخشف ، بتثليث الخاء ، وهو ولد الظبية عند ما يتحرك للمشى . ولم أر هذا الجمع فى معجم ، وجمعه فى اللسان والقاموس على « خشفة » بكسر ففتح .

(٢) أى ، وستسلم الضراوة . فى الأصل: « ستسلم » بدون واو . والمراد بالسباع هنا الحيوان المفترس من الوحش والطير ، كالـكلاب والفهود والبزاة .

وكما ينبغى أن يكون حسناً فى العقل استحياءُ النور والعَمَلُ فى تخليصه والدَّفْعُ عنه ــ فكذلك ينبغى أنْ يكون قتْلُ الظُّلْمة وإماتتُها ، والعَوْنُ على إهلاكها ، وتوهينِ أمرها ــ حسناً .

والبهيمة التى يَرَوْنَ أن يدفَعُوا عنها أيضاً ممزُوجة[1] ، إلَّا أنّ[2] شَرّها أقلُّ . فهم إذا استَبْقَوْها فقد استبْقَوا الشُّرورَ المخالطة لها .

فإنْ زعموا أنَّ ذلك إنما جاز لهم ؛ لأنَّ الأغْلَبَ على طِباعِها النُّور فليغتفروا فى هذا الموضعِ إدخالَ الأذى على قليل مافيها من أجزاءِ الشَّرِّ[3] كما اغتفروا مافى إدخال الروح والسُّرور[4] على مافى البهيمة من أجزاء الظُّلْمة لدفعهم عن البهيمة ؛ إذْ كان أكثرُ أجزائها من النُّور .

وإنما ذكرتُ ما ذكرت ؛ لأنهم قالوا : الدَّليلُ على أنَّ الذى أنتم فيه ، مِنْ أكل الحيوان كلَّ يومٍ من[5] الذبائح ، مكروهٌ عِنْدَ الله ، أنَّكُمْ لَمْ تَرَوْا قطُّ ذبَّاحى[6] الحيوان ولا قَتّالى[7] الإنسان ، ولا الذين لايقْتاتون إلَّا اللّحْمَان يفلحون[8] أبدا . ويستغنون[9] ؛ كنحو صيَّادِى السَّمك وصيَّادى الوحْش[10] وأصناف الجزَّارِين والقَصَّابين ، والشَّوّائين والطهَّائين

---

(١) أى ممزوج فيها الخير بالشر .

(٢) س : « لأن »، صوابه فى ط ، هـ .

(٣) فى الأصل : « الخير » ، والصواب عكسه ، كما يقتضى الكلام .

(٤) الروح ، بالفتح : الرحمة . و « السرور » هى فى أصلها « الشرور » مصحفة .

(٥) ط : هـ : « ومن » . والوجه حذف الواو كما فى س .

(٦) هـ : « ذبايح » محرفة . ط : « ذابح » وأثبت ما فى س لملاءمته نسج الكلام .

(٧) ط فقط : « قتال » .

(٨) س ، هـ : « لا يفلحون » . والوجه إسقاط « لا » كما فى ط .

(٩) فى الأصل : « ولا يستغنون » .

(١٠) جاءت كلمة « صياد » فى الموضعين : « صيادى » بحذف الياء الآخرة . والوجه إثباتها .

والفهَّادِين[1] والبيَازِرة[2] والصَّقَّارين والكلابين ؛ لاترى أحداً منهم صار إلى غِنًى ويُسْرٍ ، ولا تراهُ أبداً إلا فقيراً مُحَارَفاً[3] ، وعلى حالٍ مشبِهَةٍ بحاله الأولى .

وكذلك الجلَّادون ، ومن يضرِبُ الأعناق بين يَدَى الملوك . وكذلك ١٣٨ أصحابُ الاستخراج[4] والعذابِ ، وإن أصابوا الإصابات ، وجميع أهل هذه الأصناف .

نَعَمْ وحَتى ترى بعضَهم وإن خَرَج نادِرًا خارجيًّا ، ونال منهم ثَروةً وجَاهاً وسُلطاناً ، فإمَّا أن يُقْتَلَ ، وإمّا أَنْ يُغْتَصَبَ[5] نَفْسَهُ بميتَةٍ عاجلة ، عندَ سرورِه بالثَّروة ؛ أو يبعث الله عليه المحق[6] فلا يَنْمُو له شيء ، وإما ألَّا يجعل مِنْ نسلهم عَقِباً مذكوراً ، ولا ذِكْراً نبيهاً وَذُرِّيَّةً طَيِّبَة مثل الحجَّاج بن يوسف ، وأبى مسلم[7] ، ويزيد بن أبى

---

(١) الفهاد : الذى يصطاد بالفهد ، ذاك الحيوان .

(٢) البيازرة ، بتقديم الزاى : جمع بيزار . وبيزار : معرب بازيار ، الفارسية ، وهو القائم بأمر البازى . انظر الصحاح واللسان . ط : « البيازة » ﻫ : « البيارزة » س : « البيازرة » ، محرفات عما أثبت . وقد جاءت على الصواب فى ص ٤٣٥ .

(٣) المحارف ، بفتح الراء : المحدود المحروم .

(٤) انظر للاستخراج ، وهو استصفاء أموال المختلسين ، حواشى البيان ٢ : ٤٣ ، ١٦٦ .

(٥) ط ، ﻫ : « يغصب » ، وأثبت ما فى س .

(٦) المحق ، بالفتح : النقصان ، وذهاب البركة . س : « المحو » .

(٧) يعنى أبا مسلم الخراسانى . وهو عبد الرحمن بن مسلم ، القائد المشهور ، الذى قام بتأسيس الدولة العباسية ، توفى سنة ١٣٧ وله من العمر سبع وثلاثون سنة ، قتله أبو جعفر المنصور .

مسلم[١] ومثل أبى الوعد[٢] ، ومثل رجالٍ ذكروهم لانحبُّ أن نسميهم .

قال : فإنَّ هؤلاء مع كثرة الطَّرُوقةِ[٣] وظُهُورِ القدْرة ، مع كثرة الأَنسال ، قد قَبَحَ الله أمرَهم ، وأخْمَلَ أولادهم . فهم بين مَنْ لم يُعقِبْ ، أو بَيْنَ مَنْ هوَ فى معنى مَن لم يُقعب .

فقلت للنَّصارَى بديًّا : كيف كان النّاسُ أيَّام الحكم بما فى التَّوْراة أيَّامَ[٤] موسى ودَاودَ ، وهما صاحبا حُروبٍ وقَتْلٍ ، وسِبَاءٍ وذبائحَ ؟ ! نعم حتى كان القُربان كُله أو عامَّتهُ حيواناً مذبوحاً ، لذلك سَمَّيتم بيت المَذْبَحِ .

ولسْنَا نسألكم عن سِيرَةَ النَّصارى اليومَ ، ولكِنَّا نسألُكُمْ عن دينِ موسى وحُكْمِ التَّوْرَاةِ ، وحُكْمِ صاحب الزَّبور . وما زالوا عندكم إلى أن أنكروا رُبُوبِيَّةَ المسيح ، على أكثرَ من حالنا اليومَ فى الذبائحِ .

وأنتم فى كثيرٍ من حالاتكم تُغْلُونَ علينا السَّمَكَ حتَّى نتوخَّى أيَّاماً بأعيانها ، فلا نشترى السَّمَكَ إلا فيها ؛ طلباً للإمكانِ والاسترْخَاص وهى يومُ الخميس ، ويومُ السبت ويومُ الثُّلاثاء ؛ لأن شراءكم فى ذلك

(١) يزيد بن أبى مسلم ، هو يزيد بن دينار الثقفى ، كان مولى الحجاج بن يوسف وكاتبه ، ولما حضرت الحجاج الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق ، فلما مات أقره الوليد بن عبد الملك . وقال الوليد فى شأنه : « مثلى ومثل الحجاج وابن أبى مسلم ، كرجل ضاع منه درهم فوجد ديناراً ! » . قتل يزيد سنة ١٠٢ . وفيات الأعيان (٢ : ٢٧٦ — ٢٧٧). وفى س ، ط : « يزيد بن مسلم » . هـ : « زيد بن مسلم »، صوابهما ما أثبت . وسيأتى على الصواب فى ص ٤٣٥ — ٤٣٦ .

(٢) كذا جاء . ولم أجد له تعريفا .

(٣) الطروقة ، بالفتح : المرأة ، والزوجة .

(٤) س : « وأيام » .

اليوم يَقِلُّ . على أنَّكم تُكْثِرُونَ مِنَ الذَّبائح فى أيَّام الفِصْح(١) وهل تَدَعُونَ أكل الحيوان إلَّا أيَّاماً معدُودةً ، وساعاتٍ مَعْلُومةً ؟ !

فإذا كانت الحِرْفةُ والمِحَنُ إنما لزِمَا القصَّابين والجزَّارين والشَّوَّائين ، وأصنافَ الصَّيَّادين ، من جهة العقوبة — فأنتمْ شركاءُ صيَّادِى السَّمَكِ خَاصَّةً ؛ لأنَّكم آكَلُ الخلْقِ له ، وأنتم أيضاً شُرَكاءُ القصَّابين فى عامَّةِ الدَّهْرِ . فلا أنتم تَدِينُون للإسلام فتعرفوا ماعليكم ولكم ، وفصْل(٢) مابين الرَّحمةِ والقَسوة ، وما الرَّحمةُ ، وفى أىِّ موضعٍ يكونُ ذلك القتلُ رحمةً ؟ فقد أجمعوا على أنَّ قتْلَ البَعْض إحياءٌ للجميع ، وأنَّ إصلاحَ النَّاس فى إقامةِ جزاءِ الحسنة والسيئة . ﴿وَلَكُمْ فى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ(٣)﴾ .

والْقَوَدُ حَيَاةٌ . وهذا شىءٌ تَعْمَلُ به الأممُ كلها ، غيرَ الزَّنَادِقةِ . والزَّنَادِقَةُ لم تَكُنْ قَطُّ أُمَّةً ، ولا كان لها مُلْكٌ وَمَمْلَكَةٌ ، ولَمْ تزَلْ بيْنَ مَقْتُولٍ وهاربٍ ومنافقٍ . فلا أنتم زَنَادِقَةٌ . ولا ينكر لمن كان ذلك مَذْهَبَهُ أن يقول هذا القَوْلَ .

فأنتم لادهْرِيَّة(٤) ، ولا زَنَادِقَةٌ ، ولا مُسلمون ؛ ولا أنتم رَاضُونَ بحُكمِ اللهِ أيّام التّوراة .

١٣٩ فإن كان هذا الحكمُ قد أمرَ اللهُ به — وهو عَدْلٌ — فليس بين الزَّمانَيْنِ فرق .

---

(١) الفصح ، بالكسر : عيد للنصارى . انظر القاموس وبلوغ الأرب . (١ : ٣٥٧) والتنبيه والإشراف ١٠٨ ، ١٢٣ والاستدراكات .

(٢) فصل : أى فرق . فى الأصل : « فضل » ، وهو تصحيف يتكرر .

(٣) هـ : « ولكم فى القصاص » . وهو سهو من الكاتب .

(٤) سبق شرح هذه الكلمة فى ص ٧٩ — ٨٠ .

وَبَعْدُ فَإِنَّا نَجِدُكم تَأْكُلُونَ السَّمك أَكْلاً ذَرِيعا ، وتتقذرون من اللّحام ! أفلأنَّ السّمك لا يألَمُ الْقَتْلَ ، أم لأنَّ السَّمكَ لمَّا قتلتمُوه بلاَ سِكِّين لم يُحِسَّ[(١)] قَتلَهُ ؟ ! فالجميع حيوانٌ ، وكلُّ مقتول يألَمُ ، وكلٌّ يُحِسّ . فكيف صار أكْلُ اللّحْمِ قَسْوَةً ، وَأَكْلُ السَّمَكِ ليْسَ بقَسْوة ؟ ! . وكيف صار ذَبْحُ البهائمِ قسوة ، ولا تكون تفرِقَةُ ما بين السَّمَكِ والماء حَتّى تموت[(٢)] قسوة ! وكيف صار ذَبحُ الشّاةِ قَسوَةً وصيدُ السمك بالسَّنانير المذَرّبة المعقّفة[(٣)] ليس لها شعائر تخالف العقاف المنصوص[(٤)] فى جهاتها . وكيف وهى وإنْ لم تنشَبْ فى أجوافها ، وتَقْبِضْ على مجامع أرواحِها ، لم تقدِرْ على أخْذِها ؟ !

وكيف صار وَجْءُ اللَّبَّة[(٥)] من الجَزُور أقسى من ضَرْب النبائل[(٦)] ؟ ! أم كيف صار طَعْن العَير[(٧)] بالرُّمح ، ونصبُ الحبائل للظِّباء ، وإرسالُ الكِلابِ عليها أشَدُّ مِنْ وقع النَّبائل[(٨)] فى ظَهْرِ السَّمَك ؟ !

---

(١) ط : « يحسن » ، صوابه فى س ، ه .

(٢) المراد بالتفرقة الصيد . تموت : أى تموت السمك . س فقط : « يموت » بالياء . وكل جائز .

(٣) المذربة : المحددة . والمعقفة : الملوية .

(٤) كذا جاءت العبارة محرفة فى الأصل . بيد أنه فى ط : « العقاب » مكان « العقاف » .

(٥) وجء اللبة : طعنها بالسكين . واللبة ، بالفتح : المنحر ، أى موضع النحر . س ، ه : « وحاء » ، ولم أجد هذه إلا بمعنى لايلائم هذا الموضع . ط : « وجأ » محرفة . ط : « اللبة » ، صوابها فى س ، ه .

(٦) كذا فى ط ، ه . وفى س : « التبابل » بهذا الإهمال .

(٧) العير ، بالفتح : الحمار الوحشى .

(٨) كذا . ولعلها : « النبال » : جمع نبل ، بمعنى السهام .

ولأنَّكمْ تكْثِرونَ قَولَكُمْ : لا نأكل شيئاً فيه دمٌ أيّامَ صومِنا ، فالسَّمك دمٌ ، ولا بدَّ لجميع الحيوان من دمٍ أو شيءٍ يُشاكِلُ الدَّم ، فما وجْهُ اعتلالِكم بالدَّم ؟! أَلِأَنَّ[1] كلَّ شيءٍ فيه دمٌ فَهُوَ أشدُّ ألماً ؟ فكيف نعلم ذلك؟ وما[2] الدَّليلُ عليه ؟

فإن زعمتم أنَّ ذلك داخلٌ فى باب التعبُّدِ والمصْلَحة ، لا فى باب القِياسِ والرَّحْمَةِ والقَسْوة ، فهذا باب آخر . إلاَّ أنْ تدَّعُوا أنَّ ذَواتِ الدِّماء[3] أقوى للأَبدان ، وآشَرُ[4] للنُّفوس ، فأردتم بذلك قلَّة الأشَرِ وضَعْفَ البدن . فإنْ كان ذلك كذلك فقد ينبغى أنْ يكونَ هذا المعنى مُستبيناً فى آكِلِي السَّمكِ من البحريين[5]

وأمّا ما ذكَرْتُم مِنْ مُلازمَةِ الحِرْفَةِ لهؤلاء الأصْناف ، فإنَّ كلَّ مَنْ نزلَتْ صِناعَته ، ودَقَّ خَطَرُ تِجارَتِه ، كذلك سَبيله .

وأحلُّ الكَسْب كلِّه وأطْيَبُهُ عِنْدَ جَمِيعِ النّاسِ سَقْيُ الماء ، إمَّا على الظَّهر ، وإمَّا على دابَّة . ولم أرَ سَقَّاءً قطُّ بَلَغَ حالَ اليسارِ والثَّروة . وكذلك ضَرّابُ اللَّبِنِ ، والطَّيّانُ والحَرّاثُ . وكذلك ما صَغرَ منَ التِّجاراتِ والصِّناعاتِ .

ألا ترون أنَّ الأمْوالَ كثيراً ما تكونُ عند الكتَّاب ، وعندَ أصْحَاب الجَوهرِ ، وعنـدَ أصحابِ الوَشْيِ والأنماط[6] ، وعنـد الصَّيارفَةِ

---

(١) فى الأصل : « ألا أن » .

(٢) فى الأصل : « وأما » .

(٣) يعنى بذوات الدماء : ماسوى السمك . وفى الأصل : « دواب الماء » .

(٤) آشر : أفعل من الأشر بالتحريك ، وهو المرح والنشاط . فى الأصل : « أسر » وانظر السياق .

(٥) فى الأصل : « فى أكل السمك من البحرين » ، محرفة .

(٦) الأنماط : ضرب من البسط .

والحنَّاطين [١] ، وعند البحْريِّين والبصريين [٢] . والجلاَّبُ أبدا [٣] ، والبيازِرَة [٤] أيسر ممّنْ يَبتَاع منهم .

وجُمَلُ الأموالِ حَقٌّ [٥] بأنْ تُربحَ الجَمَلَ مِنْ تفاريق الأموال . وكذلك سبيل القصّاب والجزّار ، والشَّوّاءِ ، والبازيار [٦] ، والفَهّاد .

وأمّا ما ذكرتم من انقطاعِ نَسْلِ القُساةِ ، وخمولِ [٧] أولادِهم ، كانقطاع نَسْلِ فِرعَونَ ، وهامان ، ونُمرُود [٨] ، وبُخْت نَصّر [٩] ، وأشباههم ، فإنّ الله يقول : ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ .

١٤٠

وإن شئتم أن تعدّوا من المذكورين بالصَّلاَحِ أكثَرَ مِن هؤلاء ممّن كان عقيما أو كان ميناثاً [١٠] ، أو يكونَ ممّنْ نَبَتَ لهم أَوْلاَدُ سَوْءٍ عقّوهُمْ في حياتهم ، وعرّضوهُمْ للسَّبِّ بعد موتهم — لوجَدْتمُوهُمْ .

وعلى أني لم أَنْصِبْ نَفسى حَرْباً لِلحَجّاجِ [١١] بن يوسف ، ويزيد

(١) الحناط : بائع الحنطة ، وهى بالكسر : البر .

(٢) كذا .

(٣) المراد بالجلاب : من يجلبون الرقيق والعبيد للتجارة فيها . و « أبدا » كذا فى الأصل ، وقد تكون صحيحة . أو لعلها « أثرى » من الثراء ، ، وهو الغنى واليسر .

(٤) سبق الكلام على البيازرة فى ص ٤٣٠ .

(٥) هى صحيحة . يقال : هو حق بكذا ، أى جدير به . انظر القاموس .

(٦) البازيار : من يتعهد البازى ويعتنى به . وفى الأصل : « البازباز » مصحفة .

(٧) الكلام من مبدإ : « وجمل الأموال حق » إلى هنا ، ساقط من هـ .

(٨) نمرود ، بالضم : جبار من الجبابرة، ظهر إبراهيم عليه السلام فى زمنه . وانظر الاستدراكات .

(٩) هو ذاك الطاغية المشهور الذى خرب بيت المقدس . ولى ملك بابل سنة ٦٠٦ قبل الميلاد .

(١٠) كذا بالياء ، وأصلها الهمز ، والمئناث : من لا يولدله إلا الإناث .

(١١) الحرب : المحارب . ولعله يريد بذلك : مدافعاً عن الحجاج ، وانظر ما سبق فى ٤٣٠ .

ابن أبي مسلم(١) ، أتحرى بهما(٢) ، وهما عِندى من أهل النَّارِ . ولكِنِى عرَفْتُ مَغْزاكم .

وعلى أنَّكُمْ ليسَ القَصّابينَ أَرَدْتُمْ ، وَلٰكِنَّكُمْ أَرَدْتُمْ دِينَ المسلمين .

وَقَدْ خَرَجَ الحجَّاجُ من الدُّنيا سَلِيماً في بَدَنِهِ ، وظَاهِرِ نعمته ، وعلىٰ مرتَبَتِهِ من المُلْك ، ومَكانِهِ من جَوَازِ الأَمْرِ وَالنَّهْى(٣) .

فإنْ كان الله عِنْدَكُمْ سَلَّمَهُ وَعاقَبَ أولاده ، وكان ذلك دِينَكم فإنّ هذا قولٌ إن خاطبتم به الجبْرِيّةَ(٤) فعسى أن تتعلّقُوا منهمْ بسبب ، فأمّا مَنْ صَحَّحَ القَوْلَ بالْعَدْلِ(٥) فإنّ هذا القولَ عِنْده من الخطأ الفاحش الذى لا شبهَةَ فيه .

(شعر فى القانص وفقره)

وكان مّما أنشدُوا من الدَّلِيل على أنّ القانِصَ لا يزالُ فقيراً — قَوْلُ ذى الرمّةِ :

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٤٣١ .

(٢) كذا بالأصل . ولعله : « أتحدى بهما » ، فيكون مراده أنهما لا يصلحان لأن يتحدى بهما ، أو يدافع عنهما .

(٣) جواز الأمر والنهى : نفوذهما .

(٤) الجبر ، هو نفى الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافته إلى الرب تعالى . والجبرية أصناف . فالجبرية الخالصة هى التى لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا . والجبرية المتوسطة التى تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة . فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً ما فى الفعل ، وسمى ذلك كسباً ، فليس بجبرى . والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة فى الإبداع والإحداث استقلالا — جبريا . الملل والنحل (١ : ١٠٨) .

(٥) يعنى المعتزلة ، وهم يسمون أهل العدل . يقولون : إن الله منزه أن يضاف إليه =

حَتَّى إِذَا مَالَهَا فِى الجَدْرِ وَاتَّخَذَتْ شَمْسُ النَّهَار شُعَاعاً بينها طِبَبُ (١)

ولاَحَ أَزْهَرُ مَشْهُورٌ بِنُقْبَتِــهِ كَأَنَّهُ حِينَ يَعْلَو عَاقِرًا لَهَبُ (٢)

هَاجَتْ بِهِ جُوَّعٌ طُلْسٌ مُخَـصَّرَةٌ شَوَازِبٌ لاَحَهَا التَّقْرِيب والخَببُ (٣)

جُرْدٌ مُهَرَّتَةُ الأَشْــدَاقِ ضَارِيَةٌ مثلُ السَّرَاحِين فى أعناقِهَا الْعَذَبُ (٤)

= شر وظلم ، وفعل هو كفر ومعصية ؛ لأنه لو خلق الظلم كان ظالما ، كما لو خلق العدل كان عادلا . الملل والنحل (١ : ٥٦) .

(١) لها : غفل . يعنى ثورا وحشياً . والجدر ، بالفتح : نبت رملى . والشعاع ، بالضم : ضوء الشمس الذى تراه عند ذرورها كأنه الحبال أو القضبان مقبلة عليك . والطبب ، كعنب : جمع طبة ، بالكسر ، وهى الطريقة من طرائق الشعاع . وأصل الطبة السير الذى يخرز به . س : « إذا رابها » ﻫ : « إذا نابها » ، محرفتان صوابهما فى ط والديوان ٢٣ ، وجمهرة أشعار العرب ١٨٣ ، واللسان (طبب) . س ، ﻫ « فى الخدر وانحدرت » تصحيحه من الديوان واللسان . وفى اللسان : « وانحدرت » محرفة . ط والجمهرة : « بالجدر » وهى صحيحة . س ، ط : « قبب » ﻫ : « طنب » ، صوابهما فى الديوان والجمهرة واللسان .

(٢) لاح : ظهر ، وأشرق . س ، ﻫ : « ناب » محرفة . وأثبت ما فى ط والديوان وجمهرة أشعار العرب واللسان (نقب) . والأزهر : الأبيض . وأراد به الصبح . والنقبة ، بالضم : اللون . فى الجمهرة : « معروف بنقبته » . يعلو عاقراً : أى يرتفع فى رملة لا تنبت شيئاً ، شبهت بالعاقر من الناس : الرجل والمرأة اللذين لا يلدان . وقد شبه الصبح بلهب النار . جاء فى جمهرة أشعار العرب : « منهم من يقول إنه يعنى الفجر ، ومن يقول إنه يعنى به الثور » .

قلت : ممن جعله يعنى الثور صاحب اللسان ، فإنه قال : « يصف ثوراً » .

(٣) يقول : أولعت بذلك الثور كلاب جائعة ، فى لونها غبرة إلى سواد ، قد ضمرت خواصراها . ط وجمهرة أشعار العرب : « هاجت به عوج » وفى الجمهرة والديوان : « زرق مخصرة » . والشازب ، بالزاى : الضامر اليابس . س : « شواذب » بالذال ، مصحفة . لاحها : هزلها وغيرها . والتقريب والخبب : ضربان من العدو . وفى الديوان : « التغريث والجنب » . التغريث : التجويع . والجنب بالتحريك : أن يشتد عطش الحيوان حتى تلزق رئته بجنبه . وأصله فى الإبل .

(٤) جرد : جمع أجرد ، وهو القليل الشعر . وفى الديوان واللسان (عذب) : =

ومُطعَمُ الصَّيْدِ هَبّالٌ لِبُغْيَتِهِ ألفَى أَبَاهُ بِذَاكَ الْكَسْب يكتَسِبُ[1]

مقزَّعٌ أطْلَسُ الأطمَارِ لَيْسَ له إلاّ الضِّرَاءَ وَإلاّ صَيْدَهَا نَشَبُ[2]

فانصاعَ جَانِبَهُ الوَحْشِيَّ وَانْكَدَرَتْ

يلحبن لا يأتلى المطلوبُ والطّلبُ[3]

قال : فجعله كما ترى مقزَّعاً أطلسَ الأطمار ، وخَبَّرَ أنّ كِلاَبَه نشبُه ، وأنّه ألفَى أباه كذلك .

وأنشَدُوا فى ذلك قول الآخر :

= « غضف » . مهرتة الأشداق : واسعتها . والسراحين : الذئاب ، واحدها سرحان ، بالكسر . والعذب : سيور تشد فى أعناق الكلاب ، واحدها عذبة ، بالتحريك .

(١) مطعم الصيد : أى رجل طعمته وحرفته الاصطياد ، فهو مرزوق منه . ومطعم ، بضم الميم وفتح العين ، قال امرؤ القيس :

مُطْعَمٌ للصَّيْدِ ليس لَهُ غَيْرَهَا كَسْبٌ على كِبَرِه

هبال ، من الاهتبال ، وهو سرعة الأخذ . والبغية ، بالضم : الطلبة . والطلبة بفتح ، فكسر : مايطلبه المرء . س ، ه : « هتاك لنقبته » محرفة . وفى جمهرة أشعار العرب : « هباش لبغيته » . ألفى أباه ، يقول : هو صائد ابن صائد ، فذاك أمهر له .

(٢) مقزع : خفيف الشعر . أطلس : أغبر . والأطمار : جمع طمر بالكسر ، وهو الثوب الخلق البالى . والضراء ، بالكسر : جمع ضرو بالكسر أيضاً ، وهو الضارى. عنى بها الكلاب . وصيدها : أى ماتصيده الكلاب من الوحش . والنشب ، بالتحريك : المال .

(٣) انصاع : ذهب سريعاً . جانبه : أى على جانبه . والجانب الوحشى : الأيمن من الدابة ، وقيل الأيسر . انكدرت : أى انقضت . وضميره للكلاب . يلحبن : يسلكن طريقا لاحباً ممهدا . أو يمررن مراً سريعاً . لا يأتلى : أى لا يترك جهداً ولا يخفض من جريه . والمطلوب ، عنى به الثور . والطلب ، بالتحريك : جمع طالب ، وهو من نادر الجمع . وقد أراد به الكلاب . س ، ه : « واتصلت بحيث لا يأبأ » تحريف ما أثبت من ط والديوان وجمهرة أشعار العرب ، واللسان (صوع ، لحب ، طلب) .

وأعصمَ أنْسَتْهُ المنيّــةُ نَفْسَهُ رعَى النَّبْـعَ والظَّيَّانَ فى شاهقٍ وَعْرِ (١)

مَوَارِدُهُ قَلْتٌ تصفِّقُه الصَّبَا بنِيقٍ مُزِلٍّ ، غيرُ كدْرٍ ولانَزْرِ (٢)

قَرَتْهُ السَّحابُ ماءَها ، وتَهدَّلَتْ عليه غُصونٌ دانياتٌ من السَّمْرِ (٣)

أُتيحَ له طِلْحٌ إزَاهُ بكفِّه هَتُوفٌ وأَشْبَاهٌ تُخُيِّرْنَ مِنْ حَجْرِ (٤)

أبو صِبْيةٍ لا يَسْتدِرُّ إذا شَتَا لَقُوحاً ،ولا عَنْزاً ،وليس بذىوَفْرِ (٥)

---

(١) أعصم : يعنى وعلا بإحدى يديه بياض . س : « وأعظم » مصحفة . أنسته المنية نفسه ، أى أعماه قدر الموت عن الحذر . والنبع والظيان : من أشجار الجبال . وفى الأصل : « النبت والطيان » محرف .

(٢) القلت : نقرة فى الجبل تمسك الماء . تصفقه : تضربه . والصبا : ريح شرقية . والنيق ، بالكسر : أعلى موضع فى الجبل . مزل : تزلق عليه الأقدام ولا تثبت . س : « مزك » . وغير كدر ، صفة للقلب . وقد أسكن الدال للشعر .

(٣) تهدلت : تدلت . والسمر : نبات ، وهو بضم الميم . وأسكنها للشعر .

(٤) أتيح له : أى قدر . والطلح ، بالكسر : المعيى . أراد صائداً . وإزاه : أى سبب عيشه . والإزاء ، بكسر الهمزة والمد ، وقصره للشعر . فى الأصل : « أذاه » مصحفة . والهتوف : القوس المرنة المصوتة . قال الشنفرى :

هتوف من الملس المتون يزينها رصائع قد نيطت إليها ومحمل

وقال الشماخ :

هتوف إذا ما جامع الظبى سهمها وإن ريع منها أسلمته النوافز

ط ، س : « خنوف » هـ : « حتوف » صوابهما ما أثبت . وأشباه : أى سهام متشابهة طبعت على غرار واحد . وحجر ، بالفتح : قصبة اليمامة ، ينسب إليها السهام والنصال ، قال الراعى :

توخَّى حَيْثُ قَالَ القَلْبُ منه بحَجْرِيٍّ ترى فيه اضطمارا

أى نصل منسوب إلى حجر . أبو حنيفة : « وحدائد حجر مقدمة فى الجودة » .

وقال رُؤبة :

حَتَّى إذا تَوَقَّدَتْ من الزّرَقْ حجْرِيّةٌ كالجمْرِ مِنْ سَنِ الدّلق

(٥) يقول : له صبية ، فهو يسعى جاهداً ليحصل على ما يقوتهم به من صيد . واللقوح =

١٤١ لَهُ زَوْجَةٌ شَمْطَاءُ يَدْرُج حَوْلَهَا فَطِيمٌ تُنَاجِيه ، وَآخَرُ فى الحِجْر [١]

مُشوَّهةٌ لم تَعْبَ طيباً ولم تَبِتْ تقتر هندِيًّا بلَيْلٍ على جَمْـرِ [٢]

مُحَـدَّدَةُ الْعُرقُوبِ ثَـلَّمَ نَابَهَا تَعَرُّقُهَا الأَوْذَارَ مِنْ فِقَرِ الحُمْرِ [٣]

مُسَفَّعَةُ الخَدَّيْنِ ، سوَّدَ دِرْعَهَا تقدُّرها باللَّيلِ ، والأخْذُ بالقِدْرِ [٤]

كغولِ الفلاةِ لم تخضِّبْ بَنَانَهَا ولم تَدْرِ مَازِىُّ الخرائدِ بالمِصْرِ [٥]

فَأَرْسَلَ سهْـمًا أرهَفَ القَيْنُ حَدَّهُ فَأَنْفَذَ حِضْنَيْهِ فَخَرَّ على النَّحْرِ [٦]

= بالفتح : الناقة الحلوب . يقول : ليس له لقوح فيستدرها . واختار الشتاء لما أنه وقت المجهدة والعسر عندهم . وإنما يخصبون فى الربيع . ط : « يسعدرا » صوابه فى س ، ه الوفر ، بالفتح : الغنى .

(١) أى فى حجرها . والشمطاء : التى يخالط سواد شعرها بياض . وهو يصور بذلك كثرة عيال الصائد .

(٢) لم تعب طيباً : لم تهيئه ولم تخلطه . يقال عبأ الطيب يعبؤه ، من باب منع : صنعه وخلطه . فأصله الهمز كما رأيت ، فلما سهلها بالألف ، عامله كالمعتل . والهندى : أراد به العود الهندى الذى يتبخر به . والتقتير : تهييج القتار ، وهو بالضم : ريح البخور .

(٣) العرقوب ، بالضم : عصب غليظ فوق عقب الرجل . ثلم نابها : كسر حرفه . والتعرق : أكل ما على العظم من اللحم . والأوذار : القطع الصغيرة من اللحم . وفى الأصل : « الأوزار » صوابه بالذال كما أثبت . والفقر ، كعنب : جمع فقرة ، بالكسر ، وهى الواحدة من عظام الصلب . ه : « نقر » محرفة . والحمر ، أصله الحمر بضمتين : جمع حمار . عنى ما يصطاده زوجها من حمر الوحش . وسكن الميم لضرورة الشعر .

(٤) مسفعة : مسودة . ه : « مسقعة » محرفة . والدرع ، بالكسر : القميص . والتقدر ، مثل معناه الطبخ فى القدر ، ولم يذكره صاحبا اللسان والقاموس . وفى اللسان : « قدر القدر يقدرها ويقدرها قدراً . واقتدر أيضاً بمعنى قدر » . ط ، س : « تقذرها » ، وأثبت ما فى ه .

(٥) الزى ، بالكسر : الهيئة . والخرائد : جمع خريدة ، وهى البكر لم تمسس ، أو الخفرة الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت ، المستترة .

(٦) القين ، بالفتح : الحداد . أنفذ حضنيه : خرق جنبيه . والحضن ، بالكسر : الجنب . والنحر ، بالفتح : أعلى الصدر .

(مَسأَلة المنانيَّة)

كان أبو إسحاقَ يسأل المنانِيَّة[١] ، عن مسألةٍ قريبة المأخَذِ قاطعة ، وكان يزعُمُ أنها ليست له .

وذلك أنَّ المنانيَّةَ تزعَمُ أنَّ العالَمَ بما فيه ، من عشرةِ أجناس : خمسة منها خيرٌ ونورٌ ، وخمسةٌ منها شرٌّ وظلمَة . وكلُّها حاسَّةٌ وَحارَّة .

وأنَّ الإنسانَ مركَّبٌ مِنْ جميعِها على قدْر ما يـكونُ فى كلِّ إنسان من رُجْحانِ أجناس الخَيرِ على أجْنَاس الشَّرِّ ، [ورُجْحانِ[٢]] أجْنَاس[٣] الشَّرِّ على أجناسِ الخير .

وأنَّ الإنسانَ وإن كان ذا حَواسَّ خمسةٍ[٤] ، فإنَّ فى كلِّ حاسَّةٍ متوناً[٥] من ضدِّه من الأجْناس الخمسة . فمتى نَظَرَ الإنسانُ نظْرَةَ رحمةٍ فتلك النَّظْرَة من النُّور ، ومن الخير . ومتى نَظَرَ نَظْرَةَ وعيدٍ ، فتلك النَّظْرَةُ من الظلمة . وكذلك جميع الحواسِّ .

وأنَّ حاسَّة السَّمعِ جنسٌ على حِدَةٍ ، وأنَّ الذى فى حاسَّة البصر من الخير والنُّور ، لا يعين الذى فى حاسَّة السَّمع من الخيرِ ولـكنه لا يضادُّهُ[٦] ،

---

(١) المنانية : أتباع مانى . انظر ما سبق ص ٨١ . وقد أسهب القول ابن النديم فى تفصيل مذهبه . الفهرست ٣٢٧ — ٣٣٧ ليبسك ٤٥٦ — ٤٧٢ مصر .

(٢) ليست بالأصل . وبها يصلح الـكلام .

(٣) فى الأصل : « فاحتاج » . ووجهه ما أثبت .

(٤) كذا . وهى صحيحة ؛ فإن المعدود إذا وصف بالعدد جاز فى العدد المطابقة وعدمها . الصبان ٤ : ٦١ .

(٥) كذا فى الأصل .

(٦) ط ، هـ : « يضاره » بالراء . وأثبت ما فى س .

ولا يُفاسِدُهُ ، ولا يمنعه . فهو لايعينه[1] لمكان الخِلاف والجِنس ، ولا يعين عليه ؛ لأنَّهُ ليس ضِدًّا .

وأنَّ أجناسَ الشَّرِّ خلافٌ لأجناس الشَّرِّ ، ضِدٌّ لأجناس الخير . وأجناسَ الخيرِ يخالفُ بعضها بَعْضاً ولا يضادُّ . وأنَّ التَّعاونَ والتآدِى[2] لا يقعُ بين مختلِفِها ، ولا بين متضادِّها[3] ، وإنما يَقعُ بين متفقها .

قال : فيقال للمنانىِّ : ما تقول فى رَجُل قال لرجُلٍ : يا فلان ، هل رأيت فلانا ؟ فقال المسئول : نعم قد رأيته . أليسَ السَّامعُ قد أدَّى إلى النَّاظِرِ ، وَالنَّاظِرُ قد أدّى إلى الذَّائِقِ ؟ ! وإلاَّ فلِمَ قال اللِّسَانُ نَعَمْ ! إلاَّ وقد سَمِعَ الصَّوْتَ صاحبُ اللِّسَانِ ؟ !

وهذه المسألة قصيرةٌ كما ترى ، ولا حِيلةَ له بأنْ يَدْفَعَ قَوْلَهُ .

(مُساءلَة زنديق)

ومسألةٌ أخرى ، سأل عنها أميرُ المؤمنينَ[4] الزِّنديقَ الذى كان يكنى بأبى علىّ ، وذلك عندما رأى من تطويلِ مُحمَّدِ بن الجهم[5] وعجْز العُتبى[6] وسوءِ فهم[7] القاسم بن سَيَّار[8] ، فقال له المأمون : أَسأَلُكَ عن حَرفين

(١) س : « يعنيه » ومع إسقاط « لا » . هـ : « لا بعينه » . وصوابهما ما أثبت من ط .

(٢) التآدى : التعاون . وفى الأصل : « التأذى » ولا يستقيم به المعنى .

(٣) س ، هـ : « مضادها » .

(٤) يعنى الخليفة « المأمون » كما سيأتى فى الكلام .

(٥) هو محمد بن الجهم البرمكى ، الذى أسلفت ترجمته فى (٢ : ٢٢٦) .

(٦) هو محمد بن عبد الله العتبى . وقد تقدمت ترجمته فى (١ : ٥٤) .

(٧) فى الأصل : « وسوقهم » وهو تحريف .

(٨) القاسم بن سيار ، ذكره الجاحظ فى الرسائل ٢٤ ساسى ، فيمن كانوا يغشون دار الخلافة . وأجرى له ذكراً فى ٢٦ ، ٢٧ من الرسائل .

فقط . خبِّرْنى : هل ندِم مُسِيءٌ قَطُّ على إساءته ، أو نكون نحنُ لم نندَمْ على شيءٍ كان منّا قط ؟ ! قال : بل ندِم كثيرٌ من المسيئينَ على إساءتهم . ١٤٢ قال : فَخَبِّرْنِى عن النَّدَم على الإساءة ، إساءةٌ أو إحسان ؟ قال : إحسان . قال : فالذى ندم هو الذى أساءَ أو غَيْرُهُ ؟ قال : الذى نَدِم هو الذى أساءَ. قال : فأُرى صاحبَ الخير هو صاحبُ الشّرِّ ، وقد بطل قولكم : إنّ الذى ينظر نَظرَ الوعيد غيرُ الذى ينظر نَظرَ الرحمة . قال : فإنى أزعمُ أنّ الذِى أساءَ غيرُ الذى ندِم . قال : فندم على شيءٍ كان منه أو على شيءٍ كان من غيره ؟ فقطعه[1] بمسألته ، ولم يتبْ ولم يرجِعْ ، حتى مات ، وأصْلاه الله نارَ جَهنَّمَ .

(شعر فى هجو الزنادقة)

وقد ذكر حمَّادُ عجردٍ ناساً فى هجائه لعُمارَة[2] ، فقال :

لو كنْتُ زِنْدِيقًا ، عُمارُ ، حبوتَنى ... أو كنْتُ أعبُد غَيْرَ رَبِّ محمَّدِ[3]
أو كنتُ عِندك أو تراك عرفتَنى ... كالنَّضْر أو أُلْفيتُ كابنِ الْمُقْعَد[4]
أو كابن حمَّادٍ ربيئة دينكمْ ... جبل وما جبل الغَوى بمرْشَدِ[5]
لٰكِنَّنى وحّدْت رَبِّىَ مُخلِصاً ... فجفَوْتَنى بُغْضاً لكلّ موحِّد

(١) قطعه : أى غلبه بالحجة وأسكته .
(٢) فى الأصل : « لبشار » ، ونص الشعر والتعقيب عليه ، يوجب ما أثبت .
(٣) عمار ، أى ياعمارة . وحذف جواب (كنت) الثانية لدلالة جواب الأولى .
(٤) هـ : « أو تراك عرفتنى » .
(٥) الربيئة : الطليعة ، وعين القوم . والغوى : الضال . ط ، هـ : « القوى » ووجهه ما أثبت من س .

وحَبَوْت مَنْ زَعمَ السَّماءَ تَكوَّنَتْ
والأرضَ خالقها لها لم يَمهَد[1]

والنَّسْمَ مثلَ الزَّرْعِ آنَ حَصادُهُ
منه الحصِيدُ ومنه مالَمْ يُحْصَدِ[2]

وحمَّادُ هذا أشهر بالزَّنْدَقَةِ من عُمارَة بن حربية[3] ، الذى هجاه بهذه الأبيات .

وأمَّا قوله :

وحبوت من زعم السماءَ تكوَّنت . . . . (البيت)

فليس يقول أحدٌ : إنّ الفلكَ بما فيه من التّدْبير تكوَّنَ بنفسه ومِنْ نفسه ! فَجَهْلُ[4] حمّادٍ بهذا المقدارِ من مقالة القوْم[5] ، كأنّهُ عندى ممّا يعرفه من براءته الساحة[6] . فإن كان قد أجابَهُمْ فإنما هو من مقلّديهم .

---

(١) الأرض عطف على السماء .

(٢) أى : وحبوت من زعم النسم . . . الخ . والنسم ، بالتحريك : جمع نسمة ، بالتحريك . والنسمة : الإنسان . وقد أسكن السين لضرورة الشعر . وفى الأصل : « النعم » تحريف ما أثبت . وجاء فى الأغانى (١١ : ٧١) فى أثناء الحديث عن عمارة بن حمزة ، الذى هو هنا : عمارة بن حربية : « وكان له نديم يعرف بمطيع ابن إياس ، وكان زنديقاً مأبونا . وكان له نديم آخر يعرف بالبقلى . وإنما سمى بذلك ؛ لأنه كان يقول : الإنسان كالبقلة ، فإذا مات لم يرجع » . فهذا النص يفسر ماجاء فى البيت ، ويدل على التصحيح الذى أثبت .

(٣) كذا ورد هذا الاسم فى الأصل ، بحاء مهملة بعدها راء وباء موحدة تحتية تتلوها ياء مثناة تحتية . وفى الأغانى (١١ : ٧١) : « عمارة بن حمزة » . وأمالى المرتضى (١ : ٩٠) نقلا عن الجاحظ « عمارة بن حمزة » .

(٤) فى الأصل : « فجعل » .

(٥) يعنى بالقوم ههنا الزنادقة .

(٦) كذا فى ط . وفى س : « من براءة الساحة » ، وفى هـ : « مما نعرفه من برأته الساحة » وكل محرف .

وهجا حمادُ بن الزِّبرِقان(١) ، حماداً(٢) الراوية فقال :

نِعْمَ الفتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ ويقيمُ وقْتَ صَلاَتِهِ حَمادُ
هدَلَتْ مَشَافِرَهُ الدِّنَانُ فأَنْفُهُ مِثْلُ الْقَدُومِ يَسُنُّها الحَدّادُ(٣)
وابْيَضّ مِنْ شرْبِ الْمُدَامَةِ وَجْهُهُ فبَيَاضُه يوم الحسابِ سَوَادُ

فقد كان(٤) كما ترى :

هدَلَتْ مَشافِرَهُ الدنَانُ فأنفُه مثلُ القدوم .... (البيت)

فقد رأيتُ جماعةً مِمَّنْ يُعاقِرُون الشَّراب ، قد عظمت آنفُهُمْ(٥) وصارتْ لهم خراطيمُ ، منهُمْ رَوْحٌ الصّائغ(٦) ، وعبدَ الواحد صاحب اللؤلؤيّ(٧)

---

(١) نسبه صاحب الأغانى (٦ : ١٦٢) إلى أبى الغول، وكان حماد قد عاب شعراً له. وانظر الخزانة (٤ : ١٣٢ بولاق) والمخصص (١٧ : ٦) والعقد (٤ : ٣٢١) وأمالى المرتضى (١ : ٩١) وديوان المعانى (١ : ٣١٤) والشعراء ٧٥٤ .

(٢) فى الأصل : « حماد » .

(٣) الدنان : جمع دن ، بالفتح ، وهو من الأوعية التى يحفظ فيها الخمر ، وهو خزفى مستطيل مقير لايقعد إلا أن يحفر له . والقدوم ، بالفتح : قدوم النجار ، مؤنثة . فى المخصص : « نفخت مشافره الشمول »، والمرتضى : « بسطت مشافره الشمول »، والعسكرى : « هدلت مشافره المدام وأنفه » . والمدام والشمول : الخمر .

(٤) لعلها : « قال » .

(٥) آنف : جمع أنف . س ، هـ : « أنفهم » بالإفراد . وهو جائز . والعرب يقيمون الواحد مقام الجمع . وفى الكتاب : « ثم يخرجكم طفلا » أى أطفالا . و : « لا نفرق بين أحد منهم »، والتفريق لا يكون إلا بين اثنين ، فالمعنى لا نفرق بينهم . و : « وإن كنتم جنبا » . انظر سر العربية ٣٣٩ الحلبى ، وحواشى الحيوان (٢ : ٤٠٣) .

(٦) لعله : « أبو روح الصائغ » . انظر (٣ : ٤٣٥) .

(٧) كذا وردت كتابة هذا الاسم بواوين فى الأصل وفى سائر المراجع القديمة . واللؤلؤى ، هو الحسن بن زياد ، الذى تقدمت ترجمته فى (١ : ٥٢) .

وجماعة من نَدْمانِ[١] حمّاد بن الصّباح ، وعبد الله أخو نهر[٢] ابن عسكر
وناس كثيرٌ[٣] .

ويدلُّ على ذلك من المنافَرَةِ قولُ جَرِيرٍ للأَخطل :

١٤٣ وشَرِبتَ بعد أبى ظهير وابنِه سكَرَ الدِّنَانِ كأَنّ أَنْفكَ دُمّلُ[٤]

وكان منهم يونس بن فروة[٥] . وفى يونس يقول حمّادُ عجرد :

أما ابنُ فَرْوَةَ يُونسٌ فكأَنَّهُ مِنْ كِبْرِهِ أيرُ الحمارِ القائمُ[٦]
ما النّاسُ عِنْدَكَ غيرُ نفسِكَ وحْدها والخَلْقُ عندكَ ما خلاكَ بهائمُ[٧]
إنّ الذى أصبحْتَ مفتوناً به سيزُول عنك وأنفُ جارِكَ راغمُ
فتعضُّ من نَدَمٍ يَدَيْكَ على الذى فرَّطت فيه ، كما يَعضُّ النّادمُ

---

(١) الندمان ، بالفتح : النديم على الشراب . والمراد هنا جماعة الندامى . وفى اللسان : «وقد يكون الندمان واحداً وجمعاً » . ومثله فى القاموس .

(٢) ه فقط : « هز » . وكلمة : « أخو » هى فى الأصل : « أخا » .

(٣) فى الأصل : « وناسا كثيراً »، صوابه ما أثبت .

(٤) السكر ، بالتحريك : الخمر ، أو نبيذ يتخذ من التمر ، أو كل مسكر .

(٥) يونس بن فروة ، ويقال ابن أبى فروة . وجاء بالأخيرة فى لسان الميزان (٢ : ٣٥٣ ، ٦ : ٣٣٤ ، ٣٣٥) وكذا أمالى المرتضى (١ : ٩٠) نقلا عن الجاحظ . وما فى الشعر يرجح التسمية الأولى . وجاءت التسمية الأولى أيضاً فى جمع الجواهر ٢٠٩ فى أثناء رسالة للخوارزمى ، والعمدة (٢ : ١٨٥) والطبرى (١٠ : ٥٠) .

(٦) فى الأصل : « من كفره » وهو تحريف ، صوابه فى عيون الأخبار (١ : ٢٧٢) والعمدة ، وجمع الجواهر . وفى جمع الجواهر أيضاً : « ذاك الحمار » .

(٧) فى عيون الأخبار والعمدة : « والناس » موضع : « والخلق » . والبيت ساقط من س .

فلقــد رَضيتَ بعُصْبَةٍ آخَيتهــمْ وإخَاهُمُ لك بالمعَرَّةِ لازمُ[١]
فعلِمْتَ حِينَ جعلتهم لك دخلة[٢] أنى لعِرضك فى إخائك ظالِمُ

(ذكر بعض الزنادقة)

وكان حمّادُ عجرد[٣] ، وحَماد الرّاوية[٤] ، وحمّادُ بن الزِّبرقان[٥] ، ويونسُ بن هارُون[٦] ، وعلى بن الخليل[٧] ، ويزيد بن الفيض[٨] ، وعُبادة وجميل بن محفوظ[٩] ، وقاسم[١٠] ، ومطيع[١١] ، ووالبة بن الحباب ، وأبانُ

---

(١) وإخاهم ، أراد : وإخاؤهم ، أى صحبتهم . قصر الكلمة للشعر . ط : « أوخاهم » تصحيحه من س ، ﻫ .

(٢) دخلة الرجل ، بتثليث الدال : بطانته .

(٣) حماد عجرد ، بالإضافة ، هو حماد بن عمر بن يونس ، شاعر مشهور ، وهو من مخضرمى الدولتين : الأموية والعباسية ، ولم يشتهر إلا فى العباسية . وكان بينه وبين بشار أهاج فاحشة . توفى سنة ١٦١ وقيل ١٦٨ أو قتل سنة ١٥٥ .

(٤) حماد الراوية ، هو حماد بن أبى ليلى ، عرف بكثرة روايته للشعر والخبر ، وكان يصنع فيهما . ولد سنة ٩٥ وتوفى سنة ١٥٥ .

(٥) حماد بن الزبرقان ، ذكره ابن حجر فى لسان الميزان (٢ : ٣٤٧) وهو ممن اتهم بالزندقة .

(٦) كذا فى الأصل ، وهو كذلك فى الأوراق للصولى ١٠ قسم أخبار الشعراء . وقد نقل عن الجاحظ ولو أنه لم يصرح بذلك . وقد يكون : « يونس بن فروة » الذى تقدمت ترجمته قريباً .

(٧) هو رجل من أهل الكوفة ، مولى لمعن بن زائدة ، وكان يعاشر صالح بن عبد القدوس ، لا يكاد يفارقه ، فاتهم بالزندقة . وله أخبار مع المهدى والرشيد. انظر الأغانى (١٣ : ١٣ — ١٨) .

(٨) ذكره صاحب لسان الميزان .

(٩) كذا فى الأصل وأمالى المرتضى والأغانى (١٦ : ١٤٣) نقلا عن الجاحظ والأوراق ١٠ قسم أخبار الشعراء . وعند ابن حجر فى لسان الميزان : « حميد بن محفوظ » . فى رسم خاص . ولعله تصحف عليه .

(١٠) فى أمالى المرتضى : « قاسم بن زنقطة » .

(١١) هو مطيع بن إياس الكنانى ، من مخضرمى الدولتين ، كان ظريفا خليعاً . ولد —

ابن عبد الحميد[١] ، وعمارة بن حربية[٢] ، يتواصلون ، وكأنهم نفس واحدة وكان بشّارٌ ينكر عليهم .

ويونسُ الذى زعم حمادُ عجْردٍ أنّهُ قد غرَّ نفسه بهؤلاءِ ، كانَ أشهَرَ بهذا الرّأى منهم ، وقدكان كتبَ كتاباً لملك الرُّوم ِ فى مثالب العرب ، وعيوب الإسلام ، بزعمه[٣] .

(هجائية فى أبان والزنادقة)

وذكر أبو نواسٍ أبانَ بْنَ عبد الحميد اللاّحقى ، وبعضَ هؤلاءِ ، ذِكْرَ إنسانٍ يَرَى لهم قَدْرًا وخطراً ، فى هجائيّةٍ لأبان[٤] ، وهو قوله :

جالسْتُ يوماً أباناً لا دَرَّ دَرُّ أبان

ونحنْ حَضْرَ رواق الـ أمير بالنّهْرَوَانِ[٥]

= ونشأ بالكوفة . وأخباره مسهبة فى الأغانى (١٢ : ٧٥ - ١٠٣) .

(١) أبان بن عبد الحميد اللاحقى ، شاعر من ظراف الشعراء . نقل للبرامكة كتاب كليلة ودمنة فجعله شعراً ؛ ليسهل حفظه عليهم ، فأعطاه يحيى عشرة آلاف دينار ، والفضل خمسة آلاف دينار ؛ ولم يعطه جعفر وقال : ألا يكفيك أن أحفظه فأكون راويتك ؟ ! .

(٢) فى الأغانى ولسان الميزان : « عمارة بن حمزة » ، وما فى أوراق الصولى يوافق ما أثبت من الأصل .

(٣) زاد فى أمالى المرتضى : « فأخذ منه مالا » .

(٤) ذكر سبب هذا الهجاء ، أبو الفرج فى الأغانى (٢٠ : ٧٣) قال : « كان يحيى بن خالد البرمكى قد جعل امتحان الشعراء وترتيبهم فى الجوائز ، إلى أبان بن عبد الحميد ، فلم يرض أبو نواس المرتبة التى جعله فيها أبان ، فقال يهجوه بذلك » .

(٥) حضر ، هنا بمعنى قربه وبمحضر منه . وانتصب على الظرفية . وأصله بتحريك الحاء الضاد . وسكن الضاد للشعر . ويقال أيضاً حضرة ، بالفتح . قال :

فشلت يداه يوم يحمل راية إلى نهشل والقوم حضرة نهشل =

حَتَّى إذا ما صَلاة الـ ـأُولَى أَتَتْ لأَوَانِ[١]

فقامَ ثَمَّ بها ذُو فصاحةٍ وبيـانِ[٢]

فكلُّ ما قال قلْنَا إلى انقضاء الأذان[٣]

فقال : كيف شهدتم بِذَا ، بغير عِيان ؟ ![٤]

لا أشهَدُ الدَّهْرَ حَتَّى تُعَـايِنَ العَيْنَان !

فقلت : سبحانَ رَبِّى ! فقال : سُبحانَ مانِى ![٥]

فقلت : عيسى رسولٌ فقال : مِنْ شَيطانِ ![٦]

فقلتُ : موسى كَليمُ الْـ ـمهيمنِ المنَّانِ[٧]

١٤٤

= والرواق ، بالكسر : مقدم البيت ، أو سقف فى مقدمه . ط ، س : « ونحن وحضروان » ، وتصحيحه من الديوان ١٨٠ وأوراق الصولى (قسم أخبار الشعراء ١١) .

(١) صلاة الأولى ، عنى بها الصبح . لأوان : أى لأوانها ووقتها . س ، ط : « الأذان » ، وأثبت ما فى الديوان ، والأوراق ، والأغانى . وفى هـ والخزانة (٣ : ٤٥٨ بولاق) نقلا عن الأغانى : « لأذان » ، وإخالها تحريفاً .

(٢) أى قام بصلاة الصبح مؤذنا لها ، رجل ذو فصاحة وبيان . فالمراد الأذان ، لا الصلاة .

(٣) أى كلما قال المؤذن قولا رددوه بعده .

(٤) بذا : أى بقول المؤذن : « أشهد ألا إله إلا الله » ، « أشهد أن محمداً رسول الله » . بغير عيان : بغير معاينة ومشاهدة .

(٥) مانى : صاحب دين المانوية الزنادقة . انظر ما كتبت عنهم فى ص ٨١ .

(٦) فى الأصل : « من شيطانى » ، صوابه من الديوان والأوراق . وقد أراد أنه قال : رسول من شيطان !

(٧) المنان : اسم من أسماء الله تعالى ، أى المعطى ابتداء . وفى الأصل : « المنانى » ، تصحيحه من الديوان والأوراق .

فقال : ربُّكَ ذو مُقْ   لةٍ إذا ولِسانِ ؟
فنفســـه خلقَتْـــه   أَمْ مَنْ ؟! فَقُمْتُ مكانى
عن كافرٍ يَتَمرَّى   بالكُفر بالرَّحمنِ[1]
يريد أن يتسوَّى   بالعُصْبَة المُجّان
بعَجْرَدٍ وعُبـــادٍ   والوالبيِّ الهِجَـانِ[2]
وقاســـمٍ ومُطيـــعٍ   رَيْحانةِ النَّدْمانِ[3]

وتعَجُّبى من أبى نواس ، وقد كان[4] جالسَ المتكلمين أشدُّ من تعجُّبى من حَمَّادٍ ، حين يَحكى عن قومٍ من هؤلاء قَولاً لا يقولُه أحد[5] . وهذه قُرَّة[6] عَينِ المهجوّ . والذى يقول : سبحانَ مانى ، يعظم أمر عيسى تعظيماً شديداً[7]

(١) يتمرى : يتزين . يقول : هو يتخذ الكفر زينة له . وبئس الزينة ! . ط والأوراق : « يتمارى » بمعنى يشك ، وليس له وجه صالح . وأثبت ما فى س والديوان . وفى هـ : « متمرى » تحريف ما فى س . وبين هذا البيت وسابقه بيتان فى الديوان ، هما :

وقلتَ ربِّى ذُو رحْ   مَةٍ وذو غُفْــرَانِ
وقُمْتُ أسحَبُ ذيلى   عن هازئٍ بالقُرانِ

(٢) فى الصفحة ٤٤٧ ، من اسمه : « عبادة » ، فلعله هو بعد تغيير يسير ، لما يقتضى الشعر . أما الوالبى فهو والبة بن الحباب . شاعر من شعراء الدولة العباسية ، هاجى بشارا وأبا العتاهية فلم يصنع شيئاً ، وفضحاه . وهو أستاذ أبى نواس . الأغانى (١٦ : ١٤٢) .

(٣) سبق تفسير هذه الكلمة فى ص ٤٤٦ .

(٤) س : « وهو كان » .

(٥) إشارة إلى ما سبق فى ص ٤٤٣ .

(٦) هـ : « قوة » تحريف .

(٧) هذا مافهمه الجاحظ . ويؤيده ماورد فى فهرست ابن النديم ٣٢٨ ليبسك ٤٥٨ مصر : « وزعم مانى أنه الفارقليط المبشر به عيسى عليه السلام . واستخرج مانى =

فكيف يقول : إنَّه من قِبَلِ شيطان ؟ !

وأما قوله : « فنفسه خلقَتْه أم من » فإنَّ هذه مسألةٌ نجدها ظاهرةً على ألْسُنِ العوامّ . والمتكلمون لا يحكون هذا عن أحد .

وفى قوله : « والوالبيِّ الهِجان » دليلٌ على أنَّه من شكلهم .

والعجب أنَّه يقول فى أبان : إنَّهُ ممَّن يتشبه بعَجْرد ومُطيعٍ . ووالبةَ ابن الحباب ، وعليِّ بن الخليل ، وأصبغ[(١)] — وأبانُ فوقَ ملء الأرض مِنْ هؤلاء . ولقد كان أبانُ ، وهو سكرانُ ، أصحَّ عقلا من هؤلاء وهم صحاةٌ[(٢)] . فأمَّا اعتقادُه فَلاَ أدرى ما أقول لك فيه ؛ لأنَّ النَّاس لم يؤْتَوْا فى اعتقادهم الخطأَ المكشوفَ ، من جهة النظر[(٣)] . ولكنْ للنَّاس تأسٍّ وعاداتٌ ، وتقليدٌ للآباء والكُبراء ، ويعملون على الهوى ، وعلى ما يسبق إلى القلوب ، ويستثقلون التَّحصيلَ ، ويُهملون النَّظَرَ ، حتى يصيروا فى حالٍ متى عاودوه وأرادوه ، نظروا بأبصار كليلة[(٤)] ، وأذهان مدخُولة ، [و] مع سوء عادَة . والنَّفسَ لا[(٥)] تجيبُ وهى مُسْتَكْرَهة . وكان

= مذهبه من المجوسية والنصرانية » . لكن جاء فى الفهرست أيضاً مايؤيد مانفهمه أبو نواس . ففيه : « ومانى ينتقص سائر الأنبياء فى كتبه ، ويزرى عليهم ، ويرميهم بالكذب ، ويزعم أن الشياطين استحوذت عليهم ، وتكلمت على ألسنتهم بل يقول فى مواضع من كتبه : إنهم شياطين ! فأما عيسى المشهور عندنا وعند النصارى ، فيزعم أنه شيطان » الفهرست ٤٦٨ مصر . فالظاهر أن مرد ذلك الخلاف إلى مافى أقوال مانى من التناقض والتنافر .

(١) لم يذكر هؤلاء جميعاً فيما رواه الجاحظ من القصيدة المتقدمة ، فلعله سقط منها شىء . وانظر الديوان والأوراق حيث تجد زيادة فى الشعر .

(٢) الصحاة : جمع صاح ، من صحا يصحو . س : « أصحاء » ، صوابه فى ط ، هـ والأوراق ١٢ قسم أخبار الشعراء .

(٣) ط ، هـ : « النظير » ، صوابه فى س .

(٤) كليلة : ضعيفة . س : « قليلة » تحريف . وفى الأصل : « ونظروا » .

(٥) س : « لما » .

يقال : « العقل[1] إذا أكره[2] عَمِي » . ومتى عَمِيَ الطِّباعُ[3] [و] جَسا وغلظ وأهمل ، حتَّى يألف الجهل ، لم يكد[4] يفهم ما عليه وله . فلهذا وأشباهه قاموا على الإلف ، والسَّابق إلى القلب .

(شعر لحماد عجرد)

وقال حمَّادُ عجْرَد :

اعلمُوا أَنَّ لوُدى ثمناً عنــدى ثَمينا
لَيْتَ شِعْرِى أَىَّ حُكْمٍ قَدْ أراكُمْ تَحْكُمُونا
أَنْ تـكونوا غيْرَ مُعْطِيـ نَ وأنتمْ تأخذونا[5]
١٤٥ ابْنِ لُقْمانَ بنَ عادٍ فى اسْتِ هذا الدِّينِ دِينا[6]

وما رأيت أحداً وضع لقمانَ بنَ عاد فى هذا الموضع . غيرَه ! وقال حَمَّادُ عجردٍ فى بشار :

يا ابنَ الحبيثةِ إنَّ أمَّـ ـكَ لم تـكُنْ ذاتَ اكتتامِ[7]
وتبدَّلَتْ ثَوْبَانَ ذَا الْـ ـأَيْرِ المضبَّرِ والعُرَامِ[8]

---

(١) ط ، هـ : « الطفل » ، صوابه فى س .

(٢) فى الأصل : « كره » .

(٣) الطباع ، بالكسر : الطبع والسجية .

(٤) ط ، هـ : « ولم يكد » بإثبات الواو قبلها ، صوابه فى س .

(٥) ط : « تأخذون » ، صوابه فى س ، هـ .

(٦) ابن : أمر من بنى يبنى . ط ، س : « أين » وصوابه فى هـ . ولقمان : أى يالقمان ، حذف حرف النداء .

(٧) أى كانت تجاهر بفسقها .

(٨) ثوبان : رجل اتهمت أم بشار به . وفيه أيضاً يقول حماد عجرد (الحيوان ١ : ٢٤٢) :

ثَوْبَانَ دَقَّاقَ الأَزز بأرواث حســـامِ(١)
عَـــرْد كقائمة السَّرِ يرِ يُبِيلهاَ عنـــد الرِّطام(٢)
وَأَتَتْ سُمَيعةُ بَعْدَهَا بالمصمئلاّتِ العِظـــامِ(٣)
أخت لهم كانت تكا بِرُ أن تُسَافِحَ مِنْ قيـام(٤)

وقال حَمَّاد يذكر بشاراً :

غزالة الرجسة أو بنتها سُمَيعة الناعيـــة الفهرا(٥)

وقال وذكر أمَّه(٦)

أبَنِى غزَالة يا بنِي جُشَم اسْتِها لِيَحقكُمْ أَنْ تفرَحوا لا تجزعُوا(٧)

(حماد عجرد و بشار)

وما [كان] ينبغى لبشَّارٍ أنْ يناظِرَ حماداً من جهة الشعرِ وما يتعلَّقُ

= يابن التى نشزت عن شيخ صبيتها لأير ثوبان ذى الهامات والعجر
يقول : تبدلت ثوبان بزوجها . ط : « ثوبين » ، تحريف صوابه فى س ، هـ .

(١) ط : « دقاقا » صوابه فى س ، هـ . ط : « الازار » وأثبت مافى س ، هـ ، وهما محرفان . س : « يدقها أرزب خام » وأثبت مافى ط ، هـ . على تحريفهما .

(٢) العرد ، بالفتح : الصلب الشديد . ط : « كقائمة السير » صوابه فى س ، هـ . يبيلها : يجعلها تبـول . ط ، س : « يسلها » ووجهه ماأثبت من س . والرطام : أن يخالطها مستوعبا . هـ : « الركام » صوابه فى ط ، س .

(٣) ضبطت « سميعة » بهيئة التصغير فى س . والمصمئلات : الدواهى .

(٤) تـكابر ، هى فى ط : « لـكابر » محرفة .

(٥) كذا جاء البيت .

(٦) أى أم بشار . ط ، س : « وقال ذو الرمة » وهو تحريف لاجرم .

(٧) أبنى ، أى يابنى . والجثم ، كصرد : الجوف : ط ، هـ : « ياجشم » وإ كاله من س .

بالشِّعر ؛ لأنَّ حمَّاداً فى الحَضِيض ، وَبَشَّارًا مع العَيُّوق[1] . وليس فى الأرض مولَّدٌ قَرَوِىٌّ يُعَدُّ شعرُه فى المحدث إلاّ وبَشَّارٌ أشعرُ منه .

(شعر فى هجو بعض الزنادقة)

وقال أبو الشمقمق فى جميل بن محفوظ[2] :

وهذا جميلٌ على بغله وَقَدْ كانَ يعدُو عَلَى رِجْلِهِ
يَرُوحُ ويغدو كأَيْرِ الحمارِ وَيرجِعُ صِفْراً إلى أهله[3]
وقد زَعموا أنَّهُ كافرٌ وأنَّ التَّزَنْدُقَ من شَكْلِهِ
كأنى به قد دعاهُ الإمامُ وآذن ربُّكَ فى قتـْـلِه

(غلو أبى نواس فى شعره)

وأمّا أبو نُواسٍ فقد كان يتعرّضُ لِلْقَتْلِ بجهْدِه . وقد كانوا يعجَبون من قوله :

كيف لايُدْنيك مِنْ أَمَلِ مَنْ رَسُولُ اللهِ مِنْ نَفَرِه[4]

---

(١) العيوق ، بفتح العين ، وتشديد الياء المضمومة : نجم أحمر مضىء فى طرف المجرة الأيمن ، يتلو الثريا لايتقدمها . يضرب به المثل فى العلو .

(٢) سبقت ترجمته فى ٤٤٧ .

(٣) ط : « يروح ويغد » صوابه فى س ، هـ . صفراً : خالى اليدين .

(٤) من نفره : من قومه وأنصاره : هـ : « نقله » تحريف . والبيت من قصيدة رائية مشهورة مطلعها :

أيها المنتاب من عفره لست من ليلى ولا سمره

يمدح بها العباس بن عبيد الله بن أبى جعفر المنصور . الديوان ٦٦ . وقد أثار هذا البيت ضجة كبيرة بين الأدباء ، فأخذوا عليه قوله : « من رسول الله من نفره » . انظر الكامل ٢٣٤ – ٢٣٥ ليبسك والعقد (٣ : ٤٣٦ – ٤٣٧) =

فلما قال :

فاحْبِبْ قُريشاً لحبِّ أحمَدِها   واشكُرْ لها الجَزْلَ مِنْ مواهبِها(١)

جاء بشيء غطًّى على الأوَّلِ .

وأنكروا عليه قولَه :

* لو أكثر التَّسْبيح ما نجَّاه *

= حيث تجد النقد والاعتذار له . وفى الموشح ٢٧٩ أن أبا على الضرير ، أحد رواة أبى نواس قال : « أنشدنى أبو نواس فى العباس بن عبيد الله ؛ مديحه الذى يقول فيه :

كيف لايدنيك من أمل   من رسول الله من نفره

فعلمت أنه كلام ردىء مستهجن موضوع فى غير موضعه ، وأنه مما يعاب به ؛ لأن من حق الرسول صلى الله عليه وسلم أن يضاف إليه ، وألا يضاف إلى أحد . فرأى ذلك فى وجهى ، فقال لى : ويلك ! إنما أردت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبيل الذى هو منه ، كما قال حسان :

وما زال فى الإسلام من آل هاشم   دعائم عز لا ترام ومفخر

بهاليل منهم جعفر وابن أمه   على ومنهم أحمد المتخير

فقال : منهم ، كما قلت من نفره . أى من النفر الذين العباس منهم ، فما تعيب من هذا ؟ ! » . قال أبو على : « فعلمت أن هذا ضرب من الاحتيال » . وقد روى هذا الخبر فى أخبار أبى نواس ١٦١ - ١٦٢ وزاد فى آخره : « ولكنه قد أحسن المخرج منه » . وفى الصناعتين ١١٣ نظائر لهذا الخطأ .

(١) رواية الديوان ١٥٧ : « أحبب » بقطع الهمزة وإسقاط الفاء : أمر من أحب يحب . ورواية الجاحظ هنا تخرج على لغة ضعيفة . وفى اللسان عن الفراء ، أن حببته لغة . وفيه أيضاً : « وكره بعضهم : حببته ، وأنكر أن يكون هذا البيت لفصيح » . وفيه : « وحكى سيبويه : حببته وأحببته بمعنى » . وفى الصناعتين ١١٣ : « واحبب » . والبيت من قصيدة جيدة لأبى نواس يفتخر فيها بقحطان ويهجو عدنان ، وقد أبدع فى صنعتها إبداعا ، وأتى بطريف حقا . ولكن هذه القصيدة جلبت إليه شؤما بما حبسه الرشيد وأطال من حبسه . ومطلعها :

ليست بدار عفت وغيرها   ضربان من قطرها وحاصبها

وفيها يقول :

فاهج نزارا وافر جلدتها   واهتك الستر عن مثالبها

فلما قال :

١٤٦ يا أَحْمَدَ الْمُرْتَجَى فى كُلِّ نائبةٍ قُمْ سَيِّدِى نَعْصِ جَبَّارَ السَّمٰوَاتِ[١]

غطَّى هذا على الأوّل[٢] . وهذا البيت مع كفره مَقِيت جدا . وكان يُكثِر فى هذا الباب[٣] .

(خطأ أبى نواس فى شعره)

وأما سوى هذا الفنِّ فلم يعرِفُوا له من الخطإ إلاَّ قولَه :

أَمستخبرَ الدّارِ هَــلْ تنطِقُ أنا مكان الدار لا أنطقُ[٤]

كأنهـــا إذْ خَرِسَتْ جَارِمٌ بينَ ذَوِى تَفْنِيدِهِ مُطْرِقُ[٥]

فعابوه بذلك ، وقالوا : لايقول أحد : لقد سكت هذا الحَجَرُ ، كأنّه

(١) أحمد هذا ، هو أحمد بن أبى صالح ، كان أبو نواس يتعشقه . أخبار أبى نواس ١٤٥ ـ وأبيات القصيدة فيها ، وفى ديوانه ٢٤٩ – ٢٥٠ . وقبله :

فقلت والليل يجلوه الصباح كما يجلو التبسم عن غر الثنيات

(٢) فى الأصل : « الأولى » . وانظر مثل هــذا التعقيب فى الصفحة السابقة ـ و « غطى » رسمت بالألف فى هذا الموضع وسابقه فى كل من ط ، ھ وهو رسم قديم . وأثبت مافى س .

(٣) أى كان أبو نواس يكثر من القول فى مثل المعنى السابق . ومما قال فى ذلك (الصناعتين ١١٣) :

تنازَعَ الأحمدان الشِّبهَ فاشْتَبَهَا خَلْقًا وَخُلْقًا كما قُدَّ الشِّراكانِ

قال العسكرى : « فزعم أن ابن زبيدة مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خلقه وخلقه » .

(٤) ط : « أمخبر الديار » س : « أمستخبر الديار » ھ : « يامستخبر الدار » ، ولعل صوابه ماأثبت . وعجز البيت هكذا ورد بالأصل .

(٥) الجارم : الجانى . والتفنيد ، المراد به : اللوم والعذل . والتفنيد : التكذيب والتعجيز وتخطىء الرأى وتضعيفه . والبيت عند العسكرى فى الصناعتين ٦٨ .

إنسانٌ ساكت ، وإنما يُوصَف خَرَسُ الإنسانِ بخَرَسِ الدَّارِ ، ويشبَّهُ صممه بصمَمِ الصَّخر .

وعابوه بقوله ، حين وصف عَيْنَ الأسد بالجحوظِ ، فقال :

كأنَّمَا عَيْنُهُ إذا التهبَتْ بارِزَةَ الجفْنِ عينُ مخنوقِ[1]

وهُمْ يَصِفُونَ عينَ الأسد بالغؤورِ . قال الرَّاجز :

* كأنما يَنْظرُ من جَوْفِ حَجَرْ[2] *

وقال أبو زُبَيدٍ[3] :

كأنَّ عَينيه فى وَقْبَين من حَجَرٍ قِيضا اقتياضاً بأطراف المناقير[4]

ومع هذا فإنَّا لا نعرف بَعْدَ بَشَّارٍ أشعَرَ منه[5] .

وقال أبو زبيد :

وعَينانِ كالوَقْبين فى ملء صَخْرَةٍ ترى فيهما كالجمْرَتَيْنِ تَسَعَّرُ[6]

(قصة راهبين من الزَّنادقة)

وحدَّثنى أبو شُعيب القَلاَّلُ ، وهو صُفْرِىٌّ[7] ، قال : رهبان الزَّنادقة

(١) هـ : « والمخنوق » وأثبت ما فى ط ، س والصناعتين ١١٥ .
(٢) فى الصناعتين : « من خرق حجر » .
(٣) هو أبو زبيد الطائى ، الذى تقدمت ترجمته فى (١ : ٣٥٢) .
(٤) الوقب ، بالفتح : النقرة فى الصخر . قيضا : شقا وحفرا . اقتياضا : استئصالا . فى الأصل : « قيضاً اقتناصا » محرف ، صوابه فى الصناعتين ١١٥ . والمناقير : جمع منقار ، وهو حديدة كالفأس ينقر بها .
(٥) منه : أى من أبى نواس . وحق هذا التعقيب أن يكون بعد البيت الآتى .
(٦) فى الصناعتين : « فى قلب صخرة * يرى فيهما » .
(٧) الصفرى ، بالضم ، ويكسر : واحد الصفرية . وهم فرقة من الخوارج ، نسبوا إلى زياد بن الأصفر ، أو عبد الله بن صفار ، أو إلى صفرة ألوانهم ، أو لخلوهم من =

سَيّاحون(١) ؛ كأنهم(٢) جعلوا السِّياحَةَ بدلَ تعلقِ النَّسطوري(٣) في المطامير .

و [مُقامُ(٤)] الملْكانيِّ(٥) في الصَّوامع . ومُقامُ النَّسطوريِّ

= الدين . انظر القاموس . وتفصيل مذهبهم في الفرق ٧٠ - ٧١ والملل والنحل (١ : ١٨٣ - ١٨٤) . والأرجح نسبتهم إلى زياد بن الأصفر ، كما في الفرق والملل . ط : « صغرى » صوابه في س ، ه .

(١) السياحة : الذهاب في الأرض للعبادة ، وانظر ماسيأتي من قول الجاحظ .

(٢) ط ، ه : « لأنهم » وأثبت مافي س .

(٣) في القاموس : « النسطورية ، بالضم وتفتح : أمة من النصارى تخالف بقيتهم . وهم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون ، وتصرف في الإنجيل بحكم رأيه ، وقال : إن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة . وفي الفصل (١ : ٤٩) : « وهذه الفرقة غالبة على الموصل والعراق وفارس وخراسان . وهم منسوبون إلى نسطور ، وكان بطريركا بالقسطنطينية » . وقد أخطأ صاحب القاموس ؛ فإن نسطور ، أو نسطورس كان قبل الهجرة لا في زمن المأمون كما زعم . وقد ذكر المسعودي في التنبيه والإشراف ١٢٧ أن السنهودس الثالث بمدينة أفسيس قرر لعن نسطورس والتبرؤ منه ونفيه ، فسار إلى صعيد مصر فأقام ببلاد أخميم والبلينا ومات بقرية يقال لها سيفلح » . وقد كان اجتماع ذلك السنهودس في سنة ٤٣١ الميلادية ، كما جاء في كتاب تاريخ الأمة القبطية ، تأليف لجنة التاريخ القبطي (الحلقة الثانية ١١٦) . ، وكما جاء في معجم القرن العشرين : (Nestorian) . وصاحب القاموس المحيط المتوفى سنة ٨١٧ ه قد تابع في خطئه هذا ، ماذكره الشهرستاني صاحب الملل والنحل المتوفى سنة ٥٤٨ ، حيث قال في (٢ : ٦٤) : « النسطورية أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون » . وانظر رد ابن الأثير عليه في الكامل (١ : ١٩١) . وقد تولى نسطورس بطريركا سنة ٤٢٨ م . فبينه وبين ظهور الإسلام نحو ١٨٣ سنة .

(٤) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(٥) الملكاني : واحد الملكانية ، ويقال ملكاني وملكائية ، كما في مفاتيح العلوم ٢٣ وملكي وملكية كما في التنبيه والإشراف ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٦ . وفي مفاتيح العلوم : « وهم منسوبون إلى ملكاء . وهم أقدمهم » . يعني أقدم النصارى . وفي الملل والنحل (٢ : ٦٢) : « الملكائية أصحاب ملكا الذي ظهر بالروم واستولى عليها » . والحق أن الملكانيين منسوبون إلى « ملكا » =

فى المطامير[١] .

قال : ولا يَسِيحون إلاّ أزواجا . ومتى رأيتَ منهم واحداً فالتفتْ رأيتَ صاحبَه[٢] » والسِّياحة عندهم ألاّ يبيت أحَدُهم فى منزِلٍ ليلتَين . قال : ويسِيحون على أربع خِصال : على القدْس ، والطّهر ، والصِّدق ، والمسكنَة . فأمّا المسكنة ، فأَنْ يأكلَ من المسألة[٣] ، وممّا طابت به أنفسُ النّاس له حَتَّى لا يأكلَ إلاّ من كسْبِ غيره الذى عليه غُرْمُهُ ومأْثمه . وأمّا الطهر فترك الجِماعِ . وأمّا الصِّدق فعلى ألاّ يكذبَ . وأما القُدْس فعلى أن يكتُمَ ذنبَه ، وإن سئل عنه .

قال فدخل الأهوازَ منهم رجلان ، فمضى أحَدُهما نحو المقابرِ للغائط وجلس الآخرُ بقربِ حانوتِ صائغٍ ، وخرجت امرأةٌ من بعض تلك القُصُور ومعها حُقٌّ[٤] فيــه أحْجارٌ نَفيسة ، فلما صَعِدَت من الطَّريق إلى دكان الصَّائغ زلِقت فسقَطَ الحقُّ من يدها ، وظليمٌ لِبعضِ أهل تلك الدُّورِ يتردَّدُ ١٤٧ فلما سقَطَ الحقُّ وبايَنهُ الطَّبَقُ[٥] ، تبدّدَ ما فيه مِنَ الأحْجار ، فالتَقَمَ

= « ومعناه » الملك بالسريانية . والمراد بهم : أتباع مذهب قياصرة الروم ، الذى يسمى أيضاً المذهب الخلقيدونى، الذى أقره المجمع المعقود فىخلقيدونية سنة٤٥١ م . انظر تاريخ الأمة القبطية (الحلقة الثانية ص ٩١ — ٩٣) .

(١) المراد بالمطامير : أماكن تهيأ تحت الأرض . وهى فى أصلها اللغوى : حفر أو أماكن تحت الأرض ، يطمر فيها الطعام والمال ، أى يخبأ . والمطمورة أيضاً : السجن تحت الأرض . انظر اللسان .

(٢) س : « ترى صاحبه » .

(٣) أى سؤال الناس الطعام . س : « فأنه » مكان : « فأن » .

(٤) الحق ، بالضم : وعاء من الخشب ، ومثله الحقة ، بالضم أيضاً . وقد يكون الحق جمعاً لحقة ، كما فى اللسان والقاموس . لـكن المراد هنا المفرد قطعاً .

(٥) الطبق ، بالتحريك : غطاء كل شىء . وفى الحديث : « حجابه النور ، لو كشف طبقه لأحرقت سبحات وجهه كل شىء أدركه » . سمى طبقاً لأنه يطابق ويساوى ما هو غطاء له .

ذلك الظَّليمُ أعظَمَ حَجرٍ فيه وأَنْفَسَهُ ، وذلك بِعَيْنِ السّائح[1] ؛ ووثب الصّائغُ وغلمانهُ فجمعُوا تلك الأحْجَارَ ، وَنَحّوا النَّاسَ[2] وصاحُوا بهم فلم يَدْنُ منهم أحَدٌ ، وفقدوا ذلك الحجَر ، فصرخت المرأةُ ، فكشفَ القَوْمُ وتناحَوْا[3] ، فلم يصيبوا الحَجَرَ ، فقال بعضهم : واللهِ ما كان بقربنا إلاّ هذا الرّاهبُ الجالسُ ، وماينبغى أن يكون إلاّ معه ! فسألوه عن الحجر فكرِه أن يخبرَهم أنه فى جوف الظليم فيُذْبحَ الظليمُ ، فيكونَ قد شاركَ فى دمِ بعضِ الحيوان ، فقال : ما أخذْتُ شيئاً ! وبحثوه وفتّشوا كلّ شيء معه وألحُّوا عليه بالضّرب ، وأقبل صاحِبَهُ وقال . اتّقوا اللهَ ! فأخذُوهُ وقالوا[4] دفعته إلى هذا حَتَّى غَيَّبَهُ ! فقال : ما دفعتُ إليه شيئاً ! فضرَبوهما ليقرّ[5] فبينما هما كذلك إذْ مَرَّ رَجُلٌ يَعْقِلُ ، ففهم عنهُمُ القِصَّةَ ، ورأى ظليماً يتردّدُ فقال لهم : أكان هـذا الظليمُ يتردَّد فى الطريق حِينَ سقَطَ الحجر ؟ قالوا : نَعَمْ . قال : فهو صاحبكم . فعوَّضُوا أصحاب الظليم ، وذبحوه وشقُّوا عن قانصته ، فوجدوا الحجَر وقد نَقَص فى ذلك المقدارِ من الزّمانِ شَبيها بِشَطْره[6] ، إلاّ أنها أعطتْهُ لوْناً صارَ الذى استفادُوه من جهةِ اللَّوْنِ أربحَ لهم من وزْنِ ذلك الشَّطر أنْ لَوْكانَ لم يَذْهَبْ .

ونارُ القانصةِ غيرُ نارِ الحجَر[7] .

---

(١) العين ، بالفتح : المعاينة . ومنه قولهم فى المثل : « تطلب أثراً بعد عين » . انظر أمثال الميدانى فى هذا الرسم .

(٢) نحوا : أبعدوا . ط : « نحو الناس » صوابه ، فى س ، ﻫ .

(٣) تناحوا : المراد بها تباعدوا . ط : « تناجوا » بالجيم ، صوابها فى س ، ﻫ .

(٤) ط ، س : « وقال » صوابه من ﻫ .

(٥) فى الأصل : « ليموتا » . وفى الجماهر للبيرونى ٤١ : « فضربا ضرب التقرير » .

(٦) أى قريبا من نصفه .

(٧) أى النار التى تقدح من الحجر .

القول فى النّيران وأقسامها

ونحنُ ذاكِرُون جُمَلاً فى القَول فى النّيرانِ وأجناسها ، ومَواضِعِها ، وأىّ شىءٍ منها يضافُ إلى العجَم ، وأىّ شىءٍ منها يضاف إلى العَرب . ونُخبِرُ عن نيران الدِّيانات وغير الدِّيانات . وعمَّن عظَّمها وعمَّن استهانَ بها ، وعمَّنْ أفرطَ فى تعظيمها حتَّى عَبدَها . ونخبِرُ عن المواضعِ التى عُظِّمَ فيها مِنْ شأنِ النّار .

(نار القربان)

فمن مواضعها التى عُظِّمَتْ بها أنَّ الله عزَّ وجلّ جعلها لبنى إسرائيلَ فى موضعِ امتحانِ إخلاصهم ، وَتعرُّفِ صدقِ نِيّاتِهم ؛ فكانوا يتقرَّبون بالقُرْبان . فمَنْ كانَ منهم[1] مُخْلِصاً نزلتْ نارٌ من قِبَلِ السّماء حتَّى تُحِيطَ به[2] فتأكُلَهُ ، فإذا فعَلَتْ ذلك كان صاحبُ القُرْبانِ مُخْلِصاً فى تَقَرُّبِهِ . ومَتَى لَمْ يَرَوْها وبَقِىَ الْقرْبانُ على حاله . قَضَوْا بأنّهُ كانَ مدخولَ القلْب فاسِدَ النِّيّةِ . ولذلك قال الله تعالى فى كتابه : ﴿ الَّذِينَ قَالوا إنَّ اللهَ عَهِدَ إلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبانٍ تَأْكُلُهُ النّارُ قُلْ قَدْ جاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِى بِالْبَيِّناتِ وَبالّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قتَلْتمُوهُمْ إنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ[3] ﴾ .　١٤٨

والدَّليل على أنَّ ذلك قَدْ كَانَ معلوماً ، قولُ الله عزّ وجلّ :

---

(١) « فمن كان منهم » ساقطة من هـ .

(٢) أى بالقربان . وفى الأصل : « بهم » ، تحريف .

(٣) الآية ١٨٣ من آل عمران .

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ ﴾ ثمَّ إنّ الله سَتَرَ على عبادِه ، وجعَلَ بيانَ ذلك في الآخرة . وكان ذلك التّدبيرُ مصلحةَ ذلك الزّمانِ[١] ، ووفق[٢] طبائعهم وعِلَلهم . وقد كانَ القومُ من المعاندةِ والغَباوة على مقدارٍ لم يكنْ لينجع[٣] فيهم وَيَكْمُلَ لمصلحتهم إلاّ ماكان في هذا الوزْن . فهذا بَابٌ من عظم شأنِ النّار في صُدور النّاس .

ومِمّا زاد في تعظيم شأنِ النّار في صدور النّاسِ[٤] قولُ الله عزّ وجلّ : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إذْ رَأَى نَارًا فقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لعَلِّي آتِيكُمْ مِنهَا بِقَبَسٍ[٥] أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى . فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ . وقال عزّ وجلّ : ﴿ إذ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ[٦] إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلون . فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَولَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وكان ذلك مما زاد في قَدْرِ النّارِ في صدور النّاس .

---

(١) في ثمار القلوب ٤٥٥ نقلا عن الجاحظ : « وكان ذلك التدبير مصلحة في ذلك الأمر » .

(٢) ط : « ووافق » ، وأثبت ما في هـ وثمار القلوب .

(٣) ط : « ينجع » .

(٤) الكلام من قوله : « قول الله عز وجل » إلى هنا ، ساقط من س .

(٥) في الأصل : « بخبر » وهو تحريف شنيع . والآية هي العاشرة من سورة طه .

(٦) ط ، هـ : « فقال لأهله امكثوا » س : « وقال لأهله امكثوا » وهو تحريف كبير كسابقه . والآية هي السابعة من سورة النمل . وقد سبق مثل هذا التحريف في القرآن ، في ص ٨ و ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٣١٠ . وانظر تحقيق النصوص لعبد السلام هارون ص ٤٥ .

ومن ذلك نار إبراهيم صلى الله عليه وسلم . وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ ثمَّ قالَ ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ فلما قالَ الله عزّ وجلّ : ﴿ قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ كانَ ذلك مّمَّا زاد في نباهة النَّار وَقَدْرِها في صُدور النّاس .

باب آخر

(تنويه القرآن الكريم بشأن النار)

وهو قوله عزَّ وَجَلَّ : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ [1] ﴾ .

والنَّارَ مِنْ أَكْبَرِ الماعون[2] ، وأعظَمِ المرافق . ولو لم يكنْ فيها إلاّ أنّ الله عزّ وَجَلّ قد جَعَلَهَا الزاجرةَ عن المعاصى ، لكان ذلك ممَّا يزيد في قَدْرِها ، وفي نَباهةِ ذِكْرِها .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ [3] ﴾ ، ثم قال : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ [4] ﴾ . فقف عند قوله : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا ﴾

---

(١) الآية ٨٠ من سورة يس .

(٢) الماعون : ما ينتفع به . في الأصل : « من أكثر الماعون » .

(٣) الآيتان ٧١ ، ٧٢ من سورة الواقعة .

(٤) الآية ٧٣ من سورة الواقعة .

فإنْ كنت بهذا القول مؤمناً فتذكَّرْ ما فيها من النعمة أوَّلاً ثم آخراً ، ثم توهَّمْ مقادير النعم وتصاريفها .

١٤٩ وقد علمنا أنَّ الله عذَّب الأممَ بالغَرَق ، والرِّياحِ ، وبالحاصِب [١] ، والرُّجُمِ [٢] ، وبالصَّواعق ، وبالخسْف [٣] ، والمسخ ، وبالجُوع ، وبالنقص من الثمرات ، ولم يبعث عليهم ناراً ، كما بعث [عليهم [٤]] ماءً وريحاً وحجارة . وجعلها من عقاب الآخرة ، ونهى أن يُحرَق بها شيء من الهوامّ وقال [٥] : « لاتُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ » . فَقَدْ عَظَّمَهَا كما ترى .

فتفهَّمْ — رَحِمَكَ الله — فقد أرادَ اللهُ إفهامك .

وقال الله تعالى للثَّقَلَيْنِ [٦] : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنْتَصِرَانِ . فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ . فجعل الشُّواظ والنحَاسَ ، وهما النَّارُ وَالدُّخانُ ، من الآية . ولذلك قال على نَسَق الكلام : ﴿ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ،ولم يَعْنِ أن التَّعْذِيبَ بالنَّار نِعمةٌ يومَ القيامة ، ولكنه أرادَ التَّحذيرَ بالخوفِ والوَعيدِ بها [٧] ، غيرَ إدخالِ النَّاس [٨] فيها ، وإحراقهم بها .

---

(١) الحاصب : ريح شديدة تحمل التراب والحصباء . وقيل : هو ما تناثر من دقاق البرد والثلج ، أو الريح التى تقلع الحصباء .

(٢) الرجم ، بضمتين : النجوم التى يرمى بها .

(٣) الخسف : تغييب الشيء فى باطن الأرض . وفى الكتاب فى شأن قارون : « فخسفنا به وبداره الأرض » .

(٤) الزيادة من س ، هـ : وثمار القلوب ٤٥٤ .

(٥) أى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . والحديث الآتى رواه أبوداود والترمذى والحاكم فى المستدرك . انظر الجامع الصغير ٩٨٣٠ .

(٦) الثقلان ، بالتحريك : الجن والإنس .

(٧) كذا فى س . وفى ط ، هـ : « والخوف والمواعيد بها » .

(٨) فى الأصل : « النار » ، ووجهه ما أثبت .

(شعر فى بعض النبات)

وقال المرَّار بن منقذ[١] :

وكأَنَّ أرحُلنا بجوٍّ مُحَصَّبٍ ... بِلوَى عُنَيزةَ مِنْ مَقِيلِ التُّرْمُسِ[٢]

فى حيثُ خالطت الخزامى عَرْفَجاً ... يأتيك قابسُ أهْلِهَا لم يُقْبسِ[٣]

أراد خِصْبَ الوادى ورُطوبَتَهُ . وإذا كان كذلك لم تَقْدَحْ عيدانُهُ ، فإنْ دَخَلها[٤] مستقبسٌ لم يُورِ ناراً .

وقال كُثَيِّر :

له حسبٌ فى الحىِّ ، وارٍ زِنَادُهُ ... عَفَارٌ وَمَرْخٌ حَثَّهُ الوَرْىُ عاجلُ[٥]

---

(١) المرار بن منقذ ، ذكره صاحب المؤتلف ١٧٦ ، ويعرف أيضاً بالمرار الحنظلى ، وهو الذى سعى بجرير إلى سليمان بن عبد الملك فهاج الهجاء بينه وبين جرير . معجم المرزبانى ٤٠٩ . والبيتان الآتيان سبقا فى (٣ : ١٢١) .

(٢) ط ، هـ : « أرجلنا » صوابه فى س . ط : « مخصب » وأثبت ما فى س ، هـ والبيان (٣ : ٣٤) . وما فى ط رواية المخصص (١٠ : ١٢٣) . وانظر ما سبق من شرح البيت فى (٣ : ١٢١) .

(٣) فى الأصل : « الخزاما » بالألف . وانظر ما سبق من الكلام على هذا البيت فى (٣ : ١٢١) .

(٤) انظر ما سبق من تعقيب الجاحظ فى (٣ : ١٢١) . ولعل : « دخلها » : « حكها » أو « قدحها » .

(٥) وار : متقد . والزناد : جمع زند ، أو الزناد مفرد كالزند ، عن كراع ، وهو ذاك الذى يقتدح به . وهى كناية عن الكرم وغيره من الخصال المحمودة . ط ، س : « وارى » صوابه فى هـ والمخصص . حثه : أراد : عجل بإشعاله . وفى الأصل « حثة » تحريف صوابه فى المخصص (١١ : ٢٧) . وصدره فى المخصص : « لهم حسب » . ومما قيل فى مثل هذا المعنى ، قول الأعشى :

زنادك خير زناد الملوك ... خالط فيهن مرخ عفارا

ولو بت تقدح فى ظلمة ... حصاة بنبع لأوريت نارا

والعَفار والمَرْخ ، مِن بين جميع العِيدان التى تُقْدَحُ ، أكثَرُها فى ذلك وأسرعُها .

قال : ومن أمثالهم : « فى كُلِّ الشَّجَرِ نارٌ ، واستمجَدَ المَرْخُ والعَفار[1] » .

(نار الاستمطار)

ونارٌ أخرى ، وهى النَّار التى كانوا يَسْتَمْطِرُونَ بها فى الجاهليَّةِ الأولى ؛ فإنهم كانوا إذا تتابعت عليهم الأزَمَات[2] ورَكَدَ عليهم البلاءُ ، واشتدَّ الجَدْب ، واحتاجُوا إلى الاستِمْطار ، اجتَمَعُوا وجَمَعُوا ما قَدَرُوا عليه من البَقَر ثمَّ عقَدُوا فى أذنابها وبين عَراقِيبها ، السَّلَعَ والعُشَر[3] ، ثمَّ صعدوا بها فى جبلٍ وعرٍ[4] ، وأشعلُوا فيها النِّيرانَ ، وضجُّوا بالدُّعاء والتضرُّع . فكانوا يَروْنَ أنّ ذلك من أسبابِ السُّقيا . ولذلك قال أُميَّةُ :

سَــنَةٌ أَزْمةٌ تخيِّلُ بالنَّا س تَرَى للعِضَاهِ فيها صريرا

---

(١) استمجد : أسرع الورى ؛ فهو فى منحه النار بسرعة ، شبيه بمن يكثر من العطاء طلباً للمجد . ط ، س : « استجمد » ه : « استمحر » صوابهما فى اللسان وأمثال الميدانى (٢ : ١٨) والمخصص (١١ : ٢٧) والخزانة (١ : ١٥٩ ، ٢ : ٨٦ ، ٤ : ٤٦ بولاق) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) .

(٢) الأزمات ، بالتحريك : جمع أزمة بالفتح ، وهى الشدة . وفى الأصل : « الأزمان » محرفة .

(٣) السلع ، بالتحريك ، والعشر بضم ففتح : ضربان من الشجر ، كان العرب يأخذون حطبهما للغرض الذى ذكره الجاحظ .

(٤) وروى عكسه ، أى أنهم كانوا يحدرونها من الجبال . انظر شرح شواهد المغنى ٣٤٧ .

إذْ يَسفُّونَ بالدَّقيقِ وكانوا ... قَبْلُ لا يأكُلونَ شيئاً فَطيرا(١)

ويَسُوقون باقراً يطردُ السَّهـ ... لَ مهازيلَ خَشْيةً أن يَبُورَا(٢)

عاقدِينَ النِّيرانَ فى شُكُرِ الأذْ ... نابِ عَمْداً كيما تَهيجَ البُحورا(٣)

فاشتَوَتْ كلها فهاجَ عليهم ... ثمَّ هاجَتْ إلى صَبِيرٍ صَبِيرَا(٤) ١٥٠

فرآها الإلٰه تُرْشِمَ بِالْقَطْـ ... ـرِ وأمسى جَنابُهم ممطورا(٥)

فسقاها نَشاصُه واكفَ الغيْـ ... ـثِ منه إذ رادعوه الكبيرا(٦)

سَلَعٌ ما ومِثْله عُشَرٌ ما ... عائلٌ ما وعالت البيقـورا(٧)

(١) سففت السويق والدواء ونحوهما ، بكسر الفاء الأولى ، أسف ، بفتح السين . والباء فى : « بالدقيق » زائدة . أى يسفون الدقيق . انظر أدب الكاتب ٣٩٧ والاقتضاب ٤٥٦ . والفطير : ماعجل خبزه من ساعة ، ولم يترك حتى يختمر .

(٢) الباقر : البقر . ورواية اللسان (عيل) : « ويسوقون باقر السهل للطود » وهى رواية الآلوسى فى بلوغ الأرب (٢ : ٣٠١) عن ابن الكلبى . مهازيل : نحاف ، هزلتها الأزمة . يبور : يهلك ، أى الباقر . س : « تبورا » .

(٣) الشكر : جمع شكير ، وهو الشعر القصير بين الشعر الطويل . ط : « عهدا » مكان « عمدا » هـ : « عداء » ، صوابهما ما أثبت من س . وهاجت البحور : أثارتها . يقال : هاجه وأهاجه . وروى فى اللسان (ثكن) وبلوغ الأرب : « فى ثكن الأذناب » .

(٤) كلها : أى كل الأذناب ، أو كل الباقر . والصبير : السحاب يثبت يوما وليلة ولا يبرح ، كأنه يصبر أى يحبس .

(٥) ضمير رآها للأرض المفهومة من الكلام . وأرشمت الأرض : بدا نبتها . فى الأصل والديوان : « ترسم » ولا وجه له . والقطر ، بالفتح : المطر .

(٦) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع . والغيث الواكف : المطر الهاطل . وفى الأصل : « فسقاها نشاطه واكف النبت » تحريف . منه : أى من النشاص . وفى الأصل : « منهم » صوابه من ديوان أمية ٣٦ . هـ : « إذ رأى دعوة » وفى الديوان : « إذا وادعوه » . وأرى كل ذلك محرفا . وشعر أمية مفعم بالتحريف والتصحيف .

(٧) السلع والعشر مضى ضبطهما وتفسيرهما . والكلمة الأخيرة من البيت حكاية من =

هكذا كان الأصمعيُّ ينشِدُ هذه الكلمة ، فقال له علماءُ بَغدادَ : صحَّفْتَ ، إنما هي البيقور ، مأخوذة من البقر .

وأنشد[1] القحذمى[2] للوَرَلِ الطائىِّ[3] :

لادَرَّ درُّ رِجَالٍ خاب سَعيُهُمُ يستَمْطِرُون لَدَى الأَزْماتِ بالعُشَرِ[4]

أجاعِلٌ أنتَ بَيْقُوراً مُسلَّعةً ذَرِيعةً لك بينَ اللهِ والمَطَرِ[5]

= الجاحظ لتصحيف الأصمعى ، كما سيأتى . والرواية : « البيقورا » بمعنى البقر ، كما نبه وكما فى اللسان (بقر ، عيل) والديوان . ويقال عال الشىء فلانا : ثقل عليه . القاموس . يقول : أثقلت البقر بما حملته من السلع والعشر . انظر اللسان (عيل) وأنشد البيت صاحب اللسان مرة ثالثة فى (علا) بعد أن قال : «وعالِ عَلَىَّ : أى احمِلْ » فكأنه جعل « عالت » مرة أخرى من المعالاة . والبيت استشهد به ابن هشام فى المغنى على زيادة « ما » ثلاث مرات . وقد نقل السيوطى فى المزهر (٢ : ٢٢٣) ما كتبه الجاحظ هنا من تصحيف الأصمعى . وفيه : « النيقورا » . وليس أحد التصحيفين بأولى فى الإثبات من صاحبه . ونقل الآلوسى فى بلوغ الأرب (٢ : ٣٠١) أن تصحيف الأصمعى هو : « وغالت البيقورا » بالغين المعجمة .

(١) ط : « فأنشد » صوابه فى س ، هـ .

(٢) القحذمى هو الوليد بن هشام القحذمى ، كما فى البيان (١ : ٢٩١ ، ٢ : ٢٥٤) . وفى لسان الميزان (٦ : ٢٢٨) . « قال ابن حبان فى الطبقة الثالثة من الثقات : الوليد بن هشام بن قحذم ، أبو عبد الرحمن القحذمى ، من أهل البصرة ، يروى عن جرير بن عثمان . حدثنا عنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى . مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين » . والقحذمى ، بفتح القاف بعدها حاء مهملة ساكنة وذال معجمة مفتوحة : نسبة إلى جده قحذم ، كما رأيت . وفى الأصل : « القحدمى » بالدال ، تصحيف ، صوابه من المصدرين السابقين .

(٣) كذا فى الأصل واللسان (بقر) نقلا عن الجوهرى ، حيث أنشد البيتين . وفى اللسان (سلع) : « الورك » .

(٤) س ، هـ : « لدى الأزمان » ، صوابه فى ط واللسان (بقر ، وسلع) .

(٥) مسلعة : وضع فى أذنابها وبين عراقيبها السلع . والسلع ، بالتحريك : نبت .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال بَقَر ، وبَقِير . وبَيقور ، وباقر[1] . ويقال للجماعة منها : قطيع وإجْل . وكَوْر[2] . وأنشد[3] :

فسكَّنتهم بالقَوْلِ حتى كأنَّهم   بواقِرُ جُلْحٌ أسكنَتها المراتعُ[4]

وأنشد[5] :

ولا شَبُوبٌ مِنَ الثيران أفْرَدَهُ   عَنْ كَوْرِه كَثْرَةُ الإغْرَاء والطَّرَدُ[6]

---

(١) زاد عليه فى اللسان : باقور وباقورة . وكلها أسماء جمع .

(٢) إجل ، بالكسر . وكور ، بالفتح . وفى الصحاح : « والكور أيضاً : الجماعة الكثيرة من الإبل . . . . وجعله أبو ذؤيب فى البقر أيضاً » .

(٣) البيت الآتى لقيس بن عيزارة الهذلى ، كما فى اللسان (جلح) . وله ترجمة فى معجم المرزبانى ٣٢٦ . والعيزارة أمه ، وهو قيس بن خويلد .

(٤) جلح : جمع أجلح وجلحاء ، وهو الذى لا قرن له . أسكنتها : جعلتها تسكن . وفى اللسان (جلح) : « سكنتها » ، وروى فى (بقر) : « أسكنتها » . وفى س : « أمكنتها » .

(٥) البيت الآتى لأبى ذؤيب الهذلى ، كما فى ديوان الهذليين ١ : ١٢٤ واللسان (كور) . وقبله ، وهو أول القصيدة :

تاَللهِ يَبْقَى على الأيَّامِ مُبْتَقِلٌ   جَوْنُ السَّراة رَبَاعٌ سِنُّهُ غَرِدُ

يقول : تالله لايبقى على الأيام مبتقل : أى الذى يرعى البقل . جون السراة : أسود الظهر . غرد : مصوت .

(٦) أى : ولا يبقى شبوب . والشبوب ، كصبور : التام الشباب . ومثله الشبب ، بالتحريك . والمشب ، بضم الميم وكسر الشين . ورواية الجوهرى : « ولا مشب » وهى كذلك رواية ابن سيده (٨ : ٣٣) . وفى (٨ : ٤٢) : « ولا شبوب » . وقد ضبط فى اللسان : « ولا شَبوبَ » بالبناء على الفتح » وهو خطأ ، فإنه عطف على : « مبتقل » فى البيت السابق فى التنبيه السالف . أفرده عن كوره : جعله مفرداً عن جماعته وشرده . وروى فى اللسان : « من كوره » : والإغراء : =

(نار التحالف والحلف)

ونار أخرى ، هى التى توقَدُ عند التَّحالُف ؛ فلا يعقِدُون حِلفهُمْ إلاَّ عندَها . فيذكرون عند ذلك[1] منافعَها ، ويَدْعُونَ إلى الله عزَّ وجلَّ ، بالحرمان والمنع من منافعها ، على الذى يَنْقُضُ عَهْدَ الحِلف ، ويَخيس بالعهد[2] .

ويقولون فى الحلف : الدَّمُ الدَّمُ ، والهدمُ الهدَمُ[3] (يحركون الدّالَ فى هذا الموضع) لا يزيده[4] طلوعُ الشمس إلاَّ شَدًّا ، وطولُ اللَّيالى إلاَّ مَدًّا ، ما بلَّ البحر صوفة[5] ، وما أقام رضوى فى مكانه[6] . (إن كان جبلهم رَضْوَى) .

= أى إغراء الكلاب الصائدات به . والطرد ، بالتحريك ، مثل الطرد بالفتح : المطاردة ومزاولة الصيد . هـ : « من النيران » محرف . وفى الأصل : « كثرة الأعداء » ، صوابه من اللسان والمخصص والصحاح .

(١) هـ : « عند ذكر » .

(٢) خاس بالعهد : أخلفه ونقضه .

(٣) الهدم ، بالسكون ، وبالتحريك : إهدار دم القتيل . والمعنى : إن طلب دمكم فقد طلب دمنا ، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمنا . وقيل : الهدم ، بالتحريك : القبر . أى قبرنا قبركم . أى لا نزال معكم حتى نموت عندكم . وللعبارة تفاسير أخر مذكورة فى اللسان ، وكلها جيد .

(٤) أى لا يزيد الحلف .

(٥) فى الأصل : « وما بل البحر صوفة » والواو مقحمة . والصوفة : واحدة الصوف . وصوف البحر : شىء على شكل هذا الصوف الحيوانى . ويروى : « مابل بحر صوفة » ، كما فى اللسان (صوف) .

(٦) رضوى ، بالفتح : جبل بالمدينة .

وكلٌّ قومٍ يذكرون جبلهم ، والمشهورُ من جبالِهِم .

وربّما دَنَوْا منها حتى تكاد تحرقهم[١] .

ويهوّلون على من يُخافُ عليه الغَدْرُ . بحقوقها ومنافعها . والتَّخويفِ مِنْ حِرْمانِ منفعتها . وقال الكُمَيت :

كهُولةِ ما أوقد المحلفُو ... ن للحالِفِينَ وما هَوّلوا[٢]

وأصلُ[٣] الحِلْف والتَّحالف ، إنماهو من الحَلِفِ والأيمان[٤]

ولقد تحالفت قبائلُ من قبائِل مُرَّةَ بنِ عوف ، فتحالفوا عندَ نارٍ فدَنَوْا منها ، وعشُوا بها[٥] حتَّى مَحَشَتهم . فسُمُّوا : المحاشَ[٦] .

وكان سيدَهم والمطاعَ فيهم ، أبو ضمرة يزيد بن سنان بن أبي حارثة[٧] .

ولذلك يقول النَّابغة :

جَمِّعْ مِحَاشَكَ يا يزيدُ فإنَّني ... جَمَّعْتُ يَرْبُوعاً لكم وتميما[٨]

---

(١) هـ : « تحرفهم » مصحفة .

(٢) الهولة ، بالضم : مايهول . ط ، س : « لهولة » صوابه فى هـ واللسان (هول) . وكانوا يطرحون فى النار ملحا يفقع يهولون بذلك . اللسان (نور) . وانظر الخزانة (٣ : ٢١٤) حيث تجد تفصيلا أوسع . وقبل البيت كما فى الخزانة :

فَقد صرتُ عمًّا لها بالمشيبِ ... زَوَالاً لدَيْهَا هُـوَ الأَزْوَلُ

(٣) فى الأصل : « وأهل » ، ووجهه ما أثبت .

(٤) الأيمان : جمع يمين ، وهى القسم . ط : « ولا يماو » تحريف ما أثبت من س ، هـ .

(٥) عشى بالنار ، كرضى ودعا : ساء بصره . ومصدره العشا ، يكتب بالألف وبالياء .

(٦) المحاش ، بالكسر . ومحشته النار : أحرقته . والمحاش : هم صرمة وسهم ومالك بنو مرة ابن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض ، وضبة بن سعد . اللسان (محش) . وفى شرح ديوان النابغة للبطليوسى ٦٩ أنهم بنو خصيلة بن مرة ، وبنو نشبة بن غيظ بن مرة ، تحالفوا على بنى يربوع بن غيظ بن مرة ، رهط النابغة .

(٧) يزيد هذا ، هو أخو هرم بن سنان بن أبى حارثة الذى مدحه زهير بن أبى سلمى . وأبوهما سنان ، كان أيضاً ممن مدحه زهير .

(٨) رواية اللسان والديوان : « أعددت يربوعا » .

١٥١ ولحِقتُ بالنَّسَبِ الذى عَـيّرتَنِي وتركْتَ أصلاً يا يزيدُ ذَميما[١]

وقوله : « تميم » يريد : تميمة[٢] . فحذف الهاء .

(التحالف والتعاقد على الملح)

وربّما تحالفوا وتعاقَدُوا على الملح . والملحُ شيئان : أحدهما المَرَقة[٣] ، والآخر اللَّبَنَ . وأنشدوا لشُتيم بن خُويلدٍ الفَزاريّ[٤] :

لا يبعد اللهُ رَبُّ العبــادِ والمِلْــحُ ما وَلَدَت خَالِدَهْ[٥]

---

(١) كان يزيد يفتخر بنسبته فى قيس ويقول :

إنى امرؤ من صلب قيس ماجد لامدع نسبا ولا مستنكر

وكان يقول للنابغة : والله ما أنت من قيس ولا أنت إلا من قضاعة . فقال النابغة له : أنا لاحق بمن عيرتنى ومتحقق بهم ، ولست مثلك تنتفى عن أصلك . وقيس من العدنانية . وأما قضاعة فكانت فى العدنانية ، ثم تحولت إلى القحطانية . انظر ما سبق من الكلام على هذا فى ص ٣٢٥ — ٣٢٦ من هذا الجزء . وفى الديوان : « وتركت أصلك » و « ذميما » حال من فاعل « تركت » أى فعلت ذلك وأنت مذموم .

(٢) أى استعمل الترخيم فحذف الهاء . وتميمة هى ابن ضبة بن عذرة بن سعد بن ذبيان ، كما فى شرح ديوان النابغة ٧٠ . قال : « قوله وتميما ، لم يرد تميم بن مر . إنما أراد : تميمة بن ضبة بن عذرة » . وقد عقب على ذلك بقوله : « فرخم فى غير النداء » . وكلمة : « مر » هى فى أصل الشرح : « مرة » . و « تميمة بن ضبة » هى فى أصلها : « تميم ابن ضبة » . وقد أصلحت التحريفين .

(٣) كذا . وفى القاموس واللسان أن الملح « الحرمة » . وفى اللسان عن ابن الأنبارى والخزانة (٤ : ١٦٤ بولاق) عن المفضل بن سلمة أن الملح « البركة » . ولم أجد من فسرها بأنها المرقة .

(٤) شتيم ، بهيئة التصغير ، شاعر جاهلى كما فى الخزانة (٤ : ١٦٤ بولاق) . وروى فى الخزانة أيضاً عن نوادر ابن الأعرابى منسوبا إلى نهيكة بن الحارث المازنى من مازن فزارة . ورواه المبرد فى كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٢٧ منسوبا إلى ابن الزبعرى . وفى مقطعات المراثى ١٠٦ نسبتها إلى الحارث بن عمرو الفزارى يرثى بنى خالدة : كردما وإخوته . وانظر اللسان (لوم ٣٨) .

(٥) الملح ، روى بالرفع فى الفاخر ٩ والكامل ٢٨٤ ليبسك . عطف على لفظ الجلالة =

وأنشدوا فيه[١] قول أبى الطَّمَحَانِ[٢] :

وإنى لَأَرْجُو مِلْحَهَا فى بطونِكم وما بَسَطتْ مِنْ جِلْدِ أَشْعَثَ أَغْبَرَا[٣]

وذلك أنَّهُ كان جاورهم ، فكان يَسقيهم اللَّبن ؛ فقال : أرجو أن تشكروا لى رَدَّ إبلِى[٤] ، عَلَى ما شربتم من ألبانها ، وما بَسَطتْ من جلْدِ أَشْعَثَ أغبر . كأنَّهُ يقول : كنتم مهازيل — والمهزولُ يتقشَّف جِلْدُهُ وينقبض — فَبَسَطَ ذلك من جُلودِكم .

(نار المسافر)

ونار أخرى[٥] ، وهى النَّار التى كانوا رُبَّما أوقدوها خَلْفَ المسافر ،

= وروى بالجر عطفا على « العباد » أو بجعل الواو واو القسم . انظر اللسان (٣ : ٤٤٤ س ٤) حيث تجد العبارة مضطربة . وقد حررتها . وخالدة هى بنت أرقم ، أم كردم وكريدم ابنى شعبة الفزاريين .

(١) أى فى الملح . وفى الأصل : « فى » محرفة .

(٢) أبو الطمحان ، بالتحريك ، هو حنظلة بن الشرق . كان نديما للزبير بن عبد المطلب فى الجاهلية ، ثم أدرك الإسلام . وهو أحد المعمرين . الإصابة ٢٠٠٧ والأغانى (١١ : ١٢٥) والشعراء ٣٤٨ .

(٣) كذا جاءت الرواية هنا وفى الكامل ٢٨٤ ليبسك والاشتقاق ٢٦٧ والغريب المصنف ٤٩٤ والمخصص (١ : ٢٦) بالجر . والقصيدة مكسورة الروى . وأولها :

ألا حنَّتِ المرقالُ واشتاق رَبُّها تَذَكَّرُ أَرْمَامًا وأذكُرُ مَعْشَرِى

انظر اللسان (ملح) والشعراء والأغانى (١١ : ١٢٨) . والبيت يقوله لقوم نزلوا عليه فشربوا من ألبانها ثم أغاروا عليها فأخذوها .

(٤) الرد بمعنى الفائدة والنفع . وانظر البيان (٣ : ٥٠) . ط ، هـ : « ردائلى » س : « رزائلى » بهذا الإهمال . وصوابهما ما أثبت .

(٥) سماها العسكرى فى كتاب الأوائل : « نار الطرد » صبح الأعشى (١ : ٤٠٩) وتنزيل الآيات لمحب الدين أفندى . وسماها الثعالبى فى ثمار القلوب ٤٥٩ : « نار المسافر » .

وخَلْفَ الزَّائِرِ الذى لا يحبُّونَ رُجُوعَهُ . وكانوا يقولون فى الدُّعاءِ : أبعده الله وأسحقه ، وَأَوْقَدَ نَاراً خلفَه ، وفى إثره ! وهو معنى قولِ بشار — وضربَهُ مثلا — :

صَحوتَ وأوقَدْتَ للجهلِ نَارَا ... وردَّ عليك الصِّبَا ما اسْتَعَارَا [١]

وأنشدوا :

وَجَمَّةِ أقوامٍ حَمَلْتَ ولم تكنْ ... لتوقِدَ نَاراً إثرهم للتندُّمِ [٢]

والجَمَّة : الجَمَاعَة يمشون فى الصلح . وقال الراجز فى إبله :

* تقسَمُ فى الحقِّ وَتعْطَى فى الجُمَمْ [٣] *

يقول [٤] لا تندم على ما أعطيت فى الحمالة [٥] ، عند كلام الجماعة فتوقد خلفهم نَاراً كَى لا يعودوا .

(نار الحرب)

ونار أخرى [٦] وهى النَّار التى كانوا إذا أرادوا حرْباً ، وتوقعُوا جيشاً عظيما ، وأرادوا الاجتماع أوقدوا ليلاً على جبلهم نَاراً ؛ ليبلغَ الخبرُ أصحابَهم .

---

(١) ديوان بشار ٣ : ٤ ومجالس ثعلب ٦١١ والأزمنة والأمكنة (٢ : ٣٥٧) . واللسان (وقد) .

(٢) مثل هذه الرواية فى ثمار القلوب ٤٥٩ وتنزيل الآيات . وروى فى اللسان (نور) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٧) : « ولم أكن لأوقد ناراً » . والجمة ، بفتح الجيم وتضم .

(٣) فى الحق : أى فى حق الأضياف إذ ينحرها لهم . هـ : « يقسم » س ، هـ : « بالحق » صوابهما فى ط . س : « بالجمم » صوابه فى ط ، هـ .

(٤) أى الشاعر السابق ، لا الراجز .

(٥) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

(٦) سماها الثعالبى فى ثمار القلوب ٤٦١ : « نار الإنذار » والعسكرى فيما نقل عنه محب الدين أفندى : « نار الأهبة للحرب » ، وفيما نقل عنه القلقشندى : « نار الحرب » .

وقد قال عمرُو بنُ كلثومٍ :

ونحنُ غداةَ أُوقِدَ فى خزَازٍ   رَفدْنَا فوْقَ رِفْدِ الرَّافدينا[١]

وإذا جَدُّوا فى جَمْعِ عشائرهم إليهم[٢] أوْقَدُوا نارَيْنِ . وهو قول الفرزدق[٣] :

لولا فوارِسُ تَغْلِبَ ابنَةِ وائِلٍ   سَدَّ العدوُّ عليكَ كل مكانِ[٤]

ضربُوا الصَّنائِـعِ والملوكَ وأوقدُوا   نارَيْنِ أشرفَتَا على النِّيرانِ[٥]

---

(١) خزار وخزازى ، بالفتح : جبل . وروى البيت بالروايتين . س ، هـ : « حزاز » مصحفة . وانظر خبر يوم خزاز فى معجم البلدان والميدانى (٢ : ٣٥٣) والعقد (٣ : ٣٦٥) وكامل ابن الأثير (١ : ٣١٠) والعمدة (٢ : ١٦٦) . رفدنا : أعنا .

(٢) فى الأصل : « فى جميع » محرفة . ط ، س : « ولما وجـدوا » هـ : « ولما حدوا » وهما تصحيف ما أثبت . وجاء فى تنزيل الآيات ٩٢ : « فإذا جد الأمر أوقدوا نارين » ، وفى الخزانة (٣ : ٢١٤ بولاق) نقلا عن ابن قتيبة : « فإذا جدوا وأعجلوا أوقدوا نارين » .

(٣) من قصيدة يهجو بها جريرا ، ويذكر فضل التغلبيين رهط الأخطل . الديوان ٨٨٢ — ٨٨٣ .

(٤) روى فى الديوان وتنزيل الآيات : « نزل العدو عليك » هـ : « ترك » محرفة عن الرواية السابقة .

(٥) الصنائع ، يروون أنه كان للنعمان الأكبر ملك الحيرة ، خمس كتائب : الرهائن ، والصنائع ، والوضائع ، والأشاهب ، ودوسر . فالرهائن : خمسمائة رجل رهائن لقبائل العرب يقيمون سنة على باب الملك طوع أمره ، ثم يستبدل غيرهم بهم . و (الصنائع) : بنو قيس وبنو تيم اللات ابنى ثعلبة . وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه . والوضائع : ألف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك بالحيرة نجدة لملوك العرب ، يقيمون سنة ثم يستبدل غيرهم بهم . والأشاهب : إخوة ملك العرب وبنو عمه . وأما دوسر فكانت أخشن كتائبه وأشدها بطشا ، وكانوا من كل قبائل العرب : وأكثرهم من ربيعة . انظر بلوغ الأرب (٢ : ١٧٦) . وفى الأصـل : « ضربوا المصانع والتلول » وليت شعرى ماذا يجدى عليهم ضرب التلول ؟ ! =

(نار الحَرَّتين)

ونار أخرى ، وهى « نار الحرّتين[١] » ، وهى نار خالد بن سنان ، أحد بنى مخزوم ، من بنى قَطَيْعَةَ بْنِ عَبْس[٢] . ولم يكن فى بنى إسمعيل نبىٌّ قبلهُ . وهو الذى أطفأ الله به نار الحَرَّتَينِ . وكانت ببلاد بنى عبس[٣] ، فإذا كان اللّيلُ فهى نارٌ تسطعُ فى السّماء ، وكانت طيِّئٌ تُنْفِشُ بها إبلها من مسيرةِ ثلاث[٤] . وربّما ندَرَتْ منها العُنُق[٥] فتأتى على كلِّ شىء فتحرقه . وإذا كان النهارُ فإنما هى دخانٌ يفور . فبعث الله خالدَ بنَ سنان، ١٥٢

= فهو تحريف صوابه ما أثبت من الخزانة ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) ، وتنزيل الآيات . ورواية الديوان : « قتلوا الصنائع والملوك » وفيه أيضاً : « نارين قد علتا » . وأشرفتا وعلتا بمعنى .

(١) الحرة ، بالفتح : أرض ذات حجارة نخرة سود . والحرتان ، هما حرة ليلى ، لبنى مرة ، وحرة النار لغطفان ، كما فى المزهر (٢ : ١١٩) . أما حرة ليلى فهى من وراء وادى القرى من جهة المدينة . وحرة النار قريبة من حرة ليلى قرب المدينة . عن معجم البلدان .

(٢) قطيعة ، كجهينة ، بهيئة التصغير .

(٣) فى الأصل : « وكانت حرة ببلاد بنى عبس » . وكلمة « حرة » تفسد الكلام . وضمير « كانت » راجع إلى : « نار الحرتين » فالصواب حذفها ، كما جاء فى نقل الثعالبى عن الجاحظ فى ثمار القلوب ٤٥٦ . وكما فى صبح الأعشى (١ : ٤٠٩) وبلوغ الأرب .

(٤) أنفش الراعى إبله : جعلها ترعى ليلا دون أن يراقبها . من مسيرة ثلاث : أى ثلاث ليال ، كما جاء فى ثمار القلوب نقلا عن الجاحظ ، وكما فى صبح الأعشى (١ : ٤٠٩) وبلوغ الأرب . س : فقط « ثلاثة » : أى ثلاثة أيام . فى الأصل : « تتبين بها إبلها » ، وفى ثمار القلوب : « تنعش بها إبلهم » ، ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) وهو ينقل عن الجاحظ ولو لم يصرح — : « تنقش فيها الإبل » صواب هذا كله « تنفش » بالفاء ، كما أثبت موافقا لما فى عجائب المخلوقات ٨٨ .

(٥) ندرت : ظهرت وبدت . والعنق : القطعة أو الطائفة .

فاحتَفَرَ لَهَا بئراً ، ثمّ أدخلها فيها ، والنَّـاسُ ينظرون ؛ ثمَّ اقتحم فيها حتى غيَّبها. وسمع بعضَ القوم وهو يقول [هَلَكَ الرَّجُلُ ! فقال خالدُ بنُ سِنانٍ[(١)] : كذب ابنُ راعية المعز ، لأخرجنَّ منها وجبيني يَنْدَى[(٢)] ! فلمَّا حضَرَتْهُ الوفاة ، قال لقومه : إذا أنا متُّ ثمَّ دفنتمونى ، فاحضُرونى بعدَ ثلاثٍ ؛ فإنّـكم تَرَوْنَ عَيراً أَبتَرَ يطوفُ بقبرى ، فإذا رأيتم ذلك فانبشونى ؛ فإنى أخبرُكم بما هو كائن إلى يوم القيامة . فاجتمعوا لذلك فى اليوم الثالث[(٣)] ، فلما رأوا العَيْرَ[(٤)] وذهبوا ينبشونه ، اختلفوا ، فصاروا فرقتين ، وابنه عبدُ الله فى الفِرقة التى أَبَتْ أن تنبشه وهو يقول : [لا أفعلُ ! إنى[(٥)] إذًا أُدْعَى ابنَ المنبوش ! فتركوه .

وقد قدِمَتْ ابنَتُهُ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فبَسَطَ لهـا رِداءَهُ وقال : هذه ابنةُ نَـبيٍّ ضيّعهُ قومُهُ .

قال : وسَمِعَتْ سورَةَ : ﴿قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ﴾ فقالت : قدكان أبى يتلو هذه السورة .

---

(١) هذه التكملة من الإصابة ٢٣٥١ فى ترجمة خالد بن سنان . وبدونها لايصح الكلام .

(٢) كذا على الصواب فى محاضرات الراغب ، والعبارة محرفة فى الأصل . ففى ط : « وجبتى تندل » هـ : « وحيتنى يندا » س : « وجبينى تندى » . وينلى : أى عليه ندى العرق . كناية عن سلامته من أذى النار ولفحها .

(٣) كذا فى س ، وثمار القلوب . وفى ط ، هـ : « فاجتمعوا له فى ذلك اليوم » .

(٤) العير ، بالفتح : الحمار الوحشى .

(٥) الزيادة من محاضرات الراغب . وانظر للخبر أيضا مروج الذهب (١ : ٦٧ - ٦٨) .

(نبوّة خالد بن سنان)

والمتكلِّمون لا يؤمنون بهذا ، ويزعمون أنَّ خالداً هذا كان أعرابيًّا وَبَريًّا ، من أهل شَرْجٍ ونَاظِرَة[١] . ولم يبعث الله نبيًّا قطُّ من الأعرابِ ولا من الفدَّادِينَ[٢] أهلِ الوَبَرِ ، وإنما يبعثهم من أهل القرَى ، وسُكَّانِ المُدُنِ .

وقال خُلَيْدُ عَيْنَيْنِ[٣] :

وأى نبيٍّ كانَ فى غيرِ قَوْمِهِ ... وَهَلْ كانَ حُكْمُ اللهِ إلاَّ مَعَ النَّخْلِ[٤]

وأنشدُوا :

كَنَارِ الحَرَّتَيْنِ لها زفيرٌ ... يُصِمُّ مَسَامِعَ الرَّجُلِ السَّمِيعِ[٥]

(عبادة النار وتعظيمها)

وما زالَ النَّاسُ كافَّةً ، والأممُ قاطبةً — حتى جَاءَ اللهُ بالحقِّ — مُولَعين بتعظيم النَّار ؛ حتى ضلَّ كثيرٌ من النَّاس لإفراطهم فيها ، أنهم يعبدونها[٦] .

---

(١) شرج وناظرة : ماءان لعبس . عن معجم البلدان (ناظرة) . وشرج ، بفتح الشين وسكون الراء بعدها جيم . وناظرة ، بالظاء المعجمة . وفى ط ، س : « سرح وناصرة » هـ : « سرح وناصر » محرفتان صوابهما ماأثبت .

(٢) الفدادون : أهل الوبر ، أى الذين يعيشون فى بيوت من وبر الإبل ، وهم أهل البادية .

(٣) عينين : قرية بالبحرين نسب إليها خليد . وقد ترجمته فى (١ : ٢٦٦) . وفى الأصل : « خليد عبس » محرف .

(٤) يقوله لجرير فى قصيدة يهجوه بها ويرد عليه . انظر (١ : ٢٦٦) .

(٥) زفير النار : صوت توقدها واضطرامها . ط ، هـ : « تصم » . ورواية البيت فى ثمار القلوب :

ونار الحرتين لها زفير ... يصم لهوله الرجل السميع

(٦) فى ثمار القلوب : « حتى ظن كثير من الناس لإفراطهم أنهم يعبدونها » .

فأما النار العُلويَّة ؛ كالشمس والكواكب ، فقد عُبدت ألبتَّة . قال الله تعالى : ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ .

وقد يجيءُ فى الأثرِ وفى سُنَّةِ بعضِ الأنبياء ، تعظيمها على جهة التعبّدِ والمحنة ، وعلى إيجاب الشكر على النِّعمة بها وفيها . فيغلط لذلك كثيرٌ من النَّاس ، فيجوزُون الحدَّ .

ويزعم أَهلُ الكِتاب أنَّ الله تعالى أوصاهُمْ بها ، وقال : « لا تُطفِئوا النِّيران مِنْ بُيوتى » . فلذلك لا تجد الكنائس والبِيَع[1] ، وبيوت العبادات ، إلاَّ وهى لا تخلو من نارٍ أبداً ، ليلاً ولا نهاراً ؛ حتَّى اتَّخذَت للنِّيرانِ ٥٣ البُيُوتَ وَالسَّدَنَةَ ووقَفُوا عليها الغَلاَّتِ الكثيرة .

(إطفاء نيران المجوس)

أبو الحسن عن مسلمة[2] وقحدَم[3] ، أن زياداً بعث عَبدَ اللهِ بنَ أبى بَكرة[4] ، وأمَرَهُ أن يُطفِئَ النيران ، فأراد عبدُ اللهِ أَنْ يَبْدَأَ بنار

---

(١) البيع بكسر ففتح : جمع بيعة ، بالكسر ، وهى كنيسة النصارى ، وقيل كنيسة اليهود .

(٢) هو مسلمة بن محارب ، فيما أرجح . وله حديث عن زياد فى البيان (٢ : ٧٧) .

(٣) كذا جاء بالدال المهملة . والمعروف فى أسمائهم : « قحذم » بالذال ، و « قحزم » بالزاى .

(٤) عبد الله ، أحد أولاد أبى بكرة الأربعين ، ذكره ابن قتيبة فى المعارف ١٢٥ . وأبو بكرة اسمه نفيع بن الحارث ، أسلم ومات فى خلافة عمر . وكان تدلى إلى النبى صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة ، فاشتهر بأبى بكرة . الإصابة ٨٧٩٤ .

جُور(١) فيطفِئها ، فقيل له : ليست للمجوس نارٌ أعْظَمَ من نار الـكارِيانِ(٢) من دار الحارث(٣) . فإن أطفأتها لم يمتنع عَلَيْكَ أحدٌ ، وإنْ أطفأت سافلتها استعدُّوا للحَرْب وامتَنَعُوا ، فابْدَأْ بها . فخرجَ إلى الـكاريان فتحصَّنَ أهلُها فى القَلْعة . وكان رَجُلٌ من الفرس مِنْ أهل تلك البلاد معروف(٤) بالشدّة ، لا يقدِرُ عليه أحد ، وكان يمرُّ كلّ عشِيَّةٍ ببابِ منزله(٥) استخفافا وإدْلالاً بنفسه ، فغمَّ ذلك عبدَ الله فقال : أما لِهَذَا أحدٌ ؟ ! وكان معَ عبد الله ابن أبى بكْرة(٦) رجلٌ من عبد القيس ، مِنْ أشدِّ النَّاس بطشاً ، وكانَ جباناً ، فقالوا له : هذا العبدى(٧) ، هو شديدٌ جَبان . وإن أَمَرْتَهُ به خافَ القتالَ فلم يَعْرِضْ له . فاحتل له حيلةً . فقال : نعم .

قال : فبينا هو فى مجلسه إذ مرَّ الفارِسِىُّ ، فقال عبد الله : ما رأيتُ مِثلَ خَلْق هذا ، وما فى الأرض — كما زعموا — أشدُّ منه بطشاً ! ما يقوى

---

(١) ط ، هـ : « حوم » س : « حدر » ، صوابهما ماأثبت . جاء فى مروج الذهب (١ : ٣٨٣) : « وفى مدينة جور من أرض فارس وهو البلد الذى يحمل منه ماء الورد الجورى . وإليه يضاف بيت النار ، بناه أردشير بن بابك » . ونحو هذا الـكلام أيضاً فى معجم البلدان (جور) .

(٢) الـكاريان ، بكسر الراء ، قال ياقوت : « مدينة بفارس صغيرة ، ورستاقها عامر ، وبها بيت نار معظم عند المجوس ، تحمل ناره إلى الآفاق » .

(٣) كذا بالأصل . ولعل وجهه : « ومن نار الحارث » ، والحارث : جبل بأرمينية انظر معجم البلدان .

(٤) كذا فى س ، هـ ، على الوصفية ، وخبره : « لايقدر » . ط : « معروفا » على الخبرية .

(٥) فى الأصل : « يأتى منزله » .

(٦) س : « وكان مع ابن أبى بكرة » .

(٧) العبدى : نسبة إلى عبد القيس : قبيلة كانت تسكن البحرين . س : « العبدكى » ولعل صواب مافى س : « العدولى » ، نسبة إلى عدولى بفتحتين فسكون ففتح ، مقصور ، وهى قرية بالبحرين بلاد عبد القيس .

عليه أحد ! فقال العبدى[1] : ما تجعلون لى إن احتَملته حتَّى أدْخِلَه الدَّار وأكْتِفَهُ ؟ فقال له عبد الله : لك أربعةُ آلافِ درهم . فقال : تَفُونَ لى بألف ؟ قال : نَعَمْ ! فلمَّا كان الغدُ مرَّ الفارسيُّ ، فقام إليه العبديُّ فاحتمله فما امتَنَع ولا قَدَر أن يتحرّك ، حتَّى أدخله الدَّارَ وَضَرَبَ به الأرضَ وَوَثَبَ عليه النَّاسُ فقتلوه ، وغُشِيَ على العبدى[2] حينَ قتلوه . فلما قُتِلَ أَعْطَى أهلُ القَلْعة بأيديهم[3] . فقتل ابنَ أبى بَكْرَةَ الهرابذَةَ[4] ، وأطفأ النَّارَ ، ومضى يُطفِئُ النِّيرَانَ حتَّى بَلَغَ سِجِسْتَانَ .

(تعظيم المجوس للنار)

والمجوسُ تقدِّم النَّارَ فى التَّعظيم على الماء ، وتقدم الماءَ فى التَّعظيم على الأرض . ولا تكاد تذكر الهواء[5] .

(نار السعالى والجن والغيلان)

ونار أخرى ، التى يحكونها من نيران السَّعالى[6] والجنِّ ، وهى غيرُ نار الغِيلاَن[7] . وأنشد أبو زيد لسَهم بن الحارث[8] :

(١) س : « العبدلى » . وانظر التنبيه السابق .
(٢) س : « العبدلى » ، محرف .
(٣) أعطوا بأيديهم : استسلموا واستأسروا .
(٤) الهرابذة : جمع هربذ ، بكسر الهاء والباء ، كزبرج ، وهو خادم نار المجوس . وفى معجم استينجاس أنه قيم معبد النار : أو الرئيس من رؤساء كهنة المجوس .
(٥) فى الأصل : « الهوى » محرف .
(٦) السعالى : جمع سعلاة ، بالكسر ، وهى أنثى الجن فيما يزعمون .
(٧) ذهب الجاحظ إلى أن الغيلان نوع مغاير للسعالى . انظر تفصيل ذلك فى الحيوان (٦ : ١٥٨ — ١٦٠) . ونحوه ماورد فى عجائب المخلوقات ٣٠٩ . وبعض اللغويين يجعلهما نوعا واحداً .
(٨) الذى فى نوادر أبى زيد ١٢٣ : « شمير بن الحارث الضبى » وضبط « شمير » =

وَنَارٍ قد حضأتُ بُعيْدَ هُدءٍ   بدارٍ لا أُريدُ بهـا مُقامَا[1]

سوَى تحليلِ رَاحلةٍ وعَـيْنٍ   أكالئُها مخافَة أنْ تَنَامَا[2]

أَتَوْا نارِى ، فقلْتُ مَنُون أنتمْ   فقالوا : الجنُّ ! قلت : عِمُوا ظَلامَا[3]

فقلت : إلى الطّعامِ ، فقال منهم   زَعِيمٌ : نحسُدُ الإنْسَ الطعامَا[4]

وهذا غلط وليس من هذا الباب . وسنَضعُهُ فى موضعه إن شاء الله تعالى[5] . بل الذى يقع ههنا قولُ أبى المطراب عبيدِ بنِ أيُّوبَ[6] :

بهيئة التصغير . وقال أبو الحسن فى ١٢٤ : « حفظى سمير » أى بالسين . وانظر الخزانة (٣ : ٣ بولاق) . وجاء فى الحيوان (٦ : ١٩٦) : « شمر بن الحارث الضبى » ومثله فى اللسان (من) . ونسبه فى (عير) إلى تأبط شرا .

(١) حضأت : أشعلت . هـ : « حصأت » مصحفة . والهدء ، بالضم والفتح : أن تهدأ الرجل والليل . س : « هذا » محرفة .

(٢) فى شرح نوادر أبى زيد ١٢٦ : « سوى تحليل راحلة ، أراد سوى راحلة أقمت بها فيها بقدر تحلة اليمين » . وتحلة اليمين : مثل فى القليل المفرط القلة . وهو أن يباشر من الفعل الذى يقسم عليه المقدار الذى يبر به قسمه ويحلله . مثل أن يحلف على النزول بمكان ، فلو وقع به وقعة خفيفة أجزأته ، فتلك تحلة قسمه . انظر اللسان . وروى : « سوى ترحيل راحلة » أى إزالة الرحل عن ظهرها . وروى فى المخصص (١ : ٩٤) الميدانى (١ : ٣٢٠) مع نسبته فى الأخير إلى تأبط شراً : « وعير * أكالئه مخافة أن يناما » . وفى الخزانة عن المفضل « وعير أكالئها مخافة أن تناما » . والعير ، بالفتح : إنسان العين ، يذكر ويؤنث .

(٣) منون أنتم : أى من أنتم . وانظر تفصيل القول فى هذه اللغة فى لسان العرب (من) .

(٤) إلى الطعام : أى هلموا إليه .

(٥) برّ الجاحظ بوعده . وأعاد ذكر الأبيات فى موضعها . انظر الحيوان (٦ : ١٩٦) .

(٦) عبيد بن أيوب : شاعر من بنى العنبر . كان يخبر فى شعره أنه يرافق الغول والسعلاة ، ويبايت الذئاب والأفاعى ، ويؤاكل الظباء والوحش . الشعراء ٧٥٨ — ٧٦١ .

فلله درُّ الغُــول أىُّ رَفِيقةٍ لصاحِبِ قفرٍ خائفٍ متقفِّرِ[1] ١٥٤
أَرنَّتْ بِلَحْنٍ بَعْدَ لَحْنٍ وأوقَدَتْ حَوَالَىَّ نِيرانًا تبوخُ وَتَزْهَرُ[2]

(نار الاحتيال)

وما زالت السَّدَنَةُ تحتالُ للنَّاس جهةَ النِّيران بأنواع الحيل ، كاحتيال رُهبانِ كَنيسةِ القُمَامة[3] ببيت المقدس بمصابيحها ، وأنَّ زَيْتَ قناديلها يَسْتَوْقِدُ لهم[4] من غير نَارٍ ، فى بعض ليالى أعيادِهم .

قال : وبمثل احتيال السَّادن[5] لخالد بن الوليد ، حين رماه بالشَّرَر ،

(١) المتقفر : الذى يتبع آثار الصيد ونحوه . فى الأصل : « در القول » صوابه ما أثبت من الحيوان (٥ : ١٢٣) والشعراء ٧٥٨ والمسعودى (١ : ٣٢٨) وأصل إعجاز القرآن للباقلانى ٤٣ وتنزيل الآيات ٩٣ . ط ، س : « أى رقيقة » . صوابه : « رفيقة » أى صاحبته ، كما فى هـ والمراجع المتقدمة . وفى الشعراء « يتستر » بدل « متقفر » .

(٢) أرنت : من الإرنان ، وهو التصويت . فى الأصل : «أذنت» صوابه فى المراجع . ط : « حوالى نيران » صوابه فى س ، هـ ، والمصادر السابقة ، قال المسعودى ، « كانت العرب قبل الإسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث والتخبيل واختلال السابلة » . وانظر الحيوان (٥ : ١٢٣) . تبوخ : تسكن وتفتر. تزهر : تضىء ، وبابه منع . والمعنى : أنها تخبو تارة وتشتعل أخرى . وهذه رواية الأصل والشعراء وإعجاز القرآن وتنزيل الآيات . وفى مروج الذهب والحيوان ج ٥ : « تلوح وتزهر » . وفى هذا البيت إقواء ، فإنه مروى مع أبيات خمسة أخرى مكسورة الروى . انظر الحيوان (٦ : ٥٠) .

(٣) هى كنيسة القيامة : أعظم كنيسة للنصارى بالبيت المقدس . ورجح ياقوت فى معجم البلدان تسميتها : كنيسة القمامة ، بالضم . فى الأصل : « القمة » محرفة . صوابها من الحيوان (٦ : ٢٠٢) ومعجم البلدان . وجاء فى التنبيه والإشراف ١٢٣ : « وبنت هيلانى ، بإيليا : الكنيسة المعروفة بالقيامة فى هذا الوقت ، التى يظهر منها النار فى يوم السبت الكبير الذى صبحه الفصح » .

(٤) يقال اتقدت النار وتوقدت واستوقدت . القاموس . فى الأصل : « تستوقد » .

(٥) يريد سادن العزى . وكانت العزى ثلاث شجرات من سمر ، فأرسل النبى =

ليوهمه أنَّ ذلك من الأوثان ، أو عقوبةً على ترك عبادتها وإنكارها ، والتعرُّض لها ؛ حتى قال :

يا عُزُّ كُفْرَانَكِ لاسُبْحَانَكْ   إنِّى وَجَدْتُ اللهَ قد أهَانَكْ [1]

حَتَّى كشف الله ذلك الغِطاءَ ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(نار الصيد والبيض)

ونار أخرى ، وهى النّار التى توقَدُ للظباء وصيدِها . لتعشى إذا أدامت النَّظر . وتجعلُ من ورائها . ويطلب بها بيضُ النَّعام فى أفاحيصها ومكِناتها [2] . ولذلك قال طُفيلٌ الغنوِىّ :

عوازب لم تسمع نُبُوح مَقامَةٍ   وَلَمْ تَرَ نَارًا تِمَّ حَوْلٍ مُجَرَّمِ [3]

سِوى نَار بَيْض أو غزَالٍ بِقَفرَة   أغنَّ مِنَ الخُنْسِ المَنَاخِرِ تَوْأَمِ [4]

= صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ليعضدها ، وذلك يوم فتح مكة . انظر بقية الخبر والزعم فى الأصنام ٢٥ وثمار القلوب ١٧ وخزانة البغدادى (٣ : ٢٤٢ — ٢٤٤ بولاق) . والعزى ، فى لفظها : تأنيث الأعز .

(١) روى فى المخصص (١٥ : ١٩٠) :

كفرانك اليوم ولا سبحانك   الحمد لله الذى أهانك

(٢) مكناتها ، بفتح الميم وضم الكاف وكسرها ، أو بضمهما . والمكنات : الأمكنة ومنه الحديث : « أقروا الطير على مكناتها » . انظر التفصيل فى لسان العرب (مكن) . قال الزمخشرى : « ويروى : مُكُناتِها ، جمع مُكُن . ومُكُنٌ : جمع مكان كصُعُدات فى صُعُد ، وحُمُرات فى حُمُر » .

(٣) س ، هـ : « بنوح مقامة » محرف . وانظر تحقيق البيت وشرحه فى ص ٣٤٨ .

(٤) انظر رواية البيت وشرحه وتحقيقه فى ص ٣٤٨ .

وقد يُوقِدون النِّيرانَ يُهَوِّلون بها على الأُسْدِ إذا خافوها . والأَسَدُ إذا عايَنَ النَّارَ حَدَّقَ إليها وتأمَّلها ، فما أكْثَرَ ما تَشْغَلهُ عن السَّابلة[١] .

(قصة أبى ثعلب الأعرج)

وَمَرَّ أبُو ثعلب[٢] الأعرج ، على وادِى السِّباع ، فَعَرَضَ له سبع ، فقال لَهُ المُكَارِى : لو أمرتَ غِلْمانَكَ فأوْقدُوا ناراً ، وضَرَبوا على الطِّساس[٣] ! ففعلوا فأحْجَمَ عنها[٤] . فأنشدنى لَهُ ابن أبى كريمة ، فى حُبِّه بعد ذلك للنَّار ، ومَدْحِهِ لها وللصَّوْتِ الشَّدِيدِ ، بَعْدَ بُغْضِه لَهُمَا[٥] وهو قوله :

فأحْبَبْتهاَ[٦] حُبًّا هَوِيتُ خِلاطَهَا ... ولو فى صَمِيمِ النَّارِ نَارِ جَهنَّمِ

وصِرْتُ أَلَذُّ الصَّوتَ لو كان صاعِقاً ... وَأَطْرَبُ من صَوْتِ الحِمار المرقَّمِ[٧]

وروى أنَّ أعرابيًّا اشتدَّ عليه البَرْدُ ، فأصابَ ناراً ، فَدَنَا منها ليصطلىَ بها[٨] ، وهو يقول : اللهم لا تَحْرِمْنيها فى الدُّنيا ولا فى الآخرة ! .

---

(١) سبق مثل هذا الكلام فى ص ٣٤٩ . وقد سمى الثعالبى هذه النار : « نار التهويل » . ثمار القلوب ٤٦٠ .

(٢) فى الأصل : « ابن ثعلب » وفى ثمار القلوب ٤٦١ : « أبو تغلب » . وجاء فى الحيوان (٦ : ١٦٦) : « وكان من العرجان الشعراء أبو ثعلب ، وهو كليب بن الغول » وانظر ما كتب فى هامش أصلى معجم المرزبانى ٣٥٤ — ٣٥٥ وكذا ماجاء فى نهاية مادة (اى ر) من لسان العرب .

(٣) الطساس : جمع طس ، بالفتح ، وهو الطست .

(٤) فى ثمار القلوب : « وأحجم عنهم الأسد » .

(٥) فى الأصل : « لها » ، والصواب ما أثبت موافقاً مافى ثمار القلوب .

(٦) ط : « فأجبتها » ، صوابه فى س ، ه وثمار القلوب .

(٧) ينعت الحمار الوحشى بالمرقم ، لأنه مخطط القوائم .

(٨) س : « فدنا ليصطلى منها » .

(حيرة الضفدع عند رؤية النار)

ومما إذا أبصَر النّار اعتَرَتْهُ الحيرةُ ، الضِّفدعُ ؛ فإنّهُ لا يزالُ يَنِقُّ فإذا أَبْصرَ النّار سَكَتَ .

(نار الحباحب)

ومن النِّيران « نار الحباحِب[1] » وهى أيْضاً « نارُ أبى الحباحب » .

وقال أبو حَيّة :

تعسر فى تغريبــه فإذا انحنى عليهنّ فى قفٍّ أرنّتْ جنادِلُه[2]

١٥٥ وَأَوْقَدَ نيرانَ الحباحب والتقى غَضًى تراقى بينهنَّ ولاوِلَهْ[3]

وقال القطامىُّ فى نارِ أبى الحباحِب :

تُخَوِّدُ تخويدَ النّعامةِ بَعْدَ ما تَصَوَّبَتِ الجوْزَاءُ قَصْدَ المَغَارِبِ[4]

---

(١) الحباحب ، بضم الحاء الأولى ، سيفسرها الجاحظ .

(٢) فى الشطر الأول تحريف . والقف ، بالضم : الأرض ذات حجارة عظام . أرنت : صوتت . ط ، هـ : « أرثت » س : « أرتنا » محرفتان . والجنادل : الحجارة الكبيرة . جعلها تصوت مما يضرب بعضها فى بعض .

(٣) الغضى : نبت شديد النّار تبقى ناره طويلا . وفى الأصل : « عصا » صوابه فى تنزيل الآيات ٩٣ . تراقى : تتصاعد . والولاول : الأصوات ؛ جمع ولولة .

(٤) خود البعير والظليم : أسرع واهتز فى مشيه . وفى الأصل ، وهو هنا ط ، هـ ؛ لأن البيت ساقط من س : « تجرد تجريد » وتصحيحه من الديوان ٥٣ وأمالى ابن الشجرى (٢ : ٦٠ حيدر أباد) . والجوزاء : نجم . تصوبت قصد المغارب : انحدرت ومالت إلى المغيب . يقول : تلك الناقة قد سارت ليلتها وهى بعد ذلك تواصل سيرها السريع بعد تصوب الجوزاء حين يعترى الكلال كل شىء ، فهى محتفظة أبداً بنشاطها . وإنما تتصوب الجوزاء وقت الغداة . ط : « تصوتت » صوابه فى هـ والمرجعين السابقين . وفى الأصل : « قصر » صوابه فى الديوان والأمالى .

ألا إنما نِيرَانُ قيْسٍ إذا اشْتوت لطارقِ ليْلٍ مثلُ نارِ الحباحِبِ[1]

ويصفون نارًا أخرى ، وهى قريبةٌ من نار أبى الحباحب . وكلُّ نار تراها العينُ لا حقيقةَ لها عند التماسها ، فهى نار أبى الحباحب . ولم أسمعْ فى أبى حباحب نفسِهِ شيئاً[2] .

(نار البرق)

وقال الأعرابىُّ ، وذَكَرَ البرْق :

نَـارٌ تعُود به للعُودِ جِدّتُه والنَّارُ تُشْعِلُ نِيرَاناً فتحتَرِقُ

---

(١) فى الأصل : « ألا إنها نيران قيس إذا استوت » وتصحيح الكلمة الثانية من الديوان وأمالى ابن الشجرى وثمار القلوب ٤٦٣ المخصص (١١ : ٢٨) واللسان (حبحب) والخزانة (٣ : ١٩٠ بولاق) وأمثال الميدانى (٢ : ٨٦) . وأما « استوت » فهى محرفة عما أثبت . واشتوت : صنعت شواء . ومثل هذه الرواية رواية الخزانة (٣ : ٢١٣ بولاق) : « إذا اشتووا » . وقيس تؤنث باعتبار القبيلة . والرواية الجيدة : « إذا شتوا » أى أقاموا شتاء . وهى رواية جميع المصادر السالفة وكذلك العقد (٤ : ٢٢٤) وفيه : « ألا إنها » تحريف . وهو قد هجا قيس عيلان ؛ لأنه مر فى بعض أسفاره بامرأة من محارب بن قيس فاستقراها — أى طلب منها القرى — فقالت : أنا من قوم يشتوون القد من الجوع . قال : ومن هؤلاء ويحك ؟ قالت : محارب . ولم تقره ! فبات عندها بأشر ليلة ، وصنع فيها القصيدة . أمالى ابن الشجرى (٢ : ٥٨) والخزانة (٣ : ١٨٩ — ١٩٠ بولاق) . وقد نسب البيت فى اللسان (حبحب) إلى النابغة . وهو خطأ .

(٢) هكذا تكون أمانة العلم . ومثله ماقال أبو حنيفة : « لا يعرف حباحب ولا أبو حباحب . ولم نسمع فيه عن العرب شيئا » . لكن جاء فى المخصص (١١ : ٢٨) نقلا عن صاحب العين : « كان أبو حباحب رجلا من محارب خصفة . وكان بخيلا لا يوقد ناره إلا بحطب شخت » . ومثله فى اللسان . وزاد : « لئلا ترى » . وفى اللسان : « وقيل اسمه حباحب فضرب بناره المثل ؛ لأنه كان لايوقد إلا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان » . وفى المخصص : « وزعم قوم أن =

يقول : كلُّ نار فى الدُّنيا فهى تحرِق العِيدانَ وتُبْطلها وتُهلكها ، إلاَّ « نار البرق » ؛ فإنَّها تجىء بالغيث . وإذا غِيثَتِ[1] الأرضُ ومُطِرَتْ أحدَثَ الله للعِيدَانِ جِدَّةً ، وللأَشْجارِ أغصاناً لم تكن .

(نار البراعة)

ونَارٌ أخرى ، وهى شبيهةٌ بنار البرق ، ونارِ أبى حباحب ، وهى « نار البراعة » . والبراعة : طائر صغير ، إنْ طار بالنَّهار كان كبعض الطَّير ، وإن طار باللَّيل كان كأنَّهُ شهابٌ قُذِفَ[2] أو مصباحٌ يطير .

(الدفء برؤية النار)

وفى الأحاديثِ السَّائرة المذكورة فى الكتب ، أنَّ رَجُلاً ألقى فى ماءٍ راكِدٍ[3] فى شتاءٍ بارد ، فى ليلةٍ من الحنادِس[4] ، لا قمر ولا ساهور[5] — وإنما ذكر ذلك ؛ لأنَّ ليلة العَشْر[6] والبدر والطوق الذى يستدير حول القمر ، يكون كاسِراً[7] من بَرْد تلك الليلة — قالوا : فما زال الرجُل حيًّا

= أبا حباحب وحباحبا البراع ، وهو فراشة إذا طارت بالليل لم يشك من لم يعرفها أنها شررة طارت من نار » .

(١) غيثت الأرض : أصابها الغيث . والغيث ، بالفتح : المطر . ط ، هـ : « غثيت » صوابه فى س .

(٢) أى الكوكب الذى ينقض على إثر الشيطان بالليل ويقذف به . وفى الكتاب : « إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب » .

(٣) راكد : ساكن لا يتحرك . س : « بارد » .

(٤) الحنادس : ثلاث ليال من الشهر مظلمات .

(٥) الساهور : التسع البواقى من الشهر .

(٦) أى العشر الليالى . س ، هـ : « العسر » ، صوابهما فى ط .

(٧) كاسراً : أى مضعفاً ومخففاً . ط ، هـ : « كاسداً » بالدال ، صوابه فى س .

وهو فى ذلك تَارِزٌ[١] جامِد ، ما دام ينظر إلى نَارٍ ، كانت تِجُاهَ وجهِه فى القرية ، أو مصباحٍ . فلما طَفِئتْ انْتَفَضَ[٢] .

(نار الخلعاء والهُرَّاب)

وقال الشّاعر :

ونارٍ قُبيلَ الصُّبحِ بادَرْتُ قَدْحَهَا   حَيَا النَّارِ قد أَوْقدْتُهاَ للمُسَافِرِ[٣]

يقول : بادرت اللَّيل ، لِأنَّ النَّارَ لا تُرى بالنهار ، كأنه كان خليعاً أو مطلوبا[٤] :

وقال آخر :

ودَوِّيّةٍ لا يثقب النَّارَ سَفْرُهَا   وَتَضْحِى بها الوَجْناءُ وهى لَهِيدُ[٥]

كأَنّهم كانوا هُرّاباً ، فمنْ[٦] حثّهم السَّيرَ لا يُوقِدون لبُرْمَةٍ ولا مَلَّةٍ ؛

---

(١) التارز : الصلب الشديد . وفى الأصل : « بارد » ، وذا يفسد المعنى ، ووجهه ما أثبت .

(٢) طفئت النار ، كسمع ، طفوءا : ذهب لهبها ، كانطفأت . وانتفض : ارتعد ، أى من البرد . وفى الأصل : « انطفأ » وهو تحريف .

(٣) أنشد هذا البيت صاحب اللسان فى (١٨ : ٢٣٣) وقال فى تفسيره : « قوله : حيا النار : أراد حياة النار ، فحذف الهاء » . ط ، هـ : « خبا » ، صوابه من س واللسان .

(٤) الخليع : الرجل قد خلعه أهله ، فإن جنى لم يطالبوا بجنايته . والمطلوب : من يطلبه السلطان ليأخذه بجنايته .

(٥) أثقب النار : أشعلها . س : « تثقب » . والسفر : المسافرون . والوجناء : الناقة الشديدة . واللهيد : المجهدة المتعبة . فى الأصل : « نهيد » بالنون ، ولا وجه له ، والصواب ما أثبت . واللهيد ، وصف يستوى فيه المذكر والمؤنث ؛ لأنه فعيل بمعنى مفعول . وانظر المزهر (٢ : ١٣٥) فيما جاء من صفات المؤنث من غير هاء .

(٦) ط : « من » وأثبت مافى س ، هـ .

لأنّ ذلك لا يكون إلاّ بالنزول والتمكث ، وإنما يجتازون بالبَسِيسَةِ[1] ، أو بأدنى عُلقة[2] . وقال بعضُ اللُّصوص[3] :

ملساً بذودِ الحَدَسِيِّ مَلْسا[4] نبَّهْتُ عنهن غلاماً غُسَّا[5]

لمّا تَغَشَّى فَرْوَةً وَحِلْسَا[6] مِنْ غُدْوَةٍ حتَّى كأنّ الشَّمسَا[7]

١٥٦ بالأفُقِ الغربيِّ تُكْسَى وَرْسَا لاتخبزا خَبْزًا وَبُسّا بَسّا[9]

---

(١) البسيسة : بالفتح ، سيفسرها الجاحظ . يقال بس البسيسة : صنعها . ط ، س « بالبسبسة » . هـ : « بالبيسة » صوابهما ما أثبت . وانظر اللسان (بسس) .

(٢) العلقة ، بالضم : كل شيء يتبلغ به .

(٣) هو المفوان العقيلي ، أحد بنى المنتفق ، وأحد لصوص العرب .

(٤) ملس بالإبل ملسا : ساقها فى خفية . والذود ، بالفتح : جماعة الإبل . والحدسى يعنى الرجل الحدسى الذى سرقوا إبله . والحدسى ، بالتحريك : نسبة إلى بنى حدس ، حى من اليمن . والبيت محرف فى الأصل . ط ، هـ : « ملسا برود الحى منى » س : « برود الحى مى » صوابهما فى اللسان (حدس) ومعجم المرزبانى ٤٩٢ والمخصص (٧ : ١٢٧) . وفى اللسان (ملس) : « بذود الحلسى » محرف .

(٥) عنهن : أى عن الإبل . والغس ، بضم الغين : الضعيف اللئيم . وفى الأصل : « قاسا » صوابه من نوادر أبى زيد ١٢ ، ٧٠ . وفى معجم المرزبانى : « جبسا » . والجبس ، بالكسر : النؤوم الكسلان .

(٦) تغشى الشىء : تغطى به . والحلس ، بالكسر والتحريك ، مثل شبه وشبه ومثل ومثل . وهو مايبسط تحت حر المتاع من مسح ونحوه ، أو الكساء الذى على ظهر البعير تحت القتب .

(٧) مثله فى المخصص (٧ : ١٢٧) . وفى معجم المرزبانى : « من بكرة » .

(٨) فى الأصل : « بالأفق الشرق » صوابه من المخصص (٧ : ١٢٧) . وفى معجم المرزبانى وتهذيب الألفاظ ٦٣٦ : « بالأفق الغورى » محرف . وجعل الشمس كأنها مكسوة بالورس . والورس ، بالفتح : نبت له نور لونه يشبه الزعفران . ط : « تكاسا » س ، هـ : « تكسا » صوابه فى معجم المرزبانى ونوادر أبى زيد ١١ . ورواية المخصص ونوادر أبى زيد : « تطلى ورسا » . ومثله فى المعنى قول أسقف نجران فى الشمس — وقد سبق فى (٣ : ٨٨) — :

وطلوعها بيضاء صافية وغروبها صفراء كالورس

(٩) رواه المرزبانى : « لا توقدا نارا » . وفسره بقوله : « لا توقدا نارا لتختبزا فتبطئا =

ولا تُطيلا بمُـاخٍ حَبْسَا وَجَنِّباهَا أَسَداً وَعَبْسَا(١)

قال : والبَسيسة(٢) أن يبلّ الدَّقيق بشيء حتى يجتمع ويؤكل .

(نار الوسم)

ونار أخرى ، وهى « نار الوسْمِ(٣) والِميسَمِ » يقال للرجل : ما نار إبلِك ؟ فيقول عِلاط(٤) ، أو خِبَاط(٥) أو حَلْقة(٦) أو كذا وكذا .

(رجز لبعض اللصوص)

وقرّب بعضُ اللّصوص إبلاً من الهُواشة(٧) ، وقد أغار عليها من كلِّ

= ويعرف موضعكما — فى الأصل : موضعهما — واقتصرا على الإبساس وهو الحلب »

وروى فى فقه اللغة ٥١ طبعة الحلبى : « لا تَخْبِزَا خَبْزًا ونُسَّا نَسًّا » وهى إحدى روايتى ابن سيده فى المخصص (٧ : ١١٥) ورواية اللسان (مادة خبز) . وفسر الخبز بأنه السوق الشديد . وأما النس ، بالنون ، فهو السوق الرفيق . ويروى : « لاتخبزا خبزا وبسا بسا ، بالباء وبالمعنى الأخير . وقيل إنها خطأ ، كما جاء فى المخصص .

(١) أسد وعبس : قبيلتان .

(٢) البسيسة ، بالفتح . والمراد عمل البسيسة . وفى الأصل : « البسبسة » تحريف .

(٣) الوسم : التعليم على الإبل بالميسم ، وهو المكواة .

(٤) العلاط ، بالكسر : سمة فى عرض عنق البعير . والسطاع بالطول . وربما كان العلاط خطا ، وربما كان خطين أو خطوطا فى كل جانب .

(٥) الخباط ، بكسر الخاء المعجمة : سمة تكون فى الفخذ طويلة عرضاً . وهى لبنى سعد . وقيل هى التى تكون على الوجه . حكاه سيبويه . ط ، ه : « وخباط » صوابه « أو » . س : « أو حباط » و « حباط » محرفة عما أثبت من ط ، ه .

(٦) الحلقة ، بالفتح : سمة على شكل الحلقة ، فى الفخذ أو أصل الأذن . ط ، س « جلفة » صوابه فى ه . وانظر بابا مفصلا فى سمات الإبل ، فى المخصص (٧ : ١٥٤ — ١٥٦) .

(٧) هاشت الإبل هوشا : نفرت فى الغارة فتبددت وتفرقت . وإبل هواشة : أخذت =

جانب ، وجَمَعَها من قبائلَ شتّى ، فقرّبها إلى بعض الأسواق ، فقال له بعض التّجّار : ما نارك ؟ وإنما يسأله عن ذلك ؛ لأنهم يعرفون بميسم كلّ قومٍ كَرَمَ إبلهِمْ من لؤمها . فقال :

تَسْأَلُنى البَاعَـة ما نِجَارُها ... إذْ زعزعُوها فَسَمَتْ أبصارُها[1]

فـكلُّ دارٍ لأناسٍ دَارُهـــا ... وكلٌّ نَـارِ العَالَمينَ نارها

وقال الـكردوس المرادى[2] :

تسائلنى عن نارها ونِتَاجها ... وذلك عِلْمٌ لا يُحيط به الطِّمْشُ[3]

والطِّمشُ[4] : الخَلْقُ . والوَرَى[5] : النّاس خاصّة .

تمَّ المصحفُ[6] الرابعُ من كتاب الحيوان ، ويليه إن شاء الله تعالى المصحَفُ الخامسُ . وأوله . نبدأ فى [هذا] الجزء بتمام القَوْل فى نيران العجَم والعرب ، ونيران الدِّيانة ، ومبلغ أقدارها .

= من هنا وهنا . لسان العرب . وفيه : « والهواشات ، بالضم : الجماعات من الناس ومن الإبل ، إذا جمعوها فاختلط بعضها ببعض . وفى الأصل : « النواسة » محرف .

(١) زعزعوها : ساقوها سوقا شديدا . وفى الخزانة (٣ : ٢١٣ بولاق) : « إذ زعزعتها » أى زعزعتها الباعة . وانظر رواية الرجز فى الخزانة ، وأمثال الميدانى (٢ : ٧٤) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٠) .

(٢) س : « المرارى » .

(٣) الطمش ، بالفتح ، سيفسر . وفى ط : « الطمس » بالسين ، صوابه فى س ، هـ .

(٤) ط : « الطمس » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) ط ، هـ : « الودى » ، صوابه بالراء كما فى س .

(٦) ط فقط : « تم هذا المصحف » .

تذييل واستدراك

صفحة	سطر	
٢٧	١	كلمة « الشبُّور » مأخوذة من العِبرية ، ولعلَّ أوّل من انتبه إلى أصل هذه الكلمة هو ابنُ الأثير فى مادة (شبر) ونقل ذلك عنه صاحب اللِّسان . وهى فى العبريّة (שופר) : شُوفَار . ومعناه عندهم : البُوق الذى يُستعمل فى الأعياد الكبرى كرأس السّنة . والعيد الأكبر : (عيد الصِّيام) .
٢٧	٢	« رأس الجالوت » المراد به : رئيس الجالوت . وجاء فى مفاتيح العلوم ص ٢٤ للخوارزمىّ المتوفى سنة ٣٨٧ : « والجالوت هم الجالية ، أعنى الذين جَلَوا عن أوطانهم ببيت المقْدس . ويكون رأسُ الجالوت من ولد داودَ عليه السلام . وتزعم عامَّتهم أنَّه لا يَرْأس حتَّى يكونَ طويلَ الباع تبلغَ أناملُ يديه ركبتيه إذا مدَّهما » . قلت : وهو بالعبريَّة : (ראש גלויות) : رُوش جالُويُوت .
٨٩	٩	فى الأصل « بنى النواحة ، والصواب : « ابن النوَّاحة » كما جاء فى ص ٣٧٨ س ٩ . وقد ذكره ابن حجر فى الإصابة ٦٦٤٣ قال : « عبد الله بن النوّاحة ، ذكره بعضُ من ألف فى الصَّحابة ، فقرأتُ بخطه بما هذا لفظه : كان قد أسلم ثم ارتد فاستتابه عبدُ الله بنُ مسعودٍ فلم يتُبْ ، فقتله علَى كُفره ورِدَّتِه . والنّواحة : الكثيرة النّوح » .

صفحة سطر

٩٣ ٣ ش ما في ط إذا صح عن الجاحظ ، كان حكاية منه لقول العوام ، أو جريا على مذهب ضعيف في النحو . وفي كتاب سيبويه (٢ : ٢٩٦ س ١١ ــ ١٢) « وحدثني الخليل أن ناسا يقولون : ضربتيه . فيلحقون الياء » .

٩ « ريطة » هي زوج المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ، وهي بنت سعيد ــ بالتصغير ــ ابن سهم . ولدت من المغيرة عشرةَ رجال . الإصابة ٨٣٢٩ . وفي الإصابة : « لم يَنْجُ من بني المغيرة في طاعون عمواس إلاّ المهاجر ، وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . وفي ذلك يقول المهاجر بن عبد الله » . وأنشد الأبيات ، ماعدا البيت الأوّل . وانظر الرِّواية عنده .

١٥٥ ١١ كتب إليّ الأخ الشيخ على الطالباني الكردي بتاريخ ١٩٤٧/١٢/٢٢ كتابا جاء فيه :

« أتشرف بأن أقول لك : إنني عثرت أثناء مطالعاتي لشروحك القيمة على كتاب الحيوان لأبي عثمان الجاحظ في الجزء الرابع في صفحة مئة وخمس وخمسين في تعليقتك المرقمة بثلاثة على قولك « الأجدهاني » إنك لم تهتد إلى ضبطها ، وقلت : هكذا بالأصل . فإذا تنازلت فإني أقول لكم إتماما للفائدة : إن هذه الكلمة تكتب بالفارسية : أرْدها (بفتح الألف وتسكين الراء وكسر الدال) وتنطق الراء الأولى ــ التي هي في الأصل زاي فارسية ــ حسب

صفحة سطر

لغة المصريين ، بجيم شديدة التعطيش . وعلى هذا فيكون ضبطها في الأصل الفارسى هكذا : « أزْدِهاء » بهمزة بدل النون والياء ، بينما إذا استبدلت الهمزة براء « أزْدهار » فيكون معناها آفة مكلوبة . ومعنى « أزْدهاء » أفعى كبيرة . وهى متعارفة عند خواص الفرس : حيوانٌ خرافى لا وجود له . وإنى أرجو أن تتقبل منى هذه الإشارة التى يعد قبولك إياها مثلا كريما . . . » .

١٧٤ ٤ روى فى اللسان (عرر ٢٣٦) : « عرارة هبوة » وفسر العرارة بأنها الجرادة أيضاً .

١٨٤ ٣ « وسواء علينا جعلوه كلاما وحديثاً منثورا أو جعلوه رجزا وقصيـدا موزوناً » . وقد يظن بعضُ الناس أنّ فى العبارة تحريفا . والحق أنها صواب ، وإن كانت مخالفةً للمذهب المشهور ، وهو أن يكون فى الجملة همزة التسوية وأن يكون العطف بكلمة « أم » لا « أو » . فتقول : سواء أكان كذا أم كذا . وجاء فى المغنى (١ : ٤٢) ، « وقد أولع الفقهاء وغيرهُم بأن يقولوا، سواء كان كذا أوكذا . وهو نظير قولهم يجب أقل الأمرين من كذا أو كذا . والصواب العطف فى الأول بأم وفى الثانى بالواو . وفى الصحاح تقول سواءٌ علىَّ قمت أو قعدت . اهـ . ولم يذكر غير ذلك . وهو سهو . وفى كامل الهذلى أن ابن محيصن قرأ من طريق الزعفرانى : سواءٌ عليهم أَنْذَرْتَهُمْ

صفحة سطر

أَوْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ . وهذا من الشذوذ بمكان » . قلت . شذوذ هذا المذهب لا يمنع صحته . والجاحظ إمام عارف بالكلام متمرس به وكلامه حجة . وقد استعمل هذا المذهب هنا . وجرى عليه مرَّةً أخرى فى ٣٩٩ س ٢-٣ وج ٥ ص ١٣ س ١٧ .

٢٠٣ ٨ « المحلَّإِ باقِرُهْ » أخذ هذا المعنى الحطيئة فى قوله :

فهلْ كنتُ إلاَّ نائياً إذ دعوتَنِى

مُنادَى عبيـدانَ المحلَّإِ باقِرُه

الديوان ص ٨ . ولعل هذا الاشتباه هو الذى دعا إلى تحريف رواية بيت النابغة .

٢١٨ ١٠ ش « عقرب » . انظر الكلام بتفصيل ، على منع صرف ما سمى من الذكور بأسماء الإناث ، فى همع الهوامع (١ : ٣٤) . لكن « عقرب » فى أصله مذكر ، وقد يؤنث . تقول : هذا عقرب ، وهذه عقرب . فإذا روعى أصل التذكير صرف ، وإذا روعى أصل التأنيث لم يصرف .

٢٢١ ٣ « ويقتلها الآخر » . انظر لتوضيح هذا الكلام وتعيين المراد منه ص ١١٠ من الجزء الخامس ، وكذا نهاية الأرب (١٠ : ١٤٨٠) .

٢٢٢ ١٥ ولادة الدّسّاس ، ثبت علميًّا أن الدّساس وأنواعا أخرى من الحيات ، يكون تناسلها بطريق الولادة ، لا البيض . انظر

صفحة سطر

كتاب علم الحيوان المقرر للمدارس الثانوية المصرية ص ١١٤ طبع ١٩٣٤ .

٢٤٣ ٨ « دون صفاتها » أى دون إرادة صفاتها وملاحظتها .

٢٧٠ ٧ نباح الحية ، جاء فى المخصص (٨ : ١١٥) « الأفاعى تكشُّ خلا الأسوَد ، فإنه يصفِر وينبِّح ويضبَح » . ونبح ، يقال من بابى منع وضرب .

٣٢٣ ١١ ش « وكنت كالهيق غدا يبتغى . . . » الخ . تعرض هذا البيت للتصحيف ، فأنشده بعضهم : « فرحت كالعير غدا يبتغى » وقد أثبت هـذا التصحيف صاحب المعاهد والتنصيص فى ترجمته لبشار (١ : ١٠٢) . بل بالغ فى تأكيد هذا التصحيف ، فعقب عليه بقوله : « قوله : فرحت كالعير ، البيت ، مثل قول بعضهم :

ذهب الحمار ليستفيد لنفسه قرنا فآب وماله أذنان » اه

وليت شعرى ، إن كان الحمار فاقد الأذنين ، فأى حيوان سواه ميزه الله بطول الأذنين ؟ !

ومن العجيب أن يتغلغل هذا التحريف مع ظهور خطئه ، وجلاء بطلانه ، بين بعض الشعراء ، فقال آخر :

كمثل حمار كان للقرن طالبا فآب بلا أذن وليس له قرن

فالظاهر أن « الهيق » تصحف عليهم بـ « العير » ثم ترجموا العير بـ « الحمار » فذاع الخطأ . ومن الشعر الذى يستشهد به

صفحة سطر

على أن طالب القرن النعامة ، ما أنشده الميدانى ــ عند قولهم :
«كطالب القرن جدعت أذنه » ــ :

مثل النعامة كانت وهى سائمة
أذناء حتى زَهَاها الحـين والجُنُنُ
جاءتْ لتشرى قرناً أو تعوِّضه
والدَّهرُ فيه رَبَاحُ البيع والغَبَنُ
فقيل أُذْناكِ ظلمٌ ثمَّت اصطلمت
إلى الصِّماخ ، فلا قرنٌ ولا أُذُن

والجُنُن ، بضمتين : الجنون ، كما فى اللسان (جنن ٢٤٩)
عند إنشاد البيت .

٣٥٣ ٨ ش «جعلها كالقسى فى نحولها» . ومما يستشهد به على تشبيه
الإبل المهزولة بالقسى ، قول البحترى ــ (انظر معاهد التنصيص
١ : ٢١٦) ــ :

كالقِسِيِّ المعطَّفاتِ بل الأسْـ ـهُـمِ مَبْرِيَّةً بل الأوتارِ

وقول الشَّريف :

خوص كأَمثالِ القسيِّ نواحلاً وَإذا سَمَا خطبٌ فهنَّ سِهامُ

٣٨٦ ٩ ش البيت من قصيدة للمتنبى يمدح بها ابن العميد ويودعه .
ومطلعها :

نسيت وما أنسى عتابا على الصـد
ولا خفرا زادت به حمرة الخـد

صفحة سطر

ورواية البيت بتمامه عند العكبرى (١ : ٢٧٧) :

وتلقى نواصيها المنايا مشيحة ورود قطا صم تشايحن فى ورد

وكلمة « تشايحن » تصحح ما نقلت عن الوساطة . ومعناها أسرعن . والبيت فى صفة خيل .

٤٠٨ ١ ش « ما زالت تحت عين خرساء » تفسير الجاحظ للعبارة يشوبه بعض الغموض والتحريف . وفى اللسان (خرس) : « أبو حنيفة : عين خرساء وسحابة خرساء : لارعد فيها ولا برق ولايسمع لها صوت رعد . قال : وأكثر مايكون ذلك فى الشتاء ؛ لأن شدّة البرْد تخرس البَرَدَ وتطفىء البرق » .

٤١٣ ١ خُلُق ، أى طبيعة . ويصح أيضاً أن تقرأ : خَلْقَ . بمعنى خِلْقَة .

٤٢٧ ٢ « أربعين عاما » . كذا جاء بالأصل . وهو خطأ ، صوابه « أربعين يوما » . وقد جاء فى الأصحاح التاسع من سفر التثنية : « حينَ صعدتُ إلى الجبل لكى آخُذَ لوحَى الحجَر ، لوحَى العهد الذى قطعه الربُّ معكُم ، أقمت فى الجبلِ أربعين نهاراً ، وأربعين ليلةً ، لا آكل خُبْزاً ولا أشْرَبُ ماء » .

٤٣٢ ١ الفصح هذه الكلمة معربة عن العبريّة . وهى فى أصلها : (פסח) وتنطق : بِسَحْ . ومعناها اللغوى : القفز ، أو العبور . والعلّة فى تسمية هذا العيد عند اليهود بهذه التسمية ، ماجاء فى سفر الخروج (١٢ : ٢٧) : « إنكم تقولون : هى ذبيحة فصح

صفحة سطر

للرب الذى عَبَرَ عن بيوت بنى إسرائيل فى مصر ، لما ضرب المصريِّين وخلَّص بيوتنا » . ومعنى عبر عن بيوتهم ، أن الله عاقب المصريين وحدهم بالضَّرب ، متجاوزاً بيوت بنى إسرائيل لم يمسها بسوء . والضّربة التى تشير إليها التوراة ، هى أن الله قد أمات كل بكر من أبكار المصريين ، وكلّ بِكر من حَيوانهم كذلك . انظر (١٢ : ٢٩ — ٣٠) . وكلمة عبر هى فى النص العبرى للتوراة : (פסח) پاسَاحْ . وهذا هو الفعل العبرى الذى أخذ منه المصدر المتقدم . فهذا أصل العيد وأصل تسميته عند العبرانيين . وعنهم أخذ المسيحيون .

هذا ولم تشر المعاجم العربية إلى أصل الكلمة ، حسبوها عربية لملاءمة نسجها للنسج العربى ، وهى ليست من ذلك .

٤٣٥ ٦ نمرود بضم النون والراء وآخره دال مهملة ، كما فى القاموس والتنبيه والإشراف ٣٤ ، ٨٢ . ويقال : نمروذ بذال معجمة فى آخره كما فى كامل ابن الأثير (١ : ٥٣—٥٧) ورسائل الجاحظ ١٠٠ ساسى . وعلى هذه اللغة جاء قول ابن رشيق :

يا رَبِّ لا أقوى على دفع الأذى

وبك استعنْتُ على الزّمان الموذى

مَالى بَعثتَ إلىَّ ألفَ بعوضةٍ وبعثْتَ واحدةً على نمروذِ

انظر شرح القاموس .

صفحة سطر

٤٥٦ ٢ « يا أَحْمَدَ المُرْتَجَى » ضبط هذا المنادى بالفتح جائز فى مذهب الكوفيِّين فقط ، وأما البصريون فيوجبون ضمّه ، إذ أن مذهب البصريين إجازة الضم والفتح فى المنادى العلم الموصوف بابن متصل بالعلم مضاف إلى علم آخر . ويوافقهم الكوفيون فى هذا ولكنهم يفارقونهم فى إجازة الضم والفتح أيضاً فى المنادى العلم الموصوف بأى صفة أخرى كانت غير كلمة ابن . انظر همع الهوامع (١ : ١٧٦) .

٤٨٧ ٧ البيت خامس أبيات خمسة رواها ابن سيده فى المخصص (٩ : ١٠٢) وانظر الرواية فيه .

مصر الجديدة فى { أول صفر سنة ١٣٨٦
٢٢ من مايو سنة ١٩٦٦ }

كتبه

عبد السلام محمد هارون



أبواب الكتاب